12 me Année No. 548

Lundi - 3 - 1 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٤٨ «القاهرة في يوم الإثنين ٧ المحرم سنة ١٣٦٣ — الموافق ٣ يناير سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة
١ الرسالة في عامها الثاني عشر : أحمد حسن الزيات ... ..
٣ قصر أنطونيادس ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٥ أغنية الرياح الأربع ... ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٨ كتب وشخصيات ... .. : الأستاذ سيد قطب ... ...
١١ حرية أحرار .. وحرية عبيد : الأستاذ نظمي لوقا جرجس
١٣ روسيا والثقافة الاسلامية ... : الأستاذ برهان الدين الداغستاني
١٥ في السُّرى .. [قصيدة] : الأستاذ محمود عماد .. . .
١٦ من أزهار الشر .. ... { للشاعر شارل بودلير ... .. / بقلم الأستاذ عثمان على عسل
١٧ غصن المحبوى . . .. : الدكتور زكي مبارك ... ...
١٧ الاختزال كفن قديم ... .. : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
١٧ تنبيه لغوى ... ... : م . ع) . . ..
١٨ الصديقة بنت الصديق ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
١٨ حول ختان البنات في مصر .. : الدكتور م . أسامة ... ..
١٨ إلى الدكتور الأهوانى .. .. : الأستاذ محمد يوسف موسى
١٩ ختان الأنثى بين الدين والرأي : الأستاذ محمد أحمد الغمراوى
٢٠ في عبقرية الامام ... ... : السيد حسن الأمين ... . .
٢٠ رابطة فكرية بين مثقفى البلاد العربية ... . { أبو أكرم . . ..

الرسالة

في عامها الثاني عشر

في بصيص من الأمل يلمع في دياجي الآفاق استهل عامنا الوليد !! وهذا البصيص قد لاح من الشرق أيضاً : لاح في أفق «العلمين» من صحراء لوبيا ! ولصحارى الشرق أسرار يبوح بها القدر كلما قضى الله أن يخرج العالم من ظلمة إلى نور ! ولِرَب السموات والأرض نظام يدبره على مقتضى أمره. فلا الزلزال ولا الإعصار، ولا الحديد ولا النار، ولا الدمار والموَتان، ولا الجبروت والطغيان، ولا النازيَّة النازيَة، ولا الفاشيَّـة الفاشِيَـة، تستطيع وإن تظاهرت أن تُعقـب على حكمه، ولا أن تبدل ما سبق في علمه.

كان العالم كله في النصف الأول من العام الذاهب يتيه في بِيدٍ قواتم الأعماق من مجاهل الأرض، نجومها رجوم، وآفاقها غيوم، ورياحها سموم، ومسالكها الغوم، وهواتفها جِنة. وكانت الوحوش النازيَّة تَزأر في جنباتها السود فتردد زئيرها الرعود، وتنزل بوعيدها الصواعق. ثم أراد مالك الملك ألا يَشركه في ملكه أحد، فبدا في غياهب «العلمين» ودياجي «ستالنجراد» شعاع من نوره، فإذا الظلام يشف والطريق يستبين، وإذا اليأس يتحول رجاء، والزئير ينقلب عواء، والمارد الجبار يعود إلى القمقم،

والتِّنين الخرافى يرتد مثخناً بالجراح إلى قفصه الهائل ، وقد شرَع مخالبه الكثيرة بين قضبانه الطوال الغلاظ ليعوّق القدر الهاجم ويؤخر الأجل المحتوم !

***

فى هذا الشعاع الإلهى الذى هدى المجوس ليلة ميلاد المسيح ، وضلل المشركين يوم هجرة محمد ، ثم عاد فبيَّن للإنسانية نَسَم الطريق فى معامى هذه الحرب ، تستقبل « الرسالة » عامها الثانى عشر ، وهى باعتبارها لساناً من ألسن الإصلاح الإنسانى تجد بهذا التحول الحربى والسياسى رَوْحاً وغبطة : ترتاح لأن تباشير النصر تكاد تنبئ عن سلام رخى يرد الوئام على الناس ويعيد النظام إلى الدنيا ؛ وتغتبط بعقبى هذه الحرب التى لا نعت لها فى لغات الناس إذا استطاعت نارها التى لم تخبُ ساعة فى أربع سنين أن تنفى خَبَثَ الغرائز عن العنصر السماوى فى ابن آدم المسكين . وما أسعد الإنسانية جماء إذا عوضها الله من ملايين الأنفس التى أزهقت ، ومن قناطير الذهب التى أنفقت ، ومن آلاف المدن التى أحرقت ، تلك الأمانى العِذابَ التى اشتمل عليها ميثاق الأطلسى ، وعبرت عنها حريات رزفلت !

لقد ظلت هذه المنى دعوة الدين ورسالة الحكمة منذ هبط هذه الأرض آدم ؛ فكانت تُقص كالأحلام ، وتُسمع كالأنغام ، فتهدهد الغرائز العارمة ساعة الشبع والغفوة ، فإذا انتبه الإنسان على وخز الحاجة كشَّر عن الناب وشحر عن المخلب ، ثم يفعل ما يفعل كل حيوان من كل جنس . فلما جاءت المدنية لم تزد على أن جعلت للناب غطاء من الذهب الوهاج ، وللظفر غشاء من الصبغ القانى !! فهل آن لعقول الناس أن تفهم عن وحى الله ؛ وللخلائق المكسوبة بالتهذيب أن تتغلب على الغرائز الموروثة بالفطرة ؟ لا نظن ذلك . إنما هى القوة التى تحولت بتأثير الكثرة والثروة إلى تهديد مستمر ؛ وهى الحرب التى تطورت بتسخير العلم والفن إلى فناء عام ! فإذا فكر قادة الإنسانية اليوم أن يحسموا أسباب الحرب فيما بقى من عمر الدنيا ، فذلك لأن الحرب المقبلة معناها انفطار السماء وانفجار الأرض وقيام الساعة . والنزاع الدولى مهما اختلفت دواعيه نزاع على مادة الحياة . فإذا كان يؤدى إلى الفناء المطلق ، وجد فى أصل الفطرة الإنسانية ما يمنعه . والأصل فى طبيعة الحرب أن تُنتج النصر من قوة وضعف . فإذا تكافأت القوى بطل عملها أو تفانت . وكل دولة من الدول التى تمتاز اليوم بكثرة الأرقام فى عدد الأنفس والأموال ومعاهد العلم ودور الصناعة ، تستطيع أن تعبئ الجيوش وتهيئ الأسلحة، ولكنها لا تستطيع أن تضمن الغلب ؛ فلا مناص إذن من تحالف دولتين أو ثلاث منها لتَبطل التكافؤ وتثقل الكِفّة . ولا يدوم هذا التحالف الحتمى بين الدول المختارة لحفظ السلم إلا إذا انقدعت نفوسها عن الطمع والأثرة . لذلك كنا متفائلين بنتائج هذه الحرب إذا دارت دوائرها على المحور ؛ فإن جنوح الأحلاف إلى تحكيم العقل المسالح فى النزاع ، وتوخى العدل الممكن فى القسمة ، وإيثار التبادل الحر فى المعاملة ، هو حلم الأمم الضعيفة بطبعها فى العدد والعُدة .

على أن سلطان العقل والعدل وإن قوى أثره فى نظام العالم المرجوّ لا يضمن وحده سلامة شعب اجتمعت على أهله القلة والذلة والفرقة والجهالة ؛ فإن لهذه الصفات الخسيسة أثرها فى تخفيف الموازين وتخفيض القيم . ولن تستطيع ولو حرصت أن تعدل بين متفاوتين فى العقلية والحرية والمدنية والقوة . ولا يستوى فى طلب الحق أو الدفاع عنه واحد وجماعة . والدول الصغيرة كالآحاد قوتها فى أن تُجمع . ودول البلطيق والبلقان والشرق الأدنى قوى متفرقة ؛ فلو تجمعت المتجاورات منها لكان لها فى الحرب والسلم شأن غير هذا الشأن . وإن العروبة التى فرقتها المطامع ومزقتها الأحداث قد أدركت فضل تعاونها فى حادث لبنان القريب فأخذت تعمل على أن تكون يوم يجتمع الناس للصلح وحدة سياسية فى أى صورة من الصور نرجو أن تنتظم دولها جماء من المحيط إلى المحيط

***

اللهم رُحماك ورضاك ! هذا خامس شتاء يقضيه عبادك فى زمهرير جهنم ! ونار الطاغين يا أعدل الحاكمين غير نارك ، يصلاها البر والفاجر ! لم يبق فى العالم المحروب صدر من غير بلبلة ، ولا بلد من غير زلزلة ، ولا أمة من غير أزمة ! فاجعل اللهم هذا العام حداً لهذا البلاء الشامل !

ربنا اصرف عنا العقاب إنا بُرَآء ، وخفف عنا المصاب إنا ضعفاء ، واكشف عنا العذاب إنا مؤمنون

احمد حسن الزيات

قصر أنطونيادس

للدكتور زكي مبارك

هو أنطونياذس ، بالذال لا بالدال ، فى النطق اليونانى ، ونحن ننطقه بالدال على أسلوبنا فى المراوحة بين هذين الحرفين ، كما نقول : دا ، فى مكان ذا ، وكما نقول : دى ، فى مكان ذى ، وكما نقول : خد ، فى مكان خذ ... وكان ذلك لأن الدال أخف فى النطق من الذال ، لا تحوجنا إلى بروز اللسان بين الأسنان .

أترك هذه الفائدة اللغوية لأواجه الموضوع فأقول :

كانت أيام الصيف الماضى أيام أعياد لقصر أنطونياذس ، فقد ورد اسمه مرات ومرات فى الجرائد المصرية والسورية والحجازية والعراقية ، إلى آخر ما هنالك من الجرائد التى تصدر باللسان العربى ، ثم ورد اسمه أيضاً مرات ومرات فى الجرائد التى تصدر بالفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية واليابانية والصينية ، إلى آخر ما هنالك من الألسنة التى يهم أصحابها بالمشكلات الدولية

ونحن نعرف الأسباب التى جعلت لقصر أنطونياذس هذه المنزلة التاريخية ، فقد كان المكان المختار لمشاورات الوحدة العربية ، المشاورات التى اشترك فيها رجال يمثلون العراق والشام والحجاز ... ولو تمهلت الحوادث لاشترك فيها رجال يمثلون لبنان قبل أن ينتهى ذلك الموسم الجميل

وأنتم رأيتم الصور التى سجلت بعض المناظر لأولئك المتشاورين ، ففى الجانب المصرى يجلس رفعة النحاس باشا ومعالى الهلالى باشا وسعادة الأستاذ محمد بك صلاح الدين ، وفى الجانب العراقى أو السورى أو الحجازى يجلس من اختارتهم أممهم لتلك المشاورات ، ثم يكونون ضيوف الحكومة المصرية فى قصر أنطونياذس ، إلى أن تنتهى مهمتهم الرسمية

فما هو قصر أنطونياذس الذى شغل الجرائد والمجلات والإذاعات والبرقيات عدداً من الأسابيع فى الصيف الذى سلف ؟

أعترف بأنى ما كنت رأيت ذلك القصر من قبل ، فما كان يهمنى من الأسكندرية غير الشواطئ ، ولا كنت أتصور أن فيها مكاناً أبهج من محطة الرمل . عليها تحية الحب !

الصورة التاريخية هى التى دفعتنى إلى رؤية قصر أنطونياذس لأكتب عنه كلمة توضح بعض ملامحه لمن يجهل من أحواله ما كنت أجهل ، وما أكثر ما أجهل من أحوال بلادى !

منطقة شعرية

أخذت العربة طريقها بمحاذاة نادى سبورتنج ، ثم اتجهت شرقاً إلى ناحية خفق لها قلبى ، القلب الذى تذكر أنه زار تلك الناحية فى الليالى البواسم قبل أن تولول أبواق الحرب !

نعم ، هذا كازينو النزهة ، وهذى موسيقا الرقص فى ضحوات الآحاد ، بعد أن امتنع فيه الرقص بالليل

وتلك طيوف الماضى تعاودنى برفق أو بعنف ، فقد كان لى فى ذلك الكازينو ذكريات

متى تعود أيامى ؟ متى تعود ؟

من حق الأيام أن تنتقم منى ، فقد أكرهتها على أن تكون فى مذاقى رحيقاً فى رحيق ، وهى بلؤمها تريد أن تكون غسليناً فى غسلين

وهل استطاعت الحياة أن تنتقم منى ؟

وكيف وهى مثقلة بالديون لقلمى ؟

نحن نبتدع الحياة بأفكارنا وأحلامنا ، لنجد ما نصوره بأقلامنا ، فإن فكرت الحياة فى أن تمن علينا فلتنزجر ولترتدع فليس لها فى أعناقنا جميل ، وإنما نحن أصحاب الجميل

إن الإنسان خليفة الله فى الأرض ، ونحن لا نخترع هذا القول ، فقد جهر به القرآن المجيد ، فما مصير الحياة لو عاشت بلا أبناء ، ونحن وحدنا الأبناء الأصلاء ؟

إن خطيئة أبينا آدم كانت نعمة على هذه الأرض ، فما كان للأرض تاريخ قبل أن يهبط إليها من الفردوس ، وما صنع إلا لأنه مجموعة نفيسة من الآراء والأهواء ، والحقائق والأباطيل

بإرادة إلهية خلقناك خلقاً يا هذه الأرض ، وصيّرناك مؤتمرات سلام وميادين حروب

حديقة الورد

هي حديقة نموذجية تذكرنا بالجوانب الوردية من حديقة لكسمبورج في باريس ، وقد هجمت الورود بسبب قسوة الشتاء

الآن عرفت ما لم أكن أعرف

عرفت أن البرد يؤذي أهل الرقة واللطف ، وينفع أهل القسوة والعنف

الآن عرفت كيف كان العرب يصفون المرأة الرقيقة بأنها « نؤوم الضحى » ، ومعنى ذلك أنها لا تستطيع الاستيقاظ في برد الصباح ، لأنها في رقة الورد ، والورد لا يستيقظ في ساعات البرد

هل تذكرون حياة النمل ؟

إن النمال تكون من العاملة في الصيف ، ثم تأوى إلى مساكنها المطمورة في الشتاء

ولا كذلك بنو آدم ، فقوتهم في الشتاء لا في الصيف ، ومن هنا جاءت فكرة « عيد الميلاد » ، وهي تعبير عن نزعة إنسانية قبل أن تكون تعبيراً عن نزعة مسيحية ، فما يعرف أحد بالضبط في أي شهر ولد المسيح ، لأنه ولد قبل أن يلتفت الناس إلى تقييد المواليد

البرد هو الذي نفع روسيا فنصرها على نابليون ، وقد ينصرها على هتلر بعد حين .

وتأخر البرد في هذه السنة آذى المزارع المصرية بعض الإيذاء ، لأن في الدفء حياة للديدان ، وحياة للنمال ، وحياة للذباب ، وفي حياة هذه المخلوقات جور على أرزاق الناس

البرد هو الذي يعلمنا كيف نستعد لمقاومة التقلبات الجوية ، وهي تقلبات لا ينتصر عليها غير من يتدثرون بالأثواب والقلوب

وآية « يا أيها المدثر » تدل على أن الرسول تفتح قلبه للوحي في ليلة شاتية ، وسنجد دليلاً على صحة هذا الافتراض ، إن كان يحتاج إلى دليل

وهل تهجع الأرض في الشتاء كما يتصور الناس ؟

إن الحرارة تتحول إلى جوف الأرض فتعدها إعداداً صالحاً للانبات والإبراق والإزهار والإثمار ، وسبحان من لو شاء لكشف الحجاب عن حكمته العالية في مداولة الأيام بين الصيف والشتاء .

وهل تهجع شجيرات الورد كما تصورتها وأنا أجول في حديقة الورد ؟

إنها تستجم ، ولعلها تدير في نفسها الصور المنتظرة للربيع المقبل ، كما يستجم الفنان ليدير في نفسه الصور المنتظرة لربيع الفكر والخيال

لا نوم ولا موت في هذا الوجود ، لأن الله خلقه لليقظة والخلود .

لو زحزح الحجاب لحظة واحدة لرأينا جميع الموجودات في اقتتال أو اعتناق ، وإن ظهر للعيون أنها غافيات

لم يرحم الشتاء غير طائفة قليلة من الأزاهير ، فرأينا ما تصنع النحل ، وتذكرنا أن النحل تمنح وهي تنهب ، لأنها تشعر الزهر بمعاني الحنان ، والحنان غذاء الجمال

تدخل النحلة إلى جوف الزهرة فتمتص ما فيها من رحيق ، ثم تنتقل بسرعة إلى زهرة ثانية وثالثة ورابعة ، ولا تكف إلا حين تغلبها النشوة فتميل إلى القرار والاطمئنان

والنحل تترك الخلايا من وقت إلى وقت ، وتسافر في طلب الرزق ، ثم ترجع بدون أن تضل الطريق ، فسبحان من أوحى إلى تلك الخلائق اللطيفة ما أوحى ، سبحانه سبحانه ، وإن كان غنياً عن الثناء

التمثال

دخلنا الروضة النائمة بسبب البرد ، فراعنا التمثال ، وأي تمثال ؟

ذلك وثن أقيم لفتاة عارية تتلقى شآبيب المطر ، أو أكواب الشمس ، في لحظة صفاء

تلك فتاة قتلت صباها وهي تخضع لصانعي التماثيل ، وإلا فأين هي اليوم ؟

بعشرين جنيهاً أو بثلاثين سمحت الفتاة المسكينة بالجلوس على تلك الصورة أسابيع وأسابيع ، ليصاغ منها ذلك التمثال

قلت للجنان : افتح صنابير النوافير لأرى كيف تغتسل هذه الشقراء

لقد كادت الفتاة تستيقظ لتتعلق بعنقي ، فما تحدث عنها شاعر قبل أن تراني

١ – أغنية الرياح الأربع

لشاعر اللذة والجمال على محمود طه

للأستاذ دريني خشبة

هكذا أصبح الشاعر المبدع « على محمود طه » أغنية فى فم الجيل الجديد . وهكذا أصبح شعره إحدى أناشيد مصر الحديثة التى تهتف بها فى جنات الجمال ، وتتغناها فى بساتين الحب ، وتغازل بها روح الفن ، وتحفز بموسيقاها همم الشباب ، وتعطر بأريجها أجواء المجتمع ، وتثبت بها شخصيتها فى دنيا الشعر العالمى

انتظروا يا أصدقائى الشعراء !

انتظروا . فوالله إنى لأعرف لكل منكم فضله ، ومسجل إن عشت لكل من بلابلكم يده ، وما بدأت إلا بواحد منكم كنت أنتظر أن يفى بوعده الذى وعد منذ سنوات عشر حتى أنجزه ، وأرجو أن يأخذ فى إنجازه إلى ما يشاء الله

أما كيف أنه وعد وعداً ولم ينجزه إلا بعد سنوات عشر ، فرجعه إلى وفاة شوقى أمير الشعراء رحمه الله وغفر له ، وذلك أنه كان قد ألقى قصيدة من نظمه فى رثاء الشاعر الخالد ، فى حفلة أقامتها ممثلة الشوقيات الأولى « السيدة فاطمة رشدى » فى يناير سنة ١٩٣٣ ، يقول فيها الأبيات التالية التى علقت بذاكرتى طول هذه السنوات العشر :

أيها المسرح الحزين عزاء   قد فقدت الغداة أقوى دعامه
ذهب الشاعر الذى كنت تستو   حى وتستلهم الخلود كلامه
واهب الفن قلبه وقواه   ومصافيه وده وهيامه
رب ليل بجانبيك شهدنا   قصة الدهر روعة وفخامه
أسفر الشعر عن روائعه فيـ   ـها وألقى عن الخفاء لثامه
فأعد عهده ، وأحى ليا   ليه ، وجدد على المدى أيامه
(ولك اليوم همة فى شباب   ملأوا المصر قوة وكرامه)
نزلوا ساحه يشيدون للمجـ   ـد وشقوا إلى الحياة زحامه
فاذكروا نهضة البيان بأرض   أطلعت فى سمائها أعلامه
إنها أمة تغار على الفـ   ـن وترعى عهوده وذمامه
(لم تزل مصر كعبة الشعر فى الـ   ـشرق، وفى كفها لواء الزعامه)
إن يوماً يفوتها السبق فيه   لهو يوم المعاد ، يوم القيامه !

كنت أردد هذه الأبيات ثم أبحث عن على محمود طه فلا أجده إلا فى قصيدة أو مقطوعة تسفر بها إلينا جريدة أو مجلة ،

كان الماء يتساقط على شفتيها ، وكأنها عروس فى ليلة حمراء

أين النموذج ؟ أين ؟ إنه فتاة ذهبت إلى غير معاد ، فما يعمر مثل هذا الجمال ، وهل تطول أعمار الورود ؟

ركعت هنالك طفلة ظريفة ، وهى تقول فى بغام يشبه الحنين :

La statue falt comme ça

فما عرفت أى الروحين أرق وألطف ، الروح الناطق ، أم الروح الصامت !

النموذج مات ، بدليل أنه سكت عن مطالبة البلدية بحقوقه فى روضة الورد ، ولأن زيارته ميسورة بنصف قرش ، وما أهون الجمال الذى يزار بأنصاف القروش !

أين أنا مما أريد ؟

كان الغرض أن أصف قصر أنطونيادس ، فشرقت وغربت ، وأتهمت وأنجدت ، ولم أقل شيئاً عن القصر ذى الشرفات والروضات ، القصر الذى سمع نجوى القلوب الصوادق بأمانى الأمم العربية ، حقق الله تلك الأمانى

وهل كان يجوز أن أتحدث عن ذلك القصر قبل أن أصف ما يحيط به من رياض هي ملاعب أهواء ، ومراتع ظباء ؟

كل شىء ينبض بالحياة فى تلك المنطقة الشعرية ، وإليها تهفو الأرواح فى ضحويات الشتاء ، وعصريات الربيع ، ولا ينافسها إلا رمال الشواطىء حين يقبل الصيف !

ما هو قصر أنطونيادس ؟ إن لى عندى شجوناً من الحديث ، وموعدنا المقال المقبل ، والله هو الموفق

زكى مبارك

حتى لقيته فى المقتطف ذلك اللقاء الكريم المفاجئ ، فى منظومته الطويلة « الله والشاعر » ... فقلت : نفحة أرجو أن تتلوها نفحات ... وكان على محمود طه فى هذه المنظومة الرائعة عاصفة مكبوتة تريد أن تنطلق ... أو تريد أن تحاجّ الأرض والسموات

ما أثمت روحى ولا أجرمت ولا طغى جسمى ولا استهترا
عناصر الروح بما ألهمت أوحت إلى الجسم فما قصرا ؟

فلما أتيت على آخر المنظومة

فابتهلى لله ، واستغفرى وكفرى عنك بنار الألم
وقدمى التوبة ، واستمطرى بين يديه عبرات الندم

رثيت له وأعذرته

ثم ملأ أيدينا المدودة « بالملاح التائه » فبادرت إلى « الله والشاعر » أستعيدها ، وأستغفر الله لهذا البلبل الشادى . ثم ذكرت رثاءه لشوقى فطويت الصفحات إليه ، ووقفت عند هذا البيت :

أيها المسرح الحزين عزاء قد فقدت الغداة أقوى دعامه

فطويت الملاح التائه ، وجلست مسترخى الأعصاب شارد اللب ، لا أفكر إلا فى مسرحنا هذا الحزين ، وأدبنا ذاك الشاحب ؛ فلما عدت إلى نفسى ، أو عادت إلى نفسى ، أخذت أقرأ حتى استوقفنى هذا البيت :

ولك اليوم همة فى شباب ملأوا العصر قوة وهمامه

فوجدتنى أردد بيت شوقى .

شباب قنع[1] ... ...

رددته مرتين ثم أمسكت ، فلما قرأت هذا البيت :

لم تزل مصر كعبة الشعر فى الشرق ، وفى كفها لواء الزعامه

ذكرت وفود الشرق التى بايعت شوقى فى بيت[2] حافظ ، فطويت الملاح التائه وانصرفت عنه زمناً طويلاً ... ووالله ما انصرفت عنه قالياً أو سالياً ، لكننى ذكرت ما وعدنا به على محمود طه ولما ينجزه ... فتجدد حزنى على شوقى ...

ومضت سنون سبع ، وطلع علينا شاعر اللذة والجمال

(١) شباب قنع لا خير فيهم وبورك فى الشباب الطامحينا !
(٢) أمير القوافى قد أتيت مبايعاً وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

بليالى ملاحه التائه ، وبه تلك المجموعة الشائقة من روائعه التى قرأناها كلها فى الصحف ، ثم ذكرت وعده الذى وعد ، وأنه لم يف لكعبة الشعر فى الشرق بشىء من هذا الوعد ، فرحت أردد الذى رددته من قبل من شعر على محمود طه :

أيها المسرح الحزين عزاء قد فقدت الغداة أقوى دعامه !

ثم طلع علينا الملاح التائه « بأرواحه الشاردة » ، فقلت : لا بأس ... روح الشاعر تعانق أشباح أشباهه ! ومن يدرى ؟ لعله لا يزال يستعد ...

ثم فاجأنا « بأرواح وأشباح » فلما قرأتها فغمّنى فيها أريج من دانتى ... إنها رحلة الشاعر إلى السماء ، حملته إليها ربة الشعر :

إلى قمة الزمن الغابر سمت ربة الشعر بالشاعر
يشق الأثير صدى عابرا وروحاً مجنحة الخاطر
مضت حرة من وثاق الزمان ومن قبضة الجسد الآسر
وأوفت على عالم لم يكن غريباً على أمسها الدابر

فلما فرغت منها ، وأفقت من حلمها اللذيذ ، سمعت رجع أصدائها تملأ أذنى من منظومته القديمة « الله والشاعر » ، فعدت أستغفر له الله . . . وأشبهه بالدهر الذى يقول فيه أبو العلاء :

يا دهر يا منجز إيعاده ومخلف المأمول من وعده !

لولا هذا الجمال الذى عوضنا به مؤقتاً ، والذى أودعه أشباحه وأرواحه .

ثم حيانا على محمود طه بزهر وخمر ، وكنا ننتظر البشرى الثمينة التى كان قد زفها إلينا صديق عزيز ، ثم ملأ أيدينا بالبشرى نفسها ... لقد أنجز على محمود طه ما وعد ... لقد أصدر أغنية الرياح الأربع ! ولقد أصدرها باقة يانعة من السحر والشعر والجمال والخيال

* * *

حانة جميلة على شاطىء فينيقية الساحر فى ثغر بيلوس[1]

(١) مكان جميل من أعمال لبنان

حيث وجدت إيزيس جثمان أخيها وزوجها أوزيريس ، فى ميثولوجيا المصريين القدماء ، يملكها ويديرها خمّار يونانى يدعى أرسطفان ، لا يهمه من الحياة إلا حطامها الفانى ...

وله زوجة رائعة الجمال لا يهمها من الدنيا إلا أن تملك منها جلباباً أو تزهي فيها بحلية . وقفت تساعد زوجها فى تنظيف الحانة وتنظيمها ، ووقف زوجها يداعبها ويلاعبها . وراحت هى تدل عليه وتتيه ، وتستنجزه ما وعدها من جميل النعم ، فإذا مد يده يداعب خدها الناضج أو فمها المفتر ، اقتحم الحانة شاعر مصرى جوّاب آفاق يدعى پاتوزيس ، يحمل على كتفه كل ما يملك من عرض دنياه ... قيثاره و ... قلبه و ... أمانيه ...

تلك الأمانى التي لا تزيد على كأس يشعشع بها أحلامه ، أو أغنية يسكن بترديدها آلامه ، أو قَيْنة يريق تحت قدميها أنغامه ؛ وما أرخص هذه الأمانى فى حانة أرسطفان هذا البيلوسى !

ورى پاتوزيس زوجة الخمار ، فيعتمد القيثار ويتغنى أعذب الأشعار ؛ إلا أن أرسطفان يضيق به وبأشعاره ، حتى إذا قال پاتوزيس

لو كنت فى طيبة يوماً مع   رأيت پاتوزيس فى المجلس
يسقيك من خمرة كأنها   مصرية عذراء لم تُمس

انتفضت زوجة الخمارة الحسناء لذكر طيبة ، ولذكر مصر ، وتسائل الشاعر عن ملاعب صباها فى وادى النيل ، فيجيبها ودموعه تترقرق فى عينيه شوقاً إلى مراتع حبه وجنة قلبه

أى صدى هزّنى   وأى حلم عجاب
هل لى إلى موطنى   يا ربّتى من إياب ؟
يا ربتى رددى   هذا النداء الجميل
اليوم أم فى غدٍ   أرى ضفاف النيل ؟

وتقدم الزوجة الحسناء بيدها البضة وأناملها الفضة كأساً من الخمر إلى پاتوزيس ، ويأخذ الخمار وزوجه والشاعر المصرى فى حديث طلى طويل عن مصر ، تقطعه ضجة يسمعونها من بعد ، وهى تقترب ، فيخبرهم پاتوزيس أن اليوم عيد البحار ، وأن البحارة المقبلين نشاوى قدموا ليحتفلوا بعيدهم

ربابنة السفن المواخر أقبلوا   يحيّون عيد الماء عيد السفائن
يلوحون من أقصى الطريق بموكب   تصايح فيه كل نشوان ماجن
ألا حبذا عيد البحار وحبذا   شرابىَ فيه أو شجىُّ ملاحنى !

ويخشى أرسطفان على زوجته من هؤلاء السكارى العرابيد :

حبيبتى أخشى عليك سكرهم   فى حانتى فاجتنبيهم واذهبى

فتسأل زوجها :

مم تخاف ؟ فتنة ؟ أم غَيْرةً ؟   تظن بى سوءاً ؟ أما وثقت بى !

فيضحك أرسطفان ، ويخبرها أن هؤلاء البحارة إنما يغشون الشواطىء لخطف الحسان

إنى أخاف عليك وسوسة الطلى   فى كأس عربيد الصبا نشوان
أرسى سفينته هناك كأنها   مقصورة العشاق فى بستان
إن يَدْعُ زائرة له فسبيلها   سوق الرقيق وعالم النسيان

(للكلام بقية)

دريني خشبة

كتب وشخصيات

٢ – ابرهيم الثانى . . . للمازنى

للأستاذ سيد قطب

خصائص المازنى وفنه

أخيراً يهتدى المازنى إلى نفسه ويمضى على نهجه ، ويستغل أفضل مزاياه .

و « أخيراً » هذه تعنى سنة ١٩٢٩ يوم أخرج المازنى كتابه « صندوق الدنيا » ، وإن كان قد نشره متفرقاً من قبل فى صورة مقالات .

وإذا علمنا أن المازنى بدأ ينشر سنة ١٩١٠ أو حواليها ، فإننا نسأل : وفيم إذن أنفق أكثر من خمسة عشر عاماً قبل أن يتجه اتجاهه الأصيل ؟

والجواب أنه أنفقها أولاً فى التمهيد والتحضير لدوره الأخير ، وأنفقها ثانياً فى التهيئة العامة للأذهان والأذواق ، متابعاً فى هذا وذلك زميله العقاد ، مع بعد ما بين الرجلين فى الطبيعة والاتجاه .

والواقع أننى لم أعجب لشىء عجبى لاقتران هـذين الاسمين فى الأذهان فترة طويلة من الزمان ، وهما يكادان يتقابلان تمام التقابل فى الطبيعة الفنية والإحساس بالحياة

فالعقاد موكل بالفكرة العامة والقاعدة الشاملة ، والمازنى موكل بالمثال المفرد والحادثة الخاصـة ؛ وبينما يضع العقاد يده مباشرة على مفتاح القضية أو الفكرة يمضى المازنى فى استعراض أجزائها ودقائقها مستلذاً هـذا الاستعراض مشغولاً به عن كل ماعداه . وفى العقاد ثورة وزراية وسخط على النقائص والعيوب الكونية والاجتماعية والنفسية (وإن أدركه العطف على الضعف البشرى) ، ومع ثقته وتفاؤله بالحياة ، وفى المازنى قلة مبالاة وسخرية واستخفاف ، وشىء من التشاؤم يبطنه بالفكاهة والشيطنة .

ومن هنا احتفال العقاد واهتمامه وجده فيما يأخذ وما يدع من الأمور حتى فى فكاهته وسخريته ؛ واستخفاف المازنى وسهولة أخذه للمسائل والأشياء ، وإن لم تنقصه الفطنة لما فيها من متناقضات

ومن الأمثلة الحاسمة التى يهيئها الاتفاق فتصور الفارق الأصيل بين اتجاهى التفكير وطريقتى النظر والتعبير ، إجابتا المازنى والعقاد على سؤال فى مجلة ، كان عنوانه : « هل أخلاقنا فى تقدم » ؟

فأما العقاد فقد سارع بوضع القاعدة ونصب الميزان ، وهو يقول :

« نعم الأخلاق المصرية فى تقدم ، أو أن الرجاء فى تقدمها أقرب من اليأس ، وربما منعنا أن نرى دلائل التقدم أن الرجة عنيفة ، وأن الغبار كثير حول الأقدام وفوق الرءوس . فإذا انجلى غداً عرفنا ما خطوناه ، وما لا يزال أمامنا أن نخطوه

« ومن الواجب أن نعرف مقياس التقدم قبل أن نقيس ونضبط القياس فقياس التقدم عندى هو احتمال المسئولية لأنه الفارق بين كل متقدم وكل متأخر بلا استثناء

« ... وإذا كانت المسئولية مقياس التقدم الأوحد ، فالحرية إذن هى شرط التقدم الذى لا غنى عنه بحال من الأحوال ، لأنك لا تفرض المسئولية على إنسان مكتوف اليدين ، ولا بد من حرية حتى تكون مسئولية ، ولا بد من مسئولية حتى يكون تقدم فى الحاضر أو المستقبل

« هذه الفوضى التى نراها فى أخلاقنا هى مظاهر الحرية الأولى ، أو هى أول مفاجأة من مفاجآتها ... الخ

وقد تخالف العقاد أو توافقه ، ولكنك مضطر أن تنظر أولاً فى « مقياس التقدم » أو فى « مفتاح الفكرة » الذى يلخص الرأى ويبلور التفصيلات

وأما المازنى فراح يستعرض المظاهر الخلقية ويحكم عليها واحداً بعد الآخر حسبما رآه . فقال :

« كيف تصلح أخلاق أمة والبيت فاسد والتفاوت بين الرجل والمرأة شديد ، والتربية سيئة ، والمدرسة عقيمة النهج ، والقدوة العامة على أسوأ ما يمكن أن تكون ، ولا تقدير

للتبعات والمسئوليات ، ولا احترام للحقوق ، ولا اعتراف بوجود حدود ، ولا ثقة بإنصاف ... » الخ

ويلاحظ أن المازنى ذكر « تقدير التبعات والمسئوليات » التى ذكرها العقاد ولكن هذا جاء هنا عرضاً ومظهراً ، بينما جاء هناك قاعدة وأصلاً

وعلى هذه الوتيرة تسير طبيعة العقاد وطبيعة المازنى فى عملهما الفنى بل فى حياتهما كذلك . والفرق كما ترى بين الطبيعتين بعيد

وبينما كان العقاد يسير على نهجه الأصيل منذ نشأته فى النقد الأدبى والدراسات الفلسفية والعلمية ، وفى دراسة الشخصيات والسير ؛ ويتهيأ للمكانة الملحوظة التى بلغها فيما بعد فى دراسة التراجم والمذاهب الفنية ، ويقطع مراحل التحضير إلى مرحلة النضوج الأخيرة على بصيرة واستواء . كان المازنى يتنكب عن نهجه ويسير فى غير طريقه وهو يتناول هذه الموضوعات التى يتناولها العقاد يومذاك ، إلى أن اهتدى إلى أفضل مزاياه فى عام ١٩٢٩ وقبله بقليل . وكان ذلك لخير الأدب بلا جدال

وقد أخرج المازنى — وهو فى التيه — كتاب حصاد الهشيم وكتاب قبض الريح ، والقارئ يعجب لتشابه الموضوعات فى هذين الكتابين مع موضوعات كتابى الفصول والمطالعات للعقاد ولتشابه الاتجاه فى الرأى كذلك ، وإن بقى الفارق الكبير بين الطبيعتين والطاقتين حتى فى هذا الطور المختلط ، الذى لم يكن المازنى فيه يفطن إلى حقيقة مزاياه ؟

ولا نحب أن نظلم المازنى فنغفل عن عوامل الزمن والبيئة التى كانت تحتم عليه هذا الاتجاه فى ذلك الزمان . فأغلب الظن أن الحالة الفكرية وفهم الأدب وتقدير الفنون فى هذا الوقت لم تكن تسمح بظهور أديب يكتب على نهج المازنى الأخير الذى بدأه بصندوق الدنيا سنة ١٩٢٩ أو قبلها بقليل

وحسبنا لمعرفة هذه الحالة ولتقدير الجهد الذى بذله المازنى بجوار العقاد فى تصحيح مقاييس الأدب والفنون عامة ، أن نعلم شيئاً عن المشكلات التى كانا يعانيان شرحها وهى اليوم فى حياتنا الأدبية من البديهيات . فمسائل مثل : وحدة الشعر هى القصيدة لا البيت ؛ اللغة وأساليبها تتطور بتطور الزمان ؛ التصوير « الفتوغرافى » فى الفنون لا يعد عملاً فنياً ... إلى آخر هذه البديهيات ، كانت فى ذلك الحين من أعوص المشكلات !

ولقد قرأت بعطف كبير قول المازنى فى « حصاد الهشيم »

« ما مصير كل هذا الذى سودت به الورق وشغلت به المطابع وصدعت به القراء ؟ إنه كله سيفنى ويطوى بلا مراء . فقد قضى الحظ أن يكون عصرنا عصر تمهيد وأن يشتغل أبناؤه بقطع هذه الجبال التى تسد الطريق ، وبتسوية الأرض لمن يأتون من بعدهم . ومن الذى يذكر العمال الذين سووا الأرض ومهدوها ورصفوها ؟ من الذى يعنى بالبحث عن أسماء هؤلاء المجاهيد الذين أدموا أيديهم فى هذه الجلاميد ؟

« وبعد أن تمهد الأرض وينتظم الطريق ، يأتى نفر من بعدنا ويسيرون إلى آخره ، ويقيمون على جانبيه القصور شاهقة باذخة ، ويذكرون بقصورهم ، وننسى نحن الذين أتاحوا لهم أن يرفعوها سامقة رائعة ، والذين شغلوا بالتمهيد عن التشييد !

« فلندع الخلود إذن ، ولنسأل : كم شبراً مهدنا الطريق ؟ »

أدركنى عطف كبير وأنا أقرأ هذه السطور ، وأراجع جهد المازنى وجهد العقاد فى التمهيد نحو ربع قرن من الزمان ، ووددت لو كان المازنى بجانبى حينئذ ، لأقول له :

« لا يا مازنى ! إن نصيبك ونصيب زميلك الكبير أكبر جداً من مجرد التمهيد ، فلقد بنيت بعد ذلك — على طريقتك — بنايات جميلة نابضة بالحياة فى « ابرهيم الكاتب ، وابرهيم الثانى ، وفى صندق الدنيا ، وفى الطريق . كما أقام هو — على طريقته — بنايات سامقة معمورة الأركان . وفى التراجم الأخيرة على الخصوص » !

***

اهتدى المازنى إذن إلى خصائصه وسار أخيراً على نهجه . فما هذا النهج وما تلك الخصائص بالتفصيل بعد ما تقدم من الإجمال ؟

والمازنى فكاهة ودعابة وسخرية . وقد يفهم بعض الذين تصدوا للنقد بلا عدة وافية أنها غاية خصائصه ومزاياه . وهى منها ولها قيمتها فى تلوين أدبه بلونه الخاص ؛ ولكنى لا أراها فى

في مجموعها خير ما في المازني الفنان . فكثيراً ما تقوم دعابات المازني على نوع من سوء التفاهم المتعمد والمفارقات الكثيرة في الحركات الذهنية التي تقابل مفارقات الحركات الحسية في بعض أدوار « لوريل وهاردي » المشهورة ، ولو عدل هذا « التوليف » الخاص لفقدت كل مزيتها ، وليس هذا من الدعابة العميقة الأصيلة . ولا يمنع هذا أن يصل بعضها إلى القمة حين يلاحظ الفارقات الإنسانية والنفسية ويدني العبث بالحركات الذهنية والمغالطات اللفظية ، وأبرز ما يكون ذلك حين يضبط نفسه أو نفس سواه ؛ وهي تغالط نفسها لتهرب من مواجهة موقف أو تتوارى من الكشف في وضح النهار ، أو تدعى فضلاً ليس لها وتنكر سيئة عملتها . وللمازني في هذا نماذج قليلة نسبياً ، ولكنها من أمتع وأقوى ما تحويه الآداب .

أما مزية المازني الكبرى فهي طريقة إحساسه بالحياة .

إذا كان بعض العيون يأخذ الحياة جملة ، فعين المازني تأخذ الحياة بالتفصيل ، وهي عين مفتوحة واعية فاحصة ، لا تفوتها حركة ولا يند عنها لون ؛ وهي تستعرض الحياة والمناظر والنفوس والأشياء ، ولا تشبع من النظر ومن التقاط هذه الدقائق في يقظة وانفعال .

وليس كل كائن في الحياة موجوداً بالقياس إلى النفس الإنسانية ؛ إنما تملك النفس ما تفطن له وما تنفعل به . واللحظة القصيرة تطول وتضخم إذا هي امتلأت بالأحاسيس وأفعمت بالانفعالات ، والتقطت العين والنفس كل أو معظم ما تنطوي عليه من الدقائق والتفصيلات .

وكذلك يصنع المازني باللحظات ، وكذلك يملؤها حتى يكظها ويزحمها بالانفعالات . وقد لا يبلغ أغوار الحياة ولا قلالها ؛ ولكنه يذرعها طولاً وعرضاً ، ويلحظ كل دقيق لا تأخذه العيون ، فإذا هو في حفل من الصور والحركات والتصورات ، وإذا هو يعيد إليك هذه الصور المتحركة في حرارة فائرة كأنها حية حاضرة .

تلك مزية المازني التي لا نظير له فيها في اللغة العربية كلها ، إلا ما قد يقع لابن الرومي في بعض قصائده . مع الفارق بين قيود النظم وضروراته ، وانطلاق النثر وحريته .

***

وبعد فما قيمة « إبراهيم الثاني » التي كنا ننوي الحديث عنها ، فأعدانا المازني في هذا الاستطراد !

هي قصة قلب إنساني يضطرب في عواطفه اضطراباً طبيعياً حياً صادقاً تجاه ثلاث من النساء ، كل منهن نموذج من المرأة يلتقي مع الأخريات في الجنس ويفترق في الطراز . وكل منهن امرأة طبيعية في هذا الاتجاه

وهو قلب إنساني حافل بالتجارب مثقل بالقيود ـ وفي أولها قيد المعرفة الثقيل ـ ولكنه فائض بالحيوية ، زاخر بالعواطف ، يضطرب بين الأثقال ويتفلت من هذه القيود . والمؤلف الواعي يسجل كل حقيقة وكل اختلاجة في دقة كاملة ويبطن ذلك كله بالدعابة الساخرة التي لا تنجو منها شخصية من شخصيات القصة جميعاً !

وهي من حيث كونها قصة تقف في أواسط الصف ؛ ولكن من حيث مزية المازني التي أسلفت الحديث عنها تقف في أول الصف بلا جدال

والذي أريد أن أقوله : إن « الحدوتة » في ذاتها قد لا تكون خير ما في القصة ، ولكن الفطنة للمواقف والمشاعر ، والدقة في رسم اللحظات والانفعالات ، والانسياب الطبيعي الذي يشعرك أن الحياة تجري في الورق كما تجري في الواقع اليومي ... كل هذه مزايا ذات شأن في تقويم القصة وتقديرها وكلها تتفق « لإبرهيم الثاني » أحسن اتفاق . فالحركة والملاحظة والوعي لأدق الخلجات وأخفى التصورات ، وخلع الحياة الفنية على الفتات التي لا يعنى به الكثيرون ، يشيع الحيوية واللذة والانفعال .

ويصعب في مثل هذه الأعمال الأدبية ـ الاجتزاء بالمثال ، فليقرأها من يريد التطبيق على هذا المقال !

ولا بد من الاعتذار في النهاية عن هذا البيان المقتضب السريع المحدود بهذا المجال .

(حلوان) سيد قطب

حرية أحرار... وحرية عبيد

[إلى الانسان الحر عباس محمود العقاد]

للأستاذ نظمي لوقا جرجس

هل رأيت حماراً سعى يوماً إلى غير طعام أو شراب أو ضراب ؟

لا أظن !

فما لغير هـذا « تسوقه » طبيعته وضرورات حياته ! وهو لا حياة له وراء هذه الضرورات ، ولا مذهب له غير أن تقضى من أقرب سبيل وعلى أيسر وجه

هكذا جميع الحمير من جميع الأجناس . . . ذوات الأربع منها وغير الأربع على السواء !...

يمضه الجوع ، أو ينخسه فى الحين بعد الحين ... ولـكنه مركوب للجوع فى جميع الأحيان ؛ فهو حين ينقصه الطعام مشغول بالبحث عنه ، وهو مشغول وقت حضوره بالإقبال عليه بالقلب والسمع والبصر . ولا شغل بعد هذا ولا انشغال ، إلا أن يكون انتظار فراغ جديد يملؤه فى غير فتور ولا ملال . فهو جائع حين تخلو معدته من الطعام فتطالبه به ، وهو جائع كذلك والطعام ملء معدته وبين يديه . إنه جائع على الدوام ، ولا ذنب له فى قلة الحلاء أو ضيق الأمعاء ! هذا مخلوق ، الجوع محور حياته وفلـكها الذى فيه تدور !

وغير جائع — وإن جاع حياته كلها ! — من تتلوى أحشاؤه ، لأنها لم تحظ منذ أيام بما يقيم الأود ، لأنه إذا حضر الطعام وسكتت المعدة كانت له فى الحياة أشواط ليست كلها قضاء ضرورات ولبانات ، وإن كانت كلها إرضاء نفس تطلب الـكمال فى تحقيق ذاتها ، باعتبارها معنى قائماً بذاته فى الحياة ، ونغمة مستقلة فى الوجود

فالنفس الحيـة بمعنى الـكلمة هى التى لها معنى خاص لوجودها . وهى التى تحس فى أعماقها دوافع ذاتية مستقلة عن دوافع الحياة الخارجية وموانعها

الحجر بغير « حركة » ذاتية ... لأنه لا يتحرك بذاته وإنما يحركه غيره

والحيوان « حركة » ذاتية ... لأنه يتحرك بذاته وليس بحاجة إلى غيره كى يتحرك

والحمار بغير « دوافع » ذاتية ... لأنه لا يريد وإنما تريد له خلقته الشائعة بينه وبين أفراد نوعه

والشخص ذو دوافع ذاتية ، لأنه يريد بوجه خاص بخلاف الطبيعة الشائعة بين جميع الأفراد

ودوافع الحياة الشائعة أن تطلب منك القوت واللذة وما فى حكمها مما يطلب من جميع النظراء فى النوع . وهذه هى كل الدوافع التى تحرك الحمار ، فإذا فرغت أو كفيت لم يخرج مع هذا عن تـكرارها والانحصار فيها ، لأنها هى وحدها الموجودة بالنسبة إليه

فالحمار ليس بذى وجود شخصى أو « عالم نفسى » مستقل بدوافعه الذاتية بعيد عن ضرورات الحياة الشائعة فى النوع

ولـكنه — وكـكل حيوان بغير تخصيص — مجرد مدفوع بدفعات الحياة ودوافعها . وليس بذى دفعة فى الحياة إلى جانب ذلك الاندفاع . فهو نسخة شائعة أو رقم فى نوع ...

أما النفس التى لها وجودها الخاص ، فهى النفس التى لها مطالبها وغاياتها التى تتميز بهـا عن بقية أفراد جنسها الذين يطابقونها فى تلقى دفعات الحياة الشائعة ، ولـكنهم لا يطابقونها فى دفعات حياتها الخاصة ... التى هى عالمها النفسى الخالص لها بغير شريك ...

تلك النفس ليست نفس جائع أو معدة مبطان ، لأن الجوع ليس كل ما لديها من علامات الحياة ... ويستوى بعد هذا أن يجهل الجوع صاحب تلك النفس ، وإن يعوزه الطعام طيلة أيامه . والحمار بعد جائع أو صاحب جوع ، ولو لم يغب عن فمه المذود طرفة عين !

ولـكن هذا وذاك قد يتشابهان فى السمتِ أو فى الاسم ، وقد تضمهما — بغير تفريق — رتبة واحدة فى مملـكة الحيوان !

***

أفترى حياة المعدة وحياة النفس بعد هذا سواء ؟

أفترى الاسم الواحد يحمل معنى واحداً عند هذه وتلك ؟

أفترى الحرية واحدة بعد هذا ، لا فى معسكرين متقابلين ،

بل عند أصحاب الفريق الواحد ، لأن الفارق فارق الطبائع لا فارق الأوضاع ؟

إن اللقمة الواحدة يأكلها اثنان على مائدة واحدة ، ولكنها عند هذا غيرها عند صاحبه ...

فهى فى هذا الجانب من المائدة أصل المسعى وغاية الطلاب .

وهى فى الجانب الآخر منها عارض يجب رفعه من الطريق التى ليس هو من غايتها فى كثير ولا قليل ...

وحساب اللقمة بعد كحساب كل شىء يشترك فى مظاهره اثنان فى هذه الحياة . لأن الحياة نفسها بمعناها الأصيل مختلفة كل الاختلاف خلف تشابه المظاهر والسمات

فهل الحرية بعد هذا يمكن أن تكون واحدة خلف وحدة اللفظ على لسان هذا وذاك ؟

كلا !

فكما أن هناك جوعة عارض وجوعة مبطان ، فكذلك هناك حرية أحرار وحرية عبيد !

أما الأحرار ، فالحرية لديهم هى عين حياتهم النفسية : تفيض نفسهم بالدوافع الذاتية ، فإذا بالحياة من خارج تنازعها الميدان ، ولا تتركها طليقة تأخذ مداها كما تريد . فتحس النفس — لأنها حرة أصلاً وبطبعها وحكم وجودها الشخصى — أنه محال بينها وبين الاستمتاع بحريتها . فتطلب لذلك الحرية كال موجود طبيعى ، لا قضاء مطلب مطلوب من الخارج طلب فرض واضطرار !

أما العبيد فالحرية عندهم أن يطلبوا الطعام — حاشا ! بل أن تطلبهم معداتهم بالطعام — فلا يحال بينهم وبين الطعام . وهم — إلى هذا — تطالبهم غريزة (هى معدة من نوع آخر لا أكثر ولا أقل) أن ينفلتوا من القيد انفلات البهيم يأنف العقال إذا نسى الشبع وأحس البطر . أو حين يعضه الجوع فيدفعه إلى السعى وراء القوت

آية الحرية عند الحر ألا يرغم على ما لا يريد ، وأن تترك إرادة حياته الفردية أو النفسية بغير حد يقيد مداها . ويحول دون كمال وجودها ، سواء أكان ذلك من صنع المخلوقات أو كان من طبيعة الخلقة الشائهة .

فهو يرفض كل إرادة على الإطلاق ، لأن له إرادته الخاصة التى يسعى لتحقيقها بغير قيد

وآية الحرية عند العبد ألا يرغم على ما لا تريده له طبيعة خلقته الشائهة بين أفراد نوعه .

إنه بغير إرادة خاصة — إذ هو بغير عالم نفسى — فهو لهذا لا يفهم أن تكون لأحد إرادة ، وبالتالى أن تسيطر عليه إرادة أحد ...

ولكنه يحس إرادة الحياة الشائهه وهو كله لها ... فيكره لهذا أن يشارك تلك الإرادة مريد

الحر صاحب نفسه ، والعبد ملك خلقته

وكل يذود بعد هذا عن مِلكه : فالنفس تأبى الشريك فى إرادتها وعالمها ... والخلقة الشائهة تأبى الشريك فى مملوكها المسخر ... وهو يكره أن يتقاسمه سيدان ، فيكافح الدخيل ليخلص للأصيل ...

والكفاح هنا وهناك يقال إنه فى سبيل الحرية !

فمن ينكر كل إرادة ، لأن عالمه لا يتسع لغير حياته الخاصة وإرادتها ، فهو طالب حرية

ومن ينكر كل إرادة — لا لأنه صاحب إرادة خاصة تريد أن تأخذ مداها من السلطان ، بل لأنه بغير إرادة على الإطلاق غفل فى الحياة مسخر لها ، لأن إرادتها وحدها كافية لديه ومعقولة — فهو كذلك طالب حرية ...

أهذا كلام أيها الناس ؟ بلى محض كلام ! فما كل حرية بحرية أحرار

وليس المعول على طلب الحرية ، ولكن المعول على الحرية نفسها وكيف تكون ...

ولنا إلى مقوماتها رجعة بعد هذا أو رجعات

(أسوان) نظمى لوقا جرجس

روسيا والثقافة الاسلامية

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

كبر على الأستاذ راشد رستم أن يقول الأستاذ إختاتى كراشوفسكى أحد علماء روسيا المستعربين : «[1] ولا يزال بعض سكان داغستان يتكلمون بلغة عربية قديمة إلى جانب لغتهم الأصلية ، ويستخدمونها فى التخاطب والكتابة حتى فى نظم الشعر وفق الأوزان العربية القديمة » فقال فى مقال له : « والواقع أن للغة العربية مكانة بين هذه الشعوب لأنها لغة الدين ولغة القرآن غير أن الذين يدرسونها هم العلماء والمتفقهون الخ »

وأرجو أن يسمح لى الأستاذ راشد رستم أن أوجه نظره إلى أن الأستاذ إختاتى كراشوفسكى ليس أول من قال : إن بعض الداغستانيين يتكلمون العربية ويستعملونها فى التخاطب والكتابة ونظم الشعر على وفق الأوزان العربية

فقد قال ذلك من قبله سعادة رشاد بك رئيس محكمة مصر سابقاً فى كتابه « سياحة فى روسيا » إذ يقول : « ولغاتهم (يعنى القوقازيين) أكثرها لا تقرأ ولا تكتب ماعدا الداغستان فإن لغتهم لها قراءة وكتابة خاصة بها ، وحروفها هى نفس حروف الهجاء العربية . ولكن من ضمن هذه الحروف حرفا لام وكاف تحت كل واحد منهما ثلاث نقط . وهذه اللغة لا تشبه أية لغة من اللغات الشرقية ولا غيرها بل هى لغة قائمة بذاتها وفيها كلمات عربية كثيرة . وفى العهد الأخير أسسوا مطابع عديدة فى « تيمور خان شورا » مركز ولاية الداغستان تطبع فيها كتب ومجلات باللغة العربية الفصحى ، وباللغة الداغستانية ... وكل معاملاتهم وصكوكهم تكتب باللغة العربية ، وعلماؤهم وأئمتهم يعرفون هذه اللغة قراءة وكتابة لأنها لغة دينهم . وزيادة على ذلك فإن الداغستان يقرأون ويكتبون بالعربى ويتكلمون » .

وليس هذا فقط فقد قال الأمير شكيب أرسلان فى حاضر العالم الإسلامى (ج ١ ص ٧٩ — ٨٣) من الطبعة الأولى :

« ... وبلاد الداغستان متعددة اللغات ... ولكن لسان العلم فى جبال الداغستان هو اللسان العربى ، وهو اللسان الذى يتكاتب به أعيان تلك الأمة . وقد صادفت سنة ١٩١٩ الوفد الداغستانى الجركسى فى « برن » قاعدة سويسرة ، ولزمتهم مكاتبات إلى رؤساء بلادهم فكلفنى حيدر بك بامات بتحريرها لهم بالعربية الفصحى ، وكثير من علماء الداغستان معدودون من علماء العربية .

وجاء فى الطبعة الثانية من الكتاب المذكور (ج٣ص٣٦٨) : « أما الداغستان ، فهى قسمان : داغستان لزكى والثانى داغستان التركى . فاللزكيون يتكلمون ويكتبون بالعربيـة ، ومحاكمهم لسانها العربى »

ولعلى إلى هنا استطعت أن أثبت للقارىء الكريم أن اللغة العربية لغة العلم والثقافة العامة فى الداغستان وليست خاصة بالعلماء والمتفقهين فقط كما يقول الأستاذ راشد رستم

ولكن بقى أن نقول فى أى عصر من عصور التاريخ انتشرت اللغة العربية فى تلك الربوع ؟ .. وما الذى جاء بها من وراء الحدود حتى أصعدها الجبال وأنزلها الوهاد فى الداغستان ؟

وفى هذا يقول الأستاذ راشد رستم : « ويرجع الفضل فى انتشار اللغة العربية فى القوقاز وخاصة فى بلاد الداغستان واللزكى والششن إلى إحدى الطرق الصوفية المعروفة باسم المريد »

وأبادر فأقول : إنه ليس فى الداغستان ، ولا فى أى بلد من بلاد الله طريقة صوفية معروفة باسم « المريد » ، وإنما المريد كلمة عربية فصيحة واضحة المعنى جلية المبنى اسم فاعل من أراد يريد ؛ وتطلق كلمة المريد فى عرف الصوفية على كل سالك طريق من طرق الصوفية . وأما الطريقة التى يشير إليها الأستاذ وكانت موجودة فى الداغستان فعلاً ؛ فهى الطريقة النقشبندية المشهورة ؛ ولكن هل هذه الطريقة هى صاحبة الفضل فى انتشار اللغة العربية فى الداغستان ؟ وما شأن الطريقة النقشبندية ؟ ومشايخ النقشبندية قوم بخاريون ؛ وليسوا من الحجاز ولا من نجد ؟

لا ... لا ... الواقع أن اللغة العربيـة فى الداغستان قديمة عريقة دخلت البلاد مع سراقة بن عمرو وبكر بن عبد الله ، وعبد الرحمن بن ربيعة القواد الفاتحين فى خلافة عمر بن الخطاب

---

(١) أهرام ٩ ـ ٦ ـ ١٩٤٣ الرسالة عدد ٥١٦

رضى الله عنه سنة ٢٢هـ ومع إخوانهم الغزاة المجاهدين من كبار الصحابة والتابعين الذين اندفعوا كالسيل يجاهدون ويرابطون .

ثم استقرت واطمأنت وألقت عصاها يوم وطد مسلمة ابن عبد الملك الحكم العربى فى تلك الأصقاع فى خلافة أخيه هشام سنة ١٠٥هـ ، وكان يؤيدها على مر الأيام ذلك السيل الذى لاينقطع من المرابطين الذين كانوا يقصدون إلى « دربند » — وهى ثغر من ثغور المسلمين — للمرابطة فى سبيل الله

* * *

بقى أن نقول كلمة عن مدى انتشار اللغة العربية وحدود استعمالها فى بلاد الداغستان

فالأستاذ راشد رستم حاول أن يصورها لغة الأسرار والأحاجى (الشفرة) يلجأ إليها المحاربون والقواد إلى إخفاء شئونهم . ونشر للتدليل على ذلك رسالة بعث بها أحد نواب الشيخ شامل إلى الشيخ شامل نفسه وقال : « ننشر نصها للدلالة على قدر معرفة بعضهم بهذه اللغة »

وهو يريد بهذا الإشارة إلى ضعف أسلوب تلك الرسالة وغموض موضوعها بعض الشىء .

وأنا أكتب هذه الأسطر وبين يدى عشر رسائل مختلفة كتبت فى الشئون العامة من شئون الناس فى الحياة ، وفيها الطويل المسهب والقصير الموجز ، وليس فيها ما هو أدنى أسلوباً من الرسالة التى نشرها الأستاذ . بل إن فيها رسائل كتبت بأسلوب أدبى عال إلى حد ما . وكنت أريد إثبات بعضها لولا ضيق نطاق الصحف فى هذه الأيام

وأمامى أيضاً قصيدتان إحداها للشيخ غازى محمد الكمراوى فى تسعة أبيات ، والأخرى للشيخ اسحق المشهور بجمال القربانى فى نحو أربعين بيتاً ، والقطعتان من الشعر الذى لا بأس به ، إذا لوحظ العصر الذى قيلت فيه ، وهو القرن التاسع عشر الميلادى ، والبلاد التى نشأ بها الشاعران وهى بلاد انقطعت صلتها بالحكم العربى من نحو ألف عام تقريباً

وفى مكتبة رواق الأتراك فى الأزهر الشريف قصيدة فى نحو ألف بيت من الشعر القوى الرصين للشيخ نجم الدين الداغستانى

وهكذا إلى ما لا يحصى من الآثار النثرية والشعرية والعلمية التى خلفها الداغستانيون فى اللغة العربية ، مما يثبت أن اللغة العربية فى الداغستان كانت أوسع مدى وأكثر انتشاراً مما يبدو لأول وهلة . بل يثبت إلى حد ما أنها كانت لغة الثقافة العامة والثقافة الدينية بصفة خاصة . ومما يزيد هذا القول أنه كانت تصدر فى الداغستان صحيفة عربية إلى وقت قريب ؛ أصدرها أحد العلماء قبل الحرب العالمية الماضية باسم « الداغستان »

فإذا كان لايفهم العربية فى الداغستان إلا العلماء والمتفقهون — كما يقول الأستاذ راشد رستم — فهل فى الداغستان من العلماء والمتفقهين تلك الكثرة التى تكفى لحياة صحيفة عربية ليس لها من القراء إلا هؤلاء العلماء والمتفقهون ؟

الواقع أن التعليم فى الداغستان كان إلى حين قريب أهلياً محضاً ودينياً خالصاً ، يقوم به أئمة المساجد فى القرى والمدن ، فكان على الإمام فى مسجده أن يعلم الطلبة الوافدين إليه العلوم الدينية والعربية . وكان الإقبال على هذا التعليم شائعاً بين الداغستانيين ؛ وقلما من يحسن القراءة والكتابة من غير هؤلاء الذين تعلموا فى مدارس المساجد

على أنه قد أنشئت فى العهود الأخيرة بعض المدارس المنظمة الحديثة ، وكانت عنايتها باللغة العربية شديدة إلى جانب العلوم الأخرى

فاللغة العربية فى الداغستان هى لغة العلم والثقافة الدينية العامة ولغة الكتابة الغالبة .

وليس معنى ذلك أن الداغستانيين انسلخوا من قوميتهم ، لغتهم الأصلية وتركوا عاداتهم وتقاليدهم وانقلبوا عرباً خالصين ؟

لا . فالقوم لا يزالون محافظين على مقومات قوميتهم من لغة وعادات وتقاليد ، ولكنهم مع ذلك مسلمون أشد ما يكون المسلمون تعلقاً بدينهم وحباً للغة القرآن .

برهان الدين الداغستانى

في الثرى

للأستاذ محمود عماد

كل شيء قد انتهى   وانقضى العرس يا عروس
والذى كان يشتهى   صار تشقى به النفوس

صار ما كان مقصفا   لك يا قلب معبدا
ثم هدوه فاختفى   فكأن لم يكن بدا

أقلع الركب واندثر   بعده واضح الأثر
هل لدى الحى من خبر   أن ركبا هنا عبر

لم يعد ثم من شهود   بعدهم غير واحد
والقضايا لدى الوجود   لا تزكى بشاهد

هم إذن فرية نوت   صعبة الفهم شائكه
مثل أحدوثة حوت   جنة أو ملائكه

ما دليلى عليهمو ؟   طاحت الدار والنزبل
أنت يا قلب تقيم ؟   حسبهم أنت من دليل

ها هنا إن ها هنا   نهر نعمى لنا جرى
موهنا ثم موهنا   بعده غاب فى الثرى

احفروا الأرض حفرة   واضغطوا تربها الندى
عل فى الترب قطرة   تنفع الهائم الصدى

اعصروا النبت ربما   فيه من نهرنا وشل
واسألوا الريح أين ما   قد روت عنه من بلل

اسألوا السحب هل ترى   نهرنا عندها رفع
كل ماء تبخرا   فى سحاب سيجتمع

إن فى ذلك الثرى   عهدنا مات واندفن
ويحه كيف لا يرى   منه عظم ولا كفن ؟

بئس ما يفعل التراب   قد حوى أى كيمياء ؟
كل جسم به يذاب   دون نار ودون ماء

كل جسم به يصير   غير جسم على الزمن
راجح الرأى والغرير   والذى شاه والحسن

إن فى القفر مقبره   من بترب بها درى ؟
أهو من جسم عنتره   جاء أو جسم قيصرا ؟

كل من قد تباينوا   شأنهم فى الثرى سواء
ذاك عدل مطمئن   لو ثوى العدل فى الفناء

ليت لا ينقضى النعيم   أو تراءى لدى الخبر
لا كما خبر الهشيم   عن مدى نضرة الشجر

ليتنا حين نشتهى   أى عهد لنا نأى
جاءنا ثم ينتهى   مثلما تنتهى الرؤى

قد عرفناك فى المآل   يا جسوما لدى الثرى
والأحاديث والخصال   أين يذهبن يا ترى ؟

هل لها داخل الفضا   من قبور نزورها ؟
أو مضت حيث قد مضى   من رياض عبيرها ؟

يحبس العلم باحتيال   فى قنانيه العبير
ليته يحبس الجمال   فى حبوس فلا يطير !

ليته سجل الهناء   فى شريط له يذاع
مثلما سجل الغناء   أو حديثاً لنا يشاع

سوف تبقى لنا العلوم   معلنات غباءها
أو ترى ميتاً يقوم   مستجيباً نداءها

انتهت قصة الشباب   وانطوت شاشة النجوم
غير نجم هنا عجاب   أرهقت ضوءه الغيوم

بينما المخرج الكبير   من يسمونه القدر
لم يزل يخرج الكثير   من رواياته العبر

ها هو النجم فى المحاق   شارب وحده كليل
افسحوا الجو يا رفاق   واتركوا عابر السبيل

محمود عماد

من أزهار الشر

لشارل بودلير

الشرفة

يا نبع ذكرياتى ، يا أحب الحبيبات
أنت يا كل لذاتى ، أنت يا من لك حياتى
ستذكرين يوماً جمال مداعباتى
وعذوبة مثوانا وسحر الليالى
يا نبع ذكرياتى يا أحب الحبيبات

***

والليالى الساطعة بسعير المجامر
وأمسياتنا فى الشرفة فى ظلام تغشاه غمائم وردية
فكم كان فى نهدك من عذوبة ! وكم كان فى قلبك من حنان
ولقد تبادلنا عهوداً لا تزول مع الزمن
فى الليالى الساطعة بسعير المجامر

***

كم كانت الشمس جميلة فى الآصال الدافئة !
وكم كان الفضاء عميقاً والقلب قديراً
وكنت حين أميل إليك يا ملكة المعبودات
إخال أننى أشم رائحة دمائك العاطرة
كم كانت الشمس جميلة فى الآصال الدافئة

***

حين كان الليل يرخى سدوله بيننا كحجاب
كانت عيناى تتمثلان عينيك فى الظلام
وكنت أحتسى أنفاسك فيا لها من عذوبة ! ويا لها من سم !
وكانت قدماك ترقدان على يدىَّ الأليفتين
حين كان الليل يرخى سدوله بيننا كحجاب

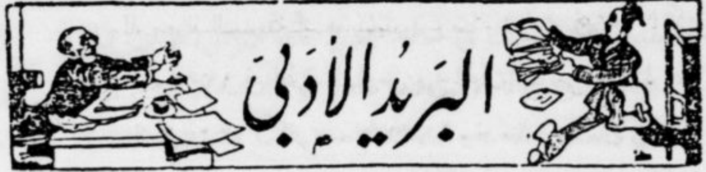
***

أنا أعرف فن إحياء اللحظات الهانئة
وكيف أبعث زمانى الغابر الجاثم بين ساقيك
فما الجدوى من البحث عن محاسنك الفاترة
فى جسد غير جسدك المحبوب ، وفؤاد سوى فؤادك الوديع
أنا أعرف فن إحياء اللحظات الهانئة

***

هذه العهود ، وهذه العطور وهذه القبل الخالدة
هل تعود مرة أخرى من أعماق هاوية ، حرَّم علينا سبر غورها
كما تعود الشمس إلى الأشراق فتية
بعد أن تطهرت فى أغوار اللجج العميقة
إيه أيتها العهود ! إيه أيتها العطور ! إيه أيتها القبل الخالدة .

ترجمة
عثمان على عسل



غصن المحيوى

قرأت كلمة لحضرة الأستاذ محمود عزت عرفة فى الاعتراض على بيت المحيوى :

والغصن ميّاس القوام كأنه نشوان يُصبَح بالنعيم ويُغبَق

والاعتراض وارد على كلمة « النعيم » وقد فسرّها بالخمر ، وهو يقول إنها مصحفة عن النسيم ، ويأسف على أن يرى التصحيف مثبتاً فى كتابين آخرين ، هما حلبة الكميت ومطالع البدور

وأقول إن ورود الكلمة بصورة واحدة فى ثلاثة مصادر يبعد التصحيف ، وأقول أيضاً إن ترنح الغصن بالنسيم ليس فيه صبوح ولا غبوق ، لأن النسيم يراوح الغصن فى كل حين

أما استبعاده أن يكون « النعيم » من أسماء الخمر فهو مستبعد عندى ، لأن الخمر سميت « الراح » وهو فى معنى النعيم ، وبيت المحيوى نص صريح فى تأييد ما أقول

وأنتهز هذه الفرصة السانحة فأذكر أن للأستاذ محمود عزت عرفة أبحاثاً تشرح الصدر ، وما قرأت له كلاماً إلا رأيته يعنى ما يقول بفهم وبيان

زكى مبارك

الاختزال كفن قديم

أشار الأستاذ الكبير عباس العقاد فى مقاله عن (كتب السياحة) إلى بعض ما نفيده من مطالعة المؤلفات القديمة فى مثل هذا الموضوع ؛ فذكر أننا قد نحيط بعادات الأمم الخالية « فنصحح بعض الغرور الذى يركب أبناء العصر الحاضر فيخيل إليهم أنهم هم السابقون إلى كل طرافة ، وأن المتقدمين فى باب الطرائف هم اللاحقون » . وقد أذكرتنى عبارته هذه ، ثم إشارته إلى قدم استعمال العملة الورقية فى الصين ، بما وقعت عليه مما يتصل بفن الاختزال Short-hand وتاريخ ابتداعه فى الصين قديماً رغم ما يعتقده أكثر المعاصرين من أنه فن غربى حديث ...

فقد ذكر ابن النديم فى كتابه « الفهرست » أن للصين كتابة يقال لها (المجموع) كانوا يأتون بها على المعانى الكثيرة فى القليل من الحروف ؛ « فإذا أرادوا أن يكتبوا ما يكتب فى مائة ورقة كتبوه فى صفح واحد » .

وذكر قصة رجل من الصين أقام سنة بحضرة محمد بن زكريا الرازى يتعلم العربية وفنونها ؛ ثم أزمع الرجوع إلى بلده ، فجاء قبيل سفره يستملى الرازى كتب جالينوس الستة عشر . وكان لضيق وقته يكتب بالمجموع ، فلا تكاد يد الملى تجارى لسانه سرعة وانطلاقاً ! وقد زعم الأستاذ « أن الإنسان الذكى السريع الأخذ والتلقين لا يمكنه أن يتعلم ذلك فى أقل من عشرين سنة »

وذكر ابن النديم فى موضع آخر أن للروم قلماً يعرف بالساميا ، يحيط الحرف الواحد منه بالمعانى الكثيرة . قال : « وجاءنا من بعلبك فى سنة ثمان وأربعين — يعنى بعد الثلثمائة — رجل متطبب زعم أنه يكتب بالساميا ، فجربنا عليه ما قال فأصبناه إذا تكلمنا بعشر كلمات أصغى إليها ، ثم كتب كلمة ، فاستعدناها فأعادها بألفاظنا »

وهكذا نرى أن القدماء من أهل الأمم المتحضرة لم يسبقونا فى زمنهم ، بأكثر مما سبقونا فى دقة تفكيرهم وبراعة مخترعاتهم .

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

تنبيه لغوى

الفعل ساح يسيح سيحا وسياحة أى ضرب فى الأرض ، ومنه قوله تعالى فى سورة التوبة (فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين)

وليس من الصواب « نسوح بين بقايا القاهرة التاريخية . فعين هذا الفعل يائية قطعاً من غير خلاف . وقد نبه اليازجى إلى ذلك من زمن طويل

وبناء على هذا نقول مثلاً : إن المستر وندل ويلكى الأمريكى من السُيَّاح لا من السُوَّاح ، كما يقول العوام .

(م . ع)

الصديقة بنت الصديق

طالعت كتاب الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد — الصديقة بنت الصديق — فوجدته خير كتاب أخرج عن عائشة رضى الله عنها ، وقد سلك الأستاذ الكبير طريقة الباحث الذى يحكم العقل قبل النقل فى مسائل التاريخ ، ولكنى وجدته حاد عن هذه الطريقة فى موضعين : أولهما ما ذكره من قول عائشة للنبى صلى الله عليه وسلم وقد حمل إليها ابنه إبراهيم لترى ما بينهما من عظيم الشبه ، فأنطقتها الغيرة بما رأى الأستاذ أن يترك مكانه بياضاً ، لأن فيه نفياً لما بينهما من شبه ، ومقام السيدة عائشة ينبو عن تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم فى شىء من الأشياء ، فكيف بهذا الأمر الذى يثير الريبة فى مارية القبطية ، وفى نسبه إبراهيم إلى النبى صلى الله عليه وسلم ؟

وثانيهما ما ذكره من قول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة فى حديث الإفك : أما بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه — فمثل هذا لا يصح أن يقوله النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان يعرّض لمن أقر بالزنا عنده أن يرجع عن إقراره ، فكيف يخالف ذلك مع عائشة ، ولأن حديث الإفك لم تلكه إلا ألسنة المنافقين المعروفين بعدائهم للاسلام ، فلا يمكن أن يكون له أثر فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم من جهة براءة عائشة ، وإنما كان منه شىء من الإعراض ، لأنها أتت من التصرف ما أدى إلى هذا الإفك . ولو أنها حين ذهبت لبعض حاجتها تركت فى الركب خبراً بذهابها لما تحرك الركب وتركها ليأتى بها صفوان بن المعطل .

عبد المتعال الصعيدى

حول ختان البنات فى مصر

اطلعت بالعدد ٥٤٦ من مجلة الرسالة الغراء على تعليق حضرة الأستاذ دسوقى ابراهيم على البحث « ختان البنات فى مصر » ولما كانت الناحية الدينية للموضوع ليس لى فيها مجال فقد استعنت بأحد الأساتذة الأجلاء فأطلعنى على فتوى المرحوم السيد محمد رشيد رضا نشرت فى ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٠٤ فى الجزء السادس من المجلد السابع من المنار ، وفى المقطم فى ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٦ وقد جاء فيها ما يأتى :

« قال ابن المنذر : ليس فى الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع . واحتج القائلون بأنه سنة بحديث أساسه عند احمد والبيهقى : « الختان سنة فى الرجال مكرمة فى النساء » وراويه الحجاج بن أرطأة مدلّس . والذى لا نزاع فيه هو ما قلناه من أنه سنة عملية كانت فى العرب وأقره النبى صلى الله عليه وسلم وعده من خصال الفطرة وهو من ذرائع النظافة والسلامة من بعض الأمراض الخطرة »

وكانت هذه الفتوى عن ختان الذكور فقط . وأذكر أننى اطلعت على فتوى رسمية فى هذا الموضوع صدرت من دار الإفتاء بطلب جماعة من فضلاء الهنود بمناسبة زيارة البعثة الأزهرية للهند وهى بنفس هذا المعنى . ولعل الأستاذ الفاضل أقدر منى على الاهتداء إليها . والموضوع قبل كل شىء علمى اجتماعى صحى وليس فيه نزاع أوشك من هذه الوجهات ، وليس فى شىء منها ما يقر هذه العادة الخطرة وهى ختان البنات التى استأثرت بها مصر دون سائر أقطار العالم .

دكتور

ع . أسامة

إلى الدكتور الأهوانى

تفضلت أيها الأخ الجليل بنقد كتابى « تاريخ الأخلاق » فى طبعته الثانية بالعدد ٤٥٦ من الرسالة ، وكنت أود بعد ما كان منك من ثناء لا أرانى مستحقاً له كله أن أتقبل جميع ما أخذته علىّ من غير تعقيب ، ولكن طلبى الحق الذى وصفتنى به يجعلنى أتقدم بهذه الكلمات أرد بها على بعض ما جاء بالنقد

١ — لم أخرج يا أخى الغزالى من زمرة المتصوفة ، بل ذكرت فقط أنه لم يكن معهم فيما رأوه من سبيل السعادة وهو العمل وحده ، وإليك نص ما قلته

باشتراط « أبى حامد » العلم لبلوغ السعادة القصوى يكون مخالفاً للصوفية الذين لا يأبهون للعلم ولا يعدونه من أدوات السعادة ، بل يرون أن سبيل السعادة هو العمل وحده[1] . كما قلت

(١) ص ١٩٦ — ١٩٧

بعد هذا : « ولسنا فى حاجة للقول بأن الغزالى أصاب الحق بمجانبته للمتصوفة وموافقته للنظار والفلاسفة ، فى اشتراط العلم للسعادة الحقة ، وجعله العمل مقدمة ضرورية لها ، لاطريقاً يكفى وحده للوصول »[1]

وإذاً فليس غريباً إخراج الغزالى من طائفة المتصوفة فى هـذه الناحية ، وإن كان متصوفاً فى نواحيه الأخرى وفى طابعه العام

٢ — أما الأخلاق عنـد « إخوان الصفا » فمنها بلا ريب كما ذكرت جانب فطرى ، ومنها جانب كسبى ، وإليك الدليل من أقوال الإخوان أنفسهم

يذكر إخوان الصفاء فى بيان أن من الأخلاق ما هو مركوز فى الجبلة ، وما هو كسبى يكون بمجهود ومعاناة : « إن الأخلاق المركوزة فى الجبلة هى تهيؤ ما يسهل به على النفس إظهار فعل من الأفعال من غير فـكر ولا روية . مثال ذلك متى كان الإنسان مطبوعاً على الشجاعة ، فإنه يسهل عليه الإقدام . وهكذا متى كان مطبوعاً على السخاء يسهل عليه بذل العطية . وعلى هـذا المثال والقياس سائر الأخـلاق والسجايا المطبوعة فى الجبلة المركوزة فيها ، إنمـا جعلت ليسهل على النفس إظهار أفعالها بلا فكر ولا روية »[2]

وأصرح من هـذا ما قرروه فى فصل آخر بعد ما تقدم ، إذ يقولون : « الأخلاق كلها نوعان ؛ إما مطبوعة فى جبلة الناس مركوزة فيهـا ، وإما مكتسبة معتادة من جريان العادة وكثرة استعمالها »[3]

أما النص الذى أتيت به أيها الأخ الجليل فهو — كما تعلم — قد جاء فى أثناء كلامهم فى أثر التربية ، ليؤكدوا به ما للدرس والمران من أثر كبير فى بلوغ مرتبة الحذق والأستاذية فى الصنائع واكتساب الأخلاق والسجايا . وذلك ، أن الدرس ونحوه كالنشوء فى بيئة خاصة ، وجه من الأربعة التى ذكروا أن الأخلاق تختلف من أجلها[4]

وأخيراً ، فللأخ الفاضل المحقق ، وللأستاذ الكبير صاحب الرسالة ، خالص تحيتى وشكرى وتقديرى .

محمد يوسف موسى

ختان الأنثى بين الدين والرأى

قرأت مقال الدكتور الفـاضل أسامة وانتظرت ما يكتب فى موضوعه ، فـكتب الأديب الفاضل دسوقى ابراهيم ينبه الدكتور إلى خطئه فى قوله إن الختان ليس له أصل دينى ذاكراً فى ذلك ما ذكر من الدليل . وعقب عليه الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى يرى أن الدين لا يخدم بمثل ما كتب الأديب الفاضل ، لأن ذلك يخلق عداء بين الدين والعلم ، وأظهر الاستعداد إلى التوفيق بين الدين والعلم فى هذه المسألة عن طريق التأويل ، إذا كان هناك قرار إجماعى من الأطباء .

ولست أدرى ما وجه الخطأ فى ما كتب الأديب الفـاضل الذى نبه إلى حكم الدين فى ختان الأنثى ما دام قد نبه إلى واقع وقرن قوله بالدليل . إن الدكتور أسامة كتب فى هذه الناحية كتابة من لا يعرف حـكم الدين فى الموضوع ، فنبهه الأديب الفاضل إلى حكم الدين . ولو لم يفعل لـكان حقاً على أحد شيوخ الدين أن يفعل بدلاً من أن يأتى منهم من يلوم الذى فعل خوفاً من خلق عداوة بين العلم والدين . فهل يا ترى يكتم حكم الدين كلما ادعى مدع أنه يخالف العلم فى قليل أو كثير ؟

إن قراراً إجماعياً لو صدر من الأطباء بالفعل بتأييد الدكتور الفاضل أسامة لا يغير من الحـكم شيئاً فى هذه المسألة بالذات ؛ لأن الدكتور من ناحية يقر بحكمة أخلاقية لختان الأنثى إذ أقر بأنه أدعى للعفة وأعون عليها عند الأنثى ، والدين من ناحية أخرى ينهى عن الإنهاك فى الختان أى عن استئصال الزائدة التى يدعو الدكتور أسامة إلى الإبقاء عليها كاملة . فالدين قد أيد عادة تعين على عفة الأنثى ، ونبه فيها إلى الطريق القصد الذى يبقى من تلك الزائدة ما يحقق من وظيفتها مما يكفى لإسعاد الزوجين فى غير جموح . فماذا يراد من حكم الدين وراء هذا الجمع بين المصالح للانسان ؟

ومن العجيب أن الحديث الشريف قد نص على الوظيفة الفسيولوجية للزائدة قبل مقال الدكتور أسامة بثلاثة عشر قرناً ونصف . وكان الرجاء فى مثل الأستاذ الصعيدى أن يكشف لمثل الدكتور أسامة عن هذا . والحديث الذى أشير إليه هو حديث (يا أم عطية) — وكانت تخفض — (إشمّى ولا تنهكى فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج) . فأما أنه أحظى عند الزوج ، فقد تنبه إلى ذلك العلم . وأما أنه أسرى للوجه فيظهر أن العلم لم يتنبه إليه إذا كان مقال الدكتور أسامة يمثل كل ما وصل إليه العلم فى هذا الموضوع .

أما الحالات المرضية التى أشار إليها الدكتور فى مقاله فردها إما إلى الإنهاك الذى نهت عنه السنة الشريفة ، وإما إلى تبديد

(1) ص ١٩٧ . (2) رسائل إخوان الصفا جـ١ ص ٢٣٤ـ٢٣٥
(3) نفسه جـ١ ص ٢٣٩ (4) نفسه جـ١ ص ٢٢٩

للقوة العصبية ببعض عوامل التبديد الكثيرة فى هذه المدنية ، وعلى أى حال ، فليست هى مما يبنى عليه حكم عام أو مما يدعو إلى العدول عن عادة أيدها الدين .

محمد أحمد الغمراوى

فى عبقرية الإمام

لقد بلغ العقاد العظيم الذروة فى (عبقرية الإمام) فجاء كتابه على خير ما تجىء الكتب من قوة الأسلوب ونضج البحث وعمق التحقيق والنفاذ إلى أغوار الأشخاص . غير أن لنا على الكتاب بعض الملاحظات التى نرى لزاماً أن نتوجه بها إلى المؤلف الفاضل بعد أن رأينا الحقائق وحدها كانت هدفه ومبتغاه

يقول المؤلف فى الصفحة ١٥٧ فى معرض بحثه عن حكومة الإمام : (وكان أنصار الإمام أبداً من الفرس والمغاربة والمصريين أكثر من أنصاره بين قريش خاصة وبين بنى هاشم على الأخص وبين قبائل العرب جيماً على التعميم)

ولا ندرى إذا كان حفظه الله يعنى بذلك أنصار الإمام فى حياته وخلال خلافته ، أم يعنى أنصار الإمام بعد وفاته وانقضاء زمانه . فإذا كان الأول فلا نحسب أنه كان بين جيوش الإمام من هو غير عربى ؛ بل الذى نعرفه أن جيشه من أكبر قائد إلى أصغر جندى كان جيشاً عربياً خالصاً قوامه تلك القبائل العربية الشهيرة التى ما خالطتها عجمة ولا شابتها هجنة ، وأن مؤيديه كانوا صفوة المهاجرين والأنصار ، وخلاصة المسلمين الأقحاح الذين أنبتتهم رمال الجزيرة العربية وغذاهم نخيلها . فهمدان ومضر وربيعة وتميم وكندة والأوس والخزرج وطىء وعبد القيس ومذحج وبكر بن وائل والنخع وخزاعة وفزارة وأسد وكنانة وقضاعة وبجيلة وذهل وغيرها كانت عدة على فى حروبه وجنوده فى قتاله . وهذه كلها قبائل عربية صريحة ، وإذا كان المصريون من أشد أنصاره حماسة وأكثرهم فى تأييده اندفاعاً ، وإذا كانت مصر هى البلد الذى هتف باسمه بين لدد الخصوم وتصايح الأهواء ، ورشحه للخلافة دون هوادة ولا لين ، فلا شك أن مصر كانت بلداً عربياً ، والمصريون فيها كانوا — كما هم اليوم — من العروبة فى الصميم . وأما المغاربة فما سمعنا لهم بين تلك الصيحات صيحة لنعرف أين كانت وجهتهم ومن كان رجلهم المرموق

بقى أن يكون ما عناه المؤلف أتباع الإمام بعد وفاته وانقضاء زمانه . والإمام وغيره سواء فى هذا الشأن ؛ فإذا كان فى أتباعه الفرس وغير الفرس ففى أتباع غيره الترك وغير الترك مثلاً . وإذا شايعه غير العرب فقد شايعته كثرة من لباب العرب . ولا أختم القول قبل أن أتقدم إلى المؤلف العبقرى بكل إكبار وتقدير .

حسن الأمين
حاكم النبطية

رابطة فكرية بين مثقفى البلاد العربية

الواضح أن الدعوة لتحقيق الوحدة العربية آخذة فى التطور والانتقال من عالم النظريات إلى دنيا الحقائق والواقع والنجاح الشكلى المنتظر لتحقيقها عامل مهم للتشجيع ولكنه ليس كل العوامل لأنه ظاهرى إسمى

وإن أمتن معانى الوحدة : هو التفاهم العقلى ، والتقارب الشعورى ، والكيان المشترك بكل الوسائل الممكنة وهى كثيرة وإنى أعرض إحداها ليس لأنها أفضلها بل لأنها أسهلها وأسرعها تنفيذاً . وسأعرضها كاقتراح قابل للتهذيب والتعديل

أقترح إيجاد رابطة فكرية بين مثقفى البلاد العربية بواسطة الاتصال الشخصى بالمكاتبة والتزاور . وليتم هذا تخصص الصحف والمجلات فى مختلف الأقطار العربية قسماً منها للبحث فى هذا الموضوع ، وتنشر أسماء الراغبين فى دخول هذه الرابطة مع شىء من المعلومات عن كل منهم ليسهل على الآخرين انتخاب من يرون فيه من الصفات الثقافية والفكرية ما يشجعه على التعرف والاتصال الشخصى به بالمكاتبة

ويمكن إيجاد مراكز أو نواد خاصة فى كل بلد عربى لمؤازرة هذا الاقتراح وتوجيهه إلى الغاية السامية من هذه الوحدة وهذه الرابطة . ويمكن أيضاً بواسطة هذه المراكز أو الأندية تسهيل الرحلات والتزاور بين شباب كل قطر وآخر

فهذا الاحتكاك الفكرى والتعارف الشخصى وما ينتج عنهما من تآلف شعورى صحيح وكيان روحى واحد نصل إلى معرفة حقيقة المشاكل الأساسية فى كياننا فنراها ونقترب بسرعة من حلها .

(الرملة — فلسطين) أبو أكرم

الأستاذ صلاح الدين المنجد

ورد القاهرة فيمن وردها من رجال الأدب والفضل الكاتب السورى المعروف الأستاذ صلاح الدين المنجد . فعلى الرحب والسعة

12 me Année No. 549

Lundi - 10 - 1 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥٤٩ « القاهرة في يوم الإثنين ١٤ المحرم سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٠ يناير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهرس

صفحة

٢١ خلاف يستحق الاختلاف .. : الأستاذ عباس محمود العقاد

٢٤ أغنية الرياح الأربع ... ... : الأستاذ دريني خشبة . . ...

٢٦ كتب وشخصيات .. .. : الأستاذ سيد قطب .. ...

٢٩ الهوى تحت النجوم ... .. : الأستاذ صلاح الدين المنجد ...

٣٠ الطبيعة توحي والشاعر ينطق : الأستاذ محمد عبد الغني حسن

٣٣ شلي . . . . : الأستاذ محيي الدين السامرائي

٣٦ على ضفاف الجحيم [قصيدة] : الأديب محمد العلائي . . ...

٣٧ بين الدين والعلم في ختان الأنثى : الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

٣٧ ختان البنات بين الطب والدين : الدكتور حامد البدري الغوابي

٣٨ نبغاء الأقزام في رسالة الأقزام : السيد ممدوح حقي ... ...

٣٩ الشيخ عياد الطنطاوي .. .. : الأستاذ محمد أ بن حسونة ...

٣٩ حفلة تأبين الشيخ إبراهيم باكير عالم طرابلس المغرب ... ... } . ...

٣٩ الهوى العذري ... . : الأديب عز الدين عرب علي ...

خلاف يستحق الاختلاف

للأستاذ عباس محمود العقاد

ذلك هو الخلاف الذي أشار إليه الفاضلان : الأستاذ عبد المتعال الصعيدي ، والأستاذ حسن الأمين حاكم النبطية في العدد الأخير من (الرسالة) : أولهما فيما يرجع إلى كتابي عن « الصديقة بنت الصديق » ، والثاني فيما يرجع إلى كتابي « عبقرية الإمام »

فالعالم الفاضل الشيخ عبد المتعال الصعيدي يقول : إنني حكمت العقل قبل النقل في مسائل التاريخ إلا في موضعين : أولهما ما ذكرته من قول عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد حمل إليها ابنه ابراهيم لترى ما بينهما من عظيم الشبه ، فأنطقتها الغيرة بما أشرت إليه ، ومقام السيدة عائشة ينبو عن تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من الأشياء.

وثانيهما ما ذكرته من قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة في حديث الإفك : أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت قد ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه . ومثل هذا – كما يرى الأستاذ الصعيدي – لا يصح أن يقوله النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان يعرض

لمن أقر بالزنا عنده أن يرجع عن إقراره فكيف يخالف ذلك مع عائشة ؟ ... إلى آخر ما ورد فى كلمة الأستاذ

ورأيى كما قال الأستاذ أن العقل مقدم على النقل ، ولكن النقل لا يبطل إلا بالبرهان أو باستحالة القبول

وليس فيما لاحظه الأستاذ الصعيدى موضع لبرهان ، ولا لاستحالة عقلية تقوم مقام البرهان

فالصحيح أن السيدة عائشة لا تكذب النبى عليه السلام فى شىء من الأشياء ، ولكن الذى حدث فى أمر ابراهيم ليس فيه من تكذيب ينبو عنه مقام السيدة عائشة

رأى النبى عليه السلام شبهاً بينه وبين ولده ابراهيم وسأل السيدة عائشة فى ذلك فقالت : إنها لا ترى شبهاً

فالتكذيب هنا إنما يكون إذا قالت : « إنك يا رسول الله لا ترى شبهاً بينك وبين ابراهيم »

أما أن تقول عن نفسها إنها ترى الشبه — وهي لا تراه — فذلك هو الكذب الذى ينبو عنه مقامها

ومن السهل جداً أن تغشى الغيرة عين المرأة المحبة فلا ترى فى ابن ضرتها المحاسن التى تحبب تلك الضرة إلى رجلها العزيز عليها ، فإذا غاب هـذا الشبه عن عين عائشة فلا غرابة فى الأمر ولا مخالفة فيه للطبائع الإنسانية والطبائع النسوية على التخصيص . وإذا قالت إنها لا ترى الشبه — وهى لم تره فعلاً — فقد صدقت فى مقالها ونطق لسانها بما تأدى إلى نظرها ولم ترد عليه

وقد ورد فى الخبر أن السيدة عائشة كانت تغاضب النبى وتقول له « اقصد » فى مقالك أمام أبيها ، فيلطمها أبوها عقاباً لها . وليس كلام المغضبة أو الغيور بالكلام الذى يصدر عن تكذيب أو بغضاء .

أما أن النبي عليه السلام لا يصح أن يقول للسيدة عائشة : إن كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله وتوبى ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه »

فهذا ما نخالف الأستاذ فيه كل المخالفة

إذ هـذا المقال هو الذى يصح أن يقوله النبي عليه السلام فى هذا المقام . وماذا فيه إلا أنه عليه السلام يدعو من ألم بذنب إلى الاستغفار ؟ وأى عجب فى ذلك وقد صحت فيه آيات من القرآن فضلاً عن الأحاديث النبوية ؟

ويلاحظ أن النبى عليه السلام قال للسيدة عائشة : « إن كنت ألمت ولم يقل لها إن كنت اقترفت ذنباً » ولا يخفى أن الإلمام يناسب اللمم الذى هو دون كبائر الإثم والفواحش ، وفيه يقول القرآن الكريم : « ولله ما فى السموات والأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملو ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة »

وفى كلام النبى موافقة لهـذه الآيات . وفى القرآن الكريم أن نبياً هم بأمر وعدل عنه . والهم والإلمام قريبان : « ولقد همت به وهم بهـا لولا أن رأى برهان ربه »

فدعوة النبى للسيدة عائشة أن تستغفر عن لمم ليست بالدعوة التى ينكرها العقل ويجزم باستحالتها ، وليس فيها ما يناقض الآيات ولا الأحاديث . ومقطع القول بعد هذا كله فى حديث الافك أنه كما قلنا فى كتاب الصديقة بنت الصديق « سخف لا يقبله إلا من يفترى بوشاية أو بغير وشاية ، وسواء فيه منافقو المدينة ومن يصنع صنيعهم من المؤرخين فى العصر الحاضر لأنهم لا يؤمنون بنبى الإسلام . بل هؤلاء أنذل وأغفل لأنهم يؤمنون بمريم والمسيح وكان عليهم أن يعصمهم عاصم من هذا الإيمان »

* * *

أما الأستاذ حسن الأمين حاكم النبطية فقد عقب على قولنا فى عبقرية الإمام أن أنصاره من الفرس والمغاربة والمصريين أكثر من أنصاره بين قريش خاصة وبين بنى هاشم على الأخص وبين قبائل العرب جميعاً على التعميم »

فأحصى فى تعقيبه أسماء القبائل العربية التى كان منها أناس فى جيش الإمام ، ثم قال : « بقى أن يكون ما عناه المؤلف اتباع الإمام بعد وفاته وانقضاء زمانه ، والإمام وغيره سواء فى هـذا الشأن ، فإذا كان فى اتباعه الفرس وغير الفرس ففى اتباع غيره الترك وغير الترك مثلاً ، وإذا شايعه غير العرب فقد شايعته كثرة من لباب العرب »

والقول الأخير هو الذى نخالف فيه الأستاذ الفاضل ، مع شكرنا إياه على جميل تحيته وكريم ثنائه

فالمقصود بالأنصار هم شيعة الإمام الذين يشايعونه خاصة ولا يشايعون غيره

إذ العرب الترك والأمم الأخرى التى شايعت كل خليفة فى زمانه ليسوا بأشياع ذلك الخليفة على التخصيص ، ولكنهم أشياع الدولة ومن يقوم عليها من الخلفاء واحداً بعد واحد ، وليسوا مع ذلك بأعداء لعلى كعداوة بعض الشيعة لمن ينازعهم الرأى فى حق الإمام وتقديمه على جميع الحقوق

ومتى كان هذا هو شرط الأنصار الذين يختص بهم الإمام ولا يختص بهم غيره فلا جدال فى كثرتهم بين العرب والشعوب الأخرى ، ورجحانهم على شيعة الإمام من العرب ولا سيما أقرب الناس إليه من بنى هاشم ومن قريش

وهذا موضع العبرة فى تلك الملاحظة :

موضعها أن الإمام قد ظفر بهؤلاء الأنصار ممن لا يشايعونه عصبيته ، لأنه قام بالأمر على الخلافة الدينية ، ولم يقم به على العصبية الجنسية أو النزعة الوطنية

وهذه هى الخصلة التى ينفرد بها الإمام بين الخلفاء من قديم وحديث ، فليس فى الأئمة جميعاً من كان الانتصار له مذهباً فى الدين ، وكان الدائنون بهذا المذهب أرجح عدداً من الدائنين به فى الشعوب العربية على اختلاف الأقطار ، فيما خلا الإمام

وليس بين الأئمة جميعاً من له نصراء فى الشعوب الأخرى يساوون نصراء على بين المسلمين من غير العرب ، سواء فى الزمن القديم أو الزمن الحديث

وهذا الذى عنيناه ، وهو جدير بالتقرير والتعليل

***

وربما استتبع الكلام فى هذه الكتب أن نشير إلى الذين ذكروها فقالوا عنها إنها لم تأت فى التاريخ الإسلامى بجديد

فإن كان الذى يعنونه بهذا القول أن موضوع الكتب ليس بجديد ، وأننا لم نخلق حوادث العصر النبوى ولا حوادث عصر الخلفاء ، فنحن معهم فيما يقولون

ولكن على هذا الاعتبار لا يوجد فى الدنيا ولن يوجد فيها أبداً كتاب جديد أو رأى جديد أو علم جديد

فالكيمياء الحديثة ليست بالجديدة ، لأن الأجسام التى هى موضوع الكيمياء اليوم وموضوعها بالأمس لم تخلق فى هـذا العصر ، ولم تزل على وصفها الذى رآه الأقدمون

والجغرافية الحديثة كذلك ليست بالجديدة ، لأن القارات والبحار والأنهار والكواكب والرياح والأمطار ليست من صنعة الجغرافيين المتأخرين ، وليس أحد منهم بأقدر على خلقها من الجغرافيين السابقين

وقل مثل ذلك فى علم الفلك وعلم الطبيعة وعلم الطب وعلم القانون وسائر العلوم والفنون

أما إن كان الذى يعنونه بقولهم إننا كررنا فى كتبنا ما تقدم فى كلام المؤرخين قبلنا فدون ذلك وتقصر الألسنة ، ودون ذلك ويفتح الله ثم يفتح الله . . . إنهم يقولون إذا أراحهم القول ، ولكن لن يريحهم يوماً أنهم مسموعون أو مصدَّقون !

عباس محمود العقاد

---

٢ ـ أغنية الرياح الأربع

لشاعر الحب والجمال علي محمود طه

للأستاذ دريني خشبة

تنطلق الزوجة الحسناء داخل الحانة بَرِمة ، ثم يقبل البحارة ، فيأخذون فى هرج ومرج ، تزيدهما النشوة ضجة واصطخاباً ، فإذا سألوا من صاحب الحانة وقدم لهم أرسطفان نفسه ، عبثوا به وضحكوا منه :

أنظر إلى وجهك في المرآة وصف لنا عجيبة الحياة
من أى غاب يا وحيد القرن وما اسمك الصحيح؟ لا تكنى

فيقول لهم : أرسطفان ... فيقول أحدهم

... عَـلمٌ مغلوط صحته وشكله المضبوط
تنبئ عنه هـذه الخيوط أرسطفان أنت أخطبوط ! !

وهكذا يستغرق الجميع فى ضحك متصل ، تزيده القيان الحسان اللائى صحبن البحارة بهجة وإيناساً ومرحاً . ثم تأخذ إحداهن فى رقصة بارعة يدخل بعدها بطل الدرامة الرهيب « أزمردا » فيأخذ مكانه فى ناحية ، ويسود الحانة جو من الوجوم لا يفيقون منه إلا على إنشاد باتوزيس الذى يتغنى لهم قصة تلك الأشورية التى تعشقها فتى ملاح ، ووقع هو الآخر من نفسها فدعته إلى سفينتها وانطلقا يذرعان البحار عامين سعيدين حتى فرقت بينهما يد الأقدار حين نزل الفتى إلى الشاطئ للصيد فأتى قرصان فصاد حبيبته وذهب بها إلى حيث لا يدرى العاشق المسكين ... ويروى أن هذه الحسناء قد تزوجت من بعض الآلهة فأنجبت منه (ربّات الرياح الأربع)

فإن سمعتم فى صدى الأمواج أو لحن شاديكم
أغنية تهفو على الأثباج حيرى تناديكم
فهى لهـا ، وهى تناديكم

فإذا سأله البحارة عن هذا القرصان الفاجر أين مقره ، قال باتوزيس إنه يجلس بينهم كواحد منهم .. معرّضاً بأزمردا ... أزمردا القرصان الهائل الذى دوّخ أطراف البحر ، وزلزلت سطواته جزائر إيجة وشطئان مصر ، وأحرز من خطف الحسان ثروة طائلة وبأساً شديداً ... فيظن البحارة أن باتوزيس يمزح ، ثم ينصرفون من الحانة إلى ملذاتهم ومعهم حظاياهم بعد أن ينقدوا الخمار ثمن شرابهم ... ويقبل أرسطفان على الشاعر المصرى مسروراً باشاً لأنه كان روح هذه الليلة بشعره وغنائه وموسيقاه ، ويقدم إليه كأساً راوية فيأمر له (أزمردا) بأخرى ، ثم يأخذان فى حديث طويل نعرف منه أنهما كانا صديقين منذ زمن طويل يعملان فى البحر ثم افترقا ، وأن أزمردا يعمل الآن فى القرصنة والاتجار فى سوق الرقيق الأبيض ، ثم يعاتبه لتعريضه به بين أولئك السكارى ، وما غمزه به فى قصته التى رواها لهم ... ويحدثه باتوزيس حديث (ربات الرياح الأربع) الذى سمعه فى آخر زيارة له فى طيبة المصرية :

فتيات أربع يظهرن فى كل عام صوراً مختلفات
رائعات يتخطرن على هذه الأمواج مثل النسمات
فوق شط رمله من ذهب لؤلؤى الماء درّى الحصاة
من يحزهن يحز ملك الثرى ومقاليد البحار الطاغيات

فإذا جادله أزمردا فى أمرهن أكد له باتوزيس حقيقتهن ، فيعرض عليه أزمردا أن يعيش معه فى سفينته

تعال فى سفينتى وكن أخى وساعدى
وذقْ مباهج الحيـاة عذبة الموارد

ثم تسمع ضجة عند باب الحانة ، وتدخل جماعة من الشذاذ وعلى رأسهم زعيمهم أزرو ومعه حظيتان من حظاياه لا تلبثان أن تخرجهما حميا الخمر عن رشدهما ، فتشاجر إحداهما الأخرى فيصفع أزرو إحداهما ويطرحها أرضاً فينتصر لها أزمردا ويرفعها بيديه إلى كرسيها فتثور ثائرة أزرو ويمتشق حسامه ليغمده فى صدر أزمردا ... فينتفض أزمردا كالأسد ، ويكشف عن نفسه ويضرب بسيفه سيف أزرو فيكسره . . . ويذهل الجميع حين يعرفون أنهم فى حضرة القرصان الأكبر ، وترتفع صيحة من جوانب الحانة يرددها الجميع مشدوهين :

أز ... مر ... دا

وينزل ستار الفصل الأول !

ويتألف الفصل الثانى من منظرين ... من أروع ما وصل إليه خيال شاعر — لا فى مصر وحدها ، بل فى الدنيا قاطبة ! وهكذا أقولها غير عابىء بجميع الابتسامات التى أراها الآن ترقص على شفاه الكثيرين من قرائى ، وعلى أرنبات أنوفهم !!

ومن الخطر الأدبى تلخيص هذا الفصل . . . فهو وحدة فنية كاملة يجب ألا تشوه بالتلخيص . وحسبك أن تعلم أن سفينة أزمردا ترمى فى ميناء رفح المصرية قبيل الشروق ، وأن أزمردا ينزل إلى الشاطىء وحده فيلاقى ربات الرياح الأربع يتواثبن راقصات على الرمال النائمة ، فيغريهن بزيارة سفينته ويمنيهن الأمانى ، فإذا طلبن إليه برهانه أبرز لإحداهن وهى حروازا ، ربة ريح الشرق ، ياقوتة حمراء تبهر العين وتذهب باللب ... ثم ينتصر بيان أزمردا ، فيرضين بزيارة سفينته آخر الأمر ...

ونرى فى الفصل الثالث جانباً من سفينة أزمردا ، فهنا مخدع الشاعر باتوزيس ، حيث يوقظه العبد ماتوكا ويقدم إليه طعام الإفطار ، ويأخذ معه الشاعر فى حديث عن حظوظ بنى الإنسان ، ندرك منه أن ماتوكا لا يبغى بحياة الرق بدلاً

سفينتى هى الحياة والغد المؤمَّل
قدطاب لى فى ظلها العيش وطاب المنزل
ومن كساء سيدى الربان هذا المخمل
ومن شرابه أعل هانئاً وأنهل
أى حياة لىَ من هذى الحياة أجمل ؟

وينصرف العبد ، ويدخل أزمردا إلى بهو مجاور وفى صحبته ربات الرياح الأربع فما يلبثن أن يوجسن خيفة ويسترين فتطمئنهم حروازا وتذكرهن أنهن آلهة ... ويمضى أزمردا ليخبر باتوزيس الذى لا يصدق إلا بعد لأى .... فإذا سأله عم يصنع بهن وهن آلهة ، قال :

أسخرهن قوى ينتظمن شراعىَ ما قادنى مطمعُ
وأغزو بهن منيع الثغور وأجنى الثراء وأستمتع

فيسأله باتوزيس : أتطمع فى ملكوت السماء ؟ فيقول أزمردا ... أو يقول على محمود طه ... بيته الخالد الذى هو أثمن من ديوان :

خُلقنا غرائز منهومةً فليست تروَّى ولا تشبع !!

ويوشك باتوزيس أن يجن جنونه لهذا القرصان الجرىء المغامر الذى لا يبالى أن يخطف حتى الآلهة . فيثور على أزمردا ويثور أزمردا به ، فينطلق باتوزيس ، ويسمع أزمردا أصوات ربات الرياح الأربع فيقصد إليهن ليسرى عنهن ، ثم يدخل ماتوكا العبد ليدعو سيده لتسكين ثائرة إحدى المخطوفات فيذهب معه ، ويبرز باتوزيس ، فإذا سألنه من هو قال :

لا وقت للسؤال من أنت هنا ومن أنا
أنتن فى سفينة القرصان ، لا وقت لنا

ويخبرهن خبر أزمردا فيطمئنه ، ويدخل أزمردا متقلداً سيفه فيرى باتوزيس ويدرك أنه قد فضح سره فيهم بقتله لولا أن تحول الربات بينهما ويأخذن فى السخرية بأزمردا ، نيهم بقتل باتوزيس ثانية فتمد حروازا ذراعها السحرية فيجمد الدم فى عروق أزمردا ويسقط السيف من يده ، ثم يرجف بدنه رجفاً شديداً وتغرورق عيناه بالدموع التى تخنق عبراتها صوته ويطلب الصفح على أن يكون خير عباد الله براً وصلاحاً واستقامة . ثم ترق الربات له ويسمعن ضجة ، وإذا الحسناء التى كانت ثائرة بالداخل مقبلة ، فتلتفت إليها حروازا ويبطل سحر ذراعها فتدب الحياة فى أزمردا الذى يتناول سيفه مرة ثانية ويهم بالغدرة مهدداً الربات وكل الحاضرين بالقتل ، فتمد حروازا ذراعها ثانية فيجمد الدم فى عروق حروازا من جديد ، ويسقط السيف من يده ، ثم ترفع الربات أيديهن وينفخن ... فإذا ريح صرصر عاتية تحمل أزمردا فتقذف به فى أعماق اليم

وبعد ... فهذا سحر وشعر وجمال وفن !

(يتبع) دريني خشبة

حكم فى الجنحة العسكرية رقم ٥٠١ سنة ١٩٤٣ مركز ضد زينب على سلام بالحبس ثلاثة شهور وغرامة ١٠٠ جنيه مع إيقاف التنفيذ لامتناعها عن بيع الشاى بالتسعيرة .

كتب وشخصيات

زهرة العمر ... لتوفيق الحكيم

للأستاذ سيد قطب

مدرسة توفيق الحكيم الفنية

ترددت قبل أن أكتب « مدرسة توفيق الحكيم » فالواقع أن كلمة « مدرسة » تعني في نفسي شيئاً كثيراً ؛ وليست هي مجرد الأسلوب الفني وطريقة التعبير ؛ إنما هي هذا وشيء آخر، هي طريقة الإحساس والتفكير ؛ بل هي طريقة حياة حين تؤخذ بمعناها الواسع الأصيل .

وليس من الضروري أن يكون هناك أتباع وتلاميذ ، كي يتحقق معنى « المدرسة » ، فتلك مسألة تأتي مع الزمن ؛ إنما المهم أن توجد المعالم الواضحة المستقلة التي يلتقي عليها التلاميذ والأتباع حين يوجدون في زمن قريب أو بعيد .

هذه المعالم هي سمات إنسانية وفكرية ونفسية تجتمع أصولها لتلاميذ المدرسة الواحدة ثم تفترق ألوانها وأنماطها حسب الأمزجة الخاصة والملكات الفردية . وتتبعها طريقة التعبير ، أي الأسلوب الفني الجامع لتلك السمات .

فهل نستطيع بعد هذا البيان أن نقول : إن لتوفيق الحكيم مدرسة ؟

نعم نستطيع ! ولكننا نحتاج بعدها إلى التحفظات المحددة لحقيقة ما نعنيه . فتوفيق صاحب أسلوب فني واضح السمات — هذا ما لا جدال فيه — وهو كذلك صاحب طريقة في الإحساس والتفكير ، ولكن هذه الطريقة ترجع إلى مزاجه الشخصي وتكوينه النفسي ، أكثر مما ترجع الطبيعة العامة وهذا كلام يحتاج إلى التوضيح !

يجنح توفيق الحكيم إلى أن يعيش في داخل نفسه أكثر مما يعيش في خارجها ، فلا تهمه الحياة المنطلقة في الخارج كما تهمه الحياة التي يصورها خياله كما يريد ، وهنا تولد وتعيش تلك المخلوقات الفنية التي يرسمها على هواه من أمثال شهرزاد وشهريار وبيجماليون وعنان ومختار ... الخ .

فما منشأ هذا ؟ منشؤه هو إشفاق توفيق من الحياة ، وضعف الحيوية في كيانه الجسدي . وقد يكون هذا الضعف علة ذلك الإشفاق ، ولكن مما لا شك فيه أن هناك أسباباً أخرى في نشأته الأولى ، يمكن أن يقف عليها من يقرأ كتابه « عودة الروح » ، وإلا فالضعف الجسدي كثيراً ما يكون سبب دفعة حيوية في الفكر ، كما في « نيتشة » مثلاً

وليس بنا في هذا المقال القصير أن نقوم بدراسة جسدية ونفسية ؛ ولكن حسبنا أن نشير إلى هذه الأسباب لتوضيح ما قلناه من أن طريقة توفيق في الإحساس والتفكير مردها إلى مزاجه الشخصي وتكوينه النفسي .

فالذين يشبهون هذا الفنان في مزاجه وتكوينه هم الذين سيكونون أتباعه وتلاميذه في هذه الحياة الفكرية الباطنة التي ترسم الشخوص رسماً فنياً خاصاً . ولا بد لكل فنان من قسط من هذه الحياة الباطنة ينقص أو يزيد . ولكن يبقى أن يوهب هؤلاء التلاميذ — كما وهب — أسلوباً قوياً فنياً في التعبير ، وأداة فنية ناضجة في الحوار ، ليكونوا تلاميذ حقيقيين . وهو ما لم يوجد بعد ، على الرغم من المقلدين الكثيرين في مصر وفي بلاد الشرق العربي الذين حسبوا الحوار هو كل موهبة توفيق الحكيم ، وحسبوا استيحاء الأساطير هو كل ما يميزه بين الفنانين !

نعم إن الطاقة محدودة ، وقد يأتي — في هذا المجال — من هو أكبر طاقة وأبعد غوراً من توفيق الحكيم ؛ ولكن سيبقى له فضل السبق ، وابتداع الطريقة وإكمال الأداة

في هذه الحدود نستطيع أن نقول : إن لتوفيق الحكيم مدرسة ؛ ولكننا نعود فنرد إليه حقه كاملاً حين نثبت له النضوج الكامل في أسلوبه الفني عامة والقوة البارعة في حواره على وجه الخصوص . هنا موهبة متفردة لا شك فيها ، مهما قيل في الطاقة التي يعمل بها وفي الموضوعات والفكر التي يتناولها

***

وبعد فما العنوان الذي يمكن أن نضمه لتلك المدرسة أو لهذه الطريقة ؟

هو عنوان « التنسيق الفني »

يقول توفيق الحكيم في إحدى رسائله إلى « أندريه » في كتابه « زهرة العمر »

« إن فن الإغريق هو تجميل الطبيعة إلى حد إشعارها بنقصها ... لكأنهم يريدون أن يقولوا للطبيعة : أنظرى ... كان ينبغي أن تصنعى هكذا ! ... »

ثم يقول : « إن فن مصر القديمة هو تحد صارخ للطبيعة ؛ فكأنهم يقولون للطبيعة انظرى.. لاشأن لنا بك ولا بمخلوقاتك، إننا نستطيع من مخيلتنا ومن تفكيرنا أن نخرج مخلوقات أخرى غريبة عجيبة لم تخطر لك على بال ... »

ويخيل إليّ أن فن توفيق الحكيم هو تنسيق للطبيعة وتهذيب ، بالنقص هنا وبالزيادة هناك ، حتى يستوى له خلق فيه من الطبيعة مشابه ولكنه منسق على نحو خاص يرضى مزاجه الفنى الذى يجد مجاله في مخلوقات الفن المنسقة على طراز مطلوب... وكأنه يقول للطبيعة : إنك فى منتصف الطريق ، ولا تزالين تخلطين بين الجمال والقبح وبين الرذيلة والفضيلة وبين الفكر والغريزة ... إلى آخر هذه الأمشاج ؛ فدونك مخلوقات أخرى مصفاة على نحو خاص ، ذات اتجاه موحد لا اضطراب فيه ولا اختلاط ... ! »

وهذه المخلوقات التوفيقية يتفق لبعضها الجمال الفنى فيغنيها عن جمال الحيوية ويضعها أنداداً مقابلة لمخلوقات الطبيعة ؛ ويخطئ بعضها التوفيق فتبدو باردة هامدة ، ولكنها لا تهبط إلى الموت أو الابتذال

وهنا نجدنا ملزمين بأن نرد لتوفيق حقه مرة أخرى فننص على أن هذا الاتجاه لا يستغرق جميع أعماله ؛ فهناك أعمال تنبض بالحياة الطبيعية والحركة الحيوية — على نحو من الأنحاء — كيوميات نائب فى الأرياف ، ورصاصة فى القلب ، وعودة الروح، والزمار ، والعوالم ، وراقصة المعبد ، وعصفور من الشرق ؛ وهى تؤلف جانباً كبيراً من أعماله الفنية المطبوعة بطابعه الخاص

وفى بعض هذه الأعمال تتهيأ الحبكة الفنية والحركة الحيوية ، إلى جانب الدعابة الفكهة والسخرية العميقة . وبخاصة « يوميات نائب فى الأرياف والزمار » وفيهما معالم واضحة للفن القوى المنشود !

ثم نعود إلى اصطلاح « التنسيق الفنى » الذى جعلناه عنواناً لمدرسة توفيق الحكيم فنقول : إننا نعنى به معنى آخر بجانب « تنسيق الشخصيات » نعنى به معنى فى طريقة العرض ، فى الأسلوب الذى تعرض به الشخصيات والحوادث والأفكار ، فهذه الطريقة موحدة سواء كان المعروض قصة أو تمثيلية أو فكرة فى مقالة . ولسنا نعنى به ما يعبرون عنه بالحبكة ، فهو أوسع من ذلك مدى . إنه « التصميم الهندسى » للعمل الفنى كله ، بحيث يبدو متساوقاً منسقاً مطرداً ، وبحيث يتهيأ هذا العمل الفنى كله فى ذهن الفنان قبل أن يبدأ اللمسة الأولى ، كما يضع المهندس تصميم مشروع كامل من المشروعات ، ثم ينفذه بعد ذلك حسب التصميم . وما قرأت عملاً من أعمال توفيق إلا كان هذا « التصميم الهندسى » واضحاً فيه كل الوضوح

ولعل أوضح ما يوضح ذلك هو « زهرة العمر » . فهذا كتاب مكون من مجموعة رسائل إلى صديقه أندريه ؛ وليس مطلوباً فى « رسائل » متفرقة أن تؤلف موضوعاً متناسقاً . فإذا هى كانت كذلك ، كان هذا دليلاً على أصالة ملكة « التنسيق الفنى » ، وظهورها حيث لا يرتقب منها الظهور

وتقرأ هذه الرسائل فى تتابع فتلحظ عملية التنسيق الداخلى ، وتحس شيئاً فشيئاً أنك أمام قصة : قصة مخلوق حقيقى أو روائى ، يسير فى الحياة وكأن يداً خفية تسوقه إلى مصير مرسوم ، وكلما أراد لنفسه أو أراد له أهله أو أرادت له ظروفه أن يحيد عن هذا المصير ردته هذه اليد الخفية إلى طريقه المرسوم !

شاب يريد له أهله الوظيفة بعد الليسانس فلا يوفقون ، ويبعثون به إلى أوربا للحصول على الدكتوراه ، فيجاهد فى سبيلها بما يستطيع — بعد أن يغرق فى الدراسات الفنية إلى أذنيه — ولكن تخونه ذاكرته فى الامتحان ، وتفيض له الحياة متع المرأة الحية جميعاً — مع ساشا الجميلة وسواها — فيمل هذا المتاع ويتعلق بالمرأة الأخرى التى طردته من جنتها بعد أسبوعين

وتركته يتعذب ويتلظى (لأن تعلقه بها جزء فى الطريق المرسوم طريق الفن الملعون) ويعود فيوظف وينجح فى وظيفته ويأخذ أهله أو يأخذ المجتمع فى تكبيله بقيد النجاح العملى ثم بقيد الزواج ... وهنا يستجمع المؤلف كل قوته الروائية فى المشهد الأخير وهو يستعد للوثبة النهائية وللخلاص من جميع القيود ؛ فيجمع هذه القيود فى مشهد واحد فى الرسالة الأخيرة ، قيد الوظيفه على أتمه ، وقيد الزوجية فى إبانه ، وقيد المجتمع فى احتقار الفنون ؛ وفى اللحظة نفسها يبدو كأنه نضج للفن واهتدى إلى سره وأمسك بالأسلوب الذى طال بحثه عنه ... ثم يسدل الستار بين الهتاف والتصفيق ! وبطل القصة أشبه بأبطال الروايات ، بل هو أشبه ما يكون « بيجماليون » !

هذا تنسيق يدل على أصالة فى فن التنسيق ، وهو ظاهرة ملحوظة فى « زهرة العمر » كل الظهور . وهى كذلك ملحوظة فى « يوميات نائب فى الأرياف » بمثل هذا الوضوح . وقد اخترت هذين العملين لأنهما ليسا قصة وليسا تمثيلية . فإذا توافر لهما هذا التناسق الكامل ، فأولى القصص والتمثيليات بأن يتوافر لها من أيسر سبيل . وفى « زهرة العمر » رسائل تحوى كل منهما قصة صغيرة كاملة مثل « قصته مع ساشا » يبدو فيها التناسق فى أعلى مستواه

ومعنى ثالث نعنيه « بالتنسيق الفنى » هو إحالة الحوادث والملاحظات إلى مواد فنية خامة فى « الاستوديو » الدائب العمل ! فالناس يعيشون الحياة وتوفيق الحكيم يشفق أن يعيشها وينزوى عنها مرتداً إلى نفسه ليحولها إلى عمل فنى هناك ، وكلما لحظت عينه أو نفسه مشهداً من مشاهدها لم يكن همه أن يستمتع بهذا المشهد وأن يزاوله ويضطرب فيه ، ولكن كان همه التقاطه لأنه مادة صالحة « للاستوديو » اللامين ! ومرد ذلك إلى مزاجه وتكوينه كما سلف . وكثيراً ما يكون انحراف المزاج مزية للفنان الذى يعرف كيف يحيل كل ما يصادفه إلى مادة فنية . وتوفيق من هذا القبيل . وقصة « ساشا » فى « زهرة العمر » من الأمثلة على ما نقول . وغلطة هذا المزاج هى اعتبار الفن مقابلاً للحياة لا متفاعلاً مع الحياة ؛ ولكن ليس من الضرورى أن توافق توفيق فى مزاجه لتستسيغ فنه فقد تخالفه فى الرأى والإحساس ، ولكنك تجد المتعة فى الأثر الناشئ عنهما فى الفنون

***

ثم نخلص إلى الحديث الخاص عن « زهرة العمر » فما قيمة هذا العمل الأخير ؟ إن هذا الكتاب يستمد قيمته التى ترفعه إلى مستوى أحسن أعمال توفيق الحكيم من ثلاثة أصول

من اللهجة الإنسانية الأليفة التى صيغت بها معظم الرسائل من الألم والشك والجهاد والقلق والاضطراب والتذبذب المستمر بين الحالات النفسية المختلفة ... هذه اللهجة التى تعقد أواصر الصداقة بين المؤلف وبين القارئ ، وتشعرهما معاً أن بينهما صلة إنسانية ، وأن الإنسان ضعيف أمام القوى الخفية التى تسيطر على أقدار الناس وخطواتهم فى هذا الكون الكبير !

ومن « التنسيق الفنى » الذى يجعل من هذه الرسائل الواقعية وحدة مطردة فى سياق روائى ، والواقع حين يكتسب التنسيق الروائى يجتمع له بساطة الصدق وجمال الفن ، وهذا واضح فى « زهرة العمر » لمن يقرؤه متنبهاً إلى التنسيق الفنى الخفى الملحوظ !

ومن البيان الحى لمرحلة التكوين الفنى الصحيح ، حتى ليصح أن يطلق على الكتاب « سفر التكوين » . فالطريق إلى النضوج الفنى طويل ، ووعر ، وملىء بالأشواك ، والفن عسير ، والذى يثبت إلى النهاية هو الذى يحق له أن يتطلع إلى النجاح بعد الجهد الجهيد ... هذه خلاصة ما يشير إليه المؤلف فى « زهرة العمر » وبدلاً من أن يلقيه نصائح وعظات ، عرضه مصوراً فى حياة إنسانية ، فكان أقرب إلى النفوس

وإذا اجتمعت هذه المزايا الثلاث لعمل أدبى كانت حسبه ليعد عملاً فنياً ذا قيمة . ولكنها لا تجتمع وحدها فى هذا الكتاب ، فهناك الومضات الفكرية والإشعاعات الشاعرية التى لا بد منها لكل عمل حتى تسلكه فى عالم الفنون

وعيب هذه المقالات المحدودة المجال أنها لا تتسع للنموذج والمثال ، فليعمد القارئ إلى أعمال توفيق الحكيم وبيده هذا المفتاح الذى قصرنا عليه المقال !

(حلوان) سيد قطب

الهــــوى تحت النجوم

للأستاذ صلاح الدين المنجد

(نَشْوَى) يا حبيبتي الجميلة !

يا فراشة مزركشة فرّت من الفردوس

يا قطرة ندى تتأرجح حالمة فوق ورق الورد

أنظرى ! فالنجوم الزُّهر يسبحن فى البحر ، كالحسان يتغامزن ويتضاحكن ، ويتراشقن بالنور والسناء

وعبدُنا الزنجى يختلس إليهن النظرات

ووادينا يضحك بالأنس ، ويندى من العطر ، ويشرق بالضياء !

والنسيمات رشيقات يرفرفن كالعصافير ، ويقبلن الأزاهير !

فاقتربى ، نلذ الهناءة والنعيم

لعلك تأْبين الصدع ، وتواسين الجرح ، وتخففين الهموم

اقتربى ، فالهوى حلو الجنى ، تحت النجوم !

نشوَى يا عبقةَ الروض الجنى ، وحُـلمَ العمر السعيد

***

شفتاك ذابلتان ، ونداهما فى شفتى

عيناك فاترتان ، والهوى فى غَزَلى

أرأيتِ عصفور الحقول ، يغدو مع الفجر الضحوك ، ليسرق القوت الهنى

إن شئتِ كنتُ اليوم عصفور الحقول

وقطفتُ من فمك الشهى زهر الثغور

لهّابة كالنار ، تحيى الهوى ، تنسى الهموم .

اسمى همسات الزمان اسمى

تعالى نجعل هوانا دماً كزهراته ، أخضر رفافاً كورقاته ، متصلاً كالليالى والأيام ، ناغماً كترانيم الحمام ، صافياً كدموع الغمام

اقتربى ، فعبدنا الزنجى يحرس الوادى ، ويرعى الجبال

والهوى حلو الجنى ، فى ليلك العطرىّ يا ذات الدلال

***

نشوى ! يا حُلما زوّقتُه بالفتون

ودميةً صنعتُها من الوهم والظنون

لِمَ يشحب الوجهُ البهىّ ، ويَرْعش الثغر الشهىّ ، إذا رأيتنى ؟

مالك مرعوبة يانشوى ؟

أهذا حفيف الصنوبر الحزين ، فى الغاب ، أم آهات صدرك ؟

وتلك ومضات البرق الجريح ، فوقنا ، أم خفقات قلبك ؟

لقد تمنينا المنى حتى مللناها

فتعالى نسحقها بالوصال ، ونقتل الخوف باللقاء ، فنصبح أقوياء ، كالظفر ، بسامين كالنور ، تياهين كالأبطال

اقتربى

فياهناء من ارتوى من حبّه تحت النجوم !

***

اذكرى ليلة الـكرم يانشوى

ليلة كنا نعد النجوم

وكلما قلت هذى نجمة

قلتُ هذى قبلة

وضممتُك إلى صدرى ، ورويتك من حبى

لقد كنت ترعشين بين ذراعىّ وتبسمين ، وتتلهين عن قُـبَلى وتحـلمين

وكان قلبى يعربد تارة ويرتجف ساعة

فهمست فى أذنك الرهيفة : « سيبقى حبنا متوقداً كهذه النجوم يانشوى ، فإذا غيّبنى الثرى يوماً ، فاذكرى حبى إذا زرتِ الـكروم ، واذكرى قبَـلى إذا رنوت إلى النجوم »

فرقرقت فى عينيك الدموع ، وقلتِ : « سأذكر حبك ، وقبلك ، كلما نظرت إلى النجوم أو وطئت الـكروم »

فالك الليلة صامتة يانشوى ؟

لا ترعى ، فالهوى حلو الجنى ، تحت النجوم !

***

أين قلبك الشارد يانشوى ؟

أيضل ، وهنا يرف النور ؟

اقتربى ، ويحك اقتربى

عمرنا شعلة ، الفجر يطفئها

وهوانا ومضة ، القبر يرعشها

فَـلِمَ تبكين وبم تحلمين ؟

اقتربى نلذ لذة عاصفة ، فنطيش بها كالفراش بين الزهور ، ثم نلفظ الروح ، ونرتمى كالصدفات الفارغة ، على حفافى النهور

يا هناء من ارتوى من حبه تحت النجوم !

(القاهرة) صلاح الدين المنجد

دراسة ومقارنة

الطبيعـــة توحى والشاعر ينطق

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

الطبيعة مصدر إلهام عظيم فى الأدب ، وللشعر فيها مجال فسيح . افتن بها الشعراء ، وتردد إليها الملهمون من أهل الفنون ، فوجدوا بين أحضانها منفسحاً من القول ومتسعاً من الكلام . ووجدوا فى مختلف مظاهرها صوراً تستحق التسجيل ؛ فانتضوا أقلامهم ، وجردوا ريشتهم ، يجمعون الألوان من هناك وهناك . ويؤلفون بين الظلال ، ويواءمون بين الأضواء ، ويخرجون من ذلك لوحات شعرية تمتاز من لوحات المصريين .

ولا شك أن اللوحة التى يخرجها الشاعر الموهوب يكون فيها من صدق الأداء وبراعة الوصف وإظهار الدقائق والتفاصيل وحرارة الأحساس ما لا يكون فى لوحة يخرجها رسام أو مصور .

ولقد أولع الشعراء من قديم بالطبيعة ؛ فأووا إليها وصوروها فى شعرهم تارة باسمة ، وأخرى عابسة ساخطة . ووصفوها على اختلاف الحالين كما فعل هوميروس فى الإلياذة ، فلم يجعلها ملحمة فقط للحروب والثارات ؛ ولكنها كانت معرضاً لألوان شتى من الطبيعة .

ولم يغفل شعراء العرب فى الجاهلية وصف الطبيعة ؛ ولكن اللوحات التى خلفوها لنا ليست من التنوع والكثرة وخصب الألوان وغناها بحيث تستحق أن نطيل الوقوف عندها والتحدث عنها . ولكنها على كل حال لوحات صادقة التصوير لتلك البيئة .

ولو قد أطال الشاعر الجاهلى تأملاته إلى الطبيعة ، وأمعن التفكير فى ظواهرها ، وعود نفسه السكون إليها والأنس بها والتحديق فيها لأخرج لنا صوراً رائعة من تلك الفيافى الممتدة ، والرمال المتناثرة والصخور العارية ، كما فعل الشاعر « توماس هاردى » فى بعض قصصه وفى كثير من أشعاره . فقد صور منطقة « المور » فى جنوبى انجلترا تصويراً صادقاً ؛ وهى إقليم مملوء بالصخور الموحشة ، والأشواك الجافة ، والوحشة الرهيبة . ولكن ريشة « هاردى » استطاعت أن تقلب وحشة هذا الإقليم أنساً ، وأن تخرج من تلك الطبيعة الجافة الخشنة ألواناً تعجب النفس . ولهذا تهافت السياح والزوار على مشاهدة هذا الإقليم بعد ما قرءوا رواية هاردى التى عنوانها « عودة المواطن »

وقد ترتبط ذكريات خاصة ببعض الأمكنة أو ما دار فيها من حوادث ، ويحن إلى الماضى الذى انطوى فى غبار اليوم ، كما فعل « امرؤ القيس » فى يوم الغدير بدارة جلجل . فقد أشار إلى ذلك فى بيت واحد من معلقته التى تبلغ الثمانين بيتاً . والبيت هو :

ألا رُبَّ يوم لك منهن صالح   ولا سيما يوم بدارة جلجل

وكان حق امرىء القيس أن يقف طويلاً عند هذا الغدير ، لا أن يمر عليه مروراً عابراً سريعاً ؛ ولكن شاعراً فرنسياً كان له مثل هذا الموقف فصنع قصيدة عنوانها « البحيرة » . والبحيرة هى بحيرة ليمان بسويسرا ، والشاعر هو « لامارتين »

والبحيرات والغُدُر والبرك كانت وحياً وإلهاما للشعراء فى كل أمة وجيل ؛ فامرؤ القيس يشير إشارة سريعة إلى دارة جلجل وغديرها ؛ والبحترى يصف بركة المتوكل على الله العباسى فى قصيدة واحدة ، ويطول فيها نفسه ويجود فيها وصفه ، فيقول :

تنصبُّ فيها وفود الماء معجلة   كالخيل خارجة من حبل مجريها

فحاجب الشمس أحياناً يضاحكها   وريِّق الغيث أحياناً يباكيها

إذا النجوم تراءت فى جوانبها   ليلا حسبت سماء ركبت فيها

والسرىُّ الرفاء الموصلى الذى خرج من الموصل إلى حلب واتصل بسيف الدولة بن حمدان له شعر جميل فى وصف الغُدُر والبرك والمياه . وقلَّ أن تجد لشاعر عربى ما للسرى من الشعر فى البحيرات كثرةً وإجادةً .

ولعبد الله بن المعتز الشاعر الحسن التشبيه الكثير الوصف شعر فى البحيرات ، إلا أن الصنعة تغلب عليه وتمحُّلَ التشبيه يلوح فيه . ولو أنه أطلق الوصف على سجيته ، وأرسله على فطرته لكان شعراً تصويرياً للطبيعة التى أولع ابن المعتز بتصوير كثير من مظاهرها . فإذا سمعته يقول :

غـدير ترجرج أمواجـه هبوب الرياح ومر الصَّبا
إذا الشمس من فوقه أشرقت توهمتـه جوشـنا مذهبا

بدا لك أثر الصنعة . وأين هذا من قول البحترى فى المعنى نفسه :

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجرى فى مجاريها
إذاعلتها الصبا أبدتلهاحُبُكاً مثل الجواشن مصقولاحواشيها

***

ولقد أوحت بحيرات سويسرا الجميلة إلى كثيرين من الشعراء أمثال « لامارتين الفرنسى » « واللورد بيرون » ، «وشيلى» الإنجليزيين . واللورد بيرون له فى رحلته الأولى إلى جنوبى أوربا أشعار طبعها ما بين سنتى ١٨١٢ ، ١٨١٨ . وفيها إشارات جميلة إلى ذكرياته السعيدة على بحيرات سويسرة

وفى هذه المناسبة أستطيع أن أذكر اسم الكاتب الأمريكى « هنرى دافيد ثورو » الذى نزح من المدينة الصاخبة سنة ١٨٤٥ إلى غدير (والدن) وغابته الفيحاء ؛ ووجد فى زقزقة الطيور ، وطنين الحشرات ، وخرير المياه وحفيف الشجر أنساً لنفسه الظامئة إلى رحيق الطبيعة . وله فى ذلك كتاب اسمه « والدن » The Walden كتبه بالنثر إلا إنه يفيض بالشعور والأحاسيس والفناء الـكلي فى الطبيعة وتقديسها كما تقدس الآلهة

ولا نجد شاعراً ـ فيما نعرف من الأدب العربى والإنجليزى والفرنسى ـ أعطى من نفسه وشعره للبحيرات والغدر ومساقط المياه ما أعطاه الشاعر الإنجليزى « وليام وردسورث » لمنطقة البحيرات الإنجليزية المعروفة باسم Lake District

كان « وردسورث » شاعر الطبيعة فى أى مظهر من مظاهرها ، وكان يعتقد أن الطبيعة تحمى الإنسان من الشرور ، وتجمل الخير أليفاً عنده حبيباً لديه ، كما أشار إلى ذلك فى ديوانه المعروف « الفاتحة » Prelude . ولهذا قضى حياته جوالاً فى منازه أوربا وانجلترا . وعاش فى قرية « جراسمير » بين البحيرات الإنجليزية التى ألهمته ديوانه المعروف باسم « شعر البحيرات » ودفن هنـاك فى الأرض التى ألهمته ، وأوحت إليه أسرار جمالها . وقد أتيح لى أن أزور قبره وقبر شقيقته فى تلك البقعة الجميلة الهادئة من بقاع شمالى انجلترا

ومنطقة البحيرات الإنجليزية مدينة فى التعريف بجمالها للـكاتب النقاد « جون رسكين » الذى أدرك «وردسورث» وعاش بعده زماناً ؛ فقد أبان للانجليز جمال هذه المنطقة مما جعل أغنياءهم يشدون إليها الرحال بدلاً من زيارة بحيرات سويسرة . ولهذا أقام له الإنجليز فى تلك المنطقة تمثالاً اعترافاً بفضله ووفاء لحقه

***

أما وصف السماء والنجوم والسحاب والمطر والرعد والبرق والليل ، فقد ورد كثيراً فى شعر العرب . وهو وصف مجرد لا تمسه عاطفة ، ولا تدخله خوالج النفس ولا هزات الحس . ولـكنه على كل حال تصوير صادق ، كثير الإحاطة للتفاصيل . ومن فرسان هـذا الميدان ابن خفاجة الأندلسى والسرى الرفاء الموصلى وأبو تمام الذى أكثر من وصف الغيث والسحاب ، وابن الرومى ، وابن المعتز الذى يقول فى وصف سحابة

وموقرة بثقل الماء جاءت تهادى فوق أعناق الرياح
كأن سماءها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح
رياض بنفسج خضـل نداه تفتح بينـه نور الأقاحى

ولأبى تمام هذه الأبيات الرائعة فى وصف الغيث :

لما بدت للأرض من قريب تشوقت لو بلها المسكوب
تشـوق المريض للطبيب وطـرب المحب للحبيب
وفرحـة الأديب بالأديب وخيمت صادقة الشـؤبوب
فقام فيها الرعد كالخطيب وحنت الريح حنين النوب
والشمس ذات حاجب محجوب قد غربت من غير ما غروب
والأرض من ردائها القشيب فى زاهر من نبتها رطيب

ومن شعراء الإنجليز فى هذا الباب « شيلى » وله قصيدة عنوانها « إلى الليل » ، وهى من النوع العاطفى ؛ والشاعر « جراى » وله « أغنية الربيع » ، والشاعر « كيتس » وله « أغنية الخريف » ، والشاعر « كامبل » وله « أغنية الشتاء » . وهو شعر يذكرنا بما قاله البحترى فى وصف الليل والربيع .

ويذكرنا كذلك بقصائد رائعة للسرى الرفاء وأبى تمام والبحترى وابن الرومى فى وصف الربيع والخريف والشتاء والسحاب ، وهو شعر منثور فى مواضع من دواوينهم ومن السهل الرجوع إليه .

أما البحر ذلك الخضم الواسع الذى يقصر الطرف عن إدراك مداه ، وتعجز السنون عن سبر أغواره ، فقد كان له من الشعر العربى نصيب ، إلا أنه ضئيل ، وقد أشار إليه امرؤ القيس إشارة عابرة فى معلقته وهو يشبه الليل بموجه ، كما وصفه ابن خفاجة الأندلسى بثلاثة أبيات . ووصفه الشاعر الأندلسى يحيى ابن الحكم البكرى المشهور بالغزال فى قصيدة طويلة قالها يصف رحلته إلى القسطنطينية موفداً من قبل الخليفة عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام سنة ٢٢٥ هـ إلى قيصر أمبراطور الروم فى مهمة سياسية ، والقصيدة لطيفة البحر والتصوير ، ومنها :

قال لى يحيى وصرنا بين موج كالجبال

وتولتنا رياح من دبور وشمال

شقت القلعين وانبتت عرى تلك الحبال

وتمطى ملك الموت إلينا عن حيال

فرأينا الموت رأى العين حالاً بعد حال

ولم يذكر نفح « الطيب » من القصيدة إلا أحد عشر بيتاً اخترنا منها هذه الخمسة . وهى فى الجزء الأول ص ٤٤٤

وللدكتور جورج صوايا من شعراء المهجر فى أمريكا الجنوبية قصيدة فى البحر المتوسط نجدها فى الصفحة التاسعة وما بعدها من ديوانه « همس الشاعر » المطبوع فى « يونس أيرس » ألا إنها ضعيفة الصياغة ، على الرغم من حفولها ببعض المعانى التى توحيها وقفة أمام هذا البحر الذى شهد ازدهار حضارات ومصارع دولات

وأحجم شاعر أو — ناظم — عن ركوب البحر خشية أن يذوب فيه ، لأنه من طين ... ! ولكن شوقى وحافظ ركبا البحر ووصفاه . ولحافظ رائيته التى مطلعها :

عاصف يرتمى وبحر يغير أنا بالله منهما مستجير

ألا إن ذلك قليل على الشعر العربى ، وأين ذلك من قصيدة « وردسورث » التى عنوانها « على شاطىء البحر » ؟

أما الرياض والأشجار والأزهار ، فلم يترك شعراء العرب نوعاً منها إلا وصفوه ، فابن خفاجة له فى شجر النارنج والأراك والريحان شعر كثير . والسرى الرفاء له شعر كثير جداً فى وصف الرياض والبساتين والنرجس وشجر الليمون وزهر السوسن والورد وشقائق النعمان والأترج والنخيل ورياض الموصل ومتنزهات الشام

وتلك ناحية فى الشعر العربى تذكرنا بشعر « هريك » فى النوار والبراعم ، وبقصيدته الفاتنة فى زهرة « الدافودلس » التى يفتتحها ويختتمها بهذين البيتين :

أيتها الزهرة الجميلة ! نحن نبكى لأن نراك

تسرعين الخطوات إلى الذبول

مثل أمطار الصيف أو قطرات الندى

التى تمضى إلى غير رجوع

كما تذكرنا بقصيدة « مارفل » الإنجليزى التى عنوانها « أفكار فى حديقة »

ولقد أخذ الشعور بوصف الطبيعة يزداد عند نفر من شعراء المشرق ، وشاع عند شعراء المغرب ؛ وظهرت الطبيعة مجلوة فى شعر أمثال ابن خفاجة وابن حمديس وابن جهور وابن زيدون وابن عبدون وابن سهل . وهذا الأخير كان يمزج فى شعره بين وصف الطبيعة ووصف العواطف وخلجات النفس كما يفعل الفرنسيون أمثال : هوجو ، ولامارتين ، والكونت دى ليل ، وألفريد دى موسيه . ولكن الفرق بعيد ..

ولقد ظهر فى مصر فى أيامنا هذه (الشاعر الهمشرى) ، الذى عنى بتصوير الطبيعة المصرية فى مختلف صورها . تسمع وترى وتحس وتشم فى شعره كل شىء فى الطبيعة ، حتى رائحة الكلأ . وكان يرجى له فى هذا الباب مجال ، وتناط به آمال لولا أن الموت عاجله وهو نضير الشباب

ولعل قراء العربية يجدون فى شاعر آخر « شاعر البرارى » مثالاً لشاعر الطبيعة المصرية البحت الذى يغنى على قيثارتها فى كل مكان .

محمد عبد الغنى حسن

شلى

[سيبقى شعرك ينبوع الأرواح
الظامئة ، لأنك روح ظامئ]

للأستاذ محيي الدين السامرائي

بعض العباقرة لا نكاد نفهمهم الفهم الدقيق النافذ ، إلا إذا فهمنا أطوار حيواتهم فربطها بتجاربهم الميتافيزقية الخفية ، والاختلاجات النفسية ، لندرك ما وراء الحس فى حياة كل عبقرى من صدام وصراع.

وشلى أحد أولئك الذين تعيننا تراجمهم على كشف البواعث والولائد فى أطباق نفوسهم القصية إذا ما أراد أحدنا درس واحد منهم دراسة عميقة ، يقوم أساسها على الفهم الحي للعنصر الوجداني الدفين المستتر فى قرارة كل نفس ، ليخرجه إلى عالم النور

وإذاً ، فقد ولد هذا العبقرى الثائر فى الرابع من أغسطس عام ١٧٩٢ فى ورشهام ، بين الأحراج النضرة والمراعى الجميلة ؛ فنشأ فى أحضان الطبيعة القروية الساذجة ، فاستشف مكامن الروعة من الكون بعينين ناعستين « كأنما أثقلهما وسن حالم عميق » ، كما يقول أحد نقاده المعاصرين . ثم سافر حدثاً ليلتحق بكلية (إتون) باكسفورد ، فبرم من تقاليدها المدرسية الرتيبة[1] ، وحاول مراراً التخلص منها ، ولكن إرادة والده حالت دون ذاك ؛ إلى أن نشر رسالة عن « ضرورة الإلحاد » وذلك عام ١٨١١ ، هاجم فيها العقائد والأديان ، وسخر من جميع المثل السائدة فى عصره ، وبشر بضرورة تحطيم اللاهوت المسيحى وسحقه ؛ فما كان من الجامعة إلا أن أقصته عنها ، فغادرها وفى نفسه حزن عميق من السخرية والسخط اللذين أثارهما بيديه من الأساتذة ورفاقه الطلاب . وهنا فعل الكبت فعله العجيب فى مطاوى هذه النفس الحساسة النزوع . ومنذ هذا الوقت مضى طليقاً ينظم الشعر ويقرأ الميثولوجيا اليونانية والآثار الكلاسيكية ، ولا سيما أفلاطون وأسخيلوس اللذين أعجب بهما كثيراً ، وصاحبهما طوال حياته ؛ فأشربت روحه هذه الثقافة الحية المفعمة بدوافع الفن والحياة . وبقى يتنقل بين أقطار أوربا بعد أن ودع انجلترا إلى غير رجعة ، حتى وطئت قدماه أرض إيطاليا الجميلة ، فاتخذها مقراً له ، بصحبة زوجه ابنة الفيلسوف الإنجليزى وليم كودون ؛ وهنالك استكمل تكوينه الفنى المدهش فبقى يبدع الروائع الشعرية السامية دراكاً حتى وافته المنية غريقاً فى ليجهورن على شاطئ سبيزا وذلك فى الثامن من (يولية) عام ١٨٢٢ وقيل بل مات منتحراً أثر اضطراب نفسانى أصابه ، يأساً من حياته المترعة بالآلام والأوصاب . فأحرقت جثته فى حضرة صديقه العظيم بيرون ، ودفنت بقاياه ، حيث كتب على قبره باللاتينية : « هنا يرقد قلب القلوب الشاعر بيرسى بيش شلى » وفى أسفل منها بيت من شعره يقول : « لقد عاش ومات وغنى وحيداً »

وهكذا انتهت حياة هذا الشاعر المستوحد الغريب بفاجعة من أعنف الفواجع التى عرفها تاريخ الأدب الحديث

***

ما كان شلى ممن يأخذ بدخيلات عصره ، ونوافه بيئته ؛ فقد عاش ما عاش هائماً فى أجواء نفسه ، وأقطار أوهامه ، « مأخوذاً بالسماء المكوكبة الساطعة بالأنوار » وبكل مظهر من مظاهر هذا الوجود الرحيب . فأثر ذلك تأثيراً عميقاً فى روحه الفنية ، وطبعه بتلك الانطباعات المتسعرة التى اعتصرت روحه العبقرى على أساس من الثورة والألم ، إلى جانب تشاؤم فى الحساسية عميق ، أشعره بآلام العصر الذى يضطرب فيه ، وشاع فى جوانب نفسه ميولاً متدفقة قوية ، ولكنها تتأرجح بين « الشواطئ الزرق البعيدة الحالمة » ، وبين « الجروف الصخرية الصماء »

فلخص ما يقوله الأستاذ الفيلسوف هوايتهيد فيه : أنه مؤمن بالعلم التجريبى يعالج الطبيعة ومظاهرها تحت ضوئه ، فى الحين الذى يستند فيه إلى المذاهب المثالية الأخرى مثل : كانت، بركلى ، أفلاطون

فهو مزيج من نوازع متباينة تتجاذبه ، فمن الناحية الواحدة نزعة إغريقية قوية تؤمن بالطبيعة وتقدمها ، ومن الناحية

(١) اختارها الأستاذ الزيات مقابل الكلمة الفرنجية routine

الأخرى إحساس دينى عميق يربط مظاهر الوجود فى وحدة كيانية واحدة Pantheism

« عندئذ اتحد الجسم بالروح

وعرت كيان « أيانث » رعشة رقيقة

فأطبقت جفنيها المحتقنين بهدوء

وعند ذاك توقفت الأجرام المعتمة الزرقاء ... »[1]

ومن هنا كانت ابتداعيته الطامحة ، القلقة ، المشرئبة إلى مثل إنسانى يحرر النفس ويعتقها من ربقة المادة ، وهدآته النفسانية المحلقة فى عالم الأحلام : عالم المثل الرفيعة ، حيث الحقائق متلاحمة يعروها الغموض . فشعره صورة صادقة للرومانتيكية التى تغلب الإبهام obscurity على الوضوح ، ولو أنها لا تمت إلى الرمزية بصلة ما . فهى تسبغ صفة الجلال sublimity على كل شىء ، وتنصر الباطن من الظاهر ؛ فهى « رومانتيكية صوفية » بالمعنى الدقيق . وأكبر مظاهرها ، ذلك الطرب الساذج — الذى يقرب من العبادة — لغرائب الطبيعة ، والتمجيد العنيف لصور الوجود ، الذى يذهب بنا إلى حالة انقياد روحى شديد ، هى من أسرار الطلاقة الفنية فى شعره . ويظهر هذا الأثر واضحاً فى قصائده الأخيرة : القبرة ، وانتصار الحياة ، وأبيسكديون التى حار النقاد فيها ، ومنظومتى هيلاس ورمنيوس ، التى يصور فيها الجبروت الإبليسى فى شخصية البطل الخرافى بريشة تفوق ريشة ملتون فى تصوير إبليسه

وفى الطور الأخير من حياته تأخذ « صوفية شلى الرومانتيكية » شكلها الأخير ؛ إذ يخضع للقوى اللاواعية السلبية فى النفس ، فيستشعر الألفة والانسجام فى صلب الوجود العام ، ويدرك أن هناك عقلاً سامياً وراء كل شىء ، تتوقف السعادة الدائمة بالاتحاد الحبى به ــ كما يعبر الصوفيون ــ بعد أن أنكر ذلك من قبل . وتحت تأثير هذا الشعور الجديد فى كيانه ، نظم أغنيته الفذة أبيسكديون ، التى هى « نشيد باطن » لتلك الروح التواقة لذلك الحب المثالى السامى ، ولو أن فيها بعض الأثر من شلى القديم . وقد يخطىء من يظن أن شلى هنا ، يبحث عن الحب الحسى الأرضى ؛ فما الحب الذى يفتقده إلا الحب الروحى المغرق فى المثالية الزاخرة بأحفل العواطف والأشواق ، حيث العناق المسكين بين الزائل الفانى والخالد الباقى ... « كل شىء يحول إلا إياك أيها الحب ... »

والآن استمع لشلى صاحب « ضرورة الإلحاد » ، ينشد فى آخر سنيه على لسان « النبى محمد » فى افتتاحية منظومته السامية هيلاس إذ يقول :

أسرعوا واملأوا الهلال الباهت

بالأنوار الحادة ، كتلك التى شقت عتمة ذلك

الليل المسيحى الذى انسحب إلى الغرب

حيث امتطى القمر المشرق صهوة النصر ...

ألا فلتحل اللعنة على أولئك الذين ديدنهم الإشراك وتقسيم الإله الأعلى المتعالى ...

فشعره — كما يبدو لأول وهلة — مزيج من الرومانتيكية الجامحة والتصوف الرزين ، مزيج من الأنوار والظلال ، ومن العقل والجنون ؛ فخياله المحلق النفور قد عصف بكل الفواصل الأرضية ، فانقطعت الصلة بينه وبين أكثر القراء . حتى أن النقادة الكبير « ماتيو أرنولد » أطلق عليه لقب « الشاعر السماوى المجنون » ، إذ عاش حالماً بعوالم أثيرية قصية ، مفعمة بأنفاس المحبة والجمال ، (محدقاً بشفق الحياة النائم) — وقد كرر هذا المعنى فى شعره كثيراً —

ألا نهيم يا حبيبتى

نحو غابة الشفق

حيث يتعالى القمر الوضىء ؛

وهنالك سأهمس إليك

فى هواء الليل البارد

ما لست قادراً على البوح به فى النور ؟ »

ولقد اختلف النقاد فى تقدير ملكة شلى الفنية اختلافاً كبيراً ، فهاجمه كثير منهم ، أمثال صديقه الخائن « هوج » و « بيكوك » وغيرهما . بينما انتصر له النقادة الكبير ماتيو

(١) يحدثنا الأستاذ « ول دورانت » صاحب كتاب قصة الفلسفة : أن شلى شرع فعلا يترجم كتاب « إسبينوزا » « رسالة عن الدين والدولة » ، وهى أهم مؤلفات فيلسوف وحدة الوجود الأكبر بعد كتابه « الأخلاق » . وقد استشهد كثيراً بأقواله فى الملاحظات الفلسفية التى وضعها لقصيدته هذه التى عنوانها « الملكة ماب »

أرنولد وأنصفه من أعدائه . كما أن الكاتب الكبير لورد ماكولى كتب عنه يقول : إن شعر شلى لم يكن فناً وحسب ، إن هو إلا وحى . أما البروفسور إيفور إيفانس أستاذ الأدب الإنجليزى فى جامعة لندن ، فقد رفعه إلى رتبة النبوة فى شعره ، واعتبره من أصحاب الرسالات المثلى فى تاريخ البشرية

ومهما يكن من رأى النقاد فيه ، فالحقيقة أن فيه عنصراً غير عادى ، هو الذى حمل معاصريه على أن يروا فيه — على رأى ستيفن سبندر — رجلاً هستيرى المزاج ، منحرف السريرة ، مزيجاً من الغول والإنسان ، حتى أن رفاقه فى المدرسة زروا عليه شذوذ سلوكه واندفاعاته الطائشة ، فلقبوه بـ « شلى المجنون » ، كما أن مؤسسة (شانسرى) قررت حضانة ابنته من زوجه الأولى ، بحجة أنه رجل مهوس مخبول ، ليس أهلاً لإعالة إنسان . وفى ذلك — كما يبدو لنا — مظهر من مظاهر العبقرية السامقة التى لا تخضع لمقاييس الناس وموازينهم . أو ليست العبقرية — قبل كل شيء — انطلاقاً من كل قيد ، وشروداً عن كل مصطلح ومألوف ؟

أما عقيدة شلى الفلسفية ورسالته التى بشر العالم بها فلها قصة طويلة لا نستطيع جلوها ناصعة إلا عن طريق الدراسة الدقيقة لشعره فى مختلف أطواره الروحية . مع أنه — بالحقيقة — ليس صاحب فلسفة متبلورة ناضجة ذات حدود ، إن هى فى مجموعها إلا تجارب نفسية متباينة ذات أصباغ مشوشة غامضة

فشلى يرى ظواهر الوجود سيلاً مندفعاً من أزل الآزال إلى أبد الآباد لأى لحظة واحدة من الزمان . فهو — إذا شئنا الدقة الفلسفية — خَلق مستمر ، وامتداد من عالم الحرية إلى عالم الحتمية والضرورة .

« الكون السرمدى لهذه الأشياء
يتراكض خلال العقل ، ويضرب بأمواجه الخاطفة .
آونة قاتمة ، وآونة ملتمعة ؛ حيناً تقبض النفس ،
وحيناً تنيرها ... ...
كجدول رقراق يأخذ سمته ، خلال الغاب الكثيف
وبين الجبال ، حيث الشلالات المتدافعة حولها إلى الأبد ،
وحيث الغاب والريح يتصارعان ؛ يندفع النهر الكبير
دائباً على الصخور بلا انقطاع ، وهذه الكائنات — وفيها الإنسان — « كسحب تغشى القمر الليلى ،
وسرعان ما تنقشع ، فتلتمع ، ثم ترتعش ،
فتفرى الظلام بلألائها ! ثم يطبق الليل
ثانية ... فتضيع هاتيك السحب إلى الأبد .
... ألا إن أمس الإنسان لا يشبه غده
فهو لن يعانى غير التغير المستديم . »

أما حيال ذلك السر المحجب القديم : سر هذا الوجود ، ماذا يحول ؟ وأين منتهاه ؟ فكثيراً ما وقف واجماً مبهوتاً ، لا يرى غير ظلمات يركب بعضها بعضاً .

« يا أشباح الموتى ! ألم أسمع عويلك المرتفع مع أنفاس الليل الدائرة ، حيث تشتد العاصفة على الأثير المظلم
وعلى الريح الرخية يتلاشى هزيم الرعد ؟
ألا ما أكثر ما وقفت على قمة جورا المظلمة العابسة فوق الوادى المنفرج فى الحضيض .
وما أكثر ما صمدت أمام ثورة إعصار الليل القارس
إذ يحوطنى ، كما يبدو لى ، رجيع أصداء الموت الهامسة ! »

فالموت يطارد جميع الكائنات « بأقدام لاهبة وأنفاس باردة صفراء » ، حتى الشموس والأفلاك يصيبها الخمود والاندثار :

« أخبرنى أيها الكوكب ذو الأجنحة النورانية
المسرعة بك فى دورانك المشتعل ،
فى أى من كهوف الليل ستنطوى أجنحتك
وأنت أيها القمر الأشيب الهزيل
فى أية أعماق من الليل أو النهار
تطلب الراحة والسكون ؟ ... »

لا ! لن يقوى أمام ناموس الفناء غير « ذلك النور السماوى المؤتلق إلى الأبد » ؛ أما الظلال الأرضية « فتتناثر بدداً تحت وطء الموت ... بينما تبقى روح أدونيس مشتعلة فى أعمق أطباق السماء كـكوكب هاد حيث الخالد الباقى . »

... وأخيراً طوته ظلمة الموت بعد أن ترك للعالم تجربة حية صادقة ، وسجل لنا اعترافاً روحياً طويلاً مكتوباً بدم القلب

(بغداد) محى الدين السامرائى

على ضفاف الجحيم

[إلى ذلك الروح الذى نفث القدر
فى دمى معناه فأخرس كبريائى ومزق رغبائى
وضرب على مشاعرى جواً من الضباب ،
تخبط فيه حكمتى وتتعثر أشواقى]

عـلام أبعث للدنيا بأنغامى   لا الظل ظلى ولا الأنسام أنسامى
لا الشمس فى صحوتى أسمى بموكبها   ولا الحقيقة فى آفاق إلهامى
هيمان أطوى الليالى البيض فى سَغَبٍ
تَفَلْسِفُ الوزر والحرمان أوهامى
حيران تصطرع الأهواء فى خلدى
وساوس الشك فى صحوى وأحـلامى
مروَّع العقل والوجدان ذو أمل   مشترد الرأى أفّاق الخطى ظامى
موزَّع الحسِّ مخدور المنى شَرِقٌ   مفزَّع القول هدَّام لأصنامى
دنياى خلوٌ من الأفراح يا عجباً   عـلام أبعث للدنيا بأنغامى

* * *

هنا ذوت حكمتى وانهار إيمانى   وعربد الشك فى عقلى ووجدانى
بالأمس كنت هنا قديس حانتهم
أحدو الجنون وأحـدوها بألحانى
أجامل الزور فى أفواه من شربوا   وآخـذ القـول بهتاناً ببهتان
جُنَّ الجميع فهـذا عبد شهوته   وذاك تاجر زهدٍ بين رهبان
لباقة الراح هاجت إفك مسرحهم   كلٌ وفى يده مصباح شيطان
حقيقتى فوق ما فى الـكأس من سَكَرٍ
فلم أجَنَّ ولـكن جُنَّ حرمانى
من لى بسبعة أيقاظ لأنشدهم   هنا ذوت حكمتى وانهار إيمانى

* * *

يا وحدتى بين نادى الصحب والآل
كلٌ بمشـغـل ولم أظفر بأمثال
أنا الغريب ونفسى فى مجاهلهـا
حيرى تَلَفَّتُ عن قومى وآمالى
تهفو إلى النور فى جوع وفى ظمأٍ
كأنها ذلة فى وجـــه رئبال
تمضى على الشوك لا تشكو تعثرها
ولا يفزعهـــا تحويم أهوالى
مضى الشباب سُدىً ما كان أجمله
لو لم أقضِّ سنيه بين أغـــلالى
طويت أيامه إثماً وســـخريةً
أصانع الإفك فى حـــلى وترحالى
من يفهم النفس إن أفضت بقولتها :
يا وحدتى بين نادى الصحب والآل

* * *

أخرجت من معبد الأوهام خفّاقى
وعشت فى حكمتى مجنـون آفاق
هدمت محرابى الأسمى وكم سجدت
على قداسته روحى وأشـــواقى
أحرقت إنجيله كفراً وكم خشعت
نفسى لما فيه من نور وإشراق
ماتت صلاتى وكانت آيها سكناً
لما أكابد من يأس وإملاق
خـلا المصلى وطافت حول هيكله
معالم الجـــد فى صمت وإطراق
وأطفأ المعبـــد الوضاء راهبه
وودع القدس فى زيغ وإشفاق
وأرسـل الحكمة الهوجاء هاتفة :
أخرجت من معبد الأوهام خفاق

(كلية الآداب)   محمد العبوشى



بين الدين والعلم فى ختان الأنثى

قرأت كلمتين فى العدد — ٥٤٨ — من مجلة الرسالة الغراء : إحداهما للدكتور أسامة ، والثانية للأستاذ محمد أحمد الغمراوى ، فأما الدكتور أسامة فقد عاد إلى بحث ختان الأنثى من الناحية الدينية ، ونحن لا نريد هذا منه ، وإنما نريد منه أن يبين لنا رأى غيره من الأطباء فى هـذا الختان ، لأن رأيه وحده فيه لا يفيد القطع فى هـذه المسألة من الناحية الطبية ، ولا بد من الوصول إلى رأى قاطع فيها من هذه الناحية قبل بحثها من الناحية الدينية

وأما الأستاذ الغمراوى فلا أدرى ما يأخذه على وقد مضى يعالج مسألة الختان على طريقتى من التوفيق بين الدين والعلم ، وخالف طريقة من رددت عليه حين يريد أن يثبت أن هـذه المسألة من الدين ، ولا يريد أن يعالجها من ناحية العلم ، بل يرى دكتوراً فاضلاً يريد أن يوفق بين الدين وبين ما يراه مخالفاً له فى الطب ، فيقطع عليه طريق هذا التوفيق ، ولا يقول له إلا أن مسألة الختان من الدين ؛ فإن معنى هذا أن حكم الطب فيها لا يعبأ به ، وهذه هى الطريقة التى قلت إن الدين لا يخدم بها ، وقلت إنها تخالف ما اعتمده سلفنا الصالح فى تعارض دليل العقل ودليل النقل

ومن العجيب أن يقول الأستاذ الغمراوى : إن قراراً إجماعياً لو صدر من الأطباء بتأييد الدكتور أسامة لا يغير من الحكم شيئاً فى هذه المسألة بالذات ، ثم يمضى بعد هذا فى محاولة التوفيق بين الطب والدين فى مسألة الختان ، وهذا تناقض لا أدرى كيف وقع فيه . وقد يعقل أن يأخذ الإنسان فى هذه المسألة بحكم الطب ولو خالف الدين ، وأن يأخذ فيها بحكم الدين ولو خالف الطب ، ولكنه لا يعقل أن يضرب بإجماع الأطباء فيها لو حصل عرض الحائط ثم يمضى فى محاولة التوفيق فيها بين الطب والدين ، ولكن الأستاذ الغمراوى يريد أن يمسك بذيل الرجعية والتجديد معاً ، وأن يجمع بين إعجاب الرجعيين به والمجددين ، وهو فى هذا كمن يحاول الجمع بين الضدين

عبد المتعال الصعيدى

ختان البنات بين الطب والدين

فائدة الختان تتلخص طبياً فيما يأتى :

أولاً — الافراز الدهنى المنفرز من الشفرين الصغيرين وجزء من البظر إن لم تقطع فى الختان تتجمع وتتزنخ ويكون لها رائحة غير مقبولة وتحدث التهابات قد تمتد إلى المهبل بل إلى قناة مجرى البول ، ورأيت حالات كثيرة بهذه الالتهابات فى بعض السيدات سببها عدم الختان

ثانياً — هذا القطع يقلل الحساسية الجنسية للبنت ، حيث لا شيء لديها ينشأ عنه احتكاك جالب للاشتهاء ، وحينئذ لا تصير البنت عصبية من صغرها

وإن عملية الختان لا تقطع البظر من جذره بل تقطع جزءاً منه ؛ فهى تقطع الحشفة وجزءاً من العضو ، وهذا الجزء الأعلى هو ذو الحساسية الشديدة ، ثم يبقى جزء منه توجد فيه أيضاً الحساسية ولكنها أقل أثراً

ويقول الدكتور الفاضل أسامة (إن إزالة البظر يحدث عفة جزئية للفتاة قبل الزواج مشكوكاً فيها ، ولكنه يحرم المرأة المتزوجة من الشعور الصحيح باللذة الجنسية) ولكن الحقيقة التى لا مرية فيها أن الفتاة التى استهدفت لعملية الختان قلت فيها حساسية الشهوة بخلاف التى لم يحدث لها الختان فإن أى احتكاك (بالبظر) حتى بثوبها يحرك فيها حساسية شديدة ربما لا يؤمن جانبها فى الفتيات . وأما قوله إن المتزوجة تحرم من الشعور الصحيح باللذة الجنسية ، فهذا غير صحيح ؛ فالشعور لا يزال فيها لكنه شعور غير فياض رزين غير عابث ، مضبوط زمامه غير منفلت

ثم إن حضرة الدكتور يقول إن الجاذبية الجنسية لا تحدث من الأعضاء التناسلية الخارجة ، وإنما تحدث من الصفات الجنسية الثانوية ، وهى فى الأنثى جمال الوجه . الخ .

إذاً فالتأثير الجنسى لم ينعدم فى المرأة بعد ختانها إنما وجد بمقدار إن زاد أضر بها

هذا هو رأى الطب فى ختان البنات فانظروا إلى رأي الدين : يقول صلى الله عليه وسلم (الختان سنة للرجال مكرمة للنساء) . وأية مكرمة للنساء أفضل من هذه المكرمة التى تضبط شهواتهن وتقلل من اشتهائهن ، وفى الوقت نفسه لا تحرمهن لذاتهن .

ثم انظروا إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما هاجرت النساء ، وكان فيهن امرأة يقال لها أم حبيبة ، وكانت تختن الجوارى ؛ فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها يا أم حبيبة ، هل الذى كان فى يدك هو فى يدك اليوم ؟ فقالت نعم يارسول الله إلا أن يكون حراماً فتنهانى عنه ، قال بل هو حلال ، فادنى منى حتى أعلمك . فدنت منه فقال يا أم حبيبة إذا أنت فعلت فلا تنهكى ، فإنه أشرق للوجه وأحظى عند الزوج .

فانظروا إلى كلة (لا تنهكى) أى لا تستأصلى . أليس فى هذا الحديث معجزة تنطق عن نفسها ، وتدل بوجهها ، فلم يكن الطب قد أظهر شيئاً عن هذا العضو الحساس (البظر) ولا التشريح أبان عن الأعصاب التى فيه ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم الذى علمه العليم الخبير ، عرف ذلك فأمر ألا يستأصل العضو كله حتى لا يفقد الحساسية جميعها

فأى تعارض بين الطب والدين فى هذا ؟ أما عن قول الدكتور عن أضرار الخطر الجراحى كالنزيف ، فهذا أيضاً فى ختان الذكور وإن كان حضرته لا يمانع فيه فى الذكور فما كان هذا الضرر الممكن منبعه ليمنع هذه الفائدة . وها نحن نرى هذه العملية تعمل يومياً بين نساء جاهلات ولم نر أضراراً كثيرة بل قل أن تنزف منها فتاة

وختاماً أخالف الدكتور أسامة فى رأيه ، وأرى أن ختان النبت مكرمة لها ، وأقول إننى ما رأيت الدين يدعو إلى شىء إلا وجدت الطب يتبعه فى ذلك ، ولمن يريد التثبت من ذلك أن يقرأ كتابى (الطب الحديث يترسم خطى الإسلام) وكتابى (الحمل وخلقته الإنسانية بين الطب الحديث والقرآن) فيرى صدق ما أرى إليه والسلام .

الدكتور
حامد البدرى الغوابى
طبيب أول رعاية الطفل ببنى سويف

نبغاء الأقزام فى رسالة الغفران

فى أكثر اللغات مثل سائر أو كلة مأثورة أو أطروفة ضاحكة تؤكد للأقزام وقصار القامة من الناس الذكاء والنبوغ وحدة الذهن والحيوية . حتى لتكاد كلة قصير تصبح بنفسها علماً على العبقرية أو مرادفة لها . والإحصاء نفسه يبرهن عليه . وفى ذلك بحث طريف لم يتنبه له الكتاب بعد ولم يقيموا له بحثاً بذاته على ما فيه من سعة وعمق وإمتاع

دعانى إلى هذا التقديم كتاب ظهر منذ أيام باللغة الإنكليزية مترجماً عن العربية تعاون على إخراجه أقزام ثلاثة مشهورون ، بداه أولهم قبل ألف سنة وأتمه الآخران منذ أيام . هؤلاء الأقزام الثلاثة هم : أبو العلاء المعرى وكامل كيلانى ومستر برا كنبورى . وضع أبو العلاء رسالة الغفران وقذفها فى تيار الفكر الإنسانى تنحدر مع الأيام وطال بها حلك الليالى عصوراً مديدة حتى جاء الكيلانى فتناولها بالتحقيق والتهذيب ونشرها فى الفكر العربى الحديث نوراً قوياً ساطعاً . والكيلانى يعشق أبا العلاء عشقاً عنيفاً ويرى فيه صورة العقل العربى الجبار ويبرهن على أن فى كل جملة منه توجيهاً جديداً ، وأنه أسمى تفكيراً وأسلم منطقاً من كثير من مشهورى الغرب قدمائه ومحدثيه . وهذا ما حثه فتعاون والمستشرق الإنكليزى جيرالد براكنبورى على ترجمة رسالة الغفران إلى الإنكليزية . وقد تم طبعها الأنيق منذ أيام فجاءت تحفة ممتازة من تحف العقل العربى فى المكتبة الإنكليزية . ولئن كان الإنكليز قد اطلعوا على شىء من أدبنا القديم فإنما اطلعوا على أضعف مافيه غالباً وهو ما يمثلنا فى عصور الانحطاط كمقامات الحريرى مثلاً ؛ على أنها فى حقيقتها لا تمثل إلا القدرة اللفظية وألاعيب التراكيب مما لا يروق العقل المفكر . أما رسالة الغفران ففخر لنا نباهى به ؛ وأنا على مثل اليقين أنها ستستحوذ على الشهرة التى نالتها ترجمة فيتز جرالد لرباعيات الخيام . وترجمة الرسالة هذه تكاد تكون حرفية لكنها قوية لا تحس فيها موضع ضعف أبداً ونقل فيها الشعر إلى الإنكليزية شعراً . وساعد براكنبورى على ذلك سمة اللغة الإنجليزية نفسها وليونتها وتعدد الألفاظ الدينية وترادفها بمعانيها نفسها أو بمعان أخرى قريبة منها مما لا نجد له مثيلاً فى سائر اللغات غير العربية . أضف إلى

هذا كله قدرة براكنبورى الفائقة فى لغته وفى العربية والتشابه القوى فى حياة المؤلف والمترجم وطراز التفكير ، ثم إمداد الكيلانى وتحقيقه وجهوده

فأبو العلاء المعرى وكامل الكيلانى وجيرالد براكنبورى ؛ هؤلاء هم الأقزام الثلاثة الذين تعاونوا على تقديم رسالة الغفران إلى الإنجليز . ومن أجدر فى القيام بهذا العمل الجبار من هؤلاء النبغاء الثلاثة ؟

(القاهرة) ممدوح حقي

الشيخ عياد الطنطاوى

فى تاريخ الأدب العربى الحديث شخصية عملت على نشر الأدب العربى خارج نطاق مصر ، وهى تكاد تكون مجهولة من المعاصرين . تلك هى شخصية الشيخ محمد عياد الطنطاوى (١٨١٠ — ١٨٦١) الذى كان يقوم بتدريس الأدب العربى فى مدرسة لازاروف بمدينة موسكو ومؤلف كتاب « أحسن النخب فى معرفة لسان العرب »

ورجائى ممن يعثر على تاريخ هذا الرائد المجهول أن يدلى على صفحات الرسالة بالمصادر التى يمكن الرجوع إليها عن شخصيته

محمد أمين حسونة

حفلة تأبين الشيخ ابراهيم باكير عالم طرابلس الغرب

أقيمت فى طرابلس الغرب حفلة تأبين لشيخ علمائها المغفور له الشيخ إبراهيم باكير دعا إليها الأفاضل أبناء المشيرق وفريق آخر من الأدباء . فافتتحت بآى الذكر الحكيم ، ثم قام سماحة المفتى فشكر للداعين سعيهم وذكر مآثر الفقيد ، ثم تتابع بعده الخطباء والشعراء فعددوا مناقبه ومواهبه .

وقد ولد رحمه الله عام ١٢٧٣ ، ونشأ فى بيت علم وفضل شهر منذ الفتح العثمانى بالقضاء والفتيا والخطابة ؛ فكان نموذجاً سامياً فى الأخلاق الكريمة والخصال النبيلة والآداب العالية . وكان معروفاً بتواضعه وعزة نفسه ورقة عاطفته وصدق عزيمته ونزاهته وجده فى كل شىء وتقديره واحترامه للغير

وكان يعتبر بحق شيخ مشايخ القطر وخاتمة المحققين . فقد كان حجة فى كل العلوم ، وثقة يرجع إليه فى المشكلات . ولم تكن منزلته العلمية ومكانته الأدبية وشهرته قاصرة على وطنه ومواطنيه ؛ بل كان فضله مذكورا بين علماء دمشق وأدبائها حيث تسنى له أن يؤدى رسالة العلم والأدب فى العاصمة الأموية زهاء ثمانى سنوات كان فيها موضع الإجلال والتقدير

وله عدة تآليف ورسائل نذكر منها :

١ — فتاوى على المذهب الحنفى

٢ — فتاوى فى الوقف على المذهب الحنفى

٣ — منظومة فى الحكمة والأدب

٤ — رسالة فى علم البيان

٥ — منظومة فى علاقات المجاز المرسل

٦ — رسالة فى المنطق

٧ — منظومة فى المقولات مع شرح لها

٨ — ديوان شعره

وقد تولى من المناصب فى العهد العثمانى : عضوية الاستئناف ، ورآسة المحكمة الاتهامية من سنة ١٣٠٦ إلى ١٣٢٤ . ثم الفتوى ورآسة الأوقاف من سنة ١٣٢٤ إلى الاحتلال الإيطالى . ووكالة رآسة مجلس الإدارة قسم المحاكمات والجنح من سنة ١٣٢٥ إلى ١٣٢٨ عن أربعة ولاة . وفى دمشق حين هاجر إليها عرض عليه إفتاء طرابلس الشام فلم يقبل ، وخصص له معاش باعتباره من هيأة كبار علماء المشيخة . ثم رأس بعثة أثناء الحرب العالمية وفدت إلى المدينة المنورة فقام بها خير قيام . ورجع إلى طرابلس بعد الاحتلال الإيطالى فعين حاكما بالمحكمة العليا وظل فيها ١٥ عاماً إلى أن توفى فى ربيع الآخر سنة ١٣٦٢

الهوى العذرى

لا يؤمن كثير من أهل الرأى بما دونه مؤرخو العرب من القصص الغرامى الملتهب « كقيس ليلى » « وقيس لبنى » بل لقد يذهب بعضهم إلى الضحك منه ، والسخرية به ، ويعتقدون أن هذا القصص تصوير روائى ، وخيال شعرى

وأحسب أن الذين يعتنقون هذا الرأى بنوا عقيدتهم على خبرتهم الصادقة بالطبيعة البشرية

فهذا العشق الذى يهيم له الرجل على وجهه ، ويدخل الضيم على مروءته ليس من طبيعة الرجل ، وهو الذى يجرى بفطرته وراء النفع والطمع ، ويسمى بغريزته إلى النضال فى معارك الحياة وتكاليف العيش ، إنما الحب زخرف من زخارف صباه وزينة من زينات شبابه ، بل هو أغنية من أغانيه يتطرب بها فى مجال نضاله فى الحياة ، ويتغنى بها فى خلال جهاده للعيش

من طبيعة الرجل أن يسمى إلى الشهرة والثروة ، وأن يتبوأ مكانها ملحوظاً فى رأى الدنيا ، وقم التاريخ ، ومن أظهر ميوله حب السيطرة والسيادة وبسط السلطان

هذا الرجل قد يحب ، وهذا طبيعى أيضاً ، وقد يحدث الإخفاق فى حبه لوعة ومرارة تجرح شعوره وعواطفه ، لكنه مخلوق نشيط تشغل مخه أفكار متباينة فى دائرة الحوادث المختلفة ، وفى مناحى الفرص المتعددة التى تسنح بين حين وآخر فى ميدان النضال الحيوى ، فإذا كانت الفجيعة أليمة ، مفعمة بالهواجس والخيالات والأحزان ، فقد يجد من وسائل الكسب ومباهج الأفراح والملاهى ، وحزم الإرادة القوية ما يتلهى به فينسى

هذا شأن الرجل إذا أحب ، وهو كثير المشاهدة بين الناس تجرى الحوادث فيه على ما رسمته الطبيعة البشرية ، أما هيام الرجل على وجهه ، وتدلهه وإغفاله تكاليف الحياة ومسئوليتها جرياً وراء امرأة ، على الوصف الذى دونه مؤرخو العرب فى (قيس ليلى) (وقيس لبنى) فهو بعيد حتى عن الذوق الإنسانى

ومن عجب أن يهيم الرجل ويذهب ، وتصبر المرأة وتتسلى فلا تهيم على وجهها ، ولا يذهب بها التدله شتى المذاهب ، فتأنس إلى الغزلان فى مسارحها ، وإلى الوحوش فى مساربها إلى غير ذلك من مؤثرات التأليف المسرحى

كيف يكون هذا والمرأة كلها قلب ، وحياتها تاريخ كامل للعاطفة ؟ هى ، عمرها ، أسيرة أفكارها ، رقيقة عواطفها ، فإذا تسلط على هذه الأفكار والعواطف حكام من الخيبة والفشل ، فأين تجد التآسى ؟ لا شىء ؛ إلا أن تكون كالقلعة المقتحمة قد انهارت أسوارها

كم من عيون براقة خبا بريقها ، وكم من خدود متوردة ذبلت حمرتها ، وكم من قوام معتدل هصره الأسى فأماله ، كل ذلك والحب فيها خجول صامت لايجرى فى الطرقات ، ولا يتسكع فى الصحارى . قد تمتص الفجيعة دمها ولكن فى صبر وتجلد

هل كان قيس يحب ليلى وليلى تكرهه ؟ لا . إنما كان بقلب ليلى من العشق والوله مابقلب قيس . إذن ففيم يهيم الرجل ويذهل ، وهو أقوى عزما ، وتتجلد المرأة وهى القلب المتفجع ؟

هذا وضع مقلوب للطبائع البشرية لم يجنح إليه المؤلفون إلا للقصة والرواية

ولِمَ اختص بالجنون عشاق المرأة وحدها ؟ ومن الناس عشاق متدلهون فى المال ، ومنهم عشاق الشرف والمروءة والرجولة الكاملة ، وقد أصيب كثير من هؤلاء فى مالهم ورجولتهم فما هاموا على وجوههم ، ولا فقدوا رجولتهم ، ولكنهم عالجوا الحياة من جديد بما وهبوا من المزايا الطبيعية لينالوا نصيبهم منها

ومن أظهر ما يدل على أن هذا القصص موضوع ما يشاهد فى طبيعة البشر من أن الرجل إن استحلف بالله رب كل شىء وبرسله وكتبه سهل عليه الحلف ولم يأنف منه ، فإن استحلف بطلاق امرأته تربد وجهه واستطاره الغضب وعصى وامتنع حتى لو كان الحلف سلطاناً مهيباً ، هذا وإن لم يكن يحبها وكانت هى قبيحة المنظر ، فكيف يسوغ عقلاً أن يطلق قيس ليلى وهو يحبها ؟ وهى جميلة الخلق والخلق ، لمجرد أن أبويه طلبا إليه هذا الطلاق وكفى ؟ لقد خير ملك عظيم بين عرشه وبين زوجة ارتضاها ، فنزل عن العرش ولم يفترق عن زوجته

ألا أن العرب لم يكونوا بدعاً من الناس ...

عز العرب على

---

12 me Année No. 550

Lundi - 17 - 1 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
عن هذا العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥٥٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ المحرم سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٧ يناير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة		
٤١ عبقرية الاســلام	أحمد حسن الزيات	
٤٣ الروحانية بين الأنبياء الثلاثة	الأستاذ عباس محمود العقاد	
٤٦ فقـه عمر	الأستاذ محمود شلتوت ...	
٤٩ عظة العيد وعبرة الذكرى ...	الأستاذ أطون الجميل بك ..	
٥٠ بركه خان أول مسلم من ملوك التتار	الدكتور عبد الوهاب عزام	
٥٢ هزيمة الشيطان .. (قصيدة)	الأستاذ على محمود طه ...	
٥٣ الطريقة المثلى في دراسة الفقه الاسلامي	الأستاذ محمد محمد المدني ...	
٥٥ ذكرى الهجرة	الأستاذ محمد فريد وجدى ...	
٥٧ في الرفيق الأعلى	الأستاذ دريني خشبة	
٦٠ الله والانسان . والحياة ...	الأستاذ محمد عبد المنعم خلاف .	
٦٣ هجرة الروح	الأستاذ زكي نجيب محمود ...	
٦٦ خيبة سراقة .. (قصيدة)	الأستاذ محمود حسن إسماعيل	
٦٧ الاسلام بين العقل والروح ..	الدكتور زكي مبارك	
٦٩ جريرة ميعاد	الأستاذ محمود محمد شاكر ..	
٧٢ القضايا الكبرى في الاسلام ، قتل الهرمزان	الأستاذ عبد المتعال الصعيدى	
٧٦ من روائع الرسول	الأستاذ قدرى حافظ طوقان	
٧٨ تحية الهجرة ... (قصيدة)	الأستاذ محمد عبد الغنى حسن	
٧٩ على عتبة الرسـول	الشاعر التركى إبراهيم صبرى للأستاذ عثمان على عسل ..	

عبقرية الإسلام



عبقرية الإسلام(1) عنوان وضعته لكتاب اشتغلت بإعداده منذ اشتغل العالم بهذه الحرب . وكان الذى وجه فكرى إلى هذا الموضوع ما وقع فيه الناس كافة من هذا التفانى الذريع لأسباب لا يصعب حسمها على العقل الأصيل . وبداهة الرأى أن نرجع إلى ما شرع فاطر الأرض وواهب الحياة ومنزل الوحى ، بعد أن عجز الذين طاولوه فى ملكه من دهاقين الحكم وأساطين العلم عن قسمة رزقه بين أشتات خلقه . وما كان لبشر سليم الفطرة ليرتاب

(1) عارضت بهـذا الكتاب العتيد أمير النثر الفرنسى شاتوبريان فى كتابه القيم الممتع « عبقرية المسيحية « Le Génie de christianisme »

فى أن الذى برأ الخلق على اختلاف فى القدرة والحيلة ، وأنشأ الغرائز على اتفاق فى الطمع والغيلة ، هو أعلم بما سينشأ فى كونه من تصادم القوى وتعارض الأهواء ؛ فلا جرم أن يكون شرعه دستوراً كاملاً تصلح عليه شؤون الفرد وأحوال الجماعة من كل جنس وفى كل عصر وعلى كل أرض

ولقد كانت إدامتى النظر والفكر مدى هذه السنين الأربع فى مصادر الإسلام الصافية مصداقاً لهذه الفكرة ؛ فإن غير الله لا يملك أن يضع فى الإسلام هذه الأسس والقواعد التى تضمن نظام العالم وسلامه مهما اختلفت الأحوال وتعاقبت الأجيال وتطاول الأبد . وهل كان — لولا وحى الله — فى مقدور رجل أمىّ نشأ ربيب اليُتم والعُدْم فى قرية جاهلة من قرى الحجاز الجديب أن يعلن فى أوائل القرن السابع حقوق الإنسان وحرياته ، وهى التى أعلنت بعضها بالأمس فرنسا نتيجة لتلك الثورة ، وتمنت بعضها اليوم أمريكا غاية لهذه الحرب ؟ !

***

عبقرية الإسلام هى ذلك الإشراق الإلٰهى الذى انبثق من غار حراء فكشف للرسول عن أطوار النفس البشرية فى طوايا الغيب فدعا دعوته الخالدة إلى تكريم الإنسان وتنظيم العمران وتعميم الخير وتحقيق السعادة ، من طريق التوحيد ، والمؤاخاة ، والمساواة ، والحرية ، والسلام . فالتوحيد سبيل القوة ، والمؤاخاة سبيل التعاون ، والمساواة سبيل العدل ، والحرية سبيل الكرامة ، والسلام سبيل الرخاء . وتلك هى الغايات التى ترجو الإنسانية بلوغها عن طريق العلم والمدنية فلا تتكشف أمانيها بعد طول السُّرى وفرط اللغوب إلا عن سحاب خُلّب وسراب خادع

هذه المبادئ المثالية التى تضمنتها دعوة الإسلام معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة ، فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تعسف . فالتوحيد ركن من أركان الدين وعنوان من عناوينه . وهو من الكلم الجوامع التى وعت جوهر الأصلاح وسر النجاح لكل مجتمع وأمة . هو توحيد الله ، وتوحيد العقيدة ، وتوحيد الغاية ، وتوحيد اللغة ، وتوحيد الحكم ، وتوحيد التشريع ، وتوحيد الدين والدنيا . وشواهد التوحيد فى أشتات معانيه مذكورة فى كتاب الله لا يختلف فى مدلولها أحد

وفكرة الوحدة الإنسانية هى مزية الدعوة المحمدية على كل دعوة . وفى سبيلها صدّق الإسلام بكل دين أنزل ، وبكل نبى أرسل ، ودعا الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً إلى خطة واحدة وكلمة سواء . ثم وصل الدين بالدنيا ، وكانت اليهودية والنصرانية تفصل بينهما ؛ فالأولى كان همها الصفق والاجتراح ، والأخرى كان سبيلها الرهبانية والتنسك . ولكن الإسلام جعل الدين للدنيا كالروح للجسد ، فلا تعمل إلا بوحيه ، ولا تسير إلا بهديه . ثم آخى بين المؤمنين ليجتمعوا على صدق المودة ، ويتعاونوا على لأواء العيش ، فلا يبغى قوى ، ولا يبخل غنى ، ولا يظلم متسلط . بدأ ذلك بالتأليف بين الأوس والخزرج ، والمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ؛ ثم توثقت عرى الأخاء بين المجاهدين فى سبيل الله حتى صار المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وأصبح هؤلاء الإخوان القلال الضعاف فى بضع سنين أئمة للناس وورثة لكسرى وقيصر !

كذلك فى سبيل الوحدة الإنسانية والأخوة الإسلامية فرض الإسلام الزكاة ، وشرع الحج ، وأمر بالإحسان والبر ، ثم سوى بين الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم فى الحقوق والواجبات ، بمحو العصبية الوطنية ، وقتل النعرة الجنسية ، وجعْل التقديم والتكريم للتقوى ، فقال الرسول الكريم فى خطبة الوداع : « إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى »

فى هذه الأصول الإسلامية كما ترى أفضل ما فى الديمقراطية ، وأعدل ما فى الاشتراكية ، وأجمل ما فى المدنية . فهى حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وتقيم ما اعوج من نظام الدنيا . ولقد كانت كذلك يوم كان لحماتها دولة ولدعاتها صوت ولمتقديها يقين . فلما دالت الدولة ، وخشع الصوت ، وأراب اليقين ، تمزق المسلمون قطعاناً فى فدافد الأرض لا مرعى يجود ، ولا راع يذود ، ولا حظيرة تؤوى . ثم كانوا بتخلفهم عن ركب الحياة حجة على الإسلام فى رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجهل ، فصموا عن دعائه ، وعموا عن ضيائه . فليت شعرى متى يُتاح لدعوة محمد من يجدد حبلها ، وينشر فضلها ، ويقول لأولئك الذين يحاولون أن يرفعوا قواعد العالم على أساس جديد : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم »

احمد حسن الزيات

الروحانية بين الأنبياء الثلاثة

للأستاذ عباس محمود العقاد



الأديان الثلاثة: الإسرائيلية والمسيحية والإسلام، ظهرت كلها بين السلالات السامية وكان أنبياؤها جميعاً من الساميين

والإجماع منعقد على هذا بين المؤرخين كافة، نعنى انتساب موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام إلى هذه السلالة، يشذ عنهم « فرويد » العالم النفسانى الإسرائيلى المشهور، فهو ينسب موسى إلى الجنس المصرى القديم. وبعض الباحثين يقولون إن الجنس المصرى القديم منحدر من الأصول الأوربية

ويشذ عنهم فى أمر المسيح أولئك الدعاة الجرمانيون الذين يتسقفون الأنساب لكل عظيم فيردونه إلى الأصل الجرمانى أو السلالة الآرية على التعميم. فهؤلاء الدعاة يزعمون أن صفات المسيح المتواترة أقرب إلى الملامح الآرية الشمالية، وينظرون من جهة أخرى إلى الملامح الفكرية أو الأدبية فيزعمون أن الروحانية التى تظهر فى أقوال السيد المسيح أكبر وأرفع من طاقة « السلالة السامية » التى يحسبونها مقصورة على الماديات الملموسة والمطالب الأرضية القريبة

وكلا القولين — قول فرويد وقول الدعاة الجرمانيين — لا يؤيده دليل قاطع ولا يتعدى الأخذ بالظنون

فمن المستبعد أن يكون موسى مصرياً ثم تجتمع له زعامة الإسرائيليين من جميع القبائل والبطون فى الديار المصرية؛ ومن السخف أن يكون المسيح « آريا » تطبيقاً لقاعدة يخترعها دعاة الجرمانية، ثم يسندونها بالظنون ويعودون فيسندون الظنون بتلك القاعدة المخترعة

وعلى هذا يصح أن ينعقد الإجماع — كأصح ما انعقد فى مسألة من المسائل — على أن البيئة السامية هى البيئة التى ظهرت فيها الأديان الثلاثة، وأن موسى وعيسى ومحمداً جميعاً من سلالات الساميين

ألهذه الزية الجنسية دلالة عامة! وهل نشأت الأديان الكبرى الثلاثة بين أبناء الجنس السامى لسبب عنصرى يخص هذه السلالة، أو لسبب نفسانى يرجع إلى طبيعة العقيدة الدينية؟

تكلم فى ذلك المتكلمون فأثبتوا وأنكروا كما يحبون أو يكرهون. فمن قائل إن العقل السامي بفطرته مستعد للاعتقاد غير مستعد للتفكير أو الخلق الفنى والنظرات الفلسفية المجردة؛ ومن قائل إن العقيدة الدينية نفسها طور من أطوار الزعامة العنصرية التي تطور فيها الساميون إلى مداها الأقصى، قبل أن يخرج الآريون الشماليون من نظام القبيلة الأولى

ولا يتسع المقام للتقصى فى أقوال المثبتين والمنكرين، فحسبنا أن نقف فى أول الطريق على بر الأمان، فنقول إن العقائد الدينية ظهرت فى السلالات السامية يوم كانت تظهر فيهم جميع المعارف الكونية والنهضات الثقافية، فلا محل لتخصيص الأديان هنا بالعنصر السامى أو اتخاذ هذه الخاصة دليلاً عنصرياً من تلك الأدلة الكثيرة التى تختلط بالعصبيات

كانت الدول الكبرى كلها قائمة فى الرقعة الغربية من القارة الآسيوية، وهى الرقعة التى أقام فيها الساميون منذ مئات الأجيال. فشاعت المعارف الكونية من هذا الوطن القديم، ولم ينحصر الأمر يومئذ فى ظهور العقائد دون غيرها من النهضات أو الفتوح فى عالم الروح

***

نحن لا ننكر الفوارق العنصرية ولا نستخف بآثارها فى اختلاف الأمزجة والأخلاق وتباين المشارب والميول، ولكننا

لا نحب أن نعزو إلى الفوارق العنصرية إلا الذى يثبت ثبوتاً قوياً أنه راجع إليها . فلا نقول إن « العقائد » سليقة سامية إلا إذا تبين أن الآريين بمعزل عن العقائد ، وأن الساميين لا يمتازون بغيرها ، وأن المسألة محصورة فيهم على مدى العصور وليست مسألة عصر ومناسبة زمانية أو مكانية

كذلك نرجع إلى الروحانية بين الأديان الثلاثة فلا نجعل العنصرية حكماً فيها قبل أن نستنفد العوامل الأخرى جميعاً ، وإن جاز أن يذكر الاستعداد العنصرى بين عوامل شتى يحسب لها حسابها فى هذا الموضوع

فالذى يقال مثلاً إن السيد المسيح عليه السلام كان صاحب دعوة روحانية لا تشتغل بشئون الدنيا ولا بالمطالب العملية التى تحتاج إلى وضع النظم وفرض الشرائع ، وأن علة ذلك فى رأى بعض الباحثين أن المسيحية تشابه العقائد الآرية التى جعلت الدين للروح والضمير ولم تجعله لمطالب الجسد أو مطالب الحياة الاجتماعية والنظم السياسية

وهذا الذى يقع فيه الخلاف الكثير

فاهتمام السيد المسيح عليه السلام بالجانب الروحى من الدين لم يصرفه أولاً عن الجوانب الأخرى التى تناولتها سائر الأديان ، ولم يكن لفارق عنصرى بين الذين خوطبوا بالدعوة المسيحية والذين خوطبوا بالدعوة الإسلامية أو الدعوة الموسوية

واهتمام السيد المسيح بالجانب الروحى ليس معناه — من الوجهة الأخرى — أن هذا الجانب لم ينل حظه من الاهتمام فى دعوة محمد أو دعوة موسى عليهما السلام ؛ وإنما معناه أنه جانب من الجوانب الكثيرة التى عنى بها الإسلام خاصة ، وكان لها سهم فى العناية من وصايا الأنبياء الذين ظهروا فى بنى إسرائيل

وقبل أن نحصر الأمر فى علة « الاستعداد العنصرى » نعود إلى العلل المختلفة فنسأل : ألم تكن هنالك علل أخرى جعلت رسالة السيد المسيح أقرب إلى الروحانيات منها إلى العمليات والشئون الدنيوية ؟

فاذا سألنا هذا السؤال لم نستطع أن نقول إن السامية أو الآرية هما الحد الفاصل فى هذا الموضوع

فقد كانت هنالك علل كثيرة خليقة أن تقصر الدعوة المسيحية الأولى على مواعظها الأخلاقية التى أوشكت أن تقتصر عليها

فمن تلك العلل أن بنى إسرائيل كانوا أصحاب شريعة دينية مفصلة فى شؤون الحقوق والمعاملات قبل أن تتجه إليهم دعوة السيد المسيح ، وكانت آداب القائمين على تلك الشريعة هى موضع العهدة أو موضع الحاجة إلى الإصلاح ، فلا جرم تتجه إليهم الدعوة من هذه الناحية ولا تتجه من ناحية التشريع المفصل فى شئون الحكم وشئون المعيشة ، بل كان من قول السيد المسيح الصريح أنه لا ينقض الناموس ولكنه يثبته ويزكيه

ومن تلك العلل أن السيد المسيح ظهر فى بلاد يحكمها الرومان ويتولى إدارتها أولئك القوم الذين اشتهروا بالنظم والشرائع وتبويب الأوامر والقوانين ، وما لم تكن الدعوة المسيحية ثورة سياسية معززة بقوة الجند والسلاح فلا سبيل فى بدايتها إلى تفصيل الشرائع وانتزاع سلطان الحكم من أيدى القابضين عليه ، وإنما السبيل الأوحد أن تنصلح الأخلاق والضمائر بالعظة والهداية الروحية على السنة التى اختارها السيد المسيح ويختارها فى مكانه كل داع إلى دين جديد يتذرع إلى دعوته بالإقناع لا بالسلاح والصراع

فهذه العلة كافية لتعليل الصبغة الروحانية التى غلبت على المسيحية ، وإنها لأقرب إلى تعليلها من الرأى القائل باقتباس المسيحية من العقائد الهندية أو الآرية فى جملتها ، لأن هذا الرأى يلجئنا إلى إقامة فاصل بين ساميين وساميين ، ولا يبطل الاعتراض الذى يرد فى هذا الصدد حين يسأل السائل : وماذا كانت الدعوة المسيحية صانعة إذا هى فرضت الشرائع بغير حكومة وبغير ثورة مسلحة وبغير موافقة من أصحاب الأمر بين الرومان أو بنى إسرائيل ؟

أما الإسلام فلم يكن معقولاً أن ينحصر فى المواعظ الروحانية

دون غيرها ، لأن العرب لم يدينوا بشريعة عامة مفصلة قبل الإسلام تغنيهم عن تشريع جديد ، ولأن الإسلام قد تولى الحكم كما تولى الهداية النفسية ، فلا مناص هنا من إقامة الحدود وبيان الحقوق وتقرير الحكم فى كل شأن من شئون المعيشة تتولاه الحكومات

وكذلك موسى عليه السلام فى قيادته للقبائل الإسرائيلية ، لأنه كان فى مقام الزعيم الذى يسوس تلك القبائل بالشرائع المرعية فى زمانه والشرائع التى اقتضاها خروجه من ديار مصر إلى ديار كان فيها لبنى إسرائيل موطن قديم . فاهتم بتسجيل الشرائع المصرية والإسرائيلية والموسوية ، واهتم إلى جانب ذلك بمصالح قومه ، لأن العمل الأكبر الذى تصدى له إنما هو إنقاذ إخوانه فى العنصر والعقيدة ، فهو عمل « وطنى » مقدم فى زمانه على الوصايا الإنسانية العامة التى تشمل الأمم كلها كما تشملها كل نصيحة أخلاقية أو موعظة روحية

وهذه العلة كافية أيضاً لتعليل الصبغة العملية التى غلبت على الدعوة الموسوية فأصبحت شيئاً غير المسيحية فى الروحانية أو البشارة الإنسانية التى تخاطب جميع الأمم كما تخاطب بنى إسرائيل . ولا حاجة فى هذا المقام إلى التفريق بين ساميين وآريين ، أو التفريق بين طائفة من السلالة السامية وطائفة أخرى ، إذ لو كان موسى آرياً وكان أبناء إسرائيل آريين لما سلك غير مسلكه معهم فى شئون التشريع والمصالح الوطنية أو المصالح العنصرية

ونعود فنقول إننا لا ننكر الفوارق بين العناصر والأقوام ، ولكننا ننكر الفوارق التى يفرضها بعض الباحثين المتعسفين بغير دليل ولا قرينة راجحة ، ونحب أن نقيم البحث فى أسرار العقائد وأسرار نجاحها فى زمانها ومكانها على العلل الكونية التى جرى عليها نظام الوجود ، لأن الأسرار الإلهية التى توحى بها الأديان لن تناقض المعقول من سنن الكون وفطرة الأشياء .

عباس محمود العقاد

فقه عمر

للأستاذ محمود شلتوت

[عمر بن الخطاب هو أول من كتب التاريخ بالهجرة ، فأحيا بذلك مجدها ، وخلد على الزمان ذكرها ، لحق على الذين يحتفلون بهذا العيد أن يذكروا عمر !



للرسالة المحمدية جانبان : جانب التلقي عن الله رب العالمين ، وهو خاص بمحمد صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيه أحد من أمته ، وجانب الفهم والبيان ، والدعوة والإرشاد ، والعمل على توسيع نطاق الإسلام ومد رواقه ، وتنظيم الشئون بأحكامها ، وإلى هذا الجانب ترجع عزة الإسلام وبقاؤه على الدهر فتياً لا تزعزعه العواصف ولا تنال منه الأحداث . ويشارك الرسول من أمته في هذا الجانب من آتاه الله العلم والحكمة ، وقذف في قلبه النور والهداية ، وكشف له عن سر تشريعه ، وبصره بمواقع الأمر والنهي ، والتحليل والتحريم ، ووهبه غيرة تحمله على الجهاد في ذلك كله ، وعلى الصدق والإخلاص في هذا الجهاد !

وإذا كانت عزة الإسلام ترجع إلى الجانب الثاني ، وإلى قيمة ما يتصل به من جهود موفقة مخلصة صادرة عن الإيمان واليقين ، فإن من يقرأ سيرة عمر ، ويقف على جهاد عمر ، ويعرف مواقفه المجيدة أثناء خلافته وقبلها ، وأفكاره السديدة في حياة الرسول وبعدها ، يدرك بوضوح : لماذا كان عمر على رأس الذين أعز الله بهم شريعة الإسلام ، وركز أصوله ، وأرسى قواعده ، كما كان على رأس الذين أعلى بهم كلمته ، وأعز سلطانه ، ووسع ملكه ، ويدرك سر هذه الدعوة النبوية التي توجه بها محمد صلى الله عليه وسلم إلى ربه حين أنكره الناس ، وتألبوا عليه ، وتحالفوا على الكيد له ولرسالته : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك » وقد ضمن الله لنبيه إعزاز دينه ، ونصرة شريعته ، فأجاب دعوته وهدى أحب الرجلين إليه ، فكان إسلام عمر تنفيذاً للارادة الإلهية ، وتحقيقاً للدعوة النبوية ، وكان إعزازاً لدين الله برجل العزة والسلطان ، ونصراً لشريعة الله برجل الفهم والبيان !

* * *

لعمر رضي الله عنه نواح كثيرة : فهو رجل حرب وجلاد ، ورجل حكم وسلطان ، ورجل تقى وإيمان ، ورجل عدل ونصفة ، ورجل إشراق ونور ، ورجل فقه وقانون ، ولسنا بمستطيعين في مثل هذا المقال أن نلم بشواهد تلك النواحي من عظمة عمر ، فحسبنا أن نلم ببعض تلك الشواهد في ناحيته الفقهية التي هي أبرز نواحيه ، وأخص ميزاته ، فقد كان عمر في هذه الناحية نسيج وحده : شهد له بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفها فيه أصحابه رضي الله عنهم :

قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » وقال : « بينا أنا نائم أتيت بقدح من لبن حتى إني لأرى الري يخرج من أظفاري ، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب » قيل : فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال : العلم !

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله ، وأفقهنا في دين الله » « ولو أن علم عمر وضع في كفة ميزان ، ووضع علم أحياء الأرض في كفة لرجح علم عمر بعلمهم . ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم ! »

وقد سئلت عنه عائشة فقالت : « كان والله أحوذياً نسيج وحده »

* * *

لم يكن فقه عمر من هذا النوع الذي أودعه الناس بطون الكتب . لم يكن من هذا النوع الذي تجلت فيه روح العصبية الحادة ، ولونه الاتجاهات الطائفية ، والنزعات المذهبية ، لم يكن

من هذا النوع الذى جافى الحياة الواقعية فى كثير من صوره ومسائله ، ولا من النوع الغامض الذى التوت مسالكه ، وتعقدت أساليبه ، فصار بعيد المنال على من يريده أو يلتمس الانتفاع به من غير أهله . لم يكن من هذه الأنواع التى زعم الناس أنها فقه ، بل التى اغتصبوا لها كلمة الفقه لتدل عليها ، وإنما كان فقهاً ناصعاً واضحاً صافياً تستريح إليه النفوس ، وتطمئن إليه القلوب ، وتقضى به روح هذه الشريعة السمحة !

إن الفقه هو الفهم والفطنة والإدراك لما يريده الله تحقيقاً لمصالح عباده ، وتنظيماً لشئونهم ، وتيسيراً عليهم ، وإسعاداً لهم برغد العيش وطيبات الحياة

هذا هو الفقه ، وهذا هو فقه عمر !

كان أساس الفقه عنده هو المصلحة ، يقدرها قلب امتلأ بالإيمان والإخلاص ، ويزنها عقل راجح منصف لا يميل به الهوى ، ولا يفسده الغرض ؛ ذلك بأنه رأى الكتاب الكريم يعلل الأحكام بالمصالح ، ويربط بينهما وجوداً وعدماً ، وبقاء وانتهاء ، وأدرك ذلك فى جميع تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم

وقد ظهرت آثار هذا الفقه من عمر فى صنفين من الحوادث :

أحدهما : الحوادث التى كانت تنزل بالناس وليس فيها وحى يتبع ، فيقول الناس فيها ويقول عمر ، فينزل القرآن على نحو ما قال ، فكأنما ألهم به إلهاماً ، ولذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدَّثون ، فإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر »

وقد ذكر العلماء الوقائع التى وافق فيها الوحى رأى عمر ، وأوصلها بعضهم إلى نيف وعشرين ، نذكر منها على سبيل المثال والتطبيق رأيه فى أسرى بدر ، ورأيه فى الحجاب ، ورأيه فى الصلاة على من مات من المنافقين

فأما رأيه فى أسرى بدر فإنه لما تم النصر للمسلمين فى هذه الغزوة ، ووقع كثيرمن المشركين أسرى فى أيديهم ، عرض النبى صلى الله عليه وسلم أمرهم على أصحابه ، فقال أبو بكر : يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار وعسى الله أن يهديهم للاسلام . وقال عمر : لا والله يا رسول الله ! ما أرى الذى رأى أبو بكر ، ولكنى أرى أن تمكننا منهم فنضرب أعناقهم ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللين ، ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة » ثم ضرب إبراهيم وعيسى مثلاً لأبى بكر ، وضرب نوحاً وموسى مثلاً لعمر ، وأخذ برأى أبى بكر فحكم بالفداء ، فأنزل الله قوله : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم »

فررت الآية رأى عمر ، ونعت عليهم فكرة الفداء مبينة أن سنة الأنبياء الداعين إلى الله ، المنشئين للأمم ، ألا يأخذوا الأسرى طلباً للفداء إلا بعد أن يكونوا قد أثخنوا فى الأرض ، وظهرت لهم القوة والغلبة على أعدائهم ، وتمكنوا من إبادة جراثيم الشر والعدوان التى من شأنها أن تقف دون نجاح الدعوة وتكوين الدولة . ولا ريب أن هذا هو الفقه الذى يرمى إليه عمر بقوله « إن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها » وإنه لخير للمجاهدين قبل أن يتمكنوا من خصومهم أن تجرد نفوسهم من كل غرض مادى ، وأن تملأ قلوبهم بالروح المعنوية التى تحملهم على بذل النفس والتضحية بها فى سبيل الله ابتغاء لما عنده وإيثاراً لعقبى الدار

ولذلك نهى عن الفداء أولاً ، ثم شُرع أخيراً بعد أن استقرت دولة المسلمين ، وقويت شوكتهم

وأما رأيه فى الحجاب فإنه يؤخذ من كثير من الروايات أن عمر كان شديد التطلع إلى أن يحتجب نساء النبى صلى الله عليه وسلم تمييزاً لهن عن سائر النساء ، وحفظاً لجلال الرسالة وتوفيراً للهدوء النفسى على النبى صلى الله عليه وسلم ، وإبعاداً لأسباب الأذى عنه ، فكان يقول : « لو كنت أطاع فيكن لما رأتكن عين » ويقول « يا رسول الله : لو اتخذت حجاباً ، فإن نساءك لسن كسائر النساء »

فنزل القرآن فى ذلك تقريراً لما أشار به عمر ، وتأييداً لفقهه الذى بنى عليه « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء » « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى »

« إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق » « وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب »

وأما الصلاة على من مات منافقاً ، فقد روى كثير من المحدثين عن ابن عباس قال : سمعت عمر يقول : « لما توفى عبد الله بن أبى دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فلما أراد الصلاة قلت : أتصلى على عدو الله عبد الله بن أبي القائل كذا وكذا ، والقائل كذا وكذا ، ورسول الله يبتسم ، حتى إذ أكثرت قال : يا عمر أخر عنى إنى قد خيرت ، ثم صلى عليه ومشى حتى قام على قبره ، قال عمر فعجبت لى ولجراتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزل « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » ، فقد وجهت الآية منع الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم بمثل ما وجه به عمر رأيه : قالت « إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » وقال عمر « أتصلى على عدو الله القائل كذا وكذا ؟ »

والصنف الثانى من الحوادث التى تجلى فيها فقه عمر ، هو الحوادث التى عرف فيها حكم ، واتخذت صورة عملية بين المسلمين ، وقد كان عمر يغلب فى هذا الجانب أيضاً روح الشريعة وعدالتها وتقديرها للمصالح على الصور التى عرفها الناس من قبل ؛ وكما حفظ له العلماء موافقاته حفظوا له كثيراً من هذه المسائل التى كان له فيها رأى غير ما كان معروفاً ، واتخذ رأيه صورة عملية أقرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقة منهم بفقهه وعدالته ، وأنه لم يحد قيد شعرة عن الحق

وحسبنا اليوم لضيق المجال أن نشير إلى رأيه فى المؤلفة قلوبهم ، وفى صلاة التراويح ، وفى الطلاق الثلاث بكلمة واحدة وفى توزيع العطاء ، وفى الأراضى التى فتحها المسلمون عنوة ، وفى متعة الحج ومتعة النكاح ، وفى حد شارب الخمر ، وفى السرقة عام المجاعة ، وفى قتل الجماعة بالواحد ، ونحو ذلك من المسائل التى تدل على أن عمر كان فقيهاً بروحه وطبعه ، وعلى أن فقهه كان مبنياً على إدراك المصالح التى انبنى عليها التشريع ، وأرشد إليها القرآن الكريم ، حيث يقول « والله يعلم المفسد من المصلح » « قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة » إلى غير ذلك من الآيات

أما بعد : فإذا كان هذا المبدأ قد عمل به عمر ، ونزل به الكتاب ، وأيده الرسول ورضى به الأصحاب ، فجدير بالعلماء أن يجعلوه مبدأهم ، وأن يبنوا عليه فقههم ؛ فذلك أجدى عليهم وأدعى إلى أن يتقبله الناس عنهم ، وأقوى أن يدفعوا به فى صدور أعداء الفقه الإسلامى ، وأجمع لكلمة المسلمين ، وأنفى لهذا التفرق المذهبى الذى جعلنا شيعاً وأحزاباً ونزع هيبتنا من صدور أعدائنا . أسأل الله الكريم أن يهدينا إلى الصواب ، ويبصرنا بالرشاد ، ويجمع على الحق كلمتنا إنه سميع مجيب .

محمود شلتوت

عظة العيد
وعبرة الذكرى

لصاحب العزة الأستاذ أنطون الجميل بك



إذا كانت «الهجرة النبوية» من «مكة» إلى «يثرب» قطب الدائرة في انتشار الرسالة المحمدية واستطارة الدعوة إليها من الشرق إلى المغرب في حقبة قصيرة من الزمن، فإنها إلى جانب هذا حادثة من أعظم حوادث التاريخ وأبلغها أثراً في تغيير اتجاهات الإنسانية. وقد صار يوم الهجرة أو التاريخ الهجرى بداية تاريخ جديد إلى جانب تاريخ الخليقة والتاريخ الميلادى. فلا بدع أن ينصرف الباحثون والمنقبون من جميع الأمم منذ ثلاثة عشر قرناً، إلى درس ذلك اليوم التاريخى، فيتناولوا بالبحث والتحليل ما سبقه من المقدمات، وما صاحبه من الحوادث، وما أعقبه من النتائج، حتى أنه ليخيل أنه لم يبق من زيادة لمستزيد.

ولكن الحوادث الكبرى فى تاريخ البشرية كنز عبر لا يفنى، ومعين فوائد لا ينضب، يرجع المرء إليها كلما تعقدت حوادث حاضره، والتبس عليه مصيره فى مستقبله.

والشرق اليوم، فى صبره على الحاضر وانتظاره المستقبل، أحوج ما يكون إلى استخلاص الفوائد والعبر من عظائم الحوادث الغابرة. والإنسان أمام المستقبل المجهول يبحث فى الماضى عن قبس ينير له الطريق: فالسياسى يعود إلى السوابق، والقانونى يرجع إلى العرف والتقاليد، والاجتماعى يذهب منقباً فى ثنايا التاريخ.

أما العبرة التى نحتاج إليها من هذه الذكرى فى حاضرنا فهى ما اكتنف الهجرة من اضطهاد؛ وأما الفائدة التى ينبغى أن نستخلصها لمستقبلنا فهى ما قضت به على ذلك المهاجر القدام من تضحية. فنفهم حينئذ حق الفهم أن كل دعوة تقوم على يقين صادق وإيمان راسخ لا يستطيع أحد أن ينال منها. فهى كالحرية: كل ما يصنع ضدها يعود بالخير عليها. والإرادة الثابتة لا غالب لها، فهى تتخذ من كل ما يقوم في وجهها من العقبات درجات ترتقيها إلى هدفها الأسمى.

فالالتجاء إلى الهجرة انتهى بتآلف المهاجرين والأنصار، والعودة إلى الديار تحت رايات الانتصار

والاضطرار إلى الاختباء فى ظلمات (الغار)، مهد الظهور فى وضح النهار

ومن السكون الموحش الذى خيم فى تلك الليلة الليلاء، انطلق ذلك الصوت المدوى فى جميع الأرجاء.

كل فكرة لا تضطهد لا تعيش. وكل دعوة لا تقاوَم لا تقوم على أساس. وكل صاحب رسالة لا يضحى فى سبيلها بأعز ما لديه يفشل وينكص على الأعقاب.

تاريخ الأنبياء والرسل شاهد على ما نقول. بل هذا تاريخ أبطال العالم وعظمائه يدل من الوجهة الإنسانية البحتة على أن الفكرة الكبيرة تحتاج إلى مقاومة، وإلى اضطهاد، وإلى تضحية، لترسخ وتقوى وتنتشر، كالشجرة تعمل فيها الفأس قطعاً فتزداد نمواً، أو كالأرض لا تخرج أحشاؤها خيراتها إلا إذا ذهب المحراث فيها شقاً.

وفى الشرق اليوم «فكرة» تجتمع حولها أمانى الأفراد، وتتلاقى نزعات الجماعات — فى السياسة وفى الاقتصاد وفى الثقافة. وإذا كان المقام لا يتسع للتفصيل، وإذا كانت صبغة هذه

بركه خان

أول مسلم من ملوك التتار

للدكتور عبد الوهاب عزام



— ١ —

انقسمت مملكة جنكيزخان بين بنيه الأربعة: جوجي وجقتاي وأوكتاي وتولوي، وذرياتهم. تسلط تولوي أصغر أبنائه على منغولستان الشرقية، فورث ملك أبيه في مملكته الأصيلة.

وكان من أولاده الذى فتحوا إيران والعراق، وأزالوا الخلافة العباسية من بغداد. وتولى أوكتاى على جونغاريا فى أواسط آسيا. وملك جغتاى فيما وراء النهر. وحكم بنو جوجي وهو أكبر بنى جنكيز فى صحراء القفجاق (دَشت قبچاق) وما يجاورها.

— ٢ —

وكان جنكيز أعطى ابنه الأكبر جوجي الأرض التى شمالي نهر سيحون حيث قامت من قبل مملكة قراختاى، ولكن جوجي سار صوب الغرب فاتحاً ثم خالف على أبيه، ومات فى حياة والده، فورث ملكه ابنه الأكبر أوردا

وكان لجوجي أربعة أبناء آخرين: باتو وتوقاتيمور وشيبان ونوغاى، تولوا هم وذرياتهم الملك فى شرقي أوربا، صحراء القفجاق وما يتصل بها كما تقدم، وقد دام الملك فى شعبة منهم حكمت فى القريم حتى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى (١٧٨٣ م). وفى شعبة أخرى ملكت فى بخارى وخيوه إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى)

وكان أعظمهم شأناً وأوسعهم سلطاناً باتو وذريته؛ ودام الملك لهم زهاء قرن ونصف (٦٢١ — ٧٦٠ ق)[1]. وكانت دار ملكهم مدينة سراى على نهر إتل (نهر الفُلجا)

— ٣ —

توفى باتو سنة ٦٥٣ تخلفه ابنه سرتاق سنة واحدة، ثم تولى بركة (بركاى) عشر سنين بين سنتى ٦٥٤ و ٦٦٤

بركاى حفيد جنكيز وسليل هؤلاء المغول الذى دمروا الحضارة الإسلامية، دخل فى أخوّة الإسلام، وصار من بناة الحضارة الإسلامية، وحماة علمائها، فلم يعرف بعد باسم بركاى، ولكنه صار «أبا المعالى ناصر الدين بركة خان»، وحالف المسلمين ولا سيما ملوك مصر على ابن عمه هلاكو ليرد عدوانه عن المسلمين، ويكف يده عن تدمير حضارتهم.

كان إسلامه من بركات الشيخ نجم الدين كُبرَى الصوفي المعروف؛ فقد بث دعاته فى الأقطار للدعوة إلى الإسلام. وكان من تلاميذه الشيخ سيف الدين الباخرزى فأرسله إلى بخارى وأرسل سيفُ الدين أحد تلاميذه إلى بركاى فدعاه إلى الإسلام، وبيّن له عقائده وشرائعه، فاستجاب له وأسلم، ثم ذهب إلى الشيخ الباخرزى، فأكرمه وأجلّه وجدّد إسلامه ورجع إلى دار ملكه يدعو إلى الإسلام، ويعظم شعائره، ويبر علماءه، فأسلمت زوجه چچك خاتون واتخذت مسجداً من الخيام يحمل معها إن سارت

(١) من أشق الأبحاث التاريخية تأريخ دول المغول وتعيين أزمنتها ومواطنها.

الصحيفة الغراء لا تسمح بالتصريح، فإننا لا نتعدى النطاق المرسوم إذا قلنا إن هذه «الفكرة» تلاقى مقاومة من أهوائنا وغاياتنا المتنازعة في الداخل، ومن المطامع والمصالح المتضاربة فى الخارج. وهذه المقاومة نفسها كفيلة بتحقيق هذه الفكرة فى يوم يقاس قربه أو بعده بمقياس استعدادنا للتضحية فى سبيلها.

فيارجال السياسة والاقتصاد، ويارجال القانون والاجتماع، أيها المهيمنون على مقدرات هذا الشرق، المسؤولون عن مصايره، اتخذوا اليوم من ذكرى هذا الحادث التاريخى العظيم — التي يحتفل بها مئات الملايين من المسلمين ويشاركهم فيها مواطنوهم من سائر المذاهب — اتخذوا لنا ولكم من هذه الذكرى عظة، ومن هذا العيد عبرة!

أنطونيه الجميل

وكاتب ناصر الدين بركة الخليفة المستعصم وبايعه وأرسل إليه الهدايا . يقول ابن عربشاه وهو عليم بأحوال بركة وأمور مملكته ؛ أقام فى مدينة سراى دار الملك سنين وتزوج بها وولد له فيها أولاد :

« ولما تشرف بركة خان بخلعة الإسلام ، ورفع فى أطراف الدشت[1] للدين الحنيفى الأعلام ، استدعى العلماء من الأطراف والمشايخ من الآفاق والأكنان ، ليوقفوا الناس على معالم دينهم ، ويبصّروهم بطريق توحيدهم ويقينهم . وبذل على ذلك الرغبات ، وأفاض على الوافدين منهم بحار الهبات ، وأقام حرمة العلم والعلماء ، وعظّم شعائر الله وشعائر الأنبياء . وكان عنده فى ذلك الزمان وعند أوزبك خان بعده وجانى بك خان ، مولانا قطب الدين العلامة الرازى ، والشيخ سعد الدين التفتازانى ، والشيخ جلال الدين شارح الحاجبية ، وغيرهم من الفضلاء الحنفية والشافعية ، ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين البزازى ومولانا أحمد الخجندى رحمهم الله تعالى . فصارت سراى بواسطة هؤلاء السادات ، مجمع العلم ومعدن السعادات ، واجتمع فيها من العلماء والفضلاء ، والأدباء والظرفاء ، ومن كل صاحب فضيلة ، وخصلة نبيلة جميلة مالم يجتمع فى سواها ، ولا فى جامع مصر ولا قراها »

ويقول ابن بطوطة عن مدينة سراى : « وفيها ثلاثة عشر مسجداً لإقامة الجمعة أحدها للشافعية . وأما المساجد سوى ذلك فكثيرة جداً . »

أسلم بركة فشملته أخوة الإسلام الجامعة ، وهدته سننه الرشيدة ، وتبنّته الحضارة العظيمة التى اجتمعت عليها عقول المسلمين وأيديهم منذ قرون . وتقطعت الأسباب بينه وبين قرابته من المغول ، وانفصمت بينه وبينهم الأواصر ، ووقعت العداوة بينه وبين ابن عمه هُلاكو ، وثارت الحرب بينهما . فأمر بركة جنده الذين كانوا فى جيوش ابن عمه أن يخذلوه ويرجعوا فإن لم يستطيعوا فليتوجهوا تلقاء الشام ومصر ليعينوا الملك الظاهر بيبرس على هلاكو . فانظر إلى أمراء المغول الذين شاركوا فى تدمير البلاد الإسلامية ، وقاتلوا المصريين فى عين جالوت وغيرها ، يقودهم الإسلام إلى مصر نجدة للمسلمين على حرب هلاكو وأشياعه

بلغ أمراء بركة دمشق فى السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ستين وستمائة ، وهم زهاء مائة معهم نساؤهم وأولادهم ، وأخبروا بانتصار بركة على هلاكو فشاعت البشرى فى الشام ومصر ، وسر الملك الظاهر بقدومهم ، وكتب إلى نوابه فى الشام فأكرموا وفادتهم وأرسل إليهم الأقوات والخلع . ثم ساروا إلى مصر ، فبلغوا القاهرة يوم الخميس الرابع والعشرين من ذى الحجة ، وخرج السلطان للقائهم يوم السبت ، وخرج أهل القاهرة والفسطاط لرؤيتهم ، واحتفوا بهم حفاوة عظيمة ، وأنزلوا فى دور بنيت لهم فى اللوق ، وأرسل إليهم السلطان الأموال والخيل والخلع ولعب معهم الكرة وأمّر أكابرهم على مائة فارس . وأسلموا وحسن إسلامهم . ولما بلغ التتار ما نال هؤلاء من الكرامة فى مصر وفدوا جماعة بعد أخرى . وقدم البريد من حلب فى ذى القعدة سنة إحدى وستين بأن جماعة من التتار يزيد عددهم على الألف ومعهم ثلاثمائة فارس من المغل قادمون إلى مصر ؛ فأمر السلطان بالحفاوة بهم ، ثم استقبلهم حين قدموا كما استقبل إخوانهم من قبل ولحقت بهؤلاء جماعات أخر

وتوالت الرسائل بين الملك الظاهر بيبرس وبين الملك بركة خان وحرّضه الظاهر على جهاد هلاكو ومحاربة التتار ولو كانوا أهله « فإن النبى صلى الله عليه وسلم قاتل عشيرته الأقربين وجاهد قريشاً ، وليس الإسلام قولاً باللسان ، والجهاد أحد ما له من الأركان »

كذلك سبق بنو باتو إلى الإسلام وشرع الدين الحنيف يفتح قلوب التتار ، ويدخلهم فى إخوّته وينظمهم فى جماعته ويطبعهم بحضارته . وهزم بالدعوة الظافرين بالسيف ، وغلب فى السلم الغالبين فى الحرب ، ولم تستعص قسوة التتار على هدى الإسلام ، ولا كبرياؤهم على عزّته ، ولا عداوتهم على مودّته ، ولا إفسادهم على إصلاحه ، ولا تخريبهم على تعميره . وإنها لآية من آيات هذا الدين ، وحجة على من زعم أن الناس دخلوا فى الإسلام كارهين

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

(١) يعني دشت قبجاق « صحراء القفجاق »

هزيمة الشيطان

للأستاذ علي محمود طه



ألا ما لهذا الليل تدجى جوانبه
على شفق دام تلظى ذوائبه !؟

وما ذلك الظل المخوف بأفقه
يطل فترتد ارتياعاً كواكبه !؟

أأبتها الأرض انظرى، ويبك اواسمعى !
توثب فيك الشر حمراً مخالبه

أرى فتنة حمراء يلفظها الثرى
دخاناً تغشى الكائنات سحائبه

وأشتم من أنفاسها حر هبوة
كأن هجير الصيف يلفح حاصبه

أرى قبضة الشيطان تستل صارماً
توهج شوقاً للدماء مضاربه

تسلل يبغى مقتلاً من «محمد»
لقد خيب الباغى وخابت مآربه

تقدم سليل النار ! ما الباب موصد !
فماذا توقاه، وماذا تجانبه ؟

تأمل ! فهل إلا فتى فى فراشه
إلى النور تهفو فى الظلام ترائبه !؟

يسائلك الأشياع زاغت عيونهم
وأنت حسير ضائع اللب ذاهبه :

ترانا غفونا أم ترى عبرت بنا
نفاثة سحر خدرتنا غرائبه !؟

وما زال منا كل أشوس قابضاً
على سيفه لم تخل منه رواجبه

ترى كيف لم تبصر غريمك سارياً
وأين ترى يمضى ؟ وتمضى ركائبه ؟

تقدم، وجس فى الدار وهناً ؟ فما ترى ؟
لقد هجر الدار النبى وصاحبه !!

يحثان فى البيداء راحلتيهما
إلى جبل يؤوى الحقيقة جانبه

فقف وتنظر حائراً نصب غاره
تحداك فيه ورقه وعناكبه

لتعلم أن الحق روح وفكرة
يذل لها الطاغى وتعنو قواضبه

فطر أيها الشيطان ناراً أو انطلق
دخاناً، فأخسئ بالذى أنت كاسبه !

خسئت ! ولو لم يعصم الحق ربه
طوى الأرض ليل ما تزول غياهبه

الطريقة المثلى
في دراسة الفقه الإسلامي

للأستاذ محمد محمد المدني



كلما أقبل عيد من أعياد الإسلام أو أظل الناس موسم من مواسمه، ذكرت الفقه الإسلامي فجعلت الحديث عنه هديتي إلى العيد، واحتفالي بالموسم، ذلك بأني رأيت الكفاح في هذا العالم مهما تنوعت أشكاله، وتعددت صوره إنما يبدأ من الفكرة: لكل أمة في الحياة شرعة ومنهاج، وكل أمة تكافح لتسمو فكرتها، ويسود منهاجها، وهذا الفقه هو برنامج الإسلام العملي لهذه الحياة، فهو فكرتنا ومنهاجنا، ويجب أن يبتدئ منه كفاحنا، وأن يعتمد عليه جهادنا، وأن تصدر عنه جميع دعوات الإصلاح والتقدم فينا

يجب أن نستقبل هذا الفقه بعناية، وأن نديم النظر فيه، والتأمل في أصوله ومصادره، وأن نخلصه من الشوائب، ونلائم بينه وبين العصر الذي نعيش فيه

يجب أن ندرسه دراسة جيدة تكون الغاية منها تخريج أعلام أئمة ذوي بصر وإدراك وملكات فقهية يرجع إليها في المشكلات، وينتفع بها في المعضلات

***

الفقه نوعان: فقه الفروع، وفقه الأصول، ولكل منهما كتب تهتم به، وتبحث فيه، ولكن النوع الأول قد فاز بالحظ الأوفر فعكف عليه الناس، وأمعنوا فيه بحثاً ودرساً، واختصاراً وشرحاً، بينما ظل النوع الثاني مهملاً، وظلت كتبه في زوايا المكتبة الإسلامية لا يكاد يشعر بها أحد

والسر في هذا الاهتمام بالنوع الأول، وفي هذا الإهمال للنوع الثاني، يرجع إلى الفكرة القائلة: بأن باب الاجتهاد قد أغلق، وأن عهد المجتهدين قد انقضى فلن يعود. هذه الفكرة هي أصل الداء في كل ما أصاب الفقه الإسلامي، مما أوقف نموه، وأظهره بمظهر الجمود والتخلف ظلماً وزوراً. راجت هذه الفكرة بين أهل العلم فصرفتهم عن فقه الأصول إلى فقه الفروع، فقصروا هممهم على نوع معين من الكتب، ولم يكتفوا بأن يمنحوا هذه الكتب تقديرهم واعترافهم، وأحياناً تقديسهم حتى ساروا في دراسة الفقه على طريقتها شبراً بشبر وذراعاً بذراع: فالفقه في هذه الكتب أبواب بعضها في المعاملات وبعضها في العبادات، وكل باب من هذه الأبواب هو في جملته وتفصيله مجموعة من الأحكام الفرعية تجمعها رابطة واحدة هي أنها أحكام الصلاة أو أحكام الزكاة أو البيع أو نحو ذلك، ولهذا تعد هذه الكتب سجلاً واعياً لكثير من الفروع الفقهية التي تكونت بمرور الزمن من فتاوى المفتين واجتهاد المجتهدين وأحكام القضاة ونحو ذلك، وكثيراً ما تجد فيها أحكاماً هي وليدة الفرض والتقدير لا وليدة الحس والوقوع والمولعون بهذه الكتب يسيرون على نمطها لا يعدونه، ولا يسمحون لأنفسهم بالانحراف عنه، بل إنهم ليضعون مناهجهم الدراسية على أساس فهارس الكتب، وربما نقلوها نقلاً حرفياً إلى هذه المناهج!

وليتهم يتمون قراءة هذه الكتب، أو يقطعون في دراستها شوطاً بعيداً، ولكنهم يكتفون منها بالقليل الذي لا يعد تحصيلاً وجماً ولا يحسب درساً وفحصاً

***

ليست هذه الطريقة في نظر المنصفين دراسة للفقه، ولو عكف عليها إنسان مدى عمره لما كان — إن نجح فيها — إلا محصلاً للفروع، جامعاً لكثير من صور المسائل الجزئية وليس هذا هو الفقيه الذي نبتغيه!

إن هذه الطريقة تقضى على الفقه بالركود والجمود ، وتقضى على روح التفكير والإنتاج العلمى ، ولا تثير فى نفس الباحث شعوراً باللذة الفكرية ، ولا تغريه بالاسترسال مع البحث وتذليل صعابه ، وهى تعترض السبيل على الذين يريدون مجاراة التقدم العلمى والعملى فى هذا العصر ، ويدعون إلى تيسير وسائل الانتفاع بالفقه الإسلامى

نحن ندعو إلى العمل بالشريعة الإسلامية وجعلها أساساً للقانون والتشريع ، فكيف نقدم هذا الفقه لرجال القانون الذين ألفوا النظام والترتيب والمبادئ الواضحة ؟ كيف نقدمه لهم فى هذا الثوب المهلهل ، فى هذه الكتب المضطربة ، فى هذه المسائل المبعثرة ؟ بل كيف نقدم للمحاكم قاضياً ليس عنده روح الفقيه المتصرف المرن البصير بمبادئ التشريع وأصول الأحكام ؟

إن هذه الطريقة تفرض علينا عناية بعرف المتقدمين ، وعادات السابقين لا تحظى بمثلها عاداتنا وأحوالنا وما جد من نظمنا ووسائل حياتنا : نحن نعرف جيداً من هذه الكتب أحكام النقد الإسلامى فيما يتصل بشركات العنان وشركات الوجوه وشركات المضاربة ، ولا نعرف شركات التضامن ، ولا شركات التوصية ولا الشركات المساهمة ! إننا نعرف أحكام الفقهاء على المزابنة والمراطلة ، وبيع الفضة بالفضة والذهب بالذهب والدراهم الناقصة بالدراهم الكاملة والمغشوشة بالصحيحة ولا نعرف معرفة شافية حكم أوراق « البنكنوت » ، ولا نظام القرض المضمون ، ولا كيف تغطى أوراق النقد ، ولا كيف يتم البيع والشراء فى أسواق الأوراق ، ولا ما هو نظام القطع ونحو ذلك !

ونحن نقول أن شركات التأمين على الحياة أو على المصانع والمتاجر تتعامل مع الناس تعاملاً محرماً مع أننا لا نعرف التفاصيل الكافية لتكوين الحكم الصحيح على هذا النوع من التعامل بالحل أو الحرمة !

ونحن نقول : إن قضاة المحاكم الأهلية لا يحكمون بما أنزل الله حين يقضون على هذا بالسجن ويقضون على هذا بالغرامة ، ويحكمون على بعض الأموال بالمصادرة ... الخ ولعلنا لو تأملنا أحكامهم لوجدناها غير متعارضة مع الشريعة ، ولا مختلفة مع المبادئ الفقهية السليمة !

ونحن نشغل أنفسنا ونضيع أوقاتنا فى الفروض الفقهية التى لم تقع ، فنبحث عن الحكم « فيما لو غربت الشمس ، ثم عادت هل يعود الوقت أو لا يعود » وفيما « لو أحيا الله ميتاً بعد مؤنة وتقسيم تركته ، فهل له أن يأخذ ما بقى من ماله فى أيدى ورثته »[1] وفيما « لو تزوج شرقى بمغربية ولم يدخل بها وبينهما مسيرة عام وجاءت بولد لستة أشهر من وقت العقد ، فإنه يكون من الزوج لولاية أو استخدام »[2]

نحن نشغل أنفسنا بمثل ذلك ، بينما رجال القانون والتشريع فى البلاد وعلى رأسهم معالى وزير العدل يطلبون إلى كل مشتغل بالفقه والتشريع فى حفل عام أن يدلى برأيه فى مشروع تنقيح القانون المدنى ، ويتحدى خطيبهم من بدله على حكم فيه أو مادة تتعارض مع الشريعة الإسلامية ، فلا يغرينا ذلك ببحثه ولا النظر فيه مع أننا رجال البحث والنظر والنقاش والجدال

***

إن الفقه الذى ينبغى أن يعكف عليه أهل العلم ويشتغلوا بخدمته ودراسته ، ولا سيما فى أقسام الدراسات العليا هو فقه الأصول لا فقه الفروع ، ولست أقصد بالأصول هذا النوع من البحوث التى ترجع إلى معرفة الأدلة وكيفية الاستفادة منها وأحوال الألفاظ من حيث ما يعرض لها من النسخ والتعارض والترجيح ... الخ . ولكنى أريد معرفة القواعد الكلية المشتملة على أسرار الشريعة وحكمها ، أريد النظر فى المبادئ العامة ، ودراسة النظريات الفقهية الجامعة التى تتفرع عنها أحكام الجزئيات فى شتى نواحى الحياة ، كأن ينظر الباحث فى « قاعدة الملكية » مثلاً فيدرسها درساً وافياً ، ويعرف ما يتصل بها من التصرفات ، وما هو اتجاه الشريعة فى شأنها ، ومن الذى يثبت له هذا الحق ، وما مدى حرية المالك فى تصرفه ، وهكذا يتتبع آثارها ، ويسجل فروقها ، ويعرف آراء العلماء وأصحاب المذاهب فيها معرفة البصير الناقد المتخير الذى يعرف ما يعرف وينكر

(١) هذا الفرع والذى قبله فى شرح الدر حاشية ابن عابدين ج ١ ص ٣٥٢

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٦٤٧

ذكرى الهجرة

للأستاذ محمد فريد وجدي



إننا إن ذكرنا هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب فى العام الثالث عشر من الرسالة المحمدية، وجب علينا أن نذكر أنها كما كانت فاتحة عهد جديد للدعوة الإسلامية، كانت كذلك مقدمة لقيام أمة عالية، تألفت من طريق الإعجاز على غير السنن الطبيعية، أمة نموذجية لما يجب أن يكون عليه العالم تحت سلطان الأصول الخلقية، والآداب النفسية، لا تحت حوافز الحاجات المادية والضرورات المعاشية.

إن اجتماع القبائل لأجل أن تقوم من مجموعها أمة، ليس بالأمر الشاذ فى تاريخ البشر، وإن كان يستدعى مقتضيات كثيرة، وآماداً طويلة، فإن الحاجات الحيوية، والمطالب المادية كثيراً ما تدعو إليه وتحتمه. فالعوامل التى اضطرت الأفراد إلى الاجتماع على هيئة قبيلة لتأمين حياتهم، وضمان معاشهم، هى نفسها التى تضطر تلك الجماعات الصغيرة إلى التآلف والتضامن لتأليف أمة. وإذا كانت هذه العوامل تضطر بعض الحيوانات لتأليف جماعات منها لتتعاون على تذليل العقبات التى تحول بينها وبين ما هى فى حاجة ماسة إليه، فلا محل للتعجب من حدوث ذلك فى العالم الإنسانى، ولكن العجب كل العجب أن تتألف أمة تحت سلطان أصول خلقية، وآداب نفسية، ومبادئ عالية، لم تقم عليها أمة من قبل حتى ولا فى عهد الرسالات الدينية فى مثل هذه البرهة القصيرة التى تألفت فيها الأمة الإسلامية

ما ينكر عن بينة وفحص وروية وإعمال فكر وإدمان نظر، ثم ينظر فى قاعدة أخرى على هذا النحو، وقد ذكر العلماء كثيراً من هذه القواعد كقولهم: «المشقة توجب التيسير»، «الضرر يزال»، «العادة محكمة»، «تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة»، «الخراج بالضمان»، «الوسيلة والمقصد»، «ما يؤثر فيه الغرر وما لا يؤثر»، «اليقين لا يزول بالشك». الخ

وقد دعا إلى هذه الطريقة الفقيه المصرى «شهاب الدين احمد بن إدريس القرافى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ» فبث كثيراً من القواعد الفقهية فى كتابه «الذخيرة» ثم ألف كتابه الجامع المعروف «بالفروق» وفى مقدمته يقول:

«وهذه القواعد مهمة فى الفقه، عظيمة النفع، وبقدر الإحاطة بها يعظم قدر الفقيه ويشرف، ويظهر رونق الفقه ويعرف. ومن جعل يخرج الفروع بالمناسبات الجزئية دون القواعد الكلية تناقضت عليه الفروع واختلفت، وتزلزلت خواطره فيها واضطربت، وضاقت نفسه لذلك وقنطت، واحتاج إلى حفظ الجزئيات التى لا تتناهى، وانتهى العمر ولم تقض نفسه من طلب مناها، ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات لاندراجها فى الكليات، واتحد عنده ما تناقض عند غيره»

والأستاذ الأكبر المراغى يرى هذه الطريقة واجبة فيقول فى مذكرته التى جعلها برنامجه لإصلاح الأزهر منذ سنة ١٩٢٨ ولم ينفذها:

«يجب أن يدرس الفقه الإسلامى دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها فى الكتاب والسنة، والأحكام المجمع عليها، والنظر فى الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم كما كان يفعل السلف من الفقهاء»

وإنى فى مطلع هذا العام المبارك أسأل الله أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا، وأن يوفق الأزهر الذى هو حصن الدين والعلم والفقه إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين

محمد محمد المدنى

إن كل العوامل التي عملت لتأليف الأمة الإسلامية ، ليست من جنس العوامل التي دفعت لتأليف الجماعات البشرية ، فقد جرت السنة الطبيعية في تآلف الجماعات العظيمة ، أن تنتدب قبيلة كبيرة تحت قيادة زعيم معترف به ، لدعوة القبائل المجاورة تحت حافز قوى من مطلب أو مطالب مسلم بضرورتها لدى الكافة للقيام بتحقيقها ، فتحدث أولاً بينها اتفاقات جزئية مع حفظ كل منها لاستقلالها الذاتي ، ثم تأخذ هذه الاتفاقات في التطور تحت تأثير الحوادث الاجتماعية ، فتسقط موجبات التخالف بين هـذه الجماعات الجزئية شيئاً فشيئاً حتى ينتهي الأمر باندماج بعضها في بعض ، بعد مرور آماد طويلة .

ولكن الأمة الإسلامية قامت على غير هذه السنة الطبيعية فبدأت بدعوة رجل واحد إلى عقائد ومبادىء غير مسلم بها من الكافة ، بل كان قومه وعشيرته الأقربون أشد معاداة لها من غيرهم ، وتبعه أفراد منهم لا يغنون عنه ولا عن أنفسهم شيئاً . ثم اتفق أن تأثر بدعوته أفراد من قبيلتين في مواطن بعيدة عن موطنه ، تولوا دعوة ذويهم فقبلها كثيرون منهم . وهنا يجب أن يعلم أن العرب الجاهليين لم يكونوا يأبهون بتمحيص العقائد ، ولم يعتادوا أن يقتبسوا شيئاً من غيرهم ، بل كانوا يأنفون أن يخضعوا لزعيم من غير قبائلهم ، بله أن يعينوه على قومه ويستجلبوا بذلك على أنفسهم عداوة قبيل ليس بينهم وبينه ثأر قديم ، ولا سخائم موروثة

فلما هاجر النبي إلى موطن هؤلاء الذين قبلوا الدخول في دينه ، احتفلوا به أيما احتفال ، وخولوه الزعامة عليهم ، وعاهدوه على أن يحموا دعوته ويناضلوا عنها بأموالهم وأنفسهم . وانتشر الإسلام في تينك القبيلتين بيثرب وهما بنو الأوس وبنو الخزرج ، حتى لم يبق بيت فيهم لم يصبأ أهله إليه

تطور غريب لم يعد له شبيه في عالم الاجتماع البشري : جماعتان كانتا بالأمس على الوثنية تقبلان ديناً ليس بين دينهما وبينه أقل شبه ، ومناقض لما نشأنا عليه كل المناقضة . وليس ذلك فحسب ، بل يدعو إلى أصول ومبادئ كان يمقتها العرب قاطبة ، ولا تتفق وما طبعوا عليه ، وأشربوه من العصبية الجاهلية ، كمبدأ التوحيد في العقيدة ، ومبدأ المساواة بين الأجناس البشرية ، ونبذ التفاخر بالآباء ، والمباهاة بالمغامرات الحربية ، ويصرفها إلى العمل على تطهير القلوب بالمجاهدات النفسية !

هذا تطور عجيب في ذاته ، وأعجب منه أن يكون في بيئة كل ما فيها يدعو إلى التعويل على الوسائل المادية ، والإخلاد إلى الحياة الأرضية ؛ وأدعى للعجب منهما أن يتم ذلك التطور طفرة ، وهو لا ينشأ عادة إلا بعد تطورات متوالية ، وظروف مواتية

قلنا في مقدمة هذه المقالة أن تأليف هذه الجماعة كان مقدمة لقيام أمة عالية جعلت نموذجاً لما يجب أن تكون عليه الأمم ، بعد أن تبلغ من التطور حداً يسمح لها أن تقوم على مثل ماقامت عليه من الأصول الأدبية ، والمبادئ الخلقية . فإذا صح ما يقال من أن الحياة الإنسانية أصبحت في حاجة إلى مقومات اجتماعية غير التي تقوم عليها اليوم ، تتفق ومقررات العلم ، وتتلاءم وما هدى إليه البشر من الأصول الإنسانية ، بحيث تبطل بالقيام عليها الحروب ، ويتم بينها التعاون على توفير الخير لجميع الشعوب ، فلا سبيل إلى ذلك إلا باستبدالها الأصول الأدبية ، والمبادئ الخلقية ، بالأصول المادية البحتة التي تقوم عليها . وقد آنسنا في غضون هذه الحرب العالمية المستعرة أن التفكير أخذ يتجه صوب هذا التطور العظيم ، بإقامة الصلح على قواعد إنسانية تسمح لكل شعب أن ينال حظه من المواد الأولية ، وأن يعيش على قدم المساواة مع غيره من سائر الشعوب الأرضية . وهذه من مبادىء الدولة النموذجية التي كانت الهجرة النبوية فاتحة لإقامتها

فإذا احتفل المسلمون بيوم الهجرة وجب أن يذكروا معها أن هذا اليوم كان بدء إقامة الدولة الإسلامية التي بلغت من امتداد السلطان ، ورونق المدنية ، وزعامة العلم والسياسة إلى ما لم تبلغه أمة قبلها ، وشيدت للمبادئ الإنسانية صرحاً لن يزال قائماً ما دامت الحياة الأرضية .

محمد فريد وجدي

فى الرفيق الأعلى

للأستاذ درينى خشبة



لن أعفيك يا قلمى الحبيب من أن تذرف دموعك صلاة خالصة على فخر الكائنات ، بعد هذه القرون الطوال التى غبرت منذ أذرفت عيون المؤمنين حينما لحق الروح الكريم بالرفيق الأعلى ما كان أجَلَّها لحظات تتصل فيها الأرض بالسموات !

إن لم يكن بد من رفيق فى هذا السفر الطويل فما أختار لك إلا قلبى ودموعى !

لا عليك يا قلمى الحبيب ، فقد تستطيع أن تصم أذنيك عما يجلجل فى تيه الزمن ، من هُتاف المجد ، أو أنين الهزيمة ... فى الشرق والغرب ، والشمال والجنوب ، فما أريد لك إلا أن تصل سالماً إلى ماوراء هذه السنين الألف والثلثمائة والخمسين والإثنتين ، لتشهد فخر الكائنات محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فوق ناقته بأرض عُرَنَة يخطب المسلمين ، بل يخطب البشرية كلها ، قائلاً فيما يقول :

« أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته ، وأستفتح بالذى هو خير . أما بعد أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم[1] فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا[2] ! »

لشد ماوجفت قلوب المؤمنين لدى هذه الكلمة التى أرسلها

(١) بعض الروايات : اسمعوا قولى

(٢) ويروى بهذا الموقف أبداً . وغيره

فخر الكائنات بأرض عُرَنَة فى حجة الوداع التى كره بعضهم[1] أن يطلق عليها هذا الإسم فدعاها حجة الإسلام وحجة البلاغ !

لقد نظر المسلمون بعضهم إلى بعض وقد غشيتهم من تلك المبادأة بالوداع غاشية ... ألا ترى إلى الرسول الكريم يتلو عليهم بعد صلاة العصر فى اليوم نفسه ما أوحي إليه ثمة من قول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » فيسمعها أبو بكر فيبكى ، لأنه يضيفها إلى الكلمة التى قالها الرسول حينما زالت الشمس وهو قائم مقام إبراهيم يخطب ، فيعلم أنهما أمارتان من أمائر الفراق !

* * *

ثم ما هذه النُّوقُ الثلاث والستون ينحرها فخر الكائنات بِمِنَى يا رفاق ؟ ! أتكون عدد الدَّرَج إلى الرفيق الأعلى ؟ أليس قد بلغ الرسول الكريم عامه الثالث والستين من التقويم الهلالى ؟ أليست هذه هى الأمارة الثالثة ؟ لبيك أبو بكر إذن ، ولتبك الأجيال كلها معه ... فوالله لقد ظهرت الأشراط قبل هذا كله ... لم يكن النبى قد حج قط[2] ، فأمر هذه السنة أن يحج ليبين للناس مناسكهم ؛ وكان يعرض القرآن على صاحبه جبريل مرة واحدة كل سنة فى رمضان ، لكنه عرضه عليه مرتين فى هذه السنة ؛ وكان يعتكف العشرة الأواخر من رمضان لا يكلم الناس إلا رمزاً ، فلأمر ما اعتكف عشرين هذا العام ؟ أليس لأنه العام الأخير ؟

ويحك أيها الرجل محمد بن سيرين فيم رجوت أن تكون قراءتك هى العرضة الأخيرة ؟[3] أكان قلبك يحدثك كما حدث ابن عباس قلبه حينما نزلت : إذا جاء نصر الله والفتح ، فقال : داع من الله ووداع من الدنيا[4] ! ... أجل ... فهى العلامة التى حدث الرسول عنها عائشة ، قال : إن ربى كان أخبرنى

(١) منهم ابن عباس وطاوس

(٢) يروى أنه (ص) حج مرة أخرى قبل الهجرية والأكثرية على أنه . يحج حجة الوداع

(٣) فى طبقات ابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ٣ ط ليدن : عن محمد بن سيرين قال : كان جبريل يعرض القرآن على النبي (ص) كل عام مرة فى رمضان ، فلما كان العام الذى توفى فيه عرض عليه مرتين . قال محمد : فأنا أرجو ان تكون قراءتنا العرضة الأخيرة !

(٤) فى البخارى ج ٦ أن ابن عباس قال لعمر وقد سأله عن سورة النصر : أجل رسول الله أعلمه إياه

بعلامة فى أمتى فقال إذا رأيتها فسبح بحمد ربك واستغفره ، فقد رأيتها ... وقرأ إذا جاء نصر الله ...

***

لله هذا الدلج إلى البقيع متكئا على ذراع مولاه أبي مُوَيهبة حتى إذا بلغ مراقد السابقين إلى الجنة ، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، توقف قليلاً ثم قال يكلمهم : السلام عليكم أهل المقابر ، لِيَهْنِ لكم[1] ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ... ثم أقبل على مولاه يقول له : يا أبا مويهبة إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، خُيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة فاخترت لقاء ربى والجنة ؛ فيقول أبو مويهبة : بأبى أنت وأمى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فيقول له فخر الكائنات : لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربى والجنة !

ثم يأخذ فى الاستغفار للنائمين فى التراب ، أستغفر الله ، بل للنائمين فى روضات الجنة ، أولئك الذين استجابوا لنداء السماء الذى بَشَّره الله بلسان محمد ! فيا للوداع ويا للوفاء يا رسول الله !

أهذا فقط ؟ كلا يا رفاق ، القلم والقلب والدموع ! فقد حدَّث عقبة بن عامر الجُهَنى قال : إن رسول الله صلى على قتلى أُحُد بعد ثمانى سنين كالمودِّع للأحياء والأموات ثم اطلع المنبر فقال : إنى بين أيديكم فَرَط[2] ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض ، وإنى لأنظر إليه وأنا فى مقامى هذا ، وإنى لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تُنافسوا فيها[3]

ففى هذا الكلام معنى مما خاطب به رسول الله شهداء البقيع فقد هنأهم بما أصبحوا فيه مما أصبح الناس فيه ... وذكر إقبال الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ... وهو بعد صلاته على شهداء أحد يخطب الناس فلا يخشى عليهم أن يشركوا ، بل يخشى عليهم الدنيا أن ينافسوا فيها !

***

كان الرسول عند زوجه ميمونة عندما بدأ بالرسول شكوُه الذى تُوفى فيه[1] ، فذهب إلى زوجه عائشة ، وكأنها رأت أثر ما به من وعكة ، فقالت مداعبة : واراساه ! فتبسم الرسول صلى الله عليه وسلم وقال مداعباً : وددت أن ذلك يكون وأنا حى فأصلى عليك وأدفنك . فقالت عائشة غَيْرَى : أو كأنك تحب ذلك ؟ لكأنى أراك فى ذلك اليوم مُعْرِساً ببعض نسائك فى بيتى . فتبسم النبى أيضاً ، وتتامّ به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استُعِزّ به وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يُمَرَّض فى بيتى فأذِنَّ له فخرج بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر تخط قدماه الأرض عاصباً رأسه حتى دخل بيتى .

وقد سئل ابن عباس عن هذا الرجل الآخر من هو فقال : إنه على بن أبى طالب ، ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهى تستطيع !

وذهب الرسول إلى الفضل بن عباس فأخذ بيده حتى جلس على المنبر وهو معصوب الرأس ثم قال : نادِ فى الناس ، فاجتمعوا إليه ثم قال : أما بعد أيها الناس فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وإنه قد دنا منى حقوق من بين أظهركم ، فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستَقِدْ منه ، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضى فليستقد منه ، ألا وإن الشحناء ليست من طبعى ولا من شأنى ، ألا وإن أحبكم إلى من أخذ منى حقاً إن كان له ، أو حلَّلنى ، فلقيت الله وأنا أطْيَبُ النفس ، وقد أرى أن هذا غير مغنٍ عنى حتى أقوم فيكم مرارا

أى والله يا رفاق ، القلمَ والقلبَ والدموع ، إن رسول الله وفخر الكائنات يخشى أن يلقى الله ولأحدٍ عنده حق لم يأخذه منه ، فهو يعطى ظهره لمن يرى أن يستقيد منه ، وهو يريد أن يحلله من لا يريد أن يأخذ حقه حتى يلقى الله وهو أطيب النفس . ثم هو يرى أن ذلك كله غير مغن من الله شيئاً ... فوارحمتاه لنا نحن يا رفاق !

(١) رواية الطبرى ج٣ وفى غيرها : ليهنكم وليهنىء لكم

(٢) الفرط بفتحتين الذى يتقدم الواردة فيهيء لهم الأرشاء والدلاء ويمدر الحياض ويستقى لهم (عن الجوهرى)

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ١٠

(١) هذا من كلام عائشة رضى الله عنها

ثم صلى النبي الظهر وعاد فجلس على المنبر ليحاسبه الناس ، فقال له واحد منهم : يا رسول الله إن لي عندك ثلاثة دراهم ، فأمر النبي الفضل أن يعطيه إياها ؛ ثم قال النبي : يا أيها الناس من كان عنده شيء فليؤدِّه ولا يقل فُضُوحُ الدنيا ، ألا وإن فضوحَ الدنيا أيسر من فُضوح الآخرة . فقام رجل فقال يا رسول الله عندي — أي في ذمتي — ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله ، قال ولم غللتها ، قال كنت إليها محتاجا ، قال خذها منه يا فضل ... ثم قال الرسول يا أيها الناس من خشي من نفسه شيئاً فليقم أدْعُ له ، فجعل الناس يقومون يعترفون بذنوبهم بين يدي رسول الله يدعو الله لهم ، حتى قام أحدهم فقال : يا رسول الله إني لكذاب وإني لمنافق ، وما من شيء إلا قد جنيته . فقام عمر بن الخطاب فقال : فضحت نفسك أيها الرجل ! فقال رسول الله يا ابن الخطاب فُضوح الدنيا أهون من فُضوح الآخرة ، اللهم ارزقه صدقا وإيماناً وصَيِّر أمره إلى خير ، فقال عمر كلمة ، فضحك رسول الله ثم قال : عمر مني وأنا مع عمر ، والحق بعدي مع عمر حيث كان !![1]

فهل عرفتم هذا يا رفاق ؟ رسول الله يجلس ليحاسب نفسه وليحاسبه الناس وليحاسب الناس على ثلاثة دراهم ، لأن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ! ورسول الله لا يدع لليأس من رحمة الله سبيلاً إلى نفوس المؤمنين ؛ فهو يعرض على من يخشى من نفسه شيئاً أن يقوم فيدعو له ! وهذا عمر بن الخطاب يتميز على الرجل من الغيظ فيضحك رسول الله ويداعبه ، كما داعب عائشة من قبل . فمن منا حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله ؟ ومن منا عمل حساباً لفضوح الآخرة الذي ينكشف بين يدي الله لا فضوح الدنيا الذي ينكشف بين أيدي الناس ؟!

رَبِّ أين نحن اليوم ؟!

* * *

إسمعوا إلى الرسول الكريم وهو يناجي ربه ويسأله الشفاء يا رفاق !

واسمعوا إلى أزواجه يداعبنه لما يرين من شكواه فتقول إحداهن : لقد اشْتكيتَ في شَكْوِك شكوى لو أن إحدانا اشتكته لخافت أن تجد عليها ، فيتبسم ويقول : أولم تعلمي أن المؤمن يُشدَّد عليه في مرضه ليُحط به خطاياه ؟

واسمعوا إليه وهو يطلب ماء يصب عليه من سبع آبار عسي أن تخف عنه بُرحاء الحمي كي يدخل فيخطب الناس موصياً بأسامة وبَعْثِ أسامة لما سمعه من لغط الناس عن تأمير أسامة !

واسمعوا إليه وهو في المسجد يوصي المهاجرين بالأنصار ، ويأمر « بسد هذه الأبواب الشوارع[1] في المسجد إلا باب أبي بكر ؛ فإني لا أعلم امرأ أفضل في الصحابة من أبي بكر »

واسمعوا إليه يأمر أن يصلي بالناس أبو بكر ، فتراجعه عائشة في ذلك ، متذرعة بشتّى الحجج ، مشيرة أن يصلي بالناس عمر ، فيغضب رسول الله ويذكر صواحب يوسف ! ويصلي بالناس أبو بكر . فإذا سئلت عائشة بعد عن سبب مراجعتها رسول الله قالت : « وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً . ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به ، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله عن أبي بكر ! »[2]

* * *

وهذا هو أبو بكر يصلي بالمؤمنين الصبح في هدأة الفجر... وهذا هو رسول الله قد خرج عاصباً رأسه لينظر إلى أمته وليفرح بها واقفة بين يدي الله فيتفرج المصلون لمرأى رسول الله وقد أوشكوا أن يفتتنوا من الفرح بفخر الكائنات ، فيعرف أبو بكر أن الناس لم يفعلوا ذلك ولا يصح أن يفعلوه إلا لرسول الله فينكص عن مصلاه ، فيدفع رسول الله في ظهره ويقول : صلِّ بالناس ، ويجلس إلى جنبه فيصلي عن يمين أبي بكر ، فإذا قضيت الصلاة أقبل رسول الله على الناس رافعاً صوته وهو يقول : أيها الناس سُعِّرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وإني والله ما تمسَّكون عليَّ بشيء ، إني لم أحل إلا ما أحل القرآن ولم أحرم إلا ما حرم القرآن » ، ويفرح المسلمون بصحة وِهِمُـوها في رسول الله ، ويفرح معهم أبو بكر ، ويستأذن أن يلحق أهله بالسنح . فاليوم يوم بنت خارجة ! »[3]

---

(١) الطبري سنة احدى عشرة ص ١٩١

(١) في ابن هشام في اللانظة

(٢) رواة البخاري الجزء السادس

(٣) ابن هشام

الله والإنسان والحياة

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف



— ١ —

جدِّدوا الإيمان بالله رب الوجود واهب الحياة كما وصفه القرآن القديم ، وحدَّثنا عن أعمال يده العلم الحديث ! فرُّوا من طنين الشكوك والفلسفات الحائرة حول « الوجود الأول » الذي صدرت عنه جميع الموجودات وأنشئت بتدبيره واختراعه ، ونسقت بفنه وابتداعه ، ودامت بحفظه ورعايته !

واعلموا أن مفتاح الشر وباب الضَّياع هو الشك في تلك الحقيقة الأولية العظمى ، والانفلات من قيودها وهي قيود أمانات الحياة كلها !

ابدءوا حياتكم الفكرية بالحديث النفسي والقلبي عن تلك الحقيقة لتتعرفوا إلى جلالها وجمالها ، ولتطردوا عن أذهانكم وسوسة الشر وشوشرة الباطل .

إبنوا أساس حياتكم على صخرة تلك الحقيقة الراسية ، وقاعدتها العريضة الواسعة ؛ لتطمئنوا إلى أن وجودكم مستند إلى وجودٍ أعظم ! وليس وهماً طائراً في أجواء هذه القوى العمياء التي يزخر بها الكون المادي .

اضربوا في رحاب الحياة ومتاهاتها ثم عودوا إلى مكانكم الأول في أحضان تلك الحقيقة مهتدين بالنور الذي يشع من هيكلها بالعُرَى الوثقى التي تمتد منها في كل اتجاه إلى الغرقى والضائعين والشاردين !

املأوا وجودكم بهذه الحقيقة واجعلوها تستبد بخواطركم ؛ فستكونون سعداء بهذا الاستبداد ، لأنه استبداد أساس البناء بالبناء كله إن يُحدِّث نفسه بالبعد عن دعامته الأولى ؛ فينهار ويذهب هباء تذروه الرياح

إنها حقيقة تبعث ذلك الشعور الصادق العجيب بالانسجام مع الكون كله ، وحسبكم به من سعادة ! وبالاستناد إلى دعائم الكون كله ، وحسبكم به من حماية ! وبالوصاية على أماناته كلها وحسبكم بها سيادة ! وبارتفاع العقل والقلب إلى مستوى رفيع يعلو بنظراتهما ويَرْحُبُ بخطراتهما ويَعْمقُ بأسرارها ؛ وحسبكم بها كرامة !

وعلى الباحثين عن مصادر السعادة الفردية والجمعية وعن المسرات الأصيلة في الحياة أن يفتحوا عيونهم وعيون الناشئين في الجيل الجديد على هذه الحقيقة دائماً ويمسكوا بعرى أسبابها ،

إلا أنَّ واحداً من المؤمنين فحسب لا تخدعه صحوة الموت في أمر رسول الله ! ذلك هو ابن عباس الذي يقول لعلي وقد فرح بشفاء محمد : « والله لأرى رسول الله (ص) سوف يُتوفى من وجعه هذا . إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت »(١)

وعاد رسول الله إلى بيت عائشة فاضطجع بين سحرها ونحرها ... « ودخل عبد الرحمن بن أم رومان ، أخي ، وفي يده سواك رطب ، وكان رسول الله (ص) مولعا بالسواك ، فرأيته يُشخص بصره إليه ، فقلت يا عبد الرحمن اقضم السواك فناولنيه فمضغته ثم أدخلته في فم رسول الله فجمع بين ريقي وريقه »(١)

وأخذت عائشة تعوذه بعد ذلك بدعاء كان من عادتها أن تعوذه به إذا مرض . لكن رسول الله رفع رأسه إلى السماء وقال :

« في الرفيق الأعلى ... في الرفيق الأعلى ... »

* * *

يا رفاقي الأحباء الأعزاء الأودَّاء ، القلم والقلب والدموع ! أين نحن الآن من هذا الرفيق ؟ أين نحن الآن من رسول الله ومما ترك لنا رسول الله !

دريني خشبة

(١) رواية البخاري

(١) رواية ابن سعد

ويعرفوها معرفة الرأى فى عقولهم والدم فى قلوبهم

وعبث لا طائل وراءه ، بل عناء ضائع ، بل جريمة موبقة أن يتجه محبو الإصلاح بقلوب الناس إلى قطب غير قطب تلك الحقيقة ، فإنه لا حق ولا طهر ولا عدالة ولا أمانة إلا فى محيطها

فليعرف ذلك الذين يدعون إلى تأسيس حضارة نفسية جديدة ويريدون أن يلائموا بين سياسة الاجتماع الإنسانى والسياسة التى تتجلى فى الطبيعة كلها

وحَسْبُ الإنسانية ما مضى من تجارب الشرود والجحود واللعب بالألفاظ . والانطلاق وراء خداع الفلسفات الشاذة وافتتان أرباب « الترف العقلى » الذين يتشهون كل غريب من الآراء يقدم إليهم على موائد الفكر ، كما يتشهى أرباب الترف المادى كل غريب يقدم إليهم على موائد البطون

— ٢ —

آمنوا بالإنسان الذى تحملونه فى أجسادكم ، وتستوحونه فى أفكاركم ، وتبادلونه ما صح وما فسد من شئونكم !

آمنوا به لتؤمنوا بالكون ورب الكون ... فلن يؤمن بهما من لم يؤمن به ؛ لأن عقله هو المنظار الذى ترون به كونكم وربكم . فإذا أهدرتم قيمة الإنسان أهدرتم عقله ، فلم يبق لكم ما تدركون به وجودكم وربكم !

ولكى تدركوا اللمحات التى تتراءى فى أعماق معنى الإنسانية حاولوا أن تتحرروا وتتجردوا وتخرجوا من نفوسكم ونوعكم وترصدوا الإنسان بعيون غريبة عنه وتروه بنظرات الملأ الأعلى ممن هو فوقه ، والملأ الأدنى مما هو دونه !

فأيقظوه لنفسه ، ونبهوه إلى امتياز وضعه ، وأقرئوه ما يكتبه الآن على صفحة الأرض

واتركوا الجدليات القديمة حول قيمته فقد هدرت شقاشقها حين كان عاجزاً عن شق الطريق أمام فكره

اخرجوا من غبار التاريخ القديم ، وافتحوا عيونكم على العالم كمخلوقين الآن ، تفكيرهم ابن زمانهم هذا ، ومنطقهم من وقائع الحاضر

أنظروا إلى الإنسان فى نصابه الأعلى دائماً ، ولا تنظروا إليه فى حضيضه الأدنى ؛ فإن من طبيعة كل كائن حىّ أرضىّ أن يكون له جِذْرٌ فى الطين والعُفونات ، أو أصلٌ فى الدم وبعض القاذورات

وإن النطفة التى خلق منها الإنسان أخلاط وأمشاج أخذت من العناصر الحادة والقوى العمياء ، ما يجعله منها على اضطراب وابتلاء ... وإن الفرد يحمل فى مجارى طعامه وفى أحشائه أوضاراً وأقذاراً نجسة تشمئز منها نفس حاملها ، ومع ذلك هو يقنع من نفسه بتقدير الوجه والرأس الذى يحمل الشخصية وقوى الفكر ...

فلا تنظروا دائماً إلى الذين هم فضلات فى جسم الإنسانية ، وتتخذوا منهم « مَقْطع » النظر إليها جميعاً . فيحملكم ذلك على التشاؤم والسخط والشك فى الخير والجمال الذى فيها

هم كالثمار الفجة المعطوبة عَطِبَت وتلوثت ، لأنها سقطت لضعف روابطها بفروع الشجرة التى تسمو

إننا نحمل أقباساً منيرة مطهرة من عالم الحق والطهر والجمال ولكنها وضعت فى أجسامنا : تلك الأوعية الطينية السريعة التعفن . فمن الناس من يدوم على تطهير وعائه وصقله حتى يستحيل إلى زجاجة شفيفة رائعة تساعد ذلك القبس على السطوع والإشراق

ومنهم من يتركه كما هو من غير تطهير وصقل بالعلم والتهذيب فيظل مُعتماً ويَحُول بين ذلك القبس وبين السطوع الكامل ...

ومنهم من يضع فى ذلك الوعاء ما يزيده عتمة وكثافة تَطْغَى على ذلك القبس وتمحق شعاعه وتجعله منبع ظلام

فلأجل النور ! نَبِّهوا كل مصباح إلى رسالته ، وَحُولوا بين الظلام وبين زجاجته ...

ولا تحملنكم حياة الظلام الراهن على أن تتشاءموا وتسخطوا وتحطموا ما بقى لكم من مصابيح ، فتعيشوا فى عمياء نهارها كليلها ...

— ٣ —

وصدّقوا الحياة وكذبوا المتكلمين الذين يعارضونها ، ويزعمون أنهم أصدق منها ، ويغرون الناس بسبابها وتحقيرها ، ويملأون قلوب فتيانها الناشئين بأحاسيس السخط عليها قبل

أن ينالهم منها ما يبرر ذلك ، ويخلقون لأنفسهم عوالم خيالية منفصلة عن الحياة ومنطقها العملى ، ويقذفون بكلمات جوفاء على كلمات البداهة والطبع فيحجبونها عن أنظار القاصرين الذين ينظرون نظراً سطحياً ، فيذهبون ضحايا الانخداع بزخارف القول المَغرور وأوهام الفكر الشّرود

والحياة بالغة الحجج مفحمة المنطق جارفة التيار ، تدفع الإنسانية دائماً إلى مجراها الذى يعُبُّ عبابه وتتضرّب أمواجه على رغم هؤلاء المتكلمين المتشائمين . فلا سبيل إلى الوقوف فى وجهها وتحويلها . وكل من زعم أن منطقه أصدق من منطقها فله ما شاء من زعمه . أما أبناء الحياة الذين سادوا فيها فلا يعرفون إلا وجه أمهم الواضحَ القسمات المعروف السمات . . .

واعتقادى أن الذى جنى على التدين أن الناس حسبوا منطقة الدين منفصلة عن الإحساس العام بالحياة ، وزعموا الدين لغير الحياة الدنيا ، لجابهوهما بقلب مُوزَّع وفكر حائر بينهما ، وحاول المتعبدون منهم الفرار من الدنيا قبل أن تستوفى ضرائبها منهم ويستوفوا تجاربهم فيها ، وظنوا العبادة فترات انسلاخ من الحياة بالطقوس والرسوم وما إليها من المظاهر التى هى مواقف « استعراض » للؤمنين لا أكثر . . . مع أن لُبَّ العبادة هو أن تشعر دائماً فى نفسك بفيض الحياة : ذلك الشأن الإلهى العجيب ! وأن تتيقظ لفعله فى ضربات قلبك وخطرات فكرك ، ونبضات خلاياك وهمسات نفسك ولمحات عينك ... وألا تنسى أنك دائماً تتاقى ذلك الفيض من ينبوعه الأعظم إلى أجل . . . فيحملك ذلك الشعور الملازم على أن تحافظ على وجودك الذى هو مظهر تلك الأسرار ومشكاة تلك الشعلة ، فلا تعطل قوة من قواه ، ولا تطمس رسماً من رسومه ، ولا تقعد به عن الزحام فى مجالات العمل الكريم الذى يذكى شعلة الحياة ويلقى إليها حطباً يشُبُّ ضِرامها ...

والوجود الإنسانى الكامل الصحيح هو الذى ينتج الشعور الصحيح والفكر الصحيح والخلق الصحيح والعمل النافع الدائم ؛ وهو الذى أنتج وسائل التغلب والسيادة على عقبات الطبيعة ، والقدرة على تمهيد الأرض للانشاء والتعمير ، وتخفيف المشقات والآلام ؛ وهو الذى حقق تلك « الكرامات » العجيبة الدائمة التى أكرم الله بها الإنسانية على أيدى علمائها الذين جعلوا همهم البحث عن أسرار صنعة الله وقراءة كلماته الظاهرة والباطنة فى الآفاق وفى الأنفس ومحاكاة نماذجها .

. وإذا كانت كرامات الأولياء أمراً مؤقتاً خاصاً بهم ، فإن كرامات علماء الطبيعة أمر دائم مشاع للانسانية جميعها . . .

فلنعرف ذلك جيداً ليحملنا على الاعتراف بصدق الحياة والإقبال على الكشف عن أسرارها ، والإيمان بأن جميع أحلام الإنسانية فى السيطرة على شئون الأرض ستتحقق قبل انقضاء رحلتنا على سطحها

وينبغى ألا نخلط بين شرور الإنسان وبين آلام الحياة التى لا دخل للانسان فيها حين نتحدث عن صدق الحياة . فإن الحياة من يد الله بريئة صحيحة قليلة الشر والألم ، ولكن الذى يضاعف الشر ويمحو بشاشة الحياة هو الإنسان القاصر الجاهل الناشىء فى أحضان السفاهات والجرائم والإهدار لقيمته . . . ومن هنا وجب الإيمان بالإنسان وإيقاظه لنفسه أولاً على نحو ما قدمناه فى هذا الصدد لكى يحتجب شره وينمو خيره فيظهر وجه الحياة الجميل البرىء ، ويظهر وجه الإنسان الكامل المنشود ، ويظهر وجه الله الرحمن ذى الجلال من خلالهما حتى يراه كل فكر جحود وقلب كنود !

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق!)

وتلك نبوة الحياة الصادقة ، يبعثها سر الإنسان الذى نفخ الله فيه من روحه وجعله خليفة فى الأرض ليظهر غيوبَها ويثير دفائنها ، ويلبس بروحه الحية موادها الميتة فيجعلها تحيا بروحه وتفكر بعقله وتخطو بسرعة فكره !

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ! فسجدوا ...)

ذلك هو حديث الزمان يرسله هامساً فى أذن الإنسان خلال صيحات وحوش الحديد والفولاذ الرابضة والسائرة والسابحة والطائرة ، وبين دوى الآراء والمذاهب الهدامة والفلسفات الشاردة الحائرة . وأعتقد أنه نداء يجب أن يكون عنوانا لتجديد الدعوة الدينية فى هذا العصر الحائر المتهافت ، وأساساً فكرياً صالحاً لوصل العقول والقلوب بأعماق الكون ولباب الإنسانية وصدق الحياة !

عبد المنعم محمد خلاف

هجرة الروح

للأستاذ زكي نجيب محمود



قال صاحبي وهو يحاورني: ما أنا بمؤمن بما زعمت لي من رأي

فقلت أي رأي تريد؟ فما أكثر ما جادلتني مذ أخذت فيما أنت آخذ فيه هذه الأيام من قراءة الفلسفة

فقال: ألا تذكر إذ كنت تسايرني وتسامرني في مماشي حديقتك الغناء ليلة الهجرة؟ ألست تذكر حين أخذت تقص علينا كيف أوذي النبي في مكة فهاجر إلى المدينة، وكيف نشب القتال بين المسلمين والكافرين، حيث اضطرمت نفوس المؤمنين بحماسة الإيمان فاندفعوا يريدون: إما نصرة الدين وإما الخلود في دار النعيم؟ ... وعندئذ أبصر زميلنا «م» المتفلسف الشكاك بزهرات متناثرات هنا وهناك، فقهقه ساخراً وهو يقول: «خلود!» ثم أدار عينيه ناحية الجدار فإذا هو يرى جماعة من النمل عركتها قدم فلبثت جامدة على الأرض صرعى حيث كانت، فارتفعت قهقهة الزميل مرة أخرى، ورنت فيها نبرات السخرية التي عهدناها في ذلك الزميل الساخر...

فقلت: نعم، إن لما تقول لأثراً خافتاً كادت تنمحي من صفحة الذهن معالمه فلا أكاد أتبينه في وضوح، فما الذي أضحك «م»؟

فقال أضحكه أن يرى منثور الزهر ومبثور النمل راقداً كأنما هو جثث القتلى في حلبة القتال يوم المعركة، وقد علق بقوله: أليست الحياة هي الحياة حيثما تبدت في بشر أو حشر أو زهر؟ أي فرق ترى بين زهرات تطأها فتذوبها، وغال تعركها بقدمك فترديها، وجماعة الجند في حومة الوغى تصفهم بالحديد والنار فتوردهم موارد الحتوف؟ لكنه الإنسان المغرور ظن بنفسه الامتياز فاختص روحه بالخلود والبقاء، وطوح بسائر الأحياء في مهاوي البلى والفناء...

ولست أكتمك الحق يا صديقي، فقد أخذت أعيد قول زميلنا «م» بيني وبين نفسي، وأديره مرة بعد مرة في رأسي، حتى أرّقَ الفكرُ جنبيَّ في غير طائل؛ فبعد طول التفكير لم أجد في قبضتي غير ريح، ولم يكن حصادي سوى هشيم! ولجأت إلى كتبي أقلب صفحاتها، أنزع كتاباً وأضع كتاباً، فما صادفت غير الحيرة والشك المميت؛ فما زلت أسائل نفسي بما سأل «م» أي فرق ترى بين زهرات تطأها فتذوبها، ونمال تعركها بقدمك فترديها، وفرقة من الجند تصفها بالحديد والنار يوم الوغى فتوردها موارد الحتوف ... ؟ فلا بأس يا صديق أن نعيد الحديث بعد عام كامل، في مماشي حديقتك وفي ليلة الهجرة؛ أفيكون غرور الإنسان حقاً هو الذي ...

فقاطعت صديقي قائلاً: كفى، كفى، فلم أعد أميل إلى مثل هذا الجدال وإنه لعقيم، فلقد قرأت في صدر شبابي كل ما أنت به اليوم معجب مفتون، واجتزت عهداً أراك تجتاز مثله الآن، عانيت فيه ما عانيت من كرب وضيق. وكم قرأت وقرأت، فكنت أتلون بما أقرأ كأني حشرة حقيرة تدب على ظهر الأرض وتسعى، فتصفر إن كانت تحبو فوق الرمال، وتخضر إن كانت تزحف فوق الحقول. كنت أقرأ الشكاك فأشك، ثم أقرأ المؤمنين فأومن .. هذا كتاب متشائم أطالعه فإذا أنا الساخط الناقم على حياتي ودنياي. وذلك كتاب متفائل أطالعه فإذا أنا الهاشُّ الباشُّ المرح الطروب؛ لكن أراد الله بي الخير فأفقت إلى نفسي فوجدتها مضطربة هائمة تعصف بها الريح هنا وهناك، وهي في كل ذلك تعاني من القلق والهم ما تعاني، وهداني الله سواء السبيل. أتريد أن تسمع مني — إذن — نصح الخبير؟

فقال : أحبب إلى نفسى بما تقول !

فقلت : إنى منتزع لك القول من هذا اليوم الخالد ؛ فنصيحتى أن تهاجر كما هاجر الرسول

قال : وكيف وأنت أعلم الناس بأمرى ، فمالى بغير هذا البلد مأرب ولا عيش

قلت : لئن هاجر الرسول الأمين فى عالم المادة ، فهاجر أنت فى عالم الروح

قال : وماذا تريد بهجرة الروح

قلت : لقد هاجر النبى الكريم بمعنى الرحلة من بلد إلى بلد ، فهاجر أنت بمعنى الرحلة فى مكتبتك من رف إلى رف ! لقد أوذى النبى الكريم فى مكة فهاجر إلى المدينة ، فجاءه نصر الله والفتح ، ورأى الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً ، وها أنت ذا تؤذيك أباطيل العقل فى بعض الكتب فدعها إلى سواها ، لعلك بذلك منتقل من ضلال العقل إلى إيمان القلب حيث السكينة والقرار . ولقد كانت هجرة النبى مولداً جديداً لرسالته ، فأرجو أن تكون هجرتك من كتب إلى كتب بعثاً جديداً لروحك المعذب الظمآن . إن من ابتلّ جسمه بالماء وهو فى البحيرة مغمور لا بد له من الخروج إلى الشاطئ المشمس إن أراد لنفسه الدفء والجفاف . أما أن يثب من البحيرة إلى البر فقد ازداد بِلّةً على بلة ، وذلك ما صنعته أنت حين أرّقتك فلسفة صديقنا « م » فطلبت النجاة فى كتب الفلسفة !

إنى مُذ أراد الله لى الهداية أكره أن أناقش مسائل الدين بمنطق العقل ، ولكنى لا أزال ألمح فى عينيك حيرة الشك ، مما سمعته من سخرية صديقنا بروح الإنسان وخلودها ، فدعنى لحظة أخاطب فيك الفطرة والبداهة ، فأقول : أليس أمل الإنسان فى خلوده بعد الموت دليلاً على خلوده ؟ إن رغبة الإنسان فى الطعام ما كانت لتوجد لو لم يكن الطعام موجوداً ، ورغبة الإنسان فى زمالة الأصدقاء يستحيل أن تنشأ إن لم يكن إلى جانب الإنسان الواحد ناس يزاملونه ويصادقونه ؛ فالزهرة والنملة فانيتان وهما لا تنشدان خلوداً ، أما الإنسان فراغب فيه ساع إليه ، ويستحيل أن يكون له ذلك ما لم يجد فى فطرته وجبلته ما يوحى إليه أنه خالد ؛ فلماذا لا يستوحى صديقك « م » فطرته بدل أن يلقى بسمعه وفؤاده إلى هذا وذاك ؟ أإذا اهتدى بوحى البصيرة إلى الحق أنكره ، لأن غيره لم يجد السبيل إلى الهدى ؟ إنه إذن كمن يحدّج ببصره فى الشمس ساطعة فينكرها لأن زميله المكفوف لم يرها !

ألم تقرأ عن « مذهب الذرائع » الحديث الذى يصور آخر ما بلغه العقل الفلسفى ؟ إنه يقيس صدق الفكرة أو بطلانها بمقدار نفعها ؛ وذلك لأن الحق المطلق فى رأيه معدوم ، فإن أدّتْ الفكرة إلى نجاح الحياة الإنسانية وازدهارها فهى الحق ، وإلا فهى كذب وباطل . فلنسأل صديقنا المتفلسف : أيهما أنفع للحياة الدنيا نفسها أن يعتقد الإنسان فى خلوده أو فى فنائه ؟ أى العقيدتين يؤدى إلى الفضيلة والخير ؟ فإن كانت الأولى فحسبنا ذلك وليس بنا بعدئذ حاجة إلى لجاجة وجدال ...

كلا يا صديقى ، لا تلق بنفسك فى هذه الشكوك التى قد تغرى بها غاشية الحرب ، فيتجهم أمام ناظريك الأفق وإنه لمشرق وضاح ؛ بل هاجر كما هاجر الرسول الأمين ، ولتكن الليلة موعداً لهجرتك

هل جاءك حديث الإمام الغزالى وهو « حجة الإسلام وزين الدين » ؟ لقد قرأ إبان نشأته ما قاله الحكماء والفلاسفة ، فارتجت له نفسه وأخذه الشك من كل جانب . إقرأ له « المنقذ من الضلال » لتستمع إلى قصته عن نفسه يروى لك ما قاساه فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفِرَق ، مبتدئاً بعلم الكلام ، ومنتقلاً بعد ذلك إلى دراسة الفلسفة ، ومنتهياً بطريق الصوفية ، خائضاً فى كل ذلك بحر الخلاف ، متوغلاً فى كل مظلمة ، متهجماً على كل مشكلة ، فاحصاً عن عقيدة كل فرقة ومذهب ؛ وهو يقول إن التعطش إلى درك حقائق الأمور كان دأبه وديدنه من أول عمره ، غريزة وفطرة من الله وضعها فى جبلته من غير اختيار منه ؛ فلما أدت به دراسته الطويلة العميقة إلى حيرة الشك ، « حزن قلبه ، وانحطت صحته ، ثم التجأ

إلى الله الذى يجيب المضطر إذا دعاه ، فأجابه ... » وعاد إلى الإمام المؤمن يقينه « ولم يكن ذلك بنظم دليل ، وترتيب كلام ، بل بنور قذفه الله تعالى فى الصدر ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة »

ثم هل جاءك نبأ « تولستوى » ذلك الأديب الفحل ، والفيلسوف العظيم ؟ إنه غاص فى أغوار الفكر وغاص ، ثم انتهى به الأمر أن يفرغ مكتبته من كل ما فيها على أنه باطل وهراء ، ولم يبق على رفوفها سوى الكتاب المقدس وبعض الكتب الدينية ! لقد جثمت على صدره أزمة نفسية ، كالتى ألمت بإمامنا الغزالى ، فأحس كأن شبحاً مخيفاً يطارده ، واسودت الدنيا فى عينيه ، وبلغ به اليأس والقلق حداً بعيداً ، فأخفى عن نفسه « بندقية » الصيد خشية أن يصوبها إلى صدره فى ساعة من ساعات القنوط ؛ وقال عن نفسه على لسان شخص من أشخاص قصصه : « لم يعد لدى شك فى أنى – ككل كائن حى – لن أصيب فى هذه الدنيا غير الألم يعقبه الموت والفناء » ، وشرع « تولستوى » يقلب صفحات الكتب الفلسفية ذات المذاهب المختلفة ، فيستطلع آراء أفلاطون وكانت وشوبنهور وباسكال لعله واجد فيها ما يرد له الطمأنينة بعد حيرة وقلق ، لكنه تبين أن آراء هؤلاء الحكماء – كما يقول – « واضحة جلية دقيقة حينما تبتعد عن مشاكل الحياة المباشرة ، ولكنها لا تهدى الحائر سواء السبيل ، ولا تبعث الطمأنينة إلى القلوب الضالة القلقة » ولم يلبث « تولستوى » أن هجر الأدب ثم الفلسفة ، واتجه إلى الدين لعله يجد فى نوره الهداية واليقين ؛ فلئن عجز العقل عن هداه فليلجأ إلى القلب ، ودعا ربه قائلاً :

« اللهم هبنى إيماناً قوياً أملأ به قلبى ، وأهد إليه غيرى »

هاجر يا صديقى كما هاجر الرسول الأمين . لقد هاجر النبى الكريم بمعنى السفر من بلد إلى بلد ، فهاجر أنت بمعنى الرحلة فى مكتبتك من رف إلى رف . لقد أوذى النبى الكريم فى مكة فهاجر إلى المدينة ، وها أنت ذا تؤذيك أباطيل العقل فهاجر إلى القلب وانعم بإيمانه تنعم بالسكينة والقرار . لقد كانت هجرة النبى لرسالته مولداً جديداً ، فلتكن هجرتك فى مطالعاتك بعثاً جديداً لروحك المعذب الظمآن

هاجر يا صديقى كما هاجر الرسول ، ولئن هاجر النبى فى عالم المادة فهاجر أنت فى عالم الروح .

زكى نجيب محمود

خيبة سراقة

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[وقف « سراقة » مبهوتاً فى طريقه إلى غار ثور متقفياً أثر المصطفى وصفيه الصديق ... ساخت قوائم فرسه فى الرمال ، وردته معجزة العنكبوت حيران الضلال ... *]



سراقة يحدث نفسه :

وَيلاهُ مما سَطَّرَتْهُ الرمالْ ... آثارُ وَهْمٍ فى مَعانى خَيالْ ...
أرَكْبُ جِنٍّ حين مَلَّ السُّرى ... فى عالم الناس ، تَوارَى ومال !
أمْ مَوْكِبٌ للنور أقدامُه ... خَلَّفْنَ فوق الأرض رُؤيا زوال !
أمْ قافلاتُ الريح كانت هُنا ... تمشى ، وألقت رَحْلَها فى الجبال !
أمْ حُلُمٌ مرّ ، وَهذا الثرى ... وَادِى كَرًى نامت عليه الليال !
أمْ نغم سَارَ وَأشْبَاحُهُ ... مَسَسْنَ صَدْرَ البِيدِ مَسَّ الظلال !
أمْ فارس للغيب عاتى الخُطا ... جَواده المسحور تلك التلال !
جرى عليها وَهْىَ تجرى به ... كما جرى بالروح عصف الملال
سُبحان من علم أرْسانَهُ ... تَخَطُّفَ الوحْيِ ، وَبُعْدَ المحال
هٰذِى هُواديه ، وَذا خَطْوُهُ ... زَفْزافُ ريح طاردته الثمال
عدا جوادى خلفه ، فانظرى ... ياخَيْبَتى : كيف حططنا لرحال!
قوائم ينهش منها الثرى ... ما دسه لله غدر الرجال
مغروزة فى الرمل تلهو بها ... طرائد الوحش ، وريح الشمال
ناحت عليها صهوة طُهِّمَتْ ... وَطُعِّمَتْ باليأس قبل النضال
تذيبُ مَسَاقَىَّ بأفْوافِها ... كأنها مَحْشُوَّةٌ بالنِّصال
أحَرَّ نحتى من جحيم اللظى ... وَوَخزةِ الذُّلِ ، وَفَحِّ الصِّلال
كأنما قمنا بِعُرْض الفَلاَ ... تمثالَ خزى عبقرىُّ المثال
رباه ما هذا ؟ جواد سرى ... أم لعنة ، أم خيبة ، أم ضلال !

« سمفونية » الغار

يسمع الغار حديث سراقة لنفسه فيتلاقى هتاف العنكبوت والحمامتين والثعبان فى هذا النشيد :

«سُراقَةُ» عادَ حَيْرانا ... سَماءُ البِيدِ بُشْرانا
ونور الله يرعانا ... أبَى وَالكفر يرعاه

فَجَرْنَ البِيدَ أنهارا ... أبَى ليصد أنوارا
وَذاقَ الذُّل والعارا ... فصد الله مسعاه

جَرَى لِيطَارِدَ الإسلامْ ... بِسَيْفِ كافر ظَلاَّمْ
رَماكَ اللهِ بالإظلاَمْ ... هَتَفْنَا إذ رَأيْناهُ

كفيفَ القلب والعينين ... فعادَ يُقَلِّبُ الكَفَّينْ
وَيَسْأَلُ أيْنَ نفسِى أيْنَ؟ ... تَرَى الأشباحَ عيناه

فَحَامَتْ حَوْلَه الأقدار ... وَلاذَ نَبِيُّنا بالغارْ
لِيَسْطَعَ مَشْرِقُ الأدْهار ... وَصَانَ ضِياءهُ اللهُ

(*) هذه بقية المشهد الغنائي للذى دار لحنه بين العنكبوت والحامتين والثعبان في غار ثور فى العدد الممتاز السابق لهذا من (الرسالة)

الإسلام بين العقل والروح

للدكتور زكي مبارك



قلت مرة : إن النضال بين الإسلام والنصرانية أتاح فرصاً كثيرة لمباحث نفيسة تغذّى القلوب والعقول، وتكشف عن آفاق ما كان يُنتظر أن تُكشف لو أراد الله أن لا يقع ذلك النضال والمجادلة لا تُذمّ إلا إن صدرت عن سوء نية ، لأنها عندئذ تكون عملاً من أسوأ الأعمال ، أما إن صدرت عن رغبة فى الفهم والتحقيق ، فهى عمل مقبول دعا إليه جميع الحكماء فى جميع البلاد

وأنا ماضٍ فى تبديد شبهة وجّهت إلى الإسلام ألوف المرات ، وسأقضى على تلك الشبهة قضاء مبرماً . سأقتلع جذورها فلا تنبت بعد اليوم ، وسأقوّض جدرانها فلا يقوم لها بناء إلى آخر الزمان

فما هى تلك الشبهة ، ولا أقول التهمة ، ترفقاً بالمجادلين ؟

هى قولهم إن الإسلام شريعة مدنية ، وليس عقيدة دينية ، فهو فى نظرهم مجموعة قوانين ، وليس ديناً يهتم بتأصيل المعانى الروحية فى صدور المؤمنين

وزادوا فقالوا : إن الإسلام لم تشع فيه الروح إلا حين عرف التصوف ، والتصوف فى رأيهم نزعة مسيحية العِرق ، وليس لها فى الإسلام أصول

وأسارع فأقرر أنه لا يضير الإسلام أن يكون مجموعة قوانين ، فسنرى بعد لحظات معنى هذا من الوجهة الروحية ، وهى مثار الاعتراض

وأقرر أيضاً أن المعانى الإسلامية المقبوسة من المسيحية ليست سرقات ، حتى يعيرنا بها فريق من الناس ، وإنما هى ميراث أخذناه باستحقاق ، لأن الإسلام بنص القرآن هو الوارث لجميع الشرائع السماوية ، والمؤلفون المسلمون ينقلون أقوال سيدنا موسى وسيدنا عيسى باحترام ، تقرباً إلى الله ، لأن الله أوصى سيدنا محمداً بإعزاز جميع الأنبياء والمرسلين

وإذا كان التصوف الإسلامى منقولاً عن أصول مسيحية — ولنسلّم جدلاً بهذا — فما كان التصوف مما اتفق عليه جميع أئمة المسلمين ، فقد ثار عليه رجال من أقطاب الباحثين ، وعدُّوه خروجاً بالإسلام عن صبغته الأساسية ، وهى الصبغة التشريعية

ومعنى هذا أن الهدية مردودة إلى مهديها الأول ، على فرض أن التصوف هدية ، وعلى فرض أنه بعيد من الروح الإسلامى

إسمعوا يا أيها المجادلون بلا بصيرة وبلا يقين

أنتم اعترفتم بأن الإسلام يعرف العقل ولا يعرف الروح ، بدليل أنه فى نظركم ليس إلا مجموعة قوانين

وهنا الخطر كل الخطر ، الخطر عليكم لا عليه ، فالخطأ فى الحكم المدنى أو الجنائى لا يحتمل الجدال ، لأن نقضه أسهل من السهل ، بسبب ارتكازه على العقل ، فلو كانت القوانين التى أذاعها الإسلام واهية الأساس ، لثار عليه المشرّعون فى جميع بقاع الأرض ، وعدّوه أسطورة بدوية منقولة عن سراب الصحراء

ولا كذلك الخطأ فى الحكم الروحى لأن الحكم الروحى غير محدود بحدود ، فمن حق كل روحانى أن يسفّه من يخرجون عليه ، بحجة أنهم محجوبون عن الروح ، وذلك باب يدخل منه الدخلاء والأصلاء على السواء

وإذن يكون الإسلام تحدّى جميع الديانات ، تحداها بالعقل قبل الروح ، تحداها بما لا يجوز فيه الخطأ ، وهو التشريع ، تحداها بالنبى الأمىّ ، ليعرف من لا يعرف أن وحى السماء فوق إيحاء الكتاب

ما ذا أقول ؟ هل بددت الشبهة ؟ وكيف والكلام إلى هنا

يؤيد القول بأن الإسلام دين العقل ، وليس دين الوجدان ؟

أفترع الحديث فأقول :

إن التهمة صحيحة ، تهمة الإسلام بأنه لا يقصر اهتمامه على الشؤون الروحية ، وإنما يوزع اهتمامه على كثير من الشؤون العلمية والاجتماعية والمعاشية ، وهنا المطعن الذي لا ينفع فيه علاج (؟ !) .

إسمعوا ، ثم اسمعوا ، يا أيها المجادلون

كل مايعرف المسلمون من العلوم والفنون والآداب والقوانين ليس إلا وسائل لغاية صريحة هي خدمة القرآن ، والقرآن وحي من الله ، وبخدمة القرآن نتقرب إلى الله

علوم النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع علوم تساعد على فهم القرآن ، فهي وسائل أدبية لغاية دينية ، فنحن نتقرب بها إلى الله

وعلم الفقه ينظم المعاملات بين الناس ، ليعرفوا سبيل النجاة من غضب الله ، فنحن بعلم الفقه نتقرب إلى الله

وعلم الحساب يساعد على تحديد الأغراض الاقتصادية بين الناس ، فنحن بعلم الحساب نتقرب إلى الله

وعلم الفلك يساعد على تحديد المواقيت ، فنحن بإدراك دقائقه نتقرب إلى الله

وعلم التاريخ يخلق العظة بالحوادث ، وقد رآه القرآن من وسائل الترغيب والترهيب ، فنحن بعلم التاريخ نتقرب إلى الله

لاموجب للاطناب ، ففي أول كل كتاب نجد الراجز يقول :

إن مبادى كل فن عشرة الحد والموضوع ثم الثمرة

إلى آخر ما قال ، ولاموجب للنص على أن علماء المسلمين لم يدركوا للعلم غاية غير خدمة الشريعة الإسلامية ، فذلك واضح في جميع مؤلفاتهم ، حتى علم الحساب . وقد راعى هذا المعنى أستاذنا محمد بك إدريس فنص عليه في مقدمة كتاب الحساب لطلبة الأزهر الشريف

جميع العلوم والفنون وسائل لخدمة الدين الإسلامي ، والتكسب أو التسبب له في الإسلام آداب ، مع أن الظاهر يوهم أنه بعيد من الروح

كل خطوة تخطوها في صباحك أو مسائك ، لها في حياتك المعاشية صلات بحياتك الدينية ... بهذا يوصيك الإسلام ، لأنه دين العقل والروح

إن الحج وهو فريضة دينية ، أبيحت فيه المنافع المعاشية ، لأن الله يرى أن جميع الفضائل وسائل إلى رفاهية المعاش

وهل ننسى أننا نطيع الله لننعم بالفردوس ؟

المزية الصحيحة للاسلام هي دعوته إلى أن نسيطر على جميع بقاع الأرض ، لنحقق الصلة بيننا وبين الله بإقامة دعائم العدل فوق جميع البقاع ، ولنحقق إرادته السامية في أن تكون الكلمة العليا لله وللمؤمنين

مزية المسلمين أنهم لا يقابلون الله وجهاً لوجه ، كما يتوهم المسيحيون ، وإنما يقابلونه في مخلوقاته من الأنهار والبحار ، والجِنّة والناس ، والحقائق والأباطيل

وأين الله ؟ هل رآه من يدعون أنهم أبناؤه ، صادقين أو كاذبين ؟

المسلم هو الصورة الحقيقية للمؤمن

المسلم هو خليفة آدم ، وقد جعل الله آدم خليفة على الأرض ، وللأرض آداب لاتعرفها السماء ، لأن فيها تكاليف لم يسمع بها سكان السماء

المسيحي يخاطب الله في ذاته فيستريح ، والمسلم يخاطب الله في مخلوقاته فيتعب ، والتعب شارة الرجال

وأنا مسلم ، لأن الإسلام يوجب على أبنائه أن يذكروا الله في جميع الشؤون

أنا مسلم بالرغم مني ، لأني لا أرى ديناً يفوق ما في الاسلام من تكاليف ، والتكاليف هي الأساس لتجربة أخلاق الرجال

أنا مسلم بالعقل وبالروح ، والدين عند الله هو الاسلام ، لأنه الصورة النهائية للحسن والصدق في التشريع

حاولت أن أرتاب في الاسلام فلم أستطع ، حاولت بالعقل وبالروح في حدود ما أطيق ، وأين أنا مما أطيق ؟

الآن آمنت بأن الاسلام دين العقل والوجدان .

زكي مبارك

من مذكرات ابن أبى ربيعة

جريرة ميعاد

للأستاذ محمود محمد شاكر



« قال عمر ابن أبى ربيعة... » : ركبتنى الحمى ثلاثاً حتى ظننت أن الله قد كتب على أن أذوق حظي من نار الدنيا قبل أن أردَ على نار الآخرة. وكنت أجد مسها كلذع الجمرات على الجلد الحى ، وأجدنى كالذى وضع بين فكيه ضرساً من جبل فهو يجرشه جرش الرَّحى ، وظللت أهذى وابن أبى عتيق يتلقف عنى ما كنت أمرُّ دونه ، حتى إذا قَصرتْ عنى وثاب إلى عقلى قال ابن أبى عتيق : ويلك يا عمرَ ! والله لقد فضحتها وهتكت عنها سترها ؛ أما والله لو قد كنت أخبرتنى قبل الساعة لاحتلت لها ، ولوقيتها مما عرضتها له. قلتُ : ويحك يا ابن أبى عتيق ! من تعنى ؟ قال : من أعنى ؟ وأنت مازلت منذ الساعة تهذى باسمها غير معجم ! إنها الثريا واليوم ميمادها ، ولقد مضى من الليل أكثره وما بقى منه إلا حشاشة هالك !

ووجم الرجل واعترانى من الهم ما حبب إلى الحمى أن تكون خامرتنى وساورتنى حتى قضت على ، وطفقتُ أنظر بعينىّ فى بقايا الليل نظرة الشكلى ترى فى حواشى الدُّجى طيف ولدها وواحدها. وتمضى الساعات علىّ كأنما تطأنى بأقدام غلاظ شداد لم تدع لى عضواً إلا رضّته. وابن أبى عتيق يذهب ويجئ وكأنما أصابه مس فهو يرمينى بعينه صامتاً يتحزن لما يرهبُ من بجاءات القدر بى وبها. ثم أقبل على يقول : خبرنى يا عمر أين واعدتها من دارك هذه ؟ فوالله لكأنما ألقى فى سمى لهباً يتضرمُ ، فلم أسمع ولم أبصر ودارت بى الأرض ، فما أدرى بم أجيب ، فلقد واعدتها منزلاً كنتُ أحتفي به لميمادها ، قد استودعته سرى وسرها ، فما أدرى ما فعل به أهل الدار ، وقد ربضتْ بى الحمى بمنأى عنه . ولا والله ما شعرت أن الفجر قد صدع حتى سمعت الأذان كأنه ينعَى إلىّ بعض نفسى فما تماسكت أن أنتحبَ ، وابتدر إلى صاحبي يكفكف غربَ أحزانى . وقال : خفض عليك يا عمر ، فإن هذا يهيضُك إلى ما بك . وما تدرى لعل الله يحدث بعد عسر يسرا . قم إلى وضوئك أيها الرجل ، واستقبل بوجهك هذه البنية ، وادع الله جاهداً أن يستر ما هتكت ، فإنهن النساء لحمٌ على وضم إلا ما ذُبّ عنه

فما كدتُ أفرغُ من صلاتى حتى جاءت جاريةٌ صغيرةٌ تعدو قد أزفَها الجرى ، ورمتْ إلىّ كتاباً فى سَرَقةٍ من حرير يفوح منها العطر ، وقالت : سيدتى تقول لك : فى هذه شفاء من داء . واستدارت وانطلقت تسعى . فنظرتُ وشممتُ ونشرت الحريرة المطوية عن كتاب مطوى طىّ العَجلةِ ، وإذا فيه : « جئنا لميعادِك ، فإذا شبحٌ نائمٌ فى بُرْدِك فرميتُ نفسى عليه أقبّله فانتبه وجعل يقول : اعزُبى عنى فلست بالفاسق أخزاكِ الله . ودفعنى فعدوتُ أفرُّ بنفسى من فضيحة تنالنى فيكَ . وما شعرتُ أنك محموم حتى أنبأتنى بذلك أختي ، فويلى عليك وويلى منك يا عمر ! » . فألقيتُ الكتابَ إلى ابن أبى عتيق وأستعفى به أن يدبر منذ اليوم ما أتى به خبْءُ الليالىّ ، فنظر إلىّ بعينين زائغتين من سهر وسهاد وقال : والله يا عمر لكأنى بك قد ركبتَ إلى بلائك وبلاء الثريّا حين قلتَ :

تشكّى الكميت الجرْىَ لمّا جهدته
وبيّن لو يستطيع أن يتكلما

وما أدرى كيف أحتال لك فى أمرٍ قد انفلتت من يديك

أعنّته ، فدع الأمر لله يدبره ، ووطن نفسك على الثقة ، ولا تجزع لبغية إن جاءتك ، والق من يلقاك بالفضيحة كأنما ما كنت بشاشةً ورضًى وسكينة ؛ فأنت خليق أن تنقذها مما ورطتها فيه . وإياك والتردد ، فإنه مدرجة النكبات . ولقد مهدتك صَنَع اللسان فإن لم ينفعك اليوم لسانك فلا والله لا نفعك . قلت : جزاك الله عنى خيراً يا ابن أبي عتيق ، ما ضرّني كتماني دونك ما أكتم إلا اليوم ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء . ويلى من نفسى ثم ويلى منها ! واعلم أنه ما يكربني أن يلقاني من أحتال له وأصرفه ، وإنما يكربني أمر الثريا وهي تقضي الساعات قد ألقى الهم في دمها ناره وفي فكرها ظلمته ، ولا والله ما أستطيع أن أحتال لرسول يلم بها فيقول لها بعض ما تسكن إليه

قال ابن أبي عتيق : فهلاّ حدثتنى عنها يا عمر ؟ فلقد صحبتك ما صحبتك وما أدرى من خبر الثريا وأمرها إلا ما أنسقطه من حديث الناس . قلت : وما تبغى إلى ذلك ؟ أما كفاك ما تعرف من أمر سائرهن ؟ وإنى لأراك كالمنهوم الذى لا يشبع ؛ فلو كنت مثلى لقلت عسى أن تكون لك فى نفسك حاجة ، ولكن الله عافاك مما ابتلانى به ، فدع عنك الثريا وأخبارها . فورب السموات والأرض وما فيهن ما أمنت على سرها نفسى ، فكيف بى إذا بحت لك ؟ قال : إذن فصفها لى كيف تراها ؟ قلت : أما إنك على ذلك ، لشديد الحرص شديد الطمع . وما تبغى إلى امرأة من النساء تسمع من نعتها وحليها وصفاتها ؟ لولا أن كنت اليوم شاهدى لما حدثتك بحرف . يقول الناس : ما فعل الله بابن أبي ربيعة ؟ ما زال يمد عينيه إلى كل غادية ورائحة حتى أفضى إلى الثريا ، فتعلق منها بنجم لا يناله وإن جَـهِدَ . وإنها لعرضة ذلك جمالاً وتماماً ، وإنى لخليق أن أفنى فيها نور عينى وقلبى . ويقول الناس : ما الثريا ؟ إن هى إلا امرأة دون من نعرف من النساء حسناً وبهاء . وقد والله كذبتهم أعينهم ، وانى لبصير بالنساء خبيرٌ بما فيهن ، ولئن كنت قد عشت تبيعاً للنساء أنقدهن نقد الصيرفى للدينار والدرهم فأنا أهل المعرفة أحقّـق جيادها وزيوفها بأنامل كالميزان لا يكذب عليها ناقص ولا وافٍ

ما يضيرك يا ابن أبي عتيق أن ترى الثريا أو لا تراها ، فإنك لا تراها بعينىّ ، وإنما أنت من الناس تضل عن جمالها حيث أهتدى إليه ، وتسألنى كيف أراها ؟ فوالله إن رأيتها إلا ظننت أنى لم أرها من قبل ، فهى تتجدد فى عينىّ وفى قلبى مع كل طرفة عين ، ولئن نعتها لك فما أنعت منها إلا الذى أنت واجده حيث سِرْت عن النساء : غادة كالفنن الغض يميد بها الصبا وسكر الشباب ، لم ترْبُ رَبْوةَ الفارعات ، ولم تجف جفوة البدينات ، ولم تضمر ضمور المهزولات ، ولم تُمسح مسحة الضئيلات ، ولم تقبض قبضة القصار القميئات ، فتمّ تمامها بضة هيفاء أملوداً ، خفاقة الحشا هضيمة الكشحين مهفهفة الخصر ، تتثنى من اللين كأنها سكرى تترنح . فلو ذهبت تمسها لمست منها نعمة وليانا وامتلاء قد جدلت كلها جَدْل العصب ، فهى على بنانك لدنة تُرْعِد من لُطفها واعتدالها . وانظر بعينىّ يا ابن أبي عتيق ، تُبصر لها نحراً كذَوْب الفضة البيضاء قد مسها الذهب ؛ فلا والله ما ملكت نفسى أن أعب من هـذا الينبوع المتفجر . إلا تُتَّقى لله أن أدنّسه بشفتين ظامئتين قد طالما جرى عليهما الكذب والشّعر . أما وجهها فكالدرة المصقولة لا يترقرق فيه ماء الشباب إلا حائراً لا يدرى أين ينسكب إلا على نحرها الوضاء ، يزينه أنف أشمُّ دقيق العرنين لطيف المارنْ ؛ فإذا دنوت إليها فإنما تتنفس عليك من روضة معطارٍ أو خمرٍ معتقةٍ ، فاذهب بنفسك أيها الرجل أن تزول عن مكانك كما يقول صاحبنا جميل :

فقام يجرُّ عطفيه نُخمـــاراً وكان قريب عهد بالمهات

ودعْ عنك عينيها يا رجل ، فلو نظرتْ إليك نظرة لوجدتها تنفُـذُ فى عينيك تفىء لقلبك فى أكنّـتِه مساربَ الدم فى أغوار جوفك ، ولتركتك كما تركتنى أسير بعينين مغمضتين ذاهلتين إلا عما أضاءتْ لك فى الحياة عيناها . فإذا دنتْ إليك فكن ما شئت إلا أن تكون حيا ذا إرادة تطيق أن تتصرف ، وذرْ

كل شيء إلا عطر أنفاسها وضياء وجهها ، وغمامةً تظلل روحك النشوى طائفة عليك بأطراف شعرها المتهدِّل كحواشي الليل على جبين الفجر ، وخذْ بنانًا رخصًا مطرًّا فأكثار العنّاب تغذوها يدٌ بضة بيضاء يحار فيها مثل ماء الصفا ، فلقد قبَّلتها يومًا ظننت أن قد أطفأت بها غليلي فزادتني غُلَّةً وصدًى ، فما نفعني في نار هذه الحمى إلا ما لم أزلْ أجد من بردها وطيبها وعذوبتها على شفتي حتى اليوم . ولا والله إنْ رأيتُ كمثلها امرأةً إذا حدثت ، فكأنما تسكب في روحي سرَّ الحياة يهمس عن شفتين رقيقتين ضامرتين كأن الدم فيها مكفوف وراء غلالة من النعمة والشباب . فآه من الثريا ! لقد حجبت عني كل نجم كان يلوح لي في الدياجي يُلهمني أو يُغويني ... وَيْ ، ما دهاك أيها الرجل ؟

ورأيت ابن أبي عتيق يتخطاني بعينيه ينظر إلى الباب من ورائي ، قد انتُسِف وجْهه وغاض من الدم كأنما يرى هوْلاً هائلاً قد أوشك أن ينقض عليه ، وما كدت أرد الطرف حتى سمعت من يقول : السلام عليكما يا عمر ! وأنت يا ابن أبي عتيق مالك تنظر إليَّ كالمغشيّ عليه لا تَرِفُّ منك عاملة ولا ساكنة ؟ وما بك يا أبا الخطاب ! أترى الحمى كانت منك على ميعاد ؟ لقد أقبلت أمس من سفري ، وكان الليل قد أوغل فتلقاني ولدك جوانٌ فأنبأني أن الحمى قد وردتك فأرْدعتْ عليك أيامًا فنهكتْك حتى خيفت عليك بُرَحاؤها . وأن ابن أبي عتيق جزاه الله عنا وعنك خيرًا أبى إلا أن يتعهدك بمرضك حتى تبرأ وتستفيق ، وإني لأراك بارئًا يا أبا الخطاب .

فوالله لقد سكنتْ نفسي لما أتم كلامه وسكتَ ، وأدنى يده يجسُّني جسَّ المشفق . ورأيت ابن أبي عتيق يثوب كأنما كان في كرب ينفثُه ويعصرُه ثم أرسله فعاد إليه الدم . فهذا أخي الحارث (هو الحارث بن أبي ربيعة أخو عمر) سيد من سادات قريش شريفٌ كريم عفيفٌ ديّنٌ ، ما رآه امرؤ إلا دخلته الرهبة له حتى تتعاظمه . فما زاده أن كانت أمه سوداء من حَبش إلا رفعةً ومكانًا . ولقد كان عبد الملك بن مروان ينازع عبد الله ابن الزبير أمر الخلافة ، وكان ابن الزبير قد ولّى الحارث بعض الولايات ، فلما جاءه النبأ بولاية الحارث قال : أرسل عوفًا وقَـمَد ! ولا حُرّ بوادي عَوْفِ . فابتدر من المجلس يحيى بن الحكم وقال : ومن الحارث يا أمير المؤمنين ؟ ابن السوداء ! فقال له عبد الملك : خسئتَ ، فوالله ما ولدتْ أمةٌ خيرًا مما ولدت أمه !

ثم صرف الحارث وجهه إلى ابن أبي عتيق وهو يبتسم له وقال : أما زلت يا ابن أبي عتيق بحيث قال صاحبك فيما بلغني من شعره إذ يقول لك ؟

لا تلمني عتيقُ حسبي الذي بي   إنّ بي يا عتيق ما قد كفاني
إنّ بي داخلاً من الحب قد أبـ   ـلى عظامي مكنونُه وبراني
لا تلمني وأنت زيَّنتها لي   أنت مثل الشيطان للانسان

فقال ابن أبي عتيق : هُديت الخير ، فوالله إن أخاك لشاعر يقذف بباطله ، ولقد وقعت في لسانه ولقيت من دواهيه . ثم نظر إليَّ الحارث وقال : أما وقد لقيتك بخير يا عمر ، فإني منصرف إلى وجهي ، وبالله إلا ما تقدمت إلى أهل بيتك أن يعدوا لي المنزل الذي نزلته بالأمس حتى أعود ، وإني أرى الريحان قد ذبل فَمُرْهُمْ أن يستبدلوا به ، وأن يطيِّبوا الفراش ويجمروه . وقل لطائف الليل أن لا يلم بنا ؛ فلسنا من حاجته ولا هو من حاجتنا . فما تمالكت أن قلت له : ويحك ! أفهو أنت ؟ قال : أجل هو أنا أيها الفاسق ! قلت : إذن فوالله لا تمسُّك النار أبدًا وقد ألقت نفسها عليك وقبَّلتك . فقام مغضبًا يفور وقال : أعزُبْ ، عليك وعليها لعنة الله !

وانطلق الحارث واستفقت من غشيَة الحب وما نزل بي من الغم لما فاتني من الثريّا . وقال ابن أبي عتيق : قد والله أسأت فما تراني كنت أحدثك من جوف الليل أنهاك أن تجزع لبغتة إن جاءتك ، فوالله لشدَّ ما جزعت وخانتك نفسك وأرداك لسانك ! ولبئسما استقبلت به أخاك ! ولقد كنت أقول لك إن التردد مدرجة النكبات فإذا جرأة لسانك مَدرجَة إلى كل بلاء ، وإلا والله لا تفلح أبدًا أيها الرجل

فلقد اضطرب عليَّ أمري حتى ما أدري ما أقول ، ثم سكنت

نفسي وقلت له : أفرخ روعك يا ابن أبي عتيق ، ولتعلمن اليوم دهاء عمر ، فأرسل فى طلب ابنتي « أمة الوهاب » والحق أنت الحارث فرده علي . وانطلق ابن أبي عتيق ، ولم ألبث حتى جاءتني أمةُ الوهاب فقلت لها : يا بنية ! أشعرت أن عمك الحارث قد نزل بنا الليلة ؟ قالت : كلا يا أبهْ ! قلت : إذن فانطلقي إلى هذه الغرفة التي إلى جواري وتباكي وانتحبي ما استطعت حتى أنهاك . ففعلت ، وجاء الحارث وابن أبي عتيق فقلت له : جعلت فداءك ! مالك ولأمة الوهاب ابنتك ؟ أتتك مسلمة عليك فلعنتها وزجرتها وتهددتها ، وها هي تيك باكية . فقال : وإنها لهي ! قال : ومن تراها تكون ؟

فانكسر الحارث كأنما اقترف ذنباً لا يعفو الله عنه إلا رحمة من عنده ، وقال : فما بالك وما كنت تقول ؟ فقال ابن أبي عتيق : ذاك هذيان المحموم يا ابن أخي ، ولو أنت كنت الليلة إلى جانبه لسمعت من بوائق لسانه ما تصطك منه المسامع . وإني لأظن الحمىَّ هي التي خيلت له حتى أنطقته بيمض تكاذيبه . قال الحارث : والله لشد ما يغمني أن يدع عمر كل خير في الدنيا ، وكل ثواب فى الآخرة ، وأن يحبط أعماله بما يسول له شيطان نفسه وشيطان شعره ، فيهتك عن الحرائر ما ستر الله . ولقد طالما نهيتك يا عمر عن قول الشعر فما زلت تأبى أن تقبل مني ، أتراك فاعلاً لو أعطيتك الساعة ألف دينار ذهباً على ألا تقول شعراً أبداً . قلت : قد رضيت ! قال : فهي منذ الساعة في ملكك .

قال عمر بن أبي ربيعة : فما أخذتها منه إلا لأهديها إلى الثريا عطراً ولؤلؤاً وثياباً من تحف اليمن . أما الشعر فوالله لا أتركه لأحد ، رضي الحارث عني أو غضب .

محمود محمد شاكر

القضايا الكبرى في الإسلام

قتل الهرمزان

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي



روّع المسلمون بقتل عمر رضى الله عنه بيد فارسى أثيم يسمى فيروز، ويكنى أبا لؤلؤة، ووقف العالم ينتظر أثر هذا الحادث فى نفوس المسلمين من جهة الفرس الداخلين فى حكمهم. أيجعلونها قضية شخصية كسائر القضايا، أم يتناولون بها غير القاتل من قومه، فيقضون فيها بحكم القوة الذى كان يقضى به فى الجاهلية، وتقوم به الحروب بين القبائل والشعوب، ويخرجهم السلطان عن حكم القرآن فى قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى، الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) فلا فرق بين أمير وحقير، ولا بين عربى وغيره من سائر الشعوب

وقد تفرعت عن هذه القضية قضية أشد منها امتحاناً للمسلمين فى الحكم الذى يأخذون به فيها، فوقف العالم مرة ثانية ينتظر فيها حكمهم، فهل يقضون بالعصبية التى كانوا يقضون بها فى الجاهلية، أو يقضون بالعدل الذى لا يفرق بين القبائل والشعوب، وتلك قضية قتل الهرمزان الذى روّع المسلمين كما روعهم قتل عمر، وأظلمت به المدينة على أهلها ثلاثا

خرج عمر بن الخطاب يوماً يطوف فى السوق، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة — وكان نصرانياً — فقال: يا أمير المؤمنين، أعدِنى على المغيرة بن شعبة، فإن علىّ خراجاً كثيراً. فقال له عمر: وكم خراجك؟ قال: درهمان فى كل يوم. فقال عمر: وإيش صناعتك؟ قال: نجار، نقاش، حداد. فقال عمر: فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال. قد بلغنى أنك تقول لو أردت أن أعمل رحا تطحن بالريح فعلت. فقال: نعم. فقال عمر: فاعمل لى رحاً. فقال: لئن سلمت لأعملن لك رحاً يتحدث بها من بالمشرق والمغرب. ثم انصرف عنه. فقال عمر: لقد توعدنى العبد آنفاً. فلما كان بعد ثلاثة أيام خرج إلى صلاة الصبح، وكان يوكل بالصفوف رجالاً، فإذا استوت جاء هو فكبّر، ودخل أبو لؤلؤة فى الناس وفى يده خنجر له رأسان نصابه فى وسطه، فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته، وهى التى قتلته، ثم خرج يريد الفرار فتبعه رجل من تيم فقتله وأخذ منه الخنجر، ومضى ذلك المجرم الأثيم بسر فعلته، ولو أنه بقى لأمكن أن يؤخذ منه اعتراف عن السبب الذى دفعه إليها، وأن يُسأل هل الذى حمله عليها أن عمر لم يُعْدِه على المغيرة بن شعبة، أو أنه أراد الانتقام لدولة الفرس التى أسقطها عمر؟ وهل كان له فى ذلك شركاء، أو لم يكن له شركاء فيه؟

وقد شاع عقب ضرب عمر أن قتله لم يكن عمل أبى لؤلؤة وحده، وأنه كان هناك أشخاص شركوا فى دم عمر، ففتح باب التحقيق فى هذه القضية الغامضة، وجاء عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق غداة طعن عمر: فقال: مررت على أبى لؤلؤة أمس ومعه جُفَيْنَة والهُرْمُزان وهم نجىّ؛ فلما رهقتهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه، فانظروا بأى شىء قتل؟ فجاءوا بالخنجر الذى ضرب به أبو لؤلؤة فإذا هو على الصفة التى وصفها عبد الرحمن بن أبى بكر

ولم يتقدم أحد بعد عبد الرحمن بشهادة تلقى ضوءاً على هذه القضية الغامضة. ولا شك أن شهادة عبد الرحمن إنما تثير شبهة فقط فى جفينة والهرمزان، والشبهة لا تكفى فى إثبات جناية

من الجنايات ، لأن أمور الدماء أجل من أن تهدر بشبهة من الشبه ، بل إن الشبهة لا تكفى فى إثبات حق فى الدماء وغيرها ، ولا بد من دليل واضح تثبت به الحقوق ، وتبنى عليه الأحكام .

وقد سئل القماذبان بن الهرمزان عن أمر ذلك الخنجر فقال : كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض ، فمر فيروز (أبو لؤلؤة) بأبى ومعه خنجر له رأسان ، فتناوله منه وقال : ما تصنع بهذا فى هذه البلاد ؟ فقال : أُبسّ به . فرآه عبد الرحمن بن أبي بكر ، فلما أصيب عمر قال : رأيت هذا مع الهرمزان دفعه إلى فيروز

فلما لم يجدوا فى هذه القضية الغامضة غير تلك الشهادة طووا التحقيق فيها ، ولم يروا فى هذه الشهادة ما يدين جفينة والهرمزان ، وكان فى طى التحقيق بهذا الشكل أكبر دلالة على سمو الإسلام ، لأنه أبى مع تلك الشهادة التى تثير شبهة قوية فى أن قتل عمر كان بمؤامرة فارسية أن يحمل لشهوة الانتقام أثراً فى حكمه ، وأن تأخذه عزة السلطان فيستهين بدم شعب خضع له ، ويجعلها مذبحة تشفى النفوس الثائرة لقتل ذلك الخليفة الذى نشر لواءه فى الخافقين

ولكن طى التحقيق بهذا الشكل لم يرض بعض آل عمر ، وكان ابنه عبيد الله لا يزال فتى يجرى فيه دم الشباب ، ويعد من شجعان قريش وفرسانهم ، فخرج مشتملاً على السيف حتى أتى الهرمزان فقال : اصحبنى ننظر إلى فرس لى . وكان الهرمزان بصيراً بالخيل ، فخرج بين يديه فعلاه عبيد الله بالسيف ، فلما وجد حرّ السيف قال : لا إله إلا الله ، فقتله . ثم أتى جفينة وكان نصرانياً من أهل الحيرة ، أقدمه سعد بن أبى وقاص إلى المدينة ليعلم بها الكتابة ، فلما أشرف له علاه بالسيف فضربه فصلّب ما بين عينيه ، ثم أتى ابنة أبى لؤلؤة جارية صغيرة تدّعى الإسلام فقتلها ، ثم أقبل بالسيف صَلْتاً فى يده وهو يقول : والله لا أترك في المدينة سبياً إلا قتلته وغيرهم ، وكأنه يعرّض بناس من المهاجرين ، فجعلوا يقولون له : ألق السيف ، فيأبى ويهابونه إلى أن أتى عمرو بن العاص فقال له : يا ابن أخى أعطنى السيف . فأعطاه إياه ، ثم ثار إليه عثمان بن عفان فأخذ بناصيته حتى حجز الناس بينهما ، وأرسل صُهَيب الرومى القائم مقام الخليفة من أتى به إليه ، فسجنه حتى يتم الاستخلاف وينظر فى أمره

فلما تولى عثمان الخلافة جلس فى المسجد لينظر فى هذه القضية التى وقف العالم ينظر ما يفعله الإسلام فيها ، فدعا بعبيد الله من سجنه ، ثم قال لجماعة المهاجرين والأنصار : أشيروا علىّ فى هذا الذى فتق فى الإسلام ما فتق ، فنصب علىّ ابن أبى طالب نفسه محامياً عن الهرمزان ومن قتل معه ، وقال لعثمان : أرى أن تقتل عبيد الله . وهو فى هذا يرى أن النص صريح فى القصاص من القاتل ، ومتى كان هذا أمر النص وجب الحكم به ، ولا يصح أن يراعى معه شىء آخر ، ولا أن يُغلَّب على حكمه ما يقترن بحادث القتل من مثل ما اقترن به فى هذا الحادث ، لأن أمر النص فوق كل شخص ، وحكمه يعلو على كل اعتبار ، وهو فى هذا كمن يتمسك فى عصرنا بألفاظ القوانين ، ولا يبيح العدول عنها فى حال من الأحوال . وقد وضع على بهذا أول حجر فى أساس تشييع الفرس له

ونصب جماعة من المهاجرين أنفسهم للدفاع عن عبيد الله ، فقالوا فى الدفاع عنه : قُتل عمر بالأمس وتريدون أن تُتبعوه ابنه اليوم ! أبعَدَ الله الهرمزان وجفينة ! وكأنى بهم يخالفون علياً فى ذلك النظر إلى النص ، ويرون أنه قد يطرأ من الأحوال ما يجب معه التساهل فى أمر النصوص ، وتغليب الاعتبارات التى تمنع من الأخذ بها ، فلا يجب أن يتقيد القاضى بها دائماً ، بل يجب أن يترك الأخذ بها وعدمه لتقديره واجتهاده ، ولحكم الأحوال التى تقترن بالحادث الذى يريد الحكم فيه

وكان عمرو بن العاص ممن نصب نفسه للدفاع عن عبيد الله ، وقد ذهب فيه مذهباً غريباً يخلصه من القصاص ، ولا يكون فيه عنده خروج على نص الشرع فى قتل العمد ، فقال لعثمان : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الأمر ولك على الناس من سلطان ، إنما كان هذا الأمر ولا سلطان لك ، فاصفح عنه يا أمير المؤمنين . وعمرو يذهب فى هذا كما ذكر ابن حزم

إلى إهدار القوَد عمن قتل فى الجماعة بين موت إمام وولاية آخر ، وهو مذهب غريب لا يصح الأخذ به ، وإلا انتظر الناس ذلك الظرف فاستباحوا فيه الدماء ، لأنهم يرون أنه لا ينالهم فيه قصاص . وانتهت بدفاع عمرو مرحلة الدفاع فى القضية ، وهو دفاع يدل على أن الصحابة كانوا يتمتعون بقسط وافر من حرية الاجتهاد ، وأنهم كانوا لا يقفون جامدين أمام دلالة النص إذا حزب الأمر ، واقتضى مرونة تحل ما يوهمهم فيه من إشكال . وقد تشعب الخلاف بينهم فى دفاعهم حتى بلغ أقصى ما يبلغه خلاف ، فلم يحمل أحداً منهم على الطعن فى دين الآخر ، ولم يرمه بالإلحاد الذى نتراى به فى عصرنا فى كل خلاف يحصل بيننا

ثم جاءت مرحلة الحكم فقال عثمان : أنا ولى الهرمزان وجفينة والجارية ، وقد جعلتها دية . وفى رواية أنه قال لعلى حينما قال له اقتل عبيد الله : كيف أقتل رجلاً قتل أبوه أمس ، لا أفعل . ولكن هذا رجل من أهل الأرض ، وأنا وليه أعفو عنه وأؤدى ديته . وقد اختلف العلماء فى توجيه هذا الحكم الذى جاء مخالفاً لنص القصاص ، فقال صاحب البدائع : أراد بقوله : أعفو عنه وأؤدى ديته ، الصلح على الدية . وللحاكم أن يصالح على الدية إلا أنه لا يملك العفو ، لأن القصاص حق المسلمين بدليل أن ميراثه لهم وأن الحاكم نائب عنهم فى الإقامة . وفى العفو إسقاط حقهم أصلاً ، وهذا لا يجوز . وله أن يصالح على الدية كما فعل عثمان رضى الله عنه . وذكر ابن حزم أن عثمان أخذ فى ذلك بما ذهب إليه عمرو فى دفاعه من إهدار القوَد عمن قتل فى الجماعة بين موت إمام وولاية آخر . وقيل إن عثمان لم يحكم بذلك إلا بعد أن دعا القماذبان بن الهرمزان فأمكنه من عبيد الله ثم قال له : يا بُنى ! هذا قاتل أبيك ، وأنت أولى به منا ، فاذهب فاقتله . فخرج به وما فى الأرض أحد إلا معه ؛ إلا أنهم يطلبون إليه فيه ، فقال لهم : إلى قتله ؟ قالوا نعم ، وسبُّوا عبيد الله . فقال : أفلكم أن تمنعوه ؟ قالوا : لا ؛ وسبُّوه . فتركه لله ولهم ؛ فاحتملوه حتى بلغوا به المنزل على رؤوسهم وأكُفِّهم . وقد حكم ابن حجر بضعف هذا الخبر ، لأن علياً استمر حريصاً على أن يقتله بالهرمزان . وقد قالوا إنه هرب لما ولى الخلافة إلى الشام فكان مع معاوية إلى أن قُتل معه بِصفّين . وإنى أرى أن هذا لا يقطع بضعف هذا الخبر ، لأنه يجوز أن علياً رأى أن القماذبان قد حمل من الناس على هذا العفو ، على أنى أستبعد أن يستمر على حريصاً على قتل عبيد الله بعد حكم عثمان بذلك ؛ فلكل حكم قداسته ، وعلىٌّ أكبر من أن يستهين بالأحكام إلى هذا الحد . ولا أنكر مع هذا أنه لم يكن راضياً عنه ، وأنه كان هناك فريق من الصحابة يشاركه فى عدم الرضا به ، ومن ذلك الفريق زياد ابن لَبيدٍ البياضى ، وكان إذا رأى عبيد الله ينشده :

ألا يا عبيد الله مالك مهربٌ
ولا ملجأ من ابن أرْوى ولا خَفَرْ
أصبت دماً والله فى غير حِلِّه
حراماً وقتل الهرمزانِ له خطر
على غير شىء غير أن قال قائل
أتتهمون الهرمزان على عُمر
فقال سفيهُ والحوادث جمةٌ
نعم أتهمُه قد أشار وقد أمر
وكان سلاح العبد فى جوف بيته
يقلِّبها والأمر بالأمر يعتبرْ

فشكاه عبيد الله إلى عثمان فدعا به فنهاه ، فقال فى عثمان :

أبا عمرو عبيد الله رهنٌ
فلا تشكك بقتل الهرمزان
فإنك إن غفرتَ الجُرْم عنه
وأسباب الخطا فرسا رهان
أتعفو إذ عفوت بغير حقٍّ
فمالك بالذى تحكى يدان

فدعا به عثمان ثانياً فنهاه وشذَبه ، وكان حقيقاً بما فعل عثمان به لأن الطعن فى الأحكام بهذا الشكل يدعو إلى الفوضى ، والقاضى إذا حكم باجتهاده كان لحكمه قداسته كائناً ما كان حكمه

عبد المتعال الصعيدى

من روائع الرسول

للأستاذ قدري حافظ طوقان



يمر الزمن وتزداد عظمة الرسول وضوحاً وجلاء، وكلما تعمقنا في دراسة روائعه وجوامع كلمه تجلى صفاء المعنى وسمو المرمى والحكمة الزاخرة والحق المبين

وحين نستعرض بعض روائعه نجتلي محاسن أغراسها، ونمتع النفس بنفائس أزهارها، ونغذي الروح بما فيها من حكمة وخير وجمال — أقول حين نستعرض هذه نجد أن من الأحاديث ما يعبر أروع تعبير عن حقيقة الظواهر الكونية وعن القوانين الطبيعية التي تسيطر على هذا العالم، فهي وإن قلت عدد كلمات، فقد حوت من الحكم والمعاني ما يبهر العقل والقلب والعاطفة؛ يهتدي بها الضال في الفلوات، ويرنو إليها الخابط في الظلمات، تنير الفكر وتهدي إلى الغاية، كما ترشد إلى الحقيقة الخالدة. فيها الهدى، وفيها الموعظة، وفيها العبرة.

كان إبراهيم قرة عين الرسول يُسَرُّ بدعابته ويطمئن إلى رؤيته، يرمقه بعطف ليس بعده عطف، ويخلع عليه ألواناً من الحب والحنان تتمثل فيها الرحمة الأبوية في أقوى صورها، والعاطفة الإنسانية في أسمى معانيها.

لقد فقد محمد أبناءه وبناته ولم يبق له غير فاطمة وإبراهيم. لهذا لا عجب إذا طفح بشراً عند مشاهدتهما، وامتلأ غبطة وسروراً في لقياهما، ولكن شاءت الحكمة الإلهية أن لا تطول تلك الغبطة وذلك السرور، وأن يفجع النبي في ولده إبراهيم، وهنا (انطفأ بموته ذلك الذي تفتحت له نفس زمناً وزادت عينا محمد تهتانا وهو يقول: يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق وأن آخرنا سيلحق بأولنا لحزنا عليك بأشد من هذا ...)

كسفت الشمس في يوم الوفاة، ورأى المسلمون في ذلك كرامة. فقال بعضهم: لقد انكسفت الشمس لموته. وهم على ما يظهر على حق فيما يقولون؛ فلقد وافق موت إبراهيم كسوف الشمس؛ فلماذا لا يرى بعضهم في هذا معجزة؟

أليس الله بقادر على كل شيء؟

أليس الرسول كريماً عند مولاه؟

لقد حسبوا أن الله أراد أن يكون في هذه الظاهرة العزاء والسلوى لنبيه الكريم ...

وهنا ... يتجلى في محمد — على فرط حبه لإبراهيم وشدة حزنه عليه وجزعه لموته — إخلاصه للرسالة، ويرى في القول خروجاً على الدعوة التي بعث من أجلها، ولا يرضى أن يرى الناس في هذا معجزة فينسى أن إبراهيم، ولده ويندى أن إبراهيم كان رجاءه وأمله، وينسى أن إبراهيم مات ولما تتفتح نفسه له ... وينسى فجيعته وهذا الهول الذي نزل به، ويقف خطيباً ويقول: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته؛ فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي)

صلى الله عليك ... وهل بعد هذا من عظمة؟ ففي أحرج المواقف، في أدقها، لم تنس رسالتك، ولم تغفل عن الحق الذي أتيت به، وأبيت إلا أن تكون مخلصاً لدعوتك ولحقائق الوجود، وجئت بدستور كوني وضع حداً لسخافات المنجمين وأقوالهم، ولاعتقادات الناس في الظواهر الطبيعية والكونية، وبأن ما يجري في الكون لا يتقيد بأحد، ولا يسير إرضاء لبشر، بل إن هناك قوانين تسيرها، وأنظمة تسيطر على حركاتها، أوجدها الخالق منذ الأزل لا تحيد عن الطريق الذي رسمها، وقد نزهها عن الشذوذ والتناقض

ومن يبحث فى هذا الكون ويسعَ فى الوقوف على أنظمته والقوانين التى تسيطر عليه يجد أن لا شىء فيه إلا يسير ضمن دائرة من القوانين لا يتعداها ، وأن ما يسيطر على أصغر أجزاء المادة يسيطر على أكبرها ، وأن الكون متسق فى نظامه ، متناسق فى أجزائه ، متشابه فى تركيبه ، وأن النظام الوجود فى السيارات والشموس هو بعينه فى الجوهر الفرد ، فى الكهارب وفى النوايا . ومن الغريب أن الإنسان كلما تقدم فى الكشف عن قوانين الطبيعة وكلما حاول تفهم أسرارها ، رأى نفسه أمام أسئلة عديدة لا يستطيع الإجابة عنها ، وقد زاد اعتقاداً بضآلته وجهله ، وبأنه لم يكشف شيئاً ، وأنه لا يزال فى فجر يقظته العقلية وفى مراحل التفكير الأولى فى الوقوف على أسرار الوجود . وكلما قلب بصره فى هذا الفضاء وزاد معرفة به شعر بأن الوداعة تقترب منه ، وأن من الواجب عليه أن يكون فى الذروة من التواضع وسمو الخلق . ولا عجب ، فحسبه أن يعرف أن الأرض إزاء الأجرام السماوية التى لا عد لها أشكالاً وأنواعاً كذروة من الغبار سائرة إلى الفناء لا تأبه للحياة ... ولقد ربط مبدع هذا الكون أجزاءه بعضها ببعض ربطاً وثيقاً لا يستغنى أحدها عن الآخر ولا يستطيع أى جزء أن يسير دون غيره ، فالإنسان مرتبط بالإنسان ، وهذه كرته التى يعيش عليها وما فيها من حيوان ونبات وجماد لها علاقة مباشرة وغير مباشرة مع غيرها من الكواكب والنجوم ، فلولا الشمس لما عاش النبات والحيوان والإنسان ، ولولا القمر لاختل نظام التجارة ، ولولا الكواكب والنجوم وجذب بعضها لبعض لما استطاع أن يحفظ كل نجم أو كوكب مركزه فى هذا الوجود ولسادت الفوضى وعم البلاء

وعلى هذا فالعالم مترابطة أجزاؤه تسيطر عليها أنظمة وتتولاها قوانين لا تتعداها ولا تشذ عنها : والذى لا ريب فيه أن هذا الكون لم يوجد من تلقاء نفسه إذ لو كان كذلك لما رأينا فيه هذا النظام وهذا التنسيق . بل إن هناك قوة « خارقة » منسقة منظمة لا يحيط بها عقلنا ، بل هى تحيط بنا وبهذا الوجود من جميع نواحيه فلا تتحرك هباءة فى الأرض والسماء من جماد أو نبات أو حيوان ، ولا فلك ولا نجم ولا كوكب إلا والله هو محركها والمسير لها فى دائرة من النواميس تشهد على عظمته وحكمته وبديع أمره فى خلقه ، وتنطق بكمال علمه ونفاذ مشيئته ، وتدل على قدرته وجلاله وكبريائه . ومهمتنا نحن البشر أن نزيد معارفنا عن هذه النواميس ونبحث فى أصولها . وكلما زدنا معرفة بها زدنا اعتقاداً بقدرة الله الخارقة المنظمة وإيماناً بقوة إبداعه ، وظهر لنا بجلاء أن هذا الكون لم يخلق باطلاً

هذا الاعتقاد وهذا الإيمان ، إذا رسخا عن طريق الدرس والبحث والتفكير فى آيات الله فإنهما يسموان بالإنسان إلى عالم أسمى من عالمنا ، وفى هذا لذة روحية ومتاع فكرى ليس بعدهما لذة أو متاع . وهذا ما جعل الرسول المفكر يقول عند حدوث الظواهر الكونية : اذكروا الله وتفكروا فى آلائه وعجائب صنعه ، ففى هذا آيات لأولى الألباب ، وفى هذا عبادة هى أسمى العبادات وأفضلها

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات الأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك »

(نابلس) قدري حافظ طوقان

حكم فى الجنحة ٣٤٨ عسكرية بولاق سنة ١٩٤١ بتغريم حافظ عبد السلام ٢٠٠ قرش لامتناعه عن بيع بترول بالسعر المحدد

تحية الهجرة

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن



يا دياراً طيب الله ثراها — طلع الحق عليها فهداها
إنه النور الذى أخرجها — من عشى الظلمة واجتاح دجاها
لم يُرِدْ مجداً ولم يسع إلى — زُخرفِ الدنيا ولم يبتغ جاها
لم يرد فى الحق إلا غايةً — لا . ولم يدع مع الله إلاها
السفاهات عليه اجتمعت — فمضى لم يخش فى الحق سفاها
والضلالات عليه ائتمرت — إنها لم تثنه ... لكن ثناها
غُلِبَ الشِّرك على دولته — والهوى قُوِّضَ والباطل شاها

أيها الداعى إلى السِّلم أعِنْ — أمماً قد ضاع فى السلم رجاها
نزغ الشيطان فيهم فمشى — كل شيطان بأرض يتباهى
مَلأوا أشداقهم سلماً كما — تملأ الضفدع بالأصوات فاها
مُلتوى الغايات... لم نعرف لهم — وِجهةً تُبْغَى ولم ندر اتجاها
كل يوم جشع لا ينتهى — كل حين طمع لا يتناهى ...

أيها الهادم أصنامَ منًى — عادت اليومَ كما نحن نراها
أين منها « اللاتُ » فى طاغوتها — والقرابينُ تُضحَّى لثراها ؟
كل أرض بدلت من ربها — صنماً يمتص بالبَغْى دماها
ساقها للحرب شعواء وقد — دارت الحرب على قطب رحاها
دولة الأصنام قد ولت فمن — عاد بالدنيا قروناً فدعاها ؟؟
نُزِّهَ الله عن الشرك ... لقد — تخِذَ الناس من الناس إلاها

أيها الخارج من مكة لم — يلق منها العطف أو يأمن أذاها
أهلُكَ الأدنون عادَوْكَ وقد — تجد النفس من القربى عِداها
هذه أرضك فارقتَ لكى — تنشد الأمن عَلَى أرض سواها
هكذا الأحرار لا تقعدهم — جذوة الظلم ولا لفح لظاها
لا تضيق الأرض فى أعينهم — عن أمانى النفس أو درك مداها
كل أرض ظلّلتهم وطن — ما هى الأوطان إن ضاع حماها ؟

هِجْرَةٌ لله لم تبغ بها — كلأ رطباً وأرضاً ومياها
هذه مكة قد غَصَّتْ بها — أعينُ القربى وآذتك يداها
أجمعوا ـ والله أقواهم يداً ـ — وعلَوْا ـ والحق أعلاهم جباها
فإذا الباطل أعيا أمره — وإذا الأصنام قد خارت قواها
لم تكن إلا رُؤًى خادعةً — طلع الصبح عليها فمحاها ...

اسألوا الإسلام عن دولته — من أشاع السلم فيها من بناها ؟
من عَلَى القوة أرسى أرضها — وعلى العزة قد أعلى سماها ؟
قرشى من بنى هاشم ما — دل بالسلطان أو بالحكم تاها
مهد الأمر لدنيا أقبلت — وزمان بنى قحطان باهَى ...
فتحوا الأرض فما غلوا يداً — سَفَهاً منهم ولا كفُّوا شِفاها

على عتبة رسول الله

للشاعر التركي ابراهيم صبري

للأستاذ عثمان علي عسل

هذا مقام أحمد محمود المجتبى ، هذا هو حب الله قد تجسد تراباً وإنه لكحل للعيون . ألا فلتحمل أيها القلم قلبي إليه وقطعه إرباً إرباً وعلّق به فلذة منه لتكون بلسماً لجراحه

قبّل ثراه ساجداً وابسط تضرعي وابتهالي فههنا حرم سيد المرسلين باب المصطفى

***

بشر الأنبياء بالحياة في الآخرة غير أنك يارسول الله أسبغت على الدنيا حياة أيضاً

هدمت عصور الجهل وحكمت علي الظلم بالهلاك

فأنت عطية من الله للأحرار يارسول الله . فتاريخ البشر لم يسجل حدثاً أكبر شأناً من رسالتك ، فمن ذلك اليوم كان التوحيد لله وحده

حين أستمع إلى دعوات التكبير التي تنبعث من أغوار العصور الغابرة يستولى على جنانى الدوار ويخر مع سجودى على الأرض فى استغراق من الحيرة

وحينما أعود بأفكارى القهقرى إلى أسلافي وأرسل خيالى إلى هؤلاء الصحابة والأشراف الذين دانت لهم أمصار الأرض أتمثل « يا محمد » هذا النداء الذى يتردد فى صلوات أرواح لا تحصى

وحينئذ يذكرنى الذل الذى ترسف فيه شعوب الإسلام بذلك الماضى المجيد الذى أصبح تاريخاً ؛ فتنزف روحى دماً ويستحيل إحساسى وأفكارى ألماً . لم يبق للاسلام من ذلك المهد الجليل سوى هذه القفار الجرداء

وإنى لأبحث عن حقوق الإنسان التى أشرقت فى المغرب ثم أشعلت النار فى المشرق ثم غابت ؛ فلا أجد لبزوغها أثراً فى هذه الفيافى التى لا يسمع للصوت فيها صدى . لا رجاء فى هذه النظم التى سنتها البشرية ... وليس من نفاق أصدق من الحقوق المزعومة والحقائق الباطلة

أما أنا فقد فتنت بحق من فيض هداك ، ومن احتراق لليلاء أمزق ثيابى كالمجنون

ليلاى ليس من شيمة حبها ظلم فحبها للجميع سواء

والذين وقعوا فى شراك غرامها لا يشعرون بالندامة ، لأن هناك أمامهم يوم القيامة

وكأنما القرآن رسالة غرام تنثر السلوى للعشاق المعاميد

ألا كيف يشرب ذو الحجى خمرة الذهول من يد الساقي

ضمنوا حرية الفكر وما ... ضيقوا يوماً على الناس مداها
كان للرأى لديهم ساحة ... كالميادين وأرحاء وَغَاها
اسألوا بغداد عما شهدت ... من جدال سطرته صفحتاها
الثقافات لديهم مثلت ... بعدما ألقت من السير عصاها...

يا دياراً ألفتها وَحْدَةٌ ... نسع الدنيا جميعاً فى حماها
بين وادى النيل فى رقته ... ورُبَى لُبنانَ فى شُمّ ذُرَاها
والهضابِ الخضر من أندلُس ... والعراقين وأعلام قراها
هذه الأوطان من فرقها ... وبأحداث الليالى من رماها
لم يعد فيها سوى مئذنة ... ضاع فى الغارات مرجوع صداها...
فمتى يرجع يوماً مجدها ... وَمَتَى يُشرق بالشمس ضحاها ؟
وَمَتَى يهتف فيها هاتف ... بالمودات وأنغام لغاها ؟ ؟ ؟

محمد عبد الغني حسن

ما دام الصحو من سكر الدنيا هو النوم

سكبت من مآقى جرعات وانصرفت من مجلس لهوى على حداد . وبودى أن أتناول كأس الوصال من يد ليلاى لأنقع به صداى ...

أنت لحب ليلى رسول تكرمت فيمتك فى تواضع ليس من طبيعة المشوق ، ومن أنا يا رسول الله حتى تحمل إلى الرسالة ؟ لهذا جئت إليك متضرعاً فى خشوع وخضوع

أنا شاعر صغير من شعراء الروم هاجرت من ديارى وقد تحجر راعى فضممته إلى أحشائى ، كما يشد الساغب الحجر على بطنه ليمسك رمقه

ولقد تحطم خيالى من فيض الإلهام الذى انهال عليه من مقام المصطفى ولا يدركه عقل ... ومن ذكريات حبيب الله التى لا أدرى كيف استوعبها الثرى

وقفت مطرق الجبين حاسر الصدر باسطاً يدى أسأل الرحمة ومنتظراً منك المونة على باب سخائك

وسأستمد الجرأة من شأنك الذى رفعه الله بقسمه « لعمرك » كما ألتمس من شفاعتك الرحمة والهداية لأمتك العاصية ما دامت قصيدتى ستمضى إلى الأبد فى تقبيل تراب روضتك الطاهر .

مرهها

عزاله على فصل

إعــلان

يحيط مجلس مديرية أسيوط المصالح والجمهور علماً بأن القسائم غير المستعملة والآتى بيانها فقدت من دفتر القسائم ٣٣ع . ح مجموعة نمرة ٣٤

عدد
٨ قسيمة مما تبقى بالدفتر منها :

عدد
٤ من رقم ٦٤٦٤٧٣ إلى رقم ٦٤٦٤٧٦
٤ « « ٦٤٦٥١٣ « « ٦٤٦٥١٦

عدد
٨ قسيمة مما تعطى للدافع منها :

عدد
٤ من رقم ٦٤٦٤٦٩ إلى رقم ٦٤٦٤٧٢
٤ « « ٦٤٦٥٠٩ « « ٦٤٦٥١٢

فكل من عرضت عليه أو عثر بأى طريق كان على إحدى هذه الأوراق أن يعلم أنه لا قيمة لها وأنها لاغية وغير معمول بها وليكن معلوماً أنها إذا استعملت إنما يكون استعمالها من باب الاختلاس والتزوير مما يجعل مستعملها عرضة للمحاكمة جنائيا ومجازاته بما يقضى به القانون وقد نشر هذا الاعلان لئلا يجهل أحد ما تقدم ؟

١٧٥٦

محكمة بيا الجزئية الأهلية

اعلان بيع عقار فى القضية ن ١١٣٥ سنة ١٩٤٣

بجلسة البيوع اللازم انعقادها بسراية محكمة بيا الجزئية الأهلية فى يوم الخميس ١٠ فبراير ١٩٤٤ أفرنكى صباحا

سيصير إشهار مزاد وبيع العقار كالآتى

١٦ س ٢٠ ف بحوض محمد بك ٢٤ قطعة ن ٢٦ البحرى لزم بنت فتح الباب بالقطعة ن ٢٥ بحوض والشرقى طريق عمومى والقبلى ورثة حسن أبو الجود بالقطعة ن ٢٧ بحوض والشرقى طريق عمومى والقبلى ورثة حسن أبو الجود بالقطعة ن ٢٧ بحوض والغربى فاصل حوض رشوان باشا ن ٤

٢٦ س ٢٠ ف فقط عشرين قيراطا وستة عشر سهما لا غير

وهذا البيع بناء على طلب محمود افندى حسن خاطر رئيس كتاب مصلحة السكة الحديد بالقبارى بالاسكندرية ومتخذ له محلا مختارا بنى سويف مكتب حضرة الاستاذ حلمى افندى لوقا المحامى وبناء على حكم نزع الملكية الصادر من محكمة بيا الجزئية الأهلية بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٩٤٣ ومسجل بقلم كتاب محكمة بنى سويف الأهلية فى ٣٠ ـ ٥ ـ ١٩٤٣ نمرة ٤٣٦ م ١٩٤٣ وذلك وفاء لسداد مبلغ ٣٣٠ مليم ٢٧ جنيه بخلاف المصاريف وما يستجد لغاية تمام السداد وسيكون البيع بثمن اساسي قدره ٤٠ جنيه الفدر جميعه بالشروط الواردة بالعريضة وأن يكون البيع صفقة واحدة وجميع الأوراق وكذا شروط البيع مودعة بقلم كتاب المحكمة لمن يرغب الاطلاع عليها

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المبين أعلاه

فنعلن بذلك

وعلى قلم المحضرين لصق وتعليق نسخ مذاق المحلات القانونية حسب القانون مع إعلان كل من المدين الشيخ طه برديس على المقيم بناحية رشاشة مركز بيا

الست أنجيل خبار المقيمة بمصر ومحلها المختار مكتب حضرة الأفوكاتو شارل جيما بصفتها صاحبة دين مسجل

الداين محمود افندى حسن خاطر المقيم بالاسكندرية بالسكة الحديد بالقبارى ومتخذ له محلا مختاراً ببنى سويف مكتب حضرة الاستاذ حلمى افندي لوقا المحامى

كاتب اليوم

12 me. Année No. 551
Lundi - 24 - 1 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثانية عشرة «القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ المحرم سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٤ يناير سنة ١٩٤٤» العدد ٥٥١

في التأني السلامة

للأستاذ عباس محمود العقاد

قلنا في كتاب «الصديقة بنت الصديق» أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تروى كثيراً من الشعر ... «وكانت تحفظ من شعر عروة بن الزبير نفسه وتسوق الشاهد منه في موقعه، كما قالت وهي ترى النبي عليه السلام يتندى عرقاً في يوم قائظ وقد جلس يصلح نعله: لو رآك عروة لكنت المعنى بقوله:

فلو سمعوا في مصر أوصاف خده
لما بذلوا في سوم يوسف من نقد
لواحي زليخا لو رأين جبينه
لآثرن بالقطع القلوب على الأيدي

إلى آخر ما جاء في ذلك الكتاب

وقد رأينا في العدد الأخير من مجلة الثقافة كلاماً بتوقيع «أحمد محمد شاكر» يقول فيه:

«أما هذه القصة فقد أطلت البحث عنها في المصادر المحترمة من كتب الحديث والسير والتاريخ حتى أتعبني البحث، ثم لم أجدها. وهذا النوع من الكاتبين لا يتورعون عن تكذيب الأحاديث الصحيحة المروية في كتب السنة الصحاح والتي رضيها أهل العلم بالحديث: يكذبونها إذا لم توافق آراءهم وما يدعون إليه

الفهرس

صفحة
٨١ في التأني السلامة ... . . : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٨٣ القصيد المرسل . . ... : لأستاذ جليل ... ...
٨٥ على محمود طه شاعر الفن والجمال : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٨٨ أعوذ برب الخلق من شر ما خلق : «الكاتب المجهول» ...
٩١ كتب وشخصيات: الصديقة بنت الصديق . . ... للعقاد } الأستاذ سيد قطب .. ...
٩٤ إلى الأديب محمد العلائي [قصيدة] : الدكتور عزيز فهمي . ...
٩٥ حول خلود الروح ... .. : الأديب زكريا إبراهيم ...
٩٥ حول ختان البنات في مصر : الأديب سليمان بخيت .. ...
٩٦ في الصديقة بنت الصديق أيضاً : الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
٩٧ لبشار أم لكثير عزة .. .. : الأستاذ برهان الدين الداغستاني
٩٨ الاعتراف .. .. } الكاتب الفرنسي جي دي موبسان بقلم الآنسة درية رستم ...

٢٢٥٠٦

من نظريات يتناولون فيها قواعد الإسلام ، ويزعمون أنهم يتبعون بذلك ما يسمونه طرق النقد الحديث ، ثم يحكون عن رسول الله وعن أصحابه الأكاذيب لا يرون بحكايتها بأساً وينسبونها إليهم نسبة جازمة ، كأنها من الحديث الصحيح لا يتحرون ولا يبحثون ، إنما هو سواد فى بياض ، ينسل به الناس وهم يشعرون أولا يشعرون . . . أنا لا أجيز لنفسى أن أتهم الكاتب الجرىء بأنه اخترع هذه القصة من عند نفسه ، ولكنى أظن أنه رآها فى كتاب من كتب السمر . . . »

إلى أن يقول :

« الذى نعرفه من التاريخ الصحيح فى أمر عروة بن الزبير أنه ولد فى آخر خلافة عمر سنة ٢٣ وقيل بعد ذلك . . . » إلى غير ذلك من أشباه هذا الكلام الذى ينم قليله على كثيره

وكان بودنا أن ننقل هنا كلمة الكاتب بحذافيرها لتشهد عليه وعلى طويته وبواعث نقده ، لولا أننا نطيل فى غير طائل . وإن الاجتزاء بما نقلناه كاف للدلالة على دخائل الصدور وكوامن النيات .

فأوجز ما نقول وأصدقه أن الجرأة كل الجرأة هى فى إقدام الكاتب على مثل هذا الكلام وهو يضع نفسه موضع الحكم الفصل فى أخبار السيرة ومراجع الأحاديث والمحدثين مع قصور المراجع التى عنده وقصوره فى البحث عنها ، واستيفاء مواضع الاستقصاء منها ، فى مسألة بعينها هى معروضة له ومبسوطة بين يديه

ولا معابة على أحد أن يفوته بعض المراجع التى لا تفوت غيره ، ولكن المعابة كل المعابة أن يبحث عنها عامداً فلا يهتدى إلى طريقها ، وهو يتحدى ويناجز ويتهم ويعاجز ، وبه ما به من هذه اللهفة على إظهار العلم الغزير وإغلاق موارد البحث دون الباحثين

تلك معابة أى معابة على من يحسب أنه يتحرى وحده ويبحث وحده مكتفياً بما فى يديه غير مستزيد مما عنده . ثم هو يبسط يديه معاً إلى أقصى مداهما فلا تبلغان ميسور ما فى الأيدى من المراجع فى باب السير وكتب المحدثين

فليعلم هذا الكاتب — الجرىء — إذن أننا لم نخترع هذه القصة من عندنا ، وأننا لم نرها فى كتاب من كتب السمر ولا فى كتاب من الكتب التى يعوزها الاحترام ؛ لأن شرح شمائل الترمذى ليس اختراعا لمؤلف « الصديقة بنت الصديق » ولا هو حكاية من حكايات الأسمار ، ولا هو منزلة يعوزها احترام مثله ، وهو لا يرتقى إلى منزلة التلميذ المستفيد بين أصغر شراح الترمذى فى أخبار السيرة وعلم الحديث

فشمائل الترمذى وشروحه من أشهر كتب السيرة التي يتسامع بها العلماء الواصلون والشداة المبتدئون ، وهذه القصة مذكورة في شرح الشمائل للعلامة محمد بن قاسم جسوس يراجعها فى الجزء الأول صفحة ٢٩ من الطبعة المصرية وفى صفحة ٤٠ من الطبعة الخارجية ، ليعلم أننا لا نخترع ولا نعتمد على كتب الأسمار ، وأنه لا يزال يتهجى فى مراجعة فهارس المكتبات ليعلم أين يكون البحث وكيف يكون الاستقصاء ، ودع عنك المطولات والمبسوطات ، ودع عنك الشروح والأصول

وظاهر من كلام هذا الكاتب الجرىء الذى نقلناه والذى لم ننقله أنه يتتبع ما ألفناه من كتب « العبقريات » واحداً بعد واحد ، وأنه على اللهفة التى ما بعدها لهفة للعثور على هفوة هنا أو نقيصة هناك ، ثم يطلق عقال الحفيظة ليثور ويفور ، ويبلغ قصاراه من الثوران والفوران

فإذا كان قد أضنى نفسه بحثاً فى خمسة كتب أصدرناها من سلسلة العبقريات وما إليها فلم يخرج منها — مع تلك اللهفة وذلك التجنى — بغير تلك القصة ، فهل فى وسعه أن يشهد لباحث فى المشرق أو فى المغرب بتحقيق أوفى من هذا التحقيق ، وفضل أشرف من هذا الفضل ، وعناية أكبر من هذه العناية ؟

أين هو الباحث الذى كتب فى السيرة أو غير السيرة ، وبين المتقدمين أو غير المتقدمين ، ثم تعقبه المغيظون المتلهفون على الأخطاء فعصموه عن حكايات فضلاً عن حكاية ، وعن مخالفات لآرائهم فضلاً عن مخالفة واحدة ؟

صفحات تتجاوز المئات إلى الألوف كلها تنزيه للنبى وتعظيم لأصحابه وأنت فى لهفتك على المعابة تجحظ عيناك فى كل سطر منها فلا تقع على غير تلك القصة التى لا تضير ولو كذب رواتها جميعاً ثم تخرج بها إلى الناس نافخاً فى الصور ، متشدقاً بعظائم

الأمور ، ناسياً لصاحب تلك الصفحات كل ما أصاب فيه ،
ولو كنت على يقين وأنت كما رأيت لست على أقل يقين !

هب العلامة ابن قاسم الذى شرح شمائل الترمذى قد روى ما رواه خطأ من شعر عروة بن الزبير ، وهب عروة لم يقل هذا الشعر ولم تنشده السيدة عائشة ، فماذا فى الرواية مما لا ينبغى للسيدة عائشة أو مما لا ينبغى للنبى عليه السلام ؟

هل فيها إلا أن السيدة عائشة كانت تثنى على جمال النبى وأن النبى كان يسره هذا الثناء ؟

أهذا الذى لا ينبغى لعائشة رضى الله عنها ولمحمد صلوات الله عليه ؟ كلا بل هذا الذى ينبغى لهما دون غيره ، ومن أنكره فهو الكاذب الذى لا يفقه ما يقول

وهأنذا أعيدها جهرة بغير سند ولا رواية من شاعر أو فقيه : لقد كانت عائشة تثنى على جمال محمد وكان محمد يرضى عن هذا الثناء

أسمعت يا هذا ؟

مرة أخرى أعيدها لك ولغيرك ممن يشاء أن ينكرها ، فأقول ثم أعيد أن عائشة أثنت على جمال محمد غير مرة وأن محمداً رضى عن هذا الثناء فى كل مرة ، فإن كانت قد بلغت أذنيك فاذهب إلى صورك فانفخ فيه ما بدا لك ، وادع من يستمع لك أو يستجيب

فليس فى القصة ما يدعو إلى الاستنكار والتردد من وجهة الأدب فى حق النبى عليه السلام ، ويجوز من الوجهة التاريخية أن يكون عروة قد ولد بعد العهد الذى ذكره الرواة .

ولكن يستبعد جداً أنه ولد فى سنة ٢٣ التى اعتمدها حضرة البحاثة المتحرى البارع فى تحرى الأعمار والأوقات ، لأن أم عروة أسماء بنت الصديق ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة وليس هو بآخر أولادها ، ويندر جداً أن تلد المرأة بعد الخمسين

ومع كل هذا لا نرى نحن أن نجعل رواية من روايات السنوات والأعمار مبطلة لمقال أو قصيد على سبيل الجزم الذى لا مراجعة فيه ؛ فعمر بن الخطاب نفسه مختلف فى عمره بين خمس وخمسين سنة كما يقول ابن قتيبة ، وثلاث وستين كما يقول الواقدى ومن جاراه . وحديث الإفك نفسه مختلف فى سنته مع اتصاله بتنزيل آيات من القرآن فى موضوع البراءة وموضوع الحجاب ، وتواريخ الآيات أولى بالتمحيص من تواريخ الأحاديث أو تواريخ الأشعار

وقد طبعت لجنة التأليف والترجمة التى تصدر « الثقافة » كتاباً اسمه إمتاع الأسماع جاء فيه صفحة ٢١٥ « أن غزوة بنى المصطلق التى قال أهل الإفك فيها ما قالوا كانت فى شعبان من السنة السادسة » ثم جاء فيه بالصفحة التالية : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكر يوم الثلاثاء لثمان مضت من ذى القعدة سنة خمس ، وقيل كانت فى شوال منها ، وقال موسى ابن عقبة : كانت فى سنة أربع ، وصححه ابن حزم ، وقال ابن اسحاق فى شوال سنة خمس ، وذكرها البخارى قبل غزوة ذات الرقاع واستعمل على المدينة ابن أم كلثوم »

أفبعد هـذا الاختلاف فى تواريخ القوم المناسبات التى هى أجل من شعر عروة بن الزبير وأولى بالإثبات يريد صاحبنا أن نطيل الوقوف على عمر عروة لأنه قال كلاماً يجوز أن يقوله كل إنسان ، بل هو معنى كل ما قيل فى غرضه وتخواه على ألسنة جميع المسلمين

إننا أطلنا الوقوف حيث ينبغى أن يطول وقوف الباحث الحريص على كرامة محمد وذويه

أطلنا الوقوف حيث كان أمثال هذا الناقد الحاقد يتقبلون الروايات وهى أغرب ما يروى وأنآه عن المعقول وأولاه بإنعام النظر ودفع الشبهات

كانت روايات من أقوال الأقدمين تذكر أن النبى عليه السلام خطب السيدة عائشة وهى فى السادسة وبنى بها وهى فى التاسعة . وكان هذا مجالا لأعداء الإسلام وأعداء نبى الإسلام يبدئون فيه ويعيدون ، ويجدون المستمعين والمتشككين حتى بين المسلمين . فهنا مجال لإطالة الوقوف يعبره أمثال هذا الناقد الحاقد مهرولين ويجهلون ما وراءه من الزور الأثيم والبهتان المبين . وهنا وقفنا لنثبت بالعقل والنقل أن محمداً عليه السلام لم يبن بالسيدة عائشة إلا وهى فى السن الصالحة للزواج بين بنات الجزيرة العربية ؛ فأثبتناه على رغم الأقاويل والسنين

أما عمر عروة بن الزبير فهو « الفارغة » التى يتصدر فيها

القصيد المرسل

لأستاذ جليل

أبو على أحمد شوقى لما « أصم به الناعى وإن كان أسمعا » أملى الشعور على البراعة هذا الرثاء . وما كنت أنوى والبراعة تكتب أن أبنى شعراً مطلقاً أو مقيداً أو نثراً مسجوعاً أو مرسلاً . وما كنت وقتئذ فى حال تفكر أو تقصد . كتبت ما أوحى إلىّ ، وحين تم الكلام لم أنكره . وما كنت علمت أو قرأت شيئاً مما ذكره العلامة الأستاذ العقاد والكاتب البارع المتفنن الأستاذ دريني . وما فكرت فى هذا الشأن أدنى تفكير . والقريض تركته أو تركني منذ أكثر من ثلاثين سنة

قال قائلون : هذا شعر لم يقيد بالقوافى[1] ، ووجدت بحثاً فى الشعر المرسل فى « الرسالة » الغراء فرأيت إملاء قطع من رثائى شاعر العرب العظيم . والعربية لا تنكر تفننا فى المقال ، ولا نصد عن التنويع ؟ فقصيد مقيد ، وقصيد مرسل ، وموشح وغير ذلك . ولكل مقام مقال يقتضيه ، وزيادة الخير فى الفنون خير ، والعالم فى تبدل ، والدنيا تطير . وإذا تفنن قائل أو أبدع وأجاد فلا تقل له (يا هذا) ضللت أو أخطأت

***

[شاعر العُرب قضى ، يافتاة العَربِ[1] ، فالبسى ثوب الحداد !

وابرزى بين الملا حاسرة واندبيه .

زحزحى هذا النقاب لنرى وجه الحزن

أعرضى عن خَفَرٍ عُوِّدْتِه ، فبنون القوم غرقى فى الدموع

شيعى دمعك هذا قانتاً بنحيب ونشيج وعويل

وابذلى الدمع رخيصاً ؛ إن من تبكين غالٍ

بلبل (الكرمة) ولّى ، أين غاب البلبلُ ، أين غاب البلبل ؟!

غادر الطير ثكالى فى حنين وأنين وشجن

زَهر (الكرمة) يبكى بدموع ظاهرات فى الصباح

(١) أخبرنى العلامة الدكتور محمد عوض محمد الأستاذ فى جامعة فؤاد الأول أنه ما كان يميل إلى الشعر المرسل فلما اطلع على رثائى (شوقيا) ارتاح لى هذا النوع

(١) هي فى هذا المقام مثل ربة الشعر عند الاغريق ، قال هومير .
ربة الشعر عن أخيل بن فيلا أنشدينا واروى احتداما وبيلا

أمثال ذلك الحاقد الناقد لينفوا حديثاً قصاراه أن عائشة كانت تثنى على النبى وأن النبى كان يتقبل منها الثناء ، ولا عميك فى ذلك لأصدقاء ولا لأعداء

فإن طاب الموقف هنا فليقف فيه من يشاء كما يشاء

***

وتتمة الجواب بصدد ما تقدم أن نعرج على تعقيب للأديب الذى يكتب فى الثقافة بتوقيع « قاف » يقول فيه عن الشعر « إنه نسج مهلهل ضعيف لا يقع فى نفس أحد أنه من لغة العصر الأول ، أو ما يجرى به لسان شاعر من شعرائه ، وأحسب هذين البيتين — إن صح حدسى — لواحد من شعراء الخلاعة بعد القرن السابع ، قالهما فى أوصاف خد غلام رقيق من غلمان الترك أو الروم يلتمس قربه أو يطلب وده »

فنقول : إن الضعيف حقاً هو هذا النقد الذى ينزه العصر الأول كله عن مواضع النقد وفيه عشرات من قالة الشعر الذين لا يبلغون هذا المبلغ من التجويد والتشبيه ، وفيه من قالة النثر من وهموا أنهم يناظرون القرآن بكلام يزرى به هذيان الأطفال

وقد ينسب ذلك الشعر إلى ناظم فقيه فنصدق النسبة إليه ونصدق أنه يذكر قصص القرآن فى أبياته ليفضل جمال محمد على جمال يوسف . ولأبعد من ذلك جداً عن التصديق أن ينظمه فقيه أو غير فقيه ليذكر بآيات القرآن التى يشير إليها أن غلامه أجمل من الأنبياء !

فإن كان فرض هذه الخلاعة كلها أسهل وأدنى إلى التقدير عند « قاف » الثقافة فله دينه ، وللأبجدية جماء دين .

عباس محمود العقاد

فنن (الكرمة) آس ، لا اهتزاز ، لا ارتياح ، لا طرب !

بهجة زالت وجاءت وحشة ، وعرا (الكرمة) حزن لا ريم !

بِمدْرِه العُرب قضى يافتاة العَرب ، فالبسى ثوب الحداد !

مَن لشعب قد بدا من مِشعب يرتجى شراً لإحياء العرب .

من يبيد البُطْل فى الناس مشى ، ويبين الحق يهدى الحائرين ؟

أين شهباً حجج قد درأت لدد الخصم عنيفاً تخنع ؟

أين صوّال على الظلم ضحى ، قدع الظلم شباه فانقدع

من لغرب عاسف مغتصب لَصٍّ حق العُرب فى الصبح المبين

يا حليفا والعاً ما إن له ، أبد الآباد عهد أو يمين

جيت كذاباً وجينا عربا ، ومشى اللؤم مع الخيم الكريم

خاس هذا الغرب بالعهد ، ولم يتثب من دنس الغدر الذميم

أيها الظالم ، أرهق سادراً ؛ سيرى الظالم عقبى الظالمين

قد هدانا (أحمد) منهاجها ، سنلبي (أحمد) فى كل حين

علم الأقوام قول بيّن ، خطة الأعتاق من رق مهين (١)

* * *

عبقرى الشعر ولى يا فتاة العرب ، فالبسى ثوب الحداد

طرفة الدهر التى ضن بها ألف حول ثم جاد

(أحمد) عاد وعاد (البحترى) ورأى القوم (حبيباً) يبدع

مبدع فى كل قول قاله ، فى قصيد ونشيد ورواية

* * *

نوّر القرآن قولاً فعلاً ، وسما صاحبه فى القائلين

إنما القرآن هدًى الناطقين ، إنما القرآن نور العالمين

فتٌّ قول لم يهذبه (الكتاب)

* * *

عبقريات تجلت للورى ، يا لها من فاتنات ساحرات !

فاتت الحسن ، ولاحت عجباً ، هل رأيت الحور فى دار النعيم ؟

هل رأيت الحور فى جنة عدن ؟

إبنة الدهر ثباتاً وخلوداً ، ونشيد الدهر حزناً وحبوراً (١)

رقية ، سحر ، نميم ، ولظى ؛ جنة العرب ، جحيم الغاصبين !

إنه الإعجاز قسم الأحدين ، إنه الإبداع حظ المبدعين !

رب أحقاب تقضت ما رأت عبقرياً فى شؤون أو فنون

آه من دهر خبيث ناقد ، باخل بالمبقرين ضنين

ويكأن الدهر يخشى النابغين ، فقليلاً فى الدجى ما يسفرون

ويكأن الدهر يخشى الخالدين ، فهو لا يبدنهم فى كل حين

إنما الدهر خصيم العبقرى

* * *

غادة (الضاد) رزاها رازىٌ وهى فى سلطانها

زها أوحى بنيها مجدة ، وفتى فتيانها

ما رأى الرائى كشوقى فارساً قد جال فى ميدانها]

* * *

إن فقدنا فى مصر (أبا علىّ) فالعزاء فى (علىّ) — على محمود طه — والرجاء أن يسير فى الطريقين : طريقه وطريق (أحمد) ؛ و (أبو محمود) هو الأديب المقتدر بما أعطاه الله

لم تزل مصر كعبة الشعر فى الشرق (م) وفى كفها لواء الزعامه (٢)

(ط)

---

(١) كان شعرى الغناء فى فرح الشرق (م) وكان العزاء فى أحزانه

(٢) على محمود طه من قصيدة فى رثاء شرق

(١) ولا يبني الممالك كالضحايا ولا يدنى الحقوق ولا يحق
ففى القتلى لأجيال حياة وفى الأسرى فدى لهم وعتق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

علي محمود طـــه

شاعر الفن والجمال

للأستاذ دريني خشبة

١ — عبقريته في إكمال أغنية الرياح الأربع ٢ — مشخصات أسلوبه ٣ — بعض صور كتبه ٤ — لقب شاعر اللذة

ليس فرحنا بأغنية الرياح الأربع أنها لشاعر مصري قديم يرجع زمنه إلى أربعة آلاف من السنين ، بل لأنها نظمت بالعربية بعد زمان هذا الشاعر المصري القديم بأربعة آلاف من السنين ؛ وقد نظمها شاعر مصري تسلمها منقوصة فسواها كاملة ، وجعل منها آية فنية مشرقة البيان ، حسنة السبك ، فياضة بالحياة التي تملأ جميع جوانبها

فمن المقدمة القصيرة التي وضعها الأستاذ دربتون للأغنية والتي يقول فيها : « تقوم هذه الأغنية على الحوار فبعد أربع مقطوعات تغني كلا منها فتاة يدخل رجل فيحييهن ويشرع في خطفهن ليستولي على الرياح الممثلة فيهن ، فيغريهن بإثارة الفضول في نفوسهن ، وذلك بأن يعرض عليهن زيارة سفينته ... ولما قوبل طلبه بالرفض ، لم يستسلم للهزيمة كما هو واضح من المقطوعة الأخيرة في الأغنية « إن وسائلي لا تنفد » . ولكن لسوء الحظ لم نعثر على تكملة الأغنية والوسائل التي لجأ إليها الرجل . وأكبر الظن أنها مما يثير الشراهة Gourmandise التي تكشف مواطن الضعف في النساء » . نستنتج أن الفصل الأول والفصل الأخير من تمثيلية الأستاذ علي محمود طه هما من ابتكاره . وأن الفن الرائع الذي لون به الفصل الثاني — وهو الفصل الذي تضمن الأغنية المصرية القديمة كلها تقريباً — هو من إنتاج قريحته الخصبة المبدعة . . . أثمره خياله المتجدد ، وسرت فيه بالحياة شاعريته النابضة ، ودوت فيه موسيقاه بألحان الجمال .

وقد يسأل بعض القراء : وما قيمة هذه الأغنية وما ذا تتناوله من مشكلات الحياة ؟ وليس أيسر من الرد على هذا بما ختمنا به مقالنا الأول عنها من أنها سحر وشعر وفن وجمال ... إنها من قبيل هذه الدرامات الرائعة التي نظمها شيكسبير في صدر حياته . و (العاصفة) هي أقرب أمثلة ذلك ؛ إذ ترتكز على السحر الذي كان يجيده بروسبيرو ، والذي سخر به الريح فأغرقت سفينة ملك نابلي وسلط عليه وعلى أخيه الخائن الروح آرْيل يسيمها من العذاب ألواناً ، حتى تنتهي الرواية بصلح عام تكون ثمرته زواج ابن ملك نابلي من ابنة بروسبيرو وعودة بروسبيرو إلى ملكه في ميلان . فالموضوع في (العاصفة) موضوع شعري ساحر تجلت فيه عبقرية شيكسبير ، وظهرت في عرضه وتناوله مواهبه التصويرية العالية . وكذلك موضوع أغنية الرياح الأربع . والعجيب أن تكون هذه أولى روايات علي محمود طه المسرحية ويتمها مع ذلك على هذه الصورة الرائعة من الحبكة والحركة والتسلسل والإبداع المتناهي في التصوير واختيار المناظر الخيالية الراقصة ... هذا فضلاً عن بيانه المشرق وديباجته العالية وقوافيه المنتقاة وقوة تدفقه في الحوار وحرصه على موسيقية الأوزان ، بل موسيقية الألفاظ . . . فقلما تعثر على لفظة نابية ، أو كلمة قلقة ، أو جملة لم يحسن الشاعر اختيارها وصقلها وتجويدها . . . وأنا متعمد أن أسوق كل هذا الكلام الذي يشبه الأطراء ، بل هو الإطراء نفسه ، لأذكر سببه ... حقاً إن لهذا الإطراء سبباً طريفاً أرى أن أسوقه هنا ، لأن هنا موضعه ... ذلك أنني تعودت كلما فكرت في الكتابة عن شيء أن أسأل هذا النفر من إخواني الأدباء الذين أتوسم فيهم إلماماً بالموضوع رأيهم فيما أنا بسبيله منه . وقد سألت هذه المرة كثيرين من إخواني الشعراء رأيهم في علي محمود طه أولاً ، وفي تمثيليته أغنية الرياح الأربع ثانياً ؛ فعجبت إذ وجدت الغالبية منهم تجمع على مآخذ يأخذونها على هذا الشاعر ، منها أنه مولع بألفاظ وعبارات بعينها يرددها في الجزء الأكبر من شعره . فمن هذه الألفاظ « شعشع » وما يتفرع منها ، و « عبقري » وما تصفه من خيال وخمر وموسيقا وجمال ، و « لؤلؤ » وما إليه من لألأ ولألاء ولؤلؤي ، و « تذويب القلب » في الدموع وفي القبلة وفي النظرة وفي الابتسامة ، و « مَرِح » ، فالمجداف مرح ، والحبيب مرح الأعطاف ، والجيد مَرِح ، والقلب مرح ، والشباب مرِح ؛ و « مُجَنّح » فالخيال مجنح والطيف مجنح والسفين المجنحات ، وللريح أجنحة

أي روح خفيـة أي ريح حملتنا بأجْنحٍ في الخفاء ؟

و « سلسل » وما يصرف منها ، ومثلها « ضوّأ » و « نامم

وينابيع » و « الأصائل المسجدية » و « الخلجان المسحورة » و « حدائق النسيان » و « الكنوز المرصودة » إلى آخر هذا الثبت الطويل من الألفاظ والعبارات التى تركتهم يحصونها ولا يكادون يفرغون منها لكثرتها . وقد كنت أكتب ما يذكرون منها فى ورقة بسرعة فائقة ؛ فلما سكتوا سألتهم رأيهم فى هذه الكلمات ، أشعر هى ؟ وهل فيها كلة لم يعمل الذوق السليم فيها عمله ؟ وعلام تدل هذه الكثرة العجيبة من تلك الألفاظ والعبارات المنتقاة ؟ أهى دليل فقر فى محصول الشاعر الأدبى واللغوى ، أم هى دليل شىء آخر غير الفقر ؟ والمعانى التى تساعد هذه الألفاظ فى أدائها ؟ ألغو هى ؟ أم هى من أدق المعانى وأحلاها وأكثرها طلاوة ؟ وهل نسينا أن لكل كاتب ولكل شاعر أسلوبه الخاص ، وأن لهذا الأسلوب الخاص مشخصات تشبه علائم الطريق ؛ فهى تميزه وتعرف به ... فالدكتور طه حسين مثلاً يلتزم عبارات بعينها يرددها فى كل كتبه أو فى معظم كتبه ؛ وهو يرددها أكثر مما يرددها أى كاتب آخر ، بل لعل معظم الكتاب فى مصر وفى العالم العربى لا يرددون من عبارات الدكتور طه حسين شيئاً ، تلك العبارات التى يعرف بها أسلوبه بين مائة أسلوب أو أكثر من ذلك لو أنه وضع بينها .

وكذلك أسلوب الأستاذ العقاد ، ذلك الأسلوب القوى الذى يفيض بفحولة تتعب أفهام القراء أحياناً ، وهو تعب تنتج عنه لذة ذهنية عجيبة إذا استطاع القارىء أن يدرك المعنى الحقيق الذى يرمى إليه الكاتب الكبير ؛ فإذا لم يستطع القارىء إدراك هذا المعنى أحس عند تلك الفقرة أو ذلك السطر من كتابة الأستاذ العقاد بمرارة ، لكنه مع ذلك يمضى فى القراءة مأخوذاً بالجمال الكلي عن هذه الجزئيات الهينة . وللأستاذ المازنى مشخصات عجيبة فى أسلوبه ، تميزه من جميع أساليب الكتاب المصريين والكتاب العرب على حد سواء ، فهو دائماً « يمط بوز » أبطال مقالاته و « يمط شفاههم ! » ، وهو مولع بترديد « حلاق العين » فى جميع كتاباته أو فى أكثرها ، وفى قصته الجميلة « إبراهيم الثانى » تردد هذا « الحلاق » أكثر من أربعين أو خمسين مرة كما ترددت هذه العبارات مراراً :

« أى نعم ، ليس إلا ، لا تجعل بالك إلى كذا ، من الحزامة أن تصنع كذا ، التبات والنبات ، بأمها ، الحب الآخذ بالكليتين ؟ »

ولست أدرى كيف يأخذ الحب بالكليتين ، والذى أعرفه هو الحب الذى يأخذ بمجامع القلوب مثلاً . وللأسلوب الأستاذ « المازنى » مشخصات أخرى عجيبة سنعود إليها فى موضع آخر إن شاء الله

وللدكتور زكى مبارك مشخصات أسلوبية معروفة لقراء هذه المجلة . وقد ظلمه الأستاذ العقاد حين جرد أسلوبه من « مقومات الشخصية » ، ومشخصات أسلوبه أكثرها « أنماط » جامعية .

فهو يكثر من « على التحقيق » و « النص على كذا » ، و « هذا معناه » و « هل يمترى منصف فى كذا » و « الحقائق الأدبية » و « فى الأثر » و « الوارد هو كيت » ... هذا إلى ما تفيض به مؤلفاته من روح الاعتداد بالنفس والزهو الذى أعجب به من زكى مبارك ولا أعيبه عليه ... ولله ما أظرف ما يجيب به حين يسأل عن هذا فيقول : زمان لا يريد أن ينصفنى فلماذا لا أنتصف منه لنفسى !

ولكل من شعرائنا أسلوبه الخاص كذلك ، ولولا خشية الإطالة لضربنا الأمثال الكثيرة لذلك ، وحسبنا أن نشير إلى اشتراك رجلين من أقطاب شعرائنا الشيوخ فى فخامة العبارة وقوة النسج وتخير الألفاظ التى تأتى فى قصائدهما كأنها خارجة من كَفَّىْ لَآل ؛ أما هذان فهما الجارم ومحرم ، وإن لم يصعب على الناقد البصير أن يميز كلاً منهما عن الآخر مع اشتراكهما فى هذا السبيل .

ومن شعرائنا الشباب عدد كبير يستطيع الناقد كما يستطيع القارئ العادى أن يدل عليهم من أشعارهم وإن لم تحمل أسماءهم ، ومن هؤلاء الشعراء الشباب من أغرم بألفاظ خاصة وعبارات بعينها تشيع فى معظم منظوماته ، وهى مع هذا لا تنقص من قيمة شعره شيئاً ، إن لم تكسبه ميزة جديدة فوق ميزاته الكثيرة الرائعة .

(للكلام صلة)

دريني خشبة

أعوذ برب الفلق

من شر ما خلق

للكاتب المجهول



صحوت مع الفجر بعد ليلة حمراء ، وهى الليلة التى ولد فيها هذا العام الجديد ، صحوت ظمآن ، ولكنى لم أستسغ الماء ، فقد شعرت أنه ذَوْبٌ من ثلوج الشمال ، وعند ذلك هتفتُ : « أعوذ برب الفلق ، من شر ما خَـلَق » !

ولكن ما هو الفَـلَق ؟

أهو الصبح ؟

وكيف وما كان ليلى إلا صبحاً فى صبح ؟

هو إذن « واد فى جهنم » ، كما قال بعض المفسرين ، وبالله أعوذ ، فما يدفع شرَّ جهنم غيرُ من خلق جهنم

وجهنم التى أخاف هى الجنية التى أرادت أن تأسرني إلى آخر الزمان ، بالعقد الذى لا ينقضه الأحرار وهو عقد الزواج

فى عصرية الأمس قال خالها الفرنسي وهو يرانى أضحك معها وألعب :

Je vous souhaite d'être aussi heureux à l'occasion de vos fiançailles que moi durant les 42 anneés de mon mariage.

وقد اعتصر الحزن قلبى فى تلك اللحظة ، لأنى كنت اعتزمت فسخ الخِطبة ، بعد أن رأيت أن خطيبتى تنقلنى إلى وطنٍ غير وطنى ، وبعد أن رأيت أن أهلهـا صاروا أعزَّ علىَّ من أهلى

ومن حالى معهـا أدركت السر فى أن تحرم الدولة المصرية على سفرائها أن يتزوجوا من أجنبيات

وهل أنسى أنى رفضت المشاركة فى الاحتجاج على ما صنع الفرنسيون فى لبنان ؟

من أجل حبهـا أبيت أن أكتب حرفاً واحداً في تقبيح ذلك الصنيع ، فقد بدا لى غير قبيح ، لأنه صدرَ عن أهل سوزان ، وصدّق شاعرنا العربى حين قال :

ومن بينات الحب أنْ كان أهلها
أحبَّ إلى قلبى وعينىَّ من أهلى

إن الدرس الذى تلقيته عنهـا يفوق جميع الدروس ، فقد بدأت أومن بأن من يتعلم لغة أجنبية يهاجر عن وطنه بطريقة خفية ، وبدأت أفهم كيف صارت الوطنية شريعة عند الفرنسيس والإنجليز والألمان واليابان

أولئك أقوام لا يعرفون غير لغاتهم ، فهم فى أمان من احتلال الأفكار والآراء

وهل كان من العبث أن يقول جماهير المشرّعين من المسلمين بعدم جواز الصلاة بغير اللغة العربية ؟

من المؤكد أنهم كانوا يعرفون أن الله يقبل الصلاة بأية لغة وبأى صـوت ، ومن المؤكد أنهم كانوا يعرفون أن الله يسمع دبيب النمال كما يسمع قعقعة الرعود

فكيف أوجبوا أن تكون الصلاة باللغة العربية ؟

إنهم أرادوا إنشاء قومية لها لغة واحدة ، ودينٌ واحد ، لتأمن احتلال الأفكار والآراء

ذلك درس تلقيته عن خطيبتى ، الخطيبة التى ودعتها عنـد انتصاف هذا الليل ، وإن لم تتلق منى أى جزاء

قالت ونحن نفترق : لن ترانى بعد هذا الليل !

فقلت : سنلتقى بأقرب مما تظنين ، فلا بد للجمر من وقود ، وأنت الوقود

وما ذا تريد أن تأخذ منى ؟

ألا يكفى أنها صيرتنى أشهر الدعاة لوطنها الغالى . الغالى على وحدى من أجل حبها . فما تألم روحها يوم سقوط باريس كما تألم روحى . ولا هفا قلبها على فرنسا الجريحة كما هفا قلبى

وأنا برغم بخلها مُمْتنٌ على روحها اللطيف ؛ فقد علمتنى كيف أدرك قيمة الصورة التى ساقها شاعرنا العربى حين قال :

تعطيك شيئاً قليلاً وهى خائفة كما يمس بظهر الحية الفَـرِقُ

لن ينقضى عجبى من الفروق بين الأرض والناس

أرض فرنسا هادئة من قديم الزمان ، وهى قليلة التعرض للزلازل والبراكين ، وقد رأيت بعينى كيف جَـلَّدوا عِرقاً نَبض من نهر السين وهم يُمِرُّون من تحته قطار المتروبوليتان ، فكيف يكون أبناء تلك الأرض الهادئة الثابتة ثوّاراً ومتقلبين فى أكثر الأزمان ؟

وأرض اليابان معرضة فى كل وقت للزلازل والبراكين ، ومع هذا عُرِف اليابانيون بالقرار والاطمئنان ، على اختلاف الأحداث والأزمان ، فما هذا الذى نرى من الفروق بين الأرض والناس ؟

ولكن كيف عرفتُ أن اليابانيين أهل قرار واطمئنان ؟

كيف عرفت ذلك ولم أزر اليابان ، ولم أعرف من أوصاف أهلها غير أشياء لا تتصل بأعماق النفوس ؟

لو كان لى حظ التعرف بصديقة يابانية لأدركت شيئاً من السريرة اليابانية ، على شرط أن أتكلم لغتها الأصلية

اللغات أنفاس ، فلا تصدقوا من يزعم أنه صافح روح شاعر وهو يقرأ شعره مترجماً إلى إحدى اللغات ، ولا تصدقوا من يتحدث عن بلاد زارها وهو يجهل لغتها كل الجهل أو بعض الجهل ، وإنما نصصت على « بعض الجهل » ليفهم ناس من خلق الله أن الذى لا يتعمق فى لغة من اللغات لا يجوز له أن يقول إنه يعرف تلك اللغة ، فالمعرفة الناقصة أخطر من الجهل لأن الجاهل يقف عند حده فلا يتزيد ولا يستطيل ، أما ناقص المعرفة فقد يوهمه الغرور أنه أعلم العلماء ، فيؤذى نفسه قبل أن يؤذى الناس

وخطيبتى التى فارقتها بالأمس هى إحدى بنـيّات لطيفات من اللواتى عرفت فى القاهرة أو فى باريس ، وحالى معها كان عجباً من العجب ، فقد رضيت عنها ورضيت عنى ، مع أن حياتنا سلمت من جميع الأسواء الروحية والوجدانية ، فى زمان لا تأنس فيه روح إلى روح إلا بمعاقرة الأهواء

كان الزواج هو الغاية التى نريد ، وقد كان يجب أن نسارع قبل أن تفضحنا الأقاويل ، فما الذى وقع فى تلك الليلة الحمراء ، وقد سبقته تماهيد ؟

بدا لى أن لحاجة العاطفة وصلت إلى أبعد حدود العنف ، فرأيت أن أستعير خيالاً من العقل الذى عشت به سنين . وهل بقى لى من العقل إلا طيف من خيال ؟

فكرت فيما تمناه لنا خالها العزيز ، وقد عاش اثنين وأربعين عاماً وهو سعيد بالزواج . ثم افترضتُ أن سعادته الزوجية دامت لأنها بُنيت على الهدوء ، والعاطفة الهادئة تَبنى برفق ؛ فمالى أتعرض لعاطفة مجنونة الجموح ؟ وكيف أسمح لهذه الجنية بأن تزلزل الخيال الباقى من عقلى !

لقد راعنى بكاؤها فبكيت

قالت بصيغة الاستفهام لا التقرير :

Tout est fini entre nous?

فأجبت بالصمت

ومن قال إنى سأرجع ؟ ومن قال إنى سأراجع ؟

ذلك فراق ، ليس بعده تلاق

لن يؤذينى أن تخرجى من سمائى ، فإنى واثق بأنى سأجد هواى حين أشاء ، وإنما يؤذينى أن أتصور أنك يئست من وفائى ، وأنك صرت يتيمة بعد أن خمدت نيران أشواقى ، ولن تخمد نيران أشواقى

لن يصالح ما بيننا إلا إن سمعت شكواى : هذا الصدر يسير عارياً فى كل يوم ، كسائر صدور النساء فى هذا الجيل ، فكيف يهادن جميع الرجال ، ويحاربنى وحدى ؟ وهذه العيون توجه نظرات وغمزات ، ولا تأسر أحداً ، مع أنها تخاطب جميع الخلائق ، فكيف تأسرنى وحدى ؟

قلبى هو القلب ، وجمالك هو الجمال ، والناس ما عَدانا خيال فى خيال

لا تسأليني عن حالى ، فأنت حالى وأحوالى ، وأنت ماضى وحاضرى ومستقبلى ، وأنت ضميرى المركوز فى ضمير الوجود

لن أيأس منك ، ولن تيأسى منى ، ولن يقول قائل إنى فارقت هواى فى لحظة من لحظات الغضب أو العناد أو العتاب

أنا حاربت فرنسا وهى صحيحة ، وسالمتُها وهى جريحة ، وأنت الخيال الزائر من ذلك البلد المحبوب

لن أشمت بفرنسا مع الشامتين ، ولن أذكرها بغير الجميل ، وإن جانبتِ الجميل

قال الجنرال دى جول : لبنان وديعة فى يدى وسأسلمه لفرنسا

يقول هذا القول وهو مغلوب ، وتلك غاية الغايات فى صدق الوطنية ، وأنا أمجّد هذه الوطنية ، وأتمنى مثلها لنفسى

إن الاستعمار من أنصبة الأمم القوية ، فتى نكون من المستعمرين ، كما كان الآباء والأجداد ؟

آفة الاستعمار هى التسلط الغاشم ، تسلط الحاكم الجاهل الذى يقول كما قال بعض حكام فرنسا فى الهند الصينية :

Je suis le maître

ولا بدّ لنا من استعمار نجرّب فيه أخلاقنا السياسية ، وفى السياسة أخلاق ، إذا تولاها عظماء الرجال

والاستعمار لم يَعُد صعباً كما كان قبل أعوام قصار لا طوال ، كان الاستعمار يحتاج إلى جيوش برية وبحرية ، وهو بعد اليوم سيكون فى ميدانين اثنين : ميدان الأدب وميدان الاقتصاد ، وسلاح الأدب هو الصدق ، وسلاح الاقتصاد هو الأمانة ، فلنحرص على أن نكون الصادقين الأمناء

أما بعد ، فأنا لا أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، وإنما أعوذ برب الفلق من خير ما خَلق ، وهو الجمال

ومعنى هذا أنى سأراجع خطيئتى الغالية ، وهى الفتاة الملثوغة الراء

إنها تحاول أن تنقلنى إلى وطنها ، وأنا أحاول أن أنقلها إلى وطنى ، وسنرى بعد قليل مَن الغالب ومَن المغلوب

للشَّعر فى رأسها بريقٌ سرقتُ شعاعه من نيران قلبى

والتموج فى خدودها مسروق من تموج أشعارى

وسحر عينيها الزرقاوين منهوبٌ من سحر عينىَّ الخضراوين

وتبارك الذى تفضّل فجمل لون عيونى مما يهيج الحياتِ السُّود

سنفترق ؟ سنفترق ؟

هو ذلك إن جاز أن تزهد العيون فى الضياء

يابنت فرنسا الغالية ، تذكّرى ليالىَّ وأيامى ، وارحمى مَن يصعب عليه أن تجرحيه ، وهو الصديق الأوحد لوطنك الجريح

لن نفترق ، لن نفترق ، وهل نستطيع أن نفترق ؟

وإذا أرادت الطبيعة أن نكون خائنَيْن ، فلنكن خائنين ، لنتحرر من مواثيق الجهلاء ، وما هى الطبيعة التى يتحدثون عنها جاهلين ؟

الطبيعة هى الصدق فى تلوين ما خلق الله من حقائق الوجود وسيكون هوانا تعبيراً أبديًا عن ضمير الوجود ... ومقالتى هذه تصويرٌ لمحنة روحية لن تخمد قبل أن تخمد النيران الصوارخ فى ضمائر الجبال .

« الكاتب المجهول »



— الراجل ده يايكونه انفتح له كنز يايكونه كسب الدربي

— لاكده ولاكده ... ده اشترى حتة من اراضى الأوقاف

كتب وشخصيات

٤ – الصور التي بعث العصريين ... للعقاد

الأستاذ سيد قطب

مدرسة العقاد

في الأدب والحياة

كل ما قلته عن « حدود المدرسة الأدبية » في كلمة سابقة من هذه الكلمات ، يمكن تطبيقه بلا تحفظ على « مدرسة العقاد » ؛ فهي مدرسة في الأدب كما أنها مدرسة في الحياة ، يلتقي منها تلاميذها على سنن واضح ونهج صريح ، ويجدون فيها تفسيراً معيناً للحياة والفنون ، يشتمل نوع الإحساس ولون التفكير ، وطريقة التعبير ، بل يشتمل فوق ذلك قواعد المنطق والسلوك ، وتقويم الأشياء والأشخاص ، وتقدير الحوادث والأعمال !

وهي مدرسة متبلورة ، واضحة السمات ، لا يجد الناقد مشقة ولا عسراً في اختيار عنوان لها ، يمثل ويلخص أكبر ما تستطيع العنوانات تمثيله وتلخيصه

هي مدرسة « المنطق الحيوي »

والنسبة هنا إلى « الحياة » وإلى « الحيوية » جميعاً ... إلى « الحياة » لأن مرد الحكم على كل قول وكل عمل هو ما تقوله الحياة وما تصنعه ، ومنطقها هو المنطق المطاع في جميع الأحوال .

كل ما تصنع الحياة يُرجَّى من بنيها قبوله واغتفاره

فإذا أنكروا قبيحاً ، ففي القبح من الموت لونه أو شعاره

وإلى « الحيوية » لأن مرد الحكم على كل قول وكل عمل هو باعثه ، ومدى الحيوية في هذا الباعث . وقد تتشابه مظاهر الأقوال والأعمال ولكنها تتفق في « الرصيد » المكنون لها من الباعث الحيوي ليتوحد الحكم عليها ، وقد تتفق مظاهرها ولكنها تختلف في الرصيد فيكون ذلك مناط الاختلاف

أستاذ هذه المدرسة الأعظم هو الحياة ذاتها ، لا الفكر المجرد ، ولا المنطق الذهني ، ولا مواضعات المجتمع الاصطلاحية ، ولا قواعد الخلق المتعارفة ، ولا المذاهب الفنية المعنونة ... إنها ترجع إلى النبع الأول تستقي منه ، وإلى الناموس الخالد تتوخاه ، ترجع إلى الحياة الطبيعية فتتلقى عنها مؤثرات الإحساس ، وقواعد المنطق ، وطرائق التعبير ، كما تتلقى أصول السلوك ونواميس الآداب وقوانين الأخلاق سواء بسواء

ولكن عدداً من المدارس يمكن أن يتتلمذ على الحياة ثم يختلف في مناهج الدراسة . وهنا تسعفنا نسبة المدرسة العقادية إلى « الحيوية » في تحديد المنهاج . فالحيوية الفائضة المتدفقة ، الحيوية الظاهرة والباطنة ، حيوية الحس والوجدان ، حيوية الطبع التي تفيض على الحواس والذهن والضمير في آن ... هي السمة التي تعجب بها مدرسة العقاد ، والتي تصدر عنها في السلوك والاعتقاد ، وفي الفنون والآداب

ولما كانت الحياة هي الأستاذ الأعظم للمدرسة ، فلا عجب أن يكون طابعها هو الاستقلال في التلقي عن هذا الأستاذ – في حدود السمات العامة لها – وأن يكون عمل العقاد فيها هو عمل الرائد الذي يكشف النبع ، ويمهد إليه الطريق . وهناك يلتقي تلاميذه ومريدوه – وهو معهم – بين يدي الأستاذ الأعظم . وفضله عليهم هو فضل السبق والإجادة ، وعملهم معه هو عمل المتذوق الفاهم المريد ، لا عمل المقلد الناقل المقود . فليس بتلميذ أصيل في مدرسة العقاد من يغفل عن نفسه ليقلده ، ومن يسلك طريقه ولا يستمد من النبع الخالد معه ، لأنه إنما يضيع في هذا السلوك سمة المدرسة الأصيلة ، وهي سمة الاستقلال في الأخذ المباشر عن الحياة .

* * *

والعقاد – رائد هذه المدرسة – هو ابن الحياة البار . ابن هذه الحياة القائمة على هذا الكوكب ، لا أية حياة أخرى في أي كوكب آخر ، هذه الحياة بقيودها وضروراتها ، وبآمالها وأشواقها . الحياة الظاهرة للحس واللمس ، والمكنونة في القلب

والضمير . وهو – قبل كل شيء – إنسان حي ، ملء إهابه حياة ، بل هو رسول من رسل الحياة المفوضين ، وداعية من دعاتها المخلصين

وما عن ضيق فى آفاق النفس والحس تستغرق الحياة حس العقاد ونفسه ، ولكن عن سعة وضخامة فى هذه الحياة تستغرق الحس والشعور

يا طالباً فوق الحياة مدًى له يسمو عليها ، هل بلغت مداها
ما فى خيالك صورة تشتاقها إلا وحولك لو نظرت تراها

على أننا لا نعتمد فى تقرير هذه الحقيقة على ما يقول ، فقد يستوحى الأديب قراءاته أو أفكاره ثم يقول ! ولكننا نعتمد على الإنسان الحي فى العقاد ، وعلى سلوكه فى حياته الشخصية والسياسية والفنية ، وعلى انتباهه الحاد لكل نبضة حية فى نفوس الآخرين وسلوكهم ، ولكل التفاتة منهم إلى الحيوية النابضة فى الكون والحياة . وذلك هو البرهان الحي الصحيح فى فهم الطبائع والخصائص والاتجاهات .

وأدوات الاتصال بالحياة عند العقاد هى حواس يقظة متفتحة ، تؤدى إلى حس متوفر مكتمل ، يفضى إلى وجدان زاخر عميق ، ولهذه الأدوات كلها مدد من بداهة الطبع وومضات الفكر ، وسبحات الروح ، فى توازن وانسجام . وإن الاتصال بينه وبين الحياة ليتم تارة من الخارج إلى الداخل ، وتارة من الداخل إلى الخارج (إذا لم يكن بد من هذا التجسيم)... حاسة توقظ حساً فيذكو ويتوهج ، وحس يثير وجداناً فيشبع ويفيض . أو وجدان ينفعل ليوقظ الحس فيفتح الحواس . وهذا وذلك على حسب الحالات النفسية وعلى حسب المؤثرات المختلفة . وإن المنافذ لمفتوحة علواً وسفلا ، بل لا علو ولا سفل ، إنما هى قوة واحدة متعددة المنافذ مشتبكة المسالك ، متصلة بالحياة ، تلتقى فيها الأرض بالسماء ، بل لا أرض هناك ولا سماء ، إنما هو عالم واحد والروح والمادة مظهران لحياة واحدة و « الدنيا جمال نصل إليه من طريق الضرورة ، وروح نلمسها بيد من المادة »

وهذا العالم الواحد هو الذى ندرك الظاهر منه بالحس والحواس ، وندرك المكنون منه بالبداهة والوجدان ، أو ندركه ظاهراً وباطناً فى لمحة واحدة بجميع هذه الأدوات ؛ فما ظاهره إلا رمز لمكنونه . وقيمة هذا الظاهر مستمدة مما يرمز إليه من مكنون . وكلاهما حق وصدق لأنهما شيء واحد فى النهاية !

قلوا الحياة فقشور قلنا فأين الصميم
إن الحياة حياة ففارقوا أو أقيموا

ولقد كان العقاد – بما فيه من يقظة الحس وقوة الحواس – وشيكا أن يبذل إعجابه كله للحياة المحسوسة الظاهرة وللحيوية المتدفقة فى الحس والغريزة ، لولا قسط من « الصوفية » – ولا يعجب أحد لهذه الكلمة – ففي العقاد إيمان عميق بقوة مجهولة تصرف الحياة وتسيطر على أقدار الفرد والنوع (والصوفية فى أساسها البسيط هى هذا الإيمان بالمجهول) . ولكن هذه القوة المجهولة التى يؤمن بها العقاد إنما تصرف الحياة وتسيطر على أقدار الفرد والنوع ، لمصلحة هذه الحياة نفسها وللرقى بالإنسانية فى معارج الكمال ، لا لغرض آخر من الأغراض التائهة المجهولة !

هذا القسط من الصوفية – بهذا المعنى – يمتزج بالحيوية الحسية ، فيخرج منهما مزاج جديد فيه من هذه وفيه من تلك على غير تحيز بينهما ولا انفصال

ولقد كان العقاد كذلك – بما فيه من صحو الذهن ، ويقظة الوعى وشيكا أن يبذل قواه كلها للفكر والمنطق ، لولا فيض من حيوية الطبع يجرف قوى الذهن والوعى لتستحيل جنوداً لهذا الطبع الحي ، تضرب بسلاحه ، وتستمد منه القوة وله عليها السيطرة فى النهاية !

وكثير من الفنانين يقوم فى نفوسهم صراع بين مثلهم العليا وبين سلوكهم فى الحياة . بين ما يصطرع فى كيانهم من غرائز يستقذرونها وما يحلق فى أرواحهم من أشواق يهفون إليها ؛ فأما العقاد فقد عقد صلحاً مبكراً بين غرائزه ووجداناته فهو لا يفعل ما يستقذره ولا يستقذر ما يفعله ، وبين ذلك قوام !

وللحيوية عند العقاد شفاعتها الحاضرة فيما تأخذ وما تدع

من الأمور ... أأقول شفاعتها ؟ ألا إنهـا ليست فى حاجة إلى الشفاعة ؛ فهى نفسها الشفيع الذى لا يرد له كلام ، والمفوض الذى لا يسأل حتى عن أوراق الاعتماد .! وليست هى إذن فى حاجة إلى الشفاعة والاعتذار بقـدر حاجتها إلى الثناء والإطراء . وهكذا يعجب بمحمد فى الأنبياء ، وعمر وأبى بـكر والإمام فى الخلفاء ، وبالصديقة بنت الصديق فى النساء ، كما يعجب بالمتنبى وابن الرومى فى الشعراء ، وبنيتشه وجيته فى الأدباء ، وبسعد ومصطفى كمال فى الزعماء ... وهؤلاء وأولئك وسواهم ممن نالوا إعجابه ، إنما يلتقون أولاً فى صفة الحيوية ، ثم يختلفون فى مدى هذه الحيوية ونوعها ، وفى اتجاهها ومظاهرها كل حسب وظيفته فى الحياة

وإن إعجاب العقاد بالحيوية ليطرد فتنشأ عنه آراؤه فى الحياة والأخلاق، وفى الانفعال والسلوك ، وفى الأحداث والأشخاص ، وفى الفن والنقد . وما من رأى له فى المدارس الأدبية وفى طرائق الأدباء ، وفى الفن والسياسة وفى الارتياء والاعتقاد ، يبهم أو يستغلق إذا عالجه الناقد بهذا المفتاح !

أعمال العقاد الفنية لتؤلف جميعها نشيداً واحداً مطرداً فى تمجيد الحيوية بكل معانيها وأشكالها ، منذ الجزء الأول من ديوانه إلى الجزء الأخير ، ومنذ « خلاصته اليومية والفصول » حوالى سنة ١٩١٤ إلى مؤلفاته الأخيرة سنة ١٩٤٤ . وتلك علامة الصدق بلا جدال

وإنه ليسير فى فلسفته الموحدة ، فى طريقه المستقلة ، فيلتقى بالـكثير من الأدباء والفلاسفة والمفكرين فى الشرق والغرب ، ولـكنه لا يساير أحداً منهم إلا إلى المدى الذى يتفق مع فلسفته الخاصـة ، ثم يفترقان فيمضى هو على نهجه بطريقته ، ويدع صاحبه يمضى لطيته ، فى سلام أو فى خصام ! وهنا يقول من لا يلتفتون لغير الظواهر : إنه يأخذ من هذا أو من ذاك على معنى غير معنى الدراسة والانتقاء

ولا بد قبل أن نختم هذه الـكلمة أن نلاحظ بحق سعة فى النفس والفكر تجعل هذا الرجل ذا الشخصية الواضحة والفلسفة الخاصة يستمع ويهش ويتجاوب مع جمع حاشد من أنماط الشخصيات والفلسفات

من المعرى الذى يقول :

تسريح كفك برغوثاً ظفرت به
أبر من درهم تعطيه محتاجاً

إلى المتنبى الذى يقول :

ومن عرف الأيام معرفتى بها وبالناس روّى رمحه غير راحم

ومن ماكس نوردو إلى شوبنهور ، ومن تاجور إلى نيتشه ، ومن جيتى إلى توماس هاردى ، ومن خالد بن الوليد إلى عمرو ابن العاص ، ومن مصطفى كمال إلى غاندي ، ومن عمر بن أبى ربيعة إلى جميل بثينه ... إلى آخر هذه الشخصيات التى لا تقل الفوارق بين كل اثنتين منها وبين كل واحدة منها والأخرى عن الفوارق بين المعرى والمتنبى فى شتى الاتجاهات

ولا بد أن نلاحظ بحق كذلك تلك القدرة التى تقيم عظمة أبى بكر أمام عظمة عمر الندين المتقابلين فى نوع العظمة ، والتى تفسر تصرف عمر مع خالد ، وتصرف عائشة مع على ، والتى تنصف الإمام من الصديقة ، وتنصف الصديقة من الإمام

وليس هذا عن منطق لبق ، ولا عن مهارة ذهنية ، إنما هى سعة فى النفس ، ورحابة فى الفـكر ، وانفساح فى الإحساس ، لرؤية جميع الجوانب ، وتحليل وجهـات النظر ، وتفسير جميع النزعات

هذا ولم يتسع المجال لأن نذكر شيئاً عن خصائص العقاد الفكرية ، خصائص التحليل والتعليل ، تلك التى تطرد فى كل ما يكتب ، وإن كان اعتماده الأكبر فى التعليل والتحليل على المنطق الحيوى لا المنطق الذهنى . وخلاصة ما يقال فى دراساته التحليلية أن « برهانه المفصل تابع لاعتقاده المجمل ، وليس اعتقاده تابعاً لبرهانه فى كل حين ، كما يقول هو فى إحدى مقالاته عن نموذج من الناس يستحسنه ويؤمن على طريقته فى الاستدلال

ولم نجل كذلك طريقته فى العرض ، وأسلوبه فى التعبير ، ولعل القارئ يجد شيئاً من هذا فيما كتبناه عند الموازنة بينه وبين المازنى ، وفيما كتبناه فى العام الماضى عن « عبقرية محمد » وهى نموذج كامل لدراسة الشخصيات .

***

إلى الأديب « محمد العلائى »

للدكتور عزيز فهمى

[ذكرى أول لقاء على صفحات الرسالة ، وقد نشرت له (على ضفاف الجحيم) فى العدد ٥٤٩ صفحة ٣٦ قصيدته]

أَثَرْتَ كامنَ أشجانى وآلامى
وَضجّ جنبى على « خَفّاقِه » الدامى

يا أيها الشاعرُ المحرومُ لا سَغَبا
— كما تقول — ولكن روحُك الظامى

إن « عربد الشكُّ » — والتعبيرُ مُبْتَكَرٌ —
فى ساعةِ اليأسِ عَرْبِدْ بعض أنغام

فى نور قلبكَ من شمس الضحى عِوَض
فاقبِسْ من النور أو أشرق بإلهام

إن « الحقيقةَ » ظِلٌّ حائل أبدا
يحومُ والناسُ فى ماخور آثام

دون الحقيقةِ سدٌّ هائل عَرِم
من التقاليد محفوفٌ بأوهام

وما الحقيقةُ إلا ما يُزَوِّرُه
خيالُ مُتَّجِرٍ أو عجزُ أقزام

غرائز الناس تأباها مجردة
ويُدْغِمُ الزورَ منهم كلُّ هدام !

« خلا المُصلى » ولا محراب تنظره
وعسعس الليل فى بيداء أحلام

وَطُفْتَ بالمعبد المحزون تسأله
أين المسيح وأين المبدأ السامى ؟

وتمم الكاهن الدجال أغنيةً
وأطفأ الشمع إلا حول أصنام

كَفَرْتَ بالإثم واجتاحتك عاصفةٌ
فى لجة الشك حول الساحل الطامى

وَهِمْتَ فى الأرض « مخدورَ المنى شَرِقا »
تقول « ياوحدتى » فى ليل إحرامى !

أخى ! وإن لم تصلنا بعدُ رابطةٌ
من الوداد ولم نوصل بأرحام

عَظَّمْتُ شعرك عذباً فى خؤولته
قبل الأوان فلم يُخْطِئْكَ إعظامى

ورق قلبى وراق اللحن فى أذنى
— أنا العنيد — كما يحتج لُوّامى

يصيب سمعىَ وقرٌ من مباذلهم
إذ يُقحمون ركيكا شر إقحام

كذلك الشعر فاصدح فى خميلته
أعوذ بالشعر من أنغام نظّام !

عَصَرْتَ من كَرْمَة الحرمان خمرته
ففاحت الكاس فى « جَوّى وأنسامى »

وفى البواكير طعم لا يَلَذُّ به
إلا عليم بطعم الخمر والجام

نزحتَ دمعى فليت الدمع يشفع لى
وليت نفسك ترضى بعد إحجام

عزيز فهمى

وبعد ! ألا كلمة عن « الصديقة بنت الصديق » صاحبة المقال ؟ ! إن قلة السطور الباقية لتعجلنى عن كثير ، ولكننى أملك أن أقول : إن عائشة المرأة ، وعائشة الأنثى ، وعائشة المسلمة ، وعائشة زوج النبى ، وعائشة الإنسانة تبدو على أوضح ما تكون فى هذا الكتاب الأخير

ولقد وقع اتفاق عجيب فى موعد هذه الدراسة . ذلك هو التوافق بين السن التى كان النبى (صلى الله عليه وسلم) يهش فيها لعائشة ويستروح ويتقبل بسرور ونشاط مقتضيات سنها وصباها وبين السن التى يدرس فيها العقاد شخصية عائشة (رضى الله عنها) ،

وإنه ليخيل إلىّ أن هذا التوافق كان واضح الأثر فى انفعال العقاد لهذه الشخصية الحلوة الكريمة وصحة فهمه لجوانبها وتصرفاتها

وهذا الكتاب الجديد امتداد وتكملة لعبقرية محمد ، كما كانت عائشة امتداداً وتكملة لحياة محمد ، وقد جمعهما أسلوب العقاد الفنان على نسق اجتماعهما فى الحياة قبل ثلاثة عشر قرناً من الزمان .

سيد قطب



حول خلود الروح

عقيدة خلود الروح من العقائد الغامضة المغلَّفة بالأسرار، ولذلك فقد لَقِيت على مرّ العصور نقداً عنيفاً، وطعناً جارحاً. ولعل أقسى ما وُجّه إلى هـذه العقيدة من حملات، تلك الحملة الشديدة التي شنها عليها الفيلسوف الألماني أرنست هيكل في الفصل الحادي عشر من كتابه « لغز الـكون » وقد انتهى هذا الفيلسوف من نقده إلى القول بأن « الإيمان بخلود النفس الإنسانية إنما هو عقيدة تتناقض تناقضا صارخاً مع الحقائق التجريبية الثابتة للعلم الحديث » . ولـكن خلود الروح — على الرغم مما أدلى به هيكل وغيره من الفلاسفة — لا يزال حقيقة عزيزة على الإنسان. وحسبنا أن نقرأ ما كتبه الأستاذ زكي نجيب محمود بعدد الرسالة الممتاز تحت عنوان (هجرة الروح) لنتحقق من أن الإنسان لا يسعه أن يطلّق هذه العقيدة، ولو قام على بطلانها ألف دليل! وإذا كان ڤولتير يقول لنا « إننا إذا فـكرنا في البرغوث لم يخطر ببالنا أن له نفساً خالدة ؛ فلماذا إذن أعتقد أن لي نفساً خالدة ؟ لماذا يتملق الناس أنفسهم ويفترون بأنهم هم وحدهم الموهوبون بمنصر الخلود والروحانية ؟ لعل السبب في ذلك زهوهم المفرط . وإني أشعر أنه لو كان الطاووس يتكلم لأعرب من إعجابه بنفسه، وادّعى أن مكان النفس من جسمه هو ذنبه الجميل ! » إذا كان ڤولتير يقول هـذا ؛ فإن في استطاعتنا أن نرد عليه فنقول : « أليس أمل الإنسان في خلوده بعد الموت دليلاً على خلوده ؟ إن رغبة الإنسان في الطعام ما كانت لتوجد لو لم يكن الطعام موجوداً . فالزهرة والنملة فانيتان وهما لا تنشدان خلوداً، أما الإنسان فراغب فيه ساع إليه، ويستحيل أن يكون له ذلك ما لم يجد في فطرته وجبلته ما يوحي إليه أنه خالد»

أجل، إن العقائد لا تبنى فقط على العقل، ولـكنها تبنى أيضاً على الشعور، وقد فطن إلى هذا أحد الباحثين — وهو سترلانج — Sterillanges — فقال : « إني أعلم علم اليقين أنه ليس يكفي أن أرغب في امتلاك القمر، لـكي ينعطف إليّ هذا القمر، كما أنه ليس يكفي أن أصبو إلى مجد نابوليون لـكي يسمى إليّ هذا المجد، ومع ذلك فإني أقول إنه يكفي أن أرغب في خلود النفس لـكي يكون هذا الخلود حقيقة ثابتة لها وجود . فما هو الفارق إذن ؟ إنه لفارق كبير، وبيان ذلك أن الرغبة في نيل القمر، والطموح إلى مجد نابليون، لا يعـدو كلٌّ منهما مجرَّدَ تهاويل شخصية ليست نتيجة لطبيعتي إنْ في كثير أو قليل . أما رغبتي في الخلود فهي ظاهرة أولية عامة لها أساس في الطبيعة الإنسانية كلها »[1]

أما الاعتراضات التي تثار ضد عقيدة خلود النفس فقد تـكفل بالرد عليها الـكاتب الفرنسي شاتوبريان في كتابه : « عبقرية المسيحية » (القسم الأول، الـكتاب السادس، الفصل الرابع) . وهذه الاعتراضات كلها يمكن أن تنحل بسهولة، إذا عرفنا أنه لا يجب علينا أن نتخذ من جهلنا لبعض التفاصيل والجزئيات ذريعة للقول بفساد العقيدة كلها . ويعجبني في هذا الصدد قول ترتليانوس Tertullien : « أَين لي الحالة التي أنت عليها، أَقُلْ لك الحالة التي ستصير إليها »

زكريا ابراهيم

حول ختان البنات في مصر

كتب الدكتور الفاضل (ع . أسامة) في هذا الموضوع الهام مقالاً ممتعاً في رقم ٥٤٤ من مجلة « الرسالة » الغراء، وقد ورد فيه بعض نقط دفعتني إلى ما يأتي :

يقول الدكتور الفاضل : « تختص مصر بهذه العادة دون سائر بلاد العالم المتمدن، إذ لا يشاركها فيها سوى قبائل السودان وأواسط إفريقيا » . والواقع أن الشعب السوداني كله مختص بهذه العادة، ولم يستطع الخلاص منها رغم الجهود العظيمة التي يبذلها شبابه وشيوخه بين حين وآخر أملاً في أن يقلع هـذا الشعب المسلم عن هذه العادة الضارة

وقد كتب الدكتور السوداني سيد أحمد عبد الهادي مقالاً عام ١٩٣٩ في جريدة النيل السودانية مشابهاً لما كتب الدكتور

(١) مصادر الايمان بالله (Les Sources de la croyance en Dieu) ص ٤٢١، باريس، بيران

أسامة عن هـذه المادة ، وبناء على ما جاء فى مقال الدكتور سيد أحمد أفتى فضيلة مفتى السودان بما يحرم ختان البنات بهذه الطريقة التى كتب عنها الدكتوران . وتسمى عندنا (الفرعونية) . والمعروف أنها انتقلت إلى السودان من مصر . وقد كان لإثارة هذا الموضوع آنذاك آثار حسنة ظاهرة ، ولـكنها ما لبثت أن اختفت مع مرور الأيام . وأكبر الظن أن الدافع إلى الدكتور السودانى إلى الـكتابة فى هـذا الموضوع كان ما تتكبده المرأة السودانية من ألم وصعوبات عند الوضع . الأمر الذى يترتب عليه كثير من حوادث الوفيات بين النساء .

أما سكان أواسط إفريقيا الوطنيون فهم قوم ما زالوا على الفطرة ، ولم ينتشر بينهم ختان البنات والأولاد على أية طريقة ما إلا فى أندر الحالات التى لا تبرر ذكرهم فى كلام الدكتور أسامة . ومع ذلك فقد لا ينعدم بينهم (الخرافات المتعلقة بالاعتقاد فى إصابة بعض النساء بالجن والمشايخ والأسـياد ، وما يجده الدجالون من سوق رائجة بينهن باستغلال هـذه المعتقدات) ، ولهـذه المعتقدات فى أواسط السودان وشماليه أثر ظاهر يماثل أثرها فى مصر ، ولـكنها فى جنوبيه لا يوجد لها أثر مرتبط بهذه الناحية

هذا ما عنَّ لى أن أذكره شاكراً للدكتور أسامة جهوده وغيرته ، وأرجو أن يوفق فيما دعا إليه . خصوصاً فى هذا الظرف الذى يحتم على أبنـاء الشرق أن يصلحوا من حالهم الاجتماعية التى هى أساس كل تقدم يرمون إليه

« وادى حلفا » — سليمان نجيب

فى الصديقة بنت الصديق أيضاً

كان الأستاذ الـكبير عباس محمود العقاد منصفاً كل الإنصاف فى اختيار العنوان لرده على المآخذ التى وجدتها أنا وبعض الفضلاء فى كتابيه : « الصديقة بنت الصديق » و « عبقرية الإمام » ، ولـكن ما أجاب به عن الأمرين اللذين أخذته بهما لم يصب عين ما أردت منهما ، لأنه جرى فيما أجاب به عن الأمر الأول على مذهب ضعيف للنظَّام فى الصدق والـكذب ، وهو أن الصدق مطابقة الخبر للاعتقاد ، والـكذب عدم مطابقته له . والصحيح مذهب الجمهور فى الصدق والـكذب ، وهو أن الصدق مطابقة الخبر للواقع والـكذب عدم مطابقته له . فالنبى صلى الله عليه وسلم حين رأى شبهاً بينه وبين ابنه إبراهيم يرى أنه يشبهه فى الواقع ، وعائشة حين قالت له إنها لا ترى شبها بينهما ، ترى أنه لا شبه بينهما في الواقع ، وفى هذا تـكذيب له غير لائق ، ولا سيما أن ألسنة المنافقين كانت تلوك فى أمر مارية حين ساءهم ولادة إبراهيم ما لا كوه فى عائشة ، وهى أكبر من أن تقابل النبى صلى الله عليه وسلم بهذا القول الذى يرتاح له أعداؤه من المنافقين . وقد قال الأستاذ العقاد : « فالتكذيب هنا إنما يكون إذا قالت إنك يا رسول الله لا ترى شبهاً بينك وبين إبراهيم . أما أن تقول عن نفسها إنها ترى الشبه وهى لا تراه ، فذلك هو الـكذب الذى ينبو عنه مقامها » . وإنى أقول إن هذا هو مذهب النظام فى الصدق والـكذب بعينه ، ومؤاخذنى للأستاذ العقاد فى ذلك الأمر لا تقوم على أساسه

وأما جوابه عن الأمر الثانى فقد خرج فيه عن الذنب الذى قذفت به عائشة ، وطلب منها النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك الخبر أن تعترف به وتستغفر منه إن كانت ألمت به ، فالذنب الذى قذفت به هو الزنا ، وهو يخالف سائر الذنوب فى أنه يندب للحاكم إذا أقر به شخص عنـده أن يعرِّض له بالرجوع عن إقراره ، فكيف يطالب النبى صلى الله عليه وسـلم أن تعترف به إن كانت ألمت به . على أن الاعتراف بالذنب ليس من أصـول الإسـلام فى شىء ، وإنما هو أصل من أصول المسيحية . وقد جاء فى بعض الأحاديث أن الله يحب من العبد إذا ارتكب ذنباً فلم يفضحه أن يستره عن الناس . فالذى أنكره من ذلك الخبر هو ما فيه من طلب اعتراف عائشة بذنب لا أساس له ، وما فيه من إفادة شك النبى فى براءتها مما قذفت به ، وفى جواب عائشة عن ذلك أكبر دليل على ضعف ذلك الخبر .

عبد المتعال الصعيدى

لبشار أم لكثير عزة ؟

فى الرسالة (٥٤٣ — ٩٥٩) كتب الأديب عبد الحميد عثمان عبد المجيد كلمته تساءل فيها : كيف أورد مؤلفاً قصة الأدب فى العالم الأبيات البائية المشهورة التى نسبها صاحب الأغانى إلى بشار — تساءل كيف نسبا هذه الأبيات إلى كثير عزة ؟ ...

ويظهر أن الخلاف فى قائل هذه الأبيات قديم جداً ، وأن الخلاف فى القائل واسع لا يقف عند بشار وكثير عزة . والظاهر أن بعض الكتاب القدماء نسب هذه الأبيات إلى ذى الرمة أيضاً ؛ فقد ذكر صاحب مصارع العشاق أن كثير عزة خرج مرة للقاء عزة واشتدت به الحال فأنشد :

يزهدنى فى حب « مية » معشر   قلوبهم فيها مخالفة قلبى الخ

ثم قال : « هكذا رواه ابن اسحق ، وقال الشهاب محمود بذلك ونقل فى الطبقات الأبيات إلا أنه قال :

يزهدنى فى حب « عزة » معشر . ثم قال هذه الأبيات لكثير عزة ، وقد توهم قوم أنها لذى الرمة بدليل قوله :

يزهدنى فى حب « مية » معشر ، وليس كذلك . وأظنه كان سهواً

هذا كلامه بالنص ومنه يعلم أن هناك من نسبها إلى ذى الرمة ، ولكنه رحمه الله يجزم — كما ترى — أنها لكثير عزة ، وهذا الجدل والدفع والجذب يقوم ، مع أن الأصفهانى ذكر الأبيات فى شعر بشار بغير خلاف !

وليس هذا بأول خلاف ولا بآخر جدل يقوم على بيت من الشعر وتعيين صاحبه . والقطع برأى فى مثل هذه المسائل يحتاج إلى شىء من الدقة وشىء من التريث . ولا بد من الرجوع إلى كل ما يكن الرجوع إليه من المراجع والموسوعات

برهان الدين الداغستانى



الاعتراف ...

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الآنسة درية رستم

كانت مرجريت دي تيرول تعاني سكرة الموت وهي بعد في الواحدة والخمسين من سني حياتها؛ إلا أنها كانت تبدو لرائيها على الأقل في الخامسة والستين... وراحت تتنفس وهي أشد اصفراراً من أدثرتها... تخالج جسدها رعشات هائلة... شاحبة الوجه... زائغة البصر، كما لو كان شيئاً هائلاً يلوح لها.

وراحت شقيقتها الكبرى «سوزان» تنتحب، وهي تكبرها بعشر سنوات، وكانت جالسة بالقرب من السرير، وكان بالقرب من فراش المحتضرة منضدة عليها مفرش من فوقه شمعتان مشتعلتان...

كانتا في انتظار القس الذي كان من واجبه أن يقوم بمباركتها البركة الأخيرة ويقدم القربان المقدس. وكان المسكن ذلك المنظر المشؤوم لحجرات الموتى، منظر الوداع الذي لا لقاء بعده... زجاجات الدواء على كل قطعة من الأثاث... والملابس ملقاة في كل ناحية من نواحي الغرفة... مدفوعة بركلة قدم أو بضربة مكنسة... حتى الأرائك كانت في غير أماكنها المعدة لها. نعم فقد كان الموت المروع ثم مختبئاً منتظراً...

كانت قصة الشقيقتين تستدعي رحمة القلوب وإشفاقها... وراح القوم يروونها من زمان بعيد وهي بعد تستدر عبراتهم

كانت سوزان في ميعة صباها يحبها فتى إلى حد الجنون... وكانت تبادله الحب... وإذلم يبعد على زواجهما غير أيام معدودات مات «هنري دي ساير» فجأة...

ولقد كان يأس الفتاة قاتلاً حتى لقد أقسمت ألا تتزوج أبداً... والحق أنها برت بقسمها وعاشت عيشة العوانس، ولم تشذ عن عادتها مطلقاً

... وذات صباح جاءتها شقيقتها... شقيقتها الصغرى «مرجريت»، ولم تكن بعد قد تعدت الثانية عشرة وألقت بنفسها بين ذراعي شقيقتها الكبرى وقالت لها:

يا شقيقتي الكبرى... إنني لا أريد أن تكوني تعسة... لا أريد أن تبكي طول حياتك... أبداً لن أغادرك أبداً... وأما عن نفسي فلن أتزوج، وسأظل دائماً إلى جوارك دائماً... دائماً... واحتضنتها سوزان متأثرة بهذا الإخلاص من طفلة. ولكن الطفلة عملت بقولها، وعلى الرغم من توسلات أبويها وتضرعات شقيقتها لم تشأ أن تتزوج... ولقد كانت جميلة بارعة الجمال، وردت كثيراً من الشبان الذين كانوا يلوحون أنهم يحبونها... ولم تغادر أختها مطلقاً!

***

وعاشتا معاً طيلة إقامتهما دون أن تفترقا مرة واحدة. وظلتا متعاشرتين تربطهما عروة وثقى... إلا أن «مرجريت» كانت تبدو دائماً حزينة مهمومة... أكثر حزناً من أختها، كما لو كان من المحتمل أن تكون تضحيتها الغالية قد قوضت حياتها، وراحت تدلف في طريق الشيخوخة بخطوات حثيثة، ووخط الشيب شعرها وهي لا تزال في الحلقة الثالثة من عمرها... دائماً تعاني، كما لو كان خطراً هائلاً يهددها.

وها هي ذي الآن تموت قبل أختها! ولم تنفرج شفتاها عن كلمة منذ أربع وعشرين ساعة... فقط قالت عند الومضات الأولى للفجر: هيا ابحثي يا أختاه عن القس؛ فإنني مشرفة على الهلاك...

وبقيت بعد ذلك مستلقية على ظهرها... تنتفض انتفاضاً مرتجفة الشفتين، كما لو كانت كلمات هائلة تصعد من أعماق قلبها، ثم تقف حائرة على شفتيها!

وراحت أختها، وقد أرمضها الألم، تبكي بحرقة من خلف السرير، وهي تردد:

يا مرجو.. يا مرجو التعسة... يا صغيرتي، وكانت دائماً تناديها بيا «صغيرتي»، كما كانت مرجريت تناديها دائماً بيا «أختي الكبرى»...

وسمعنا وقع أقدام على الدرج . . . وفتح الباب ولاح طفل من الكنيسة ، ومن خلفه قس كهل فى لباسه الكهنوتى . وما إن وقع بصر المحتضرة عليه حتى انتفضت وفغرت فاها ، وتمتمت بكلمات غير مفهومة ... وتقدم منها الأب « سيمون » وتناول يدها وقبلها فى وجنتها ، وقال لها فى صوت حلو النبرات :

— إن الله ليعفو عنك يا طفلتى ... تشجعى ... ها هى ذى اللحظة قد دنت ... تكلمى

... وتمتمت مرجريت التى راحت تنتفض من فرعها إلى قدمها ... وراح مهادها يهتز بتأثير حركاتها العصبية

لتجلسى يا شقيقتى الكبرى ... ولتسمعى ... وانحنى القس يأخذ بيد « سوزان » وهى قابعة كعادتها عند قدم السرير وأجلسها على الفوتيل وأخذ بكل يد من يديه يد كل من الشقيقتين، وقال :

رباه ... لتبعث فيها القوة . . . ولتنزح عليها رحمتك ...

وشاءت مرجريت أن تتكلم ، فخرجت الكلمات من حلقها الواحدة بعد الأخرى جزئية متقطعة

عفوك ... عفوك يا أختاه ... لتصفحى عنى ... آه لو أنك تعلمين كم كنت أشفق على نفسى من هذه اللحظة ... طول حياتى ... وتمتمت سوزان من بين عبراتها ...

عم أصفح عنك يا صغيرتى ... وقد منحتنى كل شىء . . . وضحيت بكل ما تملكين ... إنك ملاك

ولكن مرجريت قاطعتها قائلة :

خلى عنك

دعينى أتكلم ولا تقاطعينى ... هذا مريع ... دعينى أقل كل شىء حتى النهاية . . . دون أن تتحركي . . . إصغى ... إنك تذكرين ... تذكرين هذى ...

وانتفضت سوزان ونظرت إلى شقيقتها التى استطردت قائلة :

يجب أن تنصتى لتفهمى ... كنت فى الثانية عشرة من عمرى حياتى ... فى الثانية عشرة فقط وإنك لتذكرين ذلك جيداً أليس كذلك ؟ ولقد كنت مدللة ؛ كنت أعمل كل ما أريد عمله ... أتذكرين جيداً كيف كانوا يدللوننى ؟ أصغى... حينما جاء لأول مرة كان يحمل باقات نضيرة ونزل من فوق جواده أمام الدّرج

ولكنه كان يحمل نبأ إلى والدى ... إنك لتذكرين ... أليس كذلك ؟ لا تقولى شيئاً ، أصغي . . . حينما رأيته ... شعرت كأننى أُسرت ، فقد كان جميلاً ، فاتن الجمال ... وظللت واقفة فى ناحية من الصالون طوال الوقت الذى كان يتكلم فيه

وزارنا مرات عدة ، فكنت أحدق فيه ، بكل عينى ... من كل قلبى ... فلقد كنت أكبر من سنى !

وعاد بعد ذلك كثيراً ... ولم أكن أفكر إلا فيه ...

وكنت أقول فى صوت خافت :

هذى ... هذى دى سامبير... وبعد فقد قيل إنه سيتزوج منك ... فأصابني لذلك ألم ... أواه !

لشد ما تألمت ... لشد ما تألمت !

وظللت ثلاث ليال متتاليات دون أن يزورنى الكري ، وشرع يزورنا كل يوم ، وبعد الظهر ... بعد أن يتناول طبماً الغداء ... إنك لتذكرين ... أليس كذلك ؟ لا تقولى شيئاً ... إصغى ... كنت تعدين له « الفطير » الذى كان يحبه كثيراً من الدقيق ... أواه ... إننى لأعرف تماماً ، كيف كنت تقومين بذلك !

وبعد أن كان يرشف قدحاً من الخمر ... يقول : كم هو شهى ! وإنك لتذكرين كيف كان يقول ذلك . . . لقد غدوت حقودة ... حقودة ... وكان يوم زواجكما ... يقترب حتى لم يبق عليه إلا خمسة عشر يوماً ... غدوت مجنونة ... فكنت أقول فيما بينى وبين نفسى

سوف لا يتزوج من سوزان ... كلا ، لا أريد ذلك ... إنه سيتزوج منى حينما أكبر . إننى لم أجد أبداً من أحبه هذا الحب . . . ولكن . . . ذات مساء قبل عقد زواجكما بعشرة

أيام كنت تسيرين معه ... فى ضوء القمر ... هناك تحت شجرة السرو ... شجرة السرو السامقة ... ضمك ... ضمك بين ذراعيه طويلاً ... إنك لتذكرين ... أليس كذلك ؟ ...

وكان ذلك محتملاً أول مرة ...

لأننى رأيتك شاحبة الوجه حينما عدت إلى الصالون ... ولقد استطعت أن أرى كل شيء ، ذلك لأننى كنت واقفة هناك على الرصيف ، فتملكنى الغضب ... حتى لو كان فى استطاعتى آنئذ أن أقتلكما ... لما ترددت فى ذلك . قلت فيما بينى وبين نفسى : سوف لا يتزوج من سوزان أبداً ، ولا من أية فتاة أخرى ... غدوت تعسة ... وفجأة وجدتنى أندفع فى طريق الحقد ... الحقد المروع !

أتعلمين ما الذى فعلته إذن ؟ ... اصغى . كنت رأيت البستانى يعدُّ كُرات صغيرة ليقتل بها الكلاب الضالة ... فكان يسحق الزجاج بحجر ... ثم يضع الزجاج المسحوق فى كرة صغيرة من اللحم ... وأخذت من غرفة والدتى زجاجة صغيرة من زجاجات الدواء وجعلت أحطمها

وأخفيت الزجاج فى جيبى وهو لا يبدو أن يكون مسحوقاً لامعاً ... وفى اليوم التالى ... عند ما قمت كعادتك بعمل « الكعك » ، شققتها جميعاً بسكين ودسست الزجاج فيها ... وأكل هنرى منها ثلاثاً ... وأكلت أنا واحدة ... وألقيت بالست الباقية فى الغدير ... ولقد مات الأوزتان بعد ذلك بثلاثة أيام ... إنك لتذكرين ذلك ... أواه لا تقولى شيئاً ... إصغى ... إصغى ... أنا وحدى التى لم تمت ...

ولكننى كنت دائماً مريضة مدنفة ... إصغى ، لقد مات ... إنك لتذكرين جيداً ... إنه ليس فى ذلك شيء حتى الآن ... بل إنه بعد ذلك ... بعد ذلك بكثير غدت حياتى كلها مفعمة بالشقاء ، فكنت أقول فيما بينى وبين نفسى : سوف لا أغادر شقيقتى ، سوف أقول لها كل شيء ... عند ما يدهم أحدنا الموت

ولقد كنت أفكر دائماً فى تلك اللحظة المرتقبة . تلك اللحظة التى أعترف لك فيها بكل شيء ...

وها هى ذى قد حانت ! هذا مريع ... أواه ... يا شقيقتى الكبرى ... كنت دائماً أفكر ... فى الصباح وفى المساء ، فى النهار وفى الليل ... أنه يجب على أن أكاشفك بكل شيء ...

لشد ما تألمت ! انصتى .. الآن يتملكنى الخوف ... خوف مروع ، أواه . أخشى أن أراه بعد برهة ... حينما أموت ... أتدركين ما أعنى ؟ أتدركين ... ها أنذا وقد أشرفت قبلك على الهلاك ، أتضرع إليك أن تصفحى عنى ، لأننى لا أستطيع أن أموت دون أن أتقدم بعفوك إليه ...

اسأله أيها الأب أن يعفو عنى .. أتضرع إليك ... لا أريد أن أموت قبل ذلك

***

أخفت سوزان وجهها بين يديها ، ولم تأت بحركة ، وراحت تفكر فى فتاها ، وكيف كان من الممكن أن تتعهده بحبها طويلاً ، وأية حياة جميلة تلك التى كانت لهما ، وومض خياله لحظة فى ذهنها ثم لم يلبث أن اختفى فى الماضى البعيد ... مات فتاها وشقيقتها العزيزان .. كم يمزق موتهما قلبها ... أواه ... صورته .. صورته الحبيبة ... إنها لتحتفظ بها فى أعمق نفسها ... ثم لم يبق شيء من حياتها كلها ...

وفجأة قام القس ، وصاح فى صوت جهورى واضح :

يا آنسة سوزان ، إن شقيقتك تحتضر

وفتحت سوزان ذراعيها ، ووضح وجهها المخضل بالدموع واندفعت إلى شقيقتها وراحت تقبلها بكل قوتها وهى تتمتم ... إننى أعفو عنك ، أعفو عنك يا صغيرتى !

دورية رستم

معهد التربية بالزمالك

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

12me Année No. 552

Lundi - 31 - 1 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥٥٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٥ صفر سنة ١٣٦٣ — الموافق ٣١ يناير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهرس

صفحة
١٠١ فجيعة مصر في أميرها ... : أحمد حسن الزيات ... ...
١٠٣ مدينة الحيوان ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
١٠٥ لامية شمة بن غريض أخي السموءل ... ... : لأستاذ جليل ... ...
١٠٦ على محمود طه شاعر الفن والجمال : الأستاذ دريني خشبة ... ...
١٠٩ المجمع اللغوي والوحدة العربية : الأستاذ عبد القادر المغربي
١١١ أسامة ... ... : الأستاذ إسماعيل مظهر ...
١١٤ نقل الأديب ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
١١٦ النشيد ... ... [قصيدة] : الأستاذ عمر أبو ريشة ...
١١٦ الفجر الهارب ... : الأديب محي الدين صابر ...
١١٧ ستانيلوس أوجاخوفسكي أحد الأحرار ... ... : الأستاذ حسين غنام ... ...
١١٩ الأستاذ ساطع الحصري ... : ... ...
١١٩ ختان الأنثى بين الدين والرأي : الأستاذ محمد أحمد الغمراوي
١٢٠ الأستاذ إسعاف النشاشيبي : ... ...
١٢٠ إلى طلبة السنة التوجيهية .. : الدكتور زكي مبارك ... ..

فجيعة مصر في أميرها



نعم، فُجعت مصر في أميرها، وقلّما تفجع مصر في أمير! وعمر باشا طوسون أحق أنداده ـ إن كان له أنداد ـ بأن تقول مصر فيه: أليومَ فقدتُ ابنيَ البارّ وأميري الحق! ذلك لأنه أعزها وأجلّها، وعاش فيها وبها ولها، ووقف على خدمتها حياته كلها؛ فلغتها لغته، ودينها دينه، وقومها قومه، وتقاليدها تقاليده، وأمجادها أمجاده. وما يمتري اثنان في أن حفيد محمد على وصهر إسماعيل كان على جلالة منبته وضخامة ثروته فلاحا متواضع النفس لين الجانب، يهبط مختاراً إلى مستوى الحياة العاملة فيلابس سواد الجمهور، ويتمرس بمختلف الأمور، ويأخذ بالنصيب الأوفر من الرأي الموجّه والعمل المثمر. ولم تسوّل له نفسه مرة أن يقف على قة

الشرف الموروث ثم ينظر من علياه إلى رزق الله وخَلق الله بشَطر عينه ويقول بلهجة المتغطرس المزهوّ :

أولئك ضياعي ، وهؤلاء عبيدي !

رحم الله الأمير عمر ! لقد كان في حياته ومماته مثال الأمير الديمقراطي الصالح . وأريد بالصالح معناه المدنى الرفيع من صلاح للدنيا وللدين . ولعله بهذا المعنى يوشك أن يكون رجلَ وحده في الأمراء والأغنياء كافة !

كان أشبه بالعصاميين في تدبير مُلكه وتنمية ثرائه . ورث أكثر ضياعه من غامر الأرض فلا زرعٌ ولا مرعى . فلو كان من أولى الجسد البض والعظم الخريع والطبع المدلل لأجاب الخبير الذي قال له : « إن إصلاح أرَضيك يحتاج إلى مال قارون وصبر أيوب » : دعني لخيول سباق وكلاب صيدي وخلاك ذم ! ولكن الأمير الشاب شمّر للأمر تشمير الرجل ، واستعد للعمل استعداد المضطر ، وأقبل على سبَخات الأرض ومناقع الماء يقذف فيها الخصب ، ويسبغ عليها النماء ، ويغرى بها الربيع زهاء نصف قرن ، حتى أصبحت الأجادب منازه نعيم ، وصار « الخزان » خزائن نعمة !

من ذلك اشتد حبه لأراضيه لأنها ثمار جهده ، وقوى عطفه على فلاحيه لأنهم رفاق جهاده . ثم اتسع حبه لضياعه حتى وسع وطنه ، وانتشر عطفه على أتباعه حتى شمل أمته . حينئذ أخذ يوزع نشاطه على حركات الإصلاح في الأرض وفي الناس ، فنهض بالإنتاج الزراعي نهضة موفقة بما أمد به الجمعية الزراعية من علمه وعمله وماله وجاهه . ثم كان له في كل وجه من وجوه الخير نفحات ظاهرة وباطنة . وامتد أفقه إلى الأمور السياسية والقومية فشارك فيها مشاركة المؤمن بحقوق الشعب ، المذعن لسلطانه ، فأيد دعاة الدستور ، وعضد قادة الأمة ، وبسط من لسان مصطفى كامل ، ومد في يد سعد زغلول . ولو ذهبتَ تستقصى دوافع العمل ودواعى الخير في حياة الأمير ثم رددتها إلى مصدر واحد ، لكان ذلك المصدر حبه العارم لمصر والسودان وما يمتّ إليهما بسبب ، من جوار أو نسب . فمن أجلهما عطف على طرابلس وفلسطين والحبشة ، وفي سبيلهما عقد الأواصر ومتّن الأسباب بين الأهل والجيرة

ثم اتجه نشاطه إلى العلم والتأليف فلم يجد أعلق بخاطره ولا ألصق بهواه من البحث في تاريخ مصر والسودان ، وتقويم بلدانهما ، ومناقب سكانهما ، فكتب في هذه الموضوعات واحداً وعشرين كتاباً أكثرها بالعربية وبعضها بالفرنسية ، أشهرها :

الجيش المصري البرى والبحرى في عهد محمد علي ، مصر والسودان ، كلمات في سبيل مصر ، مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن ، رسالة المصانع والمدارس الحربية في عهد محمد علي ، الأطلس التاريخي الجغرافي لمصر السفلى منذ الفتح الإسلامي إلى اليوم ، ضحايا مصر في السودان وخفايا السياسة الإنجليزية ، يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ، وادى النطرون ورهبانه وأديرته ، المسألة السودانية ، فتح دارفور سنة ١٩١٦ ، تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية من فتحها إلى ضياعها ، تاريخ خليج الإسكندرية القديم وترعة المحمودية ، الجيش المصري في حرب القرم .. وهذا الثبت المختصر كاف وحده للدلالة على مهوى فؤاد الأمير ومتّجه مساعيه .

***

كان الأمير عمر ، جادَ الله بالرحمة ثراه ، نازه النفس لم تحم حول مروءته ولا سمعته رِيَب الحسب الموروث ولا دنايا الغنى الطافح . وكان صاحب وقار وجد ، فلم يشغل ذرعه بسفساف الأمور ولا حقير الملاهي . وكان في دقته كدورة الشمس تضبط على حركاته ساعتك ؛ فهو ينام ويستيقظ ويأكل ويعمل ويَقيل ويقرأ ويستريح ويستريض في مواعيد لا تتقدم لحظة ولا تتأخر . وتلك خصيصة العزم الثابت ، والنفس المطمئنة ، والطبع المستقيم . ولقد كان وهو في هذه السن العالية يدبر أعماله الزراعية والمالية بنفسه ، فيفض البريد ، ويعلق على كل رسالة ، ويطلع على كل أمر ، ويقضى في كل مسألة . وكان الظن بمثل هذه الحياة العاملة الحافلة الموزونة أن تنبو على أعراض الترف وأمراض البطالة ؛ ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر

هذه خطوط وظلال لصورة الأمير الراحل رسمناها على التقريب ليكون فيها للشباب قدوة وللشيب عبرة . وإنا لنرسمها ولذعات الحسرة ترمض الفؤاد على حال الوادعين في ظلال أمنه يوم يفتقدونه فلا يجدونه . على أن للناس في شبليه صاحبي المجد النبيلين الجليلين «سعيد» و «حسن» خير العزاء من فقده ، فإن حياتهما امتداد لحياته ، وعملهما استمرار لعمله .

احمد حسن الزيات

مدينة الخيرات

للدكتور زكي مبارك

بالأمس حضرت مع الأخ الزيات حفلة وزير الأوقاف لشرح تخطيط « مدينة الخيرات » بدعوة كريمة من معاليه ، واليوم قرأت جميع الجرائد الصباحية والمسائية من عربية وفرنسية لأستروح بعبير الحديث عن المدينة الجديدة ، ثم تأملت الخريطة المنشورة في جريدة المصري وجريدة الأهرام ، ودرستها مع أحد أبنائي ، ليتخير مكاناً نبني فيه بيتاً هناك ، بإذن الله ، وبعون الله ، فما نقدر على شيء ، إلا إن أعانتنا رعايته السامية ، وأظلنا ظله الظليل .

مدينة الخيرات

الوزير سماها في حديثه معنا « مدينة الزهور » ، ثم قرأت في جريدة الأهرام أنه قال إن اسمها محل بحث في الوقت الحاضر ، وأنا أقترح أن نسميها « مدينة الخيرات » للمعنى الذي أشار إليه الوزير في خطبته ، فقد قال إن الذي يبني قصراً في هذه المدينة يضمن قصراً في الجنة ، لأن الأموال التي ستحصل من إنشائها ستكون أزواداً باقية للفقراء والمساكين

والخيرات كلمة قوية في اللغة العربية ، فهي جمع خَيْرة مؤنث خَيْر ، والخير في لغة العرب يتضمن وصفين : الوصف بالخُلق والوصف بالجمال[1] والرسول عليه السلام سمّى « المختار » لهذا المعنى ، وقد وردت « الخيرات » في الشعر القديم بمعنى الخصال الشريفة ، قال النمر بن تولب :

أعاذِلُ مهلاً لا تلمني ولا تكن
خفياً إذا الخيرات عُدّت رجالها[2]

فمدينة الخيرات هي مدينة الأخلاق الفاضلة ، والشمائل الكريمة ، والجمال الرائع ، وإذن يكون اسمها في معناه من أشرف الأسماء أرجو معالي الوزير أن يتفضل بإقرار هذا الاسم الجميل ، وأرجو حضرات الكتاب والشعراء أن يذكروه فيما يكتبون وما ينظمون ، ليسير على الألسنة في أقرب وقت ، ولهم مني أطيب الثناء

عبد الحميد عبد الحق

هذا فتى من أماجد الفتيان ، فتى طيب القلب ، صافي الروح ، واشتراكه في الوزارة الحاضرة دليل جديد على براعة النحاس باشا في اختيار الرجال

تولى عبد الحميد وزارة الشئون الاجتماعية وهي وهم من الأوهام ، فصيرها وزارة رئيسية ، صيرها وزارة يرضى بها وزير مثل فؤاد باشا سراج الدين

وحين نُقل هذا الوزير المبتكر إلى وزارة الأوقاف كان مفهوماً للجمهور أنه نُقل إلى ميدان لا يصلح للجهاد ، ثم كانت النتيجة أن يبتكر أشياء لم تخطر لمن سبقوه في بال

الأوقاف الخيرية

حدثنا الوزير في خطبته أن الوقف الخيري كاد ينقرض ، فلم نعد نسمع شيئاً من أخبار المحسنين الذين يحبسون الأطيان والعقارات على الفقراء والمساكين ، وذلك باب من « التأمين الاجتماعي »

وإذن يكون من الواجب أن ننمي الأوقاف الموجودة ، وهي لا تزيد عن خمسة وأربعين ألفاً من الفدادين ... وقد تعجبت حين سمعت هذا الرقم الهزيل ، وجال في الخاطر أن الأراضي الموقوفة تعرضت للسرقات ، والأرض تُسرق كما تُسرق النقود ، وإذا كانت الأراضي التي يسهر عليها أصحابها تُسرَق منها مساحات فليس من المستغرب أن تُسرق أراضي الأوقاف ، ولم يكن لها حراس فيما سلف من السنين !

وقد وجد الوزير أبواباً لتنمية الأوقاف الخيرية ، منها بيع الأراضي القريبة من المدن لينتفع الفقراء بأثمانها العالية ، وأهم هذه الأبواب هو إنشاء « مدينة الخيرات » في الأراضي الواقعة على الضفة الغربية للنيل

---

(١) راجع المصباح للفيومي (٢) راجع البستان للبستاني

ارتفع السعر من اللحظة الأولى ، فاشترى حلمى باشا عيسى فداناً وصل ثمنه إلى نحو تسعة آلاف من الجنيهات ، وكان الفدان هنالك لا يجد من يشتريه بأبخس الأثمان

أنا متفائل بما صنع حلمى باشا ، فهو من جيرانى فى المنوفية ، وسأصنع كالذى صنع فأشترى بضعة قراريط بجوار ذلك الفدان ، لنظل جيراناً هنا وهناك !

اللهم آمين !

سعيد وسنان

الأراضى التى ستقام عليها مبانى المدينة الجديدة هى من أوقاف سعيد باشا وسنان باشا ، فمن هذان الرجلان ؟

أرجو أن يتفضل أحد أصدقاء الرسالة فيكتب كلمة عن هذين المحسنين العظيمين ، جعلهما الله من سكان الفردوس

شارع الأهرام

الشارع الأعظم فى المدينة الجديدة عرضه ثمانون متراً ، ومزيته أنه يواجه الأهرام من بدايته إلى نهايته ، ومعنى هذا أن السائر فيه يرى الأهرام كلما مدّ بصره إلى الأمام

أتاح هذا الشارع فرصة لخطبة وجيزة عقبت بها على خطبة الوزير ، فقد تحدثت عن حرمان القاهرة من مثل هذا الجمال ، تحدثت عن شارع الأزهر وهو بدعة البدع فى الاعوجاج ، وكان يجب أن يسمح لمن يقف بميدان الملكة فريدة أن يرى منارات الأزهر الشريف

وقلت أيضاً إنه كان يجب أن يتمتع من يقف فى ميدان الإسماعيلية أو باب الحديد برؤية الواجهة الجميلة لقصر عابدين

ارحموا القاهرة

ثم اندفعت فتحدثت عما أخشاه من إهمال القاهرة ، وهى عروس الشرق ، فالعمران الجديد يتجه إلى الضفة الغربية ويترك الضفة الشرقية ، يتركها لأن تنظيمها صعب ، أو لأنها من ميراث الأجداد ، وهذا هو العذر الذى وصف بأنه أقبح من الذنب ؟

أين كان مهندسونا يوم أقيمت إدارة الأزهر بوضعها الجديد ؟ وكيف جاز أن تشوه الجمال المنشود بوصل ميدان الأزهر بميدان الحسين ؟

وأين كان مهندسونا يوم أقيمت معسكرات الحرس الملكى كان يجب أن يتصل الميدان بالساحة التى تقع فى شمال تلك المعسكرات ، ليزيد فى الرونق والبهاء

وكيف جاز السكوت عن تنظيم شارع الخليج حتى يصل إلى مداه من الشمال ؟

وإلى متى نسكت عن التلال التى تحيط بالقاهرة من الشرق فتملؤها بالغبار والأقذاء ؟

وزير الأوقاف يَعِدنا بغابة تحمى المدينة الجديدة من الرطوبة والغبار ، فمتى نسمع أن وزارة الأشغال أقامت غابة تحمى القاهرة من الأتربة والرمال التى تثور من الشرق ؟

وعند هذه الكلمة قام الوزير ليقول : إن لوزارة الأوقاف أملاكا فى « تل زينهم » ، وإنه سيحاول تحويل تلك التلال إلى رياض

ولم يسمح المقام بمعارضة الوزير ، فأنا أريد تلال الدرّاسة لا تلال زين العابدين !

عثمان محرم باشا

وقف الأستاذ محمد الصباحى ليردّ على خطبتى فقال : إن صاحب المعالى عثمان محرم باشا معنىٌّ برفع التلال التى تؤذى القاهرة من الشرق ، ومضى فقال كلاماً جميلاً فى الدفاع عن وزير الأشغال

وأقول إنى معتزمٌ رفع قضية على عثمان باشا ، قضية طريفة يعرف بها أن الأديب مهندس يفوق المهندسين ، وسأترفق به ، فلا أطالبه بغير عشرين ألفاً من الدنانير الصِّحاح

كتبت فى « الرسالة » مقالات كثيرة عن تخطيط القاهرة ولم يستمع وزير الأشغال ، بدليل أنه لم يَدْعُنى ليسمع أقوالى

وسأقدم المحكمة وثيقة عجيبة ، هى مقالة قدمتها لجريدة المصرى فى العام الماضى ، ثم ردّتها إلىّ برفق ، لأنى اقترحت أن يسير وزير الأشغال على قدميه أو يركب الترام عند خروج الموظفين من الدواوين ، فإنى أعتقد أن راكب السيارة الخصوصية أو الحكومية لا يشعر بما يعانى القاهريون من صعوبة المواصلات

لامية شعية بن غريض

أخي السموءل

لأستاذ جليـــل

أطالع كتاب (النظم الإسلامية) تأليف العالمين الفاضلين الدكتور حسن ابراهيم حسن والأستاذ على ابراهيم حسن فأجد في الصفحة (١٥٦) هذه الأبيات :

أنا إذا قلت دواعي الهوى وأنصت السامع للقـائل
واصطرع القوم بألبابهم نقضى بحكم عادل فاصل
لا نجعل الباطل حقاً ولا نلفظ دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا فيحمل الدهر مع الحمل

وقد نقلها المؤلفان من كتاب (الأحكام السلطانية) للامام الماوردى ، وهي فيه في الصفحة (٢٢) وإن احتفال الأستاذين بمباحث كتابهما المهمة ، واطمئنانهما إلى تدقيق العالم الفاضل

وقد تعب السكرتير العام لوزارة الأشغال ، وهو الأستاذ حامد القصبي ، في ترضيتى ، ليضمن سكوتى عن رفع القضية ، ولـكنه لن يصل إلى ما يريد ، وإن كان أعز صديق

سأقاضى وزير الأشغال بعد أيام أو أسابيع ، وهل يكون أعز علىّ من القاهرة وهى الغرة اللائحة فى جبين الشرق ؟

اعتذر عنه أحد أصدقائه بأنه لم يقرأ مقالاتى فى تخطيط القاهرة ، وأنا لا أقبل هذا الاعتذار بأى حال ، فقد كان يجب أن يقرأ الضمائر قبل قراءة المجلات

غرّبوا كيف شئتم ، وابنوا ألوف القصور فى الضفه الغربية فستحتاجون إلى ألف سنة ليـكون لـكم بعض ما للقاهرة من تواريخ

أنت يا قاهرة قاهرة ، فلا تحزنى ولا تخافى ، وأنا الـكفيل بأن ترجع إليك وديعتك الغالية وهى الجامعة المصرية فى دار جميلة هى دار وزارة الأوقاف ، يوم تنتقل هذه الوزارة إلى مدينة الخيرات ، والله هو الكفيل بالتوفيق .

زكى مبارك

الأستاذ محمد بدر الدين النعسانى (رحمه الله) صرفاهما عن الاهتمام بهذا الشعر

لم تُعزَ الأبيات فى (النظم والأحكام) إلى قائلها ، وهو (شعية بن غريض) أخو السموءل لا (سعيد بن غريض) كما ورد فى طبعة الخزانة للعلامة البغدادى ، ولا سعية كما جاء فى (الأغانى) . وقد نسب الإمام الزمخشرى فى (الأساس) بيتاً واحداً منها إلى الربيع بن الحُقيق ، وهو من شيعة شعية ، وليس البيت يتيماً[1] ، وصاحبه قارضة أولى به . ومن روايات هذه الأبيات :

إنَّا إذا جارت دواعى الهوى وأنصت السامع للقـائل[2]
واعتلج القـوم بألبابهم فى المنطق الفائل والفاصل[3]
لا نجعـل الباطل حقاً ولا نلطُ دون الحق بالباطل[4]
نخاف أن تسفُـه أحلامُنا فنخمل الدهرَ مع الخـامل

وهى من شعر التمثيل والمحاضرة . روى فى (الأغانى والخزانة) أن أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان (رضى الله عنهما) كان يتمثل كثيراً إذا اجتمع الناس فى مجلسه بهذا الشعر (الأبيات الأربعة) ، وكان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفاً على رأسه ينشده (هذه الأبيات) ، ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين

والشعر من قصيدة أولها :

لباب ، يا أخت بنى مالك لا تشترى العـاجل بالآجل
لباب ، هل عندك من نائل لعاشـق ذى حاجة سائل
عللتِـه منك بمـا لم ينـل يا ربمـا عُللتَ بالباطل
لباب ، داوينى ولا تقتلى قد فضـل الشافى على القاتل

---

(١) اليتيم : الفرد . قال ابن خالويه : أنشدنى شاعر :

ثلاثة أحباب حب علاقة وحب تملاق وحب هو القتل

فقلت له : زدنى ، فقال : البيت يتيم

(٢) فى رواية : إذا مالت وفى رواية فى الأغانى إذا حارت وهى تصحيف

(٣) روى كما ورد فى (الأحكام والنظم) واعتلج مثل اصطرع ، و (الفائل المخطئ) . وفى الأغانى (فى المنطق الفاصل والنائل) وهذا تطبيع

(٤) فى رواية : نلظ . ولط بالشئ وألط . ولط به وألظ : لزمه ولم يفارقه ، ، وهذا البيت هو الذى رواه الزمخشرى ، وقد جاء فى الأساس : (لا نجعل ، لا نلط نهيا ، وذلك تصحيف أو تطبيع

٤ ـ على محمود طه

شاعر الفن والجمال

للأستاذ دريني خشبة

مما يأخذه بعض أصدقائنا الشعراء على زميلهم على محمود طه الذى يُكبرهم ويعزهم ويعرف لكل منهم قدره حرصه على « تزويق ! » دواوينه بهذه الصور الملونة وغير الملونة ، وتلك الرسوم التى يوحيها إلى الفنان بيت أو أبيات من شعره فيمثل فيها فكرة أو خيالاً من أخيلة الشاعر المتمردة أو ... المتجردة ! . فأما مايسمونه « تزويقاً » فأنا أعده تجنياً منهم على زميلهم ، لأن إبراز مؤلفاتنا على هذا النسق الذى يربى أذواق القراء بما يمتزج فيه من خيال الشاعر ودقة الفنان ، وما يتساند فيه من البيان الناصع وتأثير الألوان ... هو عمل يسد فراغاً موحشاً فى طباعتنا العربية ، وكان الأولى أن نستزيد منه لا أن نصرف المؤلفين والفنانين عنه . إلا أن المغالاة فى إبراز المعانى التى تجول فى روع الشاعر والمبالغة فى تصويرها على هذا النحو الذى صورت به فى « أشباح وأرواح » مثلاً ، هو الجدير بالملاحظة ، وهو ما يجب التنبيه إلى خطره على نفوس الشباب الغضة ، وقلوبهم الرطبة ؛ فلقد كان الفن اليونانى فناً وثنياً ، وكان الفنانون اليونانيون مع ذلك يحرصون على إبراز دقائق الجمال الجسمانى من جميع نواحيه التى تتصل بفضائلهم المثالية متجنبين النواحى التى تنازل غرائز الإنسان الدنيا ، والأوضاع التى تُلمع إلى منازلة هذه الغرائز ، وهاهى تماثيلهم وتصاويرهم على (الأمفورات) الشائقة والجرار الجميلة وأفاريز المعابد والدور العامة لا ترى بينها شيئاً يدنى إلى منازلة الغرائز الدنيا مطلقاً ... بل هذا تمثال أفروديت ميلوس الذى ينبض كل عضو من أعضائه وكل عضلة من عضلاته بأسمى ألوان الجمال الحى ، لا يملأ عين رائيه إلا روعة الفضائل العليا للجمال الخالص ، مع أن أفروديت فى الميثولوجيا اليونانية — ڤينوس — هى ميدان العواطف الملتهبة والغرائز الجياشة ، ومعظم الأساطير التى رويت عنها تمثل « العاصفة » فى الحب الآثم ؛ ومع ذلك لم يفكر فنان يونانى فى نحت تمثال لربة الجمال والحب يودع فيه أسرار ڤينوس إلا رَمْزاً ، ولم يحاول أحدهم كشف هذه الأسرار قط . جميل جداً أن يستعين الأدب بالفن وأن يستعين الفن بالأدب فى أن يجلو أحدهما الآخر ، وأن يُبرز أحدهما للآخر تلك الدقائق التى لا يغنى فى إبرازها التمثال أو الصورة إذا كان لا غناء عن القلم ، أو القلم إذا كان لا غناء عن التمثال أو الصورة ... والأجمل من ذلك أن يكون هذا التعاون فى ناحية الخير الذى يرتقى بالغرائز ، لا فى ناحية الشر الذى يسفل بها . وإذا كان فنانو اليونان الوثنيون قد أخذوا أنفسهم بتلك التقاليد الصارمة فى فهم عند ما كان يتصل بأخلاق القوة ، فأحرى بفنانينا أن يلقوا بالهم إلى ذلك فى كل ما يغذون به نهضتنا الفنية التى لن تستطيع أن تتجاهل أنها تنمو فى كنف

وإذا سلب متقدمون أخاه السموءل المسكين (لاميته) :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

كلها أو جلها أو بعضها على اشتهار نسبتها إليه ، وأعطوها دُكينا الراجز[1] ، وعبد الملك بن الرحيم الحارثى[2] ، وعبد الله ابن عبد الرحمن أو الرحيم الأزدى[3] ، والحلاحا الحارثى[4] وشريحا بن السموءل[5] ، وقالوا ما قالوه ، فمن النصفة ـ إن كان فى الدنيا إنصاف ـ ألاّ يحرم شمية (لا ميته) هذه ، حسبه رزء أخيه

وروى الإمام المرزبانى فى (معجم الشعراء) لشمية مقطوعة ختامها هذا البيت :

واجتنب القاذع حيث كانت واترك ما هويتُ لما خشيتُ

« ناقد »

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة
(٢) شرح الحماسة للتبريزى وأخبار أبى تمام للصولى
(٣) اللآلى فى شرح الأمالى لأبى عبيد البكرى
(٤) و (٥) العلامة عبد العزيز الميمنى فى حواشيه فى شرح الأمالى وقد ذكر المظنة . وهذا الفضل هو الذى أظهر (شرح الأمالى) محققاً وطبعته لجنة الترجمة والتأليف والنشر .

أعظم ديانتين على وجه الأرض ، لأنى كنف الوثنية اليونانية مثلاً !..

فلا بد إذن من (مؤاخذة) شاعرنا الفنان الوهوب على هذا ، لأن شعره العالى الجيل المصقول لم يكن بحاجة إلى هذا اللون من الفن (المكشوف) ليجلو منه شيئاً ، وإن كان لا بد من تعاون بين شعره هذا العالى الجيل المصقول وبين الفن ، فقد كان أحجى أن يتم هذا التعاون على منوال آخر يعرفه شاعرنا الرقيق النابه ولا يجهله ، كما يعرفه الفنان الذى كان سبب لومنا هذا ولا يجهله أيضاً . وأخشى أن تكون ثمة علاقة بين الفن المصور والفن المكتوب « فى أشباح وأرواح » التى لم يكتب هذا المقال فى نقدها ، وأخشى أن يكون لقب « شاعر اللذة والجمال » الذى يضفيه أستاذنا الزيات على شاعرنا الرقيق النابه ، والذى وضعه بيده فى رأس مقالنا السابق ، يعنى من اللذة والجمال شيئاً غير الذى نعرفه ويعرفه أستاذنا الزيات وشاعرنا على محمود طه من اللذة البريئة ... لذة الطهر ... اللذة التى لا تثور بعرف ولا تعصف بخلق ... ويحلو لى جداً بهذه المناسبة ، أن أدافع عن الشاعر الكبير بكلامه هو ، لا بكلامى أنا ، وما يعرفه هو ، لا ما أعرفه أنا ، عن اللذة الآثمة ، «التى دفعت إليها تاييس شاعر (أرواح وأشباح) فلم يلبث أن أفاق منها ، وقد رأى مدى انهيار روحه وفنه[1] »

فهذه كلمات قدم بها الشاعر لمقطوعة جيدة يقول فى أولها

ولفّتْ ذراعين كالحيتين علىّ وبى نشوة لم تطرْ
وقد قربت فمها من فمى كشقين من قبس مستعر
أشم بأنفاسها رغبةً ويهتف بى جفنها المستعر
تبيَّنتُ فى صدرها مصرعى وآخرة العاشق المنتحر

ويختمها بقوله :

دعينىَ حواء ، أو فابعدى دعينى إلى غايتى أنطلقْ
أخمر ونار ؟ لقد ضاق بى كيانى وأوشك أن أختنقْ
أرى ما أرى ؟ لهباً ؟ بل أشم رائحة الجسد المحترق
فيالك أفمى تشهيتها وبالى من أفعوان نزقْ !!!

فاعتراف الشاعر الناظم فى المقدمة المنثورة بانهيار روح شاعر الملحمة وانهيار فنه ، لأن تاييس قد دفعته إلى اللذة الآثمة ثم اعترافه فى المنظومة بأنه تبين فى صدرها مصرعه — وآخرة العاشق المنتحر ؛ وأن حواء أفمي تشهاها أفعوان نزق ... كل هذا ينفى عن على محمود طه ، الشاعر الرقيق النابه ، ذهابه مذهب اللذة ، وأعنى اللذة الآثمة . . . ولله شاعرنا حيث يقول فى الكرمة الأولى :[1]

صهباء ما كانت من غرس إبليس
بل كرمة زانت خلق الفراديس
تسمو بها الأرواحْ عن عالم الإثم
شفافة الأقداحْ فى رقة الحلم

فهل رأيت الخمر التى تسمو بها الأرواح عن عالم الإثم ؟ رحم الله ابن الفارض الذى يقول :

وقالوا شربت الإثم قلت لهم بلى
شربت التى فى تركها عندىَ الإثم

فتلك لذة على محمود طه التى لا تعرف الإثم والتى لا تعرف إلا الطهر . ... الخمر التى يقول فيها :

خمرة ما قَبّلتْ غير شفاه الأنبياء[2]
خمرة فى الغيب كانت قطرات من ضياء
خُتمت بالشفق الوردى فى أصفى إناء
جُبلت فخّارتاه من صفاء ونقاء

لشد ما أكره أن يلقب شاعرنا الرقيق النابه بشاعر اللذة ! وما أحب أن ندعوه جميعاً إلا : بشاعر الفن والجمال !

***

لست أدرى لماذا لا أنتهى من هذا الثناء الطويل على الشاعر على محمود طه لأفرغ إلى جانبه الآخر .. الجانب الجدير بالنقد ..

(١) أرواح وأشباح ص ٢٦

(١) زهر وخمر ص ٥٣
(٢) زهر وخمر ص ٣١

أو الجانب المظلم الذى لا يتراءى فى جانبٍ غيره للكثيرين ممن حاورونى فيه ... أولئك الذين يظنون أن على محمود طه لا يملك كتفين عريضتين قويتين تحتملان النقد ، ما خف منه وما ثقل ، وما جاء منه ممن يفهمون وممن لا يفهمون ، وما صدر منه عن إعجاب بالشاعر ومحبة له ، وما صدر منه عن موجدة عليه وضيق به

ولست أدرى لماذا لا أصارح أصدقائى الشعراء خاصة ، وأصدقائى القراء عامة ، بأن « الهدم المطلق » ليس من مذهبى ، بل ليس من النقد فى شىء أن نظلم الأديب من الأدباء ، أو الشاعر من الشعراء ، فى تسعة أعشار إنتاجه ، لأن العشر الباقى لا يرضيك ، أو لأنك لا (تستظرف !) هذا الأديب من الأدباء ، أو ذلك الشاعر من الشعراء ؛ فهذا اللون من النقد هو الذى يصدر عن هوى لا يعرف العدالة ولا يعرف الاتئاد ولا يعرف الفطنة . والمؤلم فى هذا كله أنه يصدر عن قراءة سطحية للأديب أو الشاعر ... قراءة خاطفة .. لا تعدو مقالة أو قصيدة فى مقهى أو فى ترام

وللحديث فى هذا الوضوع ظرفه الخاص .. إنما هى إشارة « خاطفة » تشغلنى عنها هذه المفاتن التى عرفتها فى شعر على محمود طه منذ أخذت أقرأ شعره

ومفاتن شعره تأتى من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع . فمن ناحية الشكل ، تروقنى منه تلك القوافى المتخيّرة الشائقة التى تدل على ذوق مُصوِّرٍ فنان ، ومزاج موسيقى مفتتن بالغناء مولع بالألوان . فهو إذا اختار أن يقول من قافية واحدة اختار القوافى الراقصة التى تميس فيها الكلمات وتتلألأ ... وتكاد تغنى ... وتستطيع أن تتناول دواوينه كلها وتقرأ منها ما شئت ، فلن تجد قافية عليلة أو قافية ثقيلة ، أو قافية تنبو فى سمعك أو تستأذن على هذا السمع . وعلى محمود طه نفحة فى هذه الناحية من شاعرنا الخالد شوقى أمير الشعراء عليه رحمة الله .. فإذا اختار أن يقول فى المنظومة الواحدة من قواف عدة ، وجدت موهبته فى ذلك تتدفق .. كدت أقول تتبرَّج .. فهو يتنقل بك ، كما يتنقل بك الموسيقى العبقرى من لحن إلى لحن ، ومن نغمة إلى أخرى ، من غير أن يصدم سمعك ، أو ينبو على ذوقك . والعجيب أنه يجيد هذا التنقل فى منظوماته القصيرة وفي منظوماته الطويلة على السواء . وقد أجاد بوجه خاص فى درامته الرائعة « أغنية الرياح الأربع » وكأنما كان يمنينى من دون الناس جميعاً بتجويده قوافيه حينما كنت أقف وحدى فى الشاطئ الآخر ، داعياً جهدى إلى استعمال الشعر المرسل فى الدرامة المنظومة ، تلك الدعوة التى أستمسك بها وأصر عليها ، بالرغم من هذى القوافى المذهبة التى يبهر بها على محمود طه ألباب قرائه ، ولى الفقير فى مقدمة هذه الألباب !

(للحديث بقية)

دريني خشبة

المجمع اللغوى
والوحدة العربية

للأستاذ عبد القادر المغربى

لم يكن يدور فى الخلد، وقد فارقنا هذا البلد، أن الزمان سيُقصينا عنه أربع سنوات فات بين هم لا يُنسى، وحَذَر لا يُحصى، وإشفاق، من مفاجأة إرهاق، بعد ست سنوات قضينا دوراتها فى مجمع مصر بين إخوان لا يُنسى أنسهم، ولا يُحصى فضلهم، ولا يُفرَى فَريهم

نعم لم ننس ذلك كله، لكننا نسينا قرارات وضعها المجمع، شهدنا مصادرها، ثم غابت عنا مصايرها، وأعمالاً شاركنا الزملاء فى غرامها، ثم لم ندر ما ذا كان نتاجها، عدا شؤوناً أخرى قام بها المجمع خلال غيابنا كنا بها أجهل، وعن معرفتها أبعد

أقول هذا أيها السادة اعتذاراً عن كلمتى التى أنا فى صدد إلقائها بين أيديكم؛ فقد جاءت كما يُريد جهلى بما ذكرت، لا كما يريد الواجب، ويقتضيه المقام

لكنى مع هذا إذا عجزت عن استخراج موضوع كلمتى من القرارات والمناقشات، فلن أعجز عن استخراجه من موضوع المجمع وأغراضه التى أنشئ من أجلها

يكاد لا يفهم الجمهور من وظائف المجمع إلا أن عليه أن يتتبع الكلمات الدخيلة والأعجمية المتفشية فى لغته اليومية، وأن يستبدل ألفاظاً عربية بها، حتى كأن هذا العمل أو هذا الغرض هو كل ما يُرتجى من المجمع. وقد نسوا ما للمجمع من فضل فى توفية الأغراض حقها، ولا سيما وضع ألوف الكلمات لِلُغة الدراسة أى لغة العلوم والفنون

لما عاد رئيس وزارتنا السورية دولة سعد الله بك الجابرى من مصر زرناه مسلّمين فكان مما أطرفنا به من أخبار رحلته أنه سأل أحد وزراء مصر عن مجمعهم اللغوى، فأجابه معاليه: يكفى من حسنات مجمعنا أنه زوّد وزارتى وحدها بنحو ألفى كلمة جديدة يتداول استعمالها الموظفون فيها وفى سائر المصالح التابعة لها

ينسى الجمهور هذا ويتساءلون: ما ذا صنعت مجامعنا اللغوية بما تجدد وفشا من الألفاظ الأعجمية خلال هذه الحرب الماضية فى سبيلها، والتى ما زلنا نقاسى من عقابيلها؟

ما ذا صنع حُماة اللغة، الغُير على سلامتها بكلمات: براشوت، شتوكا، جستابو، كوماندوس، ستراتيجية، ستوديو، برازيت، كورس، وكلها أعجميات؟ وهل أقر المجمع كلمات عربية حديثة الوضع يكثر استعمالها فى لغة الراديو والصحافة، ولم تعرفها معاجمنا بمعناها الاصطلاحى الجديد مثل: ذبذبة، وقطاع، وسجّل إصابتين، وقدم عروضاً. وكانت البادهة فى الحرب هذه المرة للروس، وحملة أميركية برمائية

وهل يقر المجمع أبناء الضاد إذا قالوا: كان الفتيان فى تلك الحفلة مسرولين بالشورت، والفتيات ملثمات بالأيشارب؟ وبالجملة أين تقع تلك الألفاظ والتراكيب من معاجمنا العتيدة؟ هل يفسح لها فيها مكان يا ترى أو لا؟

وعهدى ببعض الزملاء أنهم يرون قبول ما يطرأ على اللغة من أمثال تلك الكلمات الأعجمية، وبعضهم يمنع ذلك ويعدّه مفسداً للغة، منافياً لسلامتها

وهما رأيان بدءا يتصاولان منذ زمن الشيخ رفاعة الطهطاوى، أو نقول منذ عهد الترجمة الأول. وما زالا فى الصيال حتى أسلما أمرها أخيراً إلى مجمع فؤاد ونزلا على حكمه

حقاً إن مسألة التعريب أو نقول: إن التردد فى قبول الكلمات الأعجمية وعدم قبولها أخل بنهضتنا اللغوية وأخرها إلى الوراء أكثر من نصف قرن.. ولذا كان التعريب من أعظم الأغراض التى ينبغى أن تُعنى بها المجامع اللغوية. وهو فوق ذلك موضوع معقد خطير. ولم ننس بعد ما كان من اختلاف الرأى حول وضع اصطلاحات عربية للجيش المصرى مكان اصطلاحاته القديمة، وكم عالم غيور من رجال نهضتنا الحديثة قضى نحبه وبقلبه شىء أو حسرة من التعريب

ومن أكبر الأدلة على خطورة أمره وتعقد مشكلته أن زميلنا وفقيد مجمعنا الشيخ حسين والى كان قدم إلى المجمع تقريراً

مسهباً بعنوان (المعرَّب) أودعه كل ما قاله علماء العربية بشأنه . افتتحه بقوله : « قال الجوهري : إن تعريب الاسم هو كذا وكذا » إلى أن اختتمه بقوله : « وفى القاموس . الترد معرب وهو فارسى » هكذا ابتدأ وهكذا انتهى . ولم يجرُؤ رحمه الله — وهو بطل العلم الجرىء — على إبداء رأى من عند نفسه فى مشكلة هوان بحدتها ، وقد اصطنع تقريره من أجل حلها

بَلى جرأ المجمع نفسه فأجاز التعريب ، وقال فى جملة قراراته التى أصدرها فى سنته الأولى ما نصه : « يجيز المجمع أن تُستعملَ بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب فى تعريبهم » اﻫ . لكن عاد الخلاف فاحتدم حول كلمة (الضرورة) وتحديد معناها والقدر المراد منها ، حتى أصبحت الحيرة فيها أشد من الحيرة فى التعريب نفسه ، وظلت الكلمات الأعجمية سادرة فى غُلَوائها ، مُرخية من عنانها ، تسرح وتمرح فى جنبات لغتنا ، وأجواء صحافتنا ، وفى أحاديث الراديو التى يُذيعها بصوته الجهورى وسحره العبقرى .

***

ما لنا ولهذه الكلمات وفى موقف مجمعنا منها ، ولنُقبل بشراشر قلبنا على موقف جديد للمجمع يرفع شأنه ، ويضاعف عمله ، ويوسع نطاق رسالته

ذلك ما يكون حينما يتحقق المشروع الأعظم أعنى مشروع اتحاد الممالك العربية الذى يعمل له ، ويتقرب إلى الله به جلالة الملك الصالح فاروق الأول ، وينفِّذُ إرادته فيه عضد دولته رفعة النحاس باشا

تعلمون أيها السادة أن وحدة أمة من الأمم لا تتحقق ما لم يتحقق استقلال لغتها . قال بعض فضلاء الكتاب المصريين : « يجب أن نفكر فى توحيد اللغة قبل أن نفكر فى توحيد الأقاليم ، ونجتهد فى أن يكون للعرب كافة لغة واحدة يتلاقون عندها ، كما يتلاقون فى جبل عرفات »

ولا يخفى أن الغرض الأول من مجمع فؤاد الأول إنما هو وحدة اللغة العربية وسلامتها . فمن وظائف المجمع إذن مشاركة العاملين من طريق غير مباشر فى تحقيق أمر الوحدة العربية الشاملة التى يضطلع بأعبائها جلالة المليك المحبوب

إذا تحقق اتحاد الأقاليم العربية كان المجمع لهذه الأقاليم كلها لا لمصر وحدها ، وكان عليه أن يتصل بها اتصالاً يشمل اللغة من جميع نواحيها : فيدرس لغاتها ، ويعمل المقارنة بين لهجاتها ، ويستفيد من مزاياها وخصائصها ، ويرسل إليها من مطبوعاته ما يساعد على توحيد تلك اللغات واللهجات أو التقريب بينها على الأقل

لا جرم أن المشروع الفاروقى ، سيخلق للمجمع الفؤادى وظيفة جديدة وعملاً مستأنفاً

وفى جزيرة العرب مجال واسع للعمل : من ذلك مثلاً بعثة إلى نجد ، وأخرى إلى الحجاز ، وثالثة إلى اليمن ، وهلم جرا .

نحن فى ذلك اليوم السعيد ، وإذا رئيس مجمعنا المصرى يعلن أنه تلقى من رئيس بعثة اليمن تقريراً قال فيه : إن البعثة زارت جبل (عكاد) فرأت أهله كما وصفهم به ياقوت والفيروزابادى والزبيدى :

قال القاموس وشارحه الزبيدى : (عكاد كسحاب جبل باليمن قرب زبيد أهله باقون على اللغة الفصيحة إلى الآن ولا يقيم الغريب عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفاً على لسانهم . اﻫ)

والزبيدى يمنى نشأ فى اليمن قريباً من جبل عكاد وتوفى بمصر منذ مئة وخمسين سنة . وقال ياقوت فى معجم البلدان : (جبلا عكاد فوق مدينة الزرائب وأهلهما باقون على اللغة العربية من زمن الجاهلية إلى اليوم لم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا بغيرهم من أهل الحضر فى مصاهرة ، وهم أهل قرار لا يظعنون عنه . اﻫ)

وحدثنى العلامة المرحوم الشيخ أحمد الإسكندرى فى إحدى جلسات مجمعنا هذا قال : إن السيد عبد الرحمن الكواكبى المعروف فى القاهرة أخبره أنه فى أثناء سياحته فى جزيرة العرب مرَّ بجبل عكاد المذكور فوجد أهله كما وصفهم ياقوت والفيروزابادى والزبيدى . قال الكواكبى : ولكن العكاديين يسكِّنون أواخر الألفاظ ولا يُلحقون بها حركات الإعراب . وعقب الإسكندرى على هذا بقوله : يظهر من قرائن الأحوال ومن طروء الشذوذ على الأفكار أن اللغة العربية ستفقد فى المستقبل مزيتها هذه . فقلت للشيخ الإسكندرى ، وقد بدأنا العمل بتلك الرخصة حينما نقرأ

وأقبل الشيخ عمران ذات صباح يجرُّ رجليه جرًّا فيثير عجاجةَ من تراب الثرى ، فبادرني بالتحية ، ثم ارتمى على المصطبة كأنما ينفض عن كاهله حملاً ثقيلاً ينوء به . وكان في عينيه حزن عميق ، رغم ابتسامة افترَّ عنها ثغره ، ولكنها كانت تعبر عن حزن أعمق من ذلك الذى لاح فى نظراته وشاع في تقاسيم وجهه . وكثيراً ما يكون الابتسام عن حزن دفين ، يجمد معه العين ولكن القلب فى بكاء . ثم أطرق ومضى يحرك أصابعه الهزيلة فوق حبات مسبحته الكبيرة ، ويتمتم بكلمات غير بيِّنة كأنه يناجي نفسه بالمعاني التى كانت تجيش فى صدره

« الأنساب » و « أرقام الحساب » : فنقول فى الأنساب مثلاً : جاء الشيخ محمدْ بنْ يوسفْ بنْ خالدْ بنْ عبد الله ، هكذا من دون إعراب . ونقرأ أرقام الحساب ، فنقول غير ملومين : سافر فلان إلى أوربا سنةَ ألفْ وثلاثمائهْ وثلاث عشرهْ مثلاً . على أن بعض علماء العربية رخّص فى تسكين الأعداد وحدها .

ثم إن الشيخ الإسكندرى رحمه الله حوقل وتعوذ إلى الله من هذا المصير ، وتمنى ألا يعيش إلى ذلك الزمن الذى تفقد فيه اللغة حِليتها . وتتعرّى من أعلاق زينتها

حقاً إن تعوّذ المرحوم الإسكندرى من هذا المصير للغة فى محله ، لأن التفريط بحركات الإعراب تفريط بها نفسها وإضاعة لمزية من أكبر مزاياها . وهو فوق ذلك يحدث بلبلةً فى تفهم آيات القرآن ونشر تعاليمه بين الناطقين بالضاد إن بقيت الضاد ضاداً . ونحن نشاركه فى الحوقلة والتعوّذ . ونسأل الله أن يصون لغتنا ، وأن يبقى مجمعنا « مجمع فؤاد الأول » حارساً لها ، عاملاً على سلامتها ، فى كنَف المليك المعظم فاروق الأول ، كما نضرع إليه سبحانه أن يجعلَ القرآنْ تعويذة لجلالته من صروف الزمانْ ، ويزيدَه توفيقاً فى ما يروم من إسعاد العرب ، وجمع شملهم وتوحيد كلمتهم ، إنه سميع مجيب .

عبد القادر المغربي

عضو مجمع فؤاد الأول

مرسلات مع الريح

أُسامة

للأستاذ إسماعيل مظهر

— كيف بى لا أرى الدنيا كما كنت أراها منذ أيام ؟ لقد تغيّرت فيها كل شيء وانقلب فيها كل معنًى ! فالوجوه التى أراها ليست هى الوجوه التى كنت أعرفها ؛ والكلمات التى تطرق سمعى لا تؤدى فى نفسى ذات المعانى التى كانت تؤديها من قبل ؛ والزمان والعمر والحياة ! تلك التى مضت تغمرنى بالأمل وتشيع فى نفسى معانى الحسن وأفانين الجمال ، كيف حالت تلك الألوان الزاهية النَضِرة ؟ وكيف انتهى الأمل ومات الحُسن وذهب الجمال ؟ فى لحظة واحدة ماتت الدنيا فى نفسى بكل ما غرست فىَّ من المعانى الأولى ! والناس والمجتمع ونظام العيش ! كيف أصبح الناس فى عينى كأنهم القُرود الزُّعر يهيمون فى أودية الأحلام ! وكيف بالمجتمع وقد انقلبت نظرتي فيه ، فإذا به موكب من الناس ليس فيه إلا التزوير على الطبيعة ، والتدليس على الفضائل . وكيف بنظام المعايشة وقد بانت لى فى لحظة واحدة خفاياه ، فإذا به الكفران بكل ما كنت أتخيل من المعانى التى لا تزدهر الحياة إلا بها

وكان يتكلم وناظراه إلى السماء ، كأنه يأنف أن يخاطب أهل الأرض . كنت تظن أنه يناجى أشباحاً وخيالات تراءت له فى الأفق البعيد، أو أنه يقرأ هذه المعانى من كتاب صفحاته السماء

كان قد مضى بضعة أسابيع والشيخ عمران بعيد عن ندوتنا الريفية ، فلم نسأل عنه ولم نبحث وراءه . لأن هذا الشيخ المحنك له وقفات عن الاتصال بالناس ، وغيبات قد تطول وقد تقصر ، يخلو فيها بنفسه ، بعيداً عن جلبة القرية ، فيظل أياماً أو أسابيع يخرج من بيته مع الغراب ، ويأوى إليه بعد أن يموت أهل القرية تلك الميتة الصغرى . وكنا نحترم فى هذا الشيخ الوقور نزعته تلك ، فلا نحاول أن نقطع عليه خيط أحلامه . رأيته مقبلاً ، فتوقّعت أن أرى تلك الابتسامة الفلسفية التى عوّدت أن أراها مرتسمة على شفتيه ، وذلك البريق الواضح الذى ينبعث من عينيه . ولكن الابتسامة كانت عن حزن ، وذلك البريق عن ريبة من أمر الدنيا . ولكن ما وراء ذلك ؟

هذا شيخ قد رمته الدنيا بأرزائها ، فسلبت منه الثراء وسلبت مع الثراء هدوء النفس ، فثار على الدنيا وعلى أهل الدنيا ، وعلى أهل اليسار منهم خاصة . فإذا كلمك فيهم ، فإنما أنت تسمع لزعيم من زعماء الاشتراكية ، أو لصعلوك متطرف من صعاليك الدولية الثالثة

ورابنى منه أن يبادرنا بتلك الكلمات بعد تحية قصيرة من يديه المرتعشتين ، فتوقعت أن داهية أخرى حلت بذلك الشيخ . لعله فقد البقية من ماله ، أو اعتدى عليه أحد المفاليك ، أو اغتصبه سرى من السراة شيئاً من طينه القليل . غير أن ذلك كله لم يكن شيئاً جديداً عليه ، وتمابير الحزن الشائعة فى ملامحه كانت ولا شك تنم عن سبب أعمق من جميع هذه الأسباب ، وأمعن فى الإيلام ، وأعمل فى تحريك هواجس النفس

— ما وراءك يا شيخ ؟ لقد طالت غيبتك ، ولم نشأ أن نعكر عليك صفو تأملاتك التى تسعد بها فى حقلك إلى جانب ساقيتك وأشجارك ؛ فكيف أنت وكيف أولادك ؟

وكأن السؤال عن أولاده قد حرك جميع أوتار نفسه ، فتطلع نحو السماء وقال : « حمداً لك يا رب ! » ، ولكن دمعتان أطلتا من حدقتيه ، فدل بريقهما على كارثة لم يألفها عمران وقد حطمته السنون

— أولادى كما تعهدهم ، لم يحدث بهم حدث غير مألوف فى هذه الحياة . شاءت الطبيعة أن تستأثر بواحد منهم ، فانتزعت من قلبى فى يوم وليلة أسامة الصغير ، فقمت نحوه بالواجب الذى يقوم به الأحياء للموتى فى العادة ، وأسلمته للتراب ، إلى سفر اللانهاية ، إلى القرون ثم القرون تتوالى عليه فى حفرته تلك ، فى ظلام الأرض ، وراء تلك الحجارة الباردة المرطوبة ؛ بل وراء الأبد والأزل ، وراء السعادات والشقاوات ، وراء الأحقاد والضغائن ، وراء الآلام والأحزان ، وراء الجهالات والحفائظ ، بل وراء كل شىء ، حتى وراء الأقدار . ثم ودعته بقلبى لا بشفتى ، وعدت أدراجى مشتت النفس خائر القوى مضطرب الوجدان ، أضرب فى فلوات الوهم : أسائل نفسى ما الموت وما الحياة ؟ ولكن . نعم ولكن ...

ثم أمسك عن الكلام ، ودموعه تنهمر قطرات من الحزن والأسى البالغ العنيف

— ولكن ماذا ؟ لقد أثرت شجونى أيها الشيخ ، وحركت كوامن نفسى ، وأنشرت فى صدرى ذكريات كانت نائمة

— ولكن . نعم ، ولكن ليست البلوى فى الموت ، ولا المصيبة فى ترك الدنيا . الداهية كل الداهية فى الحياة

ومضى ينكث فى الأرض بمخصرة كانت فى يده ، ويرسم فوق الثرى رسوماً ، أشبه بتلك التى يرسمها الأطفال على رمال الشاطىء ، لا تلبث أن تمحوها الأمواج . ثم قال :

— ولأى شىء تثور شجونك وتتحرك لواعج نفسك ؟ إنما الشجن شجنى ، والحزن حزنى ، والبلوى بلواى ؛ والعزاء بالزمن ، والسلوى بالاستسلام للقضاء . فلست فى حاجة لأن أسمع تلك الكلمات الجوف التى اعتاد الناس أن يعززوا بها عن المصيبة ، فإن إثمها أكبر من نفعها ، فتزويرها واضح لا يحتاج إلى دليل ، والتدليس فيها بيّن لا يعوزه البرهان . والناس هم الناس ، والدنيا هى الدنيا ، والأقدار تسيّرنا فى ليل معتم من الحوادث ، لا نستطيع أن نرجع إلى ما فات منه ، ولا أن نرسو فيه بأرض . لجّ مائج ، والسفينة تحملنا كرهاً ، فتسير رخاء حيناً ، وحيناً تلاطمها الأمواج

— إن هذه لفلسفة جديدة ، بعث الحزن معانيها فى نفسك ، وأثار الشجن تفاصيلها فى وعيك . فإنى عهدتك على غير ما أنت ، صباراً غير يئوس ، جلداً غير متخاذل ، مرحاً عند الخطب قلّ أو جلّ

وكانت مخصرته ما تزال فى حركتها ترسم فى الثرى دوائر ومربعات ، وزوايا ومنحنيات ، ولوالب وإهليجات ، فكانت تلك الرقعة المتخاذلة المعانى ، المتداخلة الصور ، صفحة كاملة تقرأ فيها دخيلة نفسه ، وحركات وجدانه ، ولواعج قلبه . ومضت المخصرة ترسم ثم ترسم ، ومن ورائها لسانه يتحرك :

— كلا يا بنى . هذه الفلسفة قديمة ، ولكن معرفتنا بها جديدة . تعلمنا إياها المصيبة إذا جلت ، والقارعة إذا نزلت . فمن فطن لها فطن للحياة ، ومن ضل عنها عاش العمر معتم البصيرة أعمى القلب . هذه الفلسفة يا بنى قطعة من الحياة ذاتها ، فكيف تكون جديدة علينا ؟ وإنما تكون معرفتنا بها أدق ، ووقوفنا عليها أتم ، كلما كانت فوادحنا أعظم ، وكوارثنا آلام وأشأم . إن كل مرائى الحياة ومجاليها ومناظرها ، أشياء إذا مضى عليها قليل من الزمن مرت على خواطرنا كالأحلام ، لا يبقى منها إلا الحقائق المريرة ؛ وكل الحقائق مرة أليمة ، والآلام أشد حقائق الحياة مرارة ؛ تبقى فى النفس آثارها ، فإذا غيّب الزمن بعضها

وعملت فيها دورة الليل والنهار حتى كادت تنضاف إلى وادى الأحلام ، فإنها بطبعها تكون أوضح أحلام الحياة ، وأشدها بياناً وأعمقها أثراً ، وأبقاها مع التذكر أطول الزمن . والحقيقة كالجبل السامق تتسلقه على درج من الألم والحزن والنصب ، وكلما صعّدت فيه زادت آلامك ، وتضاعفت أحزانك ، حتى إذا بلغت القمة أشرفت منها على محيط الدنيا ، فالسماء من فوقك بجوبها ذكاء بكل عظمتها ، والأرض بوديانها وشعابها وغاباتها منبسطة تحت قدميك ، ولكن الأسف كل الأسف أن الحقيقة طريقها الألم ، طريقها الحرمان ، طريقها الأحزان تمزق نياط القلب ، وتبدد قوى النفس وتهد من بناء العمر ... ما أجلّها وما أقساها

— أمّا الزمان ، فذلك المجهول الذى نعامله ، كما يقول فيلسوفنا المعاصر . هو ذلك التيار الهادىء المنحدر إلى لا نهاية . هو ذلك العقد النظيم من الحركة الدائمة . هو ذلك الكائن الموهوم الذى لا يشعر بوجودنا ولا يأبه بآلامنا . ونحن لجهلنا نعامل هـذا الزمان ، نعتب على الزمان ، ونغضب من الزمان ، ونتبرم بالزمان . وما الزمان فى مفهومنا المادى سـوى الظرف الذى نعيش فيه . وما الظرف الذى نعيش فيه إلا تصرف القدر وتصرف ذلك الناس الذين نعايشهم . أما القدر فذلك الذى لا نعرف ، هو ذلك العالم المغيب . أما الناس فهم الناس ، أولئك الذين يعيش سوادهم دسيسة عليك فى الحياة ، والدسيسة كما يقول شكسبير تجد حماها ومستقرها فى شيئين : بشاشة الوجه ، ومعسول اللفظ فقال :

فأمّا إن أردت حمًى أميناً خلف بشاشة المتبسّمينا
وتحت اللفظ يقطر منك ودّاً هنالك تكمنين فتختفينا

— تنزل بك الكارثة ، وتحل بك القارعة ، فيواجهك الناس وعلى ألسنتهم تلك الألفاظ المحفوظة عن ظهر قلب ، تتحرك بها شفاههم ، ولا تعيها قلوبهم . وقد تفجع فى مالك أو عرضك ، فتسمع منهم جملاً وقّفت على ذلك الظرف . وقد يموت لك ولد كما مات ولدى ، فيعزونك بجمل أخرى نقشت على قلوب من حجارة . وهي جميعاً صلوات ودعوات بالرحمة وطلب الصبر . وإنما هى من الألسنة لا من القلوب والصلاة التى لا تصدر من القلب لن تجد إلى الله طريقاً . وإذا ضلّت الصلاة طريقها إلى الله فما جدواها ؟

— لقد مات ذلك الصغير ، ففى ذمة الأزل ، وفى ذمة اللانهاية ، وفى ذمة الزمان ينساب عليه انسياب الماء اللّيّن الهادىء إلى لا غاية . وما موته إلاّ أحد ظروف الزمان . وما أظلمنا إذ نعتب على الزمان وعلى ظروف الزمان . وإنما أعبّر بالزمان عن أولئك الذين كنت أتوقع أن أرى فى أعينهم دمعة واحدة تترقرق على فراقه ؛ فإذا بهم ينظرون فى وجهي بعيون جامدة النظرات ، وقد عقدت ألسنتهم حتى عن لوك تلك الجمل المحفوظة . وما آسف على شىء ، إلا أن ذلك الظرف قد حرك فى نفسى تلك الأفعى الجبارة ، وكانت ما تزال لحسن حظى وسنانة نائمة : حرك الحقد والضغينة والقطيعة . كانت نفسى كالبركة الهادئة النائمة فى أحضان طبيعة وادعة ، إذا مسّها النسيم حركت أمواجها حركة لطيفة تمر بخاطرى كحلم لذيذ ؛ فلما هبت عليها هذه العاصفة تعالت أمواجها وتلاطمت حتى كدر ماؤها ، واحتمل زبداً رابياً تهدر من تحته براكين الألم فتزيد ثورتها عنفاً وشدة ، وذلك هو الأجر الذى ربحت بموت قطعة من نفسى : ألم القلب ، وقطيعة الناس ، وفراق الأبد !

أمنتك يا فراق ورب يوم حذرت لو أنه نفع الحذار
أخذت فلم تدع شيئاً عليه يخاف أسى ولا يرجى اصطبار
حبيب خنتنى فيـه ودار وللناس الأحبه والديار

— والعمر ما هو ؟ هو على التحقيق مقياس الزمن بين ساعة مولدك وساعة مصرعك ، ولكن الواقع الصحيح أن عمرك قد يطول وإن قصر مقياسه الزمانى ، وقد يقصر وإن طال مقياسه ذاك . فليس العمر هو الأيام والسنون ، بل هو اللحظات والساعات ، تقيس عليها آلامك ومسراتك .

فإن طال ألمك فأنت قصير العمر وإن امتد زمنك ، وإن اتصلت مسراتك فأنت طويل العمر وإن قصرت أيامك . ولكن

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٠٩ — أما هذه فنعم

فى (معجم البلدان) لياقوت

قال حفص بن عمر الأردبيلى : جلس سعيد بن عمر البرذعى فى منزله ، وأغلق بابه ، وقال : ما لمحدّث الناس ؛ فإن الناس قد تغيروا . فاستعان عليه أصحاب الحديث بمحمد بن مسلم بن وارَه الرازى ، فدخل عليه ، وسأله أن يحدثهم ، فقال : ما أفعل

فقال : بحقى عليك إلا حدثتهم

فقال : وأى حق لك علىّ ؟

فقال : أخذت يوماً بركابك

فقال : قضيت حقاً لله عليك ، وليس لك علىّ حق

فقال : إن قوماً اغتابوك فرددت عنك

فقال : هذا أيضاً يلزمك لجماعة المسلمين

قال : فإنى عبرت بك يوماً فى ضيعتك ، فتعلقت بى إلى طعامك ، فأدخلت على قلبك سروراً

فقال : أما هذه فنعم . فأجابه إلى ما أراد

٥١٠ — وأين ذاك الواحد

فى (شرح المقامات) للشريشى :

كتب بعض وزراء ابن عباد يتسخط الإخوان هذا البيت :

وإذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد ، وأين ذاك الواحد؟

فوقّع فى الكتاب : (وأين ذاك الواحد . صحّفْ تعرف) فلما قرأه طار سروراً . ومثل بالبساط ، فلثمه بين يديه . وإنما صحف (وأين) فجاء منه (وأنت) فرد عليه من كلامه أبلغ جواب

ما ذا جنينا من اللحظات والساعات

كم ساعة آلمنى مسها وأزعجتنى يدها القاسيه
فتشت فيها جاهداً لم أجد هنيهة واحـــدة صافيه
وكم سقتنى المر أخت لها فرحت أشكوها إلى التاليه
فأسلمتنى هـــذه عنوة لساعة أخرى وبى ما بيه
ويحك يامسكين هل تشتكى جارحة الظفر إلى ضاريه

— والحياة ما هى ؟ لجهلنا فى الظاهر ، ولغرورنا فى الحقيقة ، نزعم أنها ذلك القبس الذى هبط من نور السموات إلى سواد هذه الأرض . ولو أنها كانت من السماء لما دنست ذلك الدنس ، ولا كدرت تلك الكدوة . بل لكانت نوراً صرفاً وحباً محضاً ، ولرجعت دوماً إلى أصولها السماوية ، فكانت صفواً زلالاً ، وسحراً حلالاً

— الحياة . هى تلك المأساة العظمى التى يمثلها القدر على مسرح سعته الأرض . نأتيها كرهاً ، ونزاولها كرهاً . نشعر بأن لنا اختياراً هو إلى الجبر . ونعلم بأن فينا جبراً هو إلى الاختيار . ونأبى إلا أن نكون مختارين إذا لذ لنا أن نختار ، ونأبى إلا أن نكون مجبرين إذا طاب لنا الجبر . وهذه الفلاة ، فلاة الجبر والاختيار ، هى إحدى مصائب الحياة العظمى ، فإذا أضفتها إلى كارثة الوجود ذاته ، رأيت طرفاً من نقائض هذه الحياة التى تدعى أنها من أقباس السماء وما أبعدنا عن السماء أصولاً

— نولد رغم أنوفنا ونموت رغم أنوفنا . وبين المولد والممات . تتوالى الصور وتتالى الأحداث ؛ فنمضى ناظرين إلى المسرح ، وأفواهنا مفغورة مشدوهين عجباً . وكأننا نسأل لم المولد ولم الممات ولم ما بينهما ؟ ونشعر بالعجز عن الجواب فنمضى مع الماضين نغذ السير ساعة ونذلف أخرى . ولكن إلى الهاوية ... إلى اللانهاية . . . إلى سفر الأبد الطويل . . . إلى الفوهة التى تبتلع ثم تبتلع ، نهمة غرثانة جائعة

ولمّ الشيخ عمران فضل ردائه والتف بعباءته وحيانا بيده . ثم شرع يمشى بقامته المديدة وخطواته الوئيدة المتزنة ، ووجهه فى هذه المرة نحو الأرض ، كأنما مل مخاطبة السماء . فخيل إلى أنه يبحث فى منكب من مناكبها عن تلك الفوهة الغرثانة الجائعة ، يمضى نحوها ثابت القدم ... مطمئن القلب ... زاهى النفس . . . فيلقى بها عبء شجونه ، ويودعها قلبه بأسراره وآلامه وأحزانه ؛ ولسان حاله يقول : يا ابن الأرض : إنما إلى الأرض تعود . هذا أول السفر وآخر المعاد

إسماعيل مظهر

٥١١ – خذ معها . . .

في (تاريخ بغداد) للخطيب :

أبو بكر الصولي : قال محمد بن زكريا : حضرت مجلساً فيه عبيد الله بن محمد بن عائشة التيمي ، وفيه جعفر بن القاسم الهاشمي . فقال جعفر لابن عائشة : ههنا آية نزلت في بني هاشم خصوصاً وهي : « وإنه لذكرٌ لك ولقومك » فقال له ابن عائشة : قومه قريش ، وهي لنا معكم[1] ، قال جعفر : بل هي لنا خصوصاً

قال : فخذ معها « وكذَّب به قومك ، وهو الحق »

فسكت جعفر فلم يحر جواباً

٥١٢ – الفاكهة واللحم

في (مفاتيح الغيب) تفسير الرازي :

(وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون) هل في تخصيص التخيير بالفاكهة والاشتهاء باللحم بلاغة ؟ قلت : وكيف لا ، وفي كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة ، وإن كان لا يحيط بها ذهني الكليل ، ولا يصل إليها علمي القليل . والذي يظهر لي فيه أن اللحم والفاكهة إذا حضرا عند الجائع تميل نفسه إلى اللحم ، وإذا حضرا عند الشبعان تميل إلى الفاكهة ، والجائع مشته ، والشبعان غير مشته ؛ وإنما هو مختار ، إن أراد أكل ، وإن لم يرد لم يأكل . فخص اللحم بالاشتهاء والفاكهة بالاختيار

٥١٣ – ألم تعلموا ؟

شاعر في بعض الولاة :

إذا ما قضيتم ليلكم بمنامكم وأفنيتم أيامكم بمدام
فمن ذا الذي يغشاكم في ملمة ومن ذا الذي يلقاكم بسلام ؟
رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة بشرب مدام أو بلثم غلام
ألم تعلموا أن اللسان موكل بمدح كرام أو بذم لئام ؟ !

(١) تيم من قريش ، ومنها أبو بكر الصديق وليس معنى القول الكريم ماظنه الهاشمي وتوهمه التيمي وساقته تفاسير زائفة ، وروته أحاديث مصوغة . بل معناه ماذكره الحسن البصري : « وإنه لتذكرة وموعظة لك ولأمتك » يراجع (الاسلام الصحيح) الصفحة ٢٦٥ وما بعدها

٥١٤ – التوارد في السرقة

في « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » لجلال الدين السيوطي : من أعجب ما وقع لأبي العباس أحمد بن علي الكناني الإشبيلي[1] – الملقب باللص لكثرة سرقته أشعار الناس – في السرقة أن والياً قدم أشبيلية فانتدب أدباؤها لمدحه . قال : فطمعت تلك الليلة أن يسمح خاطري بشيء فلم يسمح ، فنظرت في معلقاتي فإذا قصيد لأبي العباس الأعمى مكتوب عليه : « لم ينشد » فأدغمت فيه اسم الوالي . فلما أصبحنا وأنشد الناس أنشدت تلك القصيدة ؛ فقام شخص وأخرج القصيدة من كمه وقد صنع فيها ما صنعت ، ووقع له ما وقع لي ، فضحك الوالي من ذلك وكثر العجب من التوارد على السرقة

محمد إسعاف النشاشيبي

(١) كان مقرئاً محدثاً متحققاً بعلوم اللسان نحواً ولغة وأدباً ، ذاكراً للتاريخ ، حسن المجالسة شاعراً مفلقا « بغية الوعاة »

النشيد

للأستاذ عمر أبو ريشة

يا قلب حزنك ما أشدّهْ   خفر الحبيب اليوم ودّه
ما ذا عليك إذا تنا   سيت الهوى وطويت عهده
أمن المودة أن ته   يث بأضلعى؟ أمن المودّه؟
جاوزت حد الحزن يا   واهى القوى! جاوزت حده
لو كان حزنك يستردُّ   وفاءه لك لاسترده
قد طاب بعدك عيشه   فعلام عيشك ماء بعده
كم مرتع بتنا به   والليل حاك عليه بُرْدَه
ولكم أذعت إليه وجـ   دِى فى الهوى وأذاع وجده
وكم اتّكا فوق الزهو   ر ومد لى باللطف زنده
حـتى إذا طوقته   أدميت بالقبلات خده

عمر أبو ريشة

الفجر الغارب

[إلى ذكرى الشاعر السود فى التيجانى يوسف بشير « فى مسابحه الأبدية »]

للأديب محيي الدين صابر

مرّ فى موكب الحياة غريباً   ومشى كالظّلال فيه مُريباً !
وسرى كالخيال جَنّحه الوحىُ   م فعيناه تقرآن الغيوبا
يحمل الناى فى يدٍ ، منه طُهْر   وبأخرى ، تراه يحمل كوبا
ومشى فى الحياة ، نشوانَ ، كالرحمـ   ـة ، دنيا ترِفُّ عطراً وطيبا !
وسقى الناس خمرَه ، وهو يَصْدَى   فحسا الناسُ روحه مسكوبا
وشدا نايه فكان لحوناً   لو تجسّمن ، خلتهنّ قلوبا
مشرفاً فوق ربوة الخلد كالرا   عى ، عَلَى مولد الحياة رقيبا !
عصفت تحته الحياة ، فلا الجـ   ـنُّ عزيفاً ، ولا السوافى هُبوبا !
ضَجّةٌ تملأُ الوجود سكوناً   ساخراً رجعُه ومعنًى رتيبا !
فانبرى الشاعر المجنح فى المو   كب ، يُلقى إنجيله الموهوبا
ومضى يزحم الحياةَ مِثاليَّـ   ـة فِكرٍ فكان فناً عجيبا
رقصت حوله أمانىُّ قلب   كاد بالخلق رحمة أن يذوبا
ووعَى الكون كله وحواه   خفقة فى ضلوعه أو وجيبا !
عاش فى عالم من الروح صوفـ   ـىٍّ ، جلاّهُ عالماً مشبوبا
فيلسوف ، دنياه حق وعدل   وانطلاق كالوحى فكراً خصيباً
ورسالاتُ شاعرٍ عُلوىٍّ   عاش كالطير فى الروابى طروبا
أيها الشاعر الموشح بالخلـ   ـد سلاماً كالفجر غضاً رطيبا !
لم تزل تسبق الزمان وتعلو   قمم الفكر والخيال وثوبا !
ثائراً تُنكر القيود فأدركـ   ـت على صحوةِ الصباح الغروبا
كنت لحناً على الحياة غريباً   فتولى ، فعاد رجعاً غريبا !
ما تلاقت فوق التراب حياتا   نا ، وإن كنت لى أخاً ونسيبا
جمع الفكر فى السموات دنيا   نا ، كما يجمع المطاف الدُّروبا !
ولقد طوَّفتْ حياتك فى الأر   ض جراحاً بخاطرى وندوبا !
يا أخى مَزِّق النقاب عن الغيـ   ـب ، وبين لنا الغد المحجوبا
وانسخ الشك باليقين فقد تَهـ   ـدى نفوساً ، وقد تنير قلوبا !
ولقد تُنقذ الضحايا وما زا   لوا وَقوداً يُؤَرِّثون الحروبا
لا تزال الحياةُ مجلى صراع   لا ترى غالباً ولا مغلوبا !
نحن فى حيرةٍ كما كنت فيها   وسؤال ، فهل لقيت مجيبا ؟
وبنو الفكر فى الحياة أناس   يتحدَّوْنَ كيف شاءوا الخطوبا
إنهم عنصر الخلود ولفتا   ت من الروح بُرِّئت أن تغيبا

***

إيه يا شاعر السماء وَدَاعاً   ربما نلتقى هناك قريبا
لست أرثيك يارفيقى ولكن   أنا حَيَّيْتُ فنك الموهوبا

محيي الدين صابر

من الأدب البولندي

ستانسلوس أوجاخوفسكي

STANISLAUS ORZECHOWSKI

أحد الأحرار

للأستاذ حسين غنام

كانت دعوة مارتن لوثر المشهورة لا زالت طفلة غضة تحبو على يديها ورجليها، ولكنها كانت تتعثر كثيراً وتصطدم بعقبات قاسية، فحاربها البطاركة والرهبان في مختلف الأديرة والكنائس، وحاربها الملوك والأمراء والأعيان، بل حاربتها الشعوب أنفسها

وكان طبيعياً أن تتسرب تلك الدعوة الجريئة، في أوائل القرن السادس عشر، من بروسيا مهدها ومنشأها إلى جاراتها القريبة، وخاصة بولندا، وتلاقى صدى عند المفكرين الأحرار وأنصار التجديد الأجرياء

ولكن بولندا في تلك العصور كانت خاضعة خضوعا عجيباً للبابا في روما. وكان البابا الكاثوليكي الروماني أشد خصوم دعوة لوثر التي ترمي إلى تجديد الدين وإصلاحه، دأب رجال الدين جميعاً في محاربة كل تجديد، أو ما يسمونه بدعة أو فتنة! فما بالك بخليفة الله في الأرض، وما يحيط به من آيات الجلال والتقديس، وهو يخشى أن تزعزع تلك الدعوة كيان روحانيته على الشعوب التي تقدسه؟

فكانت كل دعوة إلى الأخذ بآراء مارتن لوثر، أو ميل إلى تجديد الكنيسة يقابل بحرب عنيفة ولا شك مبعثها البابا، والمحرض الأكبر عليها هو وأعوانه الكثيرون

ولكن على الرغم من ذلك وجد بعض الأجرياء في بولندا في ذلك الحين، ولعل أول هؤلاء المصلحين الذين أثروا تأثيراً كبيراً في الكنيسة البولندية والحياة البولندية جميعاً هما أندرو مودجافسكي وستانسلوس أوجاخوفسكي. ولكن ثانيهما كان أبعد أثراً وأجرأ قلباً وأعنف قلما وبياناً، وأشد إقداما وأرسخ قدما من زميله

تلقى هذا الرجل علومه في وتنبرج، فاعتنق مذاهب المجددين وتشرب نظرياتهم وآراءهم، ثم صار تلميذاً للمجددين الدينيين المظيمين «مارتن لوثر» و «بلانختن»

ثم نزح إلى إيطاليا وقضى فيها مدة قصيرة عاد بعدها إلى بلده. وكان ذلك سنة ١٥٤٣، والتحق بالسلك الديني مبتدئاً برتبة صغيرة ما زال يتدرج منها حتى رقى في زمن وجيز إلى وظيفة القسيس الأول في بشيمزل Przemysl

وكان وقتئذ عضواً في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، ولكنه لم يستطع أن يخفي شعوره ضدها، وعملت فيه آراء أستاذيه المصلحين الكبيرة، كما استفزه قريبه الشاعر «رى»[1] فكان لا يفتأ يعلن آراءه ويرددها غير خائف ولا وجل

وكان المذهب الديني الغالب آنئذ في مقاطعة (جاليسيا) — إحدى مقاطعات بولندة في ذلك الحين — هو المذهب الأرثوذكسي. وكان هذا الرجل يقيم في تلك المقاطعة، وفيها إبرشيته التي يعمل فيها؛ فأخذ يكتب ويكتب في تمجيد العقيدة اليونانية، والدفاع عنها، وكان هذا ضد وظيفته، ولكنه لم يأبه لذلك، فقد كان غرضه مهاجمة البابا الكاثوليكي، والتعرض له فطلبته السلطات الدينية العليا للمحاكمة. واستطاع بعضهم أن أن يؤثر عليه تأثيراً مؤقتاً، وطلب إليه الرجوع عن تعاليمه ونبذها، ثم أحرقوا كتابه الذي أعلن فيه هذه الآراء

ولم يكن عن ضعف رجوع الرجل عن آرائه؛ فدأب المصلح أن يمهد الطريق، ويجس النبض، ولا يتردد في إحناء هامته للعاصفة القوية حتى تمر سراعاً، ثم ينتصب من جديد قوياً فإن إذعان ستانسلوس لتلك السلطات الدينية كان إذعاناً وقتياً؛ فقد تزوج بعد ذلك بأمد وجيز من ماجدالين خلمتسكي ضارباً بهذا الزواج تقاليد الكنيسة التي يمثلها، فدعاه مطران بشيمزل ليحاكمه على ما أتى، أمام محكمته، فذهب ستانسلوس برفقة صحبة قوية من أصدقائه؛ فخشى المطران أن تحدث فتنة، فلم يستطع أن يفتتح الجلسة، وآثر أن يحكم على القسيس النافر غيابياً، ففعل، ثم وقع مرسوماً بفصله عن الكنيسة وتجريده من جميع رتبه الكنسية

وأعلنت فضيحته، وقيل إنه خارج على الدين الرسمي للدولة، وصودرت أملاكه. ولكنه لم يفزع لشيء من ذلك. ومر ذات يوم بكنيسة أثناء تأدية الخدمة الدينية فيها، فدخلها وتكلم في الجمع الحاشد بها، محتكما إلى المصلين، ومعلنا براءته مما نسب إليه

---

(١) «رى Rej» هو الشاعر البولندي العظيم نيقولاس رى، ١٥٠٠ — ١٥٦٩ من الذين ثاروا على اللغة اللاتينية واستعملوا لغتهم البولندية القومية في كتاباتهم، بعد أن كانت اللاتينية هي اللغة المستعملة وهو من الذين تأثروا بعهد النهضة في أوربا Renaissance. ومن أحسن أعماله كتاب «المرأة أو حياة الرجل الشريف»، وكتاب في الحكم والأمثال، ومسرحية عنوانها «يوسف في مصر»

ولم تطل مدة الحكم عليه ، فأصبح فى نظر الكثيرين بريئاً منه ، وانقلب التيار الآن وسار جارفاً قوياً ضد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، وتطاول التيار ضدها ، حتى وصل مجلس الآراء ، ووجد كثير من الرجال الذين أخذوا بناصر أوجاخوفسكى وآزروه

قال المستر چيروم هورسى السفير البريطانى لدى بلاط الروسيا فى ذلك الحين ، فى بعض مذكراته (عند ما جئت قلنا ، أكبر مدينة فى لتوانيا ، قدمت نفسى وأوراقى كمندوب من الملكة ، فقابلنى الأمير (راجفل) ، وهو أمير عظيم ذو حول وطول ، ويعتنق المذهب البروتستانتى !)

فمن هذا يبدو لنا كيف نجح أوچاڤسكى فى تحويل التيار ، حتى بين الأمراء ، ضد الكنيسة البولندية التى حاربته

وفى مجلس الأمراء ظهر أوچاخوڤسكى ظهوراً عظيما ، فقرأ على الأعضاء نصوص الحكم عليه بقطعه من الكنيسة ، وتساءل عما إذا كان فى استطاعة الأكليروس أن ينصرفوا فى حياة إنسان مثل هذا التصرف

وكان قرار المجلس حينئذ أنه فى مثل هذه الأشياء التى تتعلق بمواطن بولندى يجب أن تعرض على مليكه ليتصرف فيها

ولكن أوچاخوڤسكى وجه خطاباً جريئاً إلى الملك وإلى مجلس الأعيان ، ونجح فى إرجاء هذا العرض ، وقرر المجلس أن يستشيروا البابا فيما إذا كان يبقى أوچاخوڤسكى زوجته أم يطلقها

ورأى أوچاخوڤسكى أن العاصفة هذه المرة قوية ضده أيضاً . فآثر أن يحنى لها هامته للمرة الثانية ، ريثما تمر كما مرت سابقتها ، فهادن الكاثوليك الرومانيين بعد ذلك . وفى السابع عشر من فبراير عام ١٥٥٢ برىء من قطعه عن الكنيسة وأعلن خضوعه للمجلس الدينى فيما يتعلق بالعقائد ، ولكنه تخلى عن قدره ورتبه الكنسية ، آملاً أن تعترف السلطات الرومانية الدينية بزواجه .

كان هذا النبيل رجلاً قوياً جديراً أن يعمل الكثيرون على استمالته ، وكان همهم الأكبر أن يفصلوه عن البروتستانت ، ولكنه لم يكن ممن يحترمون الباباوات (الأحبار الرومانيين) ، فخاطب يوليوس الثالث بهذا الأسلوب : (تأمل ، يايوليوس ، وتبصر جيداً ؛ مَن من الرجال ستفعل فعلتك معه . إن هذا الرجل ليس إيطالياً تفرض عليه سلطانك وجبروتك ، والواقع أننى رجل روسى [1] وهو ليس تحت رعويتك الباباوية الخسيسة ، ولكنى مدنى من مملكة يجب حتى على ملكها أن يحترم قانونها ويطيعه . إن فى استطاعتك أن تحكم على حتى بالموت ، إذا أحببت ، ولكنك لن تستطيع أن تنفذه فىّ . ولن ينفذ الملك حكمك ، لأن الأمر يجب أن يعرض على مجلس الأعيان . إن الرومانيين يحنون قامتهم ويركمون أمام جموع خدامك وأجرائك ، ويحملون على أعناقهم نير الذل والعبودية عن كتاب الرومان الجبناء . . . ولكن هذه الحال لن تكون معنا . فحيثما يحكم القانون ؛ فلا العرش ، ولا الملك ، ولا الحاكم ، بمستطيعين أن يفعلوا ما يريدون ، فالحكم لا يكون إلا للقانون وما يشرّع . إنه لن يقول ، حالما تشير إليه بأصبعك ، أو تبهر عينيه بخاتم الصياد السحرى الذى فى يدك ، يا ستانسلوس أوچاخوڤسكى ! إن البابا يوليوس يريدك أن تذهب إلى المنفى ، فيجب عليك أن تذهب ، ولكنى أؤكد لك أن الملك لا يمكن أن يريد ما تريد أنت ؛ فإن قوانيننا لا تسمح له أن يسجن أو ينفى أى شخص لم تحكم عليه محكمة حليقة بالحكم)

وأدرجت أعمال أوچاخوڤسكى ضمن القائمة السوداء فى الفهرس البابوى ، وأعلن الكتاب الكنسيون أنه خادم من من خدم الشيطان

ولكنه بدل أن يرتدع بمثل هذه التصرفات ، فقد انفجر ثائراً بتجريحات أقوى ، وكتابات أعنف ، وإليك مثالاً من مخاطبته للبابا بول الرابع : (بما أن هذا المكروه العربيد المعتوه الأخرق ، الذى يسمى نفسه بول الرابع ، قد أخرج موسى والمسيح من الكنيسة ، فإنى سأتبعهما بملء حريتى ورغبتى ؛ فهل أستطيع اعتباره شيئاً حاطاً بكرامتى أن أكون زميلاً لهذين اللذين يسميهما الأخرق البغيض هرطيقين ؟ هذا سيكون شرفاً لى وتاجاً يتوج رأسى . إن إهمال التعاليم القديمة أفسدنا وأذلنا وجردنا من شرفنا . يا بول ! حذار أن تجر على إبرشيتك الخراب الأخير . نظف المدينة من جرائمها ، واستأصل بذور الخسة والدناءة فيها ، ولا تجر وراء الأرباح التى تجنيها لمصلحتك إنى سأشرح لمواطنى ، بكل صراحة ووضوح ، أن الفساد الرومانى يضر الكنيسة ويؤذيها أكثر مما يضرها التواء اللاوثرية)

بهذا وبمثله كان يخاطب أوچاخوڤسكى الباباوات الرومانيين .

وهو لم يكتف بذلك . فقد تناول هذا البابا فى رسائل أخرى بالتجريح العنيف ، وحمله من المذمات والقدح والشتم حملاً هائلاً ، ثم بدأ مؤلفاً جديداً — لم يطبعه — ولكن بعض أصدقائه حدث أنه رآه مخطوطاً وقرأه ، وهو فى هذا الكتاب

(١) أوجاخوفسكى مواطنا من روسيا الصغيرة .



الأستاذ ساطع الحصرى

من أنباء دمشق أن الحكومة السورية اغتنمت فرصة العطلة الموقوتة التى اضطر إليها أستاذ التربية فى الشرق العلامة «أبو خلدون ساطع الحصرى» ، فعرضت عليه منصب المستشار الفنى لوزارة المعارف فيها ، فقبله الأستاذ لأجل مسمى بعد تمنُّع شديد ، ليتسنى له الرجوع متى شاء إلى العراق وطنه المختار ، فيتبوأ فيه مكانه المرموق من قيادة النهضة الحديثة . وهذا التعيين ولا شك توفيق من الله يُناط به الأمل فى بناء التعليم فى الجمهورية السورية على أساس متين من العلم الصحيح والخبرة الحكيمة

خطأ الأنى بين الدين والرأى

أخشى أن يكون الأستاذ عبد المتعال الصعيدى قد شغله تطبيق قواعد فن الجدل عن أساسيات الموضوع فقد أوحت إليه طريقته فى الدفاع عن الدين أن يعد إذا أجمع الأطباء على رأى الدكتور أسامة ، بأن يوفق بين الطب والدين عن طريق تأويل حكم الدين ، وهذا فى نظره مهل فى هذه المسألة ، لأن الأحاديث التى وردت فيها أحاديث آحاد

فلنفرض أنه لم ينعقد إجماع ، ولكن انعقدت أغلبية على رأى الدكتور أسامة ؛ أفكان هذا مغيراً شيئاً من الناحية العملية للموضوع ؟ إن الأستاذ عندئذ لا يكون عند نفسه مضطراً إلى التأويل ، ولكن الشبهة تبقى حيث كانت من نفس الدكتور ومن لف لفه . وسيقال إن الدين يخالف أغلبية العلماء أو أغلبية الأطباء ، ويكون الأستاذ لم يصنع شيئاً لخدمة

وعنوانه — خلع روما — أو شىء شبيه بذلك يفضح جرائم وأغلاط الباباوات ، ثم أعلن أنه سينضم إلى الكنيسة اليونانية التى كانت وقتئذ المذهب الشائع للجزء الأعظم من سكان مقاطعة جاليسيا

وفى بعض ثورات أوجاخوفسكى الهجومية ، غير المتصلة ذكر بعض الحقائق اللاذعة المؤلمة

فقد بين أن الأقسام التى يقسمها المطارنة للأبرشية البابوية تمنعهم أن يكونوا رعايا أمناء للملك

وقال — إنه لو تقلد مطران كاثوليكى رومانى منصب عضو فى الأعيان ، فمن الضرورى أن يكون خائناً لبلده ، لأنه سيفضل منفعة روما على مصالح مليكه ؛ فهو سيقسم يمين الطاعة للبابا ، ثم يقسم بعد ذلك للملك

ووجه أوجاخوفسكى الخطاب إلى الملك ، قال — وإن هذا القسم لينسخ حرية المطارنة ، ويجعلهم جواسيس على الشعب وعلى الملك ، إن هيئة الأكليروس العليا بتطوعها لقبول هذه العبودية قد دخلت فى مؤامرات خسيسة ضد بلادهم نفسها ، وعلى الرغم من تآمرهم ضدك وضد عرشك ، فهم لا يزالون يحتلون مقاعدهم فى مجلس الشورى . لقد فحصوا خططك واستقصوها ، ثم بلغوها إلى رئيسهم الأجنبى)

وقال أوجاخوفسكى فى موضع آخر عن هؤلاء الأكليروس « دعهم يعمدون ويبشرون ، ولكن لا تدعهم يوجهون أعمال الدولة وشئونها . وإذا كانوا يريدون — على الأقل — أن يحتفظوا بمناصبهم فى مجلس الأعيان ، فدعهم يبرأون من طاعتهم لروما »

هذه الآراء الجريئة ذكرها أوجاخوفسكى فى كتابه البابا الأكبر ، الذى نشره بلا توقيع فى سنة ١٥٥٨ ، ولكن المعروف المشهور إن هذا الأثر كتب بقلم أوجاخوفسكى

وقد أثمرت هذه الآراء ، وهذه الثورة التى أثارها ذلك الرجل الفاضل الجرىء ، فى القرن السادس عشر ، ثمراً طيباً حتى فى عصره ، فقد اشتد النضال بين أنصار الباباوات وبين أنصار المجددين الدينيين ، واستعرت نار الشحناء بينهم واتسعت رقعتها ، وعمت أرفع الطبقات ، ومنها طبقات الأمراء والأشراف ورجال الأكليروس وخدمة الدين عامة ، حتى أن قسيساً حكم عليه بالموت حرقاً لأنه كان يدعو للمذهبين جميعاً ولقيت إحدى السيدات نفس الجزاء لأنها أنكرت الواقع

وسارت عدوى التشكك إلى عديد من النبلاء ، وتزوج الكثيرون من رجال الأكليروس

ويقال أن الملك سيجسموند ، كان ميالاً إلى مذهب المجددين الدينيين ، وسمح للمجدد الكبير كالڤن أن يهدى إليه أحد مؤلفاته ، وأن يقدم له لوثر طبعة من إنجيله الألمانى ، وهذا كله بتأثير دعوة ستانسلوس أوجاخوفسكى ...

(الاسماعيلية) حسين غنام

الدين أو لإزالة الشبهة بتعليقه تأويل حكم الدين على انعقاد الإجماع

ثم لنفرض أن الإجماع انعقد على رأى الدكتور أسامة . أفكان يحل للأستاذ عندئذ التنازل عن حكم الدين بتأويله وإهمال أحاديث الآحاد الواردة فيه ؟ كلا ! لأن قاعدة التأويل التى يستند إليها مشروطة بالاضطرار لا يحل تطبيقها إلا عند تناقض النقل والعقل ، بحيث لا يكون هناك سبيل إلى التوفيق إلا بالتأويل ، وهذا الشرط مفقود فى هذه المسألة لثبوت حكمة أخلاقية لختان الأنثى ، وثبوت مراعاة الدين لوظيفة الزائدة المختونة بنهيه عن الإنهاك عند الختان . من أجل هذا قلت لو انعقد الإجماع ما تغير الحكم ، لأن الخلاف هنا خلاف رأى لا خلاف واقع ، ولم يقل أحد بتأويل النص من أجل الرأى كائناً ما يكون ، وقد أشرت إلى هـذا فى عنوان كلتى ، ولكنها إشارة لم يفطن لها الأستاذ

ومن العجيب أن الأستاذ يعقل — كما يقول فى كلمته — أن يتمسك متمسك بالطب رغم الدين ، أو بالدين رغم الطب ، ولا يعقل أن يتمسك متمسك بالدين والطب كليهما ، لأنه لا خلاف فى الواقع بينهما . أفليس هنـاك طريقة للتوفيق عند الأستاذ إلا طريق التأويل حتى يعجب من سالك سلك غير هذا الطريق ؟ أم هل الطب عند الأستاذ هو رأى الأطباء لا حقائق العلم حتى يعجب ممن لم يبال بإجماع الأطباء لو أجمعوا على رأى يخالف حكم الدين فى مسألة اتفقت حقائق الطب فيها مع حكم الدين ؟

ويقول الأستاذ أنى أجرى على طريقته فى التوفيق بين العلم والدين ، ووددت لو جرى وجريت فى هذا على طريقة واحدة ، ولو نسبت بعد ذلك إليه لا إلى من سبقنى وسبقه . إنى مخبره بطريقتى والأمر إليه فى أن يقول إنها أيضاً طريقته . إنى أرى مستحيلا أن يتناقض العلم والدين بحيث يضطر للتوفيق بينهما إلى قاعدة التأويل ، وهذه الاستحالة ناتجة عندى من أن حقائق العلم وأحكام الدين القصية مصدرهما واحد ، هو الحق سبحانه فاطر الفطرة ومنزل الدين . أما الرأى — رأى المجتهدين فى الدين وأصحاب النظريات في العلم — فقد يختلف مع حقائق العـلم أو نصوص الدين ، وعندئذ يكون هذا الرأى خطأ قطعاً كرأى الدكتور أسامة فى موضوع الختان

محمد أحمد الغمراوى

الأستاذ إسعاف النشاشيبى

ورد القاهرة علامة فلسطين وأديب العربية الأستاذ « إسعاف النشاشيبى » ، فوردها العلم الجم والفضل العظيم . و (الأستاذ الجليل) فى صف القيادة من نهضة العرب ، وفى صدر الأبوة من أسرة الرسالة ، فلا يحتاج فضله إلى تعريف ، ولا ذكره إلى تشريف . فنرجو للأستاذ الصديق طيب الإقامة ودوام السلامة

الى طلبة السنة التوجيهية

فى الأسبوع المقبل — إن شاء الله — ستقرأون مقالى عن كتاب « أخبار أبى تمام » ، وهو مقرر للامتحان التحريرى فى مسابقة الأدب العربى

وأسارع فأدعوكم إلى النظر فى « علم البديع » نظر الفهم والاستقصاء ، لتقفوا على أظهر جانب من جوانب التجديد فى شعر أبى تمام ، فمن المؤكد أنكم ستسألون عن هذه الناحية لأهميتها فى تحديد اتجاه الصياغة الفنية عند هذا الشاعر المجيد

وأدعوكم أيضاً إلى النظر فى كتاب « الموازنة بين الطائيين » للآمدى ، ففيه معارف كثيرة تزيد شخصية أبى تمام وضوحاً إلى وضوح

ويجب حتماً أن تنظروا فى ديوان أبى تمام ؛ فإن لم تستطيعوا الوصول إليه بسبب نفاد طبعته ، فلا يفتكم أن تطيلوا التأمل فى النماذج التى اختارها الصولى ، وإن خفى عليكم شىء من دقائق تلك النماذج فاسألوا أساتذتكم بدون تسويف

ولا تنسوا ما أوصيتكم به من قبل ، وهو الحرص على الظفر بجوائز وزارة المعارف ، فذلك يقوى ثقتكم بأنفسكم ، ويزيدكم حباً فى التفوق

زكى مبارك

12me Année No. 553 . | Lundi - 7 - 2 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥٥٣ « القاهرة في يوم الإثنين ١٢ صفر سنة ١٣٦٣ — الموافق ٧ فبراير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهرس

صفحة

١٢١ عـلامات الزمن ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
١٢٤ بركة خان أول مسلم من ملوك التتار ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
١٢٦ طاقات ريحان : هدية إلى شعراء في هذا الزمان .. .. : الأستاذ جليل ... ...
١٢٨ أخبار أبي تمام ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
١٣٠ علي محمود طه شاعر الفن والجمال .. .. : الأستاذ دريني خشبة ... ...
١٣٢ ستاندال والحب ... ... : الأستاذ صلاح الدين المنجد
١٣٤ منصب الوزير في مصر الفرعونية .. .. : الدكتور باهور لبيب ... ...
١٣٥ من أحلام الصحراء [قصيدة] : الأديب محمد العلائي ... ...
١٣٦ ليلى والمجنون ... ... : الدكتور محمد مصطفى ...
١٣٨ حول لفظ « الفشل » ... : الأستاذ الكبير « ا . ع » ...
١٣٩ (١) هل عرفنا المؤلف ؟
١٤٠ (٢) أول غلط ... ... : « عدنان » ... ...
١٤٠ أدبي أدب حق ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
١٤٠ إصـلاح تطبيع ... ...

علامات الزمن

للأستاذ عباس محمود العقاد

للزمن علامات في أقوال الشعراء والأدباء

ولأقوال الشعراء والأدباء علامات في الزمن

ولكن العلامات التي تصدق في دلالتها ، ويقل خطأها في إشاراتها هي على الأعم الأرجح علامات الصناعة دون علامات الطبيعة

لأن الطبيعة الإنسانية تتشابه في جميع الأزمان وتتماثل فيها الخصائص والعيوب بين جميع الأجيال ، فلا يقال إن السخف وقف على عصر دون عصر ، ولا إن الركاكة مقصورة على جيل دون جيل ، وإن هذا البيت لا يمكن أن يصدر عن شاعر في الجاهلية لأنه سخيف ، أو لا يمكن أن يصدر عن شاعر متأخر في القرن التاسع عشر لأنه متين ظاهر الفحولة ، فهذه علامات لا تقطع بالقول الفصل على وجه اليقين ، ولكنها تذكر للاستئناس كما يقال في لغة الفقهاء والمحامين ، إذ يوجد السخف لا مراء في كلام الجاهلية كما توجد القوة والجزالة في كلام المتأخرين

إنما العلامات القاطعة في دلالتها التاريخية هي علامات الصناعة اللفظية والمعنوية على اختلافها في جميع اللغات ؛ لأن المحسنات والموشحات وضروب التطريز والتشطير والتوشيع

قد ظهرت عندنا فى اللغة العربية على عهود معلومة تنحصر بالسنوات فضلاً عن الحقب والفترات . فلا يعقل أن يتكرر الجناس الكامل فى الشعر الجاهلى ولا أن تصدر أفانين التوشيح عن مخضرم أو متقدم بين الأمويين . وقل مثل ذلك فى كل علامة صناعية مرجعها إلى زمن معلوم

أما الركاكة أو السخف أو الإعياء أو اختلال الوزن فكل أولئك قد يوجد فى الجاهلية كما يوجد فى عصور المماليك . ورب بيت لشاعر من شعراء العصر الأول تسلكه بين أبيات النظامين من مداح الريف فلا تشعر بغرابته بينها . كقول حسان مثلاً :

ويحسبنا فخراً على من غيرنا حب النبى محمد إيانا

أو بيت عريق فى القدم لو ألقيته على لسان خليع من خلعاء الأزبكية لجاز أن يكون من كلامه إذا نظرنا إلى الخلاعة والمجون ، كقول الأعشى :

قالت أميمة لما جئت زائرها ويلى عليك وويلى منك يارجل

فهذا البيت هو بعينه ترجمة « يا دهوتى عليك ويا دهوتى منك يا راجل انت » التى تقطر بخلاعة المحدثين ، إذا كانت المسألة مسألة عيب من عيوب النفس والمزاج

ولن يؤخذ بعلامة المتانة والجزالة مأخذ اليقين كما ليس يؤخذ بها هذا المأخذ فى باب الركاكة والإسفاف

فالبارودى مثلاً يقول فى إحدى معارضاته :

ألا حى من أسماء رسم المنازل وإن هى لم ترجع بياناً لسائل
خلاء تعفتها الروامس والتقت عليها أهاضيب الغيوم الحوافل
فلأياً عرفت الدار بعد ترسم أراني بها ما كان بالأمس شاغلى
فللعين منها بعد تزيال أهلها معارف أطلال كوحى الرسائل
فأسبلت العينان منها بواكف من الدمع يجرى بعدسح بوابل

والشيخ محمد عبد المطلب يقول :

لنا باللوى مغنى عهدناه آهلاً سقى الله روضات به وخمائلا
كساه السحاب الجون من نسج نبته
عقود جمان نظمت وغلائلا

أو يقول :

دعته العلا أن الثواء من الوهن فأسلم أرسان الركاب إلى الظعن
وأرسلها فى ذمة الشوق فانبرت صوادى تنسيها اللغى آحسك المزن

والسيد البكرى يقول :

سقى دوو مية بالأجرع مسف من الدجن لم يقلع
ولو ترك الشوق دمعاً بجفنى سقيت المنازل من أدمعى

ويروى مثل هذا الشعر لفئة من المحدثين لا يعدون الفترة العارضة بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

فاذا لو أن ناقداً من المتحذلقين الذين يختطفون القول فى علامات الزمن خطف البيناوات رجع إلى مقاييسه الخاطفة فأنكر نسبة هذا الكلام إلى عصره وزعم أنه أشبه بعصور البداوة وأقرب إلى فحولة الجاهليين أو المخضرمين ؟ ! بل ماذا لو أضاف إلى ذلك أمثلة من الشعر والنثر الشائعين فى هذه الفترة ، فقال جازماً إن الأسلوبين لا يصدران عن عصر واحد ؟

إنه لو قال ذلك لكانت حجته أقوى وأسلم من حجة القائل أن شاعراً فى العصر الإسلامى الأول لا يتأتى أن ينظم هذا البيت !

لواحى زليخا لو رأين جبينه لآثرن بالقطع القلوب على الأيدى

لأنه فى زعمه بيت تعوزه متانة الشعر فى ذلك العصر . ولو صح أن المتانة تعوزه لما كان ذلك جازماً باستحالة نظمه فى عصر من العصور ، لأن عصراً من العصور الأولى أو الأخيرة لن يخلو من بيت ركيك أو سخيف

ومن المصادفات الحسنة أن كلامنا فى الخلاف على صاحب هذا البيت يظهر فى الرسالة وفيها كلمة للأديب الداغستانى يذكر فيها أن مؤلفى « قصة الأدب » نسبا أبياتاً إلى كثير عزة وهى منسوبة فى كتاب الأغانى إلى بشار . ومنها هذا البيت :

يزهدنى فى حب عزة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبى

وهناك قوم ينسبون الأبيات إلى ذى الرمة ويضعون « مية » فى موضع عزة من البيت المتقدم ، وبين العصرين دولة مضت بصدر الإسلام وأعقاب الأمويين . ومن الأبيات الثلاثة بيت يشير إلى النظر هو أليق ببشار الضرير حيث يقول :

فقلت دعوا قلبى وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وهناك أبيات ومقطوعات وموشحات ينسبها أناس إلى شعراء من الأندلس وينسبها آخرون إلى شعراء من بغداد

ولا سبيل إلى القطع بصواب النسبة إلا الرجوع إلى علامات الصناعة وعوارض البلدان ، أو الرجوع إلى دليل قاطع من العقل يبطل به النقل كل بطلان

وصفوة القول أن علامات الزمن فى الشعر إنما تؤخذ مأخذ اليقين إذا اتصلت بحدود الصناعة وأوقاتها ، ولكنها فيما عدا ذلك لا تبلغ مبلغ اليقين إلا بدليل قاطع من العقل أو دليل قاطع من النقل ، أو بالدليلين معاً مجتمعين . وليس من ذلك هذا الزعم الذى أتى به المعترضون على رواية البيت المنسوب إلى عروة ابن الزبير فى كتابنا « الصديقة بنت الصديق »

***

وهؤلاء المعترضون يزعمون أنهم قد أتعبوا أنفسهم تقصياً للكتب المحترمة فى السير والأدب والتاريخ فلم يعثروا على إشارة إلى القصة التى أنكروها جملة وتفصيلاً وحسبوها من تلفيق كتب الأسمار التى لا يطلعون عليها

ومع هذا لم تقتصر الإشارة إلى تلك القصة على رواية واحدة ولا على كتاب واحد من كتب السير والأدب والتاريخ « المحترمة »

فأخرج أبو نعيم فى الدلائل والخطيب وابن عساكر فيما روى السيوطى فى شرح شواهد مغنى اللبيب ، قال رواية عن السيدة عائشة :

« ... كنت قاعدة أغزل والنبى صلى الله عليه وسلم يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نوراً فبهت ، فقال مالك بهت ؟ قلت جعل جبينك يعرق ، وجعل عرقك يتولد نوراً ؛ ولو رآك أبو كبير الهذلى لعلم أنك أحق بشعره ، حيث يقول :

ومبرأ من كل غبّر حيضة وفساد مرضعة وداء مُغيل
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت بروق العارض المتهلل

فهذه رواية فى كتب محترمة تذكر التمثيل بالشعر فى وصف شمائل النبى ، وتذكر مناسبة التمثيل ويختلف فيها ناظم البيتين ، ولم يقل أحد أن أبا نعيم والخطيب وابن عساكر ومحمد بن قاسم حبوس من أصحاب السمر الذين لا يذكرون مع كتاب التاريخ والسير ، ويضاف إليهم السيوطى صاحب التفسيرات والأمالى فى النحو والعربية ؛ فأين جماعتنا إذن من الكتب المحترمة والاحترام ؟

***

ويذهب بنا القول فى أدلة العقل والنقل حول كتابنا « الصديقة بنت الصديق » إلى مناقشة الأستاذ الصعيدى مرة أخرى فيما اعتمدناه من النقل المتواتر الذى لا يناقض العقل على ما نراه

فالعقل لا يمنع أن تراجع السيدة عائشة محمداً صلى الله عليه وسلم فى أمر من الأمور ، ولا يمنع أن تخالفه فى ضرب من الشعور ، ولا سيما شعور الغيرة التى بلغت أشدها بعد مولد إبراهيم من مارية القبطية

ومن المحقق بالمناسبات القرآنية أن النبي عليه السلام هجر نساءه شهراً لأنهن راجعنه وألححن فى مراجعته فى شؤون النفقة ، وفيما بينهن من التغاير والتناظر الذى تعددت أسبابه ومناسباته

ومن المتواتر فى الروايات الموثوق بها أن عائشة كانت تراجع النبى لأنه كان يكرم ذكرى خديجة وهى تقول عنها إنها عجوز حمراء الشدقين ، وكان يميل إلى صفية وعائشة تقول عنها إنها قصيرة ، وكانت تزعم للنبى أنه أكل مغافير وهو لم يأكل المغافير

فهذه المراجعات والمناقشات لا ينفيها العقل ولا يستغربها ، بل نقيضها هو الأحق بالنفى والاستغراب ، لأنه مناقض لطبيعة الإنسان

ومهما يكن من قول النظام فى معنى الواقع ومعنى التصديق فالواقع أن عائشة رضى الله عنها كانت تكذب لو أنها قالت إنها ترى شبهاً فى إبراهيم وهى لا تراه . والواقع أن الغيرة تحجب النظر عن الشبه الذى يمتنع فيه الخلاف ؛ فكيف بالشبه الذى يجوز فيه الخلاف ؟ وأى شبه فى طفل مولود لا يختلف فيه نظران ؟

كذلك لا غرابة فى أن يدعو النبى عائشة أو غيرها إلى الاستغفار إن كانت ألمت ببعض الذنب ؛ فإن الاستغفار مطلوب

٢ - بركة خان

أول مسلم من ملوك التتار

للدكتور عبد الوهاب عزام

واستمرت المكاتبة والمهاداة بين الملوك من بني جوجر وبين سلاطين مصر زمناً طويلاً ، وقد فصلت كتب التاريخ بعض المراسلات بين الدولتين ولا سيما بين بركة والملك الظاهر بيبرس حين كان المسلمون في فزع من التتار وبخاصة هلاكو وأشياعه من الذين غزوا ديار المسلمين حتى استولوا على بغداد ثم تجاوزوا إلى الشام حتى وقف سيلهم بعد موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ

لما بلغت مصر أفواجُ التتار من أصحاب بركة الذين قدّمنا الكلام عنهم ، وعلم الملك الظاهر بيبرس بإسلام الملك بركة وعرف أحوال مملكته ومقرّ ملكه ؛ أرسل إليه رُسلاً معهم اثنان من التتار الذين قدموا إلى مصر

وحمل الرسل كتاباً إلى الملك بركة يرغبه في الجهاد ويحثه عليه ، ويصف له جند المسلمين وكثرتهم وأجناسهم ويذكر من في طاعة الملك الظاهر من ملوك الأقطار ، ومن هادنه وصالحه من ملوك الفرنجة وغيرهم ، ويخبره بقدوم التتار من أنصاره إلى الديار المصرية ، وأنه لم يأل في إكرامهم والحفاوة بهم ، وإنزالهم المنازل الرفيعة

جمع السلطان الأمراء والأعيان وأمر أن يقرأ عليهم الكتاب ، واستشارهم فيه ، فاستحسنوه

يقول القاضي ابن عبد الظاهر كاتب السلطان بيبرس :

« ولما كان يوم الخميس ثاني المحرم سنة ٦٦١ جلس السلطان مجلساً عاماً فيه جميع الناس ، وجماعة التتار الواصلين ، ورسل السلطان المتوجهون إلى الملك بركة ، وحضر الإمام أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد ... أمين الخليفة المسترشد بالله . وبايعه السلطان بعد ثبوت نسبه عند قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعزّ . وبايعه الأمراء والعامة والتتار الواصلون ، والرسل إلى الملك بركة ، ولما تمت هذه البيعة المباركة حصل الحديث معه في إنفاذ الرسل إلى الملك بركة فوافق على ذلك ثم قرىء الكتاب ثانياً بحضوره وانفصل المجلس »

« ثم أمر السلطان بعمل نسبته الطاهرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكتبت وأذهبت وسيّرها إلى الملك بركة »

« فلما كان يوم الجمعة ثاني هذا اليوم يعني يوم البيعة ، اجتمع الناس وحضر الرسل المتوجهون إلى الملك بركة . فبرز الخليفة وعليه سواده ، وصعد المنبر وخطب وصلى الجمعة بالناس ودعا للملك الظاهر والمسلمين »

« ثم اجتمع الرسل بالخليفة والسلطان وحملهم السلطان من المشافهة ما فيه صلاح الإسلام ؛ وعرف أصحابه التتار أحوال عساكره وكثرتها وما هو بصدده من جهاد وما يبذله من الأموال في نصرة الدين ، وقتال الأعداء المشركين ، وأنه محبٌ للملك بركة وداع له بالنصر على الأعداء ، فوافق له على ما فيه صلاح العالم »

هذه صفحة من التاريخ الإسلامي لم تعط كفاءها من القراءة والتأمل ، وفصل من سياسة مصر في جهاد أعداء الإسلام لم ينل نصيبه من الإيضاح والشرح . ها هو ذا الملك الظاهر بيبرس وأمراؤه وعلماء مصر وكبراؤها يحيون الخلافة العباسية ليجمعوا عليها قلوب المسلمين ، ويثبتوهم في تلك الفتن المحيرة ، والكوارث المروعة . وها هم أولاء يرسلون الكتب والهدايا والرسل إلى بركة خان ابن عم هلاكو ، لينحاز إليهم ويحارب بني عمومته ويفل حدهم ، ويكف بأسهم عن البلاد الإسلامية . وليس احتفاء السلطان بمبايعة الخليفة العباسي

بنصوص القرآن ، ومطلوب بالعقل والبداهة ، ولا مناقضة فيه لأدب النبوة ولا لأدب الحاكين

ولست أرى من واجب المؤرخ أن يبطل الروايات المنقولة لأنه يظن ظناً ضعيفاً لا سند له أن عائشة لن تقول هذا القول ولن ينطلق به لسانها مع فلتات الغيرة وجمحات المغاضبة ، وإلا انتقلنا من البحث في عصمة الأنبياء إلى البحث في عصمة أزواجهم وأقربائهم حتى من فلتات اللسان ، حيث تبدر الفلتات من كل إنسان ، وإننا لننزه العقل الآدمي أن نغله بأمثال هذه القيود

عباس محمود العقاد

وإثبات نسبته إلى الرسول وإرسالها إلى الملك بركه ، وصلاة الخليفة بالناس ، وحضوره مفاوضة السلطان والرسل — ليس هذا كله إلا إعلاء لشأن الخلافة وإيذاناً لبركة بأن الخلافة التى أزالها ابن عمه وخصمه وعدو المسلمين هلاكو ، قد حييت فى مصر وكتبت إليه تستنجده وتستنصره بالإسلام دينه الذى ارتضاه وأنعم الله به عليه

وهذه مأثرة لسلاطين مصر فى القرن السابع بعد بلائهم المشكور فى دفع الصليبيين مائتى عام ، وقبل جهادهم لرد تيمور عن الشام ومصر فى مفتتح القرن التاسع . وإنها لمفاخر خالدة ومساع محمودة جديرة بعناية مؤرخى الإسلام

سار رسل الملك الظاهر حتى بلغوا القسطنطينية فلقوا بها رسل الملك بركه المتوجهين إلى مصر ؛ فرجع معهم أحد الرسل المصريين ، وهو الفقيه مجد الدين ألجأه المرض إلى العودة . وكتب ملك الروم إلى الملك الظاهر أن رسله قدموا سالمين وتوجهوا إلى الملك بركة فى صحبة رسل من عنده . ومؤرخو المسلمين يسمون ملك القسطنطينية فى ذلك العصر الأشكرى وهو تعريب اسم الأسرة التى سيطرت على مملكة الروم الشرقية فى تلك العصور

ثم يصف القاضى ابن عبد الظاهر مسير الرسل المصريين إلى القرم . ثم رحيلهم عنها إلى أن بلغوا شواطىء نهر إيل (الفلجا) فى واحد وعشرين يوما . يقول :

وهو نهر حلو سعته سعة نيل مصر ، وفيه مراكب الروسن وهو منزلة الملك بركه . وحملت إليهم (إلى الرسـل) الإقامات والأغنام طول هذه الطرقات »

ولما اقتربوا من المخيم « الأردو » قابلهم الوزير شرف الدين القزوينى ، وهو يحدّث بالعربية والتركية وأنزلهم فى ضيافة الملك ودعاهم الملك بركه من الغد فساروا إلى مضربه فى صحبة الوزير شرف الدين . وعُرّفوا آداب الدخول على الملك

يدخلون إلى الجهـة اليسرى ؛ فإذا أخذت منهم الرسائل ينتقلون إلى اليمنى ، ويقعدون على الركبتين . ولا يدخل أحد بسيف أو سكين ، ولا يطأ عتبة الخيمة ... الخ .

كان الملك فى خيمة عظيمة تسع خمسمائة فارس مكسوة باللباد الأبيض ومبطنة بثياب نفيسة ومزينة بالجواهر ، وهو جالس على سرير ، واضع رجليه على كرسى فوقه وسادة ، لأنه كان مصاباً بالنقرس ، وإلى جانبه الخاتون الكبرى ، أى كبرى زوجاته « طقطفاى حاتون » — وكان له امرأتان أخريان ججك (زهرة) خاتون دكد (جوهرة) خاتون ، وعنده زهاء خمسين أميرا على كراسىّ . وكان بركه كما روى ابن عبد الظاهر :

« كبير الوجه خفيف اللحية فى لونه صفرة ، يلف شعره عند أذنيه ، فى أذنه حلقة ذهب فيها جوهرة مثمّنة . وعليه قباء خطائى[1] وعلى رأسه سراغوج[2] وفى وسطه حياصة ذهب مجوهرة معلق بها صولق بلفارى أخضر ، وفى رجليه خف كيمنخت أحمر وليس فى وسطه سيف ، وفى حياصته قرون سود مقمّعة بذهب »

دخل الرسل وأدوا رسالة الملك الظاهر فسرّ بها بركة سروراً عظيما ، وأمر الوزير فقرأ الكتاب ، وأمر بأن يجلس الرسل عن يمينه خلف الأمراء الذين بين يديه ، وقدم لهم القمز ثم العسل المطبوخ ، ثم اللحم والسمك ، ثم أمر بإنزالهم عند زوجه ججك خاتون وانصرفوا آخر النهار من الغد إلى منازلهم

وكان الملك بركه يدعو الرسل كل يوم يحدثهم ويسألهم عن أخبار مصر وعجائبها : سأل عن النيل والمطر وعن الفيل والزرافة ، وقال سمعت أن عظماً لابن آدم ممتد على النيل يعبر عليه الناس. فقالوا هذا ما رأيناه ولا هو عندنا . ويقول ابن عبد الظاهر :

« وكان عند الملك بركه رجل فقير من أهل الفيوم اسمه الشيخ أحمد المصرى له عنده خدمة كبيرة . ولكل أمير من أمرائه مؤذن وإمام ، ولكل خاتون أيضاً مؤذن وإمام . والصغار الذين عندهم لهم مكاتب يتلقنون فيها القرآن العزيز »

ما أعجب الأخوة الإسلامية التى وصلت بين بركة وقومه ووصلته بالمسلمين فى بقاع الأرض كلها ، وصيرته حليفاً للمصريين على ابن عمه هلاكو ، ثم أحاطته بعلماء المسلمين وكبرائهم من غير قومه . فهذا وزيره شرف الدين قزوينى يعرف العربية ، وهؤلاء علماء من أقطار شتى ينحازون إليه ، وهذا رجل مصرى من الفيوم يعيش فى كنفه ويحظى لديه .

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

---

(١) من بلاد الخطا

(٢) سراغوج وهو ما يسمى قلبق .

طاقات ريحان

هدية إلى شعراء في هذا الزمان

لأستاذ جليل

يقرض قارضون في مصر والشام والعراق وبلاد المغرب — هذا الذي يطلع في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والدواوين العامة[١]؛ فإذا تعقب قارضِي ذاك القريض متعقبون، وسوَّءوا عليهم ما يُهرئون[٢]، وأرذلوا تلك المخزيات[٣] المهلهلات — حرِد أولئك المقصِّدون والقوالون والفصالون[٤] ونزقوا، ولبثوا ليالي ونُهُرا[٥] متأوهين متأففين يلعنون النقد والناقدين. والناس في كل زمان لا يحبون إلا المدح والتمجيد، وبخ بخ، وزه، ومرحى ...

يهوى الثناء مقصر ومبرز حب الثناء طبيعة الإنسان[٦]

وقد أردت أن أتقرب إلى أصحاب الشعر البهرج[٧] المزروفي[٨] برواية أحاديث وأقوال في شعراء من قبلهم قالوا الشعر واللغة لغة والعربية عربية والناس ناس «والأدب غض والزمان زمان[٩]» ليتعزى الأصحاب بما يقرءون ويسمعون، وليتأسوا بإخوان لهم سابقين «إن الأسى تدفع الأسى».

ولولا الأسى ما عشت في الناس ساعة
ولكن إذا ما شئت جاوبني مثلي[١٠]

عمرت للسرور دهراً فصارت للتعزّي رباعهم والتأسي[١١]

وبآبائك الكرام التأسي والتسلي عمن مضى والتعازي[١]

وليستيقن القوم أن الله لم يدخر السخف لهذا الزمان، ولم يُنَسِّج عصراً من العصور من خلط وهذيان. والدواهي أقاسيم، جزأها وقسمها بين الناس صانع حكيم

* * *

* قال عبد الرحمن بن حمزة المكي: كان أبو العتاهية إذا حج يجلس عندي بمكة، فجاءه شاعر كان عندنا، فجعل ينشده وأبو العتاهية لا يصغي إليه لأنه لم يستجد شعره، فقال له الشاعر: مالك لا تصبر حتى تسمع؟ فقال:

سأصبر جهدي لما أسمع فإن عيل صبري فما أصنع؟

* سمع عروة بن الزبير من ابن له شعراً، وكان ابنه هذا يقول الشعر، فقال له: يا بني، أنشدني، فأنشده حتى بلغ ما يريد من ذلك، فقال له: يا بني، إنه كان شيء في الجاهلية يقال له: المزروف بين الشعر والكلام، وهو شعرك

* قال أبو العيناء: دخلنا على العتبي نعوده وقد مرض، فقال: ما أجزع من الموت كجزعي من «أبي مسلم الخلق» لأني أخاف أن يرثيني كما رثى الأصمعي

* قال الهيثم السمري: حدثني شاعر من موالي بني تميم كان يألف أبا نؤاس، وكان أديباً ظريفاً قال: دخلت على أبي نؤاس في علته التي مات فيها، فسر بدخولي عليه، ونشط؛ فقلت له أعرض عليك شعراً لي؟ فقال: أعلى هذه الحال؟ فقلت له: أنت بخير حال. وأنشدته إياه فجعل يبكي، فقلت له: لم تبكي؟ لك بسائر اليهود والنصارى والملوك أسوة... فقال لي: كم تظن من شاعر قد مدح بأحسن من شعرك هذا فكان ثوابه أن صُفع حتى عمي، وأنا أسأل الله أن يرزقك ما رزقهم فقال له ما لك لا شفاك الله!

* أنشد رجل الفرزدق شعراً له وقال له كيف تراه فقال: لقد طاف إبليس بهذا الشعر في الناس فلم يجد أحمق يقبله سواك

* قال السجستاني: أنشد رجل ابن مناذر قصيدة، فجعل يقول: غفر الله لك، غفر الله لك! فلما فرغ قال: ردها على شيطانك لا يعنت بها عليك

---

(١) بتخفيف الميم وتشديدها
(٢) أهرأ: أتى بالهراء
(٣) المخزيات. المخزيات. وفي اللسان: قصيدة مخزية نهاية في الحسن يقال لقائلها: أخزاه الله!
(٤) (الفصالون) هم الذين يمدحون ليأخذوا الجوائز
(٥) نهر: جمع نهار
(٦) ابن نباتة السعدي
(٧) في الأساس: كلام بهرج وعمل بهرج وكذلك كل موصوف بالرداءة.
(٨) المزروف بين الشعر والكلام
(٩) ابن قتيبة في مصنفه أدب الكتاب
(١٠) الحارث بن زيد الخيل (١١) البحتري

(١) المتنبي

* قال الطبرى فى تاريخه : قال محمد بن سلام كان المهدى يقعد للشعراء فدخل عليه شاعر طويل اللحية ، فأنشده مديحاً له فقال فيه : « وجؤار زفرات » فقال المهدى : أى شىء زفرات ؟ فقال له : ولا تعلمه أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا . قال : فأنت أمير المؤمنين وسيد المسلمين لا تعرفه ، أعرفه أنا ؟ كلا والله . فقال المهدى : ينبغى أن تكون هذه الكلمة من لغة لحيتك .

* أنشد رجل أعرابياً شعراً وقال له : هل ترانى مطبوعاً ؟ قال : نعم على قلبك

* قال الصولى فى كتاب الأوراق والمرزبانى فى الموشح : سمع أحمد بن يوسف الكاتب لأخيه شعراً قد كتب به إلى هوى[1] له فكتب إليه أحمد : وفقك الله « يا أخى » للسداد ، وهداك للرشاد ، قرأت لك شعراً أنفذته إلى من تخطب مودته ، وتستدعى عشرته ، فسرنى شغفك بالأدب ، وساءنى اضطرابك فى الشعر ، وليس مثلك من أخرج من يده شيئاً يعود بعيب عليه ، وأعيذك بالله أن تلج لجة الشعر بلا عوم ينجيك منها ، وسباحة تصدرك عنها ، فتنسب إلى قبيح أمر هويت النسبة إلى حسنه ، فاعرف الشعر قبل قوله ، واستعن على عمله بأهله ، ثم قل منه ما أحببت ، إذا عرفت ما أوردت وأصدرت

* قال ابن الجوزى : أنشد رجل أبا عثمان المازنى شعراً له فقال : كيف تراه ؟

قال : أراك قد عملت عملاً بإخراج هذا من جوفك لأنك لو تركته لأورثك السل

* قال إسحق الموصلى : أنشدت أبا عبيدة أبياتاً لبعض القدماء فقال : أترى فيها مثلاً أو معنى حسناً ؟ فقلت : لا

فقال : من جملك حامل أسفار ؟

* قال إسحق : قال لى الفضل بن الربيع : يا أبا محمد ، إن من الشعر لأبياتاً مُلس المتون قليلة العيون ، إن سمعتها لا تفكه لها ، وإن فقدتها لم تبالها

* قال ابن الجوزى : جاء شاعران إلى بعض النحاة فقالا : اسمع شعرنا واخبرنا بأجودنا ، فسمع شعر أحدهما ، وقال ذاك أجود . قال له فما سمعت شعره

قال : ما يكون أنحس من هذا قط

* قال الجاحظ : أنشد عبد الرحمن بن عبد الأعلى أبا زيد الأنصارى شعراً له فقال له أبو زيد : يا أخى ، هذا شعر لا عليك ألا تستكثر منه

* قال أبو العيناء : عرض رجل على الأصمعى شعراً رديئاً ، فبكى الأصمعى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : يبكينى أن ليس لغريب قدر ، لو كنت ببلدى بالبصرة ما جسر هذا أن يعرض علىَّ هذا الشعر وأسكت عنه

* قال على المنجم : أكثر هذه الأشعار الساذجة الباردة تسقط وتبطل إلى أن ترزق حمقى فيحملون ثقلها ، فتكون أعمارها عدة أعمارهم ، ثم ينتهى بها الأمر إلى الذهاب ؛ وذلك أن الرواة ينبذونها وينفونها فتبطل

* قال الصفدى : قال الرضى الحلاوة يوماً لنماء الدين موسى الكاتب : أنا أشعر شعراً حسناً وما يعوزنى إلا حَلْق

فقال له موسى : لحية ...

* قال ابن رشيق صاحب العمدة :

الشعر مزلة المقول ؛ وذلك أن أحداً ما صنعه قط فكتمه ولو كان رديئاً

* أبو إسحق الصابى :

لقد شان هذا الشعر قوم ، كلامهم
إذا نظموا شعراً من الثلج أبرد
فيارب ، إن لم تهدهم لصوابه
فأضللهم عن وزن ماللم يجوِّدوا

* دعبل :

سأقضى ببيت يحمد الناس أمره
ويكثر من أهل الرواة حامله
يموت ردىء الشعر من قبل أهله
وجيده يبقى وإن مات قائله

(***)

(١) هو — كفى — وهوى — كفى — : الهوى .

مسابقة الأدب العربي

أخبار أبي تمام

للدكتور زكي مبارك

فرحة الأديب بالأديب

أتممت قراءة « أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي » وأثنيت من جديد على اللجنة المؤلفة من رجال الجامعة ورجال المعارف لتنظيم هذه المسابقات بمثل هذا النظر الدقيق

قضيت في قراءة هذا الكتاب سبع سهرات هي بداية كريمة لسهرات العام الجديد ، ومن هـذا الكتاب عرفت أن الأستاذين المظيمين خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام قد استطاعا تكوين قسم خاص بمكتبة الجامعة المصرية يشتمل على جميع ما أمكن الوصول إليه من المؤلفات التي عُني مؤلفوها بأبي تمام العظيم

وليس من الجديد أن أعرف الأستاذ محمد عبده عزام ، فقد عرفته قبل سنين طوال ، وأنا لا أستكثر عليه أي فضل ، فهو أهل لكل فضل ، وإنما الجديد هو التفاتي إلى الأستاذ خليل محمود عساكر ، وأنا لا أذكر أني التفت إليه قبل قراءة هذا الكتاب ، فليتقبل مني أصدق الثناء

وعلى غلاف الكتاب اسم الأستاذ « نظير الإسلام الهندي » بدون أي مجهود ظاهر يستحق وضع اسمه على الكتاب ، ولكني بعد التأمل رأيته صحح لفظة كانت تحتاج إلى مهارة في التصحيح ، وأنا أرى أن تصحيح لفظة واحدة عمل من أجل الأعمال ؛ فقد انقضى زمن الأحجام والأوزان والمكاييل !

من هذا الصولي

معرفتي بأبي بكر الصولي قديمة العهد ، فقد كان صاحب الفضل في أن أعرف مؤلف « الرسالة العذراء » يوم ثار الخلاف بيني وبين أستاذي مرسيه تحت أروقة الكوليج دي فرانس

وكان مثار الخلاف أن نسبة الرسالة العذراء إلى ابن المدبّر ليست موضع يقين

إشارة واحدة في كتاب « أدب الكتاب للصولي » دلتني على أن ابن المدبّر هو مؤلف الرسالة العذراء

ولكني لم أعرف الصولي معرفة حب وإعجاب إلا بعد قراءة كتاب « أخبار أبي تمام » فقد وجدته يؤمن بالأدب إيماناً هو الغاية في العمق ، والذي يقرأ دفاعه عن أبي تمام يكاد يتوهم أنه يتحدث عن نبي من الأنبياء ، لا شاعر من الشعراء ، ويزيد في قيمته أنه ردّ معاني أبي تمام إلى مصادرها القديمة حين يجد ما يوجب ذلك ، وهذا الصنيع يشهد بحب هذا الرجل للصدق ، ورغبته في أن تسلم أقواله من الأهواء

وقد تألمت حين تذكرت أن من الصعب أن نصل إلى بقية مؤلفات الصولي ، ولا سيما المؤلفات الخاصة بتحقيق طائفة من دواوين الشعراء ، كالذي صنع في تحقيق ديوان أبي نواس ، بحيث صارت نسخته هي النسخة المعتمدة ، وبحيث صارت النسخ القديمة تباع بدراهم بعد أن كانت تباع بعدد أوراقها دنانير

فأين تلك النسخة الفريدة ؟

هل يسمح الزمان بأن نجدها في أي مكان ؟

إن ديوان أبي نواس أُهمل ، ولا أذكر أن في علماء هذا العصر من اهتم بشرحه ، مع استثناء جهد أستاذنا الشيخ سيد المرصفي في شرح الرائية التي منها هذا البيت :

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المرّ من ثمره

وأهمية نسخة الصولي أنها من تصنيف رجل قريب من زمن أبي نواس ، ومن حديث الصولي نعرف أن المفاضلات بين بشار وأبي نواس كانت تشغل الأندية الأدبية في تلك الأيام ، ومعنى هذا أن أشعار أبي نواس كانت لا تزال بمنجاة من التزيد والافتراء

يرحم الله الصولي !

تراجم مفقودة

قال الناشران الفاضلان إنهما لم يعثرا على ترجمة مزاحم بن فاتك الذي ألف له الصولي كتاب « أخبار أبي تمام » ، وأقول إن ترجمته موجودة بشهادة هذا الكتاب ، أعني أنه كان

شخصية كبيرة عاشت فى صدر القرن الرابع واستحقت التفات الصولى الذى كانت له منزلة تسمح بمنادمة الخلفاء

ولكن هنالك تراجم مفقودة أحب أن يبحث عنها هذان الناشران الفاضلان ، وهى تراجم الرجال الذين عادُوا الصولى عداء ذهب برشده كل مذهب وأجرى قلمه بما لا يصدر إلا عن رجل مغتاظ مهتاج

ومن المؤكد أن أولئك الرجال لم يكونوا نكرات ، فكلامه صريح فى أنهم كانوا يبارونه فى التأليف ، ويحاولون أن يخرجوه من الميدان

لقد حدثنا أنه انتصر عليهم ، ولكن من هؤلاء الذين غاظوه وحاربوه ؟

إنه كتب كثيراً من الصفحات فى ذمهم وثلبهم ليبرد ما يتأجج فى صدره من نيران الحقد

فمن هؤلاء ؟

لا بد من النظر مرة ثانية فى التاريخ الأدبى لذلك العهد ، فمن المحتمل أن نعرف فريقاً من هؤلاء ، ومن المحتمل إن عرفناهم أن نزيد فهمنا للمشكلات الأدبية عند ذلك الجيل ، وهو من أهم الأجيال

مقدمات وشروح

نجد مع هذا الكتاب مقدمتين : الأولى بقلم الأستاذ أحمد بك أمين ، والثانية من صنع الأستاذ خليل محمود عساكر والأستاذ محمد عبده عزام

والمقدمة الأولى جيدة ، وإن كنت أنكر أن يقول فيها الأستاذ أحمد أمين إن أبا تمام أخرج الشعر من رأسه لا من قلبه ، فهذا القول غير صحيح ، لأن أبا تمام رجل قوى القلب إلى أبعد الحدود ، وشعوره بالحياة يدل على أنه كان غاية فى قوة الوجدان

وسنفصّل هذا المعنى فى المقال المقبل

أما المقدمة الثانية فهى صورة من صور البحث الهادئ الرزين والشروح سخية جدًّا ، ففيها معارف أدبية ولغوية وتاريخية تنفع القارئ أجزل النفع ، وتشهد لمؤلفيها بالصبر على عناء الاستقصاء

وفى ذيل الكتاب فهارس وافية ، وقد روعيت فيها الأصول الصحيحة ، على خير ما نرجو لإحياء مؤلفات القدماء

هبة الأيام

وأنتهز هذه الفرصة فأدعو المتسابقين إلى النظر فى كتاب « هِبَة الأيام ، فيما يتعلق بأبى تمام » للبديعي ، ففي هذا الكتاب أشياء تكمل كتاب الصولى ، وقد نشره الأستاذ محمود مصطفى أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية ، وقد فقدته لغة العرب منذ سنة أو سنتين ، فما أذكر متى مات ، إن كنت أذكر أنه اختُضِر ليفارق على غير ميعاد

لو كان الأستاذ محمود مصطفى نشأ فى عهد مثل عهد الصولى لوجد من يترحم عليه ويحيى ما ترك من غرر المخطوطات ، ولكنه نشأ فى عهد محوط بتقلبات لا تطاق ، فلم يبكه غير كفنه ومضى وحيداً إلى دار البقاء

لم يُرث الأستاذ محمود مصطفى إلا بكلمة أو كلمتين فى مجلة « الرسالة » ، وهذا فضلٌ عظيم ، فقد سكت عن نعيه جميع من انتفعوا بأدبه من أصحاب الجرائد والمجلات

أسئلة الامتحان

وأرجع إلى الموضوع الأصيل فأقول : إنى كنت أضمن فى كل مرة قدرة الظفر بالخزانة التى تودع فيها أسئلة الامتحان فليعرفوا أن هذا المقال محاولة لكسر أقفال تلك الخزانة ، وليثقوا بأنى سأنقل إليهم أسرارها فى المقال المقبل

ما هو الشمع الأحمر الذى تختم به وزارة المعارف صناديق أسئلة الامتحان ؟

نحن نوجه تلاميذنا توجيهاً يضمن لهم معرفة تلك الأسئلة بأيسر عناء ، وإن كان من العسير عليهم أن يصلوا إلى خزانة محروسة بجنود صناديد

فى مقدور كل تلميذ أن ينهب وزارة المعارف وأن يظفر بألقابها حين يشاء ، على شرط أن « يعرف » كيف ينهب وزارة المعارف ، وهى وزارة تشتهى أن ينهبها أبناؤها الأوفياء

فإلى المقال المقبل ، يا عشاق المجد من قرائى .

زكى مبارك

٥ – على محمود طه

شاعر الفن والجمال

للأستاذ دريني خشبة

لقد افتتحت فصولى هذه عن على محمود طه بأنه أصبح أغنية فى فم الجيل الجديد، وأن شعره أصبح أنشودة من أناشيد مصر الحديثة . ولقد كنت أعنى ما أقول حينما افتتحت فصولى هذه بهذا الكلام . كنت أعنى أن أقول إن الشاعر على محمود طه هو شاعر بحترىّ يقول شعراً فيقع فى فؤاد مصر الحديثة شدواً ويقع فيه غناء ... إن الديباجة البحترية فى الشعر العربى هى أصلح الديباجات للغناء . إن كل كلمة من كلماتها موزونة ومقدورة و مُجوَّدة .. ألم يقولوا إن البحترىّ أراد أن يشعر فغنّى ؟ لماذا قالوا هذا الذى قالوه ؟ إنهم قالوه لما نقوله اليوم فى شاعرنا المصرى الرقيق . لقد زعم بروكلمان الألمانى فى كتابه « تاريخ التأليف العربى » أن على محمود طه يدين للرومانتيك الفرنسى فى القرن التاسع عشر – وهو الاتجاه الخيالى الفنى والقومى والعقلى – وأنه انتفع فى اطراد بما تأثر به فى خلق فن قومى فى ديوانه . ونحن لا يعز علينا أن يتأثر شعراؤنا بالمذاهب الأدبية التى تغمر الشرق أو الغرب ، ففى هذا التأثر دليل من الحيوية والاتصال بركب الحياة والاستجابة للعالم الخارجى ، ولكن الذى يعز علينا هو هذا التجريد من الأصالة الذى يرمينا به مؤرخو الآداب الأجانب مهما مدحونا بعد ذلك وأثنوا على شاعرية شعرائنا وأدب أدبائنا . إن على محمود وغير على محمود طه من الشعراء المصريين إن كانوا قد تأثروا بالمذاهب الأدبية الخارجية إلا أنهم لا يدينون لهذه المذاهب بتلك الأصالة التى هى جزء من الطبع المصرى الشاعر ، والتى تجرى بكل مقوماتها فى الجبلة المصرية مذ عرفت مصر الفنون والعلوم والآداب ، وقد عرفتها قبل غيرها من الأمم ... إن النزعة الرومانتيكية التى ينزع إليها أكثر شعرائنا ، بل شعراء العالم العربى الأماثل ليست بضاعة واردة ، بل هى طبيعة هؤلاء الشعراء التى طبعهم الله عليها ، كما طبع عليها شعوب البحر المتوسط فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، هذه الشعوب التى رزقها الله تلك الأمزجة الرومانتيكية المرهفة المولعة بالغناء والموسيقا والشعر والنحت والتصوير والبلاغة البيانية وسائر الفنون التى تفتقر إلى هذا المزاجُ الرومانتيكى . ولقد حوّلت بعض الأسباب الدينية شعوب العالم العربى ، ومعظمها من شعوب البحر المتوسط ، عن النحت والتصوير قروناً طوالاً ؛ فانصرفت طاقة هذه الشعوب الوجدانية كلها إلى الفنون الأخرى وفى مقدمتها الشعر فأتت فيه بالمعجز والمطرب كما يقولون ، وخرجت القصائد من قرائح الشعراء المصريين والشاميين والعراقيين والمغربيين راقصة معجبة فى العصر الحديث ، كما كانت تخرج من قبل فى الشرق العربى وفى المغرب الأندلسى والغرب الأقصى راقصة معجبة ، والمزاج الرومانتيكى بجميع مقوماته مزاج أصيل فى جبلة شعوب البحر المتوسط ، تلك الشعوب التى اخترعت أديانها قديماً من الخيال الخالص ، والتى وضعت أصول فنونها على أسس وجدانية تشبه الشعر إن لم تكن الشعر المجسم نفسه . ومن الناحية القومية ، فالوطنيات التى نشأت على شواطىء هذا البحر هى من أقدم الوطنيات فى التاريخ إن لم تكن أقدمها جميعاً . ولقد كانت الوطنية تمتزج بالدين فى مصر القديمة وعند اليونان والرومان ، وأسطورة البقرة هاتور والإله حابى إله النيل هى أسطورة مشهورة مأثورة . وإذا كان لعلى محمود طه شعر قوى فلجميع الشعراء المصريين أشعار قومية ، بل نستطيع أن نقرر أن أكثر من نصف الشعر العربى الحديث قد قيل فى مناسبات قومية . وواجبنا عند ما نقرر هذا ذكر شاعر قوميتنا الأول المغفور له حافظ إبراهيم الذى كان ولا يزال له قرناء فى الوطنية فى جميع الأقطار العربية

وعندى أن الغناء هو الظاهرة العامة فى شعر على محمود طه ، الغناء الجميل الذى توزن له الألفاظ وتستجاد البحور وتسترق القوافى . ولو لم يغن الأستاذ عبد الوهاب أغنية الجندول لغنتناها

غيره من مطربى العصر الحاضر أو من مطربى العصور المقبلة ، وليست الجندول وحدها هى الجديرة بغناء عبد الوهاب ، بل إن من نظمه ما يوشك أن يغنى نفسه . فما بال مطربينا نائين عن هذا الكنز الثمين ؟ إن من الأمية أن يهمل مطربونا غناء قطع على محمود طه الخالدة : بحيرة كومو ؛ خمرة الرين ، أغنية ليالى النيل ، كأس الخيام ، وكلها فى ليالى الملاح التائه ؛ وقبلة ، والنشيد ، وميلاد شاعر ، وهى فى الملاح التائه ؛ وليالى كليوبطرة ، وسارية الفجر ، وأغنية الحب ، وخمرة الشاعر ، وزهراتى ، وراقصة الحانة ، والشاعر [1] ، وعاشقة ، والكرمة الأولى ، وحلم ليلة الهجرة ، ليلة عيد الميلاد ، وعام جديد ، وكلها فى مجموعته « زهر وخمر »

فأى شاعر يملك هذه الثروة من المنظومات الغنائية الساحرة يجهله المغنون فى وطنه كما يجهل المغنون فى مصر على محمود طه برغم ما لفتهم إليه المطرب الفنان محمد عبد الوهاب ؟

ومع هذه المنظومات الكثيرة التى اخترناها هنا من مختلف دواوينه ، فإن قصائده الباقية تكاد تغنى نفسها كما قدمنا . إنها قصائد غر تسمع لشدوها جرساً يخرج من صميم أبياتها فيترقرق فى سمعك كرنين الذهب . ولعل الذى يكسبها هذه الميزة هى تلك الشاعرية الصادقة التى تتجلى فيها جميعاً ، والتى يظنها القارىء تناقضاً فى شخصية على محمود طه ، أو تناقضاً فى آرائه ومعتقداته ، إذ كيف نعلل ما جاء فى قصيدته « الله والشاعر » مثلا ، أو فى ثنايا « أشباح وأرواح » من تمرد على الله وعلى البصيرة ، وضرب فى صحراء العقل الشاك ، وهذا الإيمان العجيب الذى يبهرك نوره فى قصائده « حلم ليلة الهجرة ، وليلة عيد ميلاد ، وعام جديد »

إنك تقرأ من منظومته الرائعة « الله والشاعر » هذه الأبيات يخاطب بها الله :

أمنذرى أنت بيومَ الحسابْ ؟   ولائمى أنت على ما جرى ؟
رحماك أما يرضيك هذا العذابْ   لطيّع لم يعص ما قُدِّرا !

ما كنت إلا مثلما رُكِّبتْ   غرائزى ، ماشئت لا ما أشاءْ
فلتجزها اليوم بما قدَّمتْ   وإن تكن مما جنته براءْ

---

(١) قالها فى صديقه الشاعر إبراهيم ناجى

تشككت نفسى بما تنتهى   إليه دنياها وماذا تكون
مضت فما آبت بما تشتهى   من حيرة الفكر وهجس الظنون!

فتشعر أن أبا العلاء والخيام يختبئان فى هذه النفس الحائرة ، لكنه سرعان ما يرد إليك الطمأنينة إذ يخبرك أنه شاعر ، وأن صناعته هى رد الطمأنينة إلى القلوب الشاكية ، ومسح الدموع عن العيون الباكية !

ها أنذا أرفع آلامه   إلى سماء المنقذ الأعظم
أنا الذى ترسل أنغامه   قيثارة القلب وناى الفم ! !

من عبراتى صغت هذا المقالْ   ومن لهيب الروح هذا القلم
ملأت منه صفحات الليالْ   فضُمّنت كل معانى الألم

أنا الذى قدَّست أحزانه   الشاعر الباكي شقاء البشر
فجرّت بالرحمة ألحانه   فاملأ بها يا رب قلب القدرْ

ولو تفضل القارىء فرجع إلى بقية المنظومة فى « الملاح التائه » لاطمأن على هذا الفؤاد الحيران ، ولعرف أن حيرته قبس من الإيمان ، فإن لم يجد مصداق ذلك فليقرأ حلم ليلة الهجرة ، وعام جديد ، وعيد ميلاد ، ليشهد كيف تصدق شاعرية على محمود طه فى كل ما نتغنى به من فصول تلك الحياة . إن ميزة شاعريته الصدق فى كل ما تقول ، فهى كالروح الذى يتدفق فى الجسم الحى ، وهى لا تتدفق حكمة كما كانت تتدفق شاعرية المتنبى ، ولا فلسفة وتشاؤماً كشاعرية أبى العلاء والخيام ، ولا وصفاً للطبيعة واندماجاً فيها كشاعرية ذى الرمة مثلاً ، لكنها تتدفق غناء كشاعرية البحترى . ولقد عددنا بعض منظومات على محمود طه الغنائية الرائعة ، ونرجو ألا يحكم أحد علينا بالمغالاة قبل أن يرجع إلى دواوين الشاعر ليراجع هذه المنظومات البديعة ، وليجيل فكره فى هذا الذى نقوله ، ليرى بعد ذلك أننا غير غالين ولا مبالغين فى شاعرية على محمود طه التى تترقرق سحراً كما تترقرق غناء ... حتى فى منظومات الألم والأسى ... أجل ... إنها تترقرق سحراً وغناء حتى منظومات الألم والأسى .. ومن ذا الذى يقرأ منظومته « الموسيقية العمياء » فى ليالى الملاح التائه ، ولا يسمع إلى ألحان الأنين المكبوتة

ستاندال والحب

للأستاذ صلاح الدين المنجد

ليس كوروا من يتحدث عن الكتاب والشعراء . وليس كمثله فى سلاسة أسلوبه وتدفق ألفاظه وحلاوة معانيه . إنه كالساقية اللاهية تسقى وتروى ثم تمضى ، وقد خلفت وراءها الخصب والحياة . أو كالزهر الفواح يروقك مرآه ، ويسكرك شذاه ، سذاجة وصفاء ، ولكنها سذاجة ملؤها التنوع والجمال

لقد تحدث عن « شلى » أبرع الحديث ، وقص مغامرات « بيرون » أحسن القصص ، وعرض حياة « دزرائيلى » أجمل معرض ، وسرد أعمال « ليوتى » كأعظم ما كتب كاتب ، وصور « شاتبريان » بما لم يصوره قبله إنسان . وها هو ذا الآن يتحدث عن « خمس صور من الحب » ويتكلم على ستاندال .

وستاندال إذا تحدث عن الحب فأعجِبْ به من متحدث ، وأكرم به من خبير ! لقد بلا الحب وطعم ذواقه ، ثم وصفه وعرفه وتساءل كيف ينبغي أن يكون الرجل مع النساء ؟ أيكون معهن كما كان « دون چوان » . أم مثل « ڤرتر » الهيمان ؟ أيكون صياداً محارباً أم عاشقاً مدنفاً ؟ لقد كان ستاندال يعجب بدون جوان ، لأنه رمز الشجاعة والإقدام ؛ وفى الوقت نفسه رمز الهدوء والهزؤ بالناس

والحق أن الناس جميعاً ، كما يقول موروا ، يعجبون بمن كان كدون جوان ؛ ولكنهم يعرضون به ويثلبونه ، فى حين أن العشاق المتيمين أشباه ڤرتر المسكين ، يشفهم السقم ويضنيهم العذاب ، ويشعرون أنهم سعداء . سعادتهم فى الخيال ، يبنون القصور الشامخات ويزركشونها بأحلى التهاويل . فهى أبداً رفافة بالنعيم ، يعيشون ويحلمون ، لأن الحب على نهج ڤرتر يعد لقبول كل فن رفيع وإحساس كل شعور لطيف

إن دون جوان يرى النساء عدوات لدودات . والحب فى عينيه حرب ونضال . هو لا يتحدث عن شيء سوى المغامرات والانتصارات ؛ أما أتباع ڤرتر فأولئك هم الهانئون وبأحلامهم قانعون وبحسراتهم وزفراتهم راضون

ودون جوان إلى ذلك يختصر الحب . إنه أمر هين ينتهى دائماً بالفوز . ولذلك يفكر كالقائد العظيم فى الحيل التى يبلغ بها مشتهاه . يعمل دائماً على نجاح أعماله ونفاذ حيله

الحب أمر هين ، وكله ينطوى فى « التبلور » وصاحب نظرية « التبلور » هو ستاندال الذى وقف حياته على الحب . وكان الحب ، كما قال ، أعظم الأعمال طراً لديه ، بل كان شغله الشاغل الوحيد

لقد خص به كتاباً من الكتب العظام ... وروايات من الروايات العجاب . ولئن بحثت عن « مذكراته Son Journal » فلن تجد فيها غير الحب

تُرى كيف يولد الحب ، وكيف ينمو !

أجاب ستاندال ، فى الباب الذى عقده عن « التبلور Cristallisation » فى كتابه : De Phworn عن هذا السؤال وهاك ما يحدث فى النفس

١ — الإعجاب ، يلمح المرء الفتاة فيعجب بها

٢ — ثم يحدث نفسه ، ما أحلاها لذة أن تقبلنى أو أقبلها إنها لطيفة ، جميلة

٣ — ثم يأمل أن يراها وأن تراه . ويرقب ذلك ...

يخفق بها قلبه كما تضج بها روحه ؟ إسمع أيها القارئ :

إذا ما طاف بالأرض شعاع الكوكب الفضى
إذا ما أنّت الريحُ وجاش البرق بالومض
إذا ما فتح الفجر عيون النرجس الغضّ
بكيت لزهرة تبكى بدمع غير مرفض

إقرأها يا صديقى القارئ الشاعر فى ليالى الملاح التائه ، واقرأ الأغنيات التى أومأت إليها لتصدق أن الغناء هو الظاهرة العامة فى شعر على محمود طه ، ولتصدق أن على محمود طه أصبح أغنية فى فم الجيل الجديد ، وأن شعره أصبح أنشودة من أناشيد مصر الحديثة ...

(يتبع) دريني خشبة

٤ — وعندئذ يولد الحب

٥ — ويبدأ « التبلور » الأول ، فيشعر المحب بلذة ما بعدها لذة ، وهو يخلع على فتاته الجمال والكمال ، طوال يومه ، فى الطريق ، وفى المكتب ، وفى السرير ، وعند الطعام ...

وما يزال يزينها ويزوّقها حتى تغدو آية الجمال فى الأرض ، ويحدُث بها كما يحدث بغصن شجرة أجرد ، إذا رموه فى أحد مناجم الملح فى « سالزبورغ » . إنه يبقى شهرين أو ثلاثة شهور فإذا أخرجوه ألفوه غصناً من بـلّور ، يتلألأ ويرف ، وقد رُصّع ببلورات لماعة من الملح كأنها الدر تخطف الأبصار وتفتن القلوب . فإذا رآها إنسان غير مَن ألقاها ، لم يدر قط أن هذه الدرر كانت ذات يوم غصناً كالحاً أجرد ...

وما يسميه ستاندال « التبلور » هو تزيين الحبيب حبيبته وخلع المحاسن عليها ليل نهار . فإذا تم هذا التبلور كانت المحبوبة فى عينى من يحبها أجمل مخلوقة فى الدنيا . إنها الجمالُ نفسه ، ليست من البشر ، ولا كواحدة من النساء ، إنها ملك كريم

ثم لا يسمع بشىء لذيذ إلا تمنى أن يلذه معها ، ولا يخطر بباله سعادة إلا هفا قلبه ، من أجلها إليها

ومن الملاحظة أن هذا التبلور ضرورة لا بد منها . فالمحب إذا لم تتجدّد محاسن محبوبته فى نفسه ، وإذا لم يتخيلها كل يوم ذات حسن لم تكن بلغته أمس ، فإنه لا شك يملّ ، لأنه فى الحال النفسية تلك يعزف عن كل رتيب ثابت ، ويريد كل طريف جديد . وفى أعمال « التبلور » صور فيها كل الطرافة ، وكل الجدة

على أن هذا الحب ما يلبث أن يقلق ويضطرب . فلِمَ يضطرب ؟

٦ — إنه يشك فى حبه ، وبلوغ أمله . فبعد أن تضحك له المُنى ، يحس القلق يرتع فى نفسه . يود أن تكون لذائذ الدنيا كلها طوع يديه ، لينعم بها ، هو وفتاته . ولكن اللذائذ لا تواتيه ، والعادة لا تأتيه

٧ — وعندئذ يبدأ التبلور الثانى . إن فكرة حرمانه الحبيبة تدفعه إلى تمجيدها وتزيينها . ويقول لنفسه « إنها جميلة كل الجمال . ليس فى الدنيا أجمل منها . إنها لتنظر إلىّ نظرات باسمات . فهى إذن تحبنى » ولكنه يتساءل : هل من سبيل كى أنال آية حبها ؟ أتحبنى أم تخدعنى ؟

فإذا كان الوصل بعد ذلك ، فالتبلور يقف ، وربما ذاب . وإذا كان الهجر ، فهو يعود ويزداد

ويذهب ستاندال إلى أن التبلور يحدث سريعاً عند المرأة . لأنها على زعمه ، أرهف حساً ، وأرق قلباً . ثم إن لديها الوقت الوسيع لذلك . فهى تطرز وتفكر فيمن تحب . وهى تخيط وتتمثل من تهوى . عمل يدوى دائم ، يرافقه حلم جميل باسم . وبهذا الحلم وذاك العمل تخلع الفتاة على مَنْ تحب أروع الصفات التى تود أن تكون فى الرجل

ويعتقد ستاندال ، خلافاً لبرنارد شو B. Shaw أن الرجل فى الحب يهاجم ، وأن المرأة تدافع . وأنه يطلب ، فى حين أنها ترفض . وأنه يكون نشيطاً متوقداً ، وتكون هى مذعورة مرعوبة ...

والمرأة تتساءل عند برنارد شـو ، كيف أغرى محبى . والرجل يقول ، كيف أنجو من أسرها ، وكيف أصبح طليقاً . أما ستاندال فيعتقد أن الرجل يتساءل : « هل من سبيل كى أنال رضاها » وأن المرأة تفكر فى حبه وتقول : ألا يلهو بعد بحبه ؟ أثابت حبه أم متقلّب ؟ لأن النساء يخفن ولذلك لا يظهرن حبهن بسرعة . بل ينتظرن أن يبلون محبهن ويثقن من حبه ...

***

تلك نظرية التبلور عند ستاندال الفرنسى ، وبعض آرائه فى الحب . وكتابه فى هذا طريف لطيف ظريف . وفى أدبنا العربى نظرات كثيرة تشبه نظرات ستاندال وشو ، نجدها فى كتاب الزهرة « للأصبهانى » و « طوق الحمامة » لابن حزم ، لعلنا أن نعود إليها ، ونقايس بينها بعد حين

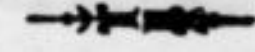
(دمشق) صلاح الدين المنجد

منصب الوزير

فى مصر الفرعونية

للدكتور باهور لبيب

المدرس بجامعة فؤاد الأول سابقا



جرت عادة ملوك مصر الأقدمين أن يلقوا عبء الإجراءات الحكومية من إدارية وقضائية ومالية وحربية على عاتق أكبر موظف فى الدولة وهو الوزير ، وكان يسمى باللغة المصرية القديمة « ثات »

وكان من يشغل منصب الوزير له من الأهمية والسلطان قدر كبير ، وذلك لأن الوزير كان هو رجل الدولة الأول الذى يلى الملك مباشرة فى الأهمية والنفوذ والسلطان . ولأن الوزير كان بمثابة حلقة الاتصال بين الملك وبين الإدارات المختلفة ، سواء فى العاصمة أو فى الأقاليم .

وبسبب هذه الأهمية التى كانت للوزير كان ينتخب من أعرق العائلات المخلصة للعرش المتفانية فى ولائها وخدمتها له ، بل كان يعين أحياناً من أولياء العهد أو أبناء الملك أو أقارب الملك فى بعض العصور ، وفى عصور أخرى كانت وظيفة الوزير وراثية . وفى ظروف خاصة جمع بعض الوزراء بين منصب الوزير ومنصب رئاسة كهنة إله الدولة الرسمى

وأقدم من ذُكر من الوزراء وزير الملك مينا (نعرمر) : الموحد الأول لمصر القديمة ومؤسس الدولة القديمة (عصر التوحيد الأول) ، وقد جرت العادة فى العصور الأولى من تاريخ الحضارة المصرية القديمة أن يكون وزير واحد للملك والدولة

وبابتداء عصر التوحيد الثانى (الدولة الوسطى) نجد على الأرجح ظاهرة جديدة فى تاريخ ملوك مصر الأقدمين ، وهو أن اثنين من الوزراء يعاونان الملك فى وقت واحد . ولكن نصوص هذا العصر لا ترينا تحديداً للاختصاص ، ولكن من الثابت أن الشئون المصرية القديمة للمملكة الفرعونية قد زادت فى هذا العصر نتيجة لازدياد الفتوح الأجنبية ، مما يدل على أن الحاجة كانت ماسة لأكثر من وزير

أما فى عصر التوحيد الثالث (الدولة الحديثة) ، فقد وصلتنا نقوش ونصوص كثيرة تعطينا فكرة عن مهام الوزير ، فقد كان لمصر وزيران أحدهما للشمال ، واختصاصه المنطقة التى تمتد من شمال أسيوط حتى البحر المتوسط ؛ والآخر للجنوب ، ومنطقته تمتد من جنوب أسيوط حتى حدود مصر الجنوبية . وكان مركز الأول عين شمس أو منف أو تانس (بر رمسيس) ، والثانى كان مركزه طيبة

وأهم المعلومات عن منصب الوزير يمكن استقاؤها من النقوش والنصوص المدونة على جدران مقبرة رخمى رع الذى كان وزيراً للملك تحتمس الثالث ، وأوائل عصر الملك امنحتب الثانى ، فنستنتج منها أن الملك هو الذى له حق تعيين الوزير . وكما أن الملك له حق تعيين الوزير فله الحق أيضاً فى عزله كما دلت نصوص أخرى على ذلك

ومن الطريف أن الملك تحتمس الثالث عند تعيينه رخمى رع فى منصب الوزارة للجنوب أسدى إليه الإرشاد ونصحه نصائح جليلة . وقد دلتنا النصوص على أن هذه التعليمات التى كان يقولها الملك لوزرائه كانت تقليدية ، إذ وجدناها تقال عند تعيين كل وزير . فقد عثرنا فى مقبرة الوزير أوسر ، خال الوزير رخمى رع ، على نصوص تؤيد ذلك ، كما وجدناها قد وجهت إلى الوزير حابو وزير الملك تحتمس الرابع . من ذلك على سبيل المثال قولهم : « كن يقظاً لكل ما يجرى فى الوزارة . وإذا أتاك مشتك فيجب عليك أن تبحث بنفسك فى شكايته ، عاملاً حسب القانون . ولتتبع الحق ولتعلم أن غضب الإله يحل على من يؤثر المحاباة ... لتكن معاملتك لمن لا تعرفه مثل معاملتك من تعرفه ، ولمن هو قريب منك مثل من هو بعيد عنك » . وزيادة على تعليمات الملك لوزيره بأن يحكم بالعدل ، وبألا يحابى أحداً كان يرشده إلى ما يجب اتخاذه يومياً . فيبدأ الوزير عمله فى كل صباح بأن يقابل الملك ويعرض عليه المسائل الحكومية لكى يبدى فيها رأيه . ومن هذا نرى أن الملك كان هو رأس المفكرة العليا التى تدير سياسة البلاد

وفى أثناء مقابلة الوزير للملك يكون رئيس المالية منتظراً عند إحدى ساريات القصر . فإذا خرج الوزير تداول معه فى أمور الدولة . ثم بعد ذلك يدخل رئيس المالية على الملك ويعرض عليه

الشئون المالية وما اعترى خزينة الدولة من نقص أو زيادة (وطبيعي كانت في شكل مواد أولية كالأخشاب والخضر والجلود والأقمشة وما أشبه) . وبعد ذلك يأمر الملك بفتح دواوين المصالح الحكومية . مما يدل على أن الملك كان يرشد كل وزير على ما يجب أن يبت فيه من أمور تهمه وتهم الدولة المصرية القديمة

وفضلاً عن إشراف الملك علي وزير المالية ، كان أيضاً تحت رقابة ورئاسة الوزير الأول للدولة الذي كان يعتبر عندئذ كرئيس الوزراء الآن . إذ دلتنا النصوص على أنه كان يكتب التقارير للوزير الأول باستمرار ليطلعه على الحالة المالية العامة للدولة

وقد كان منصب للوزير الأول للدولة في هذه العصور القديمة من الأهمية الكبرى والمكانة العظمى ما لمنصب رئيس الوزارة في العصور الحالية . فقد كان الرئيس الأعلى للقضاء . ففي مقبرة رحمى رع تجد رسماً لمجموعة قوانين مطوية في أربعين ملفاً بردياً محفوظة داخل أغلفة من الجلد وموضوعة أمام الوزير بصفته القاضي الأعظم « ساب سبختى » وهو جالس في دار المحكمة في إحدى الجلسات العلنية . (مع ملاحظة أن المرجع الأخير للمسائل الجنائية كان الملك ، والمرجع الأخير في المسائل المدنية كان الوزير)

كما كان وزير الحربية ؛ وبصفته هذه كان يشرف علي الجيش والأسطول ، وبمعنى آخر كان الرئيس الأعلى للجيوش البرية والبحرية . وكان لمصر أسطول عظيم سطر في سجل التاريخ انتصارات كبيرة . وكان الوزير أيضاً المشرف على الشئون الداخلية ، وبصفته هذه كان رئيساً للبوليس في منطقة اختصاصه ومحافظاً للعاصمة .

ثم كان أخيراً المشرف على الشئون الزراعية .

نرى من كل ما سبق مبلغ ما كانت عليه مصر القديمة من رقي ومدنية في الحضارة ، وترتيب وتنظيم في الشئون الإدارية ، ودقة ومهارة في تكييف الأمور والتصرف فيها

« عين شمس » دكتور
باهور لبيب

من أحلام الصحراء

للأديب محمد العلائى

إلى الدكتور « عزيز فهمي » :
هل تأذن لي يا أخي أن أهدي إليك هذه الصورة الوجدانية المحمومة ، وفاء لما أشعرتني به قصيدتك من رقة الشاعر ، وحنان الأخ ، وكرم الصديق

موحشٌ ذلك الظلام ، فيالي من تهاويل وحدتي وخيالي !
قذف الليل رعبه في ضميري عن يميني مخاوفٌ وشمالي
مزق الوهم خاطري . كل شيء في طريقي يَضجُ بالأهوال
مِلء نفسي كآبة ؛ وبسمعي صرخات الذئاب والأغوال
وعويل الرياح شرقاً وغرباً وهزيم الرعود فوق الجبال
والأفاعي لها هناك فحيح ينفث السم في الحصى والرمال
ووراء الكثيب جنٌ تَغنَّى بنشيد الردى ولحن الزوال
وكهوف بها جماجم موتى نبشتّها الوحوش منذ ليال
وعلى الجانبين صيحات شؤم بعثرتّها الرياح في الأدغال
حوَّم الموت واقشعرّ ضميري ها هنا مصرعي ، وذاك مآلي

* * *

أنا ياليل خائف قد تمشَّتْ رِعدة الموت في دمي وعظامي
هائم لا أطيق رجع ظنوني والردي جاثم على أوهامي
ذاهل أنطوي على صرخاتٍ مزَّقتْنِي وفزّعت أحلامي
لست أقوى على المسير ، فرأسي مائل شَلَّهُ دوار الظلام
وذراعي بجانبي ليس فيها من حراك والشوك في أقدامي
جسدي مُوجع وخلف لساني حشرجات تَرد فيَّ كلامي
وبحلقي شجىً يقطِّع أنفا سي وفي مقلتي بريق الِحمام
وبصدري مواجعٌ ألهبتها وخزات المُدى ونزع السهام
آه ! خلف الضلوع جرح سأقضي
وهو خلف الضلوع دون التئام
لم يعد غير خفقة ثم أمضي ليس خلٌّ هنا يواري حطامي

محمد العلائى
كلية الآداب

فى التصوير الإسلامى

ليـــلى والمجنون

للدكتور محمد مصطفى

— ٤ —

جعل الملوّح بن مزاحم يبحث طويلاً بين الحجاج عن ابنه « قيس » ، إلى أن ساق القدر إليه حادياً قادماً من ناحية نجد مع قافلة من الحجاج ، فأخبره الحادى أنه رأى فى طريقه شاباً ناحلاً أشعث الشعر ممزق الملابس يضرب فى البادية على غير هدى ، ولما اقترب منه وناداه فرّ هارباً واختفى فى دغل قريب راح يراقب من خلال أشواكه الحادى وما عسى أن يصنع . وعرف الحادى المجنونَ وأراد أن يجتذبه إليه كى يستنشده بعض أشعاره فرفع صوته يغنى أنشودة للمجنون يقول فيها[1] :

منى النفسِ ليلى قرّبى فاك من فمى
كما لفّ منقارَيْهما غَرِدان
نَذُق قُبلةً لا يعرف البؤس بعدها
ولا السُّقمَ رُوحانا ولا الجسدان
فكل نعيم فى الحياة وغبطة على شفتينا حين تلتقيان
ويخفُق صدرانا خفوقاً كأنما مع القلب قلب فى الجوانح ثان

واطمأن المجنون إلى الحادى حين سمعه يتغنى بذكر ليلى ، فثاب إليه رشده ، وأقبل من خلف الدغل نحو القافلة يسأل الحجاج[2] :

أحجاج بيت الله فى أى هودج وفى أى خدر من خدوركم قلبى
أأبقى أسير الحب فى أرض غربة وحاديكم يحدو بقلبى فى الركب

ولما رآه الحادى مال إليه فجلس إلى جانبه يحدثه عن ليلى ويقص عليه ما سمعه من أخبارها ، والمجنون ينصت فى شغف وشوق ، وقد هاج هذا الحديث فى نفسه ذكريات الصبا ، فصار يقاطعه بين حين وآخر لينشد ما يخطر له من أناشيد حب قالها فى حبيبته ليلى . إلى أن أقسم عليه الحادى أن ينشده أحسن ما قاله فى وصف المحاجر والأطراف والبشرة والجلد . فقال[1] :

ليالى أصبو بالعشى وبالضحى إلى خُرَّدٍ ليست بسودٍ ولا عُصل
منعمة الأطراف هِيفٌ بطونُها
كواعب تمشى مشية الخيل فى الوحل
وأعناقها أعناق غزلان رملة وأعينها من أعين البقر النجل
وأثلاثها السفلى بَرادِىُّ ساحل
وأثلاثها الوسطى كثيب من الرمل
وأثلاثها العليا كأن فروعها عناقيد تُغذَّى بالدهان وبالغَسل
وتَرمى فتصطاد القلوب عيونها وأطرافها ما تحسن الرمى بالنبل
زرعن الهوى فى القلب ثم سقينه
صبابات ماء الشوق بالأعين النجل
رعابيبُ أقصدن القلوب وإنما
هى النبل ريشت بالفتور وبالكحل
ففيم دماء العاشقين مُطَلَّةٌ بلا قَوَد عند الحسان ولا عقل
ويقتلن أبناء الصبابة عنوة أما فى الهوى يارب من حَكَم عدل



وما انتهى المجنون من أنشودته هذه حتى لمح غزالاً يقفز متحيراً فى الأفق البعيد فهب واقفاً وهو يقول[2] :

ألا يا شبه ليلى لا تراعى ولا تنسل عن وِرْدَ التلاع
لقــد أشبهتها إلا خلالا نشوز القرن أو خمش الكراع

ثم جعل يعدو خلف الغزال حتى كاد يلحق به واختفى معه عن أعين الحادى وقافلة الحجاج

* * *

خرج زياد بن مزاحم يبحث عن ابن عمه « قيس » ،

---

(١) شوقى ص ٩٩ (٢) الديوان ص ٣٠

(١) الديوان ص ١٩ — ٢٠ (٢) الديوان ص ١٣

فوجده جالساً على ربوة قريبة ، يخطط بأصبعه فى التراب ، ويحدق أمامه نحو مضارب بنى عامر على سفح جبل التوباد . ولما عرفه المجنون ناداه فجلس إلى جانبه يحدثه عن أهل الحى وأخبارهم ، وعن رجوع والده من مكة — بعد سماع قصة الحادى — حزيناً مكتئباً ، وبقى زياد عنده يستنشده الشعر ويدون ما يسمعه منه . وجلسا ذات صباح يتحدثان فظهر لهما شبح امرأة قادمة نحوهما ، ثم أخذت تقترب منهما شيئاً فشيئاً حتى تبيناها ، فإذا بها « بلهاء » جارية المجنون وكانت تحمل بين يديها قصعة بها طعام ، وقام إليها المجنون يعانقها ويقبل يديها ، وتناول منها القصعة وهو يقول[1] :

أرى صنع أمى يا زياد ، فديتها   بروحى وإن حمّلتها الهم والبَرْحا

ثم نزع عن القصعة غطاءها فوجد بها ذبيحة مشوية ، فعجب لذلك والتفت إلى زياد مستفهماً ، إذ لم يكن فى الوقت ما يدعو إلى ذلك . وسأل زياد البلهاء أن تحدثهما بخبر هذه الذبيحة ولا تكتم عنهما شيئاً من حقيقة أمرها فقالت :

لقد مرّ عرّاف اليمامة بالحِمَى   فما راعنا إلا زيارته صبحا
طوى الحى حتى جاء عن قيس سائلاً   وأظهر ما شاء المودّةَ والنصحا
ولاحت له شاةٌ جثوم بموضع   تخيلها ظلاً من الليل أو جنحا
فقال اذبحوا هاتيك فالخير عندها   فقام إليها يانع يحسن الذبحا
فقال انزعوا من جثة الشاة قلبها   فلم نألُ قلب الشاة نزعاً ولا طرحا
فلما شويناها رَقَى بعزائم   عليها وألقى فى جوانبها الملحا
وقال اطلبوا قيساً فهذا دواؤه   كأنى به لمـاْ تناوله صَحّا

وحث زياد قيساً على أن يأكل من الشاة متوسلاً إليه بقوله :

تملل قيس بالشاة   عساها تذهب الحبا
فما العراف بالمجهو   ل لا علماً ولا طبّا
طبيب جرّب اليابس   فى الصحراء والرّطبا
وتلك الأمُّ ياقيس   أطعْها تطع الرّبا

وأراد قيس أن يجامل زياداً ويتذوق شيئاً من الشاة فقال :

زياد اسمع وكن عوني   وخل اللوم والعتبا
إذا ما لم يكن بُد   فإنى آكل القلبا

وسرت بلهاء بذلك ومدت يدها إلى صدر الشاة تبحث فيه عن القلب ... ولكنها تفقدته فلم تجده ، فاضطربت وجعلت تخاطب نفسها :

القلب ! أين القلب ؟ أيـن يا تُرى وضعته ؟
ياويح لى ! نسيت أنى   بيدى نزعتـه !

وكان فى ذلك فصل الخطاب ، فرفض قيس الطعام والدواء وهو يبكى أحر البكاء ، ويقول :

وشاة بلا قلب يداوونى بها   وكيف يداوى القلب من لا له قلب

ورجعت بلهاء إلى الحى تجر أذيال خيبتها ، وروت لقومها ما حدث ؛ فاجتمعوا فى بيت الملوح يتشاورون فى أمر المجنون . ومر بهم بعض الأطباء فسأله الملوح عما يعالج ؛ فقال أعالج كل مسحور مجنون ، قال : مكانك لآتيك بابن لى يهيم فى الصحراء ؛ فخرجوا فى طلبه . فما زالوا يطلبونه حتى أحضروه وأدخلوه إلى المعالج ، وأقبل يسقيه ؛ فلما أكثر عليه المعالجة أنشأ يقول[1] :

ألا ياطبيب الجن ويحك داونى   فإن طبيب الأنس أعياه دائيا
أتيت طبيب الأنس شيخاً مداويا   بمكة يعطى فى الدواء الأمانيا
فقلت له يا عم حكمك فاحتكم   إذا ما كشفت اليوم يا عم ما بيا
فخاض شراباً بارداً فى زجاجة   وطرّح فيه سلوة وسقانيا
فقلت ومرضى الناس يسمون حوله   أعوذ برب الناس منك مداويا
فقال شفاء الحب أن تلصق الحشا   بأحشاء من تهوى إذا كنت خاليا

ثم جعل يمض شفتيه ولسانه حتى خلاه أهله . فنهض المجنون ومضى إلى ربوات جبل التوباد يسمى وراء الذكريات والسلوة . وفى (شكل ١) ترى المجنون وقد ارتمى على الأرض يقبل قدمى البلهاء التى تحاول أن تمنعه من ذلك . وهـذه الصورة[2] من مخطوط كتب فى مدينة هرات حوالى سنة ١٤٥٠م .

(يتبع)

محمد مصطفى

(١) شوقى ص ٢٩ وما بعدها

(١) الديوان ص ٦١   (٢) منقولة من : Martin, II, 62



حول لفظ « الفشل »

أجمع اللغويون على تفسير « الفشل » بالجبن والفزع والضعف، أو هو ضعف مع جبن، كما قال بعضهم . ولم يخرج مفسرو القرآن الكريم عن ذلك فى الآيات التى ورد فيها هذا اللفظ : كقوله تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا » « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » « حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر »

ولكن الكتاب لهذا العهد درجوا على استعمال « الفشل » بمعنى الإخفاق والخيبة، وأهملوا الوضع الأصلى للكلمة.

ولقد كنت نبهت على هذا الخطأ منذ بعيد فى إحدى المجلات[1]. وما كنت لأعود إليه، لولا أن رأيت فى الرسالة عدد ٥٤٥ كلاماً فى هذا الموضوع للأستاذ الجليل عباس محمود العقاد يردّ به على الشيخ الفاضل محمود أبى رية

فقد عثر الشيخ فى كتاب « عبقرية الإمام » « ببعض ألفاظ كان يقف عندها، مثل : ... وفشل ص٨١ و٩٦ و ١١٠ و ١٢٦ » قال : « هل يجوز استعمال كلمة (فشل) فى معنى أخفق وخاب ؟ »

فقال الأستاذ العقاد فى رده : أما (فشل) بمعنى أخفق فلها حكم آخر. فهذه الكلمة من الاستعمال الحديث الذى شاع حتى غطى على معنى الكلمة القديم، مع تقارب المعنيين، حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصد الآخر، لأن التراخى والضعف والخواء قريبة كلها من الحبوط والإخفاق »

وأنا أقول إن الإخفاق لا يلازم الضعف والتراخى حتما ؛ فقد يكون الإخفاق نتيجة للضعف، أو ما يدور حول الضعف من المعانى. وقد يكون نتيجة لعوامل أخرى لا تمت للضعف بصلة ؛ فقد يخفق الشجاع، وينجح الجبان الضعيف فى أمر واحد يحاولانه معاً ؛ فالضعف شىء، والإخفاق شىء آخر ولو صح هذا التقارب بين المعنيين (حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصد الآخر)، لجاز أن يطلق الإخفاق ويراد به الضعف أو ما يلابسه من المعانى، فيقال مثلاً : أخفق فلان فى كذا، أى ضعف وجبن، وهو ما لا يمكن فى اللغة

وقال الأستاذ العقاد فى دفاعه أيضاً : « وتجدد المعانى على حسب العصور سنة لا تحيد عنها لغة من اللغات، وفى مقدمتها اللغة العربية، فلو أننا أخذنا ألف كلمة من المعجم، وتعقبنا معانيها فى العصور المختلفة، لما وجدنا خمسين أو ستين فيها ثابتة على معنى واحد فى جميع العصور. وربما غلب المعنى الجديد، وبطل المعنى القديم وهو أصيل فى عدة كلمات »

« خذ مثلاً كلمتى الجديد والقديم، وكيف ظهرا، ثم كيف تحولا[1] إلى الغرض الذى نعنيه الآن. فالثوب الجديد هو الثوب الذى قطع حديثاً من (جدّه) فهو جديد أو مجدود. وكانوا يقطعون المنسوجات عند شرائها كما نقطعها اليوم ؛ فيسمونها جديدة من أجل ذلك »

« ثم نسيت كلمة (الجديد) بمعنى المقطوع ؛ فلا ينصرف إليها الذهن الآن إلا بتفسير أو تعيين. وأصبحنا نعبّر بالجدّة عن أمور لا تقطع ولا هى من المحسوسات. فنقول (المعنى الجديد) و (الفكر الجديد)، وما شابه هذه الأوصاف[2] ثم ساق الأستاذ أمثلة أخرى لهذا من اللغة المأثورة، وشرح تطور المعنى فيها وتحوله[3]

وأنا أقول إن هذا قياس مع الفارق. فإن العرب هم الذين استعملوا « الجديد » - مثلاً - فى المعنى الأصلى وما تفرع عليه بعد ذلك من المعانى، للعلاقة التى شرحها الأستاذ، تجوزاً سائغاً.

(١) أذكر أنى أسمعت شيئاً ما فى هذا التنبيه، ولكنى الآن أعود إلى موقف التشدد.

(١) هكذا وهو سهو

(٢) فى قوله : (وأصبحنا نعبر بالجدة. الخ) شىء من التسامح فى التعبير، إذ العرب هم الذين عبروا من قبل. وكذا يقال فى قوله بعد ذلك « وقد نسى الناس (كتب البعير) بمعنى قيده، وأطلقوها اليوم على الخط فى الورق.

(٣) راجع ص ١٨٣ من الرسالة

وهـذا ديدنهم فى المجاز والاستعارة يلحون العـلاقة والمناسبة بين المعنيين ، فيستعيرون لفظ المعنى القديم للمعنى الجديد[1] ؛ فتفرعت اللغة بهذا واتسعت ، وتحولت المعانى ، وتولد بعضها من بعض ، حتى عادت المعانى المجازية أضعاف الحقيقية الأصلية

فالأستاذ العقاد جاء بأمثلة من المعجمات ليشرح بها هذا التحول المجازى ، المنبعث من مقتضيات التطور الطبيعى فى الأمة على ممر العصور

ولا كذلك نرى الحال فى لفظ (الفشل) : فهذا لفظ سَـلِمَ لنا بمعناه كاملاً ، لم يتحول ولم يتطور . وصان هذا المعنى القرآن الكريم . ثم تنقل فى العصور هكذا ، عصراً بعد عصر ، حتى إذا كان عصرنا هذا أخطأ فى فهمه الناس ، وتناقلوا هذا الخطأ ، وثبتوا عليه ، ثم تلمسوا له المعاذير[2]

فليس تحوّله من معناه الوضعي إلى المعنى الفاشى الآن خاضعاً لسنّة التطور الطبيعى التى تخضع لها اللغات جميعاً وإنما هو وليد الخطأ فى الفهم

وليس معنى هذا أنه يمتنع التجوز فى هذا اللفظ على الإطلاق وإنما ندّعى هنا — كما أسلفنا — انعدام التقارب بين الإخفاق والضعف — على الوجه الذى قرره الأستاذ — ومن ثَمّ ننكر « أن يحمل أحدهما قصد الآخر »

ثم نحا الأستاذ فى دفاعه منحى آخر فقال :

على أننى حين استعملت كلمة (فشل) لم أكد أخرج بها عما اصطلح عليه الأولون ؛ فقلت : (يحاول الغلبة من حيث فشل) ولو جعلت « فشل » هنا بمعنى ضعف ، لكانت مقابلة للغلبة أحسن مقابلة »

ثم ساق عباراته الثلاث الباقية التى استعمل فيها كلمة (الفشل) وأولها على هذا النحو

ولكنّا إن أسَـغْنا فهم (الفشل) فى هـذه العبارة بمعنى الضعف ، فكيف يمكن أن نسيغه فى قوله : « ولا طائل فى البحث عن علّة هذا الخذلان الصريح ، أكان هو الطمع فى الملك بعد فشل على ، أم النقمة على الأشتر »

(١) كما هو شأن غيرهم فى سائر اللغات

(٢) كما حدث فى كثير من الكلمات الشائعة الآن فى أقلام الكتاب حتى ملية منهم . ولكنهم يطرقون فى تسويغها أبواب المجاز ودون المجاز « تحفظات » لا تخفى عليهم . فليس كل مجاز مقبولا ، ولا كل استعارة معقولة . وإنما يلجأ إلى المجاز لغرض بلاغى .

أو فى قوله :

« منى بالفشل ، لأنه عمل بغير ما أشار به أصحاب الدهاء »

أو فى قوله :

« ولكنها خطة سلبية لا يمتحن بها رأى ولا عمل ، ولا ترتبط بها تجربة ولا فشل »

أترك هذا الحكم القراء ولذوقهم

هذا ما عنانى من مقال الأستاذ الجليل ، علّقت عليه بما عن لذهنى الكليل

وبعد فليس من التزمت فى شىء أن نحارب أوضاعاً واستعمالات ليست من صميم اللغة الصحيحة ، ولا هى مما يُخرَّج تخريجاً مجازياً مقبولاً

وليس من التزمت فى شىء أن نعمل على أن نفهم لغة الفصحاء ، وكلام الله تعالى على الوجه الصحيح .

(ا . ع)

١ — هل عرفنا المؤلف

كان العلامة الأمير شكيب أرسلان نشر كتاب (محاسن المساعى فى مناقب الإمام أبى عمرو الأوزاعى) غفلاً من اسم مؤلفه وقد رأيت فى الجزء الثانى من (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى) فى ترجمة احمد بن محمد المعروف بابن زيد أن له تأليفاً بهذا الاسم عينه ، ثم رأيت فى فهرس دار الكتب المصرية مخطوطة بهذا الاسم نفسه منسوبة إلى الحافظ احمد بن على بن حجر العسقلانى

وابن زيد المذكور معاصر لابن حجر وممن سمع عليه بدمشق كما يقول السخاوى . فلو كان له تأليف بهذا الاسم لعرف ذلك ابن زيد فسمى كتابه باسم آخر ، ولما خفى ذلك على السخاوى — وهو التلميذ الملازم لابن حجر وأعرف الناس بمؤلفاته — فيشير إليه فى ترجمة ابن زيد على احتمال اتفاقهما فى الاسم ولعل الاطلاع على مخطوطة الدار تؤيد ما أذهب إليه .

٢ — أول غلط

قال (الأستاذ الجليل) الناقد المحقق فى كلمته القائمة عن (لامية شمية بن غريض) — فى العدد ٥٥٢ من الرسالة — : وروى الإمام المرزبانى فى « معجم الشعراء » لشمية مقطوعة ختامها هذا البيت :

وأجتنب المقاذع حيث كانت وأترك ما هويت لما خشيت

والصواب أن راوى المقطوعة هو الإمام الآمدى فى كتابه « المؤتلف والمختلف » وسبب غلط الأستاذ هو أن الكتابين « المعجم والمؤتلف » مطبوعان معاً فى مجلد واحد .

عدنان ...

أدبى أدب حق

وصل خطاب من السودان يدعونى فيه كاتبه إلى أن أصحح ماينسب إلىَّ فى بعض الجرائد والمجلات من الخروج فى كتاباتى عما ألف الناس فى دنيوات التقاليد ، لئلا يؤذينى ذلك التجريح

وأقول إنى لا ألتفت إلى ما يُكتب عنى ؛ ولا أدير بالى إلى خصومى ، لأنهم لا يصلحون للحكم فى قضية الأدب الرفيع

الأدب ليس مناحة تقام فى أحد الميادين على موت الأخلاق ، كما يفعل المرتزقون باسم الأخلاق ، وإنما الأدب هو الفهم لأسرار الوجود والتعبير عن أسرار الوجود ، بأصرح عبارة وأصدق بيان

إن كان فى الدنيا من يبكى على الأخلاق فسأكون أول الباكين على الأخلاق

كان قلمى الرائد لحرية الفكر والرأى ، وما رأيت إنساناً يتناوشنى بقلمه إلا تذكرت أن لى فى عنقه ألف جميل وجميل ، وإن كان الحزن يعصر قلبي حين أتذكر أن المنتفعين بأدبى لم يتخلقوا بأخلاقى ، فقد كنت أحب أن يصيروا إلى ما صرت إليه من الاستغناء بالله عن الناس

لأ كثر الخلائق فى هذا العصر سناد ، وأنا وحدى بلاسناد ، لأنى أعتمد على صاحب العزة والجبروت ، أعتمد عليه أدباً لا خوفاً ، لأنى آمن غضبه على أرباب القلوب

أدبى هو الأدب الحق ، فليبك ناس على أنفسهم لأنهم زوروا عواطفهم وسخروها لخدمة الفانين بصورة ملفوفة لا تزيد فى قوتها عن ثوب الرياء .

زكى مبارك

إصلاح تطبيع

فى المقالة « لامية شعبة بن غريض » : الربيع بن الخفيق وهو الربيع بن الحقيق .

12 me Année No. 554 — Lundi - 14 - 2 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٥٤ « القاهرة في يوم الإثنين ١٩ صفر سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٤ فبراير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

١٤١	من مآسي هذه الحرب ...	أحمد حسن الزيات ... ...
١٤٣	الرغيف	لأستاذ جليل ... ...
١٤٥	أخبار أبي تمام	الدكتور زكي مبارك ... ...
١٤٧	كتاب الذخيرة	الدكتور عبد الوهاب عزام
١٤٨	نقد على محمود طه	الأستاذ دريني خشبة ... ...
١٥١	الطبيعة توحي والشاعر ينطق	الأستاذ محمد عبد الغني حسن ...
١٥٣	من إعجاز القرآن	الأستاذ محمد أحمد الغمراوي
١٥٤	أحزان الوحدة [قصيدة]	الأديب عبد الرحمن الخميسي
١٥٥	جبل بثينة	الأستاذ عبد القدوس الأنصاري
١٥٥	(١) بين حمدة والمنازي	الأستاذ برهان الدين الداغستاني
١٥٦	(٢) قيس لبنى وعبد الله بن عبد الله بن عتبة	الأستاذ برهان الدين الداغستاني
١٥٦	الشيخ محمد عياد الطنطاوي	الأستاذ سعيد الأفغاني ...
١٥٦	إلى الأستاذ قدري طوقان	الأستاذ إبراهيم السيد عجلان
١٥٦	إستدراك	الأستاذ محي الدين السامرائي
١٥٧	جبلة تحت ظلال الأرز [قصة]	الأستاذ حلمي مراد ... ..

من مآسي هذه الحرب

أجل، هي مأساة من مآسي هذه الحرب وإن وقعت في قرية صغيرة لأسرة فقيرة. فلا تقل أين (منصور جراد)(١) من (استالين جراد)، ولا أين خمسة نفر أهلكهم الجوع من ملايين طحنتهم رحاً عرض شِقَّيها كعرض السماء والأرض؛ فإن الموت في معركة الدبابات، كالموت في معركة الزهور. والشقاء الذي يكرُب أنفاس أسرة، هو بعينه الشقاء الذي يفدح كواهل أمة. والموت لا يقاس أثره باتساع ميدانه وانتشار مداه ما دامت الجماعة لا تحسه إلا إحساساً جزئيًّا في كل فرد منها. والفرد مهما قوِيَ شعوره لا يدرك من بحيرة السم غير القطرة التي تسري فيه، ولا من أطنان القنابل غير الشظية التي تفتك به

* * *

ما أظنك نسيت صديقنا الشيخ منصورا ومواقفه الجريئة من أصحاب الضياع والألقاب، أيام الانتخاب لمجلس النواب؛ فقد كان في جُرأة قلبه وعزة نفسه مثَل الفلاح المؤمن بعظمة الله وكرامة الإنسان وحقارة الدنيا؛ وكان كما علمتَ من وصفي إياه قد تعاظمت في نفسه الحرية حتى احتقر المالك، وألحت على

(١) جراد معناها بالروسية بلد أو مدينة؛ فاستالين جراد: مدينة الزعيم ستالين، ومنصور جراد من باب المشاكلة بلد الشيخ منصور

جسمه السلامة حتى سئم العافية ، ونفرت عن قلبه الهموم حتى ألف السعادة

هذا الرجل الذى كان شخصه يتميز فى الزحام من بُعد ، قد استسرَّت علىَّ معرفته وهو أمامى ! لقد ذوى ذلك المحيّا النضر ، وتهدم ذلك الجسد الوثيق ، وتخدد ذلك العضل المكتنز ، وتجرد ذلك الهيكل الريان ، حتى ليخفق جلبابه على ألواح !

لقد انقطع علمُ ما بينى وبينه منذ دهر طويل ، وكان آخر العهد به لقاء ضاحك فى بعض قرى الريف وهو على حاله تلك من الوثاقة والطلاقة والصحة ؛ فلما علم أنى قدمت المنصورة فى هذا الأسبوع جاء يزورنى متحاملاً على نفسه . فلما أقبل علىَّ أنكرته أول ما رأيته ، ثم لم ألبث أن عرفته بما بقى من سيماه على وجهه . فصافحته وأحسنت لقاءه ؛ ثم دعوته إلى الجلوس فسقط بجانبى على الكرسى كما يسقط كيس من العظام على الأرض . وعقل الدهش لسانى فلم أسأله عن أمره . وحدس هو مايعتلج فى نفسى من الخواطر فقال بصوت غير صوته ، ولهجة غير لهجته :

— لعلك ظننتنى خارجاً من المستشفى ، أو بالحرى مبعوثاً من القبر ! ليت ما بى كان المرض ، فقد يكون للمرض دواء ! وليت ما بى كان الموت ، فقد ينحسم بالموت الداء ! إنما هو جسم يذوب فى نار من الهم لا تخبو ، وروح تزهق فى حشرجة من الكرب لا تنقطع !

— إذن أنت يا صديقى حزين ؟

— إذا كان لفظ الحزن يعبر عن هذا الذوبان الدائم وذلك الاحتضار المتصل فأنا حزين

— هل فقدت عزيزاً عليك ؟

— لقد فقدت كل عزيز علىَّ !

وهنا خانه الجلد فلم يستطع المسكين أن يملك دمعه . فلما هدأت نفسه وراجعه صبره قال :

— أنا فى حياتى ما شكوت ولا رجوت ، ولكن الخطوب التى قوّضت ركنى وسوّدت حياتى هى التى أكرهتنى على أن أشكو وأرجو ؛ وذلك وحده خطب الخطوب

كان ذلك فى شتاء سنة ١٩٤١ ، وكان لى عامئذ زوجة مخلصة وابنة عزيزة وثلاثة شباب بررة . وكنا نحن الستة ، ومعنا بقرتنا العاملة الحلوب ، وحمارنا الفاره الدءوب ، وكلبنا الحارس الأمين ، لا نفترق ولا نختلف ، ولا نرى الدنيا إلا فى بيتنا وحقلنا ، ولا نجد اللذة إلا فى لباسنا وأكلنا . فإذا جار المالك علينا فى القسمة ، عدل الله فينا بالعوض . وإن جرى القضاء علينا بما نكره ، انتهى الصبر بنا إلى ما نحب . حتى أزمت هذه الحرب الناس ، فضاق الرزق ، وامتنع الوارد ، وارتفعت البركة ، وفشا المرض ، وأعوز الداء ، واختزن الملاك ما تنبت الأرض ، واحتكر التجار ما تجلب السوق ، ففحش الغلاء ، وطُفِّف الكيل ، حتى أصبح الأجير يعمل الأسبوع كله ليشترى كيلة من الذرة إذا وجدها . ثم قضت سياسة التموين أن تشترى الحكومة مقداراً من القمح مفروضاً على كل زارع . وقضى الله الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ألاّ تزيد غلّة أرضى على حصة الحكومة عندى ، فنقلت على حمارى ما فى الجرن إلى بنك التسليف ؛ وحجز المالك ثمن القمح استيفاء لبعض إيجاره ، فخرجت صفر اليدين من النقد والحب ، فلا فى الجيب ولا فى المخزن . ولكننا يا سيدى أحياء ؛ والحى لا مناص له أن يأكل . فقمت أنا وزوجتى وابنتى على زراعة الأرض ورعى البقرة ، واشتغل بنىَّ الثلاثة أجراء عند الناس ، فكنا نجمع أجرتهم فى كل ثلاثة أيام لنشترى بها كيلة واحدة . وماذا تصنع الكيلة من غير إدام فى ثلاثة أيام لستة أفواه ؟

على أن هذه الحال لم تدم ، وليتها دامت ! فقد نفدت الحبوب من القرية ، وحُرِّم على الناس نقلها من بلد إلى بلد ، فكنت أقبض أجرة أولادى فى المساء ، ثم أذهب إلى المنصورة فى الصباح ، فأشترى بها من الخبز المخلوط ما لا يسمن ولا يشبع . وعلى هذا النمط النابى من سوء العيش قل الغذاء ، وكثر العمل ، وبلى الثوب ، وانسخ الجسد ، واعتلت الصحة . ووفدت على القرية حمى التيفوس فلم تجد مناعة فى جسم ، ولا وقاية من نظافة ، فأودت ببنىَّ الأربعة واحداً بعد واحد . ونجت منها زوجتى لتندبهم فى الثواكل حتى لا يترك أولادى الحياة من غير عرس ولا مأتم .

ثم أمعن القدر فى ابتلائه : فانتشر فى الماشية وباء التسمم الدموى ، فنفقت البقرة ، وهلك الحمار ، وأصبحت الدار والحمد لله خلاء مما صاى وصمت ! أما بقية القصة فإنك تقرأها الآن فى وجهى . وإذا جاز أن يكون لمثلى بعد ذلك رجاء ، فإنى أرجو من الله الموت ومنك الكفن ! . . .

احمد حسن الزيات

الرغيف

لأستاذ جليل

الرغيف فرزدقاً[١] كان ، أو كان من السميذ الحُوّارى[٢] هو معضلة العالمين كلهم أجمعين منذ أن نجم الكائنان الأولان اللذان سماهما الأستاذ الأكبر (إرنست هيكل) :

« Protiste, monére »[٣]

ومنذ أن ظهر آدم ونوح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

فلهذا الرغيف يعمل العاملون ، ولهذا الرغيف يخاطر المخاطرون ، ولهذا الرغيف يتقاتل هؤلاء المتقاتلون ، ولهذا الرغيف يصنف العلماء ويخطب الخطباء ويكتب الكاتبون

« ما صنف الناس العلوم بأسرها إلا لحيلتهم على تحصيله »

ومن كان لا يقبل « المقالة » إلا ومعها الشاهد والمثل وبيت الشعر فليستمع إلى هذه الأحاديث « الأماليح الأفاكيه » وليكن لها من الواعين ، فإنها من عيون الأحاديث أو أعيانها[٤] كما يريد موهوب الجواليقى

* * *

* في مجمع الأمثال للميداني :

لولا الخبز لما عُبد الله[٥]

* في « برد الأكباد في الأعداد » للثعالبي :

(١) الفرزدق : الرغيف يسقط في التنور ، وفتات الخبز ، قال اللسان : أصله في الفارسية برازده ، والمجد في قاموسه يقول : أو عربى منحوت من فرز ودق لأنه دقيق أفرز منه قطعة ، وقول المجد غير مجد ..

(٢) السميذ والحوارى : لباب الدقيق وأجوده وأخلصه

(٣) يراجع في شرح هذين اللفظين العلامة الأستاذ إسماعيل مظهر

(٤) قال في (شرح أدب الكتاب) : عيون الحديث مختاره ، وقد عيب ذلك عليه ، وقيل : الصواب أن يقال أعيان الحديث ، (قلت) قول ابن قتيبة صحيح ، وقلما استعمل (أعيان الحديث) أديب

(٥) قالوا : إن كان جواب لولا مثبتا قرن باللام غالباً ، وإن كان منفياً بما تجرد عنها غالباً ، وإن كان منفياً بما لم يقترن بها (قلت) ربط المنفي بما باللام في الشعر والنثر أكثر من الكثير.

أبو الدرداء الكلوذاني : الدنيا تدور على ثلاث مدورات : الدينار ، والدرهم ، والرغيف

* في « فتوح البلدان » للبلاذري :

قال كثير بن شهاب يوما : يا غلام ، أطعمنا ، فقال : ما عندي إلا خبز وبقل .

فقال : ويحك ! وهل اقتتلت فارس والروم إلا على الخبز والبقل ؟

* في (الفتوحات المكية) لابن عربي :[١]

إذا عاينت ذا سير حثيث فذاك السير في طلب الرغيف
له صلوا وصاموا واستباحوا دم الكفار والبَرِّ العفيف
له تسمى الطيور مع المواشى له يسعى القوى مع الضعيف

* في (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) للثعالبي :

قال خلف الأحمر : كنت أرى أنه ليس في الدنيا رقية أطول من رقية الحية ، فإذا رقية الخبز أطول منها . يعنى ما يتكلفه الإنسان من النظم والنثر والتآليف والخطب لطلب المال

* قال الشافعي :

لا تستشيروا أحداً لا يكون في بيته دقيق ؛ فإن عقله زائل

* حكى عن محمد صاحب أبي حنيفة قال : كنت ذات يوم جالساً وكتب الفقه مطروحة أؤلفها ؛ فجاءت خادم إليّ وقالت : قد فنيَ الدقيق ، فذهب عن خاطرى خمس مئة مسألة مما كان نصب عيني وأردت إيداعها الأصول ، فما ذكرت منها شيئاً بعد ذلك

* في « نهاية الأرب » للنويري :

قال جعفر الكاتب : قال لى ابراهيم بن سيابة الشاعر : إذا كانت في جيرانك جنازة[٢] وليس في بيتك دقيق فلا تحضر

(١) نفح الطيب كان بالمغرب يعرف بابن العربي بالألف واللام واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام فرقاً بينه وبين أبي بكر ابن العربي

(٢) في هذه الكلمة وأصلها وفتح جيمها وكسره أقوال كثيرة : في اللسان والتاج : قد قيل هو نبطى . وفي اللسان : الجنازة بالكسر الميت بسريره وقيل بالكسر السرير وبالفتح الميت . قال الفارسي لا يسمى جنازة حتى يكون عليه ميت وإلا فهو سرير أو نعش

في الجمهرة : جنزت الشيء أجنزه جنزاً إذا سترته وزعم قوم أن منه اشتقاق الجنازة ولا أدرى ما صحته

الجنازة ؛ فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم ، وبيتك أولى بالمأتم (١) من بيتهم

* فى ديوان « ابن هانئ الأندلسي » :

ولذا صار كل ليث هِزَبْرٍ قانعاً من زمانه بالرغيف

* فى شرح النهج لابن أبى الحديد :

لولا ثلاث لم يسلل سيف : سلك أدق من سلك ، ووجه أصبح من وجه ، ولقمة أسوغ من لقمة

* فى كامل المبرّد :

كان مالك بن أنس يذكر « قلت : أربعة من عظماء هذه الأمة » فيقول : والله ما اقتتلوا إلا على الثريد الأعفر (٢)

* سمع جحظة قول الشاعر :

وإذا غلا شيء علىّ تركته فيكونُ أرخص مايكون إذاغلا

فقال :

إلا الدقيق فإنه قوت لنا فإذا غلا يوماً فقد نزل البلا

* فى شرح النهج لابن أبى الحديد :

توصل عبد الله بن الزبير إلى امرأة عبد الله بن عمر فى أن تكلم بعلها عبد الله فى أن يبايعه . فكلمته فى ذلك ، وذكرت صلاته وقيامه وصيامه فقال لها : أما رأيت البغلات الشهب (٣) التى كنا نراها تحت معاوية بالحِجر (٤) إذا قدم مكة ؟

قالت بلى

قال : فإياها يطلب ابن الزبير بصومه وصلاته

* فى مقامات الهمذانى :

ساخف زمانك جداً إن الزمان سخيفٌ

وقل لعبدك هذا يجيئنا برغيف

* * *

(١) المأتم : شرحه طويل وقد غلب عند العامة على المصيبة والناحة . فى التاج : قال أبو بكر : العامة تغلط فتظن أن المأتم النوح والنياحة ، والمأتم النساء المجتمعات فى فرح أو حزن . قال ابن برى : لا يمتنع أن يقع المأتم بمعني المناحة والحزن والنوح والبكاء لأن النساء لذلك اجتمعن

(٢) العفرة بياض ليس بالخالص ، والأعفر : الثريد المبيض

(٣) فى المصباح : الشهبة أن يغلب البياض السواد ، وبغل أشهب وبغلة شهباء .

(٤) الحجر اسم الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربى .

لما فتحت العرب بلاد فارس ، ورأت مالم تكن عين عربى قد رأت ، وذاقت الطعام اللذ الشهى (الدجاج السمين بكسكر (١) والزجراج (٢) بالسمن والسكر) (الشواء الرشراش والفالوذ الزجراج (٣)) قال عربى وقد طعم الفالوذ : والله لو لم نقاتلهم إلا على هذا لقاتلناهم عليه . وقد أمسى القوم بعد ذلك شوالقيين (٤)

ومن العجيب — بل ليس من العجيب — أن هذا (الرغيف) قلما يقتنصه المرء حلالاً . ولذلك قال الحسن البصرى : لو وجدت رغيفاً من حلال أحرقته ثم سحقته ، ثم جعلته ذروراً (٥) لأداوى به المرضى (٦)

(* * *)

(١) كسكر : بلد بسواد العراق ينسب إليها الدجاج الكسكرى

(٢) الزجراج : الفالوذ الذى يترجرج ، والقول فى كلام الزمخشرى فى مقاماته .

(٣) فى كلام أبى بكر الخوارزمى

٤) الشوالق : المحب للحلاوة اولع بها

ومن الأحاديث الموضوعة : (المؤمن حلوى والكافر خمرى) ، قال الحافظ بن حجر : لا أصل له (كشف الخفاء جـ٢ ص ٢٩٢

(٥) الذرور : ما يذر فى العين وعلى القرح من دواء يابس

(٦) فى كتاب كتمان السر وحفظ اللسان للإمام الجاحظ : قال عمرو ابن عبيد : أعيتنى ثلاث خلال : ترك ما لا يعنينى ، ودرهم من حله ، وأخ إذا احتجت إلى ما فى يديه بذله لى .

تطبيع فى لطافات ريحانه

جاء (الدوارين العامة) وهى العامية ، و (إلى أن ترزق حتى) وهى إلا و (أعمارها عدد أعمارهم) وهى بدة .

مسابقة الأدب العربي

٢ - أخبار أبي تمام

للدكتور زكي مبارك

أقول مرة ثانية ، وسأقول ألف مرة ، إن هذا الكتاب شغلني وألهاني عن المهم من شؤوني ، ولو كان الورق موجوداً على نحو ما كان قبل الحرب لرجوت وزير المعارف أن يشير بتوزيعه على جميع التلاميذ ، ليخلق فيهم الإيمان بالأدب ، وليشعرهم بقوة الروح عند أسلافنا الأمجاد

وقد كتب الأستاذ الجليل إسعاف النشاشيبي مقالا عن هذا الكتاب في مجلة الرسالة في أعقاب ظهوره ، فليراجع الطلبة مجموعات الرسالة[1] بمكتبات المدارس الأميرية لينتفعوا بمحصول ذلك المقال

مدرسة أبي تمام

نواجه الموضوع بعد تردد وتهيب ، لأنه أخطر من أن يدرس بمثل هذه السرعة في الدرس ، ولأن أبا تمام أعز من أن نطوف بأشعاره متعجلين

كانت النية أن أؤلف كتابا عن عبقرية أبي تمام بعد كتاب عبقرية الشريف الرضيّ ، ولهذا حججت إلى قبره بالموصل لأسلم عليه ، فعليه وعلى روحه الفنان ألف تحية وألف سلام !

وهل أنسى ما صنعتُ مع هذا الشاعر قبل سنين تزيد على العشرين ؟

أنا أذكر أن في كتاب البدائع حديثاً هو عتاب على الحكومة العراقية في اهتمامها بقبر أبي تمام ، وإغفالها نشر ديوان أبي تمام بصورة تليق بمكانته في التاريخ الأدبي

ويظهر أني أقول أكثر مما أفعل ، فقد مضت أعوام ولم أؤد الواجب نحو هذا الشاعر العظيم ، فلم يبق إلا أن أرجو مدير جامعة فاروق الأول أن يعفي الأستاذ محمد عبده عزام من التدريس سنة أو سنتين ليصحح ديوان أبي تمام تصحيحاً يرفع عنه آصار اللبس والتحريف

ولأبي تمام علينا حقوق ، فقد نشأ بمصر ، وتنسم هواء الفسطاط ، وسمع من علماء مصر بجامع عمرو ما سمع ، فنبغ روحه نبوغا سيبقى على الزمان إلى أبعد الآماد

وأين الموضوع الأصيل ؟

أراني أهرب من مواجهته ، كأنه فوق ما أطيق !

أنا أريد أن أقول إن لأبي تمام مدرسة شعرية ، وهي المدرسة الثانية في الأدب العربي ، وهي أوضح من المدرسة الأولى ، والكلام هنا مقصور على العهد الإسلامي ، أما العهد الجاهلي فله مدرسة يختصم في رياستها شاعران عظيمان ، هما زهير ولبيد ، ومع احترامي لزهير صاحب الحوليات فأنا أعتقد أن معلقة لبيد هي أعظم قصيدة جاد بها الروح العربي ، وأنا أتعجب من أن يتناسى مؤرخو الأدب منزلة لبيد مع أنه أعظم من امرئ القيس بمراحل طوال

أترك هذا الاستطراد وأذكر أن المدرسة الأولى في العصر الإسلامي كان فيها فصلان أساسيان : أحدهما خاص بالثورة على الأخيلة البدوية بإشراف أبي نواس ، وثانيهما خاص بالفن الشعري بإشراف بشار ، وهو أعظم الفنانين بين القدماء

ولا موجب للنص على منزلة مسلم بن الوليد ، فهي أوضح من أن تحتاج إلى إيضاح ، فقصيدته الدالية هي أشرف ما جاد به عصر بشار وأبي نواس

ومسلم بن الوليد هو الصورة التي تأثر بها أبو تمام ؛ فقد حدثنا الأستاذ محمد المهدي في محاضراته بالجامعة المصرية أن أبا تمام وضع المصحف بين يديه وأقسم أن لا ينال طعاماً ولا شراباً إلا بعد أن يحفظ ديوان مسلم بن الوليد

ومن مجد مصر أن ديوان هذا الشاعر نشر أول مرة في مدينة دمياط

أبو تمام العربي

أراد ناس أن يشككوا في عروبة أبي تمام ، ومنهم

(١) السنة الخامسة ، العدد ٢٢٥ ص ١٧٥٦ ، والسنة السادسة العدد ٢٣٥ ص ٣٩

الدكتور طه حسين ، والدكتور طه رجل منصف ، ولهذا أرجوه أن يسمع حديثى

التشكيك فى نسب أبى تمام بدعة قال بها المتأخرون من المستشرقين ، وهى بدعة لا تستند إلى أى برهان ، فقد أجمع القدماء على أن أبا تمام هو الطائى الأول وأن البحترى هو الطائى الثانى

أبو تمام العربى هو رئيس تلك المدرسة الشعرية ، وهو الرئيس الذى عجز عن مجاراته ابن الرومى

شعر العرب للعرب ، فما ابن الرومى وما شعره وقد عجز عن الظفر بالموسيقا الشعرية ؟

أبو تمام العربى هو رئيس المدرسة الثانية فى العصر الإسلامى ، وقد جلجل شعره وصلصل ، وامتد صوته إلى آفاق يعجز عن اجتيازها الخيال

وأبو تمام مظلوم أقبح الظلم فى هذا الزمن الظلوم ، فقد قال أحد الناس إن شعره من رأسه لا من قلبه ، وقال آخرون إن شعره خال من تعدد الألوان

والحق كل الحق أن فن أبى تمام جنى عليه ، فقد تصوره بعض بنى آدم رجلاً لا يحسن غير التنميق ، مع أن صياغته الروحية تفوق صياغته الفنية ، ومع أن معانيه فوق ألفاظه بمراحل بعيدة ، وإن اشتهر بزخرفة الألفاظ

هذا الرجل زلزل معاصريه وأوقعهم فى فتن دامية ، ولم يمت إلا بعد أن صرع خصومه وأرداهم أعنف إرداء

حدثنا الأستاذ محمد المهدى فى محاضراته بالجامعة المصرية أن أبا تمام أخمل ثلثمائة شاعر فى زمانه بلا قصد وبلا نية ، لأنه كان نصيراً لجميع الشعراء ، فما قال قائل إن هذا الشاعر العظيم وجه إلى أحد معاصريه أى إيذاء ، لأنه كان غنياً بفضله كما قال أستاذنا محمد المهدى

وروح أبى تمام خلق دولة من الأدب ، ولعله السبب فى قتل الشريف الرضى وأبي الطيب المتنبى ، فقد أراد هذان الشاعران أن يخملا اسمه بجهود عنيفة لا يستطيعها إلا من يكون فى مثل قوة الرضى والمتنبى

وأنا متردد فى الفصل بين هؤلاء الشعراء ، فالشريف الرضى كانت له غاية واضحة هي السيطرة على الخلفاء فى بغداد ، والمتنبى كان يريد أن يظفر بمكانة فى الديار المصرية ، كأن يكون خليفة دعبل فى مدينة أسوان

لم يلتفت أبو تمام إلى شىء من أعراض الدنيا الفانية أو الباقية ، وإنما التفت إلى الفن الشعرى ليرقم اسمه فوق جبين الخلود

أبو تمام مظلوم ، فما التفت أحد إلى شعوره بالحياة ، ولا عرف أحد أن اهتمامه بالألفاظ لا يقاس إلى اهتمامه بالمعانى

والجاهلون من مؤرخى الأدب العربى لا يعرفون إلا سمة واحدة من سمات أبى تمام ، وهى غرامه بالزخرف اللفظى ، مع أنهم سمعوا أنه كان من رجال المعانى ، بدليل أنه صنّف « ديوان الحماسة » تصنيفاً يشهد بأنه من أصحاب الأذواق .

إلى طلبة السنة التوجيهية

أنا تعبت فى توجيهكم يا أبنائى ، ولا يعزّينى إلا الشعور بأنكم ستنتهبون جوائز وزارة المعارف

هذه المقالات هى المفتاح للخزانة التى يحرسها جنود صناديد ، وقد كسرت تلك الخزانة بيدى لأقدم إليكم أسئلة الامتحان ، ولوزير المعارف أن يعاتبنى على إذاعة أسئلة الامتحان

تذكروا ثم تذكروا أنكم ستُسألون عن مدرسة أبى تمام الشعرية ، وأنكم ستُسألون عن العصر الذى عاش فيه أبو تمام ، وأنكم ستُسألون عن شعور أبى تمام بروح الوجود

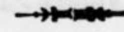
لا تخافوا من الأسئلة ولا من الأجوبة ، فالمصححون آباؤكم الروحيون ، وهم سيفرحون بالقليل من الصواب ، ولو جاء فى سطرين اثنين

ووزارة المعارف تنتظر من ينهب جوائزها الغالية ، فانهبوها لتفرح بكم ، كما فرح الطائر الذى تحدث عنه ميسيه فى إحدى قصائده الخوالد . إنهبوا وزارة المعارف ، انهبوها ، فهى تشتهى أن تنهبوها ، وما تحب وزارة المعارف إلا أن يكثر الطامعون فى جوائزها الغالية .

زكى مبارك

كتاب الذخيرة

للدكتور عبد الوهاب عزام



أخي الأستاذ محمد عبد الغني حسن

اطلعت في مجلة الرسالة على مقال الأستاذ عن كتاب الذخيرة الذي تخرجه كلية الآداب

وإني أبدأ بالاعتذار عن تأخير جواب الأستاذ حتى اليوم. وعذري أني اطلعت على مقاله وأنا على أهبة السفر إلى فلسطين. فاضطررت إلى إرجاء الإجابة حتى أعود إلى مصر. وعدت مستقبلاً أشغالاً متتابعة هوّنت على نفسي هذا التقصير وليس بهين.

وأثني بشكر الأستاذ شكراً مضاعفاً على كلمته في المقتطف وكلمته في الرسالة، إذ أثنى على ناشري الكتاب وحمد لهم عملهم وأحسن الظن بهم

وأثلث بأني عند ظن الأخ سمة صدر للنقد، وارتياحاً للحق. وأن للناقد الفاضل عندي جزاءه من الثناء والشكر بما اهتم بالكتاب، وقرأه قراءة مدقق، ثم أهدى إلينا ثناءه وعرفنا مآخذه. ونحن ما عشنا طلاب علم و « إنما العلم عند الله ».

وقد لقينا نصباً في قراءة الخطوط المغربية المختلفة، ومقابلة النصوص المحرّفة؛ وكنا ندرك بعض خفاياها أحياناً بضرب من الإلهام.

وبعد فأكثر هذه المآخذ كما يعلم الأستاذ زلات طبع. والأخ من أخبر الناس بها. ولي حديث عنها سيقرؤه إن شاء الله في مقدمتي لديوان أبي الطيب المتنبي الذي سيخرج للقراء عما قليل. وأحسب الأستاذ قد تنبه إلى أن كلمته في الرسالة لم تخل من هذا التحريف المطبعي. فقد وقع فيها دُوَنِ، والصواب فتح النون. ووقع فيها ص ٢٣٦، والصواب ٣٣٦

وقد أكثر الغلط المطبعي فضول في الشكل، وذلك أن الأستاذ المستشرق الذي شاركنا في فاتحة العمل قال: إن المستشرقين يصعب عليهم أن يقرأوا الكلام غير المشكول فلا بد أن يُشكل الكتاب شكلاً كاملاً، ورأيت أنا من بعدُ ألا يُشكل إلا مواضع اللبس؛ ولكن زملاءنا الذين يشرفون على الطبع لا يزالون في إيثار الطريقة الأولى؛ فأسرفوا في الشكل وأدى الإسراف إلى شيء من الفضول، وأوقعهم الفضول في مثل: ومنْ أجلي قتلوه، والصواب فتح النون كما رأيتم. إنما ينبغي أن تشكل النون في هذا الوضع إذا عدل بها إلى الفتح فإن كانت ساكنة فليست حاجة إلى وضع السكون على النون ولو كان صوابا

وكذلك النون في قول الشاعر: وخذ على الريق من اسبابه. والصواب الفتح. وأما البيت:

لما رمته العيون ظـالة ... وأثّرت في جماله الحدق

والبيت:

فكم صافحتني في مناها يد المنى ... وكم هبّ عرف الهوى عرفانها

فقد صححا في الجدول آخر الكتاب

وأما ابن فتوح فقد شدد مرة ثم رجحنا التخفيف فجرينا عليه وكان ينبغي أن ينبه على هذا في جدول الغلط. وأما العبارة:

... ... فقلت لها ... يا قلبها أحديد أنت أم حجر

فهي شطر بيت فزيد عليه الجملة « فقلت لها ». وأظن الكاتب لم يرد غير هذا. وهذا الشطر عثرنا عليه في الموشى (ج ١ ص ٧٨)

شكوت ما بي إلى هند فما اكترثت
يا قلبها أحديد أنت أم حجر

وأما قول الأستاذ ضبطنا الفعل « مُتّ » بضم الميم والأعلى كسرها، كما في قراءة حفص، فجوابه أن قراءة حفص فيها الضم أيضاً في الآية «ولئن مُتّم أو قُتلتم لإلى الله تحشرون»

وقد أخذتم مأخذين في « أن » إذ وجدتم الهمزة فوق الألف فقرأتموها مفتوحة وصوبتم الكسر، والحق أن مصححي الكتاب يرسمون الهمزة المكسورة فوق الألف أحياناً ويتركون الفتح والكسر للشكل: ولست أماري في أن التفريق بين الكسر والفتح بوضع الهمزة من الألف فوقها أو تحتها أحسن إذا جرى الاصطلاح عليه

نقد على محمود طه

للأستاذ دريني خشبة

وأخيراً نصل معاً ، أو أصل وحدى ، إلى الناحية المظلمة ن على محمود طه ، شاعرنا الرقيق النابه ، بعد أن جد بنا المسير تلك الناحية المظلمة التي لا يجيد كثير من القراء الظالمين أن يبصروا إلا فيها ... وهى ناحية تسهل الكتابة فيها أكثر مما تسهل الكتابة وتسلسل فى الناحية المقابلة ... الناحية المشرقة الزاهية ... التى تعنى بالحسنات ، أضعاف ما تعنى بالسيئات ...

من السهل جداً يا صديقى القارئ ، سواء أكنت ناقداً أم راضياً ، أن يتناول الإنسان أحسن الأعمال الأدبية فيردها سَوْءاتٍ كلها ... ومن السهل جداً أن يغمض الإنسان عينيه عن أمجاد الكاتب أو الشاعر ، فلا يرى إلا ظلمات يتدجى بعضها فوق بعض ... وقد عاهدت نفسى ألا أقع فى هذا الظلم الأدبى الصارخ وأنا أنقد أحداً من أعز الناس على أدبائنا المصريين . . . بل أدبائنا العرب أجمعين ، فرب ثناء يصادف محله ، فيكون تزكية للعبقرية الكامنة التى تستحق الثناء وتستأهله ... ويكون سبباً فى أن تفعل هذه العبقرية الأفاعيل ... ورب قدح ظالم لا خير فيه ، يسميه صاحبه نقداً وما هو بنقد ، لكنه سم يسرى فى بنيان نهضتنا فيثبط الهمم ، ويفت فى العزائم ، ويحطم الآمال ... وكم كنت أتمنى ألا أكتب هذا المقال فى نقد على محمود طه ... لأنى مهما اجتهدت فى تلقف ما أنقده به ، وآخذه عليه ، فلن أفوز إلا بهنات هينات لا يمكن أن تنال مطلقاً من شاعريته التى نضجت ، أو من فنه الذى اكتمل

وربما تركت أكثر دواوينه ، فلا أعرض لها إلا من بعد ، وفى مناسبات قليلة ، حينما أضطر إلى ضرب الأمثال للملاحظات التي أسوقها فيما يلى ... ربما تركت أكثر دواوينه إذن ... لأفرغ لمنظومته « أشباح وأرواح » ... تلك المنظومة التى كان من العسير على فهمى الضيق أن يلم بها ، بالرغم مما كنت أهيم به من قراءة الأساطير ، ومصاحبة هوميروس وأپولونيوس وڤرچيل وأبى العلاء وابن شهيد ودانتى وملتون ، وطول مداعبة خيالى لأخيل وپتروكلوس وأودبسيوس وأجاكس وهكتور وپاريس ، وإينياس وابن القارح ، وزهير بن نمير ، وپياتريس ، وعيسى بن مريم ، وهذه النخبة الساحرة من أبطال الالياذة والأوديسة والانياذة ، ورسالة الغفران ، والزوابع والتوابع ، والكوميديا الإلهية والفردوس المفقود ...

فالى قرأت هذه الروائع كلها وفهمتها على وجهها ثم أجدنى غبياً أشد الغباء حين أتناول هذه الأرواح والأشباح فلا أستطيع أن أبلعها ... بَلْه أن أهضمها ، ولا أستطيع أن أطير مع الشاعر اللبق المحبوب فى تلك الجواء التى لم أتبين ألا زورديه هى ، أم هى ظلمات فى ظلمات فى ظلمات !

يخبرنا الشاعر فى المقدمة أنه تجرد من طيفه ، (أو أن روحه انسدقت من طيفها فيما يشبه أحلام اليقظة ... وكأنه بها وراء سحابة فى عالمها الذى سبق أن عاشت فيه عند بعثها الأول ، وأنه وجد نفسه فى طريق أفلاطون ومثله العليا ، فتنفس فى هذا الجو طليقاً حراً لا تقيده بيئة ولا عقيدة ، ولا يحد من جريته حذر أو اتهام ، وأنه أرسل بصره فى هذا الطريق الصاعد البعيد فلم يصل إلى مداه ، وبدأت البصيرة عملها من حيث انتهى البصر ، فإذا أبواب سحرية موصدة ، وراءها خفايا وأسرار ،

والبيت :

لم أر أن أكون من رواته إذ هو معدود فى هناته غير متزن كما قلتم ؛ وأحسب صوابه : إذ هو مما عدّ فى هناته

وأما قول القائل : « إن لم أجد التأبين ، فأجد البكاء والحنين » فنحن نوافقك على أنه ليس من مواضع فاء الجزاء ، ولكن لم نستبح تغيير الكلام وكان ينبغى التنبيه عليه كما قلتم

وبقية الأغلاط الواضحة مثل الكسرتين تحت لام الجهل مع ألف التعريف ، ومثل الرخصاء مكان الرحضاء فى بيت المتنبى ، وابن حَجَر مكان ابن حُجر ، فهى من الهفوات التى لا ندرى كيف وقعت ، ولكننا ندرى أنها لم تقع إلا سهواً من الطابع أو المشرف عليه الخ

وأكرر للأستاذ اعتذارى وثنائى وشكرى .

عبد الوهاب عزام

وقضايا وأقدار ، وإذا به فى ختام قصيدته لا يزال فى ذات الطريق لم يصل إلى غاية ، ولم يوف على نهاية ...) ويخبرنا أنه سمع حواراً فى عالم الأسرار والأقدار يجرى بين حوريات من صواحب الفن ورباته ، هن : سافو وبليتيس وتاييس ... ثم هرمز ... أو هرميس كما سماه الشاعر ... يحكم بينهن [١] ...

فلو أن هذا هو الذى يقرأه الإنسان فى تلك المنظومة الغريبة لهان الأمر ولما اتهمت نفسى بالبلادة وفهمى بالغباء ... لكننى أقرأ من هذه المنظومة هذه القطوعة العجيبة الشائقة « حواء » [٢] فأجد قلباً يجيد وصف المرأة . هذه الجنة التى زان بها الله وجه الحياة ... وأجد هذا القلب يعترف بالله وبالأقدار ، وذلك حيث يقول :

قضى الله أن تُنوىَ الخالدين ... وتُغرىَ بالمجـــد عشاقهـا

وحيث يقول فى ختام المنظومة :

من الخـير والشر إلهامهـا ... وما هو إلا القديم السماعْ
فدع للسماء تصاريفهـــا ... فقد أذن البعث بعـد انقطاعْ

وهى أبيات يرددها صوت من السماء ... فأين هو هذا الانطلاق من البيئة والعقيدة ؟ وأين هو طريق أفلاطون ومثله العليا ؟!

أقول لك الحق يا صـديقى على ! إنى أعرفك أكثر مما تعرف نفسك . . . ورأيى فيك هو الذى أعلنته فى كلماتى السابقة حينما دافعت عنك . ودفعت عنك ما يظنه الناس فيك ، وما تظنه أنت بنفسك من البعثرة بين الزهر والخمر ، وبين أطياف سافو وأفروديت وتاييس وبليتيس ...

على أننى لست أدرى لماذا تستأثر بخيالك أشباح اليونان الغابرة ، ولماذا نسيت فى هذه الأشباح والأرواح مصر الخالدة الحاضرة ؟ فهـل رأيت كيف لم تستطع الانسلاخ من الشرق العزيز الحبيب حين هتف بك هذا الصوت من السماء فى آخر المنظومة ، فردك إلى وادى الوحدانية المؤمنة ، وأقصاك عن الأولمب الوثنى ذى الآلهة المتعددة ، وذلك حينما قلت :

أم الشـــك آذنى بالصرا ... ع أم حل بى غضب المنتقمْ

فجلجل فى أذنيك — أو أوحى إليك ... بأن تدع للسماء تصاريفها ...

ولـكن ... لا غبار عليك ، فلست أول مفتون بجمال الميثولوچيا اليونانية التى ظلت أحقاباً وأحقاباً مصـدراً لإلهام الشعراء . . . ولعلك جاعل لمصر نصيباً فى غير هـذه المنظومة إن شاء الله .

*

هذا من حيث الموضوع . . . أما من حيث الشكل فالنقد أيسر ما يجرى به قلم الناقد . . . ولعل أول ما يلفت النظر فى سياق أشباح وأرواح هو طريقة الانتقال هذه من مقطوعة إلى مقطوعة ، ومن حوار إلى حوار . . . ولو كانت المنظومة تمثيلية لما كان ثمة موضع لمؤاخذة . ولـكن المنظومة قصـة خيالية ، فلماذا لم تنظم هذه الكلمات الانتقالية التى كُتبت بالمداد الأحمر ، مع أنها تصور مناظر خلابة كهذه الكلمات التى مهد بها لمقطوعة « الحية الخالدة » ، والكلمات الواردة فى صفحة ٦٤ التى يقول فيها : (هرمز ينظر إلى غمائم بيض) قريبة وكأنه يترقب شيئاً والتى فى صفحة ٦٥ والتى فى صفحة ٧٨ التى تصور انشقاق الغمامة عن الشاعر فى موقف اضطراب ... ...

لقد كان هوميروس بارعاً جداً فى مثل هذه الانتقالات ... لقد كان يُنطق أخيل مثلاً بكلام ، فإذا انتهى أخيل وأراد خصمه هكتور أن يتكلم ، تجلت عبقرية هوميروس فى وصف أثر كلمـات أخيل فى نفس خصمه ، وفى نفوس الطرواديين ... فإذا تـكلم هكتور وفرغ من كلامه ، مهد هوميروس للمنظر الذى يلى بشعر يعتبر من غرر الإلياذة الخالدة . وكذلك كان يصنع فى الأوديسة . ومنظر انشقاق الغمامة عن الشاعر هو منظر تصورى مبتكر ، فـكيف يكون خيال شاعرنا الرقيق الموهوب أكثر عبقرية من تعبيره الـكلامى ؟ ولماذا لم يلبس هذا المنظر حلته البهية السنية من شعر على محمود طه البهى السنى ؟! لماذا ؟ ... لماذا هذه السرعة فى الإخراج ؟

ولقد تغنيت طويلاً بحسن اختيار الشاعر لبحوره وقوافيه ، ولـكنى لاحظت مع ذلك أنه كان ينام أحياناً عن اختيار هـذه

(١) من مقدمة أرواح وأشباح مع تحويل الضمير إلى الغائب
(٢) ص ٦٦ وما بعدها

البحور ، وينام عنها ملء أجفانه . وكان حين يصنع ذلك يرسل كلاماً لا هو بالشعر فتحمد موسيقاه ، ولا هو بالنثر فتحمل هجيراه : ومن ذلك هذا الكلام الذى تقوله حوريتنا ربة الريح الغربية فى أغنية الرياح الأربع ص ٧٣ :

أنا ريح الغرب بنت الآباد
أنا همس القلب أنا رجع الشادى
أنا رمز الحب فى هذا الوادى

ثم هذا الكلام الذى يقوله ماتوكا العبد الأسود ص ٩٥ :

مائدة حافلة كثيرة الأغراء
جاءت بها قافلة تدلف من سيناء

فأين موسيقا على محمود طه وأين غناؤه وألوانه فى هذا الكلام ؟ وقل مثل هذا فى ذلك النشيد الذى يهرف به باتوزيس ص ٣٣

وأحسبنى قد انزلقت برغمى إلى أعمق أعماق الناحية المظلمة من على محمود طه ، وعلى الرغم منى ... ولذلك فأنا أوثر أن أعبر هذه الظلمات القليلة فى سرعة خاطفة ، لأن أنوار الشاطىء الآخر المتلألئة تجذبنى فى قوة وعنف ...

فما اصطدمت به فى تلك الظلمات انتقال الشاعر فى كلام المتحدث الواحد من بحر إلى بحر ، كما يقول ماتوكا (ص ٩٦) :

هو عند الشاطىء يستقصى نبأ ويسائل ركبانا
إن شاء سيدى أمر أرفع هاتيك الستر

ولست أدرى لماذا لم ينظم البيت الثانى من المتدارك كالذى قبله ؟ فإن اعتذر بأن البيت الثانى كان فاتحة كلام جديد ، فما أظنه حرياً بباتوزيس الشاعر أن يجرى وراء ماتوكا الخادم فى بحر يستفتحه له !

ومن ذلك قول أزمردا ص ٤٠

أقيم فى قصر ؟ وفيم القصورْ ؟
وطوع سلطانى هذى البحورْ ؟

ويمضى فى النظم على هذا الميزان ، ومن تلك القافية ، ثم تراه يغير الميزان ويبقى على القافية فيقول :

بثير أهواء الحسان الحورْ
حتى تُرى فى ظله المنشورْ
يحملها إلى الفد المقدورْ ؟

ولست أدرى ما ذنب هذه المصاريع الثلاثة الأخيرة لتشذ عن موسيقا المصاريع العشرة التى سبقتها ؟

ومما صدمنى فى هذه الظلمات القليلة بعض الانحرافات « النحوية » التى لا أسيغها ، ولا أحسب أن لغتنا العربية تسيغها ...

فمن ذلك إفراد فعلاء التى تصف جمعاً إذا كانت فعلاء هذه صفة لونية ... فالغرف الحمراء ص ٣٦ خطأ فى رأيى ، والصحيح أن يقال « الغرف الحُمْر » ولا داعى مطلقاً إلى تحدى الناس جميعاً بأن يوردوا مثالاً واحداً أُفردت فيه فعلاء اللونية إذا وصفت جمعاً من قرآن أو كلام جاهلى أو إسلامى ... ولن يقبل عذر معتذر بأن أعلام كتابنا يستعملون ذلك اليوم

ومن الانحراف النحوى أيضا قول الشاعر « لا زال » ص ٤٨ والأصح « ما زال » وتستعمل لا فى المضارع فيقال « لا يزال »

ولست أدرى معنى « إضطرح » ص ٤٩ وهو يريد اطّرح بالطاء المشددة

ويقع الشاعر فى هذه الغلطة الذائعة فيقول : الأسى الدّاوى مكان المدوّى « الملاح التائه ص ٨٠ »

على أن هذا كله ليس شيئا فى مفاتن شاعرنا الرقيق العبقرى الموهوب ، الذى أصبح لساناً من ألسنة مصر الحديثة تدخره لمجدها وتنطوى عليه حناياها .

دريني خشبة

حكم فى الجنحة ٧٧٢ عسكرية مصر الجديدة سنة ٩٤٢ بحبس أحمد سلطان كريم ثلاثة أشهر والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لعرضه للبيع خبزاً بأزيد من التسعيرة

الطبيعة توحي والشاعر ينطق

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

- ٢ -

لم أذكر في مقالي الأول شعراء الطبيعة في الشرق والغرب على سبيل الحصر ، بل ذكرتهم على سبيل المثال . وما كنت في معرض يأذن لي بأن أتتبع شعراء الطبيعة واحداً واحداً في العالم كله ، وأحصرهم جميعاً في مقال واحد في مجلة أسبوعية تضيق صفحاتها عن الحصر في موضوع يعجز الكاتب أن يستوفي جميع أطرافه . فذلك عمل أولى أن يكون موضوعاً لكتاب يكتب ويحفظ على سبيل الرجوع إليه ، لا مقالاً في مجلة تختلف أفانين الكلام فيها باختلاف الكتاب ونوع اختيارهم لما يكتبون

ولم أشأ أن أجعل لمقالي الأول لحقاً يلحق به ، أو حلقة ثانية ، ولكن الأديب الفاضل الأستاذ حسين الغنام استدرك على مقالي بعض أشياء رأى أن يذكرها لي في كتاب خاص . فرأيت ألا أحرم قراء الرسالة الاشتراك في موضوع لم يعد لي وحدي ؛ ولكنه أصبح موضوع كل قارئ . ومن حق القارئ على الكاتب ألا يغفل رأيه أو يهمل استدراكه . وخاصة إذا كان المستدرك أديباً في نفسه وأديباً في درسه . فاستدراك أديبنا اليوم فيه كثير من الاطلاع على الأدب الغربي ، وفيه كثير من الأدب في الاستدراك ؛ وذلك شيء يشجع الكاتب على المضي في عمله ، ويغريه بالاستمرار في البحث

يأخذ عليّ المستدرك الفاضل أنني ذكرت ناساً وتركت ناساً أشهر منهم من شعراء الطبيعة . وشطر هذا الكلام حق فما قصدت أن أعد شعراء الطبيعة جميعهم لا أستثني منهم أحداً ؛ ولكني قصدت المشهورين ممن أكثروا في وصف الطبيعة وكانت إلهاماً لهم ووحياً لشعرهم . ولو كنت في مقام يقتضي العد والحصر لذكرت مثلاً توماس ناش ١٥٦٧ - ١٦٠١ م الذي عاش قرابة ثلث قرن وعاصر جرين ومارلو ، ومات بعد حياة كانت أملأ بالكفاح والنضال منها بالدعة والمرح . ولهذا الشاعر غرام عجيب بالطبيعة . وكان من حقه أن أنظمه في سلك شعراء مقالي الأول ؛ إلا أن شهرته الأدبية لا تعدل شهرة من ذكرت

وله أبيات في الربيع عنوانها Spring يقول منها :

المروج معطرة الأنفاس
والأقاحي تقبل أقدامنا
وأحداث العشاق يلتقون
والزوجات العُجز يضحين في الشمس
وفي كل ثنية تحيي آذاننا زقزقة الطيور

* * *

ولو كنتِ في مقام يقتضي الحصر والعد لذكرت مثلاً بن جونسون ١٥٧٣ - ١٦٣٧ ؛ وذكرت معه أبياته الرائعة بعنوان الطبيعة النبيلة The Noble Nature

ولذكرت روبرت هريك ١٥٩١ - ١٦٧٤ ؛ وذكرت زيادة على أبياته في زهرة الدافوديلس قصائده في البنفسجة ، والبريمروز ، وبراعم الكرز ، والعشب . وهو في هذه الموضوعات مُغَنٍّ للطبيعة . ولقد يكون في أفكاره شيء من التفاهة ؛ ولكنه يخلع على تلك الأفكار ثياباً من تعبير يكسبها نضارة قطرات الندى في تباشير الصباح

ولذكرت الشاعر وبليام كولينس ١٧٢١ - ١٧٥٩ ؛ وذكرت قصيدته غير المقفاة التي عنوانها « إلى مساء »

ولو كنت في مقام يقتضي الحصر والعد لذكرت والتر لاندور ١٧٧٥ - ١٨٦٤ ؛ وهو الذي يقول في إحدى مقطوعاته :

« إنني أحببت الطبيعة ، وأحببت الفن بعدها »

ولذكرت لورد تنيسون ١٨٠٩ - ١٨٩٢ ؛ وذكرت قصيدته التي يخاطب بها البحر قائلاً :

تكسر ! تكسر ! تكسر أيها البحر !
على صخورك الباردة الدواكن

وذكرت قصيدته « الجدول » التي أنطق فيها الجدول

الترقرق من حين ينبجس إلى حين يتصل بالنهر ، ماراً بالهضاب ، متزلاً مع الأحجار ، مخترقاً الحقول ، محتملاً فوق مائه برعمة طافية أو عشبة يابسة ، ملقياً بهما فى أحضان تياره المندفع فوق صغار الحصى

ولذكرت برونتج ١٨١٢ — ١٨٨٩ ؛ وذكرت قصيدته « أفكار نحو الوطن ـ من البحر »

ولو كنت فى مقام يقتضى الحصر والعد لذكرت شارلس كنجسلى ١٨١٩ — ١٨٧٥ ، وذكرت قصيدته « أغنية إلى ريح الشمال الشرق » ، ولذكرت وليام موريس ١٨٣٤ ـ ١٨٩٦ وذكرت قصيدته « فجر الصيف » وهى لوحة على إيجازها مملوءة بالخصيب من الألوان . ولذكرت سوينبرون ١٨٣٧، ١٩٠٩ ، وذكرت قصيدته « حديقة مهجورة » ولو أنها أميل إلى شعر التأمل والتفكير الفلسفى منها إلى شعر التصوير والطبيعة

لو كنت فى مقام يقتضى الحصر والعد لذكرت هؤلاء، وكثيراً غيرهم ممن يصادفهم قارىء الأدب الإنجليزى ؛ ولذكرت غيرهم من شعراء الطبيعة الفرنسيين ؛ ولذكرت غيرهم من شعراء العربية ممن لم أذكرهم فى مقالى الأول اكتفاء بمن ذكرت ؛ ولأضفت إلى هؤلاء بضعة من الشعراء اقترحهم علىّ الأديب حسين الغنام فى رسالته الخاصة ، أمثال إمرسن ويوسف كيزار وكبلنج ولونغفلو فى أدب اللغة الإنجليزية . وبوشكين فى الأدب الروسى ؛ ولأضفت إليهم — من عندى - بريدجز ، وهوسمان ، وتوماس هارى ، وشارلس سورلى ، ولامير من شعراء القرن العشرين ، وأضفت إليهم كذلك روزنبرج ؛ وداى لوبس ، وبيتس ، وليون ، وغيرهم من المغمورين

نعم ، لوكان المقام يقتضى الدراسة الواسعة والبحث المحيط لخصصت كل واحد من هؤلاء بمقال ، وأضفت إليهم غيرهم ممن لم أذكرهم ولم يذكرهم المستدرك الفاضل ، ولكن دواوينهم مطبوعة يرجع إليهم من شاء من طلاب التوسع والمزيد

وهناك اعتراض آخر ، وهو أنى لم أسلك عبد الرحمن شكرى والعقاد والمازنى مع من سلكت من الشعراء المصريين

والمعترض يقول (ولكل واحد من هؤلاء غير قصيدة واحدة فى الطبيعة)

وهذا كلام فيه بعض الحق . فلعبد الرحمن شكرى فى ديوانه الأول قصائد خطرات فى المساء ص ٤ ، أو حنين الغروب عند الشمس ص ٨ ، وتحية للشمس عند شروقها ص ١٦ . والحب والليل ص١٨ ، والروض بالليل ص٥٥ ، والبرق ص٥٥ ، وغيرها . وله في ديوانه الثانى رثاء عصفور ص ٦٣ . وله فى ديوانه الثالث سحر الربيع ص ٧ ، والشعر والطبيعة ص ١٦ ، وله فى ديوانه «زهر الربيع » قصيدة نرجس ص ٤٨ ، وقصيدة حديقة الصيف ص ١ ، والطائر الحبيس ص ٦

وللعقاد كذلك قصائد ومقطوعات فى الطبيعة . وأطولها قصيدة فى « الكروان » التى ضاعت منها الوحدة الموضوعية التى نبحث عنها فى الشعر العربى الحديث

وللمازنى كذلك مقطوعات فى الطبيعة ، ولكن الحق كل الحق أن شاعراً مصرياً لم يتفرد بوصف الطبيعة والجلوس إليها والانفراد فيها كما فعل الشاعران اللذان ذكرتهما فى مقالى الأول وهما المرحوم الهمشرى وشاعر البرارى

ولو كانت قصيدة واحدة أو بضع قصائد تكفى لأن نسلك صاحبها فى عداد شعراء الطبيعة ، لسلكنا فيمن سلكنا حافظ إبراهيم وأحمد شوقي وخليل مطران وعلى محمود طه والدكتور ناجى وعبد العزيز عتيق ، وكثيراً غيرهم ممن يضطرنا ضيق المقام إلى عدم ذكر أسمائهم .

وعلى المستدرك التحية والسلام

محمد عبد الغنى حسن

من إعجاز القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

كتب الكاتبون قديماً وحديثاً فى إعجاز القرآن ، ولكن ليس كمثل الأمثلة العملية الواقعية بيان لذلك الإعجاز . ومن أحدث هذه الأمثلة وأغربها ما وقع من الدكتور زكى مبارك أو « الكاتب المجهول كما يسمى نفسه فى العدد ٣٥١ من الرسالة

والدكتور زكى مبارك كبير الإعجاب بنفسه يظن أنه أحاط بالأدب العربى من أطرافه : أطراف النثر وأطراف الشعر ، فلم يدع لكاتب ولا لشاعر شأواً معه . تعرف ذلك فى دعاواه الطويلة العريضة التى ينثرها يميناً وشمالاً بغير حساب فيما يكتب من مقال ، وما يؤلف من كتاب ، كأنما أراد أن يكون المثل المنجسم لقانون التعويض النفسى فى الأدب ، فهو يعوض نفسه عما فاته من ثناء الناس بالمبالغة فى الثناء على نفسه ، وهذا شىء لم يكن يفهم لولا أن إعجاب الدكتور بنفسه انقلب فيه غروراً ، وأن الغرور بلغ منه حداً جعله يتطاول إلى مقام القرآن الكريم ، يشكك فى إعجازه تارة ، ويكاد يصرح أنه من كلام البشر تارة أخرى ، ويدعو إن بتلميح وإن بتصريح إلى تناول القرآن بالنقد ، كأنما يظن أن ذلك فى مقدوره لولا أن المسلمين لم يستعدوا بعد لتلقى كل ما عند الدكتور

وسولت له نفسه أن يكتب مقاله « أعوذ برب الفلق من شر ما خلق » ، ولأمر ما رأى أن يوقعه بغير اسمه

ولكنه نسى نفسه حين أمن أن يعرف فرى بها عوراء مخزية حين كتب : « أما بعد ، فأنا لا أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ، وإنما أعوذ برب الفلق من خير ما خلق ، وهو الجمال » . لعلك لو فتشت عن قلبه حين كتب هذا لوجدته مسروراً به ، يرى أنه جاء بطريف وهذا خذلان الله لكل من يلحد فى آياته : يخفى عنه الغلطة المنكرة لا تخفى على العامى من الناس .

والغلطة المنكرة هى جهله أن كلمة « شر » فى الآية الكريمة اسم لا أفعل تفضيل ، وأن الفرق بين معنى الآية كما فهمها وبين معناها كما أنزلت كالفرق بين الجماد والحى ، والإعجاز وغير الإعجاز

وإذا أدرك زكى مبارك غلطته فحاول أن ينكر أن (شر) فى جملته أفعل تفضيل كذبته كلمة (خير) فى نفس الجملة ، إذ لا شك مطلقاً فى ان (خير) فى جملته تلك أفعل تفضيل جاء فى مقابلة « شر » أفعل التفضيل الآخر فى أول الجملة .

إن كلمة شر إذا كانت اسماً مضافاً إلى ما الموصولة ، كما هى فى الواقع فى قوله تعالى (من شر ما خلق) فى السورة الكريمة المعروفة ، شملت كل شر لكل مخلوق ، فالاستعاذة بالله من شر ما خلق على هذا الوجه هى استعاذة تامة كاملة لم تدع موضعاً لاستدراك مستدرك ولا للعب لاعب . فإذا أراد مغرور أن يلعب باللفظ تظرفاً واستطرافاً سقط سقطة الدكتور زكى مبارك . قد يكون الجمال خير ما خلق الله وقد لا يكون ، لكن إذا كان للجمال شر يخشى ويستعاذ بالله منه فقد دخل فى الشر المطلق شر كل مخلوق خلقه الله ، وهو ما أمر الله الإنسان بالاستعاذة منه برب الفلق ، فلا داعى هناك قط إلى تعوذ جديد من الجمال أو من غير الجمال

فانظر الآن إلى ما يطرأ على المعنى من التغيير والتضييق والنقص بجعل (شر) أفعل تفضيل كما فهم صاحب النثر الفنى . لقد انفتح له بذلك من ناحية باب الاستدراك فقال إنه لا يتعوذ من شر ما خلق الله ولكن من خير ما خلق وهو الجمال . ومن ناحية أخرى صارت الاستعاذة على هذا الوجه مقصورة على شر أكثر خلق الله شراً ، وتركت ما عدا ذلك من شر كثير حراً طليقاً يصيب من الإنسان ما شاء . فأى استعاذة هذه التى تترك المتعوذ عرضة لأكثر الشر فى جملته ، أو لشر كثير على أقل

تقدير؟ فلو كان هذا المعنى مقصوداً فى كلام أديب لـكان معيباً عند أهل البلاغة ، ومع ذلك فهذا هو ما فهمه من كلام الله الدكتور زكى مبارك المستأثر ببلاغة النثر والشعر الحائز لدكتوراه الأدب العربى من باريس بكتابه النثر الفنى الذى زعم فيه أن القرآن من كلام البشر ودعا فيه إلى نقد القرآن

فكأن الله سبحانه أراد أن يضرب مثلاً لخلقه من إعجاز كلامه على يد شاك يظن أنه ملك ناصية الكلام ، فقيض الدكتور زكي مبارك ، لا ليبدل لفظاً من لفظ ليكون لفظ القرآن هو الأفصح والأبلغ ، ولكن لينقل لفظاً بعينه من وجه إلى وجه ، من الإسمية إلى الوصفية ، ولا يكون هذا اللفظ إلا أبسط كلمة فى أبسط آية يفهمها حتى عوام المسلمين فى أنحاء الأرض ، ليجئ المعنى تافهاً بعد مروره فى ذهن الدكتور ؛ وليتبين للناس مثل من عزة القرآن وإعجازه ؛ وأن صاحب النثر الفنى لا يفقه فرق ما بين الإعجاز وغير الإعجاز ، وأنه ليس من القرآن الكريم فى حقيقة ولا مجاز .

محمد أحمد الغمراوى

أحزان الوحـــدة !

للأديب عبد الرحمن الخميسى

دمِّرِى يا وَحشتِى كُلَّ هنَاء
وعَلَى أنقَاضِـــهِ مِنْ يا عنَاء
وَاعصِفِى بى يا شُجُونى عصْفَةً
تحمِلُ النَّفسَ إلى وادى الفناء
أنا أُفرِدتُ ولاَ مِنْ مُؤنِسٍ
يُبْعِدُ الوَحدَةَ عَنِّى وَالشَّقَاء !
أنا أُفرِدتُ فيَا مَن عَزَّ أن
يَتلَقاهَا خيـــالُ الشُّعَرَاء
أيْنَ أَلقَاكِ ؟ ابزُغِى فى عَالَمِى
تَتفتَّحْ لِىَ آفاقُ الرَّجاء !
هٰذِهِ الوَحْدَةُ ما ذا بَعْـــدهَا
يا زمَانِى يَنطوِى لى فى الخفاء ؟
أحْرِقى بالدَّمْـــعِ أجفَانِى يا
أعيُنِى وَاستَعذِبِى مُرَّ البُكاء
أنَا أُفرِدتُ فيَا غُرْبَةُ ما
كُنتِ لى غيْرَ معِين البُرَحاء
فَانزِفى يا أضْلُعِى فى وَحدَتِى
حَرَّ ما يُترِعُ قَلبِى مِنْ دِماء
هاَتِهِ الأنجُمُ مَنْ يُغرِقُهَا
فى أوَاذِيكَ يا بحْرَ السماء ؟!
ثُمَّ مَنْ يُطلِقُ رِيحاً صَرصَراً
تُطفِئُ المِصبَاحَ فَالدَّارُ خلاء !
غُرْفتِى لاَ تعرِفُ الأصوات يا
شِـــقوَةَ الهاتِفِ إبَانَ النِّدَاء
إنطقى أيتها الجدران ، أو
فَاصْعقِينى وَاهدِمى فوق البِناء
وَقِفِى أيتهـــا الأرض ! وَلاَ
تقطعى الدورة فى هذا الفضاء

عبد الرحمن الخميسى



جميل بثينة

جميل جداً أن يتجه الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد إلى كنوز الأدب العربي يجلو صفحاتها ببيانه المطرب المعجب العميق. وقد كان من أواخر ما جلته لنا براعته الفياضة من هذا القبيل « جميل بثينة »[1] في شعره وفي سيرته ، فملأ بذلك فراغا كان يشعر به رواد الأدب الحديث. وكان بغنائه هذا اللحن الجديد في هذا الموضوع القديم يمثل بحق دور « الكاتب البارع » الذي تحدث عنه « سنوحى » في قصته[2] عن لسان أحد أبطالها المبدعين.

وقد استوعبت رسالة الأستاذ عن « جميل » مطالعة وإمعاناً ملتذاً بما تحويه من أفانين النظريات النفسية الحديثة في عرض كله إمتاع. وفي أثناء مطالعتي لفصولها تبدت لي بعض ملاحظات لا تؤثر على جوهرها ولا فضلها ، وهذه هي :

أولا : يصف الأستاذ بثينة «بالحمق» مستدلا على ذلك بحديثها مع عبد الملك بن مروان حين قال لها ما الذي رأى فيك جميل ؟ فقالت : الذي رأى فيك الناس حين استخلفوك. ويعقب الأستاذ على هذا بقوله : « مثل هذه الحماقة لا تظهر في الكهولة إلا إذا كان لها أساس أصيل من بداية العمر ». والذي يلوح لي أن إجابة بثينة لا تنبئ عن حمق ، بل هي تشف عن حصافة رأي ورجاحة عقل وسرعة بديهة وجرأة قلب ، شأن الكيسات الفصيحات من نساء عرب البادية. فعبد الملك إنما سألها بما سأل مبكتاً غاضا من جمالها وقادحا في جميل الذي فتن بهذا الجمال الموهوم. وسرعان ما أدركت غرضه فردت له الكيل بكيل مثله

ثانيا : في الصفحتين ٨٦ و ٨٧ من فصل « مكانة جميل الشعرية » مال الأستاذ إلى نظرية القائلين بتقديم جميل الشعرية في النسيب خاصة على شعراء الجاهلية والإسلام. وفي الصفحة ٩٨ نقض هذه النظرية. فأيهما أجدر بالاعتبار والتقرير ؟

(١) الجزء الثالث عشر من سلسلة « اقرأ »

(٢) الجزء الثاني عشر من سلسلة « اقرأ »

ثالثاً : يقرر الأستاذ خطأ مدرسة «الاستحسان» التي تقرر بأن من وصف محبوبه بأنه كالشمس أغزل ممن شبهه بالبدر أو كوكب من الكواكب. وقد ساق ما لا مزيد عليه من الأدلة لتوطيد هذه النظرية الطريفة ، بيد أنه خرج من ذلك في الصفحة ٧٨ إلى أن قول جميل :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى ... وفي الغر من أنيابها بالقوادح

ينأى به عن اتباع المذهب الاستحساني في تغزله. والذي يبدو لي في هذا القول أنه ليس فيه ما يجافي جميلا عن المذهب المذكور ، فهو لم يقدح في جمال عيني بثينة ولا ثغرها ؛ بل ما زال مستحسنا لهما كل الاستحسان ، وناهيك بوصفه الأنياب بالغر. وغاية ما بجميل أنه كانت تستبد به أحياناً عوامل الغرام فيصاب بما يصاب به الوالهون في مثل هذه الساعات من ذهول واضطراب بجملانه يتبرم بكل شيء في الحياة ، حتى أن حبيبته التي هي أعز ما في الحياة لديه يتمنى أن تذوق شيئاً من الشقاء ، حتى ترغم على العطف عليه فينعم بهذا العطف وحسبه ذاك. على أن جميلا نفسه فيما رواه الأستاذ في « مختارات شعره » ص ١٤١ قد وصف محبوبته بأنها كالبدر ، ووصف غيرها من النساء بأنهن كالكواكب فهن دونها جمالا ، وبهذا اتبع مذهب « الاستحسان » ، وذلك حين يقول :

هي البدر حسناً والنساء كواكب

وشتان ما بين الكواكب والبدر

« مكة المكرمة » عبد القدوس الأنصاري

١ — بين حمدة والمنازي

دهشت لما قرأت حكم الأديب عبد الحميد عبد المجيد بأن نسبة الأبيات التي أولها :

وقانا لفحة الرمضاء واد ... سقاه مضاعف الغيث العميم الخ

إلى أبي نصر أحمد بن يوسف المنازي خطأ وإنها لحمدة الأندلسية. دهشت لأني أعلم أن هذه الأبيات مما تنازعها الشرقيون والأندلسيون قديماً ، بل لقد أجمع أدباء الشرق — كما يقول ياقوت في معجم الأدباء — على نسبة هذه الأبيات للمنازي المتوفى سنة ٤٣٧ وتنسبها أدباء الأندلس ومؤرخوها إلى حمدة بنت زياد

وفي وفيات الأعيان لابن خلكان أن المنازي اجتاز في بعض

أسفاره بوادى « بزاعا » ـ قرية بين منبج وحلب ـ فأعجبه حسن هذا الوادى وقال هذه الأبيات فى وصفه .

٢ – قيس لبنى وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

ذكر صاحب الأغانى (ج٨ ص ٩٤) أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال فى زوجته عشمة هذه الأبيات :

تغلغل حب عشمة فى فؤادى فباديه مع الخافى يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
صدعت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم فالتأم الفطور

إلى آخرها وهى ستة أبيات رقيقة باكية . وذكرها أبو على القالى فى ذيل الأمالى (ص ٢١٧) ونسبها إلى عبيد الله أيضاً إلا أن صاحب الأغانى ذكر فى صفحة ١١٣ ج٨ البيت الثانى والثالث ونسبهما إلى قيس بن ذريح صاحب لبنى فى قصة طريفة ذكر أنهما من شعر قيس . فأى قولى الأصفهانى نصدق ؟

برهان الدين الداغستانى

الشيخ محمد عياد الطنطاوى

رجا فاضل فى هذه المجلة (فى العدد٥٤٩) ممن يعثر على تاريخ هذا الرائد المجهول أن يدلى على صفحات الرسالة بالمصادر التى يمكن الرجوع إليها عنه

وتلبية له أشير إلى أن المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا قد عنى بجميع أخباره وتسقطها زمناً ، وبذل فى ذلك جهداً مشكوراً ، ثم نشر ما وصل إليه فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٢٤م (المجلد الرابع ص ٣٨٨ ـ ٣٩١)

ثم جاء المستشرق الروسى المعروف : (أغناطيوس كراتشكوفسكى) من أكاديمية العلوم الروسية ، فاستدرك على تيمور باشا بعض استدراكات مفيدة جداً نشرها فى المجلة المذكورة (ص ٥٦٢ ـ ٥٦٤) من المجلد الرابع ، ذاكراً أن للفقيد ترجمة بقلمه ، وآثاراً علمية من تآليفه ، تحتفظ بها مكتبة السكلية فى بترغراد وكلها بخط مؤلفها ، وأشار إلى مصادر عن حياته لا تخلو من فائدة ، كما صحح خطأ المستشرق هيار Huart فى تاريخ وفاة الشيخ محمد عياد الطنطاوى رحمه الله

(دمشق) سعيد الأفغانى

إلى الأستاذ قدرى طوقان

قرأنا لكم كتابكم العظيم « الكون العجيب » فحمدنا لكم هذا الصنيع إذ تنفذون إلى أعماق الكون وسرائر الوجود بفكر ثاقب وقلب مؤمن ، وإذ أنا أطالع فى مقدمة « ابن خلدون » عثرت على اصطلاحات فلكية لا أكون مجانباً الصواب قلت إن أكثرها يحتاج إلى دراسة عميقة حتى يتبين منها ما أظهر العلم الحديث صحته أو بطلانه . وكان ما استوقفنى من هذه الاصطلاحات قوله : ص ٤٩ طبع مصطفى محمد [وقد تبين فى موضعه من الهيئة أن الفلك الأعلى متحرك من الشرق إلى المغرب حركة يومية يحرك بها سائر الأفلاك فى جوفه قهراً ، وهذه الحركة محسوسة] ؛ فما هو الفلك الأعلى وما عوامل قسره سائر الأفلاك على الحركة ، ثم ماذا يعنى العلامة ابن خلدون بقوله وهذه الحركة محسوسة ؟ وبدهى أننا حين قرأنا قول الشاعر :

تقفون والفلك المحرك دائر وتقدرون فتضحك الأقدار

لم نتعمق التفكير ولم ندقق الحساب مع الشاعر ؛ إذ قصارى المعنى الشعرى أن الحياة سائرة والمخاطبين جامدون : أما ابن خلدون الباحث الاجتماعى الذى شرقت آراؤه وغربت ؛ فلا بد من مناقشته وعرض آرائه على بساط البحث

فإلى الأستاذ الكبير قدرى طوقان أسوق الحديث .

إبراهيم السعيد عجلان

استدراك

جاء فى مقالى عن الشاعر الإنجليزى « شلى » فى العدد ٥٤٩ من الرسالة : « أنه سافر حدثاً ليلتحق بكلية إتون بأكسفورد » ، وصوابه : ثم بأكسفورد ، أى الجامعة الشهيرة وهى التى طرد منها الشاعر أخيراً . إذ كما يعلم القارىء اللبيب أن لا علاقة بين المؤسستين على الإطلاق

« بغداد » محيى الدين السامرائى



جميلة تحت ظلال الأرز

JAMILÉ SOUS LE CÈDRES

ملخصة عن قصة طويلة لهنري بوردو

بقلم الأستاذ حلمي مراد

لم يكن يدور بخلدي ، يوم أن رست بي الباخرة (لوتس) في ميناء بيروت ، أن الأقدار قد هيأت لي أن أعود من زيارتي للبنان بوقائع هذه الفاجعة : فاجعة قلبين فرّقت بينهما شريعة الدين ، فجمعت بينهما شريعة الحب . وما كنت لأقص خبرها لو لم أسمعها بأذنيّ من فم الرجل الذي كان شاهدها ، بل كان واحداً من أبطالها ، قبل أن يكون راويها

كنت قد عرفت « خليل خوري » في إحدى قرى لبنان ؛ كان شيخاً مارونياً في نحو السبعين من عمره ، طويل القامة ، وسيم القسمات ، مهيباً في عباءته الحمراء ، وعقاله الأسود العريض . وكنت قد قضيت اليوم معه في التجوال فوق قمم الجبال التي تكسوها الثلوج ، حتى آن لنا أن نستريح ، فجلسنا عند حافة غابة الأرز العتيق ، نشرف من علٍ على الوادي السحيق ، حيث ينبثق نهر « قاديشا » من بين الصخور التي اصطبغت بلون الأرجوان ، وينساب بين المراعي والقرى وغابات البرتقال

وهناك تحت ظل أرزة ساحقة ، باح لي الشيخ الحزين بسره الذي أقفل عليه قلبه طوال خمسين عاماً كاملة . باح لي به تحت تأثير إلحاحي الشديد ، وتحت وقر الكتمان الطويل الذي كثيراً ما يرهق العاشق كما يرهق المجرم الأثيم

قد يبدو غريباً أن ترد قصة غرام جارف على لسان عجوز في السبعين ، ولكن عزاءه كان أن الاستغراق في الذكرى قد أعاد له - ولو إلى حين - انفعالات الشباب ، فوجد في قلبه ، مرة أخرى ، عاطفة الأيام الخوالي . العاطفة التي أحالت واحة حياته إلى صحراء مقفرة ، لا بهجة فيها ولا رواء

ومن يدري ؟ ربما كان الشيخ قد رأى في تغلبه على عوائق السن ودواعي الوقار ، أطيب تحية يزجيها للعاطفة الأثيمة التي فاضت من قلب « جميلة » قبل نصف قرن من الزمان

***

كان ذلك حوالي عام ١٨٧٠ ، في قرية « بَشَرّي » الهاجعة في أحضان الجبل على عتبة غابة الأرز ، ولم يكن مضى غير أعوام منذ فقد خليل خوري أباه في مذبحة « دير القمر » وهي إحدى المذابح البشعة العديدة التي خضبت في القرن الماضي جبال لبنان بدماء بنيه من المسلمين والمارونيين . فلما دهم اليتم الغلام ، وهو ما يزال في الثامنة ، تلقفه بالعطف والحدب أكثر من قلب ، وخاصة من أفراد أسرة الشيخ راشد والد جيرانه الأطفال : بطرس وجميلة ومُنتهى ، ومن ثم وجد الغلام في ثلاثتهم إخوة يبادلونه ألعابهم ويصطحبونه معهم كلما خرجوا على ظهور الخيل للصيد بين الجبال

مرت أعوام ، وبلغ الفتى عامه الخامس عشر ، فإذا ببطرس يفاجئه يوماً بالقول في لهجته القوية الآمرة : « إن جميلة سوف تغدو زوجتك يا خليل » ... وكأن هذه الكلمات قد أثارت في الفتى فتوته فسبقت مشاعره سنه ، وإذا به يحس مزيجاً مسكراً من الأحاسيس والأخيلة ، ثم إذا بالخيال يوشك أن يصبح حقيقة ، حين يدرك خليل من حركات وهمسات أفراد الأسرتين أن زواجه من جميلة أضحى أمراً مفروغاً منه ... ولِمَ لا ؟ أليست جميلة كأخته ؟ إذن فالتطور لن يصل إلى حد الطفرة ، لن يعدو أن يكون خطوة قصيرة واستكمالاً طبيعياً لمودتهما المذبة ، المودة التي وقفت صلتهما عندها طويلاً ... إلى أن وقع حادث تافه بدلها في قلب خليل إلى حب جارف ...

... وإنه ليذكر ذلك الحادث كأنه قد حدث بالأمس ... كان خليل عائداً مع بطرس وجميلة — عصر أحد أيام الشتاء — من قرية (حصرون) القريبة ، حيث كانوا يبتاعون بعض ثمار القراصيا والمشمش المجفف . وإنهم لفي الطريق الغائص تحت الثلوج ، وإذا ببطرس قد أبعد في سيره طلباً للصيد

فى الغابة . وبقى خليل وجميلة ينتظران عودته ، وبينما هما يسيران متجاورين ، لمست يد الفتى — عفواً — يد رفيقته ... كانت باردة كالثلج ، فأخذها بين راحتيه يدفئها ويعيد إليها الحياة ، برغم أن الدفء والدم قد سريا إليها بعد حين ، فإنه قد استمرأ أن يبقيها برهة أطول ، حتى قالت له الفتاة ضاحكة : « دعنى » فلم يبال رجاءها بل ضغط يدها أكثر ، ثم اندفع فجأة يقبل اليد الرخصة بلا وعى ! ظلت الفتاة ساكنة ، لم يرعها هذا الانفعال غير المألوف ، ولكنها عادت بعد برهة تقول له فى صوت خفيض : « هيا بنا نعود » ... ووافقها هذه المرة

وحين أبلغها بيتها ، وجدهم قد أعدوا لها نبيذاً دافئاً ، ولكنه كان ثملاً بغير خمر . وتغيرت نظرته إلى جميلة ، رآها بعين العاشق الفاحصة فى ثوبها الصوفى الأبيض ، وراح بصره يتملى شعرها اللامع ورقبتها التى فى لون العاج ، وخدها الدافق بحيوية مشبوبة ، وعينيها الزرقاوين كالبحر الهادئ حين يرى من هامة غابة الأرز فى يوم صحو جميل ... ثم صوتها الذى بدا له كأنه لم يسمعه من قبل ، حتى لقد ود لو يذوقه فى منبعه : بين شفتيها الحمراوين كالقرمز ، وأسنانها البيض كالثلج . وبالاختصار وثب إلى ذهنه إدراك مباغت : أن طفلته قد صارت امرأة

وعند ما وصل إلى بيته ، سأل أمه فى اضطراب : « ألم تحن الساعة بعد يا أمى ؟ » ولم يزد . وفهمت هى مراده بغريزة الأمومة فضحكت وهى تقول : « كما تريد يا بنى » ... وفى اليوم التالى سار ثملاً مع أمه إلى بيت الشيخ راشد لخطبة جميلة . وبأمر من بطرس ، وعلى ملأ من الأسرتين ، قطف خليل من خدها القبلة الأولى .

***

ثم جاء الربيع ، وأزهرت أشجار الفاكهة الفواحة الأريج ، ولكن بقية من الثلوج البيض المتناثرة ، كانت ما تزال ترى من شرفة بيت الشيخ راشد ، فسأل الفتى واجفاً « متى الزواج ؟ » وأجاب الأب « حين تذوب الثلوج هناك » وكان معنى هذا القرار : الانتظار حتى أغسطس . وهكذا صار الموعد رهناً بحرارة الشمس لا بحرارة قلبى العاشقين ... ومن ثم صار الفتى يسرع إلى الشرفة كل صباح كى يطمئن ... لكن الشتاء كان قاسياً فطال بقاء الثلوج

وفى ذات صباح جميل ، رؤى خليل يعدو كالطفل إلى بيت جميلة وهو يقول : « جميلة ! ... جميلة ! لقد ذابت آخر قطعة من الثلج ... لم يعد هناك ثلوج » وأسرعا معاً إلى الأب ، فقال لهما بصوت أغاظهما رزانته : « ستتزوجان ... بعد أن ينفض عيد الأرز »

... وجاء يوم العيد . وأقبلت على غابة الأرز جموع المعيدين ، من قرية بَشرّى وسائر القرى المتناثرة كالمنقود على جانبى النهر ... ثلاثة آلاف نسمة أقبلوا لقضاء يومهم فى الهواء الطلق تحت ظلال الأشجار العتيقة ، يستمعون إلى الطقوس الدينية ، ويتناولون طعامهم على العشب ، ويرقصون (الدبكة) ، رقصتهم الوطنية الجميلة ... حتى يغيب النهار فيعودون إلى بيوتهم مع المساء

وجلس أفراد الأسرتين تحت أرزة وارفة الظل مدت غصونها فوق رؤوسهم كأنها تباركهم وتحميهم ... جلسوا جميعاً : خليل وبطرس ووالده الشيخ وجميلة وأختها الصغرى منتهى ، ثم صديقاتهن : آبلة ونالة وراحيل ، وقد خلعت كل واحدة نقابها الأبيض ونشرته على فرع من شجرة الأرز ... وكانت جميلة تبدو بينهن — وهى متكئة على وسادتها — كالملكة فى بلاطها . وأحس خليل بغبطة جارفة . إنها ستغدو له وحده بعد أيام ... وبينما هو مستغرق فى الحلم همس له بطرس بلهجة تنطق بالحقد ، وهو يشير أمامه : « مسلمان ! ... ماذا أتى بهما ؟ ... ماذا يريدان ؟ وتلفت خليل إلى حيث أشار فرأى أعرابيين شابين يترجلان من فوق صهوة فرسيهما المطهمين ، وقد بدت طلعتهما رائعة وقسماتهما وسيمة ... بلحيتيهما السوداوين ، وعيونهما السمراء التى ترسل نظرات من نار وتقدح بفتنة لا يمكن تجاهلها ... ووراءهما تابعان يجران الفرسين ، ولم يكن الضيفان سوى عمر بك الحسين ، وعبد الرزاق بك عثمان ، من أمراء عكار ، جاءا ينشدان النزهة والترويح عن النفس

دأب الشابان على تقليب البصر فى وجوه القوم ، حتى استقرت نظرات عمر بك على جميلة ، وثبتت عندها . لم يحس

خليل بدبيب الغيرة فى بادىء الأمر ، ولكن النظرات طالت ، فبدأ الدم يصعد إلى رأسه . إن الغريب قد اجترأ على فتاته ... أليست هذه إهانة للمارونيين جميعاً ؟ وأخذ الاهتياج يعذبه ، ولكنه كتمه وعاد ينظر إلى جميلة . كانت قد اضطجعت على وسادة ناعمة ، فى وضع أظهر فتنتها صارخة ، وكان شعرها يحتضن كتفيها ، وشعاع من الشمس قد انساب من بين الغصون فوقع على خديها وطلاهما بلون الذهب أو الحنطة . ترى هل نم هيئتها عن احتقارها لجرأة الغريب ؟ ولكنها تنظر إليه بدورها طائعة ، وعيونهما تتقابل . وأحس خليل أن عاصفة تجتاح نفسها وتعكر البحر الصافى فى عينيها ، حتى لتبدو عليها سمة الفتاة حين تسلم كيانها لانفعال حاد ، وخيل إليه أن عاطفتها الناعمة من نحوه قد تبددت ، جرفتها العاصفة العاتية التى أثارتها فى أعماقها نظرات عمر . ومن ثم أحس الفتى بحلمه يتبدد رويداً رويداً ، وبحلقه يجف ، فود لو يستغيث ، لكنه لم يجد صوته . إن نظراتهما ما تزال متقابلة فى غير مبالاة بالجموع الغفيرة التى شغلها الطعام أو شغلتها الغفلة والغباء عن التنبه لما يجرى . وأخيراً أفاق العاشق المعذب من غمرة أفكاره على صوت بطرس يسأله وهو يهز كتفه مراراً : « ما بالك يا خليل ؟ » فأجابه دون وعى : «إنها تنظر إلى الغريب» وضحك بطرس فى سخرية ، واحمرت وجنتا الفتاة ، لأنها لا شك سمعته !

* * *

فرغ القوم من الطعام وبدأت رقصة (الدبكة) بعد حين ، فرقص بطرس مع الجموع ، ثم نهضت جميلة ، فأخلى الكل الحلقة لها ووقفوا حولها يتفرجون فى شغف ، وراحت هى ترقص وحدها فى خفة الطير ، وكأنها من فرط رشاقتها لا تلمس الأرض . كان ذراعاها البضتان تدوران فى الهواء ، واتخذت بشرتها لون أحجار (بعلبك) حين يغرب عليها النهار . وفى كلمة ، كانت كآلهة الشباب والجمال والحب ، ثم فرغت من رقصتها بعد حين ؛ وتقدم خليل ليهنئها ؛ فإذا بها منشغلة عنه بتلقى نظرات الأعرابى الجميل . واقترب والدها يرحب بالضيف ، وطال بينهما الحديث : امتدح الشيخ فرس عمر ، فقال هذا : « عندى أختها وتدعى سلمى . سأحضرها لك إذا شئت » ورحل الفارسان ، وعادت الأسرتان إلى القرية

وفى أثناء الطريق سار خليل وجميلة متجاورين ، صامتين كأن عتاباً خفياً يلجم لسانيهما ، وحين جلس خليل إلى مائدة العشاء — فى بيتها — وجد على مقعده غلافاً صغيراً فضه فى غفلة العيون ؛ فإذا فيه خاتم الخطبة وكل ما أهداه إليها من حلى !

تحطم قلبه بغتة ، ولكن أحداً لم يلحظ شيئاً ، فإن القلوب لا تحدث صوتاً وهى تتحطم . ووجد فى نفسه القوة على الكتمان . وفى اليوم التالى لقيها فى الحديقة ، وجلسا معاً عند النافورة ، فكانت جميلة ترمقه بنظرة مشفقة أليمة ، ثم تخفض بصرها إلى ذرات الماء المتساقطة من النافورة فى الحوض ... وجرى بينهما عتاب رقيق حزين كنفسيهما . سألها خليل : « إنك لم تعودى تحبينني ؟ » وكان زائغ النظرات ، فغضت من بصرها ثم أجابت بعد حين : « هو ذاك » وعبثاً حاول أن يطرد من قلبها شبح عمر ، فإنه كان قد احتله وتحصن فيه . وافترقا على أمل يراود خليلاً ، بأنها ستنسى الغريب مع الأيام .

* * *

لم يمض يومان حتى عاد عمر ومعه الفرس التى وعد بها أبا جميلة ، وأعجب بها الشيخ راشد فسأل صاحبها عن الثمن ، ولكن عمر أمهله قائلاً له فى لهجة حازمة : « سأحدد لك الثمن . . . فى الغد » وعبثاً ناقشه الشيخ فإنه أصر ، وإزاء إصراره وتحت ضغط الحرج والشهامة والكرم ، دعاه الشيخ إلى قبول ضيافته وقضاء الليلة تحت سقفه ... فقبل عمر !

ما ذا حدث بعد ذلك فى ضمير الليل ؟ لم يدر أحد ... حتى أفاق خليل من نومه فى الصباح مذعوراً ، على صوت بطرس يبلغ إليه النبأ : إن الضيف قد فر ، وجميلة قد اختفت . . . هل فرت معه طائعة ، أم خطفها ؟ من يدرى !

وبعد ساعات كان بطرس وخليل ممتطيين صهوة سلمى فرس عمر ، فى طريقهما إلى بلدته (عكار) ... وراح قلب

العاشق المدنف يناجي طيف محبوبته « جميلة ! ... أين أنت الآن ؟ ترى هل يقع بصرى عليك بعد اليوم ، فأرى عينيك فى لون البحر الهادئ تحت أعتاب الجبل ، وأرى خديك الناضرين ورقبتك التى فى لون العاج ، وذراعيك ، وشعرك ... شعرك الجميل ... إن الطل لا بد قد بلله ليلة أمس ، وأنت تحيطين بدن عمر بذراعيك فوق صهوة الفرس وهى تعدو بكما منسابة بين الجبال فى الظلام ... جميلة ! جميلة ! إننى آتٍ فى ظل إثمك أتيمك ... ألا تسمعيننى يا جميلة ؟ » لكنها لم تسمع ، فإن أسوار قصر عمر فى (عكار) كانت غليظة وعالية !

وبعد أيام خرجت عكار عن بكرة أبيها إلى الطرقات ، وازينت، كي تحتفل بزفاف المارونية التى أسلمت ، وكى تراها وهى تعبر شوارع البلدة فى هودجها الفاخر يتهادى بها . وبينما كان الركب يخترق أحد الشوارع كان خليل وبطرس واقفين يستمرضانه فى صمت وغيظ . وحين مر بهما الهودج وجميلة فى داخله تبتسم جذلة ، امتدت يد بطرس إلى غدارته ، وهم بإطلاقها ، لولا أن أقنعه خليل ـ والدموع فى عينيه ـ بأن يتريث فإنه يريدها حية ؟ وارتدت يد الأخ الناضب لشرفه . ومر الركب بسلام . ومضى التعسان مبتئسين ، والحنق يجفف حلقيهما ويضن عليهما بالبكاء .

وحين بلغ الموكب القصر ، وضم عمر عروسه إلى صدره ، كانت ظلال خليل وبطرس قد اختلطت بالظلام الذى يرين على الطريق ، حتى إذا كان الغد ، عادا أدراجهما إلى قريتهما

ومضت أيام وأسابيع وشهور ، والغضب للشرف ما يزال يتأجج فى صدريهما وفى صدر الأب الحزين (الشيخ راشد) فإنهم جميعاً لم يكونوا قد طلقوا عزمهم على استعادة جميلة بأى ثمن !

وبعد سبعة شهور من الزفاف ، وفى أوائل الربيع ، عاد خليل وبطرس ينحدران بين غابات الصنوبر والأرز ، فى طريقهما إلى (طرابلس) ، فقد أتاهما النبأ أن جميلة وعمر قد انتقلا إلى قصر آخر له هناك

ولم يطل بحثهما عن ضالتهما ، فقد اهتديا سريعاً إلى القصر الباذخ ، حيث تعيش العاصية ، كافرة بشريعة العشيرة ، مؤمنة بشريعة الهوى

وبعد أيام ـ ومن نفس الطريق ـ عاد الشابان يصعدان الجبل إلى قريتهما ومعهما فى هذه المرة ... جميلة ؛ فقد وفقا إلى اختطافها أخيراً

وفى (بشرّى) انعقد مجلس الأسرة لمحاكمتها ، واعترفت التعسة بكل شىء : اعترفت بأنها قد فرت من كنف أسرتها مختارة ، وطلقت دينها مختارة ، وتزوجت من عدو عشيرتها ... مختارة أيضاً

وصدر حكم الأسرة عليها بالإعدام . ووكل أمر التنفيذ إلى أخيها بطرس .

كم بكى خليل ، حين انفرد بالعاصية بعد صدور الحكم ، وكم أجهد أعصابه وهو يفتنها عن حبها لعمر ، محاولاً إقناعها بأن تشترى حياتها بالزواج منه هو ... لكنها أبت فى إصرار ، وراحت تتطلع إلى بعيد وقد رقت نظراتها وبدت كالحالمة وهى تقول بصوت حنون : « إنني أوثر حبى ، فأنت لا تعرف حبيبى »

ودق الباب ، ودخل بطرس ـ جلادها ـ فبكى خليل ، وإذا بها ترمقه بنظرة أوهنها الإشفاق ، ثم تقول وهى تضع يديها على كتفيه : « كن شجاعاً يا خليل ... فلست بخائفة ... وهل يعرف الخوف من يعرف الحب ؟ »

ثم ذهبوا بها وقد انتزعوها منه بعد أن أوصدوا عليه الباب وحين تمكن من اقتحامه ، بعد لأى ، مضى كالمجنون ، يعدو باحثاً عنها ... حتى وجدها تحت شجرة أرز ... مذبوحة !

ولم تمض أيام حتى لحق بها زوجها عمر . فقتل نفسه على قبرها ، بعد أن أوصى بأن يدفن معها فى نفس القبرة ... المقبرة التى ما تزال قائمة حتى اليوم خارج بلدة طرابلس ، والتى ما تزال تظهر على أحجارها أحرف محفورة بخط عربى جميل ... أحرف اسمي : عمر وجميلة .

حلمى مراد
المحامى

Lundi - 21 - 2 - 1944

12me Année No. 555

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥٥٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ صفر سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢١ فبراير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـرس

١٦١ فى معرض الآراء ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
١٦٥ محمد أحمد جاد المولى ... .. : الدكتور زكى مبارك ... ...
١٦٨ من مجموع رسائل الجاحظ : لأستاذ جليل .. . .
١٧٠ المرأة ! ... . : الأستاذ عمر الدسوقى ... ..
١٧٣ جولة فى الفردوس مع الشاعر المبدع ميخائيل نعيمة ... . } الأستاذ دربنى خشبة .. ..
١٧٥ القضايا الكبرى فى الإسلام قتل الحلاج ... . } الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
١٧٨ نقل الأديب ... . : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
١٧٩ والعاديات ضبحا ... ... : (أزهرى) . . ..
١٨٠ نعيمة الأسلوب . . . . : الدكتور زكي مبارك ...
١٨٠ (١) الشيخ الشنقيطي ... (٢) أديب الأندلس ابن زيدون } (عدنان) ... .

فى معرض الآراء

للأستاذ عباس محمود العقاد

مرت بنا فى هـذه الأيام آراء كثيرة حول الـكتابة والـكتاب وحول التأليف والمؤلفين ، منها ما يفيد للمناقشة فيه والرد عليه ، ومنها ما يفيد للدلالة على بعض الأفهام والأذواق. وفيما يلى طائفة من هذه الآراء ، على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر والاستقصاء

***

من ذلك قول الأديب الحجازى الأستاذ عبد القدوس الأنصارى إننى أستدل على حماقة بثينة بحديثها مع عبد الملك بن مروان حين قال لهـا : ما الذى رأى فيك جميل ؟ فقالت الذى رأى فيك الناس حين استخلفوك !

ويقول الأديب : « والذى يلوح لى أن إجابة بثينة لا تنبى عن حمق ، بل هى تشف عن حصافة رأى ورجاحة عقل ... فعبد الملك إنما سألها عما سأل مبكتاً غاضاً من جمالها وقادحاً فى جميل ... إلى آخر ما قال

وخطأ الأديب فى هذه الملاحظة راجع إلى نسيانه أول الحديث الذى تناقلته كتب الأدب ونقلناه فقلنا : إنها دخلت على عبد الملك بن مروان « فرأى امرأة خلقاء — أى حمقاء — مولية »

فقولنا إنها لم تخل من حماقة منظور فيه إلى هذه الرواية المتناقلة لا إلى السؤال أو الجواب بينها وبين عبد الملك ، وقد يكون فى جوابها قصاص سريع من عبد الملك ، ولكن الأجوبة المسكتة كثيراً ما صدرت من الحمقى والمجانين

ثم قال الأديب عبد القدوس يشير إلى كلامنا فى رسالة جميل بثينة : « يقرر الأستاذ خطأ مدرسة الاستحسان التى تقرر بأن من وصف محبوبه بأنه كالشمس أغزل ممن شبهه بالبدر أو كوكب من الكواكب ... بيد أنه خرج من ذلك فى الصفحة ٧٨ إلى أن قول جميل :

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى وفى الغر من أنيابها بالقوادح

ينأى به عن اتباع المذهب الاستحسانى فى تغزله . والذى يبدو لى فى هذا القول أنه ليس فيه ما يجافى جميلاً عن المذهب المذكور »

وخطأ الأديب فى هذه الملاحظة راجع أيضاً إلى نسيانه المدرسة الغزلية الأخرى التى تكلمنا عنها وهى مدرسة الرقة فى خطاب المحبوب أو فى التحدث عنه . وقد نسي أيضاً أن الذى يتمنى التشويه لمحبوبته لا يرضى مذهب الاستحسان بهذا التمنى . وقد قلنا معترضين : « إن جميلاً — مثلا — أبطل المبطلين فى عشقه وغزله عند مدرسة الاستحسان أو مدرسة الرقة ... لأنه سأل الله تشويه ما هو حسن فى عينى حبيبته وثغرها وهما أجمل ما يُتمنى له الجمال فى وجه محبوب »

وعلى أية حال لا مساس فى هذا ولا ذاك بالحقيقة التى نقررها وهى أن الاستحسان غير العشق وغزل العشاق ، لأن الإنسان قد يستحسن ولا يحب ، بل قد يجمع الكره والاستحسان ، وقد يتمنى تشويه محبوبه ليتركه له الناس كما ضربنا المثل بأمنية جميل وأمنية كثير ، وهنا موضع الإشارة فى كلامنا إلى مدرسة الرقة ومدرسة الاستحسان

***

وننتقل من هذا الكلام إلى رأى يحسبه كله كلاماً فارغاً ويحسبنا نحن الكتاب أو النقاد رجعيين جامدين لأننا نحفل فى هذا العصر بشعر عمر بن أبى ربيعة أو شعر جميل ، ومن جاراهما من الشعراء

فقد حمل إلىّ البريد مجلة أسبوعية على موضع منها علامة حمراء تومئ إلى حديث دار بين المجلة وبين آنسة من الطالبات أو « الأديبات » السوريات سئلت فيه عن رأيها فى أدباء مصر فقالت : « مما يؤسف له أشد الأسف أن معظمهم رجعيون ... أفكارهم ... كتبهم ... مؤلفاتهم ... مقالاتهم ... كلها تدل على أنهم من أنصار الرجعية . ثم أطلقت الآنسة ضحكة رشيقة وقالت : أنظر ... نحن الآن فى عصر الطيارات والراديو والمخترعات الحديثة ، ولكن الأدباء ما يزالون يتحدثون عن عصر ابن أبى ربيعة ! ... »

وبودنا نحن أن نعرف ما هى العلاقة بين الطيارات وإلغاء شعر ابن أبى ربيعة أو شعر غيره من أدباء العصور الأولى

هل كان ابن أبى ربيعة صانع دراجات أو مركبات خيل فبارت صناعته باختراع الطيارات ؟

هل حلت الطيارات محل النساء اللاتى كان ابن أبى ربيعة مشغولاً بهن فوجب أن يشتغل بمنازلة الطيارات عن منازلة النساء ؟

هل أصبح الناس بغير قلوب وبغير ألسنة لأنهم يركبون الطيارة أو يستمعون إلى المذياع ؟

هل ألغى الأوربيون مخترعو الطيارة شعر هوميروس وهو سابق لعصر عمر من أجل هذا الاختراع ؟

لا وحق المحروسة الغالية التى تعلِّم كتاب مصر وأدباءها ما ذا يكتبون وما ذا يدرسون

فالأوربيون الذين اخترعوا الطيارات على أنواعها ، والذين شغلتهم الطيارة فى كل ميدان من ميادين القتال أو ميادين السلام ، والذين يبتدعون الأزياء للعقول والجسوم ، لم يتركوا أدباءهم الأقدمين أو المحدثين ليستبدلوا بهم مصنوعات المعامل من آخر طراز ، ولم يحسبوا أن هؤلاء الأدباء مرجوعات تباع فى سوق « الخردة » كلما ظهر طراز جديد من المصنوعات

وإلى يسارى الساعة رفوف عليها أكثر من خمسين مجموعة شعرية ظهرت فى إبان الحرب الحاضرة بين ضرب القذائف من الطيارات وإطلاق الأسراب بعد الأسراب من الطيارات ، وقيام الرؤساء وقعودهم بالحديث عن الطيارات والغارات بالعشرات بعد العشرات

بل فى هذه المجموعات نفسها قصائد من نظم الطيارين الذين يعيشون على الطيارة ويموتون ممها ثم يعودون إلى شعرهم القديم ويذكرون أساطير اليونان التى تحدثت عن الطيران قبل الأوان

فلا علاقة إذن بين الطيارة وإلغاء عصر ابن أبى ربيعة .

وإن كان هناك شىء قد صنعه عصر الطيارة على التحقيق فهو أنه لا يقبل الآن ما كان يقبله عهد القرون الوسطى من ثرثرة الكبيرات أو الصغيرات من بنات حواء ، لأنهن بنات حواء

فإذا كانت المحروسة الغالية تفهم هذا فلا تستغرب أن تلق بعض جزائها على الخوض فيما تجهل وعلى التعرض بذلك الأسلوب لأناس لهم على كل إنسان مهذب حق الرعاية والتبجيل

***

ونستأذن عصر الطيارات مرة أخرى لترجع إلى موضوع « رجعى » عتيق وهو موضوع اللغة ثم موضوع التاريخ القديم ، وكلاهما قد يحرم على المخلوق الناطق فى عصر الدوىّ والأزيز ؛ فقد أجبنا الأستاذ الفاضل محمود أبا رية بما نراه فى استعمال كلمة الفشل بمعنى الإخفاق ، فقلنا : « إن هذه الكلمة من الاستعمال الحديث الذى شاع حتى غطى على معنى الكلمة القديم ، مع تقارب المعنيين ، حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصد الآخر ، لأن التراخى والضعف والخواء قريبة كلها من الحبوط والإخفاق »

فعقب على هذا عالم فاضل من رجال اللغة عندنا قائلاً فى العدد الماضى من الرسالة : « وأنا أقول إن الإخفاق لا يلازم الضعف والتراخى حتما ... فالضعف شىء والإخفاق شىء آخر ، ولو صح هذا التقارب بين المعنيين ، حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصد الآخر لجاز أن يطلق الإخفاق ويراد به الضعف أو ما يلابسه من المعانى »

ونحن كما يرى حضرات القراء لم نقل إن الإخفاق والضعف شىء واحد ، ولكننا قلنا إنهما متقاربان قد يحل أحدهما محل الآخر ، فكل ضعيف مخفق فى حالة ضعفه وقوة خصمه عليه ، وكل مخفق ضعيف فى حالة إخفاقه ونجاح خصمه . ولنا أن نقول إن فلاناً مخفق الرأى ونعنى به الضعف الذى يحول بينه وبين النجاح ، وليس التحرج فى هذا بأنفع من التسهل ، وما كان العرب يجهلون إطلاق الكلمة على المعنى لمناسبة قريبة بل بعيدة فى أحايين كثيرة . وحسبنا أن الأستاذ نفسه قد تردد بين التسهل والتشدد فى هذا الموضوع لنعلم أن التسهل فيه لا يخلو من حجة يحسب لها حساب

وقد وردت علينا آراء أخرى لا نحب أن نعرض الآن لجانب اللغة منها ، لأننا نود أولاً أن نحيل صاحب تلك الآراء على المراجع الكبرى ليهتدى إلى صوابه قبل أن نهديه إليه

ولكننا نتناول ناحية التفكير من آرائه لأن المجال فيها متسع لشىء من التنبيه والتذكير

فقد كتب الفهرسى المجتهد الأستاذ بشر فارس فى مجلة المقتطف مقالاً استغرق نحو سبع صفحات منها عن كتابنا « الصديقة بنت الصديق » زعم فيه زعماً لا يقبل الشكر كما قال « إن المؤلف ما أراد أن يولج كتابه فى جانب العلم الصرف »

وهذا الزعم الذى لا يقبل الشكر هو الزعم الذى لا يحسب من العلم الصرف فى شىء

لأن الحق الذى توخيناه هو أننا أردنا متابعة العلم فى كل حقيقة من الحقائق التى بسطناها ، ولكننا لم نولج كتابنا على حد تعبيره — فى باب الفهرسيات وما إليها ، لأنها صناعة تليق بمساعد فى مكتبة علمية ، ولا تليق بعالم أن يفرغ لها أو يجعلها كل قسطه من العلم والكتابة

ففى كل « دفترخانة » من دواوين الحكومة كاتب صغير أو ساع يعرف الكتابة والقراءة ويعرف من الرفوف والأرقام ومراجع المواليد والوفيات والمزارع والبيوت والأسناد والعقود ما يستنفد السنوات من حفاظ الفهارس والعناوين

ولكننى أؤكد التوكيد الذى لا شكر فيه أنهم لا يحسبون من العلماء والأدباء ، ولا فرق بينهم على الإطلاق وبين من يحفظون الفهارس والجزازات ويستخرجونها « عند الطلب » من مواضعها على الرفوف

وفى الأمر ما هو أكثر من ذلك وأدعى إلى الحذر والانتباه ؛ فإن هذه المحفوظات الفهرسية خطر على التفكير وإصالة البحث قد يعطل الأفكار ويعوق الفهم عن درك حقائق الأمور ، لأنه يعود الفارغين لها أن يعرفوا الأشياء بأسمائها وعناوينها ويغفلوا عن مسمياتها وحقائقها . ولا خير فى ألف

عنوان لألف مذهب أو كتاب إذا كانت هى قصارى المعرفة عند جماعة الفهرسيين

ومن عوارض ذلك فى كلام ناقد المقتطف أنه يذكر مثلاً كلمة النقد الداخلى « Critique interne ويسوقها إلينا كأنها شىء غريب لم يخطر لنا ولا لأحد على بال ، لأنه عرف الشىء بعنوانه ولم يعرفه بحقيقته ولبابه . ولو أنه عرف ما هو النقد الداخلى على الحقيقة واللباب لفهمه فى عشرة كتب على الأقل كتبناها عن شخوص مختلفين ، وكلها دائرة على النقد الداخلى لطبائع أولئك الرجال . وليس بفاهم ما هو هذا النقد الداخلى من لم يفهم أنه هو النقد الذى توخيناه ونحن نكتب عن محمد وعمر والصديق وعلى وعائشة وجيتى وابن الرومى وأبى العلاء والمتنبى وسعد زغلول وعشرات آخرين

كذلك يقول مثلاً : « كيف تكون عائشة جارية صغيرة على نحو ما وصفتها بريرة — تنام عن عجينها — وهى ابنة ستة عشرة أو فوق ذلك ؟ »

فلولا الفهرسيات لاستطاع ناقد المقتطف أن يفهم ذلك حق فهمه ، لأننا كتبنا ثلاثة فصول نقرر فيها أن السيدة عائشة قد نشأت مدللة بحكم ولادتها فى الحضر ، وبحكم ولادتها فى قبيلة بنى تميم خاصة ، وبحكم ولادتها فى بيت الصديق على الأخص ، وبحكم الحظوة التى لقيتها فى بيت زوجها العظيم .

فإذا كانت فتاة فى السادسة عشرة لا تنام عن عجينها فى هذه الحال فماذا يسميها الناقد الفهيم ؟ أيقال إنها امرأة نَصَف ؟ أيقال إنها عجوز شمطاء ؟

إنما الآفة آفة الفهارس كما قلنا ، وإنما كان صاحبنا يفهم ما ذكرناه لو أنه ظفر بجزازة فهرسية قيدت عليها كلمة العجين وقيل فيها — مثلاً — « ومن العجين ما تنام عنه الفتاة وهى فى السادسة عشرة ، كما جاء فى ترجمة عائشة — راجع كذا وكذا وكذلك وكذاك ... »

ويومئذ يكون هذا هو العلم الصرف وهذا هو التحقيق العجيب ...

وإذا كان لهذا الكاتب عذر من قلة الفهم فقد كان ينبغى أن يتجنب قلة الذوق لئلا يجمع بين الفقرين السيئين ، وفى واحد منهما كفاية

فلا يحسب علينا أن نطيل القول فى حديث الإفك دفاعاً وتصحيحاً وهو يطيل القول فيه للتوهين والتشكيك

« فنحن نقول « على الذى يقبل وشاية كتلك الوشاية الواهية أن يروض عقله على تصديق أمور كثيرة لا موجب لتصديقها ... عليه أن يصدق أن صفوان بن المعطل كان رجلاً لا يؤمن بالنبى ولا بأحكام الإسلام ، وأن يصدق أن السيدة عائشة كانت وهى زوج النبى لا تؤمن به ولا تعمل بدينه »

فإذا بالناقد الفهيم يعقب على ذلك فيقول : « والذى أراه أن هذا الاستدلال مجتلب بل محض ذاتى ، وذلك لأننا نعلم من طريق المشاهدة والملاحظة أن البشر يتفق لهم أن يزلوا وإن كانوا من أهل التصديق والإيمان »

وهذا كلام فيه سوء فهم وسوء ذوق مجتمعان !

سوء فهم ، لأن المسألة هنا ليست مسألة الزلل وكفى ، ولكنها مسألة الشك فى اتصال النبى بعالم الغيب وقدرته على كشف الحقيقة مع إنكار المنكرين . وليس فى المشاهدة والملاحظة التى يتشدق بها هذا الكاتب الفهرسى أن امرأة نبى تفعل ذلك وهى مؤمنة به ، وتفعله بغير إغراء يستطير الألباب من الرءوس

أما سوء الذوق فكفى أن نشير إليه ولا نطيل فيه ، وكفى الآن من هذا الموضوع إلى حين .

عباس محمود العقاد

محمد أحمد جاد المولى

للدكتور زكي مبارك

فى الساعة الثامنة من صباح اليوم حدثنى الأستاذ عبد الله الصفتى تليفونياً بنبرات حزينة لم يتحدث بمثلها من قبل وهو يقول : عظَّم الله أجرك فى جاد المولى بك !

فقلت : « لا حول ولا قوة إلا بالله » وكررتها نحو عشر مرات وأنا مأخوذ بصدمة لم تكن تخطر فى البال ، فقد كان جاد المولى بك فى صحة وعافية ، وكانت ملامح وجهه تنبئ بأنه لن يموت قبل التسعين أو الثمانين

وأحدق الحزن بقلبى من كل جانب ، فقد تصورت ماضيه وماضىّ فى رعاية صداقة غالية كانت مضرب الأمثال ، بحيث اعتقد كثير من الناس أنه لم يصادق غيرى وأنى لم أصادق سواه ، فما وقع بيننا ما يوجب الملام فى محضر أو مغيب ، ولا سمع عنى أو سمعت عنه ما يستوجب العتاب

كذلك تصورت ، وكذلك توهمت أننى فجعت فيه وحدى ، ثم كانت النتيجة أن يتبدد ما تصورت وما توهمت ، فقد رأيت جميع من فى وزارة المعارف يترحمون عليه ، ورأيت فيهم من بكاه بالدمع وهو الدكتور رياض

زُلزلت وزارة المعارف لموت هذا الرجل ، وعدت فجيعتها فيه من الفواجع الفوادح ، وتمثل الجميع ما كان عليه من سجاحة النفس ودماثة الأخلاق

وأدى رجال المعارف واجبهم نحو فقيدهم الغالى فبلغوا نعيه إلى مدارس القاهرة ليشترك جميع المدرسين فى تشييع جثمانه إلى المقر الأخير

وأردت أن أشترك فى توديعه ، ولكنى لم أستطع فقد عزّ علىّ أن أرى جاد المولى بك محمولاً على نعش ، وكان بالأمس ملء العيون والقلوب

لم يبق إلا أن أودع هذا الرجل بكلمة تقرّب صورته إلى من جهلوه ، وما أكثر من جهلوه ، والحكيم يعيش فى زمانه عيشة الغرباء

بداية جميلة

كان جاد المولى بك فى طليعة إخوانه بدار العلوم ، فأوفدته وزارة المعارف إلى انجلترا فى بعثة علمية ، وحين عاد أعجب به المغفور له حسن باشا عبد الرازق فاقترح على عظمة السلطان حسين كامل منحه رتبة البكوية ، وكانت تلك الرتبة لا تمنح للشبان ، فكان أول من نالها بفضل تفوقه وهو فى عنفوان الشباب .

ثم رأى أن يتعرف إلى الجمهور فألقى محاضرتين علنيتين عن الغزالى وابن خلدون ، فكان غاية فى الفهم لابتكارات هذين الفيلسوفين العظيمين

وفى سنة ١٩٢٤ أرسلت إدارة الجامعة المصرية خطاباً إلى وزارة المعارف تدعوها فيه إلى تكليف أحد رجالها الاشتراك فى لجنة امتحان الدكتوراه فى الفلسفة بجانب الأستاذ عبده بك خير الدين ، وكان وكيل المعارف حينذاك عاطف باشا بركات ، فاختار جاد المولى بك ، ولهذا الاختيار قيمة نفيسة ، فقد كان عاطف باشا من أعرف الناس بأقدار الرجال

كنت أنا الطالب الذى يؤدى امتحان الدكتوراه فى الفلسفة وكنت أنا الذى جهل أن وزارة المعارف رمتنى منه بداهية ، فقد وجه إلىّ أسئلة أثارت الجمهور وحملت الشيخ عبد المجيد اللبان والشيخ محمد الأبيارى على أن يغضبا غضبة إسلامية ، ولولا تلطف الدكتور منصور بك فهمى لانقلب ميدان الامتحان إلى ميدان قتال

كان من رأى جاد المولى بك حين خلت اللجنة للمداولة أنها غير مسئولة عن آرائى فى كتاب الأخلاق عند الغزالى ، ولكن الدكتور منصور بك فهمى أقنعه بأن لجنة امتحان الدكتوراه لا تعرف غير شىء واحد هو قدرة الطالب على تأييد آرائه ولو انتهت إلى الضلال !

الذكى المتغابى

كان جاد المولى بك غاية فى الذكاء ، وكان غاية فى التغابى ما أذكر أن مشكلة غاب عنه فهمها على الوجه الصحيح ، ولا أذكر أنه أخطأ الفهم لشأن من الشؤون

كان يثق بى فيحدثنى عن آرائه فى المجتمع ، فأرى له مذاهب من الفكر تغيب عن أكثر الرجال

شهيد الواجب

بلغ جاد المولى بك سن التقاعد قبل شهور ، ولكن معالى الهلالى باشا رأى أن يقترح على مجلس الوزراء مدّ خدمته سنتين، للانتفاع بخبرته التعليمية ، فبالغ جاد المولى بك فى نشاطه ليؤيد حقه فى ثقة ذلك الوزير الجليل

وفى أحد أيام الأسبوع الأخير من شهر أغسطس الماضى كنت بحضرة الهلالى باشا فى مكتبه بالأسكندرية ، لأحدثه فى شؤون تستوجب لقاءه هناك

وفى أثناء الحديث صلصل تليفون المعارف بالقاهرة ليقول الوزير للوكيل ما نصه بالحرف :

« يجب أن تنتهى حركة التنقلات قبل اليوم العاشر من سبتمبر ، ليعرف المدرسون إلى أين يتوجهون ... شغّل جاد المولى بك »

وعند رجوعى إلى القاهرة رأيت من الأمانة أن أبلغ جاد المولى بك ما سمعت ، فطلب جميع معاونيه من إجازاتهم بالبرقيات لينجز حركة التنقلات بأسرع ما يستطاع

والذى يعرف أن متاعب مدرسى اللغة العربية ليس لها حدود يعرف كيف يعانى من يحاول راحتهم من شديد العناء

ضغطُ الدم قتل جاد المولى بك ، وهو مرض لا يصاول غير شهداء الواجب . . . فعلى روح هذا الشهيد ألف تحية وألف سلام

كانت لهذا الرجل مغاضبات فى أعوامه الأخيرة ، ولكنه لم يغاضبنى فى أى يوم . كانت عبارته حين يلقاني : أهلاً بدكتورنا

فسلام عليك يا أكرم أستاذ وأشرف صديق

لو أنشأنا مليون مدرسة لما استطعنا أن ننشئ فتًى فى مثل أدبك وذوقك . ولو أنشأنا مليون قصيدة فى الرثاء لعجزنا عن كلمة الصدق فيك ، يا أصدق الأوفياء

أكرمك الله وأعزك ، وجعلك من أهل الفردوس

رفق ولطف

كان جاد المولى بك رفيقاً جداً بمعاونيه من المفتشين فلا يصدر رأياً إلا بعد الاستئناس بما عندهم من آراء ، وكانت صلاته بالمراقبين صلات أخوّة صافية ، وقد بلغ به التواضع أبعد مبلغ فاتُّهم بالضعف ظلماً وعدواناً ، وجرت القالة بأنه يعجز عن درء الشر إن وُجه إليه ، وهذه القالة وتلك التهمة مهدومتان من الأساس ، فجاد المولى بك لم يكن يحب الخصام ولا القتال ، حتى نطالبه بالمقدرة على اللدد والعنف ، وإنما كانت فطرته تهدية دائماً إلى إيثار الرفق والمسالمة مع جميع الناس

وما الموجب لأن تكون حياتنا كلها قتالاً فى قتال ، بحيث لا نتصور الشجاعة إلا بصورة واحدة هى المصاولة والفتك والإيذاء ؟

وما الذى يمنع من أن نرى فى ضبط النفس شجاعة تفوق كل شجاعة ؟

إن المظاهرة بالعِداء أخف وأسهل من المجاهرة بالصفاء ، لأن العداء المنيف هو البقية مما ورثناه عن عهود الوحشية ، ولا كذلك التلطف والترفق ، فهما من مظاهر الرقّ فى الشمائل الإنسانية

والحق أن أخلاق جاد المولى بك كانت فوق ما نطيق ، ولهذا كان يحب ناس أن يزيفوها ، ليستروا عجزهم عنها ، فقد كانت من المعجزات

أين من يصدّق أن كبير مفتشى اللغة العربية لم يكن يقدر على توجيه كلمة فيها صورة الأمر للساعى الذى يحفظ ودائع مكتب التفتيش ؟

لو كان تلطفه مع الرؤساء ناشئاً عن ضعف لوجب أن يكون أسداً فى معاملة الضعفاء

وهذا بحثٌ إن أطلناه طال ، والمقام يضيق عن الإطناب

مؤلفات جاد المولى بك

أشهر مؤلفاته كتاب « محمد المثل الكامل » وقد طُبع غير مرة ، وانتفع به كثير من المسلمين ، ثم ترجمه أحد الأفاضل إلى اللغة الفارسية باسم « عظمت محمد » ، وبهذا وصل نفعه إلى أبعد آفاق الشرق الإسلامي

ومن خير مؤلفاته « كتاب الأخلاق » وهو كتابٌ فصّل به المذاهب الأخلاقية أجل تفصيل

ثم ماذا ؟

ثم يكون الرد المفحم على ما اتهم به جاد المولى بك ، فقد قيل وقيل إنه وضع اسمه على مؤلفات كثيرة بوصف أنه اشترك فى التأليف مع أنه لم ينشئ بقلمه فصلاً من فصول تلك المؤلفات

ولهذه التهمة أصل من الصحة ، ولكن المتهمين تناسوا جوهر القضية ؛ فقد كان الرجل أستاذاً كبيراً ، والأستاذ يوجه أكثر مما يؤلف ، وبالتوجيه السديد أنشأ جيلاً من المؤلفين النوابغ ، وهم تلاميذه الأوفياء ، وبإرشاده وبجهودهم زُوِّدت المدارس بأطايب المؤلفات الأدبية والدينية . وهذا فضلٌ لا يجحده إلا أهل العقوق

تحية وسلام

أما بعد ، فإنى أسارع إلى رثاء هذا الرجل الكريم ، لأنى أخشى أن لا يجد من يرثيه ، فما كانت له عصبية دنيوية ، ولا كان يحب أن يكون له اسمٌ طنّان ، ولا كان يعلن معروفه ليقال إنه طوّق جيد فلان أو فلان

كانت أعماله لوجه الله ولوجه الوطن فى صمت وسكون

لم أستطع المشى فى جنازتك يا أستاذى وصديقى وزميلى ؛ فقد هدّنى الحزن الذى رأيته على وجوه رجال المعارف يوم موتك ، وهو حزن صادق من رجال صادقين

أفى الحق أنى لن أراك بعد اليوم ؟

أفى الحق أن إخوانك بوزارة المعارف لن يجدوك إن افتقدوك ؟

عندى خبر أبلغه إليك ، وهو أننا تلقينا اليوم خطاباً باسمك أرسلته الرابطة العربية تدعوك فيه إلى موافاتنا بعيادة الدكتور محجوب ثابت لتنظيم الاحتفال بتأبين الأستاذ محمود بك بسيونى ، رحمه الله ورحمك

فما رأيك فى أسبوع أفقد فيه صدلقين كريمين ؟

أتكون الدنيا غادرة إلى هذا الحد المزعج ؟

ما أسعد الذين شيعوه وشيعوك إلى مثواه ومثواك

عند الله أحتسب فجيعتى فى صديقين قد لا يجود بمثلهما الزمان ، ومن الله أستمد العزاء ، فليس من العدل أن أشقى لفراق صديقين يُشغلان عنى بما أعدّ الله من النعيم لأهل الصدق والوفاء .

زكى مبارك

فى مجموع رسائل الجاحظ

للأستاذ جليل

فى هذا الكتاب الذى أفضل على الأدب العربى فى هذا الوقت بنشره الدكتور باول كراوس ، والأستاذ محمد طه الحاجرى ، وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر — وجدت حروفاً أذكر بعضها اليوم :

١ — فى ص ٤٥ :

... فيفشو من هذه الجهات أكثر مما تفشيه ألسن المذاييع المبذر ، وجاء فى الحاشية : كذا فى الأصل ولعله البذرين أو البياذير

قلت : هى البُذُر مثل الصبور والصُبُر والغيور والغُيُر والفخور والفخُر ، والبذور والبذِر هو الذى يذيع السر ولا يكتمه ، ومثل البُذر فى المعنى المذاييع جمع المذياع وهو بناء مبالغة من أذاع السر إذا أفشاه

وفى حديث : ليسوا بالمساييح البذُر . وفى حديث علىّ : ليسوا بالمذاييع البذُر

٢ — فى ص ١٠٤ :

... وفى مثل آخر : لن تعدم الحسناء ذامًّا

قلت : هو لا تعدم الحسناء ذاماً . والذام والذيم : العيب ، وذامه ـ كذمه ـ عابه . ومثله العاب والعيب فى الوزن . وقد ذكرت كتب الأمثال قصة هذا المثل

٣ — فى ص ١٢٠ :

واستمسكت بحبلك ، واستذرأت فى ظلك

قلت : استذريت فى ظلك ، واستذرى بفلان أى التجأ إليه وصار فى كنفه ، وفلان فى ذرى فلان أى فى ظله

٤ — فى ص ١٠٢ :

... وقد قيل : كل مُجْرٍ فى الخلاء يسبق

قلت : المثل المشهور هو كل مجر فى الخلاء يُسر . وقد يقال : كل مجر بخلاء سابق ، وكل مجر بخلاء مجيد

٥ — فى ص ٧١ :

... وسواء — جعلت فداك — ظلمت بالبطش والغشم ، أو ظلمت بالدحس والدس

وجاء فى الحاشية : ولعل الصواب (أى صواب الدحس) : الدعس

قلت : الدعس الوطء . وأغلب الظن أنها الرسّ ، ورسّ بين القوم : أفسد

٦ — فى ص ٤٠ :

وقام مقام الإخبار عن غير تشاور ولا تواطئ مقام العيان

قلت : رسمُ التواطؤ هو بهمزة فوق واو . ومثل ذلك التجرؤ والتبرؤ اللتان يكتبونهما كثيراً بهذه الصورة : (التجرى والتبرى) وجاءت (خطئي) فى ص ٢١ بهذه الصورة : (خطأى) وأرى رسمها كما خططتها . وقد وردت التواطؤ فى ص ٢٤ مضبوطة

٧ — فى ص ٢٢ :

ومنهم من تريده للمهنة

قلت : ضبطت المهنة بكسر الميم ، وقد أنكر الأصمعى الكسر . ونقده الزمخشرى فى (الفائق) ووردت اللفظة فى كتب اللغة بفتح الميم وكسرها ، وفتح الميم والهاء ، وفتح الميم وكسر الهاء . نخير أن تضبط بالفتح والكسر ، أو بالذى هو أفصح — كما قالوا — وهو الفتح . ومثل الاقتصار على كسر الميم فى المهنة ضبط الضن فى ص ٧ و ٢٦ و ٢٧ بالكسر وهى بالفتح والكسر

٨ — فى ص ٦٣ :

ولا بد أيضاً من حزم يحذرك مُصارع البغى ، ويخوّفك من ناصر المظلوم .

قلت أرى أن تضبط « مصارع » بفتح الميم كما قصد صاحب القول .

٩ — فى ص ٦٤ :

والهوى يتصور فى صورة امرأة ، فلا يبصر مساقط العيب ، ومواقع الشرف

قلت : السرف ، والجمل التى بعدها تدل على ذلك ، ولم ينبه

على اللفظة فى جريدة « التصحيحات »

١٠ — فى ص ١٨ :

والإفراط فى المضرة مَبعثة على حربك ، والإفراط فى جر المنفعة مِغنا لمن أفرطت فى نفعه عنك

قلت : إذا كسرت عين (غنى) قصرت ، وإذا فتحتها مددت ، فقلت غَناء كما قال ابن سيده فى « المخصص » والغنى والغناء : الاستغناء

١١ — فى ص ٣٠ :

فتحرز من دخلاء السُّوء

قلت : السَّوء ـ بفتح السين ـ وهو الفساد

١٢ — فى ص ١٠٣ :

فلما لم ير أحداً بحضرته يدب عن كتابى قال ...

قلت : يذب بالذال ، وذب عنه دافع عنه . وهـذا تطبيع لم يذكر فى جريدة « التصحيحات »

١٣ — فى ص ١١٠

لا سيما إن كان مع استبطان الحسد

قلت : جاءت (ولا سيما) فى هذا الموضع وفى غيره مجردة من ذينك الحرفين . وأستبعد كثيراً هذا التجريد فى كلام المحدثين الأولين ؛ وإن أجاز ذلك نحاة من المولدين المتأخرين ، وقد وردت اللفظة ومعها صاحباها فى ص ٢٤ و ٦٨

١٤ — فى ص ٤٣ :

ألم تر أن وُشاة الرجا ل لا يدعون أديما صحيحا
فـلا تفش سرك إلا إليـ ك فإن لـكل نصيح نصيحا

قلت : (ل) فى أول الشطر الثانى فى البيت الأول هى فى مكانها فى هذا البحر . وفى المتقارب تجتمع العروض الصحيحة والمحذوفة . و (ك) في أول الشطر الثانى فى البيت الثانى مكانها فى الشطر الأول مع جارّها ، والقبض فى هذا البحر فى كل موضع حسن . فترتيب هذا البيت هو بهذه الصورة :

فـلا تفش سرك إلا إليك فإن لـكل نصيح نصيحا

وإذا كانت (الـكاف) فى العجز اختل وزنه

١٥ — فى ص ١٠٤

فإن أبناء النعم وأولاد الأسد محسودون

قلت : هل الأصل وأولاد الأسر ـ بالراء ـ محسودون ، ونحن هنا فى حسد الأناسية لا فى حسد السباع الضارية

١٦ — فى ص ١١٧

وإذا اكتسى ثوباً نسيسا لم أقل يا ليت أن علىَّ حسن ردائه

قلت : ثوباً نفيساً . والنسيس بقية الروح الذى به الحياة ، والجهد وأقصى كل شىء ، والجوع الشديد

١٧ — وفى هذه الصفحة المتقدمة :

وإذا تخرق فى غناه وفرته وإذا تصعلك كنت من قرنائه

قلت : وفرته بالفاء ، وهذا البيت والذى قبله هما من مقطوعة رويت فى (رسالة فصل ما بين العداوة والحسد) ورواها أبو تمام فى حماسته ، وهذه هى رواية حبيب :

إنى وإن كان ابن عمى غائباً[1] لمقاذف[2] من خلفه وورائه
ومفيده[3] نصرى وإن كان امرءاً متزحزحاً فى أرضـه وسمائه
ومتى أجئه فى الشدائد مرملاً ألقى الذى فى مزودى لوعائه[4]
وإذا تتبعت الجلائف مالنا خُلطت صحيحتنا إلى جربائه[5]
وإذا اكتسى ثوباً جميلاً[6] لم أقل يا ليت أن علىَّ حسن ردائه

وفى رسالة الجاحظ :

وكان عبد الله بن مروان إذا أنشد (إنى وإن كان ابن عمى . الأبيات) قال : هذا والله من شعر الأشراف . نفى عن نفسه الحسد واللؤم وللانتقام عند الإمكان والمسألة عند الحاجة

ناقد

* * *

فى (الرغيف) فى الحاشيه : (وإن كان ـ جـواب لولا ـ بلم لم يقترن بها أى باللام) (الحافظ بن حجر)

---

(١) فى المجموع : كاشحاً (٢) فى المجموع : لمراجم
(٣) فى المجموع : ومعيره
(٤) و (٥) لم يرد البيتان فى المجموع . والجلائف جمع جليفة وهى السنة الشديدة
(٦) فى المجموع : نفيساً

المـــــرأة ....!

للأستاذ عمر الدسوقى

مناجاة:

ويحك أيها اليراع! مالك تتململ ولا تحير جواباً؟ ما يحبسك عن خوض هذه المعركة المحتدمة؟ إنها الفتنة تكاد تتمخض عن شر مبين، وسيطرة لا تنازع لتلك الأقلام التى تنكرت لما نحب ونؤمن أنه الحق! وإذا كتب لها الفلج فهيهات أن نجد سميعاً أو مجيباً أو مؤازراً، بل ستخمد إلى الأبد مطموراً مع تلك الفضائل الحبيبة التي عصفت بها أعاصير الفتنة الجامحة!

استيقظ - ويحك - من هذا السبات الطويل؛ فإن الصمت اليوم جريمة! ألا ترى كيف يناضل دعاة الفتنة، ويصدرون عن ذهنية واحدة، ويضربون فى هدف واحد، ويسيرون قُدُماً بخطى ثابتة يريدون أن يجتثوا ما بقى فى قلوبنا من عقيدة وفى نفوسنا من حياء، ويمسخوا تقاليدنا الطيبة مسخاً زرياً؟!

هل تخشى أيها اليراع ذياك التيار الجارف العنيف الذى يهدر بالمجانة والعبث والرذيلة، ويكتسح أمامه النفوس الضعيفة المستخذية المنحلة ويقوض دعائم الحق والإيمان والفضيلة؟ هل يردعك ألا تجد فى الميدان لداتك من دعاة الحق إلا نفراً قليلاً؟ ...

لا تُرع أيها القلم! فإن هناك نفوساً كثيرة خيّرة لا تزال صامدة صابرة تقاوم سيل الأباطيل المتدفق الذى يزلزل الأرض تحت أقدامها، وإن كان يخشى عليها الزلل إن لم يتقدم من يشد أزرها، وينافح عن مبادئها السامية، ويزيل من طريقها ما أثارته تلك الأعاصير حتى يتكشف لها الحق ويتضح الخير فيسكن بلبالها وتطمئن أفئدتها وتذهب شكوكها.

لا ترع أيها القلم! فإن دعاة الخير كثيرون، وإن كانوا فى صمت رهيب كما كنت، وسوف يدوى صوتهم كما كان بالأمس وسوف يَغصُّ بهم الميدان ثانية، فلن تكون فى قلة، إن «الرسالة» فى ماضيها المجيد قد كشفت عن أقلام جريئة قوية صادقة. فأين هى تلك الأقلام يا ترى؟ لعلها تستجيب لندائك فتلبى سراعاً، فتكافح فى سبيل الدنية والخير والفضيلة!

من يوميات فتاة عصرية:

فتاة مسلمة من أصل جركسى ولا يفوتنى أن أشكر المؤلف إذ لم يدع أنها من سلالة عربية - تقطن القاهرة مدينة المعز، ومثابة الدين لا ترى حرجاً، وقد تشربت نفسها روح الحضارة الأوربية، وخلب لبها زيفها - أن تسجل فى مذكراتها ما يأباه الدين والكرامة، فهي تسمح لعلى شقيق صديقتها بأن يقبلها لأنها (تستلطفه)، ثم تغازل أحمد فى سيارة عامة لأن عينيه جذابتان، وتدع منديلها يسقط على مرأى منه كى يعدو وراءها ويناديها فتعرف: هل صوته جميل كعينيه؟ وتراه يدخل حانوت وراق فتلجه خلفه وتتمسح به، فإذا خرج كانت معه لدى الباب كما أرادت فيدعوها للخيالة فتلبى رغبته، وهى لا ترى بأساً من الكذب على والديها، وتذهب معه لإحياء ليلة رأس السنة فى ملهى من ملاهى القاهرة وتعود بعد منتصف الليل ولا ترى ضيراً من إحياء عيد ميلادها هى بشرب قدحين من «البورتو»، وقد كادا يكونان من «الويسكى» فى مقهى بالجيزة... الخ ما هنالك مما أستحى أن أسطره

هذا بعض ما جاء فى آخر ما صدر من سلسلة «اقرأ»، ولست أدرى وأيم الحق ما غرض مؤلفه منه!

أيريد أن يعرض علينا صورة بشعة مما عليه بعض الفتيات اللاوائى نبذن الفضيلة والخلق الرضى وراءهن ظهرياً، وقلدن الفتاة الغربية فى مثالبها ونقائصها فيثير فينا الحمية، حتى ننأى ببناتنا عن مزالق الفتنة؟

أم يريد أن يؤنبنا على تفريطنا فى أمر الفتاة ، وأنا تركنا لها الحبل على الغارب ، فكان هذا شأنها ؟ أم يريد أن يقول : إن هذه هى الفتاة المصرية ، فيأيها الفتيات اللائى لا يزلن متمسكات بالفضيلة والحياء ، إنكن جامدات رجعيات ، وإن التمدن لن يكون إلا على هذا النمط ، فقلدن « سميحة » حتى تتشرفن بأن يخلع عليكن لقب « المصريات » ؟

وربما لم يقصد المؤلف شيئاً من كل هذا ، وإنما يرمى لهدف لا أدريه ، أو أنه يقصد « الفن للفن » ، وإن كان عقلى الكليل لم يجد فيما كتب فناً

لا أنكر وجود هذا الصنف من الفتيات اللائى ينتسبن إلى بيئات تدعى أنها « أرستوقراطية » ، ولعل الكاتب قد تلطف كثيراً فلم يعرض إلا نموذجاً « معتدلاً » منهن . ولكن أما آن لنا أن نكف عن عرض هذه المغريات التى تهوى بمجتمعنا إلى الحضيض ؟

لقد ظهرت « سميحة » بأنها فتاة تعبث ولكنها لا تزل ؛ وهذه خدعة من الكاتب ، إذ لو هوت وزلت لارتدعت فتيات كثيرات ممن سيقرأن هذا الكتاب حفاظاً على شرفهن . وهب أن فتاة ما نجت بفضل مهارتها وإرادتها ، أو بفضل ظروفها إذ لم تقع بين يدى ذئب مستهتر من ذئاب البشرية ، فهل هناك ما يكفل لكل فتاة تنهج هذا النهج ذيّاك المصير ؟

إننا لا نكتب لمصر فحسب ، بل نكتب للشرق العربى كله ، وليس هذا النوع ـ ونحن فى فجر نهضتنا السياسية والاجتماعية ـ مما يجدر بنا أن نذيعه ، فضلاً عن أنه يصور بيئتنا بصورة غير حقيقية لا تمثل إلا شرذمة انفلتت من تقاليدنا الإسلامية ، ومسخت مسخاً غريباً فتنكرت لنا ، وتنكرنا لها

كم نسبة المتعلمات فى مصر ـ على فرض أنهن جميعاً من هذا الطراز لا قدر الله ـ ؟ شىء ضئيل لا يكاد يذكر مع مجموع سكانها . فهل من الإنصاف أن نتحدث عن الفتاة المصرية بمثل هذا ؟

لست ممن يحاربون تعليم الفتاة ، لأنى أومن بأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وأن الأم المتعلمة خير من الجاهلة ؛ ولكنى أريد تعليماً يغرس الفضائل فى النفوس الغضة ، تعليما يجعل منها زوجاً صالحة ، وأمّا تنشئ جيلاً قوياً فتياً مُعَداً لمستقبلنا الذى يفرض عليه تبعات كبيرة

إنى أومن كذلك برسالة مصر الأدبية ، ولكن إذا كان فى مجتمعنا ما نزرى ، فهلا سترناه عملاً بالحكمة المشهورة : « إذا بليتم فاستتروا » ! إنى أعلم أن مصر قدوة تحتذى فى البلاد العربية ، فلم لا تكون القدوة حسنة تجارى الطبيعة العربية والفضائل الدينية ؟ !

* * *

حزب نسائى أما سمعت بأن النساء يؤلفن حزباً فى مصر ـ إذ لا ينقصنا غيره ـ وأن من أغراض هذا الحزب المطالبة بما يسمونه حقوق المرأة فى الانتخاب ، وأن بعضهن يطلب تغيير الشريعة الإسلامية فى الطلاق ، إذ لم يحسن الرجل استعماله فلتجرّب المرأة ، وفى الميراث ، فتتساوى النساء والرجال . . . إلى آخر ما هنالك مما أذاعته بعض المجلات عندنا

ليست هذه الأمور مما يحمل بنا التغاضى عنها وإهمال مناقشتها ، فإن كانت فاسدة وجب محاربتها ، وإلا تركناها تأخذ مجراها الطبيعى . أما المطالبة بما يسمونه حق المرأة فى الانتخاب فليس هذا أوانه أبداً ؛ لأن تسعة أعشار النساء فى مصر يرسفن فى أغلال الجهل والفاقة والأميّة والخرافات ، وليس من الطبيعى أن نكلف هذه الأكثرية العظمى فوق طاقتها بأن تفكر فى الانتخابات وتعنى بالشئون العامة ، وهى لم تنل بعد من الضروريات ما يجعلها تعيش كانسان ، وإذا كانت جمهرة المنتخبين من الرجال فى مصر لا يحسنون استعمال هذا الحق بعد فكيف يكون حال النساء ؟ أليس عملكن هذا كمن رى بائساً جائعاً يموت من الطوى ، وعريانا تنفضُّ أعضاؤه

وتيبس من البرد فيعرض عليه نزهة فى سيارة ؟ ! إن المرأة الأوربية التى تحاكيها لم تنل هذا الحق إلا بعد أن صار التعليم فى ديارها أكثر من تسعين فى المائة ؛ ففى انجلترا مثلاً لم تنله إلا فى هذا القرن ، ومنذ سنين معدودات . وأولى بنا ألا نفكر فى هذا إلا بعد أن نبلغ هذا القدر من التعليم

إنى أتمنى كل الخير للمرأة المصرية فهى نصف الأمة أو تزيد ، وأرجو أن تخلص الحركة النسائية فى مصر لقضية المرأة فلا تهتم بالزخارف وتغفل الجوهر ، وتقلد المرأة الغربية تقليداً أعمى فى آخر ما وصلت إليه . إن الخطوات الطبيعية للنهوض بالمرأة المصرية أن يحشد المتعلمات جهودهن لإزالة الفقر والجهل ومحو الأمية وتنوير عقول الجمهرة من نسائنا ، حتى لا يخلدن إلى الخرافات والخزعبلات والرقى والتعاويذ

أما الشطط الذى يلجُّ فيه بعض المتعلمات حين يطالبن بتغيير الشريعة الإسلامية فى الطلاق والميراث فينم عن عدم تبصرة بمبادىء الإسلام ؛ وما تتضمنه من خير عميم للمرأة المسلمة تحسدها عليه كل امرأة أخرى فى العالم . ولست هنا فى صدد بيان هذه المبادىء والإفاضة فى شرحها ، بيد أنى أقول : إذا كان بعض الرجال قد حاد عن نهج الدين وأساء استعمال هذا الحق ولم يستمع لقول نبى الإسلام عليه السلام « أبغض الحلال عند الله الطلاق » ، فلن يكون عمل هذا النفر دليلاً ما على أن الشريعة الإسلامية لم تتوخ العدالة ولم تعرف أى الجنسين أولى بأن يمسك عقدة الطلاق . فالمرأة مرهفة الحس رقيقة العاطفة ، سريعة التأثر ، وزوجها مكلف شرعا بالإنفاق عليها وعلى بنيها ، فهو يقدر التبعة حق قدرها ويأخذ حقه الطبيعى . إن مآسى الطلاق فى أوربا تفوق الحصر ، ويضطر أولو الأمر فى لندن لإنشاء محكمة للطلاق كل عام حتى تناهض عدد القضايا الكثيرة ، فخير لنا أن نحترم شريعتنا وأن نبث تعاليم الدين الصحيح بين أفراد الشعب ، وألا نغالى فى ظلامات النساء .

أما حق المرأة فى الميراث ، فالمفروض أنها ستكون زوجاً ؛ لأن هذه هى وظيفتها التى هيأتها لها الطبيعة ، فإذا أخذت نصف أخيها فى الميراث ستأوى إلى من يتكفل بعيشها والنفقة عليها ، فيكون نصيبها ونصيب زوجها مساوياً لنصيب أخيها وامرأته ، وهذه هى العدالة بعينها . فلا بد من تفهم الإسلام قبل أن نجهر بهذه الآراء الفجة التى تدل على تسرع المرأة وانفعالها وسرعة تأثرها وعدم إصغائها لنداء العقل بل لصوت العاطفة .

عمر الدسوقى

المدرس بمعهد التربية العالى

اقـــرأ

نتيجة الاستفتاء

بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٤٤ صار إحصاء وفرز الأصوات الواردة فبلغ عددها ٢٧٠٩ بنسبة ١٨٪ من النسخ التى توزع شهرياً

نال الكتاب رقم ٨ « مذكرات دجاجة » للدكتور إسحق موسى الحسينى بالقدس العدد الأكبر من استحسان القراء بنسبة ٣١٪ من مجموع الأصوات الواردة فاستحق جائزة « اقرأ » لسنة ١٩٤٣ وقدرها سبعون جنيهاً

فاز حضرة السيد مصطفى البارودى بدمشق بالاقتراع السرى من بين القراء الذين استحسنوا الكتاب الثامن فاستحق الجائزة المخصصة لذلك وقدرها ثلاثون جنيهاً

فازت سلسلة اقرأ باهتمام وتقدير وتشجيع القراء فى جميع البلاد العربية .

جولة في الفردوس

مع الشاعر المبدع ميخائيل نعيمة

للأستاذ رديني خشبة

« إلى روح أبى العلاء ، بمناسبة
أسبوعه فى لبنان الصديقة »

استطاع شاعر لبنان المبدع ميخائيل نعيمة أن ينقلنا معه على أجنحته الأثيرية إلى جنته الوارفة الظلال ، التى غرسها خياله الواسع الشاسع العلوى العجيب .

صحبناه فيها ساعة ، بل ساعات ، فى مجموعته الشعرية الرقيقة « همس الجفون »[1] التى جمعت طائفة من أشعاره الباهرة الممتعة من نظمه بين سنتى ١٩١٧ و ١٩٣٠ ، بعضها بالعربية وبعضها بالإنجليزية ، مترجماً إلى العربية بالشعر المنثور ، فما راعنا إلا أن نرى شبحين ، أو طيفين بلازماننا فى رحلتنا إلى هـذه الجنة العجيبة غُدُوًّا ورواحا . . . أحدهما عن يميننا ، وكان عابساً متجهماً ، منقبض القلب . . . كاسف البال ، منطوياً على نفسه ، غائر العينين مظلمهما . . . وقد وقف عند الباب فلم يدخل معنا . . . ولم ندعه نحن للدخول ، لأننا لم نكن قد دعوناه لاصطحابنا فى هذه الرحلة البعيدة المدى ، بل لم نلق بالنا إلى عروجه معنا . أما ثانيهما فكان يدلف عن شمالنا ، وكان هاشاً باشاً ، ضحوكا طروباً . . . تشيع فى أعطافه نشوة تشبه الُخمار ، فهو يتثنى ويتمطى . . . ونحن ننظر إليه ، ولا نستطيع أن نفهم عنه هـذا التخلّج ولا ذاك الاضطراب . . . فلما انفتح باب الجنة كان أسبقنا إليها دخولا ، وأعرفنا بها مسالك ودروباً . ثم ابتعد عنا وغاب بين الأشجار عن أنظارنا ، وسمعنى شاعر لبنان أردد من شعره ، وقد سمعت نغما ينبعث من أقدام ذاك الطيف :

من ذلك ، بين الأشجار يمشى نخيـــال من نار
هو يضرب عوداً والأشجا ر تئن لشكوى الأوتار
الزهر يُنكّس تيجـــانه والحور يُكلِّم أغصـــانه
والريح تمـــر على أوتار العود فتخنق ألحانه ![1]

فتبسم وقال : هذا النيسابورى عمر الخيام . فقلت : ليته رأى شيئاً كهذا فى حياته ، إذن لكان آمن وكفى نفسه شر هـذا الشك الذى باعد بينه وبين هـذا الفردوس ! إنى لأسمعه الآن وهو ينشد :

عدم آخر الوجود ، فصاحى هات راحاً أغدو بهاغير صاح
وأدرها ريحانة الأرواح
لست شيئاً بعد الممات فهبنى لست شيئاً قُبيله ، واصطحبنى
نقتل الوقت لذةً وانشراحا ! ونحولاً ونشوةً وانطرابا[2] !

فأرثى له ، لأنه نفى أن يكون شيئا بعد الموت ، وها هو ذا يسمى بروحه بين أيديكم يا معشر الشعراء إلى حيث تذهبون من هذه الجنات التى تغرسونها اليوم . . . لله الله !.. أين ولى ؟ . . . فقال صاحبى اللبنانى : لقد ذهب يلتمس ريحانة الأرواح فى ظل تلك الكرمة النائية ، فهلم نذهب إليه ، فقلت : عجبا لك يا صاحبى ! ألا تزال مشوقاً إليه مشغوفاً به ، وأنت من أنت فى هـذه الجنة الفيحاء ؟ أليس بحسبك ما ترسَّمت خُطاه ، حين قلت فى همس جفونك ، من أوراق الخريف :

عودى إلى حضن الثرى وجددى العهـــود
وانسى جمالاً قد ذوى ما كان لن يعود
كم أزهرت سوسانةٌ وكم ذوَتْ ورود
فلا تخافى ما جرى ولا تلومى القــدرا
فمن أضاع جوهراً يلقـــاه فى اللحودْ
عودى إلى حضن الثرى ![3]

وأردت أن أردد من أشعاره ما ردد فيهـا من معانى النيسابورى عمر الخيام ، لولا أن تجهم قليلاً ، وقال مقاطعاً : لكنك تبدّل بعض الكلمات فى شعرى ولا ترويه كما نظمته . . . فاعتذرت إليه بأنى إنما أروى الذى علق بالذاكرة ، وقد لا تؤتمن الذاكرة فى غالب أمرها

ثم انطلقنا إلى حيث جلس الخيام فى ظل كرمة ، وقد وقف أمامه مخلوق عجيب يحاسبه ويشتط عليه فى الحساب . . .

(١) طبعته مكتبة صادر ببيروت طبعاً أنيقا وثمنه ٤٥ قرشا مصريا

(١) همس الجفون ص ٤١ (٢) رباعيات الخيام للبستانى ص ٧٣
(٣) همس الجفون ص ٤٥

فلما سألت صاحبي اللبناني عن هذا المخلوق الأديب المتمكّن ، ذكر لى أنه زُهير بن نُمَيْر ، شيطان ابن شُهيد ، الذى ألهمه رسالته « الزوابع والتوابع » . فقلت له : وما زهير بن نمير فى هذه الجنة ، وهو شيطان ! ؟ فتبسم صاحبي ثم قال : لعله ما أوى إلى هذه الجنة إلا ليحاسبني أنا ، لا ليحاسب الخيام ... فامض بنا ، وليكفنى الله شره ! فقلت له : وما ذا تخشى منه ؟ إنى لأراك تفرق أشد الفرق ! فقال : أخشى منه تحذلقه وتشبثه السخيف بالعربية الصحيحة الفصحى ؟ فقلت : أتعد التشبث بصحة اللغة وفصاحتها سخفاً ؟ ! والله لنشركنه فى هذا الأمر إذن ! يا زهير ... يا زهير ... يا زهير بن نمير ... ولم أزل أهتف به حتى شغلته عن الخيام ويمم نحونا . ولم يُحَيِّ ولم يُبَشّ ، بل عبس عبوسةً مظلمة قاتمة ثم قال : ويحك أيها اللبناني ! أتدع أستاذك وابن جلدتك وفخر بلادك ... دُرة المعرّة أبا العلاء العظيم ، بباب هذه الجنة ، فلا تدعوه ولا تكلمه ، وتترك تلميذه هذا الخراسانيّ ، ينفتل إليها ويعيث فيها ، ويبحث أول ما يبحث عن أمّ عنب فينبطح فى ظلها ؟ من علمكم غرس الفراديس والتقلب فى أفياء الجنان غير أبى العلاء ؟ وأنت مع ذاك تقول لصاحبك إنك تخشانى وتفرق من محاسبتى لتشبثى الذى تنعته بالسخف ، بالعربية الصحيحة الفصحى ؟ ولكن ، لا والله ... فلن يكون قاضيك إلا ذاك الذى تركته عند باب جنتك دون أن تدعوه إليها ... فعد أدراجك إليه ثم كفر له عن ذنبك ، ويشرفنى أن أكون فى إثرك مشاركاً فى الدعوة عسى أن يغفر لك الشيخ !

ورأيت جبين صاحبي يُقطِّب تقطيباً شديداً ؛ وما كاد يخطو خطوة إلى وراء حتى انطوت أرض الفردوس تحت قدميه وتحت قدمى ، فكنا عند الباب من قدمنا ، وإذا سيدنا أبو العلاء ينظر إلينا بكلتا عينيه الغائرتين ، وقد رد إليهما الله القدير نورهما ثم يبتسم ... وكنت أسبق إليه من صاحبي بالتحية التى حيانا بأحسن منها . وإذا كان أمر زهير بن نمير عجيباً ، حين عرف ما تحدث به صاحبي ولم يكن معنا ولا قريباً منا ... فقد كان أمر أبى العلاء العظيم أعجب ... لقد هوّن على الشاعر اللبنانى المبدع ما قال زهير ، وما عنف عليه به ، ثم أخذ يعاتبه هذا العتب الظريف اللطيف الحلو ، دون أن يدخل الجنة :

ما ذا يا جفيد الأحفاد ، وسليل العُرب النجُب الأمجاد ! فيمَ ضربك فى بيداء الشك وأنت أكبر آية على الحق الذى تبكى من أجله دون أن تهتدى إليه ؟ لماذا تعيش كما عشت من قبلك موزعاً بين الفلسفات والوساوس ، مقسماً بين الظلام والنور ، قلقاً بين الرجاء واليأس ، مضطرباً بين الضلال والإيمان ؟ لشد ما رثيت لك حينما انتهى إلىّ قولك :

فإذا ما راح فكرى عبثاً ... فى صحارى الشك يستجلى البقاء
مر منهوكاً بقلبى فجثا ... تائباً يمتص من قلبى الرجاء
وإذا ما أملى يوماً مشى ... تائهاً فى مهمه العيش السحيق
عاد لما كاد يقضى عطشا ... يحتسى الإيمان من قلبى الرقيق
وإذا الإيمان ولى والرجا أضحى ضرير
فليَمِ قلبى إلى أن يُنفخ البوق الأخير !

لقد قلت عنى مرة : « وهذا الرجل عينه ، من بعد ألف سنة مرت على انعتاقه من حياته المرة ، يفتح لى ، وللكثير سواى باب منزله على مصراعيه قائلاً : « تفضلوا وادخلوا »[1] وهذا هو الذى يؤلمنى ويقض مضجعى فى ظلمات قبرى ياصديقى العزيز ... فلشد ما يضاعف آلامى أن أكون سبباً فى هذه البلبلة التى تملأ خيالك وتجعله شروداً هائماً ، كما تملأ خيال غيرك من الشعراء الذين تأثروا بى ومشوا على دربى وانتهجوا نهجى . لقد كنت أفكر بآلامى ، وكانت الظلمات التى تملأ عيني تتدجى فى فؤادى . وكانت زيارتى للاذقية ، ولبنى بدبرها ، فتنة لى وعاصفة فى إيمانى ... ولكن ما بالكم أنتم يا شعراء القرن العشرين ، ومفكرى عصور النور والمدنية ، الضاربين بين العالمين القديم والجديد ... ما بالكم تنظرون إلى الدنيا بأعيننا ، وتفكرون فيها بأداة تفكيرنا ؟ لقد تكشفت لكم عن مئات من الأسرار التى كنا نجهلها ، ونقف منها موقف الحدس ، بل موقف التخمين والترجيم ... فلماذا لا تؤمنون ؟ لماذا لا تملأونها نوراً على نور وبهجة على بهجة ؟ ثم ما هذا الذى أسمعك تتغنى به :

كحل اللهم عينى ... بشعاع من ضياك ... كى تراك
فى جميع الخلق ، فى دود القبور ... فى نسور الجو ، فى موج البحار

(١) هلال يونيه ١٩٣٨ من مقال الشاعر عن أبى العلاء

٢ـ القضايا الكبرى في الإسلام
قتل الحلاج
للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

الحلاج هو الحسين بن منصور من أهل البيضاء ، وهى بلدة بفارس ، وقد نشأ بواسط من مدن العراق ، وصحب أبا القاسم الُجنَـيْدَ وغيره من أكابر المتصوفة . ولم تكن أسرته قديمة عهد بالإسلام ، بل كان جده مجوسياً ، ومن شأن من يكون حديث عهد بدين أن يأخذ فيه طريق التشدد ، فرأى الحلاج أن يأخذ فى إسلامه طريق التصوف والزهد ، وأن يبالغ فيهما إلى أقصي حد . وقد سار من العراق إلى مكة فأقام بها سنة فى الحِجْرِ ، لا يستظل تحت سقف شتاء ولا صيفاً . وكان يصوم الدهر ، فإذا جاء العشاء أحضر له الْقَوَّامُ كوز ماء وقُرْصاً ، فيشرب الماء ، ويَعَضُّ من القرص ثلاث عضات من جوانبه فيأكلها ويترك الباقى فيأخذونه ، ولا يأكل شيئاً آخر إلى الغد آخر النهار . وكان شيخ الصوفية يومئذ بمكة عبد الله المغربى ، فأخذ أصحابه ومشى إلى زيارة الحلاج فلم يجده فى الحجر ، وقيل له قد صـعد إلى جبل أبى قُبَيْسٍ ، فصعد إليه فرآه على صخرة حافياً مكشوف الرأس ، والعرق يجرى منه إلى الأرض ، فأخذ أصحابه وعاد ولم يكلمه ، وقال : هذا يتصبر ويتقوى على قضاء الله ، سوف يبتليه الله بما يعجز عنه صبره وقدرته

ثم عاد الحلاج إلى بغداد فمضي فى إظهار الزهد والتصوف ، وجعل يظهر الكرامات للناس ، فيخرج لهم فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء ، ويمد يده إلى الهواء فيعيدها مملوءة دراهم قد كتب عليها — قل هو الله أحد — ويسميها دراهم القدرة ، ويخبر الناس بما أكلوه وما صنعوه فى بيوتهم ويتكلم بما فى ضمائرهم ، فافتتن به خلق كثير ، واعتقدوا فيه الحلول ، واختلف الناس فى أمره اختلافاً كبيراً ، فمنهم من قال : إنه حَلَّ فيه جزء إلهي ، وادعى فيه الربوبية ، ومنهم من قال : إنه وَلِيٌّ من أولياء الله تعالى ، والذى يظهر منه من جملة كرامات الصالحين ، ومنهم من قال : إنه مُشَعْبِذٌ ومُمَخْرِقٌ وساحر كذاب ومُتكهِّنٌ ، والجن تطيعه فتأتيه بالفاكهة فى غير أوانها

فى صهاريج البرارى ، فى الزهور

فى الكلا ، فى التبر ، فى رمل القفار

فى قروح البرحى ، فى وجه السليم

... ...

ما هذا الكلام يا أخى ... مادود القبور ، وما هذا الدود الكثير الذى تملأ به أشعارك ، وما صهاريج البرارى ، وما قروح البرحى ؟ أهذا من جملة ما علمتك يا ميخائيل ؟ هل فتحت لك بابى لتملأ أشعارك بدود القبور وصهاريج البرارى وقروح البرحى ! أعوذ بالله يا صاحبي ... أعوذ بالله !

وهل هناه هي بدائع خلق الله التى تراه فى مفاتنها ؟ ثم ما هـذا التفريط فى سلامة العربية يا حفيد العرب الأمجاد ؟ ... وكيف تكسو عرائس أشعارك هذه المزق وتلك الأسمال ؟ أنظر إليهن كيف يعشين فى استحياء مما أضفيت عليهن ...

وهنا هز زهير بن نمير أعطافه تيهاً وعجباً ، ثم دس فى الحديث أنفه وقال : حاسبه يا فخر العرب ، وذخيرة اللغة والأدب ، على هذه المهنات : يشمخ أنفه[1] ورَدَانا الخزى والعار[2] والرعـد يدوى[3] ونَجْع القتيل[4] ولا يكف الضرب[5] والأحلام والشك والآلام والأيام أطلوا[6] وكل هذا فى ربع الديوان الأول ، بدل يشمخ بأنفه ، وأردانا ، ويُدَوِّى بالتشديد ، ونجيع ، ولا يكف عن ، وأطلّت . فقال أبو العلاء : صه يانمير صه ... إن من المصريين من يعيبون على الناقد ما يأخذ على الشاعر أو الأديب ما يقع فيه من اللحن ، كأن اللغة صارت من الهوان بحيث لا يقام لها وزن ... على أنى أجلك يا ميخائيل عن مراتب اللّحانين بقدر إجلالى لك عن التردى فى مهاوى الشك . ورجائى ألا تضيق بى ، وأستودعك الله وأدعو لك . والسلام عليك ورحمة الله . عشتَ للعرب وأغنية الأدب »

ولا أدرى والله كيف عدنا إلى هذه الأرض ، ولا كيف وقع لى هذا الحديث . والذى أذكره أن زهير بن نمير أراد أن يخوض فى حديث صاحبه فصرفه أبو العلاء ، ولعل لذلك عودة

دريني خشبة

(١) ص ١٢
(٢) ص ١٦ (٣) ص ١٨ (٤) ص ٣٢
(٥) ص ٣٥ (٦) ص ٣٨

وكان ذلك فى عهد المقتدر بالله العباسى ووزيره حامد بن العباس ، وقد تولى له الوزارة بعد أبى الحسن بن الفُرَاتِ ، وكان قبلها يقوم بأعمال واسط ، فذكر للمقتدر حاله وسعة نفسه وكثرة أتباعه ، وأن له أربعمائة مملوك يحملون السلاح ، فأمره بالحضور من واسط فحضر وقبض على ابن الفرات ، وقد أقام حامد فى دار الخلافة ثلاثة أيام ، فكان يتحدث مع الناس ويضاحكهم ويقوم لهم ، فبان للخدم ولأبى القاسم بن الحوارى وحاشية الدار قلة معرفته بالوزارة ، وقال له حاجبه : يا مولانا ، الوزير يحتاج إلى لبسة وجلسة وعبسة . فقال له : تمنى أن نلبس ونقعد فلا نقوم لأحد ، ولا نضحك فى وجه أحد ، ولا نحدث أحداً ؟ قال : نعم . فقال له : إن الله أعطانى وجهاً طلقاً وخُلقاً حسناً ، وما كنت بالذى أعبس وجهى وأقبح خلقى لأجل الوزارة . فعابوه عند المقتدر ، ونسبوه إلى الجهل بأمور الوزارة ، فأمر المقتدر بإطلاق على بن عيسى من محبسه ، وكان وزيراً للمقتدر قبل ابن الفرات ، وجعله يتولى الدواوين كنائب عن حامد ، فكان يراجعه فى أمور الدولة ، ويصدر عن رأيه فيها ، ثم استبد بالأمر دونه ولم يبق له من الوزارة إلا اسمها ، حتى قيل فيهما :

هذا وزير بلا سَوادٍ   وذا سواد بلا وزير

وكان هذا سبباً فى اضطراب الأمور ببغداد ، فضعفت هيبة السلطنة ، وطمع اللصوص والعيَّارُون ، وكثرت الفتن ، وكُبِسَتْ دور التجارة ، وأخذت بنات الناس فى الطريق المنقطعة ، وكثر المفسدون فى الأرض

وقد نقل إلى حامد — وهذا شأنه — عن الحلاج ما يفعله فى بغداد ، وأنه احيا جماعة من الناس بعد موتهم ، وأن الجن يخدمونه ويحضرون عنده ما يشتهى ، وأن الناس قد فتنوا به وقدموه على جماعة من حواشى الخليفة ، وأن نصرا الحاجب وغيره من الحاشية قد مال إليه ، فاهتم حامد بأمره ، وطلب من المقتدر أن يسلم إليه الحلاج وأصحابه ، فدفع عنه نصر الحاجب عند المقتدر ، ولكن الوزير ألح على المقتدر حتى سلمه إليه

ومن هنا تبدأ قضية الحلاج التى اختلف الناس فى أمرها اختلافاً كبيراً ، وسندلى برأينا فيها بعد أن نفصل أمرها من أولها إلى آخرها ، وقد أخذ حامد الوزير فى التحقيق مع الحلاج قبل أن يقدمه إلى القضاء ، ليمين التهمة التى ينسبها إليه ، ويطلب من القضاء أن يحاكمه على أساسها ، فأحضر شخصاً يعرف بالشمرى وغيره ممن قيل إنهم يعتقدون فى الحلاج الألوهية ، وقد قررهم فاعترفوا بأنه قد صح عندهم أنه إلٰه ، وأنه يحيى الموتى . ومما ينسب إلى الحلاج فى ذلك أنه كان يقول : أنا الحق . ويقول : ما فى الُجبَّة إلا الله . ولكن الحلاج أنكر ما نسبوه إليه ، وقال : أعوذ بالله ان أدعى الربوبية أو النبوة ، وإنما أنا رجل أعبد الله عز وجل

فلم يقبل منه حامد هذا الإنكار ، وأحضر القاضى أبا عمر محمد بن يوسف والقاضى أباجعفر بن البُهْلول وجماعة من وجوه الفقهاء والشهود ، فاستفتاهم فيما أقر به الشمرى وغيره من نسبة الألوهية إلى الحلاج ، فقالوا : لا يفتى فى أمره بشىء إلا أن يصح عندنا ما يوجب قتله ، ولا يجوز قبول قول من يدعى عليه ما ادعاه إلا ببينة أو إقرار

فاجتهد حامد فى أن يأخذ إقراراً من الحجاج بما نسبه إليه الشمرى ، وكان يخرجه كل يوم إلى مجلسه ويستنطقه فلا يظهر منه ما يخالف الدين ، وقد طال الأمر على ذلك وحامد مُجِدٌّ فى أمره ، وكان يحاول أن يجد ما يستحل به دمه ، وجرى له فى ذلك قصص يطول شرحها . ثم عثر أخيراً على كتاب للحلاج وجد فيه بغيته ، لأن الحلاج ذكر فيه أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد من داره بيتاً لا يلحقه شيء من النجاسات ولا يدخله أحد ، فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله ، وفعل ما يفعله الحاج بمكة ، ثم يجمع ثلاثين يتيماً ، ويعمل أجود طعام يمكنه ، ويطعمهم فى ذلك البيت ويخدمهم بنفسه ، فإذا فرغوا كساهم وأعطى كل واحد منهم سبعة دراهم ، فإذا فعل ذلك كان كمن حج

فأحضر حامد القاضى أبا عمر ، فلما قرئ عليه ما ذكره الحلاج فى ذلك الكتاب قال له : من أين لك هذا ؟ قال : من كتاب الإخلاص للحسن البصرى . فقال له : كذبت يا حلال الدم ، قد سمعناه بمكة وليس فيه هذا . فلما قال له يا حلال الدم وسمعها الوزير قال له : اكتب بهذا . فدافعه القاضى ؛ فألزمه

الوزير ، فكتب بإباحة دمه ، وكتب بعده من حضر المجلس .

ولما سمع الحلاج ذلك قال : ما يحل لكم دمي ، واعتقادي الإسلام ، ومذهبي السنة ، ولي فيها كتب موجودة ، فالله الله في دمي

ثم كتب الوزير إلى المقتدر يستأذنه في قتله ، وأرسل الفتاوى إليه ، فكتب إليه المقتدر : إذا كان القضاة قد أفتوا بقتله فليسلم إلى صاحب الشرطة ، وليتقدم إليه فيضربه ألف سوط ، فإن مات من الضرب وإلا ضربه ألف سوط أخرى ثم يضرب عنقه . فسلمه الوزير إلى الشرطي ، وقال له ما رسم به المقتدر ، وأوصاه إن خدعه وقال له أنا أجري الفرات ودجلة ذهباً وفضة ألا يسمع منه ، ولا يرفع العقوبة عنه ، فتسلمه الشرطي ليلا ، وأصبح يوم الثلاثاء لسبع وقيل لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلثمائة ، فأخرجه عند باب الطاق ، واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم ، ثم ضربه الجلاد ألف سوط فلم يتأوه ، بل قال للشرطي لما بلغ ستمائة : أدْعُ بي إليك ، فإن لك عندي نصيحة تعدل فتح القسطنطينية . فقال له : قد قيل لي عنك أنك تقول هذا وأكثر منه ، وليس إلي أن أرفع الضرب عنك سبيل

فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعة ، ثم حَزّ رأسه وأحرق جثته ، ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة ، ونصب الرأس ببغداد على الجسر ، وانتهت بذلك مأساة هذه القضية

وقد اختلف العلماء في هذا الحكم اختلافا كبيراً ، ففريق يرى أنه حكم صحيح ، لأن الحلاج قد ارتد عن الإسلام بدعوى الألوهية ، وهذا رأي باطل ، لأن الحلاج قد تبرأ من اعتقاد بعض أتباعه فيه أنه إله ، ولا يصح أن يؤخذ شخص باعتقاد فاسد يراه فيه غيره

وفريق على رأسه الإمام الغزالي يبالغ في تعظيم الحلاج ، ويعتذر عن الألفاظ التي تفوه بها مثل قوله : أنا الحق ، فحملها في كتابه مشكاة الأنوار على محامل حسنة ، وذكر أن هذا من فرط المحبة وشدة الوجد . وقد تفوه كثير من الصوفية بأمثال هذه الأقوال ، فقبلها منهم أهل عصرهم ، ولم يحكموا بكفرهم كما حكم أولئك القوم بكفر الحلاج ، وهذا مثل قول بعضهم :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن رُوحان حللنا بَدَنا
فإذا أبصرتني أبصرتَهُ وإذا أبصرتَهُ أبصرتَنا

وهذا اعتذار غير مقبول ، لأن أولئك المتصوفة يذهبون في تلك الأقوال مذاهب معروفة قال بها بعض الفلاسفة قبل الإسلام وبعده ، وليسوا أول من قالها حتى تؤول ذلك التأويل لهم ؛ على أن الحلاج قد تبرأ من تلك الأقوال ، فلا معنى لذلك الاعتذار عنه

وفريق يرى أن الحلاج قد تفوه بتلك الألفاظ كالفريق الثاني ، ولكنه يرى أنه لا يعذر فيها كما يعذر غيره من المتصوفة لأنه قالها في حال صحوه ، ولم يقلها في حال غيبوبته مثلهم ، وبهذا استحق حكم القتل الذي حكم عليه به

وكل هذا كما ترى بعيد عما يرويه التاريخ في تحقيق تلك القضية ، فهو لم يحكم عليه فيها بتلك الألفاظ التي تبرأ منها ، وإنما حكم عليه بما جاء في بعض كتبه عمن أراد الحج ولم يمكنه . وإني أرى أن هذا الحكم باطل شكلاً وموضوعاً ، فأما بطلانه شكلاً فلأن القاضي أبا عمر حصل منه أثناء التحقيق ما كان يجب أن يرد به عن الحكم ، وهو قوله للحلاج — كذبت يا حلال الدم — وكان ذلك فلتة لسانية لم يدركها إلا بعد وقوعها . فلما قال له الوزير اكتب بهذا دافعه ، فألزمه فكتب بإباحة دمه . ولا شك أن هذا صريح في أن القاضي لم يكن يرى أنه يستحق الحكم بإباحة الدم ، ولكنه ألزم بهذا الحكم إلزاماً ، وقد أمضاه وهو يرى ما يحيط به من الظلم والفساد ، فلم يأمن على نفسه نقمة الوزير إن امتنع عنه ، ولهذا كله كان ذلك الحكم باطلاً شكلاً

وأما بطلانه موضوعاً ، فلأن ما ذهب إليه الحلاج فيمن أراد الحج ولم يمكنه لا يستحق الحكم بالقتل ، وما هو إلا بدعة من البدع الفاسدة التي ابتدعت في الدين ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : من ابتدع في ديننا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ عليه . فقضى على المبتدع بأن يرد عليه ما ابتدع ، ولم يقض بكفره ولا بإهدار دمه ، وما بدعة الحلاج في الحج إلا كبدعة غيره في إسقاط الصلاة وغيرها من البدع التي ظهرت في الدين ، ولم يحكم على أصحابها بكفر ولا بقتل

والحق أن الحلاج كان مشعبذاً اتخذ التصوف ستاراً له ، وأن التحقيق في قضيته كان يجب أن يتناول تلك الشعبذات التي كان يظهرها للناس على أنها كرامات ، ليظهر لهم فسادها ، ويتبين لهم أمر الحلاج على حقيقته ، والحكم الذي كان يستحقه على ذلك هو التعزير بالحبس أو غيره ، ولكنهم أرادوا أن يبالغوا في الحكم زجراً لأصحابه فجاء بعكس مقصودهم ، لأن أصحابه بعد قتله جعلوا يعدون نفوسهم برجوعه بعد أربعين يوماً ، واتفق أن دجلة زادت في تلك السنة زيادة وافرة فادعوا أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها ، وقد ادعى بعضهم أنه لم يقتل وإنما ألقى شبهه على عدوٍّ له .

عبد المتعال الصعيدي

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥١٥ — وليتك تسلم ...

في (تاريخ بغداد) : قال الإمام أحمد بن حنبل للامام حاتم الأصم : أخبرني (يا حاتم) فيم التخلص من الناس ؟

قال : يا أحمد ، في ثلاث خصال

قال : وما هي ؟

قال : أن تُعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئاً ؛ وتقضي حقوقهم ولا تستقضي أحداً منهم حقاً لك ؛ وتحتمل مكروههم ولا تُكره أحداً على شيء.

فأطرق أحمد ينكُت بأصبعه على الأرض ، ثم رفع رأسه ثم قال : يا حاتم ، إنها لشديدة !

فقال له حاتم : وليتك تسلم ، ليتك تسلم ، ليتك تسلم ...

٥١٦ — إن الغناء زاد الراكب

خرج عمر للحج فسمع غناء راكب يغني — وهو مُحرِم[1] — فقيل : يا أمير المؤمنين ، ألا تنهاه عن الغناء وهو محرم ؟

فقال : دعوه فإن الغناء زادُ الراكب

* قال رجل للحسن البصري[1] : ما تقول في الغناء يا أبا سعيد ؟

فقال : نعم العون الغناء على طاعة الله ؛ يصل الرجل به رحمه ، ويؤاسي صديقه

* دخل الشعبي وليمة فأقبل على أهلها فقال : مالكم كأنكم جُمتم على جِنازة[2] ؟! أين الغناء والدف[3] .

* ابن جريج : سألت عطاء عن القراءة على ألحان الغناء والحُداء[4] ، فقال لي : لا بأس بذلك

* في (رسائل إخوان الصفاء) : الموسيقار إذا كان حاذقاً بصنعته حرّك النفوس نحو الفضائل ، ونفى عنها الرذائل

* في (من غاب عنه المطرب) للثعالبي : كان بعض المتكلمين يقول : قد اختلف الناس في السماع فأباحه قوم وحظره آخرون ، وأنا أخالف الفريقين فأقول بوجوبه لكثرة منافعه ومرافقه ، وحاجة النفوس إليه ، وحسن أثر استمتاعها به

٥١٧ — رأس لا يتكلم خير منه دبة

في (معجم البلدان) لياقوت : أبو إسحق الكُرَاني أحد كتاب الإنشاء في ديوان عضد الدولة[5] نيابة عن أبي القاسم[6] عبد العزيز بن يوسف . وله قصة مع عضد الدولة ظريفة ، وذلك أنه أنشد عضدَ الدولة في بعض الأيام قصيدة مدحه بها ، وقال فيها وقد تأخر عنه جاريه[7] :

أمن الرعاية يا ابن كل مُمَلَّكٍ رُفعت له في المكرمات منار[8]

---

(١) أحرم الرجل إذا أهل بالحج أو بالعمرة ، وباشر أسبابهما وشروطهما من خلع المخيط واجتناب الأشياء التي منعه الشرع منها كالطيب والصيد وغير ذلك (النهاية)

(١) البصرة بفتح الباء ، ويقال في النسبة بصري بالوجهين

(٢) (الجنازة) بالفتح والكسر والكسر أفصح (المصباح)

(٣) الدف بالضم والفتح لغة فيه

(٤) (الحداء) بالضم والكسر : غناء الرجل للابل

(٥) الملك الأديب ممدوح المتنبي

(٦) قال الثعالبي : أبو القاسم أحد صدور المشرق وكان مع تقلده ديوان الرسائل لعضد الدولة معدوداً في وزرائه

(٧) جاريه : المال الذي أجراه السلطان عليه

(٨) المنار : جمع منارة وهي العلامة تجعل بين الحدين . وفي الحديث إن للاسلام صوى ومناراً ، أي علامات وشرائع يعرف بها



والعاديات ضبحا

يقول العالم الدكتور زكي مبارك في مقاله « إلى أصدقائي في لبنان » في هذا الأسبوع في « المصري » الغراء :

« مجد مصر اليوم هو مجد أقلامها ، وهو المجد الجدير بالخلود ، وقد أقسم الله بالقلم ولم يقسم بالسيف »

قلنا : إن من حفظ كتاب الله معنا قد سها باله عن قوله تعالى : (والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا ـ إن الإنسان لربه لكنود)

والقسم بالخيل هو مثل القسم بالسيف . والخيل من العدد التي أمرنا الله في « الكتاب » بإعدادها للدفاع وللجهاد بقوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »

قال شيخنا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (رحمه الله ورضي عنه) في تفسير تلكم الآيات الكريمات في (سورة العاديات) :

« أقسم بالخيل متصفة بصفاتها التي ذكرها ، آتية بالأعمال التي سردها ، لينوه بشأنها ، ويعلي من قدرها ، في نفوس المؤمنين أهل العمل والجد ... وكان في هذه الآيات القارعات وفي تخصيص الخيل بالذكر في قوله : وأعدوا لهم الآية ... وفيما ورد من الأحاديث التي لا تكاد تحصى — ما يحمل كل فرد من رجال المسلمين على أن يكون في مقدمة فرسان الأرض مهارة في ركوب الخيل ... أفليس من أعجب العجب أن ترى أمماً ، هذا كتابها قد أهملت شأن الخيل والفروسية إلى أن صار يشار إلى راكبها بينهم بالهزؤ والسخرية ... ؟

أليس من أغرب ما يستغرب أن أناساً يزعمون أن هذا الكتاب كتابهم يكون طلاب العلوم الدينية منهم أشد الناس رهبة من ركوب الخيل ، وأبعدهم عن صفات الرجولية ، حتى وقع من أحد أساتذتهم المشار إليهم بالبنان عند ما كنت أكلمه في منافع بعض العلوم وفوائدها في علم الدين — أن قال : (إذا كان كل ما يفيد في الدين نعلمه لطلبة العلم كان علينا إذن أن نعلمهم ركوب الخيل) يقول ذلك ليفحمني ، وتقوم له الحجة علي ، كأن تعليم ركوب الخيل مما لا يليق ، ولا ينبغي لطلبة العلم ... »

وبعد فقول الزميل الجليل : « مجد مصر اليوم هو مجد أقلامها » قول حق . وإنها لظافرة — وهناك تلك العزائم والهمم — بالمجدين عظيمين . و « العلم مذ كان — محتاج إلى العلم » كما قال عمارة اليمني في اليمية العبقرية ، وقد كان مجد وإنه ليعود ، ومن ساد في القديم ورام العلاء فلا بد أن يسود . وألف سنة في العز والسلطان لن يذهب سدى . وكتاب الله نتلوه كل يوم ، وفيه تحريض ، وفيه تحضيض ، وفيه تذكير ، وفيه تبشير ، وفيه الضياء ، وفيه الهدى « فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون »

«القاهرة» أزهري

أن يقطع الجاري اليسير عن أمري

ردفت كتابته لك الأشمار ؟

يا صاحبي ، دنا الرحيل فذللا

قلص الركاب تحثها السفار(١)

الأرض واسعة الفضاء بسيطة والرزق مكتفل به الجبار(٢)

فالتفت عضد الدولة إلى أبي القاسم المطهر بن عبد الله وزيره ، وقد غاظه ما سمعه ، وقال له : أنت عرضتني لهذا القول . أطلق جاريه ، ووفه ما فاته منه . فلما خرج أبو القاسم المطهر من بين يدي عضد الدولة قال للكراني : أظنك قد كرهت رأسك ! فقال له : أيها الأستاذ ، رأس لا يتكلم خير منه دبة(٣)

محمد إسعاف النشاشيبي

---

(١) القلوص : من الابل الشابة (الركاب) الابل ، والواحدة راحلة

(٢) المعروف كفل وتكفل ، واكتفل تجوز مجازا

(٣) الدبة : جلة من الزجاج خاصة ، ظرف للبزر والزيت والدهن

نميمة الأسلوب

قضيت ما قضيت من زمانى وأنا نهبة للمآثم ، ولم يبق من البلية إلا أن ينمّ علىّ أسلوبى . وكنت أظنه يحفظ أسرارى ، عفا الله عنك يا أسلوب المبارك !

أقول هذا وقد حاول ناسٌ أن يقلدوا أسلوبى ليؤذونى ، كالذى يصنع الكاتب المجهول ، والكاتب المعروف ، والدكتور بديع الزمان ، والسيد فلان ، والفتى الأزهرى ، والأستاذ الجامعى ، وهى أسماء رجال من تلاميذى ، فلله الحمد وعليه الثناء

وأنا لن أخذل تلاميذى ، ولن أنهاهم عن تقليد أسلوبى ، لأنى دعوتهم إلى أن يكونوا صورة من روحى وعقلى وبيانى

ولكن من هذا الكاتب الذى يتبهنس فى العدد السالف من مجلة الرسالة فيحمل الدكتور زكى مبارك جرائر الكاتب المجهول ؟

من هذا الكاتب وهو لا يمضغ إلا كلاماً حاورنى به منذ عشرين سنة فى بيت القاياتى ؟

إنه يتمسّح بالدين لينتصر علىّ ، وليس هناك ، فالإسلام لا يعرف أمثاله ، لأنه دين حقائق لا دين أباطيل

ولو كان مسلماً صحيح الإيمان لستر أخطائى إن كنتُ من المخطئين ، ولكنه مسلم بالصورة لا بالحقيقة ، ولن يقام لتحديه ميزان ، لأنه أضعف من أن يقام لتحديه ميزان .

زكى مبارك

١ — الشيخ الشنقيطى

فى صباح الخميس الثامن من صفر سنة ١٣٦٣ توفى العالم الغزير العلم والرجل القوى العزم الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى عن ٦٨ سنة . ولد رضى الله عنه فى بيت علم ورياسة بشنقيط ، وتلقى أكثر العلوم على كبار مشايخ القطر الشنقيطى من أقاربه وغيرهم ، ثم هاجر إلى مراكش فعلم به السلطان مولاى عبد الحفيظ فاصطفاه لأخذ العلم عنه ، ثم استأذنه وهاجر إلى المدينة المنورة فجاور هناك ، وبعد الحرب العامة الماضية سافر إلى دمشق فصحب شيخ القراءة فيها وأجازه بالقراءات ، ثم هبط مصر فندبته مشيخة الأزهر لتأليف كتاب يضم ما اتفق على تخريجه البخارى ومسلم ، فعكف على ذلك عشر سنوات ونيفاً ؛ وقد تم طبعه بأخرة فى ستة أجزاء . واختارته مشيخة الأزهر كذلك مدرساً بتخصص كلية أصول الدين ، وعضواً فى بعض اللجان العلمية ، ورجاه بعضهم أن يلقى محاضرة فى جمعية الشبان المسلمين ، فلما علا المنبر اقترحوا عليه أن تكون المحاضرة فى التاريخ فاقترحها[1] من صدره ، فعجبوا منه . وعرف مكانته كثير من أهل العلم والفضل بمصر فزاروه وحفلوا به ، رأيت منهم فى داره بعض جماعة كبار العلماء ومشايخ كليات الأزهر وغيرهم . وترك فى شنقيط والحجاز ومصر من التلاميذ والتآليف المطبوعة والمخطوطة ما يدون اسمه فى سجل الخالدين . ودفن بجوار العالم الصالح الشيخ محمد الجنبيهى بمقابر الإمام الشافعى . أفاض الله على قبره رحمة ونوراً وعوض الإسلام منه خيراً .

٢ — أديب الأندلس ابن زيدون

فى « أهرام » غرة فبراير عام ١٩٤٤ كلمة فى الدعوة إلى إحياء ذكرى الأديبين العظيمين الحسن بن رشيق وأبى الوليد ابن زيدون ، قال كاتبها إن وفاة ابن زيدون كانت سنة ٦٦٣ وأنه مضى عليها سبعة قرون . والصواب أن وفاته كانت سنة ٤٦٣ وهى السنة التى توفى فيها ابن رشيق المذكور ، على ما فى « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد » ، ودائرة معارف البستانى وغيرها .

« ... »

(١) أى ارتجلها ، كما فى أساس البلاغة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

12me Année No. 556

Lundi - 28 2 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة

مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٥٥٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ٤ ربيع أول سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـرس

١٨١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
١٨٣ لقد هان هـذا الخطب ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
١٨٦ التعارف بين الأدباء ... .. : الأستاذ دريني خشبة . ...
١٨٨ إيوان كسرى بين شاعرين : الأستاذ حسن الأمين .. ...
١٩١ صلات علمية بين مصر والشام : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
١٩٣ نقل الأديب . . .. : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
١٩٤ سجاد الأناضول ... . . : الدكتور محمد مصطفى .. ...
١٩٧ النسر ... ... [قصيدة] : الأستـاذ عمر أبو ريشة ...
١٩٧ بين معبدين .. » : الأديب محيي الدين صابر ..
١٩٧ خلود .. ... » : الأديب زكريا الحجاوى ..
١٩٨ الشعر الجديد ... . : الأستاذ الكبير « ا . ع »
١٩٩ زكي مبارك وإعجاز القرآن : الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ..
١٩٩ إلى الدكتور زكى مبارك ... : الأسـتاذ سهيل إدريس . ..
٢٠٠ معرض سجاد تركيا بدار الآثار العربية . ...

١٥ ـ دفاع عن البلاغة

٧ — الأسـلوب

نعود إلى حديث البلاغة بعد أن صرفتنا عنه صوارف من توزع البال وفتور الطبع واعتلال الجسد . وكانت النية أن نترك بقية هذا الدفاع لينشر بجملته فى كتاب ؛ ولـكن رغبة القراء ما زالت تلح على هذه النية حتى تناولت القلم وأخذت أكتب :

سبق القول فى الصفة الأولى من صفات الأسلوب الجامعة الثلاث وهى « الأصالة » وما تضمنته من صفات الدقة والصحة والصدق والطبْعية والوضوح [١] . وكلامنا اليوم فى الصفة الثانية منها وهى « الوجازة » . وإذا كانت الأصالة هى الصفة الجوهرية للأسلوب البليغ ، والسمة المميزة للكاتب الحق ، فإن الوجازة بإجماع الرأى هى حد البلاغة [٢] . وإذا كانت الوجازة أصلاً فى بلاغات اللغات ، فإنها فى بلاغة العربية أصل وروح وطبع . وأول الفروق بين اللغات السامية واللغات الآرية أن الأولى إجمالية والأخرى تفصيلية . يظهر ذلك فى مثل قولك : (قُتل الإنسان !) ، فإن الفعل فى هذه الجملة يدل بصيغته الملفوظة وقرينته الملحوظة على المعنى والزمن والدعاء والتعجب وحذف الفاعل ،

(١) راجع العددين ٥٢٢ ، ٥٢٤ (٢) راجع العددين ٤٩٤ ، ٤٩٦

وهى معان لا تستطيع أن تعبر عنها فى لغة أوربية إلا بأربع كلمات أو خمس. وطبيعة اللغات الإجمالية الاعتماد على التركيز، والاقتصار على الجوهر، والتعبير بالكلمة الجامعة، والاكتفاء باللمحة الدالة؛ كما أن طبيعة اللغات التفصيلية العناية بالدقائق، والإحاطة بالفروع، والاهتمام بالملابسات، والاستطراد إلى المناسبات، والميل إلى الشرح. ولم تعرف العربية التفصيل والتطويل والمط إلا بعد اتصالها بالآرية فى العراق والأندلس. ولا أقصد من وراء ذلك إلى تفضيل لغة على لغة، أو ترجيح أسلوب على أسلوب، فإن الاختلاف اختلاف جنسية وعقلية ومزاج. والتفصيل إذا سلم من اللغو كان كالإجمال إذا برئ من الإخلال؛ وكلاهما حسن فى موقعه بليغ فى بابه. وقد يكون التفصيل من الإيجاز إذا قُدِّر لفظه على معناه؛ فإن الإيجاز الذى نعنيه أن يدل اللفظ على المعنى ولا يزيد عليه؛ فإن كان ناقصاً عنه فهو إيجاز الحذف والقِصَر، وإن كان مساوياً له فهو إيجاز التقدير والمساواة. إنما أقصد بذكر الإجمال والتفصيل إلى أن الأسلوب العربى الأصيل موسوم بالوجازة من أصل النشأة؛ لأنه أسلوب أمة صافية الذهن دقيقة الحس سريعة الفهم، تشعر بقوة، وتعبر بقوة، وتفهم بقوة. وقوة الروح والقلب، وقوة العقل والخلق، تلازمهما قوة اللسان والقلم، أى البلاغة. والبلاغة الإيجاز، والإيجاز امتلاء فى اللفظ، وقوة فى الحبك، وشدة فى التماسك. ولا ترى التميع والتفكك والانتشار إلا حيث ترى الضعف فى شىء من أولئك. وملاك الإيجاز غزارة المعانى ووضوحها فى الذهن، وطواعية الألفاظ ومرونتها فى اللسان. وإنما يكون العى والثرثرة ومضغ الكلام من جدب القريحة أو قلة العلم أو سقم الذوق أو نبو اللغة أو مجافاة الغرض. ومن الكلام المأثور: من ضاق عقله اتسع لسانه. اختصر فى صفة واحدة صفات البلاغة فى أساليب القرآن والحديث وأشعار الجاهليين وخطب الأمويين وكتب العباسيين، فلن تكون هذه الصفة غير الإيجاز. إقرأ قوله تعالى فى آخرة الطوفان: «وقيل يا أرض ابلعى ماءك، ويا سماء أقلعى، وغيض الماء، وقضى الأمر، واستوت على الجودى، وقيل بُعداً للقوم الظالمين»، وقول الرسول (ص) فى تقييد الحرية، وهو الذى أوتى جوامع الكلم واختُصر له الكلام: «إن قوماً ركبوا سفينة فاقتسموا، فصار لكل رجل منهم موضع، فنقر رجل منهم موضعه بفأس، فقالوا له: ما تصنع؟ قال: هو مكانى أصنع فيه ما أشاء. فإن أخذوا على يده نجا ونجوا، وإن تركوه هلك وهلكوا»؛ ثم قول زهير فى حروب عبس وذبيان:

رعوا ما رعوا من ظِمْئهم ثم أوردوا ... غِماراً تسيل بالرماح وبالدم
فقضَّوْا منايا بينهم ثم أصدروا ... إلى كَلأٍ مستوبَل متوخَّم

وقول معاوية لعائشة بنت عثمان وهى تثيره على قتلة أبيها: «يا ابنة أخى، إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً، وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد. ومع كل إنسان سيفه، وهو يرى مكان أنصاره. وإن نكثنا نكثوا بنا، ولا ندرى أعلينا يكون أم لنا: ولأن تكونى ابنة عم أمير المؤمنين، خير من أن تكونى امرأة من عراض المسلمين» فهل تجد آية البلاغة فى هذا الذى قرأت غير الإيجاز وما يصحبه من الجزالة والجلالة والبروز والسبك؟ وهل تجد مصدراً لهذا الإيجاز المطبوع غير القوى المشبوبة فى النفوس والعقول والطباع؟ انحدر بعد ذلك رويداً إلى عهود الوهن والانحلال تجد التطويل وتوابعه من اللغو والحشو والسقط يزيد بزيادة الضعف، ويتقدم بتقدم الجهالة، حتى تسقط به على كتب الدواوين وعهود السلاطين فتدهش أن يكون فى خلق الله من يملأ مائة صفحة بالفِقر والأسجاع ولا يعنى بها شيئاً

لذلك كان الإسهاب أول ما يصاب به ناشئة الكتاب، لأن جهدهم القليل يضيق عن شرح الفكرة، فيدورون حولها مجمجمين بالكلم الفوارغ والجمل الجُوف. ومن جناية الصحافة على الأسلوب أن أكثر كتابها يؤثرون الكم على الكيف، فيكبّرون الصغير، ويطولون القصير، لأن الصحيفة تخرج كل يوم، ولا يجوز أن تخرج بيضاء! وقد كان أحد شيوخ الصحافة يدبج مقالاً فى نهرين طويلين كل صباح؛ فإذا نظرت فيه على أن تقرأ سطرين وتترك أربعة بلغت آخره وقد حصلت من ثلثه

أحمد حسن الزيات

(البقية على صفحة ٢٠٠)

لقد هان هذا الخطب !

للكاتب المجهول

لقد هان هذا الخطب ، وما كنت أنتظر أن يهون ، ولكن الدنيا بصروفها الغرائب تهوّن الخطوب ، وكان من شيمتها أن تجسّم الخطوب !

هان خطب القطيعة ، هان ثم هان ، واستشعرتُ رَوْح الخلاص ، وكنت أبغض الخلاص ، فيا عجباً لزمن يجعل بعدى عنكم شهوة يطمح إليها فؤادى !

ما بكيت على نفسى حين ودعتكم ، وإنما بكيت عليكم ، بكيت على دولة الحُسن التى ذهبت إلى غير مَعاد ، وبكيت على اللطف الذى حُرِمتموه كما تحرَم الزهرة من العِطر بعد الذبول

ما تمثلتُ أيامكم إلا تعجبت مما تصنع الدنيا بأهلها ، فما كانت لكم نظائر فى الحُسن واللطف ، ولا كانت لكم أشباه فى سماحة النفس وصفاء الروح

وبكيت أيضاً على نفسى ، فهذا مُلكٌ ضاع من يدى ، مُلكٌ أضاعه الدهر الغادر الذى لا يبقى على شىء ، والذى يستمد سطوته من قدرته على إدالة دولة اللطف والجمال

حُرِمتُ بقطيعتكم آخر أمل يرجوه من يقف على المقابر ليؤدى التحية إلى أموات يحسبهم أحياء يتلقون تحيات الأحياء

المقابر تسمع ولا تجيب ، وأنتم تجيبون ولا تسمعون بدليل أنكم تخطئون فى الجواب

لو أننى كنت البادىء بهذا الحب لرأيت لكم عذراً فى الصدوف عنى ، فما يتصدّق الأغنياء على الشعراء فى كل وقت ، وإنما كنتم البادئين وهذا فضلٌ لن أنساه إلى آخر الزمان ، فكيف تهدمون ما بنيتم ، وكان غاية فى متانة البناء ؟

هل تعود ليالينا ؟ هل تعود ؟

لن تعود ليالىّ معكم يا غادرين ، لأنكم لم تعودوا صالحين لإدراك ما يشتجر فى قلبى ، ولأن هواكم قد مات ، وما كنت أحسب أنه مما يجوز عليه الموت ، وقد كذبت على نفسى حين توهمت أن الهوى لا يموت

وأنا مع هذا فرح جذلان ، لأنى واثق بأنكم لا تعانون من آصار القطيعة بعض الذى أعانى ، ومن هواى أن تكونوا فى عافية من ثورة الوجدان ، لتعيشوا فى سلام

هل كان حبنا مزاحاً جد به الزمن فانهزم ؟

أنا كنت أجد ، وما خطر فى بالى أنكم كنتم هازلين ، وجِدّ الهوى جد ، وهزله جد ، لو كنتم تعقلون

هل كنت حين أناجيكم أناجى وثناً بلا روح ؟

لو ناجيت الصخر لأنطقته بألطف المعانى ، فكيف عجزت عن رياضتكم على الوفاء ؟

ما أشد حزنى على ما ضيَّعتُ من ليالىَّ وأيامى !

لم نكن نعرف ما النهار وما الليل

أيامَ لا أدرى وإن سألتِ ما الفرقُ بين جُمعة وسبْت

ولم نكن نعرف أن للدنيا غدرات ينبو فيها جنب عن جنب ، وقلب عن قلب ، فترحلون عن مصر الجديدة إلى حلوان ، وهى بهجركم أبعد من أسوان

لو كنت أعرف أن فيكم خيراً لجملت داركم دارى ، ولو سكنتم فى مقبرة تُشرف على عالم الفناء ، ولكن القدر أراد ما أراد فانتزع حبكم من فؤادى ، فأنا اليوم بلا حب وبلا فؤاد

إن إقامة صرح فوق أثباج البحر أبقى وأثبت من الحب الذى أقمته فوق روحكم ، والرُّوح من الرَّوح وهو النسيم ، وليس للنسيم ثبات

انقضى عهد الحب ، انقضى بالرغم منى ، فما فارقتكم إلا بعد أن صح عندى أن هواكم لم يكن إلا أسطورة لفّقها الخيال

أينتهى غرامنا بمثل هذه النهاية فلا أسأل عنكم ولا تسألون عنى ؟

وهل كان البهاء زهير ملهماً حين عبّر عما أريد فقال :

ملكتمونى رخيصاً فانحط قدرى لديكم
فأغلق الله باباً دخلت منه إليكم
حتى ولا كيف أنتم ولا السلام عليكم

لن نتصافح إذا التقينا مصادفةً فى شارع فؤاد ، فالمصالحة من الصفح ، ولن أصفح عنكم أبداً ، ولو ضمنتم أن تعود معكم أيامى السوالف ولياليّ الخوالى

أنا فرح بما صرتم إليه ، فقد أنجاكم الله مما ابتلانى

ولكنى حزين مما صرتم إليه ، فلن تعانوا اشتجار العواطف بعد فراق ، واشتجار العواطف هو أثمن ما تتغذى به القلوب

وإنى لأشكر لكم صنيعكم ، فقد رحمتمونى من هاوية كنت سأتردى فيها إن طال حبى لكم ، وكان ثورة وجدانية تزلزل أقطار السماء

انتهينا من العتاب ، أليس الأمر كذلك ؟

وانتهينا من ليالى مصر الجديدة وليالى حلوان ، وانتهينا من الظُّهريات الجميلة بحديقة الشاى فى حدائق الحيوان ... هل تذكرون يا غادرين ؟

وانتهينا من جمع كُسارات الكأس المصدوع ، فى تلك الليلة ، وهى ليلة لن تعود ، ويا ليتها تعود ، فلو صرتم رمة بالية لرجوت أن أستروح منكم روح العطر النفيس

لا تسألوا عنى بعد اليوم ، فقد تُبتُ توبة نهائية عن الغرام بالتماثيل ، وهى أبدان بلا أرواح

أنا أحسنت الظن بمن لم يكونوا لحسن الظن بأهل ، فلتعاقبنى المقادير بما تشاء ، وعدلٌ من الله كل ما صنع ، كما قال أستاذنا العباس بن الأحنف ، عليه رحمة الحب !

كانت غايتكم أن تستأثروا بقلبى ، وقد حاولت النجاة بقلبى فلم أفلح ، ثم كانت العاقبة أن نصير إلى ما صرنا إليه ، وما أفظع ما صرنا إليه !

الغدر مسخكم فأحالكم صورة ميتة برقشتها ريشة رسام جهول

هل تذكرون تاريخ العيون الكحيلة ، وكانت أجمل ما رأت العيون ؟

استفتوا المرآة ، ثم حاسبوا ضمائركم ، إن كانت لكم ضمائر ، لتعرفوا أن سواد عيونكم لم يكن إلا منحة خلعها عليكم سواد قلبى ، وهو قلب يمنح الرهبة والسحر لسواد الليالى وسواد الخيلان .

وقد استرددت تلك المنحة بعد أن أيقنت أنى خلعتها على من يكفر بالجميل ، ولست أغنى من الله وهو مع غناه عن الثناء يؤدب من ينعم عليهم فيطالبهم بالثناء

تخطّروا إن شئتم في شارع فؤاد ، وانظروا هل تلتفت إليكم عين أو يخفق لكم قلب ؟

أنا أبدعتكم إبداعاً لا نظير له ولا مثيل ، وغاب عنكم جميلى فجحدتم جميلى ، وغضبة الله والحب على من يجحد الجميل .

لن أبكى عليكم ، ولكنى سأبكى على أخلاق ، وهى جديرة بالبكاء .

كنت أعتقد أنى من رجال الأخلاق ، ثم ظهر أن فى صدرى غريزة وحشية تشتهى الاقتتال والافتراس ، وإلا فما الذى يمنع من أن أنتصر على كبريائى فأسعى إلى داركم لأسأل عنكم ولأخلع عليكم بياض الوجوه وسواد العيون ؟

كنت أبدع البشاشة فى أرواح الملاح ثم صرت المنتقم الفاتك بأرواح الملاح ، فما أفظع جُرمى ، وما أسوأ صنيعى !

سأقتحم داركم بعد أيام أو أسابيع ، فما أدرى متى أنتصر على كبريائى

إنتظرونى ، إنتظرونى ، لتعرفوا أن خطب الفراق لم يَهُن ولن يهون

سأصافحكم بيدى ، ألم أحدثكم أن المصافحة مشتقة من الصفح ؟

غفرت ذنوبكم ، غفرت ، ثم غفرت ، وأنا أول من يغفر ذنوب الجمال

عَرْبدَ الُحسن بكم فأسأتمونى ، والحسن عِربيد ، ومن واجبى أن أغفر ذنوب العرابيد

كان لى منكم تاريخ هو أجمل التواريخ ، وكان رزقاً ساقه الله إلىّ ، والله حين يتفضل يمنح بلا حساب

أنا لا أعرف متى نتصافح ، لأن هذا لن يكون إلا بعد أن أتنازل عن كبريائى ، وهذا أملٌ بعيد المنال

سلامٌ عليكم يا أحباباً وفَـوْا ثم خانوا

أنا أعبد الجمال ، على شرط أن يعرف الجمال حقوق الوفاء

لن أزور داركم أبداً ، ولن أراكم ولن تَرونى ، فقد حلّ عليكم غضبى وغضب العاشق الصادق نقمة تنزل من السماء

شرّقوا وغرّبوا فى طلب المستحيل ، فصفحى عنكم هو المستحيل

سأبدع بدائع جديدة ، وسأخلق فى دنيا الحب ما لا تعلمون ،

فتناسَـوْا عهدى ، لتعيشوا فى أمان ، من جزع الوجدان

لن تستطيعوا الفرار من انتقامى ، ولن تخطروا بعد اليوم فى شارع فؤاد ، ولن تكونوا نهبة لأعين الحاسدين ، وألسن العاذلين ، ومن حق مَن يَخلق أن يُميت

سلامٌ على الهوى وسلامٌ عليه ، وألف سلام

***

أنتم تمردتم على سجن الحب ، فتمتعوا بالحرية التى اشتهيتموها جاهلين بالعواقب ، فما يتمرد على سجن الحب غير الصائرين إلى الفناء ...

كانت كلمتكم فى ساعة التمرد : Vous disposez de moi

وهذا صحيح ، فقد كان من حق الهوى أن أتصرف تصرف المالك بالمملوك

لا تظنوا أنكم خرجتم من يدى ، ولا يخطر لكم فى بال أنى سأترك واجبى فى دفن حسنكم الذاهب إلى غيابات الفناء

هان خطبكم ، ثم هان ، وما كنت أحسب أنه سيهون ، ألم أقل إن الدنيا تصنع الغرائب ؟

أنا واثق بأنكم سترجعون إلىّ قبل أن أرجع إليكم

الشعر عندى والجمال عندكم ، والشعر أفتن من الجمال

أما بعد فمن أنتم ؟

أنا أعرفكم بأكثر مما تعرفون أنفسكم ، فقد كنتم الغاية لما تشتهى الأرواح والقلوب ، وما اشتهت عيناى أفضل مما اشتهيت منكم ، يا نهاية النهايات فى سحر العيون

أنا بنيتكم بيدى ، ولن أهدمكم بيدى ، والبانى لا يكون من الهدّامين

سلامٌ عليكم ، فما ألقاكم إلا إن تنازلت عن كبريائى

احرسينى يا ليلى ، احرسينى ، قبل أن أقول : « عليك منى السلام »

« الكاتب المجهول »

التعارف بين الأدباء

للأستاذ دريني خشبة

منذ شهرين تقريباً نشرت الرسالة لصديقنا السورى الأديب الكريم الأستاذ صلاح الدين المنجد دعوة قصيرة ينادى فيها بوجوب تعارف الأدباء فيما بينهم وتكوين رابطة أدبية تنتظم صفوفهم ... ورأى الأستاذ أن يعقد مؤتمر يدعى إليه أدباء الأقطار العربية كلها ، فى القاهرة أو دمشق أو بغداد ، ليعرف الأدباء بعضهم بعضاً ، ويتحادثوا فيما ينقصنا وما يشوه أدبنا وما نحن بحاجة إليه . ولما زار الأستاذ الصديق مصر فى الشهر كان فرحنا به يعدل فرحنا بسوريا كلها ، وقد تذاكرنا دعوته التى دعا إليها ووعدناه بالكتابة فيها ، لأنها تؤيد دعوتنا إلى إصلاح الأدب العربى وتجديده

ومنذ شهر تقريباً دعانا صديقنا السورى الأديب الأستاذ حبيب زحلاوى للاحتفاء بالزوجين الكريمين السوريين الأستاذ زكى المحاسني والسيدة الأديبة وداد سكاكيني وذلك بالنادى الشرقى

ومنذ أيام قليلة قرأت دعوة يقوم بها أربعة من كرام الأدباء المصريين إلى إخوانهم الكتاب والأدباء والشعراء للاجتماع بمكان عينوه لدرس حالة الأدباء المصريين وتكوين هيئة تسهر على صوالحهم وتعمل على تقوية أواصر الصداقة بينهم

ومنذ أسابيع طويلة والأستاذ الصديق الدكتور زكى مبارك يناوش إخواننا الأعزاء المحبوبين أدباء لبنان لأنهم على ما يذكر الأستاذ يحاولون جادين نزع الزعامة الأدبية التى تدعيها مصر بين الأمم العربية من أيدى الأدباء المصريين ... وقد كتب الدكتور زكى مبارك مقالات طويلة فى هذا الموضوع فى صحيفة المصرى الغراء

ومنذ أسابيع قليلة حاضر الدكتور طه حسين فى الروابط الثقافية بين الأمم العربية وكان صوته أول صوت ارتفع فى العالم العربى بوجوب ربط أسباب الشرق العربى بالمغرب العربى ، فهاج فى القلوب العربية كلها أشجاناً وأحزاناً وذكريات عزيزة مؤلمة

ومنذ عام أو أكثر ونحن نردد فيما بيننا شكوى الأدباء جميعاً من تفكك العلاقات بينهم ، بل انعدامها تقريباً مما يجعلهم متدابرين متنافرين ، بل مما يجعل جهودهم وثمار قرائحهم نهباً لدور النشر ومستغلى ضعف الأدباء وعجزهم اللذين هما نتيجة هذا التفكك فى علاقاتهم وانعدامها

ولعل أعجب ما حدث في كل ما قدمنا هو ما حدث فى دعوة صديقنا السورى المحبوب الأستاذ حبيب زحلاوى بالنادى الشرقى ... فقد دعانا بالتلفون ، ولم يكن أحدنا قد رأى صديقه الآخر قبل هذه الدعوة . فلما توجهنا إلى النادى ، وشهدنا الحفل مجموع الشمل قصدنا إليه ، وقد عرفناه لوجود ثلاثة أو نحوهم من إخواننا ممن حدسنا أنهم مدعوون مثلنا للتعرف إلى الضيفين الكريمين والاحتفاء بهما ... وقد عجبت لأن الأديب صاحب الدعوة لم يلقنى ... وظننت أنه ربما كان متغيباً فى تلك اللحظة لأمر ما . . . ثم دار الحديث عن الأدب ، واستطاع الأستاذ الجليل توحيد السلحدار أن يستدرج الأستاذ نقولا حداد ليحدثنا عن النسبية ... واستطعت أنا أن أدس أننى فى الحديث مما دعا أحد إخوانى إلى النطق باسمى عالياً . فماذا حدث ؟ وقف الأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن ليصافحنى باشاً . . . وليته ما فعل ! فقد كشف عن عيب من أشنع عيوب الأدباء المصريين ، هو عدم معرفة بعضهم بعضاً ، وعدم عنايتهم بمحاولة إيجاد هذه المعرفة وخلقها خلقاً . . . ثم ماذا ؟ ثم نهض صديقى صاحب الدعوة الأستاذ حبيب ليضحك هو الآخر ويصافحنى ، ثم يقول إنه سأل عنى الأستاذ محمود تيمور وكان جالساً إلى جانبه ، فلم يعرفنى ، وقال له : ألم تدعُه ؟ فقال الأستاذ حبيب : كلا ... وقد ذكرنى كلامه هذا ، ثم ضحكه بالمأسوف عليه خالد الذكر السيد أشعب ؟ على أننى عجبت كيف يكون الضيف الكريم الأستاذ المحاسنى أسرع منا جميعاً بادرة وأدق ملاحظة ... فقد عرفت أنه هو لجلوسه إلى جانب السيدة وداد فصافحتهما مرحباً بهما ، وذلك عند قدومى ، فما راءنى

إلا أن أسمع الأستاذ يقول للسيدة الأديبة ... هـذا فلان ... ويذكر اسمى كاملاً فى صوت ربما لم يسمعه بعد السيدة أحد غيرى ، وقد استمطرت رحمة الله على العميدى فى تلك اللحظة الحرجة ! ثم جعلت أتهم نفسى لانطوائها الذى بالغت فيه عن المحافل الأدبية وعدم محاولتى أن أعقد من الصداقات الأدبية ما لا غنى لمثلى – ولا مؤاخذة ! – عن مثله ! ويظهر أننى عنفت على نفسى فى اللوم حتى أخذ العرق يتفصد من جميع جسمى بالرغم من برودة الليل ... على أن الأمر لم يدم طويلا ... إذ خفف عنى ما اكتشفته بعد ذلك من أننى أكثر الحاضرين (معارف) بعد الأستاذ صاحب الدعوة ... فلم يكن أحد منهم يعرف من الموجودين أكثر ممن كنت أعرف ... وقد ضحك الأستاذ المحاسنى لذلك أشد الضحك وتعجب لحالنا وأنذر ليتحدثن به إلى أدباء الشام جميعاً ... والحق أنه لشىء يُتحدث به ويُتَنَدَّر ، إذ كيف تجمع القاهرة ثمانية أعشار الأدباء المصريين ثم لا تجمعهم جامعة ، ولا تربط بينهم رابطة ، ولا يعرف الواحد منهم ثلاثة أو خمسة من عشرات بل من مئات ومئات ؟!

ولقد أضحكتنا هذه الظاهرة ، أو تلك البادرة ، ضحكا طويلا . فهذا هو الأستاذ الزيات لا يعرف الأستاذ خليل ثابت إلا حين يلقاه فجأة فى مناسبة من المناسبات . وهـذا هو الأستاذ عبد الرحمن صدقى يكتب فى مجلة الهلال ثلاث سنوات أو أربع سنوات ثم لا يعرفه الأستاذ إميل زيدان بعد هذه المدة الطويلة إلا حين يقدمه إليه أحد أصدقاء الطرفين فى إحدى المناسبات أيضاً ... وهكذا ... وهكذا ...

وأحسب القراء يذكرون ما حدثتهم به من التقائى فجأة بالأستاذ الحكيم فى الوسالة ، وما انتهى إليه هذا اللقاء من صداقة كريمة . وقد سألنى الأستاذ الحكيم مداعباً بعد فراغى من الكتابة عن الشاعر الكريم على محمود طه ... فضحكت ... ثم أخبرته فى بساطة تامة أننى لم أره فى حياتى مطلقاً ؟ ! هذا مع العلم بأن بين مجلس النواب وبين وزارة المعارف دقيقة واحدة ! ولا شك فى أننا كلينا مقصران !

أما ما يناوش به الدكتور زكى مبارك إخواننا أدباء لبنان فهو موضع العجب ... لحدوثه فى الوقت الذى نبتهل إلى الله فيه أن ينجح الدعوة إلى الوحدة العربية ، لأن فى هذه الوحدة عزة الأدباء العرب أجمعين ، ونحن إلى التعارف والتقارب أحوج منا إلى التنابذ والتباعد . أما الزعامة الأدبية فليس سبيلها أن يدعيها الأدباء اللبنانيون فتكون لهم أو أدباء اليمن فتكون ملك أيمانهم ... بل سبيلها الإنتاج الأدبى وقيمة هذا الإنتاج وأثره فى شعوب الوحدة العربية ، ولهـذا كان خليقاً بأدباء لبنان ألا يشاكسوا الدكتور زكي مبارك ، كما كان خليقاً بالدكتور زكى مبارك ألا يناوش أدباء لبنان ... لأننا نعز اللبنانيين جميعاً ، لا أدباءهم فقط ، كما نعز أنفسنا

وإذا كان التعارف بين الأدباء فى داخل مصر واجباً ، فهو أوجب بين الأدباء المصريين وأدباء الشرق العربى ، ثم بيننا وبين أدباء أفريقيا الشمالية ، ويجب أن يتحقق أمل الأستاذ الصديق صلاح الدين المنجد فى عقد مؤتمر أدبى عربى في القريب العاجل إن شاء الله

أما دعوة هذا النفر من الأدباء المصريين للاجتماع بالمكان الذى عينوه ، والزمان الذى حددوه ، فهو ما ندعو له بالنجح والتوفيق . ونصيحتنا إلى المتشائمين أن يخففوا من تشاؤمهم ، وأن يحملوا الصفاء والأخوة الكريمة السمحة دينهم ، وأن يطهروا قلوبهم من السخائم الأدبية الفارغة ، فاعتصامهم بحبل الله وحبل المودة فيه حياتهم ويأسهم ومستقبلهم الذى ينبغى أن يفكروا فيه من الآن حتى تضع الحرب أوزارها ... وقد آن أن يتحرك الأدباء فيلموا شملهم بعد أن ملأت القاهرة النقابات ، من كل صنف ومن كل نوع ، ولا ضير عليهم أن يكونوا آخر من يفكر فى ذلك ، حتى لو لم يربحوا إلا التعارف بينهم

ولعل أظرف ما نختم به تلك الكلمة هو ما يبديه بعض إخواننا الأدباء من التخوف من نجاح هذه الحركة ... فهو يخشى إن يتم أن يكثر (معارفه) منهم كثرة كبيرة ، ومنهم الأدباء المنتجون الذين يخرجون كل شهر أو شهرين كتاباً ، فإذا تم التعارف

إيوان كسرى بين شاعرين

للأستاذ حسن الأمين

— ١ —

وقف البحترى على إيوان كسرى وقفة طويلة جالت فيها عيناه فى جوانب الإيوان وتطلعت إلى صوره ونقوشه، وترامت فى جوانبه وأركانه، فأدهشته فخامة البنيان وروعة الفن وجلالة الصنعة فاستوحى خياله واستنطق شاعريته فجاءنا بقصيدته السنية الخالدة التى اشتهرت كل الاشتهار

وكما وقف البحترى على الإيوان وقف عليه بعد البحترى شاعر شهير، فأرسل بطرفه إلى سوامقه الشاهقة. وتلفت إلى بقاياه الماثلة، فهاجت شاعريته، وفاضت قريحته. فرفد الأدب العربى بقصيدة عصماء لم يكتب لها من الشهرة ما كتب لقصيدة البحترى؛ فظلت فى ديوان الشاعر مغمورة بين قصائده الكثيرة قل أن يذكرها ذاكر أو يشير إليها مشير. وهكذا تواتى الحظوظ شعراً فيحلق فى الأجواء، وينتشر فى الآفاق، وتعاكس شعراً فينزوى بين طيات الأوراق، لا يرفع رأساً، ولا يُسمع همساً فيضيع أى ضياع!

هذا الشاعر الذى عنيته هو الشريف الرضى، فقد تقاذفته النوى حتى حطت به على إيوان كسرى فنظم قصيدة من أروع قصائد الشعر العربى، ولكنها ظلت مهملة، فلم نجد بين كتاب العربية ونقادها من أولاها عناية، أو أشار إليها إشارة، مع ما فيها من الإحساس العميق والشعور السامى الذى يرفع صاحبها إلى أسمى المراتب بين شعراء الأمجاد العربية.

***

وقف الشاعران على الإيوان وتطلع كل منهما إليه بعينين تختلفان عن عينى الآخر، ونظر إليه كل منهما بفكر يباين فكر الآخر، وأثار الإيوان فى نفس أحد الشاعرين غير ما أثار فى نفس الشاعر الآخر؛ فجاءت قصيدتاهما متباينتى الروح والعاطفة والغاية

فالبحترى كان فى وقوفه على الإيوان شاعراً فحسب، لم يهج فيه الإيوان إلا عاطفة الشعر. فوصف ما شاهد وصف الشاعر المجيد الفنان فأبدع فى الوصف ما شاء الإبداع، وأوحى له خلو الإيوان من بناته، وانقراض حماته عاطفة الأسى العميق فقال:

أتسلى عن الحظوظ وآسي ... لمحل من آل ساسان درْس
ذكرتنيهم الخطوب التوالى ... ولقد تذكر الخطوب وتنسى
وهمُ خافضون فى ظل عال ... مشرف يحسر العيون ويخسى
مغلق بابه على جبل القبـــق إلى دارتى خلاط ومكس

فهو فى هذه الأبيات متذكر معبر يتأسى عن الجدود العاثرة بالطلول الداثرة، فيذكر آل ساسان وحياتهم الهنيئة فى ظل الإيوان، وعيشتهم الرغيدة فى أبهائه، وما كان لهم فيه من سلطان أى سلطان. ثم هو يقارن بين هذه الأطلال الساسانية الضخمة وبين الأطلال البدوية التى شغلت شعراء الجاهلية فوقفوا عليها وبكوها وفاض شعرهم بالتغنى بها وترديد ذكرها، فكأنما يريد أن يقول إن مثل هذه الأطلال هى التى يجب أن تشغل الشاعر فيعوج عليها ويستنطقها أخبار الظاعنين لا أطلال القفار البسابس التى لم يكن لها أن تشغل الشعراء ذاك الإشغال:

حُلل لم تكن كأطلال سعدى ... فى قفار من البسابس ملس

ثم يندفع الشاعر يصف خلو الدار وإقفارها حتى كأنها أرماس أو مآتم بعد أعراس. ثم يشير إلى ما تدل عليه هذه الآثار من عجائب مشيديها وإبداع موجديها، ثم يسهب فى وصف

صحبه الإهداء ... ويكون مضطراً حينذاك إلى القراءة التى تفرض عليه بهذه الوسيلة فرضاً ... حتى لا يُغضب أحداً إذا سأله عن رأيه فى كتابه الأخير مثلاً ... وقد يكون هذا الأديب المتحرج مشغولاً بقراءة أخرى أهم مما تفرضه عليه الصداقات الجديدة قراءته ... فماذا يصنع ... وقد تكون الكتب المطلوب إليه قراءتها سخيفة ... فما العمل؟! ولا أستطيع أن أقرر إلا أن هذه الملاحظة دعابة لطيفة، وأخشى أن تكون ... تافهة ... ولا يسخط هذا التعبير صديقى العزيز ... الذى أهدى إلىّ كتابه الأخير، ولن أعفيه من الكتابة عنه.

دريني خشبة

ما فيها من النقوش والصور الماثلة ، مجيداً فى كل ذلك كل الإجادة :

وهو ينبيك عن عجائب قوم لا يشاب البيان منهم بلبس
فإذا ما رأيت صورة أنطا كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل وأنوشر وان يزجي الصفوف تحت الدرفس
في اخضرار من اللباس على أصـفر يختال في صبيغة ورس
وعراك الرجال بين يديه في خفوت منهم وإغماض جرس
من مشيح يهوى بعامل رمح ومليح من السنان بترس

وفى هذه الأبيات نستدل على ما كان عليه الإيوان من فن رائع تتجلى فيه صور المعارك الحربية بين الروم والفرس وصور المدن التى وقعت فيها المعارك وصور ملوك الفرس بألبستهم الزاهية يقودون جيوشهم المنتصرة ، وصور المتقاتلين هذا يهوى برمحه وذاك يتقى بترسه إلى غير ذلك من المشاهد المتنوعة

ويبلغ إعجاب البحتري بهذه الصور والنقوش أقصى حدوده حتى ليحسبها أشخاصاً حية ، وحتى أنه ليمعن فى هذا الحسبان فيغالط نفسه فيتقدم إليها ويلمسها ليتأكد من خمود الحياة فيها :

تصف العين أنهم جد أحيا ء لهم بينهم إشارة خرس
يغتلى فيهم ارتيابى حتى تتقراهم يداى بلمس

ثم يمضى البحترى على هذا النسق فى الوصف والشعور والتوجع فى تسعة أبيات ينتقل بعدها إلى ما أصاب الإيوان من كوارث وأرزاء ثم لا ينسى أن يعزيه عما نزل به مشيراً إلى أن ذلك لا يعيب عظمته الخالدة ما دام لا يزال مشمخراً عالى الشرفات :

عكست حظـه الليالى وبا
ت المشترى فيه وهو كوكب نحس
فهـو يبدى تجلداً وعليه
كلـكل من كلاكل الدهر مرسى
لم يعبه أن بُزّ من بسط الديبا ج واستل من ستور الدمقس
مشمخر تعلو له شرفات رفعت فى رؤوس رضوى وقدس
لابسات من البياض فما تبـصر منها إلا غلائل برس

وبعد ذلك يظهر البحترى دهشته فيسائل نفسه أيستطيع الإنسان أن يبدع هذا الإبداع أم هى بدائع الجن للانس :

ليس يدرى أصنع إنس لجن سكنوه أم صنع جن لإنس

ومهما يكن من أمر فهو يؤمن أن البانى لم يكن ملكاً خاملاً ولا إنساناً حقيراً بل هو بانٍ كانت تغص نواديه بالوافدين، وتمج مقاصيره بالقيان والمغنين ، وهو من هؤلاء الملوك الذين سادوا الزمن فمنا لهم وانقاد إليهم فعاشوا حياة كلها رغد وهناء

فكأنى أرى المراتب والقو م إذا ما بلغت آخر حسى
وكأن الوفود ضاحين حسرى من وقوف خلف الزحام وخاس
وكأن القيان وسط المقاصـير يرجحن بين حُوٍّ ولعس
وكأن اللقاء أول من أمـس ووشك الفراق أول أمس

وبعد كل هذا يبرز البحترى شاعراً لا يهمه من كل ما رأى إلا أنه مظهر حى يهز النفوس الشاعرة الحساسة فتبكى العز الزائل والملك الهاوى وتشيد بذكر الأمجاد أياً كانوا :

عمرت للسرور دهراً فصارت للتعزى رباعهم والتأسى
فلها أن أعنيها بدموع موقفات على الصبابة حبس
ذاك عندى وليست الدار دارى باقتراب منها ولا الجنس جنسى

ثم يعقب على ذلك ببيته الختامى الذى يظهر فيه مذهبه الشعرى الإنساني :

وأرانى من بعد أكلف بالأشـراف طراً من كل سنخ وجنس

— ٢ —

يستهل الشريف الرضى قصيدته استهلالاً فروسياً جميلاً تتجلى فيه روحه الوثابة وتبرز سجاياه الشماء ، بل تبدو إحساساته المكبوتة وعواطفه المقهورة . فالرضى فتى ملء برودة الرجولة التواقة إلى العلياء ، الطامحة إلى المجد ، وقد اجتمع له من كريم نسبه ونبل خلاله وسمو مكانته ما جعله يأنف حياة الدعة والخمول وعيش الصغار والهوان . وتحكم فى عصره بالناس من هم دونه كفاية وشهامة وحسباً ونسباً تحاول أن يشق طريقه فأقعده الزمن وردته ظروفه فظل مهضوماً مغيظاً يفرج كرباته بالشعر :

قربوهن ليبعدن الخفارا ويبدلن بدار الهون دارا
واصطفوهن لينتجن العلى بالعوالى لا لينتجن المهارا
إنه ليترنم بالخيل ويهتف بإسمها ويصيح برهطه ليقربوها

إليه ! ... وماذا فى الخيل ؟ ... إن فيها مظاهر القوة والعظمة ، مظاهر النضال والكفاح ، مظاهر الفروسية الباسلة . والشريف يرى نفسه رجل الخيل المغيرات وقد حيل بينه وبين أعنتها فهو يزفر من أعماق صدره هذه الزفرة الحماسية جامعاً فيها ما يتأكل نفسه من الحرمان المرير ، ومضمناً لها ما يجول فى خاطره من التوثب إلى معالى الأمور ، فهو وقد وقف على إيوان كسرى لا يتغزل بالحسان الساحرات ، ولا يستبكى للأطلال الداثرات ، بل يفتتح قصيدته بدعوة الخيل لا للتسلى بأعنتها ، ولا للتلهى بصهواتها ، بل للغارات البعيدة ، ولتبدل له بدار الهوان التى تأويه دار العز التى يطمح لها . فهو يرى أنه إنما يحيا فى دار الذل ومنزل الضيم بالرغم مما كان يحاط به من تكريم وإعظام .

ونراه فى البيت الثانى يعلن زهده فى المادة فهو لا يريد الخيل لتنتج له المال

وبعد أن يمضى الرضى فى واحد وعشرين بيتاً يضمنها نوازعه وخواطره يصل بنا إلى ذكر الإيوان فيخبرنا أنه نزل فيه داراً لم تكن دار ذل ، وأن بناته كانوا ذوى مجد رفيع استقلوا فيه عن الناس وشغلوه عن أن يعار لغيرهم :

قد نزلنا دار كسرى بعده   أربعاً ما كن للذل طوارا

أسفرت أعطانها عن معشر   شغلوا المجد بهم عن أن يعارا

تصف الدار لنا قطانها   المعالى والمساعى والنجارا

وهنا يتجلى إنصافه واعترافه بالحق ؛ فهو بالرغم من نزعته القومية المتحمسة لا يبخس الناس أشياءهم ولا يغض من ذوى المواهب ، بل يتكلم عن الناس بما كانوا عليه ؛ فقد وصفت الدار له قطانها ، فهى باذخة البناء رحيبة الفناء ، وهى محكمة الصنعة متقنة العمل ، وهى فى كل ذلك ناطقة بفضل من أبدعوها وحلوها تخبر عنهم بلسان فصيح ولغة واضحة

ثم نراه يلم بما أصاب هؤلاء القطان من نزول عن مجدهم واضمحلال لأمرهم ، فهو يرى أن الدهر استرد منهم ما أعارهم ليعيره إلى غيرهم فكأنما نعم الحياة عاريات يجود بهما الدهر على ناس ، ثم يبدو له فيستردها ليجود بها على آخرين وهكذا تتداول الأمم المجد فيما بينها :

آل ساسان حدا الخطب بهم   واسترد الدهر منهم ما أعارا

بعد ما شادوا البنى ترفعها   عمد المجد قباباً ومنارا

كل مأموم القرى صعب الذرى   يزلق العقبان عنه والنسارا

ثم ينتقل إلى وصف الإيوان كما رآه فى عهده ولكنه لا يصف لنا صوره ونقوشه ولا يتحدث عن عجائب صنعه وبدائع فنه ، بل إن ذلك لا يشغل ذهنه ولا يثير اهتمامه فلا يسترسل كالبحترى فى وصف دقائقه ، بل يعطينا صورة إجمالية عنه تملأ النفس رهبة ووحشة :

حمل الدهر إلى أن رده   ضاغط العبء ضلوعاً وفقارا

مطرقاً إطراق مأمون الشذا   غمر النادى حلماً ووقارا

أو مليك وقع الدهر به   فأماط الطوق عنه والسوارا

أوهنت منه الليالى فترة   لا يلاقى وهنها اليوم جبارا

إذ لم يكن يهم الرضى أن يستوفى وصف الإيوان ، فنحن لا نستطيع أن نتعرف من قصيدته إلى حال الإيوان يومذاك ولا إلى ما كان لا يزال ماثلاً من زخارفه ؛ فكأنه لا يعنيه أن يسهب فى ذلك ، بل يريد أن يستخرج العبرة من موقفه هذا ، فيتحدث عن حملة الدهر على الإيوان حتى تركه « ضاغط العبء ضلوعاً وفقاراً »

ثم يصوره تصويراً فنياً رائعاً فيتخيله مطرقاً إطراق من كانت له صولة فزالت ، وأمن الناس نقمه وضره ، فهو مطأطىء الهامة أسفاً على ماضيه وتفكراً بحاضره ، ولكن هذا الإطراق المحزن لا يذهب بوقاره وحلمه فهو — على شجاه — يملأ النادى حلماً ووقاراً . وهو على ما نزل به لا يزال محتفظاً بجلاله وهيبته ، ثم يشبهه بملك وقع الدهر به وحلت كوارثه فى ساحته فسلبته ملكه وأماطت عنه تاجه وذهبت بطوقه وسواره ؛ فهو لا يزال كما كان رجلاً كامل الهيبة ، ولكنه عاطل من حلل الملك وحليه ، وكذلك الإيوان ، فهو لا يزال قصراً شامخاً ، ولكنه خال من كل ما كان له من شأن

وهذه الأبيات هى كل ما يظفر به الإيوان من الشريف

صلات علمية

بين مصر والشام

فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

طلع هلال المحرم من القرن الثامن الهجرى على العالم العربى بأحداث جسام ؛ وسلطان المماليك فى مصر هو الناصر ابن قلاوون ، ونائب مصر الأمير سيف الدين سلار ؛ ونائب الشام آقوش الأشرم ؛ ونائب حماة قراسنقر المنصورى بعد موت الملك المظفر

وكان التتار فى أواخر القرن السابع الهجرى قد أغاروا على الشام مرتين فردهم بيبرس على أعقابهم . وفى سنة ٧٠٠ هـ أى فى مستهل القرن الجديد أغاروا ثانية على الشام بقيادة قازان وأحلوا بها الحرمات وكثر عبثهم فيها وقتلوا وسبوا النساء واقتحموا على الناس المساجد ، يحطمون أبوابها ويحاربون الله فيها ...

وهنا يقف علماء الشام موقفاً رائعاً ، فيحرضون الناس على الدفاع ، وينظرون شزراً إلى ذهب التتار وفضتهم اللامعة ؛ ويقف رجل منهم جليل هو ابن تيمية معلناً أن أهل الشام لا يسلمونها إلى عدو الله ما دامت فيهم عين تطرف ؛ ويرسل إلى نائب قلعة دمشق يقول له : لا تسلمهم القلعة ولو لم يبق فيها إلا حجر واحد . ويستجيب المسلمون إلى صوت شيخ العلماء فيقفون صفاً واحداً ، حتى يكرهوا العدو على الرحيل ويطهروا البلاد من أرجاسه

وكان ابن تيمية هذا يقظاً متنبهاً لأحداث زمانه ، وليست فيه غفلة بعض الفقهاء ، ولكنه رجل صاحى العين والفؤاد . وكيف ينام والعدو على أبواب دمشق ؟ فهو يقضى الليل قائماً يحضض الناس على الصبر ؛ ويدور كل ليلة على أسوار دمشق يحرض الناس على الثبات ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط

وليس يعنينا من القرن الثامن أحداثه السياسية ، فذلك ليس موضوع البحث ، ولكن يعنينا حالة العلماء والفقهاء فيه فقد ظهرت بين القطرين الشقيقين فى ذلك العهد مشاركة فى مناصب العلم والوعظ والقضاء ، وكان كثير من علماء مصر يعيَّنون فى الديار الشامية ؛ كما أن كثيراً من علماء الشام

الرضى من الوصف ، ثم ينتقل بعدها إلى ما يريده من أغراض قومية ، فيسائل أين معالى الإيوان الجمة وأين حماه الأفيح وأين رجاله الذين غلبوا الناس :

أين لا أين المعالى جمة   والحمى أفيح والرأى مغارا
ورجال شدخت أوضاحهم   غلبوا الأعناق مناً وإسارا

فيجيب عن ذلك بجواب تتجلى فيه نزعته القومية ، وروحه الإسلامية واضحة جلية :

عمروا لم يعلموا أن لنا   جائز الأمر عليهم والإمارا

ثم هو يشير إلى ما كانت عليه الأمم المجاورة للعرب من النظر إليهم نظر الاستهانة وقلة الاكتراث غير عالمة بما وراء هذا الهمود من الاندفاع العجيب ، ولا حاسبة بأن تلك الأمة الممزقة ارأى المقطعة الأوصال ستهب هبة تدهش الدنيا :

قدروا جد نزار واقفاً   ومشى الجد فما عزوا نزارا

ثم يصف الوثبة العربية العظيمة وما رافقها من بطولات وتضحيات وكيف أذهلت الناس فعنوا لها مستسلمين

لاوذوا لما رأوا من دونهم   وادياً يلقى به السيل غمارا
عاينوا الضرب دراكا فى الطلى   يعجل الفارس والطعن بدارا

ثم يشبه العرب بالأسد يهب مصحراً بعد طول الخور :

أصحر الليث المفوّى فانثنى   يطلب اليربوع فى الأرض وجارا

وبعد هذا الاعتزاز بقومه والتفاخر بأمته يتحدث عما أفضت إليه نهضة العرب وعن رسالتهم الإسلامية التى حملوها إلى الآفاق تجلو دياجير الشرك وتمحو معالم الوثنية وتنشر التوحيد حيث حلت :

قهروا الشرك على أعقابه   بعد ما استخدم غياً وضرارا
وأثاروا الدين من مربضه   وأطاروا عن مجاليه الخمارا
داينوا المجد بأطراف القنا   فغدا عيناً وقد كان ضمارا

* * *

وهكذا ترى أن موقف الرضى على الإيوان غير موقف البحترى ؛ فإن الإيوان أثار من البحترى شاعريته ، ولكنه فى الرضى أثار قوميته .

حسن الأمين

يعينون فى مصر . وكان أحرار العلماء — وأعنى بهم غير الموظفين — يجوبون بين البلاد العربية ويتنقلون بين القطرين فيفد الطلاب للقائهم والانتفاع بعلمهم والاغتراف من مناهلهم . والأمثلة على هذا كثيرة وقد تكفلت بسردها كتب التاريخ وخاصة كتب السلوك للمقريزى والبداية والنهاية لابن كثير والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى

فنرى مثلاً أن أحمد بن سلامة الأسكندرى المصرى يعين قاضياً لدمشق ، ونور الدين السخارى المصرى يعين مدرساً بالجامع الأموى بدمشق ، والشيخ ابن الوكيل يدرّس بمصر فى مشهد الحسين وبالشام فى دار الحديث الأشرفية وغيرها

وكان تبادل العلماء بين مصر والشام أمراً مألوفاً فى ذلك العصر ، لما كان تعيين المدرسين من حق سلطان مصر . فإنه لما مات قاضى قضاة مصر ابن دقيق العيد سنة ٧٢٢ هـ كتب السلطان الناصرى المصرى إلى ابن جماعة قاضى قضاة الشام يحييه ويعظمه ويحترمه ويدعوه إلى مباشرة وظيفة قاضى القضاة بمصر خلفاً لابن دقيق العيد . فيجيب الشيخ دعوة السلطان ويفد إلى مصر مكرماً فتخلع عليه الخلع ويجزل له العطاء

وكان السلطان يعين كبار العلماء فى المناصب الكبرى كمشيخة الشيوخ والمفتى وقاضى القضاة وقاضى العسكر والمدرسين . وكانت وظيفة مدرس من أرقى المناصب العلمية فى ذلك العهد . ويكفى للدلالة على سمو قدرها أن التعيين فيها كان من اختصاص السلطان مباشرة ، كما يذكر المقريزى فى كتابه السلوك . وكانت وظيفة المعيد تلى وظيفة المدرس فى المنزلة . وعمل المعيد فى القرون الوسطى هو بعينه عمل المعيد فى الجامعات الحديثة . وقد عرفه القلقشندى صاحب صبح الأعشى تعريفا دقيقا فقال : « هو ثانى رتبة المدرس ، وأصل موضوعه أنه إذا أتى المدرس الدرس وانصرف أعاد المعيد للطلبة ما ألقاه ليفهموه ويحسنوه »

ولم يكتف علماء القطرين فى القرن الثامن بالجلوس للدرس فى المساجد والمدارس ، بل كان لهم نوع من النشاط العلمى الدينى فرضته عليهم بعض الظروف فى ذلك العصر . فقد ظهرت بعض المذاهب المبتدعة الحائدة عن سنن الرسول وهديه والمنحرفة عن إجماع المسلمين . وكان فى خلال بعض هذه المذاهب وميض نار يوشك أن يكون لها ضرام ... فكثر الروافض بين التتار واشتد أمر الأحمدية وهى طائفة كان لها أحوال شيطانية — كما يصفهم المؤرخ ابن كثير ؛ ولهم كثير من الحيل والبهتان . وهم فى نظر ابن تيمية من الدجاجلة المخالفين للشريعة ؛ فنصب هذا الإمام السلفى لهم العداء ، وأخذ عليهم أقوالهم وأفعالهم ، وعقدت له بالشام ثلاثة مجالس للرد عليهم وبيان ما فى طريقتهم من مقبول ومردود بالكتاب والسنة .

ولم تكن تلك المجالس تعقد فى المساجد الجامعة كما يتبادر إلى الذهن ، ولا فى سرادقات خاصة تضرب لها ، ولكنها كانت تعقد فى قصر نائب السلطان بدمشق . وهى تعيد إلى الذهن تلك المناظرات الدينية التى دارت بين علماء الكلام فى العصر العباسى الأول .

وقد أثارت تلك المجالس الدينية خصومة شديدة بين العلماء ، ولعبت فيها أحقاد القلوب دوراً عظيما ، فخشى الشيخ الأكبر على نفسه فى الشام ، وقصد إلى مصر لعله يجد فيها متسعا لآرائه وجهاده ، فخرج لوداعه من أهل الشام خلق كثير . وكان الخارجون — كما روى ابن كثير — بين باك عليه أو حزين لفراقه أو شامت فيه أو متفرج محايد . وفى طريقه إلى مصر يعرج على غزة فيعقد له فى جامعها مجلس دينى عظيم . وفى مصر يعقد له مجلس بالقلعة يحضره القضاة ورجال الدين وأكابر الدولة . فتلاحقه فى مصر الأحقاد ويُكثر الحاسدون فيه القول ، ويفترون عليه الكذب . ويدّعى عليه فى هذا المجلس ابن مخلوف المالكى المصرى أنه من المشبّهة الذين يقولون بأن الله فوق العرش حقيقة وأنه يتكلم بحرف وصوت . ويقف الشيخ ليدافع فيقاطعه ابن مخلوف قائلاً : ما جئنا بك لتخطب . فيسأل ابن تيمية : ومَن هو الحكم فىّ ؟ فيجاب بأنه ابن مخلوف نفسه . فيتجه ابن تيمية إلى ابن مخلوف قائلا : كيف تحكم فىّ وأنت خصمى ؟ وينتهى المجلس بحبس الشيخ الأكبر فى برج أولاً ، ثم ينقل إلى محبس يعرف بالجب

(البقية فى العدد القادم)

محمد عبد الغنى حسن

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥١٨ — ومشى إلى مكة راجلا حافيا

مروءة مصرية مدهشة

في (الغرر الواضحة):

لما ولي صالح بن علي مصر من قبل ابن أخيه أبي العباس السفاح خرج عليه رجاء بن روح بفلسطين مع عمه الحكم بن ضبعان وكان على شرطة مصر. فأرسل إليهم أبا عون ومحمد بن أشعث الخزاعي بعسكر، فهزما الحكم، وبلغ صالح بن علي أن رجاء ابن روح دخل مصر، واستجار بمحمد بن معاوية فأجاره، فأرسل إليه فحضر، فقال: ألم أكرمك؟ ألم أشرفك؟

قال: بلى

قال: فكان جزائي منك أن أجرت عدوي

قال: وما ذاك أيها الأمير؟

قال: رجاء بن روح وابنه

قال: أصلح الله الأمير! اختر واحدة من اثنتين، لي فيهما براءة: إما أن أثلج صدرك بيمين، أو ترسل رجلاً من ثقاتك يفتش منازلي

قال: وتحلف؟

قال: نعم. فأحلفه بطلاق زوجته، وعتق عبيده، ومشيه إلى مكة راجلاً حافياً. فحلف له. ثم انصرف إلى منزله، وأعلم زوجته، فاعتزلت عنه، وقالت له لا تنقطع عني لئلا يشعر بك.

فلما عزل صالح عن مصر، ورجع إلى بغداد أظهر محمد بن معاوية طلاق زوجته، وأعتق رقيقه، ومشى إلى مكة كما شرط عليه: (راجلاً حافياً)

٥١٩ — فتنت أهل العراق بقولك

لما اجتاز أبو نواس بحمص قاصداً مصر لامتداح الخصيب سمع (ديك الجن)[1] بوصوله فاستخفى منه خوفاً أن يظهر لأبي نواس أنه قاصر بالنسبة إليه، فقصده أبو نواس في داره، وهو بها، فطرق الباب واستأذن عليه، فقالت الجارية: ليس هو ههنا. فعرف مقصده، فقال لها: قولي له قد فتنت أهل العراق بقولك:

موردة من كف ظبي كأنما ... تناولها من خده فأدارها[2]

فلما سمع ديك الجن خرج إليه واجتمع به، وأضافه

٥٢٠ — متى عصرت من الورد المدام

أبو الحسن الحصري القيرواني:[3]

أقول له وقد حيا بكأس ... لها من مسك ريقته ختام:
أمن خديك تعصر؟ قال: كلا ... متى عصرت من الورد المدام؟

٥٢١ — نظرت في ديوان أبي نواس...

في (كتاب الأذكياء) لابن الجوزي: روى أبو الحسن ابن هلال بن المحسن الصابي قال: حكى السلامي[4] الشاعر قال: دخلت على عضد الدولة فمدحته فأجزل عطيتي من الثياب والدنانير وبين يديه حسام خسرواني[5]، فرآني ألحظه، فرمى به إليّ، وقال: خذه، فقلت:

وكل خير عندنا من عنده

فقال عضد الدولة: ذاك أبوك...

---

(١) اسمه عبد السلام بن رغبان. في (ثمار القلوب للثعالبي: ديك الجن يضرب مثلا للديك النجيب الحاذق، ومنه سمي ديك الجن الشاعر المشهور. وفي حياة الحيوان الكبرى للدميري: «ديك الجن دويبة توجد في البساتين» فهل جاء اللقب من هنا؟

(٢) في (الموشى) أخبرني من قرأ على قينة بين يدي أبي دلف العجلي:

وقهوة كوكبها يزهر ... يفوح منها المسك والعنبر
يسقيهما من كفه أحور ... كأنها من خده تعصر

(٣) علي بن عبد الغني، الضرير، صاحب (يا ليل الصب) كان عالماً بالقراءات وطرقها.

(٤) نسبة إلى مدينة السلام: بغداد

(٥) نسبة إلى خسرو شاه من الأكاسرة

فبقيت متحيراً لا أدرى ما أراد، فجئت أستاذى فشرحت له الحال، فقال : ويحك ! أخطأت خطيئة عظيمة؛ لأن هذه الكلمة لأبى نؤاس يصف كلباً حيث يقول :

أنعتُ كلباً ، أهلُه فى كدِّه

قد سعدت جدودهم بجدِّه[1]

وكل خـــير عندهم من عنده

فعدت متوشحاً بكساء فوقفت بين يدى الملك ، فقال : مالك ؟ فقلت : حممت الساعة . فقال : هل تعرف سبب حماك ؟ قلت : نظرت فى ديوان أبى نؤاس

فقال : لا تخف . لا بأس عليك من هذه الحمى ...

محمد إسعاف النشاشيبي

(١) جدودهم : حظوظهم ، والجد بفتح الجيم : البخت ، الحظ . بجده باجتهاده . فى المصباح : الجد فى الأمر الاجتهاد ، ومنه يقال : فلان محسن جداً أى نهاية ومبالغة

سجاد الأناضول

للدكتور محمد مصطفى

« بمناسبة معرض السجاد الذى يقام الآن فى دار الآثار العربية »

— ١ —

تقدمة :

للأناضول اتصال وثيق بتطور الحضارات القديمة . وقد كان ينقسم إلى عدة دويلات أهمها مملكة فريجيا التى سيطرت على الأناضول من سنة ٢٠٠٠ إلى سنة ٨٠٠ قبل الميلاد ، وتلاها مملكة ليديا ، إلى أن فتحه الاسكندر الأكبر فى سنة ٣٥٠ق م فصار جزءاً من الدولة المقدونية . وبعد وفاة الاسكندر انقسم الأناضول ثانية إلى دويلات دامت حتى سنة ١٣٣ق م لما استولى عليه الرومان وجعلوه مقاطعة تابعة لهم . وفى سنة ٣٩٥ ميلادية عند تجزئة الدولة الرومانية الكبرى ، كان الأناضول من نصيب الدولة الرومانية الشرقية أو البيزنطية . وجاء السلاجقة من بلاد التركستان الصينية ، وامتد ملكهم إلى إيران ، ثم العراق ، ثم الأناضول ، وهنا مكثوا من سنة ١٠٣٧ — ١٣٠٠م . وكانت عاصمة دولتهم مدينة قونية . وخلف الأتراك العثمانيون السلاجقة فى الأناضول ، وكانت عاصمتهم فى أول الأمر مدينة بورصا حيث بنى سلاطينهم قصراً عظيماً كان أحد أبوابه يسمى « الباب العالى » وانتقلوا من بورصا إلى أدرنة ، فمكثوا بها إلى أن فتح السلطان محمد الفاتح مدينة القسطنطينية فى سنة ١٤٥٣م فصارت عاصمة الدولة العثمانية

وبعد تحطيم الدولة البيزنطية وفتح القسطنطينية صارت تركيا من أقوى الدول الشرقية ، فاستطاع السلطان سليم الأول أن يفتح مصر سنة ١٥١٧م ، وغزا ابنه السلطان سليمان القانونى بلاد إيران واستولى على تبريز وبغداد . وأخذ العثمانيون معهم من مصر وإيران الصناع والفنانين ، فعاونوا على نهضة الفنون وازدهارها فى تركيا

ولما أمن العثمانيون جانب البلاد الشرقية اتجهوا نحو أوربا وامتدت فتوحاتهم بها حتى وصلوا إلى فينا . وكانت تركيا أقرب دول الشرق إلى أوربا ، فحملت إليها لواء الفن الإسلامى ، وكان لها أثر كبير فى عصر النهضة الفنية بإيطاليا ، حتى إننا نجد أن قطع نسيج القطيفة المصنوعة فى إيطاليا فى القرن السادس عشر شديدة الشبه من حيث الرسوم والصناعة بقطع القطيفة التركية ، المصنوعة فى مدينة أسكوتارى على ساحل الأناضول المواجه للقسطنطينية

وكما دالت دول كثيرة كانت فى غابر الزمان قوية وعظيمة ، نرى الانحلال وقد بدأ يدب فى عروق الدولة العثمانية ، فارتدت جيوشها عن « باب أوربا » بعد أن صمد لها الأوربيون فى فينا . وجاء القرن التاسع عشر وكانت الكهولة قد بلغت حد الهرم ، ففقد « الرجل الهرم » مكانته القديمة بين الدول لما عجز عن أن يحمل خصومه يشعرون بقوة حسامه ، ويدينون بمبادئه وأفكاره ، وطغى الرخيص من الفنون الأخرى على جمال الفن التركى فذهب به وأفقده زهوه وبهاءه .

العناصر الزخرفية فى سجاد الأناضول

كانت العناصر الزخرفية من النوع الهندسى هى السائدة على فنون الأناضول حتى القرن الخامس عشر . ويتبين لنا ذلك

بوضوح من زخارف التحف الفنية التي ترجع إلى هذا العصر ، ومن صور سجاد الأناضول التي رسمها فنانو البندقية في لوحاتهم الزيتية خلال القرن الرابع عشر ، ومن قطع السجاد القديمة المعروفة إلى الآن ، ومن بينها ما عثر عليه في جامع علاء الدين بقونية ، وهذه تؤرخ بسنة ١٢٢٠م وهي محفوظة في متحف الأوقاف باستامبول

فالطريقة الجافة الجامدة في رسم الوحدات الزخرفية بخطوط مستقيمة تنكسر في زوايا محددة ، والعناصر الزخرفية النباتية. مثل الزهور والفروع والأوراق التي تهذب عادة بطريقة هندسية حتى تبلغ درجة يصعب معها تمييز هذه الزهور ومعرفة أصولها ، وكذلك تلوين السجاد بألوان باهتة وممزوجة بأخرى ، كل هذا من الميزات الهامة لسجاد الأناضول قبل أن يتأثر بالأسلوب الإيراني

وتختلف رسوم سجاد الأناضول المصنوع قبل سنة ١٣٠٠م عن رسوم السجاد المصنوع بعد هذا التاريخ . فقد كانت ترسم على النوع الأول وحدات زخرفية مأخوذة من الفن الساساني البيزنطي . والمعروف أن العنصر الزخرفي الشائع في الفن الساساني البيزنطي في ذلك الوقت كان في شكل دوائر تضم كل منها طائراً أو اثنين بهيئة رمزية . وقد حوّر فنانو الأناضول الشكل الدائري إلى شكل ذي ثمانية أضلاع ، أي إلى خطوط مستقيمة تنكسر في زوايا لها مظهر فيه الكثير من الجمود وشدة الجفاف ، لأن طبيعتهم تنفر من الأشكال الدائرة المرنة ، وكان إطار السجاجيد في العصر السلجوقي يزين بشريط من شبه الكتابة الكوفية ، تتفق في مظهرها مع باقي الوحدات الزخرفية ذات الشكل الهندسي . ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن الرحالة الشهير « ماركوبولو » ، كان قد ذهب إلى هذه البلاد في سنة ١٢٨٣ وزار السلاجقة في عاصمتهم قونية وكتب عن ذلك يقول إن أحسن وأجود سجاد العالم يصنع في الأناضول

أما بعد سنة ١٣٠٠م فقد قام آل عثمان على إنقاض الدولة السلجوقية في بلاد الأناضول وأسسوا الدولة العثمانية ، وكانوا شديدي التمسك بتعاليم السنة وكره رسوم الكائنات الحية ، فعملوا على إختفاء صور الحيوانات والطيور من التحف الفنية ومن السجاد . ومنذ بدء القرن السادس عشر أخذوا في تقليد رسوم قطع السجاد الممتازة الإيرانية ، فأدخلوا بذلك عناصر جديدة على أنواع الزخارف في الأناضول ، واستطاعوا في أواخر هذا القرن أن يكونوا لأنفسهم أسلوباً فنياً خاصاً بهم ، عنى فيه أشد العناية بالزخارف النباتية في تطوراتها المختلفة حتى بلغت أقصى حدود الكمال ، مثال ذلك المراوح النخيلية وأنواع الزهور المهذبة « الأرابسك » والأوراق المسننة التي تشبه سنان الحراب ، وكذلك الزهور المحببة إلى سكان الأناضول كالقرنفل وزهور السوسن ذات السيقان الرفيعة



(شكل ١)

واقتبس فنانو الأناضول من بين العناصر الزخرفية المغولية ما يسمى « السحب الصينية » « تشي » ، وإن كانوا قد تجنبوا تكرار استعمال غيرها من الزخارف المغولية كصور الحيوانات الخرافية التي تتنافر مع شدة تمسكهم بتعاليم السنة . وقد ظهر هذا التأثير المغولي في سجاد الأناضول في القرن الرابع عشر ، ولم يكن ذلك نتيجة لفتوحات المغول وامتدادها إلى العراق

وسوريا ، بل نشأ عن التبادل التجارى الواسع المدى بين الصين وبلاد الشرق الأدنى ، وما كان لأنواع الصناعات الصينية من أثر كبير فى فنون هذه البلاد كما نرى ذلك بوضوح فى زخارف وأنواع الأوانى الخزفية والمنسوجات المصرية وسجاد الأناضول وغير ذلك من صناعات هذا العصر . وظهر هذا التأثير لأول مرة فى شكل « مصارعة التنين للعنقاء » على سجادة رسمها المصور دومينيكو دى بارتولو فى إحدى لوحاته حوالى سنة ١٤٤٠م

ويحتوى المتر المربع من سجاد الأناضول عادة على ١٥٢٠٠٠ عقدة ، ويصنع من صوف الأغنام الناعم ، وهو أرق وألين من سجاد إيران . والألوان الشائعة فيه هى : الأحمر الباهت والأخضر النباتى الفاتح ، والأزرق المائل للاخضرار ، والأصفر الليمونى ، والأبيض الناصع ، وقد تأخرت صناعة السجاد فى الأناضول فى النصف قرن الماضى واندمجت بها أشياء دخيلة على هذه البلاد ، فتأثرت رسومها بالفنون الأوربية ، واستبدلت الألوان الطبيعية بالألوان الصناعية « الانيلين » الذى أسىء استعماله ، ومزج صوف أغنام الأناضول بالصوف المستورد من استراليا .

أنواع سجاد الأناضول

توجد أنواع كثيرة من سجاد الأناضول ، ينسب بعضها إلى نوع عناصره الزخرفية ، والبعض إلى مكان العثور عليه ، أو إلى مراكز صناعته ، أو إلى أماكن جمعه وإعداده للتصدير ، والشهير منها أنواع : عشاق ، تشنتمانى ، الأبسطة ذات الطيور ، هولباين ، سجاد ترانسلفانيا ، ودمشق ، وسجاجيد الصلاة المصنوعة فى بلاد : جورديز ، كولا ، لاذق ، كيرشهر ، ميلاس ، موجور . وسجاد البدو من برغمه وقونية ، وغير ذلك من الأنواع . وسوف نتحدث فيما يلى عن كل من هذه الأنواع على حدة مع التوضيح بالصور .

وفى (شكل ١) سجادة صلاة[1] من نوع « عُشّاق » الفاخر ، من أوائل القرن السادس عشر ، عليها محراب أرضيته باللون الأزرق القاتم ، يحدّها من أسفل بالأزرق الفاتح « سحابة صينية » كبيرة تحيط بباقة مرسومة بالألوان على أرضية حمراء . ويعلو السحابة الصينية الكبيرة أخرى صغيرة حمراء ويحيط بها زهور مهذبة . وأرضية خواصر العقد الأعلى بالأحمر وعليها فى الأركان بالأصفر الذهبي فروع وأوراق مسننة ومهذبة (أرابسك).

وهذه السجادة من مجموعة حضرة صاحب السعادة الدكتور على إبراهيم باشا ، وهى معروضة الآن فى معرض سجاد تركيا بدار الآثار العربية . وليس لهذه السجادة نظير فى العالم سوى واحدة مماثلة لها تماما فى متحف الدولة ببرلين .

وسوف نتابع الحديث فى العدد القادم من « الرسالة » عن سجاد « عُشّاق » الفاخر ، ثم عن أنواع سجاد الأناضول الأخرى.[1]

« يتبع » محمد مصطفى

(١) الصور المدروسة فى هذا البحث من تصوير الأستاذ محمد محمود سيد أحمد شلبي مصور دار الآثار العربية

(١) أهم مراجع هذا البحث هى الكتب التى تبحث فى موضوع السجاد ، وهى لمؤلفيها : حسين راشد وجاستون فييت وبوده وكابل ومارتين وساره وهازنبالج وأورندى وجريفين لوبس وغيرهم كثيرون .

النسر ...

للأستاذ عمر أبو ريشة

أصبح السفح ملعباً للنسور   فاغضبي يا ذُرَى الجبال وثوري
إن للجرح صيحة ، فابعثيها   في سماع الدُّنَى فحيح سعير
واطرحي الكبرياء شِلواً مُدمّى   تحت أقدام دهرك السِّكِّير

لملمي يا ذُرَى الجبال بقايا   النسر وارمي بها صدور العصور
إنه لم يعد يكحّل جفنَ النـ   ـجم تيهاً بريشـه المنثور !
هجر الوكرَ ذاهلاً وعلى عيـ   ـنيه شيء من الوداع الأخير
تاركاً خلفه مواكب سُحْب   تتهادى من أفقها المسحور
كم أكبّتْ عليه وهي تُندّى   فوقه قُبلة الضحى المخمور !

هبط السفح طاوياً من جنا   حيه على كل مطمح مقبور
فتبارت عصائب الطير ما بيـ   ـن شرود من الأذى ونفور
لا تطيري ! جوابةَ السفح فالنسر   إذا ما خَبَرْتِه لم تطيري
نسل الوهنُ مخلبيه وأدمت   منكبيه عواصف المقدور
والوقار الذي يشيع عليه   فضلة الإرث من سحيق الدهور

وقف النسر جائعاً يتلوى   فوق شِلْوٍ على الرمال نثير
وعجاف البُغاث تدفعه بالمخلب   الغض والجناح القصير
فسرت فيه رعشة من جنون الكبر   واهتز هزة المقرور
ونزا ساحباً على الافق الأغـ   ـبر أنقاض هيكل منخور
وإذا ما أتى الغياهبَ واجتا   ز مدى الظن من ضمير الأثير
جلجلت منه زعقة نشّت الآ   فاق حرى من وهجها المستطير
وهوى جثة على الذروة الشما   ء في حضن وكره المهجور !

أيها النسر هل أعود كما عد   ت ، أم السفح قد أمات شعوري

عمر أبو ريشة

بين معبدين

في المعبـــد المسحور ، سبّحنا ، وغنينا هوانا
ومشى الهوى ، نشوان ، ننسج من مفاتنه مُنانا
وسعى به قلبان ينتفضان في الدنيا ، حنانا
نسَخ الحياة خيالنا ، حلماً ، فكانت من رؤانا

في ظلها النعسان طافت سمحة الأشراق نفسي
ونهلت من ينبوعها ، فملأت بالإلهام كأسي
ونسيت تحت سمائها ، من سكرتي ، يومي ، وأمسي
فكأنني فوق الزمان ، وفوق أعصابي وحسي

عمر كغفوة حالم ، بين المنى ، أو رجع لحن
أو نشوة علوية عبرت ... ولم تخطر ببدن
مرت صباباتي ، كأوهام ، ونام اليوم فني
يا موكب الأحلام ، في كف الردى ، إياك أعني

من خان لذاتي ... وأطلق من يديْ لهوي ، متاعي
ومن الذي جُنّت ضـــلالته فمزق لي شراعي
وأذل أيامي ، وأطفأ في متاهتها شعـــاعي
وأقامني حرماً ، حزين الظل ، فوق غد مُضاع

طوفت ثم رجعت ... والذكرى تعربد في ضلوعي
والقلب مخدور المشاعر غال صحوته خشوعي ...
ولذاتي انحدرت ، تولول ، صارخات ، في دموعي
لغم الخريف المر ، ما حفلت به دنيا الربيع

اليوم أرجع للهـــوى ، من بعد إيماني وشركي
وأعود أنثر فوقه مترحماً ، زهري ... وشوكي
وأظل فوق ضريحه ... ما بين أوهامي وشكي
في المعبد المهجور — بعد إلهه — قد عدت أبكي

محيي الدين صابر

خلود ...

من علّم الحور أسمار الأناسيّ   هذي غلالة إشراق سماويّ
في عالم الفلك الأعلى مواطنه   يا طين كبّر وهلل للإلهي
تسرب النور من أمواج مسبحه   نهراً تعالى على التصفيق والري
ياصائت الصمت والأنغام لاغطة   موسقت همي بلحن منك علويّ



الشعر الجديد

اطلعت فى الرسالة (عدد ٥٥٣) على مقال الأستاذ المحقق الثَّبت (***) ، عنوانه « طاقات ريحان ، هدية إلى شعراء فى هذا الزمان » ، أودَعَه طرائف مما قاله بعض بلغاء المتقدمين وشعرائهم فى صِفَة الشعر البَهْرَج ، والنظم الغثّ والقريض المهلهل .

فهاجَ هذا المقال الممتع فى نفسى ما كنت أضمره من رأى ، وأحرص ألا أبوح به ، ولو لخلصائى ، والمطلعين على دخيلة آرائى ؛ خشية أن أرمى « بالرجعية » ، والتخلف عن القافلة الجادة المُرْقلة(١) ؛ وخشية أن أجاهر — فوق ذلك — بقصور الفهم ، وكلالة الذهن ؛ وبأننى أعيش فى عصر غير عصرى ، وأتعلق بما لا يتأتى أن يتعلق به مثلى .

وطالما كتبت فى هذا الموضوع ثم عدلت عما كتبت . وكنت منذ قريب صنعت فيه مقالة ، ثم حملتها إلى « الرسالة » . وإنى لفى الطريق إذ تنازعتنى عوامل متضاربة ، وفِكَر متعاكسة ، دفعتنى آخر الأمر إلى النكوص .

هذا هو موقفى . وأعتقد أنه موقف كثير من حملة الأقلام .

(١) المرقلة : المسرعة

وإلا فأين النقاد ؟ أين من يقول هذا حسن وهذا قبيح ؟ وهذا جيد وهذا زائف ؟

إنهم يتوقَّوْن هؤلاء القارضين الذين إذا صاح بهم صائح أو نهرهم ناهر ، أو كشف عن مواطن جهلهم كاشف ، عَوَوْا عُواء الذئاب ، وانتاشُوه بألسنة حِداد . ونزقوا ولبثوا ليالى ونهُرا متأوّهين متأففين ، يلعنون النقد والناقدين)(١)

وهكذا استَشرى شرُّ هؤلاء المتشاعرين ، وقَوِيت شوكتهم ، وتسنى لهم فى مصر وفى غير مصر من البلاد العربية أن يُنْعتوا « بالمجددين » ، وأن يلجوا أبواب الصحف المحترمة التى تحفل بالأدب ، وأن يصلوا منها إلى موضع التشريف والتكريم

فكنت كلما وقعت على شىء من مُقَصداتهم اندفعت إليه مَشُوقا ؛ لعلى أُصيب منه طريفاً ؛ أو أُفيد منه معنى شريفاً ، أو أظفر بما تَهَشّ به النفس(٢) وتَقَرّ العين

أو لعلى — بعد ذلك — ألمح فيه شيئاً من « التجديد » الذى به يتشدقون ، وعليه فى تَدْجيلهم يتوكئون — ذلك التجديد الذى لا أدرى ما هو ؟ ولا كيف هو ؟ وإنما الذى أدريه أنه لفظ لا كته الألسن منذ نحو ثلث قرن . وأدرى أيضاً أنه لفظ جَنَى على اللغة والأدب جناية أىّ جناية .

علم الله لقد كنت جادًّا فيما أُحاول لا هازلاً ، وكنت مستفيدا ، وكنت أبحث عن الحق ، وكنت متجرداً من الهوى ، وكنت أرجو أن يكون لهؤلاء النُّظّام ولو بعض ما يدّعون ، أو شىء مما به يتفننون .

ولكنى — وا أسفاه ! — كنت أرجع من ذلك كله فارغ اليد واجما ، أنْدُب من الوقت ما أنفقت ، ومن الجهد ما بذلت

يا سبحان الله ! كيف أُتيح أن يُنشر مثل هذا الهُراء فى تلك الصحف الكريمة ، وأصحابها مَنْ نعلم ذكاء وأصالة رأى ونَفاذ حُكم ؟

(ا . ع)

(١) من مقال الأستاذ الجليل

(٢) هش به : ارتاح إليه

قلبى يتيم هوًى ماتت بخفقته ... مائدة السكر من خمر الأمانىّ

كلمتنى فبعثت الحس فى بدنى ... قد كنت صورة إنسان خيالىّ

عصرت أزمنة السمار فى قدحى ... وجئت أسقيك أفراح النواسى

جبينك الفالق الوضاء كلله ... نور التفرد بالطهر الضيائى

تبارك الشفق الوردى مجتمعا ... فى كأس ثغر نَدِىّ الراح مسكى

عيناك علمتانى — والهوى عبر ... رعاية الوحش للظبى الكناسى

السحر فيك صبابات مطهرة ... وخدعة السحر أن أحظى بلاشىّ

زكريا الحجاوى

زكي مبارك وإعجاز القرآن

ينكر الدكتور زكي مبارك أنه « الكاتب المجهول » وليس في الناس من يصدقه في ذلك ولا زكي مبارك نفسه.

ويقول إني أحاوره بكلام حاورته به في بيت القاياتي منذ عشرين سنة، وليس يدري أنه بقوله هذا يعترف على نفسه بإنكاره إعجاز القرآن وأتهمه بالتشكيك فيه في كتابه النثر الفني، ونثره الفني لا يزيد عمره عن بضع سنين، فلا بد أن يكون غيره مما قال في ذلك العهد كان سبب مواجهتي إياه بتلك التهمة في ذلك الحين. وإذن فالشك في إعجاز القرآن باعتراف زكي مبارك مذهب يذهبه زكي مبارك من قديم

ثم هو لا يدري أنه بقوله ذلك أبطل أيضاً كل ما زعمه من صورية إسلامي لأني لم أستر أخطاءه إن كان من المخطئين! أليس يكفيه ستر تلك الأخطاء قرابة عشرين سنة حتى كان هو الذي فضح نفسه بما كتب في كتابه وفي مقالاته؟ فليلم نفسه إذن وليفهمها إن كان لائماً أو متهماً أحداً من الناس.

ثم متى كان ستر الأخطاء من لوازم الإسلام بالحقيقة حتى يكون كاشفها مسلماً بالصورة، خصوصاً إذا كانت تلك الأخطاء من نوع التشكيك في إعجاز القرآن

لقد أسندت إلى زكي مبارك تهما معينة تحديته بها كما يقول لينكرها إن استطاع، فلم يفعل، ولو استطاع لفعل. لكنه يعلم أن مجرد الإنكار لا يغني وكلامه شاهد عليه؛ ثم عز عليه أن يتبرأ من كلامه ذلك بعد أن طال افتخاره به، فجمجم يقول إني أتمسح بالدين لأنتصر عليه، ودمدم يظن أنه يستطيع أن يخدع الناس عن ضعفه بتظاهره بالقوة. ولست أبغي إلا أن يعرفه الناس فيحذروه. فإذا هو لم يخرج مما دخل فيه بالتبرؤ منه والرجوع عنه، فسنخرج نحن مما دخلنا فيه بإيراد الدليل عليه من كلام زكي مبارك نفسه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

محمد أحمد الغمراوي

إلى الدكتور زكي مبارك

كنت أيها الأستاذ الجليل أسبق الأدباء المصريين إلى رد الظلم والبهتان اللذين حاول كاتب لبناني أن يلصقهما بهم، وكنت أسرعهم إلى رفع الحيف الذي ما فتئ هذا الكاتب ينالهم به، بين حين وآخر، لغاية في نفسه

ولقد حمدنا لك أن تتناول — في مقالات نشرت في « المصري » آراء ذلك الكاتب بالنقد والتجريح وأن تحللها مبيناً ضعف الحجة ووهن المنطق فيها

بيد أن الذي لم نحمده لك أن تخاطب في مقالاتك الأدباء اللبنانيين جميعهم، كأنك تعتقد أن التهمة التي ألصقها بذلك الكاتب، جائزة عليهم كلهم، فكنت تعجب من « الكتاب اللبنانيين » ومن ظلمهم وتعسفهم وإنكارهم لقيمة الأدب المصري، وما كان يجوز لك أن تجري عليهم جميعاً حكمك على كاتب منهم معين، أو على مجلة معينة. فلا تحسبن أن الذي تنكره على ذلك الكاتب وعلى تلك المجلة، نستسيغه نحن، ونرضى به، ولئن كنا لم نسارع إلى دفع ذلك الكلام، ولم نبادر إلى نقده، فليس ذلك لأننا راضون عنه أو لأننا عاجزون عن رده، وإنما كان ذلك لأننا لمسنا أن وراء ذلك الكلام غاية معينة، وغرضاً خاصاً، تستهدف له كرامتنا الوطنية نفسها

ولما كنا نعتقد أن كرامتنا الوطنية بلغت من تقدير الناس وتقديرنا لها حداً لن يتأثر قط بأراجيف مصطنعة، وادعاءات مغرضة؛ فإننا طوينا كشحاً عن كلام ذلك الكاتب غير آبهين له خاصة وإننا كنا أو جلنا على مثل اليقين بأن الكاتب المقصود لم يقم يوماً بدراسة أو محاضرة ولم يؤلف كتاباً أو مقالاً خالصاً لوجه الأدب!

ومع ذلك فقد شاء كاتب لبناني كبير أن يطلع الناس على تلك الحجج الواهنة، والبراهين الضعيفة التي استند إليها المحاضر فكتب مقالاً قيما في مجلة « الأديب » البيروتية جزء شباط سنة ١٩٤٤

أقول إنه كان من الوجب أن تحترس في توجيه خطابك فتقتصر به على الكاتب المقصود، ثم إن مما أثار عجبنا أن تثير تلك الكلمات هذه الضجة في مصر خاصة بعد أن لمس المصريون أنفسهم عواطف الأخاء والود والعرفان بين مصر ولبنان في هذه الأيام الأخيرة، وقد كان من الواجب عليهم أن يفطنوا،

حين يستمعون إلى بعض أنغام جديدة ، إلى أن هذه الأنغام شاذة وناشزة ، فلا يتعبوا أنفسهم وعقولهم فى محاولة إصلاحها ودرجها فى الأنغام المنسجمة الرائعة ، لأنها لا شك ستضمحل ذات يوم وتتلاشى وتجف حين لا تجد الأذن المصغية

وعلى هـذا فنرجو أن يفسر إخواننا الأدباء المصريون سكوتنا بغير ما ينبغى أن يفسَّر ، وألا يحملوه على غير محمله ، لنعمل جميعاً على تحقيق ما نصبوا إليه من شئون التعاون بكل أطرافه السياسى والاجتماعى والثقافى وأن يحدّ الدكتور مبارك من غلوائه التى نستهدف لها جميعاً !

(بيروت) سهيل ادريس

معرض سجاد تركيا بدار الآثار العربية

تقيم جمعية محبى الفنون الجميلة فى يوم الإثنين ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٤ معرض سجاد تركيا بدار الآثار العربية . ويضم هذا المعرض مجموعة قيمة تمثل أغلب أنواع السجاد القديم المصنوع فى بلاد الأناضول يندر أن يجمع مثلها فى مكان واحد . وقد ساهم كثيرون من كبار هواة السجاد فى هذا المعرض بقطع فاخرة من مجموعاتهم الخاصة ، كما زينت قاعات المعرض بقطع من قطيفة بروسة واسكوتارى ومن أنواع مختلفة من التطريز ، وألواح القاشانى ، وشمعدانات من النحاس وأدوات جميلة من الفضة ، وأسلحة نقش عليها أسماء بعض سلاطين آل عثمان . وكان لمساهمة حضرتى صاحب السمو الأمير يوسف كمال وصاحب المعالى الدكتور على إبراهيم باشا أثر كبير فى استكمال مظاهر الفن والجمال بهذا المعرض

ولم يفت القائمين على تنظيم هذا المعرض وترتيبه أن ينسقوه . على حسب أنواع السجاد وتطورها فى العصور المختلفة حتى صار بمثابة دليل علمى يستطيع فيه الزائر أن يتتبع دراسة سجاد تركيا

وقد وضع الأستاذان حسين راشد وجاستون فييت بالفرنسية دليلاً لهذا الغرض فيه تفاصيل كثيرة عن أنواع السجاد . وترجم هذا الدليل إلى اللغة العربية الأستاذ محمد راتب والدكتور محمد مصطفى .

دفاع عن البلاغة

(بقية المنشور على صفحة ١٨٢)

على ما كان فى ثلاثيه وكأنك لم تحذف شيئاً ! ولعل كثيراً من مزاولى القصص عندنا يفيدهم أن يقرأوا قول ابن الأثير : « جلس إلىّ فى بعض الأيام جماعة من الإخوان وأخذوا فى مفاوضة الأحاديث ، وانساق ذلك إلى ذكر غرائب الوقائع التى تقع فى العالم ، فذكر كل من الجماعة شيئاً . فقال شخص منهم : إنى كنت بالجزيرة العمرية فى زمن الملك فلان ، وكنت إذ ذاك صبياً صغيراً ، فاجتمعت أنا ونفر من الصبيان فى الحارة الفلانية ، وصعدنا إلى سطح طاحون لبنى فلان ، وأخذنا نلعب على السطح فوقع صبىٌّ منا إلى أرض الطاحون ، فوطئه بغل من بغال الطاحون ، فخفنا أن يكون أذاه ؛ فأسرعنا النزول إليه ، فوجدناه قد وطئه البغل ، فختنه ختانة صحيحة حسنة لا يستطيع الصانع الحاذق أن يفعل خيراً منها . فقال له شخص من الحاضرين : والله إن هذا عىٌّ فاحش وتطويل كثير لا حاجة إليه ، فإنك بصدد أن تذكر أنك كنت صبياً تلعب مع الصبيان على سطح طاحون ؛ فوقع صبى منكم إلى أرضها ، فوطئه بغل من بغالها فختنته ولم يؤذه . ولا فرق بين أن تكون هذه الواقعة فى بلد نعرفه أو فى بلد لا نعرفه . ولو كانت بأقصى المشرق أو بأقصى المغرب لم يكن ذلك قدحاً فى غرابتها . وأما أن تذكر أنها كانت بالجزيرة العمرية فى الحارة الفلانية فى طاحون بنى فلان ، فإن مثل هذا كله تطويل لا حاجة إليه والمعنى المقصود يفهم بدونه »

(للكلام بقية) احمد حسن الزيات

فى « مجموع رسائل الجاحظ »

الق الذى فى مزودى لوعائه ومتى أجئه فى الشدائد مرملا

والحافظ ابن حجر

12me Année No. 557

Lundi - 6 - 3 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٥٧ « القاهرة في يوم الإثنين ١١ ربيع أول سنة ١٣٦٣ — الموافق ٦ مارس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

٢٠١ العلم التبشـيري ... . . : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٢٠٤ في الرملة البيضاء .. ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
٢٠٦ دراسـات عن مقـدمة ابن خلدون .. .. : الأستاذ دريني خشبة . . . .
٢٠٨ الحديث ذو شجون .. ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٢١٢ صلات علمية بين مصر والشام : الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٢١٣ منشأ العقيدة يزيدية وتطورها : الأستاذ سعيد الديوه جي ...
٢١٥ سجاد الأناضول ... . . : الدكتور محمد مصطفى .. ...
٢١٧ نقل الأدب . . .. : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٢١٨ في قنا وأسوان ... ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٢١٩ (١) الشعر الجـديد وطاقات الريحان والورد والنقد (٢) أقوى من الموت ... : الأسـتاذ محمد عبد الغني حسن
٢٢٠ (١) تلاقي الأكفاء .... (٢) ألوان من الحب ... : « د » ... ...

العلم التبشـــيري

للأستاذ عباس محمود العقاد

الدرس العلمي يخدم الحقيقة ويبحث عنها ويرحب بها ولا يكره إظهارها حيث كانت في مذهب من المذاهب أو إنسان من الناس

أما الدرس الذي يكره إظهار الحقيقة لأنها تخص مذهبا غير مذهبه ، أو تشيد بفضل إنسان على غير اعتقاده ، فليس ذلك بدرس علمي ولا بعلم ، إنما هو تبشير أو دعاية أو هوى مدخول .

ومن هـذا القبيل درس كاتب في مجلة « المقتطف » يستره بدعوى العلم الصرف وما هو بمستور ، ويمزجه بنوازع التعصب الخفي عامداً أو غير عامد وما بها من خفاء .

كتبنا عن عائشة كتابنا « الصديقة بنت الصديق » وعقدنا فيه الفصول لنقول إنها رضى الله عنها كانت امرأة تامة الأنوثة في طبيعتها وخلائقها . فأعجب كاتب المقتطف بهذه الطريقة وقال من عنده : « . . . ومن محاسن هـذه الطريقة أن المترجم مهما يعظم ويخطر ينزّل منزلة الإنسان . فالسيدة عائشة على فضلها أنثى تامة الأنوثة : تغار وتفرط في الغيرة حتى أنهـا لتدب بين إحدى ضرائرها والرسول ابتغاء الاستئثار به ، وإنها ذات حدة طبيعية ، وإنها ظلت تحمل الحقد لمن نصح للرسول أن يطلقها ،

وإنها مالت إلى ذوى قرباها في أمر الخلافة »

انتهى كلام كاتب المقتطف الذى يصطنع الدراسة العلمية وما هو منها فى غير باب الفهارس والعناوين

ونحن لم نقل إن السيدة عائشة حملت الحقد أو دبت بين الرسول وبين إحدى زوجاته ، فهذه عبارات الكاتب راقه أن يعبر بها عما أراده ، وبينها وبين ما ذكرناه فرق محسوس

إلى هنا نحن علماء ، وطريقتنا فى النقد لها محاسن ؛ ولكننا على ما يظهر لا نكون علماء ولا تعرف لطريقتنا حسنة إلا إذا وقفنا عند هذا الحد فى الكتاب كله من ألفه إلى يائه . فأما إذا أسفر النقد عن محمدة أو عن تبرئة من مذمة فقد كفرنا بالعلم وخرجنا من محاسن الطريقة إلى السيئات

ولهذا عاد كاتب الفهارس والعناوين يقول : « وتلك مزية فى الإنشاء قد تحرف المنشئ إلى التمجيد والتفخيم إطلاقاً ، بدلاً من اختبار كنه النفس الفياضة بالإحساسات البشرية الصادقة الصافية ... »

إلى أن يقول : « غير أن هذا الضرب من الإنشاء ربما كان مسافةً إلى حديث يغلب عليه منطق الدفاع ، وذلك ما انجذب إليه المؤلف لما عرض لقصة الإفك ، فاجتهد فى الجدل — وهو لصناعته حاذق — فأيد مذهبه بشواهد المعقول ونصوص المنقول ، وربما لج فى استخراج هذه ، وأبعد فى استنباط تلك ، حتى أنه يمسى فى مدارج المجاذبة والمدافعة مدرها لا باحثاً ... »

ومعنى ذلك أننا أخطأنا لأننا نقضنا حديث الإفك وأسهبنا فى نقضه ، وإننا كنا نوافق العلم إذا رويناه ولم نعقب عليه ، أو كان قصارانا فى التعقيب عليه أن نقول : « إن قصة الإفك لا تحتاج إلى مثل ذلك الاجتهاد ... »

إذن نكون علماء ولا نكون مدرهين مدافعين ... !

وإذن يقر « العلم التبشيرى » عيناً لأنه يستطيع أن يصيح يومئذ بين من يستمعون إليه : « أيها الناس ! هذا قصارى مايملكه الباحث فى حياة السيدة عائشة من تفنيد لحديث الإفك وإبطال لدعوى المفترين عليها ، ولو كان عندهم مزيد من التفنيد والتصحيح لجاءوا به ولم يسكتوا عنه »

وهذا هو العلم اللذيذ الشهى المعجب المطرب الذى يبرئنا من اللجاجة ولا يؤخذ علينا فيه عيب القدرة على الجدال

أما العلم الذى يسهب فى تصحيح حديث الإفك دفاعاً عن سمعة السيدة عائشة فهو علم كريه بغيض عند المبشرين وأشباه المبشرين

هكذا يريدها كاتب « المقتطف » الذى يصطنع الدراسة العلمية لينفذ منها إلى هذه المآرب الخفية على ظنه ، وما هى بخفية

إذ الواقع أن المسألة هنا أظهر من أن يسترها هذا البرقع المزق المشنوء ، وأن العلم الصحيح ، والأدب الصحيح ، براء من هذا العوج البين فى التفكير والتقدير

الواقع أن الإسهاب فى تصحيح حديث الإفك واجب علمى نلام على إهماله أو التقصير فيه ، لأننا نكتب عن « شخصية » السيدة عائشة فلا نكون قد صنعنا شيئاً إذا نحن لم نمحص خلائقها ولم نظهر مقدار الصدق أو البطلان فيما يقال عنها

وكل ما يجب علينا أن نثبت مقال الخصوم فلا نحذف منه شيئاً ، وأن نعرضه على مقاطع الحجج أو مواضع الاحتمال والترجيح فلا نغفل منها شيئاً ، ثم نقابل بين الكفتين لندل على الراجحة منهما والمرجوحة ، دون أن نكره القارئ على التصديق بغير برهان . وهذا ما صنعناه

وهذا الذى يعده الكاتب الذى حرمه الله الذوق والفهم لجاجة وخروجاً من وظيفة البحث العلمى إلى وظيفة الدفاع

ومن الواضح أن الباحث العلمى مطالب بالالتفات إلى البراهين القاطعة والوقائع الحاسمة كما هو مطالب بالالتفات إلى القرائن المرجحة والأدلة المحتملة ، فلا يلام على قرينة لأنها غير قاطعة ، ولا على دليل لأنه غير حاسم ، ولكنه يلام إذا أهمل شيئاً من ذلك أو أثبته ثم أعطاه حظاً من القوة غير حظه الذى يحتويه

ونحن قد أتينا بكل ما يخطر على البال من جانبى المقال ، ولم نبالغ قط فى قيمة ترجيح أو احتمال ، فقيل إنه خروج من البحث إلى الجدال

ولكن ما هو البحث الخالص البرىء الذى لا جدال فيه يا ترى ؟

هو الإسهاب فى متابعة كل حجة وكل قرينة للتشكيك والتوهين ، إذ التشكيك والتوهين هما العلم الذى لا جدال فيه ...

أما التصحيح والتبرئة فهما الجدال الذي يعاب على الباحثين والعلماء ... !

وهذه أمثلة من إسهاب كاتب « المقتطف » الذي برئ من الفهم والذوق وصراحة التفكير واستقامة القياس

قال يعنينا :

« من ذلك أنه أول شكوى امرأة صفوان بن المعطل — وهو بطل حديث الأفك عند المرجفين — تأويلاً متزيداً فيه ، ثم استند لأجل دعمه إلى خبر لا ندرى ما يكون . وتفصيل ذلك أن المؤلف نقل أن امرأة صفوان شكته إلى النبي لأنه ينام ولا يصلى الصبح قبل طلوع الشمس ، ثم زاد : وقد يحسن هنا أن نوجه شكوى امرأة صفوان إلى بعض معانيها . كأنها أرادت بثقل النوم كناية عن أمر آخر لا تفصح عنه . إذ قيل عن صفوان هذا إنه كان حصوراً لا يأتى النساء »

نقل كاتب المقتطف ما تقدم من كتابنا ثم قال : « والذى عندى أن ليس وراء شكوى امرأة صفوان تعريض ، وليست حروف الشكوى بفارّة نحو الكناية ، ولو كانت فارة لكان النبي الزكن فطن للأمر ، فما قال لصفوان على جهة التصريح : إذا استيقظت فصلّ ... ! »

فكل ما قلناه نحن أن الباحث يحسن به أن يوجه شكوى امرأة صفوان إلى بعض معانيها ، وهو أنها تكنى بنومه إلى ما بعد طلوع الشمس إلى إهماله واجب الزوجية ، ولا تحب أن تصرح بما أرادت ، لأن التصريح قد يخجل المرأة فى مجلس الرجال

لم نقل أن هذا القصد هو كل معانى الكلمة ، بل قلنا إنه بعض معانيها ، ولم نشأ أن نزيد على ذلك كثيراً ولا قليلاً ، ولو شئنا لزدنا وقلنا إن المرأة لم ترد إلا ما أشرنا إليه ، وإلا فما شأنها هى بصلاته بعد طلوع الشمس إذا كان ذلك جائزاً فى الدين ؟

لكننا مع هذا وقفنا عند حد الاحتمال الجائز ولم نزد عليه ، فإذا بهذا المطموس ينكر الكناية هنا كل الإنكار بدليل لا يخطر إلا على خاطر كليل وذهن عليل ، وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لصفوان بعد أن سمع شكاية امرأته : إذا استيقظت فصل !

فيأيها المطموس مرة أخرى ! بماذا تريد أن يجيبها النبي وهو يخاطب بذلك الكلام على سبيل الكناية ؟

أتريد من النبي الزكن الفطن أن يخاطبه امرأة خجلى كناية وتعريضاً فيجيبها على الملأ بما هربت منه وأبت أن تذكره على سبيل التصريح ؟

أهذا هو البحث الذى لا لجاجة فيه ؟ وهذا هو التدليل الذى لا يحسب من الجدال ؟

ثم أبى هذا الكاتب المطموس البصيرة أن يكون صفوان حصوراً بالمعنى الذى يبرئ السيدة عائشة فقال :

« وأما قصة الحصر فليست بالحجة القاطعة . فالذى فى سيرة ابن هشام أن عائشة إنما كانت تقول : لقد سئل عن ابن المعطل فوجدوه رجلاً حصوراً ما يأتى النساء ... ثم أضف إلى هذا الاستدلال الخبرى واللغوى أن الذى ذكر عن صفوان لو كان أمراً مقطوعاً به مسلماً ما انبثّ حديث الإفك » إلى آخر ما قال

فلماذا يرد هذا على ذهن الكاتب المطموس ولا يرد على ذهنه أن ابن المعطل لو كان أمر حصره باطلاً معروفاً لما شاع عنه أنه حصور ؟ ترى هل كان يمكن أن يقال عنه إنه حصور وله ذرية غير متهمة ؟ ترى هل كان يمكن أن يقال عنه إنه حصور وله امرأة نعلم هى على الأقل أن الاتهام باطل وأن هذا الاتهام الباطل دليل على شيء مخبوء ؟

لماذا خطر له أن أصحاب حديث الإفك لن يشيعوا ما ينقضه البرهان ؟ ولم يخطر له أنهم قد يشيعون ذلك اعتماداً على التباس التهمة التى تحتمل كل التباس ؟

لماذا ؟ ... ألعلم الذى لا جدل فيه ، أم لشهوة النفس التى لا علم فيها ولا أمانة للحق والتاريخ ؟

وخلاصة هذه الأمثلة أن المسألة مكشوفة لا يجدى فى مداراتها اللغط بألفاظ البحث والعلم والاستقراء ، فإنما يكون الاستقراء علمياً عند هذا الكاتب وأمثاله كلما أفضى إلى تشكيك واسترابة ، ولا يكون الاستقراء علمياً ولا محموداً ولا واجباً على الباحث أن يلم به إلماماً فى عرض الطريق كلما أفضى إلى تبرئة وتعظيم

وإذا قلنا إن السيدة عائشة مؤمنة بنبوة محمد عليه السلام

ظهر فى سيرتها جميعاً لم يفهم معنى هذه الدلالة وراح يقول : ألا يخطئ المؤمنون والمؤمنات ؟ ويفوته أن المسألة هنا ليست مسألة الخطأ بل مسألة الشك فى علم النبي بالخطأ من طريق الوحى والإلهام . ومن واجب الباحث أن يستبعد وقوع الخطأ من هذا القبيل ، لأنه لم يحدث قط فى حياة الأنبياء ، ولأن الإغراء الذى يقاوم كل هذه الموانع غير موجود ولا مفروض فى حديث الإفك السخيف الذى لا برهان عليه

***

وبعد ، فإن كنا نأسف لشىء فإنما نأسف لمجلة «كالمقتطف» أن تتورط فى مثل هذا الإسفاف وقد تنزهت عنه فى أيدى كتابها الأفاضل حقبة من الزمان ، وأن تسلم زمامها إلى هازلين يعبثون بكرامتها ويخرجون بها عن سوائها وهم ما هم من قلة الفهم وقلة الذوق وقلة الإنصاف ، وحظهم من حب العلم والحقيقة ما رأيناه ، وهو حظ يلحقهم بدعاة التبشير ويخرجهم من زمرة كتاب المقتطف المعهودين ، وللقائمين على المقتطف أن يختاروا لمجلتهم ما يحلو لهم من مصير ، ولكن القراء أيقاظ لا يغفلون .

عباس محمود العقاد

فى الرملة البيضاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

دعيت حينما حللت بيت المقدس إلى زيارة إخوان كرام فى الرملة ويافا ، وقد صادفت الدعوة شوقا فى النفس وحنيناً ، ولبثت أرتقب الفرصة حتى حسبتها قد أفلتت . وبينما أنا بالمسجد الأقصى يوم الجمعة الذى حدثت عنه فى مقالىّ عن المسجد المبارك ، شكوت إلى الصديق الكريم الذى ذكرته قبلا وقلت إن وجهه لا يعيب عن مشهد من مشاهد الخير ، مافاتنى من السرور بما أمّلت من زيارة إخوان كرام فى مواطن كريمة ، وقلت ضاق الوقت فالرحيل بعد غد . قال : وما عليك إذا زرت المدينتين غداً وركبت الطائرة بعد غد من اللد دون الرجوع إلى بيت المقدس ؟ إن فى الوقت سعة لإدراك بغيتك ، وتأدية واجبك ، وذهب معاً إن شاء الله فارقنا بيت المقدس ظهر السبت الخامس والعشرين من رمضان نؤم الرملة ، وسارت السيارة فى أودية فلسطين وشعابها ، وأفضنا نحن فى شعاب من الحديث وأودية نفصلها على ما نرى من مشاهد جميلة ، وما نمر عليه من زروع وأشجار وجبال وقرى ، وما يوحى به أولئك من ذِكَر وعبر بين الماضى والحاضر حتى أوفينا على المدينة الكريمة .

نزلنا فى دار البنك ، بنك الأمة العربية . ولهذا البنك دُور فى أمهات مدن فلسطين ، فسرنى ما رأيت من صور تاريخنا على الجدران ، وما توسمت من صور جهادنا الحاضر فى أعمال البنك وحسابه . وكم فرّج هذا المصرف من كرب ، وكم محا من يأس ، وكم عصم من مال وأرض ، وكم جمع الكلمات المتفرقة ، وألّف الأهواء الشتيتة . وإن رجاءنا فى مستقبله أعظم من اغتباطنا بماضيه ، وابتهاجنا بحاضره . وجزى الله خيراً كل من ساهم فى الذود عن هذه الأمة بعقل مدبر ، أو يد عاملة ، أو لسان ناصح ، أو مال نافع .

ثم سار بنا الشوق والسرور إلى دار الأخ الصديق المجاهد محمد يعقوب الغصين ، فنعمنا حيناً بالجلوس مع الأخ الكريم ، وجماعة من وجوه الرملة أتوا مسلّمين . نضّر الله هذه الوجوه ورعاها . وكانت مطامعنا قد اتسعت لأن نزور المدينتين ، ونجيب الدعوتين ، ونقضى الغرضين فى يوم واحد . فلما لقينا الوجوه الكريمة ، وأفضنا فى أفانين الحديث ، عرفنا أن ما بقى من إقامتنا فى فلسطين لا يتسع لأداء فرض واحد من فروض كثيرة تلزمنا بنزولنا الرملة ، فأقصرنا عن زيارة يافا أسفين آملين أن تيسر لنا فرصة نزور فيها يافا والرملة أيضاً

خرجت فى العشىّ فى صحبة الصديق الكريم أحمد حلمى باشا لنجول فى الرملة وما حولها على قدر ما تأذن لنا بقية نهار من رمضان فذهبنا إلى أطلال مسجد كبير تدل رسومه وبقايا جُدُره وأسطواناته ، ومكانُ المحراب من هذه البقايا ، أنه كان من أعظم الجوامع الإسلامية وأفسحها كجامع بنى أمية فى دمشق ، وجامع المعتصم فى سامرا ، وجامع ابن طولون فى مصر أو أوسع . ولا يبنى مثل هذا الجامع إلا فى مدينة كبيرة عامرة . وكذلك كانت الرملة البيضاء . فقد مصّرها سليمان بن عبد الملك وهو وال على فلسطين من قبَل

أخيه الوليد ، ثم عنى بعمارتها بعد أن آلت إليه الخلافة ، ودعا الناس إلى البناء فيها فاتسعت وعظمت . وقد روى ياقوت أن سليمان أراد أن يخلد ذكره بمدينة الرملة ومسجدها كما خلد ذكر أبيه عبد الملك بقبة الصخرة ، وذكر أخيه الوليد بجامع دمشق . وحسب جامع الرملة أن يكون صنو جامع دمشق ، وبيت المقدس . ما هذه الأساطين والجدر إلا بقية العراك المديد بين الحادثات المدمّرة وهذا المسجد العظيم ، قامت كما يثبت المجاهدون الصابرون للخطوب الجسيمة ، والأرزاء العظيمة

وقد تداولت الرملة أحداث الدهر أيام الحروب الصليبية حتى أنقذها من الفرنج السلطان صلاح الدين عام ثلاث وثمانين وخمسمائة ؛ ثم اضطر إلى أن يخربها بعد أربع سنين حذرا أن يستولى عليه الفرنج مرة أخرى . وناهيك بالمحن التي تضطر صلاح الدين إلى إخراب مثل هذه المدينة !

وفي شمالي ساحة الجامع منارة عظيمة عالية مربعة مبنية بالحجارة الضخمة المهندسة بناها الملك الناصر محمد بن قلاون وكأنه أراد أن يجعلها مئذنة ومنارة أو مرقبا لمراقبة السفن القادمة إلى سواحل فلسطين . على المنارة كتابة واضحة فيها اسم الملك الناصر وألقابه ، وتاريخ بنائها سنة ثماني عشرة وسبعمائة . والمنارة قائمة وحدها مفردة ، كأنها رمز للتوحيد ثابت على مر الزمان ، أو علم للإيمان القوي الذي لا يقهره تقلب الحدثان . كم شهدت هذه المنارة من الغِيَر ، ورأت من أحداث القدر ، وتاريخ البشر ! وليت شعري ماذا تروى من أخبار السلف ، وماذا تنقم من أفعال الخلف ؟

فارقت هذه الآثار قائلاً : رحم الله بني أمية ، وهذا أيضاً من آثارهم ، منشداً في هذه الآثار المخذولة ، وذاك الحمى المستباح قول كثير :

حموا منزل الأملاك من مَرْج راهط
ورملة لُدٍّ أن تباح سهولها

ذاكرا الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي ما تزال آثاره في مصر والشام شاهدة بمآثره ، ناطقة بمحامده

ثم جلنا ساعة في الأودية القريبة من المدينة والمزارع والمشاجر الناضرة الفيحاء ، ومررنا بوادي حنين

قال الباشا : هنا بستان للأخ الكريم الأستاذ محمد على الطاهر يقضى علينا الوفاء أن نراه لنعرف كيف تعهدّاه والعناية به . والبستان في ربوة يؤدي إليه طريق صاعد ضيق . قال الباشا : إن سائقنا يشفق من هذا الطريق ، فكلما مررت على مقربة منه أسرع آملاً ألا أذكر البستان إلا بعد أن يبعد عنه فيستريح من مشقة الإصعاد إليه وتخلل المسلك الضيق بالسيارة . وقد أدركت حيلته فهددته أن أخبر الأستاذ الطاهر ليهجوه بمقال أو مقالين . سرنا بين بساتين يانعة كثيفة الشجر ، كثيرة الثمر ، حتى انتهينا إلى بستان أخينا فدخلناه وتخللناه ، فوجدناه حديث عهد برى ، وسرنا أن وجدناه مع ما أدركه من حرفة الأدب التي جعلته أقل نضارة من جاره ، مخضرا تنوء أشجاره بما حملته . أخذنا غصناً من البرتقال فيه تسع حبات متراكبة كعنقود العنب ، وغصناً من الليمون الهندي الذي يسمى جريب فروت[1] فيه خمس حبات كذلك ، قلت أنعم بها من بشرى نحملها إلى الصديق في القاهرة ، وهدية نُطرفه بها من بساتينه الناضرة ، وقد حرصت عليها وحملتها في الطائرة متيمناً بها ، أراها أغصان نضارة وسلامة ، ورمز عناية بالصديق وكرامة ، وتنضيراً للصلة بين مصر وفلسطين . وما أحسبني فرحت بهدية حملتها ، ولا الأخ الطاهر سرّ بهدية حملت إليه ، سرورنا بهذه الهدية الخضراء الجميلة التي حملتها الرياح من الرملة إلى القاهرة

وعدنا إلى دار ضيافتنا للإفطار وصلينا في مصلّى في الدار به ضريح يقال إنه ضريح أبي يزيد البسطامي الصوفي المعروف . وما عرفنا في تاريخ أبي يزيد أنه جاء إلى الرملة ، بل قبره في بسطام بلده معروف يقصده الزوار من الأرجاء ، ولا سيما الصوفية حتى اليوم ؛ والله ضريح بُني على ذكر أبي يزيد ، أو قبر صوفي آخر من البسطامية أتباعه غلبه على قبره صيت شيخه . وقد قرأنا في تاريخ الصوفية أن أول من عرف منهم بهذا الاسم صوفي اسمه أبو هاشم اتخذ صومعة في مدينة الرملة وتوفى سنة ١٥٠ فهل هذا قبره ؟ لم يتسع مقالنا للبحث في هذا الشأن

وبعد العشاء ذهبنا إلى دار الشبان المسلمين فلقينا جمعاً من الشبان حاشداً وعلمنا أنهم لم يجتمعوا منذ سبع سنين ؛ فرحت

(١) grups fruit

دراسات عن مقدمة ابن خلدون

للأستاذ ساطع الحصرى

للأستاذ درينى خشبة

عندما فرغت فى العام الماضى من قراءة الجزء الأول من كتاب الأستاذ الجليل ساطع الحصرى (أبو خلدون) عن مقدمة (ابن خلدون) أيقنت أننى لم أضع وقتى سدى فى قراءة هذا الكتاب الثمين، وأيقنت أن ابن خلدون جدير بأن يوليه مفكرونا وكتابنا عنايتهم، كما يوليه مفكرو الغرب وكتابه عنايتهم على الأقل، وإن كان واجبنا يقتضينا أن نسبقهم إلى ذلك ونبزهم فيه ... فليس كثيراً على ابن خلدون أن يكتب فيه الدكتور طه حسين رسالة يكسرها على فلسفته الاجتماعية، ثم يأتى الأستاذ عبد الله عنان فينقل إلى العربية تلك الرسالة، ويزيد فيضع كتاباً جديداً عن حياة ابن خلدون وتراثه الفكرى، ثم يتفرغ الأستاذ أبو خلدون لوضع مؤلفه الشامل عن مقدمة ابن خلدون فيملأ أيدينا وعينا ببحث عجيب مستفيض عن هذا الرجل العبقرى الذى يعتبر بحق نابغة الأمة العربية فى علم الاجتماع،

وقد أصدر الأستاذ ساطع بك الجزء الثانى من بحثه القيم عن المقدمة هذا العام (١٩٤٤)، وما كدنا نراه حتى أكببنا عليه نتلوه، بل ندرسه، فى شغف وفى شوق وفى إعجاب

تناول المؤلف فى الجزء الأول موقف ابن خلدون من الكهانة والنجامة والسحر ومشيئة الله، والأدوار التى لعبتها هذه الأشياء فى التاريخ؛ ثم نبذة شاملة عن حياة ابن خلدون لم يقتصر فيها على ما كتبه المؤرخ عن نفسه فى الرسالة المحفوظة بدار الكتب المصرية، والتى تنقص تاريخ فترة طويلة من حياته تبلغ إحدى عشرة سنة إلى وفاته؛ ثم تاريخ كتابة المقدمة وشعور ابن خلدون بأنه إنما استحدث فى علم التاريخ حدثاً جديداً لم يسبقه إليه أحد، وانتقل إلى ما حدث من إهمال المؤرخين العرب للأسس التى وضعها ابن خلدون فى مقدمته لعلمى التاريخ والاجتماع وما كان من تنبه المؤرخين العثمانيين إليها آخر الأمر، وانتفاعهم بها فى وضع تواريخهم، وذلك من نعيما صاحب التاريخ المعروف إلى عبد الرحمن شرف المؤرخ الرسمى الأخير، مما أدى إلى ترجمة المقدمة إلى التركية قبل ترجمتها إلى أية لغة أوربية بنحو من قرن كامل، ثم تناول بعد ذلك لغة المقدمة فشرح نظرية النقد التفسيرى شرحا لم يسبقه إليه أحد فى العربية، وفسر لنا

عقدهم، وباعدت بينهم، ومنعتهم الالتئام فى مثل هذا الجمع، حوادث الحرب وما قبل الحرب من الثورة والجهاد، وممارسة الخطوب الشداد، فما كان أعظم غبطتى، وما كان أسعد جدّى أن كانت زورتى المدينة الكريمة مقرونة باجتماع الشمل، وانتظام الجمع. تكلم صديقنا المجاهد محمد يعقوب الغصين وتكلم عدة من كرام الشبان فأفاضوا ما شاء أدبهم وكرمهم محيين المجاهد الكريم، والزعيم الاقتصادى أحمد حلمى باشا والضيف المصرى الذى لا يرى نفسه فى فلسطين ضيفاً، ولا يعد القاهرة أولى به من الرملة. وتكلمت على وجوه يعرفها قلبى وإن لم تشهدها عينى مستمداً من تاريخنا ومآثرنا وأخلاقنا وعزائمنا ما يثبتنا فى هذه المحن، ويربط على قلوبنا فى هذه الفتن، ويجمع الكلمة فى هذه المصائب، ويؤلف العزائم لهذه النوائب، وألقيت إليهم من تاريخنا وأخلاقنا وأواصرنا مقاليد المستقبل الكريم، الوضاء الذى يبسم فى أعقاب هذه الظلمات، ويتنفس من وراء تلك الكربات. ومن وراء كلامى ما يضيق عنه الكلام، وتتلقفه عن الوجدان الأفهام. لقد كانت ساعة جليلة لا تزال تضىء فى جوانحى، وتشتعل فى سرائرى.

أصبحت إلى مطار اللد فى صحبة إخوانى الكرام أتمثل بقول القائل:

ونكرم جارنا ما دام فينا ... ونتبعه الكرامة حيث مالا

وأنشد قول أبى الطيب فى طريقه إلى مصر:

إذا السحاب زفته الريح مرتفعاً

فلا عدا الرملة البيضاء من بلد

عرجنا على بنك الأمة العربية فى اللد فلبثنا حتى سرنا إلى المطار وقد قصصت قصته من قبل فى حديث عن الطيران من اللد إلى القاهرة

عبد الوهاب عزام

بعض العبارات التي تعيننا على فهم أسلوب ابن خلدون ومقاصده من كثير من العبارات التي خرج بها على المعاني المألوفة لها مما يحدث التباساً في مسايرته إلى أغراضه إن لم نلم بها قبل قراءة المقدمة ، وهذا فضل لم نر بداً من تسجيله للأستاذ ساطع في هذه الكلمة السريعة الموجزة . ثم يستطرد بعد هذا فجأة إلى نسب ابن خلدون ، ويناقش الدكتور طه حسين فيما ذهب إليه من شك ابن خلدون نفسه في نسبه ، كما يناقش الأستاذ عنان أيضاً في هذه المسئلة . ونرجو أن تكون لنا عودة بصدد هذه المناقشات

وفي القسم الثاني من الجزء الأول يتناول الأستاذ الجليل مكانة المقدمة في تاريخ « فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع » ويحدثنا عن فيكو وآرائه ، كما يحدثنا عن مونتسكيو ونظرياته ، مقارناً بينهما وبين ابن خلدون ، ومكانة ابن خلدون من علم الاجتماع ونظرة علماء أوربا إلى نابغة العرب . والأستاذ ساطع يثير إعجاب القارىء إلى أقصى حد بسعة إطلاعه وجهوده العميقة الموفقة التي بذلها في هذا القسم من أقسام الكتاب ، فهو يلفتك إلى عشرات وعشرات من المراجع الهامة التي يضع بين يديك خلاصتها ، ويثير فيك فضول الاطلاع بالرجوع إليها ، فمن أروع ما أثبته هنا خلاصة ما كتبه (روبرت فلنت) عن ابن خلدون وتفضيله على جميع أنداده ممن كتبوا في فلسفة التاريخ . ولا يفوتنا ونحن نكتب هذه اللمحة ، أن نعارض بشدة ما أورده « فيكو » من أن العبرانيين ، ثم الكلدان ، ثم الأسكيت ، ثم الفينيقيين أقدم جميعاً من المصريين ... لقد بطلت هذه النظرية أتم البطلان ، وأثبتت مجموعة البداري الأثرية التي يرجع عهدها إلى ما قبل خمسة عشر ألف سنة ، كما أثبتت مئات الشواهد التاريخية الأخرى أن المصريين هم أقدم أمة على وجه الأرض

ويتناول القسم الثالث من الجزء الأول (آراء ابن خلدون ونظرياته) فيحدثنا عن موضوع التاريخ ومهمة المؤرخ ، وطبيعة الاجتماع ومنشأ الحكم ، والقسر الاجتماعي والتقليد وطبائع الأمم وسجاياها ، ونظرية العصبية والخط والكتابة . وقد ذكرتنا معظم هذه الفصول برأي لنا قديم نشرناه[1] عن تلمذة ابن خلدون لإخوان الصفا في رسائلهم المشهورة ، وانتفاعه بما جاء في هذه الرسائل ، ولا سيما عن تأثر طبائع الأمم وسجاياها ببيئة الإقليم ومناخه وهوائه ومحصولاته وأثر الجوع والخصب في أخلاق الشعوب وديانتها ، كما ألمعنا إلى أوجه الشبه بين ما قرره إخوان الصفاء في رسائلهم عن الزهد ودرجات الناس ، وعلاقات أولياء الله وكيف آتاهم الله القدرة على إدراك الغيب ومعرفة بواطن الأمور ، وما ذهب إليه ابن خلدون في هذه الأمور جميعاً بما يشبه أن يكون نقلاً أو اقتباساً عن إخوان الصفاء . وكذلك ما كتبه ابن خلدون عن النجامة فهو يشبه ، إن لم يكن هو ، ما قرره إخوان الصفاء من قبل ... وكم كان يسعدنا أن يتنبه إلى هذه الملاحظة الهامة كتابنا الأجلاء الذين ألفوا عن ابن خلدون . وقد تناول الأستاذ الحصري بالتفنيد ما يذهب إليه بعض العلماء من شعوبية ابن خلدون وحملته على العرب . ولسنا بمعرض مناقشة آرائه الآن ، إلا أننا ننبه هنا إلى أن ابن خلدون كان متأثراً في هذه الحملة بما قرأ في رسائل إخوان الصفاء ... وفي الرسالة الحيوانية مصداق لهذا كله

وقبل أن ننتقل إلى الكلام عن الجزء الثاني لا نرى بدا من التنويه بما أفاض فيه الأستاذ الحصري عن نظرية العصبية واتصالها بالاجتماع السياسي ، ومناقشته لآراء المؤلفين الأجانب الذين عنوا بابن خلدون بصدد هذه النظرية . إنه فصل يستحق الأستاذ عليه ألف تهنئة

***

أما الجزء الثاني من هذه الدراسات العميقة القيمة عن ابن خلدون ، فلسنا نعدو الحق إذا قررنا أنه خير ما قرأناه هذا العام (١٩٤٤) في المكتبة العربية من نوعه ، وإن كنا لا نطيق تأجيل عتبنا على الأستاذ للهجة التي ناقش بها آراء الدكتور طه حسين وخصوصاً تكراره ألفاظ : «ادعى فلان ، وادعاء فلان ، ويدعي فلان ، وحظ أقوال فلان من الحق والصواب ... ثم التعريض بمعلومات الدكتور العلمية حينما كان يكتب رسالته » إن هذا كله يثبت أن الأستاذ الجليل ساطع الحصري كان متحمساً وهو يكتب مؤلفه الخالد ، فأوقعته حماسته فيما لا يناسب سجايا العلماء ولا سيما إن كانوا من طراز الأستاذ الحصري ... ولندع ذلك الآن ...

تناول الجزء الثاني الكلام عن التطور التدريجي في الطبيعة والمجتمعات وسبق ابن خلدون إلى إدراك مذهب النشوء والارتقاء قبل داروين بأحقاب طويلة ، كما تناول الكلام عن المذاهب الأساسية في علم الاجتماع وما استحدث في هذا العلم من نظريات شتى ، وما سبق إليه ابن خلدون من الإلماع إلى هذه النظريات ،

(١) المجلة الجديدة السنة الأولى العدد الثامن ١٩٣٠

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

آمال يحققها الهلالي باشا

إن قراء الرسالة عرفوا ما انتهت إليه قضية المدرسين بالمدارس الحرة ، فقد نشرت الجرائد اليومية خلاصة الخطاب التى ألقاها رفعة النحاس باشا ومعالى الهلالى باشا وسعادة الدكتور طه بك حسين ، ونقل المذياع تلك الخطب إلى جميع الأسماع

وأقول إن الذى يجب تسجيله هو تحقيق آمال المدرسين بالمدارس الحرة بعد أن كان تحقيقها من رابع المستحيلات ، فهذا الوزير نفسه كان يستصعب حل هذه القضية ، بدليل أنه لم يحلها في الوزارة الماضية ، ولو لم يوفقه الله فى هذه المرة لظلت تلك القضية عقدة العُقد ومشكلة المشكلات إلى آخر الزمان

كان الأمل الذى أطمح إليه هو تعيين المدرسين بالمدارس الأجنبية على وظائف تذكارية ، كالذى نصنع فى معاملة المدرسين الذين نرسلهم إلى الأقطار العربية ، وقد كتبت فى تزكية هذا الاقتراح عدة تقارير ، منها تقرير نشرته مجلة الرسالة منذ سنين بإمضاء مجهول

كان اقتراحى يبدو وكأنه طيف الخيال ، ولم أكن أصدق أنه سيتحقق ، ثم كانت المعجزة الطريفة ، وهي جعل المدرسين جميعاً فى منزلة واحدة ، بلا تفرقة بين المدارس الحرة والمدارس

وأعترف بأنى أكاد أكذّب ما قرأت وما سمعت ، فهل من الحق أن وزارة المعارف رضيت وهى طائعة مختاره أن تجعل مدرسى المدارس الحرة فى منزلة مدرسى المدارس الأميرية ؟

أنا لا أصدّق ، فالمألوف أن تجود الحكومة بالخير بعد أن تُدمَى إليه ألوف المرات ، ومدرسو المدارس الحرة لم يطلبوا يوماً مساواتهم بمدرسى المدارس الأميرية في جميع الحقوق ، وإنما طلبوا حقوقاً سهلة هينة لا تزعج وزارة المعارف ، وهل طلبوا غير الترفق فى تحديد المرتبات ، وكانت من الضآلة بمكان ؟

لأول مرة فى تاريخ الحكومة المصرية يُبذَل الخير لن لم

ثم ينتقل من هذا إلى الدولة وتطوراتها وعمرها واتساع نطاقها ، ثم ما قرره ابن خلدون عن الحروب وأصلها والجيوش ومراتبها ودواعى الانتصار أو الهزيمة وما يتصل بالدفاع عن الدولة ... على أن أبدع فصول هذا الجزء — ولعل ذلك فى رأيي — هى هذه التى تناول فيها الأستاذ المؤلف شرح آراء ابن خلدون وتحليله للنفس الإنسانية — وهو ما أؤكد للأستاذ أنه متأثر فيه أيضاً بآراء إخوان الصفاء — ثم هذه اللمحات الفريدة عن التربية والتعليم فيما يرى ابن خلدون وما جمعه الأستاذ المؤلف من المعلومات الطريفة عن أحوال التعليم فى عصره ، وما كان من حرية التعليم والتدريس وأنواع المساجد ، وعدم إشراف الحكومة الرسمي على التعليم إلا فى حدود « الحسبة » التى وصفها ابن خلدون بأنها « وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وأن من اختصاص موظفي الحسبة « الضرب على أيدى المعلمين فى المكاتب وغيرها ، فى الإبلاغ فى ضربهم للصبيان المتعلمين ! » . . . وأن مهنة التعليم فى عهد ابن خلدون كانت من مهن المستضعفين ؟ ! (ولا حول ولا قوة إلا بالله يا إخوانى المدرسين ! » ، ومذاهب كل من الأقطار الإسلامية فى تعليم الولدان ... إلى آخر ما لا يتسع المجال لذكره هنا مع طرافته وإمتاعه ...

* * *

وبعد ... فلا بد من كلمة عن عدم العناية بمراجعة الكتاب أثناء الطبع . ذلك الأمر الذى أذاع فى جوانبه الخطأ المطبعى ، ولم يسلمه من وقوع بعض التعبيرات التى انزلقت إلى انحرافات نحوية كان من الممكن تجنبها لأنها تعد من الهنات ، بل من الكبائر ، التى لا يصح وقوعها من كبار مؤلفينا ، وزعماء مفكرينا ... ولسنا نرى داعياً إلى ذكر شيء من هذه الانحرافات ، رجاء أن تنتهى الحرب قريباً فيطبع الكتاب طبعة أنيقة تليق بما يحمل من مادة خصبة وعلم غزير ... هذا ... وقد ابتدع الأستاذ المؤلف اشتقاقات ، ونحت نِسَباً لا نرى ضيراً فى إقرارها ، وإن ثقلت فى السمع أول الأمر ، وذلك كعضوانى ونفسانى ، والنظرة الحياتية — أى البيولوچية ، والفلسجة الاجتماعية ، ومرفجة المجتمع Morphologie والسبر العقلانى Rationaliste ... الخ ... إن لم يضع مجمعنا اللغوى كلمات أجود منها لمرادفاتها الأفرنجية .

دمري خشبة

يطلبوه ، وهذه أريحية جديدة لم نعرف لها مثيلاً فيما سلف من العهود

الهلالى باشا يقول إن النحاس باشا هو صاحب الفكرة ، والنحاس باشا يقول إن الهلالى هو صاحب الفكرة ، والنتيجة معروفة ، وهى أن هذين الرجلين يتسابقان إلى الخير تسابق الجياد ، أعزهما الله و كتب لهما دوام التوفيق

حكومة تثأر للأمة

قال الهلالى باشا فى خطبته إن الأمة كانت أسبق من الحكومة إلى نشر التعليم ، وتحدث عما صنع مصطفى كامل وسعد زغلول ، ولم يفته النص على جهود الجمعيات الخيرية وجهود الأفراد ، وهذه الالتفاتة هى أجمل ما ورد فى خطبة الهلالى باشا ، لأنها صورت هذه الوزارة بصورة الحكومة التى تثأر للأمة ، وهذا معنًى جديد ، فقد كانت الحكومة تنظر إلى الأمة بمنظار يعفّ قلمى عن وصف مرآه الجميل !

تاريخ الجامعة المصرية

تحدث الهلالى باشا عن الجامعة المصرية الأولى ، الجامعة التى أنشأتها الأمة ، وقال إن حكومة ذلك العهد كانت تحارب الجامعة بحجة أن مصر لا تحتاج إلى جامعات وإنما تحتاج إلى كتاتيب !

فهل يذكر الهلالى باشا قيمة الإعانة التى كانت تقدمها وزارة المعارف إلى الجامعة المصرية بألفين اثنين من الجنيهات ، ومع هذا كانت تماطل فى الدفع ، والشواهد تحت يدى ، وسأقدمها إلى معالى الوزير إن أراد

لا موجب للتذكير بهذا التاريخ ، فما تمثله إلا توجعت مما كانت تصنع الحكومة فى مغايظة الأمة ... على تلك العهود ألف عفاء !

زكى مبارك وإعجاز القرآن

هذا عنوان الكلمة التى نشرها الأستاذ محمد احمد الغمراوى بمجلة الرسالة ، وهى كلمة مؤذية سبقتها كلمات مؤذيات بقلم هذا الكاتب المفضال

هذا الكاتب يتحدانى لأشرح ما غاب عليه من أسرار كتاب « النثر الفنى » ، وهو يرجو أن يجد فرصة جديدة تؤيد غرامه باتهامى فى إسلامى

وأقول مرة ثانية إنى لا أقيم لتحديه أى ميزان ، ولن أعترف بأن من حقه أن يساجل صاحب النثر الفنى ، فقد ظهر أنه لم يفهم كتابى

قال هذا الكاتب إنه لا يبغى إلا أن يعرفنى الناس فيحذرونى ؛ وهذا القول مسروق من كلامى ، فقد نبهت الناس ألف مرة إلى أن يحذَرونى ، لأنى لا أبالى فى الحق أى ملام ، ولا ألتفت إلى أوهام المتزمتين

ثم دعانى هذا الكاتب إلى التبرؤ من كتاب النثر الفنى

لبَّيك ثم لبَّيك ، يا كاتباً يدعو إلى تبرؤ الآباء من نجباء الأبناء

كتاب النثر الفنى كتابى ، وقد استكثره ناسٌ علىَّ فزعموا أنه من وحى الجن ، وليس بينى وبين الجِنة نسب حتى أستوحى ما عندهم من آراء وأهواء ، فهو كتابى ، وقد سطرته بيمينى فى فورة شبابى ، ولن أتبرأ منه ولو صرت معه إلى جهنم الحامية ، فسأكون به أشرف مذنب يصطلى نار السعير ، وفى جهنم مكان لأحرار الرجال

الجنة لا تستهوينى ، لأن الحياة فيها تخلو من المتاعب ، وأنا أكره الحياة الخالية من المتاعب

مضيت مرة للبحث عن مكان هادئ فى إحدى ضواحى باريس فوجدت بيتاً كتبت على بابه هاتان الكلمتان : tranquillité absolue فانزعجت ، لأنى أعرف أن الهدوء المطلق لا يكون إلا فى مساكن الأموات

وفى بغداد اخترت داراً يجاورها مصنع حديد ، لأفر من الهدوء المطلق

وبنيت دارى بمصر الجديدة فى مكان يجاور ضجيج الحياة ، ولأسمع اشتجار المعانى فى صدر الوجود

ماذا يقع إن كان مصيرى إلى جهنم ؟

تلك فرصة ثمينة أتذكر بها ذنوبى ، وأعرف أن لى وزناً عند فاطر الأرض والسماء ، وهل تكون جهنم نقمة وهى مكان التطهير من الذنوب ؟

ليس الدين هو الباعث على محاربتك ، إياى ، فهنالك باعث آخر هو غرامك بأن يقرن اسمك باسم الدكتور زكى مبارك

أنا مفطور على التسامح ، ولكنى لن أسامحك ، وسأدعو الله أن يغضب عليك ، إلا أن تتوب ، ولن تكون من التائبين

عند الله جزائى ، فقد أكون أول مؤمن يعلن الكفر ليصحح عقيدة الإيمان ... الله للمجاهدين ، فلا تصدقوا من زعمون أن الله للمنافقين

الفتنة نائمة

لقينى الأستاذ إميل بك زيدان فى مكتبة المعارف فقال : « الفتنة نائمة » فابتسمت وقلت : « ولعن الله من أيقظها ! » ... فهل فهم جوابى ؟

إنه يشير إلى مقالاتى فى مصاولة بعض أدباء لبنان ، وأنا لم أكتب حرفاً واحداً فى إيذاء الأدباء اللبنانيين ، وإنما يتجنى فريق منهم علينا من يوم إلى يوم ، ويقعون فى أخطاء تنكرها الأذواق ، فهل ثار الأستاذ أميل زيدان على تلك الأخطاء ، وهو يعرف أن إخوانه هنالك هم الموقظون للفتنة والداعون إلى التفريق ؟

لقد تعبت فى معاتبة أولئك الرفاق ، فما استمع مستمع ولا أجاب مجيب ، فهل نلام على تذكيرهم بالواجب ؟ وهل يكون من إيقاظ الفتنة أن نصحح تاريخ الأدب الحديث بعد أن طغى عليه التحريف ؟

سأقول وأقول إن مصر هى باعثة الأدب العربى بعد أن طال عهده بالهجود ، وسأذكر بالتفصيل ما أخذه الأدباء اللبنانيون عن الأدباء المصريين

نحن خلفاء العرب ، والمصحف لا يُطبع إلا فى بلادنا ، وسنرفع راية العروبة فى جميع الميادين

من هؤلاء ؟

جاءت مجلة الأديب البيروتية وفيها اتهام صريح بالدعوة إلى التفريق ، اتهام موجه إلى « عصبة » تدعو إلى عزل لبنان عن الأمة العربية ، وهى نفسها العصبة التى تتجنى على الأدباء المصريين من حين إلى حين

ولو كنت أعرف أن هذا هو رأى اللبنانيين فى تلك العصبة لكففت قلمى عما جرى فوق صفحات جريدة المصرى

ولهذا أعتذر لحضرة الأستاذ سهيل إدريس وأتلقى عتابه المنشور فى مجلة الرسالة بأحسن القبول

الآن عرفت أن التجنى على مصر لم يكن نزعة لبنانية ، وإنما هو نزوة تطوف برءوس حَرَمها الله نعمة العقل ، وكتب عليها الخذلان

محمد فهيم

اشتركت فى الحفلة التى تقام لتكريم المربى الكبير الأستاذ محمد بك فهيم ، ولكنى لم أستطع الوصول إلى مكان الاحتفال بسبب الزحام ، فلم يبق إلا أن أحييه بهذه الكلمات

إن لهذا الرجل تأثيراً فى حياتى الأدبية ، فهو الذى قهرنى قهراً على السفر لخدمة العلم فى العراق ، وكانت حجته أن وزارة المعارف العراقية طلبتني باسمي ، وأنه لا يجوز أن أرفض هذا التشريف ، وبهذا قضيت فى بغداد عاماً هو أجمل أعوام حياتى

وللأستاذ محمد بك فهيم خصائص يجهلها أكثر الناس ، فهو على تحضره وغناه لا يزال يقيم فى دار أبيه بجوار جامع شيخون ، وهو يتصل بالريف كل أسبوع ، بحيث يجوز أن نعده من أعيان الفلاحين

أما أدب النفس فخصيصة أساسية يمتاز بها هذا الرجل المهذب إلى أبعد حدود التهذيب

ولعل هذه الحفلة تردّه بحرارتها إلى فورة العافية ، فقد سمعت أنه كان مرض بضعة أسابيع

محمد فهيم أحد رجالنا الأماجد ، وأنا أشترك فى تكريمه بهذه السطور ، وهي أقل ما يجب لمن يتحلى بمثل أدبه النفيس

زكى مبارك

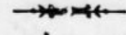
صـــلات علمية

بين مصر والشام

في النصف الأول من القرن الثامن الهجري

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)



وما مناظرات ابن تيمية في مصر والشام إلا صورة مما كان يحدث في هذا العصر بين العلماء . وكانت الشغل الشاغل لهم ، وكان أغلب القائمين بها من علماء السنة الذين وقفوا للمبتدعين بالمرصاد . كما كان بيت ابن تيمية هو البيت الديني الذي يحمل لواء أهل السنة ويتولى الرد على أهل البدعة . ويعاونه في ذلك أخواه شرف الدين وزين الدين . وقد كان لهما مناظرة في مجلس سلار نائب السلطان الناصر . فظهر شرف الدين بالحجة على مناظرها ابن مخلوف المالكي . وكان الكلام هذه المرة في مسألة العرش وكلام الله وفي مسألة النزول .

ولقد حدثت بسبب هذه المناظرات فتن كثيرة في مصر والشام ، واهتاجت لها الخواطر الساكنة . وانقسم الناس شيعاً كل واحدة تحارب غيرها ، وسجن كثير من العلماء لمجرد التقول عليهم أو إطلاق الألسنة فيهم . وخاصة في دمشق التي وقع فيها خبط كثير وتشويش . فنادى نائب السلطنة المصرية في الشام ألا يتكلم أحد في العقائد . ومن عاد حل ماله ودمه وصودرت داره وحانوته ؛ فهدأت الأحوال وسكنت الأمور

ولم يكن هذا الهدوء إلا لأجل قصير ؛ فقد عادت خصومة العلماء في صورة اتهامات توجه إلى الأبرياء وغير الأبرياء . وهي اتهامات كان أقل ما عليها من المجازاة أن يعزَّر فيها المتهم تعزيراً عنيفاً ، ويطاف به في البلدة على حال منكرة ؛ كما حدث سنة ٧١٢ لابن زهرة المغربي الذي اتهمه بعض العلماء والصالحين باستهانته بالمصحف وخوضه في أهل العلم ، فطيف به في دمشق وعذب وحبس

والحق أن « تنكز » نائب السلطنة المصرية في الشام كان دائم القلق مما يحدث بين العلماء وأهل المذاهب والعقائد . وكان لا ينظر بعين الرضى إلى أمثال هـذه الحركات التي تحمل بأس المسلمين واهيا . كان لا يريد إلا الإصلاح ما استطاع بين المختلفين ؛ فحينما حدثت الفتنة سنة ٧١٦ بين الحنابلة والشافعية بسبب العقائد أصلح بينهم في مجلس حافل بدار نيابة السلطنة وخرج المتنازعون على خير حال من التفاهم

***

وكانت تقوم إلى جانب العلماء والمدرسين وظيفة الخطيب . وكانت الشهرة في المساجد الصغيرة كفيلة بإيصال الخطباء إلى المساجد الكبيرة ، كالجامع الأموي والأزهر ومساجد المدن الكبرى في الشام ومصر . وكان لكل بلدة خطيب مشهور بجانب عدد آخر من الخطباء المغمورين . فاشتهر بالخطابة في الجامع الأموي بدمشق الشيخ زين الدين الفارقي وتولاها بعد وفاته شرف الدين الفزاري . واشتهر بالخطابة في بعلبك ضياء الدين ابن عقيل وأبوه جمال الدين ، وقد توليا الخطابة في هذه البلدة ستين عاما . واشتهر بالخطابة في مصر بهاء الدين السكري وشمس الدين الجزري خطيب جامع ابن طولون ونور الدين القسطلاني خطيب جامع عمرو بن العاص

ولم يكن للخطيب أن يقضي بين النـاس أو يفصل في الخصومات فذلك شأن القاضي الذي يعينه قاضي القضاة . ولكن حدث أن خطباء انتدبوا لمهمة القضاء ، كما حدث أن بعض القضاة انتدبوا للخطابة . فنرى في حوادث سنة ٧٠٦ هـ في تاريخ ابن كثير أن سليمان بن هلال بن شبل الخطيب انتدب للقضاء بدلاً من القـاضي جلال الدين القزويني الذي كلف بالخطابة عوضاً من القضاء

وكان بعض الخطباء يتولون التدريس ، كما أن بعض القضاة يجمعون بين الحكم والتدريس كالقاضي علي بن صفي الدين الحنفي الذي تولى قضاء الحنفية في دمشق مع ما بيده من التدريس كان منتصف القرن الثامن الهجري مملوءاً بالأحداث الجسام

كما سلف القول ؛ فالتتار على أسوار دمشق ، وقبائل العرب فى مصر العليا شقت عصا الطاعة على الملك الناصر فى مدة سلطنته الثانية ، والصليبيون قدموا باتفاق أمير قبرص لغزو دمياط . والماليك منقسمون على أنفسهم ؛ ففريق مع السلطان الناصر المتخلى عن عرشه ، وفريق آخر مع الأمير بيبرس ، وفى وسط هذه التيارات القوية نجد العلماء يحرضون على مقاتلة التتار ، ويدعون لمحاربة الصليبيين ، ويقيمون المناظرات الدينية عوداً إلى عهود الجدل والكلام ؛ ولكنهم مع ذلك كله لا يخوضون فى حديث السياسة الداخلية ، ولا يتكلمون فيمن تولى وفيمن عزل ؛ فذلك ليس من شأنهم ، فإذا نزل أحدهم ميدان السياسة عرض نفسه للعزل كما حدث لسليمان بن حمزة قاضى الحنابلة بدمشق الذى عزل بسبب تكلمه فى نزول الملك الناصر عن عرشه مكرهاً لا مخيراً ، وكما حدث للشيخ كريم الدين بن الحسين الأيكى شيخ الشيوخ بمصر الذى كان على صلة بأمراء المماليك ، وكان له هوى سياسى معين ، فعزل عن منصبه الرفيع وعين بدلاً منه ابن جماعة المشهور

ولم تكن المرأة المصرية أو الشامية جملة بمعزل عن مجالس العلماء فى ذلك العصر ؛ بل كان بعض النساء يترددن على هذه المجالس ويستمعن إلى الدروس ويناقشن فى المسائل . فالسيدة فاطمة بنت عباس البغدادية كانت تحضر مجلس ابن تيمية ، وكان هو يستعد لها بسبب كثرة مسائلها وحسن أسئلتها وسرعة فهمها . ويذكر ابن كثير المؤرخ أنه سمع ابن تيمية – وكان معاصراً له – يثنى عليها ويصفها بالفضيلة والعلم . والشيخة الصالحة ست الوزراء بنت عمر بن أسعد كانت تروى صحيح البخارى وغيره من كتب الحديث . وكانت تحدث الرجال بحديث الرسول عليه السلام

ولا شك أن ابن تيمية كان أشهر العلماء بين مصر والشام فى ذلك العصر ، فقد شغل الدنيا كلها بمسائله ومناظراته ومجالسه وقد جمع إلى ذكاء العقل وسرعة الفهم والشجاعة فى الحق وعدم الخشية فى سبيل الله . وله مع قازان ملك التتار مواقف مشهورة ذكرها الشيخ محمد البالسى زميله فى وفد العلماء إلى قازان . فقد قام ابن تيمية يهدر كالسيل لم يخش أحداً ولم يجامل سلطاناً ولم يتملق حاكماً . ولكن الله أجرى الصراحة على لسانه ؛ وأودع الشجاعة فى قلبه ، فإذا به يخاطب ملك التتار قائلاً : أنت عاهدت فغدرت ، وقلت فما وفيت

ولد هذا الإمام بحرّان ونشأ وتعلم بدمشق ، ودرس بغزة وأوذى أولاً وأكرم أخيراً فى مصر ، وتوفى بقلعة دمشق بالقاعة التى كان محبوساً فيها أيام محنته الأولى بعد أن أكد صلات العلم والدين بين القطرين الشقيقين فى الربع الأول من القرن الثامن الهجرى .

محمد عبد الغنى حسن

منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

للأستاذ سعيد الديوه جي

كانت الخلافة من أهم الأمور التي فرقت صفوف العرب والمسلمين ، ذلك لأن الخليفة هو الذي يتولى أمور المسلمين الدينية والدنيوية . وهذا مقام رفيع دونه كل مقام في الإسلام يطمع فيه القوى . وقد تطاحنت الأسر القرشية في سبيلها منذ صدر الإسلام . وحاول كل حزب أن يجعل له صبغة دينية يقوى مركزه بها بين الأحزاب المعارضة ، فظهر في الإسلام فرق وطوائف عديدة كان الكثير منها دعوة دنيوية ولكنها تسير تحت ستار من الدين . وبعد القضاء على الحركة تبقى صبغتها الدينية بين أتباعها وتستحيل إلى مذهب ديني . وعلى مر الدهور يتطور هذا المذهب ويدخله الأساطير والتعاليم الشاذة . ولربما استحال إلى دعوة هدامة أو مذهب مغال أو فرقة باطنية منفصلة عن الإسلام . والمتتبع لتاريخ الإسلام يرى الكثير من هذا . فحركات الخوارج ، وحركة المختار الثقفي ، والقرامطة ، والفاطمية والدروز ، والنصيرية ، كلها نشأت وتطورت على هذا المنوال

وأصل اليزيدية فرقة إسلامية أموية سارت باسم الدين إلى مناصرة بني أمية في الخلافة والدفاع عنهم وناوأت « آل البيت » – أقوى حزب ناضل الأمويين – وعلى مر العصور تطورت إلى فرقة صوفية « عَدَوية » على يد رجل أموي ، ففرقة مغالية في حب « يزيد بن معاوية » ، ففرقة خارجة عن الإسلام . كل ذلك كان في سبيل الخلافة وإرجاعها إلى بني أمية بعد سقوط دولتهم في الشرق

إن أقوى نزاع شهده العالم الإسلامي على الخلافة هو النزاع بين العلويين والأمويين . ذلك لأن العداوة بين بني أمية وبني هاشم قديمة . ففي الجاهلية تنازعوا على زعامة مكة . وفي الإسلام تجدد النزاع على الخلافة بعد مقتل « عثمان » فشق على الحزب الأموي أن تخرج الخلافة منهم بعد أن نالوها . خاصة وأن « الإمام علياً » عزل ولاة « عثمان » فهل يرضى « معاوية » أن يترك « الشام » وما فيها من جنات وعيون و كنوز ومقام كريم بعد أن حكمها عشرين عاماً ؟ أنكر بيعة « علي » ودعا لنفسه واستعمل دهاءه وكرمه في جلب دهاة العرب إليه فقوي أمره ، وبعد مقتل الإمام « علي » تنازل « الحسن » عن الخلافة وصار الحزب الأموي هو الحاكم المطلق في الدولة

ولم يكن « معاوية » بالخليفة المستضعف ، بل ساس الناس بحلمه وجوده . فعفا عن المذنب وتجاوز عن المسيء وأغدق عطاياه على كل قاصد ، كما سل سيفه على من لم تنفع معه هذه الطرق ، فانقاد له الناس راغبين أو راهبين

وبعد وفاة معاوية تولى ابنه « يزيد » على كره من أولاد الصحابة فثارت الأحزاب المعارضة ، وأشدها الحزب العلوي فكانت فاجعة « كربلاء » التي أججت الأحقاد ؛ واستمرت الثورات العلوية حتى انقراض الدولة الأموية وكانت هذه الثورات من أهم العوامل التي قوضت أركان الدولة

وبعد سقوط الدولة الأموية انعكست الآية فانتقم العباسيون من الأمويين شر انتقام ، حتى الأموات فإنهم لم يخلصوا من التمثيل بهم . وصار الحزب الأموي هو المستضعف في البلاد . وأخذ الأمويون يلجأون إلى الجبال والأماكن النائية عن النفوذ العباسي . ولكنهم لم يعدموا الأنصار ، كما أنهم لم ييأسوا من الخلافة ، بل أحيوا النعرة الدينية التي كانت لحزبهم وأخذوا يزيدون عليها . ونراهم قد قلدوا العلويين أو من قام باسمهم في ادعاءاتهم هذه . وهذه النعرة الدينية لحزبهم كانت منذ أول عهدهم بالخلافة تسير أثر الدعوة العلوية ؛ ولكن الأمويين خلال حكمهم لم يهتموا بها لاعتمادهم على بطشهم ونفوذهم . وأما بعد سقوط دولتهم فإنهم صاروا مستضعفين في الأرض فتدرعوا بالدين ليستروا تحته دعوتهم للدنيا . وهذا أول ظهور الطائفة اليزيدية .

ومن الأدلة التي تثبت أن أصل العقيدة اليزيدية هي حركة أموية مضادة لآل البيت :

١ – يوم عاشوراء : في هذا اليوم قتل « الحسين » عليه السلام فهو يوم كرب وبلاء على للعلويين يظهرون فيه من العزاء والنياحة والحزن على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما لا نشاهد مثله في غيره من الأيام . ونجد الضد من هذا عند الأمويين ، فإن الحجاج سن لأهل « الشام » أن يتخذوا هذا

اليوم يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم وينبسطون فى المطاعم ويصنعون الحلوى ، ويتخذون الأوانى الجديدة ، ويكتحلون ويدخلون الحمام ليرغموا بذلك شيعة « على بن أبى طالب » كرم الله وجهه . واستمر الأمر على ذلك عند الحزب الأموى بعد سقوط دولتهم ، وهذا ما نراه عند اليزيدية فإنهم يتخذون هذا اليوم يوم سرور يخرجون بزينتهم إلى ظاهر قراهم ويرقصون رقصاتهم الشعبية على ضرب الطبول ونقر الدفوف ، ويمرحون ويلعبون ؛ ويصورون تماثيل من الطين لشهداء كربلاء يهجمون عليها برماحهم ويفتكون بها ويطؤونها بخيولهم . كل ذلك لأن إلههم « يزيد » ظفر بعدوه « الحسين » فى هذا اليوم وقتله .

٢ — المهدى المنتظر والسفياني المنتظر : يعتقد الشيعة أن المهدى المنتظر سيظهر فى آخر الزمان وسيملأ الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . وادعى الأمويون مقابل هـذا : أنه سيظهر من أولاد أبى سفيان من يكون أمره كأمر « المهدى المنتظر » وهو « السفيانى المنتظر » . وزاد تعلق الأمويين بهذا الادعاء بعد سقوط دولتهم فصاروا يترقبون ظهوره . وقد ذكر « المسعودى » أنه وجد ببلاد « طبرية » من بلاد الأردن فى سنة ٣٢٤ هـ أحد علمائهم وقد ألف كتاباً بهذا وأنه ذكر فيه « من ظهور أمرهم ورجوع دولتهم وظهور السفيانى فى الوادى اليابس من أرض الشام ، وإنهم أصحاب الخيل الشهب والرايات الصفر وما يكون لهم من الوقائع والحروب والغارات والزحوف الخ ... » وهـذا ما نجده عند اليزيدية ، فإنهم يعتقدون أن « عدياً » وهو رجل أموى سيظهر فى آخر الزمان وسيكون أمره كما تقدم ، ويسميه بعضهم بالمهدى . وعندهم طبقة دينية يسمون « خدام المهدى »

٣ — يذهب الحزب العلوى أن « علياً » وأولاده أحق بالخلافة وأن الحسين قتل مظلوماً . وبالضد من هـذا يدعى الأمويون أنهم أحق بالخلافة وأن الحسين قتل بسيف الحق لأنه خرج على الإمام البايع . وأخذ كل فريق يعزز مدعاه ويغالى فى تعظيم الذى يدعو إليه ، ويحاول أن ينقص من قيمة الحزب المعارض . وما زال هذا الأمر والمغالاة تزداد عند الفريقين حتى أدى إلى أن تعتقد بعض الفروق المغالية أن علياً أحق بالنبوة من محمد ، وأن البعض الآخر ذهب إلى أعظم من هذا ، فادعى ألوهيته . وكذا الأمر فى « يزيد » فإن مناصريه ادعوا أنه كان إماماً عادلاً هادياً مهدياً ، وأنه كان من الصحابة بل من أكابر الصحابة ، وأنه كان من أولياء الله تعالى ، ثم اعتقدوا أنه كان من الأنبياء وقالوا « من وقف فى يزيد وقفه الله على نار جهنم » ، ثم ذهبوا إلى أعظم من هذا فقالوا بألوهيته . وهذا ما يعتقده اليزيدية أن « يزيد بن معاوية » هو إلههم . ونجد قرى « الشبك » والتركمان ، والصارلية ، والجيجية حول الموصل ، والبابوات فى قضاء سنجار ، وهم الذين يغالون فى « الإمام على » على مقربة من مواطن اليزيدية الذين يؤلهون « يزيد بن معاوية »

٤ — اللعن : بعد أن خدع « عمرو بن العاص » « أبا موسى الأشعرى » فى مؤتمر « اذرح » صار « الإمام على » يلعن معاوية وعمراً ومن والاهما بعد كل صلاة ، وقابله معاوية بالمثل . وبعد مقتل « الإمام على » استمر الأمويون يلعنون أبا تراب بعد خطبة صلاة الجمعة . ولما تولى « عمر بن عبد العزيز » الخلافة رفع هذه السنة السيئة ووضع مكانها « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... الآية » ، ولكن بعض أنصار الحزب الأموى المغالين لم ينتهوا عن هذا . فأهل « حرّان » امتنعوا عن الصلاة وقالوا : « لا صلاة إلا بلعن أبى تراب » واستمروا على ذلك ، حتى ظهور الدعوة العباسية . وكان العلويون يقابلون هذا اللعن بأكثر منه ، وزادوا فيه بعد واقعة « كربلاء » ، وصار اللعن يوجه بصورة خاصة إلى « يزيد » . أما الشيخ « عدى » فإنه لما رأى تفاقم الأمر عند الفريقين ، وأن هذا مناف للتعاليم الإسلامية ، وأن من الصعب أن يكف أحد الحزبين عن لعن الآخر ، حرم اللعن مطلقاً . ولكن الفكرة تطورت إلى أبعد من هذا عند اليزيدية ، فإنهم حرموا اللعن حتى على الشيطان . ومع أن اللعن صار من المحرمات عندهم ؛ فإن يزيدية (جبل مقلوب) استمروا على الطعن فى على وأولاده فى أيام الجمعة والعيدين ، كما كانت عليه العادة فى الدولة الأموية . وكان فيهم فرقة مغالية جداً فى اللعن تقف مصلتة السيوف وتلعن « علياً » وأولاده ، ويقال لهم « السيّافة » واستمر الأمر على ذلك إلى القرن الحادى عشر الهجرى

(للحديث صلة)

سعيد الديوه جى
بالموصل

ســـــجاد الأناضول

للدكتور محمد مصطفى

— ٢ —

عشاق

مدينة عُشّاق فى داخل بلاد الأناضول خلف ميناء أزمير ، وهى — وما يحيط بها من البلاد والقرى — مشهورة بصناعة السجاد حتى وقتنا الحاضر ، وإن كانت الصلة قد انقطعت بين السجاد القديم الذى كان ينسج بها منذ بداية القرن السادس عشر حتى سنة ١٧٥٠ ، وبين السجاد المنسوج بعد هذا التاريخ ، إذ أن الأخير تأثر كثيراً بالذوق الأوربى

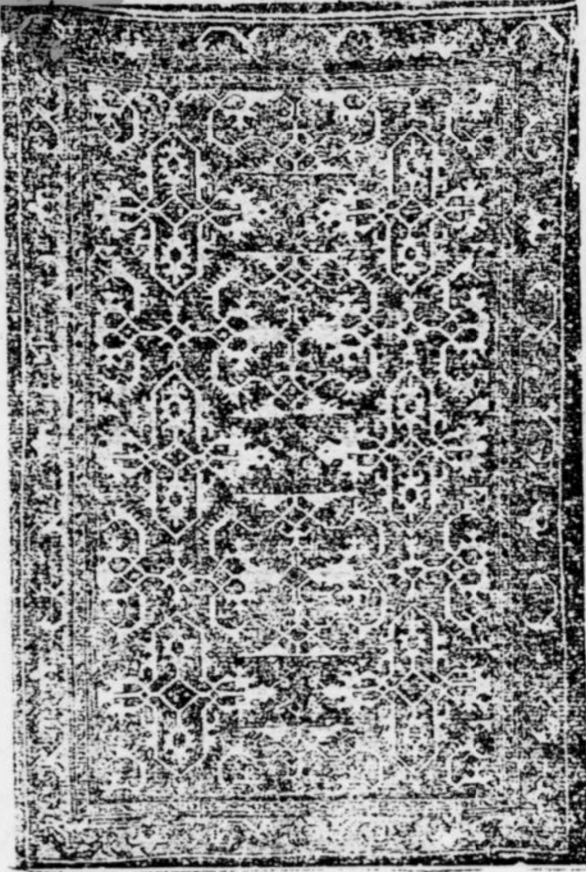
ويشبه سجاد عُشّاق القديم من حيث زخارفه السجاد الإيرانى المنسوج فى أوائل العصر الصفوى . وتتألف زخرفته من أشكال نجمية كبيرة ، أو من جامات بيضاوية مدببة الطرفين ، تذكرنا بالوحدات الزخرفية المستعملة فى تذهيب المصاحف ، وتزين الأركان بأربعة أنصاف جامات : وتنتشر على الأرضية زخارف نباتية دقيقة وفروع مهذبة . ويزخرف إطار السجاد بفروع مزهرة أو بسحب صينية . أما ألوانه فهى أناضولية فى جملتها ، ويمتاز بالألوان الدافئة ، فتلون الأرضية بالأزرق القاتم ، والإطار بالأحمر الباهت أو بالعكس ، والزخارف بالأصفر والأخضر النباتى والأزرق الفاتح والأبيض الناصع

ويختلف سجاد عشاق فى مساحاته فيبلغ أحياناً التسعة أمتار طولاً وما يناسب ذلك فى العرض

وفى المعرض القائم الآن فى دار الآثار العربية عدة نماذج طيبة من سجاد عشاق

هولباين

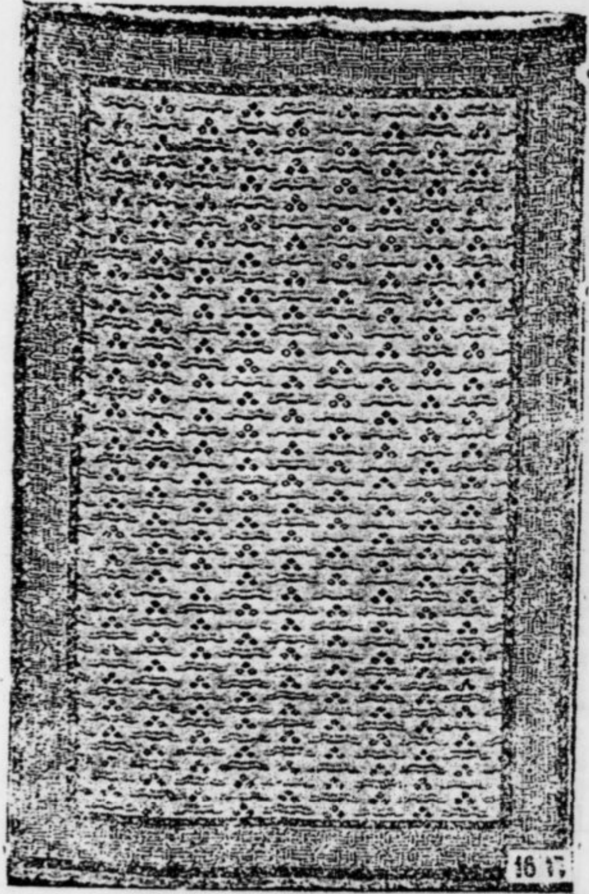
هو اسم لعائلة من مدينة « بال » اشتهر بعض أبنائها فيما بين سنتى ١٤٦٠ و ١٥٤٣ بالرسم والتصوير . ويسمى هذا النوع من السجاد المصنوع فى الأناضول باسم « هولباين » لأننا نراه مرسوماً فى الكثير من لوحات أبناء هذه العائلة ، ولوحات المصورين الإيطاليين المعاصرين لهم . ويظهر أنه كان النوع المحبب لدى الأوربيين فى ذلك الوقت ، والغالب أنه كان يصنع فى بلاد الأناضول للتصدير إلى أوربا ، لأن ما عثر عليه منه فى بلاد الشرق قليل جداً



(شكل ١)

ويمتاز هذا السجاد بعنصر زخرفى خاص به ، يمكن تمييزه بسهولة ، ويتألف من رسوم نباتية ذات مظهر تنقصه المرونة ، مرسومة فى خطوط مستقيمة وزوايا محددة ، بطريقة مهذبة تميل فى شكلها نحو الرسوم الهندسية ، وفى وحدات زخرفية متماثلة يقرب بعضها من بعض . ويزين الإطار فى القديم منه بما يشبه الكتابة الكوفية ، وفى المتأخر — من أوائل القرن السابع عشر — بفروع نباتية أو بسحب صينية مهذبة على طريقة الأناضول . وتلون الأرضية غالباً باللون الأحمر الباهت ، والزخارف باللون الأصفر الذهبى ، والإطار بالأزرق الفاتح

وفى (شكل ١) بساط من أوائل القرن السابع عشر ، أرضيته بالأحمر الباهت عليها بالأصفر الذهبي وحدات زخرفية من نوع هولباين ، والإطار باللون الأزرق الفاتح ، تزينه فروع نباتية مهذبة . وهذا البساط فى مجموعة المسيو كريستيان جراند .



(شكل ٢)

الأبسطة ذات الطيور

تعرف بهذا الاسم لأنها تزين بوحدة زخرفية تتألف من شكل هندسي بطرفين مدببن يشبه كل منها رأس طائر ، وتتكرر هذه الوحدة الزخرفية – فى الغالب – على أرضية بيضاء . ويشبه إطارها إطار الأنواع الأخرى القديمة . ويرجع تاريخ هذا النوع إلى ما بين أوائل القرن السادس عشر ومنتصف السابع عشر . وفى مجموعة معالى الدكتور على إبراهيم باشا بساط من هذا النوع معروض الآن فى دار الآثار العربية

تشنتمانى

لهذا النوع من السجاد صلة كبيرة بالنوع السابق ذى الطيور . فكل منهما يماثل الآخر فى شكل زخرفة الإطار الذى يحيط غالباً بأرضية بيضاء عليها نوع من زخرفة رمزية ، كما أن كل منهما يصنع فى بلاد الأناضول ومعاصر للآخر

ويمتاز هذا النوع بتكرار الوحدة الزخرفية المعروفة باسم « تشنتمانى » وتتألف من خطين متموجين أو متعرجين ، ويعلوهما ثلاث كور فى وضع مثلث الشكل . وهذه الكور الثلاث هى إحدى العلامات المقدسة فى تعاليم ديانة البوذيين ، وترى كثيراً على التحف الصينية ، وقد كانت كذلك مرسومة على رنك القائد العظيم تيمورلنك عند ما فتح الأناضول فى سنة ١٤٠٢م ، وقد يفسر هذا ظهور وحدة « تشنتماني » الزخرفية فى سجاد الأناضول

وفى (شكل ٢) بساط من أواخر القرن السادس عشر ، أرضيته بيضاء ، تتكرر عليها وحدة « تشنتمانى » ، وإطاره مزين بشريط من شبه الكتابة الكوفية . وهو فى مجموعة معالى الدكتور على ابراهيم باشا .

محمد مصطفى

(يتبع)

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٢٢ — ولا يوم الطين ...

قال لسان الدين بن الخطيب : رأت زوجة المعتمد بن عباد الرميكية الملقبة ب (اعتماد) ذات يوم بأشبيلية ، نساء البادية يبعن اللبن فى القرب ، وهن رافعات عن سوقهن فى الطين . فقالت له : يا سيدى ، أشتهي أن أفعل أنا وجوارىّ مثل هؤلاء النساء فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد وصير الجميع طيناً فى القصر ، وجعل لها قرباً وحبالاً من أبريسم ، وخرجت هى وجواريها تخوض فى ذلك الطين . ولما خلع ، وكانت تتكلم معه مرة، جرى بينهما ما يجرى بين الزوجين فقالت له : والله ما رأيت منك خيراً قط، فقال لها : ولا يوم الطين ...؟ تذكيراً لها بهذا اليوم الذى أباد فيه من الأموال ما لا يعلمه إلا الله ، فاستحيت وسكتت

٥٢٣ — فهات شرابك العطر العجيبا

فى (الشرح الكبير للشريشى) : كان أبو محمد البصرى تاب وحج ، فلما قفل راجعاً بدا له فى شرب الخمر فقال :

ألا يا هندُ ، قد قضيتُ حجّى
فهاتِ شرابَك العَطِرَ العجيبا[1]
فقد ذهبت ذنوبى بالليالى ... فقوى الآن نقترف الذنوبا ...

٥٢٤ — فإن الحد قد جاوز الحدا ...

فى (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلى فى سنة (٦٦٧) أمر السلطان (الظاهر بيبرس) بإراقة الخمور وتبطيل المفسدات والخواطئ بالديار المصرية ، وكتب بذلك إلى جميع بلاده ، وأمسك كاتباً يقال له : ابن الكازرونى وهو سكران ، فصلبه ، وفى عنقه جرة الخمر ! فقال الحكيم ابن دانيال :

وقد كان حدُّ السكر من قبل صلبه
خفيفَ الأذى إذ كان فى شرعنا جَلدا
فلما بدا المصلوبُ قلتُ لصاحبى :
ألا تُبْ ؛ فإن (الحدّ) قد جاوز الحدا[1]

٥٢٥ — الصريح لا يعارضه بالمؤول

قال الصفدى فى شرح لامية العجم : أنشدت بعض المولعين بالكيمياء قول القائل :

أعيا الفلاسفةَ الماضين فى الحِقَبِ
أن يصنعوا ذهباً إلا من الذهب
أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة ... إلا من الفضة المعروفة النسب
فقل لطالبها من غير معدنها : ... أضعت نفسك بالتنكيد والتعب

فقال لى : صدق . لو لم يكن الذى يدبره الصانع فى أصله ذهباً بالقوة لما صار ذهباً بالفعل . فقلت له : هذا من باب التأويل وإخراج اللفظ الظاهر عن الصريح إلى ما لا يفهم منه إلا بالاحتمال، والصريح لا يعارض بالمُؤَوّل[2]، ولو أراد الإنسان أن يجعل معلقة امرىء القيس مرثية فى قِط ، أو غزلاً فى فيل ، لما أعجزه ذلك ...

٥٢٦ — حمى الروح

قال بعض الملوك لطبيب : جس نبضى ، فجسه ، فقال له : مزاجك معتدل ، إلا أنى أرى فيه تكديراً . فهل جالسك اليوم ثقيل ؟ قال : نعم

قال له : لا تعد تجالس الثقلاء فإنهم حُمّى الروح

٥٢٧ — وذا يقول استرحنا

قال السبكى : أنشدنى بعضهم فى قاضيين عُزل أحدهما وولى الآخر :

عندى حديث ظريف ... بمثله يُتغنى
فى قاضيين يُعزى ... هذا ، وهذا يُهنا
هذا يقول : جُبِرنا ... وذا يقول استرحنا
ويكذبان جميعاً ... ومن يصدق منا ؟

محمد إسعاف النشاشيبي

---

(١) هات : هاتى ، حذف الياء ضرورة

(١) (فان الحد) الحد : العقوبة ، فى التاج) الحد تأديب المذنب بما يمنعه عن المعاودة ، ويمنع غيره من إتيان الذنب ، وحددت الرجل أقمت عليه الحد .

(٢) قال الصفدى : حكى لى بعض الفضلاء أن (ابن تيمية) كان كثير الحط على (ابن عربى) فقيل له : إن هنا إنسانا يخرج جميع ما تنكره عليه ، ويرده بالتأويل إلى ما يوافق ظاهر الشريعة ، فاتفق اجتماعهما فى مكان واحد ، فقال له : ما الذى تفهم من قول ابن عربى : (دخلت لجة بحر ، الأنبياء وقوف بساحله) فقال له : صدق ، لأن الأنبياء يقفون على الساحل بصدد من يغرق فينقذونه من الغرق ...



قنا وأسوان

ما زال السيل الجارف من التبرعات الكريمة ينهال على منكوبي قنا وأسوان، كما تنهال صبابات الماء على اللاهث المحرور فتنتعش من روحه ومن بدنه. وما برحت جهود الحكومة وعلى رأسها مليكنا المعظم تتوالى على القوم بما يكشف ضرهم ويخفف من بلواهم. وإن العوامل التي تحفزنا إلى معونة هؤلاء البائسين لمتعددة ومعروفة؛ ولكننا قد نضيف إليها عاملاً جديداً بما نحاوله هنا من الإشارة إلى حال هذا الإقليم من الرقي والرفاهة في سابق عهوده.

فقد غبرت قرون كثيرة وتلك المنطقة من صعيد مصر تكاد تبزُّ سائر المناطق خصباً وحضارة وعلماً ورقياً وعمراناً. وكانت أسماء المرج وسمهود وبهجورة وفاو ودشنا وهوّ وفرجوط وقنا وقفط ونقادة وقوص وقمولا والأقصر وأرمنت وأسفون وإسنا وأدفو وأسوان — تحتل كلها رأس القائمة بين كبريات المدن التي يؤمها أهل الوطن أو النازحون إليه من سائر الأقاليم. فثمتّ كان العلم والمال والجاه جميعاً. وهنالك كان الهدى والغنى لمن يلتمس أحدهما أو كليهما، على حد قول قائلهم — في أسوان (١):

أسوان في الأرض نصف دائرة والخير فيها والشر قد جُمعا
تصلح للناسك التقي إذا أقام، والفاتك الخليع معا!

وكانت خصوبة هذا الإقليم وعذوبة مائه مما يضرب بهما المثل، ولا تستنكر عند ذكرهما المبالغة. قال السديد الدمياطي: انتهيت في السفر في الوجه القبلي إلى هِوّ، وبين مائها وماء مصر كماء بسكر وماء صرف!

وقد ذكر كمال الدين الأدفوي صاحب كتاب (الطالع السعيد، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد) أن الفدان في هذا الإقليم ينتج ثلاثين إردباً من البرسيم ومن الشعير أربعين، ومن الذرة أربعة وعشرين أو ما يقارب ذلك

(١) هو كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ.

وذكر أيضاً أن منطقة إسنا أنتجت في بعض السنين أربعين ألف إردب تمراً، واثني عشر ألف إردب من الزبيب. وأنه تحصل من مدينة أسوان سنة ست وثلاثين وسبعمائة ألف إردب من التمر. قال: «وأخبرت أن نخلة بالقوسة من عمل المرج، وأخرى بقمولا، حصل من كل منهما اثنا عشر إردباً من التمر»

وكان عنب هذا الإقليم — كسائر فاكهته — من أعجب ما وقع عليه الناس. وزنوا حبةً منه بمدينة أدفو فبلغت عشرة دراهم، كما روى الأدفوي في موضع من كتابه المذكور

وقال في موضع آخر إن بطيخ هذه البلاد وافر الحجم «بحيث ما يكاد يستقلُّ بحمل الحبة الواحدة إلا الرجل الشديد القوة»

هذا وقد كان طريق الحج بين قنا وعيذاب مما يزيد في تقدم هذا الإقليم وثراء أهله؛ ومنه اجتاز أكثر الرحالين المشهورين على فترات من التاريخ متباعدة

وإن الحديث ليطول على من يحاول التنويه ببعض من أنجبت هذه البلاد من العلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين، وغير أولئك من ذوي الفضل والجاه. فلنكتف — الآن — بهذه الإثارة من تاريخ القوم وبلادهم؛ ولنعلم أنها بلاد كانت من العز والنعمة بمكان فشقيت وذلت؛ وأنه لم يكن عجيباً — في فترة ما — أن يهتف شاعر من أبنائها ضاقت نفسه بإقفار مدائن الشمال؛ فيقول صادقاً (١):

لهفي على قوصٍ ولو أنني أكون من حُرّاس أبنائها!

(جرجا) محمود عزت عرفة

مجمع فؤاد الملكي للغة العربية

اجتمع مؤتمر المجمع ستة أسابيع متوالية من ١٥ يناير سنة ١٩٤٤ عقد خلالها ثماني عشرة جلسة شهدها حضرات الأعضاء المقيمين بمصر والوافدين من الخارج

وقد عرضت خلال هذه الجلسات طائفة من المسائل، منها:

(١) هو تاج الدين محمد بن أحمد الدشناني (المولود في قوص والمتوفى بها سنة ٧٢٣هـ) تصدر للتدريس فترة ما بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة.

ما يتعلق بالمصطلحات العلمية في علوم الجراثيم والأمراض والرمد وغير ذلك من فروع الطب ، ثم في مصطلحات لمقدمة القانون والأموال والالتزامات وغيرها من فروع القانون فأبديت في بعضها ملاحظات ، وقرر المؤتمر أن يتولى حضرات الأعضاء الممثلين للبلاد العربية عرض هذه المصطلحات على الهيئات العلمية المختصة في بلادهم لموافاة المجمع بالرأى فيها ، كما قرر أن يتصل المجمع بالهيئات الرسمية في البلاد العربية لهذا الغرض

وكذلك نظر المؤتمر في اقتراحات مختلفة منها ما يتعلق بوضع معجم لغوى لألفاظ القرآن الكريم على أسلوب ميسر يقتصر فيه على شرح المفردات اللغوية شرحاً دقيقاً وافياً . فوافق المؤتمر عليه وألف لجنة لذلك

ومنها ما يتعلق بقياسية بعض الصيغ الصوفية التي يحتاج إلى استعمالها بكثرة فأقرها المؤتمر معتمداً في ذلك على أقوال بعض علماء الصرف والاشتقاق

ومنها ما يتعلق بتيسير بعض قواعد اللغة ومثلها فقرر المؤتمر أن يحال هذا الاقتراح وما دار فيه من مناقشات إلى لجنة الأصول لدرسه مفصلاً وتقديم تقرير بما تراه إلى المؤتمر في اجتماعه المقبل

ومن الاقتراحات كذلك ما يتصل بتيسير الكتابة العربية إما بوصل علامات للحركة والسكون ببنية الحروف ، وإما باتخاذ حروف لاتينية تضم إليها بعض الحروف العربية ، وناقش المؤتمر هذين الموضوعين ورأى أن ينشر ما قيل فيهما من آراء وردود في مختلف الهيئات العلمية بمصر وغيرها لكي يتيسر للجنة المختصة جمع ما يمكن جمعه من الآراء المختلفة فيهما وما قد يرد إليها من مقترحات أخرى في هذا الموضوع وذلك تمهيداً لوضع تقرير يعرض على المؤتمر في اجتماعه المقبل

واقترح أن يطلب وضع جائزة مالية لمن يقترح من غير أعضاء المؤتمر مشروعاً في ذلك ينال القبول .

١ — الشعر الجديد وطاقات الريحان والورد والنعم

ما عرفتُ أستاذنا الكبير « ا . ع » ورعاً عند اللقاء هيوباً ؛ ولا عرفته جبان القلب نِكْس اللسان . فهو يستطيع في عفة قول ، وشرف كلام ، وصواب منطق ، وحسن نية أن يوجه المتخلفين من شمراء هذا الزمان إلى قصد الطريق

وليس بعذر من أستاذنا الكبير — ا . ع — أنه يتهيب ألسنة الشعراء المنقودين أو يخشى عُواءهم . فمن كان مثل الأستاذ في المكانة والقصد لا يضيره عواء ولا هراء

ومتى كان المعلمون الأفاضل وشيوخ اللغة والأدب يتوقون ما يجره عليهم النقد من اجتراء السفهاء وسلاطة النَّوكى ؟

الحق أن الأستاذ الفلسطيني الجليل ، والأستاذ المصرى الكبير ، هما أجلُّ قدراً من أن يتأثرا بما يتعرضان له من خصومة المغرورين من شعراء زماننا ؛ وهما — في الوقت نفسه — أكبر من أن يضنا على « الشعر الجديد » بتوجيه سديد ورأى مفيد

أما إرسال الكلام على وجه التعميم ، من غير أن تُبيَّن مواضع النقد ، فذلك ما لا يُرجى معه للشعر صلاح

وإنى لأعرف من صراحة الأستاذين : « الجليل » و « الكبير » ما يُطمعني في الرجاء منهما أن يفصِّلا النقد ، ويبينا القصد . وبذا تكون لهما على الشعر الحديث يدٌ أيُّ يد . والسلام عليهما ورحمة الله

٢ — أقوى من الموت

هذا الكتاب ألفه أيليا أهرنبورغ ، وترجه قدرى قلعجى ونشرته مجلة الطريق ببيروت

والكتاب قوى العبارة ، كأن كاتبه استمد من نيران الحرب ، ولفح المعارك لفح عبارته . فقد كان في باريس يوم دخلها الألمان ، وشهد بعض المواقع في روسيا ، ورأى بعينيه روعة التضامن في معارك « رجيف »

وأسلوب الكاتب لاذع حاد . وكأن الأستاذ قدرى قلعجى أمين في نقل تلك السلاطة والحدة إلى اللغة العربية ...

وفي الكتاب تصوير لمواقف رائعة في سهول روسيا ووديانها . وجميل من المؤلف أن يكون وفياً لوطنه وهو على شفا حفرة من الموت . وجميل من المترجم الفاضل أن يترجم هذه المواقف الرائعة إلى اللسان العربى ؛ ولكن أجمل من ذلك كله أن يتجه المترجم إلى مواقع اليرموك والقادسية وحصن بابليون وذات الصوارى فإنه واجد فيها أمثلة رائعة من البطولة العربية التي تبرز على حال من الروعة في مثل قلمه البليغ وأسلوبه الطريف .

محمد عبد الغنى

١ – تلاقي الأكفاء

يمتاز الأستاذ الزميل على أدهم بتعمقه فى جميع الدراسات التى يتناولها وحسن هضمه لهذه الدراسات ، فهو من خيرة الكتاب ذوى الاطلاع الواسع فى مصر وفى الشرق العربى . وكتابه الجديد (تلاقى الأكفاء) شاهد على ما نقول . وقد جمع فيه بحوثه القيمة التى نشرت من قبل أو لم تنشر فى الأدب والتاريخ فسد بها فى المكتبة العربية فراغاً ملحوظاً ... ولست أدرى إن كان يحق لى أن أقترح على زميلى العزيز أن يكرس جهوده كلها للتاريخ الإسلامي ؟ وهل يتقبل منى هذا الاقتراح الذى لا ينتقص شيئاً من سمة اطلاعه على التاريخ العام ؟ إن قلم الأستاذ أدهم فى التاريخ الإسلامى هو قلم ممتاز واسع الإحاطة ، جميل العرض وخليق بالقلم الذى أنشأ صقر قريش ، والمنصور بن أبى عامر (إن صح أن أبشر بظهوره قبل أن يصدر قريباً إن شاء الله) ، وهذه الفصول الضافية التى شملها (تلاقى الأكفاء) عن أبى جعفر المنصور وأبى مسلم الخراسانى والحكم أمير الأندلس وبطل وقعة الزاب عبد الله بن على ... خليق بهذا القلم أن يفرغ للتاريخ الإسلامى العتيد فيدبج من فصوله كثيراً من الروائع التى أوشكت اليوم أن تنسى . وكم كنا نتمنى لو تذكر الأستاذ المؤلف مصر والمصريين فيترجم فى مجموعته البديعة لزوج أو زوجين من أكفائها الذين لا يقلون عبقرية عمن ترجم لهم وقابل بينهم ... مثل : محمد على والسيد عمر مكرم ، أو محمد على والبرديسى ، أو اسماعيل العظيم واسماعيل المفتش ، أو مصطفى كامل وعلى يوسف ، أو المتنبي وكافور ... إلى آخر ما يزخر به التاريخ المصرى من الأبطال الذين تلاقوا وجهاً لوجه ، وعسى أن يستدرك هذا فى أجزاء الكتاب التالية مع تهنئتنا الخالصة وإعجابنا الشديد .

٢ – ألوان من الحب

هكذا سمى الأستاذ عبد الرحمن صدق مجموعة قصصه المترجمة الجديدة . وقراء الرسالة والرواية يذكرون قلم الأستاذ صدق بمزيد الإعجاب ، ويذكرون أنه جيد الاختيار لقصصه إلى حد يثير الدهش ، وغرامه الذى لا يحد بالقصاصين الروس والأسبان والفرنسيين معروف مشهور ، وقد اختار لنا فى هذه المجموعة طائفة لزعماء الأقصوصة وأبطالها وقصرها على موضوع واحد هو ... الحب ... ويدفعنا الفضول إلى سؤال الأستاذ عما أدى به إلى إغفال القصاصين الإيطاليين والإنجليز فلم يضمن مجموعته شيئاً من روائعهم ... فهل هو فاعل فى الأجزاء التالية إن شاء الله ؟ أما أسلوب صدق الفنى وقدرته على الوصف فسنعرض لها فى غير هذا العدد ... وكم كنا نؤثر لو أنه تناول بالشرح هذا الفيض الكثير من الكلمات المغربة فى ذيل الصحيفة توخياً لمنفعة القراء دون استثناء ، وتفادياً لانصرافهم عن البحث عن معانيها بالرغم من أنها ثروة لا تقدر بثمن عند من يعنى بكلمات الأوصاف وعباراتها فى اللغة العربية ... ولا غرو أن كل من يقرأ ألواناً من الحب سوف ينتفع بها سواء أكان قارئاً عادياً أو شاباً أو أديباً ، فتى أو فتاة ... إنها دروس فى تطهير القلب وإرهاف الحس وتقويم الخلق ... فلا تبذل فيها ولا إسفاف .

دريني خشبة

في شرح الشعر ذي الرقم (٥٢٠) « في أنقال الأوب »

يسقيكها من كفه أحور   كأنها من خده تعصر

12me Année No. 558

Lundi - 13 - 3 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٥٨ « القاهرة في يوم الإثنين ١٨ ربيع أول سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٣ مارس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

١٦ – دفاع عن البلاغة

٨ – الأســلوب

كان سيد البلغاء محمد بن عبد الله (ص) يكره أن يجاوز الكلام مقدار القصد به؛ فقد تكلم رجل عنده فأطال، فقال له: « كم دون لسانك من حجاب؟ قال: شفتاي وأسناني. فقال له الرسول: إن الله يكره الانبعاق[1] في الكلام. فنضَّر الله وجه رجل أوجز في كلامه واقتصر على حاجته »

وقيل لإياس: « لا عيب فيك إلا أنك تطيل. قال: أخيراً تسمعون أم شراً؟ قالوا: خيراً. قال: فالزيادة في الخير خير. روى ذلك الجاحظ وعقب عليه بقوله: « وليس الأمر كما قال إياس؛ فإن للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية. وما فضل عن مقدار الاحتمال، ودعا إلى الاستثقال والملال، فذاك الفاضل هو الهذَر، وهو الخطل، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه »[2]

وكان أمراء النثر العربي من أمثال جعفر بن يحيى وسهل ابن هرون يتوخون جانب القصد، ويؤثرون طريق الإيجاز، حتى قال جعفر للكتاب: « إن استطعتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا ». والتوقيعات ما يعلقه الخليفة أو الوزير

(١) الانبعاق في الكلام: الاندفاع فيه (٢) البيان والتبيين ص ١٠٦

الفهـــرس

٢٢١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٢٢٣ الحديث ذو شجون .. ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٢٢٥ محاورات الموتى . . . .. { للكاتب الفرنسي برنار بوفيه بقلم الأديب يوسف روشا
٢٢٧ مرسلات مع الريح : ... « ياعدوي » .. . . .. { الأستاذ إسماعيل مظهر ...
٢٢٩ الجمعية الملكية ... ... : الأستاذ خيل السالم ...
٢٣١ منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها . . .. { الأستاذ سعيد الديوه جي ...
٢٣٣ في « مجموع رسائل الجاحظ » : الأستاذ محمد طه الحاجري
٢٣٦ نقل الأديب . . .. : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٢٣٧ (١) أقاصيص من القهوة .. (٢) شعاب قاب ... . . { الأستاذ دريني خشبة . ..
٢٣٨ أبطال الاسلام ... ... : الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٢٣٩ الشعر الجديد .. . .. : الأستاذ الكبير (١. ع)
٢٣٩ من الفلك القديم . . . . : الأستاذ قدري حافظ طوقان

أو الرئيس على ما يقدم إليه من الكتب فى شكوى حال أو طلب نوال . وهى تجرى مجرى الأمثال فى الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة . مثل ذلك ما وقّع به المأمون إلى الرستمى فى قضية من تظلم منه : « ليس من المروءة أن تكون آنيتك من ذهب وفضة وغريمك خاوٍ وجارك طاوٍ » . وما وقع به جعفر فى كتاب رجل شكا إليه بعض عماله : « قد كثُر شاكوك ، وقلّ شاكروك ، فإما اعتدلت ، وإما اعتزلت »

كذلك كان أقطاب النثر الفرنسى من أشباه (شاتبريان) و (فلوبير) يتشددون فى الإيجاز ، ولا يتسمحون فى الإعادة ، حتى حرّموا على أنفسهم استعمال اللفظ مرتين فى صفحة واحدة . وقد أخذ (فلوبير) فى إحدى رسائله على (شاتبريان) أنه كرر لفظاً مرتين فى وصفه قدوم (أودور) إلى روما فى كتابه « الشهداء » . ومن كلام (بوالو) : يجب أن تعرف كيف توجز ، لتعرف كيف تكتب . ونفور نوابغ الكتاب من الإسهاب منشؤه فيهم تلك القوة البلاغية الإلهية التى تحدد الغاية وتريد أن تبلغها من أخصر طريق . فهم لا يلغون لأنهم يعلمون المعنى الذى يفيد ، ولا يحشون لأنهم يعرفون اللفظ الذى يدل ، ولا يخبطون لأنهم يبصرون الأمد الذى يُرام . أما الذين لا يقدّرون ما يقولون ، أو لا يدرون أين يقصدون ، فهم كالماء الهائم على وجه المنحدر قصاراه زبَدٌ وجرجرة ، أو كاللسان المخبول نطقه لغطٌ وثرثرة . وثرثرة اللسان كقرقرة البطن أصوات تذهب مع الريح !

والإيجاز فى بلاغة العربية كما قلنا أصل وروح وطبع ، ولكنه فى البلغاء قوة وروية وعمل . ونريد بالعمل الجهد ، لأن الإيجاز غربلة ونخلٌ ، وتنقية وتصفية ، وتصعيد وتركيز . وذلك لا يتهيأ لك إلا بدوام النظر وطول التعهد . ومهما قلبت الجملة على وجوه البيان فإنك لا محالة واجد فيها عوجاً يُعدَّل ، أو نتوءاً يسوّى ، أو فضولاً يُشذَّب . والنثر فى رأى فلوبير لم ينته ، وهو فى رأينا لا يمكن أن ينتهى ، لأن صور الجمال لا تنفد ، وغاية الكمال لا تُدرك .

والمزية الظاهرة للإيجاز على الإطناب أنه يزيد فى دلالة الكلام من طريق الإيحاء . ذلك لأنه يترك على أطراف المعانى ظلالاً خفيفة يشتغل بها الذهن ، ويعمل فيها الخيال ، حتى تبرز وتتلوّن وتتسع ، ثم تتشعب إلى معان أخر يتحملها اللفظ بالتفسير أو بالتأويل ، والقرآن الكريم معجزة الدهر فى هذا الصدد

وليس بسبيل الإيجاز البلاغى من يقص أجنحة الخيال ويطوى ألوان الحسن ، ويترك أسلوبه كأسلوب التلغراف ، شديد الاقتضاب والجفاف ، على نحو ما يدعو إليه بعض أدبائنا المعاصرين ؛ فإن الإيجاز ، مهما قيل فى جلالة خطره ، صفةٌ من صفات البلاغة الثلاث لا يغنى عنها ولا تغنى عنه

ولقد كان لإطناب الفرس مساغ فى أذواق العرب أوّل ما قطرت به أقلام عبد الحميد وابن المقفع والحسن بن سهل ومن لفّ لفّهم ، لاقتصارهم منه على ما يصحح الازدواج ويقيم التوازن ، كقول عبد الحميد : « واعلم أن كل أهوائك لك عدو يحاول هلكتك ، ويفترص غفلتك ، لأنها خُدع إبليس ، وخواتل مكره ، ومصايد مكيدته ، فاحذرها مجانباً لها ، وتوقّها محترساً منها ...الخ » . فلما اشتد خلاط العرب للفرس تداخلت اللغتان ، وتمازجت العقليتان ، وأصبح تعاقب الجمل على المعنى الواحد سمةَ الأسلوب فى ذلك العصر ، حتى قال ابن قتيبة فى قول يزيد لمروان وقد تلكأ فى بيعته : [أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت] : « إن هذا لو قيل الآن لم يأت بالتأثير المطلوب . والصواب أن يطيل ويكرر ، ويعيد ويُبدى ، ويحذّر وينذر »

وظل الفن الكتابى يتخبط فى ذلك الفضول ، ويتعثر فى تلك الذيول ، لا يسدده توجيه ، ولا يهذبه نقد ، حتى اتصل بالأدب الأوربى فى هذا العصر ، فتحدد لفظه ، وتجدد أسلوبه ، وانبعث شبابه الفنىُّ الغض من القرائح الموهوبة ، صافى الديباجة مشرق البيان ، إلا عقابيلَ مما تركت عصور الضعف والجهالة بقيت على الأقلام المرضوضة تكريراً للفظ ، وترديداً للمعنى ، وتوليداً لنوع آخر من أنواع الاجترار الأدبى يعبر عنه الأديب زكريا إبراهيم فيما كتب إلىّ بقوله :

« شاع بين أدبائنا اليوم نوع جديد من الأدب ، نستطيع أن نسميه بحق أدب (الدردشة) . وهذا الأدب الجديد يصدر عن نزعات فنية حديثة ، لأنه كلام يقال لمجرد الكلام ،

احمد حسن الزيات

(البقية على صفحة ٢٤٠)

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

بين الإنسان القديم والإنسان الجديد

تكلمت بعض المجلات السورية واللبنانية عن قلة اهتمام الأدباء المصريين بما يسمونه « أدب الحرب » ورأت فى ذلك تضييعاً لإحساسات تستحق التسجيل ، ونصت بالذات على خلو أدبى من أحاديث الحرب ، والتفاتى إلى شؤون لا تمس أهوال الحرب من قريب ولا من بعيد

وأقول إن موقفى وموقف سائر الأدباء المصريين من الحرب هو موقف الإنسان الجديد ، وهو يختلف عن الإنسان القديم كل الاختلاف أو بعض الاختلاف

وتفصيل ذلك أن الإنسان اليوم يدرك أكثر مما يشعر ، وكان الإنسان قديماً يشعر أكثر مما يدرك ، والفرق بعيد بين الشعور والإدراك

إن حروب طروادة المشهورة فى التاريخ القديم أنطقت اليونان بأعظم القصائد وأعمق الأقاصيص ، وهى حروب تعتبر ألعاب أطفال بالنسبة إلى حروب هذه الأزمان ، ومع ذلك لن يكون فى شعراء هذا الجيل من يؤرخ الحروب الحاضرة ، كما أرخ القدماء تلك الحروب

الإنسان القديم كان يحارب وهو مدفوع بعوامل الازدهاء والاختيال ، أما الإنسان الجديد فيحارب وهو مدفوع بعمليات حسابية تراعى فيها الخسائر والأرباح ، فالفرق بين هذين الإنسانين هو الفرق بين الشاعر والحاسب ، وثروة الأول أحلام ، وثروة الثانى أرقام

كانت أعظم موقعة فى بداية هذه الحرب هى موقعة دنكرك وقد انسحب منها الإنجليز ، فكيف كان شعورهم عند الإنسحاب ؟

أنا لا أظن أنهم حزنوا ، وإنما أرجح أنهم فرحوا ، لأن الغاية من الحرب هى الربح ، الربح الذى يفهمه الإنسان الجديد ، وهو ضمان السلامة فى الأموال والأرواح .

شاهد طريف

إذا تصاول أسدان كان على الأسد المغلوب أن ينسحب إلى أن يتأهب لاستئناف الصيال ، وإذا تقاتل ديكان كان على الديك المغلوب أن يثبت فى الميدان إلى أن يموت

وكان ذلك لأن الأسد يدرك أكثر مما يشعر ، وأن الديك يشعر أكثر مما يدرك ، والشعور أحط مرتبة من الإدراك ، فما فى الوجود شعور أقوى من شعور الأطفال

وأبو تمام الذى بلغ الغاية فى الرثاء بهذا البيت فى وصف أحد المستشهدين

وقد كان فوت الموت سهلاً فرده ... إليه الحفاظ المرُّ والُخلق الوعر

هو نفسه أبو تمام الذى اختار فى ديوان الحماسة أبياتاً فى تبرير الهرب من ميدان القتال ، وهى أبيات بعيدة من روح الحماسة ، ولكنها من شواهد العقل ، فقد علل الشاعر هربه من الميدان بأنه يفر من أعدائه « طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد » ، ثم قال :

وعلمت أنى إن أقاتل واحداً ... أقتل ولا يضرر عدوى مشهدى

وعلى هذا يكون إيثار العقل على الشعور فى ميادين القتال مما آمن به العرب قبل مئات السنين ، وبهذا كان هـذا الشاعر من تباشير الإنسان الجديد

أدب وأدب

الأدب الأول سبق تسهيل المواصلات ، والأدب الثانى جاء بعد تسهيل المواصلات ، فاختلفت الصور هنا وهناك

جان جاك روسو لن يُخلق بعد اليوم ، فما تسمح الدنيا فى أيامنا هذه بأن يتشرد فتى مثل هذا الفتى ، بحيث يقطع مئات الأميال على قدميه ، وبحيث ينفعل بمناظر السهول والجبال ، فيكتب الروائع فى وصف ما رأت عيناه وهو ينتقل من مكان إلى مكان فى الشهور الطوال

أدب الرحلات سينقرض ، ولعله انقرض ، بسبب ذيوع السفر بالطيارات ، وهو سفر لا يتيح أية فرصة لدرس ما تمر عليه من مختلف البلاد

وأدب التشفى والانتقام لن يعود ، وهو الروح الذى أملى

على أبى تمام هذه الأبيات عند ما أحرق المعتصم مدينة عمورية :

ما رَبعُ ميةَ معموراً يطيف به
غيلانُ أبهى رُبى من ربعها الخَرِب
ولا الخدود ولو أدمين من خجل
أشهى إلى ناظر من خدها الترب
سماجة غنيت منها العيون بها
عن كل حسن بدا أو منظر عجب
وحسنُ منقلب تبقى عواقبه
جاءت بشاشته من سوء منقلب

فما تقبل اليوم الشماتة بمدينة تحترق ، ولو كان أهلها من أخطر الأعداء

ولأبى تمام عذر فيما صنع ، فقد استطال امبراطور الدولة الرومانية الشرقية ثم استطال ، وكانت نيته أن يزعزع هيبة الإسلام فى الشرق ، فلم يكن بد لأمير المؤمنين المعتصم بالله من تأديب تيوفيلس بإحراق مدينته التى أعجزت المحاربين من أكابر الملوك

والإنسان الجديد يتمثل فى نابوليون يوم دخل موسكو ، فقد راعه أن يحرقها الروس بأعنف النيران ، وكان يتمنى أن تعيش بعافية ، ليبلغ من تحضيرها ما يريد ، وإن كان فاته أن يفهم أن بداوة الاستقلال ، أفضل من حضارة الاحتلال

والإنسان الجديد يتمثل فى حكومة فرنسا يوم رأت أنها ستنهزم فى هذه الحرب ، فقد طلبت إعفاء باريس من القتال ، لتسلم باريس وهى عصارة أجيال وأجيال

متاعبنا الجديدة

الحرب عندنا ليست بحرب ، ألم أقل لكم إنها عملية حسابية فى نظر الجيل الجديد ؟

والتاريخ ليس عندنا بتاريخ ، وما أضيع من يعيش فى ضيافة التاريخ !

متاعبنا الجديدة هى أن نعرف سرائر نفوسنا معرفة لا يفسدها التزييف

يجب أن نفهم ماذا نريد من الحياة ، وماذا تريد منا الحياة

فإن حددنا الجواب عن هذين السؤالين فسنمضى إلى الغاية المنشودة بلا إبطاء

ندخل حدائق الحيوان بالقاهرة أو بأى مدينة فنرى جميع أصناف الحيوان فى أمان من الانحراف ، لأنها بعيدة من جهالة الناس ، ففى الناس أعور وأعمى وأكمه وأبرص ، والحيوان لا يعانى هذه العاهات ، لأن خلو حياته من التعقيد يضمن لها السلامة والبقاء .

تكريم الدكتور طه حسين

قلت مرة : إن الأدب الحديث يحتاج إلى مؤرخ مثل أبى الفرج الأصبهانى ، ففى حيوات أدباء هذا العصر أشياء تستحق التسجيل ، وإن بدت من توافه الأشياء

وأنا سأحاكى أبا الفرج فى منهاجه الأدبى فأقص قصة يرتاح لها القراء ، لأنهم سيقرأونها مبتسمين ، والابتسام يفوق جميع الأثمان :

نشرتُ فى جريدة المصرى كلمة أدعو بها إلى تكريم الدكتور طه حسين ، بمناسبة ظهور الجزء الثالث من كتابه « على هامش السيرة » ، وأنا موقن بأن الناس سيقولون :

« لأمرٍ مّا دعا زكى مبارك إلى تكريم طه حسين »

ولم أتهيب هذا القيل ، فقد علمت من أساتذتى فى باريس أن أخطر مقتل فى شمائل الفرنسيين هو تهيبهم من أن يقال ، عند مواجهة الأعمال

Qu'en dira-t-on ?

وقد وقع ما توقعت ، فقد نشرت مجلة الإثنين كلمة « لطيفة » سجلت بها دعوتى إلى تكريم الدكتور طه بعد أن كنت من خصومه الألداء ، وحدثنى صديق أن ناساً من خلق الله زعموا أنى أحاول استعطاف المستشار الفنى لوزارة المعارف ، لأظفر بدرجة ترفعنى إلى الصف الذى ارتقى إليه بعض النجباء من تلاميذى

ولقد أحزننى ما قرأت وما سمعت ، فما خطر فى بالى أن لى

محاورات المــــوتى

المحاورة الأولى

للكاتب الفرنسى برنار بوفيه دفونتنيل (*)

بقلم الأديب يوسف روشا

اسكندر وفرين

فرين : عاهرة مشهورة عاشت فى أثينا حوالى سنة ٣٢٣ق . م . وكانت حظية لبراكستلس الذى أخذ رسمها . ويقال إن أبلس رسم صورته « فينوس » بعد أن رأى فرين عند ساحل البحر عارية وقد أسدلت شعرها المغدودن . لقد غدت فرين ، بفضل سخاء عشاقها الكثيرين ، غنية إلى حـد أنها رغبت فى إعادة بناء طيبة التى دمرها اسكندر على نفقتها ، ولـكن رغبتها لم تجب

رودوب : حظية يونانية مشهورة جمعت ثروة طائلة ؛ ورغبة منها فى تخليد اسمها شيدت أحد أهرام مصر

اسكندر الثالث : الملقب بالكبير ولد سنة ٣٥٥ق . م . كان تلميذاً لأرسطو لخمس سنوات ، وهو الذى دمر طيبة وأعلن الحرب على الفرس وغزا آسيا الصغرى ، وبسط سلطانه على مصر وسوريا وفارس . توفى فى بابل سنة ٣٢٢ بعد حكم دام اثنتى عشرة سنة أحرز فى أثنائها انتصارات متوالية بارعة

ديموستين : خطيب أثينى شهير قال عنه شيشرون — وقد كان ندا له بين الرومانيين — إنه شخصية فذة قلما يجود التاريخ بمثلها

المحاورة :

فرين : لو أنك سألت جميع سكان طيبة الذين عاشوا

(*) ولد برنار بوفيه دفونتنيل فى روان فى اليوم الحادى عشر من شهر فبراير ١٦٥٧ وتوفى فى باريس عن مائة سنة . وكان أبوه محامياً مقيما فى روان وأمه أخت بيير كورنى

بدأ حياته محامياً نزولا على رغبة أبيه ، ولـكنه لم يلبث أن ترك المحاماة واشتغل بالأدب وألف دفونتنيل عدة مسرحيات أخفقت كلها ، ولـكنه لم يكد يخرج «محاورات الموتى» حتى بزغ نجمه وانتشرت شهرته وهذه المحاورات خمس سننشرها تباعاً

فى زمانى ، لقالوا لك كيف عرضت عليهم إعادة بناء جدران طيبة التى دمرتها أنت على نفقتى ، بشرط أن يقيموا لى نصباً يكتب عليه هذه العبارة : « لقد دمر اسكندر الكبير هذه الجدران ، ولـكن الزانية فرين أعادت بناءها »

اسكندر : إذن أنت خائفة من أن تجهل الأجيال القادمة الحرفة التى كنت تمارسينها ؟

فرين : وماذا علىّ من ذلك ؟ لقد بلغت بها الذروة . وإن لـكافة الممتازين من الناس ، مهما تـكن حرفتهم ، لولعاً جنونياً بالأنصاب

اسكندر : صحيح أن لرودوب نصباً قبلك ؛ فقد عرفت كيف تستغل جمالها لتبنى أحد أهرام مصر الشهيرة ، ولا يزال قائماً حتى الآن . وأذكر أنها كانت أمس تتحدث عنه إلى أطياف بعض الفرنسيات اللاتى كان لهن — على زعمهن — رقة وجمال ، فأخذن ينتحبن قائلات : إن الجمال فى بلدهن ، وفى العصر الذى عشن فيه ، لم يكن ليجلب ثروة كافية لبناء هرم

فرين : ولـكننى أمتاز عن رودوب بأنى أعدت بناء جدران طيبة ، وبذلك جعلت نفسى فى صفك أنت الذى كنت أعظم فاتح فى العالم . ألا ترى كيف استطاع جمالي أن يصلح ما أزلته شجاعتك بالبلاد من تخريب وتدمير !

اسكندر : انت تتطرقين إلى شيئين ليس إلى عقد المقارنة بينهما من سبيل . إذن أنت فخورة أن يذاع عنك بأنه كان لك عشاق كثيرون ؟

فرين : وأنت ، ألست فخوراً بتدميرك أكبر قسم من العالم ؟ لو أن فى كل مدينة خربتها (فرين) لما بقى أقل أثر لجنونك

اسكندر : لو قدر لى أن أعيش مرة أخرى لما تمنيت أن أكون إلا فاتحاً عظيما

فرين : وأنا لو رجعت إلى الحياة لما تمنيت إلا أن أكون غازية للقلوب . إن للجمال حقاً طبيعياً فى السيطرة على الرجال على حين أن الشجاعة تفرض حقها على الناس بالقوة والبطش . للنساء الجميلات عرش فى قلوب الناس قاطبة مهما تـكن جنسياتهم ؛ ولا كذلك

مسألة عند الدكتور طه حسين ، ولا أنا أستجيز استغلال النقد الأدبى لمنفعة شخصية ، ولا أنا أقبل عطفاً من أى إنسان فى أى حال . والدكتور طه نفسه يعرف هذا الجانب من أخلاق ، ويعرف أنى لا أقبل منه ولا من غيره أية مساعدة ، لأنى أغنى منه ومن جميع الناس ، بفضل النعم التى يسوقها الله إلىّ بغير حساب ، وأنا أخشى أن تقتلنى هذه النعم ، كما تصنع الأزاهير والرياحين بمن يعانقها فى ليلة صفاء

زكى مبارك

الملوك والفاتحون . ولأقنعك أكثر من هذا أقول : إن أباك فيليب، الذى كان شجاعاً مقداماً كما كنت أنت، لم يستطع هو وأنت أن تدخلا الرعب فى قلب الخطيب المصقع ديموستين الذى قضى حياته كلها يخطب ضدكما ، على حين أن فرين أخرى كانت ذات مرة على وشك أن تخسر قضية هامة جداً ، وإذا بمحاميها ، وقد بذل لأجلها كل ما يملك من الفصاحة والبلاغة بلا جدوى ، يرفع عن وجهها النقاب فيبهر جمالها الحكام فيحكمون لها أن أوشكوا أن يحكموا عليها . ألا ترى كيف أن صلصلة أسلحتك كل هذه السنين التى حكمتها لم تقو على كم فم خطيب واحد ، على حين أن سحر فتاة جميلة أفسد فى لحظة حكام أراكوس القساة

اسكندر : بالرغم من استنجادك بفرين أخرى فإنى لا أعتقد أن جانب اسكندر قد ضعف كثيراً . ومما يدعو إلى الأسف أنه لو ...

فرين : أعرف ما تريد أن تقوله : اليونان ، آسيا ، فارس ، الهند ... كل ما من شأنه أن يبهر العالم بالطنين والرنين . ومع هذا إذا أنا أسقطت من مجدك كل ما ليس لك ، فأعدت إلى جنودك وقوادك ، وحتى إلى الحظ الذى ساعفك ، نصيبهم من الظفر الذى هم له أهل ، فهل تعتقد أنك لن تخسر بذلك كثيراً ؟ ولكن المرأة الجميلة لا يشاركها أحد فى غزواتها ، فليس لأحد عليها فضل ، بل الفضل كله لها . أقول لك الحق إنه لمركز جميل ... مركز المرأة الحسناء

اسكندر : يظهر أنك جد مقتنعة بما ذهبت إليه من أمر هذه المرأة الحسناء . ولكن أتتصورين حقاً أنها تصل إلى هذا الحد الذى وصفت ؟

فرين : كلا ... كلا ... فسأكون منصفة معك . أنا أعترف بأنى قد أسأت وصف شخصية المرأة الحسناء كل الإساءة . أنا وأنت ... لقد كانت لنا غزوات وغزوات . فلو كنت اكتفيت بعشيقين أو ثلاثة على الأكثر لكان ذلك من طبيعة الأشياء ، وليس ثمة ما يدعو إلى الانتقاد . أما أن يكون لى من العشاق جيش أستطيع معه إعادة بناء طيبة فشطط ما بعده شطط . ولو أنك كذلك لم تغز سوى اليونان والجزر المجاورة وقسم من آسيا الصغرى ، إذا لم يكن من ذلك بد ، وأسست لك منها مملكة لكان ذلك مفهوماً معقولاً . أما أن تخبط خبط عشواء فتأخذ المدن دون أن تعلم لماذا تأخذها ، وتفرغ من غزو إلى غزو من غير أن يكون لك خطة معينة أو هدف معقول ؛ كل ذلك لا تستسيغه العقول النيرة

اسكندر : ليقل أصحاب العقول النيرة ما يشاءون . فلو أنى استعملت شجاعتى وحظى بحكمة لما تحدث عنى أحد

فرين : وأنا أيضاً لو كنت استعملت جمالى بفطنة لما ظفرت بهذه الشهرة الواسعة . على أنه كلما أريد إحداث ضجة فى العالم ، فليس أحصف الناس وأعقلهم هم الذين يصلحون لها .

(بغداد) **يوسف روشا**

مراسلات مع الريح

يا عـــدوى

للأستاذ إسماعيل مظهر

منذ خمسين سنة ونيف كنّا نقطن حيا من الأحياء الوطنية القديمة لا يزال يسمى الدرب الأحمر. ولعله اكتسب هذه التسمية من دماء المماليك التي انحدرت في مسالكه من باب القلعة إلى باب الوزير، عند ما استأصلهم الكبير محمد على واستأصل معهم شأفة الفساد والشر. وكان المنزل الذى نقطنه على رحابة أرجائه كأنه سجن له فناء، ولا يطل منه على العالم الخارجي إلا نافذة واحدة طولها أمتار وعرضها شبر واحد، كنا ننصت منها على جلبة الشارع، فكنا إذا سمعنا مصطفى الزرّاب يغنى بصوته الرخيم أطلقنا لأرجلنا العنان، واستبق بعضنا البعض إلى السلم ومنه إلى الفناء، ثم من الفناء إلى الدهليز؛ ثم من الدهليز إلى الدّركة، فنرى عم جوهر جاثماً فوق السدّة فنحييه، ثم نقفز إلى الشارع. وكان الزرّاب منادياً يأجره البعض إذا فقدوا شيئاً، فينادى عليه في الأزقة والحوارى والمسالك.

وذات يوم شهدناه ينادى عن معزاة فقدها جلاّد (بائع جلود) بجوار منزلنا. وكان رخيم الصوت يفتن في النغم ويخلق من مناداته شجي اللحن، فرأيناه ينشد المعزاة بلغة عربية تشوبها العامية المقبولة، وأخذ يسير ونحن وراءه، حتى إذا أشرفنا على جامع المرداني وجاوزنا باب قسم الدرب الأحمر، انفتل يميناً إلى حارة الروم بعد أن صاح (يا عدوى)، وكان يختم بها كل نداء. فترك عربيته وأخذ يقول: «يا خدرات الأروام: يا خواجات الخته: فيه واخد ميزه: أنده اتنين بلخته هينا (ويشير إلى جوزته) الشرّ بتاعه أحمر. البوز بتاعه أبيد. تمسك فلوس كويس لو جبته. يا خريستو» (بدلاً من أن يقول يا عدوى)

تذكرت هذه الحادثة بعد هذه السنين الطوال، وتذكرت مصطفى الزرّاب عندما قرأت في مجلة المصور مشروع كتابة العربية بالحروف اللاتينية الذى خرج علينا به سعادة عبد العزيز فهمي باشا عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية خروج الزراب من عربيته أمام جامع المرداني، ينشد معزاته الضائعة: متوسلاً بالعدوى، إلى لاتينية الأعاجم عند ما انفتل إلى حارة الروم مستنجداً بخريستو، مستمداً منه العون. ولله الأمر من قبل ومن بعد

كذلك اعتقد كثير من الخرافيين في العصور الوسطى أن الشيطان قد تدخل في تصوير كرة الأرض. فقد رأوا أن لبلاد اسكنديناوه شكلاً خاصاً يغاير شكل بقية أجزاء الأرض؛ ذلك بأنها أشبه بذراع ممدودة أخذت من حواشيها المُدى والسيوف فتركت به تلك الخلجان والقطوع المائية، التي صلحت في الأزمان الأولى أن تكون مقراً آمناً للقرصان الذين نشروا الرعب في شمال أوربا، وامتد إرهابهم إلى حوض البحر المتوسط، رأوا ذلك فتخيلوا حادثاً كونياً محصله أن الله القادر على كل شيء بعد أن انتهى من عمل الخليقة، تسلل الشيطان ليرى العمل الذى أتمه في تلك الأيام السبعة التي تخلف فيها عن الظهور منه فوق العرش. فطاف ثم طاف، حتى إذا وقع على سيارنا هذا ورأى ما فيه من جمال وحسن بالرغم من صغر حجمه ضاقت نفسه وساء سلوكه، فاقتلع حجراً عظيماً قذف به كرة الأرض، مقر الإنسان الجديد، فاستقر الحجر في بحر الجمد الشمالى حيث اسكانديناوه الآن

ومن هذه الخرافة نستمد العظة. فكل جميل كامل الجمال، وكل حسن كامل الحسن، يأبى صلف الإنسان إلا أن ينتقصه من أطرافه، لا بُد من أن يُرمى بحجر يقذفه شيطانه، كذلك الذى قذف كرة الأرض بحجره العظيم، فزاد من جمالها وضاعف من حسنها. أرأيت تمثال فينوس ميلون؟ أفإن انحدر إلينا كاملاً بذراعه الجميلة، أكنا نشهد فيه ذلك الجمال كله؟ كلا فإن جمال الجزء الناقص ندركه من جمال الأجزاء الباقية. أضف إلى ذلك شعور العطف الذى نحسه إزاء ذلك الحجر المنحوت، وذهول الكارثة التي أطارت منه الذراع. إن الجمال فيه

لم ينقصه ، وإذا كنا لقيمة جماله وحسنه وروعته قد شابها العطف عليه بحنو يبعث من وجداننا ما كان ليفوز به لو أن القدر أبقى منه تلك الذراع المفقودة

وما أشبه لغتنا العربية الجيدة بكرة الأرض وحادثها مع الشيطان ! فإن هذه اللغة مافازت بالبقاء دون أخواتها الساميات إلا لأسرار فيها يعجز عن إدراكها الفكر ويضل فى بحثها التاريخ . وكل تعليل لهذه الظاهرة إنما هو تعليل ناقص ؛ فإن ذلك التيه الواسع الذى نسميه اللغة العربية إنما هو على اتساعه وحدة كاملة الأطراف متماسكة الجوانب ، إذا اقتلعت منه حجراً واحداً انهارت منه أركان ، وإذا زعزعت منه أساساً تداعت من حوله كثير من الأسس . فلقد تطورت هذه اللغة على مر السنين ، وتكاملت على كر الأعوام ، حتى أصبحت كالبناء المصبوب من الفولاذ ، ناحية النقص الواحدة فيه أنك لا تجد فيه منفذاً واحداً يمكنك من أن تضيف إليه جديداً منه ؛ غير أنه يظهر كالرقعة المهلهلة فى الثوب الجديد الكامل النسق

وما الذى يحملنا على أن نفكر فى الحروف اللاتينية لنكتب بها العربية ؟ ما الذى يحملنا على أن نحمل ذلك الحجر الثقيل على أكتافنا من بلاد اللاتين إلى صميم بلاد العرب ، لتقذف به لغة العرب ، فيلوب فى بحرها الخضم ثم يلوب ، ومن بعدُ تبتلعه ، ولا نكسب من ذلك إلا تعب الحمل ، ووزرَ ذلك الشيطان الذى قذف كرة الأرض بحجره الثقيل ، فلم ينتقصها وإنما ابتلعه جمالها فزادت به جمالاً ، ولم يغير من طبيعتها وإنما زاد إلى تاريخها فصلاً محجوجاً مكروهاً . إنما يكون مثلنا فى هذه الحال كالشمطاء التى أبت إلا أن تنتقص جمال حسناء ، حقداً وكيداً ، فاجتزت خصلة من لمتها ، فبدت غرتها أجمل وأفتن

حاول الأستاذ عبد العزيز فهمى باشا أن يصلح من اللغة العربية بمشروعه ذاك الذى نشره فى المصور ، بأن يجد طريقاً يسهل على الناس قراءة العربية صحيحة كما تلقيناها عن الفصحاء . وأشار من طرف خفى إلى حروف الحركة ، كأن اللغة العربية ليس بها حروف حركة ؛ ولكنه نسى أن العربية تمتاز على جميع لغات العالم من هذه الناحية . نسى أن بها حروف مد وحروف حركة . فإن حروف الألف والواو والياء ليست فى الواقع حروف حركة فى اللغة العربية وإنما هى حروف مد . فإذا قلنا مثلاً « كتاب » فالألف هنا ليست حرف حركة وإنما هى حرف مد تطول معه حركة التاء . أما حروف الحركة فهى فى الواقع الحركات الفتح والضم والكسر والسكون ، فصلت عن بقية الكلمة لتدل على حركة حروفها ، وهو نوع من الاختصار لا تجد له مثيلاً فى لغة من لغات الأرض ، ولون من الجمال الواضح والوحدة السليمة تمتاز به هذه اللغة العجيبة دون غيرها من اللغات . وسبحان الله إذ يصبح الكمال فى نظر بعض الناس نقصاً ، والجمال قبحاً ، كأنما نحن نمل أن نتعلم لغتنا على أساسها الصحيح ، ومن طريقها الواضح الذى شرحه العلامة الأستاذ عرفة على صفحات الرسالة ، إنما نحن نعبر بمثل هذه الآراء التى يعرضها الباشا الكبير عن ملل واضطراب

وما أريد أن أتكلم عن تراث العرب والعربية ، وما أريد أن أتكلم فى أن هذه اللغة لغة دين ولغة أدب وعلم وفن انحدرت إلينا من خمسة عشر قرناً إلا قليلاً تحمل إلينا فى تضاعيفها مشعل الماضى مضيئاً . لا أريد أن أتكلم فى شىء من هذا فإنه بمثابة القول المعاد ، وإنما أريد أن أقول : إن هذه النزعات نزعات يمثها ضعف فى القومية واستهتار بتراث العرب الموروث ونبذ لكل تقليد قديم تلقيناه عن أصولنا

إننا لا نعلم اللغة العربية فى مدارسنا وإنما نعلم بعض قواعد منها . ولا يسمع الطالب لغة فيها شىء من العربية الصحيحة إلا من معلم اللغة العربية ، فإذا احتك بمعلم الحساب أو الهندسة أو الجبر أو التاريخ الطبيعى أو غير ذلك لم يسمع إلا العامية ، لغة سقيمة مهلهلة . فأين نحن من تعلم اللغة العربية ؟ بل إن بعض طلبتنا فى بعض الكليات يتلقى دروسه من أستاذه باللغة العامية ثم يذاكر الموضوع بالإنجليزية . فهل سمعتم بمثل هذا فى أنحاء كرة الأرض ؟ هل سمعتم بأن مثل هؤلاء الطلبة يستطيعون أن يدركوا شيئاً من أسرار لغتهم وهم على مثل هذا الوضع ؟

يا سعادة الباشا قل معنا يا عدوى ؛ فإننا لن نقول معك يا خربستو أبد الدهر .

اسماعيل مظهر

الجمعية الملكيـــة (*)

للأستاذ خليل السالم

لم تتمتع جمعية علمية بحياة طويلة ثابتة المبدأ متصلة الكفاح باهرة النجاح كما تمتعت الجمعية الملكية فى لندن ، مع أنها ليست أقدم(١) الجمعيات العلمية فى العالم ؛ فهي تعود فى تاريخ تأسيسها إلى الحرب الأهلية ، إذ اجتمع سنة ١٦٤٥ نفر من رجال العلم الذين يفيضون غيرة وحماسة ، ويأنفون أن تتخبط البلاد فى المنازعات السياسية والعصبيات الدينية ، وأرادوا أن يتوجهوا بالفكر إلى ميادين أسمي وأكثر جدوى ، وجعلوا غرضهم المباشر فهم قضايا الفلسفة التجريبية التى ظهرت على مسرح فكرهم حديثاً . وقد عقد الاجتماع الأول فى كلية جريشام Gresham فى مدينة لندن . ونقل مكان الاجتماع إلى كليـة وادهام Wadham College من جامعة أكسفورد عندما انتسب جون ولكنز John Wilkins مدير هذه الجامعة إلى المؤسسة الناشئة ، وكان من أوائل منشطيها ومشجعيها

وفى سنة ١٦٦٢ أصدر الملك شارل الثانى مرسوماً بتأسيس الجمعية ، واعتبارها هيئة تعاونية رسمية . ويصلح هـذا التاريخ أن يكون بحق فجراً جديداً فى تاريخ العلم ، ومبدأ نهضة وهاجة السنا باهرة الإشراق . وكيفما كانت الصورة الماجنة المستهترة التى تقدمها كتب التاريخ عن مؤسس الجمعية الأول شارل الثانى ، فلا ريب أنه كان يقدر العلم والعلماء ، ويرى ببعيد نظره ما يمكن أن يدر تشجيع العلم على ثروة البلاد من المغانم الكبرى والربح الوفير . وكان سياسياً حاذقاً ومثقفاً واعياً عندما اكتسب لنفسه لقب مؤسس الجمعية الأول . وكان مدركاً لروح العصر الجـديد الذى تميز بهـدم تعاليم أرسطو على يد نبي العلم « بيكون » ، وبنبذ الخرافات والشعوذات ، وبالانصراف عن العلم المنقول إلى الطريقة التجريبية والتحقيق العلمى

وكان هدف الجمعة كما ورد في مرسوم تأسيسها « تحسين المعرفة الطبيعية » . وناضلت الجمعية فى سنيها الأولى نضالاً عنيفاً قاسياً ، فلم يمدها مؤسسها الأول بالمال الذى رصـده لها ، كما لم يتمكن أعضاؤها من دفع رسم الاشتراك ، أو لم يرد بعضهم ذلك . إلا أنه لما تبوأ نيوتن كرسى الرياسة (١٧٠٣ — ١٧٢٧) تحسن دخل الجمعية ، لأن العلم المنظم وصـل مستوى عالياً من النجاح والتطبيق على يد العالم العبقرى الفذ نيوتن الذى فرض احترامه واحترام نظرياته واكتشافاته على الوسط العلمى ، واستفاد القرناء Fellows منه ، وشعروا بشرف الاشتراك معه فى العمل والبحث . ولم تحظ الجمعية برئيس بعث الدم فيها وأحيا مواتها وجدد حياتها ورفع من قيمتها كنيوتن إلا فى القرن الثامن عشر عنـدما تولى مقاليدها السر جوزيف بانكس Joseph Banks ؛ فقد تحددت مرامى الجمعية فى ذهنه واضحة صريحة ، وانتهى إلى أن الفائدة المرجوة والثمرة المنشودة لن تدنو قطوفها إلا بحماية رسمية ، فقبل فى عضوية الجمعية أشخاصاً لم يكونوا علماء بكل ما فى الكلمة من معنى . وبالرغم من اتهامه بالتفريط فى حق العلم والعلماء والهجوم الشديد الذى وجهه إليه أعداؤه ، فإنه استطاع أن يجعل من أولئك الأعضاء أصدقاء للعلم واستخدمهم لجمع المال الضرورى للبحث العلمي . لم يتسن للحكومة أن تسيطر على الجمعية وتستغلها فى مصالحها الخاصة ، ولكن علاقات وثيقة ودية كانت تربط الجمعية بالسلطة . فاستعان بإرشاداتها ملوك وساسة ومديرو مصالح ، وعرضت الجمعية خدمتها على الحكومة فى كل مناسبة

(*) عن الانجليزية مع إضافات وتعليقات جمة

(١) انبعث من إيطاليا أولا نور عصر الأحياء فسبقت إلى تأسيس الجمعيات العلمية ، فتكونت فى نابلى « مدرسة الأسرار الطبيعية » سنة ١٦٥٠ ، وتأسست جمعية فلورنسا سنة ١٦٥١ ، وجمعية فى روما على أيام جاليليو . أما أكاديمية العلوم الفرنسية فقد بدأت عملها سنة ١٦٦٦ ، وجمعية برلين على يدى ليبنتز سـنة ١٧١٠ ، وجمعية بطرسبورج على عهد بطرس الأكبر سنة ١٧٢٥

كانت مصلحة الوطن فيها تستدعى الجهد العلمي الرسمي . واعترافاً بمثل هذه الخدمات القيمة رصد البرلمان الإنجليزى سنة ١٧٧٨ وما بعدها مخصصات باهظة لتضخيم ميزانية الجمعية .

ونتعب إن حاولنا تقصى المناسبات التى حلت فيها الجمعية مشاكل رسمية . ولكننا نرى اليوم عشرات القرناء منهمكين فى الاختبارات العلمية التى تسرع بربح الحرب والتى تختلف بين تأمين الطعام لجميع أفراد الأمة وبين ابتكار أقوى الأسلحة الحربية فتكا وتدميراً .

يبلغ عدد أعضاء الجمعية ٤٥٠ عضواً منهم ٥٠ عضواً أجنبياً . وبينما كانت مقاعد الجمعية تضم فى وقت ما كل علماء انجلترا أصبحت اليوم ضيقة بهم ؛ مما جعل الانتساب إلى الجمعية حلماً عبقرياً يتردد فى ذهن كل عالم ، وشرفاً كبيراً تتجه إليه الهمم ... والواقع أن العضو فى الجمعية يحرز فوائد مادية جمة فضلاً عن مظاهر التكريم والإجلال . سئل أحد القرناء الأطباء عن معنى الأحرف الثلاثة F.R.S.[1] التى تلحق باسمه . فأجاب بأنها تعنى : Fees Raised Sinee أى أن أجوره ارتفعت بعد أن أضيفت هذه الأحرف إلى اسمه . ومن هنا كان الانتساب إلى الجمعية يقتضى كفاية نادرة وسبقاً علمياً معترفاً به فى أحد ميادين المعرفة . ولا يرشح أحد العلماء للعضوية إلا بعد أن يزكيه ستة أعضاء على الأقل بشرط أن يكون بينهم ثلاثة خبروا معلومات المرشح ومؤهلاته واكتشافاته واتصلوا به اتصالاً شخصياً . وبعد مشاورات طويلة يعرض مجلس الجمعية كشفاً بأسماء المرشحين ويجرى الانتخاب فى آذار من كل عام . وتوزع الجمعية يوم ٣٠ نوفمبر دائماً عدداً من الأنواط على السابقين من أعضائها المشهود لهم بالفضل والنبوغ

ويدير شئون الجمعية مجلس يتألف من (٢١) عضواً يجدد انتخابهم كل سنة . أما رئيس الجمعية وسكرتيرها للمراسلات الخارجية فيبقيان فى منصبيهما خمسة أعوام . ويحتفظ أمين الصندوق وسكرتير الجمعية للأبحاث البيولوجية وسكرتيرها للأبحاث الطبيعية بمناصبهم عشرة أعوام . ولا يحق لقرين غير هؤلاء أن يخدم فى مجلس الجمعية أكثر من عامين متتاليين

وتساعد لجان خاصة مجلس الجمعية على تنظيم الميزانية وتوجيه البحث العلمي وطبع الكتب . وترصد الجمعية مبالغ طائلة لتمويل الجهود العلمية . ولكن أهم وظائف الجمعية نشر البحوث التى يتمها القرناء وشرح كشوفهم ، فهى تطبع سجلاً سنوياً يضم أحدث الأبحاث العلمية التى يحرص رجال العلم المنتشرون فى كل بقاع الأرض على درسها وفهمها

ولا تتأثر الجمعية بنزعات الجنس والدين ؛ ولها اليد الطولى فى شيوع النظريات العلمية والدعوة إلى اتحاد علمى عالمى ، والبلوغ « بدولية العلم » مستوى يكاد يقرب من الكمال

وتضم مكتبتها ما يزيد على (١٥٠) ألف مجلد ، وتقتنى أوفى مجموعة لمنشورات الأكاديميات العلمية فى جميع أقطار المعمورة ؛ وقيودها وسجلاتها مصدر تاريخى لا نظير له استفاد منه كثير من طلاب العلم

وكلمة أخيرة ، عن كنوز الجمعية . ففى ردهاتها لوحات رسمها أمهر الفنانين البريطانيين لأشهر علمائهم منذ القرن السابع عشر حتى اليوم . وسجل الجمعية الذى وقع فيه جميع القرناء منذ تأسيس الجمعية كنز لا يثمن . وفيها صولجان أثرى يضعه الرئيس أمامه أثناء انعقاد الاجتماعات . وفيها المرقب العاكس الذى صنعه نيوتن . ومخطوطة كتاب « المبادىء » - ومنها نقلت الطبعة الأولى - وهناك فرجاران من مخلفات كرستوفر رَن ، ومفرغة هواء هوكسبى ، وساعتا وقف من عمل أرنولد استعملهما كوك فى رحلتيه الثانية والثالثة حول العالم ؛ ومصباح الأمن الذى اخترعه ديفى ، وغير هذا كثير من الأجهزة العلمية التى كانت ملكاً للجمعية ومنحتها لمتاحف العلم .

(السلط — شرق الأردن) **خليل السالم**

(١) تشير الأحرف الثلاثة إلى : Fellow of the Royal Society

منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

للأستاذ سعيد الديوه جي

— ٢ —

٥ — كرسي المختار وتخت يزيد : ثار « المختار الثقفي » على الدولة الأموية باسم محمد بن الحنفية ليجعل لدعوته صبغة دينية وهي الدعوة لآل البيت ، وأنكر ابن الحنفية أمره ، ولكن (المختار) من دهاة ثقيف ، فإنه لما وجد تثاقلاً من جيشه لحرب عبيد الله بن زياد أتى بكرسي وادعى أنه من مخلفات الإمام علي ، وأنه بمنزلة التابوت في بني إسرائيل لا يحمله جيش إلا كتب له به النصر . فكساه بالديباج وسلمه إلى إبراهيم بن الأشتر قائد جيشه وانتصر الجيش على (ابن زياد) وقتله ودخل ابن الأشتر الموصل . فحركة المختار ظاهرها لآل البيت وحقيقتها دعوة باطلة له . ووضع اليزيدية مقابل هذا الكرسي تخت يزيد وهو من المشاهد المقدسة عندهم يجلس عليه أميرهم ، وأمر التخت عندهم كأمر الكرسي عند أتباع المختار

٦ — وجاء في كتابهم المقدس : (مصحف رش[1]) قصة طريفة تؤيد ما ذهبنا إليه ، وهو عداؤهم لآل البيت وتأييدهم للحزب الأموي وهي : « ولنعد الآن إلى محمد بن الاسماعيليين فكان عنده خادم اسمه معاوية ؛ فنظر الله إلى محمد فرآه لا يسلك باستقامة فأوجع رأسه . فقال محمد لمعاوية : تعال احلق رأسي لتعاطى معاوية التزيين ، فأتى معاوية وحلق رأس محمد بخفة فجرحه وجرى منه دم كثير . فلما رأى معاوية الدم لحسه بلسانه خوفاً لئلا يقع على الأرض ، فقال له محمد : ما ذا صنعت يا معاوية ؟ أجاب : إني لحسته بلساني خوفاً لئلا يقع على الأرض . فقال محمد : لقد أخطأت بذلك فإنك تجذب وراءك أمة عظيمة وتتخاصم مع أمتي . فقال معاوية : لا أتزوج ولا أقع في العالم قط . ثم بعد زمان سلط الله على معاوية عقارب فلدغته ورشت سمها عليه . فلما رآه الأطباء جزموا عليه بالزواج وأتوه بامرأة يربى عمرها على الثمانين كي لا تحبل . فلما عرفها معاوية أصبحت في الغد ابنة خمسة عشرة سنة وذلك بقدرة الإله . فحبلت وولدت إلهنا الذي يسمى « يزيداً » وهذا قول صريح من كتابهم المقدس أنهم أعداء لآل بيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كما أن نسب أمرائهم ينتهي إلى « يزيد بن معاوية » فلم يبق شك في أن أصل حركة اليزيدية كانت حركة لمناصرة بني أمية والدفاع عن حقهم في الخلافة ومناوأة « آل البيت » الذين خاصمهم الأمويون على الخلافة منذ صدر الإسلام

والسبب الذي جعل الجبال القريبة من الموصل مركزاً لهذه الطائفة هو : أن الموصل كانت مدينة أموية منذ الحكم الأموي . واهتم بها الأمويون اهتماماً كبيراً ، فوسعوها وسكنها جالية منهم وكانوا كثيراً ما يولون عليها أميراً من البيت الأموي . وممن تولاها : «سعيد بن عبد الملك ، والحر بن يوسف ، ومروان بن محمد » كما سكنها الخليفة « هشام » قبل أن يلي الخلافة وبنى له قصراً فخماً في ربضها الأسفل وغرس بها النخيل والبساتين . « والحر » صاحب « قصر المنقوشة » كان يملك القرى المجاورة لجبل « مقلوب » وهو أحد مراكز اليزيدية اليوم . وأن « ابراهيم الامام » منظم الدعوة العباسية كان يعرف حب أهل الموصل للأمويين ولذلك أوصى « أبا مسلم الخراساني » ألا يعتمد عليهم . وذكر « أبو زكريا الأزدي » مؤرخ الموصل وقاضيها في القرن الرابع الهجري أن الموصل بقيت أموية في الحكم العباسي ، ولهذا فتك بها العباسيون وقتلوا من أهلها ثلاثين ألف رجل سنة ١٣٣ هـ . وبعد سقوط الدولة الأموية فر كثير من الأمويين ومواليهم إلى الجبال المجاورة للموصل ، ومن هذه الجبال جبلا « مقلوب ، ولالش » أو « الهكارية » وأثروا على الأكراد الساكنين في هذه الأماكن وجعلوهم يميلون إلى بني أمية . ومما زاد في تأييد هذه الطائفة أن الموصل والجزيرة كانتا من مراكز الخوارج « الحرورية » وهم يحاربون كل حاكم ، واستمرت حركتهم إلى القرن الثالث الهجري . وكانوا كلما ضاقت عليهم الأرض لجأوا إلى الجبال المجاورة . ولا شك أنهم كانوا يلاقون ارتياحاً من الحزب

---

(١) النصوص التي ننقلها من كتابيهم المقدسين « مصحف رش » و « الجلوة » نتركها على علاتها

الأموى الساكن فى هذه الجبال ، ونشروا مذهب الخوارج بين الأكراد ، كما أنه تأسست (الدولة الحمدانية) فى القرن الثالث الهجرى فى الموصل . وكان أمراؤها يميلون إلى آل البيت وحاولوا نشر المذهب الشيعى فى الموصل فلقى قبولاً عند البعض وإعراضاً من الآخرين . وحدثت ثورات فى الموصل بسبب ذلك كانت بلا شك من تأثير الحزب الأموى . ثم جاءت بعدها الدولة العقيلية ، وكان أمراؤها متعصبين للمذهب الشيعى ، ولاقت مقاومة كذلك فى الموصل . كل هذه الأمور كانت تجعل العداوة مستمرة بين الحزبين العلوى والأموى ، واستمرت هذه العداوة فى تزايد حتى القرن السادس الهجرى ومجىء الشيخ عدى إليهم . فتحولت دعوتهم إلى طريقة صوفية عدوية

الدور الثانى

الشيخ عدى وتحول الحركة إلى طريقة « عدوية »

الشيخ عدى بن مسافر الأموى : يرجع نسبه إلى مروان ابن الحكم . ولد فى بيت فار من أعمال بعلبك ، وهاجر إلى الموصل وسكنها . ثم انتقل إلى جبال الهكارية ولزم طريق المجاهدة والخلوة والانقطاع عن الناس ، وكان ينتقل فى البرارى والقفار ويقتات من النبات

ثم بنى زاويته المشهورة فى جبل « لالش » وعكف عليه أهل تلك الديار لعلمه وصلاحه وانقطاعه إلى الله عز وجل . ولا شك أن صلة النسب بينه وبينهم كانت من أقوى الأسباب التى جعلتهم يرتاحون له . ولكن هذا الشيخ لم يكن من الذين تغرهم الدنيا ، بل نراه سلك بأتباعه طريق الرشد والصلاح وخفف من غلوائهم وعداوتهم لآل البيت . أما زهده فقد قال عنه الشيخ عبد القادر الكيلانى : « لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدى بن مسافر » ولعدى عدة رسائل فى العقائد والتوحيد وهى مؤيدة بالكتاب والسنة ، منها رسالة خطية فى مكتبة « مدرسة الحجيات » فى الموصل ، وهى من خيرة الرسائل التى ألفت فى هذا الباب ، سلك بها سبيل السلف الصالح ، ونراه يندد بالفرق الإسلامية المغالية كالقدرية والمجسمة ويرد عليهم فيقول فيها : « ونؤمن بما ورد فى الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شىء منها ، فإن كل ما تمثل فى الوهم فهو مقدره قطعاً وخالقه . وهذا الذى اندرج عليه السلف قبل ظهور الأهواء وتشعب الآراء . فلما ظهرت البدع وانتشر فى الناس التشبيه والتعطيل فزع أهل الحق إلى التأويل وتقرير مذهب السلف كما جاء من غير تمثيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا حمل على ظاهر الخ . ويقول فى القدرية واعتقادهم أن الشيطان خالق الشر : « وخلق تعالى إبليس عليه اللعنة وليس إليه من الضلالة شىء قال تعالى : « واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . وقوله تعالى : إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك منهم من الغاوين ، وإن جهنم لموعدهم أجمعين » ، لأنهم فتمسكوا فى الكفر فجعلوا إرادة إبليس لعنه الله وأنفسهم أقوى من إرادة الله تعالى . أراد الملعون إبليس المعصية فوجدت ، وأراد الله ألا تكون فكانت ، فجعلوا إبليس الملعون وأنفسهم أقوى من إرادة الله . والقائل بهذه المقالة تكذيبه بقوله تعالى : إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله . الخ ...

أما اعتقاده بالصحابة الكرام فهو يرى أن الأفضل هم الخلفاء الراشدون حسب ترتيبهم فى الخلافة ، ويرد على من يقدم الإمام علياً على الثلاثة السابقين . ويقول عن معاوية : (إن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه خال المؤمنين ، رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحى الله تعالى ، أمين الله على وحيه ، شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ومات وهو عنه راض)

سعيد الديوه جى (للكلام صلة)

فى «مجموع رسائل الجاحظ»

للأستاذ محمد طه الحاجرى

تفضل الأستاذ الجليل «ناقد» فاستجاب للروح العلمية البريئة ، ولما وجهناه إلى جهرة الناقدين من دعوة خالصة ، فكتب عن «مجموع رسائل الجاحظ» فصلاً من فصوله الناقدة فى الرسالة ، عرض فيه لحروف تعرضت - فيما يرى - للتصحيف أو التطبيع أو خطأ الرسم ، متهدياً فى ذلك بذوقه الأدبى ومحصوله اللغوى . وما زلنا نرجو منذ ظهر هذا المجموع أن يتاح له حظ النقد البصير ؛ فليس أحق من الجاحظ - كاتب العربية الأول - أن تتضافر القوى وتتعاون الجهود على جلاء آثاره وإبرازها فى صورة أمينة دقيقة جديرة به ، بعد أن تعرضت آثاره مدى الأجيال الطويلة للكثير الوافر من عوامل التحريف والتشويه والمسخ . ومن ذلك كان لعناية الأستاذ العلامة الناقد بالمشاركة فى جلاء هذه الطائفة من آثاره أجمل الأثر فى نفوسنا . وقد تجلت هذه العناية فى هذا الفصل ، وقد وفق خير التوفيق فى بعض ما عرض له ، وأما بعضه الآخر فإنا نرى فيه غير ما يرى

وإذا كنا نرى غير ما يرى فى أكثر ما عرض له ، فرد كثير من ذلك - فيما يظهر - إلى الخلاف بيننا وبينه فى الأصل الأول فى النشر . فالأصل عندنا فى نشر أثر من الآثار العقلية هو إبراز صورة أمينة من ذلك الأثر ، بريئة مما تركته عليها الأجيال المختلفة ، والأيدى الجانية ، من تشويه أو تحريف أو تزوير . وسواء بعد هذا أن تجىء هذه الصورة كما نشتهى وكما نرجوها مثلنا ، أو أن تكون منحرفة عن هذه المثل . ذلك هو الأصل فى النشر ، ومن هذا كان الناشر مقيداً فى عمله بقيود مختلفة ، ومحكوما باعتبارات كثيرة ، تمسك يده أن تنطلق ، وتكف نفسه أن تتدخل ، ولا تدع لمزاجه الخاص أو محصوله العلمى سبيلاً إلى أن يفرض نفسه ، أو يطبع كلام المؤلف بطابعه ، أو يترك عليه أثراً منه . فأما الأستاذ العلامة «ناقد» فيظهر من اتجاهه فيما كتب عن المجموع أنه يميل قليلاً إلى تحكيم المثل فى تحرير عبارة المؤلف

فمن ذلك تخطئته إيراد المثل : «كل مُجرٍ فى الخلاء يسبق» (ص ١٠٢ س ١٩) ، لأن المثل المشهور ، أو الصورة المشهورة له : «كل مجر فى الخلاء يسر» ، وهو نفسه يقرر أن للمثل صورتين أخريين : «كل مجر بخلاء يسبق ، وكل مجر بخلاء مجيد» فكأنما عز عليه أن يسوق الجاحظ المثل فى غير صورته المشهورة ، وهذا ولا ريب نوع من تحكيم المثل الذى ذكرنا . وقد كان من الممكن أن نعتبر هذه الصورة المشهورة للمثل ، لا لأنها الصورة المشهورة ، ولكن لأن الجاحظ قد آثرها فى أكثر من موضع فى كتبه ، كما نرى مثلاً فى الحيوان (١ : ٨٨ ، ٤ : ٢٠٧) وفى البيان والتبيين (١ : ٤٩) الخ ، وهذه إحدى الطرق المقبولة فى تفضيل قراءة على أخرى ، ومع هذا آثرنا ما تعرضه علينا مخطوطتنا الوحيدة فى هذا الموضع ، إذ ليس ما يدعو إلى فرض تحريفه ، ولأن الجملة التى زاوج الجاحظ بها هذا المثل تضعف احتمال الصورة المشهورة له ، فهو يقول : «كل مجر فى الخلاء يسبق ، وكل مناظر متفرد بالنظر مسرور»

وكذلك أخذ الأستاذ الناقد علينا أننا ضبطنا هذا المثل : «لن تعدم الحسناء ذامّا» (ص ١٠٤ س ٨) بحيث تصبح كلمة الذام اسم فاعل من الذم لا اسماً بمعنى العيب ، إذ كان المثل : «لا تعدم الحسناء ذاماً» ، ثم ذهب الأستاذ يفسر كلمة الذام كأن المثل أغرب علينا ، فقاربنا وتصرفنا على ما فهمنا . والمثل بعد مشهور بتخفيف الميم ؛ ولكنا رجحنا أن الجاحظ تصرف فى إيراد المثل على الصورة التى أوردناها ، ليستقيم مع سياق المعنى الذى يريد تقريره عن الحسد ، ودل عليه بكثير من الآثار والأمثال التى لا يستقيم معها ذلك المثل فى صورته المأثورة ، إلا أن يكون الجاحظ ممن يلقى الكلام على عواهنه ، ولا يعبأ أن يستشهد بما لا موضع له ، ولا يتساوق مع غرضه ، ويخالف بين أطراف الكلام مثل هذه المخالفة ! ولكن الأمر الذى

لا يعبأ به الجاحظ حقيقة هو أن يتصرف فى المثل حتى يطوع له، على ذلك النحو الذى لا بأس به

ومن هذا الباب أيضاً تخطئته لنا أن نثبت هذه العبارة : « واستذرأت فى ظلك » مهموزة ، لأنه يقال ـ كما يحكى الأستاذ الناقد ـ استذرى بفلان أى التجأ إليه ، وفلان فى ذرى فلان أى فى ظله . وحسب الأستاذ هذا ، لا لتكون الكلمة خطأ ، بل ليكون إثباتها منسوبة إلى الجاحظ خطأ . وليست المسألة بهذا اليسر ، فيما نرى ؛ وإنما الوضع الحقيقى للمسألة هو : هل يمكن القطع بأن هذا الخطأ هو خطأ الناسخ لا خطأ الكاتب ، وهل مثل هذا الخطأ مما لا سبيل له إلى قلم الجاحظ ، إن كان لا بد من تسميته خطأ ؟

أما إنه لو صح لنا هذا لما كان لنا أن نستبقيه ، ولوجب علينا أن نستبدل به ؛ ولكن الأمر هنا ليس كذلك . وما أكثر ما تتعاقب الياء والهمزة فى اللغة العربية ، لا فى باب الإبدال وحده ، بل فيما وراء ذلك ، فيما لا يندرج تحت تلك القواعد التى عنى بتنسيقها وبسطها علماء التصريف . وقد عقد أبو على القالى فصلاً فى أماليه فى « ما يقال بالياء والهمزة » إلى كثير غير ذلك من الكلمات التى لا تقع فى باب الإبدال الرسمى

ولقد جاء فى بعض الآثار الأدبية ما يدلنا على أن الفرق بين ما أصله الهمزة وما أصله الياء لم يكن من الفروق التى تحسها السليقة اللغوية إحساساً قوياً . من ذلك ما جاء فى شعر الأعشى على رواية يعقوب بن السكيت :

إذا انبطحت جافى عن الأرض بطنها
وخوأها راب كهـامة جنبل

ويعلق أبو عبيد البكرى ، فى لآليه ، على هذا البيت بقوله : « وخوّأها مما همز ولا أصل له فى الهمز » ثم يذكر أن الرواية الأصح ، لهذا السبب ، هى رواية من قال : « وخوّى بها » . وهذا ، فى أكبر الظن ، نوع من تحكيم المثل فى الرواية ، كالذى ذكرناه من تحكيم المثل فى النشر

ومثل هذا ما أخذوه على شاعر إسلامى ، هو المسعودى ، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، فى قوله :

شققت القلب ثم ذرأت فيه
هواك فليم فالتأم الفطور

فقد قالوا إنه أخطأ حين قال « ذرأت » ، وكان القياس أن يقول « ذريت » بالياء

وهكذا نرى أن وضع الهمزة موضع الياء ليس من الأخطاء المغلظة التى يجلّ الجاحظ عنها ، أو نأنف له أن يقع فيها ، فنزعم ما وقع من ذلك خطأ ناسخ يجب استصلاحه . وما دمنا لا نملك الدليل على أن وضع الهمزة موضع الياء من صنع الناسخ ؛ وما دمنا لا نبعد أن يكون هذا من عبارة الجاحظ ، فإن مايقترحه الأستاذ الناقد من وضع « استذريت » موضع « استذرأت » يعتبر نوعاً من تحكيم المثل فى النشر

فهذا نوع من المآخذ التى أخذها علينا العلامة الناقد . وهناك نوع آخر يرجع إلى العجلة ، أو إلى إخطاء الدقة له ، كقوله فيما علق به على قول الجاحظ (ص ١١٠ س ١٧) : « لا سيما إن كان مع استبطان الحسد الخ » إذ يقول : « قلت جاءت ولا سيما فى هذا الموضع وفى غيره مجردة من ذينك الحرفين ، وأستبعد كثيراً هذا التجريد فى كلام المحدثين الأولين ، وإن أجاز ذلك نحاة من المولدين المتأخرين . وقد وردت اللفظة ومعها صاحباها فى ص ٢٤ ، ٦٨ » فلم يجئ « لا سيما » فى عبارة الجاحظ مجردة عن لا والواو ، بل عن الواو فقط ، على الصورة التى أوردناها فى هذه الفقرة

ومثل هذا ما جاء فى التعليق على هذه العبارة (٧١ : ١٦ـ ١٧) : « وسواء ـ جعلت فداك ـ ظلمت بالبطش والغشم ، أو ظلمت بالدحس والدس » واقتراحنا وضع الدعس موضع الدس ، إذ كان ذلك أشبه ، فتوهم أننا إنما نضعها موضع الدحس، ثم اقترح بدلاً من ذلك كلمة « الرس » . وهـذا نقد قائم على التوهم المحض . وما كان لنا أن نقترح كلمة موضع كلمة نظيرة لها فى المعنى ، وليس ما يمنع منها

وهناك نمط ثالث من المآخذ يرجع إلى الخلاف على الرسم ، وما نحب أن يطول الجدل حول هـذا ، إذ كانت قواعد الرسم

لم تتقرر بعد على أصل ثابت . وقد أخذ علينا الأستاذ الناقد أننا رسمنا التواطؤ مرة بالواو وأخرى بالياء ، ولعله حسب ذلك اضطراباً وتهافتاً ، مع أن كلا منهما يخضع لقاعدة من قواعد الهمزة المتطرفة ، على ما تنص عليه بعض المذاهب من أن الهمزة المتطرفة المكسورة ترسم ياء مطلقاً ، والمضمومة ترسم واوا إذا كان ما قبلها مضموماً . وكذلك جاءت كلمة « التواطؤ » مرفوعة في (ص ٢٤ س ١٦) : « لا يمكن في مثله التواطؤ » ومجرورة في (ص ٤٠ س ١٩) : « وقام مجيء الأخبار من غير تواطيء ولا تشاعر مقام العيان » ، فالحالتان كما نرى مختلفتان

ومن هـذا الباب أيضاً تخطئته رسم كلمة « غِنا » بالألف فهي ـ فيما يقول ـ مقصورة ترسم بالياء ، وممدودة ترسم بالألف والهمزة ، وهي هنا مقصورة بدليل كسر أولها ، فيجب أن ترسم بالياء ، ولـكن لهذه الـكلمة في عبارة الجاحظ اعتباراً آخر ، فهي ليست مقصورة فقط ، ولـكنها مقصورة منونة ، أثبت التنوين في آخرها كما أثبت الـكسر في أولها ، وهذا هو موضعها (ص ١٨ س ٩) : « والإفراط في جر المنفعة غِناً لمن أفرطت في نفعه عنك » وقياس أبي عثمان المازني أن مثل هذا يرسم بالألف . فإذا علمنا أن من علماء الرسم من يرى أن يكتب الباب كله بالألف على الأصل كان في هـذا ما يعضد رأى المازني في المنون

وإذا كان الخلاف في مثل هـذا يستحق التأمل والوقوف عنده ، فالخلاف في كلمة « السوء » في قوله الجاحظ (ص ٣٠ س ٤) : « فتحرز من دخلاء السوء ومجالسة أهل الريب » أهي بالضم أم بالفتح خلاف لا جدى له ، فرد الـكلمتين في المعنى واللفظ واحد ، وإحداهما اسم والأخرى مصدر ، وما يذكر بينهما من فروق ليس هنالك . وقد قرىء بهما في كثير من آيات القرآن الـكريم ، كآية التوبة : « عليهم دائرة السوء » وآية الفرقان : ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء » ، وآية الفتح : (الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء) إلى غير ذلك من الآيات

وبعد ، فإن شكرنا للأستاذ الناقد لا ينقضي لهذا التوجه الـكريم إلى (مجموع رسائل الجاحظ) ولما جاء في مقاله من نقد عبقري بصير ، كما في كلمة (المذابيع البذر) (٤٥ : ١) ، ولما نبه عليه من أخطاء مطبعية ، ككلمة (مَصاوِع) (٦٣ : ٧) وكلمة « السرف » (٦٤ : ١) ، وكلمة (يذب) (١٠٣ : ٧) وإنا لنأسف أشد الأسف لوقوع مثل هذه الأخطاء على شدة حرصنا أن يخلو هذا المجموع منها

ولـكن أشد هذه الأخطاء التي نأسف لهـا أسفاً يعتلج في القلب ورود هذه الـكلمة (نسيسا) (١١٧ : ١٤) على هذه الصورة الممسوخة ، في أبيات مشهورة . رويت في أمهات كتب الأدب العربي لحماسة أبي تمام وذيل الأمالي لأبي علي والأغاني . وقد ظن الأستاذ الناقد أنها مصحفة عن « نفيسا » ، وهذا ولا ريب تصحيح طيب ، ولـكنه مرتجل . وصواب الـكلمة عندنا (قشيبا) ، كما جاءت في رواية أبي علي القالي :

وإذا اكتسى ثوباً قشيباً لم أقل يا ليت أن علي فضل ردائه

وبعد ، فهذه كلمات نرجو أن نكون قد أنصفنا بها أنفسنا وأنصفنا بها الحقيقة ، وأنصفنا فيها أستاذنا الناقد الجليل ، والسلام عليه ورحمته وبركاته .

محمد طه الحاجري

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٢٨ — فهذا تمام السكتخدانية

في (تاريخ الطبري) : قام الدهقان (في المهرجان في بلخ سنة ١٢٠) خطيباً فقال : أصلح الله الأمير (يخاطب عامل خراسان أسد بن عبد الله القسري) : إنا معشر العجم أكلنا الدنيا أربع مئة سنة ، أكلناها بالحلم والعقل والوقار ، ليس فينا كتاب ناطق ، ولا نبي مرسل . وكانت الرجال عندنا ثلاثة : ميمون النقيبة أينما توجه فتح الله على يديه ، والذي يليه رجل تمت مروءته في بيته ، ورجل رحب صدره ، وبسط يده فرُجي . وإن الله جعل صفات هؤلاء الثلاثة فيك أيها الأمير ، وما نعلم أحداً هو أتم كتخدانية منك . إنك ضبطت أهل بيتك وحشمك ومواليك ، فليس منهم أحد يستطيع أن يتعدى على صغير ، ولا كبير ، ولا غني ولا فقير ، فهذا تمام السكتخدانية[1] ثم بنيت الإيوانات في المفاوز فيجيء الجائي من المشرق والآخر من المغرب فلا يجدان عيباً إلا أن يقولا : سبحان الله ! ما أحسن ما بنى ! ومن يمن نقيبتك أنك لقيت خاقان وهو في مئة ألف فهزمته وفللته . وأما رحب صدرك وبسط يدك ، فإنا ما ندري أي المالين أقر لعينك : أمال قدم عليك ، أم مال خرج من عندك ؟ بل أنت بما خرج أقر عينا . فضحك أسد وقال : أنت خير دهاقين خراسان ، وناوله تفاحة كانت في يده

٥٢٩ — سبب ذلك التباين تفاضل القرائح

في (الوَساطة) للجرجاني : قدم مكة أيام مُقامي بها شيخ بدوي من بني عامر بن ربيعة يدعى مُطرِّف بن سفيان فأنشدنا قصيدة مدح بها جعفر بن محمد الحسني ، وجدتها متنافرة الأبيات بين عين نادر ، ومتوسط متقارب ، وضعيف ساقط ، فكنت كالمتعجب لما أراه من اضطرابها وظهور تفاوتها . وامتحنت الشيخ فوجدت شعره إلى الضعف ما هو . فبينما نحن كذلك إذ أتانا بعض أصحابنا فسألناه عن العامري فأنبته معرفة ، وذكر أنه حضر الحي وقت تأهبه للوفادة فرآه في نادي القوم وقد جمع فتيان الحِلّة[1] فقال : إن شيخكم يريد امتداح هذا الشريف بمكة فزوّدوه ، فزوده كل منهم البيتين والثلاثة ، ثم نظمها قصيدة ، وإذا سبب ذلك التباين تفاضل القرائح واختلاف الأفكار والهواجس

(١) تمام السكتخدانية : تمام السؤدد . والسكتخدانية فارسية . وقد راجعت في ترجمتها في هذا المقام العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام ، فوافق على السؤدد

٥٣٠ — العامة

قال ابن الجوزي : مر بعضهم بقوم على رجل يضربونه ، فقال لرجل يجيد ضربه : ما حال هذا ؟

فقال : والله ما أدري ما حاله ، ولكني رأيتهم يضربونه فضربته معهم لله وطلباً للثواب[2] ...

٥٣١ — بيت بثلاث قصائد مختارة

قال عبد الله بن محمد بن جرير : أنشدت أبا تمام قصيدة علي ابن جبلة البائية فلما بلغت إلى قوله :

وردّ البيض والبيض ... إلى الأغماد والحجب

اهتز أبو تمام من فرقه إلى قدمه ثم قال : أحسن والله ! لوددت أن لي هذا البيت بثلاث قصائد من شعري يتخيرها وينتحلها مكانه

٥٣٢ — علم وأمعية

في (الأغاني) : قال ابن المعتز : حدثني محمد بن موسى قال : اصطبح المأمون يوماً ومعه ندماؤه وفيهم محمد بن حامد وجماعة المغنين وعريب[3] معه على مصلاه . فأومأ محمد بن حامد إليها بقبلة ، فاندفعت تغني ابتداء :

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة ... كحاشية البرد اليماني المسهم[4]

تريد بغنائها جواب محمد بأن تقول له : (طعنة) فقال لها المأمون : أمسكي ، ثم أقبل على الندماء فقال : من فيكم أومأ إلى عريب بقبلة ؟ والله لئن لم يصدقني لأضربن عنقه . فقام محمد فقال : (أنا يا أمير المؤمنين) أومأت إليها ، والعفو أقرب للتقوى . فقال : قد عفوت . فقال : كيف استدل أمير المؤمنين على ذلك ؟ قال : ابتدأت صوتاً وهي لا تغني ابتداء إلا لمعنى ، فعلمت أنها لم تبتدئ بهذا الصوت إلا لشيء أومئ به إليها ، ولم يكن من شرط هذا الموضع إلا إيماء بقبلة ، فعلمت أنها أجابت بطعنة

(١) الحلة : القوم النزول ، مئة بيت ج حلال (اللسان)

(٢) قال الصاحب : رأيت يوما جماعة مجتمعين على رجل يضربونه ويقولون : يجب أن يقتل ، فسألتهم ما فعل ؟ فقال كل : لا أدري

(٣) كانت عريب مغنية محسنة ، وشاعرة صالحة الشعر ، وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام ، ونهاية في الحسن والجمال والظرف وحسن الصورة وجودة الضرب ، وإتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والأوتار والرواية للشعر والأدب (الأغاني) (٤) يعني بالرامي كليب



بعض رواد الأقصوصة المصرية

١ — أقاصيص من القهوة ٢ — شباب قلب

للأستاذ دريني خشبة



سعدت هذا الشهر بهديتين من أمتع الهدايا التي أوحت إلى موضوع هذا المقال، وهما مجموعتان من الأقاصيص، أولاها مصرية، والأخرى مصرية سورية، وصاحب المجموعة الأولى وأقاصيص من القهوة، هو شاب من خيرة شباننا العصاميين، ليس أستاذاً في جامعة، ولا مدرساً في مدرسة، ولا محرراً في صحيفة ... إنه شاب ممن آثروا الأعمال الحرة فنجحوا فيها لأنهم لم يستحيوا منها ... إنه صاحب قهوة في مدينة دمنهور. إنه صديقي الأستاذ عبد المعطى المسيرى الذى قدمه للقراء في الأمة العربية قاطبة الدكتور طه حسين، منذ عشر سنوات أو نحوها، بمناسبة كتيبه القصصي الجميل «الظامئون»، الذى أهداه إلىّ في ذلك الحين، فكان القطرة الأولى في كأس إخائنا المتين. والأستاذ المسيرى قاص هادئ، يجرى على فطرته، غير متأثر بأحد من كتاب القصة أو الأقصوصة في مصر أو في غيرها، وإن خُيل إليه هو أنه صدى لهؤلاء القصاصين، وهذه إحدى النواحي الضعيفة فيه

كذلك من نواحي الضعف الشديد في الأستاذ المسيرى أنه يبالغ في الاستخفاف بمنزلته في عالم القصص. فهو يتمنى أن تنشر له إحدى المجلات الممتازة شيئاً من هذه الأقاصيص التي ينشئها، ثم يطويها حتى يأذن الله فينشرها في إحدى مجموعاته. ولست أدرى إن لم تنشر مجلاتنا هذا النوع الرفيع من القصص، فماذا عساها أن تنشر؟ أخشى أن يكون الأستاذ المسيرى قد ترجم لنا عن مكنونات نفسه في تلك القصة الجميلة الثالثة التي أرسلها إلينا والتي طلبت فيها البطلة إلى البطل أن يكون أديباً ذائع الصيت ملحوظ المكانة في عالم الأدب، لأنها تمنى نفسها بأن تراه كذلك. وأخشى أن تكون القصة «عمتى» التي قلد فيها الأستاذ المازنى هي تاريخ قصير لحياة المسيرى نفسه. فالطفل الذى توفيت أمه ووكله أبوه إلى عمة الطفل لتنشئه على هذا التخويف المستمر بالعفاريت و (البمابع) لابد أن ينشأ على استعظام كل شيء واسترهابه، وإن خيل إلى الأستاذ المسيرى أن الوالد اللبق استطاع أن ينقذ ولده من عقابيل ما صنعته العمة المحترمة ...

إن هذه الأخطاء اللغوية التي يعترف الأستاذ بورودها في مجموعته وذلك في المقدمة لا تنقص من قيمة أدبه وفنه مطلقاً، وإن كنت أبغض أشد البغض أن يتهاون أحد من الكتاب أو أن يغض من أمر اللغة. وبالرغم من ذلك، فأقاصيص من القهوة، هي من أمتع ما قرأت من مجموعات القصص المصرى الحديث، وهي شيء يبشر بمستقبل باهر ونضج قريب للأقصوصة المصرية التي هي ظاهرة من أقوى ظاهرات الأدب وأحبها إلى القلوب؛ فأقصوصة (حلة العيد) و (الحاج بكار) ثم قصة «الحياة في القهوة» لا تقل عن أبدع ما أنشأه تشيكوف وأندرييف وجوركى من القصص القصيرة. وليس هذا كلاماً نلقيه على عواهنه، فلمن شاء أن يقرأها وأن يرى بعد ذلك رأيه فيما نقول ... وسأذكر دائماً أن ميزة الأستاذ المسيرى هي قدرته على تحديد هدف القصة، وخلق موضوعها خلقاً كاملاً طريفاً

***

أما المجموعة الثانية «شباب قلب» فهي للأستاذ الصديق حبيب زحلاوى المعروف بسعة اطلاعه على طرف الأدب الغربى وقدرته على تمييز جيده من رديئه. والأستاذ زحلاوى من أدبائنا العصاميين أيضاً، فهو — كالأستاذ المسيرى ليس أستاذاً في جامعة، ولا مدرساً، ولا محرراً صحفياً ... لكنه من الشباب الذين آثروا الأعمال الحرة، وهم مع ذلك من رجال الأدب، فإلمامهم بالحياة — مصدر الأدب الأول، ومعين المعرفة الذى لا ينضب، ونبع التجارب الذى لا يغيض، هو إلمام الأديب الفيلسوف الناقد الذى يستطيع أن يرد كل شيء إلى أسبابه، وأن ينفذ إلى علل الأشياء، فيجلوها ويبسطها تبسيطاً عجيباً ... وشباب قلب كما قدمنا مجموعة من الأقاصيص التي تشبه

المرآة السحرية ، تنظر فيها الحسناء السورية ، فترى فى المرآة حسناء مصرية ... وقد يحدث العكس . وإذا صح أن نشكر رذيلة من رذائل الماضي ، فنحن نشكر للعسف العثمانى فى أسود عصوره الخالية مطاردته للأدباء اللبنانيين والسوريين لتنال مصر نصيبها الأوفى منهم ، فقد ولى معظمهم وجوههم شطر مصر ، فأووا منها إلى ركن أمين ... ولله حبيب إذ يقول :

« طوتنى مصر كما طوت الآلاف من الناس الذين وفدوا مثلى عليها ، فأقلمتنى بإقليمها ، ونفخت فى روحها ، وألهمتنى وحى بيئتها ، فصيرتنى كأحد أبنائها ، أقوم بالواجب المفروض بمثل ما يقوم به كل مصرى مخلص حر . ولما كنت أعود بذاكرتى صوب الشآم ، مسقط رأسى ومهد حداثتى ، كنت أحس بالحرمان يمزقنى ويكبت روحى ، وأشعر بالواقع يسترضينى ويتودد إلىّ ... حقاً لقد علمتنى مصر أن أرى فيها وطنى وأهلى ، ولقد تعلمت منها كيف أبادلها جميلاً بجميل ووفاء بوفاء . لقد علمتنى كيف أحبها و كيف أحافظ على حبي مسقط رأسى ومهد ذكرياتى ، و كنت أصيخ بسمعي دائماً إلى أنات قومى وأوجاعهم وأسمى جهدى إلى مزجها بأنات إخوانى المصريين الموجعين !.. »

هذه آيات الوفاء ينبض بها قلب مخلص وفى ... ونحن والله نرد التحية بأحسن منها ، ونشكر القادر التى وحدت آلامنا وأمانينا حتى أثمرت هذا الثمر الجنى ...

ثم ما أجمل بعد هـذا شعاب قلب ! إنها أرواح صداحة تملأ الكون شعراً وجمالاً وموسيقاً ، وإن غسلته بالدموع أحياناً ... إنها صور وافرة تزدحم بها السطور ازدحاماً عجيباً ، فهذه الفكرة تدفع فى ظهر تلك ، وتلك تأخذ بتلابيب التى بعدها ... فهلا انتظمت جميعاً فى قصيدة رائعة واحدة ؟ ! إنها شعاب قلب حقاً ... بل هى قطع من قلب معذب ، ونفس حائرة ، تجيد الغناء والبكاء والضحك ، كما تجيد النفاذ إلى قلوب المحبين ونفوس الموجعين ومُهَج الحزانى ...

ولـكن ... وآه من لـكن الملعونة هذه !

ما هذا اللغو يا صديقى الذى لغا به صاحبك فى أقصوصة الآباء البيض ! ومن زعم له أن لا فائدة من علوم الـكهنوت للذين يتهيأون لأن يطلوا على أرجاء الحياة السحيقة من كُوّات الدين ، وأن علوم الدين على وجاهتها وقداستها تغل العقول وتضيق الأذهان وتبلد طبيعة الرجولة فى الإنسان ؟ ...

وما هذه الأحلام المزعجة عن خيانات الأزواج والزوجات ؟ وفيم كل ذلك العنف وكل تلك الألوان الصارخة ... حيث كانت الألوان الرمادية ، والألوان الصافية ـ الألترامارين ! ـ ألطف وأحرى وأنسب ؟ أما النادى الشرقى ، فقضيته فى مجموعتك البديعة لا تقام إلا فيه ، لأن فيه قضاتك . وأما اللغة وأغلاطها الكثيرة التى نبهك إليها الأستاذ العقاد فى المقدمة فهى سوءة لا تغتفر لك

دريني خشبة

أبطال الإسلام : لمحمود نصير بك

فى هذا الكتاب أربع وعشرون ترجمة لأربعة وعشرين بطلاً من أبطال الإسلام اختارهم المؤلف الفاضل ليعرضهم عرضاً تاريخياً ؛ ليكون للأمة الإسلامية فى كل بقعة من الأرض من سيرهم وروائع بطولتهم مثل تدفع الأبناء إلى التأسى بالآباء ؛ وتحفزهم إلى العمل على استكمال عدتهم ، لتتم لهم كرامة هـذه الأمة العربية التى خرجت من ثنيات الوديان وكثبان الرمال ومضارب الصحراء ، إلى الممالك العريقة ففتحتها ونشرت عليها راية الإسلام ، وبثت فيها تعاليم القرآن .

وهذا المقصد الكريم هو الذى دعا محمود بك نصير فى سنة ١٩٢٤ إلى نشر تلك التراجم تباعاً فى جريدة اللواء المصرى ؛ وهو الذى دعاه فى سنة ١٩٤٤ إلى جمع تلك التراجم فى كتاب واحد ، حتى يكون الرجوع إليها سهلاً ؛ والاستئناس بها ميسوراً

لقد عبت فى كلمة سابقة من « الرسالة » وفى هـذا الموضع بعينه على من يجدون فى رجال الغرب وفى معارك الغرب مجالاً لأقلامهم وميداناً لكتابتهم ؛ فعندنا فى تاريخ الإسلام والعرب من تفخر بهم البطولة ، وتعتز بهم الرجولة ، وتزهى بهم المواقف ، وتتباهى بهم المعارك . وفى (القادسية) (واليرموك) (وذات الصوارى) وفى (عمر) (وسعد بن أبى وقاص) (وخالد بن الوليد) (والنعمان بن مقرن) شواهد من الخبر

ولقد أنصف صديقنا محمود بك نصير حين أنصت لدواعى دينه ، ودوافع إيمانه ، فأرضى ربه وقومه وإسلامه بهـذا الكتاب الكريم .

محمد عبد الغنى حسن



٢ الشعر الجديد

لم يذهب عنى ، إذ كتبت مقالي السابق [١] ، أن التجدد من سنن الكون النافذة ، وأنه من طبائعه الدائبة ، وأنه سار في كل شيء ، حتى المعاني التي في النفوس ، والفكر التي في العقول ، بل هو قوام الحياة وسر البقاء

لقد رأينا الشعر العربي يتجدد منذ القدم ويتطور ، ويتغير ويتحول ، ويساير مختلف البيئات ، ويتابع متعاقب العصور

فهل عبر الأعراب الأولون عن أغراضهم وميولهم كما كان يعبر سلائلهم من بعدهم ؟ وهل تصرف شعراؤهم الأقدمون في فنون القول كما كان يتصرف محدثوهم ؟

ألا ترى إلى الشعر قبيل الإسلام كيف صفت ديباجته ، وندر فيه الحوشي من اللفظ ، والمتعقد من التركيب ، والنافر من المعنى ؟

إن العرب إذ ذاك كانوا قد خالطوا من جاورهم من الأمم المتمدينة ، بالتجارة والرحلة ؛ فاستعاروا منهم كثيراً من الألفاظ والمعاني ، فتطعم [٢] لسانهم شيئاً جديداً ، وتذوق فنوناً طريفة ، امتزجت كلها ، فخرجت ألواناً عذبة ، وطعوماً سائغة

ثم كان الإسلام ، فقلب أوضاع الحياة العربية ، وكانت متهيئة لهذا الانقلاب ، كما هو شأن الحوادث الجسام في التاريخ لا تولد فجاءة ؛ وإنما تعمل أسبابها في الخفاء ، فتمهد للفورة .

وكان القرآن الكريم ، فاجتمع هذان العاملان على أن يجددا تجديداً لم يعهد من قبل - في لغة الحديث وفي الخطابة وفي الشعر

وكلنا يعرف ماذا كانت أغراض الشعر الجاهلي ؛ وكلنا يعرف أيضاً كيف عاد كثير منه في صدر الإسلام أسلحة سياسية ذات مضاء

وكذلك كانت حال الشعر — أو أبرز أحواله — في الدولة الأموية أو في معظمها

ثم تعاقبت العصور بعد ذلك وتتابعت الأحداث في البلاد الخاضعة للإسلام . وكان الشعر في خلال تلك الحقب يزدهر تارة ويذبل تارة . وربما أشرق في ناحية وخبا في أخرى في وقت معاً ، متأثراً في ذلك رقي البيئة أو انحطاطها ، وقيام العدل أو فشو الظلم ، واضمحلال الدولة أو عنفوانها

من هذه المثل الوجيزة - التي ما ادعينا أن ندلى فيها بعلم أو رأي جديد - نرى أن الشعر من حيث أنه كائن خاضع لمؤثرات شتى ، في تجدد مستمر وتقلب وتحول . فلكل بيئة لونها ونتاجها لا شك في ذلك . والبيئة - كما يقول علماء التربية - تشمل كل مؤثر أيا كانت طبيعته

فهكذا يجب أن يفهم — في لغة الأدب — معنى التجدد ، لا كما يوهمنا هؤلاء الأدعياء الذين أشرت إليهم في مقالتي السابقة ، أولئك الذين سنحاول فيما يلي من حديثنا تصوير مذهبهم في القول ، وإن كنا قد أخذنا على أنفسنا ألا يتخلل كلامنا ما ينم على أشخاصهم بلفظ أو إشارة ، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا

لقد تكون هذه المحاولة شاقة جداً ، لالتواء طرقهم ، واعتياص أساليبهم ، وتسترهم في تجديدهم وراء القعقعة والزخرف والترقيش

ولكنا سنحاول إن شاء الله . (ا . ع)

من الفلك القديم

ساق إلي الأستاذ إبراهيم السعيد عجلان في الرسالة عدد ٥٥٤ بعض أسئلة تتعلق باصطلاحات فلكية وردت في مقدمة ابن خلدون واستعملها العرب القدماء في مؤلفاتهم

وقبل الإجابة ألفت النظر إلى أن ابن خلدون لم يكن عالماً فلكياً ولا من الذين اشتغلوا بالرصد . وما جاء في مقدمته من معلومات وآراء في الفلك قد اقتبسه من فلكيي زمانه أو من الذين سبقوه من عرب ويونان ، ولم يكن من وضعه أو نتيجة لدرسه وبحثه .

وحين نعرض للآراء التي سأل عنها الأستاذ إبراهيم إنما نعرض للآراء التي كانت معروفة شائعة عند فلاسفة اليونان والعرب ومفكريهم في القرون المتوسطة وما قبلها

كان القدماء يعتقدون أن الأرض كرة قائمة في الفضاء

---

(١) عدد ٥٥٦ من الرسالة (٢) ذاق

على لا شيء ، وإنها مركز الكون تحيط بها الشمس والقمر والكواكب والنجوم دائرة دورة كاملة كل يوم من الشرق إلى الغرب جائمة من فوقها نهاراً ومن تحتها ليلاً

ولكل من الشمس والقمر والكواكب والنجوم فلك حول الأرض أى طريق دائرى يسير عليه . وهذه كلها تدور حول (الأرض) فى أفلاك ؛ فالقمر — وهو أقرب الأجرام إلى الأرض — يدور حول الأرض فى فلك هو أقرب الأفلاك . وفوق فلك القمر فلك عطارد ، ثم فلك الزهرة، ثم فلك الشمس، ثم فلك المريخ، ثم فلك المشترى، ثم فلك زحل، ثم فلك النجوم (١)

هذا ما كان يقول به بطليموس وغيره من علماء اليونان . وقد أخذ كثيرون من علماء العرب ومن قبلهم الرومان بهذا الرأى واعتمدوا عليه . ومن هنا يتبين أن المقصود من الفلك الأعلى هو فلك النجوم الثوابت وهو يسير من الشرق إلى الغرب وتتبعه فى ذلك سائر الأفلاك التى تحته أو التى فى جوفه

ومع أن كلا من الكواكب السيارة وغير السيارة خاضع لسير آخر خاص به لا محل لتفصيله ؛ فإنها على الرغم من ذلك تتحرك حول الأرض من الشرق إلى الغرب . وهنا يتجلى السبب فى استعمال [قهراً] أو [قسراً] كما وردت فى بعض الكتب الفلكية القديمة

ولقد عانى العرب ومن قبلهم علماء اليونان كثيراً فى تعليل بعض الحركات وفى تفسير بعض الظواهر الطبيعية على أساس ما أخذوا به واعتمدوا عليه فى جعل الأرض مركز الكون . وعجبنا كما عجب غيرنا كيف أن بطليموس وأضرابه من حكماء اليونان والرومان وفلكيي العرب والإسلام وفيهم البوزجانى والبتانى والبيرونى والصوفى والطوسى وغيرهم — وهم من ذوى الأدمغة الكبيرة — نقول كيف أن هؤلاء تمسكوا بهذا الرأى وكيف أن أفق تفكيرهم لم يصل إلى استجلاء حقيقته وكشف الخطأ فيه ، وأن عقولهم الجبارة لم تستطع أن تقودهم إلى معرفة حقيقة مكان الأرض من الكون

والواقع المقطوع به الآن أن الأرض جرم من الأجرام السماوية يدور حول الشمس ويخضع للنواميس والأنظمة التى تخضع لها موجودات هذا الكون ، وأنها (أى الأرض) سيار كبقية السيارات لا أكثر !

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

(١) البيرونى — كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم — مخطوط

دفاع عن البلاغة

(بقية المنشور على صفحة ٢٢٢)

أو الفن للفن كما يقولون ! وعلى الرغم من أن عدوى هذا الأدب قد انتشرت بين كثير من الأدباء ، فإنه لم يكتسب عندنا حق الوجود ؛ لأن كل شيء لا بدّ أن يُقصد من ورائه إلى غاية ، والكلام إذا لم يكن داع يدعو إليه كان لغواً وهذراً . أما أن يتخذ بعض الكتاب من عبارة (الحديث ذو شجون) ذريعةً لأن يسامحوا أنفسهم فى الكلام إذا عنّ، ولا يراعوا صحة دواعيه ، وإصابة معانيه ، فهذا ما نأخذه عليهم ، ولا نقبله منهم ، مهما افتنّوا فى اختلاق المعاذير له . ونصيحتنا لهؤلاء هى قول الشاعر :

إذا لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السداد سداد»

ونظن الأديب الفاضل يعنى فيمن يعنى صاحب (النثر الفنى) ، ولولا أن صديقنا المبارك يحتكر زعامة الصناعتين ، ويعتقد أن للسانه شعبتين ولقلمه سنَّين ، لاستأنفنا له الحكم ، وتولينا عنه الدفاع !

(الكلام بقية) احمد حسن الزيات

12me Année No. 559

Lundi - 20 - 3 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٥٩ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٥ ربيع أول سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٠ مارس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـرس

٢٤١	بين التخطئة والتصويب	الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٢٤٤	فلسطين	الأستاذ عمر الدسوقي .. ..
٢٤٧	الحديث ذو شجون	الدكتور زكي مبارك ... ...
٢٤٩	عبقريات أزهرية مدفونة .	الأستاذ دريني خشبة .. ...
٢٥١	الأنات الحائرة	الأستاذ راشد رستم .. ..
٢٥٣	محاورات الموتى	لكاتب الفرنسي برنار بوفيه بقلم الأديب يوسف روشا
٢٥٥	منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها	الأستاذ سعيد الديوه جي ...
٢٥٧	نقل الأدب	الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٢٥٨	الشعر الجديد	الأستاذ الكبير (ا . ع) ...
٢٥٨	« النقد » بمعنى المال ..	الأديب سعد محمد حسن ...
٢٥٩	كلمة إلى الأستاذ الكبير أحمد حافظ عوض بك ...	الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٢٥٩	في ديوان حافظ بك إبراهيم	السيد حسن عبد الله القرشي
٢٦٠	« أبو شوشة والموكب » لمحمود تيمور بك	... ...

بين التخطئة والتصويب

للأستاذ عباس محمود العقاد

نبهني فاضل من علماء الأدب والتاريخ عندنا إلى كلمة « الأموية » نسبة إلى الأم في كتاب « الصديقة بنت الصديق » وقال لي إن النسبة إلى أم « أمي » على حسب القياس ، فهل عدلت عنها لعلة ؟

وكان تنبيهه هذا تنبيه العالم الذي لا يقطع بالقول قبل أن يسمع مختلف الأقوال ، فكان منبهاً ومصححاً ومستفهماً في انتظار البيان والجواب في وقت واحد

والواقع أن « الأمي » نسبة إلى « الأم » هي القياس الشائع الذي لا خلاف فيه ، ولكن الأموي ليست بخطأ ولا هي بخلاف يأتي به مجرد الإغراب وفضول القول ، لأن الحاجة ماسة إلى التفرقة بين معنى الأمي الذي شاع على الألسنة والأقلام للدلالة على الجاهل بالقراءة والكتابة ، ومعنى الأمي الذي يدل على عواطف الأمومة والنسبة إلى أحد الأبوين

ولا خطأ في ذلك من جانب اللغة والقواعد النحوية ، لأن « الأم » أصلها أمه وأمهة ، وليس هذا الأصل مأخوذاً من تقديرات النحاة والصرفيين التي لا دليل عليها من التواتر المنقول ، ولكنه مأخوذ من اللغة المستعملة في الخطاب والشعر

من كلام المذكورين قبيل الإسلام ، ومن ذلك قول قصى ابن كلاب بن مرة جد النبي عليه السلام :

إنى لدى الحرب رخى اللبب معتزم الصولة عالى النسب
أمهتى خندف والياس أبى

فإذا قلبت الهاء واواً كما تقلب فى سنه وسنوى وشفه وشفوى وعضه وعضوى ، فليس فى ذلك خلاف للمأثور ولا المنصوص عليه ، وفيه تيسير للتفرقة بين المعنى المقصود بالأمى والمعنى المقصود بالأموى على الاعتبار الذى قدمناه

يذكرنى مجال التخطئة والتصويب في اللغة بقول بعض الحكماء : (إن قليلاً من البحث يؤدى إلى الإلحاد ، ولكن الكثير من البحث يرد الملحد إلى الله)

فهذا الكلام بعينه يمكن أن يقال عن التخطئة فى اللغة والأخلاق والتفكير وعن كل تخطئة تحتمل الوجوه المتعددة من الآراء ، لأن التخطئة مهلة ولكن الدلالة على مراجع الصواب هى التى تشق على الأكثرين ، وكذلك يسهل إيجاد الذنب على من شاء ولا يسهل إيجاد العذر إلا على من خبر الدنيا وسبر الأخلاق وعرف طاقة النفوس وأغوار الطبائع والأخلاق

هذه حقيقة لا يحتاج العالم إلى التذكير بها لأنه يذكرها أبداً ولا يزال شعاره بين شبهات الخطأ والصواب : « وفوق كل ذى علم عليم »

ولكن الذين يحتاجون إلى التذكير بها هم أولئك الأدعياء الذين يقحمون أنفسهم فيما ليس لهم ، ويخوضون عباب التخطئة والتصويب وليس عندهم من الزاد إلا محصول الفهارس والمناوين وجزازات اللامين والجامعين

ومن هؤلاء دعى المقتطف الذى يجترىء على التخطئة فى لغة العرب ، وهو يقرأ ما أمامه بهذه اللغة فلا يفهمه ولا يخلص منه إلى ظاهر معناه ، فضلاً عن باطنه الذى تتجه فيه الأذهان كل اتجاه

فهذا الدعى ينكر أن نقول : « آداب العرب النسائية » لأنه قرأ أن سيبويه نبه على أن النسبة إلى نساء نسوى ... ويفوته أن سيبويه يتحدث بمذهب البصريين وحده ، كما يفوته أن يرجع إلى بنية اللفظ وإلى قواعد اللغة ، فإن حكم نساء هو حكم نسوة ونسوان بغير اختلاف ، أياً كان القول فى نساء سواء أصح أنها للكثرة أم صح أنها جمع نسوة إذا كثرن ، وكلاهما لا يغير الحكم النحوى أقل تغيير

فمن الخطأ «أولاً» أن يقال أن نساء لا تستعمل إلا للكثرة لأن القرآن الكريم يقول : « يا نساء النبى » وهن تسع ولا نزاع في أن القرآن مرجع لغوى يؤخذ به قبل كل كتاب

وقد جاء فى شعر الربيع بن زياد :

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً يندبنه بالصبح قبل تبلج الأسحار

فالنساء بمعنى النسوة فى الكثرة أو القلة ، تحل إحدى الكلمتين محل الأخرى وتعطى حكمها بلا اختلاف

على إننا نفرض بعد هذا أن النساء لا تقال إلا للكثرة وهو فرض بعيد ، فما دخل الكثرة فى الحكم النحوى بالغاً ما بلغ الفرق بين عدد النساء القليلات أو النساء الكثيرات

بل نحن نذهب فى الفرض وراء ذلك فنقول أن نسوة جمع امرأة من غير نوع الكلمة ، وأن نساء هى جمع نسوة ، فلماذا تمتنع النسبة إلى الجمع وهى جائزة فى مثل هذا المعنى

ألا يقال الأنصارى والأعرابى إذا أنزل الجمع منزلة القبيلة الواحدة ؟ ألا يقال النسائى إذا أنزل الجمع هنا منزلة الجنس الواحد ، ولم يكن المقصود به نسوة محدودات ؟

إنما أتى صاحبنا هنا من علم الفهارس الذى يتخطف أوائل الكلام ولا يتعداه إلى مواضع التوسع والإفاضة

وإذا كان الفهرس قد دله على تنبيه سيبويه ولم يدله على شىء آخر فالذنب على الفهرس المسكين لا عليه

كذلك قلنا فى كتاب « الصديقة بنت الصديق » أن الاختلاف يتراوح بين السنة الرابعة والسنة السادسة ، فرجع صاحبنا إلى الجزازات فوجد أن « الإمام اليازجى » يقول إن التراوح غير هذا ويتابعه على قوله بعض الباحثين الفضلاء

لكن المراوحة بين العملين فى جميع معجمات اللغة هى « أن يعمل الرجل هذا مرة وهذا مرة » ، أو يقول هذا مرة وهذا مرة ، والمراوحة بين الرجلين هى أن يقوم على كل مرة ؛ وبين الجنبين هى أن يتقلب من جنب إلى جنب

فإذا قلنا على هذا أن الاختلاف يتراوح بين السنة الرابعة وبين السنة السادسة فذلك صحيح ما دام الاختلاف هنا هو

الفاعل الذى يقول مرة بسنة من السنين ومرة بسنة أخرى ، فهو يتراوح بين القولين تارة إلى هذا وتارة إلى ذاك

ويكون صاحبنا إذن قد عرف الجزازات والفهارس ولم يفهم معنى اليازجى ولا معانى المفرقين بين المراوحة والترجح ، لأن الترجح انتقال دائم ، أما المراوحة فهى ثبوت فى حالة من الحالات ثم ثبوت فى حالة أخرى ، وهذا هو المقصود بما ذكرناه

ولكن هذا الكلام إنما يفهم بدماغ ، ومن أين للفهارس والجزازات دماغ ؟

***

وأعجب من هذه التخطئة وما شابهها فى اللغة تخطئة فى الجمع والطرح يحسبها ذلك الدعى من علم الجامعات ، وهى لا تعدو علوم المدارس الإلزامية وكتاتيب القرى ، إذا كان قصاراها أن « ١٤+٢=١٦ » كما أراد أن يقول بعد مجهود فى الإحصاء والتعديد

فنحن حين عرضنا لسن السيدة عائشة رضى الله عنها عند بناء النبى بها لم نقل إننا حصرنا سنها بشهادة الميلاد ، ولا كان يعنينا أن نحصرها بتلك الشهادة أو بغيرها

وإنما عنانا أن نبطل قول القادحين فى النبى أنه عليه السلام بنى ببنت صغيرة لا تصلح للزواج ، وقد أبطلنا ذلك بالأدلة التى لا نكررها هنا لأننا فى غنى عن هذا التكرير

فإذا جاز مثلاً أن تكون سنها ست عشرة سنة فى أيام غزوة بنى المصطلق ولم يكن ذلك قولاً قاطعاً لا تردد فيه فسبب ذلك أن غزوة بنى المصطلق يتراوح القول فيها بين السنة الرابعة والسنة السادسة ، ولا ضرورة لتكرير الشك فى عدد السنين كلما عرضت لنا مناسبة لاختلاف التواريخ

إنما هذا هو علم الفهارس والجزازات الذى لا يعنينا ولا نلتفت إليه ، ونحن لم يفتنا تحقيقه لأن جمع « ٢ + ١٤ » عسير علينا أو على جامع أو طارح فى أصغر المدارس الإلزامية ، ولكننا تركناه للتقدير والترجيح إذ كان القطع فيه غير مستطاع ، وإذ كان تكرير الاحتمالات كل مرة عبثاً لا يدعونا إليه داع

ويحسبنا أن نعلم أن عائشة خطبت قبل خطبتها للنبى ، وأن الذى خطبت له كان من المشركين — يحسبنا أن نعلم هذا لنعلم أنها خطبت قبل الدعوة الإسلامية وأن أبا بكر لن يزوج بنته بعد الدعوة الإسلامية لرجل يكفر بدينه ، وهو البرهان الراجح على أنها حين خطبت لمحمد عليه السلام وبنى بها بعد الخطبة بسنوات قد كانت فى سن صالحة للزواج

تلك هى الحقيقة التاريخية التى تحتاج إلى بحث وتنقيب وموازنة للوقائع والتواريخ . أما (١٤ + ٢ = ١٦) فهى كما أسلفنا من حقائق الكتاتيب الإلزامية لا من حقائق السوربون ولا من حقائق المدارس التى تجاوزت أوائل دروس الهجاء والحساب

***

على أن التخطئة فى المنطق أصعب من التخطئة فى اللغة والحساب ، ولهذا كان فهم هذا الدعى وأمثاله لطريقتنا فى الاستدلال فهماً يشوبه العى والغباء ، كما يشوبه سوء الذوق وسوء التعبير

فنحن لم نقل إن الخطأ بعيد عن السيدة عائشة لأنها مؤمنة بالله ونبيه ، فهذا دليل رخيص لا نتنزل إليه ولا ندين أحداً به ولو كان من المسلمين . وما قال أحد أن المؤمن معصوم من الخطأ وقد طال البحث بين أناس فى عصمة الأنبياء

كلا . نحن لا نعتمد يوماً من الأيام على دليل يقبله المسلم ويرفضه غير المسلم ، ولا على دليل يأخذه من يشاء ويرفضه من يشاء ، ولو أجزنا ذلك لأنفسنا لأثبتنا آيات القرآن الكريم فى تبرئة السيدة عائشة ووقفنا عندها مكتفين بها أو متوسعين فى شرحها ، ولكننا كما يعلم قراء كتابنا قد أشرنا إلى تلك الآيات حين أشارت إليها السيدة عائشة ولم نزد على الإشارة بقليل ولا كثير

إنما دليلنا على براءة السيدة عائشة أنها إن كانت قد أخطأت - وبرأها القرآن - استحال عليها أن تؤمن بالكتاب وأن تصدق بأنه وحى من عند الله ، وأيسر شىء عليها إذن أن تخترع الأحاديث على النبى عند مسيس الحاجة إلى الاختراع ، وأى حاجة إلى الاختراع أمس من لجاج الخصومة بينها وبين على أو بينها وبين عثمان ، بل أى حاجة إلى الاختراع أمس من تشيعها

فلسطين ... !

للأستاذ عمر الدسوقي

جهاد مجيد

لبيك يا فلسطين لبيك !

إن ما سطرته فى سفر الجهاد والبطولة ، وما ضربته من المُثُل الرائعة الجليلة ، منذ حلت بك المحنة ، ووفد عليك البلاء كان شآبيب الرحمة والغفران على أجداث آبائك الصِّيد الذين شادوا الدولة العربية قديماً ؛ وسيظل رمزاً نبيلاً لأبناء العروبة يثير حميتهم إذا ونت ، ويشحذ عزائمهم إذا فترت . فقد أبيت الضيم فى شمم وكبرياء ، ونهضت تذودين عن الحق المهضوم بقلب باسلٍ ذَمِرٍ يعاف الجنف والاستخذاء ، وكلما ظن الدخيل أنها جذوة نار عما قريب تخمد زادتها حرارة إيمانك ضراماً فبذلت النفوس بذل السماح ، فمن مات كان للوطن ضحية وقرباناً ، ومن عاش كان للشرف نموذجاً وعنواناً . لقد هزم صبرك المال وسطوته ، وقهر إيمانك الجيش وعدته . وقفت وحدك رَدَحاً من الزمن تذودين عن الحمى ، وتصونين العربية ، حتى عرف أبناء التاميز صدق جهادك وفقهوا كنه قضيتك ، فأصدروا كتابهم الأبيض ، وبه إقرار لبعض حقك على أن يكون لبنيك الغلبة فى ديارهم ، حكومة وعدداً ، وأن تقف الهجرة الصهيونية فى عامنا هذا

ثم انفجر مِسْعَر الحرب ولف أوارها العالم فى رِبْقته ، وأبينا إلا أن نقف مع خصومنا بالأمس موقفاً يمثل نفسيتنا العربية الكريمة فبسطنا لهم أكف الصداقة فى إخلاص لا تشوبه مداجاة أو رياء ؛ لعلمنا أنهم يدافعون عن الحريات المسلوبة ، ويقفون فى وجه الجبروت والبغى ، وعنجهية العنصر ، والسيطرة الفردية ؛ بل وبذلنا فى سبيل نصرتهم كل ما قدرنا عليه ، لم ندخر وسعاً ، ونألُ جهداً ، ولم نكن يوماً على ذلك بآسفين .

دعوى اليهود

وإن تعجب فعجب لقوم يريدون أن يغتصبوا دياراً يعمرها

لطلحة أو الزبير ورغبتها فى تقديم المسلمين إياهما وهى قادرة على تعزيز ذلك بكلام تعزوه إلى زوجها العظيم ويصدقه الأصدقاء والخصوم !

فإيمانها بالقرآن وبالأحاديث النبوية وتقديسها لحرمة تلك الأحاديث هو الدليل القاطع على براءتها من التهمة التى افتريت عليها . إذ هى لو كانت قد أخطأت وبرأها القرآن لكان إيمانها بالقرآن والأحاديث من المستحيلات ، واستحالة الإيمان هنا حقيقة مقررة يقبلها عقل المسلم ، ويقبلها عقل المسيحى ، ويقبلها عقل الملحد الذى لا يدين بدين

ومن ثم يخطىء الأستاذ المسلم - الشيخ محمد يوسف موسى - إذ يقول : « إنه استدلال أن صدقه من يرى لأم المؤمنين النزاهة والجلالة من أجل دينه فحسب فقد لا يصدق به من لم يكن كذلك »

لأن التصديق هنا قضية عقلية لا فكاك منها ... هل يقوم الدليل القاطع عند عائشة على أن القرآن برأها من ذنب جاءت به ثم تظل على إيمانها بالقرآن ؟

الجواب هنا من المسلمين وغير المسلمين : كلا . بل هو مستحيل ، وهذا هو الذى قصدنا إليه

وعلى ذكر الأستاذ المسلم - الشيخ محمد يوسف موسى - نرى من الواجب أن نعقب على كلامه ببعض التعليق المفيد

فهو يقول فى كلمته « إنى لم أتشرف بعد بصداقة الأستاذين ، ولكنى أعرف لكل منهما حقه من التقدير »

فإن فهم أحد من هذه الكلمة أن الشيخ محمد يوسف لا يعرفنا ولا علاقة له بنا فذلك فهم يحتاج إلى تصحيح

وتصحيحه أن الشيخ قد عرفنا ولقينا وأهدى إلينا كتاباً فى تاريخ الأخلاق وسألنا أن نكتب عنه وعاد إلى هذا الرجاء بوساطة من أصدقائنا ، فاعتذرنا إليه آسفين لأن وقت القراءة عندنا محدود فى هذه الأيام

ولا شك أن هذا التصحيح تعقيب مفيد على ما قال أو على ما يفهمه من كلامه بعض القارئين .

عباس محمود العقاد

أهلها منذ أربعة عشر قرناً بدعوى أنهم كانوا يقيمون بها قبل أن نضرب عليهم الذلة والمسكنة ويشردوا فى الآفاق ؛ مع أن دولتهم بها لم تزد عن قرنين !

وما ذنب العرب فى أن اليهود لا يجدون لهم وطناً يأوون إليه ؟ ولماذا تحل قضيتهم على حساب العرب وهم آمنون وادعون فى ديارهم التى نزحوا إليها فى الجاهلية ، وفتحها أسلافهم بحد السيف وطردوا منها الرومان فى الإسلام ؟

إن الذنب فى الواقع ذنب اليهود فهم لم يندمجوا يوماً ما فى الشعوب التى نزحوا إلى ديارها ، ولم يشاركوهم فى السراء والضراء ، بل ظلوا بمنأى عن ميادين الجهاد والتضحية ، وجل همهم ادخار الثروات والنفوذ ؛ وهـذا ما بغضهم إلى كثير من الأمم فاضطهدوا فى حقب التاريخ المتتابعة . ولو أخلصوا الأوطانهم التى أقاموا بها واتخذوا اليهودية شعاراً دينياً فحسب ما أساء إليهم أحد

سألت كثيراً من اليهود بانجلترا : هل يفضلون الهجرة لفلسطين على أن يسلبوا الجنسية الإنجليزية أو يؤثرون حالتهم الراهنة ؟ فكان جوابهم جميعاً : إنهم لا يرضون بغير انجلترا بديلاً . فإذا سألتهم : لماذا إذاً تعاضدون فكرة الوطن القومى ؟ أجابوا : « حتى إذا أسيء لنا هنا وجدنا بلداً نأوى إليه » . فإذا جادلتهم : إما أن تكونوا إنجليز وإما أن تكونوا يهوداً ؛ لأن الإنجليزى إذا أسيء إليه فى بلده لا ينتصل من جنسيته ولا يرحل عنها ، أرتج عليهم ولم يجدوا جواباً

إن دعوى اليهود فى فلسطين لا يبررها التاريخ ، ولا يؤيدها الواقع ولا يناصرها العدل ؛ وأولى لهم ـ إذا كانوا حقاً ينفرون من الاضطهاد أن يكونوا مواطنين أوفياء للشعوب التى آثروا الإقامة بينها ، يبذلون من أموالهم وأنفسهم وذكائهم وتجاربهم فى سبيل رفاهيتها وسعادتها ، ولا يبتغون من وراء ذلك مادة أو جاها شأن الوطنيين المضحين المخلصين ، وحينذاك لا يجدون من يجرؤ على قذفهم بالخيانة والجشع ، أو من يحاول التحريض عليهم وإرهابهم

وإن لم يكن فى قدرتهم التغلب على طبيعتهم التى زادتها القرون تمكناً والضرب فى الآفاق إرهافاً ، فالأجدر بهم أن يبحثوا عن بقعة أخرى من الأرض تضم شتاتهم ، وهم نيف وستة عشر مليوناً فى أرجاء المعمورة المتباينة . ولعل هؤلاء الذين يعطفون عليهم ويؤيدون طلبتهم فى إنشاء وطن قومي ، وفى طليعتهم « المرشال سمطس » ، وبعض شيوخ الولايات المتحدة يكونون صادقين فى حدبهم عليهم ورفقهم بهم فيقطعونهم منفسحاً من الأرض فى الدنيا الجديدة أو جنوب أفريقيا ، ويتركون فلسطين الصغيرة الوادعة الغاصة بأهلها الذين لا يريدون التخلى عنها أو يفنوا عن آخرهم

على أن فلطسين لن تحل المشكلة اليهودية فهي أضيق من أن تتسع لهم جميعاً مهما بالغوا فى مقدرة المدن الصناعية على استيعاب السكان . وأين يذهب العرب ؟ ولم يتركون أوطانهم وبيوتهم لغيرهم ؟ ولم يصيرون أقلية مستضعفة فى ظل دولة يهودية غريبة معتدية لهـا الأكثرية والحكم بعد أن كانوا هم أهل البلاد وأصحاب ثروتها منذ الفتح الإسلامى ؟

ثم إن هذه الدولة الصناعية ليست خطراً على فلسطين فحسب ولكنها ستكون نكبة على الشرق العربى كله ؛ لما لليهود فى العالم من رءوس أموال ضخمة وخبرة فنية وصناعية واسعة ستجعل من الشرق العربى سوقاً لسلعهم ، وتميت فيه الصناعات الناشئة ، ولن يكون أهله إلا أجراء أو مستهلكين ، والثمرة والمال لليهود المستغلين

ومن حجج اليهود الواهية المتداعية التى يخدعون بها بعض الساسة فى أوربا ادعاؤهم إنعاش فلسطين اقتصادياً منذ ابتدءوا ينزحون إليها ، وأن أجور العمال من العرب قد ارتفعت ، ومستوى الحياة قد ارتقى ، وكثيراً من الأرض اليباب القحلة قد

أصلح ، وكانت فلسطين قبلهم معدمة تغص بالمستنقعات ويعانى أهلها الجهل والفقر والغبن

على أن هذه الحجة غير صحيحة ؛ فلم يفد العرب شيئاً من أموال اليهود ونشاطهم وهم دوماً يؤثرون العمال من بنى جنسهم ويحملون مدنهم ومستعمراتهم ، ولا يتبادلون السلع مع العرب بل لا يشترون شيئاً منهم ، واستولوا على كثير من الوديان الخصبة المزروعة ، ولو كان ادعاؤهم هذا صحيحاً فالعرب يرفضون مدنيتهم ورفاهيتهم وأموالهم وصناعاتهم على أن تبقى لهم حريتهم الغالية ، ورحم الله عنترة حين قال :

لا تسقنى ماء الحياة بذلة بل فاسقنى بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أكرم منزل

إن صلة اليهود بفلسطين صلة دينية فقط ، وأما طمعهم فى جعلها وطناً قومياً يضم دولة يهودية فيجب ألا يفكروا فيها ، لأن فلسطين جزء من الوطن العربى الكبير ، ووجود دولة غريبة بجنسها ودينها ومشخصات قوميتها وسط هـذا الوطن خطر كبير عليه ، ومدعاة للشغب والاضطراب والفتن الدائمة ؛ ولن يرضى العرب بذلك أبداً .

ثم إن فلسطين عزيزة على العرب من مسلمين ومسيحيين ، ولهم فيها ذكريات غاليات ، وحرمات مقدسة ، بل إن المسلمين جميعاً فى كل صقع من الأرض يقدسونها ويعظمونها ، ولن تطيب لهم نفس أو يهدأ لهم بال إن غلب عليها اليهود

الوعى العربى

نحمدك اللهم على أن أفقنا أخيراً من سباتنا العميق ، وأخذنا نتآلف ونتآزر ، ونتشارك فى السراء والضراء بعد أن فرقتنا أيدى المطامع بدداً ، وبعد أن بحت أصوات المخلصين للوحدة العربية .

إننا نيف وخمسون مليوناً من الأنفس فى بقاع متصلة من خير الأرض وأمرعها وأغناها وأحسنها موقعاً ، تربطنا أواصر محكمة من اللغة والتاريخ والعادات والدم والدين والآمال والآلام ؛ وإذا لم تكن هذه الأواصر كفيلة بتكوين أمة متحدة متماسكة اقتصادياً وعلمياً وحربياً وسياسياً ، فلست أدرى أى شىء يكوّن هذه الأمة !!

كانت قضية لبنان اختباراً لمبلغ الوعى القومى عند الشعوب العربية ، والخروج من ميدان الكلام والإعداد إلى ميدان العمل والجهاد ، بيد أن قضية لبنان لم تكن من التعقيد مثل قضية فلسطين . وهنا ، سيتجلى إخلاصنا للقضية العربية ، ومبلغ صدقنا فى الجهاد وثباتنا أمام الصعاب ، وقدرتنا على تذليلها وتعبيدها . فإن وقفنا أمة واحدة تنطق بلسان واحد وكلمة واحدة لا تتغير ، ولا تفتر لنا عزيمة ، أو تلين لنا قناة فسننتصر ونخرج ظافرين من الاختبار بحول الله . وهى خطوة لها ما بعدها ، إن نجحت كانت حجر الزاوية فى بناء الصرح العربى المرموق

ولا يسعنا إلا أن نسجل بالحمد والشكر والفخر والتأييد موقف الحكومات العربية ، وفى طليعتها الحكومة المصرية على احتجاجها الصارخ على معاضدة بعض الشيوخ الأمريكيين لقضية اليهود فى فلسطين . ويقيننا أنهم أيقاظ للأحداث الدولية المنتظرة ، وأنهم سيجعلون نصب أعينهم ، وضمن برامجهم السياسية إنقاذ فلسطين من اليهود واستخلاصها للعرب ، واستنجاز انجلترا ما وعدت به فى الكتاب الأبيض ، وأنهم لن يلينوا أمام الضغط والدعاية اليهودية ، وأنهم والحمد لله عامرة قلوبهم بالإيمان والإخلاص والوطنية

إن فى هذه الحرب عظات ودروساً يجب أن نتلقفها ونفيد منها ، فأقوى الأمم وأمنعها حوزة وأغناها مالاً وأكثرها رجالاً ، وأبرعها سياسة لم تخض غمار هذه الحرب بل اتخذت لها درءاً ونصيراً من الأمم التى تتفق معها فى المشرب والمبدأ والأطماع وإن أمماً صغيرة كثيرة قد ابتلعت وتقوضت عروشها . وإن كل الأمم ينشد الحليف والمؤازر فى هذه الحرب القاسية ؛ ونحن

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

صاحبك من بختك

هذا مثل مصري ، وهو يمثل متاعبنا في الحياة أصدق تمثيل ، فما نشكو في حياتنا غير قلة الصاحب وانعدام الصديق

وأخطر ما يؤذيني في حياتي هو الشعور بأني لا أجد روحاً يجاوب روحي ، وأنا لا أتهم أحداً بالغدر ، فما خلق الله روحاً يقدر على مجاوبة روحي

أنا أعيش بلا صاحب وبلا صديق ، لأني رجل ليس له بخت ، ولأني رجل أغناه الله عن البخت ، فليشبع أصدقائي بما عندهم من أطايب البخوت !

أنا أجود بالصداقة ولا أنتظر أيَّ جزاء ، لأن جودي فوق الجزاء .

وسيبكي ناس على أنفسهم إن فقدوني ، ولن يفقدوني ، فما تطيب نفسي بالصدوف عمن رضيت صحبتهم لحظةً من زمان لن يقول أحدٌ إنه طوَّق عنقي بجميل ، فأنا دائماً صاحب الجميل .

كما ذكرنا أمة واحدة فرقتها سياسة العصور المظلمة ، والأطماع الغاشمة ؛ أفلا يجدر بنا أن نتعظ ونعتبر ونسير بخطى حثيثة نحو الوحدة أو الاتحاد رائدنا الإخلاص لأنفسنا ولأولادنا

هذا أمل نرجو ألا تعصف به زعازع السياسة ، وأن يبقى عليه كبار الساسة ، أو يتمهدوه بالرِّي والنماء حتى يؤتي ثمره حلواً جنياً . (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، وهو ولي التوفيق .

عمر الدسوقي

تباركتَ وتعاليت ، يا فاطر الأرض والسماء ، فقد أغنيتني عن مجاملة الصاحب ، وملاطفة الصديق

في لحظة من لحظات الضيق دعوتك فقلت : « اللهم لا تحوجني إلى أحد من خلقك »

وقد استجبت لدعائي ، فلم تحوجني إلى أحد من خلقك

وأنا بعد هذا أشكر لك نعمة لم تجُد بها على أحد من خلقك ، إلا أن يكون في مثل إيماني بك ، وأدبي معك ، وهي نعمة الصفح عن الصديق الكافر بالجميل

إن قدرتك على خلق البرية بما فيها من أنهار وبحار وجبال ونجوم وكواكب ، إلى آخر ما تعلم وأجهل ، لا تقاس إلى قدرتك على إغنائي عن خلقك

علِّمني كيف أثني عليك ، فقد عجزت عن الثناء عليك

ثلاثون سنة ، ثلاثون ، ثلاثون ، وأنا أحارب الناس ، ولم يهزموني ، لأنهم جهلوا سر قوتي ، وأنا أعتز بك ، وصاحبك من بختك ، وأنت يا إلهي صاحبي وبختي ، ولم يبق إلا أن أرجوك أن تعلمني كيف أثني عليك

محرجات القلم الأولى

تمرَّست بالصحافة السياسية والأدبية عدداً من السنين ، ولم أشعر بحرج يماثل الحرج الذي عانيته في الأسبوع الماضي ، ولكن كيف ؟

كنت أعددت مقالاً لمجلة الرسالة أصاول به بعض المتجنين علينا من أدباء لبنان

ثم صلصَل الهتَّاف بما معناه : « إن صاحب الدولة رياض بك الصلح أمر بأن لا يُكتب حرف في صحيفة لبنانية تجنياً على الأدباء المصريين »

وكان في مقدوري أن أتجاهل هذه الإشارة التليفونية ، وأن أقدم إلى مجلة « الرسالة » مقالي ، وأستريح من تحبير مقال جديد

ولكن الرقيب الأعظم نهانى ، وهو ضميرى ، فطويت مقالى ، وكتبت لمجلة الرسالة حديثاً غير ذلك الحديث ، فى لحظة محرجة لم أكن أستطيع فيها كتابة أى حديث

وأنا أعتذر عما جرى به قلمى فى مصاولة أدباء لبنان ، وأتمنى لهم مثل الذى أتمنى لنفسى ، وهو تصويب النظر إلى استكشاف محاسن الصديق

ثم أرجوهم أن يذكروا أننا نعانى محنة قاسية فى حياتنا الأدبية ، فالكاتب اللبنانى يستطيع الظهور بمقالة أو مقالتين والشاعر اللبنانى يستطيع الظهور بقصيدة أو قصيدتين ، ولا كذلك الكاتب المصرى أو الشاعر المصرى ، فبلادنا لا تسمح بالظهور لكاتب أو شاعر إلا بعد أن يشقى بالنثر والنظم عشرين سنة أو تزيد

الفرق بين متاعبنا ومتاعبكم هو الفرق بين متاعب القاهرة ومتاعب بيروت

نحن فى حياتنا الأدبية نشقى شقاء لا يخطر لكم فى بال ، ولهذا ننتظر عطفكم علينا ، ونرجو أن تترفقوا بنا ترفق الصديق بالصديق .

وزعامة مصر الأدبية عبء ألقاه القدَر علينا ، ولولا الحياء لفررنا من حمل ذلك العبء الثقيل

أكرمونا بعطفكم ، أكرمونا ، لنصبر على حمل الراية فى ذلك الميدان

إلى معالى الهلالى باشا

إنك تذكر أيها — الوزير الجليل — أنى تجشمت السفر إلى الإسكندرية فى الصيف الماضى وبيدى مذكرة أزكى بها إنشاء مدرسة ابتدائية فى سنتريس ينتفع بها عشرون بلداً هنالك ، وتذكر أنى أخبرتك منذ أسبوع بما انتهت إليه تحريات مراقبة التعليم الابتدائى ففرحتَ وقلت : سأمضى لافتتاح هذه المدرسة بنفسى فى مطلع العام الدراسى المقبل .

ومع أنى واثق بأنك ستنجز وعدك ، وبأنى أستطيع أن أستهديك ما أريد لخير تلك البلاد المشرين ، فقد جدتْ حالة توجب أن أسارع برفع ما يعترض هذا المشروع من العقبات . والله بالتوفيق كفيل

كانت ميزانية المعارف للعام المقبل تتضمن إنشاء خمس مدارس ابتدائية ، وبهذا كان الأمل قوياً فى إنشاء مدرسة سنتريس ، ثم سمعت أن الوزارة عدّلت الميزانية فاكتفت بإنشاء ثلاث مدارس ، وخفت أن تؤجَّل مدرسة سنتريس ، وإنما كان الخوف لأن الوزير نفسه حدثنى أنه سينشئُ مدرسة فى الدرب الأحمر ومدرسة فى بولاق ، فهل تكون المدرسة الثالثة هي مدرسة سنتريس ؟ ليت ثم ليت !

أنا أرجو معالى الوزير أن يتذكر أن القاهرة تنهب حقوق الأقاليم ، ثم أرجوه أن يضع حداً لهذا الانتهاب ، فما يجوز أن تأخذ القاهرة أكثر مما أخذت ، ولا يجوز أن ننسى أن مواصلات القاهرة تُمين القاهريين على الوصول إلى المدارس بأمان ، ولو كانوا من أهل الدرب الأحمر أو بولاق ، ولا كذلك الحال فى الأقاليم ، فالمواصلات هنالك فى غاية من الصعوبة ، ولا يتيسر الانتقال إلا مع التعب العنيف

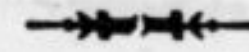
قد يقال إن نائب بولاق يراعى أهل دائرته فيطلب إنشاء مدرسة ، وإن نائب الدرب الأحمر يراعى أهل دائرته فيطلب إنشاء مدرسة ، وأنا لا أعترض على مساعى هذين النائبين ، فمن واجب كل نائب أن يقدم لأهل دائرته أقصى ما يستطيع من الخدمات

وهنا تظهر خطورة هذه القضية : فقد مضت عشرون سنة وسنتريس مسرح للحفلات الانتخابية ، وكان كل مرشح يمنّينا بأنه سينشئُ فى سنتريس مدرسة ابتدائية ، ثم ينفضّ السامر وتذهب تلك الأمانى !

لم يبق إلا أن استهدى عطف وزير المعارف على عشرين بلداً هى أخصب بلاد المنوفية ، ففى سنتريس وحدها أكثر من ثلاثين شهادة عالية ، وموقع سنتريس الجغراف أجل من موقع

عبقريات أزهرية مدفونة

للأستاذ دريني خشبة



مئات من الرسائل التي أنشأها النبغاء من أبناء الأزهر في كلياته الثلاث ليحصلوا بها على إجازاته النهائية - على طريقة الجامعات الحديثة - ملقاة في ركن سحيق من أركان الإهمال، وقلة العرفان في مكتبات الكليات، لا ينتفع بها أحد، ولا يلتفت إليها أحد، ولا يفكر أحد في أن ينفع بهـا الثقافة الإسلامية في الأمم العربية عامة، والنهضة الفكرية الحديثة في مصر الإسلامية بوجه خاص. والعجيب، بل أعجب العجب، ألا يلتفت ولاة الأمور في الأزهر إلى أهمية هذه الرسائل الثمينة في تدعيم شخصية جامعتهم الكبرى، وإثبات وجودها، والمساهمة بها في حياة المسلمين الفكرية، ومحاربة الأفكار الجاهلة التي أخذت تغزو أفهام الناس عن أقدم جامعات الشرق، بل أقدم جامعات العالم وأعظمها

شبين وأظهر من موقع أشمون

أيكون من حق النواب أن يصل صوتهم إلى قلب وزير المعارف قبل صوتي ؟

هذا مستحيل، فأنا من أمناء وزير المعارف، وأنا سفيره إلى جميع البلاد المصرية، فمن أوضح الواضحات أن أكون سفيره في البلاد التي تجاور بلدي، وأنا أعرفها كما أعرف نفسي

لوزير المعارف أن يتفضل فيطالب التقرير الذي قدمته لمراقبة التعليم الابتدائي ومعه تقرير الرقيب، وأي رقيب ؟ هو رجل من أكابر المربين دعاه مراقب التعليم الابتدائي إلى مصاحبتي لمعاينة مدرسة سنتريس، لئلا يطغى عليّ حبي لبلدي فأقول إن اسمها سنتريس !

لمعالي وزير المعارف أن يقرأ هذين التقريرين ثم يفكر فيما يصنع، فأنا واثق بأنه سيكرم تلك البلاد العشرين، وندائي لمعاليه هو نداء تلك البلاد العشرين

زكي مبارك

مئات من هذه الرسائل التي أنشأها النبغاء من أبناء الأزهر بإرشاد أساتذته، وأساتذة الجامعة المصرية، وأساتذة النهضة الفكرية في مصر، مهملة مُغفلة لا ينتفع بها أحد، لأن النظام الذي يرين على الأزهر الشريف يقضي على تلك الجهود الغالية بالدفن، كما يقضي على الآمال المنوطة بتلك الجهود بالضياع

لست أدري ما نصيب الأزهر في مئات الكتب التي غمرت السوق الفكرية في السنوات الخمس الأخيرة في مصر ؟ لا شيء ؟! فهل معنى هذا أن أبناء الأزهر أقل نشاطاً من سائر أبنائنا المتعلمين ؟ كلا ... فالحق الذي لا مرية فيه هو أنهم في المقدمة من حيث الإنتاج الذهني الرفيع كما وكيفا، لكنهم فقراء، ومتوسط الحال منهم لا يستطيع أن يجازف بما يدخره من قروش في سبيل السَّناء العلمي ولألاء الشهرة، بطبع بعض ما أنتجت قريحته من ثمار ما ألف وما يستطيع أن يؤلف ... ولو أن هذه الميزانية الضخمة التي تربط للأزهر كل عام اتسعت قليلاً لطبع شيء من هذه الرسائل النادرة التي أودعها شباب الأزهر جهوده بل أرواحه وآماله لعاد هذا العمل على الأزهر نفسه بالسمعة الطيبة، وعلى الأمة بالنفع الجزيل، وعلى نهضتنا الثقافية بالخير العميم، ثم هو بعد ذلك كله عمل يلفت العالم الإسلامي إلى طابع الأزهر الجديد، وإلى الروح الذي يحدوه إلى السمو وإلى الكمال

وبعد، فما هذه الرسائل التي نشيد بها تلك الإشادة، والتي ندعو جميع الأدباء إلى التفضل بالذهاب إلى كليات الأزهر للاطلاع عليها حيث حُبست عن الخير العام في أركان المكتبات تشبه المتاحف، أو أقبية المتاحف ... حتى لتوشك أن تسمع من صفحاتها أنيناً وحسرات شاكية من إهمال أولي الأمر لها على هذا الشكل المزري

كتب بعض هذه الرسائل خريجو قسم التخصص على النظام القديم في الأزهر، ثم كتب معظمها خريجو هذا القسم على النظام الحديث، وقد بذل كل من أبناء النظامين جهوداً شريفة في الإحاطة بالموضوعات التي اختاروها. والذي يثير العجب

فى الخطة التى انتهجها كل من الفريقين فى وضع رسائلهما هو تجافيهم عن روح الأزهر القديم ، ومحاولتهم فى إخلاص وصدق أن يطبعوا الرسائل بطابع البحث الجامعى المصرى الطريف . ويحسن أن نقصر الكلام الآن على رسائل كلية اللغة العربية تلك الكلية التى تنافس فى شرف وفى نبل معاهد المعلمين فى مصر ، كما تسير على هدى من كلية الآداب بالجامعة المصرية ، وبتوجيه أساتذتها الأفاضل

لقد اهتم كبار كتابنا فى العصر الأخير بالتاريخ الإسلامى فأخذوا يتبارون فى كتابته فى صور شتى ، وأخذت كتبهم تصدر تباعاً ، وتلقف الناس تلك الكتب فرحين مستبشرين لما تجلو لهم من صفحات المجد التى كانوا يسمعون بها ولا يعرفون منها شيئاً ... ومن هذه الكتب ماطبع أكثر من مرة ، ومنها مالم يبق من طبعاته الأولى شىء ... وقد تألفت أخيراً جماعة أخذت على عاتقها إصدار كتب شهرية عن أبطال المسلمين يتولى الكتابة عن كل منهم إما واحد من هذه الجماعة الفاضلة أو أحد الذين يقع عليهم اختيارها من أرباب الأقلام فى مصر وفى شقيقاتها من الأمم العربية ... ولقد شهدت فى مكتبة كلية اللغة العربية مجموعة كبيرة من الرسائل فى التاريخ الإسلامى تناولت رجاله بالترجمة والنقد والتحليل والتحقيق (وتفلية) الموسوعات التاريخية والمقابلة بين رواياتها ، ومعارضة تلك الروايات بما حققه المستشرقون ، وماوقع فيه هؤلاء من الحيف والتخبط أحياناً ... مما لا يتوفر مثله من التمحيص إلا للدارس المنقطع الذى يرى بين كل سطر من سطوره وجه سائل أو يسمع اعتراض مناقش أو حجة ممتحن . فمما راقنى من هذه البحوث المركزة ، وما يحسن التمثيل به لما حوت تلك المكتبة من هذه الرسائل : بحث فى نظام ولاية العهد فى الإسلام ، ورسالة عن دخول الإسلام إلى الهند وانتشاره فيه ، وأخرى عن تاريخ الإسلام فى جزيرة صقلية ، ورابعة عن العلاقات السياسية بين الرومان والعرب ، وخامسة عن العلاقة بين العلويين والعباسيين ، ورسالة عن نشأة الدروز وعقائدهم ، وبحث جيل مستفيض عن الأحزاب السياسية فى عصر بنى أمية ، ورسالة عن دولة بني بويه ... ومن البحوث غير الإسلامية رسالة أنشأها طالب هندى فى تاريخ سوامى ديانند مؤسس الديانة الآرية فى الهند ، وهو أول كتاب من نوعه فى اللغة العربية ، أنفق فيه صاحبه جهوداً تثير الإعجاب ... هذا ، إلى مئات من الرسائل الأخرى التى تغطى التاريخ الإسلامى كله ، وتتناول أبطاله المشهورين وغير المشهورين واحداً واحداً ، فى عرض جميل ، وتبويب جيد ، وتحقيق لم يدع مصدراً فى دور الكتب المصرية ، مخطوطاً أومطبوعاً ، إلا تناوله واستوعب مافيه

أما الرسائل الأدبية فهى بلا شك مفخرة أبناء كلية اللغة العربية ، سواء منهم من تخصص بعد الشهادة العالمية للمهنة - أى لمزاولة التدريس فى المدارس وفى الأزهر ، ومدة هذا التخصص ثلاث سنوات - أو من تخصص منهم للمادة - ويتولى خريجو هذا القسم التدريس فى كلية اللغة العربية نفسها ، ومدته سبع سنوات كاملة (! !) . فمن أبدع ما يستلفت النظر من رسائل الأدب رسالة فى تاريخ القصة فى الأدب العربى ، رأيت لزاماً أن أخص صاحبه فى كلمتى هذه بالتهنئة لما استطاع أن يتناول به فى بحثه القيم أطراف هذا الموضوع المتشعب من الاستقصاء والاستيعاب ، ومنها رسالة فى الكتابة فى العصر العباسى شن فيها صاحبها حرباً شعواء على كثيرين من رجال الأدب فى مصر ، وكال فيها للدكتور زكى مبارك كيلاً شديداً ، ثم رسالة طريفة عن الموشحات - نشأتها وصلتها بالشعر ، وهى رسالة جيدة ما كان أحوج المكتبة العربية إليها ... ثم عشرات من الرسائل عن البحترى والحطيئة والأخطل وابن زيدون والعرجى والأصمعى وغيرهم من ألمع الأسماء فى الأدب العربى ، وممن لم يتناولهم أحد فى بحوث خاصة مستقلة إلا أبناء هذه الكلية الجنود المجهولون ... ومن أطرف رسائل الأدب رسالة أنشأها صاحبها عن الأدب فى عصر المماليك ، وقد تناولت الرسالة هذه الناحية الغامضة من تاريخ الأدب المصرى فى عصر من أغمض عصوره ... أما الرسائل التى وضعها متخصصو المادة فلا تزال قليلة العدد لقلة خريجى هذا القسم ، وهى على قلتها رسائل جيدة عالية القدر شاملة الإحاطة ، رأيت منها رسالتين فى أدب الخوارج وفى أدب الشيعة ، فلا أبالغ إذا سجلت هنا أنهما من أثمن ما كتب فى هذا الموضوع فى العالم العربى .

ومن أكبر المآخذ على أزهرنا الشريف المبارك ذى الميزانية

الأنات الحائرة... (*)

للأستاذ راشد رستم

. . . وبعد فلست حائراً معك حيرتك مع الأنات أو حيرة الأنات معك ، أو حيرة الناس من هذه الأنات ، فلقد رأيتك بالأمس في الأمر باكياً ، وسمعتك اليوم في هذا الأمر ناعياً ، وأشهد أني أعهدك في كليهما شاعراً شادياً

إنك عاطفي رفيع ، وإنك عاطفي عميق ، ولا أقول قد تظاهر منك العاطفة وتختفي ، ولا أقول هي قد تثور أو قد ترعوى ، فإن العاطفة عندك هي منك ، وهي قائمة عند المحراب تصلى دائماً

***

ولقد حزنت عندما وصلتني أناتك ، ثم « فرحت » بها لذاتها كما فرحت بها لأنها منك

أخذت أهمس لنفسي مترنماً ، وحيداً صامتاً ، وأحيي بها الحزن صباحاً ومغرباً ، وستبقى منى آمنة في مكانها الحبيب ، كما سيبقى رنينها عالياً داوياً ـ وهكذا في الوقت الذي تبقى كامنة ساكنة هي في الحق ثائرة فائرة . . .

إن مستودعها عندي ، رغم جرمه الصغير ، واسع كبير ، يملأ الدنيا حباً ، وتملؤه الدنيا تعباً . . .

***

ولما آنستني « الأنات الحائرة » غير حائرة ، ونزلت عندي قادمة راغبة ، أقبلت عليها راضياً شاكراً ، ثم رحت معها راشداً شارداً . . .

وإذا أنا قد تأخرت في النداء فلست مقصراً ولا عامداً ، ولكنها موجة الأسى تملكت النفس بالهوى والقلب بالجوى ، فاستكانت الروح نائمة ثم استيقظت على الصوت الذي أبعث به اليوم إليك مناجياً . . .

***

وإن لي من الأصدقاء من هم أهل العاطفة الباكية الشاكية ، وحملة القلوب الحائرة الثابتة ، فذكرتني أناتك بهم كما ذكرتهم بها ، لأنها إبداع مثل إبداعهم وعواطف من طراز عواطفهم

***

(*) رسالة كان قد بعث بها الكاتب إلى صديقه الشاعر عزيز بك أباظة صاحب ديوان « أنات حائرة » ، وبينهما مودة من الصغر

الضخمة والأحباس الخرافية أن يغير هاتين الرسالتين كما يصنع بأشباههما ، فلا ينتفع بهما وبأمثالها العالم الاسلامي والمشتغلون بالأدب . . . ومن رسائل التخصص في المادة بحوث قيمة في البلاغة وتاريخها . . .

ومن أروع ما يلفت النظر من رسائل اللغة رسالة في المبرد لا توجد إلا في مخطوط ضخم في دار الكتب العربية ، وكان لا بد أن يشهد أعضاء لجنة الامتحان هذا المصدر بأعينهم ، فلما رفضت دار الكتب إعارة الطالب هذا المصدر ، اضطر إلى نسخه كله . . . فكم من الجهد والعناء تجشم هذا الطالب المسكين في إنشاء رسالته الطريفة النادرة يا ترى ؟!

ذاك ويطول الكلام إذا استعرضنا رسائل التربية وعلم النفس وما تناول به الخريجون تاريخ التعليم الإسلامي في مدارس بغداد والكوفة والبصرة ودمشق والقاهرة وقرطبة ، وأصول التربية في القرآن والسنة . . . ثم مئات الرسائل في مختلف أبواب النحو والصرف والبلاغة والبيان والعروض

هذا قل من كثر . . . وهذا كله في كلية اللغة العربية فقط . . . وله أشباه ونظائر في الكليتين الأخريين . . . وهي عبقريات أزهرية مدفونة من التقصير المعيب أن تعمى عنها عيون القائمين بالأمر في الأزهر الشريف المبارك . . . وليذكر الذاكرون أن أعظم رجال النهضة في مصر الحديثة كانوا ناساً كهؤلاء الناس المغمورين ، وأنهم جميعاً ، أو أكثرهم ، ممن للأزهر في ثقافتهم أوفر نصيب ، عن قرب أو عن بعد . وأنه لو أتيح لكثير من هؤلاء النبغاء المغمورين سبيل الظهور والعمل لنفعوا عالم التأليف العربي بما لا يقدر عليه غيرهم ، ولانتفعت بهم نهضتنا الثقافية بما لا ننتفع به إلا منهم ، ولهدنا لطائفة عظيمة منهم القيام بواجبهم الأدبي مكان زعماء تلك النهضة (بعد عمر طويل !)

وبعد . . . فهذه ناحية من عبقرياتنا المدفونة توجد لها أشباه في الجامعة المصرية وفي دوائر ثقافية أخرى نرجو أن نتكلم عنها وننبه إليها قريباً .

دريني خشبة

ذهبت إلى « جوتيه » شاعر الألمان ، فإذا به يعجب ويقول وحيد !! لا . لست أنا وحيداً . . . إننى أعيش مع الذكريات والصور العزيزة المحبوبة ...

ثم التفت إلى كاتب الفرنسيس « أناتول فرانس » ، فإذا به يقول وكأنه يرد على صاحبه - مهما حاول المرء فإنه دائماً وحيد فى هذا العالم ...

فرجعت إلى صاحب التفكير الواسع السيد جان جاك روسو فإذا هو يُلقى القول الهادئ وقد لاقى من الزمان شدته فيقول - كلما كانت الوحدة التى أعيش فيها عميقة شاملة كانت الحاجة أدعى إلى بعض الذكريات لملء هذا الفراغ ...

ثم اتجهت إلى البحر الزاخر والشاعر الحائر والروح الثائر السيد فيكتور هوجو فإذا به يصيغ القول على طريقته فيقول - إن المفكر المُنبت كالصحراء ، كئيب رغم الاتساع ، مظلم رغم الضياء ...

ثم رأيتنى منذ عشرين عاما أستودع يومياتى الفرنسية فى الغرب قولاً لم يتغير منى إلى اليوم ، فكنت أقول - إن من لا حاضر له ينظر دائما إلى ماضيه ، ومن كان له حاضر فهو لا يرقب إلا مستقبلاً . ولكن أليست الحياة حاضراً قائماً يتحول باستمرار إلى ماض يفوت ولا يموت ...!

ثم لقيت فى طريقى عجوزاً يناجى نفسه ويقول : الماضى ! الماضى ! هو القوى القدير . هو القوى القدير ! الماضى ! الماضى ... فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله ...

* * *

ثم ذكرت كلاماً كان عجيباً أن ينشر فى « الحديقة والمنزل » وأن تنطوى صفحاتها على هذه العبرات جنب تلك الزهرات مما جعلنى اليوم أسأل الأيام هل كان ذلك عن حاجة إلى الذوق ، أم هى تنسيقات الحدائق والبيوت ، أم هى صفحات الحياة ... ؟

وجدتنى « أبكى لأنى أرى ما يبكينى . وهذا المحزون أقرؤوه عنى السلام . كل له حزن يعنيه ، وما عرف الدنيا إلا حزين ..

اسمع التنهدات بعد الضحكات فاسمع ترجيع صدى لحزن مضى ... ورنيناً لأنين سيأتى ... وأشعر فى ثنايا الضحكة نذير الدمعة ... وأرى الابتسامة علامة الخوف من قرب الأسى ...

إن دموع الأحزان هى أنقى دموع الإنسان ... والبكاء أول ميراث الأحياء الكرام من الأموات الكرام »

* * *

ووجدتنى فى نفس الحديقة أرى فى الوقت ذاته الوجه الجميل فى إطار من الزهر الجميل ، وأسمع الشعراء يترنمون بأناشيد الربيع ، وكان ربيعاً ، وأرى الغانيات الحسان يمرحن ويسرحن تحت الخمائل وبين الظلال ...

فرجعت مسرعاً إلى شاعر الحب والحياة السيد الفريد دو موسيه ، فإذا به هادئ مطمئن ، يلقانى حزيناً باسماً ويقول فى صوته الخافت ولغته السهلة النافذة : جميل أن تبكى وجميل أن تبتسم ...

* * *

وأخيراً ... ذكرت نغمات بكلمات سمعتها من سيدة باسمة الوجه ، صبوح نصوح ، تترنم وتقول : هل فى العالم حزين ؟ إننى فى عجب ! هل من يبكى وهذه الشمس تسطع فى السماء ، وهذه الأرض سندسة خضراء ! لماذا البكاء . وهذه الحياة حلم وهى هباء ... ودمت لأخيك

(المعادى) راشد رستم

محاورات المـــوتى

المحاورة الثانية

للكاتب الفرنسي برنار بوفيه دفونتنفيل

بقلم الأديب يوسف روشا

أنكريون وأرسطو

أنكريون : شاعر غنائي إغريقي شهير من بلدة تيوس في يونيا ولد حوالي ٥٦٠ قبل المسيح . كان دأبه التغني بالحب والخمر

أرسطو : من أعظم فلاسفة الاغريق ولد حوالى ٣٨٤ قبل المسيح . فلما بلغ الثامنة عشرة من عمره ذهب إلى أثينا وتلمذ لأفلاطون عشرين عاما وتلقى بعد ذلك دعوة من بلاط مقدونيا ليعلم الاسكندر ، وكان يومئذ في الثالثة عشرة من عمره . ولأرسطو الفضل الأكبر في نشوء الفلسفة والعلوم وازدهارها ، وخاصة في العهود التي سبقت النهضة الفكرية والعلمية الحديثة .

ابتداء المحاورة

أرسطو : لم يخطر ببالي أن يجرؤ شاعر غنائي على أن يقارن نفسه بفيلسوف شهير مثلي

أنكريون : أنت رفعت اسم الفيلسوف ، وأنا أيضاً أسكرت النفوس بأغاريدي ، حتى أصبح الناس يلقبونني بأنكريون « الحكيم » وإنه ليلوح لي أن لقب « الحكيم » لا يقل منزلة عن لقب « الفيلسوف »

أرسطو : إن الذين منحوك هذا اللقب لم يتدبروا ولم يفكروا ؛ وإلا فما الذي عملته حتى تستحق أن تلقب بالحكيم ؟

أنكريون : أنا لم أعمل شيئاً سوى الشرب والغناء والغزل . وإن من أعجب العجب أن ألقب « بالحكيم » بهذا الثمن البخس ، على حين أنك لم تحصل على لقب الفيلسوف إلا بشق النفس . فكم سهرت من ليال محاولاً نظم ما انتثر من علم المنطق الشائك ! وكم ألفت من كتب ضخمة في موضوعات غامضة لعلك لم تفهمها أنت نفسك حق الفهم

أرسطو : أعترف بأنك قد توخيت أسهل الطرق إلى الحكمة . ولو لم تكن على جانب عظيم من الذكاء لما استطعت أن تبلغ بقيثارك وكأسك من المجد ما لم يبلغه أعاظم الرجال بالدرس العميق والجهد المتصل

أنكريون : إني لأشم من كلامك رائحة التهكم ؛ ولكني مازلت أعتقد أن من أصعب الأمور على المرء أن يشرب ويغني كما كنت أشرب وأغني ، وإن من أسهلها عليه أن يفلسف كما تفلسف أنت . إنك لكي تشرب وتغني كما كنت أفعل ، يجب أن تتجرد من العواطف الجائشة ، وألا تطمح إلى شيء ليس إلى حصوله من سبيل ، وأن تكون مستعداً لأخذ الحياة على علاتها . وقصارى القول إن هناك عدداً من المسائل الصغيرة يجب على المرء قبل كل شيء أن يتدبرها مع نفسه ؛ وأن هذه المسائل وإن كانت لا تحتاج إلى براعة فائقة ، لا ينتهي منها المرء إلا بعد عناء طويل . أما أن يفلسف المرء ، كما كنت تفعل ، فلا يحتاج إلى كل هذا العناء ، ذلك لأن الفيلسوف لا يضطر إلى معالجة نفسه من الطموح أو الطمع ، وأن من الفلاسفة من تجمع لديه من المنح خمسمائة ألف ريال ، ولكنه لم ينفقها كلها في سبيل العلم كما أراد مانحها . وجملة الكلام أن في هذا النوع من الفلسفة أشياء كثيرة تنافي الفلسفة

أرسطو : يظهر أنك سمعت عني وشايات كثيرة منذ هبطت إلينا . ومهما يكن من الأمر فإن مقياس الرجل عقله ، وإن أسمى عمل في الوجود هو أن تعين الناس على فهم أسرار هذه الطبيعة واستجلاء غوامضها

أنكريون : إن هناك ما يبرهن على أن الرجال يسيئون استعمال كل شيء . فالفلسفة في ذاتها شيء جميل للغاية ؛ ولو أحسن الناس استعمالها لأفادتهم فوائد جليلة جزيلة ؛ ولكنهم أشفقوا من أن تربكهم إذا هي تدخلت في أمورهم فقذفوا بها في الفضاء

لتبحث عن الكواكب وقياس حركاتها ، فإذا أعادوها إلى أرضهم استعانوا بها على بحث ما يظنونه هناك . وخلاصة القول أنهم حريصون ما استطاعوا على أن تكون الفلسفة مشغولة عنهم . ولما كانوا شديدى الرغبة فى أن يكونوا فلاسفة بأيسر كلفة فقد وسعوا بفضل براعتهم ، استعمال هذا اللقب حتى أخذوا يسبغونه فى أكثر الأحيان ، على الذين يبحثون فى قوانين الطبيعة .

أرسطو : وهل ثمة لقب أصلح لهؤلاء من هذا اللقب ؟

أنكريون : الفلسفة يجب أن تعنى بالناس فحسب ، وألا تشغل نفسها بما عداهم ؛ فالفلكى ينظر فى النجوم ، والطبيب يعنى بالأجسام ، والفيلسوف يفكر فى نفسه . ولكن من ذا الذى يرضى أن يوضع فى مثل هذا الموضع الشائك ؟ لا أحد ، واحسرتاه ! ولذلك سمحوا للفلاسفة ألا يكونوا فلاسفة ، واقتنع الجميع بأن يكونوا فلكيين أو أطباء . أما أنا فإنى لم أكن بطبيعتى ميّالاً إلى الأمعان فى التفكير ؛ ولكنى واثق بأنه ليس فى أكثر الكتب الفلسفية فلسفة بقدر ما فى بعض قصائدى التى تزدريها هذا الازدراء . وإليك واحدة منها على سبيل المثال :

« لو أن فى إمكان « الأصفر الرنّان » أن يطيل أمد الحياة السريعة الإدبار ، لكلفت به أشد الكلف ، ولملأت منه خزانتى ، حتى إذا ما حانت الساعة ، ولم يبق لى عند أحد شفاعة ، رشوت به الموت ليؤجل حتفى . أما وإنّ ذهب الدنيا كلها لا يستطيع أن يمد فى حياتنا ساعة واحدة ، ولا أن ينير حلكة القبر فلماذا إذن نمنّى أنفسنا ونذرف الدمع السخين ، بلا جدوى ، على مصيرنا المحتوم ؟ لا ... أعط الثروة غيرى ، فليست لى بها حاجة ، ودعنى أرتع فى ملذاتى ، بين أصحابى ولداتى ، وليكن نصيبى مما بقى من حياتى تلك الأفراح التى لا يقدر على منحها إلا الحب »

أرسطو : إذا شئت أن تقصر الفلسفة على علم الأخلاق فإنك واجد فى كتبى عن الأخلاق أشياء لا تقل إبداعاً عن قصائدك . ومهما يكن من أمر هذا الغموض الذى قد تجده فى بعض كتبى ، والذى من أجله وُبّختُ أعنف توبيخ ، فإنك لن تجده فى كل ما كتبت فى ذاك الموضوع . لقد أقر العالم أجمع بأنه ليس ثمة أوضح ولا أروع مما قلت فى العاطفة

أنكريون : ما أشد خطأك ! ليست المسألة مسألة تحديد العواطف على طريقة من الطرق كالذى زعموا أنك فعلت ، بل المهم التغلب عليها وقهرها . فالرجال يضعون بين أيدى الفلاسفة أخطاءهم عن طيبة خاطر ، للنظر فيها لا لعلاجها . ولقد اكتشف الفلاسفة سر إيجاد قواعد أخلاقية لا تمسهم بقدر ما يمسهم علم الفلك . وكيف نملك ألا نضحك عند ما نرى رجالاً يذمون المال وهم أشد الناس تكالباً على اقتنائه ؟ ثم كيف نمسك نفوسنا عن الضحك عند ما نشاهد أراذل الناس يتشاجرون فيما بينهم على تحديد معنى الشهامة .

(بغداد) يوسف روشا

منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

للأستاذ سعيد الديوه جي

— ٣ —

وأما رأى الشيخ عدى فى النزاع بين « على ومعاوية » فإنه يقول « كانا إمامين مجتهدين ، ولكن المصيب منهما على رضى الله عنه ، وأصحابهما أصحاب إمامين مجتهدين ، وقتالهم كان باجتهاد ولطلب الحق لا لحظوظ الدنيا ، ولم يكن أحد منهم حريصاً على قتل أخيه ، وقتلاهم جميعاً فى الجنة . ونكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وننشر محاسنهم رضى الله عنهم ، وإن الله قد غفر لهم » ، فنرى أنه كان معتدلاً فى رأيه يرى أحقية « الإمام على » ؛ ولكنه مع هذا لا يبخس « معاوية » حقه .

وامتاز عصره بظهور عدة مشايخ كمل « كالشيخ عبد القادر الكيلانى ، والشيخ قضيب البان الموصلى ، والشيخ أحمد الرفاعى ، والشيخ وهب السنجارى » وغيرهم كثير . وكان « الشيخ عدى » أحد هؤلاء الكمل . وأسس طريقته « العدَوية » فدخل فيها الأكراد والموالون للحزب الأموى ومن هذا الوقت صار يطلق على أنصار الحزب الأموى اسم « الأكراد العدَوية » فظهرت حركتهم بمظهر صوفى ، ولكن حبهم لبنى أمية لم يطرأ عليه تغيير سوى أنهم خففوا من بغضهم لآل البيت ، وكان ذلك بتأثير شيخهم « عدى » . وعُمِّر الشيخ عدى تسعين سنة . ونال من القبول عند أصحابه مالم ينله سواه . وتوفى سنة ٥٥٧ هـ ، ودفن فى زاويته التى بناها « بلالش » ، وقبره هناك معروف يزار .

وكان الشيخ قد استخلف ابن أخيه « صخر » قبل موته ، وكان هذا عالماً عاقلاً على جانب كبير من الدين والتقوى ، وصارت منزلته عند العدوية لا تقل عن منزلة عمه . سلك بأتباعه طريق الخير وأبعدهم عن المفاسد والشرور .

وخلفه بعد موته ابنه « أبو المفاخر عدى » ؛ وكان لا يقل عن أبيه فى العلم والورع وسلوك طريق الخير بأتباعه . وصار لهذه الأسرة منزلة عند العدوية دونها منزلة الملوك . ولكن الثلاثة الذين سلفوا لم يتدخلوا فى أمور الدنيا . انقطعوا إلى الله عز وجل فكان الله معهم .

الدور الثالث

الشيخ حسن وابتداء الغلو فى يزيد ومعاوية

وكثيرا ما تغر الدنيا بعض أصحاب المذاهب والطرق الدينية فينحرفون عن الجادة المستقيمة التى سار عليها آباؤهم وأجدادهم ، وذلك استئثاراً بطاعة الأتباع واستغلالهم لمصالحهم الدنيوية . وإن « الشيخ حسن » هو أحد الذين غرتهم الدنيا لأنه وجد ما عليه أسرته من المنزلة الرفيعة وطاعة الأكراد العدوية لهم وشدة بأس هؤلاء الأكراد ؛ وإن إشارة بسيطة منه تسوقهم إلى الموت وهم راغبون ، فسولت له نفسه أن يبدل دينه وأن يظهر فى الأرض الفساد . وهو بلا شك كان يريد أن يستغل الضعف السياسى الذى كان يشمل العالم الإسلامى فى القرن السابع الهجرى ليعيد تشكيل الدولة الأموية . وربما كان يقدر له هذا لو سار على الطريق المستقيم الذى رسمه « الشيخ عدى الكبير »

انقطع « الشيخ حسن » عن أصحابه ست سنين ثم ظهر لهم وقد ألف « كتاب الجلوة لأرباب الخلوة » زاد أشياء باطلة فى اعتقادهم نظماً ونثراً ، وغالى فى تعظيم « يزيد وعدى » ووجد كلامه قبولاً حسناً عندهم لأنه كان من رجال العالم رأياً ودهاء ، وله فضل وأدب وشعر فى التصوف يستهوى به أصحابه . وبذلك انقلبت الطريقة « العـدوية » إلى فرقة مغالية فى حب « يزيد وعدى » ، فتطورت من طريقة دينية إلى حزب ثورى له صبغة دينية باطلة . فكم من دعوة صالحة انقلبت إلى غى وضلال ! وكم من مبدأ سامٍ انعكس إلى جمعية هدامة ! هذا إذا تولى الأمر أصحاب الأهواء والمطامع .

انتقل الشيخ حسن إلى الموصل وسكنها . ولعله كان يريد بهذا أن يكون على اتصال تام بأرباب الحكم « الاتابكى » لينفث سمومه الفتاكة فيهم ويتحين الفرص المناسبة . وصار له مريدون وأتباع فى هذه المدينة ، كما أنه نشر دعاته فى (هيت)

والكُبيسات . وسنجار . وسامراء . وتكريت . وسورية) ولاقت قبولاً عند البعض لولا مناوأة الحزب العلوى لها . وصار الملوك يخشون أمر هذه الدعوة . وخاصة « بدر الدين لؤلؤ » صاحب الموصل فإنه كان من أكبر المناوئين لها لأنه يخشى على ملكه لقربه منهم . وفى سنة ٦٤٤هـ قبض على الشيخ حسن وحبسه ثم خنقه بوتر وبدد شمل أصحابه من الموصل وفتك بهم فتكاً ذريعاً ، ثم أخذ يختلق الحجج على أحفاد الشيخ عدى ، ويكلفهم ما لا يطيقونه ، ويرهقهم بالضرائب الفادحة . وفى سنة ٦٥٢هـ جهز جيشاً كبيراً عليهم وأعمل السيف فيهم ونبش قبر الشيخ « عدى الكبير » وأحرق عظامه . فأضعف أمر هذه الفرقة . ولا ننسى أن الملك « بدر الدين لؤلؤ » كان يميل إلى العلويين كثيراً ، وأنه بنى الأضرحة والمراقد العديدة فى الموصل لأبناء « الإمام على » ولا تزال هذه الأماكن شاهدة على ما نقول

هذا هو تطور هـذه الفئة من حزب سياسى معاد لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى طريقة صوفية عدوية خالصة لله ، إلى فرقة مغالية فى حب « يزيد وعدى »

الدور الرابع

خروجهم عن الاسلام

وفى القرن الثامن الهجرى بدأ انحراف هذه الفرقة يزداد عن الإسلام ، ودخل التجسم فى اعتقادهم . ولا سيما أن رؤساءهم الدينيين حرموا القراءة والكتابة عليهم فأوقعوهم فى ظلمات الجهل ، وسخروهم لمصالحهم ، وقادوهم حيث أرادوا . ودخل عقائدهم عقائد يهودية ومسيحية ووثنيه وصابئية وخارجية . وكانوا يسترون عقائدهم الزائغة عن الإسـلام بكتمانها وعدم إباحتها . وصاروا بذلك فرقة باطنية خارجة عن الإسلام . ولا ندرى متى تم هذا الانفصال ؛ ولـكن بعض النصوص تصرح بأن يزيدية « جبل مقلوب » بقوا محافظين على إسلاميتهم حتى القرن الحادى عشر الهجرى ، وهم على المذهب الشافعى كبقية الأكراد ، ولا يشوب عقيدتهم إلا بغض « آل البيت » والتطاول عليهم . ولهذا فاننا نرجح أن انفصال اليزيدية عن الإسلام تم فى العصور المتأخرة أى بعد القرن الحادى عشر الهجرى

عقائدهم

تكفيرهم بقية الاديان

يعتقدون أن الأمم الباقية من مسيحيين ويهود ومسلمين على ضلال . ويجب على « اليزيدية » أن يجتنبوهم لأن إلههم «طاووس ملك» لا يحبهم كما يحب اليزيدية . وعليهم أن يكتموا أمر دينهم وكتبهم المقدسة عنهم ، كما يحذرهم من قراءة كتب هذه الملل لأنها مبدلة . جاء فى كتابهم « الجلوة » « لا تقبلوا كتب الأجانب من اليهود والنصارى والإسلام لأنهم غيروها ، ولـكن اقبلوا مايوافق سنتى » . وقال أيضاً : « جميع الـكتب الموجودة بين الخارجين بدلوا فيها وزاغوا عنها ولو كتبها الأنبياء والرسل المرسلون لأن كل واحد يبطل الآخر وينفى قوله ويضادده الحق والباطل معلوم عندى حتى وقوع البشر فى التجربة » وهو يوصى أتباعه بالتعاضد والتكاتف ومقاومة من يريد أن يتطاول على تعاليم « طاووس ملك » ، وعليهم أن يحتملوا المصائب والمحن بسبب هذا . وهو لا ينسى نصيبهم من المكافأة فى أحد العوالم . قال فى الجلوة : « الذين يحتملون المصائب والضيقات بسببى لا بد لى من مكافأتهم بأحد العوالم . جميع أتباعى أريد أن يتحدوا برباط واحد لئلا يضادوهم الأجانب . أيهـا الذين تبعتم وصاياى وتعاليمى أنكروا تعاليم الأجانب وأقوالهم لأنى لست أنا معلمها لهم وليست من عندى لا تذكروا اسمى وكلامى أمام الخوارج لئلا تندموا ؛ لأنكم لا تعلمون ما يفعل الأجانب » ونرى كـثيراً ما يوصيهم بالـكتمان والمحافظة على أسرار كـتبهم ودينهم لئلا يطلع الأجانب عليها ، ولهذا فأن اليزيدية لا يبيحون بحقيقة اعتقاداتهم لأحد ؛ وإن باحوا بشىء منها فلا شك أنهم يحرفونها امتثالاً لأمر « طاووس ملك » وقد جاء فى مصحف رش بأن طاووس ملك خلق لهم عدة ملوك قبل الأمويين ، وأن ديانتهم كانت قبل المسيح تسمى وثنية « وكل اليهود والنصارى والإسلام وغير ذلك من الطوائف حتى العجم أيضا قاموا ضد ديانتنا ، ولـكن لن يقدروا عليها ولا علينا قط ، لأن إلـهنا يقوينا عليهم ويعلمنا العلم الأول والآخر »

(السكلام صلة) سعيد الديوه جى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٣٣ — لولا الفول لطاروا

قال أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى فى كتابه (ألف با) : كنت أقرأ على الحافظ بالإسكندرية (رحمه الله وحرسها) جزءاً من تآليفه ، فمررتُ فيه بحديث يرويه عن أشياخه عن الشافعى (رضى الله عنهم) قال : الفولُ يزيد فى الدماغ ، والدماغ يزيد فى العقل . وأهلُ تلك البلاد[1] ينقطون الفاء بواحدة من فوق ، وينقطون القاف باثنتين من فوق أيضاً ، فلم ألق بالى ، وحسبت الفاء قافاً فقرأت (القول يزيد فى الدماغ) فضحك — وكان حلواً ظريفاً ، رحمه الله — وقال لى : القولُ يفرغ الدماغ أو نحو هذه الكلمة . فقلت له : القول عندى فى الكتاب . فقال : إنما هو الفول ، فأعلمني بمذهبهم فى النقط ، فقلت له : كيف يزيد الفول فى العقل ، ونحن نقول فى بلادنا بخلاف ذلك ؟ فضحك وقال : سألتُ عن هذه المسئلة شيخي فلاناً فقلتُ له كيف هذا وطبرستان أكثر بلاد الله فولاً ، وأهلها أخفُّ الناس عقولاً ؟ فقال لى : لولا الفول لطاروا ...

(الرسالة) : كان المرحوم الدكتور عباس حلمى طبيب الأزهر على عهدنا يرى هذا الرأى ويقول : « لولا الفول لجن الأزهريون من طول النظر فى كتبهم المعقدة »

٥٣٤ — تمنيت وكيلا فسميته صديقا

قال أبو حيان على بن محمد التوحيدى : قلت للهائم أبى على : من تُحبّ أن يكون صديقك ؟

قال : من يطعمنى إذا جعت ، ويكسونى إذا عريت ، ويحملنى إذا كللت ، ويغفر لى إذا زللت

فقال له على بن الحسين العلوى : أنت إنما تريد إنساناً يكفيك مؤونتك ، ويكفلك[1] فى حالك ، كأنك تمنيت وكيلاً فسميته صديقاً . . .

فما أحار الهائم جواباً

٥٣٥ — قد ضل عقلى فى تراكيبه

أنشد للمأمون :

أما ترى ذا الفلك الدائرا ... أبيت من همٍّ به ساهرا
مفكراً فيه وفى أمره ... فما أرى خلقاً به خابرا
يخبر عن لطف تدابيره ... وكيف أضحى للورى حاصرا
قد ضلَّ عقلى فى تراكيبه ... وصار قلبى والهاً حائرا
ياليت شعرى هل أرى مرة ... أكون فى أبراجه سائرا
أكون معْ طالعها طالعا ... وتارةً معْ غائرٍ غائرا
حتى أرى جملة تدبيره ... وأعلم المستورَ والظاهرا

٥٣٦ — الغنى والفقر

سئل أبو محمد الجريرى عن الفقر والغنى أيهما أفضل ؟ فقال : لو لم يكن من فضل الفقر إلا ثلاث : إسقاط المطالبة ، وقطع عن المعصية ، وتقديم الدخول إلى الجنة ، لكفى . فنقل هذا الكلام إلى أبى العباس بن عطاء « أحمد بن محمد » فقال : يا سبحان الله ! وأى فضل يكون أفضل مما أضافه الله إلى نفسه ؟ وأى شىء يكون أعجز من شىء تنافى الله عنه ؟ لأن الله أضاف الغنى إلى نفسه ، وتنافى عن الفقر ، واعتد على نبيه فقال : (ووجدك عائلاً فأغنى) ولم يقل فأفقر ، فكان اعتداد الله بالعطاء لا بالفقر . ثم ذكر عند تشريف أسماء العطاء « إن ترك خيراً » ، ولم يقل : إن ترك فقراً . فإن احتج محتج بأنه عرض عليه (صلى الله عليه وسلم) مفاتيح الدنيا فلم يقبلها وتركها اختياراً ؛ فهذه صفة التاركين ، والتارك لا يكون إلا غنيا .

(١) يعني المشارقة ، والمغاربة ينقطون الفاء بواحدة من تحت ، والقاف بواحدة من فوق

(١) كفلت الرجل والصغير : علته وقت به (المصباح) . « وزلت » بفتح اللام وكسرها وقرئ بهما



٣ — الشعر الجديد

إني أعتبر الحقبة التي نبغ فيها البارودي وصبري وشوقي وحافظ ، من أعظم حسنات الدهر على الشعر . فإن هؤلاء الأفذاذ قد أضاءوا لنا الظلمة الحالكة ، بعد أن لبثنا فيها أحقاباً طوالا

فالتفت إليهم العالم العربي – ومصر خاصة – التفات الساري إلى النجم المتألق ، واستمع لهم وأنصت ، وتحلى[1] تغريدهم ، وتدبر معانيهم ، وفقه مراميهم ، واستظهر قصائدهم . ثم لقد ذهبت فينا حكمهم مذهب الأمثال ، نرددها في أنديتنا وسوامرنا ، ونستعذبها لقربها من قلوبنا ، وعلوقها بعواطفنا ، وصلتها بأرواحنا

إنهم قد ترجموا لنا حياتنا ، وعبروا عن آلامنا وأمانينا ، وغنوا لنا في أفراحنا ، ورفهوا عنا في أتراحنا ، ووصفوا الوصف المُجاب ، وأبدعوا وجددوا ما شاء لهم التجديد والإبداع

لقد نفخوا في الشعر روحاً ، ونفثوا في العربية حياة ، وتركوا من ورائهم ثروة زخرت بالنفيس من القول ، والفاتن من التصوير ، والشريف من المعاني

إنهم لم يَعنفوا حين عبروا ، ولم يُغربوا إذ فكروا ، ولم يكن الزخرف من صناعتهم ، ولا البديع من مقاصدهم . فجاءت لغتهم صفواً رائقة ، وأساليبهم سائغة شائقة ، وألفاظهم عذبة فائقة

لم تكن ثقافتهم من نوع واحد ، ولا كانت من طبيعة واحدة . ثم لقد اختلفت في الحياة أعمالهم ، وتشعبت مسالكهم ، وتفاوتت فيها مشاربهم . ولكنهم استقوا جميعاً من مَعين واحد ، معين الأدب الصافي في أزهى عصوره ، وأنضر أزمانه . نهلوا منه وعَلّوا ، ثم نهلوا وعلوا ، حتى استقام لهم القول ، وسلسَ منه القياد ، واستحكمت السليقة ، وتمهّدت الجادّة .

هذا أحدهم حافظ إبراهيم ؛ أخبرني مرة أنه يكاد يقرأ (كتاب الأغاني) من ظهر القلب ، لطول ما عكف عليه ومارسه .

وكان – رحمه الله – شديد الحافظة ، حاد الذكاء . وكنت أختلف إلى بعض مجالسه التي يذكرها مِن أصفيائه مَن لا يزالون بيننا في هذه الحياة

فكان يدهشنا حقا بواسع اطلاعه ، وفيض محفوظه ، وعجيب بديهته . وكان له في تلاوته وقفات حلوة للتعليق والشرح ، والتعقيب والنقد . يتخلل أولئك نوادر من اللغة ، وشوارد من الأدب ، وفكاهات ومقابسات ، وموازنات ومناظرات .

سقى الله مجالسك الغُر يا حافظ ، فقد لا يجود بمثلها الزمان !

فأين هذا – وهو مثال وجيز من عبقرية شاعر – من مُتشاعري هذا الزمان الذين كلّ بضاعتهم قشور من هنا ومن هناك ، وثقافة فِجة ، وجهل مُطبِق بالأدب العربي وتاريخه ، وألفاظ ذات بَريق يَلوُون بها ألسنتهم ، لتحسبها من الشعر ، وما هي منه – لعمرك – في شيء ؟

أعود إلى تلك الحقبة التي أبرزت شعراءنا الأربعة ، فأزعم أنها لا تعبر إلا عنهم وحدهم ، وإن نجم بينهم فيها من يُعترف لهم بالاقتدار وسمو الشاعرية .

وقد يكون هذا رأيا خاصاً بي ، لا يَشركني فيه غيري ؛ ولكنه رأي هكذا كونته . وقد أعرض له بشيء من التفصيل ، متى واتت الفرصة .

فلما خلا الميدان من هؤلاء الفرسان ، ودالت أيامهم ، سُدِلت على (المسرح) الستارة . ثم عادت فارتفعت ، فإذا مشهد عَجَب ، وإذا الحال غير الحال ، وإذا نحن أمام فوضى النظم والنُظّام ، تلك الفوضى التي يجب أن يتظاهر عليها فضلاء النقاد ، وذوو الرأي من الأدباء ، ليكبحوا من جماحها ، ويفُلّوا من شِرّتها .

(للحديث بقية) (ا . ع)

« النقد » بمعنى المال

تناول الشيخ أحمد محمد شاكر كتاب الأستاذ العقاد « الصديقة بنت الصديق » بالنقد في جريدة الوفد المصري فأنكر

---

(١) تحلاه : وجد حلاوته

البيتين اللذين نسبهما العقاد إلى عروة بن الزبير وأجراهما على لسان عائشة

فلوسمعوا فى مصر أوصاف خده   لما بذلوا فى سوم يوسف من نقد

ويقول الأستاذ شاكر : « ولكن العرب لا تعرف « النقد » بالمعنى المفهوم عند المتأخرين بمعنى المال كما يقول العامة « النقد » « النقود » ، وإنما النقد عندهم تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها . والنقد عندهم أيضاً خلاف النسيئة ، وله معان أخر ليس منها المال نفسه ، فإن شاء الكاتب الجرىء – يريد العقاد – أن يكابر فى هذا فليذكر لنا نصاً صريحاً ثابتاً من كلام الفصحاء شعراً أو نثراً يذكر فيه « النقد » بمعنى المال نفسه »[1]

فنحن ندلى بالنصوص التى حضرتنا مؤيدة لهذا المعنى

يقول الزمخشرى : « نقد جيد ونقود جياد »[2] ، وابن قتيبة الدنيورى يحدثنا فى أخباره العيون الغر فيقول : قال إعرابى :

وفى السوق حاجات وفى النقد قلة

وليس يُقضى الحاج غير الدراهم[3]

ويقول : قال دُليم :

لله لَقًى من عرابة بيعة   على حين كان النقد يعسر عاجله[4]

ويقول الحريرى فى مقامته التاسعة والعشرين « الواسطية » : « فقد وُليت العقد ، وأُكفلتُ النقد »[5]. قال شارح المقامات أبو العباس أحمد القيسى الشريشى : «النقد هو المال الحاضر»[6]

وقد استعمل هذا المبنى لذلك المعنى المؤرخان الجليلان أبو الحسن المسعودى[7] وابن خلدون[8] .

هذا ما حضرنى – والذهن كليل – من تراث العرب ، وهو صريح فى جواز استعمال كلمة « النقد » بمعنى المال كما هو معروف اليوم

سعد محمد حسن

(١) الوفد المصرى عدد ١٥ فبراير سنة ٤٤
(٢) أساس البلاغة جـ ٢ ص ٤٦٩ طبع الدار
(٣) عيون الأخبار جـ ١ ص ٢٥٢ طبع الدار
(٤) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٥٤
(٥) مقامات الحريرى جـ ١ ص ٣٣٣ طبع بولاق
(٦) شرح المقامات جـ ٢ ص ٩١ طبع بولاق
(٧) التنبيه والأشراف ص ٢٠ طبع الصاوى
(٨) المقدمة ص ١٨٣ وما بعدها طبع عبد الرحمن محمد

الى الأستاذ الكبير أحمد حافظ عوض بك

سيدى الأستاذ

سلام عليك فى عزلتك بعد ما ملأت الأسماع لطفاً وظرفاً ؛ وبعد : فقد حدثنى الأستاذ الجليل إسعاف النشاشيبى عنك حديثاً يوزن وزناً . وقد جرَّ إلى الحديث عنك رأيك الذى أبديته فى الشعر الحديث ، ونظمك لى مع أستاذنا الكبير خليل مطران فى سلك واحد . ولقد شاء فضلك ومحلك فى الأدب أن ترى فى شعرى رأياً أعده كثيراً على جهدى وإسرافاً فى مثلى . ولكنك رضيت فارتأيت ! ولولا أن أستاذنا الجليل النشاشيبى عاد إلى فلسطين بعد أن كان تسليمه علينا وداعاً ، ومقامه بيننا غمضة عين ، وخفقة قلب ، وحسوة طير ؛ لولا ذلك لزرتك فى صحبته ، وسعيت إليك فى بطانته .

ولكننى ألقاك على صفحات « الرسالة » الغراء ؛ فرأيك فيها وفى صاحبها مما يسر أن نُذيع به . فأجعلها اليوم رسولى إليك ، لشكرك والتسليم عليك . والسلام

محمد عبد الغنى حسن

فى ديوان « حافظ بك ابراهيم »

كتب الأديب رضوان العوادلى بالبريد الأدبى من مجلة الرسالة الغراء العدد (٥٤٣) ما نصه :

« نسى الأستاذان أحمد أمين والزين أن يوردا هذه (القصيدة) فى ديوان (حافظ إبراهيم) ؛ فآثرنا نشرها فى الرسالة الغراء »

أنا فى يأس وهم وأسى   حاضر اللوعة موصول الأنين
ستهين بالذى (لاقيته)   وهو لا يدرى بماذا يستهين
سور عندى له مكتوبة   ودَّ لو يسرى بها الروح الأمين
إننى لا آمن الرسل ولا   آمن الكتب على ما يحتوين

وكم أود أن أظفر بشعر لم يضم بعد إلى ديوان حضرة شاعرنا الكبير – فأشعاره – رحمه الله – هى ذخر فنى قيم – وثروة أدبية طائلة يعتز بها كل أبناء العربية – ولكن الأبيات هذه مثبتة بالديوان المذكور لم ينسها جامعوه ، وهى

بالصفحة (٢٤٩) من الجزء الأول في باب الغزل تحت عنوان : « رسائل الشوق »

إلا أن ثم اختلافاً في ترتيبها – فيه – والأحجى أن يكون الترتيب كما ذكره الأديب ، وكما جاء أيضاً في مجموعة (مختارات الزهور) الصادرة لسنة ١٩١٦ بعنوان (لوعة وأنين) وبعد ، فلحضرة الباحث الكريم جزيل احترامي .

(مكة المكرمة) حسن عبد الله القرشي

« أبو شوشة والموكب » لمحمود تيمور بك

للأستاذ محمود تيمور بك اختيار لطيف لأبطال مسرحياته وقصصه ، فهو يوائم دائماً بين الاسم وصاحبه حتى لتجد المطابقة بينهما تامة غير منقوصة . فى مسرحيته الفاتنة (سهاد) ترى (أم سرعرع) علماً على العرّافة ؛ وترى (أقيش وقرطيش) علمين على القزمين اللذين يثيران الضحك فى كل حركة أو كلمة . وفى مسرحيته (المنقذة) ترى (شلبية) قارئة البخت . وفى مسرحيته (قنابل) ترى القزم (كتكوت) وناظر الزراعة (حواش افندى) . وفى مسرحية (أبو شوشة) ترى شخصية (الشيخ غندور) وهو شيخ أخفق فى دراسته فاتخذ من (عطوة باشا) سبيلاً إلى التندّر والمضاحكة فى مجلسه

ومحمود تيمور يختار لمسرحياته الأزمان التى توافق فنّه الرفيع ؛ كما يختار لها الأمكنة الملائمة . فسرحية (سهاد) مثلاً زمانها عصر الخلافة الإسلامية ، ومكانها الصحراء العربية بوديانها وكثبانها ومضارب الخيام فيها . ومسرحية (المنقذة) مكانها مصر وزمانها عصر المماليك . ومسرحية أبو شوشة مكانها مصر وزمانها عصرنا هذا وأشخاصها مصريون أصلاً . وكذلك مسرحية (الموكب) التى طبعها محمود تيمور مع (أبو شوشة) فى كتاب واحد

وفى أغلب مسرحيات تيمور طابع من (الفكاهة) المتمثلة فى شخصيات مضحكة ؛ وهذه الشخصيات يعرضها المؤلف دائماً فى معرض التهريج والعبث . (فالشيخ كروان) مهرّج من المرتزقة الطاعمين من فتات موائد الأغنياء . وهو أضحوكة مسرحية (الموكب) . والشيخ (غندور) مهرج آخر فى مسرحية (أبو شوشة) ؛ فهو أزهرى متحذلق . وقد اتخذه عطوة باشا سميراً ونديماً ... لا بل اتخذه مضحكاً ومهرجاً ... ! فهو حين يقدّم إلى مؤنس بك ينحنى ويقول Enchanté . فيضحك الجمع منه ، والمؤلف هنا بارع ، فهو لا يُنطق الشيخ (غندوراً) إلا بهذه اللفظة الفرنسية ، ويترك القارئ وحده يضحك لهذا الشيخ المتفرنس !

أما الشيخ (كروان) مهرج مسرحية (الموكب) فهو شيخ متحذلق أيضاً ؛ إلا أنه يزيد على صاحبه « غندور » بالثرثرة والسجع المتكلف والتملق المرذول . اسمعه مثلاً وهو يخاطب (فضل الله باشا) [أقسم برب الكعبة المشرفة ، غير حانث ولا كاذب ، أنك رجل هذا العصر ، ومنارة مصر ، وأوحد الدهر – ص ٨٣] . ولا يكتفى الشيخ بهذا بل ينشد أبياتاً فى مدح الباشا يصفق لها السامعون ويشتركون فى الضجيج حتى المتوقرون منهم أمثال بديع بك وزهرية هانم

والمؤلف ليس عنيفاً فى إدارة الحوار وتجلية الطبائع ، ولكنه يسوقها فى هدوء بالغ . ولست تحس وأنت تقرأ « تيمور » عنفاً أو صخباً أو جلبة . ولكنك ترى الهدوء الذى ينطوى فى الإلغاز والرمز . وهذا سر أن مسرحيات تيمور لا تختم بما تختم به مسرحيات غيره من المؤلفين . ولعل هذا سبب فى أن المسرح المصرى لم يحظ من مسرحيات تيمور بتمثيل العدد الكثير . فإن إخراج مثل النوازع النفسية الباطنة فى مسرحياته يحتاج إلى مخرج بصير مدرك ، وجمهور أعمق مرامى من جماهير المسرح اليوم .

الحق أن محمود تيمور فنان مخلص لفنه ، فلا تنقطع بينهما صلة على الرغم من أثقال الزمان . وقد أخرج من عهد قريب مسرحيتى (المنقذة وحفلة شاى) ومسرحية (قنابل) وهاهو ذا اليوم يخرج (أبو شوشه والموكب) فى اللغة الفصحى التى كان المغفور له والده علماً من أعلامها . ولا شك فى أن نشر « مجلة الصباح الدمشقية » لهاتين المسرحيتين بعد مشاركة طيبة من سورية الناهضة فى إعلاء شأن المسرح العربي الحديث . وهى مشاركة سبقها فيها (لبنان) الأشم بنشر (نداء المجهول) للمؤلف نفسه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

12me Année No. 560 — Lundi - 27 - 3 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٦٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٢ ربيع الآخر سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٧ مارس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة
٢٦١ أبو العلاء المعرى ... . : أحمد حسن الزيات ... ...
٢٦٣ على هامش العيد الألفي لأبي العلاء ... . : الأستاذ كامل كيلاني ...
٢٦٥ الأدب والأخلاق .. .. : الأستاذ عمر الدسوقي ..
٢٦٨ محاورات الموتى .. . . : للكاتب الفرنسي برنار دفونتنيل بقلم الأديب يوسف روشا ..
٢٦٩ منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها ... . : الأستاذ سعيد الديوه جي . .
٢٧٢ سجاد الأناضول .. . . . : الدكتور محمد مصطفى ..
٢٧٥ نقل الأديب ... . : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٢٧٦ « سلامة القس » [كتاب] : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٢٧٨ الشعر الجديد .. .. .. : الأستاذ الكبير (ا . ع)
٢٧٩ هل الموت مشكلة ... .. : الأديب زكريا إبراهيم . ...
٢٨٠ « الحكيم وليلى » للأستاذ توفيق حسن الشرتوني . . : الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٢٨٠ من الشعر المنسى لحافظ ... : الأديب أحمد الشرباصي ...

أبو العـــلاء المعرى

بمناسبة عيده الألفي



في اليوم السابع والعشرين من شهر ربيع الأول عام ٣٦٣ ، والشمس في الغروب، والقمر في المحاق (١) ، والمرّة في خمود الكلال، والطبيعة في فتور الكرى، وُلد الطفل النبيل الضئيل أحمد أبو العلاء !

كان في ظلام الرحم ، وولد في ظلام العشية ، ثم عاش في ظلام البصر ، وانتهى إلى ظلام القبر ! ومن هذا الظلام المتصل (٢) نسج القدر حياة أبي العلاء، وأنشأ عواطفه ، وسود فلسفته ، وأبهم عقيدته ، وأوحش نفسه !

(١) المحاق : ثلاث ليال من آخر الشهر لا يرى فيها القمر

(٢) لم يبصر أبو العلاء الدنيا إلا ثلاثة أعوام قبل أن يصاب بالجدرى كانت عليه ظلاماً معنوياً لقلة وعيه وضعف إدراكه

ومن هـذا الظلام أيضاً تفجّـر النور كله على قلبه وعقله ، فكان آية من آيات ربه الكبرى فى ذكاء الفهم ولطافة الحس وقوة الحفظ ودقة التخيل . وهو القائل :

سواد العين زار سواد قلبى ... ليتفقا على فهم الأمـور

وإذا كان لكل عاهة من عاهات الحس تعويض من قوى الروح ، فإن لها كذلك أثراً شديداً فى حياة المَئُوف ، ترسم له الطريق وتعين له الغاية . فعاهة أبى العلاء فرضت عليه أن يجعل العلم شغل حياته ؛ واختارت له من العلم أنواعه النقلية والنظرية مما تغنى فيه الحافظة وتعين عليه المخيِّلة ، كاللغة والدين والشعر ، ووسائلها من الرواية والنحو والصرف والعروض ؛ فقضى عمره[1] الأول بين أيدى الشيوخ فى الشام وبغداد ، أو على مقاعد المكتبات فى المساجد والأديرة ، يسمع ويعى ، ويجمع ويستوعب ، حتى لم يدع كلمة فى معاجم اللغة وكلام العرب إلا علِقها ، ولا مسألة من مسائل العلوم الأدبية إلا حذقها . ثم قضى عمره الثاني معتكفاً فى داره ، يُعسِّل الشهدَ تعسيل النحل امتلأت بطونها برحيق الزهر المختلف ، ويُقطِّر الزلالَ تقطير المرشّح الضخم أُفعم جوفه بماء السيل المشوب . ولغلبة الأدب على حافظته لم ينضح فؤاده إلا به ؛ وكتبه التى أملاها وهى تُربى على المائتين لم تخرج عن فنون الأدب المختلفة . أما علمه بالفلسفة وسائر العلوم فقد كان علم الأديب ، يأخذ منها ولا يعطيها ، ويشارك فيها ولا يختص بها . وأروع مظاهر النبوغ فى ثقافته الأدبية إحاطته باللغة إحاطة المستوعب ، حتى كانوا إذا عدوا من رُزقوا السعادة فى شىء لم يؤته الله غيرَهم ، عدوا أبا العلاء ممن تفرد بالاطلاع الواسع على لسان العرب . ومن هنا طغى الغريب على نظمه ونثره ؛ إذ كان همه مصروفاً إلى تقييد الأوابد اللغوية مما جمع عليه وعاء قلبه . وما كان فى نية أبى العلاء أن يكتب لدهماء الناس ، إنما كان يكتب لنفسه ولتلاميذه . فهو ينظم ليرتاض ، ويؤلف ليسجل ، ويملى ليعلم . ومن قوله فى مقدمة سقط الزند : « لم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد ، ولا مدحت طلباً للثواب ، وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان السوس[2] » فإذا كتب للعامة أشرق لفظه وسهل أسلوبه ، كما صنع فى كتابه (سيف الخطيب) ، وهو مجموعة من الخطب المنبرية ألفها على حروف من حروف المعجم ، ثم قال : « وتركت الجيم والخاء وما يجرى مجراهما ، لأن الكلام المقول فى الجماعات ينبغى أن يكون سجسجاً سهلاً »

وعاهة أبى العلاء هى التى جذبت إليه العيون وشغلت به الألسن ؛ لأن الضرير الذى يجيد النرد والشطرنج ، ويدخل فى كل باب من أبواب الجد والهزل ، ويحفظ من مرة واحدة ما يرد على سمعه مما يفهم وما لا يفهم ، عجيبة من العجائب التى يجب أن تُرى ، وتستحق أن تُروى . واكتظاظ مجلسه بالناس سبيل إلى الفضول والتزيد منهم ، وإلى مقابلة الحال بالحال وموازنة الحظ بالحظ منه . وأبو العلاء الذى خُلق بحكم منبته الكريم عزيز النفس رفيع الهوى ظاهر المزية ، كان يستشعر العجز والنقص بما يعلم من انطفاء بصره ودمامة وجهه وضآلة بدنه وقصر قامته ، فكان لذلك شديد التيقظ لحركات الجالس وكلمات المتكلم . وربما أساء الظن ببرىء ، وتوهم الإساءة من محسن . وهو فى طعامه وهندامه وسلامه وقيامه عُرضة للخطأ ومظنة للمؤاخذة ؛ فكان لا ينفك متزايلاً ضجِراً يديم الحذر ويؤثر العزلة

صاحب أبو العلاء الزمان ولابس الناس وراود السعادة حتى استحار شبابه ، فلم تزده الأيام إلا يقيناً بعجزه الطبيعى عن مجاراة الأنداد فى سباق الحياة ، وعن مرضاة النفس بلذات العيش ، وعن منازلة الخصوم بسلاح الإفك ، فانقلب إلى داره نافضاً كفيه من دهر لا رجيَّة له فيه ، وعالَم لا صديق له به ، ونعيم لا نصيب له منه . وساعد على إمضائه نية الاعتزال فجيعته فى أمه وهى الظل الذى يأوى إليه ، والسبب الذى يتعلق به ؛ فزهد فى الدنيا وصدف عن الناس ، وأخذ نفسه بالخشونة والحرمان خمساً وأربعين سنة لا يلبس غير القطن ، ولا يفترش غير اللبد ، ولا يأكل غير العدس ، ولا يتفكه إلا بالتين . وهو فى أثناء ذلك الدهر الطويل منطو على نفسه ، متحامل على ذهنه ، يحوك القوافى ويصوغ الأسجاع فى التسبيح لله ، والتزهيد فى العيش ، والترغيب عن الزواج ، والزراية على أم دَفر[1] ، والتنديد بأبى البشر ، والتشنيع على رياء أهل الدين وجور أصحاب الحكم ، والتشكيك فى صلاح الأنظمة والشرائع .

كان أبو العلاء فى شبيبته نسيم رحمة ، ثم صار فى كهولته عاصفة دمار ! ولعله لو كان بصيراً متفائلاً كالجاحظ ، أو ضريراً شهوان كبشار ، لتبدل حكمه على الدنيا ، وتغير رأيه فى الناس !

احمد حسن الزيات

(١) العمر أربعون سنة ، وناهز فلان العمرين إذا قارب الثمانين

(٢) السوس : الطبيعة ، تقول : الفصاحة من سوسه أى من طبعه

(١) أم دفر : هى الدنيا فى شعر أبى العلاء

على هامش العيد الألفى

لأبى العــــلاء

بقلم صديقه الأستاذ كامل كيلانى

[وهى صفحة من مقدمته التحليلية لرسالة الهناء ، إحدى رسائل المعرى المخطوطة . وستظهر للناس مشروحة مضبوطة بقلم الأستاذ عما قليل]

القدرة الالهية

يرى أستاذنا الجليل « أبو العلاء » — فيما يراه — أن قدرة الله ، سبحانه ، لا يعجزها شيء ؛ فاليَبيسُ مُستَعِيدٌ — بعشبته — بعد اصفراره ، شبابه وخضرته ، مسترد — بعد مواته — حياته ونضرته

والنيران الملتهبة متفجر لهيبها — بأمره — مياهاً سائلة ، والطبيعة الإنسانية متحولة - بإذنه — من الغَدْر إلى الوفاء . والأغنام متغيرة طبائعها — بحكمه — مستبدلة بضعفها قوة ، وباستخذائها إقداماً وعزيمة ، متخيرة من عرين السباع سكناً تأوى إليه وتقر فيه

وهكذا يسترسل أبو العلاء فى خيـــاله البارع ، وأسلوبه الساخر الفياض بالدعابة القاسية والتهكم اللاذع ، والسخط المرير ، فيثبت لنا بما ألفناه من طرائق إثباته المبدعة أن الطبيعة الإنسانية لا سبيل إلى استقامتها واستوائها ، إلا إذا تغيرت طبائع الأشياء كلها ، وانقلبت حقائق السكون الثابتة ، فدبت الحياة فى الهشيم ، وتحولت النار ماء ، والأغنام المستضعفة سباعاً ضارية

وإلى القارئ النص العلائى الذى فصلناه :

« إذا أذن ربنا اخضر الدرين (اليبيس)

وتبجست — بالماء الإرين (١) (النيران)

ووفى لقرينه ، القرين ، وراحت الساجسية (وهى ضرب من الغنم) ومأواها العرين ...

وذلك — من القدرة — ليس ببديع ! »

(١) جمع إرة ، وجمعها على وجهين — كما يقول المعرى — إن شئت أن تجعله مثل الزيدين (بواو فى الرفع وياء فى النصب والخفض) . وإن شئت أن تجعل نونه مثل نون مسكين ، فتجرى عليها الاعراب

وفى رسالة الهناء هذه التى نجلوها لرواد الأدب العلائى فى عيده الألفى (١) يقرر لنا شيخ المعرة كيف يتحول الطبع الإنسانى من الكذب إلى الصدق ، ويسلك فى تقريره مثل ذلك النسق الفريد المبتدع الذى سلكه فى فصوله وغاياته ، فيتمثل صاحبه وقد انشقت له لجج البحار بإذن الله ، كما انشقت من قبل لموسى الكليم ، ثم يتمثل دهشة الأسماك — حينئذ — مما حدث ، ويتخيل حيتان البحر وهى تتحدث متعجبة متطامنة إلى تعرف اسم ذلك الشيخ العظيم الذى تمت على يديه المعجزة ، مضاعفة لصاحبه الثناء ، داعية له بطول البقاء ، وموصول السعادة والهناء ، مبتهلة إلى الله أن يجزل له فى عطائه ومكافأته ، فى دنياه وآخرته ، جزاء ما أسلف للناس من مكرمات ، وأسدى إليهم من حسنات

فإذا انتهى شيخ المعرة من هذا التمهيد ، راح يصف فى براعته النادرة ، وألمعيته الساخرة ، كيف تأذن القدرة الإلهية أن تخمد نيران الكذب ، ومتى تريح العالم من لهيبه المستعر ، الذى لا يُبقى ولا يَذَر

ولكنه يبنى آماله البعيدة على مقدمات تسبقها ، وهى فى قدرة الله هينة ، وإن كانت فى طاقة البشر مستحيلة التحقيق

فهو إذا شاء — سبحانه — أمر اللجج الملاح ، فأصبحت عذباً سائغاً حلو المذاق ، وانقلبت ملوحتها المفرطة فى المرارة شهداً مفرطاً فى اللذاذة والحلاوة

وهو إذا شاء — سبحانه — جعل السفينة تمشى على اليابسة ، وتصبح قبساً متوهجاً من السَّنا والنور ، كأنما قُبِس لتوه من شعلة من النار ملتهبة . وليس هذا بالمطلب البعيد المنال ، متى أذن من أبدع الأكوان على غير مثال

وهو إذا شاء — سبحانه — أمر الريح أن تحمل السفينة وأن تطير بها فى أجواز الفضاء ، كما حملت عرش « بلقيس » فى غابر الزمان ، فإن القياس يجوِّز وقوعه ورضاه ، والقدرة تقرُّ حدوثه ولا تأباه

ولو شاء ــ سبحانه ــ لجعل أسماك البحر وحيتانه آمنات ممنعات ، فى رغد من العيش هانئات ، يتهادين فى ذرا الجبال الشامخات ، ويمرحن فى أرجائها الفسيحة منطلقات ، ويجرين

(١) ولد أبو العلاء يوم الجمعة عند مغيب الشمس ، لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٣ هـ بمعرة النعمان ، وتوفى ليلة الجمعة ثالث ربيع الأول سنة ٤٤٩ هـ

فى جنباتها مسرعات ، كما تجرى أسراب النعام فى واسع الفلوات ، زرافات وجماعات .

***

وهنا يتمثل « أبو العلاء » صاحبه – وقد تم له المراد ، وبلغ من غايته ما أراد – ويتمثل القدرة الإلهية التى لا يعجزها شىء ممتنع فى المعقول ، وقد أذنت لمياه البحر أن تعود إليه ، وأعلنت كلها بأن ينصلح ما فسد من الزمان ، ويستقيم ما اعوج من طبع الإنسان ، وتنطفىء نيران الإفك والبهتان

ومتى تحققت هـذه الخوارق والمعجزات ، انتصر الصدق على الأكاذيب والترهات ، فلنرتقب مع شيخنا المعرى هذه النتائج الباهرات ، فلسنا بائسين من الفوز والظفر ، والعاقبة لمن تأنى وصبر

لعل الـكثيرين من قراء « ابن الرومى » يذكرون – بهذه المناسبة – أسلوبه البارع فى سخريته من الوزير « أبى الصقر » حين ولى الديوان ، وعجب خصومه من تلك الطفرة ، وكيف تظاهر « ابن الرومى » باستنـكار ما تخيله من دهشتهم فقرر لهم معابثاً ساخطاً أن ظفره بذلك المنصب ليس أعجب من ظفره بالانتساب إلى أسرة « شيبان » العربية الـكريمة مع أنه من الأعجام ، ولـكن الحظ السعيد يصنع الأعاجيب ، والقدرة الإلهية تفعل ما تشاء من الغرائب ، ثم ختم دعابته القاسية بقوله :

إن للحظ كيمياء ، إذا ما مس كلباً أحاله إنسانا
يفعل الله ما يشاء ، كما شا ء ، متى شاء كائناً ما كانا

وللمعرى فى هـذه الرسالة مثل ما له فى غيرها من منثوره ومنظومه : فنون معجبة فى وصف ما تبدعه القدرة من تصوير الأمانى والأحلام ، وبعث الهواجس والأوهام ، شخوصاً بادية للعيان ، ماثلة فى الخلد والجنان

وهو لا يفتأ يتمثل جميع الـكائنات ، من جماد وحيوان ونبات ، وكواكب وسيارات ، وحروف هجائية وكلمات ، وقواف وحركات ، وأصفار وأعداد وأرقام مضروبات ومقسومات ، كأنما هى أناسى مثلنا ، موفورة الإحساس بالحياة ، تألم مثل ما نألم ، وتتناجى كما نتناجى ، ويعرض لها كما تعرض لنا – ألوان من الأمانى والرغبات ، وتستحرُ بينها ضروب الفتن والعدوات وتعلن فى منطق – هو على خفائه عنا – بليغ فصيح ، رائع التقديس والتسبيح ، تبتهل بصادق الدعوات ، فى الغدوات والآصال والروحات ، لخالق الأرضين ومبدع السموات

فلا غرو إذا رأيناه يتمثل – فى هـذه الرسالة – طريقاً ضيقاً يبتهل إلى خالقه أن يجزى صاحب « المعرى » أحسن الجزاء مكافأة له على ما بذل من صالح المسعى ، ويتجه الدرب إلى الله أن يبدل من شعابه الضيقة ، مسالك وطرقاً فسيحة الرحاب ، تغدو – لفرط سعتها – كأنها الصحارى والسباسب ، لا تضيق بالعدد الأوفر من الجيوش الحاشدة والمواكب . وأن تتبدل أحجار الأكمة الخشنة ، فتصبح بعد خشونتها ناعمة ، كأنها لملامستها رق نعام

ثم يتمادى فى خياله فيتمثل القدرة الإلهية قد بدلت لصاحبه أحجار التلال موائد حافلة بلذائذ الأطعمة والأشربة ، يصيب منها الجائع ويرتوى الظمآن كما شاء ، لا يتـكبد فى ذلك مشقة ولا عناء

وللمعرى – فى غير هذه الرسـالة أيضاً – من روائع الصور الفنية التى يتمثل فيها من عجائب القدرة الإلهية ، ما لا تتسع له هذه الإلمامة الوجيزة ، فلنجتزىء من ذلك بوجازة خاطفة ، تاركين التفصيل لفرصة أخرى ، فهو يقول فى فصوله :

« يقدر الله على المستحيلات : رد الفائت ، وجمع الجسمين فى مكان ، وما لا تحتمله الألباب ، إذ كان لا ينسب إلى عجز أو انتقاص . فإذا مررت بعود بال ، فاعلم أن الله يستطيع أن يكسوه أخضر كخضرة الحسام ، حتى يورق ورقاً ، كعدد الرمال ، ويقف على كل ورقة ورقاء (حمامة) تعبده بألحان معبديات (منسوبة إلى « معبد » المغنى المعروف) » أو يقول :

وفى قدرة الخالق أن يجعل الراحة (بطن اليد) ذات ذوائب ، والهامة (الرأس) كفاثور اللجين (خوان الفضة) وأن يجرى الفضة من الفجاج » أو يقول : « والله – بقدرته – يطير ذوات الأخفاف »

ثم يسبح الخيال بأبى العلاء . فيستبق الأجيال ، حتى ليتمثل عصرنا الحاضر : عصر السرعة الخاطفة وما يتلوه من عصور ، متنبئاً بما كشفه العلم وما لم يزح الستر عنه إلى اليوم ، فيقول :

« إن شاء المليك قرب النازح وطواه ، حتى يطوف الرجل – فى الليلة الدانية بياضُ الشفق من حمرة الفجر[1] طوفه بالـكعبة حول « قاف » (وهو – فيما تقول الأساطير جبل محيط بالأرض) ، ثم يئوب إلى فراشه والليلة ما همت بالإسحار »

(١) يعنى فى الليلة القصيرة التى يقترب نهاية شفقها من بداية فجرها

الأدب والأخلاق (*)

للأستاذ عمر الدسوقي

تقديم:

ربِّ ! إلى أين نحن سائرون ؟ وما هذه العواصف التى تعصف بنا من كل صوب ؟ وما هذا الفيض المنهمر الذى ترمينا به المطابع فى هذه الأيام ؟ أبلغنا حَدَّ الترف العقلى والعمرانى ، وأخذنا نصيبنا كاملاً من ضروريات الحياة ، والغذاء الصحيح للعقول ، ومقومات الأخلاق والشخصية ، ولم يبق أمامنا إلاَّ أن نعكف على مخلفات الحضارة الأوربية نلتقط منها الغث والسمين ، والنافع والضار ، والجميل والدميم ، وما يلائمنا وما لا نستسيغه ، وما لا يوافق طباعنا وعاداتنا وجوهر شخصيتنا ؟

أهو اتجار بعقلية الجماهير ، واستغلال لرغبتها الملحة فى القراءة ، وحُمَّى من حميات كسب المال التى ملكت على بعض الناس عقولهم وألبابهم فى هذه الأيام العصيبة ؟ أم هو افتتان بما أوقع أوربا فى التهلكة ، وفكك فيها الأسرة والشعب ، وطوح بالأخلاق والفضيلة والإيمان ، وجعلها تنبذ المثل العليا ، ولا ترى إلاَّ المادة المزرية هدفاً يذلف إليه ويتناحر الناس فى سبيل الوصول إليه حتى أرداهم حرصهم عليه فى ذلك الأتون المستعر الذى كاد يودى بالطارف والتليد ؟

وإلاَّ فما هذا القصص الخليع الذى يثير الشهوة ويقتل الحياء ، ويلطم وجه الفضيلة والشرف ، ويوحى بالإجرام والفسق ؟ وما هذا الأدب الموبوء الذى يزلزل العقيدة ويخدش العفاف ؟ إنه ورد آسِنٌ وغذاء عفنٌ وايم الحق ، وأحرى به أن يصادَر ، ويؤاخذ المتجرون به أخذاً عنيفاً على ما أجرموا فى سبيل أمتهم الناشئة فى العلم والحضارة ! إنهم يريدون مسخها وتشويهها حتى تتناسى ماضيها ، وتفقد ما كَمَنَ فيها من عزة وأنفة ، وتنسى أن لها ديناً يعصمها من الزلل والعثار ، وتاريخاً يزخر بالبطولة والمثل العليا ، وأدباً هو وحى الفطر السليمة

ولقد أعدت الحمى كثيرين فأخذوا يقلدون هذه السلع الدخيلة من غير وعى ، ويصورون أسوأ ما فى مجتمعنا مرة باسم « الأدب الواقعى » وتارة باسم « الأدب الحر » ، وأخرى باسم « الفن للفن » ... إلى غير ذلك من هذه العلامات التى رأوها ملصقة على الآداب الواردة من الخارج ، دون أن يدركوا ما فى انتحالهم هذا من عبث وهَذَر وتزييف وتقليد غث

إن تملق النزعات الوضيعة عند الجمهور ، وبعث الغرائز الدُّنيا لدى الإنسان من معقلها — وقد حاولت الأديان والأخلاق والعلم الصحيح كبتها وتهذيبها — تحت هذه الأسماء المزيفة التى جنت على الغرب من غير أن نتعظ بمأساته جُرم لا يغتفر

ليس للأدب الواقعى قيمة لا من جهة الفن ولا من جهة المغزى ؛ لأنه محاكاة لما فى الطبيعة أو لما فى البيئة الإنسانية محاكاة لا تصرُّف فيها ، فلا تظهر شخصية المؤلف أو إحساسه الخاص ، أو ما يضفيه خياله على الصورة المنقولة ، وكل ما له من جهد أنه جرد الصورة مما يحيط بها وحاول إبرازها بأداة تعبيره ، على قدر استطاعته ، طبق ما فى الخارج

ففن المؤلف هنا سلبى محض ، وأما المغزى ، فالأصل دائماً أروع وأبلغ وأكبر أثراً فى النفس من التقليد . ولم أجد رداً على هذا المذهب أشفى من رد أرسطو حين يعرف الأدب فى كتابه الشعر « بأنه تقليد الناس بصورة خير مما فى الحياة أو شر مما فى الحياة » مهملاً مطابقته لما فى الحياة ؛ « لأن الأصل أمامنا أبداً وهو أبلغ وأقوى » وبدهى أن أرسطو قصر الأدب

(*) هذا المقال رد على من علقوا على مقالى « المرأة » المنشور بالرسالة فى العدد ٥٥٠

وثمة يطفر به خياله الوثاب ، فيتمثل فى عالم الامانى والأحلام ما بلغه العلم بعد عصره بألف عام ، فيتخيل الإذاعة اللاسلكية التى أصبحت الآن حقيقة راهنة بعد أن كانت وهماً من الأوهام فيقول : « ويسلم بمكة ، فيسمعه أخوه بالشام »

ثم يتمادى فى خياله فيتمثل الإنسان وقد استطاع أن ينقل النار فى لحظات من مكان قصى إلى آخر ، أو يتخيله يغص باللقمة وهو فى « خراسان » فيسرع إلى ماء « زمزم » ليستقى منه ويزيل غصته به . أو بغيره من المياه البعيدة النائية ، فيقول : « ويأخذ النار من تهامة ، فيوقد بها النار فى يبرين وقاصية الرمال . ويجاز بأكيلته (يغص بلقمته) فى قصور فرغان (فى خراسان) فيعتصر بماء المضنونة (زمزم) أو جراب (موضع بعيد ، فيه ماء)

كامل كيلانى

بتعريفه هذا على المأساة والمهزلة ، ولا يعنينا تبيان رأيه هذا إلا بالقدر الذى سقناه إليه ؛ إذ يريد إثارة العواطف والمشاعر فى الناس ، ولذا فهو يبالغ فى مُثل الخير حتى يحمل الناس على احتذائها ، ويبالغ فى تصوير مثل الشر حتى ينفر الناس منها

ثم لماذا لا يقلد هؤلاء باسم « الأدب الواقعى » إلا الصور الدميمة التى تدفع إلى الرذائل ذوى القلوب الخاوية والأخلاق الرقيقة ، ومن ليس عندهم مبادئ تعصمهم أو إيمان يردعهم ، ومن تسهل غوايتهم وإضلالهم ؟

أما « الفن للفن » أو الفن المقصود لذاته فعبارة يريدون بها أن ليس للفن وظيفة يؤديها فى الحياة ، وأنه لا يحكم عليه بأمور خارجة عنه فلا يقال : إنه صادق أو صحيح أو نافع أو مهذب أو ضار أو كذب ، وإنما هو التعبير لمجرد التعبير دون أن نتوقع منه أن يخبرنا بشىء أو يقنعنا برأى

إما أن يكون للكلام معنى أو خالياً من المعانى ، فإن كان له معنى ، فإما أن يكون المؤلف قد عناه وحاول التعبير عنه أو يكون قد جاء عفواً دون أن يدرى به أو يقصده ، فإن كان قد عناه ورمى إليه بعبارته فليس أدبه من الفن للفن ؟ وإن كان رمية من غير رام وشيئاً صدر عنه من غير أن يشعر به أو يعمل فيه فكره ـ فلو سلمنا بهذا ـ لم يؤاخذ عليه صاحبه لأنه أشبه بهذيان المحموم وعبارات المعتوه لا يعنيها ولا يريدها ولا يسأل عنها أو يحاسب عليها . ومثل هذا حرى بنا ألا نشغل به عقولنا أو نسميه أدباً . وأما إن كان الكلام خلواً من المعانى فحسبنا أنه كذلك ، فهو لغو وهراء فهل هذا هو « الفن للفن » ؟

إنى أفهم « العبارة » على أنها وسيلة لنقل معنى فى نفس المؤلف يريد أن يفضى به للقارئ ، لا غاية فى ذاتها ؛ وهذا المعنى سيؤدى وظيفته من تأثير فى نفس القارئ بالخير أو الشر ، وسيصدر عليه القارئ حكمه حتماً حسب استعداده وحسب قوة وصوله إليه أو ضعفها ـ تبعاً لمهارة المؤلف الفنية ـ سواء أراد المؤلف ذلك أم لم يرده . أما ألا نوجه للفن حكماً خارجاً عن طبيعته ، فأغلب الظن أن هذه نظرية أرادوا بها التخلص من التبعات والهرب من النقد ، والتستر وراء الفن حتى لا يهاجموا أو يحاكموا إن ندّ فكرهم أو شردت أغراضهم عن المألوف ، أو طعنوا الفضائل واستخفوا بالأخلاق

مهمة الأدب

الأدب صورة لما يتجاوب فى النفس الإنسانية الملهمة الفنانة من فكر وإحساس ورغبة ، فنفس الأديب تتأثر تارة بما فى الحياة من تجارب ومناظر وحقائق وإحساسات فتنفعل لتلك المؤثرات وتتحد معها وتضفي عليها من إلهامها وخيالها ومشاعرها ثم يبرزها بعد ذلك الانصهار ليتأثر بها غيرها ، وتارة تنبع تلك الصورة من النفس ذاتها وما اختزنته من تجارب وما أدته من علم وخيال . وفى كلتا الحالتين هنالك صورة تختمر فى نفس الأديب تظهر في عبارة لتنتقل إلى القارىء ، وكلما كان تأثر الأديب بالصورة عظيما ، وتعبيره عنها قوياً ، كان تأثيرها فى القارئ لا يقل عن أثرها فى نفس مبدعها .

وما دام الأدب لا بد أن يمر على النفس الإنسانية ويصدر عنها ، فمظاهر هذه النفس تحدد لنا الغاية من الأدب والمهمة التى يضطلع بها فى الحياة .

نعلم أن للنفس الإنسانية ثلاثة مظاهر : تفكير ووجدان وإرادة . فالتفكير يبحث عما في الحياة والكون من حقائق ، ويتفهم ما فى هذا العالم تفهماً صحيحاً عارياً عن اللبس والغموض ، فغاية هذا المظهر الحق

والوجدان يتأثر بالجمال والجلال والقوة ، والألم والأمل ، وينفعل بكل ما يثير العاطفة ويغذيها ويرهفها ، فغايته الاهتداء لمواطن الروعة والجمال ، سيان فى ذلك ما يوجد فى الكون والطبيعة ، وما يُرى فى الحياة الإنسانية من تصرفات ومآسٍ وخلق ، فما كان منه منسجما رائعاً شع فى نفس الأديب الإعجاب والارتياح ، وما كان منه متنافراً رديئاً أثار فى نفسه الألم والاشمئزاز

والإرادة تصبو إلى تنفيذ ما يرجوه الإنسان وما يرغب فيه ، وما يراه أنه خير له ، وأن فى تحقيقه سعادته ، والإنسان دوماً حريص على أن يحقق عظائم الأمور ، ويتوق إلى الكمال ؛ ولهذا كان مظهر الإرادة فى نفس الإنسان السليم هو الخير

فالنفس الإنسانية بمظاهرها الثلاثة تجرى وراء الحق والجمال والخير ، وما دام الأدب صورة لنفس إنسانية ممتازة بالإلهام والقدرة على التعبير فلا بد أن يحقق واحداً من هذه الثلاثة

وإذا كان هنـاك أدب لا يُعنى بهذه الأمور أو يفصح عنها فهو أدب نفس مريضة شاذة تهيم بالضـلال والدمامة والشر ، وهو أدب يترضى النزعات الحقيرة فى الإنسان ، وينادى الأجزاء الدنيا من النفس الإنسانية لتستجيب له ، ويعمل على شل سيطرة العقل أو إضعاف سلطانه على بقية أجزاء النفس من قوى شهوانية وغضبية ، وفى هذا ما فيه من شر مبين على نفس الفرد وانسجام المجتمع .

ثم إن نفس القارئ تهتز وتطرب وتأذن بيسر وسهولة لمن يحدثها عن الحق والجمال والخير إلا النفوس الوضيعة اللئانة . ولا ريب أن الموضوعات النفسية تختلف أنواعها فى نظر الإنسان بين الجميل والقبيح والجليل والحقير والشريف والوضيع ، وهي تهتز وتعجب بمن يصور لها الجمال والمجد والشرف ، وتصغى لهذه الحقائق فى نهم وشوق لأنه يسمو بها ويحلق فى أجواء المثل العليا التى تطمح فى الوصول إليها ، وبنيه فيها مشاعر الجمال والجلال . قد يجيد بعض من يتحدثون عن الأشـياء التافهة الحقيرة ؛ بيد أن جودة فنهم قد تغبن فى تفاهة الموضوع . والأدب لا ينظر فيه إلى الإجادة فحسب ، ولـكن يراد مع هذا الموضوع الذى ينفث فى النفس الإنسانية من قوته وسحره وروعته . فيشد من عزيمتها وينمي مشاعر الخير والجمال منها ، وبهـذا يؤدى الأدب رسالته السامية ، وفى هـذا يتفاوت الأدباء فى ميدان الخلود والشهرة ، وكلما حققوا فى كتبهم وجعلوا غايتهم تلك المثل الرفيعة ، كان حظهم من المجد والعبقرية أوفى

أما هؤلاء الذين يتشدقون بأنه ليس من شأن الأديب أن يكون واعظاً أو مرشـداً وإلا ثقل على النفس وسمج فأقول : إن هناك طرقاً شتى للتأثير فى نفس القارىء وتحقيق الغاية من الأدب ، فالإيحاء والتعريض ، والصورة والرمز وضرب المثل ، وإبراز المآسى ، والتهكم والتندر بالأسـلوب الطريف الشائق ؛ كل هـذه وسائل تعبد أمام الأديب سبيله . أما أن يكون أدبه مجرد عبارة تقال لا غاية لها ولا معنى تفصح عنه ، فهو هراء تربأ بأنفسنا وبكم أن نشغل به

وبعـد فنحن أمة لا يزال نصيبها من الرقى ضئيلاً ، وفينا عيوب خلقية واجتماعية كثيرة ، ونحن أحوج إلى من يرينا الحق ويهذب نفوسنا ، ويكبح جماح شهواتنا ، ويرشدنا إلى طريق السعادة والخير . إن بيتاً من الشعر قد يصلح نفساً ضالة أو يرد النكس الجبان إلى الثبات والشجاعة . ولقد قتل بيت من الشعر أبا الطيب المتنبى حين هاجمه أعداؤه وهو عائد من لدن عضد الدولة ، فلما رآهم كثراً وأنه ليس لهم نداً ، هم بالفرار فنادوه : ألست القائل :

الخيل والليـــل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فثبت فى مكانه وقاتلهم بصبر وشجاعة حتى قتل

ورحم الله معاوية حين قال : « اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر دأبكم ، فلقد رأيتنى ليلة الهدير بصفين ، وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض ، وأنا أريد الهرب لشدة البلوى فما حملتنى على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة :

أبت لى همتى وأبى بلائى ... وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وإقحامى على المكروه نفسى ... وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صـالحات ... وأحمى ، بعد ، عن عرض صحيح

عمر الدسوقى

محاورات المـــوتى

المحاورة الثالثة

للكاتب الفرنسي برنار بوفيه دفونتنيل

بقلم الأديب يوسف روشا

هوميروس وإيزوب

هوميروس : صاحب الملحمتين الخالدتين الالياذة والأوديسة ، عاش حوالى ٨٥٠ قبل المسيح ، ومن أغرب ما يحكى أن الرسام أغانون قد دفعه تعصبه لهوميروس إلى أن يصوره وهو يقيء وسائر الشعراء يزدردون قيئه

إيزوب : مؤلف وفيلسوف إغريقى ، صاحب القصص الخرافية المشهورة ، عاش فى القرن السادس قبل المسيح ، وكان عبداً ثم أعتق لنبوغه .

المحاورة

هوميروس : ليس من الممكن حقاً أن تظفر كل هذه القصص الخرافية التى قرأتها علىّ بإعجاب الناس كثيراً . على أنك لو لم تكن على جانب عظيم من الفن ما استطعت أن تضمن قصصك القصيرة هذه العظات البالغات ، وأن تذيع أفكارك القيمة على ألسنة البهائم .

إيزوب : ما أجمل المديح لهذا الفن يصدر عنك أنت الذى تجيده كل الإجادة !

هوميروس : أنا ؟ أنا لم أحاوله قط .

إيزوب : ما ذا ؟ ألم تزعم أنك ضمنت مؤلفاتك عظات بالغات ؟

هوميروس : مع الأسف لم يخطر ذلك على بالى

إيزوب : ولكن العلماء فى زمانى قالوا كلهم ذلك ، وقد أقبلوا على الإلياذة والأوديسة فاستعاروا صورها ، وصاغوا منها أجمل المعانى الرمزية ، مؤكدين أن جميع أسرار اللاهوت والطبيعيات والأدب ، حتى الرياضيات مبثوثة فى ما كتبت ، على أن نشرهم لتلك الروائع لم يكن سهلاً هيناً ؛ فبينما كان أحدهم يجد معنى أخلاقياً إذا بالآخر يراه طبيعياً . ولكن ما عدا ذلك لم يكن هناك اختلاف فى أنك كنت محيطاً بكل شىء ، ولقد قلت كل شيء للذين يفهمون ما كنت تقول

هوميروس : أقول لك الحق ، لقد وقع فى نفسى أن بعض الناس لا يعجزون عن استنباط أروع المعانى وأبلغ العبر مما كتبت ، مع أنى لم أقصد إلى شىء من ذلك . ما أسهل على المرء أن يتنبأ عن حوادث بعيدة ثم ينتظر وقوعها ، أو أن يقص حكايات خرافية ثم ينتظر من يطبق عليها المجازات !

إيزوب : لا شك أنك كنت جريئاً بعض الشىء فى إلقائك عبء إدخال المجازات فى شعرك على كواهل قرائك . أين كنت تكون لو أنهم فهموها على معناها الحرفى ؟

هوميروس : هدىء من روعك ، فإن ذلك لو حدث لما نشأ عنه نكبة عظمى كما تتصور

إيزوب : كيف ! وهؤلاء الآلهة الذين شوه بعضهم بعضاً ! أما ترى إلى كبير الآلهة « جوبيتر » كيف يتوعد زوجه البارعة « جونو » فى أحد اجتماعات الآلهة بضربها ؛ وإلى مارس إله الحرب وقد جرحه « ديوميدس » جرحا بليغاً كيف يصرخ كما تقول بقوة تسعة آلاف أو عشرة آلاف رجل ، ومع ذلك لا يعمل ما يعمله رجل واحد ! فبدلاً من أن يمزق اليونانيين شر ممزق لا يرى غضاضة فى أن يذهب إلى كبير الآلهة يشكو له جراحه ! كان فى الإمكان أن تبلغ هذا الغرض من غير حاجة إلى استعمال المجازات

هوميروس : وما ذا على من ذلك ؟ أتتصور أن الطبيعة البشرية لا تتوخى غير الحقيقة ؟ إذن ما أضلك ! إن هناك عطفاً متبادلاً واتصالاً وثيقاً بين الذكاء البشرى والكذب . فإذا أردت أن يستسيغ الناس الحقيقة فلا بد أن تكسوها بالأساطير ، على حين أن الأساطير لا تحتاج إلى الحقيقة ليستسيغها الناس ! فالحقيقة إذن مضطرة إلى أن تستعير وجه الكذب ليتقبلها ضمير الإنسان قبولا حسناً ، ولكن الكذب ينفذ إلى قلب الإنسان

منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

للأستاذ سعيد الديوه جي

— ٤ —

(١) الاعتقاد بآلهة سبعة

يعتقد اليزيديون أن الله خلق سبعة آلهة من نوره ، وكان عمله هذا كمن أوقد سراجاً من سراج . وهؤلاء الآلهة السبعة هم :

الملاك عزازيل وهو « طاووس ملك » رئيس الجميع خلقه يوم الأحد

الملاك درداائل وهو الشيخ حسن خلقه يوم الإثنين

« إسرافيل « « شمس الدين خلقه يوم الثلاثاء

« ميخائيل « « أبو بكر « « الأربعاء

« عزرائل وهو السجادين خلقه يوم الخميس

« شمنائل « « ناصر الدين « « الجمعة

« نورائل « « بدين « « السبت

وقال لهم الله إني خلقت السماء فليصعد كل منكم وليخلق شيئاً . فصعد الأول وخلق الأرض ، وصعد الثاني وخلق الشمس ، والثالث القمر ، والرابع الفلك ، والخامس «الصرفع» أي نجمة الصبح « والسادس الفردوس ، ثم جهنم . ثم صعد الله إلى محله وتناوب هؤلاء الآلهة السبعة إدارة العالم منذ طوفان نوح إلى الآن ، وكل منهم تولاه ألف سنة دون أن يتدخل أحدهم في شأن الآخر . والحكم الآن والتدبير « بين طاووس » وهو رئيسهم . والمتأمل في آلهتهم يجد أنهم — ما عدا طاووس ملك — مشايخهم الذين أضلوهم عن الطريق ، وأولهم الشيخ حسن ، وهو أول من بدل دينهم . وهذا نتج عن الغلو في حب هؤلاء المشايخ حتى أدى إلى تأليههم . والاعتقاد بآلهة سبعة هو اعتقاد الصابئة ؛ ولعل هذا الاعتقاد سرى إليهم من صابئة « حران » ، وقد علمنا أن هذه المدينة كانت منذ العهد الأموي من أشد الناس تعصباً للأمويين وأنها كانت كذلك مركز الصابئة في صدر الإسلام

(ب) الشيطان « طاووس ملك »

ويعتقدون أن الشيطان — ويسمونه « طاووس ملك » — أشد هذه الآلهة بطشاً ، وأنه أقربهم إلى الله تعالى ؛ بل إن سلطانه في بعض الأحيان لا يقل عن سلطان الله جل وعلا ، وأنه مختص بالملة اليزيدية . وقد جاء عندهم ورأوه ، وينكرون أمر طرده من الجنة . جاء في مصحف رش : « إن الأمم لا تعرف ذلك فتقول إن إلهنا نزل من السماء مطرودا محتقراً ولذا يجدفون[1] عليه ، فقد غلطوا بذلك وضلوا ، أما عندنا نحن اليزيدية فلا نقبل ذلك ، لأننا نعرفه وحدنا وهو واحد من السبعة الآلهة المذكورة آنفاً ونعرف صورته وشخصه وهي صورة الديك[2] ، فلا يجوز

(١) يكفرون (٢) واليزيدية يرمزون للشيطان بديك أعور العين مصنوع من النحاس وزيارته عندهم فرض ، وهم يدورون به في القرى اليزيدية ويتولى أمره « القوالون »

بغير استئذان ولا شفيع ، ذلك لأن هناك مولده وفيه مقامه . أما الحقيقة فهي وحدها الغريبة . والحق الذي لا شك فيه ولا يحسن بك أن تجهله هو أن آلهتي على علاتهم لم يتسخفهم الناس .

إزوب : إن الذي تقوله يفزعني ، فأنا شديد الخوف من أن يعتقد الناس أن الحيوانات تتكلم حقيقة كما جعلتها تتكلم في أساطيري

هوميروس : ذلك خوف لا حقيقة له

إزوب : كيف ؟ إذا كان الناس يعتقدون أن في إمكان الآلهة أن يتحدثوا فيما بينهم على الصورة التي قصصت ، فماذا يمنعهم من أن يعتقدوا أن الحيوانات تتكلم كما أردت لها أن تتكلم ؟

هوميروس : تلك مسألة أخرى . إن الرجال يسرهم أن تنخفض الآلهة إلى دنياهم ، ولكنهم لا يرغبون أن ترتفع الحيوانات إلى مستواهم !

يوسف روشا

لأحد أن يلفظ اسمه أو ما يشابه اسمه كالشيطان والقبطان وشروشط وما شاكل ذلك ، ولا لفظة ملعون أو لعنة أو نعليذ أو ما أشبه ، فكلها حرام علينا لفظها احتراماً له . وإذا جدف عليه أحد أو نطق بما شابه ذلك أمام يزيدى يجب على اليزيدى أن يقتله أو يقتل نفسه . أما بقية الطوائف فلا تعرف هذه الأشياء كلها ، لأنها لا تعرف طاووس ملك ولا يعرفها ولا ينزل عن حدها . أما نحن معشر اليزيدية فأتى عندنا وسلم لنا الآيات والحقائق والقوانين ، فصارت كلها بالتناسل وراثة من الوالد إلى ابنه ثم صعد إلى السماء » . وفى (مصحف رش) ما يستفاد أن (طاووس) هو المتسلط على العالم الفعال بلا منازع ولا يسمح لغيره من الآلهة أن يتدخل فى أمره . قالُ (طاووس ملك) « أنا موجود وليس لى نهاية . أنا رتبت منذ القدم تدابير العالم وانقلاب الأجيال وتعرف مدبريهم . لى تسلط على كل الخلائق ، وإلىَّ تدبير مصالح كل الذين تحت حوزتى وقبضة يدى . أنا حاضر سريعاً عند الذين يثقون بى ويدعوننى وقت الحاجة ، ولا يخلو منى مكان فى الدنيا كلها . أنا مشترك فى كل الوقائع التى يسميها الخارجون شروراً لأنها ليست بحسب مرامهم » وهو فوق هذا متسلط على بقية الآلهة وهم قاموا بوظائفهم حسب إرادة هذا الرئيس . ومن لم يفعل ما يأمره به « طاووس ملك » ، فإنه يندم . جاء فى الجلوة : « لكل زمان مدبر مشورتى . ويندم ويحزن الذى يقاومنى . جميع الآلهة ليس لها مداخلة فى شغلى . بيدى قوة وسلطة على جميع ما فى الأرض فوقاً وأسفل » وطاووس ملك يوصى أتباعه أن يخلصوا لتعاليمه ويدافعوا عنها فإن فعلوا هذا ، فإنهم يجدون فى أنفسهم لذة وفرحاً وينالون خيراً منه . وأما الذين يقاومونه فإنه يساط عليهم الأوجاع والأسقام . وهو الذى يعطى . ويمنع والعظمة والثروة بيده يعطيها لمن يختاره من بنى آدم ، ويمنعها عمن يسخط عليه .

ويروون حكايات كثيرة تدل على تسلطه على بقية الآلهة ، وإنه يفعل ما لا يقدر غيره من الآلهة أن يفعله حتى ولو كانت هذه الأفعال خلافاً لأمر الله عز وجل . ومن ذلك : أن الله غضب على عيسى بن مريم مرة فأخذه ونزل به الأرض وألقاه فى جب ووضع طبقاً كبيراً من الحجارة على فوهة الجب لئلا يخرج ، وبقى هذا المسكين يعانى آلام الوحدة والوحشة والجوع والعطش ، وأخذ يستغيث بالآلهة واحداً بعد آخر فلم يجبه أحد خوفاً من الله . وأخيراً خطر بباله طاووس ملك فاستغاث به فما كاد يسمع صوته حتى هرع إلى الأرض وأخرجه من الجب وصعد به إلى السماء . ولما رآه الله جل جلاله سأله من أخرجك ؟ قال له : طاووس ملك . فقال له الإله : لا بأس بذلك ، لأن طاووس ملك عزيز علىّ ولا أرد له عملاً وأن غيره لا يقدر على إخراجك من محبسك إلا بأمرى

أما عدم سجوده لآدم فيعتقدون أنه كان محقاً فى ذلك ، وكان بفعله هذا ممتثلاً لأمر الله تعالى ولم يخالفه ، وإنما نال القربى منه بعد أن حاجَّه فى فعله ، وذلك « أن الله عند ما خلق السموات والأرض سلم مفاتيح الخزائن إلى طاووس ملك وأوصاه أن يفتح هذه المخازن كلها إلا مخزناً واحداً . ولكن طاووس ملك فتح المخزن الذى نهاه الله عن فتحه فوجد فيه ورقة مكتوباً عليها : (لله إلهك تسجد ، وله وحده تعبد) فأخذ الورقة واحتفظ بها . ولما خلق الله آدم وأمره بالسجود له أبى ، فألح عليه ، وأصر طاووس ملك على عدم السجود ، وأراه الورقة . فقال له الله تعالى : أفتحت البيت الذى نهيتك عنه ؟ قال : نعم . قال له الله : « هَرْطوق » باللغة الكردية ومعناها (إذهب إلى الطوق) وهو طوق حديدى يضعه الله فى رقبة من يغضب عليه . ولكن الله تعالى لما وجد حجة طاووس ملك قوية وأنه محق بفعله ممتثل لأمره رضى عنه وأرجعه إلى السماء . ويقولون : « هل يمكن أن أحداً يغضب عليه أبوه ويطرده إلى الأبد ؟ كلا . إنما غضب عليه ثم رده حالاً احتراماً له »

وأما إغواء آدم وطرده من الجنة ، فكان بأمر « طاووس ملك » جاء فى الفصل الثانى من مصحف رش : « وأمر جبرائيل أن يدخل آدم إلى الفردوس ، ويأمره بأن يأكل من كل الشجر ما عدا الحنطة . وبقى آدم مئة سنة . فقال « طاووس ملك » لله كيف يكثر آدم وأين نسله إن لم يأكل من شجرة الحنطة ؟ فقال له الله تولّ أنت ، سلمت الأمر والتدبير بيدك . فجاء (طاووس ملك) ، وقال لآدم هل أكلت من الحنطة ؟ أجاب

آدم كلا ، لأن الله قد نهانى . قال (طاووس ملك) كل من الحنطة فتغدو أحسن ، ثم أكل آدم من الحنطة وللوقت انتفخت بطنه وأخرجه من الفردوس وصعد إلى السماء . وكان آدم حزيناً كثيب الخاطر يبكى وينوح . ويعتقدون أن سبب الطوفان الأول هو من استهزاء الجنس البشرى الذى تناسل من آدم وحواء « أى اليهود والنصارى والإسلام » بالمهم . ولهذا سلط عليهم « طاووس ملك » المياه وأغرقهم . ثم أعقبه الطوفان الثانى الذى مضى عليه سبعة آلاف سنة حكم به كل إله ألف سنة ينزل فى أرض « اليزيدية » لأن كل الأماكن المقدسة عندهم . وفى هذا الزمان قد أقام عندهم « طاووس ملك » وهو يكلمهم باللسان الكردى من عهد آدم إلى الآن وجميع وصاياه وتعاليمه أملاها عليهم بهذه اللغة لقدمها

وإن سبب مقاطعتهم للعن وما أشبه هذه اللفظة فإنه بدأ فى زمن « الشيخ عدى الكبير » وذلك لأنه عندما وجد تفاقم أمر اللعن عند الحزبين الأموى والعلوى — كما مر آنفاً — حرم عليهم كل لعن ليجتث هذه السنة السيئة من أساسها . ثم تطورت هذه الفكرة بعده على يد أحفاده الضالين المضلين فحرموا اللعن حتى على الشيطان والنطق باسمه واستعاضوا عنه « بطاووس ملك » وإنى أرجح أن يكون لفظ « طاووس ملك » محرفاً عن « طاغوت » وقد ورد هذا اللفظ فى عدة أماكن فى القرآن الكريم بمعنى الشيطان ، منها قوله عز وجل : « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » واليزيدية ينطقونه « طاغوس ملك » والتقارب قوى بين اللفظين

والخلاصة أن عقيدة اليزيدية فى الشيطان مرتبكة جداً ، ومن الصعب أن نقف على أول دخولها عندهم وعلى تطورها حتى آلت إلى ما هى عليه من الارتباك . وأعتقد أن هذا الارتباك فى أمره نتج عن أمية هذه الطائفة ، وخاصة أن كتبهم المقدسة كتبت فى عهد قريب على ما يظهر من سقم عباراتها وابتذال ألفاظها وارتباك معانيها . كما أن القراءة والكتابة محرمة على كافة اليزيدية ما عدا طبقة الملالى وهم الذين يدعون أنهم من نسل « حسن البصرى »

وهم يذكرون متناقضات عنه : تارة بأنه خلق العالم منذ الأزل وأنه متصرف فيه ، وأن كل صغيرة وكبيرة لا تكون إلا بأمره ، وأن جميع الآلهة قاموا بإدارة العالم بمشورته ، وإن الله لا يرد له عملاً . ومن جهة أخرى إن الله خلقه كما خلق بقية الآلهة ، وإنه غضب عليه وطرده من الجنة ثم أعاده وغير ذلك .

ولا شك فى أن عقيدتهم فيه متأثرة بالديانة « الزردشتية » فهو إله الشر « وأعماله التى يقوم بها خير بخلاف ما يظنه أهل الملل الباقية إنها شرور ، فهى شرور عليهم لأنهم لا يعرفون حقيقتها ولا يعرفون « طاووس ملك » ، ولكنها بالنسبة إلى الأمة اليزيدية التى تعترف به والتى يحبها هو ، وقد اختارها من دون الخلق ، خير وسرور وسعادة »

(البقية فى العدد القادم) سعيد الديوه جى

سجاد الأناضــــول

للدكتور محمد مصطفى

- ٣ -

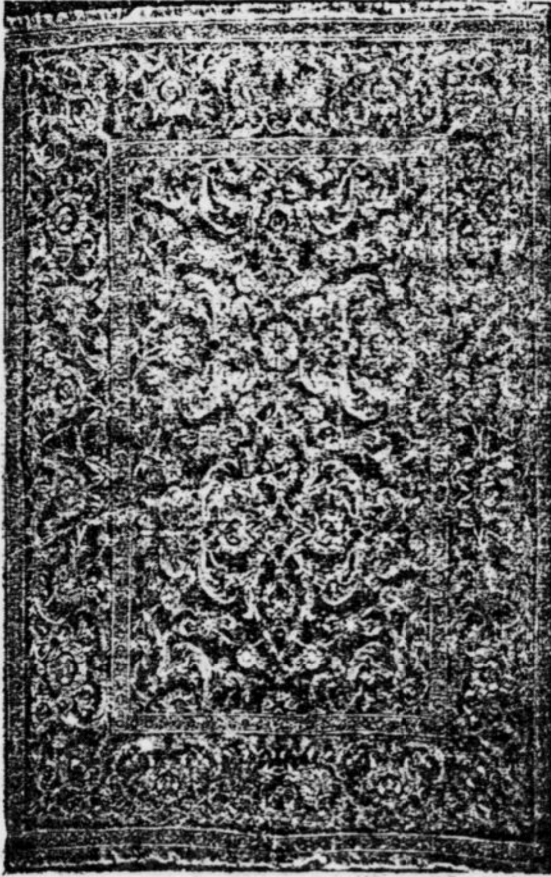
سجاد « دمشق »

اشتهر هذا النوع من السجاد باسم tappeti damacini ، أى « سجاد دمشق » ، لأن زخارفه تماثل زخارف ألواح القاشانى المشهورة باسم « دمشق » . ولكن علماء الفن الإسلامى يقولون إن دمشق لم تشتهر بصناعة السجاد ، وهم لذلك يرجحون أنه كان يجمع فى هذه المدينة لشهرتها كمركز تجارى ، ويعدّ بها للتصدير إلى أوربا . والرأى السائد هو أنه كان ينسج فى مناسج خاصة بالبلاط العثمانى أنشأها السلطان سليمان القانونى بجهة قريبة من القسطنطينية مثل مدينة بورصا ، وأحضر إليها صناع السجاد من مصر وإيران . ويتضح مما نراه فى طريقة نسج زخارفه النباتية من الدقة التامة والعناية أنها منقولة عن رسوم وتصميمات وضعت لها من قبل .

ونلاحظ فى هذا السجاد أن الزخارف النباتية الإيرانية التى استعملت فيه قد تطوّرت إلى درجة كبيرة ، ودخلت عليها عناصر جديدة جعلتها كثيفة وغنية ، فتبدو كأنها تحاكي الطبيعة إذا نظر إلى كل وحدة منها على حدة ، ولكنها تظهر فى مجموعها مهذبة وشديدة الكثافة . ويتبين هذا فى أشكال المراوح النخيلية الكبيرة ، وفى تموجات الأوراق الملتوية ذات الأسنان ، وفى الأغصان والفروع المثقلة بالزهور ، وفى الطريقة الزخرفية التى ترسم بها زهور النرجس والسوسن والقرنفل . وتنسج هذه الزخارف باللون الأصفر أو الأبيض على أرضية بالأحمر أو الأزرق ، والألوان الأخرى المستعملة فيه هي الأخضر والأسود

وينسج سجاد دمشق من صوف ماعز الأناضول اللامع ، أو من الحرير . وللسجاد المنسوج من الحرير خصائص أنواع سجاد الأناضول الأخرى المنسوجة من هذه المادة ، أى أن لحمته تصبغ باللون الأخضر ، وكذلك السداة إذا كانت من الحرير أيضاً

وفى « شكل ١ » بساط من سجاد دمشق أرضيته باللون الأحمر عليها بالأصفر والأبيض والأزرق المائل إلى الاخضرار زخارف نباتية وفروع متشابكة وكثيفة بأوراق مسننة كبيرة مرسومة فى أوضاع متناظرة « سيمترية » . وهذا البساط من أواخر القرن السادس عشر ، وهو فى مجموعة دار الآثار العربية



(شكل ١)

سجاد « ترانسلفانيا »

عثر هواة السجاد فى أواخر القرن الماضى على عدد كبير من نوع خاص من سجاد الأناضول كان محفوظاً فى خزائن كنائس مدينة كرونستاد بمقاطعة ترانسلفانيا ، فعرف هـذا النوع باسم « سجاد ترانسلفانيا » ، ويعلل وجود عدد كبير منه فى مدينة كرونستاد أن رجال الكنيسة فى هذا البلد كانوا يتقاضونه بمثابة مكس من تجار السجاد القادمين من الأناضول كى يسمحوا لهم

بالمرور إلى غرب أوربا . وكان هذا السجاد يستعمل فى الـكنائس البروتستانتية بترانسلفانيا لتغطية كراسى الصلاة ، وكان أفراد العائلات يتوارثونه جيلاً بعد جيل .

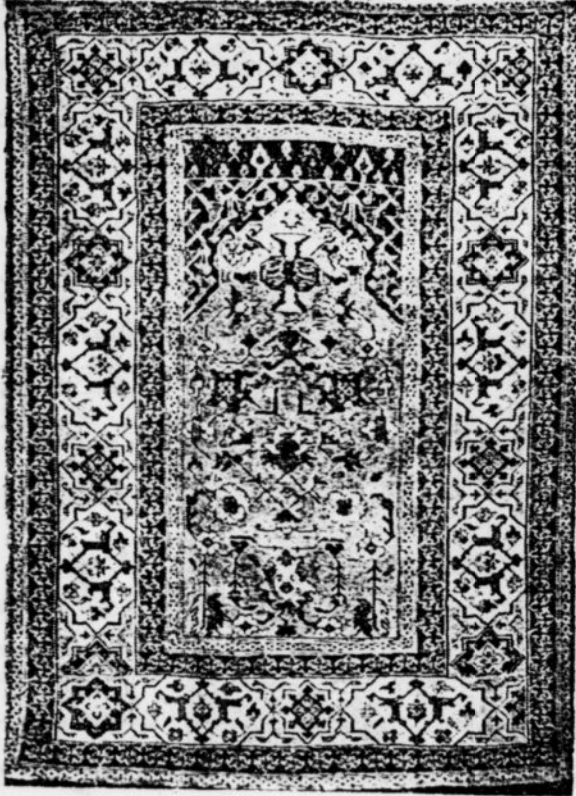
وتجد سجاد ترانسلفانيا مصوراً فى اللوحات الأوربية المرسومة فيما بين سنتى ١٥٢٠ و ١٧٠٠ . والغالب أنه كان ينسج فى جهات قونية أو لاذق كما يتبين من متانة نسيجه وكثافته ، وقد انقطعت صناعته منذ منتصف القرن الثامن عشر

وهذا السجاد متشابه فى رسومه ، ففى وسط أرضيته نرى عقد محراب أو عقدين متقابلين ، وتواشيح العقود مزينة بفروع متشابكة بسيطة مرسومة بطريقة هندسية يمتاز بها نوع ترانسلفانيا ، أو بزهور فى شكل تروس وأوراق بسيطة مسننة . ويزخرف الإطار بزهور كبيرة غريبة المنظر يتدلى من جانبى كل منها ورقتان مسننتان يجعلانها تشبه شكل الجعران ، أو بمناطق نجمية بداخلها وحدات زخرفية يتفرع من جانبى كل وحدة ما يشبه الخطاف

وألوان سجاد ترانسلفانيا زاهية ويغلب فيه اللون الأحمر الأحمر الزاهى والأزرق الفاتح والأزرق القاتم والأصفر السمنى والبنى المائل إلى اللون الأسود الذى يحصلون عليه باستعمال مرارة الحيوانات فى الصباغة

واللحمة والسداة من الصوف ، ولا تزيد مقاساته عن عن ١٫٢٠ × ٢٫٠٠ متراً

وفى « شكل ٢ » سجادة صلاة من نوع ترانسلفانيا ، عليها محراب بعقد مدبب تتدلى منه مشكاة ، وأرضية المحراب باللون الأصفر السمنى ، عليها بالأبيض والأحمر الفاتح والأزرق الزاهى فروع مزهرة متشابكة في وضع هندسى متناظر سيمترى . وخاصرتا عقد المحراب باللون الأزرق القاتم وعليها بالأحمر فروع متشابكة مرسومة بشكل هندسي تظهر كأنها متشجرة . وإطار هذه السجادة يتألف من شريطين على شكل شرفات متجاورة بالأحمر والبنى الأسود ، بينهما شريط عريض عليه مناطق نجمية بداخلها وحدات زخرفية هندسية يتفرع من جانبي كل وحدة ما يشبه الخطاف من النوع الذى يمتاز به سجاد ترانسلفانيا . وزخارف الإطار مقطوعة وغير متصلة كما يتبين ذلك فى الركن الأعلى الأيمن وفى الجانب الأسفل من الإطار ، وهـذا النقص يمتاز به سجاد الأناضول ، لأن الصناع الأناضوليين — بعكس الصناع الإيرانيين — لم يتقنوا نسج الإطار المتصل الزخارف . وهذه السجادة من أواخر القرن السادس عشر ، وهى فى مجموعة المسيو بنسيلوم



(شكل ٢)

سجاجيد الصلاة

تميز سجاجيد الصلاة بالمحراب الذى يحدد عليها بخطوط واضحة وبألوان تتباين مع الألوان المحيطة به . وعقود هـذه المحاريب لها أشكال كثيرة ، فهي ترسم بخطوط مستقيمة أو مدرجة أو متموجة ، وتـكون مدببة الشكل أو مفرطحة أو على شكل حدوة الحصان . وقد يكون المحراب عقد واحد أو عقدان أو ثلاثة عقود . ولـكل بلد ينسج فيها السجاد طراز خاص بها لعقد المحراب ، حتى أنه يمكن غالباً الاستدلال على مكان نسج السجاد من شكل عقود محاريبه .

وقد تزخرف أرضية المحراب فتتدلى من العقد مشكاة

أو أبريق أو باقة من الزهور أو فرع طويل مزهر ، وأحياناً تنتشر عليها زهيرات صغيرة فيسميها تجار السجاد « سينكلي » أي بالذباب

وترتكز بعض عقود المحاريب على أعمدة تكون فى السجاد القديم مطابقة للشكل المعمارى ، ثم تتطور هذه الأعمدة حتى تصبح فى شكل فروع مزهرة تتدلى من العقد بدلاً من أن تكون دعامة له يرتكز عليها

وتزخرف تواشيح خواصر هذه العقود بفروع نباتية شديدة التهذيب ، أو بزهور مرصوصة فى صفوف منتظمة

أما إطار هذه السجاجيد فإنه يتألف من ثلاثة أشرطة يكون الأوسط منها عريضاً ، أو من عدة أشرطة رفيعة بيضاء وسوداء عليها نقط فى مسافات متساوية فتسمى (شُبُكلى) لأنها تشبه غابة « الشبُك »

ومن بين أنواع سجاجيد الصلاة نوع يسمى (صف) ينسج فى جهات متعددة من مراكز نسج السجاد بالأناضول ، ويرسم عليه (صف) واحد أو أكثر من صف من المحاريب المتجاورة ، لتأدية الصلاة جماعة . وهذا النوع ينسج غالباً فى الأناضول وفى بلاد التركستان الصينية . ومحاريب القديم منه متماثلة فى السجادة الواحدة ، ولكنها تختلف من حيث اللون والزخارف فى كل سجادة من السجاد المنسوج بعد أواخر القرن الثامن عشر

وثمت نوع آخر من سجاجيد الصلاة يسمى (تربه لك) أو (مزار لك) ترسم على أرضية محرابه شواهد قبور أو مدافن بها أشجار سرو . ويستعمل هذا السجاد لفرش المقابر أو لتغطية نعش الموتى

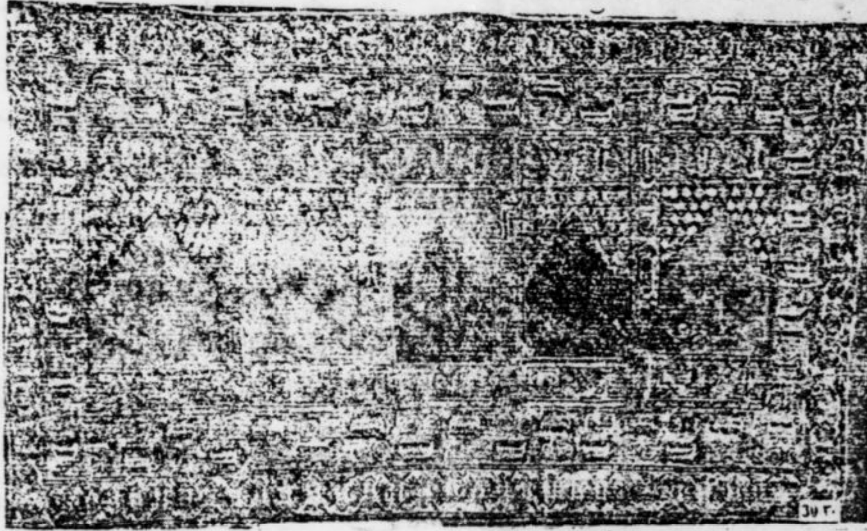
جوردیز

تقع مدينة جورديز فى الجهة الشمالية الشرقية بالقرب من أزمير ، وإليها ينسب السجاد المعروف بهذا الإسم

ويرسم محراب هذا النوع عادة فى وسط السجادة تماماً ، فتصير مقاساته بذلك أقصر منها فى الأنواع الأخرى . وتعلو المحراب حشوة عليها زخارف قائمة بذاتها تختلف عن الزخارف الأخرى فى السجادة ، وترسم فى أسفله حشوة أخرى مماثلة لهذه

وتلون أرضية المحراب غالباً بلون واحد أحمر أو أخضر أو أزرق أو أصفر وأحياناً باللون العاجى . وهذه الألوان تكون دائماً خفيفة وباهتة

وتنسج سجاجيد الجوردين من نسج ضيق محكم يزيد فى دقة الرسم . واللحمة والسداة فى السجاد القديم من الصوف ، وفى بعض السجاد المتأخر تكون السداة من القطن



(شكل ٣)

وتعرف بعض سجاجيد هذا النوع باسم « قيز جورديز » أى جوردیز الفتاة . ويقال إن هذا السجاد كان ينسجه البنات ويعنون بنسجه عناية كبيرة بقصد إهدائه إلى أزواجهن عند ما يتزوجن . وتتألف زخرفة الإطار من مثلثات فى وضع مختلف ، ترتكز على قاعدتها أو على إحدى زواياها وتزخرف بزهور مهذبة ويفصل بين هذه المثلثات أشرطة عريضة بيضاء عليها نقط سوداء موزعة بنظام وتنسيق . ويوجد نوع آخر من سجاد قيز جورديز ينسب إلى كبير من العظماء اسمه « قرا عثمان أوغلو » تكون أرضيته دائماً بالأبيض وهو دقيق فى رسومه

ويرجع إلى عصر السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ — ١٨٦١) سجاجيد أرضيتها باللون الأبيض عليها شجرة سرو أو شجيرات مورقة ، وزخارفها متأثرة بالزخارف الأوربية

وفى (شكل ٣) سجادة صلاة « صف » من نوع جورديز عليها خمسة محاريب بجانب بعضها ، أرضيتها بالتوالى من اليمين إلى اليسار باللون الأصفر السمنى الغامق والأحمر الباهت والأزرق

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٣٨ — ما أراد بد النصيحة

قال معاوية : إذا لم يكن الهاشمي جواداً والأموى حليما والعوّامى شجاعاً والمخزومى تياهاً لم يشبهوا آباءهم

فقال الحسن بن على : والله ما أراد معاوية بقوله النصيحة ، ولكن أراد أن يفنى بنو هاشم ما فى أيديهم فيحتاجوا إليه ، ويشجع بنو العوام فيُقتلوا ، وأن يتيه بنو مخزوم فيمقتوا ، وأن يحلم بنو أمية فتحبهم الناس

٥٣٩ — فرحم الله ذلك المفتي

فى البدر الطالع للشوكانى : لما أسلم غازان بن أركون (سلطان التتار) قيل له إن دين الإسلام يحرم نكاح نساء الآباد ، وقد كان استضاف نساء أبيه إلى نسائه وكان أحبهن إليه خاتون وهى أكبر نساء أبيه . فهم أن يرتد عن الإسلام ، فقال له بعض خواصه : إن أباك كان كافراً ، ولم تكن خاتون معه فى عقد صحيح ، إنما كان مسامحاً بها ، فاعقد أنت عليها ، فإنها تحل لك ، ففعل . ولولا ذلك لارتد عن الإسلام . واستحسن ذلك من الذى أفتاه به لهذه المصلحة ، بل هو حسن ولو كان تحته ألف امرأة على سفاح . فإن مثل هذا السلطان المتولى على أكثر بلاد الإسلام فى إسلامه من المصلحة ما يسوغ ما هو أكبر من ذلك حيث يؤدى التحريج عليه ، والمشى معه على أمر الحق إلى ردته . فرحم الله ذلك المفتى !

٥٤٠ — صائر إلى مالك

فى وفيات الأعيان :

كان الفقيه أبو بكر المبارك الملقب بالوجيه والمعروف بابن الدهان — حنبليا ، ثم تفقه على مذهب أبى حنيفة ، ثم شغر منصب تدريس النحو بالمدرسة النظامية ، وشروط الواقف ألا يفوض إلا إلى شافعى المذهب ، فانتقل الوجيه إلى مذهب الشافعي ، وتولاه ، فقال المؤيد أبو البركات التكريتى :

من مبلغ عنى الوجيه رسالة
وإن كان لا تجدى عليه الرسائل [1]
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل
وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت قول الشافعي تديّنا
ولكنما تهوى الذى منه حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر
إلى مالك ، فافطن لما أنا قائل [2]

٥٤١ — تحط ولكن فوقهم فى جهنم

من القول بالموجب لبعض الحنابلة :

يحجون بالمال الذى يجمعونه
حراماً إلى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل أن تحط ذنوبهم ،
تحط ولكن فوقهم فى جهنم

٥٤٢ — حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه

ابن خلكان : لما انتقل سيف الدين الآمدى إلى الديار المصرية وتولى الإعادة بالمدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعى وتصدر بالجامع الظافرى بالقاهرة واشتهر بها فضله ، واشتغل عليه الناس — حسده جماعة من فقهاء البلاد وتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد العقيدة وانحلال الطوية ومذهب الفلاسفة والحكماء ، وكتبوا محضراً يتضمن ذلك ووضعوا فيه خطوطهم بما يستباح به الدم . وبلغنى عن رجل منهم فيه عقل ومعرفة لما رأى تحاملهم عليه ، وإفراط التعصب ، كتب فى المحضر وقد حمل إليه ليكتب فيه مثلما كتبوا فكتب :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه
فالقوم أعداء له وخصوم

كتبه فلان بن فلان

(١) فى البيت خرم وهو سقوط حركة من أول بيت الشعر

(٢) مالك : هو مالك بن أنس صاحب المذهب ، ومالك هو خازن النار وهذه مغالطة لطيفة (المثل السائر لابن الأثير ، وقد روى الأبيات فى كتابه

الزاهى والأخضر النباتى والأصفر السمنى الفاتح . وتواشيح العقود محلاة بزهور متجاورة مرتبة فى صفوف . ويحد المحراب من أعلى وأسفل منطقة مستطيلة على شكل خشوة بها زخرفة نباتية . وإطار السجادة به شريط من وحدات زخرفية لها أسنان تشبه المشط ، وهى لذلك تسمى « دركلى » أى ذات المشط ، ويتفرع من جانب كل الشط تفاحتان . وهذه السجادة من أواخر القرن الثامن عشر وهى فى مجموعة السيد صلاح الدين رفيق صبر مالى .

(يتبع)

محمد مصطفى



«سـلامة القس»

للأستاذ دريني خشبة

مهاة من مَهَى مكة، ذات عينين خُلقتا للحب، وفم براه الله للغزل، وصوت رقّقه للغناء، وقلب صغير إلا أنه فتيّ قويّ زاخر، لأنه استطاع أن ينجو من إبليس، وأن يُقاسم على مرضاة الله!

نشأت سلامةُ في كنف رجل تقي ورع محافظ، فكانت ترعى له البُهمْ في بطائح مكة تذهب بها خِماصاً وتعود بها بطاناً، ثم تحلب وتطهى وتخدم، فإذا أوت إلى فراشها أخذت تُرَجّع بصوتها المختبئ ملء صدرها وحلقها وطي لسانها، وتجد في ذلك الترجيع وهذا التسجيع لذة وراحة ... حتى إذا زارت مكة جميلة المغنية، ونزلت في بيت ابن سهيل القريب من دار سلامة، وأخذت تملأ الدنيا كلها في هذا البلد الآمن غناء، وتذيب قلوب أهله شدْواً، كان قلب سلامة أول ناهل على ظمأ، وكان سمعها أول مستجيب على طول اصطبار، وكان لسانها أول مردد لألحان البلبل الغريد. وسمعها سيدها تجدف بهذا الغناء فنهاها عنه، ووكل إلى زوجته أمر مراقبتها، وإغرائها بترتيل القرآن؛ فأطاعت سلامة، لكنها كانت تطبق على آي الذكر الحكيم أصوات جميلة وألحانها، فلما سمعها مولاها جن جنونه واشتد في أمرها؛ وكانت سلامة ترعى البهم يوماً، فتركتها تتخير من رطب الكلأ ما تشاء، وجلست هي تملأ الهواء بما ملأ صدرها من غناء، فما تنبهت إلا على صوت رقيق حلو ذي رنين يُكمل لها اللحن ويضبط لها النغم، وإذا صاحب الصوت راع صغير يبتسم لها فتبتسم، وإذا هما يتعاهدان على أن يكون أحدهما معلماً والثانية متعلمة ... بأجر زهيد ... قبلة لقاء كل لحن!!

ويضيق بها سيدها لأنها لم ترعو عن هذا الغناء فيبيعها ابنَ سهيل صاحب القصر الذي نفذ منه إلى سمعها وقلبها غناء جميلة، والذي كان ندى الشعراء والمغنين في مكة، يغشاه ابن ربيعة والأحوص والغريض والعرجي ومعبد وكثيرون غيرهم ... ويُسلم ابن سهيل سلامة إلى زعماء الغناء فتثقف عنهم ألحانه، وتصبح فتنة الفتن وريحانة القلوب... وإلى هنا لا تكون المأساة قد بدأت بعد! لأنها لا تبدأ إلا منذ هذه المصادفة التي تبدأ العاصفة في حياة قديس!

لقد كان في مكة تقي من أتقياء المسلمين وأشدهم ورعاً، وكان يُدعى عبد الرحمن بن عمار، وكان يدعوه قومه «القَس»، لصفاء نفسه وانصرافه عن الدنيا وإكبابه على الصلاة، ولزومه المسجد، وزهده في مباهج الحياة، واحترازه من شراك الشيطان. وكان عبد الرحمن يوماً ماراً بقصر ابن سهيل في طريقه إلى المسجد، فما شدهه إلا أن سمع شدواً ينسكب في روحه وينساب في دمه، ثم يستقر في قلبه ليكتب في صفحته مأساة هذا الحب الخالد والهوى الحلال والعشق المسكين

أبطأ عبد الرحمن في سيره ... لكنه عاد فاستعاذ بالله؛ وقبل أن يسرع إلى المسجد سمع منادياً يناديه ... فإذا هو ابن سهيل يدعوه إلى جلسة في قصره يشرفه بها ... وكان ابن سهيل قد رأى عبد الرحمن إذ وقف ساهماً مسبوهاً منصتاً للغناء، فسره أن يسحر صوت سلامة أتقى أتقياء مكة وأصفى أصفيائها، فأقسم ليأتمرن بهذه النفس التي تجردت من الدنيا، ليرى كيف يكون عبد الرحيم بين تقواها وبين مفاتن سلامة... وتأبى عبد الرحمن أول الأمر، ثم وعد أن يزور ابن سهيل وأن يستمع إلى سلامة من وراء حجاب. وقد أجابه الرجل إلى هذا الشرط، ثم رآه مرة وقد نفذ سحر الغناء إلى أغوار نفسه وأخذ يعصف بها عصفاً شديداً، فسأله إن كان يسمح بدعوة سلامة لتجلس إليهما وتغني في حضرتهما من دون ما حجاب... وقبل أن يجيب عبد الرحمن دعا ابن سهيل جاريته فأقبلت... ولم تقبل لتغني فحسب بل أقبلت لتغزو من نفس عبد الرحمن ما لم يغزه غناؤها... لقد كانت جمالاً منوراً وحسناً مزهراً وبهجة سارية، فما هي إلا نظرة واستقرت من قلبه في قرار مكين!

ومضت الأيام ... ولم يبال عبد الرحمن بما شرع أهل مكة يلوكونه عنه ويحكونه عن هيامه بسلامة ... وخلا بها مرة في قصر مولاها فصرّح الحبُّ، وباح الغرام، وقالت له وقال لها، ثم كانت سلامة أجرأ منه فتشهت أن تضع فمها على فمه ... لكن الله القدير آثر لهما العفة، واختار لغرامهما الطهر، فصرف الشيطان عن نفس عبد الرحمن حفظاً لعرض صديقه، وإبقاء على الخيط الذي ربطه بأسباب السماء، وكان حسبه أن يترفق بصاحبته، وأن يفيء بسورتها إلى الله ... ساقيا هذا الهوى الملح، والغرام المسرف بعض ما أسعدت عيناه من دموع ... ثم عاهدها على أن يعمل كما يعمل الناس، حتى إذا اكتمل له ثمنها دفعه إلى ابن سهيل ثم أعتقها، ثم تكون له بعد هذا زوجة!

وكان ابن سهيل رفيقاً بعبد الرحمن حين لحظ ما كان يعصف به من رياح هذا الحب ... فلم يلبث أن عرض عليه سلاّمة هدية خالصة ... إلا أن عبد الرحمن أبى، وزاده إباء أن ابن سهيل كان إذ ذاك في عسرة من أحواله المالية، فإذا اشتراها عبد الرحمن ببعض المال كان أصلح لابن سهيل وأوفق لظرفه الخاص، ثم كان ذلك أكرم لهوى عبد الرحمن وأصْوَن لحبه ... ولم يبال، وقد فكر هذا التفكير أن يبيع بعض عقاره ليشترى سلامة ... فلما فعل، وذهب بالمال إلى ابن سهيل، كان السيف قد سبق ... فقد باع القاضي جميع ما يملك ابن سهيل، وسلامة في كل ما يملك ... لقد اشتراها ابن رمّانة تاجر الجوارى بالمدينة، ولقد دفع فيها غالياً

وكانت صدمةً أى صدمة لعبد الرحمن! لقد ضاقت به الدنيا ... وبكى أحر البكاء وأعنفه، وكانت دموعه تمتح من أعماق قلبه لا من أغوار عينيه ... لكنه احتمل ... وانتوى أن يعمل أضعاف ماعمل ليرضى شهوة المالك الجديد الذي اشترى سلامة تجارة رابحة وصيداً ليس مثله صيد!

ثم مضت الأيام كما مضت من قبل ... أو أشد مما مضت من قبل، وربح عبد الرحمن مالاً جماً، وكان هذه المرة يعمل مع ابن سهيل؟ فلما بارك الله لهما، شدا رحلهما إلى المدينة بعد أن تجهزا ... من أجل سلامة ... وكان قلب عبد الرحمن يحدثه عند كل ثنيّة، وكانت مشاعره تهيج عند كل مقام ... لأن سلامة مرت من قبل بتلك الثنية أو قامت بهذا المقام ... ثم نزلا ضيفين عند أحد الأصدقاء بالمدينة، قبل أن يتوجها إلى دار ابن رمانة ... وعلما من صديقهما أنباء سلامة فقرحا واطمأنا، وكان الرجل قد ذكر لهما أشياء وأخفى عنهما أشياء ... ثم توجها إلى ابن رمانة، وحضرا مجلس غناء شدت فيه سلامة، وأغمى على عبد الرحمن عند بيت من قصيدة له كانت تغنيها، وكانا قد تلاحظا وتعارفا قبل الإغماء. فتولت سلامة العناية به حتى عاد إليه صوابه، فما سلّما حتى استخرطا في بكاء شديد

وخلا الرجلان بابن رمانة وعرضا عليه ما قدما من أجله، فأوشك التاجر الذي لا يعرف إلا عواطف المال ولغة المكسب أن يبكي من التأثر، ثم ألقى إليهما بالنبأ الفاجع: « لقد اشتراها رسل الخليفة بعشرين ألفاً، فهي منذ اليوم ملك يزيد بن عبد الملك ... وغداً يذهبون بها إلى دمشق! »

وإذا كانت الدنيا قد أصبحت ظلمات بعضها فوق بعض في عين عبد الرحمن حين اشترى ابن رمانة سلامة، فيا ترى؟! ماذا تكون حاله الآن! ...

وترفق ابن رمانة فأذن للعاشقين بخلوة، تعاهدا فيها بالصبر والصلاة. الصبر إلى يوم الدين إذ يلتقيان ... في جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ... والصلاة التي تهدى إلى هذه الجنات بإذن الله

هذه أيها القارىء قصة سلاّمة القس التي أنشأها الأخ الصديق الأستاذ على أحمد باكثير، والتي كان قد نشرها من قبل فصولاً في إحدى المجلات، والتي تنشرها له اليوم « لجنة النشر للجامعيين » ضمن ما تنشره من كتب قيمة، فتملأ بها في عالم القصة المصرية فراغاً كبيراً، إن لم يكن فراغاً مخيفاً. والأستاذ باكثير أديب حضرمى كسبته مصر التي نشأ فيها وتخرج في الجامعة المصرية، فهو يدين لمصر بتعلمه، كما يدين لها بهذا الأدب الناضج المتشعب، المتعدد النواحى، فهو شاعر رقيق الشعر جيد المعانى ثائر على التقاليد، وقد كنت على أن أتكلم عن طريقته في الشعر المرسل لولا أشياء صرفتني عن ذلك إلى حين. وباكثير شاعر مسرحى أيضاً، وله درامتان بالشعر المرسل هما إخناتون ونفرتيتي ثم إبراهيم باشا بطل مصر الخالد، وتصور الأولى صفحة ناصعة من تاريخ مصر الروحى القديم، كما تصور الثانية صفحة ناصعة من تاريخ مصر الحديث في سبيل العروبة التي تنادى اليوم بوحدتها، وكان باكثير في المقدمة من دعاتها بدرامته هذه ... ولولا أن اختار باكثير لهاتين الدرامتين



٤ — الشعر الجديد

زرت ليلة مجلس النواب فى عهد سعد العظيم . فقام نائب فخطب وأطال . فلما فرغ قام سعد – رحمه الله – فقال ما معناه : « إنى أعدّ نفسى متوسط الذكاء ، وأزعُم أنى قادر على فهم ما يدور فى هذا المجلس من كلام . ولكنى أؤكد لكم أنى أخفقت فى تتبّع ما قاله حضرة النائب المحترم » .

فوقفنا تُجاهَ (الشعر الجديد) قد يشبه من بعض الوجوه موقف سعد تجاه هذا الخطيب .

فنحن أيضاً نزعم أننا وَسَط فى الذكاء ، ونزعم أننا نتذوّق الشعر ، وأننا نميز غَثّه من سمينه ، وخبيثه من طيّبه ، وأننا قرأناه فى جميع عصوره ، فوجدناه كله – بما لنا من سليقة تكونت على الزمن – نَسْجاً حِيكَ على منوال واحد ، هو منوال العربية وحدها . وإنما تختلف الأساليب ، وتتعدّد مناهج القول ؛ فتقوى تارة ، وتَرِكّ تارة أخرى ، وتسمو حيناً حتى تبلغ الذروة من البيان .

ولقد عبَّر الشعراء فى خلال تلك الأجيال عن معان يكاد يُخطئها العدّ ، وعن أغراض تجِلّ عن الحصر . وتناولوا المعنوىّ والحِسّىّ ، والفلسفىّ والدينىّ ، والعميق والضَّحضاح ؛ حتى التافه وما قد يَدُور فى أخلاد الأطفال – تناولوا كل ذلك فنسجوه على هذا المِنْسج العتيد .

نظرنا فى كل هذا وأمْعنَّا فيه ، فلم نلمح فى شىء منه عجمة ، ولم ننكر فيه رطانة .

حتى فجأنا (الشعر الجديد) منذ نحو ثلث قرن – كما أشرت فى كلمتى الأولى – فإذا نحن – إذ نقرؤه – ننكر من أنفسنا ما قد عهدناه فيها من نَفَاذ فى الفهم ومَضاء فى المعانى ؛ وإذا نحن نحار فيما نقرأ : أعربىّ هذا أم أعجمىّ ؟ أم قد ارتقى هؤلاء الشعراء حتى بلغوا مستوًى تخلّفنا نحن وراءه ؛ لمكان ثقافتهم ، وسعة أفقهم ، وجديد تربيتهم .

ثم نعرض أسماءهم – وهى كثيرة – فلا نرى بينها اسماً باهراً ، أو اسماً نابهاً ، أو اسماً ذا تاريخ

ولكنهم كلهم – أو جلهم – أحداث أو أشباه أحداث ، أحدق بهم شرذمة من المصفقين ، والمعجبين المخدوعين ، عملوا على نشر منظوماتهم وإذاعتها . تخلبت أفئدة الأغرار ببريقها . وراح طلبة المدارس ومن إليهم يقلدون هـذه الفقاقيع – وما أيسر ما تقلد ! ووجدوا هم أيضاً منفذاً إلى الصحافة ، فنفذوا وظن كل أنه شاعر ، وأنه يشار إليه بالبنان !

أمامي الآن مجلة فيها منظومة من ذلك الطراز ، عنوانها (زفرة فى التيه) إنه لعنوان خداع ، يسترعى الانتباه ، ويحفز على الاطلاع [١]

قرأتها أول مرة ، وأنا أبحث عن (الزفرة) وعن (التيه) ، وكيف كانت تلك الزفرة؟ وما مبعثها ؟ أو – على الإجمال – قرأتها وأنا مشوق إلى القصة كلها . فهنا موضوع طريف فى شعر جديد !

لم أحْلَ من التلاوة الأولى بطائل [٢] . فأعدتها ثم أعدتها ، فانجلى المثير عن اضطراب عام

(١) وهكذا معظم عنواناتهم (٢) حلى « كرضى » منه بكذا : أصاب منه كذا

طريقة من الشعر المرسل لا يستقيم ميزانها ولا يجمل فى السمع وقعها لكان لها شأن أى شأن ، فهما فى القمة من الفن المسرحى موضوعاً وحركة وتوزيعاً ، وروحه فيهما هى هـذه الروح التى أملت تلك القصة العجيبة الجيدة ، سلامة القس ، التى تمتاز بقوة تماسكها وجمال موضوعها وتناسق عاطفتها ، ومسحتها الشعرية الغامرة ... وإن كنتُ لا أوافق الأستاذ على نهايتها على هذا النحو الصوفى ... وقد ذكرت كلمة من قال : أين هذا الموسيقى الذى لم يكمل لحنه ، عند ما فرغت من قراءتها ؛ فالقصة لم تنته بعد ، لأن العاشقين لا يزالال حيين يرزقان ، ولعل الصديق العزيز يضع لنا الجزء الثانى منها بأن يخلق لنا من عنده ما كان من أمر سلامة فى قصر يزيد ، وما كان من أمر عبد الرحمن فى مكة ، وسواء انتهى أمرهما إلى مأساة أو غيرها ، فالذى نطلبه هو ألا يدعنا الكاتب على هذا النحو من التشوف والألم الذى لم يقر بنا إلى قرار

ووصيتى أن يقرأ الأستاذ باب الاعتكاف فى كتب الفقه ، وأن يتقبل تهنئات الأدب المصرى الحديث وشكر قرائه المعجبين

دريني خشبة

ففي أوائل النظم كلام يشبه الشكوى . ثم تَفَلْسُف معقد لا غاية له ، ثم أبيات لم أتبين لها معنى ، وأبيات قد تفهم على نحو ما ، ثم تأوهات صاخبة ، ثم سخط وضجر ، ثم معان أخرى متغايرة ، متداخلة أو متنافرة

حاولت أن أربط في ذهني هذه العناصر ، لأكوّن وحدة الموضوع - على حد تعبيرهم الآن فجهدت على غير جدا

دع عنك التقعّر والتشدّق ؛ ففي المنظومة منه كثير . وهناك ما شئت من ترقيم ، وما شئت من علامات ، وما شئت من ضبط بالشكل .

أما الزفرة في التيه فقد تاهت !

هذا وصف مجمل للمنظومة التي بين يديّ . وهو وصف غير شاف كما ترى ؛ دفعني إليه أني أتوخّى ألا يتمّ حديثي هذا على الأشخاص ، كما وعدت من قبل . ولكنه وصف يكشف عن الطابَع العام للشعر الجديد . ولدينا من هذا الكشف مزيد فيما يلي من حديثنا ، إن شاء الله . (ع . ا)

هل الموت مشكلة ؟

من دأب الإنسان أن يتمرد على الوجود وخالقه ، كلما أعيته مشكلة من مشاكل الحياة المعقدة . ولعل من هذا القبيل ما ساقه الأستاذ اسماعيل مظهر في الرسالة على لسان شيخه عُمران الذي استأثر القدر بابنه (أُسامة) . أما المشكلة التي تكمن من وراء ثورة هذا الشيخ على الحياة ، فهي مشكلة (الموت) ؛ والموت هو الحقيقة القاسية التي يتحطم على صخرتها كل تفاؤل للانسان . ولكن الموت - مع ذلك - ليس هو المشكلة التي يجب أن تستثير دهشة المرء ، وإنما المشكلة هي (الولادة) : naissance . فكما يقول الفيلسوف سان مارتان Saint-Martin : (لقد رأيت أن البشر يعجبون لأنهم يموتون ، ولكنهم لا يعجبون مطلقاً لأنهم يولدون ؛ مع أن هذا هو في الواقع ما يستحق الدهشة والإعجاب)[1]

وعلى الرغم من أن (الموت) كثيراً ما يُنظر إليه باعتباره لغز الحياة المعقّد ، إلا أنه في حقيقة الأمر ليس مشكلة تستبهم على الباحث المتدبر . وقد فطن إلى ذلك ابن سينا فكتب رسالة سماها (الشفاء من خوف الموت) وفيها يحل مشكلة الموت بأن يقول : (كل كائن لا محالة فاسد ، فمن أحب أن لا يفسد فقد أحب أن لا يكون ، ومن أحب أن لا يكون فقد أحب فساد نفسه ، وكأنه يحب أن يفسد ويحب أن لا يفسد ، ويحب أن يكون ويحب أن لا يكون ، وهذا محال لا يخطر ببال عاقل . وأيضاً فلو جاز أن يبقى الإنسان لبقي من كان قبلنا ، ولو بقي الناس على ماهم عليه من التناسل ولم يموتوا ، لما وسعتهم الأرض ، وأنت تتبيَّن ذلك مما نقول : قدّر أن رجلاً واحداً ممن كان منذ أربعمائة سنة موجود الآن ، وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن أن تحصى أولاده الموجودون ، كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وله أولاده ولأولاده أولاد ، وبقوا كذلك يتناسلون ولا يموت منهم أحد ، ثم احسب مقدار من يجتمع منهم في وقتنا هذا ، فإنك تجده أكثر من عشرة آلاف رجل . واحسب كل من في ذلك العصر عائشاً على بسيط الأرض شرقها وغربها ، مثل هذا الحساب ، فإنهم إذا تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة ولم تحصهم عدداً ؛ ثم امسح بسيط الأرض فانه محدود معروف المساحة ، لتعلم أن الأرض حينئذ لا تسعهم قياماً ومتراصين ، فكيف قعوداً متصرّفين ، ولا يبقى موضع لعمارة يفضل عنهم ، ولا مكان لزراعة ، ولا مسير لأحد ، ولا حركة فضلاً عن غيرها ؛ وهذا في مدة يسيرة من الزمان فكيف إذا امتد الزمان وتضاعف الناس على هذه النسبة . وهذه حالة من يشتهي الحياة الأبدية ويكره الموت ويظن أن ذلك ممكن من الجهل والغباوة . فإذا الحكمة الإلهية البالغة والعدل المبسوط بالتدبير المحكم هو الصواب الذي لا معدل عنه ، وهو غاية الجود الذي ليس وراءه غاية » اهـ

فالموت إذن ليس مشكلة إلا إذا حكمنا عقلنا الفردي ؛ ولكننا إذا وسَّعنا أفق نظرنا ، فإننا نرى أن الموت ضرورة تقتضيها سنَّة الحياة نفسها ، وإذا ارتضى الإنسان الحياة ، فلا بد أن يرتضي الموت أيضاً ... وهكذا تتحول المشكلة من مشكلة خاصة بالموت ، إلى مشكلة خاصة بالحياة ، وهنا يحق للمرء أن يتساءل : هل لمشكلة الحياة من حل ؟ !

زكريا ابراهيم

(١) المشكلة الخلقية : Le Problème morale ، الفصل الرابع ، ص ٢٠٠

« الحكيم وليلى » للأستاذ توفيق حسن الشرتوني

قصة تحليلية تعالج كثيراً من المشكلات الاجتماعية . وإذا كان صاحبها الأستاذ توفيق حسن الشرتوني مجهولاً في مصر فإن أسرته خدمت العربية في المعجم النفيس « أقرب الموارد » الذي جمعه الشيخ سعيد الشرتوني

وعجيب جداً أن يكون للأستاذ توفيق الشرتوني أربعة كتب لم تذكرها صفحات النقد في مصر بكلمة واحدة . أو لعلها ذكرتها وغاب عنا زمانها ومكانها . ولكن هذه الظروف السعيدة بين لبنان ومصر قد حملت إلينا الأستاذ « توفيقاً » وحملت معه كتبه

في نظرات هذا الكاتب المفكر وميض قوى الشعاع ؛ ولذا تجد أفكاره دائماً مومضة مشعة . وتفكيره العميق يبدو في حديثه كما يبدو في كتابته . فهو لا يرى الكلمة عفواً ، ولا يرسلها كما تكون ؛ ولكنه يزنها ويقدر لها مكانها بجانب أختها . ولهذا لا تجد في عباراته تزويقاً أو تنميقاً ؛ ولكنها عبارات تمتاز بالوضوح وعدم الإسراف في القول والمغالاة فيه .

وهو حكيم في نظراته إلى الأمور ، يبصرها من زوايا متعددة لا من زاوية واحدة . ولهذا تجد الحوار في هذه القصة حوار الحكيم لا حوار القاص . والمؤلف نفسه « حكيم » هذه القصة المؤثرة ؛ فهو يغشى إلى بيت البطلتين ليلى وسلمى ؛ ويخلو إليهما خلوة الحكيم لا خلوة العاشق . وتراه يغشى كل ناد ، ويرتاد كل مرتاد ، ويخالط الناس في كل ضرب من الأرض . وفي خلال ذلك يبث آراءه وينشر تعاليمه ، لا ييأس من إصلاح ، ولا يقنط من موعظة ؛ لأنه يريد أن ينتشل « ليلى » مما تورطت فيه . و « ليلى » فتاة تزوجت من شاب غني انحرف عن الجادة ، وجار عن السبيل ، وأفسده القمار والخمار ... فأهمل حق زوجته وواجب أولاده . فرأت الزوجة البائسة أن تنتقم منه فانتقمت من نفسها ... فأهملت بيتها وتركت أولادها ، وشغلت بشاب آخر على نصيب من المال والجمال وقوة العضلات ... !

وهنا تزور « سلمى » جارة « ليلى » الحكيم وتقص عليه من حوادث جارتها المنحرفة ما يكون سلسلة من الفجائع ... فقد مات ولداها ومات زوجها أشنع ميتة ... وهي لا تزال ممعنة في نوازع هواها ونزغات شيطانها ... ولا تزال الأيام ترميها بكل داهية حتى خونت في عقلها

والأستاذ توفيق « الحكيم » ... اللبناني لا « توفيق الحكيم المصري » مخلص للأدب ، مخلص للإنسانية . ففي كتابته نزعات نبيلة تطفر من بين سطوره طفراً . وهو صادق في فنه لأنه يعتقد (أن الصدق في القول والعمل هو جوهر الأدب الصافي في هذا الكون) وهو فوق ذلك كثير العطف على الإنسانية ، كثير الإشفاق عليها ؛ كثير الرجاء في صلاحها . وقصة « الحكيم وليلى » محاولة في سبيل هذا الإصلاح .

محمد عبد الغني حسن

من الشعر المنسي لحافظ

في سنة ١٩٠٢ أصدرت مطبعة هندية كتاباً ألفه محمد حافظ صبري من رجال القضاء المصري - ولا أدري أين هو الآن - وهذا الكتاب تحت عنوان : « المقارنات والمقابلات بين الأحكام والمعاملات والحدود في شرع اليهود ونظائرها من الشريعة الإسلامية الغراء ، ومن القانون المصري والقوانين الوضعية الأخرى » . وقد قرظ هذا الكتاب شاعر النيل المرحوم حافظ بك ابراهيم بقصيدة أثبتت في آخره ، ومع ذلك لم تذكر هذه القصيدة في ديوان حافظ الذي طبعته وزارة المعارف ، بينما ذكرت فيه (التقريظات) في الجزء الأول من صفحة ١٤٨ إلى صفحة ١٥٨ ؛ وها هي ذي القصيدة :

أشرع العقل أم شرع الكليم ... أرى في ذلك السفر العظيم ؟
قرأت سطوره فمحت فيها ... برغم القوم تنزيل الحكيم
هموا وضعوا لهم شرعاً جديداً ... فعاد بهم إلى الشرع القويم
ولولا هدي أحمد بعد موسى ... لما ساروا على النهج القديم
كذاك إذا النهى بلغت مداها ... هدتك إلى الصراط المستقيم
أحافظ قد وضعت لنا كتاباً ... جمعت بصلبه شمل العلوم
وأودعت النصوص به فكانت ... نصوص الدر في العقد النظيم
وأبرزت الشرائع في حلاها ... فمن آي ، ومن قول كريم
ومن نص إلى « التمود » يعزى ... ومن قول لـ « صولون » الحكيم
جزيت عن النهى والدين خيراً ... ووقيت العداء من الخصوم

فلعل الذين قاموا على جمع هذا الديوان وطبعه يلتفتون إلى إثبات هذه القطعة في الطبعة الجديدة للديوان .

(كلية اللغة العربية) **أحمد الشرباصي**

12me Année No. 561

Lundi - 3 - 4 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٥٦١ « القاهرة في يوم الإثنين ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٦٣ — الموافق ٣ أبريل سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهــرس

صفحة		
٢٨١	شر ولا سر	الأستاذ عباس محمود العقاد . .
٢٨٤	الحكم على الشعر . . وأساليب النقد والتحليل . .	الدكتور محمد صبري ... ...
٢٨٦	اللغة والوطن	الأستاذ دريني خشبة . . ..
٢٨٨	القضية العربية في المرحلة الحاسمة	الأستاذ نسيب سعيد ... ..
٢٩٠	محاورات الموتى	لكاتب الفرنسي برنار دفونتنيل بقلم الأديب يوسف روشا ...
٢٩٢	منشأ عقيدة الزيدية وتطورها	الأستاذ سعيد الديوه جي ...
٢٩٤	قدامة بن مظعون	الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
٢٩٦	نقل الأديب	الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٢٩٧	العزلة [قصيدة]	الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٢٩٧	جراح «	الأديب عبد العليم عيسى ...
٢٩٨	شعراء الشباب والأستاذ الجليل « ا . ع »	الأستاذ دريني خشبة .. ...
٢٩٨	النسب إلى أم وأمهة ...	الأستاذ عبد الحميد عنتر . .
٢٩٩	أخطاء في الأعلام	الأستاذ محمد غسان .. ..
٢٩٩	معوه ومعيه	

شر ولا سر ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

« ... أرجوكم أن تتكرموا ... بشرح هذا الموضوع على صفحات الرسالة الغراء ... وهو (المرأة سر غامض)

« ... هي الجميلة وهي القبيحة ، هي الجنة وهي الجحيم ، هي الخادعة الفاتنة وهي المخدوعة المفتونة ، هي الكريمة المحسنة وهي الشريرة الظالمة ، هي الضاحكة الباسمة وهي الباكية القاتمة ، هي الوفية المخلصة وهي الخائنة الغادرة ... كل هذا وأكثر من هذا عند المرأة ، وهو عندها في زمان واحد ، وعندها في عقل واحد وقلب واحد ... فهل لكم أن تتفضلوا بكشف الغطاء عن هذا السر العويص ، وعن خفايا هذا القلب وهذا العقل الغامضين ... »

(بيت المقدس) داود العابودي

***

كتاب جاءني من الأديب صاحب التوقيع واكتفيت منه بما نشرته لأنه هو المقصود بالإجابة ، ورأيت حقاً أنه موضوع قديم حديث لا يزال الآن ، ولن يزال إلى آخر الزمان ، صالحا للمودة إليه وزيادة القول فيه

فالمرأة كما قال الأديب شتيت من النقائض والصفات . ولا غرابة عندي في ذلك ، لأن الغرابة إنما هي في الصورة التي نتلقاها وليست في الحقيقة التي تأتي تلك الصورة على أبصارنا

فمن شاء عجب واستغرب ، ومن شاء نظر إلى السبب فبطل عنده العجب ، وعلم أن النقائض في الظواهر إنما تفضي إلى باطن لا تناقض فيه ، لأنه مفهوم معقول على الوجه الذي ننتهي إليه ، وليس هو في منتهاه ببعيد

إذا عرف السبب بطل العجب كما قيل

وإنما نعرف السبب في تناقض المرأة كلما اقتربنا أولاً من التفاهم على الشخصية الإنسانية ، واقتربنا « ثانياً » من التفاهم على جوانب طبع المرأة ، واقتربنا « ثالثاً » من فهم الأنوثة في جملتها

فمصدر الخطأ كله في تصور « الشخصية الإنسانية » أننا نتصورها شيئاً واحداً لأنها تنطوي في اللغة تحت عنوان واحد .

ولكن الواقع أن « الشخصية الإنسانية » سواء في الرجل أو المرأة هي أشياء لا تحصى تنطوي تحت كلمة معدودة الحروف مجهولة الحدود

فهي تختلف بين حالة وحالة ، وتختلف بين سن وسن ، وتختلف على حسب العلاقة بينها وبين هذا الإنسان أو ذاك الإنسان ، وتختلف على حسب العلل والبواعث التي تحركها إلى الأعمال

فهي في حالة الرضى والنعيم غيرها في حالة السخط والبأساء ، وهي في الشباب الباكر غيرها في الكهولة أو الشيخوخة ، وهي في معاملتها لفريق من الناس غيرها في معاملة أناس آخرين ، وهي إذ تنبعث عن الطمع والخوف غيرها حين تنبعث عن النخوة والشجاعة

فإذا صدرت عنها الأعمال مختلفات فلا عجب في ذلك ، لأنها لا تأتي من مصدر واحد ، ولا تزال لها مصادر متعددات

ويقال هذا عن النساء كما يقال عن الرجال أو الأطفال ، بل كما يقال عن الأشياء التي ليس لها حس ولا مشيئة

إن « الشواء » مثلاً هو قوة وضعف ، وهو دواء نافع وسم ناقع ، وهو لذيذ وكريه ، وهو غال ورخيص

وسبب ذلك أنه قد يأكله الطفل كما يأكله الرجل ، وقد يأكله المريض كما يأكله الصحيح ، وقد يجود صنعه وقد يسوء في يد الطاهي الواحد على حسب اختلاف الأوقات والأدوات ، وقد يؤكل من السفود أو يؤكل بارداً بعد أيام

وإذا جاز اختلاف الأثر إلى هذا المدى في صنف من الطعام فهو جائز إلى أبعد من هذا المدى في الخلائق الحية التي تتقلب بين الدوافع والطبائع كل حين

* * *

أما التفاهم على جوانب طبع المرأة فنحن نقترب منه كلما أحضرنا في أخلادنا هذه الجوانب المتعددة وذكرنا أنها تجتمع في وقت واحد وتعمل في وقت واحد ، فتأتي أعمالها متفقات أو متناقضات على حسب الدواعي والغايات

فالمرأة من جهة فردٌ من أفراد نوع تستقل بوجودها الخاص بين جميع أفراد ذلك النوع ، فهي هنا في مقام المناضلة عن استقلالها ، أو مقام التضامن بالغريزة النوعية على تباين الأحوال والعلاقات

والمرأة من جهة ثانية هي عضو في بنية اجتماعية هي الأمة أو المدينة أو القبيلة ، وهي من ثم زوجة أو بنت أو أخت أو صاحبة عمل تجمعها بتلك البنية الاجتماعية صلة العرف أو القانون ، وتلك صلة أخرى غير صلة الغريزة النوعية أو صلة الفرد بسائر الأفراد الذين يشاركونه في نوع واحد

والمرأة من جهة غير هذه وتلك أنثى لها تركيب حيوي يربطها بمخلوق آخر تنظر إليه نظرة غير نظرتها إلى الفرد أو إلى الشريك في البنية الاجتماعية

وهي من جهة أخرى أم تحب أبناءها بالغريزة والألفة ، وهي كائن حي من حيث هي وليدة الحياة في جملتها أيا كان النوع الذي تنتمي إليه والأمة التي تعيش بينها والعلاقات التي تجمعها بالزوج أو القرابة أو البنين

هي كل أولئك معاً لا فكاك لبعضهم من بعض ولا افتراق

وليس من الضروري أن يتفق كل أولئك في الوقت الواحد على اتجاه واحد ، لأن مطالب الفرد والزوجة والأم والحبيبة والكائن الحي قد تتعارض في مذاهبها وهي مجتمعة في بنية واحدة

وليس من الضرورى كذلك أن تكون المرأة أُمّاً بالفعل لتشعر بحنو الأمومة ، لأنها مخلوقة للأمومة قبل أن يولد لها الأبناء ، وقد تكون الأم الوالدة أقل فى حنوها من الفتاة العذراء ، إذا طرأ للأم الوالدة ما يحجب فيها شعور الأمهات إلى حين

لدينا إذن فرد يريد بفطرته الفردية أن يستقل عن جميع الأفراد الآخرين سواء كانوا من الآباء أو الأمهات أو الأزواج ؛ فلا يلبث أن يستقر فيه هـذا الشعور الطبيعى حتى ينازعه فيه شعور الأنثى التى تريد أن تنضوى إلى رجل تهواه ، وقد ينازعها شعوران بل أكثر من شعورين إذا تعددت الصفات التى تستهويها من الرجال وتفرقت بينهم على نحو يضلل الإرادة ويشتت الأهواء

ولا تلبث أن تغالب استقلالها الفردى وتطاوع نزعتها الأنثوية حتى يبرز لها المجتمع بحكمه الذى قد يخالف حكمها فى الاختيار والترجيح ، فيقودها إلى الجاه والمال وهى تنقاد إلى الفتوة والجمال ، أو يلزمها الوفاء للزوج وهى تنظر إلى رجل آخر نظرة الأنثى التى سبقت بفطرتها قوانين الأمم وقواعد الآداب

ولا تلبث أن تحتال على هـذه البواعث حتى يغلبها حنو الأمومة فيربطها بمكان لا تود البقاء فيه ، أو ينهض السكائن الحى فى نفسها نهضة لا تطيع باعثاً غير بواعث الحياة بمعزل عن نزوة الأنثى وقانون المجتمع وغرائز الأمهات

تناقض كهـذا لا عجب فيه ولا مباينة للمعقول ؛ لأن كل دافع من دوافعه مرجعه إلى سبب مفهوم موافق لسنة الأحياء

ثم يضاف إليه تناقض آخر يرجع إلى تعدد الدواعى فى كل صفة من هذه الصفات

ونكتفى بصفة واحدة لأن توضيح الصفات جميعاً شرح يطول بنا فى هذا المقام

فالمرأة فى صفة الأنوثة ، وهى تنضوى إلى الذكورة ، تحب الرجل الكريم لأنه يغمرها بالنعمة ويريحها من شدائد العيش ويخصها بالزينة التى تزهيها وترضى كبرياءها بين النظيرات والمنافسات ، فضلاً عما فى الكرم من معنى العظمة والاقتدار

ولكنك قد ترى هـذه المرأة بعينها تتعلق ببخيل لا ينفق ماله على زينة ولا متاع ، فهل هي مناقضة لطبيعتها فى هذا الانحراف العجيب ؟

كلا : بل هى لا تناقض طبيعة الكبرياء نفسها التى ترضيها عن كرم الكريم ؛ لأن المرأة يجرح كبرياءها أن ترى رجلاً يستكثر المال فى سبيل مرضاتها ، ومتى جُرحت المرأة فى كبريائها أقبلت باهتمامها وحيلتها وغوايتها من حيث أصابها ذلك الجرح المثير ، وليس أقرب من تحول الاهتمام إلى التعلق فى طبائع النساء

فالنزعة الواحدة قد تكون سبيلاً إلى النقيضين فى ظاهر الأعمال ، ولكنهما نقيضان لا يلبثان أن يتفقا ويتوحدا عند المنبع الأصيل ، متى عرفنا كيف ننتهى الردة إليه

* * *

أما فهم الأنوثة على جملتها فمن الحق أن نذكر أن الأنوثة درجات ، وأن لهـا أطواراً كثيرة بين الظهور والضمور . فليست كل امرأة أنثى من فرع رأسها إلى أخمص قدمها كما يقال قديماً فى معنى التعميم والشمول ، أو ليست كل امرأة أنثى مائة فى المائة كما يقول الأوربيون اليوم ؛ بل ربما كانت فيهـا نوازع إلى الأنوثة ونوازع أخرى إلى الرجولة ، وربما كانت أنوثتها رهناً بقوة فى الرجل الذى يظهرها لا يتشابه فيها جميع الرجال ، وربمـا كانت فى بعض عوارضها الشهرية وما شابهها من عوارض الحمل والولادة أقرب إلى الأنوثة الغالبة أو أقرب إلى الذكورة الغالبة ، وهى العوارض التى كانت تحسب فيما مضى كلاماً من كلام المجاز ، فأصبحت اليوم حقيقة علمية من حقائق الخلايا وفصلاً مدروساً من فصول علم الأجنة ووظائف الأعضاء

* * *

وبعد فالمرأة شخصية إنسانية لا تنحصر فى لون واحد ولا يستغرقها الحس فى علاقة واحدة

والمرأة صفات متعددة أو أدوار كثيرة تتمثل على مسرح النوع ومسرح المجتمع ومسرح الطبيعة والحياة

والمرأة أنوثة لا تستقر على حال بين الحدة والفتور وبين الظهور والضمور

فأى عجب أن تختلف وتتناقض فى لحظة واحدة ؟ إنما

الحكم على الشعر
وأساليب النقد والتحليل

للدكتور محمد صبري

الشعر أعلى وأدق تعبير للحياة وقد وصفه أحد شعراء الإفرنج بأنه « لآلئ الفكر » ، وهو يتصل بخياله وأوزانه بالتصوير والموسيقى اتصالاً وثيقاً ، فلا بد من الحس الرهف للحكم عليه ، ولا بد من « الذوق » ، وقليلون جداً من يتذوقون الشعر و « يحسون نبو الوتر » ، وهم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد في كل عصر وفي كل جيل . ومهما كان من الأمر فإن التذوق درجات تتفاوت وتختلف باختلاف الأمزجة ، والتمرس بالآداب المختلفة ، والخبرة والاستعداد الشخصي . فالشاب المنعم الذي لا يعرف متاعب الحياة ويجهل حب البنين ، ليس في مقدوره أن يحس لواعج الحزن وعولة الحياة في رثاء ابن الرومي أو الهذلي لبنيه ، ولا يفرق بين غناء العود وأنينه ، وهو لا يستمع إلا بأذن صماء إلى بكاء الطير في الدوح ، ونحيب البلبل في الغاب ، وحنين الجمال في البيداء

حنينها وما اشتكت لغوبا   يشهد أن قد فارقت حبيبا

إن الغريب يسعد الغريبا

والشعر في اعتقادي كالحبة التي أودعها الخالق قوة هائلة مركزة تركيزاً عجيباً مادياً وروحانياً ؛ فمن الحبة تخرج الحياة ، ومن حدودها الضئيلة تنبت وتتفرع وتنتشر الشجرة بظلها وجناها ، فليس في مقدور كل أديب الإحساس بتلك « الهيولى » الساحرة الماثلة في بيت من الشعر ... في غضون كلمات معدودات ... وليس في مقدور كل إنسان أن يرى جمال الحقيقة وبهاءها ، وفتنة الحياة وجحيمها ، وقوافل الإنسانية البائسة الصامتة المنكسة الرءوس والأعلام ، وهي تطل من البيت والبيتين ...

وقد بكى شعراء العرب أطلال المنازل التي كانت شاهد حبهم وحياتهم في عصر من عصورها ، في لحظة من لحظات السعادة الزائلة ، فلم يبك أحدهم الحياة في أوسع آفاقها وجنّاتها الخاوية مثلما بكاها البحتري وهو واقف « بين يدي الإيوان » وبين يدي الله . ولم يندب أحد بعد امرئ القيس الطلل البالي وسكونه ووحشته بعد الأنس والحياة والحركة والضوضاء وبهجة الألوان ، والوجوه والظلال والأشباح ، كما ندبها البحتري في قوله :

تلك المنازل ما تمتـع واقفا   بزها الشخوص ولا وغى الأصوات

ولأبي تمام بيت رائع من هذا القبيل كان يتغنى به المرحوم حافظ إبراهيم في غاب بولون ، وقد صحبته إليها حين زار باريس :

لا أنت أنت ولا الديار ديار   خف الهوى وتقضت الأوطار

فهذا الشعر يمثل الحقيقة لأنه صادر عن وجدان صادق ، وعاطفة وتجارب مرة ، وقوة ملاحظة وتصوير ناطق ، وقد امتاز امرؤ القيس بحب الحقيقة وتصويرها في أبهتها وجلالها وروعتها فأصبح عاهل الشعر حقاً

ولا ريب أن أروع شعر أبي تمام هو الشعر الذي ترسم فيه الحقيقة ، لا الشعر الذي ملأه بديعاً وتكلفاً ، وإذا كانت أشهر مراثيه قصيدة :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر   فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

المعجب أن تختلف البواعث والأسباب ولا تختلف الأعمال والآثار

ومع هذا كم يقول النساء عن تناقض الرجال ولا يخطئن المقال ؟ كم يقلن إن الرجل « كالبحر المالح » لا يعرف له صفاء من هياج ؟ وكم يقلن إن فلاناً كشهر أمشير لا تدرى متى تهب فيه الأعاصير ؟ وكم تقول إحداهن للأخرى : « حبيبك في ليلك ، عقرب في ذيلك ؟ » وكم لهن من أمثال هذه الأمثال مما لا يحفل به الرجال ؟

إنهن لا يعنين بمقاربة الرجل من طريق الفهم كما يعنين بمقاربته من طريق التأثير . ولو حاولن فهمه كما يحاولن التأثير فيه لخرجن به لغزاً من الألغاز وأعجوبة من أعاجيب البحار في قديم الأسفار .

عباس محمود العقاد

وفيها يقول :

تردى ثياب الموت حمراً فما دجى
لها الليل إلا وهي من سندس خضر

فإن هناك قصيدة أخرى هي في اعتقادي أروع منها وأجل ، وهي القصيدة التي رثى فيها ابنه ، ووصفه وهو يتقلب على فراش الموت ويعاني آلامه :

آخر عهدي به صويبا للموت بالداء مستكينا
إذا شكا غصة وكرباً لاحظ أو راجع الأنينا
يدير في رجعه لسانا يمنعه الموت أن يبينا
يشخص طوراً بناظريه وتارة يطبق الجفونا
بُنَيّ يا واحد البنينا غادرتني مفرداً حزينا

وقد ذكر شعراء العرب من جاهليين وإسلاميين الطبيعة في شعرهم ، ولكن الجاهليين الذين كانوا يعيشون في البادية والفضاء الرحب ، والماء والغاب والوهاد والنجاد والصخور والكثبان والسيول والأنهار ، كانوا أصدق عاطفة في تصورها من المولدين ، لأن الآخرين ولعوا بالرياض والزهور ومظاهر الطبيعة «السطحية» المنمقة « كالوشى » و «التطريز» ، أكثر من ولعهم بالرياح التي تهب ، وقوى الطبيعة التي تزخر وتصخب ، وتئن في أحنائها وأفيائها ...

ولعل أكبر صلة تربط امرأ القيس بالإفرنج وتميزه على شعراء العرب كافة هي إحساسه العميق بالطبيعة ، وإني وإن كنت قد بينت الصلات الأخرى نصاً وتصريحاً ، فإني تركت هذه الصلة (صلة الطبيعة) تبدو « من تلقاء نفسها » شرحاً وتحليلاً ، والواقع أن امرأ القيس موهبة من مواهب الطبيعة ، يجب أن ندرسها ونتعلق بها تعلق الإنجليز بشكسبير وتراثه الخالد

وقد حصرنا إلى اليوم همنا في تنفير الناس من امرىء القيس ، وحصر عبقريته في الاستعارات بين (بيضة الخدر) و (قيد الأوابد) و (السجنجل) و (المفتقل) ، وتركنا جوهر الشعر اللامع الوضاء دفيناً تحت الرماد

وقد أبدع العقاد في تحليل شعر ابن الرومي ، وكتب صفحات رائعات ، وقد يكون لغيره في النقد والتحليل نفثات ، وكل ما نرجوه أن نعمل جميعاً على إظهار مكنونات وكنوز الشعر العربي . وأحب هنا أن أذكر أن « كتابة » النقد والتحليل قد ترتفع إلى أعلى مراتب الكتابة والبيان ، لأن شخصية الكاتب تتجلى فيها ، وهذه الشخصية تبدو في غضون الكتاب لا في العنوان . والشخصية تشمل المزاج وقوة التصور والقدرة البيانية وتجارب الحياة ، وهي كلها ذات أوشاج وصلات مع شعر الشاعر وحياته

وهذا (سانت بيف) أكبر ناقد فرنسي بدأ حياته بالشعر ثم أرصدها للنقد ، فساعده خياله وأدبه وسعة اطلاعه على فهم الشعر والمجتمع ، وصار الناقد في عبقريته لا يقل عن أكبر شاعر ، كما أن (بول بورجيه) ، وهو من خيرة الروائيين الذين حللوا الحب والحياة ، ساعدته قوة تحليله وفلسفته على كتابة صفحات في نقد الشعراء المعاصرين هي آية في الفلسفة التحليلية ، واختراق الستار الذي يحجب الحياة والمجتمع في شعر الشاعر ، وقد تمكن كل منهما من إظهار تلك الأشعة الدقيقة التي تحيط بجوهر الشعر والفكر والخيال

محمد صبري

اللغـــة ... والوطن ...

للأستاذ دريني خشبة

يوشك الداء الوبيل الذى تفشى فى إفريقيا الشمالية ، ولا سيما فى تونس والجزائر ، أن يتفشى على الصورة نفسها فى سوريا ولبنان . وها نحن أولاء نرى جراثيمه فى دور الحضانة فى مصر ...

يوشك هذا الداء الوبيل الذى زعزع أركان اللغة العربية فى تونس والجزائر ، أن يزعزع أركان هذه اللغة فى سوريا ولبنان ، لأن العلية من إخواننا السوريين واللبنانيين يعدون اللغة الأصلية التى يأخذون بها أنفسهم وأبناءهم منذ الطفولة هى اللغة الفرنسية ، فهم يحلونها محل العربية فى مدارسهم ومعاملاتهم وأحاديثهم ، وبالتالى فهم يفكرون بها ، ويمزجون بها دماءهم ، ويملأون بها أحلامهم ، ويقومون بها ألسنة أطفالهم ، حتى ليستطيع الطفل السورى أو اللبنانى أن يحاورك بالفرنسية فى سهولة ويسر ، فى حين أنه يعجز عن فهمك ومبادلتك الحديث إذا قصرت المخاطبة على اللغة العربية

ويجب قبل كل شىء أن تشغلنا هذه القضية عن كل تأويل يصح أن يؤول به الدافع الذى حدا بنا إلى الكتابة فى هذا الموضوع الذى عزمنا على الخوض فيه عقب دعوة جمعت بين أسرتنا المصرية وبين أسرة سورية كريمة عرف اثنان منها على الأقل ، فى العالم العربى كله برسوخ القدم فى الفكر والأدب والاجتماع ومنهما إحدى زعيمات النهضة النسائية العربية فى الشرق الأدنى . فلقد هالنى أن أرى السيدة النبيلة تخاطب أطفالها بالفرنسية فيجيبونها فى انطلاق عجيب أكد لى أن هؤلاء الأطفال قد ثقفوا الفرنسية قبل أن يشدوا العربيـة ... وهـذه هى القضية التى أطرحها أمام القراء اليوم ، وأمام الرأى العربى العام فى جميع الشعوب العربية ، لما فيها من الخطر الجسيم الذى نستهين به أول الأمر ، ثم لا يلبث أن يجتاح كل مقوماتنا من لغة ودين وعادات ووطنية ، ثم يؤدى آخر الأمر إلى الانسلاخ من الشرق ، والضياع بين الأمم ؛ لأننا مهما أتقنا الفرنسية فلن نصبح فرنسيين ، ومهما استبدلنا الإنجليزية بالعربية فلن نكون من الإنجليز ولا كالإنجليز ، ولن نجنى على أنفسنا إلا شراً مستطيراً وبلاء كبيراً كهذا الشر وذاك البلاء اللذين تغص بهما تونس والجزائر اليوم

وأنا إن كنت أخص سوريا ولبنان بالذكر فلست أصدر فى ذلك إلا عن هذه المحبة التى أكنها ويكنها كل شرقي مخلص لهذين القطرين الشقيقين اللذين كانا فى عصر مجيد من عصور هذا التاريخ العربى ، كعبة اللغة العربية ومحور الثقافة العربية ، وقطب الرحى فى الشعر العربى ، عنهما تأخذ كل الأقطار العربية ، وإليهما تهفو قلوب العرب ، وفيهما يخفق القلب العربى بالحكمة والسياسة والشعر والنثر والرواية والقصة وعلوم الشريعة وما إلى ذلك كله من الأمجاد العربية ...

١ — وبعد ... فما الدافع يا ترى إلى تمسك الآباء والأمهات فى هذين القطرين العزيزين بتعليم أطفالهم الفرنسية قبل أن يثقفوا العربية ؟ هل هو هذا الاستعلاء السخيف الذى تأخذ به أسر مصرية كثيرة ، والذى مظهره عدول هذه الأسر بأطفالها عن المدارس المصرية إلى المدارس الأجنبية التى ما فتحت أبوابها فى مصر والشرق إلا للاعتداء الصريح على قومياتنا وأدياننا ولغتنا واستقلالنا وكراماتنا ؟ أو هو سبب اقتصادى يتعلق بمستقبل هؤلاء الأطفال في أوطاننا التي يغزوها الاقتصاد الأجنبي غزواً يريد اليوم أن يتحكم فى وسائل التعليم كما حاول من قبل أن يتحكم فى كل شىء آخر ؟ ! أو هو قصر نظر منا نحن الشرقيين حين تبهرنا بهارج الغرب الزائفة ، فتقع كالفراشة فى نارها دون وعى ولا تدبر ولا تفكير ؟

اللهم إن كان السبب هو هذا الاستعلاء الذميم عن أن يبدأ أطفالنا التعلم باللغة العربية لا لشىء إلا أنها لغة عربية ... وما يتصوره التعساء منا من أنها لغة الفقراء ، أو لغة الطبقة الثالثة ، فلشد ما نرتكب بهذا التصرف الخيانة الوطنية العظمى ضد وطننا وضد الشرق وضد العروبة

أما إن كان هو السبب الاقتصادى فيما يتعلق بمستقبل

الأطفال فى ذاك الوسط الذى يغزوه الاقتصاد الأجنبى ، فعلاجه شىء آخر ليس هو البدء بتعليمهم اللغة الأجنبية قبل أن يثقفوا لغة بلادهم الأصلية

أما إن كان قصر نظر منا معاشر الشرقيين ، فعلاج ذلك إعلان الحرب عليه ، والأخذ بسياسة جديدة فى تعلم اللغات الأجنبية

٢ — ولعل انتشار مدارس البعثات الدينية هو أكبر الوسائل التى أدَّت إلى إهمال اللغة العربية كأداة أساسية من أدوات التعليم ، إذ تُعلَّم معظم المواد ، بل كلها ، فى تلك المدارس بلغة أجنبية ، ومن هنا تنقطع الصلة بين الطفل وبين لغة بلاده ، بل بينه وبين بلاده ، ووطنيته ، ودينه ؛ ومن هنا أيضاً استخفاف الطفل ، حين يصبح رجلاً ، والفتاة ، حين تصبح أمًّا ، بالشرق ، وباللغة العربية ، وبما يتصل بالشرق وباللغة العربية من ثقافة وعادات ودين . ومن هنا أيضاً نظرة المتعلمين من هذا الطراز إلى إخوانهم الشرقيين على أنهم برابرة متوحشون . ومن هنا أيضاً عداؤهم المر للغة العربية وثقافة اللغة العربية ولكل ما له صلة بالعرب . والعجيب فى أمرنا أننا نقبل على التعلم فى تلك المدارس إقبالاً شديداً ، ونحن نقبل ذلك الإقبال الشديد لسببين ، أولهما أننا لا نجد من المدارس الوطنية ما يقوم بمهمة تعليم أطفالنا ، والسبب الثانى هو هذا اللألاء الكاذب الذى نضفيه على تلك المدارس الأجنبية ، والذى لا تستحق منه إلا ما يعدل أغراض تأسيسها التى أشرنا إليها

٣ — وقد كانت النتيجة الأولى لهذا البلاء أن نشأ أبناؤنا الذين تعلموا فى هذه المدارس وهم أضعف ما يكونون فى اللغة العربية ، فهم يخطئون فى نحوها ، ويخطئون فى التعبير بها ، وإذا كتبوا بها رأيتهم يكتبون كلاماً عربياً فى مظهره سبقه تفكير بلغة أجنبية ؛ وهنا يبدو الشذوذ فى التراكيب ، وتشيع الركاكة فى الأساليب ، ويلتوى الفهم ، وتمتاص على القارئ متابعة الكاتب ، فيزور عنه ، ويضيق به ، ثم يطويه وفى نفسه من الهم والحسرة على اللغة العربية ما فيها

وإذا قلت إن آثار ذلك بادية مع الأسف الشديد فى كثير من أقلام الصحافة اللبنانية والسورية فإنما أقوله ولا أقصد مطلقاً أن أعيد إلى الأذهان هذا الحديث السخيف عن الزعامة الأدبية بين لبنان ومصر ... إنما أقوله وبنفسى من المحبة للبنان ولسوريا ما لا يقل عن محبة اللبنانيين والسوريين بلادهم التى نفتديها بالمهج ، وأقوله لأن قضية اللغة العربية هى قضيتنا جميعاً ، وقد قدمت أن هذا الداء الذى يوشك أن يزعزع أركان اللغة العربية فى لبنان وفى سوريا قد بدأت جراثيمه دور حضانتها فى مصر ، فكثير من الأسر المصرية تتخاطب فيما بينها بالفرنسية من غير ما ضرورة تلجئهم إلى ذلك إلا الاستعلاء الذميم على أشرف لغات الأرض والسموات ! وقد تعلم أبناء هذه الأسر فى مدارس تشبه المدارس المنتشرة فى سورية وفى لبنان

٤ — ولعل جريرة ذلك تقع على كاهل الحكومات العربية بقدر ما تقع على كاهل الشعوب العربية نفسها ، فتقصير الحكومات فى فتح المدارس الوطنية ، ولا سيما للبنات ، هو الذى ألجأ الأهالى إلى إرسال أبنائهم إلى تلك المدارس الأجنبية ، وقد زاد الطين بلة ترك الحرية لهذه المدارس كاملة فى اختيار طرق التدريس ووضع المناهج وتكييف التلاميذ فيها حسب ما تشتهى ! ولعل الذى كان يحدث فى هذه المدارس فى مصر إلى عهد قريب جداً من تدريس جغرافية فرنسا وتاريخها لصغار الأطفال المصريين ، وإهمال التاريخ المصرى والجغرافية المصرية هو نفسه الذى كان يحدث فى مثل تلك المدارس بلبنان وسوريا ، بل لعله لا يزال قائماً فيها إلى اليوم !

أما نصيب الأهالى من تلك الجريرة فهو انخداعهم فى أمر تلك المدارس وإقبالهم عليها ذلك الإقبال الشديد بدافع من العوامل التى أشرنا إليها . ولعل نصيب العهد التركى من هذه الجريرة ، والامتيازات الجنونية التى كان يمنحها فى سفه هو أسود الأنصبة الثلاثة جميعاً

٥ — على أننا خليقون ألا نفقد الأمل فى علاج هذا الشر وحسمه قبل أن يستشرى بالصورة التى استشرى بها فى تونس والجزائر ، فعلى الحكومات العربية واجب إنشاء المدارس التى تضارع تلك المدارس الأجنبية عظمة بناء وفخامة مظهر ، وعليها أن تنشئ المدارس الراقية فى كل مدينة وقرية لتعليم الفتاة ، وعليها أن تتولى هى أمر تعليم اللغات الأجنبية التى لا غناء عنها لنهضة الشرق ، على أن تتفق فيما بينها على ألا يتعلم الطفل أية لغة أجنبية إلا إذا تجاوز العاشرة أو الثانية عشرة من عمره ،

أطوار الوحدة العربية

القضيـة العربيـــــة
في المرحلة الحاسمة

فضل مصر على بلاد العرب

للأستاذ نسيب سعيد

لقد مضى زمن غير يسير انقطعنا فيه عن التحدث إلى القراء عن أطوار الوحدة العربيـة ، وتركنا ذلك البحث القومي الذي بدأناه في العام المنصرم لأسباب قاهرة وهي سفرنا إلى الجزيرة في أقصي تخوم بلاد العرب مما سنتحدث عنه في المستقبل

ولا بد لي من القول قبل مواصلة حديثي الماضي عن تاريخ الوحدة العربية من أن أستعرض في هذا المقال التطور الرائع والخطوات السريعة التي خطتها القضية العربية في هذه الأيام القليلة ممـــا يبشر بمستقبل لامع لبلاد العرب ، وبأمل باسم لأبناء العروبة ، يعيدون به مجدهم التالد ، وعزهم الخالد ، وأرى لزاماً علي أيضاً أن أسجل هنا بكل فخر وإعجاب للذكرى والتاريخ ، فضل مصر العظيم على هذا التطور السريع الذي تجتازه القضية العربية في هذا الدور الخطير ، فـكما كان لعزيز مصر محمد علي باشا الـكبير الأثر البـارز في بعث الفكرة العربية ، والوعي القومي العربي ، واليقظة الوطنية في بلاد العرب حينما حلم بتأسيس امبراطورية كبرى تضم شتات هـذا الشرق العربي ، فـكذلك قام اليوم رئيس حكومة مصر صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا يدعو لهذه الوحدة ، ويعمل لها ، ويسعى في سبيل تحقيقها ليل نهار ، بدون كلل ولا ملل ليخرجها من الفـكرة إلى الواقع ، ومن الحلم إلى الحقيقة ، بل قل من الظلمات إلى النور

وقد قام لأجل ذلك بمشاورات الوحدة العربية مع سائر دول العرب المستقلة واجتمع إلى أقطاب هذه الدول ورجال حكوماتها المسئولين ، واستمع إلى آرائهم في جمع شمل العرب ، ولم شعثهم ، وضمهم في منظومة دولية واحدة . وكان أول من دعي إلى هـذه المشاورات رئيس الحـكومة العراقية نوري باشا السعيد في أول مايو عام ١٩٤٣ ثم دعي رئيس الحـكومة الأردنية واستقبل بعد ذلك الوفد السعودي ، ثم الوفد السوري ، وتلاه الوفد اللبناني ، ثم اليماني . مما سنتحدث عنه مفصلاً

وإني لمن المؤمنين بأن التاريخ العربي ، سيسجل بأحرف من نور على صحائف غر ، هـذه اليد البيضاء التي تسديها مصر العظيمة إلى القضية العربية ، وهذا السعي الحثيث في سبيل وحدة العرب ، تلك الوحدة التي فيها سعادتهم ورفع شأنهم بين الدول فتعيد مجدهم وعزهم ، وتفتح أمامهم آفاقاً جديدة ، وأبواباً واسعة للتقدم والرقي ، فيد الله مع الجماعة وفي الاتحاد قوة ، وفي التفرق ضعف ووهن

وليس أدل على عمل مصر وجهادها في هـذا السبيل ، من ذلك البيان الخطير الذي أذاعه رفعة النحاس باشـا رئيس الحـكومة المصرية على العالم في شهر فبراير سنة ١٩٤٣ قبل البدء بمشاورات الوحدة على الدول العربية ، وألقاه في مجلس الشيوخ المصري وزير العدل الأستاذ محمد صبري أبو علم باشا باسم رفعته رداً على سؤالين وجها إليـه بشأن موقف مصر من

أي بعد أن يدرس لغته ويثقفها ويمرن لسانه بها ، وليستطيع أن يفهم بها شئون الحياة . وإلى أن يتم ذلك فواجب الحـكومات العربيـة الإشراف على التعليم في تلك المدارس الأجنبية ، فلا تسمح بتدريس أية مادة بها بغير اللغة العربية لصغار التلاميذ ، أي قبل الثانية عشرة ، وجواز تدريس مادة واحدة بلغة أجنبية بعـد ذلك ، بقصد تمـكين التلاميذ من تلك اللغة ، كما يجب ألا تقل الحصص المقررة للغة العربية عن حصص اللغة الأجنبية . أما واجب الشعوب العربية فهي أكرم من أن تنبه إليه

تلك كلمة مخلصة بريئة في تلك القضية أدعها تحت أنظار ولاة الأمور في البلاد العربية راجياً أن تشترك فيها أقلام كثيرة

درويش خشبة

الوحدة العربية . وإنى لناشر هذا البيان الخطير فى مجلة الرسالة اليوم بكامله ، لأنه ولا شك صفحة لامعة لمصر الخالدة ، فى التاريخ العربى . قال رفعة الرئيس الجليل : « إننى معنى من قديم بأحوال الأمم العربية ، والمعاونة على تحقق آمالها فى الحرية والاستقلال ، سواء فى ذلك أكنت فى الحكم أم خارج الحكم ، وقد خطوت إلى ذلك خطوات واسعة صادفها التوفيق ، فاتجه نظام الحكم فى بعض الأقطار العربية الاتجاه الشعبى الصحيح

ومنذ أعلن المستر إيدن تصريحه فكرت فيه طويلاً ، ولقد رأيت أن الطريقة المثلى التى يمكن أن توصل إلى غاية مرضية هى أن تتناول هذا الموضوع الحكومات العربية الرسمية ، وانتهيت من دراستى إلى أنه يحسن بالحكومة المصرية أن تبادر باتخاذ خطوات رسمية فى هذا السبيل ، فتبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمى إليه من آمال ، كل على حدتها ثم تبذل جهودها للتوفيق والتقريب بين آرائها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، ثم تدعوهم بعد ذلك إلى مصر معاً فى اجتماع ودى لهذا الغرض حتى يبدأ السعى للوحدة العربية لوجهة متحدة بالفعل ، فإذا ما تم التفاهم أو كاد ، وجب أن يعقد فى مصر مؤتمر برئاسة رئيس الحكومة المصرية لإكمال بحث الموضوع واتخاذ ما يراه من القرارات محققاً للأغراض التى تنشدها الأمم العربية

هذه خير السبل للسير بالموضوع سيراً يكفل له النجاح ويضمن التوفيق

والواقع أن رفعته قام بعد ذلك بمشاورات الوحدة مع سائر الدول العربية المستقلة لأجل خير العرب وتحقيق أمانيهم .

ولا يسعنا فى هذا المقام إلا القول أن مصر تولت بحق زعامة القضية العربية فرعتها باهتمام وقوة ، وأن هذه المشاورات للوحدة التى قام بها زعيم العرب الأكبر رفعة النحاس باشا الذى تخطت جهوده الآفاق الإقليمية الضيقة إلى الوطن العربى الكبير هى خير وسيلة للوحدة ، والنحاس باشا بما يكنه قلبه من الإخلاص لفكرة العروبة والإيمان بالقضية العربية ، يعتبر خير من يقوم بتوجيهها الوجهة الصحيحة التى ستنمو وتزدهر وتتطور مع الزمن تطوراً يؤدى إلى تحقيق الأمل المنشود والأمانى العذبة التى ينتظرها العالم العربى بأجمعه

على أن هذا الدور الذى يقوم به رفعة الرئيس المصرى كجندى أمين فى تطور الوحدة العربية واتجاهاتها ، وانتقالها من الطور التجريبى الذى سارت فيه متعثرة بتلكئة مدة ربع قرن ، إلى الدور الإنشائى الإيجابى الصحيح المثمر المستند إلى حقائق التاريخ والواقع والمنطق ، والذى يمكن أن تقبله عقول الأجانب ويستقر فى أعماق نفوسهم ويشعرون معه بالسرور بالتسليم بحق العرب فى التضامن والتآزر والتكتل والتعاون ، نقول إن هذا الدور الذى يقوم به الرئيس المصرى له أثره لا فى بلاد العرب فحسب بل فى العالم الشرقى بأجمعه . ولمصر الفضل الكبير بالدعوة إلى الوحدة العربية دعوة عملية . وقد نشر النحاس باشا بعمله هذا صفحة جديدة لامعة ستجعل البلاد العربية فى وقت قريب بلاداً واحدة تخضع لنظام واحد ، وتشريع واحد ، وتنسجم فيها المناهج الثقافية ، والأساليب الاقتصادية ، وقد خلقتها الطبيعة موحدة فيأبى العقل والتفكير أن تكون هذه الحواجز الضيقة الوهمية التى فصلت بين أجزائها

وليس من شك فى أن مصر الخالدة ستقود العالم العربى فى تطوره السياسى العتيد ، خلال المرحلة الجديدة فتسير فى طليعة الشعوب العربية وتكون واسطة عقدها ، وقطب رحاها ، فتؤلف بينها وتقودها إلى ما فيه خيرها وسعادتها فى الجامعة العربية ، ولا غرو فإن مركز مصر الجغرافى ، ومقامها الثقافى والاقتصادى ومكانتها العلمية الممتازة تضمن لها هذا التفوق وهذه الزعامة الصحيحة ، فهى من الناحية الواحدة واقعة فى وسط بلاد العرب ، فالشام والحجاز واليمن والعراق ونجد وجميع هذه الأقطار تقع فى شرق مصر ، كما تقع برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش فى غربها ، والسودان يقع

محاورات المــــوتى

المحاورة الرابعة

للكاتب الفرنسي برنار بوفيه دفونتنيل

بقلم الأديب يوسف روشا

سقراط ومونتين

سقراط : ولد فى أثينا حوالى ٤٧٠ قبل المسيح وأشهر تلاميذه أفلاطون وإكزانفوف وألسيبيادس . ولقد هاجمه أرسطوفان هجوما عنيفا وسخر منه فى قصته « السحاب » . اتهم ظلماً فى سنة ٣٩٩ ق م بإفساد الشبيبة بتعاليمه وقدم للمحاكمة فدافع عن نفسه بخطبة شهيرة أحنقت القضاة فحكموا عليه بالموت

مونتين : أديب فرنسى شهير ولد سنة ١٥٣٣ ميلادية ، وقد اشتهر بمقالاته التى تناول فيها رجالات المجتمع فى عصره بالدرس والتمحيص . وإنك لتجد آراءه وتأثيره بأدبه فى أغلب كتاب فرنسا فى العصرين السابع عشر والثامن عشر . على أن تأثيره لم يقتصر على فرنسا بل تعداها إلى انجلترا ، حيث تأثر به الكاتبان الانجليزيان « شكسبير » و « بيكن »

المحاورة

مونتين : أأنت سقراط النبيل ؟ ما أسرنى بلقائك ! لم يمض على قدومى هذه المدينة غير يسير ، ومنذ قدمت ما برحت أبحث عنك . وأخيراً ، وبعد أن ملأت كتابى باسمك وبالثناء عليك أستطيع أن أتكلم الآن معك وجهاً لوجه لأعرف شيئاً من تلك الفضيلة الساذجة التى اتصفت بها والتى لا نظير لها حتى فى ذلك العصر السعيد الذى عشت أنا فيه

سقراط : يسرنى جداً أن أرى شبحاً كان فيما يظهر فيلسوفاً. ولما كنت قد هبطت إلينا منذ قريب ولم أجتمع بأحد هنا منذ بعيد ، لأنى أعيش فى عزلة تقريباً ؛ فهل تسمح لى أن أسألك. كيف حال العالم ؟ وهل تغير ؟

مونتين : لقد تغير العالم إلى حد أنك لا تعرفه إذا عدت إليه

سقراط : أنا مغتبط بهذا جداً . لقد كنت على يقين دائم بأن من الحتم أن يصبح عالمكم أحسن وأعقل من عالمى الذى عشت فيه

مونتين : ماذا تعنى ؟ لقد أصبح العالم أحمق وأفسد مما كان عليه من قبل . ذلك هو التغير الذى إياه عنيت وإليه قصدت . وإنى كنت منتظراً أن أسمع منك وصف العالم الذى عشت فيه وعاصرته وكان يسود فيه العدل والاستقامة

سقراط : وأنا أيضاً كنت منتظراً منك أن تصف لى عجائب العصر الذى عشت فيه وصفاً شاملاً . يا للداهية الدهياء ! أحق أن الناس لم يقلعوا حتى الآن عن تلك الحماقات التى كانت سائدة فى قديم الزمان ؟

مونتين : يغلب على ظنى أن انتسابك لذلك العهد هو السبب

فى جنوبها ؛ وتقوم سواحلها على البحرين الأحمر والأبيض، وللعرب فيهما أوسع المصالح وأكبرها ، ثم إن لها مقاماً علمياً وثقافياً وأدبياً لا يجارى ولا ينافس ، كل ذلك يجعل مصر زعيمة العرب ، فتقود شعوب الشرق العربى إلى المثل العليا

وأجد نفسى قد أطلت القول ، لذلك أرى أن خير ما أختم به حديثى اليوم هو أن أنقل إلى القراء خلاصة وجيزة عن مقال لجريدة التيمس الكبرى عن أطوار الوحدة العربية قالت : « إن تجدد المساعى لتحقيق الوحدة العربية بما يجرى فى هذه الآونة من مباحثات جدية بين حكومات الشرق العربى ليس فى الواقع إلا ترديداً لصدى التصريح الذى أدلى به المستر إيدن فى (مانشان هاوس) بشهر مايو عام ١٩٤١ وقطع فيه عهداً تأييد أى مشروع يظفر بالاتفاق التام ويرمى إلى تعزيز الروابط الاقتصادية والثقافية والسياسية بين الدول العربية

وليس هنالك ما يحول دون تحقق مشروع الاتحاد العربى إذا استطاع العرب تسوية المسائل التى تعترض سبيلهم ، ولا سيما وإن المشروع يتألف من أقطار تجمع بينها روابط تاريخية وجغرافية وجنسية ولغوية ، ولم تفقد هذه الأقطار فى الماضى روابطها واتصالها برغم الصحارى البعيدة التى تفصل بينها . وقد زاد تقاربها وقويت صلاتها بعد ظهور السيارة ، وأصبحت الصحراء كالبحر تجتازها السيارات دون مخاطرة » هذا ما يقوله الأجانب عنا ، وسنتحدث فى الأسبوع المقبل عن مشاورات الوحدة العربية مع العراق

(دمشق) نسيب سعيد
المحامى

في احتقارك إياه وتصغيرك من شأنه . ولكني أعلمك أن ضياع تلك العادات والأخلاق لما يبعث الأسى والأسف ، ذلك أن الأمور تزداد سوءاً يوما بعد يوم

سقراط : أممكن هذا ؟ إن الأمور في زماني كانت تبدو لي سيئة جداً ؛ ولكن لم يساورني شك في أنها ستتحسن على تعاقب الأجيال ، وأن الناس سينتفعون من تجاريب هذه السنين الطويلة

مونتين : أينتفع الناس حقاً من تجاريبهم ؟ إنهم لا يختلفون عن الطيور التي تقع دائماً في الأشراك التي وقع فيها مئات الألوف من جنسهم قبلهم . كل امرئ يدخل الحياة مستقلاً ، فلا يستفيد الأبناء من حماقات الآباء

سقراط : ماذا ! لم يكن هناك من تجارب يستفيد منها الناس . وكنت أظن أن سيكون للعالم شيخوخة أقل سخفاً وعناداً من شبيبته

مونتين : الناس في أي زمان شئت تحفزهم نفس الميول والأهواء التي لا سلطان للعقل عليها ، وحيثما كان الناس كان الطيش والحمق اللذان لا يتغيران أبدا

سقراط : إذا كان الأمر كذلك فلماذا تتصور أن الأقدمين كانوا خيراً من المحدثين ؟

مونتين : تلك طريقتك التي انفردت بها يا سقراط والتي أعرفها جيداً ... طريقة في المحاورة والمداورة بارعة تشوش بها مناظريك وتقودهم إلى حيث شئت . وإني لأعترف بأني قد رأيت هنا رأياً يخالف ما كنت رأيت من قبل ولكني مع هذا لن أسلم لك لأن رجالاً ذوي حزم وعزم وثبات كأرستيد وفوسيون وبركليس ولا سيما سقراط لا تجد لهم نظراء اليوم

سقراط : ولماذا ؟ وهل استنفدت الطبيعة قواها ولم يعد في إمكانها أن تخرج رجالاً عظاماً ؟ ولماذا يصيبها العقم فيما عدا ذلك ؟ لم ينحط عمل من سائر أعمال الطبيعة فلماذا قدر للرجال وحدهم أن ينحطوا ؟

مونتين : يبدو لي أن الطبيعة في بداية أمرها أخرجت لنا نماذج من الرجال الممتازين لتقنعنا بأنها تعرف جيداً كيف تخلقهم إن هي أرادت ذلك ثم أهملت فيما بعد شأن الباقين فانحطوا وتدهوروا

سقراط : كن على حذر من هذه الناحية فلا تشتط . إن القديم في ذاته شيء فريد ؛ وإن تقادم العهد يضفي عليه شيئاً من الروعة . ولو قدر لك أن تعرف أرستيد وفوسيون وبركليس وتمرفني ، مادمت تحب أن تعدني منهم ، لوجدت في زمانك رجالاً يماثلوننا . ولكننا عادة نميل إلى القديم ونتعصب له لأننا نكره زماننا ونمقته . فنحن نعظم القدماء لنحط من قدر المحدثين . ولقد كنا في زماننا نذهب في تقدير أسلافنا إلى أبعد حدود الغلو والإسراف ، واليوم يمجدنا أحفادنا أكثر مما نستحق ولهم كل الحق . وأكبر ظني أن النظر إلى العالم من ناحية واحدة خليق أن يبعث في نفوسنا السأم ؛ لأن العالم لا يتغير ولا يتبدل

مونتين : لقد كان يخيل إلي أن كل شيء في العالم يتغير وأن لكل جيل طابعه الخاص الذي يتميز به ، وذلك كالناس ، فهناك أجيال اشتهرت بالعلم وأخرى بالجهل . أفلا يوجد ثمة أجيال كان طابعها الجد وأخرى كان طابعها الهزل ؟

سقراط : بلى

مونتين : إذن ما هو المانع من أن يكون هناك أجيال أكثر صلاحاً وأخرى أكثر طلاحاً من غيرها ؟

سقراط : ذلك لا يطرد ولا يستقيم مع ما نحن بصدده . فالملابس تتغير بتغير الأزياء ولكن ذلك لا يعني أن شكل الجسم يتغير أيضاً . فالدماثة أو الخشونة ، والعلم أو الجهل ، والجد أو العبث ، ليست إلا مظاهر خارجية للرجل وكلها تتغير ، ولكن القلب لا يتغير ، وما الرجل إلا قلبه . فقد يشيع الجهل في جيل ما ثم تعقبه نهضة علمية فتحل محله . ولكن الأنانية لن تزول من العالم مهما بذلنا في سبيلها من جهد ، ذلك لأنها تصدر عن القلب . وإن من بين ملايين الرجال الضعاف القلوب لا تجود الطبيعة في كل مائة عام إلا بعشرين أو ثلاثين من الرجال الواسعي العقول ، الكبيري القلوب ، فتضطر إلى توزيعهم على جميع أنحاء العالم . ومن هذا نستطيع أن نحكم بأنه لا يمكن أن يوجد منهم في أي مكان عدد كاف لنشر بذور الفضيلة والعدالة

مونتين : ولكن هل روعي العدل في توزيع هؤلاء الرجال العقلاء النوابغ ؟ ألم يكن نصيب بعض الأجيال منهم أوفر من نصيب البعض الآخر ؟

سقراط : قد يكون هناك بعض الاختلاف ؛ ولكن الطبيعة على العموم تبدو منتظمة متسقة .

(بغداد)

يوسف روشا

منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

للأستاذ سعيد الديوه جى

(تتمة)

(ج) الاعتقاد بيزيد وعدى

ولليزيدية آلهة أخرى غير الآلهة السبعة لذين ذكرناهم ؛ فهم يؤلهون « يزيد بن معاوية » ويعتقدون أن معاوية تزوج من امرأة ولدت إلههم (يزيد) وهـذا نتج عن الغلو فى حب يزيد كما مر الكلام عن هـذا ، ولـكننا لا نجد عملاً لهذه الإله فى الدنيا والآخرة سوى أنه تسلم السناجق (الأعلام) السبعة من سليمان الحكيم وسلمها للأمة اليزيدية ، وهـذه السناجق محفوظة عندهم . وفى مصحف رش يسميه « يزيد البربرى » فى موضع واحد

والإله الثاني هو « الشيخ عدى » ويسمونه « الشيخ عادى » وتألهه كان من نتيجة المغالاة فى حبه حتى صار إلـهاً يعبد . ويدعون أنه ذهب إلى مكة مع « الشيخ عبد القادر الـكيلانى » ومكث هناك أربع سنين ظهر لهم خلالها « طاووس ملك » وادعى أنه « الشيخ عدى » علمهم بعض الأمور الدينية وحذرهم إذا جاء غيره وادعى أنه (الشيخ عدى) أن يرفضوه . فلما رجع الشيخ عدى رفضوه وردلوه فمات حزيناً

ثم ظهر لهم « طاووس ملك » وأخبرهم بحقيقة الأمر فندموا على ما فعلوا ودفنوه فى زاويته « بجبل لالش » وجعلوا قبره حجاً لهم

وبعضهم يدعى أن « عدياً » وزيراً لله أو مشيراً أو هو مشارك له أو أن حكم السماء بيد الله وحكم الأرض بيد (الشيخ عدى) . وربما كان ما يملكه (عدى) أكثر مما يملكه الله جل وعلا ، ومن ذلك أن الله زار الشيخ (عدياً) فى (لالش) ؛ فقام بحق ضيافته خير قيام . ثم زار (الشيخ عدى) الله فى السماء فذهب هو وأتباعه ومريدوه ؛ ولما حلوا فى السماء لم يكن عند الله علف لخيولهم ، فأمر الشيخ أتباعه أن يذهبوا إلى بيادره فى (لالش) ويأتوا منها بالعلف ، ففعلوا وسقط التبن فى السماء ، فكان منه (المجرة) ، ويسمونها (درب التبانة) إلى غير ذلك من الحكايات . وبينما يدعون أن (الشيخ عدياً) هو مشارك لله فى الحكم لا نجد له تصرفاً فى هـذا العالم أو نفوذاً أو سلطة سوى : أنه في الآخرة يضع الأمة اليزيدية فى طبق ويحملهم على رأسه ويدخل بهم الجنة ، بينما تعانى بقية الطوائف أهوال الموقف والحساب . وزيارة قبره فرض على كل يزيدى . وجبل «لالش» الذى به قبره أفضل من مكة والقدس . وزمن حجهم إلى هذا الجبل وزيارة قبر « الشيخ عدى » هو من اليوم الخامس عشر من شهر أيلول إلى اليوم العشرين منه . ومن تمكن من زيارته ولم يزره فهو كافر

٣ – ويعتقد اليزيدية أنه سيظهر نبى من العجم فى آخر الزمان ينسخ الأديان جميعها ويؤيد عقائد اليزيدية . وهـذه العقيدة تسربت إليهم من إحدى فرق الخوارج وهم « اليزيدية » أتباع (يزيد بن أبى أنيسة الخارجى) فإنه كان يدعى هذا

٤ – واليزيدية يقرأون القرآن ، ولكنهم لا يصومون ولا يصلون ولا يرون أنفسهم مكلفين بهذه القيود ؛ فهم يصومون ثلاثة أيام من الصباح إلى المساء من شهر كانون الأول الشرقى . جاء فى مصحف رش : « أما الصوم والصلاة فإن الله لا يشابهما لـكن يريد الخير وفعل الصدقة » ، وهم يعتقدون أن الشيخ « عدياً » أفضل من محمد ومن سائر الأنبياء ؛ بل هو وزير لله أو شريكه – كما مر – وهذه العقائد مشابهة لعقائد (البابكية) الذين يزعمون أن (شروين) أفضل من « محمد » ومن سائر الأنبياء . وقد بنوا فى جبلهم مساجد للمسلمين يؤذن فيها المسلمون وهم يعلمون أولادهم القرآن . لا يصلون فى السر ولا يصومون شهر رمضان

٥ — الحلول : مذهب الحلول وتناسخ الأرواح قديم اعتنقه كثير من الأقوام الوثنية ، وكان منتشراً في فارس بكثرة . واليزيدية يعتقدون به . وقد جاء في الفصل الثاني من كتابهم (الجلوة) : «لا أسمح لأحد بأن يسكن في هذه الدنيا أكثر من الزمن الذي حددته له وإن شئت أرسلته مرة أخرى ثانياً وثالثاً إلى هذا العالم أو إلى غيره بتناسخ الأرواح »

وهم يعتقدون أن روح (منصور الحلاج) حلت في أخته . وذلك أنه بعد أن قتله الخليفة «المقتدر» وأحرق جثته ورماها في النهر جاءت أخته لتملأ جرتها فدخلت الروح فيها . ولما شربت أخته حلت روحه بها فحملت وولدت ولداً كان أخاها وابنها . ولما رمى رأس « منصور الحلاج » في النهر سمع له صوت كالهدير ، ولهذا فإن اليزيدية لا يشربون الماء من الأكواز الضيقة الأفواه ، لأن صوت الماء أثناء خروجه منها يشبه هدير الماء عند رمى رأس منصور الحلاج في النهر

ومنصور الحلاج فارسي رحل إلى بغداد وأظهر الزهد والعبادة ، والناس في أمره مختلفون ؛ فمنهم من ادعى كفره ومنهم من رأى أن لكلامه ظاهراً وباطناً

وقد ثبت كفره في مجلس عقده الخليفة وحوكم واعترف بذلك ، فحكم عليه بالإعدام . وأثناء تنفيذ الإعدام صرح بأن روحه ستحل في غيره ولذلك يدعى أتباعه بأنه لم يمت وأن روحه تنتقل بالتناسخ . وانتقلت هذه الفكرة من أتباع منصور الحلاج » إلى اليزيدية

٦ — ويعتقدون أن الله خلق جهنم على عهد آدم الأول في الوقت الذي ولد ابنه (إبريق شموتا) وابتلى الله هذا الولد بالدمامل الكثيرة في جميع جسده فأخذ يبكي ويجمع دموعه سبع سنين حتى امتلأ الإبريق فصبه على نار جهنم وطفأها وخلص الأمة (اليزيدية) . وهذه العقيدة مبنية على أساس العقيدة المسيحية وهي أن « المسيح » تحمل آلام الصلب ليكفر عن خطيئة البشر . وكذا « إبريق شموتا » تحمل آلام الدمامل ليطفئ نار جهنم ويخلص اليزيدية منها

وهم يعمدون أولادهم كالمسيحيين ، ويختنونهم كالمسلمين ، ويسجدون للشمس والقمر كالوثنيين وغير ذلك

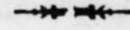
هذه هي أهم عقائد اليزيدية وقفنا عليها من الكتب الإسلامية ومن كتابيهم المقدسين «الجلوة» و(مصحف رش) . ولهم معتقدات أخرى كثيرة مبنية على أساطير وخرافات أكثرها إسرائيلية سنعرض لها في بحث آخر

(الموصل) سعيد الديوه جي

القضايا الكبرى في الإسلام

قدامـــــة بن مظعون

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي



هذه القضية تبين أصلاً مهماً من أصول التشريع ، اشتبه أمره على قدامة بن مظعون رضى الله عنه ، فأقيم عليه بسبب هذا حد الخمر ، وهو صحابى بَدْرِىٌّ من السابقين إلى الإسلام ، وممن حاز شرف الهجرتين ، وكان زوج صفية بنت الخطاب أخت عمر رضى الله عنه ، وهو خال حفصة وعبد الله ابنى عمر ، فإذا اشتبه عليه ذلك الأصل التشريعى وهذا أمره فغيره أجدر بذلك الاشتباه ، وإذا لم ينجه ذلك الاشتباه من حد الخمر لم ينج أحداً منه ولا من غيره من أنواع الحدود والتعازير

لما ولى عمر الخلافة استعمل قدامة بن مظعون على البحرين ، وكان فى قدامة نزعة إلى الشذوذ فى الاجتهاد ، ومن ذلك أن أخاه عثمان بن مظعون لما تُوُفى أوصى إليه بعد موته ، وكان لعثمان بنت من خولة بنت حكيم ، فخطبها إلى قدامة عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، فأجاب خطبته ورأى أن يزوجها له ، ولكن أمها خالفته فى ذلك ، ودخل عليها المغيرة بن شُعْبَةَ فأرغبها فى المال ، فرغبت فيه زوجاً لبنتها ، وكان رأى الجارية مع أمها ، فبعث النبى صلى الله عليه وسلم إلى قدامة فسأله ، فقال : يا رسول الله ، هى ابنة أخى ولم آلُ أن أختار لها . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هى يتيمة ولا تنكح إلا بإذنها . ثم انتزعها من قدامة وزوجها المغيرة بن شعبة

وقد أوقع قدامة شذوذه فى الاجتهاد فى مخالفة ظاهرة للشرع ، فشرب الخمر بعد استعماله على البحرين ، وقد رآه الجارُودُ سيد عبد القيس ، فقدم من البحرين على عمر بالمدينة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قدامة شرب فسكر ، وإنى رأيت حداً من حدود الله حقاً علىَّ أن أرفعه إليك . فقال له عمر : من يشهد معك ؟ قال : أبو هُرَيْرَةَ . فدعا عمر أبا هريرة وسأله : بِمَ تشهد ؟ قال : لم أره شرب ، ولكنى رأيته سكران يقىء . فقال له عمر : لقد تنطعت فى الشهادة . يعنى أنه تأنق فيها وأظهر أنه يتحرى الحق ، ولكنه أتى فى ذلك بضد ما يقصد ، لأن رؤيته إياه سكران لا يقطع فى إقامة الحد عليه ، ولهذا اختلف الأئمة فى هذه الشهادة ، فذهب بعضهم إلى أن من تقيأ الخمر يحد حدَّ شارب الخمر . وذهب بعضهم إلى أنه لا يحد بذلك ، لأنه يجوز أن يكون شربها جاهلاً أنها خمر أو مكرهاً على شربها ، إلى غير هذا من الأعذار المسقطة للحدود

وقد رأى عمر مع هذا أن يستقدم قدامة من البحرين ، فكتب إليه أن يقدم عليه فقدم ، فلم يلبث الجارُودُ أن رآه حتى ذهب إلى عمر فقال له : أقم على هذا كتاب الله . فقال له عمر : أخصم أنت أم شهيد ؟ فقال : شهيد . فقال : قد أديت شهادتك . فصمت الجارود ثم غدا على عمر فقال : أقم على هذا حد الله . فقال عمر : ما أراك إلا خصما ، وما شهد معك إلا رجل واحد . فقال الجارود : أنشدك الله . فقال عمر : لتمسكن لسانك أو لأسُوأنك . فقال الجارود : يا عمر ، ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر وتسوءنى . وقال أبو هريرة : يا أمير المؤمنين ، إن كنت تشك فى شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد فاسألها ، وهى امرأة قدامة . فأرسل عمر إلى هند بنت الوليد ينشدها ، فأقامت الشهادة على زوجها ، وثبت عليه بذلك شرب الخمر ، ولا شك أن فى موقف عمر مع الجارود أكبر دلالة على أن الغيرة على الدين يجب أن تكون فى اعتدال واتزان ، وألا يكون معها تحامل ولا شهوة انتقام ، فإذا لم تكن الغيرة الدينية بهذا الشكل لم يكن لها قيمة فى الدين ، واستحق صاحبها أن يردع بما ردع به عمر الجارود . وما أحوج كثيراً ممن يصيحون بالغيرة على الدين فى عصرنا إلى من يردعهم ذلك الردع ، ليقفوا عند حد الاعتدال فى غيرتهم على الدين ، ولا يصلوا فى ذلك إلى حد التهور الذى يضر الدين ولا ينفعه ،

ويجعلهم كالصديق الجاهل الذى يضر صديقه من حيث يريد النفع له ، وقد آثر القدماء فى ذلك العدو على الصديق ، وذهبت فيه حكمتهم المشهورة : عدو عاقل خير من صديق جاهل

وإنما سقطت شهادة الجارود بطلبه إقامة الحد بعد تأدية الشهادة ، لأن طلب الحكم من حق المدعى لا الشاهد ، فإذا طلبه الشاهد بعد تأدية شهادته وأصر عليه كما أصر الجارود بطلت به شهادته ، وكان ذلك مما يدعو إلى الشك فى أمره

ولما ثبت شرب الخمر على قدامة دعاه عمر وقال له : إنى حادُّكَ . فقال قدامة : لو شربت كما تقول ما كان لكم أن تحدونى . فقال عمر : لِمَ . قال قدامة : قال الله عز وجل (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين) فقال عمر : أخطأت التأويل ، إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله

ثم أقبل عمر على الناس فقال : ما ترون فى جلد قدامة ؟ فقالوا : لا نرى أن تجلده ما دام مريضاً . فسكت على ذلك أياماً ثم أصبح وقد عزم على جلده فقال : ما ترون فى جلد قدامة ؟ فقالوا : لا نرى أن تجلده ما دام وَجِعاً . فقال عمر : لأن يلقى الله تحت السياط أحبُّ إلىّ من أن ألقاه وهو فى عنق . ائتونى بسوط تام . فأمر به فجلد

وهكذا لم يُنج قدامة من حد الخمر ذلك التأويل الذى استحل به شربها ، فقد فهم أن الله تعالى حرم الخمر بقوله : (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) ولكنه قال بعد ذلك (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية ، فقيد حرمتها بذلك تقييداً ، ولم يجعل تحريمها مطلقاً كالزنا ونحوه . ولا شك أنه أخطأ فى ذلك خطأ ظاهراً ، وقد بين له عمر خطأه فى ذلك التأويل . ولم يمنعه من إقامة الحد عليه أنه تأول فأخطأ ، وقد أتى الإسلام برفع القلم عن الخطأ ، لأن رفع القلم عن الخطأ لا يصل إلى إبطال أحكام القضاء ، فلا يصح للناس أن يتأولوها على خلاف ظاهرها ، ثم يستبيحوا لأنفسهم مخالفة الظاهر منها ، بل يجب أن يكون القضاء شرعة واحدة بين الناس ، لتشملهم جميعاً عدالته ، وينفذ حكمه فى كل واحد منهم ، وهو كما قال عمر رضى الله عنه : فريضة محكمة ، وسنة متبعة . فلا يجوز تشويهه بالتأويلات الخاطئة ، ولا يصح أن تتخذ وسيلة للتخلص منه

ولكن ذلك التأويل الخاطئ إذا لم ينفع قدامة فى إسقاط الحد عنه ، فإنه لم يتخذ وسيلة للتشهير به وقد أخطأ فيه خطأ ظاهراً ، ولم يطعن به أحد عليه فى دينه وقد خالف فيه إجماع أهل عصره . وما كان لمثله أن يخفى عليه ذلك النص المحكم فى تحريم الخمر ، بل بقى له دينه صحيح الأديم ، وبقى له شرف هجرته وبدريته وسبقه إلى الإسلام . وقد غاضب عمر لأنه أقام الحد عليه ولم يسقطه عنه ، وهجره إلى أن أتى موسم الحج فحج عمر وحج قدامة وهو مغاضب له ، فلما قفلا من حجهما ونزل عمر بالسقيا نام ، فلما استيقظ من نومه قال : عجلوا بقدامة ، فوالله لقد أتانى آت فى منامى فقال لى سالم قدامة فإنه أخوك ، فعجلوا علىّ به . فلما أتوه أبى أن يأتى ، فأمر به عمر إن أبى أن يجروه إليه ، فكلمه واستغفر له

فرحم الله ذلك السلف الصالح الذى كان يزن أموره بالحكمة ولا يأخذ فيها بتفريط أو إفراط ، فيأخذ قدامة بالحد الذى يستحقه من غير تفريط ، ولا يضيق صدره بتأويله الخاطئ الذى خالف الإجماع ، وأنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، لأنه لم يكن فى ذلك سيئ القصد ، ولم يقصد به إلى عناد أو كفر . وإنه ليجب الأخذ بالتسامح فى خطأ الرأى وإن وصل إلى ذلك الحد ، لأن الخطأ من طبيعة الإنسان ، وما من أحد وإن علا قدره إلا وهو عرضة لأن يقع فى مثل ذلك الخطأ الظاهر ، فلو ضيقنا الأمر فى خطأ الرأى ولم نتسامح مع من يصل فيه إلى ذلك الحد لتهيبه كل من هو أهل له ، وآثر عليه

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٤٣ — في بيت واحد

لما ادعى إبراهيم بن المهدى الخلافة أتى إليه المعتصم بابنه الواثق فقال : هذا عبدُك هرون . ولما استخلِف المعتصمُ قبض إبرهيم بيد ابنه ودخل عليه وقال : هذا عبدك هبة الله

قال أصحاب التواريخ : وكانت الوقعة فى بيت واحد !

٥٤٤ — إلا جعلك سببا لردها عليك

فى « المحاسن والأضداد » : قالت حُرَقَة[1] بنت النعمان لسعد بن أبى وقاص : لا جعل الله لك إلى لئيم حاجة ! ولا زالت لكريم إليك حاجة ! وعقد لك المنن فى أعناق الكرام ! ولا أزال بك عن كريم نعمة ! ولا أزالها بغيرك إلا جعلك سبباً لردها عليه !!

(١) حرقة : هذا اسم مرتجل غير منقول (التبريزى) . ومن قولها وهو فى (حماسة أبى تمام) :

بينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

فى البيت الأول خرم وهو كثير فى شعرهم . (نتنصف) : نخدم ، الناصف الخادم

٥٤٥ — لا يبصر الكلب فى أرجائها الطنبا

ابن حجة الحموى : حكى عن القاضى فخر الدين لقمان والقاضى تاج الدين أحمد بن الأثير أنهما كانا صحبة السلطان على تل العجول ولفخر الدين مملوك اسمه (الطنبا) فاتفق أنه طلب مملوكه المذكور وناداه : ياطنبا ، فقال له : نعم ولم يأته ، وكانت ليلة ممطرة مظلمة ، فأخرج فخر الدين بن لقمان رأسه من الخيمة فقال : تقول : نعم ولم أرك . فقال القاضى تاج الدين :

فى ليلة من جمادى ذات أندية
لا يبصر الكلب فى أرجائها الطنبا[1]

٥٤٦ — أسد متعلم غراب متكلم

فى نفح الطيب :

قال عبد الله بن عمر السرخسى : بلغنى أن قوماً من الغرباء قصدوا السلطان يعقوب المنصور ومعهم حيوانات معلمة ، منها أسد وغراب ، أما الأسد فيقصده من دون[2] أهل المجلس ، ويربض بين يديه ، وربما أومأ بالسجود ومد ذراعيه . وأما الغراب فكان يقول : (النصر والتمكين ، لسيدنا أمير المؤمنين)

وفى ذلك يقول بعض الشعراء :

أنس الشبل ابتهاجاً بالأسد وارأى شبه أبيه فقصد
انطق الخالق مخلوقاته شهدوا والكل بالحق شهد[3]
أنك الخيرة من صفوته بعد ما طال على الناس الأمد

فأعطاهم وكساهم ، وأحسن حباءهم . وبلغنى أن قوماً أتوه بفيل من بلاد السودان هدية فأمر لهم بصلة ولم يقبله منهم . وقال : نحن لا نريد أن نكون أصحاب الفيل

(١) للحماسى (مرة بن محكان التميمى) وقبله :

ياربة البيت قومى غير صاغرة ضمى إليك رحال القوم والقربا

(أندية) جمع ندى على غير قياس أو شاذ أو تكسير نادر ، ذلك بعض أقوالهم فى هذا الجمع ... (الطنب) حبل البيت (القرب) مثل كتب جمع قراب السيف

(٢) أستعير (دون) للتفاوت فى الأحوال والرتب فقيل : زيد دون عمرو فى الشرف والعلم . واتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد إلى حد وتخطى حكم إلى حكم . قال الله : لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين (الكشاف)

(٣) أجاز النحويون إدخال الألف واللام على بعض وكل إلا الأصمعى فانه امتنع من ذلك قال أبو حاتم : قلت للأصمعى : رأيت فى كلام ابن المقفع : (العلم كثير ، ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل) فأنكره أشد الانكار ، وقال : كل وبعض معرفتان فلا تدخلهما الألف واللام لأنهما فى نية الاضافة (المصباح) كل وبعض معرفتان ، ولم يجئ عن العرب بالألف واللام وهو جائز ، لأن فيهما معنى الاضافة أضفت أو لم تضف (اللسان)

السلامة لدينه وعرضه ، فيسود الجمود بين الناس ، وتحرم الأمة من الآراء النافعة لأصحاب الرأى فيها

فليتعظ بهذا الذين أصبحوا حرباً على أصحاب الرأى فى عصرنا وضاقت صدورهم بكل جديد ولو كان صواباً ، وليس لهم سند فى ذلك إلا الصخب واستفزاز العامة باسم الدين ، والسعى فى إيذاء أصحاب الآراء فى أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، ولم يجن المسلمون من صخبهم إلا ذلك الجمود الذى خيم على الأفكار ، ووقف عقبة فى سبيل الإصلاح ، فتقدمت الأمم وتأخرنا ، وضعف الدين وفشا الإلحاد فى بلادنا ، وقد استعصى الداء ، وعز العلاج ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

عبد المتعال الصعيدى

العـــزلة ...

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

فى روضة مِعطارْ … تَخضلُّ بالتَّذكارْ
هاجت بها الأفكارْ … ناراً على قلبى !

فيها جناحٌ طارْ … وعطرُ أيكٍ ثارْ
وجدول هدّارْ … يجري بلا سَكْبِ

صَلّتْ بها عيدانْ … لا تعرف الأديانْ
واستغفرتْ أغصانْ … لكن بلا ذنبِ

خَميلُها حَرّانْ … ونبعها ظمـآنْ
وصمتها ولهانْ … شوقاً إلى الغيبِ

تفجرت أنهارْ … فيها من الأسرارْ
يجرى بها إعصارْ … فى عالمى الرَّحْبِ

دارت سواقيها … تبكى لتسقيها
من دمع ماضيها … ما فاض من هُدْبى

مشى بها الماضى … يدوس أنقاضى
كرهف ماضٍ … يُغمَدُ فى جنبى

ولاحت الأيامْ … مشلولة الأقدامْ
كأنهـا أوهامْ … مصلوبة الركْبِ !

من أين لا أغصانْ … فيها ، ولا كثبانْ
حطت بها الأحزانْ … سرباً إلى سربِ ؟!

وكيف لا حاناتْ … فيها ولا كاساتْ
طافت بها الآهاتْ … سكرى بلا شرب

وهـذه أفواجْ … من خاطرى الوهاجْ
تجيش كالأمواجْ … جنباً إلى جنب ..

وهـذه أنفاسْ … فى صمتها الوسواسْ
تدق كالأجراسْ … فى معبد القلبِ

وهـذه أنغامْ … مغلولة الإلهامْ
كأنها أنسامْ … قُيِّدْنَ بالعُشبِ ...

وهـذه أصفادْ … للّحنِ والأعوادْ
تضج كالأجنادْ … فى غمرة الحربِ

وهـذه أشواقْ … مجهولة الآفاقْ
مقتولة الإشراقْ … مسدولة الحُجُبِ

وهذه رُكبانْ … للغدر والبُهتانْ
تنسلُّ كالثعبانْ … فى المَزحَفِ الرطْبِ

وهذه أكوابْ … مما سقى الأحبابْ
بالسُّمِّ والأوصابْ … تدور فى قلبى ...

وهـذه رنّاتْ … ممدودة الراحاتْ
كأنها قُبلاتْ … ظمآى إلى الحبِّ

تنهيدة من عودْ … فى مهجتى مشدودْ
معذَّبٍ مكدودْ … من قسوة الضربِ

أم نغمة خرساءْ … مسحورة الأصداءْ
أشهى من الإغضاءْ … فى ساعة العتْبِ ؟!

وهـذه صحراءْ … فى وحدتى السوداءْ
مرت بها الأنواءْ … تبكى من الرعب

وهـذه حياتْ … تسعى من الساعاتْ
كأنما الأوقاتْ … غابٌ نما قربى ..

وهـذه جنّاتْ … رفّتْ بحوريّاتْ
ينثُرن بالهالاتْ … زهراً على جدْبى

سربٌ من الآمالْ … يدب كالمحتالْ
مُرَقّشَ الأسمالْ … بالزيف والكِذْبِ

أكعبةٌ أم حانْ ؟ … أم مخدع للنسيانْ ؟
أم موئل الإيمانْ ؟ … أم مَعْقِلُ الريبِ ؟

وهـذه أطيارْ … يا نفس أم أوكارْ
لاذت بها الأسرارْ … من روعة الخطبِ ؟

وهذه أكوانْ … للروح أم أكفانْ
يا حادى الأزمانْ … تهنا عن الدربِ ..

يا عُزلة الأرواحْ … لا تظمئى ! فالراحْ
وهاجة الأقداحْ … من دمعى العَذْبِ !

أبكى كما أبكى … من ظلمة الشك
فدمع عينيك … أهمى من السُّحْبِ

ربيعك الرفرافْ … خريف حبٍّ طافْ
مُلألأ الأنوافْ … كأدمع الصب

أطلقت فيكِ الروحْ … كطائرٍ مجروحْ !
فعاد كالمذبوحْ … مُلقًى على التُّرْبِ

عمرى غريبٌ تاهْ … ضلت به دنياهْ ...
من سجنه الأوّاهْ … أطلقه يا ربى ! !

جـــراح ! !

تعالى هنا نحيا سعيدين لا نرى … على الكون إلا ما يسر ويُفرح
تعالى نعش فوق الحياة فإننا … خلقنا كهذا الطير نشدو ونمرح
تركت فؤادى نهبـة لشجونه … وإن كان عن أشجانه ليس يفصح
هنا فى فؤادى ... آهة كم حبستها … فظلت به مجنونة العصف تلفح



شعراء الشباب والأستاذ الجليل « ا . ع »

لست أدرى ما علة هذه الحملة التأديبية المفاجئة التى يأبى أستاذنا الجليل (ا . ع) إلا أن يشنها على شعرائنا الشباب الذين يضطلعون بمهمة تجديد الشعر العربى والنهوض به ونفض هذا الترى المتراكم عليه والذى يوشك أن يخمد أنفاسه ... لقد تذرع أستاذنا الجليل بكامة نشرها الوالد الأعز والأستاذ الأكبر إسعاف النشاشيبى عما سماه (الشعر الخذروفى !) فشمر عن ساعد الجد ، وانطلق يوسع شعراءنا الشباب غمزاً ولمزاً وتجريحاً ... وكل ذلك من وراء حجاب كان الخير فى كشفه ما دام الأستاذ يريدها حرباً وليس يريدها سلاماً ! لقد أنكر الأستاذ جميع الشعر العربى بعد البارودى وشوقى وحافظ ... وأشفق من الشعراء الشيوخ الأجلاء الذين لا يزالون على قيد الحياة . والذين يعتز بهم الشعر العربى ، والذين لا ينكر إلا ظالم أن منهم من لا يقل مرتبة عن البارودى وشوقى وحافظ ، فرأى أن يشملهم بإشارة عطف ورحمة ورثاء وهو يحسب أنه بهذا قد اتقى سخطهم ، ثم خلص من إشارة العطف والرحمة والرثاء إلى صب جام سخطه على الشعراء الشباب الذين ثاروا على المذهب القديم ، وراحوا يواكبون قافلة الحياة ، ويوسعون آفاق الشعر مطرحين نظم المناسبات ، جاعلين لعواطفهم وقلوبهم ودموعهم وآلامهم وقضايا جيلهم الحق الأول فى كل ما ينظمون ، هازئين بالهودج والعيس والريم الواقف على القاع بين البان والعلم ، تتشوف أرواحهم إلى المستقبل ولا يتباكون على الماضى ، يبتدعون ويفتنون ولا ينبشون قبور الموتى ويسرقون أكفان النائمين تحت التراب . يمشون فى جنات الفكر ويتغنون ألحانهم الخاصة غير مقلدين ولا متأثرين بأشباح الماضى السحيق

ماذا ينقم أستاذنا الجليل من شعراء الشباب ؟! أمن العدل أن يحدثنا عن قصيدة لم نرها لنحكم إن كان إنكاره منها ما أنكر حقاً أو ليس من الحق فى شىء ؟ وهل من العدل أن يجحد أستاذنا الجليل شعر الشباب عامة لأن تلك القصيدة المجهولة لم ترقه ؟ وهل من العدل أن ينكر الأستاذ هـذه العشرات من شعراء الشباب وهم أثمن قلادة يتحلى بها جيد مصر الحديثة والشعر المصرى الحديث ؟ هل من العدل أن يجحد على محمود طه وناجى والخفيف ومحمود حسن إسماعيل ورامي وجودث وغنيم وعبد الغنى حسن وعبد الغنى سلامة ونجا والعجمى والنشار وشيبوب والبشبيشى وقطب وغيرهم ممن لا تحضرنى الآن أسماؤهم اللامعة فى سماء شعرنا الحديث ؟ أمن العدل هذا يا أستاذنا الجليل والذين تنكرهم هم تلاميذك وأبناؤك ؟ فماذا تقول ؟ هل فشلتم فى إنشاء هـذا الجيل الجديد ؟ أليس من الخير أن ندفع العربة إلى الأمام لا أن نقف فى سبيلها فتحطمنا أو ندفعها إلى الوراء ؟

دريني خشبة

كئيب ... أجل ! لكننى من كآبتى
أغنى ألاحين الحياة وأصدح

وصوتك لحن صاغه الله فتنة
لقلب مع الآلام يمسى ويصبح

إذا سمعت أذناى ترجيعه انطوى
زمانى ... وظلت مهجتى تترنح

ترف على كون من النور ساحر
وتسبح فى دنيا بعطرك تنفح

على وجهك الفتان تسبيح راهب
وألحان أيك بالصبابة ينضح

دعينى فلى فى ظله السمح سجدة
أظل بها فى باحة النور أسبح

حييت على الدنيا شجياً معذباً
وأنت بكفيك الصفاء المجنح

وما ضرنى أن كنت وحدك فرحتى
وغيرك إعصار لنفسى ومذبح

سخرت بأفعال البريات كلها
فسيان عندى من يذم ويمدح

فهيا بنا يا أخت نلهو فإننا
خلقنا كهذا الطير نشدو ونمرح

عبد العليم عيسى

النسب إلى أم وأمهة

اطلعت فى عـدد الرسالة (٥٥٩) على رد للكاتب الكبير الأستاذ العقاد يرديه على من انتقده فى استعمال لفظ « الأموية » نسبة إلى الأم . وخلاصة الرد أن النسبة صحيحة ، وأن أصل أم أمة وأمهة ، فقلبت الهاء واواً ، كما تقلب فى سنة وسنوى وشفة وشفوى وعضـة وعضوى للدلالة على عواطف الأمومة والنسبة إلى أحـد الأبوين فرقاً بين هـذا المعنى وبين معنى أمى ،

للدلالة على الجاهل بالقراءة والكتابة

وأقول : ورد فى اللغة عن الأثبات الثقات ، أن فى لفظ الأم أربع لغات ، هى ؛ أم بضم الهمزة وكسرها ، وأمة وأمهة . وجمع الكل أمات وأمهات . قال :

إذا الأمهات قبحن الوجو ه فرجت الظلام بأماتكا

والنسبة إلى أم « أمى » وإلى أمهة (أمهى) وهذا هو القياس الصرفى

ثم إن قياس أم من أمهة على سنة ونحوها فى النسب ليس بصحيح لوجهين :

الأول : أن الهاء من سنة لم تقلب واوا فى النسب – كما قد يتوهم – لأن هذه الهاء مبدلة من تاء التعويض المشوب بالتأنيث وهى تحذف من المنسوب إليه ألبتة ، والواو فى سنوى ونحوه أصل من أصول الكلمة كانت حذفت وعوض عنها التاء (الهاء) ؛ ولما كان النسب يرد المحذوف فى مثل هذا الموضع حتما رُدت الواو كما ردت فى الجمع فقيل سنوات . ويقال فى النسب سَنَهى بالهاء ، لأن (لام سنة) المحذوفة ذات وجهين عند العرب ، كما هو مبين فى متن اللغة . وإذا ثبت بالدليل أن الواو فى سنوى غير مبدلة من الهاء فى سنة ثبت أن الهاء فى أمهة لا يصح قلبها واوا ؛ إذ لا يعرف هذا النوع من الإبدال فى لغة العرب

الثانى : أن الداعى إلى عودة الواو فى النسب هو تكميل اللفظ برد ما حذف من أصوله إليه ؛ ليكون ذلك جبراً لما فاته من تاء التعويض التى تحذف وجوباً عند النسب . فكان — لولا الرد — يبقى من الكلمة حرفان فقط ، وهذا إجحاف ببنيتها من غير داع إليه . وكلمة (أمّ) ليست كذلك ؛ لأنها لفظ ثلاثى تام غير محتاج فى النسب إلى تكميل . فكما يقال فى النسب إلى دُرّ دُرّىّ ، يقال فى النسب إلى أم أمّىّ ، ولا التباس حينئذ ؛ لأن التمييز بين المعانى المختلفة يكون بقرائن الأحوال .

عبد الحميد عنتر

أخطاء فى الأعلام

كتاب الأعلام للأستاذ الزركلى هو عند الباحث كأقرب الموارد . وكثرة أغلاطه اضطرت مؤلفه المخلص إلى أن يقول فى مقدمته (فما على لتكون الخدمة خالصة للعلم إلا أن ألتمس ممن حذقوا التاريخ ومازوا لبابه من قشوره وكان لهم من الغيرة عليه ما يحفزهم إلى الأخذ بيده أن يتناولوا الكتاب منعمين مفضلين بنقد خطأه وعدل عوجه وبيان ما يبدو لهم من مواطن ضعفه ، وقديماً قال إبراهيم الصولى : المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من منشئه)

وقد مضى على طبعه ست عشرة سنة ولم نر من عرض لنقده ، فأمسى من الواجب أن أذكر القوم بالتنبيه على النزر من أخطائه :

فى ص ١٧ لم يذكر المؤلف فى ترجمة البقاعى أعظم آثاره وهو تفسير المناسبات

وفى ص ٣٧ لم يشر فى ترجمة البيهقى إلى أن كتابه « الأسماء والصفات » مطبوع كما شرط على نفسه ، ومثل هذا كثير لا تتسع الرسالة لتقصيه . وفى ص ١٠٥ نص على أن الجوهرى توفى سنة ٣٩٣ مع أن فى ذلك اختلافاً ، لأنه وجد بخطه أثر بعد هذا التاريخ . وفى ص ١٤٢ فى ترجمة برقوق (ولى سلطنتها سنة ٨٨٤) ، والصواب ٧٨٤ على ما فى الضوء اللامع للسخاوى . وفى ص ١٥٤ فى ترجمة الكاشانى « بدائع الصنائع أربع مجلدات » والصواب سبعة مجلدات

وفى ص ٤٨٢ « ابن العماد العَكرى » بفتح العين ، والصواب ضمها ، وهو مؤلف « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » . وفى ص٤٨٨ فى ترجمة السيوطى « لب الألباب » صوابه « لب اللباب » وهو مختصر « اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير » وفى ص٥٨٢ « البطليوسى » بضم الياء ، صوابها بفتح الياء وإسكان الواو

وفى ص ٦٢٥ من مؤلفات ابن جنى « المنهج » صوابه « المبهج » فى تفسير شعراء الحماسة ، وهو مطبوع

وفى ص ٦٥٢ ترجم لعلوان بن على بن عطية الحموى ، ثم ترجم له أيضاً فى ص ٦٨٢ باسم على بن عطية

وفى ص ٦٦١ (الهيتمى) والصواب « الهيثمى » بالثاء المثلثة . وذكر من مؤلفاته : غاية المقصد فى روايه أحمد . والصواب غاية المقصد فى زوائد أحمد ، على ما فى ذيول تذكرة الحفاظ وغيرها

وفى ص ٨٤٩ قال إن وفاة الأبيوردى سنة ٥٥٧ مغتراً بما فى وفيات الأعيان . والصواب ٥٠٧ كما فى شذرات الذهب وغيره . وفى ص ٨٧٣ ذكر فى ترجمة ابن زريق أن من مؤلفاته (الأعلام بما فى مشتبه الذهبى من الأعلام) و « عقود الدرر فى علوم الأثر » و « تذكرة الطالب المعلم بمن يقال إنه مخضرم » و « التبيين لأسماء الأندلسيين » والصحيح أن الكتابين الأولين هما لابن ناصر الدين ، والثالث والرابع هما لسبط

ابن العجمى . وقد طبعا ، و « الأندلسيين » محرفة عن (المدلسين) لأنه يذكر فيه من عرف بالتدليس . وفى ص ٩١٦ قال إن السخاوى توفى بمكة ؛ والصواب أن وفاته كانت بالمدينة على ما فصله ابن العماد فى (شذرات الذهب) . وعد الزركلى فى مؤلفات شمس الدين السخاوى « الذيل على طبقات القراء لابن حجر » والصواب (الذيل على طبقات القراء لابن الجزرى) و (تحفة الأحباب) والصحيح أنها لسخاوى آخر

وفى ص ١٠٨٨ وهم فى متابعة ابن خلكان فى تأريخ وفاة أبى منصور الجواليقى فى سنة ٥٣٩ ، والتحقيق أنها فى سنة ٥٤٠ على ما فى (شذرات الذهب) وغيرها

وفى ص ١١٥٦ قال إن (الإفصاح عن شرح معانى الصحاح) مطبوع ، والمطبوع جزء واحد منه .

محمد غسان

معوه ومعيه

يقول الأستاذ أحمد عنبر : « قد ورد فى كتب اللغة : (عيه الزرع : أصابته العاهة فهو معيوه) . ويظن أن الأفضل أن تكون الكلمة (المعيه) بدل المعوه »

ونقول : جاء فى أقرب الموارد فى مادة (عوه) « عيه الزرع والمال مجهولاً أصابته العاهة فهو معيوهٌ ومعيهٌ ومعوهٌ » والفعل واوى العين ويائيها

فى ص ٥٣ : إذا كان مساحاً بها . والصواب : مساخاً بها

12 me Année No. 562

Lundi - 10 - 4 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٦٢ « القاهرة في يوم الإثنين ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٠ أبريل سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة		
٣٠١	في الأدب والفن	الأستاذ توفيق الحكيم ..
٣٠٤	برنارد شو والحروف اللاتينية	لأستاذ جليل ... ...
٣٠٦	معهد التمثيل المصرى ...	الأستاذ دريني خشبة ... ..
٣٠٨	الحرف اللاتيني والعربية ..	الأستاذ محمود محمد شاكر ..
٣١١	آراء وأحاديث في التربية والتعليم	للأستاذ ساطع الحصرى بقلم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٣١٤	القرآن الكريم في كتاب النثر الفني	الأستاذ محمد أحمد الغمراوى
٣١٦	الاناء ... ... [قصيدة]	الأستاذ إلياس أبو شبكة ...
٣١٧	الشعر الجديد	الأستاذ الكبير (ا . ع)
٣١٨	حول شعراء الشباب	الأستاذ سيد قطب ... ...
٣١٨	فلم « رصاصة في القلب »	... ...
٣١٩	عمرو بن العاص	للأستاذ عباس محمود العقاد بقلم السيدة وداد سكاكيني

في الأدب والفن

للأستاذ توفيق الحكيم

قرأت في هذا الأسبوع رأيين في الأدب والفن أحدهما يعنى والآخر يهمني . فأما الأول فهو رأى صديقنا الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى في تقريظه لقصتى السينمائية « رصاصة في القلب » الذى نشره في جريدة البلاغ تحت عنوان « بين الأدب والسينما » ، وقد تحدث فيه عنى حديثاً مستفيضاً ، ورحب بالتفاتى إلى الفن السينمائى ترحيباً نم عن نفس نبيلة وزمالة شريفة . ثم تطرق من ذلك إلى الإسهاب في صلتى بالأدب العربى قائلاً : « وليس لصديقى الحكيم عيب فيما أرى سوى قلة عنايته بالأدب العربى . ولست أزعم أنه لا يقرأ من الأدب العربى شيئاً ، والعياذ بالله ، فإن هذا يكون شططاً لا يغتفر ولا يقبل ولا يعقل ، وإنما أقول إنه لا يعنى به كعنايته بالأدب الغربى من فرنسى على الخصوص ، وإنجليزى وألمانى وروسى على العموم ... وهنا موضع التحرز من خطأ قد يقع فيه القارئ أو وهم يركبه ، فلست أقول إن صديقى الحكيم لا يحسن العربية ، أو أن لغته ركيكة أو واهية البناء ، فما إلى شيء من هذا أقصد ... فإن لأسلوبه العربى لجمالاً ورشاقة وحلاوة وطلاوة ... » الخ

هكذا قال صديقى المازنى . وإذا تأملنا هذا القول ومثله لتكشف لنا عن نتيجة عجيبة : هى أن أمثال تلك الروايات التى تشاع عن إغفالى للأدب العربى ليس فيها ما يضيرنى بقدر ما فيها من إساءة إلى الأدب العربى نفسه . فإن القارئين لأسلوبى الذى تكرم المازنى فأسبغ عليه تلك الصفات لا ريب قائلون : « ها هو ذا كاتب قد استطاع أن يجمل لأسلوبه « جمالاً ورشاقة وحلاوة وطلاوة » دون أن يحتاج فى ذلك إلى الأدب العربى . ففيم الاهتمام بهذا الأدب ، وما نفعه إذن ؟ ! » ماذا يكون الحال إذا قالها الناس أيهـا الصديق المازنى بينما الحقيقة غير ذلك ؟ فالحق الذى يجب أن يقال هو أنى ما وصلت إلى هذا إلا بعد اطلاع على الأدب العربى وتأمل له ونظر فيه . وكل ما فى الأمر أنى أتناول هذا الأدب تناول رجل الفن لا رجل العلم ولا رجل البحث . وإنى آخذ منـه ما ينفعنى وأمضى به صامتاً إلى فنى الذى أمارسه . والفنان يحتاج من مادة اللغة إلى قدر غير القدر الذى يحتاج إليه العالم المحقق للنصوص المفسر للمتون المستخرج للوثائق . وإن الفنان ليعرف بغريزته الفنية ما يلزم لفنه وما لا يلزم ، كالدوحة تدرك جذورها بالفطرة طريقها إلى موارد الماء ومواطن الغذاء . أما ذلك الذى يقال ويحكى عن الجلد والصبر على مشقة أدبنا العربى ، فهو توهم ساذج ، أو مفاخرة نعرفها ممن لا محصول عندهم غير هذا ، فما أظن الغوص فى كتب الأدب العربى أشق من الغوص فى بحار العلوم والفلسفة والآداب والفنون لمختلف الأمم والحضارات . وأنا الذى طالب الأديب بأن يكون « موسوعياً » على قدر الإمكان ، يلم بكل علم وبكل أدب وبكل فن (راجع كتاب زهرة العمر) لا ينتظر منى أن أستهول تلك المشقة المزعومة فى مطالعة أدبنا العربى ! !

على أن الصديق المازنى خليق بالشكر على كل حال ؛ فقد رأى من واجب الزمالة أن يكون مخلصاً فى الرأى . وما أجمل هذا الموقف منه ! وما أحرى بى أن أبادله إخلاصاً بإخلاص ونصحاً بنصح ، فأكشف له عن مخاوف طالما ساورتنى وساورت اليقظين من محبيه . فهو قد أراد التقريب بين العامية والفصحى فتبسط فى أسلوبه ومعانيه ، وهذا ما يحمد عليه ؛ ولكن الذى نخشاه هو أن يكون جريه فى طريق التبسيط داعياً إلى أن يجر معه الفكر من عليائه إلى مستوى غير المستوى الذى ينبغى له . ولعلنا واهمون ! ولعلها مخاوف الصداقة ! فالمحبة خوف ورجاء . وكانا نرجو للمازنى أن يحلق إلى جلال الفكرة كما برع فى جمال العبارة . وليس هذا بعزيز على الصديق العزيز .

* * *

وأما الرأى الآخر فهو رأى أخى أحمد أمين بك فى الأدب الأمريكى الذى تحدث عنه فى العدد الماضى من مجلة « الثقافة » قائلاً : « وهـذا هو الأدب الأمريكى يحمل لواءه اليوم رجال مارسوا الحياة العملية فى شتى شئونها ، ثم لم يكتبوا فى خيال وأوهام وأحلام ، إنما يكتبون أكثر ما يكتبون فى مشكلاتهم الحالية ومسائلهم اليومية وحياتهم الاجتماعية ؛ وأكثر هؤلاء لا يستوحون أساطير اليونان والرومان ، وإنما يستوحون مجتمعهم وما فيه وما يصبو إليه . فللأديب العربى أن يستوحى امرأ القيس أو « شهرزاد » ! ولكن يجب أن يكون ذلك نوعاً من الأدب لا كل نوع ، ولا هو النوع الغالب ولا هو الأرقى ... »

مع الأسف أراني مضطراً أن أقول للصديق المبجل أن استيحاء أساطير اليونان والرومان وامرئ القيس و «شهرزاد» هو النوع الأرقى فى الأدب ... فى كل أدب ... لا فى الماضى وحده ولا فى الحاضر ... بل فى الغد أيضاً وبعد آلاف السنين ، ما دام الإنسان إنساناً ، وما دام رقيه الذهنى بخير لم يصبه نكاس . فالإنسان الأعلى هو الذى يصون « الجمال الفنى » عن الاستغلال الأرضى فى أى صورة من صوره ؛ ويحتفظ به لمتعته الذهنية وثقافته الروحية . وإن اليوم الذي نرى فيه « الأدب » قد استخدم للدعايات الاجتماعية ، و « التصوير » استغل فى معارض الإعلان عن السلع التجارية ، و « الشعر » جعل أداة لإثارة الجماهير فى الانتخابات السياسية ، لهو اليوم الذى نوقن فيه بأن الإنسان قد نكس فانقلب طفلاً يضع فى فمه تحف الذهن

وطرَف الفكر ، لأنه لا يدرك لها نفعاً غير ذلك النفع المادى المباشر . والأدب الأمريكى الذى يعجب به أحمد أمين بك هو فى أغلبه صحافة راقية أكثر مما هو أدب حقيق . والأدب الحقيق فيه هو ما استند إلى أساطير اليونان والرومان ، أى مخلوقات الإنسانية التى أبدعتها أحلامها الجميلة وخيالها الرائع . فالخلاف بينى وبين صديق الأستاذ أحمد أمين هو على معنى « الرق » ؛ فأنا لا أسلم أبداً بأن رقي الإنسان هو فى تقدم أسباب معاشه المادية . هذا حقاً هو الرق بالمعنى الأمريكى ، ولكن الرق بالمعنى الإنسانى المثالى شىء غير ذلك . إن الإنسان الأعلى ليس ذلك الذى يضع كل شىء فى فمه . . . ولكنه ذلك الذى يشعر بحاجته إلى متع معنوية وأغذية روحية وأطعمة ذهنية لا علاقة لها من قرب أو بعد بضرورات حياته المادية أو الجثمانية . هذا هو الفرق الوحيد بين الإنسان والحيوان . فالحيوان لا يحتاج إلى أن يطرب لبيت من الشعر أو لصوت من الغناء أو لتمثال من الرخام ، ولا يمكن أن يخطر له على بال وجود عالم آخر غير عالم الأكل والشرب والمأوى . ولو نشأ أدب بين فصيلة من الحيوان لكان هذا الأدب فى رأيى قائماً فى جملته على مشكلات العراك على صيد الفريسة ... ولاقتصر خياله على الحلم بأن فى بطن كل سبع غزالاً سميناً ، وفى فم كل حيوان فى الغاب صغر أو عظم غذاء موفوراً بغير وثب ولا بحث ولا تربص . بل فلنأخذ مثلاً جماعة النحل أو النمل وقد بلغت من الدقة والتناسق وروح التضامن فى نظامها الاجتماعى ما أثار الدهشة . . . هذا المجتمع الذى شيده النحل على هذا الأساس من « الوعى الاجتماعى » لا « الوعى الفردى » لو قامت فيه نحلة شاعرة أو أديبة ، أو ظهر فيه أدب وشعر ، فما يكون نوعه واتجاهه ومراميه ؟ لا شك عندى أن هذا الأدب أو الشعر سيكون له عين المرامى التى ينزع إليها الأمريكان ويتمناها لنا أخى أحمد أمين . سيتحدث أدب النحل وشعره عن الأزهار من حيث كمية عسلها ، ونصيب كل عامل من عمال النحل فى نقله وإعداده والانتفاع به فى الخلية ، وعن حقوق الطوائف العاملة وواجباتها ، ومشكلاتها اليومية وشئونها الحيوية . أما الذى لن يحدث أبداً فهو التفات النحل فى أدبه أو شعره إلى حسن الأزهار فى ذاتها ، وإلى بهائها فى ألوانها ، وإلى تمايلها اللطيف مع النسيم كأنها تراقصه ، وإلى تفتحها ابتساماً للفجر وهى تعانقه ، وإلى نداها بدموع الليل وهى تفارقه ... لن يفطن النحل إلى هذا أبداً .. ولو فعل لانقلب إنساناً فى لحظة واحدة. كل فضل الإنسان على غيره من المخلوقات أنه ارتفع إلى العناية بأشياء معنوية لا تتصل مباشرة بطعامه وشرابه ومقومات حياته المادية . وهذه الأشياء سمّاها فيما سماه : الفن والأدب . وحرص على أن تبقى على قدر المستطاع بعيدة عن تفاهاته الأرضية ، لتذكره من حين إلى حين أنه ليس حيواناً . وهنا عظمة الفن والأدب . ولكن مطامع الناس شاءت أن تمد أيديها الفانية إلى هذا الجوهر السامى لتسخره فى شئون الأرض ؛ فرأينا الشعر والأدب يتجهان إلى غايات نفعية ؛ فاستخدم الشعر أحياناً لمدح الملوك والأمراء من أجل المال والثراء ، أو لنشر الدعوة فى الدين أو السياسة من أجل الثواب أو الجزاء . ولكن كلمة الفن هى العليا دائماً ؛ وحكمه هو النافذ وحده . وها هو ذا قد حكم لامرىء القيس الجاهلى فرفعه وقدمه على داعية الإسلام حسان . وفى هذا الدليل على أن الفن الخالص لوجه الجمال الفنى هو الأرقى والأبقى . وذلك ما لا يسلم به الأستاذ أحمد أمين . فهو يعتقد أن الفن المسخر لخدمة الضرورات اليومية فى المجتمع هو الفن الأرقى ، متأثراً ولا ريب بتلك النظريات الحديثة فى السياسة والاقتصاد التى ترمى كلها إلى تملق الجماهير ومداهنة الدهماء ومصانعة الجماعات والنقابات والهيئات ومسايرة الكتل والسواد من الناس والشعوب ، موهمة إياهم بجعل كل شىء فى خدمتهم . وخدمة الجموع معناها خدمة مصالحهم الأرضية المادية من مأكل ومشرب ومأوى ؛ لأن السواد والكتل لن يطلبوا أبداً ولن يقبلوا ولن يعرفوا غير هذا النوع المادى من المطالب . فإذا أردنا تسخير الفن فى هذه الأغراض فمعنى ذلك الهبوط به إلى ذلك اللون من أدب النحل ... أو على الأقل إلى

برناردشو والحروف اللاتينية

لأستاذ جليل

قالت مجلة (المستمع العربي) منذ نحو من حولين في الجزء (١٧) من سنتها الثانية[١] — وهي مجلة القسم العربي في دار الإذاعة البريطانية — في حديثها عن كتاب (معجزة نشأة اللغة) للأستاذ ويلسون

THE MIRACULOUS BIRTH OF LANGUAGE

By Prof. R.A. Wilson. (Guild Books, Is.)

[... وتمتاز الطبعة الجديدة من هـذا الكتاب بمقدمة ضافية كتبها (برناردشو) الأديب الإنكليزي المعروف عالج فيها موضوعاً لا يخلو من أهمية لقراء الشرق الأدنى . إذ يرى هذا الكاتب الألمعي أن حروف الهجاء الإنكليزية لا تناسب اللغة الإنكليزية نظراً لأنها وضعت في الأصل من أجل اللغة اللاتينية التي تختلف في مخارج ألفاظها عن لغة أبناء التاميز . وعلى ذلك فهجاؤها يبعد كل البعد عن وقعها على السمع . ولا شك أن هؤلاء الذين يرغبون في حذق الهجاء الإنكليزي يقرون نقده هذا . وهو نقد لا شك سيهم القارئ العربي أيضاً لاتصاله بالتغيير الذي يقترحه بعضهم بشأن كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية[١] . إذ يحق لنا أن نتساءل بعد ذلك إذا كان من الحكمة الاستغناء عن حروف الهجاء العربية التي تمتاز على الأقل بأنها وضعت خصوصاً للغة العربية واستبدال حروف بها ، وإن كانت شائعة الاستعمال إلا أنها لا تناسب حتى هذه اللغات التي دأبت على استعمالها منذ أول عهدها بالكتابة]

ذلكم قول المجلة العربية الإنكليزية ، وأغلب ظني أن الكاتب هو الأستاذ (باربار) المرباني المعروف في المغرب الأقصى (مراكُش) ومصر وفلسطين وغيرها ، وهو رجل

(١) هي اليوم في سنتها الرابعة

(١) قلت : يعني الكاتب حسب ظني بعض الأفرنج مثل ماسينيون الفرنسي الذي كان اقترح ذلك . وإنما يريد من يدعو الأمم العربية من هؤلاء الأفرنج إلى تغيير حروفها — دفنها وهي حية ، دفن الله أمته دفناً قوياً !

ضرب من أدب الدعاية والوعظ والهداية

أما إذا كان في الإمكان وجود فن يخدم المجتمع دون أن يفقد ذرة من قيمته الفنية العليا فإني أرحب به وأسلم من الفور بأنه الأرق . ولكن هذا لا يتهيأ إلا للأفذاذ الذين لا يظهرون في كل زمان . فمن أين لنا في شعرنا بأمثال « المتنبي » ؟ لقد أعدت قراءة ديوانه منذ أسابيع لأنظر كيف بقي ذلك الشعر الذي خرج من وحي الدنانير . الحق أن المال كان باعثه ولكن الفن كان غايته . ذلك الذهن الذي أبدع صوراً ترى لها أحياناً حركة ويبصر لها بريق ويسمع لها رنين كما في قوله :

وأمواه تصل بها حصاها صليل الحلى في أيد الغواني

ماذا يعنينا منه أن يكون حافزه استجداء مال أو مدح ذي سلطان أو خدمة مجتمع أو تملق شعب ؟ المهم أن يكون هنالك فن قبل كل شيء . بغير هذا ما عاش لنا المتنبي حتى اليوم ؛ فالسلطان يذهب والدولة تدول والشعوب تتغير ؛ ولكن الفن باق ...

أما بعد ، فليتجه الأدب العربي حيث شاء له أخي المبجل أحمد أمين بك . وليخدم الجماعات ومشكلاتها الحالية ومسائلها اليومية ومطالبها المادية ، وليبتعد عن « الفردية » التي هي أساس كل فن ، والتي بغيرها لا يقوم فن ؛ وليتجنب « تراجم الأفراد أو ترجمة الكاتب لنفسه أو تحليل الأديب لبعض الشخصيات أو روايات الغرام » أو نحو ذلك مما يراه صديقي من قبيل النزعات الفردية ؛ ولننكر الحقيقة القائلة إن « الفنان إذا لم يقل « أنا » فهو ليس بفنان ، كما أن العالم الذي يقول « أنا » ليس بعالم » لننكر ذلك مؤقتاً ولننتظر ... عسى أن يخرج لنا أثر فيه الفن وفيه منفعة السواد ... والله لا يخيب رجاء المصلحين .

توفيق الحكيم

مثقف مهذب طيب ، عرف العربية ونقل إلى لغته كتباً منها .

والحروف اللاتينية التى نقدها كاتب القوم العبقرى (برنارد شو) وأيدت تلك المجلة نقده إياها - إنما هى الحروف العربية غير المهذبة كتبها كاتبوها من الشمال مكثرين من حروف المد فيها - والبركات فى تلكم الحركات قد خففت وسهل النطق بأحرفها[1] - مطيلين الكلمة بتسطير حروفها جميعها - والعربية قد أبدعت حين اختزلت - متعبين عيون القارئين بما صوروا وطولوا . وشتان ما حرفان أحدهما يريح البصر وآخر يرهقه ، فسم الحرف اللاتينى بالحرف المتعب تنصفه . ولقد بالغ إخواننا الترك فى الإساءة إلى أنفسهم باستبدالهم الذى هو أدنى بالذى هو خير وتفضيل الشمال على اليمين . وفى مقالتى (الحرف العربى والإفرنجى) فى الرسالة[2] الغراء قد نعيت عليهم ضلالهم هذا ، وبينت فى تلك المقالة ما بينت . وإنى لموقن اليوم أن القوم سيستيقظون من سنتهم بعد سنين ، وسيندمون وسيرجعون إلى حروف لسانهم عاملين بالقول الحكيم : « الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل » . وفى الأتراك - يا أخا العرب - عقلاء حكماء مخلصون ، فلا تيأس من عودتهم

وأما مقترح تصوير العربية بالحروف اللاتينية الذى أشارت إليه مجلة (المستمع العربى) فهو كمقترح استعمال تيك العامية - ولكل إقليم عربى عامية بل بلية - والاقتراحان هما من بنات ليل المرء[2] في وقت المرض . والأمم العربية قد أجمعت على أن تكون فى هذه الدنيا فى الكائنين لا أن تبيد مع البائدين . وإن وعوعة الباطل متلاشية ، ودعوة الحق هى الباقية . وكتاب الدهر كتاب العربية يقول :

« . . . فأما الزبدُ فيذهبُ جفاءً ، وأما ما ينفع الناس فيمكثُ فى الأرض . . . »

***

ما أشقى أولئك الإنكليز المساكين بحروف تهجيهم ! إنهم إذا قصدوا التلفظ بالحرف الذى يحاكى (الذال) أو (الزاى) عندنا اضطروا أن يجلبوا حرفين وهما الحرف T والحرف H ، وإذا أرادوا أن ينطقوا بالحرف الذى يشاكل (الشين) فى العربية جلبوا كذلك حرفين الحرف S والحرف H . وقس على ما ذكر ما لم يذكر . إن بلايا الإنكليز فى حرف لغتهم لكثيرة . مساكين !

أيها الإنكليز ، اتركوا الحروف اللاتينية أو اللاطينية - كما يقول الأقدمون وابن خلدون - وخذوا الحروف العربية كما فعلت الأسبان فى وقت من الأوقات . إنهم « خطوا لسانهم الأسبانى بالحرف العربى[1] » وما كانوا مخطئين . ولولا سلطان الدين أو الكنيسة ، لولا القسيسون والرهبان ما انفكوا يكتبون به حتى يوم الناس هذا

« * »

(١) تراجع مقالة العلامة الأستاذ إسماعيل مظهر فى الرسالة (٥٥٨) ص٢٢٧ . وإنى أقول فى هذا المقام مقسما : والمرسلات عرفا أن (مرسلات الأستاذ مع الريح) لتعصف بالباطل عصفا

(٢) الرسالة (٢٢٦) ص (١٣٥٦) السنة (٥)

(٣) بنات ليله : أحلامه

(١) استحدثنا هذا الخبر من العالم الدكتور باول كراوس الأستاذ فى جامعة فؤاد الأول

معهد التمثيل المصرى

للأستاذ دريني خشبة

١ – بعد أيام قليلة يُفتتح معهد التمثيل المصرى فتتحقق إحدى أمانينا التى لم نيأس من الدعوة لها والكتابة فيها، صادرين فى ذلك كله عن إيمان لا يتزعزع بأن التمثيل هو ركن من أقوى الأركان فى ثقافة أمة تفهم معنى الثقافة الحقة، وتدرك روح العصر الجديد، فيجب أن تتخذ وسائل هذا العصر الجديد

بعد أيام قليلة تأخذ مصر الحديثة فى تعليم عدد متواضع من أبنائها أصول هذا الفن الرفيع ليأخذوا على عواتقهم حين يتخرجون تلك المهمة الخالدة ... مهمة خلق المسرح المصرى بكل دعائمه ... من ممثلين ومخرجين ومؤلفين وناقدين، ومن إلى الممثلين والمخرجين والمؤلفين والناقدين من مهندسين ومصورين وإداريين وعمال وصانعى ملابس وعلماء أزياء، وكل من يستطيع أن يضع مشكوراً لبنة فى صرح هذا المسرح الذى نريده مسرحاً مستنيراً لا يعرف الشعبذة ويأنف أن يتخذ التهريج وسيلة إلى قلوب الجماهير، مسرحاً يسمو بجمهوره ولا يهوى بنهضتنا إلى خضيض الهمجية ... نريد أن يكون لنا مسرح يخدم سمعتنا ويسوّى خُلُقنا ويجدد أدبنا ويهدى الشباب المصرى إلى أرفع المُثُل، فيجافى بينهم وبين تلك الرخاوة التى توشك أن تسمم رجولتهم، ويسلك بهم إلى الفضيلة والفكر الحر تلك السبل التى سلكها شباب أوربا فى عصر إليزبث ولويس الرابع عشر . . . ونحن حين نريد هذا نشكر الله الذى هيأ للمسرح المصرى هؤلاء الرجال الثلاثة الذين يجاهدون من أجله لأنهم يفهمون وسائله وأغراضه على وجهها الصحيح ... فأولهم وكيل وزارة عظيم لا يمنعه مركزه الكبير من أن يتزعم حركة الإصلاح المسرحى فى مصر، بل هو يرى فى تزعمه هذه الحركة ما يزيد مركزه الكبير رفعة لأنها جهاد شريف فى سبيل حركة شريفة لخدمة البلاد وخدمة الفكر واللغة والأدب، فهو لا يرى بأساً فى أن يحاضر الناس عن طريق الراديو فى تاريخ المسرح المصرى، وضرورة خلق الدرامة المصرية وجعلها هدفاً من أهداف الأدب المصرى. وهو يشجع الفرق المصرية التى تعمل لرفعة الفن فيلخص للناس رواياتها ويزكى مؤلفى هذه الروايات ويظهرهم على عبقرياتنا المسرحية الجديدة بالعطف ... وثانيهم مراقب للفنون الجميلة قد أشرب قلبه محبة هذه الفنون، فهو يضحى راحته ويسهر الليالى الطوال ليشرف بنفسه على تلك الفرقة الناهضة المتواضعة التى نرجو أن تكون نواة طيبة للمسرح المصرى الذى نصبو إليه . وثالثهم بطل من أبطال المسرح القومى مولع بفنه، قد وهبه قلبه ولسانه وبيانه ودمه، قرأنا له منذ أكثر من ربع قرن شهدناه ممثلاً وشهدناه مخرجاً وشهدناه عالماً فما شهدنا فى أية ناحية من نواحيه ضعفاً يزرى به، وها هو ذا يعمل مديراً لهذه الفرقة الناهضة المتواضعة فلا يدعى أنه عاهل لمملكة فى الخيال، بل ينادى بأعلى صوته أن مسرحنا يفتقر إلى أشياء كثيرة وأن لا بد من إدراك هذه الأشياء الكثيرة أو إدراك بعضها ليكون لمصر الحديثة الناهضة مسرحها ولتكون لهذا المسرح شخصيته ... هؤلاء الأبطال الثلاثة هم الجنود الأوفياء الذين تدور حولهم اليوم آمالنا فى خلق مسرحنا المصرى، عن طريق هذا المعهد الذى هو آية من آيات الإصلاح التى تنشط اليوم فى حياتنا العامة

ولن تمر فرصة إنشاء هذا المعهد، أو إعادة إنشائه، دون أن نسجل هذه الملاحظة الجديرة بالالتفات، فما كاد الإعلان عنه يذاع فى الصحف حتى توالت عليه طلبات الالتحاق، ولم تزل تتوالى حتى زادت على الألف ... وأكثر من نصف هذه الطلبات من حملة الشهادات الراقية، ومن بينها عدد كبير من حملة الشهادات العالية ... وقد تقدمت أكثر من ستين فتاة من أرقى الأسر المصرية للالتحاق بالمعهد

٣ – ولكن المعهد بطبيعة الحال لن يتسع لهذا العدد الضخم، والقائمون بالأمر فيه لا يريدون قبول أكثر من أربعين طالباً وعشرين طالبة، وهو عدد نستقله على المعهد

الناشيء الذى نطمع أن يضطلع بخلق نهضة تمثيلية فى مصر وفى الأقطار العربية تكون سبيلاً إلى تجديد ناحية مظلمة فى الأدب العربى المفتقر إلى الأدب المسرحى . لهذا نرى لزاماً علينا أن نشغب على القائمين بأمر المعهد ، وأن نصيح بملء قوتنا أن اقبلوا مائة أو مائتين ليكونوا طلاباً أصليين ، واسمحوا الثلثمائة أو أربعمائة ليكونوا طلاباً منتسبين ، واشرطوا عليهم أن يحضروا نسبة معينة من الحصص لا يصح أن يتقدموا إلى الامتحان النهائى إن لم يحضروها ؛ فإذا احتججتم بضيق المكان وبقلة المدرسين الصالحين فلا ضير أن تستنجدوا بحضرتى صاحب المعالى وزير الشئون ليهيء لكم المكان الفسيح الصالح ، ووزير المعارف ليبسر لكم المعلمين الصالحين المقتدرين ... وليذكر صديق الأستاذ مدير المعهد أن له زميلين قديرين تخرجا مثله فى أوربا ، وأنهما يستطيعان مشاركته فى تعليم الفنون المسرحية بأنواعها وبذلك يسهلان عليه دروس الإلقاء وما إليها ... أما الدروس الأخرى فحسبها المحاضرات التى تتسع لمئات الطلاب ، أصليين ومنتسبين وزائرين !

٤ — وليذكر القائمون بأمر المعهد أنهم أملنا الذى نرجو ألا يخيب فى خلق المسرح المصرى ، وليذكروا أننا لا ننشىء المعهد لإمداد فرقة واحدة أو فرقتين اثنتين بالممثل الصالح والمخرج الصالح والناقد الصالح والمؤلف الصالح وغير هؤلاء من المسرحيين الصالحين ... كلا ، كلا ... إننا نريد فرقاً كثيرة إقليمية ومدرسية غير فرقة العاصمة ... لقد أنشأت معظم البلديات المصرية دوراً فخمة للتمثيل ، فواجبكم أنتم أن تعمروها بالفرق التى تبعث فيها الحياة ... واذكروا تلك الحرب التى كانت تنشب بين فرق لندن التمثيلية وفرق الأقاليم ، أيها يكون لها الشرف فى النهوض بالمسرح الإنجليزى ، وما كانت تبذله مسارح لندن من العون للمسارح الإقليمية مما تناولناه فى عشرات المقالات على صفحات هذه المجلة

٥ — ولا بد من التذكير هنا بأن المسرح المصرى لا يحسن النظر إليه باعتباره مورداً من موارد الدولة الاقتصادية ، بل يجب اعتباره منشأة ثقافية لا تستغنى عنها نهضتنا ، فهو لا يقل قيمة عن مجمع اللغة ودار الكتب والمتحف الزراعى وإحدى كليات الجامعة ، ولهذا وجب على الدولة أن تسخو عليه وأن تدرله فى ميزانيتها كل ما هو خليق به من مال ... وخليق بنا ألا نقدر نجاحه بمقدار إقبال الطبقات على شهود رواياته ، فقد فسد مزاج كثير من هذه الطبقات بسبب عوامل شتى تسربت إليها عن طريق السينما وعن طريق التمثيل الوضيع الذى راجت سوقه بيننا مع الأسف الشديد ... ولهذا لم نر بدأ من التذكير بأنه لا يحسن النظر إلى المسرح الذى سوف ننشئه باعتباره مورداً اقتصادياً . ورأيى أن يكون شهود رواياته فى أول أمره بالمجان ، ورأيى أن تتنقل فرقه فى المدارس الثانوية والعالية لتمثل بالمجان أمام الطلبة وأمام الأهالى — على أساس الدعوة المحدودة — كى نطب لهذا المزاج السقيم الذى أمرضته السينما الوضيعة والتمثيل الوضيع .

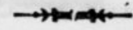
٦ — ويجب أن نواكب الدراسة فى المعهد دراسات فى مدرسة الفنون الجميلة وفى معهد الموسيقا الشرقى ، فينشأ فى مدرسة الفنون الجميلة قسم خاص لتصوير المناظر المسرحية ولهندسة المسرح ، على أن يدرس فى هذا القسم علم تاريخ الأزياء والإضاءة المسرحية ... أما فى معهد الموسيقا الشرقية فتنشأ مادة خاصة بالموسيقا المسرحية ، على أن يتولى تدريسها الإخصائيون المصريون ممن درسوا الموسيقا الأوربية وثقفوها علماً وعملاً

٧ — هذا ... ولا ينبغى أن نختم هذه الكلمة دون أن نرجو الحكومة أن تعمل شيئاً لضمان مستقبل رجال المسرح على نحو ما أصلحت به حال المعلمين والمحامين ومستقبلهم ، فالمسرحيون بطبيعة حياتهم الفنية قوم مسرفون يبسطون أيديهم ولا يستطيعون أن يغلوها ، وقل منهم من يستطيع أن يدخر لغده المظلم الباكى ، قرشاً من يومه المشرق الضاحك ، وتيسير العيش لهذه الطائفة المجاهدة هو تيسير لقيام المسرح المصرى على أسس قوية قويمة ، ثم هو واجب على الدولة لا يسعها إلا أن تقوم به فى صدق وإخلاص .

دريني خشبة

الحرف اللاتيني والعربية

للأستاذ محمود محمد شاكر



ربَّ رجلٍ واسع العلم ، بحرٍ لا يُزاحم ، وهو على ذلك قصر العقل مضلَّل الغاية ، وإنما يعرض له ذلك من قِبَل جُرأته على ما ليس له فيه خبرة ، ثم تهوُّره من غير روية ولا تدبر ، ثم إصراره إصرار الكبرياء التي تأبى أن تعقل . وإن أحدنا ليقدمُ على ما يُحسِن ، وعلى الذي يعلم أنه به مضطلع ، ثم يرى بعد التدبر أنه أسقط من حسابه أشياء ، كان العقل يوجبُ عليه فيها أن يتثبت ، فإذا هو يعود إلى ما أقدمَ عليه فينقضه نقض الغَـزل .

ومن آفة العلم في فن من فنونه ، أن يحملَ صاحبه على أن ينظر إلى رأيه نظرة المعجب المتنزه ، ثم لا يلبثُ أن يفسده طول التمادي في إعجابه بما يحسنُ من العلم ، حتى يقذفه إلى اجتلاب الرأي فيما لا يُحسِن ، ثم لا تزال تغريه عادة الإعجاب بنفسه حتى ينزل ما لا يحسن منزلة ما يحسن ، ثم يُصرّ ثم يغالي ثم يعنِّف ثم يستكبر . . . ثم إذا هو عند الناس قصيرُ الرأي والعقل على فضله وعلمه .

فمن ذلك أني قرأت في عدد مجلة « المصور » ١٠١٥ بتاريخ ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٣ حديثاً لصاحب المعالي عبد العزيز فهمي باشا عن « الإسلام والحروف العربية » فرأيته يفتتح حديثه بهذه الكلمة ، إذ يقول لسائله :

« إني لا أعنّي نفسي ألبتة بالاطلاع على ما قد يقال من هذا الهراء الذي هو أهونُ عليَّ من الغبار الذي يمس ردائي وحذائي ، فما بالك أنت تهتم بما لا أكترث له ؟ »

وعبد العزيز فهمي رجل كنا نعرفه بالجد والحرص والفقه وطول الباع في القانون ، وكنا نظنه رجلاً محكم العقل من جميع نواحيه ، لا يتدهور إلى ما ليس له به عهد ، ولا يرى بنفسه في غمرات الرأي إلا على بصيرة وهدى . فلما قال ما قال عن الحروف العربية في المجمع ، ونشرت الصحف قوله ورأيه ، قلنا : عسى أن يستفيق الرجل ويعودَ إلى سالفِ ما عهد فيه من الحكمة والمنطق ، وأن يكون ما قال خالصاً لخدمة العربية ، فإن يكن في رأيه شيء من الصواب فسيحقق الجدل الذي يدور بينه وبين الناس فضيلة رأيه على الآراء ، وإن يكن أخطأ فهو خليق أن يرجع إلى صواب الناس غير معاند ولا لجوج

كان هذا ظننا فيه ، فلما قرأت فاتحة حديثه التي رويتها قبل ، علمتُ أن الرجل لن يستفيق ، ولن يعودَ ، ولن يعقلَ ما يقول الناس — وما ظنك برجل من رجال القضاء — رجلٍ مارس العقلَ والفهم وتقليب الرأي ، والتثبت من الحجج المتضاربة الموهمة ، والحرصَ على أدق الصغائر لا تخدَعُه عن عَدْله وإنصافه ؟ ما ظنك برجل هذه صفته يزعم أنه لا يطّلع ، بل لا يعنّي نفسه بأن يطلع على آراء خصمه ! ثم ماذا ؟ ثم ترى هذا القاضي العادل ، بعد أن شهد على نفسه وأقر أنه « لا يعنّي نفسه ألبتة بالاطلاع على ما قد يقال » ، يصف هذا الذي لم يطلع عليه ولم يقرأه ولم يتعب فيه ، بأنه « هراء » !؟ فمن أين عَلِم ؟ وكيف حكم على شيء لم يقرأه ؟ ثم يزيد فيقول إن هذا الهراء الذي لم يقرأه ، أهون عليه من الغبار الذي يمس رداءه وحذاءه ! ثم يبالغ فيعنف سائله ويتعجب له ويسخر منه ، ويقول له : ما بالك أنت تهتم بما لا أكترث له ؟

وهذا التسلسل العجيب الذي كنا لا نظنه مما ترضى عنه بصيرة رجل مفكر ، فضلاً عن قاضٍ حريص ، فضلاً عن رأس من رءوس القانون ، فضلاً عن نابغة من نوابغ مصر ، قد كان ، ورضي عنه عبد العزيز فهمي باشا ، وجعله حجته ومنطقه في حومة الرأي والجدال . ولعلَّ الغضبَ هو الذي احتمله حتى أضلّه عن مواطىء حجته ، ثم تركه يتضرَّبُ في كلامه ، حتى اقترف من اللفظ والمنطق ما لا يليق به

ونحن سنرضى أن نكونَ في الغبار الذي يمسُّ رداء الباشا ، وفي الغبار الذي يمس حذاءه ! ونسأل الله أن يجعله بركة للناس وخيراً ، وأن يسبغ عليه من نعمه ما هو له أهل ، وأن يسدد خطاه حيث ذهب ، فحيثما اهتدى الباشا كنا من الغبار الذي يهتدي بهدى حذائه ! وسواء علينا بعد ذلك أقرأ هذا الهراء أم لم يقرأه !

نحن نسلم للأستاذ الجليل بما يقول عن صعوبة الحرف العربي المكتوب ، وبأنه يعوق القراءة ، وأنه يجعل العربية أبعد متناولاً عن عامة الناس ، نسلم له بهذا ، ثم ننظر كيف يكون الرأي الذي اعتسفه مظنة للتسهيل ، ومدعاة لنشر العربية !

وكيف يكون هو الذى يخرج الحرف العربى الغامض إلى البيان والوضوح ، فلا يكون مضللاً ولا معوقاً ، فإنه زعم أن : « ليس لدى المسلمين وغيرهم من أهل البلاد العربيــة وقت فائض يصرفونه فى حل الطلاسم » ! هذا هو محصول رأيه

فما هذا التضليل الذى زعم ؟ لقد قال من قبل إن الذى دفعه إلى هذا الرأى هو تيسير الـكتابة العربية ، « لأن حروف هذه اللغة ليس بينها حروف حركات ! وكثيراً ما يحدث فيها التصحيف والتحريف لهذا النقص . فمهما تعلمها الإنسان فلا بد أن يخطىء فى قراءتها ، وقد عالج الأقدمون هذا المشكل الـكبير بوضع الشكل ، ولـكن هـذا الشكل قد أخلس ، بل كان مجلبة لزيادة التحريف والتصحيف »

ودليل الاضطراب لم يزل يظهر فى هـذا المنطق كما ظهر فى حديث محرر المصور ، وهو سؤال وجواب لا عنت فيهما ، فأول الوهن وأول الفساد فى هذا المنطق أننا رأيناه فى اقتراحه قد أبقى الحروف المعجمة (المنقوطة) ، وقصر ما ادعاه من التضليل والعسر على (حروف الحركات) . وهذا عجب . فالإعجام (النقط) هو فى التصحيف والتحريف بمنزلة الشكل أو أقل منه قليلاً ، فـكان لزاماً عليه أن يبحث مسألة الحروف المعجمة ، ويخلص العربية منها ليدرء أعنها التصحيف والتحريف ! ولـكنه لم يفعل ، ولم ؟ لا ندرى !

ومع ذلك ، فلنفرض أننا أدخلنا ما سماه (حروف الحركات) فى كلام عربى مكتوب باللاتينية ، ثم لنفرض بعد ذلك أنه قد أجدى ونفى التضليل من هذا الوجه . ولـكن يبقى أن ننظر : أينتفى التضليل البتة ، أم هناك نوع آخر من التضليل يجره هذا العمل ؟ وأى التضليلين أهون شأناً ؟ فإذا تساويا بطلت الحجة المرجحة ، وإذا غلب أحدهما كان الانصراف إلى أخفهما ضرراً هو الوجه الذى لا معدل عنه . أليس هذا هو منطق الناس يا صاحب الحروف اللاتينية ، أم تراه ينبغى أن نسير على هدى منطقك ؟!

فخذ إليك مادة من العربية مثل « قام » ، ثم اجعلها فعلاً ، ماضياً ومضارعاً وأمراً ، وألحق به ما يلحقه من الضمائر ، وأدخل عليــه ما يدخله من قبل أوله وآخره مثل « فليقمهنّ » وفى التثنية والجمع ، والخطاب والغيبة ، ثم أخرج جميع مشتقاته من الأسماء ، وألحق بها ما يلحقها ، وضعها فى حالة الإضافة إلى الاسم الظاهر والضمائر ، فى التثنية والجمع أيضاً ، ثم اجمع الأسماء على اختلاف صور الجموع المـكنة فيها ، ثم افعل ذلك بالمـادة حين يزاد فيها ما يزاد مثل « أقام وقوّم واستقام » ، وصرّفها فى الوجوه التى ذكرناها ، وتبين حركات الإعراب فى سياق الـكلام ، وضع كل ذلك أمامك مكتوباً بالحرف العربى ، ثم بالحرف اللاتينى ذى الحركات التى تجعل الـكلمة مرسومة كمنطوقة . ثم انظر إليهما ، فهل تستطيع ، غير معاند ولا لجوج ، أن تميز بين كلمة وكلمة ، وأن تتبين الشبه بين هذه المتقاربات من مادة واحدة فى اللغة ؟ ونحن قد جرينا على أسلوب صاحب اللاتينية ، فجربنا ذلك بأنفسنا فما اهتدينا ولا أدركنا ، وصارت الـكلمة الواحدة التى لا تخطئها العين فى العربية ، ولا تخطىء الشبه بينها وبين صواحباتها ، كلمات لا يُدرَى ما هى ! وهذا شىء قائم على الحس والتجربة والعيان[1]

فإذا عرف ، من لا يستكبر عناداً ولجاجاً ، أن ذلك مما يُضِلّ ويعمى ، نظر فإذا هو يرى أن أول التضليل فى رسم العربية باللاتينية ، أن يضيع على القارىء تبيّن اشتقاق اللفظ الذى يقرؤه ، فإذا عَسُر عليه ذلك صار اللفظ عنده بمنزلة المجهول الذى لا نسب له ، وصار فرضاً عليه أن يعمد إلى رسم المادة الواحدة من اللغة فى جميع صُورها التى تـكون فى السياق العربى ، ثم عليه أن يحاول تقريب الشبه بالذاكرة الواعية ، ثم عليه أن يحفظ معانى ذلك كله . فإذا كان هذا شأنه فى المادة الواحدة فما ظنك باللغة كلها ؟ يومئذ تصبح العربية أجهَدُ لطالبها من اللغة الصينية . نعم ، وإذا ضل عن تبين الاشتقاق والتصريف ، فقد ضل عن العربية كلها ، لأنهما لم تَبِن إلا عليهما . وهى من هذا الوجه مخالفة لجميع اللغات التى تـكتب بالحرف اللاتينى ، لأن الاشتقاق والتصريف يفرضان لها من قبل بناء الـكلمة كلها ، حتى تختلف الحركات على كل حرف فى كل بناء مشتقٍ أو مصرّف ، ثم نزيد على ذلك ما يدخل على الـكلمة من جميع ضروب الحروف العاملة وغير العاملة ، ثم علل الإعراب والبناء والحذف ... إلى آخر ما يعرفه كل مبتدىء فى العربية

فإذا كان هذا هكذا ، وكان التضليل كائناً فيه ، وكان هذا

(١) لقد تجنبنا أن نرسم الـكلام العربى فى هذه المادة ، ووجوه التصريف واللواحق ، لأنها يسيرة على القارىء فهو يستطيع أن يستخرجها جميعاً ويرسمها لنفسه وينظر أى مخرقة يرى !

التضليل واقعاً فى أصول الاشتقاق والتصريف ، الذى يردّ القارئ إلى أصل المادة اللغوية ، وإذا كان الضلال عن أصل المادة ضلالاً عن معناها ، فأى السبيلين أغمض وأضل : سبيل عُسْر القراءة لعدم (حروف الحركات) ، أم سبيل امتناع الفهم لامتناع الاهتداء إلى أصل الاشتقاق ؟ ونحن لا نشك فى أن كل رجل ذى بصيرة حسن المنطق ، سيجد فى هذا وحده من المشقة والعسر ، ما لا يدع اختياراً فى الاعتراف بالضلال المطبق الذى تجلبه الكتابة بالحرف اللاتينى ، وأن التصحيف والتحريف الذى يدخل الحرف العربى أهون بكثير من الاختلال والفساد والمضلة والعبث التى يجرها الحرف اللاتينى

وإذن فغاية المشروع الذى انتحله ، أن ييسّر نطق الكلمة المكتوبة فى حال إفرادها ، غير ناظر إلى سهولة الاهتداء إلى الاشتقاق الذى هو أصل العربية ، وأراد أن يأمن الخطأ فى الإعراب ، والتحريف فى ضبط الكلمة ، فنسى كل شىء ، ولم ينظر ماذا يجلب مشروعه من التضليل والتشويه والتعمية والاستحالة ، والغموض الأعمى الذى لا يهدى إلى شىء فى هذه اللغة العربية ! وهذا وحده عجب أى عجب

هذه واحدة ، ثم زعم الباشا أن الحروف العربية تعوق القراءة ، فمهما تعلمها الإنسان فلا بد أن يخطئ ! وأن هذا المشكل قد عالجه الأقدمون بوضع الشكل ، ولكن هذا الشكل قد أفلس ، بل كان مجلبة لزيادة التحريف والتصحيف !

هما علتان ، ثم علتان ملفقتان قد غلغل فيهما البطلان ، ونخرتهما المغالطة فى الصميم وفى المنطق . ونحن لن نناقش اليوم هاتين العلتين إلا من وجه واحد يظهر به فسادهما ، أما سائر الوجوه فندعهما حتى يحين وقتها ومكانها من الكلام . فالخطأ عندنا لا يعود إلى صعوبة الحرف المكتوب ، وإنما يعود إلى القارئ المخطئ نفسه ، وهذا هو وضع القضية عندنا : إذا كان المتكلم حين يتكلم يستطيع أن يسوق كلامه على العربية الصحيحة غير مخطئ ، فمحال أن يخطئ فيها عند القراءة مهما اختلف الخط عليه سهولة وصعوبة ، لأن النطق سابق للقراءة ، فالذى لا يخطئ وهو يتكلم (أى كأنه يقرأ من حرف غير مكتوب) ، لا يتأتى له أن يخطئ وهو يقرأ حرفاً مكتوباً ظاهراً مميزاً ببعض الدلالات . وإذا عولج بعض العسر بوضع الشكل على الحروف ، فالخطأ عندئذ أشد استحالة لوجود دلالات صريحة لا تقل فى إفصاحها وبيانها عن حروف الحركات التى أرادها صاحب هذا المشروع اللاتينى ، ومن ثم فهى ليست مجلبة لزيادة التصحيف والتحريف كما زعم . أما قوله ، فى خلال ذلك ، إن الشكل قد أفلس ، فهذا حكم باطل فى قضية باطلة بطبيعتها ، وما دامت القضية فى أصلها لا تصح على الوضع الذى لفقه ، فالحكم نفسه لم يدخل إلا زيادة فى التلفيق . لقد نسى صاحب الحروف اللاتينية أن الإعراب فى العربية شىء يختلف اختلافاً كبيراً عن سائر اللغات المكتوبة بالحروف اللاتينية ، وأن الخطأ فيه لن يكون من قبل الكتابة سهلة أو صعبة ، بل هو راجع إلى المتكلم أو القارئ من قبل الضعف والقوة والعلم والجهل ليس غير

وأما ثالثة الأثافى ، كما يقولون ، فهو زعمه أن « ليس لدى المسلمين ، وغيرهم من أهل البلاد العربية ، وقت فائض يصرفونه فى حل الطلاسم » ! فأى طلاسم ؟ أهى الطلاسم التى تدخل على كل حرف من الحروف فى المادة الواحدة ، ألواناً من الحركات تكتب بين كل حرف وحرف ، وفى أواخر كل كلمة ، وتقف فواصل متباينات بين حروف مادة واحدة من لغة بنيت على الاشتقاق وعلى الاختصار ، وجاء فيها الجموع المختلفة ، والصفات والأبنية ذوات المعانى ، والبناء للمجهول ، وأحكامُ المعتلّ فى التصريف ، واختلاف المصادر وأسماء الزمان والآلات ، والترخيم والنسبة ، والإضافة والتقاء الساكنين ، وأحكام الإعلال والإبدال والإدغام ، إلى آخر هذا كله ، مما يغيّر الأبنية والأطراف والأوساط ، هذا إلى كثير من أحكام النحو الأخرى التى تفزع من بتتبعها إذا هو أراد جدال صاحب الحرف اللاتينى ! أهذه هى الطلاسم أم تلك ؟ وأيهما أفسد لوقت المسلمين وغيرهم من أهل البلاد العربية ؟ بل أيهما أضرى وأشنع فتكاً وشراسة ؟ بل أيهما الذى يغول العقل لا الوقت وحده !

ولكنها فتنة ! فتنة اغتر بها شيخ صالح ، فاستغلها من لا يرى للعربية حقاً ولا حُرْمة ، ولولا بعض حسن الظن لقلنا :

لا تأمنوا قوماً يَشبُّ صبيُّهم ... بين القوابل بالعداوة يُنشعُ
فضلَت عداوتهم على أحلامهم ... وأبت ضِباب صدورهم لا تنزع
إن الذين ترونهم إخوانكم ... يشفي غليل صدورهم أن تُصرعوا

وأى مصرع يا صاحب المعالى ! علمك الله الخير وهداك إليه وسددك وحفظك .

محمود محمد شاكر

كتاب نفيس

آراء وأحاديث
فى التربية والتعليم

للأستاذ ساطع الحصرى

بقلم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

مؤلف هـذا الـكتاب ليس غريباً عن أسرة « الرسالة » ، ولا غريباً عن رجال التفـكير والثقافة فى الشرق العربى عامة ، أو فى مصر خاصة ، وهو نفسه لا يعدُّ نفسه غريباً على مصر إذا عالج مسألة من مسائل الفـكر أو تناول قضية من قضايا التعليم فيها . فإن نظراته الصائبة فى التربية والتعليم لا تضيق فى حدود وطن واحد ، ولا تتضاءل فى مساحة بقعة واحدة ؛ ولـكنها تمتد إلى ما وراء التخوم السياسية فتتسع لسورية والعراق ومصر وغيرها من البلاد العربية

وبهذا الاعتبار يمـكن أن يفسر اهتمامه البليغ بأمور التربية والتعليم فى مصر ، ويدفع هو عن نفسه ما قد يرى به من الـكلام فى أمور لا تتصل بوطنه ؛ فيقول فى عزة عربية نسجلها له مع الفخر : (وأرجو أن لا يعتبرنى أحد متطفلاً على مصر بهذه الملاحظات ؛ فإنى عربى صميم ، أدين بدين العروبة بكل جوانحى ، وأهتم بمصر بقدر ما أهتم بسورية والعراق) . وهذا دفاع بليغ يقطع الطريق على أمثال من يقولون :

إنمـا نسكر من أموالنـا فـلوا الشرطى ما هذا الغضب!

لأن غضبة الأسـتاذ الجليل ساطع الحصرى ليست غضبة « الشرطى » ولـكنها غضبة المُضرى التى يجب أن يحسب لها حساب ...

ولهذا لا نظن أحداً من الناس فى مصر أو فى غير مصر يضيق صدره بآراء ساطع الحصرى فى التربية والتعليم ، لأنه مخلص فى إبدائها ، ولأنه عربى قبل أن يكون مصرياً ، والعروبة تقتضيه حقوقاً كثيرة ، وخاصة فى هذه الأوقات التى نسمع فيها كثيراً عن الوحدة والاتحاد والتعاون واليقظة العربية والوعى القومى . ولأنه هو نفسه قد أبان فى كتابه نوازع اهتمامه بمصر (لأنها أصبحت القدوة المؤثرة على العالم العربى بأجمعه)

لا نظن أن أحداً من المفـكرين والمثقفين والمربين فى مصر يغضب لأن مفـكراً عراقياً وسورياً نشر كتاباً نفيساً فى التربية وفيه مقالات حول نظام التعليم فى مصر . لأننا نرى الخبراء يستقدمون إلى بلادنا ، وتغدق عليهم الأموال ، وتفتح لهم الأبواب ولـكن ساطع الحصرى زار مدارس مصر ـ قادماً لا مستقدماً ـ فى سنتى ١٩٢١ ، ١٩٣٦ ، وكشفت له الزيارتان عن أمور رأى من الإخلاص للوطن العربى الأول أن لا يكتمها ، ورأى من الخير أن ينشرها

ونحن نرى أن بعض « الزوار » قد ينشرون كلاماً له خبىء أو يذيعون آراء لها خواف . ولـكن الأستاذ ساطع واضح القصد بيّن الغاية حسن النية . ونرجو أن تـكون تلك حاله التى ينطق بها لسان المقال

ليس هذا الـكتاب كتاباً « فنياً » فى أصول التدريس وطرق التعليم ، وليس كتاباً « مدرسياً » فى « الدرس » وأجزائه « والمقدمة » وشروطها . « وملخص السبورة » « ووسائل الإيضاح » وما إليها من الموضوعات الجافة التى يحفظها (المعلم الجديد) ويضحك منها المعلم المتمرس أو يبتسم لها . ولو كان كتاباً كذلك ما استحق أن نطيل الوقوف عنده ، وأن وأن نعرضه على القراء عرضاً يحملهم على الاطلاع عليه والظفر به ، لأن فيه نظرات فى التربية والتعليم جمعها المؤلف من هنا ومن هناك . ولا شك أن هذه النظرات وليدة تجارب بلاها المؤلف بنفسه ، وهداه إليها اطلاع وسيع ، وبحث عميق ، ومتابعة لـكل جديد من الرأى فى آفاق التربية والتعليم

والقسم الأول من الـكتاب فيه مشاهدات وملاحظات فى فى التربية والتعليم . وهذا القسم يجمع إلى صحة الفكرة التربيبة طرافة الأسلوب وحسن العرض، والخلوص من المثال أو المشاهدة

إلى القاعدة التي يقررها . ولهذا لا تحس وأنت تقرؤه الجفاف الذي يصادفه من يقرأ كتب التربية البحت ، و« الطفل المماكس » « وإثبات الذات » « والتربية بالثقة » « والحرية » وغيرها نصيب في هذا القسم من الكتاب

أما القسم الثاني فهو محاضرات ومقالات في التربية والتعليم ألقى بعضها في نادي التضامن وبعضها في نادي المعلمين ببغداد . ويمتاز هذا القسم من سابقه بالدراسة الفنية وعرض النظريات التربيية عرض المربي الفني لا عرض المشاهد المتنقل كما في القسم الأول

وفي هذا القسم فصل ممتع عن التربية الاجتماعية . وقد نجح المؤلف في محاولة رد تربيتنا الاجتماعية أو بالأجدر مشاكلنا الاجتماعية في الشرق العربي إلى تغلب الأثرة Egoisme على الإيثار Altruisme . وإلى أننا لم نتعود التفكير في غيرنا تفكيراً اجتماعياً ، كما أننا لم نتعود العمل مع غيرنا عملاً معشرياً Collectif

وهذا كله كلام جميل ، وفيه كثير من الحق وكثير من الصدق ، فإن ذلك كله ينقصنا . ولكن ينقصنا شيء آخر لم يشر إليه الأستاذ ساطع ؛ ولكن أوضحه البروفسور كامبانياك الأستاذ بجامعة ليفربول في كتابه النفيس :

Education in Its Relation to the Common Purposes of Humanity.

المطبوع في إنجلترا سنة ١٩٢٥

يقول هذا الأستاذ الإنجليزي في كتابه ص ٣٣ (إذا شاء المواطن أن يتمتع بميزات ، فواجب عليه أن يقبل تلك المزايا بشروط . فما هي الشروط التي يمكن أن يتمتع بها الرجل بمزايا الجماعة ؟ إنها شروط يمكن التعبير عنها في سهولة ويسر في جملة واحدة : يجب أن يتعلم الرجل أن يفعل ما يُطلب منه ، يجب أن يطيع قواعد الجماعة إذا أراد أن يحتفظ بعضويته فيها)

وهذا التوضيح يفسر لنا كثيراً مما يحدث في مجتمعاتنا ومجامعنا الشرقية . فكثيرون منا لا يفعلون ما تطلبه قواعد الجماعة ومواضعاتها منهم ؛ كالذين أشار إليهم الأستاذ ساطع في مقصورات أحد المسارح ببغداد حين علا صوتهم وضوضاؤهم ؛ فلما نبههم إلى خطئهم أجابه أحدهم : إننا أحرار ، لا حق لأحد أن يتدخل في أمرنا ...

لقد ردّ الأستاذ الحصري هذا السلوك الشائن إلى أننا لم نتعود العمل مع غيرنا عملاً « معشرياً » وذلك صحيح . وصحيح كذلك أن نرده إلى طبيعة العصيان والتمرد على قواعد الجماعة كما فسّره الأستاذ كامبانياك

أما الفصل الذي كتبه الأستاذ الحصري عن « تيارات التربية والتعليم » فهو فصل معنيٌّ به مسهور عليه . وهو يشهد باطلاع المؤلف على اتجاهات التربية الحديثة ومراميها ، والعوامل التي أثرت فيها ؛ والمراحل التي مرت بها . وهنا تظهر طريقة المؤلف في حسن العرض العلمي عرضاً متسلسلاً يدل على الفكر المتسق ... ولقد أشار في خلال هذا الفصل إلى وجوب تقوية علاقة الطلاب « بالطبيعة » التي طغت عليها حياة « المدن » . إلا أننا نأخذ على الأستاذ ساطع إيجاز الإشارة إلى هذا الموضوع الهام ، وكان المقام يتطلب منه إطالة واهتماماً أكثر . وللبروفسور كامبانياك في كتابه المشار إليه سابقاً فصل رائع « عنوانه العودة إلى الطبيعة »

كما أن الأستاذ « نيومان » عالج هذا الموضوع معالجة علمية في كتابه القيم « فكرة الجامعة » : Idea of a University ص ١٣٣ ، ١٤٣

ومن عبارات كامبانياك الرائعة في ذلك الفصل قوله في صفحة ٩٥ (يمكننا أن نلجأ إلى عالم الطبيعة مرات ومرات ، لانتعاشنا وتطهيرنا وتقويتنا) وقوله : (أن مشروعاً تربيياً يوجه عقولنا وحواسنا إلى قوى الطبيعة ومختلف مجاليها ، لهو مشروع حكيم الخطة)

أما الفصل الذى عنوانه « تعليم التاريخ » فلنا عليه استدراك ، فالأستاذ ساطع يحتم أن نعيد النظر فى تاريخنا العربى بنزعة تربيوية قومية ، وينادى بأن دروس التاريخ يجب أن ترمى إلى « التربية القومية » قبل كل شىء . وتلك دعوة طيبة تقابل من الأستاذ الحصرى بالقبول الحسن من كل البلاد العربية التى تنشد الوحدة فى عالم اتحدت فيه أمم مختلفة النزعات واللغات ، فكيف بأمم وحدت بينها اللغة والجنس والعادات ؟ إلا أن الهدف من تعليم التاريخ ليس تنمية القومية (قبل كل شىء) . فمن الغبن أن نغمط الأهداف الأخرى ونبخسها قدرها . فقد ينفعنا تعليم التاريخ على وجه صحيح فى إدراك صورة واضحة لمعنى « الخير » للجماعة وأعضائها ؛ وقد ينفعنا تعليم التاريخ العربى على وجه صحيح فى إيقاظنا من سبات عميق طال عليه الأمد ... وقد ينفعنا تعليم التاريخ العربى على وجه صحيح فى تجريد الدين من كل ما علق به من أوشاب القرون وغبار السنين ...

وقد ينفعنا التاريخ فى العمل على تحسين حالتنا الصحية التى أصبحت مرضاً عضالاً وداء قتالاً . فلو اعتنى فى مدارسنا بتدريس تاريخ الأوبئة والحميات والأمراض ، ولو اعتنى بدراسة تاريخ ما اتخذ من وسائل لمقاومة المرض وتحسين الصحة وإنشاء البلديات وكشف الجراثيم ، لاجتمع لأبنائنا ثقافة صحية تقوم إلى تربيتهم القومية

وقد كان ذلك من أغراض تعليم التاريخ فى إنجلترا بناء على الرسالة التى نشرتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٣٤ بعنوان : (مطبعة الحكومة الإنجليزية لندن — ص ٦٤)

أما الفصل الممتع الذى كتبه الأستاذ ساطع حول تعليم اللاتينية واليونانية فهو يستحق عليه التهنئة . فقد عرض القضية عرضاً لا يدع فيها مقالاً لقائل . وهو هنا يتكلم دائماً والدليل بين يديه والحجة بيمينه ؛ فيحملك على الاقتناع بكلامه وقد أثار فى نفسى شهوة إلى قراءة « التحقيق البرلمانى الفرنسى » الذى يذكره أستاذنا وصديقنا توحيد السلحدار بك

بقى أن فى الكتاب نسباً يستعملها الأستاذ ساطع (كالفردانية) (والأنوية) نسبة إلى أنا . (والقبمدرسية) نسبة إلى « قبل مدرسى » وهى طريفة فى هذا الكتاب وأطرف منها المصادر التى يستعملها . وهى صحيحة ولكنها لا تستعمل عندنا فى مصر « كالتمديد » « والترفيع » « والاقتباس » بدلاً من المد والترقية والقياس التى نستعملها هنا

***

وبعد فإن كتاب الأديب المربى الأستاذ ساطع الحصرى يعد محاولة ناجحة فى عرض الاتجاهات التربيبية عرضاً يرتاح إليه الأديب ، قبل أن يرتاح إليه المربى . وهو من هذه الناحية كان خليقاً بأن يقرأه الأدباء والمفكرون والمثقفون قبل أن يقرأه المربون والمعلمون

وكفاه قيمة أنه — فيما نعلم — أول كتاب عربى غير مصرى يتناول مسائل التربية والتعليم فى مصر بصراحة وإخلاص يستحقان الشكر والإعجاب .

محمد عبد الغنى حسن

القرآن الكريم
فى كتاب النثر الفنى
للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

تمهيد

شكا الدكتور زكى مبارك فى العدد ٥٥٧ من الرسالة من أنى كتبت فيه كلمة مؤذية سبقتها كلمات مؤذيات ، وزعم أنى أبحث عن فرصة جديدة تؤيد غرامى باتهامه فى إسلامه ، وأن الباعث على محاربتى إياه ليس هو الدين ، ولكن غرامى بأن يقرن اسمى باسم الدكتور زكى مبارك

وتأذى الدكتور زكى مبارك بما كتبت ليس لى فيه من فضل ، فالفضل - أو الذنب - فيه راجع كله إلى الدكتور الفضال . فهو الذى لا يفتأ يتعرض للدين بما لا يمكن أن يقره عليه عقل ولا دين ، وبما يخالف الكتاب والسنة والإجماع عند المسلمين . يتعرض لا لجزئية من الجزئيات يجوز فيها الخلاف ، ولكن للأصول التى يقوم الدين بقيامها ، وينهدم بانهدامها ، كأصل إعجاز القرآن ، وأن القرآن كتاب الله لا كتاب محمد ابن عبد الله

والخصومة التى بيننا ليس منشؤها ما يعتقد الدكتور زكى مبارك ، ولكن ما يعلن الدكتور ويدعو إليه . فاعتقاده ودينه أمر بينه وبين ربه ، أما ما يعلن ويكتب فأمر بينه وبين الناس . هو حر فيما يرى ويفكر وفيما يعتقد ما اقتصر ذلك على ذات نفسه ، أو ظل سراً بينه وبين خلصائه . لكنه يفقد تلك الحرية فى اللحظة التى يحاول فيها أن يتخذ من الأدب وسيلة لبث آرائه ومعتقداته بين الناس . إنه فى تلك اللحظة يصطدم بما يعتقد الناس ، إذا كان ما يعتقد يخالف ما يعتقدون ، خصوصاً إذا كان ما يعتقدونه هو الحق وما يدعو إليه هو الباطل . أفيعجب الدكتور عندئذ أن يرتد عليه الاصطدام فيتأذى به كما آذى به الناس ؟ أم هو يظن أن الحرية له فى الهجوم ، وأن ليس لغيره حرية فى الدفاع ؟

وللدكتور فى الخصام حيل كتلك التى تكون فى القتال ، منها أن يلقى إلى خصومه أقوالاً يرجو أن يشغلهم بها وأن يشكك الناس فيهم . ولا بأس من أن ننخدع له هذه المرة فننظر فيما ألقى

يقول إننا نحاربه لا للدين ، ولكن ليكون لاسمنا ذكر مع اسمه الكريم . ولو وجد الدكتور شيئاً غير هذا يقوله لقاله ، ولكنه نظر فوجد أننا لا نتخذ الأدب صناعة فيأتينا من ناحية المنافسة ، ولا يجوز عنده أن تكون محاربتنا له لوجه الله ، فلم يبق إلا أن يقول أننا نلتمس الشهرة عن طريق التعرض له والطعن فيه

إن كان ذلك كذلك ، فلماذا تركنا الدكتور كل هذه السنين يبدئ ويعيد فى الأخلاق وغير الأخلاق مما يتصل بالدين اتصالاً وثيقاً أو غير وثيق ، من غير أن نتعرض له إلا مرتين يفصلهما خمس سنين : الأولى حين ختم كلمة له فى نعيم الجنة بذلك الدعاء الماجن : « اشغلنى عنك يا رباه بأطايب نعيم الجنة ، فإن نظرى لا يقوى على نور وجهك الوهاج » . والثانية حين كتب مقاله : « أعوذ برب الفلق من شر ما خلق » الذى أنكره ابتداء ، حين حوسب على بعض ما فيه ، ثم أقر به لما أيقن أن لن يصدقه أحد فى الإنكار ، كالرجل الذى يتبرأ من ولده الجانى وينكره ثم يستلحقه إذا وجد عار الإنكار أكبر من عار الإقرار ... مناسبتان اثنتان بينهما خمس سنوات لم نتعرض للدكتور إلا فيهما فى عمر الدكتور المملوء بما يؤاخذ عليه فى الأدب والأخلاق والدين . فهل لم يكن بنا حاجة إلى الشهرة طوال تلك الأعوام لنلتمس التحليق فى جوها على جناحه المتين ؟

وقد وقع الرجل على حيلة أخذها عن صديقه الشيطان[1] هى أن يسمى المسميات ضد أسمائها ليدخل على بعض النفوس عن طريق الإيحاء . فستر الإنسان جسمه بالثياب رياء واعوجاج فى الضمير[2] ؛ والدعوة إلى تعريته دعوة إلى الحياة[3] ؛ واحتضان الفتاة للفتى هو مثال الفرح النبيل[4] ؛ وهجوم الفتاة على الفتى طاعة لغريزة كريمة[5] ؛ وانتهاب الجمال هو فى ذاته شكران لواهب الجمال[6] ؛ والشيطان مخلوق شريف[7] ؛

(١) العدد ٢٣٠ من الرسالة صفحة ١٩٣٤
(٢) و (٣) العدد ٥٢٩ من الرسالة صفحة ٦٦٨
(٤) و (٥) العدد ٤٤٦ من الرسالة صفحة ٦٢
(٦) العدد ٤٥٥ من الرسالة صفحة ٣٤٦
(٧) العدد ٢٥٧ من الرسالة صفحة ٩٤٤

والأديب الحق يستبيح فى عتاب الأقدار ما لا يباح [١] ؛ وبعض الكفر إيمان ولكن أكثر الناس لا يفقهون [٢] ؛ إلى آخر ما هنالك

ولست فى شيء مما كتبت أو أكتب عن هذا الرجل متجنياً عليه أو مبالغاً ، فتلك المعانى التى نسبتها إليه آنفاً ليست من عندى ولكن من عنده . هى بعض عباراته تشهد عليه ، وبعض بضاعته ترد إليه

وحيلة أخرى لهذا الرجل أن يلقى إليك المعنى الذى يعرف أنك تأباه مقروناً بمعنى يعرف أنك ترضاه ليسهل عليك بهذا قبول ذاك ، أو على الأقل ليوقفك موقف المرتاب . فتراه مثلاً يقول لك : « انتفع الصوفية بسماحة الإسلام ، وهو دين يأبى أن يكون بين المسلم وربه وسيط ، فقرروا أنهم أرفع من الأنبياء . وهذا كفر بظاهر القول ، ولكنه فى الجوهر غاية الإيمان » [٣] !

فانظر كيف رتب على المعنى الذى يعرف أنك ترضاه معنى يعرف أنه لو ألقاه إليك مجرداً لأبيت عليه ، ولنبذته إليه . والمعنى الذى ألقاه معنى ذو نتوء كرأس إبليس . ظاهره أن الصوفية يضعون أنفسهم فوق مرتبة النبوة ، لأنهم أعرف بالله وأرعى له من الأنبياء ، وباطنه أن ليس بهم ولا بك إذا ارتقيت مثلهم إلى الأنبياء حاجة ، وإلا كان بينك وبين الله وسطاء ، والإسلام يأبى أن يكون بين المسلم وربه وسيط ؛ فتلك هى فى رأى زكى مبارك سماحة الإسلام وبها انتفع الصوفية ! والرجل يكذب فى الحالين على الصوفية وعلى الإسلام . فلا الإسلام يهدم نفسه بسماحة حمقاء كالتى نسبها إليه زكى مبارك ، ولا الصوفية يبلغ بهم الغرور أن يروا أنفسهم فوق الأنبياء

ومثل آخر من نفس الباب قوله [٤] : (وفى طلب السلامة من أذى السفهاء . قال الرسول : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » ... والعدل يوجب أن يكون ما يترك الأنبياء ميراثاً حلالاً لأبنائهم ، ولكن الحرص على قطع ألسنة المتزيدين هو الذى أوجب أن يحرم الأنبياء أبناءهم من ذلك الميراث . وذلك ظلم جميل !) هكذا يقول زكى مبارك ، وهكذا يقدم لقرائه فى هذا الكلام قنبلة ملفوفة تكفى لنسف أى إيمان

دعك مما فى كلامه هذا من مثل « جميل » و « رسول » (وأنبياء) و « قطع ألسنة المتزيدين » وتأمل ما وراء ذلك تجده يريد أن يدخل فى نفسك أن ترك الأنبياء أموالهم كلها صدقة شيء فعلوه من عند أنفسهم لا بأمر ربهم ، وأنهم بذلك خالفوا العدل ووقعوا فى أقبح الظلم ، ظلم الأبناء . ومن أجل ماذا ؟ من أجل السلامة من أذى السفهاء ، وقطع ألسنة المتزيدين ، أى من خوف الناس ! وماذا يبقى من مبدأ عصمة الأنبياء بعد هذا ؟ لا شيء عند من يقبل من زكى مبارك هذا الكلام ، وعلى دينه العفاء !

وإذا رجعت إلى حديث الرسول صلوات الله عليه - وزكى مبارك حرف المعنى ولم يحرف اللفظ - تجده يحتوى على الحجة المبطلة لكل ما ذهب زكى مبارك إليه ، وهى قول الرسول (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) بصيغة التعميم لا بصيغة التخصيص . فلو صدق ذلك على بعض الأنبياء دون بعض لما كان من سنن النبوة ، ولكن من رأى ذلك البعض ، ولجاز ولو من بعيد ما زعمه زكى مبارك . أما وهو صادق على الأنبياء أجمعين فلا بد أن يكونوا فعلوه عن أمر الله لا أمر أنفسهم ، لاطراده فيهم على اختلاف الأزمان — والاطراد على اختلاف الزمن هو طابع الفطرة التى هى دين الله — ثم لاستحالة معرفة الرسول صلوات الله عليه أن الأنبياء أجمعين كانوا يفعلون ذلك إلا بإخبار وتوقيف من الله

لكن زكى مبارك لا يلتفت إلى مثل هذه الدلالات فى كلام النبوة ، لأنه مشغول بترويج ما له من مذهب ورأى ؛ يتلطف للدخول به على الناس حيناً ، ويتقحم به عليهم حيناً ؛ تارة يلمح وتارة يصرح ، وطوراً يجمع لهم الأضداد ويرميهم بالمتناقضات تلهياً وتشفياً ، كأن بينه وبين الناس ثأراً لا يشفى نفسه منه إلا أن يبلبل منهم الفكر [١] ويزلزل منهم العقيدة ليكون أدبه قوة تقتل الخصوم وتزلزل الزمان [٢]

محمد أحمد الغمراوى

(١) و (٢) العدد ٣٥٥ من الرسالة صفحة ٥ ، ٧
(٣) العدد ٤٩٣ من الرسالة صفحة ١١٣٨
(٤) العدد ٤٠٩ من الرسالة صفحة ٦٢٨

(١) العدد ٣٨٢ صفحة ١٦٢١
(٢) « ٤٩٨ « ٤٥

من نداء القلب

الإناء...

للأستاذ إلياس أبو شبكة

أصدر الشاعر اللبناني المطبوع الأستاذ إلياس أبو شبكة ديواناً لطيف الحجم سماه «نداء القلب» ، وهو – ما عدا القصيدة الافتتاحية – مجموعة من الشعر الغنائي الرقيق ؛ يقرأه الخلي في ساعة إذا شاء ، ولكن الرجل ذا القلب الشاعر لا يستطيع أن يفرغ منه ولا أن ينفصل عنه ؛ فهو في كل بيت من أبياته لا ينفك بين ذكرى تعاوده ، أو أمل يراوده ، أو شعور لذيذ يحس انبثاثه فيه ، أو وجد أليم يجد أبلغ العبارة عنه . وكان الأشبه بما قلنا أن نسمعك لحناً من ألحان هذا الغزل المشبوب ، لهذا الشاعر الموهوب ، ولكننا آثرنا أن نسمعك القصيدة الأولى منه ، لأنها أبلغ ما يصور حال الأدب الرفيع ، في هذا الزمن الرقيع

عصرت فؤادى فى إناء من الهوى
وأدنيتهُ من مرشف الفقراء
فقالوا : « خمور ما تبرد غلة »
فتمتمتُ : « واهاً أكبد الشعراء !
أينكر حتى البؤس ما فيك من غنى
وأى غذاء أنت للبؤساء ؟! »

***

وذوّبتُ قلبى فى إناء من الهوى
وأدنيته من مرشف الرؤساء
وقلت لهم : « هذا هو العدل فاشربوا
لعلكمُ تصغون للضعفاء ! »
فقالوا جميعاً عن إنائى وغمغموا :
« إناؤك محظور على الزعماء »

***

وذوّبت قلبى فى إناء من الهوى
وأدنيته من مرشف السجناء
وقلت لهم : « هذا عزاء قلوبكم
فللأبرياء التاعسين دمائى »
فقالوا : « دماء ما تحلّ قيودنا
فهاتِ قوانيناً لغير قضاء »

***

وذوبت قلبى فى إناء من الهوى
وأدنيته من مرشف الحكماء
وقلت لهم : « هذا هو النور فاشربوا
فآراؤكم فى حاجة لضياء »
فقالوا ، وقد هزوا الرؤوس شماتة :
« ضياؤك هذا خدعة الجهلاء »

***

وذوبت قلبى فى إناء من الهوى
وأدنيته من مرشف الأمراء
وقلت لهم : « هذا هو النبل فاشربوا
وطوفوا بأقداحى على النبلاء »
فقالوا : « أتحقير لطغراء جدّنا
وما تنسل الأصلاب من شرفاء ؟ »

***

وذوبت قلبي فى إناء من الهوى
وأدنيته من مرشف الشعراء
وقلت لهم : « هذا هو الحب فاشربوا
فأزياؤكم مرهونة لفناء
إذا الحب لم يضرم لهيب قلوبكم
بَشِعتم ولو جئتم بألف رداء »

***

وما زلت فى الدنيا أطوف بخمرتى
وحولىَ شعبٌ هازئٌ بوفائى
إلى أن دهانى اليأس فاخترت عزلة
أفتش فيها عن حطام رجائى
وذوبت خمرى فى إناء من الهوى
لأشربها ممزوجةً ببكائى

***

فشاهدت قلبي فى إنائىَ ضاحكاً
به دعة عذراء فى خُيَلاء
فأدنيته من مرشفى وشربته
وما زال ماء الحبّ ملء إنائى



٥ – الشعر الجديد

وضعنا أمام القارىء فى كلمتنا السابقة[1] وصفاً إجمالياً لمنظومة من (الشعر الجديد) حاولنا أن نكشف به عن الطابع العام لهذا الشعر . فإذا هو – كما يمكن أن يتخيل القارىء – مجموعة من التفكك والاضطراب ، والبرقشة[2] والإغراب . ولولا خشية الإملال لوصفنا غيرها وغيرها ، فلدينا من هذا الشعر أكداس . وقد وعدنا أن نزيد فى هذا الكشف فى أثناء حديثنا كلما عنت مناسبة . ونجد الآن الفرصة سانحة للاشارة إلى مظهر آخر من مظاهره البارزة : ذلك هو الإسراف فى بث المجاز والاستعارة فى تضاعيفه ، وتحميل الكلام منهما أحمالاً ثقيلة ، والغلو فى ذلك غلوّا شديداً . ولا تحسبَنّ أن هذا عن بَصَر بهما ، أو علم بأصولهما ، أو إحاطة بأساليبهما ، فذلك مطلب جِدّ عسير عليهم ؛ فقد أزحنا بعض الستار عن ماهيتهم ، وأبنّا شيئاً من طرائق تزييفهم ، ووسائل تمويههم . وإنما الذى يصنعون صور منهما افتُعِلت افتعالاً ، وصيغت على أمثلة صاخبة متراكبة ، وصُبّت فى قوالب غثة ، مما نراه فى الأدب الرخيص الشائع الآن بين العامة وأشباه العامة

ويضطرنى هذا المقام أن أقول – والأسف يملأ نفسى – إن بلية هذا (الأدب) ليست مقصورة على هؤلاء الشعراء وغيرهم من صغار الكتاب ، بل تجاوزتهم إلى الطلاب ممن لم يُزايلوا بعد مقاعد الدراسة الثانوية . فعملت فيهم عمل السوس ، وأفسدت من سلائقهم ، وشلت من ملكاتهم ، ولوثت من نفوسهم .

وطالما جهرت – بقلمى وبلسانى – بأن هذا الضعف الملحوظ فى مُنشآت الطلبة الآن إنما مَبعثه قلة ما يقرءون من مُستجاد الكلام وشريف الأفكار ، ثم ذيوع هذا (الأدب) بينهم ، وتهافتهم عليه ؛ لما به من مغريات الشباب وعوامل استمالته ومخادعته . (والفتى آلِف لما يستعيدُ) . فضع ما شئت من مادة بين يدى الحدث ، وخذه بها ، وأدمه عليها ، يُطبع عليها لا محالة .

ولقد كنت أرى ممن خالطتهم من الإنجليز فى بلادهم ، أن الوالدَيْن يحرصان كل الحرص على انتقاء ما يطالعه الأبناء فى أوقات فراغهم ، ويحولان بينهم وبين ما يمس أخلاقهم ، أو يضعف لغتهم ، ويبذلان فى ذلك أعظم الجهد

فللولد هناك مكتبة ، وللبنت مكتبتها ، حافلة بما يقوّى العقل ، ويقوّم الخلق ، ويغذى اللسان .

والنشء من أبنائنا محرومون كل هذا ، مهملون إهمالاً يكاد يكون شاملاً . وقد انصرف أدباؤنا وشعراؤنا عنهم ، وأمعنوا فى نسيانهم ، وكتبوا وألفوا للكبار وحدهم ؛ اللهم إلا محاولات لا تنقع غُلّة ، ولا تبل صدى

أعود – وقد استطردت مرغماً – إلى ما كنت بسبيله من الكلام فى المجاز والاستعارة ، فأقول : إن الأساليب العربية النقية قد اقتصدت فيهما اقتصاداً ، فلا تلجأ إليهما ، ولا إلى التشبيه أو غيره من طرق البلاغة إلا لغرض حافز ، لا للزينة وحدها أو التهويل . يستبين ذلك فى كلام الأبيناء من أئمة الترسل قديماً وحديثاً ، لا الذين احتفلوا بالتنميق والتزويق ، وتعمّلوا وتكلفوا ، وجعلوا الكلام بضاعة تزخرف كما تزخرف السلع المعروضة للأنظار

وهذا كتاب الله ، وهو فى الذروة من البيان ، لا ترى فيه – إذا تجوز – إلا السهل الممتنع الذى حِيكت مادته من المألوف السائغ ، والبسيط المستعذب

وللعربية مناهجها فى التعبير ، وروحها فى التصوير ، ومَنَاحِيها فى التفكير . ويفهم عنها هذا من مَرَس بها وكابدها وتوفر عليها – ولها فوق ذلك – مرانتها ولينها وسلاستها

فعبّروا – فى هذا النطاق – عما تدّعون من غريب مبتكراتكم ، وبديع تجديداتكم ، ثم دعونا نفهم عنكم ، إن استطعتم

(١) عدد ٥٦٠ من الرسالة (٢) البرقشة خلط الكلام

ولقد كنت عمدت إلى طائفة من هذا « الشعر » فنثرت ما أمكنني أن ألم شعثه منها ، بعد جهد وعناء ، فحصل لدىّ صفحات كنت أبغي عرضها فى كلمة من كلماتى ابتغاء التمثيل

فلما عدت إليها بعد ذلك ألفيتها تمثيلاً غير صادق لمذهبهم ؛ إذ أن ألفاظهم وحدها هى — فى الحقيقة — التى تكشف عما أوضحت من خصائصهم . ومتى بدت الألفاظ ، تكشفت عنها الأشخاص . وقد آثرنا — كما قلنا من قبل — أن نكون عن هذا بمنأى

***

حاشية : بعد أن فرغت من مقالى هذا ، جاءتنى الرسالة (عدد ٥٦١) وفيها كلة موجزة للكاتب الفاضل الأستاذ دريني خشبة ، ينقد بها آرائى فى (الشعر الجديد) ، وسأجيب عنها إن شاء الله

(للحديث بقية)

(ا . ع)

حول شعراء الشباب

الأستاذ « دريني خشبة » رائد لهذا الجيل ، فى جميع فنون الأدب بلا استثناء ، ومن ذلك فن الشعر بلا مراء !

وهو يحمل الشعل لشعراء الشباب ؛ فآناً يجندهم تجنيداً للتمثيلية الشعرية ، وآناً ينافح عنهم منافحة الراعى الذى يشملهم بالعطف والحماية ، إذا عنّ لأحد من الشيوخ أن يهاجمهم ، كالأستاذ « ا . ع »

ولأن الأستاذ رائد من رواد الجيل ، ولأنه راع للشباب بوجه خاص ، فإن عطفه يتسع ويتسع حتى ليشمل الكثيرين ، فيسلكهم فى عداد الشعراء

والحمد لله والمنة على أننى كنت فى مرتين أو أكثر ممن وسعهم عطف الأستاذ الذى وسع كل شىء ... حتى لقد وسع شعراء بحكم الوظيفة ، وشعراء بحكم الأقدمية ، وشعراء بحكم النظم ، وشعراء بحكم محاولة النظم ، وشعراء بحكم رقشة النظم ؛ وسلك هذه الكثرة الكثيرة مع تلك القلة القليلة التى تستحق لقب الشعراء . وهذا عطف سابغ ولا شك . ولكن ما رأى الأستاذ المفضال ، لو رجوته فى ألا يشملنى بعطفه الوسيع ؟ ولو أنهيت إليه كذلك أن بعض من حشدهم فى كلمته يرجونه مثل هذا الرجاء فى خاصة أنفسهم ... مع خالص الشكر ، وموفور التحية

سيد قطب

فلم « رصاصة فى القلب »

طغى على الأفلام المصرية — وهى فى طور النشأة — نوع من الفن الغليظ يعمد إلى استدرار الدموع بتلفيق الحوادث المروعة ، وافتعال المواقف المثيرة ، أو إلى إثارة الضحك بالحركات المبتذلة والنكات المكشوفة . وكان هذا الأسى المنيف ، أو هذا اللهو السخيف ، طبيعياً أول الأمر لعجز الكتاب والممثلين والمخرجين عن إدراك الفن الصحيح ، فكانوا يتوخون التأثير من جوانبه السهلة وطرقه القريبة ، كتمثيل ما يؤثر بطبيعته من نكبات الفاقة والبؤس والمرض والموت ، أو تصوير ما يضحك بذاته من شخصيات الحشاشين والفلاحين و(البرابرة) ، وكل ذلك فى إخراج ينسجم فى قبحه واضطرابه مع سخف الرواية وضعف التمثيل

أما فلم « رصاصة فى القلب » لواضعه الأستاذ توفيق الحكيم ، وممثله الأستاذ محمد عبد الوهاب ، ومخرجه الأستاذ محمد كريم ، فشىء آخر يختلف فى لهوه وجوه وفنه . هو قطعة من المرح الرقيق الرفيق العذب ، فيه الفكاهة وليس فيه الإسفاف ، وفيه النشوة وليس فيه العربدة . رواية طريفة الموضوع فنية الوضع مطردة الحوادث هادئة السياق ؛ وتمثيل طبيعى الحركات منسجم الأشخاص بارع المواقف ؛ وإخراج قام على فهم روح المؤلف وإدراك طبائع الممثلين ، فرتب المشاهد ، وحرك الأشخاص ، وسلسل العمل ، على نظام عجيب من الفن جعل كل شخص وكل شىء فى هذا الفلم قائماً بعمله المطلوب ، وموضوعاً فى موضعه الحق

ولعل أعجب ما فى هذا الفلم أن عبد الوهاب الممثل كاد يطغى على عبد الوهاب الموسيقار ! فقد كان الجمهور مفتوناً برشاقة حركاته وعذوبة كلماته وصدق تمثيله ، حتى كان انتظاره للقطع الغنائية على روعتها وجمالها فى هذا الفلم أقل منه فى الأفلام السابقة . وربما كان مرجع ذلك أيضاً إلى أن روح الفنان التمثيلية غلبت على روحه الموسيقية ، فمذهبه الحديث فى التلحين يغلب فيه تمثيل العواطف والمواقف بالنغم المعبر ، دون أن يكون للقرار تلك النغمة الخاصة التى كانت تشق الحناجر بالهتاف وتدمى الأكف بالتصفيق .

وجملة القول أن (رصاصة فى القلب) فصل جديد فى تاريخ النهضة السينمائية المصرية يسمح للذين قاموا على إنتاجه وإخراجه أن يضعوه يوم المنافسة بجانب الأفلام الأمريكية من غير تهيب ولا تردد .



الأدب يعرضه التاريخ

عمــــرو بن العاص

للسيدة وداد سكاكيني

كان لى عجب أن رأيت الأستاذ عباس محمود العقاد ، على غير ما خُيل إلىَّ ونعت ، فلما لقيته تهيبت جانبه وتحيرت فى تحيته فوجدتنى أدير على لسانى كلاماً أستل به ملامة وقرت فى نفسه يوم دفعت عن المرأة ما شاء الأستاذ الجليل أن يصمها به من الفتانة فى الفن والضآلة فى العبقريات ، وقد كنت فى سوالف الخيال أحسبه قد بسط على منكبيه من أدبه التين بردين من المنجهية والخيلاء ؛ ولكن حين أتيت مصر سألت عنه من يعرفه فوصف لى بغير ما حسبت ، ولما سمعته صغَّر الخَبَرُ الخبرُ

رجل جبار القامة ، رفيع الهامة ، ودبع الطلعة ، يفيض حديثه من علم عقله وشعور قلبه ووحى ضميره ، ويمد ببصره إلى أغوار الكلام فيتناول لآلىء المعانى ، ويجول فى آفاق الفكر بجوال الأديب المكين . قلت له لا تثريب على أن يكون أول ما أرى من مآثر مصر أدبها الحى ووثبتها المرموقة فى نوابغها وقادة الفكر فيها ، ونحن وإن اختلفنا فى الرأى والمقالة ؛ فاننا نرجع إلى الحرية . فتبسم عن رضى وتألقت فيه نفس الأديب الكريم

وسرعان ما عكفت بعد لقياه على كتابه الجديد (عمرو بن العاص) فقرأته بإعجاب نسيت فيه ما كنت أحسه من كآبة الاغتراب فى نفسى ، وألفيتنى أستمع للتاريخ وأتدبر الأحداث ، فإذا أنا بين دفتى كتاب على نسق العبقريات ، وسمه ناشروه بأعلام الإسلام ، فكان فاتحة لجهدهم المحمود . جلا فيه العقاد عمراً فى شخص فذ عظيم من شخوص العرب الذين صمدوا للدهر

وتركوا فى الدنيا دوياً ، فقرب المؤلف بلباقته وبراعته ما تناءى من التاريخ على القارئين . ومن للناس فى كل حين بالطبرى والدميرى والطبقات والسير وكتب التراجم والأخبار ، فهم إن عركوا أوراقها ومزقوا جلودها من طول البحث فيها والتنقير ماحصلوا منها على طائل ولا نالوا من نائل ؛ حتى كانت منالة الأدب الحديث ، فأورد القراء بكرام الكاتبين موارد المسهولة فى التاريخ والسير ، إذ سكبوا بيانهم على الحادثات النوابر ، فردوها نواضر وبعثوا أمجادها للأجيال لتكون لهم فيها أسوة ومنفعة

وكذلك فعل العقاد فى كتابه الجديد ، فارتديت رداء امرأة من نساء العرب وخلطت نفسى بنسوة من قريش يعجبن بصنع عمرو وخليقته ، ويزرين إلى أبيه العاص بن وائل وهو فى الذروة من بنى سهم فيشفقن مما يخوض به الرجال من ملامز عمرو بن العاص وضعة نسبه لأمه السبية ، وأنها كانت كبرى المغنيات فى مكة وآخذهن لأجرة . فقلت لله هؤلاء العرب الأشداء الذين عبدوا أنسابهم فتنافسوا فيها وناشدوا بها الرجال والنساء ، وأرادوها فى الخيل والسيوف ! ثم رأيت عمراً وقد أقضت مضجعه هذه القرحة الدامية ، وأنداده فى صحة منها وعافية ، صليبتهم نقية وحسبهم معروف ، فكانت مغامز الحساد لابن العاص حوافز مرهفة لتعاليه ونشدانه البسطة فى الوجاهة والثروة . وقد أعدته المواهب والشمائل لبلوغ ما صبا إليه فى زهو الشباب ، وكان يرى بلحظ الغيب نصيباً من المجد والسلطان أدركه فى عنفوان الرجولة وفى عهد الفتح المبين

لقد عرض الأستاذ العقاد عمراً فى معاريض الدهاء البكر ؛ إذ كان يحل خلافاً قد استحكم بين طلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام . وإذا بالإسلام يظل العرب فيندبه الرسول عليه السلام ليحكم بين جماعة من قومه يهددون المسلمين فيكسر ابن العاص شوكة الظالم ويفل جمع الباغين بدهائه وفطنته ، فتتطامن له الشجاعة والحيلة ، ويزكو ذكاؤه مع الأيام القابلة وهو ما يزال يحس بين جنبيه هذه الشوكة الناخزة فى نسبه لأمه التى يجهر بخبرها الناس إذا خلا بعضهم إلى بعض ، ويسرونها كلما رأوه فيزداد طموحه وتفريه وثبات هذا الطموح بالتماس

الأسباب للغلاب بالأمارة والرئاسة على من يفاخرونه بشرف الأمومة

ويموت أبو عمرو ، وكان من سراة السهميين ، فأخو عمرو يرث أباه ويكون ذا مال ، وعمرو مقل فقير ، فأين ماله من أبيه ؟ ها هنا يقلب الأستاذ العقاد وجوه الرأى ومدار البحث حول هذه المسألة ، فيرينا عمراً وقد بقى محافظاً على رضى أبيه . ولم يسلم حتى مات أبوه الذى رغب عن الإسلام ، وأنه لا يبعد أن يكون عمرو قد أصاب شيئاً من الميراث فأنفق منه ما أنفق بعد يأسه من تجارة الحبشة والشام ، ولم يبق له عند ولايته على مصر إلا اليسير . على أنى أجد تعليلاً لفقر عمرو سهلاً هيناً ، أفلم تقل أمه : أنظروا من يشبه فألحقوه به . وكان عمرو فى صغره يرعى غنما لأبيه ، ثم صار جزاراً . وما ظنك بشيخ من أقوام العرب كالعاص بن وائل أبى عمرو يبلغه هذا المطعن فى نسب ولد يُعزى إليه ولم يكن للعرب يومئذ حكومة يدفعون بها عن أنفسهم ما لحقهم من سوء الأنساب بأولاد يعزون إليهم كرهاً ، وكيف حاول أبو سفيان إخفاء نسب ابنه زياد ، فلا يبعد أن يلجأ العاص بن وائل إلى حرمان عمرو من ماله وهو عندة شىء مادى مقدر ومقوم بالدينار والدرهم . وكان من خصال بنى سهم المطال فى الدين وكم كانوا له يلوون ! ولعله قال يكفى عمراً أن ينتمي ويدعى إلى العاص

ولا جرم أن مثل هذا الخاطر مر ببال الأستاذ العقاد ، ولكن ما كشفت عنه نصوص الرواية . وكان جهده فى حقائق التاريخ أسد الآراء وأبلغ الحجج ، فإذا علل الأستاذ المؤلف سر طموح ابن العاص وتعاليه بفقدان نسبه الطيب لأمه ، فما أحرى التعليل بميله للمال وتكالبه عليه لحرمانه الميراث

أما نفس ابن العاص فقد حلل العقاد تفاريقها وألوانها من وجهات عدة ؛ فآونة عرضها فى نفس متهالك على الثراء ، وجاء بالبرهان على ذلك فى أقوال عمرو وأفعاله منذ عهد الرسول إلى وفاته بمصر بعد فتحها الثانى . وآونة يشرح بديهته ودرايته واضطلاعه بالحكم والولاية ، وظفره بالثقة والخبرة اللتين مكنتاه من الفتح والنضال ، فهو فى حضرة البطريق ينجو من مكيدة ، وهو فى مبارزته للامام على ينجو بالحيلة والدهاء

وهذا عمرو كهلاً يدلف إلى أعز العمر بأساً وحصافة ، فهو فاتح فلسطين ثم فاتح مصر مرتين . وهذا عمرو شيخاً منهوماً يتلهف شوقاً إلى المال وله ضيعة وحشم ، ويكون من همه بعد أن عزت عليه الخلافة أن تكون له مصر ولاية جامعة ، فينال ما يبتغى ويموت فيها ويدفن فى ثراها

قلت ما أحسن كتباً يطرف بها الناس أديب الكنانة الأستاذ العقاد ، فهو بعد أن طوف طويلاً فى آفاق فنه بالأدب الصرف ، تلفت صوب الماضى الأغر واتصل بمآثره الخالدة ، فعاد منها بما غاب عن القارئين وزودهم بعبقريات وهاجة فى تاريخ الإسلام تضىء فى محمد بن عبد الله وصحبه وأبطاله ، وهذا لعمرى أجل فضل يؤديه الأديب للسيرة والتاريخ .

وما انتهيت من كتاب العقاد (عمرو بن العاص) حتى قلت : يا لله لمصر الخيرة ، ويا لمجد العرب فيها ! لقد ملكوها ردحاً من زمان فى عهد الفراعنة ، وكانوا رعاة إبل وغنم يسمون « الهيكسوس » ؛ وفتحوها فى عهد الإسلام ، وهم أهل دين وحضر ، وكانوا يسمون صحابة رسول الله !

(القاهرة) وداد سكاكينى

12me Année No. 563

Lundi - 17 - 4 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٦٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٧ أبريل سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـرس

صفحة
٣٢١ بين التخطئة والتصويب ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٣٢٤ الميل إلى الهدم وصراع الديكة بين الأدباء والفنانين ... } الأستاذ دريني خشبة ... ...
٣٢٦ التفاؤل ... ... : الأستاذ عمر الدسوقي ...
٣٢٩ وظيفة المرأة ... ... : الأستاذ حسين غنام ... ..
٣٣١ القرآن الكريم في كتاب النثر الفني .. ... . } الأستاذ محمد أحمد الغمراوى
٣٣٣ مطاردة ... ... } للكاتب الانجليزى تشارلز دكنز بقلم الأستاذ محمود عزت عرفة
٣٣٦ نقل الأديب . . ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٣٣٧ أين الطريق ؟ [قصيدة] : الأستاذ علي شرف الدين ..
٣٣٨ إلى الأستاذ سيد قطب . . : الأستاذ دريني خشبة . ...
٣٣٨ إلى الناقد الأستاذ دريني خشبة : الأستاذ حبيب الزحلاوى ...
٣٣٨ شعراء الشباب ... ... : الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٣٣٩ الدرذى لا الطرزى ... ... : الأستاذ إبراهيم علي أبو الخشب
٣٣٩ إن الغناء زاد الراكب ... : السيد عبد العزيز الرفاعي ...
٣٣٩ (١) الفلاحون ... .. } (د خ) ... .
(٢) روح التربية والتعليم
(٣) حدائق الأمثال العامية
(٤) من ميونخ إلى وارسو
٣٤٠ جريدة الإصلاح في عامها الثامن : .. ..
٣٤٠ استدراك . . . .

بين التخطئة والتصويب

في اللغة وغيرها

للأستاذ عباس محمود العقاد

عاد بنا الأستاذ « عبد الحميد عنتر » إلى قواعد الصرف في النسبة إلى أم وأمه وأمهة التي تحدثنا عنها في مقال سابق

فالأستاذ يقول « إن الهاء في سنة لم تقلب واواً في النسب كما قد يتوهم ، لأن هذه الواو مبدلة من تاء التعويض المشوب بالتأنيث ... والواو في سنوى ونحوه أصل من أصول الكلمة كانت حذفت وعوض عنها التاء ... »

إلى أن يقول : « وإذا ثبت بالدليل أن الواو في سنوى غير مبدلة من الهاء في سنة ثبت أن الهاء في أمهة لا يصح قلبها واواً ... » إلى آخر ما جاء في مقاله تخطئة « للأموية » في النسبة إلى أمه وأمهة

ورأينا أنه لم يثبت بالدليل أن الواو في سنوى أصل من أصول الكلمة محذوف ، وإلا لجاز على وجه من الوجوه أن يقال سنة وسناء وشفة وشفاء وعضة وعضاء ، كما يقال فرو وفراء ودلو ودلاء وجرو وجراء وحقو وحقاء ، إلى آخر هذا الباب

ومن الطريف في إضعاف الدليل الذي يعتمد عليه الأستاذ

عثر أن بعض العلماء بالعبرية يردون سنه إلى أصلها العبرى وهو « شنه » المؤلفة من ثلاثة حروف مجموعها بحساب الجمل ٣٥٥ وهو عدد الأيام في السنة القمرية . فالشين في هذا الحساب تساوى ثلثمائة والنون تساوى خمسين والهاء تساوى خمسة ، ولا محل هنا للواو ولا للتاء

فقول الأستاذ « ثبت بالدليل أن الواو في سنوى غير مبدلة من الهاء » لا يؤيده شيء وتنفيه أشياء ، وفي تعليلات النسب التي يعتمد عليها الصرفيون ما هو أضعف جداً من التعليل الذي اخترناه للنسبة إلى أمه وأمهة على اختلاف القول في أصل حروفها بل نحن لو ذهبنا إلى القول بأن الأموية والأبوية جائزة على الجوار لما كنا في قولنا أغرب عن المألوف من القول بالغدايا والعشايا لهذا الجوار بعينه ، أو للاتباع الذي هو أغرب من الجوار

***

لكن الخطر على اللغة في هذه الكلمة هين — بالغ في الهون — إلى جانب الخطر الأكبر الذي نحن متهمون بتعريض الإسلام له في كتابنا « الصديقة بنت الصديق »

أيدرى القارئ ما هو هذا الخطر الأكبر الذي يقوم له بعض الأناسى من أبناء آدم ويقعدون ؟

خطر لا يخطر على بال ، ولا نظنه بعد ذلك يثبت في بال

ذلك الخطر هو اجتهادنا في إثبات سن السيدة عائشة عند زواجها بالنبي عليه السلام ، لاستبعادنا أن تكون خطبتها في السادسة والبناء بها في التاسعة كما جاء في بعض الروايات ، فقلنا إنها ربما تجاوزت الثانية عشرة عند البناء بها ، معتمدين على الأسباب التي سردناها في الكتاب

والظاهر أن بناء النبي بفتاة تتجاوز التاسعة خطر لا تنام عنه بعض العيون التي تنام عن كل شيء

فلهذا يقوم بعض الأناسى من أبناء آدم ويقعدون ليدرأوا هذا الخطر الأكبر ويثبتوا جهدهم أن عائشة لم تتجاوز السادسة وهى مخطوبة ، ولم تتجاوز التاسعة وهى زوجة في بيت محمد عليه السلام

والبديع حقاً أن الغاضبين — أو الغاضب — لارتفاعنا بسن السيدة عائشة إلى ما فوق الثانية عشرة عند زواجها هو قاض شرعى ، فهو لا يقبل من مسلم من عامة الناس أن يتزوج بمن لم تبلغ السادسة عشرة ثم يثور ليؤكد أن محمداً عليه السلام بنى بزوجة في التاسعة أو ما دونها ، مع قيام القرائن التاريخية التي تدحض هذا التقدير

إن حقدك علينا لا يغض منا لأنه مقياس نعمة الله التي خصنا بها على رغم أنفك ، وإذا كان حقدك علينا فوق غيرتك على واجبك فأى مقياس لنعمة الله أبلغ في الدلالة من هذا المقياس ، وأحق بالشكران منا فوق هذا الشكران ؟

فالحمد لله . وزادنا الله ، وزادك ، مما أوجب هذه الهيجة التي لا تنام عنها عيناك

وقد كانت السيدة عائشة في الثانية عشرة على أقل تقدير ، ولم تكن قط في السادسة أو التاسعة كما تقول

واصرخ في واديك بعد هذا كما تشاء[1]

***

ويظهر أن هناك معركة أخرى تشملنى في حومتها خلال هذا الأسبوع ، كما نمى إلى من أسئلة بعض الأدباء

فهؤلاء الأدباء على ذكر مما كتبت أخيراً عن غرض الأدب وعلاقة الفنون بالمشكلات الاجتماعية ، وهو موضوع يختلف فيه اليوم كاتبان كبيران كلاهما له حق الرأى والتوجيه في هذه الشئون ، وهما الأستاذ أحمد أمين والأستاذ توفيق الحكيم

فالأستاذ أحمد أمين يقول : « إن الأدب العربى إلى الآن تغلب عليه النزعة الفردية لا النزعة الاجتماعية ، فالغزل والمديح والعتاب والرثاء والفخر والهجاء ونحوها كلها في الأدب القديم نزعات فردية طغت على الأدب العربى ولونته اللون الذي نراه ... وأرى أن العربى يجب أن يتجه من جديد إلى النزعة الاجتماعية ... أعنى نظر الأدباء إلى مجتمعهم الحاضر يشتقون منه رواياتهم

(١) في مقالنا التالى بحث عن الأعمار والتواريخ في الجاهلية مفصل لما أجلناه في هذا المقال .

وأقاصيصهم وشعرهم ومقالاتهم الأدبية . . . وهـذا النوع من الأدب يجب أن يكون أسلوبه سهلاً واضحاً جيلاً جهد الطاقة ، لأنه لا يؤدى رسالته حتى يصل إلى آذان أكبر عدد ممكن فى الحقيقة الاجتماعية »

والأستاذ توفيق الحكيم يقول : « إن استيحاء أساطير اليونان والرومان وامرئ القيس وشهرزاد هو النوع الأرقى فى الأدب . . . فى كل أدب . . . لا فى الماضى وحده ولا فى الحاضر ... بل فى الغد أيضاً وبعد آلاف السنين ... وإن اليوم الذى نرى فيه الأدب قد استخدم للدعايات الاجتماعية والتصوير استغل فى معارض الإعلان عن السلع التجارية ، والشعر جعل أداة لإثارة الجماهير فى الانتخابات السياسية — لهو اليوم الذى نوقن فيه بأن الإنسان قد كر فانقلب طفلاً يضع فى فمه تحف الذهن وطرف الفكر ، لأنه لا يدرك لها نفعاً غير ذلك النفع المادى المباشر . . هذا هو الفرق الوحيد بين الإنسان والحيوان » . . .

وقد سألنى أدباء فضلاء من قراء الرسالة : ما الرأى بين المذهبين ؟ وأى القولين فيه الخطأ وأيهما فيه الصواب ؟

وأقرب الوسائل عندى إلى الوجهة القصوى من هـذا الاختلاف أن نعود إلى الماضى البعيد لنرى على التحقيق الذى لا تردد فيه — على ما نعتقد — إن وجهة الأدب والأخلاق والشريعة جميعاً إنما تتقدم من الاجتماعية إلى الفردية ، لا من الفردية إلى الاجتماعية ، كما يؤخذ من مقال الأستاذ أحمد أمين

ولهذا كانت أغراض الأدب العربى فيما مضى هى الأغراض التى تعنى القبيلة ولا تعنى أفرادها على استقلال ، وهى الفخر والحماسة والمديح والهجاء والغزل والرثاء

فالفخر بالأنساب والأحساب سُنة من سنن القبائل البدوية التى تتفاضل بعراقة الأجداد والآباء

والحماسة مطلب لا غنى عنه فى حالة الصراع بين القبائل التى تتقاتل أبداً على المرعى والماء ومظاهر الجاه والغلب

والمديح والهجاء سلاح للقبيلة يرتبط به العز والهوان ، وتنظر إليه القبائل نظرتها إلى السلاح ؛ فتحتفل بظهور الشاعر كما تحتفل بالفرس الكريم والغارة الموفقة

وليس الغزل من المسائل الفردية التى تنفصل عن النوع والأمة والقبيلة ، وليس الرثاء كما عرفه العرب مطلباً فردياً ، لأنهم قلما نظموه فى غير السادة الذين ترثيهم القبيلة قبل أن يرثيهم الأقربون ، وليس ما نظم فى رثاء أخ أو صديق أو زوجة ببالغ عشر ما نظم فى الرثاء القبلى الذى يهم من الوجهة الاجتماعية مرات ، قبل أن يهم مرة واحدة من الوجهة الفردية

هذا فى الأدب جملة

أما فى الأخلاق والشريعة فحسبنا أن نذكر أن الرجل كان يقتل فى الترات لأنه فرد من أفراد القبيلة ، لا لأنه هو القاتل بيديه ، وحسبنا أن نذكر سنة الخلع لنعلم أن الخروج على حظيرة القبيلة هو بمثابة الخروج على حظيرة الشريعة والأخلاق

فاتجاه التاريخ الإنسانى متقدم من الاجتماعية إلى الفردية ، أو من التبعات والحقوق العامة إلى التبعات والحقوق الخاصة ، ومناط التقدم عندنا هو قدرة المجتمع على إخراج أكبر عدد من الأفراد لهم استقلال فى الحق والتبعة يعترف به العرف والقانون

كذلك نرى من جانب آخر أن الاهتمام بالحاجة المادية هو أقدم المطالب التى شعر بها الناس ، وليس هو بأحدثها وألزمها للانسان فى عصور التقدم والارتقاء

وأن أمل الإنسانية الأكبر لهو أن تصبح على توالى الأيام أقل اشتغالاً بالطعام والكساء ، وليس أكثر اشتغالا بهما كلما ارتفعت فى معارج الحياة ، وأن تنتقل من الشيوع إلى التخصص الذى يجعل بعض الناس مشغولين بعمل لا يشتغل به الآخرون ، ولا يجعلهم من كتاب وشعراء وفلاسفة واقتصاديين وتجار وزراع مشغولين بشؤون المعيشة فى عالم الواقع وعالم الفكر وعالم الخيال وعالم الأحلام

ومناط الفن الأعلى أن يتذوقه أرفع الناس ذوقاً وأدقهم حساً وأغزرهم علماً ، وليس أن تشترط فيه الملاءمة لأقل الناس فى جميع هذه الصفات

وقد أحسن الأستاذ الحكيم حين شبه المجتمع الذى يستخدم الفن للرغيف بالطفل الذى يضع الحلية فى فمه ، لأنه لا يحسن أن يتملاها بنظره

فلا بد من شىء فى الفن لا ينتهى إلى المعدة ولا يتوقف على الذين يعيشون للمعدات

لكن هل يفهم من ذلك أننا خطأنا الأستاذ أحمد أمين فى حرصه على المصالح الاجتماعية والمطالب المعيشية ؟

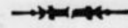
كلا . بل نحن مثله فى حرصنا على تلك المصالح والمطالب ، ولكننا نقول إن ظهور الفنون الخالصة فى بنية الأمة ضرورة حيوية لسلامة تلك البنية ، فإذا وجدت الفنون الخالصة فى الجو الذى يلائمها كان ذلك دليلاً على استكمال المطالب التى دونها فى مراتب الكمال ، كأنما هى الزهرة التى لا تؤكل ولا تشرب ، ولكنها إذا غابت عن الشجرة كان ذلك دليلاً على مصاب أحاط بالثمرات والقشور والأوراق والأحطاب

فالفنون الخالصة زهرة الأمة التى تنم على حياتها ، ولن تحيا أمة يكون فيها اختلال يعوق مصالح الأكثرين ومطالب المعدات والأجسام .

وعلى هذا نتفق جميعاً إذا اتفقنا على أن الفنون علامة صحة ونماء ، وليس من الضرورى بعد ذلك أن نطالب حمرة الخدين بفائدة مادية غير الدلالة على الجسم الصحيح

عباس محمود العقاد

الميـــل إلى الهدم
وصراع الديكة بين الأدباء والفنانين
للأستاذ دريني خشبة



يحيا الأدباء والنقاد ورجال الفكر والموسيقيون وسائر الفنانين فى مصر كما تحيا الديكة ... يعدو بعضها على بعض ، ويحاول أحدها أن يمزق جلد الآخر إن لم يستطع أن يقتله ... والناس مغرمون بهذا بالرغم مما ينطوى عليه من شر ، وما يفسر ما فى غرائزنا من نقص ، بل نكسة إلى الحيوانية ... فهم يقفون ليلتذوا صراع الديكة التى يدمى بعضها بعضاً ، وكلما ازداد هذا الإدماء ازداد التذاذ المتفرجين على حساب الآلام القتالة التى يألمها الطائر المسكين ، وقلّ فى الناس من يحمل قلباً يأنف أن يلتذ آلام الغير

ويلذ الناس فى مصر أن يشهدوا هذا الضرب من صراع الديكة بين الكتاب والنقاد ورجال الفكر والموسيقيين وأبطال المسرح وسائر الفنانين ... ثم بين المشتغلين بسياسة البلاد العليا من رجال الأحزاب بوجه خاص . على إنه إن جاز شىء من صراع الديكة بين رجال الأحزاب السياسية ، فلست أدرى لماذا يشتد هذا النوع من الصراع بين رجال الفكر والفنون ؟ هل قال أحد إن الحكومة ستنشىء وزارة للأدب ، فالأدباء يصطرعون عليها ؟ أم زعم زاعم أن الدولة سوف تنشىء للنقد المناصب العوالى فالنقاد يستمدون ويستمدون ويشرعون الأسنة والرماح ؟

١ — كتبت مرة كلاماً فى المسرح المصرى أدعو فيه إلى الوحدة والتعاون من أجل الخير العام ، ثم جعلت أشيد بالجهود الكبيرة التى بذلها فلان وفلان من أبطالنا المسرحيين ، فما أصبحت حتى زارنى بعض رجال أحد المعسكرات المسرحية ، ثم شرعوا يعاتبوننى معاتبة شديدة لأنى عددت هؤلاء الأبطال المسرحيين أبطالاً حقيقيين جديرين بأن تذكر أسماؤهم فى صفحات الرسالة ، بَله أن يشاد بجهودهم فيها ؟! ... ولقد كانوا يتدفقون حماسة وهم يقذفون فى وجهى بهذا العتب ، حتى كدت أركن إليهم شيئاً قليلاً لو لم يعجلوا بالانصراف . فلما انصرفوا ، لم يزد دهشتى إلا إقبال نفر من المعسكر المسرحى الآخر ، جاءوا للسبب نفسه الذى جاء من أجله إخوانهم السابقون ! وبالطبع لم يكن قدح هؤلاء فى أولئك أهون من قدح أولئك فى هؤلاء ! وبالطبع ، كدت أركن إلى هؤلاء كما أوشكت أن أركن إلى أولئك . . . وقلت فى نفسى : هذا سبب أليم من أسباب انحطاط المسرح المصرى !

٢ — وكتبت مرة كلاماً أدافع به عن الموسيقيين المصريين مما رماهم به الأستاذ توفيق الحكيم من جمود وعقم ، ثم ذكرت بعض أسماء هؤلاء الموسيقيين ، ولاحظت أن تمثل هذه الأسماء المدارس أو المذاهب الموسيقية المختلفة فى مصر ... فما أصبحت حتى زارنى بعض الأساتذة الأفاضل المشتغلين بالموسيقا ليخبرنى أنه يوشك أن يغير رأيه فِىّ ، لأنى أعد فلاناً وفلاناً وفلاناً من الموسيقيين أو الذين يعرفون شيئاً فى الموسيقا ؟! ... ثم انطلق ،

حفظه الله ، يبرهن لى على جهل هؤلاء الزملاء ، إن صح أن يتشرفوا بزمالة الأستاذ العظيم ، ثم انتهى إلى التصريح بأن الذين ذكرت هم سبب نكبة الموسيقا المصرية ، وأن فلاناً هذا صفته كيت ، وأن فلاناً ذاك نعته كيت وكيت ، وأن فلاناً الثالث دعى ولا وزن له ولا ... ولا ...

وقد كدت أيضاً أن أركن إلى الأستاذ المتحمس شيئاً قليلاً أو شيئاً كثيراً . وذهبت فى المساء إلى بعض من ذكرت فى كلامى الذى أثار صاحبى ، وانطلقت أعدد له الكثير من المآخذ التى حفظتها من زورة الصباح دون أن أذكر له أننى عرفتها من أحد ؛ لكنه ابتسم ابتسامة عريضة هادئة ، ثم قال : كلا يا صديقى ، عهدى بك جاهلاً بالموسيقى من حيث هى فن وعلم وتطبيق ؛ ولكنه كلام أحد غيرك قذفه فى أذنيك فأتيت تغيظنا به ... فمن ذا الذى زارك اليوم ؟ واعترفت له أن كلاماً ألقى فى أذنى عن الموسيقا وأننى ربما لم أفهمه . فلما ضاق بى لأننى لم أبح له باسم الصديق الكريم ، انطلق يسفه آراء القائلين بإلغاء الموسيقا الشرقية جملة ، وإحلال الموسيقا الغربية محلها ، ثم انتقل من التسفيه إلى التجهيل ، ومن التجهيل إلى السب ... يوجهه إلى أسماء بعينها . كان ظريفاً أن يجىء اسم الصديق الجليل بينها ، وأن يناله من غضبة الموسيقى المنفعل قدراً طيباً

فعجبت فى نفسى وقلت : وهذا أيضاً سبب أليم من أسباب انحطاط موسيقانا !

٣ — ويؤلف السادة من رجال الفكر فينا كتباً قيمة يسدون بها فى المكتبة العربية أركاناً خاوية فى كل علم وفن وأدب ، وهى كتب ثمينة قضى فى تأليفها هؤلاء السادة الكتاب أخصب ما ينفق المؤلفون من أعمارهم ... فهم مؤرقون والناس نيام ؛ يحبسون أنفسهم فى مكتباتهم أو فى دور الكتب يبحثون ويقرأون ويكتبون وينفقون المال والجهد فى سبيل حقيقة علمية أو طرفة أدبية ؛ بينما الناس يملأون الحدائق ودور اللهو البرىء وغير البرىء ، حتى إذا صدرت مؤلفاتهم تلقفها السادة النقاد أو بعض السادة النقاد ، وأقبلوا عليها ، كما يقبل الغريم على غريمه ، واقتعدوا منها مقاعد الأستاذية والمعرفة المتبجحة التى تدعى علم كل شىء والإحاطة بكل شىء ، حتى إذا تصفحوها عجلين شمروا عن سواعدهم المفتولة ، وشرعوا أقلامهم المسنونة ، ثم أخذوا فى الحط من أقدار المؤلفين والتأليف ، وبكوا أو تباكوا على هذا الزمن اليائس التعس الذى رخصت فيه أقدار العلم ، وهانت منازل الأدب . وذهبوا فى المبالغة إلى حد أن يتمنوا إن لم يكونوا قد شهدوا هذا الزمان العابث الذى يجسر فيه سادتنا الكتاب المؤلفون على إصدار ثمار قرائحهم ، غير عاملين حساباً لهؤلاء السادة النقاد المحترمين . وقد شهدنا فى الشهرين المنصرمين غير مأساة من مآسى النقد ، اضطر فيها المؤلفون إلى صراع الديكة إزاء النقاد الجائرين الذين جعلوا وكدهم كشف العورات وغض النظر عن الحسنات

ولا شك أن هذا السلوك من النقاد سبب أليم فى تأخر فن النقد فى مصر

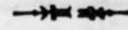
٤ — وأطلعنى الأستاذ صاحب « الرسالة » على كتب يحملها إليه البريد من مصر ومن الشرق العربى فيها قدح شديد فى بعض كتاب هذه المجلة ــ والله المحمود على أن كان نصيبى من هذا نصيباً طيباً ــ وقد هالنى ما تناول به أحد القراء أحدنا نحن الكتاب المظلومين من ثلب وانتقاص وتجريح ، لأنه غفل عن محاربة كذا وكذا من أفكار المؤلفين الغربيين التى يبشرون بها فى كتب وضيعة تقدح فى الشرق وفى أديان وعادات الشرق ، ثم ذكر حضرة القارئ المتحمس طائفة من أسماء هذه الكتب ، وأخذ على الكاتب المسكين عدم اطلاعه عليها . . . كأنما يظن أن لنا وكالات تتسقط أخبار هذه الكتب فى البلاد الأوربية فهى تصلنا بانتظام لكننا كسالى أو سيئو النية لأننا نعلم ما فى هذه الكتب ولا نأخذ أصحابها بالرد العنيف الذى يؤدبهم ويردهم إلى محجة الصواب

ألا ما أظلم الكثيرين من القراء ! حقاً إن القراءة فن لا يحسنه إلا الأقلون !

٥ — وخامسة الأثافى ، أو داهية الدواهى ، ما وقعت فيه من أسبوعين من الخطأ الشنيع ... فقد ذكرت فى كلمتى إلى أستاذنا الجليل (ا ع) طائفة غير قليلة من الشعراء الشباب فى مصر على أنهم بعض من يمثل شعرنا الحديث ، وكان هذا الخطأ سبباً فى إثارة بعض هؤلاء الشعراء الشباب أنفسهم ، فقد ساءهم أن تحشر أسماؤهم على هذا النحو الزرى فى ذلك الثبت الطويل من أسماء الشعراء

التفاؤل ... !

للأستاذ عمر الدسوقي



واحسرتاه على هؤلاء الذين حرموا سعادة التمتع بالوجود ، ورأوا الدنيا دار شقوة وعذاب ، وأن العالم يغص بالشر يكمن لهم فى كل ثنية ، ويطالعهم فى وجه كل إنسان ، ويرددون مع ابن الرومى قوله :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها وإنها ... لأفسح مما كان فيه وأرغد

ويتندمون على أنهم تنسموا هواء هذه الحياة فما فيها إلا إفك وبهتان ، وخب وخداع ، وأمراض وآلام ، لا يحقق فيها رجاء ، أو تصفو فيها مسرة ، ويقولون مع أبى الطيب أولاً :

وما الدهر أهل أن تؤمل عنده
حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل

ومع أبى العتاهية ثانياً :

ما زالت الدنيا لنا دار أذى ... ممزوجة الصفو بألوان القذى

إن أصابهم خير قالوا : ضحك القدر الساخر ، يعد فى أسباب النعمة الزائلة ، لتكون جراحاته أشد إيلاماً وأنكى وقعاً ، وأمض للنفوس لا تؤمن غوائله ، ولا تكف عواديه .

وإن مسهم شر ظاهر برموا بالحياة وودوا لو عجلتهم المنية ؛ وطفقت ألسنتهم تقذف بالسباب للدهر ، والسخط على القدر والناس طراً ، وتنم عن قلوب مشحونة بالغيظ والحسد واليأس ، والناس عندهم أحلاس مكر ونفاق ، فليس الحديث إلا أحبولة طامع وشرك منافق ، والاقتصاد فى زخرف القول خشونة ممقت واعتداد قوى

إذا ما الناس جربهم لبيب ... فإنى قد أكلتهم وذاقا
فلم أر فيهم إلا خداعاً ... ولم أر دينهم إلا نفاقا

هكذا يقول المتنبى فى بعض سخطاته علي العالم لأنه لم ينله طِلبته ويبلغه أمنيته ، بل نراه يحرص على الانتقام من البشرية :

ومن عرف الأيام معرفتى بها ... وبالناس روَّى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به ... ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم

والأرض وما فيها من زهر فواح ، وبحر رقراق ، ونسيم عليل ، وسماء صافية ، وشمس ضاحكة ، وطبيعة متبرجة ، لا تدخل على نفوسهم مسرة ، أو تقلل من نكدهم وعبوسهم ، بل إنهم ينكرون هذا الجمال ، فالسماء شوهاء ، والأرض جرداء

ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مُرًّا به الماء الزلالا

إذا بدا لهم أن يقدموا على عمل تملكتهم الرهبة ، وتوقعوا الخيبة ، وأوجسوا خيفة من كل شيء فيقدمون وقلوبهم مزعزعة وعقولهم مضطربة ، وقلما يصيب النُّجح من يخشى وتمثال الإخفاق والشر نصب عينيه

وما زلت عند رأيي من استجادة شعر هؤلاء الشباب ، وربما كنت أعرف بهم من حضرات زملائهم الناقمين ، لأن كثيرين منهم يتفضلون عليّ فيرسلون إلى طُرَفاً رفيعة من أشعارهم تدل على ما سيكون لهم من أثر فى الأدب المصرى عامة والشعر المصرى الحديث على وجه التخصيص ...

ولكن المضحك فى هذا الأمر غلو بعض من نقموا منى ذكر أسمائهم فى ثَبَت الشعراء هؤلاء ! لقد أقبل أحدهم ثائراً كالعاصفة و (نكش) شعر رأسه (نكشةً) أفزعتنى ، ولست أقول إلا الحق ! ثم راح يتهمنى بأننى أناقض نفسى حين أعلن استجادتى لشعر هؤلاء (الـ ...) — على قرب عهدى بالدعوة إلى تجديد الشعر العربى ، وما أطلت فى الكتابة عن وجوه هذا التجديد

فانظر أيها القارئ كيف انصرف هؤلاء الشعراء الشباب الأفاضل عن أستاذنا الجليل (ا . ع) الذى شوى جلودهم فلم ينبس منهم أحد بحرف ، إلى هذا القلم الضعيف الذى شرع نفسه للدفاع عنهم فرفضوا هذا الدفاع أو جحدوه لأنه أخطأ فذكر أسماءهم بين أسماء متواضعة ، غير لامعة ...

والظريف أن الذين أنكر عليهم صديقى (العاصفة) شاعريتهم كانوا شعراء من الطبقة الأولى عند صديق آخر سعى إلىّ ليعلن احتجاجه للسبب نفسه ... وقد حرت والله فى أمر هؤلاء الشعراء الشباب ، كما حرت من قبل فى أمر المسرحيين والموسيقيين والفنانين والكتاب والنقاد والقراء ... وأخشى أن أحار أخيراً فى أمر نفسى ...

يا رجال الفكر والفنونِ فى مصر ، بَعْضَ هذا الهدم ، ولا تكونوا : كالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله !

دريني خشبة

وما أدرى إذا يممت أمراً أريد الخير أيهما يليني
أألخـير الذى أنا أبتغيه أم الشر الذى هو يبتغيني

ولذا تراهم يلجأون إلى الخرافات والتطير يتخذون منها نُذُراً لما عساه يصيبهم من مخبآت القدر الذى ضعف إيمانهم به وثقتهم فيه، وهذا عنوان العقول التعبة والنفوس الخوارة العيابة

أحقاً أن الحياة نقمة لا نعمة، وأن نظام العالم مختل، وقانون الطبيعة معتل، وأن ليس فى هذا الوجود ما يحببنا فى الحياة؟ إن العالم بنظامه الحاضر — بشموسه وأقماره، وأرضه وبحاره، وما فيه من انسجام ونظام، أبدع عالم يمكن أن يوجد ما فى ذلك ريب. وحسبنا أنه هيئ ليعيش فيه الإنسان ويسخر كل ما يحيط به من بحار وشموس وجبال وحيوان، وأنه الحى المفكر يلمسها ويستخدمها ويتغلب بما أودع فيه من ذلك النور الربانى على الطبيعة العاتية، ويجتلى به أسرارها ليبرهن بحق على أنه خليفة الله فى الأرض، وأنه أهل لأن يحمل الأمانة التى أشفق غيره من حملها

ألا يرى هؤلاء المتشائمون أن صغار الأحياء من حَمَل فى الحقل، وطائر على الفنن، وطفل فى الملعب، تنهل كلها وتعل من نبع الوجود الصافى، وتغدو طربة وتروح مَرِحة، وأنها لا تشعر بأن الحياة شقوة بل تراها نعمة سابغة جديرة بأن يُستمتع بها، ويُحرص عليها؟

وإذا كان هناك من الكبار من لا يرى وجهها الفتان إلا نكداً مشوهاً، فذلك لأنهم لم يحيوا الحياة الطبيعية، أو أنهم حرموا فى طفولتهم الحب والعطف والحنان، فتأصل فى نفوسهم سوء الظن بالعالم، أو أنهم أخفقوا فى نيل مآربهم فخارت منهم العزائم وألقوا السلاح مفلولاً، وضجروا بمن حولهم وضاقوا بالدنيا ذرعاً، لما فى قلوبهم من أثرة مكينة رانت عليها، فأفسدت هناءتها وطوحت بطمأنينتها وجمالها لا ترى العالم إلا ظلاماً دامساً

ألا يحمد هؤلاء الله على أنهم لم يخلقوا حجارة على قارعة الطريق تحطم وتقذف وتداس، أو حيواناً أعجم يتألم ولا يستطيع الشكوى، كل أمله فى الحياة أن ينال ما يشبع بطنه، محروماً نعمة التفكير. إننا نبصر ونسمع، ونجرى ونتكلم، ونفكر ونضحك، ونمثل دورنا فى مأساة العالم التاريخية، وهذه نعمة خليقة بالشكران إلى الله واهب النعم، ولكن صدق الله حيث يقول: (وقليلٌ من عبادى الشكور)، ورحم الله المتنبى حيث قال فى ساعة رضاه:

ولذيذ الحياة أنفس فى النفـ ـس وأشهى من أن يمل وأحلى
وإذا الشيخ قال أفٍّ فما ملَّ (م) حياة وإنما الضعف ملّا

ألا يعلم هؤلاء أن الحياة يجب أن تلبس على علاتها، وأنها كفاح وجهاد، وصراع وجلاد، يفوز فيها من قويت منّته وعظمت عدته، ومن لا تطير نفسه شعاعاً ساعة الإخفاق، بل يجمع الهمة، ويشحذ العزيمة ليعاود الكرة، حتى تسير الدنيا إلى غايتها، فتثمر وتؤتى أكلها، وتسير حثيثاً فى سبيل الكمال

دون الحلاوة فى الزمان مرارة لا تختطى إلا على أهواله

وأولى بهم أن يقولوا مع الأخطل:

وكان قوى الهموم إذا اعترتنى زَمَاعاً لا أريد به بدالا

إن المتفائل هو الذى يبسم للحياة فى سخطها ورضاها، وهو الذى يرى فى الظلمة المطبقة عليه شعاعاً من الأمل ينير جنبات فؤاده، ويغمره بالثقة والإيمان. وليس من التفاؤل ادعاء أن كل شىء يسير على خير ما نرجوه بينما المصائب متحفزة أو غاشية، فتلك بلاهة لا تفاؤل، ومثل من يفعل ذلك مثل النعامة تخفى رأسها حتى لا ترى الخطر المحدق بها، ولكن المتفائل حين يرى الكارثة مقبلة يقدرها كالمتشائم تماماً ويحذرها حذره، بيد أنه يختلف عنه بشجاعته، وابتسامته، وتفكيره السريع المنتظم لتفاديها أو التغلب عليها، أما المتشائم فيجزع من هولها، وينكص على عقبيه فراراً منها وهيهات

يقول روبرت برونتج Robert Browing:

« إن المتفائل من لا يولى ظهره للحياة بل يسير فى شرعتها قُدُماً

هو من لا يرتاب فى أن السماء ستمطر بعد جدب
ومن لا يحكم بانتصار الباطل وإن رأى الحق منهزماً
ومن يعتقد أننا نكبو لنقال من عثرتنا، وننام لنستيقظ »

إن الإنسان يخلق نفسه بنفسه، فإذا اعتقد أن الحياة شقاء وتعس فهى كذلك؛ والفقير يعزى نفسه بالجنة، والغنى ربما اعتقد أن الله ساخط عليه فنغص ذلك عيشه. ويقول الدكتور جونسون: « إن نظرتك إلى الجانب المشرق من الحياة تساوى ألف جنيه فى العام »

إننا لا نجيد عمل شىء نرغم عليه، بل نتقن ما تحفزنا إليه الرغبة والشوق والحب، وما دمنا نعتقد أننا دفعنا إلى هذه الحياة

دفعاً لا حيلة لنا فيه ، وأنها فرضت علينا فرضاً ونحن لها كارهون ، وأننا نسير فيها على الرغم منا فلن نكون أبداً سعداء فى الحياة ، ولن يصيبنا منها إلا الخيبة والإخفاق والشر

إذا اعتقد الإنسان أن الحياة مغامرة تتطلب العزم الثابت ، والإرادة الصارمة ، والرأى الحصيف ، والثقة الحافزة — دع جانباً جمال الأرض الطبيعي ، وما تفيض علينا به الأسرة والأصدقاء من سعادة — نجح الإنسان فى فن الحياة وجنى أحلى ثمارها .

أما النكس الرعديد الذى يفرق منها ، ويعتصم بالاستكانة والخنوع فلن ينال إلا فتاتها

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه ... حريصاً عليها مستهاماً بها صبّا
فحب الجبان النفس أورده التقى ... وحب الشجاع النفس أورده الحربا

إن واجبنا نحو أنفسنا ونحو غيرنا أن نكون متفائلين .

إنك إذا طردت الوساوس والأوهام ، واقتحمت طريقك فى الحياة متذرعاً بالحب والشجاعة والإيمان سائراً وفق قانون الطبيعة السمح ، جليت لنفسك السعادة . وإذا أفضت من بشر نفسك وتفاؤلك على غيرك كنت ملاك الرحمة . يقول سدنى Sidney Smith : يشعر بعض الناس بالسعادة لأنه ذاقها مرة ، فإذا استطعت أن تجعل من حولك سعداء اليوم فسيشعرون بالسعادة عشرين عاماً ، إذ تغذيهم بها الذكرى الطيبة) . فعلى المتفائلين ألا يضنوا بالبشر والمرح الذى تفيض به نفوسهم على من يتصل بهم . ويقول : إن فرح الإنسان لا يكمل إلا إذا شاركه فيه سواه

لقد أصبح التفاؤل نظرية فلسفية خلاصتها : « اعتقاد أن الحياة خير ، ومن الممكن جعلها أحسن مما كانت ، وأن طريق ذلك هو الإيمان والأمل والحب » . أما التشاؤم فيعتقد أن العالم يسير نحو الانحلال والشر ، وأن الحياة مقبرة الآمال والسعادة ؛ والمتشائم الذى ينشر آراءه هذه بين الناس يساعد إبليس فى إضلاله .

إن هؤلاء الذين يخافون المستقبل ، ويتأسفون على الماضى يخلقون جواً فاسداً لغيرهم من الناس ، جواً خانقاً لهم قاتلاً لصحتهم مطوحاً بطائفتهم إلى الهاوية

ومن الممكن أن نصير متفائلين بالعادة والمران ؛ فالتفاؤل عادة السعادة والشكر . لماذا نكره الحياة وهى كما يقول ستيفنسن : « الحياة تغص بكثير من الأشياء التى تجعل الناس كلهم سعداء » . لو فكر الإنسان أنه دون غيره فى هذا الوجود يجد متعته فى القراءة والموسيقى وفى الصور وفى الفنون ، وأن حديثه ليس عن الطعام والشراب فحسب ، ولكن حول الطبيعة والعلم والدين والفلسفة والتاريخ ، وأنه طلعة لمعرفة الماضى ، والكشف عن المستقبل ، وأنه مهتم بالحاضر ، وجب عليه أن يقول :

مهما كنتُ فعندى من أسباب السرور والفرح ما يوجب عليّ الشكران لله . من أنا حتى أغمر بفضل الوجود ؟ وما الذى جعلنى أستحق هذه النعمة أن أنظر الشمس فى الربيع الطلق أو السماء فى الليلة الصافية ، أو البحر العريض ، أو الجبال تكسوها الغابات الخضر وتحلى قممها الثلوج ، أو أتمتع بوجه أمى وطلعة أولادى ؟ لا شىء !

إن المتشائم لا يعتمد على العقل فى حل مشاكله ، بل يعتمد على الغرائز البهيمية ، لأن العقل مشلول من الجزع والرعب وسوء الظن والنظرة الحالكة إلى العالم . إن اليأس يملك عليه لبه ، والحطيئة يقول : « ولا ترى طارداً للحر كاليأس »

إن المتفائل لا يعتقد أن حياته تنتهى بالموت ، ولكن هناك حياة أخرى ، وما الموت إلا باب الخلود ، وإن النفس خلقت لتعرض يوماً على الله ، ولهذا لا يجزع المتفائلون من الموت بل هو حادث طبيعى ، وإذا كان ثمت ألم فلفراق ما ألفناه ، ولكنه لا يوجب اليأس ، ورحم الله أبا الطيب حيث يقول :

إلف هذا الهواء أوقع فى النفـ ... ـس أن الحمام مُرُّ المذاق
والأسى قبل فرقة الروح عجز ... والأسى لا يكون بعد الفراق

ما أحوجنا فى هذه السنين المدلهمة ، وقد طغت الخطوب ، وفاضت الكوارث على العالم ، أن نستعصم بالإيمان والأمل والحب ، فنخفف عن أنفسنا ومن حولنا آلام المحنة العالمية ، حتى تنجلى الغمة ويشرق وجه الحياة فى ظل السلام والدعة !

عمر الدسوقى

وظيفة المـــرأة

للأستاذ حسين غنام

تلخيص بعض آراء الكونتيس أف أكسفورد فى كتابها « من السجلات »

من أقوى غرائز المرأة طموحها …

ومن أقوى غرائزها كذلك حبها الإطراء والإغراء والتملق والرياء …

وكثيراً ما كان التقرب إلى المرأة بالكذب والتغرير سبباً فى سقوطها أو حيدتها – على الأقل – عن طريق الصواب

وفى مصر بعض المجلات الأسبوعية لا تفتأ تتغنى بالمرأة وتضرب على ذلك النغم الذى يحبه النساء ويغرمن به ، وهو محاولة دفعهن فى طريق الرجال ، وإن تكن تلك المحاولات فاشلة من بداءتها ، إلا أن المرأة لا تلبث أن يأخذ منها الغرور مأخذه . . .

وأكثر هذه المجلات دعوة إلى تملق النساء ، هى مجلة أسبوعية تخرج كل أسبوع بجديد من هذا النوع

وآخر محاولة لها فى هـذا السبيل طلبها للمرأة المصرية ما لم تفكر فيه المرأة فى أرقى الأمم الغربية ، بل ما تخجل من التفكير فيه ، بله المطالبة به !

وكأن هؤلاء الكتاب لم يكفهم مزاحمة المرأة للرجل فى كل عمل ، حتى كانت سبباً فى بطالة الآلاف بل الملايين من الرجال ، وحتى خلقت مشكلة لبحاث السياسة والاقتصاد يحاولون حلها بعد هـذه الحرب ؛ لأن المرأة سترفض أن تنكمش فى بيتها الذى خلقت للعمل فيه ، والانصراف إلى العناية به . وستطالب بما اكتسبت فى هذه السنين وما ظنته حقاً من حقوقها !

وطالب هؤلاء الكتاب عن طريق خفى ، وهو طريق الإغراء فى أسلوب مستور أن يكون للمرأة نصيب فى حكم البلد عن طريق الوزارة !

وقد كان من نتائج مثل هذه الدعوات أن أسست بضع سيدات مصريات حزباً سياسياً نسائياً فى مصر . وكأنما لم يكفهن ما فى مصر من أحزاب الرجال السياسية العديدة ، التى حاول الكثيرون حلها أو الإقلال منها ، فقمن أيضاً بهذا العمل الجرئ ، ولكنى لا أرده إلا إلى دعوة هؤلاء الكتاب وأمثالهم

ويبـدو أن هؤلاء الكتاب لم يعرفوا واجبهم . . .

وفى مصر تكاد أغلبية الشعب لا تعرف واجبها ، ما لهـا وما عليها ، وعذرها فى ذلك الجهل . أما هؤلاء الكتاب فليسوا جاهلين وإن تجاهلوا . . . فنحن المصريين – مهما كابرنا – لا يمكننا إلا أن نعترف بأننا متخلفون عن غيرنا من الشعوب الراقية ، وخاصة الشمالية منها . . . فإذا قامت المرأة المصرية فى هذا الوقت تطالب بمـا تسميه حقها فى الانتخاب ، وفى مجلس النواب ، وفى الوزارة ، أضحكنا الشعوب الراقية منا …

سيضحك بعض هؤلاء الكتاب من كلامنا هـذا ، وسيرموننا بالرجعية ولا شك ، وقد لا يفهمون أن ما يدعون إليه هو الرجعية بعينها ، لأنه لا يتفق وناموس الطبيعة ، ولا يساير أى عصر من العصور ، ولا نهضة من النهضات ، اللهم إلا فى حالات نادرة جداً . . . فهل يمكن أن نقيس حضارتنا الراهنة بحضارة الإنجليز اليوم ؟ لا أظننا نكابر فى هذا ؛ ولكن الإنجليز – رجالاً ونساء – يفهمون واجبهم على وجهه الصحيح

وقد قامت إحدى كبيرات السيدات فى المجتمع البريطانى ، وهى الكونتس أوف أكسفورد واسكويث ، بوضع كتاب سمته « من السجلات »[1] ، رسمت فيه دستوراً للمرأة الإنجليزية الحديثة ؛ بعد أن رأت انصرافها بالتدريج عن شئون منزلها وسعيها وراء الوظيفة ومزاحمتها الرجال ، حتى فى كبار الوظائف

فهى فى كتابها هذا تقول إن واجب المرأة هو أن تتفرغ لشئونها التى خلقت لها ، ولوظيفتها الطبيعية ، وهى الزوجية

فالزوجية فن ؛ وفاتحة هذا الفن هى ممارسة الحب بين الزوجين . فالحب ، وإن لم يوجد بين الزوجين ، لاختلاف بينهما فى الميول والعادات والمشارب والطباع ، تستطيع الزوجة الذكيـة

(١) هى Countess Of Oxford and Asquith فى كتابها المسمى Off The Record ، وناشره هو فردريك مولر

العاقلة أن تخلقه، وأن تمارسه، وأن تجعل بينها وبين زوجها رابطة متينة إن لم تكن حباً حقاً كانت صداقة عظيمة وعشرة صادقة وألفة متبادلة؛ لا تقوم على الرياء، ولكن على صفاء، لأن الحب يتولد مع الزمن ما دامت الرغبة فيه موجودة

وهذه الزوجة تستطيع أن تجعل من بيتها جنة. مهندسها هذا الفن الجميل العظيم، فن الزوجية

والمرأة لم تخلق للوظيفة أو لعضوية البرلمان أو لرآسة الوزارة ولكنها خلقت لما أهلتها له الطبيعة

وقد شرحت هذه الآراء فى كتابها، ونحن نلخص بعضها فيما يلى:

« لقد كتب الكثير من الهراء حول جنس النسوى، وعند ما ادعى النساء مساواتهن بالرجال لم أباليهن فى رأى كهذا الرأى؛ فالنساء لا يختلفن عن الرجال فى تكوين الجسم فحسب، ولكن فى عقولهن كذلك، وأكاد أضيف إلى هذا أخلاقهن أيضاً. ولعل هذا القول يبدو غريباً على القراء، ولعلهم يقولون إنه بينما يرون معظم النساء مهذبات، فإن أغلبية الرجال على النقيض من ذلك، ولكني أعجب من هذا، ولا أظنه حقاً

إن الرجال وحشيون، ولكن النساء أغلظ قلباً من الرجال وأقسى، وإنى لأعرف كثيرات من النساء جعلن من بيوتهن جحيما لا يطيقه أزواجهن، وذلك بثرثرتهن وتفيهقهن الذى لا يكاد ينتهى. فإذا عاشرت زوجة لا تفتأ تفحمك بمثل هذه الأسئلة دائماً: أين كنت؟ ماذا صنعت؟ من رأيت؟ وغيرها من آلاف الأسئلة الجافة العجيبة، فإن حياتكما ستنتهى بالطلاق الحتم

ولكن إذا فطنت سيدة إلى أن زوجها على وشك أن يحب امرأة أصغر منها، وربما كانت أكثر جاذبية منها، فيجب أن تختلف أسئلة الزوجة وتتغير حتى لا تشعر زوجها بمثل ما يشعر به عند إلقائها الأسئلة السابقة، كأن تقول له مثلاً: لقد أخبرتنى أنك ربما خرجت من عملك اليوم مبكراً، فسررت لهذا كل السرور، فقد كنت تبدو هذه الأيام منهوكا تعباً، والرجال المرهقون فى أعمالهم لا يسرون بها ولا يحبونها

فيرد الزوج: هذا حق؛ إنهم لا يحبونها

الزوجة: لقد أملت أن تكون بصحبة (السيدة أو الآنسة فلانة) وقضيت معها أصيلاً سعيداً. إنى لم أرها إلا لماماً، ولكنك عند ما قدمتنى إليها رأيتها ساحرة جميلة! وظنى أن من حقك أن تراها كلما استطعت إلى ذلك سبيلاً. لماذا لا تدعوها لتقضى معنا بعض الوقت فى الريف عندما نترك لندن أيام عطلتنا؟ أليست هذه فكرة جميلة؟

الزوج: أمتأكدة أنك ستحبين ذلك؟

الزوجة: طبعاً سأحب ذلك. فإذا أحببت أن تكون سعيداً، فهذه أمنيتى كذلك. إن زواجنا لم يكن ما يسميه الفرنسيون زواجاً نفعياً، ولكن زواجنا بنى على الحب

وسيؤخذ الزوج بهذه الفكرة، وعندئذ يدعو صديقته لقضاء عطلاتها فى الريف معهم، والزوجة العاقلة ستتركهما ولا شك معاً فى أغلب الأحيان، وكلما وجدت فرصة لذلك. فإذا مر بعض الوقت عليهم هكذا بدأ الزوج يمل هذه الخلوات وأخذ يحن إلى الانفراد بزوجته فقط

(البقية فى العدد القادم)

صبحى غنام

٢ – القرآن الكريم
فى كتاب النثر الفنى
للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

ألف زكى مبارك كتابه النثر الفنى كأنما أراد أن يزلزل به الزمان نخرج فيه على الإجماع فى أمر القرآن

وعلماء العربية – والأئمة المجتهدون منهم – مجمعون طوال تلك القرون على أن القرآن معجز . وأول شرائط الإعجاز التنزه عن كل ما يمكن أن يعد عيباً فى الكلام ، وإلا لأمكن لبليغ أن يستدرك على القرآن . من أجل ذلك لم يؤثر عن عالم من علماء العربية الذين تعرضوا لنقد الكلام الفصيح أن ذكر شيئاً يمكن أن يعد عيباً حين تكلم عن القرآن ؛ لكنك حين تأخذ فى أول فصل من فصول كتاب زكى مبارك ، فصل نقد النثر الفنى ، تجده فى أول صفحة منه يعيب على علماء العربية أنهم حين تعرضوا لنقد القرآن لم يذكروا إلا المحاسن ، فنقدهم من أجل ذلك ليس فى رأيه بالنقد الصحيح ! اقرأ له إن شئت قوله من صفحة ١٧ :

« وليس فى اللغة العربية كتاب منثور شغل به النقاد غير القرآن . على أن شغل النقاد لم يكن عملاً فنياً بالمعنى الصحيح للنقد الأدبى ؛ فقد كان مفروضاً فى كل من يكتب عن القرآن أن يظهر عبقريته هو فى إظهار ما خفى من أسرار ذلك الكتاب المجيد ، وليس هذا من النقد فى شىء . وإنما النقد أن يقف الباحث أمام الأثر الأدبى موقف الممتحن للمحاسن والعيوب . من أجل ذلك وسم أكثر ما كتب عن القرآن باسم الإعجاز لأن النقاد اطمأنوا إلى أن القرآن هو المثل الأعلى الذى تقف عنده حدود الطبيعة الإنسانية فى البلاغة والبيان »

فما رأيك فى مذهب صاحب هذا الكلام فى القرآن ؟ أتراه يطمئن إلى ما اطمأن إليه النقاد ، أم تراه مخالفاً لهم يرى فى القرآن عيوباً لم يروها ولا يمكن أن يراها بصير منصف لأنها غير موجودة فى القرآن ، فعابهم بأنهم لم يذكروا إلا المحاسن ، وأن نقدهم من أجل ذلك غير فنى ولا صحيح ؟

وعبارته تلك فيها أكثر من مأخذ من ناحية الدقة ومن ناحية الخروج . فهو غير دقيق فى حكاية مذهب النقاد فى تقدير بلاغة القرآن ، فإن مذهبهم أعلى كثيراً مما نسب إليهم وحكى عنهم ، لأنهم يجعلون القرآن فوق طاقة البشر ووراء حدود الطبيعة الإنسانية فى البلاغة والبيان ، وهو يجعله فى مذهبهم عند حدود الطبيعة الإنسانية ، وما كان عند الحدود أمكن بلوغه وإن احتاجت الطبيعة الإنسانية إلى أقصى غايتها وأقصى مداها كى تبلغه . وهو معنى لم يقصد إليه النقاد طبعاً ، كما لم يقصد زكى مبارك بنسبته إليهم أن يظلمهم ، وإنما هى قلة دقة منه فى التعبير عنهم ، فالقرآن عندهم هو المثل الأعلى الذى تقف دونه – لا عنده – حدود الطبيعة الإنسانية فى البلاغة والبيان

كذلك هو غير دقيق فى قوله إن أكثر ما كتب عن القرآن وسم باسم الإعجاز ، ولو قال باسم إعجاز القرآن لأصاب الدقة والصحة التاريخية معاً ، لأن إعجاز القرآن عندهم من الثابت المسلم ، فمن المعقول إذا كتبوا فى بلاغة القرآن أن يبينوا ذلك الاعجاز ودلائله ، وأن يطلقوا على ما يؤلفون فى ذلك فى الكثير الغالب اسم إعجاز القرآن

أما خروجه فى تلك العبارة على علماء العربية وعلى الإجماع فكما رأيت . فالنقد عنده أن يقف الباحث أمام الأثر الأدبى موقف الممتحن للمحاسن والعيوب . وهذا صحيح ولكن فى نقد كلام الناس لا كلام الله : لو كان القرآن كلام بشر لكان أثراً أدبياً لصاحبه ، ولجاز أن يكون بإزاء المحاسن عيوب يبحث عنها النقد . أما وهو من كلام خالق البشر أنزله سبحانه معجزة لرسوله وتحدى به كل شاك فيه من العرب وغير العرب ، بل تحدى به الجن والإنس على اختلاف العصور ، فكيف يمكن أن يقف الناقد أمامه إلا كما يقف العالم أمام آية من آيات الله فى الأرض أو فى السماء ؟

إن العلم حين يقترب من آيات الله فى الخلق يقترب اقتراب المنقب عن سر مودع ، لا الباحث عن عيب . يقترب اقتراب العابد لا اقتراب الناقد ، فإذا وقف على ما يعقل ويفهم عد ذلك

من التوفيق واتخذه نبراساً ودليلاً فى بحثه عن سر ما لا يفهم ، ولا يخطر له مطلقاً أن يحسن الظن بنفسه ويسىء الظن بالفطرة إذا تعارض رأى له مع شىء من الواقع فى الفطرة ، فهو يأخذ الواقع كما يجده ، وينبذ من الرأى ما لا يتفق معه وإن عز . ومن هنا ينتقل العلم من ظفر إلى ظفر ويكشف عن سر بعد سر ويزداد قوة على قوة . ولو فعل غير ذلك واقترب من الفطرة يفترض عيوباً فيها يتطلبها لوقف ولفسد ولضل ، ولأصبح فصلاً من فصول الأدب الذى يريد الدكتور زكى مبارك . والفطرة هى الفطرة فى عالم المادة أو فى عالم الروح ، وفاطرها هو هو سبحانه ، يتقرب إليه عباده بدراسة آياته ، أينما وكيفما تكون ، بروح الخاشع الملتمس الهدى المبتغى الوصول . فإذا كانت حكمة الله ورحمته قد اقتضت أن يجعل للانسان بإزاء الآيات التى لا نهاية لها فى عالم المادة والعلم آية واحدة عظمى فى عالم الروح والأدب ، ألا وهى كتابه المنزل على خاتم رسله وصفوتهم ، أفيكون من المعقول أن يقترب الإنسان من آية الله هذه بغير الروح التى يقترب بها من آيات الله تلك ، وينظر فى كلمات الله المودعة فى قرآنه بغير روح الخشوع والإجلال وطلب الهدى التى ينظر بها فى كلمات الله المودعة فى خلقه؟

إن القرآن كلام الله كما أن النبات والحيوان والكواكب من كلماته ، وإن اختلف فى كلٍّ الخطاب . بكلٍّ خاطب الله عباده ، وعن كلٍّ أعجز الله خلقه أن يأتوا بمثله ، بعضه أو كله ، ليكون عجزهم دليلاً لهم وحجة عليهم ، وعن كل عجزوا . أفيدرس الناس آيات الله فى النبات والحيوان والكواكب لا يتوقعون عيباً ولا يرون إلا كمالاً يتفاقم ويزداد فلا يجد زكى مبارك فى ذلك ما يلزمهم به ، ولا يعد علمهم لذلك علماً غير صحيح ، حتى إذا درسوا آيات الله فى القرآن العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلم يتوقعوا نقصاً ولم يروا عيباً ولم يجدوا إلا كمالاً وجلالاً وإعجازاً ، لزهم وهمزهم وقال لم يذكروا إلا المحاسن كأن هناك بجنب المحاسن عيوباً كان عليهم أن يذكروها وإلا كانوا غير نقاد ؟

إن العهد الذى كان ينظر فيه فى القرآن نظر تطلب للعيوب قد مر بالفعل ، مر إلى غير رجعة . والذين نظروا فى القرآن تلك النظرة التى يدعو إليها الآن الدكتور زكى مبارك كانوا أقدر من منه ألف مرة على إدراك عيب لو وجدوه ، وأبصر بنقد الكلام ، لأنهم كانوا أهل العربية الفصحى رضعوها ودرجوا عليها و نُشِّئوا فيها وأحكموها شباناً وشيباً رجالاً ونساء ، فكانوا يصدرون فيها عن بصيرة وفطرة ، كما لا يمكن أن يصدر الدكتور زكى مبارك أو يبصر مهما تكلف واجتهد واحتفل . وما منهم من أحد إلا ونظر – قبل أن يسلم – فى ما بلغه من القرآن نظرة ناقد خبير فاحص يلتمس الوهن والعيب ، فلما لم يجد عيباً ولم ير إلا كمالا باهراً وإعجازاً ظاهراً سلَّم وأسلم . فكل عربى كان مشركاً ثم أسلم شاهد صدق على أن القرآن فوق القوى والقدر ، مبرأ منزه فى جملته وتفصيله عن النقص والعيب . فأى كتاب أو أى كلام لقى من النقد ما لقى القرآن ، وعُرض من أهل العلم والفن على مثل من عرض عليهم القرآن كثرة ومقدرة وخبرة ، وفاز ببعض ما فاز به القرآن من التسليم له والإيمان به والجهاد بين يديه ؟ أفيقال بعد ذلك إذا أقبل علماء العربية عليه يتطلبون أسرار كماله كما يتطلب علماء الفطرة أسرارها ، أن فهمهم لم يكن بالفن ونقدهم لم يكن بالنقد ، لأن كلا منهم كان يظهر عبقريته فى إظهار ما خفى من أسرار ذلك الكتاب المجيد ؟

أظن النص الذى قدمته من صدر أول فصل فى النثر الفنى كافياً فى إثبات دعواى على صاحب النثر الفنى أنه يدعو إلى نقد القرآن . وليس هو بالنص الواحد الذى فى الكتاب فى هذا الباب ؛ فهناك فى الجزء الثانى فى ترجمة القاضى أبى بكر الباقلانى نصوص لا تقل دلالة عن النص السابق . ففى صدر ذلك الفصل يقول مؤلف النثر الفنى (ص ٦١) :

« إن الباقلانى ومعاصريه رأوا أن فى الإمكان أن يوازنوا بين قصيدة من الشعر وسورة من القرآن وإن لم يتحد الموضوع » وهم لم يفعلوا ولم يوازنوا بين قصيدة وسورة ، لأنهم كانوا أبصر بالنقد وأرعى لحرمة القرآن من هذا ، ولكنهم تعرضوا للشعر ونقدوا بعض عيون قصائده ، مبينين عيوبها غير مغفلين محاسنها ، كما فعل القاضى رحمه الله ، وكما ينبغى أن يفعل الناقد البصير حين يتعرض لما فيه محاسن وعيوب . أما القرآن فقد كانوا يعلمون عن بصيرة ويقين أن محاسنه فوق أن يحيط بها علم عالم أو نقد ناقد ، فكانوا يكتفون بالبحث العام فى وجوه الإعجاز موضحين آراءهم بالأمثلة يضربونها من بعض الآيات وبعض السور من غير قصد إلى مقارنة أو موازنة حيث الفرق هائل والبون شاسع بعيد

ثم يقول صاحب النثر الفنى فى نقد الباقلانى وأمثاله :

من روائع « دكنز »

مطاردة ...

للأستاذ محمود عزت عرفة

تقديم :

عاش تشارلز دكنز فى انجلترا بين عامى ١٨١٢ و ١٨٧٠م . وكان كاتباً روائياً مبدعاً ؛ ومصلحاً اجتماعياً ثابت القدم فى ميادين الإصلاح ، شديد المعارضة فى التنديد بمساوئ المجتمع ، وكشف مواطن الشر والرذيلة فيه

قصر أعظم جهوده على كفاح الفقر والبؤس والتشرد والجهالة وما إليهن ، وحمَّل المجتمع ونظمه الجائرة وِزْرَ تفشى هذه الأدواء الموبقة على عهده

وروايته : مغامرات أوليفر تويست « Oliver Twist » — وقد نُشرت عام ١٨٣٨ — تعد نموذجاً كاملاً لحملته فى هذا الاتجاه(١) ، ففيها يعالج مشكلة الأطفال المتشردين علاج الطَّب الخبير . وأوليفر — فى نظرنا — هو النموذج التام للانسان البائس ، الذى تلفظه الحياة ويأبى عليه المجتمع إلا حياة التشرد والذلة . ولكنه — على حد قول بعض النقاد الإنجليز — « يجتاز هذه العوالم من الرذائل والشرور دون أن يقع فريسة لها ، أو يروح ضحية لمغرياتها وتجاربها »

وهذا الفاصل شبه المستقل الذى نترجمه من الرواية ، يربنا أوليفر أولَ مقدمه إلى لندن (وهو غلام فى مبدأ العقد الثانى من عمره) وقد وقع فى شرك عصابة من اللصوص يحرك أفرادَها من الغِلمة الطرَّادين ، يهودى عجوز يُدعى فاجين Fagin

ونأمل كثيراً أن يلحظ القارئ مبلغ الشبه بين حوادث هذا الفصل ونظائره مما يمثل حتى اليوم على مسارح الشوارع فى بعض مدائننا الكبرى !

وإذا كنا نعالج الآن بقايا مشكلات كتلك التى عالجها الغربيون منذ مائة عام ، فأملنا وطيد فى أن نحلها كأحسن ما حلوا ، وأن نغير من أثرها فينا كأفضل ما غيروا ، والله يتولانا بهديه وتوفيقه ...

الترجمة

انطلق الفتيان الثلاثة مهطعين : المراوغ « The Dodger » فى إزاره الكميش وقبعته مثلثة الإطار ، كما هو شأنه دائماً .

(١) أنظر مقالتينا عن : (تشارلز دكنز . مواهبه وخصائص فنه) المنشورتين فى العددين ٥٢٠ و ٥٢٢ من هذه المجلة . بتاريخ يونية ويولية عام ١٩٤٣ م

« وهذا النحو من النقد يعد من المحاولات البارعة فى الأدب العربى ولا عيب فيه إلا التحامل والإسراف » ! ثم يحاول أن يوهم القارئ أنه هو يصدر عن غير تحامل وإسراف وأنه يحكم بالعدل بين فريقين ، فيمضى بقول : « فإن خصوم القرآن كانوا يأبون إلا الوصول إلى شواهد يحكمون لها بالفضل ، والباقلانى كان يعمد إلى القصائد التى يعرف فيها الضعف ليصل دائماً إلى الحكم للقرآن بالفضل » ص ٦٢

وهو لم يأت بمثل لما كان يفعل خصوم القرآن ، كما أنه يعلم أن الباقلانى فى كتابه إعجاز القرآن لم يتعرض إلا لما أجمع أهل الأدب أنه من عيون الشعر كمعلقة امرئ القيس ، لكن صاحب النثر الفنى فى سبيل مذهبه لا يبالى أن يفترى على الباقلانى ، ولعله افترى على من سماهم خصوم القرآن

ثم يمضى الدكتور زكى مبارك فيقول : « إن الذى يوازن بين قصيدة من الشعر وسورة من القرآن يجب أن يكون مستعداً للحكم بالعدل . وهذا لا يتيسر لناقد يرى من همه أن يبحث عن مساوئ القصيدة ويطمس محاسنها أو يتجاهلها أو يغض من قيمتها ، وهو فى مقابل ذلك يجد فى البحث عن محاسن السورة القرآنية وإبراز مزاياها ، ولا يستبيح لنفسه التفكير فى وضع ألفاظها أو معانيها أو أغراضها أو أسلوبها موضع النقد . وهذا كاف فى تجريح ما هموا به قديماً من الموازنة بين أثرين أحدهما من الشعر وثانيهما من القرآن »

وهذا أيضاً كاف فى إثبات ما ادعيناه على الدكتور زكى مبارك من دعوته إلى نقد القرآن ، وهو أول أدلتنا على ما اتهمناه به فى أمر القرآن

محمد أحمد الغمراوى

ومستر باتس يسير الهوينا وقد دس يديه فى جيوبه . ثم أوليفر يتوسط الفتيين وهو يسائل نفسه فى عجب عن وجهتهما

وكان الثلاثة يدلفون من طريق ضيق إلى الميدان الرحيب المسمّى (ذى جِرين) — قرب كاير كنُوبل — عند ما توقف المراوغ فجأة ، معترضاً بسبابته فمه ، مجتذباً إليه رفيقيه فى حرص وحذر

وهتف أوليفر : ما ذا جرى ؟ ! ...

فأجاب المراوغ : صه ، أما ترى هذا العجوز الواقف لدى المكتبة ؟

قال أوليفر : آلسيدُ الهرم الذى هنالك ؟ ... نعم أراه

— إنه طلبتنا !

فقال مستر تشارلى باتس : يا لها من ثمرة مبكرة !

وأدار أوليفر نظره بين الفتيين فى عجب بالغ ، ولكن لم يُتح له أن يشفى غليله بسؤال ؛ إذ سرعان ما رآهما يعبران الطريق فيتسللان خلف الرجل مقتربيْن منه . وتبعهما أوليفر عن كثب وهو موزع القلب بين إقدام وإحجام

كان السيد شيخاً وقور الهيئة أشيب الرأس ذا منظار ذهبى ، يرتدى سراويل بيضاء وسترة دكناء الخضرة موشاةً بنيقتها بالمخمل الأسود ، وقد تأبط عصاً أنيقة من الخيزران الهندى

وكان قد ابتاع كتاباً من الحانوت ثم توقف منهمكا فى قراءته كما لو كان مستقراً على مقعده الوثير فى قاعة مطالعته الخاصّة !

ومن المحتمل كثيراً أن يكون قد توهم نفسه كذلك ؛ إذ كان من الواضح أنه لم يعُد يعير الحانوت ولا الشارع ولا الصبية التفاتاً . وبالجملة لم يكن يحس وجود شىء إلا الكتاب نفسه ؛ وقد أقبل على مواصلة النظر فيه ، فما يفرُغ من صفحة إلا ليستأنف القراءة فى أخرى ... وعلى وجهه سمات واضحة من الشغف والاهتمام

وبدت رهبة أوليفر وذعره بالغين حدهما — وهو واقف على مدى خطوات مشْدوه العينين — حينما أبصر المراوغ يدس يده فى جيب السيد فيستل منه منديلاً يدفعه إلى تشارلى باتس ، ثم ينطلق الغلامان صوبَ أول منعطف من الطريق فى سرعة هائلة

وفى لحظة واحدة تكشف أمام عينيه سر هذه المناديل والساعات والجواهر التى طالما شهد الصبية يقدمون بها على « فاجِينَ » فى مسكنه

ووقف برهة وقد تنزى الدم فى عروقه رعباً وفزعاً ، حتى أحسَّ كما لو أن ناراً تلتهمه . ثم استدار على عقبيه فى ارتباك ووهَل ، وراح يطلق ساقيه للريح حتى ما تكادان تلمسان الأرض ، دون أن يعرف حقيقة ما يأتى أو يتبين عاقبته

جرى كل هذا فى آونة قصيرة . وفى اللحظة التى بدأ فيها أوليفر يجرى ، كان السيد قد دس يده فى جيبه فافتقد منديله . وأدار فيما حوله نظرة ثاقبة ، وما إن رأى الغلام يركض فى هذه السرعة حتى وقر فى نفسه أنه السارق فصاح بملء حنجرته : « أوقفوا اللص ! » ثم انطلق خلفه مهرولاً والكتاب فى يده

ولم يكن السيد وحده مثيرَ هذه المطاردة : ذلك أن المراوغ ومستر تشارلى باتس كانا قد توقفا لدى مدخل أول بيت بعد المنحنى ، كيلا يلفتا إليهما الأنظار وهما يجريان عبر الشارع العريض ؛ فما إن سمعا الصيحة وأبصرا أوليفر يجرى راكضاً حتى تصورا ما حدث تماماً . فبرزا من مكمنهما فى تأهب وإعجال وأقبلا يصيحان : « أوقفوا اللص » مشتركين فى المطاردة كسادة كرماء ذوى أريحية ...

ولم يكنِ أوليفر متأهباً لتطور الموقف على هذا الوجه ، فرَهِب واستطِير ، ومضى فى جريه كالريح العاصف ، ومن خلفه السيد العجوز يقفوه الغلامان ، وهم يتصايحون جميعاً فى صرخات تشبه الزئير

« أوقفوا اللص ... أوقفوا اللص » شد ما يسحر الناسَ هذا النداء !

لقد ترك له البائع حانوته والحوذى مركبته ؛ وطرح القصاب والخباز واللبان أوعيتهم التى يحملون ؛ وتخلى الشيال عن حمله ، والتلميذ عن دفتره ، وممهد الطرق عن مِعْوله ، والطفل الصغير عن لعبته ... وجرى أولئك جميعاً فى هرج ومرج ، متدافعين متصايحين ؛ يصدمون السابلة عند كل منعطف طريق ... ويهيجون الكلاب ... ويفزّعون الدواجن ... وقد دوّت الشوارع والميادين والرحبات مرددة صدى صيحاتهم : أوقفوا اللص ، أوقفوا اللص ... كانت الصيحة تنطلق من أفواهٍ مائة ، والحشد يزداد كثافة عند كل مفترق طريق ، وقد ثارت الهبوات والأوحال تحت أقدامهم ، وارتفع لنعالهم فوق الأرصفة خفق شديد

وانفتحت النوافذ على مصاريعها ، وهرع الناس من مساكنهم

وتدفّعت الغوغاء فى طريقها لا تربع على شيء ، وانطلق رواد مسرح (بنش) برمتهم - والرواية فى أدق مواقفها - فالتحقوا بالجموع المتدفقة ، وضاعفوا من صدى الصيحات المتصاعدة ، وأمدوا الصرخة الرهيبة : (أوقفوا اللص!) بقوى ناشطة جديدة

أوقفوا اللص ، أوقفوا اللص ! يبدوا أن هنالك رغبة فى (مطاردة شيء ما) متغلغلة فى نفس كل إنسان ! وها هو ذا طفل بائس مبهور الأنفاس يلهث من فرط الإعياء ، قد ارتسم الجزع فى نظراته ، وبانت سكرة الموت فى عينيه ، وسالت قطرات من العرق كبيرة على وجهه - يرهق كل عصب من أعصابه ويستدر كل وتر من أوتار قوته ، لينجو بحياته من براثن مطارديه

ولكنهم ، فى تعقبهم إياه وازدلافهم نحوه فى كل لحظة ، كانوا يبتهجون بصياحهم مذخور نشاطه ويستنهضون بهتافاتهم مخذول قواه وهم يصيحون من خلفه فى حماسة وصرح : أوقفوا اللص!

أجل أوقفوه — نستحلفكم بالله — فذلك عين المعطف عليه والرحمة به

وأخيراً وقف ! ويالها من لطمة بارعة ! لقد انكفأ على الإفريز ساكناً لا يختلج ، وأحاطت به الجموع فى لهفة وتطالع ؛ وكان كل قادم جديد يزاحم الآخرين ويدفعهم كيما يحظى بنظرة

« تنحوا جانباً » ... « دعوه يتنفس قليلاً » ... « هذيان ! ما هو بجدير أن يشم هذا الهواء » ... « ألا أين السيد ؟ » ... « ها هو ذا قادم من أقصى الطريق » ... « أفسحوا الطريق يا مَن هنالك للسيد ! » ... « أهذا هو الغلام يا سيدى؟ » « نعم »

وكان أوليفر مطروحاً على الأرض وقد لطخه العثير والطين وانبثق الدم من فمه غزيراً . وراح يجيل عينيه فزعاً مرعوباً فى كتلة الوجوه التى أحدقت به من كل صوب . وتقدم رؤساء المطاردين بالسيد شاقّين له دائرة الجمع الحاشد ، حتى أوقفوه فى المقدمة ، فعاد يقول : نعم ، أخشى أن يكون هو

وهمهم الواقفون : تخشى ؟ عجيب منك هذا القول ...

وعاد السيد يقول : ياللطفل المسكين ، لقد أصاب نفسه !

فقال شاب ضخم متبلد — وهو يخطو إلى الأمام قليلاً — بل أنا الذى أصبته يا سيدى ، لقد تحطمت بنانى من عظم ما ارتطمت بفمه . أنا أوقفته يا سيدى

ولمس الشاب قبعته وهو يبتسم ، مترقباً الجزاء على ما تعرض له من ألم . ولكن السيد حدجه بنظرة قاسية وأدار بصره فيما حوله حيران قلقاً ، كما لو كان يراود نفسه على الفرار . ولم يكن من المستبعد أن يحاول ذلك فيكلف القوم مطاردة أخرى ، لولا أن قدم الشرطى فى هذه اللحظة (وإنه لآخر شخص يظهر عادة فى مثل هذه المناسبات) فشق طريقه بين المجتمعين وجذب أوليفر من طوقه وهو يصيح به فى جفاء وغلظة : تعال ... قم ...!

وأطبق أوليفر راحتيه فى توسل ، وشرد ببصره فيما حوله وهو يقول :

لست أنا بالحقيقة ياسيدى ! الحق ؛ أنهما غلامان آخران ، وهما هنا من غير شك فى مكان ما ...

فقال رجل الشرطة : آه ... كلا ، ما من أحد هنا ...

حاول الرجل أن يتهكم بهذا الجواب ، ولكنه كان يقرر الحقيقة دون أن يعرف ؛ ذلك أن المراوغ ومستر تشارلى باتس كانا قد استدارا عند أول منعطف مرّا به وذهبا ناجيين

وكرر الشرطى صيحته : هيا ... انهض ! فقال السيد وقد استشعر الرأفة : لا تحاول إيذاءه

وأجاب الشرطى — وهو يقدُّ سترة الغلام من فوق ظهره ليبرهن على صدق قوله — :

كلا لست أوذيه . انهض ! إنى لأعرفك فلا تجوز علىّ ألاعيبك . أما تنهض على قدميك بعد أيها الحرامى الصغير ؟!

وجهد أوليفر فى النهوض حتى استوى على قدميه ، ثم اقتيد من طوقه خلال الشوارع فى خطوات سريعة ، وكان السيد يمشى إلى جانب الشرطى ؛ أما المتفرجون فلم يغب عن أكثرهم أن يقوم بهذه المناورة البارعة : كانوا يوجفون إلى الأمام فى خطوات قليلات سراع ، ثم يديرون وجوههم ليحدقوا النظر إلى أوليفر بين حين وحين !

وكان الصبية يتصايحون فى نشوة عارمة من الظفر والانتصار وهكذا انطلق الجميع ميممين ديوان الشرطة[1]

(جرجا) محمود عزت عرفة

(١) اتضحت هنالك براءة أوليفر بشهادة صاحب المكتبة الذى أبصر الحادث على حقيقته . وكان من نتيجة ذلك أن ضم مستر برانلو — ضحية الحادث — أوليفر إلى نفسه ، وكان بسبيل أن يكفله ويقوم على تربيته لولا أن زج به سوء الطالع مرة أخرى فى أيدى عصابة اللصوص .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٤٧ — المسلم لا يحارب المسلم

فى (مروج الذهب) للمسعودى :

الغالب فى هذا البلد — آمل : دار مملكة الخزر — هم المسلمون لأنهم جند الملك ، وهم يعرفون فى هذا البلد باللارشية ، وهم ناقلة[1] من نحو بلاد خوارزم ، وكان فى قديم الزمان بعد ظهور الإسلام وقع فى بلادهم جدب ووباء فانتقلوا إلى ملك الخزر . وهم ذوو بأس وشدة ، وعليهم يعول ملك الخزر فى حروبه ، وأقاموا فى بلاده على شروط بينهم :

أحدها إظهار الدين والمساجد والأذان . وثانيها أن تكون وزارة الملك فيهم ، والوزير فى وقتنا هذا — سنة ٣٣٢ — أحمد ابن كوبه . وثالثها أنه متى كان لملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا فى عسكره منفردين لا يحاربون أهل ملتهم ، ويحاربون معه سائر الناس من الكفار

ويركب منهم مع الملك فى هذا الوقت شخوص منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن[2] والدروع والخوذ ، ومنهم رامحة أيضاً على حسب ما فى المسلمين من آلات السلاح ، ولهم قضاة مسلمون[3]

(١) ناقلة : طراء ، جالية . فى القاموس المحيط : الناقلة ضد القاطنين . وفى الأساس : رجل نقيل : غريب . وهو ابن نقيلة : غريبة

(٢) فى التاج : الجوشن الدرع ، وفى المحكم زرد يلبسه الصدر والحيزوم .

(٣) يقول المسعودى : ورسم دار مملكة الخزر أن يكون فيها قضاة سبعة : اثنان منهم للمسلمين ، واثنان للخزر يحكمون بحكم التوراة ، واثنان لمن بها من النصرانية يحكمون بحكم النصرانية ، وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم بأحكام الجاهلية ، وهى قضايا عقلية ، فإذا ورد عليهم مالا علم لهم به من النوازل العظام اجتمعوا إلى قضاة المسلمين فتحاكموا إليهم ، وانقادوا إلى ما توجبه شريعة الاسلام

٥٤٨ — تقبيل المصحف

قال عبد الوهاب السبكى صاحب (طبقات الشافعية) : سمعت الوالد (تقى الدين السبكى) — رحمه الله — فى درس الغزالية يقول — وقد سُئل عن الدليل على تقبيل المصحف — : دليله القياس على تقبيل الحجر الأسود ويد العالم والوالد والصالح ، ومن المعلوم أن المصحف أفضل منهم

٥٤٩ — القصة فى الكتاب فاقرأها

مرض الأعمش (سليمان بن مهران) فأبرمه الناس بالسؤال عن حاله ، فكتب قصته فى كتاب ، وجعله عند رأسه ؛ فإذا سأله أحد قال : عندك القصة فاقرأها[1] ...

٥٥٠ — إنا قصدنا ذلك

فى (النفح) : كان إبراهيم بن الفخار اليهودى قد تمكن عند الأذفنش ملك طليطلة النصرانى ، وصيره سفيراً بينه وبين ملوك المغرب ، وكان عارفاً بالمنطق والشعر . قال إبراهيم : أدخلونى إلى بستان الخليفة المستنصر ، فوجدته فى غاية الحسن كأنه الجنة ، ورأيت على بابه بواباً فى غاية القبح . فلما سألنى الوزير عن حال فرجتى[2] قلت : رأيت الجنة إلا أنى سمعت أن الجنة يكون على بابها رضوان ، وهذه على بابها مالك[3] ... فضحك وأخبر الخليفة بما جرى ، فقال : قل له : إنا قصدنا ذلك ، فلو كان رضوان عليها بواباً لخشينا أن يرده عنها ، ويقول له ليس هذا موضعك ، ولما كان هناك مالك أدخله فيها ، وهو لا يدرى ما وراءه ، ويُخيّل إليه أنها جهنم ...

فلما أعلمنى الوزير بذلك قلت « الله أعلمُ حيث يجعل رسالاته » !

(١) الثعالبى : كان الأعمش إذا فقد من يحدثه من أصحابه أقبل على عنز له يحدثها كراهة للفراغ ، وخوفاً من النسيان ، وحرصاً على الدراسة والرواية ...

فى « العقد » : أتت ليلة الشك من رمضان فكثر الناس عند الأعمش يسألونه عن الصوم ، فضجر ثم بعث إلى بيته فجئ إليه برمانة ، فشقها ووضعها بين يديه ، فكان إذا نظر إلى رجل قد أقبل يريد أن يسأله تناول حبة فأكلها ، فيكفى الرجل السؤال ونفسه الرد

(٢) الفرجة : مثلثة ، مولدة . فى (الشفاء) : الفرجة الذهاب للتنزه قال الأرجانى : رياض لعين الناظر المتفرج

(٣) أبو الفتح البستى يلوم وزيراً ويهجو حاجبه :

قل للوزير الكريم قولا ... يغض من ناظر الكريم
دارك لى جنة ولكن ... بوابها مالك الجحيم

ما رأى الأستاذ الكبير (ا . ع) فى هذا الطراز من شعر الشباب ؟

أين الطريق ؟

[إلى أبى وأمى أسوق الحديث]

للأستاذ على شرف الدين

ملَّ الرَّحيلَ معفَّرٌ أودَى به حظُّ الأديبِ
لم يَبْلُغِ الأملَ البعيدَ ، فمالَ لليأس القريبِ
سِيَّانِ يا شمسى ، أنيرى لى حياتى أوْ فَغيبى
وخُذِى من الأفلاكِ بُرْجَ السَّعدِ أو بُرْجَ الخطوب
لن تشهدِى منى السرورَ على الشروق ، ولا البكاء على الغروب
ورفِّقى كبِدِى — إذا أخفقتُ يوماً — أو فذوبى
نفضْتُ كفىَّ من حياةٍ — بعد تجْرِبتى — كذوبِ
وعدتْ ، وما برّتْ ، فكانَ الوعدُ كالبرقِ الخلوبِ
وسئمتُ من ليلِ الشبيبة ، وانتظرْتُ سَنا المشيبِ
وتمرَّدتْ نفسى زماناً ، ثمَّ تابتْ من لُغُوب
مات الشُّعورُ بها ، فما أنا بالحزينِ ، ولا الطَّروب
لا يَلمحُ الرائى بها سخط المُشِيحِ ، ولا القطوب
إلاَّ بقايا مأتمٍ فى الوجهِ يُبديه شُحوبى
أشلاءُ آمالٍ تلوحُ كأنها صرعى الحُروب
وجِراحُ أنَّاتٍ تلاشتْ ، واندملْنَ على ندوب
ورفات آهاتٍ تضمَّنَ قبرَها صدرُ الغيوب
وقناةُ دمعٍ ، لم تزلْ بالخدِّ من عهدِ النحيبِ
وحنين قلبٍ مُلجَمِ الدقاتِ ، مكبوحِ الوجيب
نزَّاعِ شجوٍ ، دونه فى ناره شجوُ الغريب
وقصيدُ عُمْرٍ ، دامى الأوزانِ مجروحَ الضروب
سِفْرٌ من الحِكَم الغوالى ، هُنَّ فلسفةُ الكروب

***

أمِّى ، أبى ، أدْعو ، وعند كليكما خير المجيب
اشكو أساى ، وإنها شكوى الحبيب إلى الحبيب

مالِى تهبُّ صَبَا الشمال علىَّ من صوب الجنوب ؟
مالى فنيتُ ، وأقفرَ المخضلُّ من قلبى الخصيب
لا البشر يدعونى ، ولا أهتز للمرح اللعوب
لا الكأسُ تُغريني ، ولا البسمات من ثغر شنيب
أصبحت رسماً حافلاً باليأس ، والصمتِ الرَّهيب
وبلغت — من زهدى — الثمانين التى هدت جنوبى
أغضبتما فكبا جوادىَ ، أم ترى كثرت ذنوبى ؟

***

مَنْ لى بأيام الطفولةِ فى حِمى الصَّدر الرَّحيبِ
وملاعب الأولادِ فى كنفِ المنازلِ والدُّروبِ
كانتْ أرقَّ من الصِّبا ، وأحبَّ من نجوَى القلوبِ
رفَّافة كالرُّوح ، أو كالنُّور ، أو طيفِ الحبيبِ
ريَّا كنُوارِ المُروجِ يضوع فى أرَجٍ وطيب
مرَّتْ ولم تتركْ سِوى جفْنٍ على الذكرى سكوبِ

***

ومُتوَّجٍ بالثَّلجِ (١) مرْهوبِ المناورِ والجيوب
أمْلى الشَّباب علىَّ أنْ أرقاه فى الزمن العصيبِ
زمنٌ به حِفظُ الكرامة والإباءِ من العيوبِ
فصعدت لا زادٌ سوى الأعصابِ والفُصحى العروب
فتمزَّقتْ كفِّى ، وأدْمى صخرُه العاتى كُعوبى
والشمس تلفح جبْهة تنفضُ عن ماء صبيب
وأدور حولى ، لا أرى غير الموامى والسهوب
وتكشَّفت لى محنةُ الأكْفاء فى البلد العجيب
فرجعت بمكلوم الفؤاد بحظٍّ مندىً سليب
وكأنما للغمْطِ والحرمان — من أبنائها — حظُّ الأديب

على شرف الدين

---

(١) الجبل



إلى الأستاذ سيد قطب

ألا تستطيع يا أخي أن تكتب دون أن تغمز أو تلمز ؟ أكلما كتبت شيئاً فأنت تفهمه أسوأ الفهم ، وتؤوله أفسد التأويل ؟ بعض هذا العُجب وبعض تلك الكبرياء يا نابغة الزمان ! وماذا تعنى بقولك إن بعض من ذكرت من الشعراء هم شعراء الوظيفة ؟ أخشى أن أكون قد أضعفت جبهة شعراء الشباب بذكرك ، وأن أكون بذلك قد مهدت لانتصار أستاذنا الجليل على أمثالك ... ثم هل هذا هو الذى يجب أن نهتم له ؟ ألا تعرف من هو أستاذنا الجليل ! إنه رجل يستطيع أن يقضى على الجهود التى بذلتموها يا معشر الشعراء الشباب فى سبيل تجديد الشعر العربي ... وها هو ذا قد أخذ يأتيكم من نواحيكم الضعيفة التى تجلت إحداها فى كلمتك المتهافتة ... عنك هذا الغرور إذن ... وأقنع الأستاذ بنماذج من شعرك أو شعر غيرك لنكون إيجابيين فى ردودنا ... ولأكن قد أسأت التمثيل ، وهذا ما لا يدور فى خلدى أننى وقعت فيه ، فماذا لم تتول أنت الرد ؟ أو لماذا لم تشترك فيه ؟ لقد كان فى وسعى أن أقول إن ميدان الشعر لم يقفر بعد البارودى وشوقى وحافظ ، لأنه لا يزال يزخر بمطران والجارم والعقاد وشكرى ومحرم ، وقد يكونون خيراً ممن توفوا إلى رحمة الله . . . ولكنى آثرت التباهى بكم لأن المستقبل لكم ، فكيف تضل عن اللباب وتأبه بالسفساف ؟ تفضل أنت فكن رائد الجيل واملأ شدقيك بما شئت ؛ فإذا أصبت شيئاً من التوفيق فلن يكون أحب إلى من أن أصفق لك

دربني خشبة

إلى الناقد الأستاذ دربني خشبة

أحسست يا صديقى ، من الكلمة التى نشرتها فى عدد (٥٦١) من الرسالة ، وعنوانها شعراء الشباب والأستاذ الجليل ا . ع » أنه لا يطيب لك سماع رأى يخالف رأيك ، سواء أكانت مخالفة كلية أو جزئية ، بدليل تسميتك الكلمة البريئة التى وجهها الأستاذ (ا . ع) إلى شعراء الشباب « حملة تأديبية »

الحق أولى ، يا صديقى ، أن يقال ، أنه صار من اللازم اللازب أن تجرد حملات نقدية على الناقدين الذين يأخذون بناصر العجزة المهازيل من النظامين

فإنك تعرف يا صديقى ، أن الشعر روح ، وأن الحياة الشعرية التى لا تفيض بالنعمة ، ولا تشيع السرور بالنفوس والفرحة بالوجود ليست بحياة . هل شعرت بشيء من ذلك حين قرأت ما نظم أكثر من ذكرت من أصدقائك شعراء الشباب ؟ ليس بين معظم الشعراء الذين ذكرت من يطير بجناحين ، بل فيهم من يمشي ويتسكع ولكن أكثرهم يزحف

لا فارق ، يا صديقى ، بين ما قلته عن شعراء الشباب أنهم « أثمن قلادة يتحلى بها جيد مصر الحديثة ، والشعر المصرى الحديث » ، وبين ما كان يقوله كتّاب مقدمات الكتب قبل عشرين أو عشرة سنين

وفى الختام ، أحيي باحترام الأستاذ الجليل (ا . ع) الذى أثار هذه المسألة وأطالبه المزيد ، لا حباً فى النقد لذاته ، بل حرصاً على نقاء تاريخ أدب هذا الجيل .

حبيب الزحلاوى

شعراء الشباب

أشكر الأستاذ دربنى خشبة ويشكره معى شعراء الشباب - والمتواضعون منهم خاصة - على وقوفه دونهم فى كل مسألة تثار أو قضية تقام

وأقل ما يملكه شعراء الشباب له اعترافاً بالجميل وحفاظاً على الصنيع - أن يتفقوا جميعاً على الثناء عليه فى مجلة « الرسالة » التى نعرف من صاحبها ومن كاتبيها الجليلين « ا . ع » ، « ن » حسن النية ، وشرف الأمنية للشعر العربى الحديث

ومهما يكن بين الأستاذ خشبة وبين الأستاذ الجليل (ا . ع) من خلاف فنحن الشعراء نعدُّ من الخير لقضية الشعر المعاصر أن يكثر الناقدون له ، المتبرمون به ، المتكلمون فيه ، حتى يمضى إلى الغاية التى يرجوها له كل غيور عليه

وأنا سعيد كل السعادة لأن الأستاذ دربنى سلكنى مع طائفة من الشعراء أرجو أن أسمو إلى نباهة شأنهم ، على الرغم من أنه نبّه شأنى بذكرى فى عدادهم . وهى طائفة اختص الله كل

واحد منها بمزية لم تتح لغيره : ـ ما بين إشراق فكرة ، ومرىان فرحة ، وحلاوة تعبير ، وأصالة طبع ، ورقة عاطفة ، وحسن تصوير ، وغزارة شعور ، وصدق إحساس ، وتسجيل لأحداث العصر ومناسباته الكبرى

وموضع التباين بين مذاهب شعرائنا اليوم هو بعينه موضع الجمال فى اختلاف الأزهار التى تتألف منها الطاقة الجميلة

فلا يحق للوردة الناضرة أن تغضب ، لأن البستانى الأنيق وضع بجانبها النرجسة الغضة ، ولا يحق للنرجسة الغضة الفوّاحة أن (تتأفف) ، لأن الزهّار المتذوق وضع بجانبها الأقحوانة التى لا تفوح بالعبير ... فلكل زهرة جمالها ... حتى الزهرة المتسلقة على الجدران وكذلك لكل شاعر جماله . وعلى الأستاذ منى السلام

محمد عبد الغنى حسن

الدرزى لا الطرزى

ينشر الدكتور « زكى مبارك » فى جريدة المصرى خواطر وهواتف مما توحى به « حياته اليومية » سمى فيها « خائط الثياب » طرزى — بدل ترزى — حاسباً أن تحريف النطق هو الذى حول الكلمة — وكثيراً ما يكون ذلك فى الكلمات التى تتحد أو تتقارب مخارجها — وغاب عن الكاتب الفاضل أن الأصل والتحريف كليهما خطأ ، وأن الصواب أنها « الدَّرْزى » ودرز الثوب خياطته . وأولاد درزة السفلة والخياطون والحاكة والغوغاء ... أما الطراز أو الطرز أو التطريز التى يراد إرجاع الكلمة إليها فبعيدة كل البعد ، لأن الطراز عَلَم الثوب والهيأة والنمط . والطرز بإسكان الراء الشكل . وفى اللسان أن أم المؤمنين « صفية » قالت لزوجات النبى : من منكنّ مثلى ؟ أبى نبى ، وعمى نبى ، وزوجى نبى ... فقالت لها عائشة رضى الله عنها : ليس هذا من طرازك . تقصد من نفسك ... لأنه تعليم النبى صلى الله عليه وسلم إياها ...

ابراهيم على أبو الخشب

إن الغناء زاد الراكب

أورد الأستاذ الجليل « محمد إسعاف النشاشيبى » فى العدد (٥٥٥) من الرسالة تحت عنوان « إن الغناء زاد الراكب » من « نقل الأديب » هذه الفقرة :

« قال رجل للحسن البصرى : ما تقول فى الغناء يا سعيد ؟ فقال : نعم العون الغناء على طاعة الله ؛ يصل الرجل به رحمه ويؤاسى صديقه »

فكيف يكون الغناء عوناً على طاعة الرب ، وكيف يصل الرجل به رحمه ، ويؤاسى صديقه ؟ وهل هذا الوصف ينطبق على الغناء بالمد ، أم على الغنى بالقصر كما فهمت ؟

(مكة المكرمة)

عبد العزيز الرفاعى

كتب

١ — الفلاحون

كتاب عن الفلاح المصرى ألفه الدكتور الأب عيروط اليسوعى ، ووصف فيه مصر البلد الزراعى وحياة الفلاحين فيها وأعمالهم ومواسمهم وعاداتهم وصفاً دقيقاً صادقاً وإن جار أحياناً ... وقد نقل الكتاب إلى العربية الدكتور الفاضل محمد غلاب أستاذ الفلسفة بالأزهر ... ولسنا ندرى ما نقول عن هذه الترجمة التى كنا نجل صديقنا الدكتور غلاب عن وضع اسمه عليها ... إنها ترجمة ركيكة كثيرة الأخطاء اللغوية ، يميل أسلوبها إلى العامية ويجافى العربية السليمة ، بله العربية الفصحى ، ونأمل أن يتدارك الأستاذ غلاب هذا كله فى الطبعة الثانية

٢ — روح التربية والتعليم

الأستاذ محمد عطية الأبراشى من خيرة المشتغلين بالتربية علماً وعملاً فى مصر ، وهو رجل منتج ، وإنتاجه مثمر قيم دائماً ، وقد ألف ، أو اشترك فى تأليف كتب كثيرة فى التربية وعلم النفس وفى اللغة العبرية ، وهو يؤلف للكبار وللصغار على السواء ، وقد انتفع بكتبه التى ألفها للصغار آلاف التلاميذ فى مصر وفى الشرق العربى ، وكتبه التى ألفها للكبار لا تقل عن كتبه الأخرى انتشاراً وذيوعاً . وكتابه ـ روح التربية والتعليم ـ هو من خيرة الكتب فى موضوعه وقد كسره على أربعة عشر فصلاً ، يصلح كل فصل منها أن يكون كتاباً مستقلاً ؛ فهو يتناول الطفل والمدرسة والمنزل ولعب الأطفال والمدرسين وإعداد الدروس ومهمة المدرس الحديث ، وكيفية تدريس المواد المختلفة والعيوب الشائعة فى التدريس وآفة الامتحانات ومصيبة مدرسينا

فى قلة إطلاعهم ... الخ ؛ ولعل هـذا الشمول وحده هو نقطة نقدنا لهذا الكتاب القيم ، إذ لو صدر فى أربعة أجزاء مثلاً مستقلة بعضها عن بعض لأمكن أن تنتفع به طوائف مختلفة ممن يهمهم تنشئة الطفل والعناية به سواء فى ذلك رجال التربية والآباء والأمهات . على أن من الصعب جداً فى هذه اللمحة الخاطفة عن الكتاب الإحاطة بحسناته ، وإن أتخمت بينها فى الوقت نفسه بحوث كان الأفضل أن تستقل بكتاب خاص . . . مثل ذلك ما جاء فى الكتاب عن تاريخ التربية عند بعض الأمم التى لا تربطها بمصر رابطة تربيوية تاريخية ، كالصين مثلاً ... مع غض النظر عن التربية فى فرنسا التى ننغمس في تقليدها إلى أذقاننا

وبعد فالمدرس أو رجل التربية الذى يهمل قراءة هـذا الكتاب ومناقشة آرائه يخسر ولا شك خسارة ذهنية

٣ — حدائق الأمثال العامية

هذا كتاب من أمتع الكتب التى توفرت على تأليفها السيدة فائقة حسين راغب ، وقد جمعت فى جزأيه الأول والثانى الأمثال العامية الشائعة فى مصر ، والمناسبة التى يضرب كل منها فيها ، ثم المثل العربي أو بيت الشعر الذى يطابق المثل العامي روحاً ومعنى . وقد دل الكتاب على ما لقيت مؤلفته الفاضلة من عناء وجهد ، كما دل على اطلاع واسع وذوق دقيق وملاحظة عميقة . وسينتفع بحدائق الأمثال العامية العلماء المشتغلون بعلم الأساطير والأمثال الشعبية أو ما يسمى علم (الفولكلور) . والرسالة تهنىء السيدة الأديبة الفاضلة بهذا السفر النفيس وترجو أن يقدره عارفو فضلها

٤ — من ميونخ إلى وارسو

هذا كتاب أذاع فصوله من فلسطين أحد أشبال أسرة النشاشيبى ، بيت العلم والأدب فى القطر الشقيق ، وتتناول موضوعات الكتاب أدق سنة فى تاريخ الإنسانية . السنة التى سبقت الحرب المشئومة الحاضرة . السنة التى سبقت العاصفة واضطرب فيها الجو الدولى ، وتتابعت الحوادث الجسام التى أدت إلى كارثة بولندة ، ثم إلى كارثة الدنيا بأجمعها من بعد ... لقد كنا ننتظر أحاديث الأستاذ أنور النشاشيبى المذاعة من فلسطين لنسير معه فى دورة الفلك ولنتحسس يد المقادير متى تبطش بهذا الكوكب السيىء الطالع . واليوم ، وهذه الأحاديث مجموعة فى كتاب مطبوع ، وبعد إذ أوشكت الحرب أن تضع أوزارها ، نرى من واجب المؤرخ ألا ينسى سجله الأول من مؤلف الأستاذ أنور النشاشيبى ، هذا المؤلف الشامل الذى حققت الحرب الحالية كثيراً جداً مما هب إليه من آراء .

(د . غ)

جريدة الإصلاح فى عامها الثامن

دخلت زميلتنا الإصلاح فى عامها الثامن وهى على عهدها المعهود من اطراد الرقى وسمو التحرير ونبل الغاية ، وستصدر فى خلال هذا الشهر لهذه المناسبة عدداً خاصاً محلى بصور أبناء الدقهلية البررة البارزين من الأدباء والشعراء والفنانين لتكون صلة تعارف بينهم وأداة تعريف بهم . وسيشترك فى تحريره صفوة من كبار الكتاب

استدراك

سقط من المقال الذى نشر فى العدد ٥٦٢ من الرسالة عن كتاب « آراء وأحاديث فى التربية والتعليم » للأستاذ ساطع الحصرى » اسم الرسالة التي نشرتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٣٤ بعنوان :

Hand Book of Suggestions on Health Education

عبد الغنى

---

12 me Année No. 564 — Lundi - 24 - 4 - 1944

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٦٤ « القاهرة في يوم الإثنين أول جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٤ أبريل سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٣٤١ الفن والاصلاح .. .. : الأستاذ توفيق الحكيم ...

٣٤٤ نونية أبي تمام في رثاء ولده : لأستاذ جليل ... .

٣٤٥ رأي الأستاذ توحيد السلحدار في كتابي : « لوعي القومي » و « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » ... ...

٣٤٦ شعر ناجي ... ... : الأستاذ دريني خشبة ... ..

٣٤٩ القرآن الكريم في كتاب النثر الفني .. ... . : الأستاذ محمد أحمد الغمراوي

٣٥٢ دجلة في الليل [قصيدة] : الأستاذ أنور العطار .... ..

٣٥٤ مستقبل العلم ... ... : الأستاذ خليل السالم .. ..

٣٥٨ الشعر الجديد ... . : الأستاذ الكبير (ا . ع)

٣٥٩ خصومة لا عداوة للنقاد والشعراء . ... : الأستاذ حبيب الزحلاوي . .

٣٥٩ لقد ظلموا شعراء الشباب ! : الأستاذ م . ع اليشبيشي ...

٣٦٠ حول شعراء الشباب . ... : الأستاذ سيد قطب .. ...

٣٦٠ الصداقة والأدب والنقد . . : الأستاذ (ع . س) ... ...

الفن والاصـــلاح

للأستاذ توفيق الحكيم

لم يزل موضوع الأدب العربي ومستقبله في حاجة إلى كلام ، على الرغم من الأدلة القوية التي ساقها أخي أحمد أمين بك في رده على كلمتي السابقة . وأخشى أن يتبادر إلى الذهن أننا نتجادل في قضية لنا فيها مصلحة . فالواقع المعروف أن أكثر مؤلفات أحمد أمين مثل « فجر الإسلام » و « ضحى الإسلام » و « قصة الفلسفة » الخ . بعيدة عن الاتجاه القومي أو الاجتماعي الذي يرجوه لأدبنا العربي ؛ كما أن بعض كتبي مثل « عودة الروح » و « يوميات نائب في الأرياف » قد رمت بالفعل إلى هذا الهدف منذ زمن . فالقصة الأولى (عندما نشرت بالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧) كتب عنها ناقد يقول : « لو كان بريس Barrès[1] حياً واطلع عليها لنعتها بقصة النشاط القومي » . كما أن الكتاب الآخر يرمي كما هو معلوم إلى نقد المجتمع الريفي بحكامه ومحكوميه ؛ فأنا إذن أقرب إلى تلك الدعوة ولي في نجاحها مصلحة أكبر مما لصديقي أحمد أمين . ولكن العقيدة الأدبية والإيمان الفني أقوى فيما يبدو عند كل منا وأرفع من المصالح الخاصة والغايات

(١) الكاتب والسياسي المشهور صاحب المؤلفات القومية النزعة

الشخصية . فمناقشتنا اليوم تقوم فى جوهرها إذن على الرغبة المجردة فى الوصول إلى غرض واحد : هو كيف نبلغ بأدبنا العربى قمة الكمال ؟ الغاية واحدة ولا ريب ولكن السبل مختلفة ؛ فأحمد أمين يرى أن أدبنا لن يصل إلى مرتبة الآداب الأوربية إلا إذا خاض مثلها فى طريق الحياة العامة ، فنقد الفاسد من أوضاع المجتمع ، وقوّم المعوّج واقترح وسائل الإصلاح ، ونادى بالنافع من الملاج ، والمستحدث من النظم . وكان له من أعلامه قادة للرأى العام يبصرونه بمواقع خطاه فى طريق التقدم الأجتماعى . واتخذ من أناتول فرانس وبرنارد شو وتولستوى مثلاً يحتذى

وهنا يجدر بنا أن نسأل : هل من الحق أن الأدب الأوربى بلغ مبلغه هذا بفضل نزوله معترك الحركات الإصلاحية ، أو بفضل قيمته الفنية ومزاياه الأدبية ؟ وهل نزعات الإصلاح الاجتماعى هى اللون الغالب فى الآثار الأوربية ، أو إنها لون ليس بالغالب حتى فى آثار المؤلف الواحد ؟

الذى أعلمه هو أن أناتول فرانس أديب ، وأن برنارد شو مؤلف مسرحى ، وأن تولستوى قصصى . وتلك هى صفاتهم التى تؤخذ على سبيل الجد . أما ميول فرانس وشو الاشتراكية ونزعات تولستوى الإصلاحية ، فهى نواح ينظر إليها تارة بغير احتفال ، وتارة أخرى على أنها توابع أو ظواهر ودلائل قد تفسر على ضوئها بعض أعمالهم الأدبية وآثارهم الفنية

إن الآداب الأوربية لم تحترم يوماً فناناً أو أديباً لأنه مصلح ؛ ولكنها قد تحترم المصلح إذا كان أديباً أو فناناً . ولعل أبرز مثل لذلك هو « إبسن » ؛ فقد هزته أحداث بلاده السياسية والاجتماعية فكتب تمثيليات مفعمة بروح الإصلاح مثل «براند» و «عدو الشعب» و «بيت العروس» الخ . ومات إبسن وتغير مجتمعه ونظر الناس فى أعماله ... وكاد يهزأ النقد به وبآرائه فى السياسة والمجتمع ، لولا فنه . وهكذا مات المصلح فى إبسن وبقى الفنان

نحن الشرقيين تبهر عيوننا دائماً كلمة « مصلح » بقدر ما نستهين بكلمة «فنان» . وإنى لا أنسى دهشى يوم قرأت فى مجلة « ماريان » الباريسية نقداً للطبعة الفرنسية من « يوميات نائب فى الأرياف » للناقد المعروف « رامون فرنانديز » يقول فيه : « إن القارئ لهذا الكتاب ينسى فى أغلب الأحيان المقاصد الإصلاحية التى حركت المؤلف لوضع كتابه ، بل إن القارئ يتمنى ألا يتغير شىء فى عالم هذه المخلوقات الإنسانية » صدمنى هذا القول لأنى كنت أعتقد أن مقاصد الإصلاح لها الاعتبار الأول فى مثل هذا النوع من الكتب ، وأن صفة المصلح هى التى يجب أن توضع موضع التقدير

لقد تحدث الأستاذ احمد أمين فى أكثر من موضع عن الروايات الغرامية وعرامة الحب بما ينم عن الازدراء ... فذكرنى ذلك من فورى برواية شكسبير « روميو وجوليت » ؛ وقلت فى نفسى : ها هى ذى قصة ليس فيها إصلاح لمجتمع ولا نهوض بشعب ، وكل ما فيها عرامة الحب . ومع ذلك فقد خلدتها الإنسانية حيث طرحت ومزقت كثيراً من صفحات المصلحين وكتابات الهادين والمرشدين . إن الإنسانية لأدرى بما يسرها وأعلم بما يسعدها منى أنا ومن أخى احمد أمين . كم من المؤلفات الملوءة بالإرشاد والإصلاح قد نشرت وظهرت ولم تحتفظ بها ذاكرة الزمان ... ولكنها احتفظت بقصة غرام وقصيدة غزل ورواية حب عارم ... وإذا كان حقاً أن الزبد يذهب جفاء وما ينفع الناس يمكث فى الأرض ، فماذا نقول فى بقاء «روميو وجوليت» وفناء الكثير من القصص الإنكليزى الذى قصد به إصلاح المجتمع ؟ بل ماذا نقول فى خلود قصة « غادة الكامليا » لدوماس الصغير وموت أكثر رواياته الأخرى التى عج فيها موضوعات اجتماعية كلها جد وحسن قصد . . .

كلا ... لا ينبغى أن نملى على الفن اتجاهاً بعينه . ولا يجوز لنا أن نوصيه بارتداء لباس الحكمة الرزينة أو رداء الإصلاح الوقور ... إلا أن يشاء هو ويرضى ... لأننا إذا أرغمناه سخر منا وجعل من أردية رزانتنا ووقارنا أثواب مساخر ، وقلب بسحره أثواب الهزل خلوداً تنحنى أمامه الجباه على الرغم منا . لقد أصاب « أندريه جيد » إذ قال إن الفن لا ينبغى له أن يثبت

شيئاً ولا أن ينفى شيئاً . إن الفن العالى ليس أداة للجدل . إنما هو شيء كالسحر ينفذ إلى النفوس فيحدث فيها أشياء . إن الفنان ليس مصلحاً ولـكنه هو صانع المصلح . كل أولئك المصلحين من ملوك وزعماء وساسة ما كونهم وهيأهم لرسالات الإصلاح غير أدب الأدباء وشعر الشعراء وفن الفنانين . إن الفنان هو مصلح المصلح ولا شيء غير ذلك . أما أن ينزل الفنان بفنه إلى الميدان يناقش ويدافع ويهاجم وينافح . . . فهذا ما لم نره حتى الآن فى فن استحق البقاء فى أى أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات . من الحق أن بعض أهل الفـكر والفن قادوا الرأى العام فى بلادهم وبلاد العالم ، ولـكنهم كانوا فى الواقع يفعلون ذلك باعتبارهم شخصيات عظيمة مفـكرة من واجبها أن تبدى آراءها فى المسائل الـكبرى . لا باعتبارهم فنانين يقحمون فنهم فى ميادين الشئون اليومية . لطالما تحدث الشاعر « فاليرى » عن المشكلات الإنسانية التى تمس المجتمع العالمى الحاضر ، ولـكن هل رأيناه وضع ذلك فى قصيدة واحدة من قصائده ؟ إن قيادة الرأى العام واجبة على الأديب . ولا يندى أحمد أمين ندائى إلى الأدباء أن يتسلموا القيادة الروحية والفـكرية فى أول هذه الحرب وما قام حول هذا النداء من جدل ؛ ولـكن الذى أراه خطراً على الأدب هو قهر الأديب على أن يتجه اتجاهاً بعينه فى صميم فنه . وحسبنا أن نتأمل حال الأدب فى البلاد الدكتاتورية التى كبلت وحى الأدباء بالقيود فلم تخرج من قلوبهم إلا كتابات مفتعلة تفوح برائحة واحدة كأنها خارجة من مطبخ واحد . إن الفن هو الحرية . حرية الفـكر والشعور . ولا منبع له إلا فكر الفنان وقلبه . هما وحدهما الهاديان له . إن الوعى الفردى هو روح الفن . فإذا أردنا إبادة الفن واستئصاله من الأرض فلنقتل فيه ذلك الوعى الفردى . ولقد أصاب صديق الطرفين الـكاتب الـكبير العقاد إذ قال فى تعليقه على مناقشاتنا هذه : « إن اتجاه التاريخ الإنسانى متقدم من الاجتماعية إلى الفردية » . وهذا حق ؛ إذ الفردية هى عنوان الـكرامة الإنسانية . هى شعور الإنسان بقيمة فـكره وإحساسه لا بفـكر الجماعة وإحساسها . إن الحيوان لا يفـكر بفـكره ولا يحس بإحساسه . إنما هو يفـكر ويحس بغريزة الجماعة كلها والنوع كله . ولن يرق الحيوان إلى مرتبة الإنسان إلا إذا استقل فى تفكيره وإحساسه . إن الوعى الاجتماعى فى الحيوان هو الذى جعل الحيوان حيواناً ، والفردية أى الحرية هى التى جعلت الإنسان إنساناً . على أنه لا ينبغى الخلط بين الفردية والأنانية . فإنى حينما قلت إن « الفنان الذى لا يقول أنا ليس بفنان ، كما أن العالم إذا قال أنا ليس بعالم » . إنما قصدت إلى المعنى الفنى لا المعنى الخلقى . قصدت أن الفنان هو الذى يقول « إن الطبيعة جميلة لأنى أراها جميلة » . أما العالم فلا ينبغى له أن يقول ذلك . ولـكن عليه أن يقول : « الطبيعة جميلة أو قبيحة ، ساكنة أو متحركة ، لأن البحث والتحليل والبرهان والدليل تؤدى إلى هذه النتيجة » . الفنان هو الذى يكشف عن الطبيعة من خلال نفسه . والعالم هو الذى يكشف عن الطبيعة من خلال المجهر . وكلاهما يكمل الآخر فى بناء المعارف الإنسانية . ولا ينبغى لأحدهما أن يلجأ إلى وسائل الآخر فى استجلاء الحقائق واستكناه الطبائع . إن الفن مصدره الشخص ، والعلم مصدره الموضوع . الفن شخصى والعلم موضوعى . الفن يقول « أنا » أى « نفسي » ؛ والعلم يقول « هو » أى « الشيء » .

أما أن يخدم الفنان والعالم أمته وقومه فهذا واقع بالبداهة والضرورة ، لأن آثار الفن والعلم لا تبقى ولا يمكن أن تبقى إلا إذا رأى الناس فى بقائها منفعة . فلا ينبغى أن نقول للفنان والعالم : « اصنعا شيئاً نافعاً للناس » بل يجب أن نقول لهما فقط : « اصنعا فناً وعلماً » .

وبعد فأرانى قد أثقلت على القراء وعلى أخى الجليل أحمد أمين بك ، وإنى لأشكره إذ أتاح لى هذه النزهة التى تريح النفس أحياناً ، كما أحمد له ويحمد له القراء هذه الموضوعات التى يقع عليها بعين بصيرته النافذة ويعالجها بما عرف عنه من إشراق ذهنى ينير للناس غوامض الأشياء . وله من أخيه المعجب بفـكره وأدبه أخلص التحية .

نونية أبي تمام في رثاء ولده

لأستاذ جليل

للدكتور محمد صبري أن يرى في مقالته « الحكم على الشعر وأساليب النقد والتحليل » في الرسالة الغراء (٥٦١) أن نونية أبي تمام في رثاء ولده(١) قد فاتت رائيته في محمد بن حميد الطوسي التي يقول فيها :

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة
ولكن كبرا أن يقال به كبر

وللأستاذ عبد الرحمن شكري أن يستعجب في إحدى مقالاته في الرسالة كيف أن حبيباً — وهو في الرثاء ما هو — لم يجد في النونية إجادة ابن الرومي في الدالية التي رثى بها ولده . غير أن تلك القصيدة فائقة كانت أو مقاربة(٢) ليست لأبي تمام وإن جاءت في ديوانه المطبوع وفي المخطوط في دار الكتب المصرية (عمّرها الله) ؛ فإن أبا بكر الصولي يقول في مصنفه (كتاب الأوراق) في سيرة (أبي محمد القاسم بن يوسف) : « وقال — يعني القاسم هذا — يرثي ابنه أبا علي محمداً » وأورد القصيدة بتمامها ، وروى بعدها دالية للقاسم في رثاء ابنه محمد وبنين آخرين له تجانسها كل المجانسة . والصولي هو المشغوف بحبيب . وهو صاحب أخباره وجامع أشعاره فيستبعد أن يأخذ منه ليعطي غيره كما يستبعد أن يضل في الرواية ، وهو الراوية العظيم . وما حدثتنا (أخبار أبي تمام) له ولا (هبة الأيام) للبديعي ولا مؤلفات كتبت سيرة حبيب أن له ابناً ، كنيته أبو علي ، فجع به فرثاه بشيء ، ولا أن له ابناً اسمه محمد درج وأخوة(٣) لأبي تمام في عام وحد فبكاهم بمقطوعة (أربعة أبيات فقط) ختامها :

تتابع في عام بنيّ وإخوتي
فأصبحت إن لم يخلف الله مفرداً

ولا نعرف لحبيب ولداً إلا « تماما » ذكره الأنباري في « نزهة الألباء » في سيرة أبيه ، والصولي في كتابه « أخبار أبي تمام » وأورد له هذه الحكاية : « لما ولي محمد بن طاهر خراسان دخل الناس لتهنئته ، فكان فيهم تمام بن أبي تمام الطائي فأنشده (وروى الصولي ثلاثة أبيات ركيكات) فاستضعفت الجماعة شعره ، وقالوا : يا بعد ما بينه وبين أبيه ! فقال محمد لعبد الله ابن اسحاق ، وكان يعرفه الناس وهو على أمره : قل لبعض شعرائنا أجبه ، فغمز رجلاً في المجلس ، فأقبل على تمام فقال (وروي ثلاثة أبيات ثالثها :

فهاك إن شئت بها مدحة مثل الذي أعطيت أعطاكا

فقال تمام : أعز الله الأمير ! إن الشعر بالشعر رباء ؛ فاجعل بينهما رضخاً من دراهم حتى يحل لي ولك . فضحك محمد وقال : إن لم يكن معه شعر أبيه فمعه ظرف أبيه . أعطوه ثلاثة آلاف درهم . فقال عبد الله بن إسحاق : ولقول أبيه في الأمير عبد الله ابن طاهر :

أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا فقلت: كلا ولكن مطلع الجود

ثلاثة آلاف أخرى ، قال : ويعطى ذلك »

وأما صاحب النونية التي وهبها الوراقون أو غير الوراقين لغنيّ ، عنده قناطير — هو القاسم بن يوسف بن القاسم بن صبيح القبطي ، وهو أخو أحمد بن يوسف وزير المأمون . قال الصولي : « لما ولي أخاه القاسم خراج السواد ، فجباه فضلاً مما جباه غيره في سائر أيام المأمون ، وكان أحمد بن يوسف إذا عرض على المأمون النفقات قال : يا أحمد ، القاسم يجمع ، ونحن نفرق... »

وقد اشتهر القاسم بمدح البهائم (أعني الحيوانات) ومراثيها . قال المرزباني في (معجم الشعراء) : القاسم شاعر ، حسن الافتنان في القول ، وهو أشعر من أخيه احمد وأكثر شعراً ، وهو أرثى الناس للبهائم

وقال أبو الفرج في الأغاني في أخبار أخيه احمد : شاعر مليح الشعر ، وكان قد جعل وكده في مدح البهائم ومراثيها ، فاستغرق أكثر شعره

وقال الصولي في كتاب الأوراق : القاسم أسن من أحمد ، وأحسن شعراً منه ، وأفصح في شعره ، وأشعر في فنه الذي أعجبه من مراثي البهائم — من جميع المحدثين حتى إنه لرأس فيه ، متقدم جميع من نحاه ، وما ينبغي أن يسقط شيء من شعره ، لأنه كله مختار ، وللناس فيه فائدة » ثم روى له طائفة كبيرة من مراثيه في الجماعة ...

* * *

---

(١) مطلعها :

كان الذي خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

(٢) شيء مقارب : وسط

(٣) كان لحبيب أخ اسمه سهم ، ذكره البديعي في (هبة الأيام) وكان قصده في « سر من رأى » المدينة ، ثم عاد إلى دمشق

رأى الأستاذ توحيد السلحدار

فى كتابى: «الوعى القومى» و«دراسات عن مقدمة ابن خلدون»

أهدى أحد الفضلاء فى لبنان هذين الكتابين القيمين إلى صديقنا الأستاذ الكبير محمد توحيد السلحدار ، فلما قرأهما كتب إليه كتاباً جاء فيه :

ذكرتُ فى بعض ما كتبت « للرسالة » أن من أصحاب الفكر والذوق للمعانى مَن قال : إن الثقافة وعى أطراف صالحة من أثمار العقول ، العلمية والفنية والأدبية ، بها يلتفت المثقف إلى المبادىء والأسباب والقوانين ، ويرشد قومه إلى الأصلح لحالهم ، والأنفع لترقيتهم ، والأخلق بالإنسانية

وكتاب « الوعى القومى » لبادعه الفاضل ، الدكتور قسطنطين ذريق ، أستاذ تاريخ الشرق بالجامعة الأمريكية فى بيروت ، ثمرة شهية من أثمار الثقافة الجدية ، ومثال رائع يتجلى فيه معناها

هو كتاب يبيّن حال الشرق العربى الحاضرة بعُجرها وبُجرها ، ويعرف وسائل التخلص منها ، ويهديه - إذا هو أراد أن يهتدى - سبل الأهداف والمثل العليا والحياة بين الأحياء ، ويحثه على سلوكها

ولقد جمعت أجزاءه ووحّدت توجيهاته الحكيمة فكرته الأساسية مركّزة فى عنوانه المحكَم البليغ ، مرفرفة على كلامه السهل الممتنع الرفيع من أول البحث إلى آخره ، حيث هدأ القلم ، وحيث تفجّرت من سنّه حرارةٌ وطنية وعاطفة إنسانية

قوّاه صاحبه بروحه العلمى ووضوح حجته ، وجمّله بنور بصيرته وبراعته الكتابية الفنية وبكياسته فى التمهيد للنقد وبيان العلل ، ولطف مدخله فى النصيحة . وقد شف كلامه عن عمق إيمانه بحقائق دعوته ، وحبه البين لأثمار العقول ، حبًّا يُكسب تلك الثقافة التى وصف ، وكلما أحرزنا حظاً منها تكشّفت لنا الأهداف القومية والمثل العليا التى لم يتورط فى تعريفها الآن ، لحكمة لم يرد بعض النقاد أن يدركها

أضف إلى ذلك فضل أخلاقه الكريمة من عفة لسانه فى صراحته ، ومن نزاهته عن التعصب والتحزب ، وصدقه وإخلاصه فى الدعوة للوعى القوى ، وكرامته وتواضعه تواضعاً يهبه العلم والأدب والتربية

استقصى واستوعب ، وشخّص الداء ووصف الدواء ، شارحاً دعوته فى إيجاز نير ، حتى يرى مَن لا يرى ، ويعلم مَن لم يعلم ، ويفهم من لم يفهم ، ويعمل من لا يعمل على مصلحة قومه

« فى الوعى القومى » آية للزمان ومدعاة إلى الاطمئنان على مستقبل نتمناه ، سواء أكان بعيداً كل البعد أم قريباً كل القرب

من أجل ذلك كله قد لا أكون مبالغاً إذا أنا زعمت أن هذا الصنيع الأساسى النفيس ، المبتكر بوحدته وتميزاته ومرماه وظهوره فى الشرق العربى فى إبان الحاجة إليه ، هو أجل كتاب بين الكتب العربية التى وضعت منذ أطفأ الدهر نور هذا الشرق

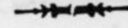
***

أما الأستاذ الكبير ، ساطع بك الحصرى ، فقد أبدع كذلك فى « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » إذ جاءت مصداقاً لتقريره « أن الطرافة فى الدراسات لا تتأتى من جدة الموضوع وحده ، بل قد تتولد من طرافة الطريقة والاتجاه أيضاً » ، فإنه خدم قومه باتجاهه العلمى ، وعرف الأصول التى اهتدى بنورها فى دراسة المقدمة ، وكان البادىء فى العربية بدراستها على الطريقة العلمية فيما أعلم

ذكر ، مثلاً ، أن كل عالم ومفكر يشاطر بوجه عام معاصريه أكثر أخطائهم ، ولذا فإن منزلته « لا تتعين بملاحظة جميع الآراء الصائبة والخاطئة المنبثة فى كتاباته ومؤلفاته المختلفة ، بل تتقرر بملاحظة الآراء المبتكرة التى يسمو بها على معاصريه ، والحقائق الجديدة التى يضيفها إلى المكتسبات الفكرية البشرية ، والخدمات التى يقوم بها بهذه الصورة فى سبيل تقدم الأفكار والعلوم » ؛ وعرّف طرائق النقد الداخلى والنقد الخارجى والنقد التفسيرى ؛ ولاحظ أن مباحث المقدمة قسمان : « المباحث الأساسية ... تحوم حول علم العمران وأسس التاريخ مباشرة » ، و « المباحث الاستطرادية التى تأتى تمهيداً للأبحاث الأصلية أو إتماماً لها » : وأن عمل ابن خلدون فى هذه « لا يتعدى حدود النقل والجمع ، والعرض والتلخيص ، والترجيح والتسجيل ؛

شعر ناجي

للأستاذ دريني خشبة



لا يلبث الإنسان حين يقرأ شعر ناجي أن يستمع إلى نبضات قلب كبير ، ولا يلبث حين يفتح ديوانه أن يرى حوله جنات معروشات كأنهن ألوان وكأنهن صور وكأنهن حياة ، وفيهن جمال وفيهن حب وفيهن دعة ؛ وبين أولئك جميعاً قلب ناجي الفنان ينبض ويُلوّن ويبتسم ، ويُنبت في فردوسه الأعاجيب

وقلب ناجي هو باب شعره العذب ، بل هو معينه الذي لا ينضب . . . وقليل من الشعراء من يودعون شعرهم قلوبهم ، وقليل منهم من تحس أن لهم قلوباً تقول هذا الشعر المنمق الذي ينظمون أو تدين به . . . لأنهم ينظمون الشعر صنعةً ولا يهزجون به طبيعة ، والشعر إن لم يكن في الدم فلن يكون في الألسن إلا كما يكون الصفير في فم الببغاء

وقلب ناجي قلب وادع نبغ في الحب ، وفاض بالرحمة ، ومَسّه الألم ، وانطبعت في صفحته الحياة بصورها المختلفة . فالحب والرحمة والألم تفيض صوراً حية في شعر ناجي ، والعجيب أنه أكثر شعرائنا ترديداً لقلبه في شعره ، حتى ليوشك أن يذكره في كل قصائده ، ولعله لا يعلم ذلك ، بل لعله لم يعرفه إلا الآن ، لأنه لا يتعمد شيئاً في شعره ، إذ كل هذا الشعر أو أكثره غناء ردده ذلك القلب ، وهتف به ذاك اللسان ، ودوّنه هذا القلم . وأعجب من ذلك كله أن الصداقة بين ناجي وبين قلبه قد أنتجت لنا تلك الصور الخالدة في وصف هذا القلب الوادع .

فحب ناجي :

يشهد الليل عليه والنهارْ والشهيد المتوارى في الضلوعْ

وناجي :

يشرب من روعة السماء شعراً ويسقي الفؤاد وحياً

ويقول مناجياً :

وحرقت قلبي من سنا ك على جمال يضطرمْ
كفراشة حامت عليـ ك وأي قلب لم يحُمْ !

ويذكر قلبه وهو يصف مغرب الشمس عند شاطىء البحر فيقول:

أما تلك فتظهر فيها قدرته الابتكارية وعبقريته الحقيقية »

وضع الأستاذ « أبو خلدون » دراساته على أصول الطريقة التي ذكر أسسها في شرح نظراته في آراء ابن خلدون ونظرياته . فنبه ، مثلاً ، إلى أن صاحب المقدمة استعمل كلمة العصبية « لغير معناها في المعاجم والاستعمالات الحالية » ؛ واستعمل كلمة العرب « بمعنى البدو والأعراب » ، فأدى ذلك إلى « أخطاء عظيمة » في فهم مقاصده ، وأظهره « بمظهر المتحامل على العرب ، وحمل بعض الشعوبيين على الاستشهاد به ، كما دفع بعض القوميين إلى الهجوم عليه »

وكشف الأستاذ الفضال خطأ الذين « ظنوا أن ابن خلدون يعزو أهمية كبيرة إلى البيئة الجغرافية ، كما زعموا أنه يعتبر الدين أهم عوامل الاجتماع » ؛ وأيد بالبحث والموازنة أن ابن خلدون أحق من الغربيين « باسم مؤسس فلسفة التاريخ أو علم التاريخ » و « بلقب مؤسس علم الاجتماع » ؛ وأظهر مكانة هذا العالم العربي في نظر علماء الغرب

جمع المؤلف النحرير أشتات كل رأى لابن خلدون من أبواب المقدمة وفصولها بعد أن نظر في الفصول المنسية في الطبعات المصرية والبيروتية للمقدمة ، وهي موجودة في الترجمتين التركية والفرنسية المطبوعة في باريس ؛ وقابل هذه الآراء والمبتكر منها بما سبقها وبما جاء بعدها من آراء تتعلق بفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ، وعيّن ابتكارات ابن خلدون وبيّن « كنه نظريته في العصبية ، وآراءه الأساسية في الحياة الاجتماعية البدوية والحضرية » ؛ فجاءت نظرته في المقدمة نظرة ناقد مثقف بصير

ألا إن فضل ساطع بك الحصري هو ، على الخصوص ، في طريقته العلمية التي اتبعها في دراساته ، وفي تجاهه وأسلوبه الفني في الإحياء الثقافي ، وفي قدرته على القيام بهذا العمل الدقيق النافع الذي توخاه ، وصنيعه النفيس دليل على تقديره وإجلاله لتراثنا العربي العظيم ، وعلى تحقيقه النظر فيه واجتهاده في تفهيمنا إياه ونحن في حاجة ماسة ، ليست تنتهي في زمن قريب المدى ، إلى مثل هذا النوع من الكتابة والتأليف . وذلك وجه من أوجه الإحياء الذي يدعو إليه « الوعي القومي » لإيقاظنا من سباتنا العميق .

محمد نوحيد السلحدار

تقول : هل الشمس قد خضّبته ... وخاب به دمها المهْرَقا

أم الغرب كالقلب ، دامى الجراح ... له طلبة عز أن تُلحقا

لنا الله من صورة فى الضمير ... يراها الفتى كلما أطرقا

يرى صورة الجرح طىّ الفؤا ... د ما زال ملتهباً محرقاً !

ويخاطب حبيبه ساعة الغروب فيقول :

قد جعلت النسيم زاداً لروحى ... وشربت الظلال والأضواء

مرّ بى عطرها فأسكر نفسى ... وسرى فى جوانحى كيف شاء

نشوة لم تطل ، صحا القلبُ منها ... مثل ما كان أو أشد عناء !

ويناجى حبيبه الهاجر قائلاً :

أيُحرَم حتى وهم حبك من رمى ... بمهجته فى ناره دون إحجامِ

وأنفق فيه قلبه وشبابه ... فلم يبق إلا الجرح والشفق الدامى

ومن عجب أحنو على السهم غائراً

ويسألنى قلبى : متى يرجع الرامى ؟

وأسرى بوهمه ينشد الآمال فلم يصحب إلا قلبه ، فهو يقول :

انفردنا ، أنا والقلب عشيّا ... ننسج الآمال والنجوى سويّا

فركبنا الوهم ، نبنى دارها ... وطوينا الدهر والعالم طيّا

فبلغناها ، وهلّلنا لها ... ونزلنا الخلد فيناناً نديّا

ولقينا الحسن غضّاً والصبا ... وتملّينا الجلال الأبديا

***

قال لى القلب : أحقاً مابلغنا ؟ ... كيف نام القدر الساهر عنا ؟

أتراها خدعة حاقت بنا ؟ ... أتراها ظنّة مما ظننّا ؟

قلت لاتجزع فكم من منزل ... عزّ حتى صار فوق المتمنى

أذن الله به بعد النوى ... فثوينا ، واسترحنا ، وأمنّا !

وينتظر حبيبه مرة فى ظلام وريح وبرد فيصف هذا ويشرك فى الوصف قلبه قائلاً :

ولما لم تفز بلقاك عينى ... لمحتك آتياً بضمير قلبى

فأسمع وقع أقدام دوان ... وأنصت مصغياً لحفيف ثوب

وأخلق مثلما أهوى خيالاً ... وأستدنى الأمانى والحبيبا

وأبدع مثلما أهوى حديثاً ... لنا ، صار من قلبى قريبا

أمد يدىّ فى لهف إليه ... أشاكيه بمحتبس الدموع

فيسبقنى إلى لقياه قلبى ... وثوباً ... ثم يبرد فى ضلوعى ...

ويزكيه حبه ويطهره ، ويدنيه من منازل الملائكة :

سموت كأنما أمضى ... إلى رب يُناديني

فلا قلبى من الأرض ... ولا جسدى من الطين !

ويقول وقد نعم بلقاء :

نحن أرواح حيارى افترقت ... ثم عادت فتلاقت فى شجاها

سوف ينسى القلب إلا ساعة ... من رضاًى وكرك الحانى قضاها

هتف القلب وقد حدثنى ... أى ماض كشفت لى شفتاها

همست فى خاطرى فاستيقظت ... روحىَ الحيرى وأصغت لنداها

فأنا إن لم أكن توأمها ... فكأنى كنت فى الغيب أخاها

نحن أرواح حيارى ثملت ... وانتشت سكرى على لحن أساها

ويقول معاتباً على طول الهجر :

لقد أسرفت فيه وجُرْتِ حتى ... على الرمق الذى أبقيتِ فينا

كأن قلوبنا خلقت لأمرٍ ... فقد أبصرن من نهوى نسينا

شُغلن عن الحياة ونحن عنها ... وبتن بمن نحب موكلينا (!)

فإن ملئت عروق من دماء ... فإنا قد ملأناها حنينا

وتؤلمه الوحدة فيقول :

تلفت القلب مطعوناً لوحدته ... وأين وحدته ؟ بانت كما بانا

حتى إذا لم يجد ريّا ولا شبها ... أفضى إلى الأمل المطوب فاقتاتا

ومن شعره وهو يافع :

عجباً لقلب هيض منك جناحُه ... وجرى به نصل الندامة بذبح

ومضى الحمام يدب فيه ، فإن جرت ... ذكراك طار إليك وهو مُجنّح

لهفى على الناقوس بين جوانحى ... وعلى بقية هيكل لا تصلح !

وهكذا نسرف هذا الإسراف فى عرض تلك النماذج العالية من أشعار ناجى فى القلب عامدين ... لأننا مهما قصدنا فى إطراء هذا القلب النابض الذى أبدع لنا ذلك الشعر دون أن نعرض تلك النماذج القليلة ، فربما ظن ظان أننا نغلو فيما نذهب إليه من أحكام ...

والعظيم فى هذا الشعر أن أكثره مما سبق إليه ناجى

وابتدعه ابتداعاً ... فالشهيد المتوارى فى الضلوع ، والقلب الذى يحرقه الشاعر من سنا حبيبه على جماله المضطرم ، فهو كالفراشة يحوم على هـذا الحبيب ؛ وهذه الشمس الغاربة فى اليم بين السحب شبه الجرح فى القلب الوامق ؛ ثم هذا البيت الفريد :

ومن عجب أحنو على النبهم غائراً ويسألنى قلبى متى يرجع الرامى !

هو ما يعدل ألف بيت من جيد الشعر عنـد من يقدرون الشعر ؛ ثم هنا المحب الذى ينتظر حبيبه فيلمحه آتياً بضمير قلبه ؛ ثم هذه الأحاديث التى يتحدثها القلب ، ثم هذا القلب الذى يسبق صاحبه للقاء الحبيب :

أمد يدىّ فى لهف إلـيه أشاكيه بمحتبس الدموع
فيسبقنى إلى لقياه قلـبى وثوباً ... ثم يبرد فى ضلوعى !

ثم هـذا القلب الذى يطهره الحب حتى لا يكون من هذه الأرض ؛ وامتلاء العروق بالحنين بدل الدماء التى تتدفق من القلب ؛ واقتيات القلب بالأمل المطمون وقد خاب رجاؤه ... ثم هذا الفؤاد الذى هيض جناحه ومضى الحمام يدب فيه حتى إذا جرت ذكرى الحبيب طار إليه بجناحين قويين فتيين !

كل هذا وذاك من ثروة الشعر التى ينطوى عليها قلب ناجى والتى يجود بها سهلة هيّنة ليّنة فى غير تـكلف ولا تعقيد وللدم من حب ناجى ومن خياله وشعره نصيب عظيم . ألم نقل إن الشعر إن لم يكن فى دم الشاعر فلن يكون فى لسانه إلا كما يكون الصفير فى فم الببغاء ؟

إسمع إليه يقول وقد صافح حبيباً :

أهاب بنـا فلبّينا مناد ضمّ روحينا
كأنا إذ تصافحنا تعانقنـا بكفيّنا
كأن الحب تيـار سرى ما بين جسمينا
يؤجج فى نواظرنا ويشعل فى دمائنا !

ويخاطب القمر فيقول :

قمر الأمانى يا قمـرْ إنى بجسم مُسْتَعِر
أنت الشفاء المدّخر فاسكب ضياءك فى دمى !

ويخاطب الجمال الضنين :

كأنك النسم النشوان منطلقاً أظل كالنفس الحيران أتبعه
تمال وادنُ بيوم لا نحس به أجسادنا ، فى صفاء لا نضيعه
لـكن أحبـك تجرى فى صميم دمى أنت الحياة ، وأنت الكون أجمعه !

ويسائل حبيبه متى يلتقى ؟

متى يرقّ الحظ يا قاسى ؟ ويلتقى المندىّ والناسى ؟
متى ! وهل من حيلة فى متى ؟ وفى خيـالات وأجداس
هدّ قرارى جريها فى دمى وهمسها فى كر أنفاسى !

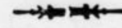
وهكذا يتدفق شعر ناجى من قلبه فى دمه ، وهكذا تروى به روحه وحواسه ، فيكون فيها حباً ورحمة وألماً ، وسترى كيف ينطبع هذا الشعر الجميل الوادع فى قلب ناجى صوراً تشمل الحياة كلها ...

(يتبع) دريني خشبة

٣ - القرآن الكريم
في كتاب النثر الفني

انظاره إعجاز القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي



الإعجاز إعجازان ، إعجاز معنى وإعجاز أسلوب . والإجماع منعقد عليهما كليهما في القرآن ، لكنه إذا أطلق لا ينفك عن إعجاز الأسلوب ، لأن الأدب أسلوب قبل أن يكون معنى ، إذ المعنى للعقل والقلب ، فهو مشترك أو يمكن أن يكون مشتركاً بين اللغات . أما الأسلوب فخاص غير عام ، لكل لغة أساليبها ، بل لكل أديب أسلوبه . فمن ينكر الأسلوب فقد أنكر الأدب في الواقع

وموقف الدكتور زكي مبارك من قيمة الأسلوب موقف عجب . فهو يجعل الأسلوب فصلاً بين لغة ولغة ، ولكنه لا يجعله فصلاً بين أديب وأديب أو بين بليغ وبليغ . فالفصاحة والبلاغة عنده للمعنى ، لا للفظ ولا للأسلوب . اقرأ له إن شئت في صفحة ٦٨ من الجزء الثاني قوله : « ونحن نرى أن سر الفصاحة والبلاغة يرجع إلى ما في المعنى من قوة وروح » . وبعد أن أورد القطعة المعروفة التي أولها : لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة . عقب عليها بقوله « وهذه القطعة من بدائع الشعر العربي . وهي قطعة خالدة ستظل قوية بارعة ما بقي في العالم ناس يفهمون سر العربية . ومع هذا لا تستطيع أن تجد فيها ألفاظاً يعز على غير قائلها الوصول إليها ، أو أسلوباً في التعبير يتميز عن غيره من الأساليب . وجمالها كله يرجع إلى دقة المعنى وطرافته وتخير الألفاظ تخيراً يجعلها تتمثل مع المعنى كتلة واحدة »

ثم اقرأ له بعد ذلك « وقد نجد من الشعر ما تخلو معانيه وألفاظه من الروعة الظاهرة ولكن قوة الروح تصل به إلى أسمى غايات الإبداع . ومثال ذلك قول حطان بن المعلى يشكو فقره وما وضع القدر في رجليه من قيود الأهل والذرية :

أنزلني الدهر على حكمه ... من شامخ عال إلى خفض

وبعد أن استوفى القطعة المعروفة قال : « وقوة هذا الشعر ترجع إلى الشاعر لا إلى اللفظ ولا إلى الأسلوب » . وهو في تفريقه هذا بين الشاعر وأسلوبه كمن يفرق بين المرء ووجهه أو بين الوجه وقسماته ، فالأسلوب هو الشاعر والكاتب ، والشاعر والكاتب هو الأسلوب . أو بعبارة أدق ، الأسلوب هو مظهر الأديب ومعبره سواء عبر عن كل ما في نفسه أو عن بعضه ، فهو كل ما يعرفه الناس من الشاعر أو الكاتب ، ولعل التفاوت في الأدب هو بقدر التفاوت في تعبير الأسلوب عن صاحبه ، فأقدر الأدباء هو أكثرهم تمثلاً في أسلوبه . لكننا نترك هذه المسألة للمشتغلين بالأدب يتنازعونها بينهم ، يوافقون الدكتور أو يخالفونه ، لكن الذي يهم فيما نحن بسبيله هو إنكار الدكتور في الظاهر كل قيمة للأسلوب ، واضطراره في النهاية إلى الإقرار له بكل قيمة حين جعله هو والمعنى كتلة واحدة كما رأيت في تعليقه على القطعة الأولى ، وكما ترى له فيما يأتي :

« ولا جدال في أن الألفاظ والأساليب تتلون وتتشكل بلون الفكرة التي تسيطر عليها . وعلى هذا الأساس وجد الأسلوب الجزل والأسلوب الرقيق . فالرقة والجزالة من مقتضيات المعاني لا الألفاظ . فالمعنى الجزل له لفظ جزل ، والمعنى الرقيق له لفظ رقيق . فإذا غلبت الرقة على شاعر مثل البهاء زهير فرجعها إلى الفكرة لأنه شاعر وديع يعبر عن معان وديعة يلهم أمثالها أصحاب الوداعة والرقة من الشعراء المترفين . وإذا غلبت الجزالة على شاعر مثل المتنبي فرجعها أيضاً إلى الفكرة لأنه شاعر طامع في أسمى ما يطمح إليه فحول الرجال ... » ص ٧١ وهو في هذه القطعة يجعل المسألة مسألة ألفاظ ولا يجعل للتركيب شيئاً ، ثم يجعل اللفظ هو والمعنى شيئاً واحداً ، كأن المعنى إذا قام بالذهن ، والشعور إذا قام بالنفس ، جاء اللفظ طائعاً ، جزلاً أو رقيقاً حسب المعنى أو الشعور . وهو لا يلتفت إلى ما يستلزمه هذا الرأي من وجوب اتحاد الأساليب باتحاد المعاني عند الأدباء ، مما هو باطل بالبداهة ، بل يزداد إغراقاً وإغراباً إذ يقول : « ثم تقرر أن الألفاظ ملك للجميع يجدونها حيث أرادوا في المعاجم والدواوين ! (والتعجب من عندنا) ولا يبقى موضعاً

للجهد والعنت أو العبقرية إلا المعانى والأغراض

... إن الألفاظ فى مقدور كل شاعر وكل كاتب وكل خطيب ، ولكن المعجز حقاً هو الفكرة . وليس معنى هذا أننا لا نقيم وزناً للصناعة الفنية . ولكن معناه أننا نقرر أن الفكرة تجيء أولاً ويجيء الورق ثانياً كما يقول الفرنسيون » . وهو يريد بالورق فيما يبدو الألفاظ والأسلوب الذى سيبدو على الورق ، فإذا كان ذلك كذلك فقد رجع بعد طول الحوار والخلاف إلى ما عليه جمهرة الأدباء من أن المعنى أهم من الصناعة الفنية ولكن الصناعة الفنية لها قيمتها ووزنها . والأمر إليك الآن فى أن تجد إسماً لهذه الظاهرة فى كلام صاحب النثر الفنى : سمها تناقضاً ، أو سمها اضطراباً وتبلبلاً ، أو سمها رجوعاً عن مذهب ظن أنه ابتكره إلى مذهب الناس ، وإن شئت فسمها رجوعاً إلى الحق إن كنت ممن يحسنون به الظن

ولكن — وهذا هو لب الموضوع وروحه — هل تظنه حكم للقرآن بشيء من ناحية الأسلوب ؟ سأترك صاحب النثر الفنى يعبر عن نفسه بقدر الإمكان . قال متمماً لكلامه السابق :

« وقد رأى ناس قول الباقلانى (ليس القرآن من جنس كلام العرب) فقرروا خاطئين أن القرآن يخالف ما درجت عليه البلاغة العربية من حيث الأسلوب . ولو سألتهم عن تحديد معنى الأسلوب لعجزوا عجزاً مبيناً ، لأن الأسلوب فى رأينا هو الصورة الظاهرة لعقل الكاتب وروحه وفكرته ومرماه » — ولا يخطر لصاحب هذا الكلام أنه قد هدم كل ما قاله من قبل ، وجعل الأسلوب هو كل شيء ما دام هو الصورة الظاهرة للعقل والروح والفكرة والغرض ، وهذه عنده هى كل شيء ، فعله يحكم للأسلوب القرآنى بشيء — « وليس فى مقدور أحد من المتفوقين فى علوم البلاغة أن يحدد الأسلوب تحديداً منطقياً يجمع خصائصه ويمنع ما يتطرق إليه من غريب الأوصاف ، أو أن يدلنا على خواص أسلوب القرآن دلالة واضحة بريئة من عوارض اللبس والغموض ، فإن ألفاظ القرآن كألفاظ كل كلام عربى مبين لا تمتاز باللفظ ولا بالأداء وإنما تمتاز بالمعنى والغرض والروح » !

أترى صاحب هذا الكلام يعقل ما يقول ؟ إنه يطالب غيره بتحديد الأسلوب تحديداً منطقياً . ألا يتعلم أولاً من المنطق كيف يكون التفكير ؟ ألفاظ القرآن لا تمتاز باللفظ ! طيب ! ولا بالأداء ! طيب أيضاً ! فهذا هو مذهب الدكتور . وإنما تمتاز بالمعنى والغرض والروح ! ألم يقل هذا الرجل قبل ذلك بأسطر إن الأسلوب فى رأيه هو الصورة الظاهرة لعقل الكاتب وروحه وفكرته ومرماه ؟ أليس معنى ذلك أن الأسلوب يمتاز بامتياز ما يمثله من روح وفكرة ومرمى ؟ فكيف استقام عنده أن يمتاز القرآن بالمعنى والغرض والروح ولا يمتاز باللفظ ولا بالأداء ؟ ألم يقرر من قبل أن المعنى الجزل له لفظ جزل ، والمعنى الرقيق له لفظ رقيق ، وأن الألفاظ والأساليب تتلون وتتشكل بلون الفكرة التى تسيطر عليها ؟ فكيف جاز فى تفكيره أن يكون للمعنى القرآنى امتياز لا يكون مثله للفظ القرآنى والأسلوب ؟ إن هذا الرجل لا يدرى أنه بقوله هذا يجمع على نفسه إنكار إعجاز المعنى إلى إنكار إعجاز الأسلوب !

والعجيب من أمره أنه يمضى على وجهه بضرب الأمثال لرأيه ذلك من القرآن إذ يقول : « فإن أراد أحد شاهداً على ما نقول فإنا نفتح المصحف عرضاً بدون تخير ، ثم ننقل آيات لنسأله أن يعين ما جاء فيه غريباً عن الأساليب العربية . ولنختر خمس آيات من مطلع سورة الأنبياء : (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون . ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدَثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهيةً قلوبُهم ، وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون . قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض وهو السميع العليم . بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) »

ومن قبل أن يستتم المعنى بالآية السادسة على الأقل (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها ، أفَهُم يؤمنون) جعل يسأل القارىء « فأين تكون غرابة الأسلوب فى هذه الآيات الخمس ؟ وأين يكون السياق الفنى الغريب عن الأعراب ؟ أليس مرجع الروعة في هذه الآيات إلى المعنى والروح ؟ أترونها تمتاز بالسجع ؟ وكيف والسجع كان معروفاً قبل القرآن ؟ أترون ألفاظها متخيرة منتقاة ؟ هو ذلك ، ولكن كيف يدور اختيار

الألفاظ ؟ أترون لاختيار الألفاظ مداراً غير موجبات المعانى والأغراض ؟ » أسئلة يرسلها على القارئ كأن القارئ حكم فى الموضوع ، وليس كل قارئ يستطيع الحكم فيه . ومع ذلك فإن صاحب النثر الفنى قد دل بتلك الأسئلة على أنه ليس من الأدب ولا من صحة التفكير فى شىء ، وإلا فأين فى اللغة العربية كلها يجد خارج القرآن أسلوباً كأسلوب تلك الآيات الخمس ؟ ليدل قراء العربية عليه إن كان يستطيع . وأمامه الآيات قد عرف معناها — إن كان قد عرفه — فليعبر عن المعنى ، وليحتفل ، ولينظر أين يصل به الجهد . بل ليختر آية منها ، أيها شاء ، وليقصر محاولاته عليها ولو بتغيير لفظ ، أو تغيير حرف ، أو تغيير ترتيب ، ثم لينظر هل يمكن أن يأتى بشىء يقبله منه أهل العربية أنه عدل الآية ، أو قريب منها ، أو يمكن أن يوضع وإياها فى ميزان . إنه التحدى القديم أطرحه فى أبسط صورة عليه الآن من جديد

ويزعم زكى مبارك أن السياق الفنى فى تلك الآيات ليس غريباً عن الأعراب . فمن أين له ذلك وهو يقول أن : « ما نقله الرواة من النصوص لا يكفى لتعيين أساليب النثر فى العصر الجاهلى . وهو على قلته مما وضع فى العصر الأموى وصدر العصر العباسى لأغراض دينية وسياسية »[1] ؛ فمن أين له تعيين أسلوب الحواضر فضلا عن أسلوب البوادى حتى استطاع الحكم ؟

ويقول الدكتور زكى مبارك إن السجع كان معروفا قبل القرآن ، جواباً على ما افترض على لسان القارئ من امتياز الآيات بالسجع ، كأنه يظن أن مجرد وجود السجع هو الامتياز . فإن كان هذا هو المراد فقد أنطق القارئ بجواب غير معقول ليأتى عليه برد معقول ! أم هو يرى أن ما سماه فى الآيات سجعاً هو سجع من السجع لا فضل له على ما سواه . هذا هو لازم رده على ما أنطق به القارئ من جواب ، إن كان يرى أنه أحسن الرد . وإذن يكون رده ذلك دليلا على تسويته فى التقدير بين سجع القرآن وسجع غير القرآن

ثم يمضى الدكتور زكى مبارك فى استشهاداته يقول :

« فإن كانت هذه الآيات الخمس لا تكفى فإلى القارئ شواهد أخرى من القرآن المجيد . يقول الله عز شأنه (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) وأنا أشهد صادقاً أنى ما فكرت فى هذه الآية إلا دهشت من سمو هذا النصح النبيل . فأين يكون جمال هذه الآية ؟ أترونها من جنس غير جنس كلام العرب كما زعم الباقلانى ؟ هيهات ! إن ألفاظها تشبه جميع الألفاظ وتركيبها لا يتميز بشىء عن غيره من التراكيب » . ثم يستكمل الاستشهاد بقوله : « على أنه من الخير أن نسوق الآية كاملة لنتبين كيف يمكن أن تكون بعض أجزاء الآية الواحدة أقوى من بعض : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » . ألا ترون إن أنصفتم أن كلمة « اعدلوا هو أقرب للتقوى » تقل فى قوتها عن كلمة « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » . فما هو سبب التفاوت ؟ لا يظن أحد أن مرجع التفاوت هو الأسلوب ؛ فإن القرآن تفرد فى رأى مخالفينا بوحدة الأداء والتعبير . فلم يبق من فرق بين صدر الآية وعجزها غير تفاوت المعنى . والتفاوت هنا جاء من أن صدر الآية معنى بكر لا يجرى إلا على ألسنة الحكماء والأنبياء ، على حين نرى عجز الآية يؤدى معنى مفهوماً لدى جميع الناس » !

فهل ترى هذا الرجل يفهم قوله تعالى « اعدلوا ، هو أقرب للتقوى » ؟ لو كان يفهمه ما قال أنه مفهوم لدى جميع الناس . وأى ناس يا ترى ؟ الناس الآن الذين ألفوا القرآن ، أم الناس فى الجاهلية ، أم الناس فى صدر الإسلام ؟ وبأى ميزان يا ترى تبين له التفاوت بين جزءى الآية ؟ إنه لا يفهمهما رغم تحمسه لأولهما ، وإلا ما افترض أن الإنصاف يقضى بالاعتراف بأن ثانى الجزءين دون الأول ؛ بهتاناً يلقيه بغير دليل . إنه يرى الكلام جزافا ، وإلا ما قال إن المعنى الأول بكر لا يجرى إلا على ألسنة الحكماء والأنبياء والثانى غير بكر ، مع أنه هو الذى لا يمكن أن يجرى إلا بوحى على ألسنة الأنبياء

ثم إن الرجل يكذب حين يزعم لك أنه أورد الآية كاملة . فهو لم يورد إلا نحو ثلث الآية ، على جلال ما أورد . فالآية هي من سورة المائدة : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا ،

(١) الجزء الأول صفحة ٣٥

هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون »

بقى شاهد من عدة شواهد لا يتسع لها المقال : « ثم لننظر قوله جل ثناؤه : « ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين » هذه من غرر الآيات القرآنية فأين يقع منها الحسن ؟ أترونه فى اللفظ ؟ أترونه فى الأسلوب ؟ وكيف وهى ألفاظ يجدها من يريد ، فى أسلوب واضح يدركه جميع المخاطبين ويستطيعه جميع الكاتبين ؟ إن الجمال هنا فى الروح العالى ، حيث يخاطب الله الآثمين وقد ألقى بهم فى نار الجحيم » . ولو كانوا فى نار الجحيم لجاز أن يشغلهم العذاب عن سماع الخطاب ، ولكنهم فى موقف الحساب قبل أن يحكم عليهم بالنار ، وشتان بين وقعى الكلام فى المقامين . ولكن صاحب النثر الفنى لا يدرك من دقيق الإعجاز ولا جليله شيئاً ، لا فى المعنى ولا فى الأسلوب ، ولا فى مقتضى الحال . فسيان منه الإنكار والإقرار . فإقراره — لو أقر — إقرار مخطئ ، وإنكاره إنكار مغرور

محمد أحمد الغمراوى

دجلة فى الليل

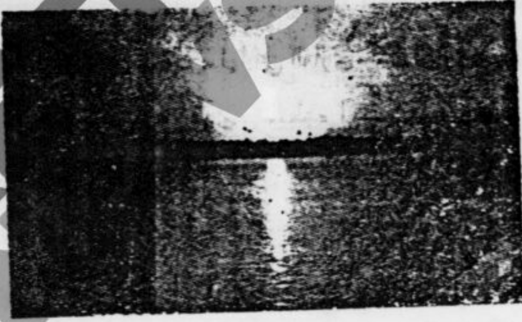
« تهدى إلى أخي الأستاذ على الطنطاوى شقيق القلب والروح ، والرفيق فى الغربة والسفر »

للأستاذ أنور العطار

الليل فى بغداد لا ينام
سهران تصبى روحه الأنغام
ويستبيه الوجد والهيام
واللهو والإيناس والمدام
والشعر والأوهام والأحلام

أنور العطار

أسكُبِ النورَ ياقمرْ واغمُرِ النهرَ بالصورْ
وأذِعْ فرحةَ الهوى وأشِعْ لذةَ السمر
واترك القلبَ حالماً ناسياً روعةَ الغِيَر
يجمعُ النفسَ كلَّها مِنْ تَشهّيه فى النظر
هاهنا الليل شاعر مُلْهَمٌ خَيِّرُ الفِكَر
مُستطارٌ إذا انتشى مُستثارٌ إذا اذَّكر
مِلْءُ أفيائه السنا مِلْءُ أعطافه الدُّرَر
فى وشاحٍ مُنَمْنَمٍ ساحرٍ فتنةِ البصر



دجلة فى ضوء القمر

والنسيمُ الذى يطُوفُ بِشعرٌ لِمنْ شَعَر
ونشيدٌ مُسلسلٌ فى العَشِيَّاتِ والبُكَر
ما أُحَيْلاهُ ساجياً ما أُحَيْلاهُ إن فتر
طافَ بالأعينِ الرُّقادُ وما شفَّنى السهر
يتصبَّانىَ النخيلُ ويغريني النَّهَر
فى ثناياهُ صورةٌ حلوةٌ كلُّها سِيَر
بأبى أنتَ مَوْرِداً ليسَ فى وِرْدِهِ كَدَر
يتشهَّاكَ خاطرى وتسلَّى بكَ الذِّكَر
إن تثنَّيتَ فالندى أو تأوَّدْتَ فالطَّرَر
أو تسلسلتَ صافياً فأخو الدَّلِّ والخَفَرْ
مرَّ بى طيفُكَ الحبيب وكم طائف سَحَر
فى أساريره فتونٌ وفى طَرْفِهِ حَوَر
المنى طوْعُ أمرهِ ما تمنَّى وما أمر
والشَّذا منه عابِقْ فاغِمُ العطر منتشر
فعلى الشمسِ عرشُهُ وعلى هامِها استقر
هو ريحانةُ العُلى فيه مِنْ عبقرٍ أثر

* * *

عدتُ للغابر البعيدِ أُناجى الذى غبر
أتأسَّى بما انطوى أتعزى بما استتر
ها هنا تخشع القلوب وتصبو وتنفطر
ها هنا سيرة الزمان وعاها الذى ذكر
ها هنا الكونُ سابحٌ فى خِضَمٍّ من العِبَر
أنتَ لى الحبُّ والمنى أنت لى القصدُ والوطر
ليسَ لى عنكَ مُبتغًى ليس لى عنك مُصطَبَر
أتناسى بكَ الأسى غَمَرَ النفسَ ما غمر

وَاَحنيني إلى الضفافِ   تزاحمْنَ بالشجر
وتسابقنَ بالرُّؤى   وتساجلْنَ بالصور
وتلامسْنَ بالهوى   وتهامسنَ بالسير
ورويْنَ الذي انقضى   وأذعنَ الذي استتر
أنتَ يا نهرُ عاشقٌ   منْ صباباتكَ القمر
مَرَّ بالماءِ صورةً   فَتنتْ كلَّ مَنْ نظر
وينابيعَ حُفَّلاً   باللآلى وبالدُّرَر
والنجومُ التي ترِفُّ   إطارٌ من الزَّهر
وربيعٌ من المنَى   ورياضٌ من الثمر
يتوهجْنَ كاللظى   يتراقصْنَ كالشرر
فيكَ ما يملأُ النُّهَى   فيك ما يَبْهَرُ البشر
آيةٌ أنتَ للعُلَى   رايةٌ أنتَ للظَّفَر
يَتَثَنَّى بكَ الزمانُ   ويُزْهى بكَ العُصُر
ويُباهي بكَ الجلا   لُ ويَنْدَى ويَزْدَهر
رُبَّ ماضٍ بمَشْتَهُ   مثلما يُجْمَعُ النَّشَرْ
رَفَّ كالحُلْمِ خاطفاً   وتوارى وما انتظرْ
لمْ يَنلْ منكَ غابرٌ   لَمْ يَعِبْ حسنَكَ القِصَرْ
أنت كالحبِّ سارِبْ   أنتَ كالعُمْر مختصرْ
أنتَ كونٌ من الشمو   س سنا ضَوْئها بَهَرْ

***

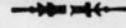
بِتُّ أستلهِمُ الرُّؤَى   بِتُّ أستقرِئُ الذِّكَرْ
والهوى طائف يجد   وكم يركب الغَرَرْ
لا يخاف الرَّدَى الرهيب   ولا يعرفُ الحَذَرْ
مَرَنَ الخوضَ والدُّجى   أَلِفَ الشَّدْوَ والسَّحَرْ
ليسَ تَثْنيهِ غَمْرَةٌ   طالَ ذا العُمْرُ أو قَصُرْ
هو تِرْبُ المدَى الخفيِّ   أخو الدَّهر والقَدَرْ
طاف بالغابر القَصِيِّ   لياليه والنُّهُرْ
في تضاعيفه النَّعيمُ   وفي طيِّهِ سَقَرْ
يا له من مُتَيَّم   يعشق النأى والسفر

***

أيها الهاجر الذي   عذَّب القلب مُذْ نَفَرْ
أنتَ وحيٌ أُحِبُّهُ   وَرَدَ الفكرَ أو صَدَرْ
كلُّ ذَنْب جنيته   هو في الحب مغتفَر
لا تكلني إلى الأسى   لا تكلني إلى الضجر
حسب روحي الذي مضى   حسب قلبي الذي عبر
قم نعدْ سكرةَ الهوى   فالهوى كله سَكَرْ
ونُحَوِّمْ على الخلودِ   ودَارَاتِهِ الأُخَرْ
فهنا الكون عابق   أرجٌ زهره عَطِرْ
سامح الحِب إن هفا   واعْفُ عنه إذا هَجَرْ
المنى طوع من رثى   والهوى حظ من صبر
والهوى سلوة النفوس   وبُحبوحةُ العُمُرْ
كل من ذاقه استعا   د صباه الذي غَبَرْ
وتروَّى من الحياة   ومن روضها النضر
لذة العيش في الصبا   راحة البال في الصغر
كل أحلامه سناً   كلُّ أطيافه غُرَرْ
وأراجيحُ طُفَّحٌ   بالألاعيبِ والأُكَرْ
وأساطيرُ عُكَّفٌ   يتمرغن بالسُّرُرْ
نَذَرَ القلب أن يحنَّ   ويا صِدْقَ ما نَذَرْ
بعثَ الشعر سلسلاً   كالينابيع تنفجر
أو كما يحفلُ الغمامُ   وينهلُّ بالمطرْ
فإذا اهتاجَ فالحمامُ   وإن حنَّ فالوتَرْ
فامرحي يا خواطري   وغنِّي لأُنسَ إن حضرْ
وسَلِي «دِجْلَةَ» الرِّضا   عن محبٍّ بها فَكَرْ
خبّرني أنتِ في الدُّنْـ   ـيا تصدق الخِبَرْ
وهوايَ الذي طغى   والهوى طامعٌ أَشِرْ
قد تفرَّدت بالجمالِ   وبالمجدِ والخطرْ
حبذا منكِ رشفةٌ   كلُّ من عبَّها سكِرْ
خطرتْ فامَّحى الأسى   وبدتْ فانجلى الكدرْ
ومشى الحبُّ بي إلى   عالمٍ كله سَمَرْ
جُنَّ شوقي إلى الحِمَى   فهمى الدمع وانتثرْ
يا لَقلبٍ مُولَّهٍ   شفّه الوجد فاستعرْ
ذِكرياتٌ هي الحياةُ   وماضٍ هو العُمُرْ
مَنْ رعاه فقد وفى   مَنْ قلاه فقد كفرْ
ليس في شِرْعةِ الهوى   هائم إن نأى غدرْ

مستقبل العلم

للأستاذ خليل السالم



إن التطلع إلى الأمام ، وبحث المستقبل وتصوره ميزات يتسم بها الرجل الحصيف أو الدولة الواعية أو الحضارة العاقلة . ومهما يتضمن هذا البحث من سمة الخيال ، وأحلام الشعراء ، وظوبيات الفلاسفة فإنه دون ريب يجعل من المستقبل صورة مثالية حية فى فكر الإنسان ، تتكيف حسب آماله ورغباته وتفرض على الواقع أن يقترب منها ويسمو إليها

والعلم اليوم يجتاز مرحلة قاسية عصيبة من مراحل تطوره تدخل إلى نفسه شيئاً غير قليل من الحيرة والقلق على . مصيره ؛ فبعض المفكرين يصبون عليه نقمة السماء ولعنة الأرض ، ويدعون أنه علة الشقاء والويلات التى تحيق بالبشر وتفسد حياتهم . لقد سخر الأرض لتدب عليها جبال الحديد ملؤها الموت والدمار ، وسخر الهواء لتركب متنه نافثات اللهب وقاذفات القنابل وحاملات الجراثيم والغازات ، وسخر الماء لتمخر عبابه مدن النار وألغام المغنطيس التى تأتى فى اليم بملايين الأرواح دون أن تقيم للحياة أى وزن ؛ وأتاح لنار الحرب أن تمتد وتأكل اليابس والرطب لا يسلم من أخطارها وفظائعها قطر أينما كان موقعه على وجه الأرض . وبوجه عام لقد وضع العلم فى يد الشر والعدوان معاول الهدم التى تدك صرح الحضارة وتطمس معالمها

وفشل العلم فى أيام السلم أيضاً ، فالآلة التى قدمها لتعزز الصناعة وتضاعف الإنتاج وسعت نطاق البطالة وتركت ملايين العائلات تتضور جوعاً وترتجف عرياً وتعمى جهلاً . وحرم العلم ملايين العمال أى متعة وأى هناء بينما كدس لأصحاب العمل المال الطائل والربح الوافر . فالنظام الاقتصادى الذى تمخضت عنه الصناعة العلمية جائر مسيء لا ييسر لجميع الطبقات أن تستفيد من الإنتاج وتأخذ قسطها العادل من الثروة ، فكان الفقر المدقع وكانت الأزمات المروعة ، وكانت الثورات الدامية

ومن جهة أخرى ينظر رجال السلطة الذين استفادوا من العلم أولاً إليه كأنه خطر يضعه الفكر تحت مناصبهم وعروشهم ، فإنه إن قوى وامتد وعم جميع الطبقات كما تبشر الحركات العلمية الناشطة فإن هذا اللغم سيشتعل بالاحتكاك المباشر وينسف تلك الكراسى ، وينزع السلطة من أيديهم ، ويقلب النظام القائم فتتغير القيم الأخلاقية ، وتتعدد أنماط الحياة وتتعقد

وفشل العلم فى دراسة طبائع الناس ، فبينما العلم الفنى التطبيقى يعدو ويطفر ، إذا العلم النفسى الاجتماعى يتسكع ويدور حول نفسه ؛ فالقوانين المسنونة لا تمنع الجريمة ، ونوازع الشر والإثم تساور الأخيلة ، والنفس البشرية لا تزال متخلفة إلى الوراء تحمل فى طياتها بقايا الوحشية التى تشحذ أظفارها وتكشر عن أنيابها كل عقد من السنين فى الحرب الضروس . وها هى ذى الإنسانية تتجرع غصص حرب طاحنة شاملة ، وإذا تساوت الأمور فسيبقى شبح الحرب المرعب مهدداً لم الأمن والطمأنينة فى نفوس الناس

وأخو الحب ثابت ليس يلويه مزدجر
ربما عاش بالمنى ربما عاش بالفكر
هو ذا الزورق الحبيب على مائك انحدر
حمل الأنس والرضا والمسرات والبشر
واستفاضت لحونه تغمر البدو والحضر
ها هنا يطرب الثرى ها هنا يشعر الحجر
ها هنا تسلس الطباع وتستأنس الفطر
غنّنى أطيب الغناء وناج الذى خطر
فلقد يشمل الهوى ولقد يسكر الوتر

* * *

إيه (بغداد) هل يعود الجلال الذى اندثر
فأرى تاجك النضير على الكون ينضفر
وأرى الأرض كلها وهى مهد ومستقر
آية أنت فذة كل ما فيك مبتكر
من تلاها فقد تلا مصحف المجد والسور
حفظ الدهر ذكرها وروى للغد الخبر

(دمشق) أنور العطار

قال رئيس معهد تقدم العلوم البريطاني فى فرصة سابقة : « إن سعادة البشر ورفاهته لا يتأثران بكبت جذوة العلم ، وإغلاق جميع المختبرات الكيميائية والطبيعية ولو لمدة عشر سنوات » ترى أيأخذ العالم بهذا الاقتراح ويعمل بموجبه فى المستقبل ؟

لعل أسئلة كثيرة تتردد على شفة القارئ الآن ، واعتراضات عنيفة تدور فى خلده ، وهي لو انطلقت بحرية لصاحت قائلة : والآلة البخارية ، والمحرك ، والمولد ، والتلغراف ، والنور الكهربائى ، والسينما ، والطائرة ، والأسمدة ، والأصبغة ، والراديو ، والتلفاز ، وأشعة إكس ، والبنيسيلين ، وغيرها ... كيف تنسى ؟ أليست هذه دعائم المدنية الإنسانية التى نعتز بها ونسعى للمحافظة عليها ؟ ألم يقدم العلم كل هذه لترفه عن الإنسانية وتسمو بها إلى السعادة والكمال ؟

حقاً إن الحضارة ما كانت لتزدهر ، وإن الطبيعة البشرية ما كانت لتبلغ بعض تطوراتها لولا إرشاد العلم وقيادته الحازمة . إن شجرة العلم الباسقة تُؤتى ثماراً يانعة حلوة طوراً ، وتُؤتى حنظلاً وعلقماً فى طور آخر . ترعى العلم ملائكة الرحمة حيناً وتستغله مردة الأبالسة حيناً آخر . أفلا يستحق هذا المخلوق الفكرى العجيب وقفة قصيرة نتأمل فيها مصيره ؟ أينبذه العالم ويعود إلى الخرافات المرقمة القديمة ، أو يعتمد عليه فى حل مشاكل الحضارة الراهنة ؟ وكيف يتسنى بناء عالم سعيد يشعر الأفراد فيه بالحرية والرخاء ؟

علمنا التاريخ أن ندرس المستقبل على ضوء الماضى ، فتيار النشاط البشرى واتجاه الحوادث العام يوحيان باتجاه المستقبل وحوادثه . وأصلح السبل للنجاح فى المستقبل ستكون هى السبل التى نجحت فى الماضى مع أى تعديل يفرضه الوضع الجديد . والنتائج القادمة المتوقعة تبنى على المقدمات المعلومة المفروضة . وبناء على هذا يمكننا رسم صورة لمستقبل العلم لها حظ غير يسير من الصدق والحقيقة والقرب من واقع الحياة . وأمل القارئ لا ينتظر منى أن أتنبأ بالاكتشافات الجديدة فى لباب العلم ، أو النظريات التى ستوضع فى المستقبل ، فهذا يكون اكتشافاً لها أو وضعاً وأنا أعجز عن مثل هذا . ويطول بى البحث إن عرضت كل مجالى التقدم فى علم الطبيعة مثلاً بفضل المكرسكوب الألكترونى (الكهيربى) أو تلسكوب الأشعة تحت الحمراء ، أو التلفزة أو الكهرباء المتموجة ، أو حاولت التعليق على آفاق الكيمياء التى سيفتقها علم الطيف وتحليل الأشعة السينية وعلم البلورات الجديد ، أو ذكرت ما يتوقعه العلماء نتيجة درس الأفعال الكهرطيسية فى الأجسام الحية وانقسام الكروموسومات فى الخلية ، ومدى تأثير ذلك على الوراثة والعمر أعنى تطور الإنسان وخلوده . فبحسبى إذن أن أشرح التفاعل بين العلم المنظم والمجتمع ، وعلى أى وجه ستكون العلاقة بينهما

لقد كشف العلم كثيراً من أسرار الكون والحياة ، وبرع فى استخراج الطاقة من مكامنها الطبيعية . تدخل فى الصناعة فتضاعف الإنتاج ، وتدخل فى الزراعة فارتفعت الغلة فى روسيا والولايات المتحدة إلى عشرة أمثال ما كانت عليه . وتدخل فى الطب فقمع معظم الأمراض السارية وأتقن سبل الوقاية فارتفع معدل العمر فى الأوساط الراقية علمياً ارتفاعاً بيناً (متوسط عمر الإنسان فى الهند ٢٦ سنة وفى انجلترا ٥٥ سنة) . وتدخل فى مسائل الفكر فحرر العقل من قيوده وعبوديته للخرافات والشعوذات العامية . والإنسان لم يشتمل ذكاء وحيلة فى المائتى سنة الأخيرة ، مع أن منحنى التقدم فى كل ناحية من نواحى الحياة خلالها قد أسرع فى الارتفاع . ولكن الطريقة العلمية الحديثة وراء هذا التقدم السريع ما تمكننا من أن نحكم ببساطة أن العلم وحده يستطيع أن يضمن للبشرية حياة رغدة هنيئة ، وإن شلل العالم لا يشفيه أى نظام لا تسوده نواميس العلم ومخترعاته . وهو بالإضافة إلى أنه يضمن التقدم الآلى الذى يضمن التقدم العقلى ، فالإنسان الذى لا بد أن يؤمن بشىء يركن إليه فى حل مشاكله وابتداع أسلوبه فى الحياة ، يجد من الأسس العلمية الثابتة المنطقية المتسقة ما يرتكز عليه ويطمئن له ويحيا به . ولو عدنا إلى تلك الجرائم التى ألصقناها بالعلم لوجدنا أنه لم يكن سبباً مباشراً لها ، فسدنة العلم وخدامه لم يتطاوعوا لخلق المشاكل ولم يقصدوا فى نضالهم التخريب والتدمير . ولكن النواميس التى تجلت لهم فى لحظات الإلهام والعبقرية تطبق على وجه فاسد . وهذا التطبيق هو الذى أفسد الأرض . ولذا أعتقد أن العلم فى المستقبل سيبدأ من هذه النقطة إصلاحه للمجتمع ، فإن يسمح

بعد الآن لرجال غرباء عنه تسوقهم الأثرة والجشع والنهم المادى أن يشوهوا وجهه باستغلال مبتكراته على وجه فاسد لئيم ، بينما يقصد بها أن تكون نافعة مجدية ، يتتبعها العلماء بالملاحظة اليقظة فلا تستغل إلا فى سبل الخير العام . وكى يتسنى للعلماء تنفيذ هذا القصد النبيل يجب أن تلقى إليهم مقاليد السلطة ومقدرات الحكومة . قد يُذكر الآنَ فشل أفلاطون فى نقل جمهوريته الفاضلة من حيز المثل إلى حيز العمل ، ولكن فرقاً واحداً سيجعل من العلماء حكاماً صالحين لإدارة دفة المجتمع . وأحب أن أحترس أولا خشية أن يساء فهمى . بأنى لا أقصد وضع (أينشتين) و (بلانك) و (بندهام) و (ادنقتن) و (مشرفة) وغيرهم ممن الف لفهم فى مناصب الحكم والسلطة ، وإنما أرى أن مقاليد الأمور لن تسلم بعد الآن لأشخاص لا تكفى مؤهلاتهم العلمية الاختصاصية لجعلهم فى الطليعة . وقد رأينا بوادر هذا فى روسيا حيث يدير كل مصلحة رجلها الفذ المختص . وفى انكلترا عند تدبير اقتصاديات الحكومة المتحدة والإشراف عليها ، أو عند وضع مشروع خطير كمشروع (بفردج) ، وفى أمريكا حيث يطبق هذا المبدأ على نطاق واسع ، فالاعتقاد بأن المشاكل لا تحل إلا بالاختصاص العلمى والتفكير العلمى أصبح جازما أكيداً

وسبب آخر يجعلنا نؤمن بأن العلماء سينجحون فى مهمتهم هذه هو أن جميع الأفراد فى المجتمع سيتثقفون بالثقافة العلمية الصحيحة ، ويتبينون وجهة النظر العلمية فى تدبرهم الآراء والأشياء . وهم بهذا سيرتفعون إلى مستوى ينظرون منه إلى المتفوقين نظرة التشريف والاحترام والاعتراف بالسبق والفضل . ومن هنا نستنتج أن الخطوة التالية هى نشر الثقافة وشيوع العلم بشتى الوسائل كالمدارس والجامعات وقاعات المحاضرات المجانية والصحف والمجلات والأفلام السينمائية . ففائدة المجتمع تتطلب إتاحة الفرصة ليتعلم كل الأفراد ، وتتطلب استخدام النابغين بنسبة مواهبهم ، وتوزيع المناصب على الشعب دون أن تقتصر على فئة محدودة لها مصالحها ورغباتها المحصورة فيها

وستضبط هذه الحكومة نوعية وكميات الإنتاج والاستهلاك فيقوم العلم بالشق الثانى من واجبه فى خدمة المجتمع ، فقد نوع الإنتاج أولاً وضاعفه ، ولكنه سينشد فى المستقبل العدل كل العدل فى توزيع المصنوعات . ولن يكون استغلال رأس المال فى المشاريع التى تدر أوفر الأرباح ، وإنما يكون فى المشاريع التى تدر المغنم على أكبر عدد من الناس . ولذا توحى الحكومة أو تأمر بتنفيذ بعض المشاريع بينما تحرم غيرها . ولن يسرف فى استنفاد المواد الخام الضرورية . وعندما تجدب مناجمها رغم التدبير ؛ فسيسعى العلم فى أن يعوضها بما يسد مسدها فتحل الأغذية والألبسة والزيوت الصناعية محل ما تقدمه لنا الطبيعة منها . وربما تضطر الحكومة لتحديد النسل أو إكثاره ، لأن عدد السكان إن زاد أو نقص عن معدل معلوم سيزعج اقتصاديات البلاد وينغص عيش الأفراد . وهى فى محاولاتها هذه ستحسن النسل ، فتكون الأجيال القادمة أصح جسما وعقلاً . وربما لا تحتاج الحكومة إلى أن تضع يدها على المصانع والمنشئات ولكنها بأى طريقة مناسبة ستقمع الاحتكار والمضاربة واللعب بالأسعار والتضخم المالى وتوزيع الثروة السيء ؛ وسترفه عن العمال ، لأن الآلة تقوم بالعمل الرتيب الممل ، وتراقب هذه الآلة العين الكهربائية ، وتحس بها الأنسجة التركيبية بدل اليد ، وتستخدم الأذن الصناعية فيما تستخدم فيه الأذن الطبيعية ، فتقل بذلك ساعات العمل ويتسع الفراغ . وأوقات العمل نفسها ستكون شيقة لذيذة . أنا أصعد المدرسة مبكراً عندما يصلح الراديو فيها للاستعمال ، وأتركها متأخراً عندما ألعب كرة الطاولة ؛ وعلى هذا القياس سيولع العامل بمصنعه لزيادة وسائل التسلية والترفيه وتنوعها ، وسينتظر الذهاب إلى المعمل بفراغ صبر أو برغبة عادية ؛ ويخرج منه لإزجاء الفراغ فى تنمية مداركه وتوسيع اختباراته وتبليغ رسالة خاصة نبيلة للمجتمع . فالفرد لا يعيش فى المجتمع على الهامش ويموت كغلطة فى حضن الأبدية ، وإنما يكسب المجتمع من الصفات التى تشعره بعزة الانتساب إليه ، فتتجه الحيوية الكامنة فى الشباب نحو غايات مخصوصة يرسمها أعلام العلم . فالمجتمع لن يتطور اعتباطاً وبدون قصد

وسيكون للدين والفن مقام كبير فى نفس الرجل العلمى . وسيعتنق فلسفة الدولة ويؤمن بها غير مكره كما هو الحال فى

بعض الحركات الفكرية السياسية المعاصرة ، بل لأنها فلسفة صادقة قيمة مستقاة من وحى العصر والبيئة . وستلغى المعتقدات الوروثة التى لا تقوم على أسس علمية واضحة بنفسها ، فيفتر الشعور بالعائلة والقربى مثلاً ، ويتضاءل أمام الشعور بالدولة ، وقد يتطور هذا فيصبح إيماناً بخير الإنسانية جمعاء ، فلا أكتم هنا أننى أومن أعمق الإيمان بأن وحدة العالم ستكون الهدف الأبعد الذى تتجه إليه جهود الشباب فى المجتمعات العلمية .

وسياق النور الجديد على غرائز النفس ونزواتها فيهذبها ويشذبها وينشط الصالح ويخفى الطالح منها ، فحب السيطرة والحيازة سيفنى ويمحى ، وعند ما يترفع الناس عن مغريات المادة ، ويزول تكالبهم عليها ينزاح كابوس الحرب الجاثم على الصدور وتأمن النفوس ، وترصد الأموال التى كانت تستنفدها الاستعدادات الحربية لبناء المدارس والمعاهد والمستشفيات المجانية . وبجعل دوائر الصحة والبريد وشركات الكهرباء والمادة والغاز والسكك الحديدية وغيرها مصالح عمومية تديرها الحكومة لخدمة مجانية للشعب

سيطول هذا البحث ويتشعب إن وصفت أسلوب الحياة فى العالم الجديد من حيث الغذاء والملبس والمسكن والعلاقات الجنسية والاجتماعية ووسائط النقل والمواصلات ، فأكتفى بما فات عن علاقة العلم بعقبتين كؤودتين تعترضان سبيل الحضارة والتقدم أعنى الحرب والتوزيع الاقتصادى . ولا أشك أن معظم أحلام هذا المستقبل ستحقق بالضرورة بعد الحرب ، وقسم آخر سيؤجل تحقيقه عاملان : أولهما قوة الاستمرار فى عقليات الناس ، ومحافظتهم على القديم ؛ ولكن تاريخ العلم يقطع بأن العلم لم يستنفد طاقة وجهداً كبيرين فى تحويل الرأى العام عن المذاهب الفاسدة التى تنطوى في تضاعيفها عوامل هدمها واضمحلالها . والعامل الآخر مقاومة العناصر المنتفعة التى ترى فى بقاء النظام القائم بقاء لسلطتها واستئثارها بأطايب الأرض ، وهذه فئة قليلة ضئيلة فى المجتمعات لن تستطيع تحويل التيار الجارف أو الوقوف فى وجهه وهو ينحدر من عليائه

وقبل أن أنتهي أحب أن أقول كلمة قصيرة عن مستقبل العلم فى البلاد العربية خاصة . فلا يدرى أحد متى يكون هذا المستقبل الذى صورته حقيقة واقعة واضحة المعالم شاملة التفاصيل فى العالم أجمع ؛ ولذا يكون من واجب العالم العربى أن يستعد فى فترة الانتقال هذه ، ويعى كل الأوضاع والنظريات العلمية الحديثة التى سيبنى عليها العالم الجديد . إن البلاد المتأخرة علمياً لا تنال تقدماً ذاتياً سريعاً ، فلا بد للحكومات أن تبذل الجهود فى هذا السبيل وتشرف على نشر الثقافة العلمية ، وخلق البيئة الصالحة لأن يسمو العلم فيها ويترعرع . وقد نشرت فى (الرسالة) سابقاً بحثين أجملت فى أحدهما خصائص البيئة العلمية ، وفى الآخر شرحت كيف عممت روسيا الثقافة العلمية وبنت المختبرات ونظمت ميادين البحث والتحقيق فبلغت فى غضون عشرين عاماً مستوى علمياً مشرفاً . ولعلنا نحن صنعاً إن درسنا تلك السبل القويمة ووضعنا خطط التقدم التى تناسبنا .

والواقع أن أغلب الحكومات العربية بما تولى العلم من بعض التشجيع والتنشيط تشعر بضرورته لبلوغ التحرر الفكرى والتحرر الاقتصادى والتحرر السياسى . ولكنها في المستقبل القريب ستضاعف هذا الاهتمام وتعز العلم وتنيله حقه الكامل من الرعاية والتشجيع .

خليل السالم

(ثانوية السلط) ب . ع . الدرجة الأولى فى الرياضيات



٦ — الشعر الجديد

قد يكون مما يدخل فى أحاديثنا هذه ويتعلق بأطرافها ، أن أعرض لبعض ما يدور من آراء حول (الشعر الجديد) . فالناس لا بد متحدثون فيما تطالعهم به الصحف ، ولا سيما حديث الشعر والشعراء ، والكتابة والكتاب ، فهذا ميدان يجول فيه كل جائل ، ويصول كل صائل .

ولقد سمعت كثيراً فى موضوع هذا الشعر ، وقرأت كثيراً . ولكن الكثرة الغالبة ممن قرأت لهم ، أو سمعت منهم ، يرمون الكلام على عواهنه ، غير داعمين قولاً ، أو قاطعين بحجة ؛ وإنما هى أحكام تسرد سرداً وتلقى جزافاً . وكثيراً ما تكون غير مستندة مطلقاً إلى قراءة ، أو راجعة إلى دراسة . . . وما أكثر الثناء والإطراء بيننا ! وما أعظم ما يتحكم الهوى ، ويستبد الغرض ! وتقارض المديح داء عياء فى بيئتنا الأدبية ؛ فاضمحل النقد وصوّح ، بعد أن كان يوماً مزدهراً مونعا . وخلا الجو للبغاث فاستنسر ، وللباطل فرانَ على الحق ؛ فإن رأيت نقداً فقِوامه همز ولمز ، وتعريض وتجريح

وإنى مكتف هنا برأيين اثنين علقا بذاكرتى لغرابتهما ، ولكثرة ما يتداولهما ناس من الناس

فقد قالوا إن هؤلاء المجدّدين — سواء أكانوا شعراء أم كتابا — إنما ينهجون مناهج الإفرنج فى أخيلتهم وتصوراتهم ، ويحتذون فهم ، ويستميرون منهم ، ويحاكونهم فى تشبيهاتهم ومجازهم ؛ فقد طال عهدنا بالقديم ، ونالنا منه السأم ... وما ضرّ لو أرسلنا فى شعرنا من شعرهم دما جديداً ، وبعثنا فى نثرنا من نثرهم حياة جديدة ، فنجارى الزمن فى حركته ، ونساير العصر فى تطوره ؟

هكذا قالوا

وإن تعجب فعجب أن يصدر مثل هذا الكلام عمن يعقلون ؛ فهم بلا شك مقلدون ، يردّدون ما لا يفهمون . أيجرؤ ملمّ بلغة أجنبية راقية أن يلغو هذا اللغو ؟ أمامنا الأدب الرفيع من أدب الغرب ، وهذا شعرهم ، وهذا نثرهم ، فليقرءوا وليحكموا

فهل مما يعقل أن يكون ثمة صلة أو شبه صلة بين لغط هؤلاء المتشاعرين وأشباه الكتاب ، وذلك الأدب الغض، والبيان الرائع ، والقول المبين ؟ إنهم لأعجز من أن يردُوا هذا المورد ، أو ينهلوا من ذلك المنهل ، وإنهم لأقصر باعاً من أن ينالوا ذاك المنال

ولا عليكم — إذا أعوزتكم لغة الإفرنج — أن ترجعوا إلى ما ترجمه أعلام أدبائنا عنهم . فهذا حافظ فى « بؤسائه » ، ومطران فى شكسبيرياته ، والزيات فى « آلام فرتر » ، والمنفلوطى فى رواياته ، وغير هؤلاء ممن نقلوا فأجادوا النقل وفهموا فأحسنوا الفهم

فارجعوا إلى هذه التآليف البارعة ، تروا كيف يفكر الإفرنج ، وكيف يتخيلون ويتصورون ، وكيف ينقشون ويصورون ؛ وتروا أيضاً نصاعة العربية فى أقلام هؤلاء الأفذاذ وصفاءها ونقاءها ؛ وتميزوا القدرة الفائقة من العجز الفاضح ، والديباجة المشرقة من العِىِ الواضح

والرأى الثانى أصوره فى حوار وجيز فى مجلس من أصحابنا ، وقد تذاكرنا (الشعر الجديد) فقد اندفع من بيننا رجل فقال : إن ما ترونه ياقوم فى بعض هذا الشعر من التعمية والخفاء إنما هو قصد إلى الرمز والإشارة . ألا ترون إلى بعض المتصوّفة كيف يُعمى فى شعره ، أو يُغبّى [1] فى حديثه ، وهو يشير من طرف خفى إلى ما لا يتبين من ظاهر ألفاظه ؟ فهكذا الحال هنا . فقلت له : ولِمَ يرمز شعراؤنا هؤلاء يا سيدى ؟ فقال : إنهم يختلفون فى نزعاتهم وأغراضهم ، فيتغايرون — تبعاً لذلك — فى مراميهم البعيدة . فقلت : أمؤمن أنت بما تقول ؟ وهل اكتنهت شيئاً من هذه الرموز ؟ هات — رحمك الله — فأطرفنا ببعضها [2] ، وفُك لنا مستغلقه

فسلك يده فى جيبه فأخرج دفتراً ، فتلا منه أبياتاً لأحدهم ثم أخرى لغيره ، ثم مقطوعة لثالث ، ثم كر راجعاً ، وطفق يشرح . فلا وربك ما وعى مما قال شيئاً وما وعينا ، وما فقه وما فقهنا !

فقمت عن المجلس وأنا أقول فى نفسى : لقد خِبنا بالأمس فى حل طلاسم (الكاتب المجهول) فإذا نحن فى حل هذه الطلاسم أخيب !

(للحديث بقية) (ا . ع)

(١) يغبى : يستر (٢) أطرفه شيئاً أتحفه به

خصومة لا عداوة للاتمام والشعراء

صديقى صاحب « الرسالة »

مهدت السبيل لصديقنا ناقد الرسالة أن يصول فى موضوع « الميل إلى الهدم وصراع الديكة بين الأدباء والفنانين » ومنحت نفسك سلطة الدفاع المستتر عن ناقد الرسالة بحذفك شطراً من كلمتى التى وجهتها إلى صديقى ناقد (الرسالة)

فعلت ذلك ، ياصــديق ، إرضاء لطبيعتك الهادئة ، ونحيزتك التى تأبى الخصومة ، لا اندفاعاً مع غرض أنزهك عنه . وكم أتمنى أن يجزبك الغرض النبيل فتسمع قراء الرسالة غضبة كتلك التى أطلقتك على سجيتك يوم كتبت (فلاحون وأمراء) ، فعرفوا فيك منها ، كيف يكون الكفاح الحق عن الحرية ، وكيف تكون تنقية الطبقات وتمييز البر منها من الزوان ، وكيف تكون صولات النقد فى حلبة الخصومة ، ولا فرق عندى بين النقد الاجتماعى والنقد الأدبى إلا فى الصيغة

إذن لامحيد لنا ياصديقى فى كل بناء للحياة ، من خصومة هادئة كانت أم صاخبة ، لا تبلغ فى حال من الأحوال حدود العداوة . أقول لا محيص لنا من خصومة تكون الرسالة منبرها العام ، وتكون أهدافها كتابها ومن يتصلو بهم وبها من العاملين فى حلبة الحياة

يريدنا صديقنا ناقد الرسالة ، تمشياً مع خطة الرسالة المستمدة من طبيعة صاحبها أن يتخذ من اللين أداة يستحث بها الشعراء على شحذ قرائحهم ، وجلاء بصائرهم ، وصقل شعورهم وأحاسيسهم ليرسموا بأقلامهم صوراً واضحة الخطوط والمعالم لطبيعة ما يصورون ويرسمون . فإذا ما أنف أستاذ كبير كالأستاذ (ا . ع) وتأفف من سماع أصوات هؤلاء الشعراء قيل له إنك تجرد عليهم « حملة تأديبية » وإذا ما قلت لصديقى ناقد الرسالة ، إننا فى حاجة إلى القذف بطائفة من شعراء الشباب إلى النار ، نار النقد تنقيهم وتطهرهم ، وإلى (تجريدة) تأديبية نشنها على النقاد ، وقفت أنت يا صاحب الرسالة تصد عنهم الهجمات شفقة بهم ورثاء لحالهم بسلاح قاطع من اللطف والذوق والروح الإنسانى النبيل

وبعد هذا ، أزعم أن الفرق بينى وبين ناقد الرسالة ، وبينى وبينك يا صاحب الرسالة يتلخص فى أن القسوة فى النقد — فى اعتقادى — أجدى وأنفع للشاعر الناشئ وللشاعر الذى أدركته الكهولة ولم ينضج بعد ، لأن الصراحة فى النقد — فى اعتقادى أيضاً — هى الحد الفاصل بين الإقدام على الحياة بروح المتوثب المتحدى ، وبين الإحجام عنها . أما أنت ياصديقى وناقد الرسالة أيضاً تريان عكس رأيى فى القسوة فى النقد وصراحته ، وبذلك يتوهم المهازيل من شعراء الشباب أنهم عباقرة سبقوا جيلهم ، وأن الواحد منهم هو إله الشعر وحده وسواه العدم وهذه هى الطامة الكبرى .

حبيب الزحلاوى

لقد ظلموا شعراء الشباب !

أكاد ألمــح فى أكثر ما قرأت غمطاً لحق شعرائنا الشبان ، وتثبيطاً لعزائمهم ؛ فأكثر ما أقرأ يدور حول الزراية بأسلوبهم ، والغض من أخيلتهم ، ورمى كثير منهم بالغموض تارة ، وبالمروق من مألوف العرب تارة أخرى ؛ وما انصرف كاتب منصف لبيان فضل أولئك الشباب فى شق طريقهم إلى المجد بين مختلف العثرات ، ومسايرتهم النهضة الحديثة فى طرائق التفكير ، وتساميهم بأساليبهم بين أمواج الدخيل وعواصف العجمة وظلمات العامية المطبقة التى تأخذ على العربى سبيله فى المسارح والمجالس وكثير من المجلات المغرمة بإرضاء العامة ؛ وأستاذنا الكبير (ا . ع) قادر بما له من واسع الثقافة ، وطويل الخبرة ، وأسلوب الحليم على أن يجعل من بحثه الرائق معهد نقد (بمعناه الأعم) يصف الداء ، ويتبعه الدواء ، والأستاذ دريني خشبة فى استطاعته وهو الدُّوَاكِبُ لنهضة الشباب أن يجلو محاسن شعرهم ، ويبرز للقراء لمعات العبقرية فى أشعارهم ، ومواطن الرجاء عند أكثرهم ؛ وإذاً يجد القارئ قضية الشباب مبسوطة جلية ويستمع لأنصارهم كما يستمع للزارين عليهم . أما أن نبسط فى أمر هؤلاء الشباب صحيفة السيئات ونطوى ما عداها وهم خلفاؤنا — رضينا أو سخطنا — على تراث الأدب فإن ذلك ليس فى شرعة الإنصاف ، وقد يكون له عواقب بعيدة المدى فى تثبيط العزائم

إذا كان فى أسلوبهم ضعف فأين مواطنه ؟ وكيف يستطيع بعضهم أن يرضى قراء البحترى والمتنبى وأبى فراس وابن هانئ وأمثالهم ؟ كيف يستطيع بعضهم — ممن لم تُيسر لهم دراسة أدبية خالصة — أن يظفروا بإعجاب أولئك السادة وما وجدوا أمام أعينهم فى أكثر مراحل التعليم إلا مختارات ضئيلة وتراجم قليلة تُعنى بفلسفة البحث أكثر من عنايتها بطرائف الأدب ؟

عدّلوا أساليب الدراسة الأدبية ، ويسروا على شبابنا سبل الوصول إلى كنوزها ، وزودوهم بمراجيع الشعر مجلوَّةً مسفرة ، ثم وجهوا درس الأدب إلى تذوق الجمال الفني قبل غيره من بحوث فلسفية قليلة الجدوى ؛ وإذاً لا يكون للشعراء الناشئين إلا أن يُجوّدوا أو يتعرضوا للنقد اللاذع الصريح

وإن كان في أخيلة بعضهم شيء من الغموض وجنوح إلى التهاويل فهل خلا شعر هؤلاء من نفحات الشاعرية ، وومضات العبقرية ؟ وهل خلا شعر أبي تمام والمتنبي والمعري وابن هانىء وشوقي والزهاوي من عُقد في الخيال ، ودقة في التصور حيرت الباحثين أزماناً ؟ أليس الزمن وحده والنقد الرفيق الموجه أجدى على شعر الشباب من هذه القسوة التي لا يبررها نبل أصحابها وشرف مقاصدهم ؟

(الأسكندرية) م . ع البشبيشي

حول شعراء الشباب

أخونا الأستاذ « دريني خشبة » رجل طيب ما في ذلك شك . وآية ذلك أن يفهم أنه يمنح أحداً من الناس شيئاً ، أو يسلب أحداً من الناس شيئاً ، بشيء يكتبه على نسق ما يكتب في هذه الأيام . وسبحان من أودع في كل قلب ما أشغله !

وآية ذلك كذلك ، أن يشفق على الشبان من الأستاذ الجليل « ا . ع » هذا الإشفاق ، وأن يأرق منه هذا الأرق . وأن يفهم « أنه رجل يستطيع أن يقضي على الجهود التي بذلتموها يا معشر الشعراء الشباب في سبيل تجديد الشعر العربي » . . .

وإنه ليعز عليّ أن يساور الأستاذ « دريني » كل هـذا القلق على « شبانه ! » الذين يشملهم برعايته ، ويجد من بعضهم — المتواضع — البر والشكران ، ومن بعضهم — المتكبر — العقوق والكفران . فأحب أن أرد إلى قلبه الطمأنينة ، وإلى عينه الكرى . فلا — وحق طيبته علينا — فما الأستاذ الجليل « ا . ع » بصانع شيئاً في شعراء الشباب ، بمثل هذا الكلام (العايم) الذي قصاراه أن يندب شعراء الجيل الماضي ، وأن يزري بشعراء هذا الزمان . وما الأستاذ الجليل أيضاً « دريني خشبة » بصانع شيئاً لشعراء الشباب بمثل هذا الذي يكتبه

ونحن — مع كل هـذا — أميل إلى « مفهوم » رأى الأستاذ الجليل (ا . ع) في معظم ذلك البهرج الزائف الذي يفتن به الكثيرون من الشبان . وإذا احتجنا يوماً إلى توسيع آفاق الشعر عن مدى ما يستطيع أن يفهمه الأستاذ الجليل منه ، فإننا سنكون أحوج إلى إنقاذ الشعر من مثل هذا البهرج

وإني لأرجو في النهاية ألا أكون قد أزعجت طيبة مولانا الأستاذ (دريني) وإنني لصادق حين أقسم له أن لا شيء أعز عليّ من طمأنينة هذه الطيبة المبروكة .

سيد قطب

الصداقة والأدب والنقد

قرأت في إحدى المجلات ما كتبه الدكتور زكي مبارك عن تأثره البالغ مما كتبه أحد الأدباء عن كتابه (النثر الفني) في مجلة (الرسالة) ، وكنت أظن الدكتور المبارك أكثر احتمالاً لهجمات النقد أكثر مما رأيت اليوم ، لأن الاحتمال والمرابطة من شأن من يصاولون وينازلون ، وما أكثر ما صاول ونازل الدكتور لمناسبة ولغير مناسبة ! أما مأخذه على صاحب (الرسالة) من العقوق للأصدقاء ، فهو حجة على الدكتور لا له ، لأن مَن يخدم الأدب الرفيع يجب أن يكون على هذه الرفعة من الأخلاق العالية لا يحابي صديقاً ، ولا يناصر فريقاً ، إنما العيب كل العيب أن ينشر الناشر نقد الدكتور (مبارك) وهو أمشاج وأخلاط من الإغلاظ والإفحاش . ومثل الرجل (الزيات) كمثل ذلك الأبي العربي الذي يقول : (إن قولة الحق لم تدع لي صديقا)

أكتب هذا بمناسبة طلب إحدى المكتبات إليّ أن تنفرد بنشر كتاب لي في النقد الذي يعمل برسالته الزيات جاهداً ، فعند ما مثل الكتاب بين يدي مديرها قال : ألا تظن أن نشر هذا الكتاب يغضب كثيراً من كبار الكتاب ؟ قلت : وما يهمك من غضب الناس ما دمت تريد خدمة الأدب بنشر كتاب للنقد ؟! قال يحرمون نشر كتبهم علينا ! قلت : إن الأدب لا يخدمه « التجار » وإنما يخدمه أبناؤه الأبرار ، واعتزمت طبع كتابي ثم بدأت

هذه يا دكتور قصة (كتاب وتاجر) . فهل كنت تأمل أن تحنق من الزيات تاجراً يعقُّ الأدب ولا يعقك ، أو تمنع عنه كتبك ؟! هذا ما أرجو أن تتدبره ويتدبره الكتاب والقراء جميعاً ، فليست العبرة في أن يفقد الإنسان أصدقاءه في سبيل رسالة الحق ، وإنما العبرة في أن يصبح الأديب بعد حياة حافلة أداة للارضاء والإبقاء على الأصدقاء

(ع . س)

12me Année No. 565

Lundi - 1 - 5 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٦٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق أول مايو سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـرس

صفحة

٣٦١	الأعمار والتواريخ في الجاهلية	الأستاذ عباس محمود العقاد
٣٦٤	الحكم على الشعر وأساليب النقد والتحليل	الدكتور محمد صبري .. ...
٣٦٦	شعر ناجي	الأستاذ دريني خشبة ... ...
٣٦٩	وظيفة المرأة	الأستاذ حسين غنام ... ...
٣٧١	من بركات الأدب	.. ..
٣٧٢	القضايا الكبرى في الاسلام : نسب زياد	الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
٣٧٤	القرآن الكريم في كتاب النثر الفني	الأستاذ محمد أحمد الغمراوي
٣٧٧	بقايا نغم .	[قصيدة] الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٣٧٨	الشعر القديم بين الفطرة والفن الجميل	الأستاذ خليل بك مطران ...
٣٧٨	في الفصول والغايات وفي اللزوميات	الأستاذ جليل ... ...
٣٧٩	الفلاحون	الدكتور محمد غلاب ... ...
٣٨٠	أدب ثالث	السيدة وداد سكاكيني
٣٨٠	قيس ولبنى	(د) ... ...

الأعمار والتواريخ في الجاهلية

للأستاذ عباس محمود العقاد

روى صاحب الطبقات الكبرى روايات كثيرة عن سن النبي عليه السلام يوم وفاته . فروى عن أنس بن مالك أنه عليه السلام توفي وهو ابن ستين سنة

وروى عن الأسود بن عامر بسنده أنه عليه السلام بعث وهو ابن أربعين ومات وهو ابن ستين

وتعددت الروايات التي تقول بهذه السن كما تعددت الروايات التي تقول بثلاث وستين سنة . وجاء في رواية عن ابن عباس أنه توفي في الخامسة والستين

وعرض المؤرخون لسن عمر بن الخطاب فذكر ابن قتيبة أنه رضي الله عنه مات في الخامسة والخمسين . وروى عامر بن سعد أنه مات في الثالثة والستين

وعرضوا لسن عمرو بن العاص فقال النواوي إنه مات في السبعين ، وقال الليث بن سعد والهيثم بن عدي والواقدي وابن بكير أنه مات وسنه مائة سنة . وقال أحمد العجلي وغيره تسع وتسعون سنة . وقال السيوطي وغيره تسعون !

هذه روايات المؤرخين التفت لتواريخ الميلاد في الجاهلية ، وأي ميلاد ؟

ميلاد صاحب الدعوة الإسلامية التي بدلت وجه الدنيا بعد أن بدلت وجه البلاد العربية ؛ وميلاد خليفة من أشهر خلفاء الإسلام وأشهر حكام العالم كله على إطلاقه ؛ وميلاد قائد كبير وسياسي خطير فتح مصر وفلسطين وأقام مع بني أمية أول دولة ذات عرش في تاريخ الإسلام

وذلك هو مبلغ اليقين من تواريخ ميلاد هؤلاء الأعلام ، ومن تقدير أعمارهم جميعاً في يوم الوفاة : فرق خمس سنوات في عمر النبي ! وفرق ثماني سنوات في عمر الخليفة ! وفرق ثلاثين سنة في عمر القائد الكبير

* * *

ونقترب من وجهتنا فنروي أقوال المؤرخين عن سن السيدة أم رومان زوج أبي بكر الصديق وأم السيدة عائشة رضي الله عنهما

جاء في الإصابة : « قال أبو عمر كانت وفاتها فيما زعموا في ذي الحجة سنة أربع أو خمس عام الخندق . وقال ابن الأثير ست . . . . والخبر الذي ذكر ابن سعد وأخرجه البخاري في تاريخه عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة . . . . عن علي ابن زيد بن جدعان عن القاسم بن محمد قال : لما دليت أم رومان في قبرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى هذه . . . وقال أبو نعيم الأصبهاني قيل إنها ماتت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو وهم . . . وقال إبراهيم الحربي سمع مسروق عن أم رومان وله خمس عشرة سنة ، ومقتضاه أن يكون سمع منها في خلافة عمر ، لأن مولده سنة إحدى من الهجرة ، إلى آخر ما جاء في ترجمة أم رومان »

وذلك هو مبلغ المؤرخين من تحقيق سن سيدة أصبحت زوج الخليفة الأول وحماة النبي عليه السلام

ونقترب أيضاً من وجهتنا فنروي ما جاء في الاستيعاب عن سن السيدة فاطمة الزهراء إذ يقول : « كانت هي وأختها أم كلثوم أصغر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف في الصغرى منهما . وقد قيل إن رقية أصغر منها ، وليس ذلك عندي بصحيح . وقد ذكرنا في باب رقية ما نبين به صحة ما ذهبنا إليه في ذلك ، ومضى في باب زينب وباب خديجة من ذلك ما فيه كفاية . وقد اضطرب مصعب والزبير في بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيتهن أكبر وأصغر اضطراباً يوجب أن لا يلتفت إليها . . . »

ونروي ماجاء في الإصابة حيث يقول : « واختلف في سنة مولدها فروى الواقدي من طريق ابن جعفر الباقر قال العباس : ولدت فاطمة والكعبة تبنى والنبي صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة وبهذا جزم المدائني . ونقل أبو عمر بن عبيد الله ابن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان مولدها قبل البعثة بقليل نحو سنة ، وهي أسن من عائشة بنحو خمس سنين »

ومعنى هذا أننا إذا أخذنا بقول العباس ، وهو أولى الناس أن يؤخذ بقوله في ذرية النبي عليه السلام ، فهناك فرق يبلغ ست سنوات بين سن عائشة كما يرويها بعضهم وسنها كما تخلص لنا من هذا الحساب

وجاء في ترجمة زينب رضي الله عنها كما رواها صاحب الإصابة : « هي أكبر بناته وأول من تزوج منهن ، ولدت قبل البعثة بعدة قيل إنها عشر سنين . واختلف هل القاسم قبلها أو بعدها . وتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن ربيع العبشمي . . . »

فقد بلغ الاختلاف إذن في ترتيب الأعمار أن لا يعلم على التحقيق من السابق ومن التالي من البنين والبنات ، وفي ذلك ما يأذن بفرق سنتين أو ثلاث سنوات

* * *

رأينا هذا التفاوت البعيد في رواية أعمار النابهين والنابهات فوقفنا موقف الحذر من كل رواية تخالف المعقول والمألوف ولا داعي للجزم بها دون سائر الروايات

ورأينا أن التفاوت على هذا النحو في سن السيدة عائشة غير بعيد بل هو أقرب من ذلك إلى الاحتمال ، لأن مولد السيدة عائشة ليس أولى بالتحقق من مولد النبي أو مولد عمر أو مولد أبناء النبي وبناته ، ولأن الرواة هنا لا يفضلون الرواة هناك ، ولأن الاختلاف واقع فعلاً بين سبع وتسع سنوات عند الخطبة .

وجاء ابن هشام فقال : « وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم

عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة وهي بنت سبع سنين ، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين أو عشر »

واخترنا رواية العباس التي يضاف فرقها إلى هذه السن فترتفع إلى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة

وقابلنا بين الأعمار وبين مناسبات الزواج فعلمنا أن السيدة خولة بنت حكيم اقترحت الزواج على النبي صلوات الله عليه بعد وفاة السيدة خديجة لأنها رأته في بيته على حال وحشة فقالت : « أي رسول الله ! ألا تزوج ؟ فسألها من ؟ قالت إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً » ... وهي بالبداهة لا تقترح عليه في تلك الحالة خطبة بنت في السادسة أو ما دونها ليتم الزواج بعد حين

وعلمنا أيضاً أن السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل ذلك لجبير بن مطعم وهو مشرك ، فلما خطبها النبي عليه السلام قالت أم رومان زوج أبي بكر : إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه ، ووالله ما وعد أبو بكر وعداً قط فأخلفه ، فدخل أبو بكر على مطعم ابن عدي وعنده امرأته أم الصبي فقالت :

يا ابن أبي قحافة ! لعلك مصبيء صاحبنا تدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك ؟ » فانفسخت الخطبة على أثر هذا الحديث

علمنا هذا فأضفناه إلى ما تقدم وخلصنا منه إلى أن السيدة عائشة كانت أكبر من سنها المروية يومذاك « لأنها إما أن تكون قد خطبت لجبير بن مطعم بعد أن بلغت سن الخطبة وهي قرابة التاسعة أو العاشرة ، وبعيد جداً أن تنعقد الخطبة على هذا التقدير مع افتراق الدين بين الأسرتين ، وإما أن تكون وعدت لخطيبها وهي وليدة صغيرة كما يتفق أحياناً بين الأسر المتآلفة ، وحينئذ يكون أبو بكر مسلماً عند ذلك ، ويستبعد جداً أن يعد بها فتى على دين الجاهلية ... »

قلنا ذلك ولم يخف علينا حين قلناه إن الزواج قد جمع بين المسلمات والمشركين في أوائل عهد الدعوة المحمدية

ولكننا كنا نعلم مع هذا أنه الاستثناء وليس بالقاعدة الشائعة المحمودة ، وأنه حصل في أحوال خاصة لا يقاس عليها . وسرعان ما تبدل الموقف فيها حين تبدلت تلك الأحوال . فزينب بنت النبي عليه السلام قد تزوجت ابن خالتها وكانت أول من تزوج من بناته ؛ ولعلها تزوجت قبل الدعوة قياساً على الخلاف المتقدم في الأعمار والتواريخ ، وما هو إلا أن تيسر للنبي أن يفرق بينها وبين زوجها حتى بادر إلى التفرقة بينهما بعد جهد جهيد

والظاهر الواضح من المناسبة التي نزلت في صددها آيات التحريم القاطع لنكاح المشركين والمشركات أن هذا الزواج كان بغيضاً إلى نفوس المسلمين ولما تنزل بعد هذه الآيات . فقد جاء في رواية أنها نزلت في أبي مرثد الغنوى وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين سراً . فسمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق كانت خليلته في الجاهلية ، فأتته فقالت : ألا تخلو ؟ فقال : ويحك يا عناق ! إن الإسلام حال بيني وبين ذلك ؟ فقالت له : هل لك أن تتزوج بي ؟ قال : نعم . ولكن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم استأمره ... فلما قضى حاجته بمكة وانصرف إلى رسول الله أعلمه بما كان من أمره ومن أمر عناق وسأله : أيحل لي أن أتزوجها ؟ فنزلت هذه الآية »

وورد في قول آخر أنها نزلت لأن عبد الله بن رواحة تزوج أمةً له وفضلها على المشركات ذوات الأحساب ، فلغط بزواجه من الأمة بعض أصحابه فنزل القرآن ينصفه من لائميه » ... ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم »

وظاهر واضح من كلتا المناسبتين أن زواج المسلم بالمشركة كان موضع تردد وتساؤل قبل نزول الآيات فضلاً عن زواج المسلمة بالمشرك ، وفضلاً عن السعي إلى زواج المسلمة بالمشرك قبل بلوغ السن بسنوات كأنه غنيمة يخشى أن تفوت !

ومع هذا لو كانت خطبة جبير بن مطعم قد تمت بعد ظهور الدعوة المحمدية فما الذي جد حتى عادت أمه تخاف من دين أبي بكر على دين ولدها ؟ ألم يكن أبو بكر مسلماً وكان الخوف على الخطيب أولى وأحرى وهو طفل صغير ؟ أليس هذا وحده كافياً لترجيح الخطبة قبل الدعوة كما قلنا في كتاب « الصديقة بنت الصديق » ... ؟

لذلك كله رجحنا أن السيدة عائشة تجاوزت الثانية عشرة ولم تنقص عنها يوم زفت إلى النبي عليه السلام

وكان في وسعنا أن نقف عند الأرقام المترددة ونريح أنفسنا فلا نفند شيئاً من المزاعم التي بناها بعض المبشرين والمستشرقين على تقدير السن عند الزواج بالتاسعة أو ما دونها ، وقد كان لها

من الأثر في عقول أبناء هذا الجيل ما يعلمه كل ذكي لبيب

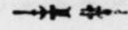
كان ذلك في وسعنا ولا جهد فيه علينا ، ولكننا وصلنا بالقرائن المعقولة والمقابلة السائغة إلى تصحيح السن على وجه لا يأذن لأحد بالتمحل والانتقاد ، ولم نتوسل إلى ذلك بإنكار آية أو حديث أو أصل من أصول الدين ، ولكننا تناولنا السنوات والتواريخ بالشك الذي تستحقه ، وهي تتسع في أشيع الروايات لفرق السنة والسنتين والعشر والثلاثين ... فماذا في هذا كله من دواعي التهويل والصريخ ؟ وما سر الاستماتة في تخطئة هذا التصحيح والإصرار على أن السيدة عائشة تزوجت في السابعة أو التاسعة ولم تتجاوزها ، مع أن النص المكتوب — ولا نذكر القياس والاستنتاج — قد زادها إلى عشر سنين ؟

أما دواعينا نحن فهي تلك الأسباب وتلك القرائن وكلها مما يوافق التنزيه الواجب لمقام الرسول

وأما دواعي المنكرين التي دعتهم إلى تسجيل تلك السن دون غيرها فعليهم هم أن يبينوها وينظروا أينا أقرب إلى البر بالإسلام ، وأحرص على تعظيم نبيه عليه السلام .

عباس محمود العقاد

الحكم على الشعر
وأساليب النقد والتحليل
للدكتور محمد صبري



كتب « أستاذ جليل » في الأسبوع الفائت يقول : « للدكتور محمد صبري » أن يرى في مقالاته ... أن نونية أبي تمام في رثاء ولده قد فاتت رائيته في محمد بن حميد الطوسي التي يقول فيها :

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة
ولكن كبراً أن يقال به كبر

« وللأستاذ عبد الرحمن شكري أن يستعجب في إحدى مقالاته كيف أن حبيباً — وهو في الرثاء ما هو — لم يجد في النونية إجادة ابن الرومي في الدالية التي رثى بها ولده . غير أن تلك القصيدة فائقة كانت أو مقاربة ليست لأبي تمام وإن جاءت في ديوانه المطبوع ، وفي المخطوط في دار الكتب ... »

ودليل حضرة الكاتب على أن النونية ليست لأبي تمام هو « أن أبا بكر الصولي روى القصيدة بتمامها في (كتاب الأوراق) لأبي محمد القاسم بن يوسف ، وروى بعدها « دالية للقاسم في رثاء ابنه محمد وبنين آخرين له تجانسها كل المجانسة » والصولي مشغوف بحبيب ، وهو الراوية المظيم ... وما حدثتنا (أخبار أبي تمام) ولا المؤلفات التي كتبت سيرة حبيب أن له ابناً ، كنيته أبو علي ... ولا أن له ابناً اسمه محمد ولا نعرف لحبيب ولداً إلا « تماما » كان هنأ محمد بن طاهر حين ولي خراسان الخ »

قد يكون الصولي راوية عظيما في عصره ؛ ولكن كتبه في اعتقادي ينقصها التحقيق العلمي وكلها حلقات من روى فلان عن فلان ، وحدثنا ... هذا من ناحية الرواية ؛ أما ناحية الأدب فيه فلا أظنها كاملة من حيث الذوق والصقل ، ولذلك فإن كتبه وكتب غيره لم تستوعب أخبار أبي تمام ولم تدقق فيها . وإننا لا نعرف إلا القليل من حياة حبيب ومعاصريه بل من حياة العصر العباسي نفسه ، فالطبري وابن الأثير والمسعودي يكررون نفس الروايات ، والنساخ يمسخون أسماء الأعلام ، فترى الاسم الواحد يختلف باختلاف المؤلف والناسخ . ومن الصعب أن نهتدي إلى تاريخ قصيدة أو إلى تاريخ موت وزير كبير رثاه الشاعر بقصيدة معروفة . بل إن البحتري تكلم عن حوادث حربية هامة لا تتفق مع رواية تواريخنا الكبرى إذا ذكرت فيها ... بينما تذكر الحوادث التافهة بإسهاب وفي غضونها الشعر السقيم ...

ولو دقق حضرة الأستاذ الفاضل النظر لتبين له أن الصولي لم يكن من المدققين لأنه روى دالية للقاسم « في رثاء ابنه محمد وبنين آخرين » ولتبين له أن هذه القصيدة الدالية لا تجانس النونية كل المجانسة !

روى الصولي في كلامه عن شعر القاسم (وقال يرثي أولاده) فلم يذكر لنا أسماء أولئك البنين ، بل إن المتأمل في القصيدة يرى عجباً ، يرى أن البنين ، إذا كان هناك بنون ، هم : محمد ومحمد ومحمد !

هلك البنون محمد ومحمد ومحمد

واستأثرت بهم المنيـة   والمنية موعد

وبعد أن استطرد الشاعر إلى ذكر الأحبة والقرناء الذين يطويهم الموت فى أبيات معدودات عاد إلى رثاء ابنه محمد الذى يكنى بأبى على :

أسفاً عليك أبا علـى   والمنايا رُصَّد

أسفاً عليك أبا علـى يوم ضمك ملحد

كالبدر فارقه النحو   س وقارنته الأسعد

والقسم الأكبر والأخير من القصيدة لم يذكر فيه الشاعر إلا ابنه محمداً ، وظاهر أنه كان ابنه الوحيد :

هل لى على الحزن الطويـل سوى (لبابة) مسعد

تبكى بواحــدها فليـس لهـا عليه تجلد

ألُباب إن الصبر أد   فى للاله وأرشـد

والواقع أنه لا تجانس بين هذه الدالية وبين نونية أبى تمام؛ فالدالية قصيدة فقيه زاهد ، والنونية قصيدة شاعر . والواقع أنه لم يكن هنالك بنون بل ابن واحد هو أبو على محمد ، والقاسم حين يقول فى بدء القصيدة :

هلك البنون محمد   ومحمد ومحمــد

فإنما أراد التهويل من شأن مصابه بطريقة أقل ما يقال فيها إنها لا تدل على (شاعرية) كبيرة

والواقع أن أبا تمام كان له ابن اسمه محمد وكان للشاعر اخوة؛ وقد رثى الجميع بأربعة أبيات من الشعر الذى تتجلى فيه شخصيته :

فلا يشمت الأعداء بالموت إننا   سنخلى لهم عن عرصة الموت موردا

ولا يحسـبُنّ الموت عاراً فإننا   رأينا المنايا لم يدعن (محمدا)

ولا يحسب الأعداء أن مصيبتى   أكات لهم منى لساناً ولا يدا

تتابع فى عام بُنَىٌّ وإخوتى   فأصبحت إن لم يخلف الله مفردا

ففى نونيته يقول أبو تمام :

بنى يا واحد البنينا   غادرتنى مفرداً حزينا

وفى هذه الأبيات يقول :(فأصبحت إن لم يخلف الله مفرداً)

وقد أخلف الله عليه فرزقه (تماما) الذى ورد ذكره فى تهنئة محمد بن طاهر عند ولايته خراسان ، فمعلوم أن أبا تمام ولد سنة ١٩٢ هـ ومات سنة ٢٣١ . ويمكننا أن نفرض أنه تزوج فى سن العشرين تقريباً أى فى سنة ٢١٢ أو ٢١٥ وأن ابنه محمداً مات صغيراً قبل العاشرة أو حوالها أى فى سنة ٢٢٢ أو ٢٢٥ ، وفى هذه السنة عينها مات إخوته (تتابع فى عام بُنىٌّ وإخوتى)

وإنى أكرر أن نونية أبى تمام من رائع الشعر . وإنى أدع جانباً الأبيات التى ذكرتها من قبل والتى صور فيها ابنه وهو على فراش الموت ، وأجتزىء هنا بذكر أربعة أبيات أخرى من آخر القصيدة تطل من أسلوبها وكلماتها روح حبيب :

تصرف الدهر بى صروفا   وعاد لى شأنه شــؤونا

وحز فى اللحم بل براه   واجتث من طلحتى فنـونا

أصاب منى صميم قلـبى   وخفت أن يقطع الوتينا

فالمرء رهن بحالتيــه   فشدةً مرة ولينـــا

ولم يرو الصولى البيت الثانى

وقد نظم أبو تمام الأبيات الدالية التى رثى بها إخوته وابنه محمداً بعد النونية ، ويظهر أنه عند نظمها كانت امرأته « تحمل » تماما ... الذى مات عنه صغيراً ، وقد ولى محمد بن طاهر خراسان فى سنة ٢٤٨ هـ فتكون سن تمام وقت تهنئته ابن طاهر ٢٥ سنة تقريباً ، ولا أظن تماما روى عن أبيه شيئاً ، لأنه لم يكن يتجاوز الثامنة أو التاسعة عند موته

ولعل فقدان حلقات كثيرة فى حياة الشعراء وعدم وجود ملكة التمحيص والتحقيق هما اللذان دفعا الصولى إلى نسبة نونية أبى تمام إلى القاسم لاشتراك ابنيهما فى الاسم والكنية

ولنعد الآن إلى الأبيات التى صور فيها الطائى ابنه وهو صريع الموت والداء :

آخر عهدى به صريعاً   للموت بالداء مستكينا

إذا شكا غصــة وكربا   لاحظ أو راجع الأنينا

يدير فى رجعه لسانا   يمنعه المــوت أن يبينا

يشخص طــوراً بناظريه   وتارة يطبق الجفـونا

ثم قضى نحبــه فأمسى   فى جدث للثرى دفينا

وقد جاء فى الديوان بعد ذكر القصيدة النونية ما يأتى :

وقال فى أخ له وحضر وفاته

لله مقلته والموت يكسرها   كأن أجفانه سكرى من الوسن

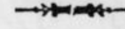
رد أنفاسه كرهاً وتعطفها   يد المنية عطف الريح للغصُن

فملكة التصوير واحدة فى القطعتين ؛ وملكة التصوير هذه لا تجدها إلا عند فحول الجاهليين والإسلاميين ، وهي خاتم الجلال المتين الذى يزين ملامح الشعر العربى ويسم الحسن والروعة والجمال .

محمد صبرى

٢ - شـــعر ناجى

للأســتاذ دريني خشبة



ومِيزة ناجى الثانية هى قدرته على التصـوير . . . وهو يصور فى يُسر ورخاء وخصب ؛ وهو يصور الصورة الكاملة التامة بالكلمة الواحدة أحياناً يضعها فى مكانها من البيت فتحار إذ ترى أنها لا تصلح إلا فيه ... وقد يصور الصورة الرائعة بالكلمتين أو بالشطرة أو بالبيت الكامل أو بالبيتين أو بالمقطوعة أو بالمنظومة كلها ، فيضع بين يديك ألواناً جيدة حسنة المزج ، خالية من الصنعة والتكلف . ويحافظ ناجى على طبيعة ألوانه هذه ، ويحافظ على ألا يجعلها صارخة مبتذلة ، وقد يؤثر اللمس الخفيف على الخطوط القاطعة القوية ، وكثيراً ما يكتفى بالرمز ، بل كثيراً ما يصور بالوهم ، فيجعلك تتوهم مثله لتخلق معه الصورة التى يريد

ومما يزيد فى بهاء صور ناجى جودة الأداء ، أقصد جودة انتقاء الألفاظ التى تحمل الصورة ، وحسن سبكها ، فى غير مشقة ولا عسر ... ومما يجمل الالتفات إليه أن جودة الأداء وحسن السبك لم يبلغا أوجهما فى الشعر العربى إلا بعد ابتداع الموشحات ، ومما نحمد الله عليه أن شعراءنا الشباب قد استغلوا نظام الموشحة استغلالاً حسناً ساعدهم فى الثورة على القصيدة المطردة القافية فافتنوا فى معانيهم وأبدعوا ... والظريف من ناجى أنه يطبق ذلك فى صمت تطبيقاً عملياً ... فمنذ أخذنا نقرأ ناجى لم نره قط يطيل فى قصائده ، بل كان يؤثر لها البساطة والبحر الساذج القصير دائماً ؛ فإذا كانت منظومته من طراز الموشحات رأيناه يطيل إطالة عجيبة ، ورأينا مقطوعاته تحمل من الصور والبراعات ما يفتن به القلوب ويخلب الألباب

ولعل من أجمل صور ناجى تلك التى حمل إلينا فيها قلبه ، والتى قدمنا منها النماذج الكثيرة فى الكلمة السابقة ... فقلبه : الشهيد المتوارى فى الضلوع ... صورة رائعة فيها سحر وفيها فتنة وفيها حب وأنين وألم ... وكلمة الشهيد وحدها حين تصف القلب تحمل إلى أذهان المحبين صور تلك الساعات الحلوة التى التذوا فيها آلام الصبر والتشوف والحنين والانتظار وخُلف المواعيد ، وهى آلام إذا أحست الجوارح الإنسانية منها شيئاً ، أحس منها القلب الإنسانى كل شىء ... فما أبدع كلمة الشهيد فى تصوير القلب يدمى ويألم ويتوجع

فهذه صورة رائعة من صور ناجى فى كلمة واحدة !

ويقول ناجى :

رفرف القلب بجنبى كالذبيح وأنا أهتف : يا قلب اتئدْ !

رفرف القلب ! كلمتان جميلتان تصـــوران القلب فى صـورة الطائر الذى يحرك جناحيه حول الشىء كما يقول القاموس ... ورب قائل يعترض بأن هذه صورة قديمة مأخوذة من قول من قال مثلاً : كما انتفض العصفور بلله القطر ... وهو اعتراض لا يكاد يقف على قدميه ، فرفرفة القلب رمز جميل وتلميح ، وانتفاض العصفور بلله القطار إفاضة وتصريح ، ولكل من الصورتين بعد ذلك بهاؤها وروعتها ، فإذا أخذنا الصورة الثانية التى يرفرف القلب فيها بجنب الشاعر كالذبيح ، رأينا لوحة شاملة فيها كثير من التفاصيل الفنية ... ثم تتغير هذه اللوحة حينما نقرأ البيت كاملاً ... لأننا نرى الشاعر ، أو روح الشاعر ، تقف فى جانب من الصورة الرائعة وهى تخاطب القلب هذا الخطاب الرفيق ، وتهتف به مشفقة عاتبة : يا قلب اتئد ! فرفرف القلب صورة ، ورفرف القلب كالذبيح صورة ثانية ، والبيت كله صورة ثالثة . . . وهنا قوة ناجى المصور الفنان الذى يجيد مزج ألوانه ...

وانظر إلى الصور الكثيرة المتتالية فى المقطوعة التالية :

هل رأى الحب سكارى مثلنا ؟ كم بنينا من خيال حولنا !
ومشينا فى طـريق مقمر تثب الفرحة فيـه قبلنا !

وتطلعنا إلى أنجمه   فتهاوين وأصبحن لنا !
وضحكنا ضحك طفلين معاً   وعدونا ... فسبقنا ظلنا !

فيا للفرحة التي تثب في هذا الطريق المقمر قبل المحبين ؟ ويا لهذه الأنجم التي يتطلع إليها المحبون فترنى لهم وتترفق بهم فتهاوى وتصبح لهم ! ويا للمحبين حين يسمدون فيضحكون ويعدون ... ويسبقون ظلالهم ! أما كيف يسبق الإنسان ظله فصورة روحية قد لا يفهمها إلا من صحب دانتي الليجييري في مطهره ، وفرجيل يقوده وسط أشباح وأرواح !

ويودع حبيبه فيقول :

حان حرماني فدعني يا حبيبي   هذه الجنة ليست من نصيبي
آه من دار نعيم كلما   جئتها أجتاز جسراً من لهيب
وأنا إلفك في ظل الصبا   والشباب الغض والعمر القشيب
أنزل الربوة ضيفاً عابراً   ثم أمضى عنك كالطير الغريب!

وفي أول هذا الوداع يقول :

حان حرماني وناداني النذيرْ   ما الذي أعددت لي قبل المسيرْ
زمني ضاع وما أنصفتني   زاديَ الأول كالزاد الأخير
رِيّ عمري من أكاذيب المنى   وطعامي من عفاف وضمير
وعلى كفك قلب ودم   وعلى بابك قيد وأسير !

والصورتان اللتان يحملهما البيت الأخير من أخلد الصور في الشعر العربي !

وإليك هذه الصورة :

يا مناجاتي وسري   وخيالي وابتداعي
ومتاعا لعيوني   وشميمي وسماعي
تبعث السلوى وتنسى الموت مهتوك القناعْ
دمعة الحزن التي تسكبها فوق ذراعي !!

فما أبدع هذا التصوير الرمزي في البيت الأخير أيضاً

ويصور الحنين فيقول :

أبغي الهدوء ولا هدوء وفي   صدري عباب غير مأمونِ
يهتاج إن لج الحنين به   ويئن فيه أنين مطعون
ويظل يضرب في أضالعه   وكأنها قضبان مسجون !

ويقول فيه أيضاً :

ويح الحنين وما يجرعني   من مُرِّه ويبيت يسقيني
ربيته طفلاً بذلت له   ماشاء من خفض ومن لين
فاليوم لما اشتد ساعده   وربا كنوار البساتين
لم يرض غير شبيبتي ودمي   زاداً ، يعيش به ويفنيني !
كم ليلة ليلاء لازمني   لا يرتضي خلاً له دوني
ألفى له همساً يخاطبني   وأرى له ظلاً يماشيني

ويستطيع القارىء أن يعد صوراً شتى في هذه الأبيات التسعة وهاك صورتين عجيبتين صوَّر بهما ناجي حبيبته : أما الأولى فهذه :

وأنت مثل النجم في المنتأى   وفي السنا الخاطف كالماسِ
يرنو له الناس ويبغونه   وما يبالي النجم بالناس

وهي صورة مركبة في البيت الأول ، أما الثانية فهي :

وأنت كأس الحسن لكننا   مثل حباب حام بالكاس
طفا وقد قبَّل أنوارها   ورف مثل الطائر الحاسي
وجف أو ذاب على نورها   كما يذوب الطلُّ بالآس

وهذه صورة مركبة أيضاً ، لأنها تتألف من صور خلاّبة شتى ، تذكرنا بصور ابن المعتز وذي الرمة والبحتري ... ولست أبالي أن أذكر أن صور ناجي هذه تفوق صور هؤلاء بالرقة واللمس الدقيق !

وانظر كيف يحيي لنا ناجي سنّة الأولين في الوقوف بالأطلال :

آه مما صنع الدهر بنا   أو هذا الطلل العابس أنتِ !؟
والخيال المطرق الرأس أنا ؟!   شد ما بتنا على الضنك وبتّ !

أين ناديك وأين السمَرُ !   أين أهلوكِ بساطاً وندامى ؟
كلما أرسلت عيني تنظر   وثب الدمع إلى عيني وغاما !

موطن الحسن ثوى فيه السأمْ   وسرت أنفاسه في جوِّه

وأناخ الليـل فيـه وجثم   وجرت أشـباحه فى بهوه

ولا بأس من نقل الصور التالية من تلك المنظومة الخالدة من شعر ناجى :

والبلى ! أبصرته رأى العيانْ   وبداه تنسجان العنكبوت

صِحت: يا ويحك تبدو فى مكانْ   كل شىء فيه حى لا يموت ؟

كل شىء من سرور وحَزَنْ   والليالى من بهيج وشجِى

وأنا أسمع أقدام الزمن   وخُطى الوحدة فوق الدرج

فمن من الشعراء القدامى أو الشعراء المحدثين وقف على طلل حبه فبكاه هذا البكاء واستطاع أن يصوره هذا التصوير ؟ أنظر إلى هذا الخيال المطرق كلما أرسل عينيه فى دمنة حبه وثب إليهما الدمع . . . وغاما ! . . . وانظر إلى الليل كيف يُنيخ فى هذا الطلل ويجثم ، وكيف تجرى أشباحه فى عرصاته وتهوِّم ! وانظر إلى البلى كيف تنسج يداه العنكبوت فى هذا الرسم الدارس ، والمحب الباكى واقف يسمع إلى أقدام الزمن تدب فى أركان هذا المكان الذى كان نادى حبه وجنة قلبه ، وإلى خطى الوحدة الموحشة نازلة صاعدة فوق الدرج ..

وإليك هذه الصورة من منظومة فى حبيبه المريض الذاوى :

ذهب الصبا الغالى ، وزالت دوحة   مدت لنا ظل الوفاء ظليلا

أيام يخذلنى أمامك منطقى   فإذا سكت ، فكل شىء قيلا !

وبثور بى حبى فإن لفظ جرى   بفمى ، تعثر بالشفاه خجولا !

فهذهِ صورة عادية رددها الشعراء فى شعرهم طويلا ، إلا أن موضع السحر فيها كامن فى عجز البيت الثانى : فإذا سكت فكل شىء قيلا ! كما يكمن الكثير من هـذا السحر فى ذاك اللفظ الذى إن جرى بفم المحب تعثر بالشفاه خجولاً !

ومن تصوير ناجى بالوهم الذى رأينا منه صورة قوية فى وقوفه بطلل حبيبه ، الصورة التالية :

يا طالمـا أذْنتاك أوها   م كواذب كالحلم

فلمحت صبحك فى السـوا   د وخلت روحك فى النَّسَم

وشفيت وهمي من رضا   ك ورُبَّ ذى بأس وِهِمْ

ورويت أذنى من حديثـك   وهو معبود النَّغَم

وحرقت قلبى من سـنا   ك على جمـال يضطرمْ

كفراشـةٍ حامت عليـك   وأى قلب لم يحم !

لك حُسْنُ نوار الخميـلة   طُلَّ صبحاً فابتسم

لك نضرة الفجر الجميـل   على الذوائب والقمم

لك طلعة البـرء المرجىّ   بعـد مستعصى السقم

وسـؤال دمعك حين يسـألنى ، ومن لى بالكلم

لم يا أنيس خواطـرى   غفتِ العيون ونحن لمْ !؟

أكاد أنقل الديوان كله ، لأنه يفيض بتلك الصور ، بتلك الغرر !...

(يتبع)   دريني خشبة

وظيفة المـــرأة

للأستاذ حسين غنام

« تلخيص لبعض آراء الـكونتس أف أكسفورد في كتابها (في السجلات) »
(تتمة ما نشر في العدد ٥٦٣)

ولماذا أنشئت المنتديات ؟

إن النساء لا يقصدن المنتديات إلا نادراً ، وأظن – وقد أكون على خطأ في هذا الظن – أن هـذا السبب يرجع إلى تفضيل متوسط الرجال صحبة الرجال على صحبة النساء ، أو لأنه يريد فترة راحة يقضيها بعيداً عن زوجته . وإذا سألت عن أحد الرجال في منتدى « بالتليفون » قيل لك هذا الجواب : إنه لم يترك عنواناً . أو نحن لا نبعث بمراسلات لأعضاء هذا النادي .

وقبل أن تمنح المرأة هذه الحرية كانت حياتنا مهددة ليلاً ونهاراً ، حتى اضطرت إدارة « بوليس سكوتلانديارد » إلى استخدام رجلين من رجال الحفظ السريين ليبسطا حمايتهما علينا حيثما كنا في لندن أو في الريف(١)

ولقد حصلت المرأة على ما أرادت ، فماذا صنعت به ؟ لعلك قائل إنها حتى الآن لم تتعلم السياسة تعلما كافياً حتى تبرز في مجلس النواب . وأقرر أنه لن يكفي المرأة أكبر مقدار من التعليم حتى يجعلها سياسية في المنزلة الأولى .

وهل تستطيع أن ترى امرأة صائرة إلى منصب رئيس وزارة ؟ إني لن أستطيع أن أتصور نكبة أعظم من وضع هذه « الجزر البريطانية » تحت قيادة إحدى النساء في « شارع داونتج رقم ١٠ »

إن النساء لا يحسن حتى الـكلام ! وإذا استثنيت ابنة زوجي « ڤيوليت بنهام كارتر » ، فإني لم أسمع مطلقاً سيدة يمكن أن تقول عنها إنها خطيبة ! (١)

لقد وجد الـكثيرون من رؤساء الوزارات الرجال لم يكونوا خطباء ممتازين ، ولـكن كانت لهم صفات أخرى ارتفعت بهم إلى هذا المنصب

وليس من الضروري لـكي تصير رئيس وزارة عظيما أن تـكون خطيباً عظيما ، ولـكن الخصائص الأخرى التي يجب أن تتحلى بها ، يجب أن تعدل تلك الخصيصة أو ترجحها ، وأهمها : العدل والروية والتبصر بالأمور ، ورحابة الصدر ، والقدرة على المناقشات والجدال . وقبل كل شيء التزام العدالة ؛ فهل تستطيع امرأة ماهرة حاذقة أن تفعل شيئاً من هذه الأشياء ؟

إنها بالتأكيد لا تستطيع إذا كانت ماهرة ، بل على النقيض ، فكلما كانت المرأة أحذق أو أمهر ، فهي لا تلتزم العدل

وهل كانت المناقشة والحجة من أقوى خصائص المرأة العقلية ؟ ربما . . . ومنها كذلك الإجحاف والميل في جانب دون الآخر ؟ غالباً .. والشجاعة أيضاً ؟ دائماً ...

لست حكَماً جيداً على جنسي النسوى ، لأني لم أقابل امرأة تستحق الاعتبار إلا نادراً . على أنني صادفت كثيراً من الرجال الخليقين بالاعتبار والتبجيل . وقد أكون سيئة الحظ في هـذه الناحية ، فيجب أن يكون هناك كثيرات من هذا النوع من النساء ، ولـكني أكتب عن تجاربي الخاصة ، فإذا كانت هناك نساء مبرزات فإني لم أقابلهن

كتب بليك عن « زواج الجنة والجحيم » فقال : (إن

---

(١) لعل المؤلفة تقصد أن المرأة كان يخشى عليها من خروجها وحدها حتى اضطرت إدارة الحفظ إلى بسط حمايتها عليها ، وذلك قبل حرية المرأة المطلقة هكذا ...

(١) وإليك النص من كلام المؤلفة :

No amount of education will make women first rate politicians. Can you see a woman becoming a Prime Minister ? I connot imagine a Greater Calamity for these islands were they to by put under the guidance of a woman in 10, Dowaing-street. They are not even good speakers. With the exception of my step-daughter, Violet Bonham-Carter, I have never heard one woman of whom you could say, "She is an orator".

الفطنة عذراء غنية شوهاء عجوز ، يتودد إليها العجز والقعود)

وقد تكون الفطنة حكيمة . ولكنها آخر شيء يمكن أن يسترعي نظري لو أنني كنت رجلاً !

ولماذا أوصى شيكسبير بفراشه الثمين الثاني لزوجته ؟

إن هناك نساء كثيرات كان حبهن وحياً لرجالهن مدى حياتهم ؛ ولكي تكون محبوباً يجب أن تكون إنساناً . ولكن هذه الإنسانية هي الشيء الذي أفتقده في النساء ، فلا أجده . إنهن أقل إنسانية من الرجال ، وقد فشلت زيجات عديدة ، لأن الزوجة كانت تأخذ حب زوجها كفرض عليه حيالها أو قضية مفروغ من أمرها

على أن ممارسة الحب هي فن آخر من أهم الفنون وأعظمها ؛ وحسبك أن سعادتك وشبابك يتوقفان عليه

فلماذا ينقطع هذا الحب بانقطاع صلصلة أجراس الخطبة ، أو بانقضاء شهر العسل ؟

فإذا تزوجت امرأة زيجة في غير محلها ، أي تزوجت رجلاً لم يوائمها ، فهذا شأنها وحدها ، ولكن إذا حدث هذا ، وكانت الزوجة صاحبة هذا الحظ قوية الملاحظة والتخيل ، بعيدة النظر ، فباستطاعتها أن تجعل عشرتها لذلك الزوج أبهج وأمتع مما تستطيع امرأة أخرى قد توافقه مزاجاً وروحاً

ولست هنا بصدد الكتابة عن الزيجات الشقية ، ولكني أكتب عن السعيدة منها ...

أنظر إلى زوجين في مطعم ، فهل تراهما يحادث بعضهما بعضاً حديثاً نابضاً بالحب والحياة ؟

لم أجد شيئاً يصدمني في مثل هذا كرؤيتي ما يبدو على وجهي مثل هذين الزوجين عند ما يجالسهما شخص آخر ممتلئ حركة وحياة ؛ فهو يغير جلستهما الرتيبة الثقيلة

وعند ما يعود زوج من عمله مكدوداً ، هل تلبس زوجته أبهى ثيابها وأبهجها ؟

إنها لن تفعل ذلك إذا كانت مع زوجها لا ثالث لهما !

وإذا لم يلاحظ الزوج ثوب زوجته ، فهل تعيب عليه ذلك ؟

وهل هي تقرأ الكتب التي يقرأها زوجها ؟ أو هل هي تحاول طرقاً جديدة قد تبهجه وتدخل السرور إلى نفسه ؟

إني أشك في ذلك ...

وربما قيل في تعليل هذا ، وانتحال عذر له ، أن النساء ، وخاصة من لهن تجارب سابقة في الحب وأسراره ، لا ينظر إليهن المجتمع نظرة راضية عنهن

وفي اعتقادي أن « المجتمع » كلمة يجب أن تبعدها الزوجة من تفكيرها إذا كانت ستؤثر في حياتها الزوجية أو توجهها توجيهاً آخر ...

إن البيت هو الكلمة المقدسة — ولا تترجم هذه الكلمة إلى أية لغة أخرى مما أعرف — وإذا كان البيت منهاجاً ، فباستطاعة المرأة حينئذ أن تطفئ الأنوار ...

(الاسماعيلية) حسين غنام

رسائل الأصدقاء

من بركات الأدب

... عُدتُ أمس صديقاً أنهكه رسُّ المرض حتى أذواه. فما ترى إذا رأيتَ، سوى أعظُم ناتئة تهم أن تخرج، ولا تسمع إذا سمعتَ غير أنين خافت موجع كأنه ودع الجسم للروح. فتلقـاني بابتسامة كأنها الزهرة الذابلة، وبدمعة كأنها اللؤلؤة اللـمّوع، وأدناني من سريره وبكى، فواسيتُه بالأحاديث، وخففت عنه بالأهازيل، فلم يسكن اضطرابُه، ولا خفت آلامُه:

ثم رأيته يتململ فى فراشه حيران، ويشير إلى صدره أسوان، ويقول: « إنى لأحسّ ههنا سكيناً تمزّق وتخرّق. أفلا ترقيني؟... »

فقلت لنفسى: « هـذا أول الهذيان ثم يتبعه الجنون! » وقلت له: « ومتى عهدتنى، عافاك الله، صاحب رقية، أرقى بها الناس لتسألنى ما سألت، وتسترقينى؟ »

قال: « سألتُك بالله وبودّك بى أن ترقيني. لقد كان أبوك شيخ المقرئين، وكان رجلاً مباركاً كأنه مَلك كريم؛ وجدُّك كان شيخاً صالحاً، لم تشغله تجارته الواسعة عن التقوى. ثم إن الولد سر جدّه وأبيه! »

وارتبكتُ، ورأيته يمسك بيدى فيذرف دمعة، فتتساقط عليها فتلذعنى، ثم يضعها على صدره ويغمض عينيه

وتكلّفتُ الجد والوقار، وهمَمْتُ أن أقرأ له، ولكن مرّت على خاطرى خطرة بارعة، فوجدتُنى أردّد على مهل قطعة لصديقى « الزيات » عن الربيع، كنتُ حفظت فقراً منها:

« ... هذا ربيعكما يا فتاتى الفاتنة، ويا طفلتى الجميلة: صفاء من سلام النفس يفيض بشراً فى العين وطلاقة فى الوجه؛ ورواء من ألق الشباب يشعّ نوراً فى السماء وسروراً فى الأرض؛ ورخاء من نعيم الطبيعة ينشر عطوراً فى الجو وزهوراً فى الروض؛ وانتشاء من رحيق العيش يشيع لذة فى الحس وبهجة فى القلب؛ وهدهدةٌ على أرجوحة الحب تذهب مع الأمل الباسم وترجع مع الرضى السعيد؛ واتحاد الجمال البشرى بالجمال الإلـهي الماثل فى وِشاء الحقول وأفواف الخمائل وأعطار النسيم وألحان الطير وأنفاس الأحبة. فأين بالله وربكما أجد الفرق بينكما وبين مَلـكين يمتنقان فى نشوة الخلد ويأتلقان فى وَضاءة الفردوس؟ أفى النظرة الساهمة، أم فى البسمة الحالمة، أم فى الفتنة النائمة، أم فى الحنوّ الخليق بالأمومة، أم فى الصبا الذى يضوع بريح الجنة ... »

وإنى لماض فى ترداد ما أذكره، أهمهم تارة، وأبين مرة، وأخفى أخرى، وأغمض عينى تارة، وأحدّق فى صاحبى طوراً، حتى رأيته قد فتح عينيه وصحا؛ وإذا بالبسمة ترفّ على ثغره الذابل، وبالرضى يشيع فى وجهه الجاهم، وبالهدوء يسرى فى جسمه النحيل، وإذا به يقول بنبرة حنون: ما أبرع رقيتك! أخبرنى بربّك ماذا قرأت لى، وأى رقية هذى؟ كان قلبى خافقاً فهدأ، وكان جسمى مضطرباً فسكن، وكان عقلى ساهماً فثاب. ألم أقل إنك صالح وفيك صلاح؟ علـمْنيها أرقِ بها نفسى!...

وانفجرت ضاحكا ضحكاً يدوّى، وحرت فما أدرى ما أقول. فنظر إلى دَهشاً وسألنى: ما ذا يضحكك؟ ولم لا تضنّ علىّ بها؟...

قلتُ هذى رقية لا يعلم سرها أحد، ولا يرقى بها أحد، ولا أعلمها أحداً!

وأخذتُ أعتذر، وأخذ يُلحّ، وأنا أضحك فى نفسى، وأضحك منه. فلما رأيته قد ضاق صدره قلت: اكتب رقيتى:

« هذا ربيعكما يا فتاتى الفاتنة، ويا طفلتى ... »

فحدّق بى وقال: « فتاتك وطفلتك! ما ذا أصابك؟ لـكأني أنا المعافى وأنتَ المريض، أبهذا رقيتنى؟ »

قلتُ: « نعم! ألححتَ علىّ فلم أجد ما أرقيك به غير رقية من رُقى (الزيات) جرت على لسانى ... »

فضحك ضحكا متواصلاً، ونهض من فراشه واثباً، وأخذ يقول: « ارقنى ... فما أحبّ هذه الرقية إلىّ. إن فيها سحراً ... وإن من البيان لسحراً! »

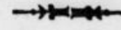
وكانت رقيتى مبدأ شفائه، فلعل الله أن يمنّ عليه بالصحة والعافية ... ببركات (الزيات)!

(دمشق) « الربيع »

القضايا الكبرى في الإسلام

نسب زيـــاد

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي



كان من أنكحة الجاهلية أن الجماعة يباشرون البغيّ ، فإذا ولدت ألحقت الولد بمن شاءت منهم فيلحقه ، وكانت سُميّة أم زيادٍ لِدُهْقانٍ فارسي ، فرض فدعا الحارث بن كلدة الطبيب الثَّقَفِيّ فعالجه فبرىء فوهبه سمية ، وقد ولدت عند الحارث أبا بكرة واسمه نفيع ، فلم يقربه ، ثم ولدت نافعاً فلم يقربه أيضاً ، فلما نزل أبو بكرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين حاصر الطائف قال الحارث لنافع أنت ولدي ، وكان قد زوج سمية من غلامه عبيد الرومي ، فولدت زياداً بعد زواجه بها ، فكان يدعى له إلى أن استلحقه معاوية في ملكه بنسب أبيه

وذلك أن أبا سفيان بن حرب كان قد سار في الجاهلية إلى الطائف ، فنزل على خمّارٍ يقال له أبو مريم السَّلولي ، وقد أسلم بعد هذا وصحب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو سفيان : التمس لي بغيّاً . فدله على سميـــة فجاءت بزياد في السنة الأولى من الهجرة

فلما كبر زياد ونشأ كان امرءاً حازماً خطيباً فصيحاً ، فاتخذه أبو موسى الأشعري كاتباً له في ولايته على البصرة ، ثم إن عمر بن الخطاب استكفى زياداً أمراً ، فقام به على أحسن وجه فلما عاد إليه حضرو عنده وجوه المهاجرين والأنصار ، فخطب خطبة لم يسمعوا بمثلها ، فقال عمرو بن العاص : لله هذا الغلام ، لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه . فقال أبو سفيان : والله إني لأعرف أباه . فقال علي : يا أبا سفيان اسكت ، فإنك لتعلم أن عمر لو سمع هذا القول منك لكان إليك سريعاً

وقد كان هذا من أبي سفيان أول خطوة في استلحاق زياد به وإنما تأخر بها إلى هذا العهد لأنهم كانوا يكرهون استلحاق أولاد الإماء بأنسابهم ، ولا سيما إذا كان على ذلك النوع من الأنكحة فإذا أنجب ولد الأمة لم يروا بأساً في استلحاقه بأنسابهم ، ولكن أبا سفيان حين فكر في ذلك وجد أن أمره قد نسخ بالإسلام ، لأنه حرم ذلك النوع من النكاح ، وقضى بأن الولد للفراش وللعاهر الحَجَر ، ولكنه أقر كل ولد كان ينسب إلى أب من أي نكاح كان من أنكحتهم على نسبه ، ولم يفرق بين شيء منها ، لأن كل تشريع لا يجري إلا على الحاضر . ولا يجري على الماضي إلا في رفع ظلم قائم ، أو نحو ذلك مما يجوز الأخذ به فيه ، فسكت أبو سفيان على مضض ، لأنه لم يكن له من الشأن في الإسلام ما يمكنه من التصرف في ذلك الأمر ، وكان شأنه في ذلك شأن كل من تأخر في الإسلام من أشراف الجاهلية

وقد نبه شأن زياد في خلافة علي ، وتولى له فارس فضبطها وحمى قلاعها ؛ فلما اتصل خبره بمعاوية ساءه وكتب إليه يتهدده ويُعرِّض له بولادة أبي سفيان ، فجمع الناس وقام فيهم خطيباً فقال : العجب كل العجب من ابن آكلة الأكباد ، ورأس النفاق ، يخوفني بقصده إياي وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، أما والله لو أذن لي في لقائه لوجدني أحمر . مخشياً ضراباً بالسيف

ولما بلغ ذلك علياً كتب إليه : إني وليتك ما وليتك وأنا أراك له أهلاً ، وقد كانت من أبي سفيان فلتة من أماني الباطل وكذب النفس ، لا توجب له ميراثاً ، ولا تحل له نسباً ، وإن معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، فاحذر ، ثم احذر ، والسلام

وكان بعد هذا أن استتبّ الأمر لمعاوية بعد قتل علي وتنازل الحسن له ، فأبقى زياداً في فارس وصالحه على ألْفَيْ ألفِ درهم ، وسكت عن استلحاقه بنسب أبيه لأنه لم يبق له حاجة فيه فصار زياد هو الذي يسعى في أمر ذلك النسب ، ويجتهد في استمالة معاوية إليه ، حتى جعل لمصقلة بن هُبَيْرَةَ الشيباني عشرين ألف درهم على أن يذهب إلى معاوية ويقول له : إن زياداً قد أكل فارس براً ، وبحراً ، وصالحك على ألفيْ ألف درهم ، والله ما أرى الذي يقال إلا حقاً . فإذا قال : وما يقال ؟ قال له : يقال إنه ابن أبي سفيان . ففعل مصقلة ذلك ، ورأى معاوية أن

يستميل زياداً ويستصفى مودته باستلحاقه ، فاتفق معاوية وزياد على ذلك الاستلحاق ، ثم أحضر معاوية الناس ، وحضر من يشهد لزياد بذلك النسب ، وكان فيمن حضر للشهادة أبو مريم السلولى ، فقال له معاوية : بما تشهد يا أبا مريم ؟ فقال أنا أشهد أن أبا سفيان حضر عندى وطلب منى بغيًّا ، فقلت له : ليس عندى إلا سمية . فقال : ائتنى بها على قذرها ووضرها ، فأتيته بها فخلا معها ، ثم خرجت من عنده وإن أسكتيها ليقطران منيًّا . فقال له زياد : مهلاً أبا مريم ، إنما بعثت شاهداً ، ولم تبعث شاتماً

فاستلحقه معاوية بعد هذا بنسب أبيه ، وصار يدعى زياد بن أبى سفيان ، وكان يدعى زياد بن عبيد . وقد اختلف الناس فى هذا الحكم اختلافاً كبيراً ، فرأى كثير منهم أنه أول ما رُدت به أحكام الشريعة علانية ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى للولد للفراش وللعاهر بالحجر ، وقد عظم ذلك على المسلمين عامة وعلى بنى أمية خاصة ، وكانت عائشة ممن لم يرض عن هذا الحكم ، فكتب زياد إليها : من زياد بن أبى سفيان . وهو يريد أن تكتب له : إلى زياد بن أبى سفيان . فيحتج بذلك ، فكتبت إليه : من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها زياد

وكان عبد الله بن عامر من بنى أمية ممن أنكر أيضاً ذلك الحكم ، وهو عامل لمعاوية على البصرة ، فلما وفد زياد على معاوية كان معه رجل من عبد القيس ، فقال لزياد : إن لابن عامر عندى يداً ، فإن أذنت لى أتيته . فأذن له على أن يحدثه بما يجرى بينهما ، فلما أتى ابن عامر قال له : هيه هيه ، وابن سمية يقبح آثارى ، ويعترض لعمالي ، لقد هممت أن آتى بقسامة من قريش يحلفون بالله أن أبا سفيان لم ير سمية . فلما رجع إلى زياد سأله فلم يخبره ، فألح عليه حتى أخبره ، فأخبر زياد معاوية بذلك فقال لحاجبه : إذا جاء ابن عامر فاضرب وجه دابته عن أقصى الأبواب . ففعل ذلك به ، فأتى ابن عامر يزيد فشكى ذلك إليه فركب معه حتى أدخله ، فلما نظر إليه معاوية قام فدخل ، فقال يزيد لابن عامر : إجلس ، فكم عسى أن يقعد فى البيت عن غير مجلسه . فلما أطالا خرج معاوية وهو يتمثل :

لنا سياقٌ ولكم سياقُ   قد علمت ذلكم الرِّفاقُ

ثم قعد فقال : يا ابن عامر ، أنت القائل فى زياد ما قلت ، أما والله لقد علمت العرب أنى كنت أعزها فى الجاهلية ، وأن الإسلام لم يزدنى إلا عزا ، وأنى لم أتكثر بزياد من قلة ، ولم أتعزز به من ذلة ، ولكن عرفت حقاً له فوضعته موضعه .

فقال ابن عامر : يا أمير المؤمنين ، نرجع إلى ما يحب زياد

فقال : إذن ترجع إلى ما تحب . فخرج ابن عامر إلى زياد فترضاه

وقد دخل الشعر والسياسة فى هذا الحكم فغلوا فيه غلواً فاحشاً ، وكانت هناك خصومة بين بنى زياد ويزيد بن مُفَرَّغ الشاعر الحميرى ، فقال فى ذلك شعراً كثيراً مُقذِعاً ، هجا به زياداً وبنيه ، من ذلك قوله :

ألا أبلغ معاوية بن حرب   مغلغلة من الرجل اليمانى
أتغضب أن يقال أبوك عفٌّ   وترضى أن يقال أبوك زانى
فأشهد أن رحمك من زياد   كرحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها ولدت زياداً   وصخر من سُمَيَّة غير دان

ومنه أيضاً :

إذ أودى معاوية بن حرب   فبشر شعب قلبك بانصداع
فأشهد أن أمك لم تباشر   أبا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمر فيه لَبْسٌ   على وجل شديد وارتياع

وذكر ابن الأثير أن من اعتذر لمعاوية قال : إنما استلحق معاوية زياداً لأن أنكحة الجاهلية كانت أنواعاً لا حاجة إلى ذكر جميعها ، وكان منها أن الجماعة يباشرون البَغِىّ ، فإذا حملت وولدت ألحقت الولد بمن شاءت منهم فيلحقه ، فلما جاء الإسلام حرم هذا النكاح ، إلا أنه أقر كل ولد كان ينسب إلى أب من أى نكاح كان من أنكحتهم على نسبه ، ولم يفرق بين شىء منها ، فرأى معاوية أن ذلك جائز له ، ولم يفرق بين استلحاق فى الجاهلية والإسلام

ثم ذكر أن هذا مردود لاتفاق المسلمين على إنكاره ، ولأنه لم يستلحق أحد فى الإسلام مثله ليكون به حجة

وإنى أرى أن هذا الحكم كان أهون مما ظن أولئك القوم ، وأن معاوية كان أكبر من أن يكون استلحاقه لزياد أول ما رُدَّتْ به الشريعة علانية ، فهو من أكبر أصحاب رسول الله

٤ – القرآن الكريم
فى كتاب النثر الفنى
للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

وكتاب النثر الفنى – أو النثر الفنى فى القرن الرابع إذا لم يختصر اسمه – بحث قدمه الدكتور زكي مبارك لينال به الدكتوراه من جامعة باريس، ولم يجد سبيلاً إلى جديد يقدمه فى بحثه إلا أن يبدىء ويعيد وينقص ويزيد فى تاريخ اللغة العربية وآدابها، وتاريخ الأمة العربية فى جاهليتها وإسلامها، ليثبت أن نشأة النثر الفنى جاهلية لا إسلامية. والنثر الفنى الذى يريد ليس هو نثر الخطب والأمثال والمحادثة، ولكن نثر الرسائل والكتب. فهو يزعم أن العرب فى جاهليتهم كانوا يكتبون الرسائل ويؤلفون الكتب[1]، ودليله فى هذا « أن القرآن يشير إلى أنه كانت هناك كتب دينية وأدبية لم يطلع عليها النبى عليه السلام حتى يتهم بأنه لفق القرآن مما نقل إليه من علوم الأولين » ذاكراً آية سورة العنكبوت (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك، إذن لارتاب المبطلون) التى جعلها من سورة القصص. واحتج عليه المسيو مرسيه، فيما حكى فى كتابه عنه وعن نفسه، بأنه لو كانت هناك مؤلفات نثرية لدونت وحفظت ونقلت إلينا كلها أو بعضها كما هو الشأن فى آثار الهند والفرس والروم، فأجابه « بأن فقدان تلك الآثار لا يكفى لإنكار أنه كان لها نصيب من الوجود[1]، ثم زاد زكى مبارك بعد ذلك « على أن فى القرآن الكفاية وهو أثر جاهلى كما سنبينه بعد قليل »

وقد أنفق هذا القليل فى إنكار أن تكون النصوص النثرية المروية عن العصر الجاهلى صحيحة زاعماً أنها « مما وضع فى العصر الأموى وصدر العصر العباسى لأغراض دينية وسياسية »

(١) الجزء الأول صفحة ٣٤

(١) الجز الأول صفحة ٣٤

صلى الله عليه وسلم، وكان ممن اختاره لكتابة الوحى فائتمنه على أمر السماء، فبعيد على مثله أن يقصد إلى أمر يخالف الشريعة علانية كما زعم أولئك القوم، وقد كان له فى ذلك اجتهاد مقبول سنبينه، ولا يهمنا بعد ذلك أن يكون أخطأ فيه أو أصاب، لأن مثله إذا اجتهد فأخطأ عذر في خطئه، ولم يكن لذلك مطعن فى حكمه، لأن مسائل الاجتهاد يرجع أمرها إلى الظن، ولا يعلم الخطأ فيها بيقين

ولو رجعنا إلى ما ذكره أولئك القوم لوجدنا أن منهم من ينكر ذلك الحكم لأنه يرى أن أبا سفيان لم يجتمع بسمية، وهذا تعنت ظاهر، لأنه لم يكن ما يدعو أبا سفيان إلى أن يكذب فى دعوى اجتماعه بسمية، وفى دعوى أنها علقت بزياد من اجتماعه بها، وقد كان زياد فى عهد عمر فتى ناشئاً لا خطر له، وكان لأبى سفيان من الأولاد من هو أجل منه خطراً، ولو لم يكن له منهم غير معاوية لكفى، وقد صدقه علىّ فى اجتماعه بسمية وأن زيادا من نطفته، ولكنه رأى أن ذلك كان فلتة لا توجب ميراثاً ولا تحل نسباً. والحق أن رأيه فى ذلك صحيح فيما كان منه فى الإسلام، لا فيما كان منه فى الجاهلية

ومنهم من ينكر ذلك الحكم لأنه يخالف قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالولد للفراش وللعاهر بالحجر. وهذا خطأ ظاهر، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بذلك فى زنا الإسلام لا فى زنا الجاهلية، ولهذا أقر كل ولد كان ينسب إلى أب من أى نكاح من أنكحتهم على نسبه، ولم يفرق بين شىء منها. وقد ولد عمرو بن العاص بمثل ما ولد به زياد، فألحقته أمه بالعاص، ثم جاء الإسلام فأقر ذلك الإلحاق. ومنهم من ينكره لاتفاق المسلمين على إنكاره، ولأنه لم يستلحق أحد فى الإسلام مثله ليكون به حجة. ودعوى الاتفاق فى ذلك ظاهرة البطلان، وعمل معاوية مما يحتج به ولو لم يسبق إلى مثله، ولا يبقى بعد هذا إلا أن يقال إن حق زياد فى ذلك قد سقط بطول المدة، وبنسخ الإسلام لذلك النكاح الذى قام الاستلحاق على أساسه. ويمكن أن يجاب عن هذا بأن طول المدة قد اختلفت الشرائع فى تحديده وبأن الإسلام حين نسخ ذلك النكاح لم ينسخ آثاره

عبد المتعال الصعيدى

فأنكر مثلاً خطبة قس بن ساعدة الإيادى فى قوله : « وهى الخطبة التى زعم الرواة أنه تنبأ فيها بظهور الرسول ، وهى بلا شك خطبة وضعت لإيهام الجمهور أن نبوة محمد كانت مما يجرى على ألسنة الخطباء الموفقين من أصحاب الحكمة فى عهد الجاهلية » وبعد أن مضى ينكر وينفى ويتهم بغير دليل قال « فكيف يستقيم مع ذلك ما نراه من أنه كان للعرب نثر فنى قبل الإسلام ؟ فليعلم القارىء أن لدينا شاهداً من شواهد النثر الجاهلى يصح الاعتماد عليه وهو القرآن » ص ٣٨ ، ثم عقب على ذلك بقوله : « ولا ينبغى الاندهاش من عد القرآن أثراً جاهلياً ، فإنه من صور العصر الجاهلى ، إذ جاء بلغته وتصوراته وتقاليده وتعابيره وهو — بالرغم مما أجمع عليه المسلمون من تفرده بصفات أدبية لم تكن معروفة فى ظنهم عند العرب — يعطينا صورة للنثر الجاهلى ، وإن لم يمكن الحكم بأن هذه الصورة كانت مماثلة تمام المماثلة للصور النثرية عند غير النبى من الكتاب والخطباء » .

تأمل كلامه هذا جيداً وافهمه فى ضوء ما قدمنا لك فى المقالين السابقين وفى التمهيد قبلهما ، ثم تأمل قوله « وإن لم يمكن الحكم بأن هذه الصورة كانت مماثلة تمام المماثلة للصور النثرية عند غير النبى من الكتاب والخطباء» فإن لازم هذا الكلام أنها كانت مماثلة تمام المماثلة للصور النثرية عند النبى . وهذا تلميح كتصريح فى الوضوح . ثم مضى يتمم حكايته عن نفسه فقال :

« وقد قدمت هذا الشاهد للمسيو مرسيه الذى يرى أن النثر الفنى يبتدئ بابن المقفع ، فأخذ يبحث من مخرج ولكنه لم يهتد إلى الآن . أما الدكتور طه حسين فقد اهتدى إلى مخرج لطيف وذلك إعلانه أخيراً فى دروسه بالجامعة المصرية[1] أن القرآن لا هو شعر ولا هو نثر ، وإنما هو قرآن » ، وأنت ترى فى كلامه هذا مثلاً من شروده وعوج تفكيره ، لأنه كان يتكلم عن القرآن كنثر جاهلى فى زعمه ، فانتقل إلى الكلام عن القرآن هل هو نثر أو غير نثر ، كأنه لا يرى الفرق الهائل بين الأمرين . ثم استمر يتحدث عن رأى الدكتور طه فقال : « وقد بلغتنى عنه هذه الكلمة وأنا فى باريس فحسبته يمزح ...

فلما عدت راجعته فوجدته يصر على أن الكلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام : شعر ونثر وقرآن . وقد حسب الدكتور طه أنه ينجو بهذا التأويل ! وكان الظن به أن يؤيدنا فيما رأيناه من قدم النثر الفنى عند العرب ، وأن لا يستكثر علينا أن ننقض بعض ما يرى المستشرقون ، وهم يرون بلا حق أن العرب لم تكن لهم ذاتية أدبية ، وإنما أخذوا طرائق النثر الفنى عن الفرس واليونان » !

فهل رأيت أو سمعت بحمق كهذا الحمق الذى يريد أن ينفى عن العرب تهمة أخذ النثر الفنى عن الفرس واليونان فلا يرى سبيلاً إلى هذا إلا أن يسلبهم القرآن كتاباً من عند الله ليرده أثراً جاهلياً يثبت لهم به ذاتية أدبية ؟ ! أفترى هذا الرجل يرى القرآن من عند الله أم من عند العرب ؟ إذا كان من عند الله فكيف يمكن أن يثبت به للعرب ذاتية أدبية كالتى أراد وليس فيه لعربى منهم حرف ؟ وإن كان أثراً جاهلياً يثبت قدم النثر الفنى أى نثر الرسائل والكتب ، عند العرب ، فكيف يمكن أن يكون من عند الله ؟ إن هذا الرجل بين أن ينكر القرآن أو أن ينكر (نظريته) فى نشأة النثر الفنى ، كما يسمى فرضه الذى افترض ، ليس له عن أحدهما محيص

وإن أردت مثلاً آخر فاقرأ له قوله بعد ذلك : « القرآن شاهد من شواهد النثر الفنى ولو كره المكابرون . فأين نضعه من عهود النثر فى اللغة العربية ؟ أنضعه فى العهد الإسلامى ؟ وكيف والإسلام لم يكن موجوداً قبل القرآن حتى يغير أوضاع التعابير والأساليب ! » أرأيت استدلال الدكتور البحاثة على وجوب وضع القرآن فى العهد الجاهلى ؟ الإسلام لم يكن موجوداً قبل القرآن حتى يمكن أن ينسب القرآن إلى العهد الإسلامى ، وإذن فالقرآن كان موجوداً قبل الإسلام ما دامت نسبة القرآن إلى العهد الإسلامى غير ممكنة ! هذه هى نتيجة منطق الدكتور . وهذا طبعاً يستلزم أنه يفرق بين القرآن وبين الإسلام ، إذ لو كان القرآن والإسلام شيئاً واحداً عند الدكتور لكان القياس الذى بنى عليه حجته السابقة هو أن القرآن لم يكن موجوداً قبل القرآن ، وإذن فلا يمكن أن ينسب إلى العهد القرآنى ! وهو قياس كما ترى لا يليق أن ينسب إلى دكتور

(١) الكتاب المنقود طبع سنة ١٩٣٤

وللدكتور دليل آخر على أنه « لا مفر إذن من الاعتراف بأن القرآن يعطى صورة صحيحة من النثر الفنى لعهد الجاهلية » ذكره فى قوله عقب ذلك « وفى القرآن نص صريح على أن الرسول لا يرسل (إلا بلسان قومه ليبين لهم) وتلك إشارة نلوح بها لمن لا يكفيهم المنطق ، وإلا فكيف يعقل أن يحدث النبى قومه بما ينبو عن أذواقهم وأفهامهم ، وهو رجل مسئول لا يستطيع أن يقصد إلى الإغراب فى الألفاظ والتعابير ، أو قهر اللغة على الالتواء عما ألف العرب من طرائق البيان » ص ٣٩

وملخص هذا الدليل أن القرآن صورة صحيحة لنثر الجاهلية الفنى لأن المشركين كانوا يفهمونه ويستسيغونه . ولازم هذا إن صح ، أن الجاهليين لم يكونوا ليفهموا ولا ليستسيغوا نثر ابن سلام والجاحظ ، ولا نثر سهل بن هارون وعبد الحميد وابن المقفع ، ولا نثر الخوارزمى وابن عباد وابن العميد ؛ بل ولا شعر جرير والفرزدق والأخطل وبشار وابن الرومى والبحترى ، لأن شعر هؤلاء ونثر أولئك إسلامى لا جاهلى ، فإذا هم فهموه واستساغوه كان فى منطق الدكتور جاهلياً لا إسلامياً ، كأن تعريف الأدب الإسلامى عند الدكتور هو ما لا يمكن أن يفهمه أو يستسيغه الجاهليون !

لكن عدّ عن هذا وارجع إلى تلك القطعة من كلام صاحب النثر الفنى ففيها ما هو أهم من هذا كله فى ما نحن بصدده . اقرأ قوله : « وإلا فكيف يعقل أن يحدث النبى قومه بما ينبو عن أذواقهم وأفهامهم » ، وامض إلى آخر القطعة ، ولاحظ استبعاده أن يقصد النبى إلى الإغراب أو قهر اللغة على الالتواء عما ألف العرب ، واذكر أن هذا كله قاله صاحب النثر الفنى فى مقام الكلام عن القرآن وموافقته لغة العرب . ألا ترى أن ذلك القول منه أقرب ما يكون إلى التصريح بأن القرآن من كلام النبى ، حدث قومه به وتجنب فيه الإغراب عليهم فى الألفاظ والتعابير ولم يقهرها عما يألفون ؟ إن الرجل صاحب رأى فى القرآن ، ويأبى هذا الرأى إلا أن يظهر فيما يكتب وما يسوق من استدلال

ويمضى الرجل إلى آخر الشوط فى استنتاجه من فرضه الذى افترض من أن القرآن (أثر جاهلى) فيزعم للعرب فى الجاهلية (نهضة علمية وأدبية وسياسية وأخلاقية واجتماعية وفلسفية) كان الإسلام تاجاً لها[1] ، أى أن الإسلام كان نتيجة وتماماً لتلك النهضة لا سبباً لها . اقرأ تعليله بعد إن شئت : « لأنه لا يمكن رجلاً فرداً مثل النبى محمد عليه السلام أن ينقل أمة كاملة من العدم إلى الوجود ومن الظلمات إلى النور ومن العبودية إلى السيادة القاهرة ، كل هذا لا يمكن أن يقع من دون أن تكون تلك الأمة قد استعدت فى أعماقها وفى ضمائرها وفى عقولها بحيث استطاع رجل واحد أن يكون منها أمة متحدة وكانت قبائل متفرقة ، وأن ينظم علومها وآدابها بحيث تستطيع أن تفرض سيادتها وتجاربها وعلومها على أجزاء مهمة من آسيا وأفريقيا وأوربا فى زمن وجيز . ولو كان يكفى أن يكون الإنسان نبياً ليفعل ما فعله النبى محمد لما رأينا أنبياء أخفقوا ولم يصلوا ، لأن أممهم لم تكن صالحة للبعث والنهوض » ! فانظر إلى صاحب هذا الكلام كيف يسوى بين الأنبياء فى كل شىء وبين الأديان ، وكيف يرد نهضة العرب بعد الإسلام لا إلى النبوة والرسالة وما أنزل الله على الرسول من دين ، ولكن إلى علوم وآداب وتجارب كانت عند العرب كل ما فعله النبى هو أن نظمها حتى استطاع أهلها أن يسودوا فى القارات الثلاث فى زمن وجيز ! وتاريخ نشأة العلوم والآداب فى الأمة العربية بعد الإسلام معروف ، كما أن مقاومة العرب للنبى ودعوته ومحاربتهم له ولها معروفة ، لكن الرجل ينكر التاريخ ، ويفترى تاريخاً آخر ، ويزعم زعماً لا يجوز ولا يستقيم فى منطق أو تفكير إلا إذا كان القرآن كلام النبى ، كلام محمد العربى لا كلام الله . عندئذ فقط يعقل أن يكون العرب على ما وصف الدكتور زكي مبارك من نهضة وعلم وأدب ، لأن القرآن أكثر من نهضة وعلم وأدب ، ولا يعقل إن كان كلام بشر أن يأتى به صاحبه فى أمة جاهلة كالتى أجمع على وجودها قبل الإسلام مؤرخو اللغة العربية من شرقيين ومستشرقين ، ومؤرخو الإسلام .

(يتبع) محمد أحمد الغمراوى

(١) الجزء الأول صفحة ٤٨

من ربيع قديم

بقـــايا نغم ...

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

... ظَـلَلْتُ أطـوف بالألحانْ

على أرضٍ من النّسْيانْ

أُغـنّيها ولا آذان ولا عشٌ ، ولا أغْصانْ

ولا طَـيْرٌ يُسلّيني !

وإذ بخميلةٍ خضراءْ تراعَشَ فوقَها الأضواءْ

كأنْ سُقيتْ من الصّهْباءْ

ومن غزَلٍ ، وسحْرِ غناءْ

وإلهامٍ ، وتلقين

وفيهـا أنتِ يا لَيْلايْ

سُلوٌّ يانِعٌ لِبُكايْ

وفجرٌ رائعٌ لِدُجايْ وخُلدٌ سامِعٌ لِغِنايْ

يعلّلني ، ويُوحيني !

خطرْتِ على ضفافِ النيلْ كرُؤْيا تطلُبُ التأويلْ

خُطاكِ بمسْمَعِي ترْتيلْ

وصوْتُكِ في دمِي تنزيلْ

بلا شرعٍ ، ولا دِين !

وكان الأفْقُ كالمحْرابْ

وركْبُ الرّيحِ كالأوّابْ

يطوفُ مُدندِنَ الأسرابْ كصوفيٍّ يدُقّ البابْ

على سِرّ النّبيين

وكانتْ غُنوةُ الملاحْ صلاةً جمّةَ الأرواحْ

كأنّ لها صدًى وجَناحْ

ترفُّ بهِ على الأرواحْ

وتهتفُ للمساكين

وكانَ الموقدُ الحيْران

يؤجّجُ لبؤسِهِ النيران

ولاذ شراعُهُ النعسان بسارية من الأكفان

تلفَّعُ كالشياطين !

محمود حسن اسماعيل



الشعر القديم بين الفطرة والفن الجميل

[كتاب من الأستاذ خليل بك مطران إلى الدكتور محمد صبرى بمناسبة ظهور كتابه «الشوامخ»]

حضرة الصديق الكريم . . .

الداء الذى ساورنى فى هذه الأيام عاقنى عن أداء واجب الشكر لما أتحفتنى به من التحفة الغالية ، أعنى بها النسخة من كتابك «الشوامخ»

وما زلت إلى هذا اليوم غير قادر على بذل مجهود فكرى يعتدّ به . غير أننى بوجه إجمالى موجز أرى أن الشعر كلما اتصل بالفطرة كان من الفن الأصيل ، وكلما بعد عنها أفضى إلى التعمل ، وهو فن آخر ، أى فن الصناعة . وشتان بين الأصل والنقل وبين الإبداء والمحاكاة

ألم تر إلى شعر هوميروس كيف بقي عند الفرنجة بمنزلة الينبوع الصافى الذى استقى منه جميع أدبائهم على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم وأهوائهم ونزعاتهم

ولقد تكلف الفرنجة ما تكلفوا ليفهموا هوميروس وليقتبسوا من لغته القديمة المجهولة ما اقتبسوا ، ونحن لم نتكلف ولا نتكلف شيئاً لنفهم امرأ القيس وأضرابه من أيام الجاهلية ، فيغيبون عنا فنحكم عليهم لا لهم

ولولا أنك جئت تفهمنا معانى امرئ القيس ، ولولا الدكتور طه حسين بك وما جهد ليشرح آيات الشعر الجاهلى الصادق النسب ، ولولا آخر كتاب للأستاذ عباس محمود العقاد فى « جميل بثينة » لبقيت كنوز الشعر الجاهلى بعيدة عنا نأخذ منها عن الأجانب ما نأخذ ولا نفقه أن لها عندنا أصلاً كريماً جديراً بأن نعنى به

بعد كتابة ما تقدم على علاته أوجه إليك بعض أبيات جرت على قلمى وهى :

بعد ألف وبعد بضع مئات
أنصفت عبقرية الضليل
نُفي السِتر عن جلال امرئ ا
قيس بسفر من البيان جليل
رد صبرى ألواحه فتجلت من خفاءٍ آيات فن جميل
وإذا الحسن ندّ عنه حديث طُلب الحسن فى العتيق الأصيل
آفة الفن جهله ، كيف والأ علام تُطوى ما بين جيل فجيل
إنما الرأى ما أبنت وهل أبـ ـلغ مما أقمته من دليل

خليل مطران

فى الفصول والغايات وفى اللزوميات

لأبى العلاء فى (الفصول والغايات) وفى (اللزوميات) رميات — من رام — علميات مقرطسات . منها ما ذكرته فى كلمتى (المخترعات وكتاب الفصول والغايات) فى (الرسالة الغراء) ٢٥٠ ص ٦٥٥ س ٦ وأعاده مفرقاً الأستاذ كامل كيلانى فى مقالته (على هامش العيد الألفى لأبى العلاء) فى الرسالة ٥٦٠ ص ٢٦٣ س ١٢

ومن رمياته أو آياته قوله فى تلك العبقرية النثرية :

« أحْجِ وأحرِ أن تمود لجة البحر كساحة اليد لا ماء بها ولا حال إذا قضى ذلك خالق البحار »

ومنها قوله فى (اللزوميات) عبقريته الشعرية :

يجوز أن تُطفأ الشمس التى وقدت
من عهد عاد وأذكي نارها الملك
فإن خبت فى طوال الدهر جمرتها
فلا محالة من أن يُنقض الفلك[1]

قلت : لا حياة يومئذ لأحياء فى هذه الكرة الأرضية ولا فى تابعة للشمس من أخوات دارنا هذه وإن لم ينقض الفلك . والذى جوزه أبو العلاء فإنه سوف يكون « إنا لله وإنا إليه راجعون » !

(١) فى طبعة اللزوميات (حمرتها) وقد ضمت الحاء ، وذلك تصحيف

والشمس ذات الضياء والوهيج واللهب وحياة هذه الأرض هى كما قال الشيخ فى (اللزوميات) :

والشمس تنمر أهل الأرض مصلحة
ربّت جسوماً ، وفيها للعيون سنا
طهت لك الشمس ما يغنى أخادعة
عن أن يكون له فى الأرض طاهونا

وقد ذكرنى مقال أبى العلاء فى البحر والشمس بقول للضعيف كاتب هذه الأسطر فى تضاعيف كلام ، أرويه فى هذا المقام :

... وإن من يتلو كتب الأستاذ الأكبر (أرنست هيكل) يدهش ويستعظم روايته وتبحره فى العلوم والفنون . وعلمه (لله هو) علم إحاطة[1] . وإنه ينس قطين الأرض أكابر العلماء بعد أحقاب . فأمثال ذلك (الأستاذ) فى نعيم الذكر خالدون ما كرّ الفتيان[2] ، وما دام فى البحر ماء ، وفى الشمس ذكاء[3] ، لأنه إن رسخت أمواه البحر[4] ، وسوف ترسخ ، وهمدت نيران الشمس ، ولا بد أن تهمد ، هلك الناس ، ففقدت الأرض ذلك الفكر المدرك المضىء فى ظلمات لياليها ، وهو (لعمرابيك) خير ما فيها ، لا بل هو كل ما فيها كما يقول العلامة (بوانكاريه) . وإنه ليعزى الحكماء (يا فتى) أن الأجل بعيد جد بعيد ، وأن حياة تستمر فى غير الكرة الأرضية فى سيارة من هذه السابحات فى الفلك . ولكل قطين سيارة أجل ، والدنيا دول .

***

الفلاحون

قرأنا فى عدد ١٧ ابريل من مجلة الرسالة الغراء تحت هذا العنوان كلمة نقد جد مقتضبة وجهها الأديب « د . خ » إلى كتاب « الفلاحون » الذى ألفه حضرة الأب المحترم الدكتور هنرى عيروط ونقلناه نحن أخيراً إلى العربية . وقد رمى هذا الناقد مؤلف الكتاب بأنه يجور أحياناً ووصف الترجمة بأنها ركيكة وأن أسلوبها يميل إلى العامية ويجافى العربية السليمة ، بله العربية الفصحى

فأما عن المؤلف فقد كنا نحب أن ينبئنا كاتب الكلمة بمواضع جوره وعلى من وقع هذا الجور ، أعلى الفلاح وقد بذل قصارى جهده فى الدفاع عنه ؟ أم على بقية الطبقات الأخرى التى تشق الفلاح أو لا تنقذه من شقائه وهو فى الحقيقة لم يوفها ما تستحقه من لوم وتمنيف ؟

على أنه قد قرظ هذا الكتاب أربعة وثمانون من أفاضل العلماء والكتاب فى أربع وثمانين مجلة وصحيفة محترمة فى أوروبا وأمريكا والشرق فلم يلاحظ عليه أى واحد منهم أنه كان جائراً على أحد . ولسنا فى هذا نغالى أو نلقى الكلام على عواهنه ، بل لدينا جميع هذه المقالات ، وهى تحت تصرف من يريد الاطلاع عليها

وأما عن الترجمة والتجائنا فيها أحياناً إلى استعمال بعض الكلمات العامية مما قد يبدو أمام بعض القراء أنه انعطاف نحو الأسلوب العامى أو مجافاة للغة السليمة ، بله الفصحى كما يعبر حضرة الكاتب ، فهذا مسلك فرضته علينا طبيعة الوضوع الذى عالجه كتاب « الفلاحون » على نحو ما كان موليير يفعل فى مسرحياته إذا روى أحاديث الخدم والعوام . وليعلم حضرة الكاتب أن هذه الطريقة كانت إحدى دعائم مجد ذلك الشاعر الفرنسى العظيم كما أنه ينبغى أن يعلم أيضاً أن ذلك الأسلوب الذى صغنا فيه ترجمة ذلك السفر هو ما يدعى بروح الانسجام أو مطابقة مقتضى الحال

ومن آيات صحة هذه الدعوى أننا لم نسلك هذا النهج فى أى كتاب من كتبنا الأخرى ، لأن موضوعاتها لا تمت إلى العامة بأية صلة

نحن إذاً ، قد استعملنا الجلبية واللبدة والطاقية والملاية والبفتة وما شاكل ذلك عامدين ونزلنا إلى مستوى الفلاح وجارينا أسلوبه قاصدين . ولهذا لم تكن تلك العبارات أخطاء لغوية ولا مجافاة للغة السليمة كما خيل إلى الكاتب

على أننا نعود فنصرح بأن إطلاقنا على تلك السطور لفظة نقد فيه شىء يسير من التجوز ، لأن النقد يجب أن يكون مدعماً بالبراهين والحجج . أما أن يسمع حضرة الكاتب أن المؤلفين الذين يكتبون باللغات الأجنبية عن مصر أو عن الشرق يجورون فى كتاباتهم فيرمى مؤلف كتاب (الفلاحون) بأنه جائر ، وإما أن يقرأ الولولة التى ترجمناها بالعامية قصداً فى آخر ذلك

---

(١) علم الشىء علم إحاطة إذا علمه من جميع وجوهه
(٢) الليل والنهار
(٣) ذكت النار : اشتد لهيبها
(٤) نشت ونضبت

السفر ، ويلمح بعض العبارات التي تعمدنا أن تكون كذلك فيحكم بأن الأسلوب متجاف عن العربية السليمة ، فهذا نسق لا يسير بالنقد إلى الأمام ولا ينتج في الحركة الأدبية خيراً يرجى .

محمد غلوب

أدب ثالث

إن صح أن في مصر أدباً للشيوخ الذين رسخت مكانتهم في النفوس واستفاضت شهرتهم في الآفاق حتى جثموا كالقشاعم في القنن الشواهق ، وأن فيها أدباً للشباب وقد هبوا إلى مجانى الأدب ومغانيه كالفراش على الأزاهير حالين بيمد الصيت مرفرفين على الأغصان كالعصافير — فإني لأرى بين هؤلاء وأولئك أدباً طريفاً قد توسط فلم يشب فوداه كالشيوخ ، ولا لان عوده كالشباب ، وعند هذا الضرب من الأدب ينبغي أن تتألق نهضة وتقوم للفن مدرسة بعيدة عن الشطط وسليمة من الغلط لأنها من خير الأمور

والأستاذ عبد الرحمن صدقي يمثل اليوم هذا الأدب المستحب . عرفت قلمه من عهد بعيد ، يجول بلا صخب وينساب بغير تحبس . لقد استهواه أدب الغرب فتافن إلى صحفه وأسفاره ونهل من موارده العذاب ، ثم أخذ يمتاح منها طرفاً جلاها في معارض عربية ، لم يتكلف في ترجمتها أسلوباً ولا تصنع لفظاً ، بل انطلق فيها على نسق من السهولة والسلاسة فاستطاع بما أوتى من تضلع في اللغتين العربيـة والفرنسية أن يعرب عن الدقائق فيهما . قرب «أزهار الشر» إلى شميم العرب وقد استعصى بودلير على أبناء جلدته فكيف حاله عند أهل الضاد ؟ لقد جاهم الأستاذ عبد الرحمن بمآخذ شاعر الرمز في فرنسة ، لكنه نعته بالرجيم وحق له هذا ؛ فهو شاعر بالزهر وراجم بالشوك . عقد معانيه وضيق مبانيه ، حتى خرج على المألوف ، وكانت أشعاره كجوز الهند لا يوصل إلى ذوب مائه وحلاوة طعمه إلا بعد كسر قشره .

وبعد أزهار الشر طلع الأستاذ صدقي على قرائه بألوان من الحب ترجم فيها إحدى عشرة أقصوصة لأعلام هـذا الفن في الغرب مما يستهوى خيالنا الشرقي ولا تنبو عنه أذواقنا . وقد كشف فيها عن اختـلاف المزاج والخصائص بين قوم وآخرين ؛ فكانت ترجمته المختارة ناهضة على بصيرة نفاذة إلى ما وراء السطور في هذه التلاوين التي أعرب عنها

لقد وسم الأستاذ صدقي كتابه الجديد من اسم الأقصوصة الأولى . ولا جرم أنها على إيجازها تبين فن بلاسكو إيبانيز الذي يطبيه زهو الشباب وأناقة الجمال ، ويبدو اللون الأول من الحب في نفس أوديت التي روعت وجمت حين رد إليها زوجها من ساحة الوغى مبتور اليدين والرجلين مفقود العين ، وكأنه شق أنمار الذي حدثتنا عنه أساطير الجاهلية ، فتولى عنه جزعة فزعة ويشر كها بهذه النفرة الـكلب الذي وصفه الفلاسـفة والشعراء بالمحبة وصدق المودة ، وينكشف في أعقاب هذه الأقصوصة لون آخر يمثل أشرف ألوان الحب وأبقاها ، ذلك هو حب الأم التي جنت على ابنها الجريح فضمته بروحها وواسته بعينها

أما قصـة « الصمت » فكأن زينون الإيلياني فيلسوف الحركة والسكون أفرغ عليها من روح سكونه صمتاً رهيباً سادراً في عمقه ، وقد نجم هـذا الصمت من بنت كاتمت أباها القسيس وأمها سراً في نفسها حتى انتحرت فمات معها هذا السر ، ولم يحاول القصصي أندرييف الروسي اكتناه السر وإنما تركه لحيرة القارىء الذي يشفق على ذلك الـكاهن الشيخ وقد فتحت له على كرسي الاعتراف مغالق النفوس ولـكنه عجز عن استجلاء السر في نفس بنته حتى زار قبرها في ليلة ساجية وأخذ يناديها : — فيروتشكا . بوحي بسرك ...

فسمع الـكاهن صوتاً رهيباً بغير كلام هو صوت الصمت العميق الذي بقي يعلو مرهفاً مستدقاً ، حتى ملأ سمعه

وكانت أقصوصة بلقيس خاتمة المطاف في هذه الألوان جعلها كأنها فاتحة قصصية تبشر بموهبة كانت كمينة في أدبه

أما وقد أفلحت تجربة الأستاذ صدقي في فن القصة ، فإن موهبته لتريده على أن تظهر وتظفر في هـذا الفن عندنا فينتزع أقاصيصه من الحياة المصرية وليس ببعيد أن يكون مطلع القاص الجديد في سماء القصص بين النجوم اللوامع .

(القاهرة) **وداد سكاكيني**

قيس ولبنى

أصدرت الفرقة المصرية هذه الطرفة الأدبية الشعرية النادرة للأستاذ عزيز أباظة بك في طبع أنيق وخصصت التحصل من ثمنها « المشروعات الخيرية » وقد تفضل الأستاذ عزيز أباظة بك فأهدى إلينا نسخة من مسرحيته البارعة التي هيأت لنا ساعات من القراءة كانت متعة لأرواحنا لا تعد لها متعة ... حقاً لقد كسب الأدب العربي شيئاً عظيماً ... ونحن نـكتفي الآن بتهنئة الشاعر الـكريم على أن تـكون لنا عودة .

(د)

12me Année No. 566

Lundi - 8 - 5 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٦٦ « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق ٨ مايو سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٣٨١ دفاع عن البلاغة ... .. : أحمد حسن الزيات ... ..
٣٨٣ السلك السيامى . ... : الأستاذ راشد رستم ... ..
٣٨٦ شـعر ناجى ... . : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٣٨٩ الألغاز في الأدب العربى ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٣٩١ القرآن الكريم في كتاب « النثر الفنى » ... ... } الأستاذ محمد أحمد الغمراوى
٣٩٤ نقل الأديب ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٣٩٥ الوادى المقدس [قصيدة] : الأستاذ سيد قطب ... ...
٣٩٦ الشعر الجديد .. .. : الأستاذ الكبير (ا . ع)
٣٩٧ كتابة الاسبانية بالحروف العربية ... ... } السيد أحمد مدينة . . ...
٣٩٧ البيت الذى يعدل ألف بيت : الأديب محمد على خليل . .
٣٩٧ بقايا نغم ... ... : الأديب عبد القادر محمود ...
٣٩٨ كتاب « الفلاحون » والدكتور غلاب . . ... } الأستاذ (د . خ) . . ..
٣٩٩ عمى حسن . [قصة] : الأستاذ نجيب محفوظ . .

١٧ ـ دفاع عن البلاغة

٩ — التلاؤم في الأسلوب

بقى الكلام في الصفة الأخيرة من صفات الأسلوب الجامعة وهى : التلاؤم أو الموسيقية أو (الهرمونية) . وإذا بلغنا هذه الصفحة من قضية البلاغة ، فقد بلغنا موضع التهمة التى تُريب المتهِم ، وتعتسف الدليل ، وتنكر الذوق ، وتُنزل القيم الفنية منزلة العبث . تلك هى تُهمة اللفظ بالأناقة ، والتركيب بالموسيقى ، والأسلوب بالرفعة . ولو كانت هذه التهمة الجريئة تقصد الجمال المزيف والحسن المجتلب لما حكّ في الصدور من ناحيتها شيء ؛ ولكنها تقصد التعبير الجميل الذى يتميز به كلام الأديب عن كلام الناس ، وصوت المغنى عن صوت الحمار ، ورسم المصور عن تناشير الطفل . والزراية على الجمال اللفظى بهذا التعميم وهذا الإطلاق بدعة من بدع هذا العصر الذى اعتلت به الأذواق واختلت فيه المقاييس . وليس لأكثر البدع مسوّغ من الفطر السليمة والفِكَر الصالحة . إنما هى نزوات في بعض الرءوس ، أو نزغات في بعض النفوس ، تصدر عن شذوذ في الفكر أو حَتَر في الذوق أو عجز عن الكمال . وإلا فكيف تعلل إنكارهم تجميل الأسلوب وهم لا يفتأون كسائر الناس يطلبون الجمال في شتى ضروبه ومختلف صوَره ؛ لماذا يثورون على تنميق الكلام بدعوى أن الغرض منه الفهم

والعلم ، ولا يثورون على تزيين الطعام وتحلية الهندام وتزويق المسكن ، والغرض الأصيل منها الغذاء والوقاء ؟ لِمَ لا يقفون موقف الحيوان عند حدود الضرورة من مآرب العيش ومطالب الجسد ، فلا يتفننوا فى تلاؤم الأجزاء فى اللباس المهندم ، ولا يتأنقوا فى تنضيد الألوان على الخوان الموَشَّى ، ولا يتنافسوا فى تنجيد الأثاث للبيت المزخرف ؟ وإذا كان أحدهم لا يحب أن يلبس الثوب المرقع ، ولا أن يسكن الكوخ النابى ، ولا أن يتزوج المرأة المسيخة ، ولا أن يسلك الطريق الوعر ، ولا أن يركب المركب الخشن ، فلماذا يكره أن يسمع الكلمات العذبة والفِقر المتسقة والجمل الموزونة والأصوات المؤتلفة ، والنظر والسمع فى هذا المقام سواء « فإن هذا حاسة وهذا حاسة ، وقياس حاسة على حاسة مناسب »[1] « وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن إلى ما يوافقه ، وتنفر عما يضاده ويخالفه . والعين تألف الحسن وتقذى بالقبيح ؛ والأنف يرتاح للطيب وينفر للمنتن ؛ والفم يتلذذ بالحلو ويمج المر ؛ والسمع يتشوف للصوت الرائع وينزوى عن الجهير الهائل ؛ واليد تنعم باللين وتتأذى بالخشن ، والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ، ويسكن للمألوف ، ويصغى إلى الصواب ، ويهرب من المحال ، وينقبض عن الوخم ، ويتأخر عن الجافى الغليظ . ولا يقبل الكلام المضطرب إلا الفهم المضطرب والروية الفاسدة »[2]

الحق الصريح أن الذين يدعوننا أن نكتب كما نتكلم إنما يزوِّرون حقيقة الفن فيهم بنقيصة العجز منهم ، بدليل أنهم يجدون فى أنفسهم حلاوة الرضا إن وقعت فى كلامهم عفواً كلمة أنيقة أو جملة رشيقة أو سجعة محكمة . ذلك لأن الإنسان يتميز من سائر الحيوان بأن أحاسيسه التى تصل إليه عن طريق المشاعر ، وعواطفه التى تنشأ فيه من فعل الغرائز ، إنما تتوالد فى ذهنه وتتكاثر فى خياله حتى تزيد على ما تقتضيه طبيعة وجوده أضعافاً مضاعفة . هذا القدر الموفور المذخور من العواطف والأحاسيس لم يزل يطلب متنفَّساً ينبثق منه ومفيضاً ينسرب فيه حتى وجد الفنون الجميلة الأربعة فاستفاض مخزونه واستماز مكنونه بتسجيع القلم وترجيع القيثار وتلوين الريشة وتمثيل المِنحت . فالإنسان كما قال طاغور فنان فى الكثير الغالب من أمور دنياه ؛ فهو يجمِّل الهيئة ويحسِّن الشارة وينمق العبارة ويهندس الدار ويرقّش الغرف ويزخرف الأثاث وينمنم الحديقة إعلاناً لشعوره وإبرازاً لشخصه وإثباتاً لوجوده

وهو يشيد المعابد الفخمة ، وينصب فيها التماثيل الرائعة ، ويرسم عليها الصور البارعة ، تعبيراً عن مكنون عواطفه لربه ودينه

وهو كذلك يخطط المدائن الجميلة ، ويعبِّد الشوارع الطايلة ، وينسق الحدائق العامة ، تنفيساً عن مكظوم عواطفه لأمته ووطنه

من ذلك نعلم أن جمال العبارة وجلال الأسلوب من الصفات المشتركة فى جميع الناس ، تتفق فى الوجود والمظهر ، وتختلف فى الطاقة والدرجة . فالعامة يستعملون الوزن والسجع والجناس متى جاشت فى صدورهم عاطفة أو جرت على ألسنهم حكمة ، فمواويلهم وأناشيدهم وأغانيهم موزونة أو موقعة ، وأمثالهم وحكمهم وضوابطهم مزدوجة أو مسجَّعة . وكلما سمت الطبقة واتسعت الثقافة وصدق الشعور وصفا الذوق وأرهفت الأذن سما الأسلوب من الجميل إلى الأجمل ، ومن الجليل إلى الأجل ، حتى يبلغ الأوج عند كلام الله . إن جمال اللفظ وطلاوة التعبير تابعان لقوة العاطفة وجلالة الموضوع ، لا فرق فى ذلك بين أدب العامة وأدب الخاصة ؛ فلغة القضاء بين البدو لا تزال إلى اليوم فى بوادى العروبة تجرى على سَنَنها المتبع فى الفصاحة وإن كانت عامية ؛ فالمتهم يتهم بالسجع ، والمدافع يدافع بالسجع ، والقاضي يحكم بالسجع . والأصل فى سجع الكهان الجاهليين ذلك السمو الذى كان يحسه الكاهن فى نفسه وفى مقامه ؛ فقد كان كهان العرب ككهان الإغريق يزعمون أنهم مهبط الإلهام وأنجياء الأرباب ، فكانوا يسترحمونهم بالأناشيد ، ويستلهمونهم بالأدعية ، ويخبرون الناس بأسرار الغيب فى جمل مختارة الألفاظ مسجوعة الفواصل لتكون أسمى من كلام الناس وأجدر بصدورها عن الآلهة

أريد أن أقول إن توخى الجمال المطبوع فى الأسلوب أصل فى طبائع الناس امتد منها إلى تكوين اللغة وإنشاء الأدب . فإذا سلمت فى المنشىء الفطرة وواتته الملكة وساعده الاطلاع ، وكان قد تضلع من علوم اللسان وأحاط بأسرار اللغة ، صدر عنه الكلام رقيقاً من غير قصد ، أنيقاً من غير كلفة

(للكلام بقية) احمد حسن الزيات

(١) المثل السائر ص ٥٦ (٢) الصناعتين ص ٤١

السلك السياسى

للأستاذ راشد رستم

(أنشر هذا الحوار تسجيلا لصورة عن جانب من جوانب التفكير فى المجتمع الحديث)
الكاتب

أ — ما هذا الحذاء ؟

ب — ماذا ... ألا يعجبك ؟ إنه من الصنف الغالى ، دفعت ثمناً له خمسة جنيهات ...

— لا . لا أقصد ذلك

— ماذا تقصد ؟

— أقصد لماذا اخترته من هذا الشكل ذى الرقبة ؟

— ولِمَ لا !

— إنها « مُودة » قديمة

— ولماذا إذن يعرضونها الآن للبيع ؟

— ليشتريها أهل « المُودة » القديمة ... ثم ...

— ثم ماذا ؟

— ثم ليشتريها أولئك الذين يلبسون الجوارب التى من الصنف الرخيص ...

— وما دخل هذا فى ذاك ؟

— كيف ! ألا تدرى ؟ أتقول حقاً ؟

— نعم . لا أدرى . لأنى ألبس أجود أنواع الجوارب

— ولكن ألا تدرى أن رقبة الحذاء تحجب الجوارب عن الأنظار ...

— وماذا فى ذلك !

— لا يا أستاذ . لا بد أن تكون جواربك ظاهرة يراها كل من يجالسك . ولا يتم ذلك إلا بلبس حذاء لا رقبة له ...

— أو ترك الحذاء بالمرة ...

— لا تهزأ ... فهذه ملاحظة فى محلها ...

— حينئذ إذا كانت هذه القاعدة لها خُطورتها فأرجو أن تدلنى على طريقة لإظهار جميع ملابسى الداخلية ، فإنها فى الواقع من أجود الأصناف ...

أ — هذا له ظرفه الخاص ، ويلوح لى أنك تقتنيها من أجود الأصناف لهذا الظرف الخاص ... ومع ذلك فإن ظروف الإظهار تختلف باختلاف المواقف . ولا أظن أنك تجهل ذلك يا سيد العارفين ...

ب — إن هذه الملاحظات جديدة فى نظرى ، برغم أنى نشأت على أن أعرف مواضع الأشياء ، ولكن أنت أعلم منى فى ذلك لأن سلككم يقضى عليكم بمعرفة أشياء كثيرة لا يعرفها الكثيرون الآخرون كما ظهر لى الآن ...

— هذا حقيقى ، ولكنه لا يمنع أن يعرف غير رجال السلك كيف يلبسون وكيف يظهرون وكيف يتظاهرون ... ، وها أنت ذا واحد من هؤلاء الراسخين فى اللبس ...

— أشكرك . ولكن رجال السلك بدون شك هم النموذج الذى يحتذى فى كل المناسبات وكل البلاد

— بهذه المناسبة أتعرف ما هى أحسن طريقة لإظهار القميص الأفرنكى إذا كان من أجود الأصناف ؟

— لا ...

— هى أن تلعب البلياردو .

— البلياردو ... ! وماهى الصلة بين القميص والبلياردو ...؟

— ... تدخل صالة اللعب ، وهي عادة كبيرة وفيها ناس كثيرون ، وتأخذ فى الاستعداد للعب مع زملائك ، وتتظاهر بعدم تحملك حرارة الصالة وحرارة الحركة ، فتخلع الجاكتة فيظهر القميص فيراه الجميع ...

— عظيم . والجهل باللعب ؟ !

— أمر ثانوى . غير مهم . وكذلك المكسب أو الخسارة . وكذلك « الفشومية » غير مهمة لأن الأغلبية لا تعطي بالا لهذه الاعتبارات ... حتى أنك إذا أتلفت جوخ الخوان ، وهو كما تعلم ثمين جداً ، ... كل ذلك يهون فى سبيل إظهار القميص ...

— أمازح أنت أم جاد ، أم أنك تهزأ بمن ليس من سلككم ؟!

— حاشا لى أن أقول غير ما أقصد

— أو تقصد غير ما تقول ...

— وما الفرق ؟

ب — فرق بسيط . غير مهم . هذه كلمة خاطفة ، لا تعطها بالا . كمّل . كمّل ...

أ — نعم خذ أنت بالك ودعك من التلاعب بالمعاني وبالألفاظ . فهذا زمانه مضى . وأما الوقت الحاضر فيدعو إلى الكشف والوضوح . والذى أريد أن أقرره من كل الذى جرنا إليه الحديث الآن هو أن المظهرية ، نعم المظهرية ، مسألة هامة جداً

***

ب — هذا واضح جداً جداً . ولكن هل معنى ذلك أنك تفضل المظهرية على الحقيقة ؟

— إسمع يا صديقى . إن الحقيقة تعرف شأنها ، وهى موجودة . ولكن المظهرية لا بد لهـا ممن يخدمها ويعمل لها وفى سبيلها ، وإلا ضعت يا أستاذ بين الحقيقة والناس . . .

— ولكن ألا ترى أنه خير للعاقل أن يفنى فى سبيل الحقيقة من أنه يعيش فى رداء المظهرية !

— إسمع كلامى واعمل بفلسفتى ، مع العلم بأنها فلسفة شاملة للجميع . دع أفلاطون الذى كان يبحث عن الحقيقة . ثم دع الحقيقة كذلك آمنة فى خدرها . إنها إن أرادت الظهور فهي ظاهرة ...

— وأما المظهرية فهى لا شك فى حاجة إلى من يعمل لها أمثالكم ... أليس كذلك ؟

— هو كذلك لا شك ...

— ولكن خبرنى . أليست الحقيقة أولى بهذا المجهود !

— قلت لك إن الحقيقة قوية بذاتها وهى ليست فى حاجة إلى أمثالنا

— أو أن أمثالكم ليسوا فى حاجة إليها !

— هذا وهذا ...

— وخبرنى كذلك ، هل يوجد كثير من أمثالك على هذا الرأى ؟

— الدنيا كلها ...

— أقصد فى سلككم الخاص ...

— الجميع يا أخى . هذا أمر مفروغ منه

— ولكن هل يتعلم الشخص فلسفة المظهرية بعد أن يلتحق بالسلك ، أم هو لا يقبل ضمن السلك إلا إذا كان يعلمها من قبل ؟

— هذا سؤال طيب . نعم الأوفق أن يكون الشخص عالماً بفلسفة المظهرية مستعداً لها قبل أن يدخل السلك ، على أن السلك يعلمه بعد ذلك الدقة فيها وحسن التشرف وحسن السبك ...

— أفادك الله ... إذن سأفكر فيما يصلح لى ...

— أتريد أن تلتحق بالسلك ؟

— لا . لا . أبداً أبداً . إنما أريد أن أفكر فى شأنى وشأن أمثالى وشأن هذه الأفكار ...

***

أ — وإلى أن تفكر وتهتدى إلى حل أنظر إلى حذائى وخبرنى عن نوع جلده

— هو جلد ثعبان

— برافو ! وجلد هذه الحقيبة ؟

— جلد ثعبان كذلك

— برافو !

— ولكنى لا أدرى إن كان جلد الحقيبة وجلد الحذاء هو من الثعبان ذاته

— هذا لا يهم

— ولكن بالله اشهد . أليست هذه ملاحظة تدل على الدقة وحسن السبك ؟

— أتريد أن تقول إنك تصلح للسلك ؟ وهل فى هذا شك ياصديقى ؟

— ولكن اسمح لى ...

— ماذا ؟

— ملاحظة أخرى وإن كانت ، على ما أظن ، لا تجعلنى صالحاً للسلك . وعلى الأقل فى نظرك أنت

— قل . قل . ما هى ؟

— هل تظن أن من العقل أو من الذوق أو من كليهما معاً ومعهما غيرهما . . . أن يلبس الرجل حذاء من جلد ثعبان ، فى حين أن أحق الناس بذلك هو الجنس اللطيف ؟

وما المانع يا أخى !

— والله إذا كانت المسألة مسألة مانع ، فإن الموانع كثيرة . هذا إن أردت الحقيقة . ولكن لا . لا . لا تؤاخذني فإن الحقيقة في خدرها ...

— أنا لا أرى مانعاً ما دمت تملك المال الذي تشتري به جلد ثعبان وتصنع منه الحذاء وحقيبة السفر وحقيبة الورق وحقيبة الجيب الخ ...

— وهل المسألة مسألة فلوس ؟ وليس للاعتبارات الأخرى أي تقدير ؟!

— أي اعتبارات أخرى ! مع العلم بأن جلد الثعبان ثمين جداً وهو « مودة » حديثة جداً

— لا أقصد كل هذا

— إذن أنت تقول ما لا تقصد ... أو تقصد ما لا تقول .

— دعنا من هذا المزاح السياسي ... ولنترك مسألة الجلد وخبرني عن نوع الجورب الذي تلبسه ....

— من الحرير . ثم انظر إليه وإلى رباط الرقبة وإلى المنديل والقميص

— شيء جميل جداً . كلها من نوع واحد . وهكذا تكون ملابسك مكونة من مجموعات

— حقاً . إنني أميل إلى هذا الشكل من الملابس

— ولكن هذا يتطلب تعباً وتفكيراً ومجهوداً ووقتاً ونقوداً . فهل عملك يسمح بذلك !

— من غير شك . مع العلم بأن كل هذا هين في سبيل ...

— المظهرية ...

— برافوا !.. وهذه هي الحقيقة ...

— نعم . لقد ظهرت من خدرها ...

— ألم أقل لك إنها قوية لا تحتاج إلى أحد

— نعم نعم . ولكن قل لي ، لماذا أنت تلبس كل هذا اللبس العالي الفخم مع أنك على سفر ؟

* * *

كان هذا الحديث في القطار بين بور سعيد والقاهرة . وكان أن الصديقين التقيا في محطة بور سعيد . وكانت مصادفة أخوية نادرة إذ يلتقيان على هذه الحال بعد غياب أحدهما في الخارج غياباً طويلاً . لذلك أسرعا فاتخذا مكانهما في القطار معاً ، ثم كان ذلك الحديث الطريف ... على أن الصديق (ب) لحظ على صديقه (ا) شيئاً من القلق وعدم الاستقرار ، فسأله الخبر فكان « يتظاهر » أيضاً بأن ذلك من متاعب السفر ... ومع ذلك قام يمشي في دهليز العربة يفحص الجالسين كمن يبحث عن شخص بالذات . ولما عاد إلى مجلسه من طوافه سأله صديقه عمن يبحث ؟

أ — عن صديق كان معي بالباخرة وسمعته يقول إنه سيسافر في هذا القطار

ب — وهل وجدته ؟

— للأسف لا ...

— ربما تخلف

— ولكن كان يهمني جداً أن يكون موجوداً في هذا القطار

— هل لي أن أسأل عن سبب اهتمامك به !

— نعم بكل سرور . اسأل ...

— لقد سألت ...

— آه ... نعم ... بالطبع يكون حسناً لو كان معنا ...

— وإذا لم يكن معنا فهل في هذا ضرر عليك ؟

— لا . ولكن كنت أود أن يكون معنا

— هل أعرفه ؟

— لا ...

* * *

ثم جعلا ينتقلان من حديث إلى حديث إلى أن بلغ القطار محطة الإسماعيلية . ولما تحرك لمواصلة السفر قام الصديق (أ) من مكانه مذعوراً

أ — ها هي ... ها هي ... يا للخسارة !..

— ما بالك يا أخي ؟ من هي ؟ وما هذه الحركات ؟ اجلس اجلس

أ — يا للخسارة ! ولكن لا تزال الفرصة موجودة . بل لقد سنحت الفرصة

— ما هي الحكاية ؟ خير ! خير إن شاء الله

— الحكاية طويلة . وهناك في الاسماعيلية إن شاء الله ستكون نقطة التحول في الموقعة ....

٣ – شعر ناجى

للأستاذ دريني خشبة

١ — فصول غير مكتوبة
٢ — قليل عن حياة ناجى وثقافته
٣ — ماذا نرجو من ناجى
٤ — بعض ما يؤخذ على ناجى

لولا خشيتنا ألا ننتهى من الكتابة عن ناجى ومن الثناء عليه ، لعقدنا فصولاً طوالاً عن غَزَله الرقيق العذب ، وعن فكاهته الحلوة الهادئة ، وعن سخريته اللاذعة اللاذعة ، وعن فلسفته الضاحكة المتفائلة التى تُبطن قليلاً من الشك لا يلبث أن يضفى عليه أضواء إيمانه العميق فيمحقه ، وعن وطنيته التى تبشر وتهدى وتتفتح بالآمال فى غير بكاء ولا إعوال ... وعن فهم ناجى لهذه الحياة الجديدة الصاخبة التى تحترب من حولنا وتتفاعل فى دؤوب وجِد ... وفى بحار من الدماء أحياناً ... ولولا خشيتنا ألا ننتهى من الكتابة عن ناجى لعقدنا فصلاً طويلاً عن حياته ونشأته وتعلمه ، لنعلم مثلاً أنه ولد فى آخر ليلة من ليالى سنة ١٨٩٧ [1] وأنه يكره أن يحمل هذه الليلة تاريخاً لمولده ، وأنه يرى من العدل أن يؤرخ لمولده بأول يناير سنة ١٨٩٨ ، لأنه لم يعش فى القرن التاسع عشر إلا عامين اثنين على حد قوله ، وثلاثة أعوام حسب أصول الطرح الصحيح . ثم لنعرف أنه كان تلميذاً نابغاً ذكياً ، مثله الآن ، لأنه لا يزال تلميذاً نابغاً ذكياً ، وإن تغيرت مدرسته فأصبحت مكتبة كبيرة ، أو ثلاث مكتبات كبيرات حشد فيها خمسة أو ستة آلاف من كتب الأدب والفكر ... والطب ... وأنه حشد فيها تلك الآلاف من الكتب لا للزينة والتباهى ، ولكن للقراءة العميقة المنظمة ... وإن من هذه الكتب ، كتباً إنجليزية ـ وهى الكثرة الغالبة وأن منها كتباً فرنسية ، وكتباً ألمانية ، لأن ناجى ، كما أخبرنى ، كان مولعاً بالحصول على الشهادات العلمية ، ولذلك فهو قد ثقف الإنجليزية والفرنسية والألمانية ليحصل على عدد من الدرجات العلمية من انجلترا ومن ألمانيا . وبعد أن شفى

(١) ولد الشاعر بشبرا القاهرة وهو حفيد الشيخ عبد الله الشرقاوى الكبير وتعلم فى مدرستى باب الشعرية والتوفيقية ، ثم تخرج فى مدرسة الطب .

— خير إن شاء الله ... هل وجدت صديقك ؟
— نعم ... نعم . وجدتها ...
— من هى ؟ أصديقك هذا سيدة ؟
— سيدة بالطبع ...
— ما أكثر سيداتكم يا « رجال » السلك !
— وهل ظننته رجلاً ؟
— بالطبع . لأنك قلت صديق ولم تقل صديقتى ...
— ألا تعرف أن صديق فى عرفنا معناه صديقتى ...
— لا . لم أكن أعرف ...

***

جلس الصديق (أ) حائراً سارحاً بعد الذى رأى على أفريز محطة الاسماعيلية ، وتولاه شىء من التفكير والوجوم ، ثم أخرج سجارة من علبة مصنوعة كذلك من جلد ثعبان . ثم أشعلها بولاعة ذهبية بديعة كان ينقصها أن تكون مغطاة بجلد ثعبان ...

ثم تذكر أنه لم يعرض على صديقه سجارة ، فأخرج العلبة مرة أخرى وقدم منها سجارة لصديقه (ب)

ب — (وقد أراد تغيير مجرى الحديث) إنها سجارة مصرية فاخرة . لا شك أنك بمجرد وصولك أرض الوطن اسرعت فاشتريتها

— لا . لا . إنها معى من أوربا
— من أوربا ؟ كيف ؟
— لأنى أدخن السجاير المصرية هناك
— شىء جميل ! ذلك لأنها مصرية
— نعم ! ولأن لها ميزة الأفضلية
— (مداعباً) قل الحق . لها ميزة المظهرية ...
— (مبتسما) ها هى ذى الحقيقة يا سيدى برزت من تلقاء نفسها . أمسرور أنت إذن ؟
ب — بل إن للسلك السياسي لسحراً

راشد رستم

ظمأه من شهادات هذه البلاد الطبية ، شرع يروى من آدابها بلغاتها الأصلية ، ولعلى لا أبالغ إن ذكرت أن ناجى يجيد الإيطالية إلى حد ما ، وأنه يستطيع أن يقرأ الأدب الإيطالى بلغته الأصلية

كان ينبغى أن نعقد فصلاً عن ثقافة ناجى التى ترتوى بكل هذه الثقافات ، وتنهل من مناهل الآداب العالمية التى تتصل بها اتصالاً منظماً ؛ وربما كانت قد أتيحت لنا فرصة نذكر فيها طريقة ناجى فى تنظيم ثقافاته هذه كلها ، ووضع الحدود بينها حتى لا تصير خليطاً يشحب إلى جانبه لون خاصته الأولى[1] وأعنى قرضه للشعر ؛ فقد كلمنى أحد الأصدقاء عن ناجى فرأيته يزعم أنه أوشك أن ينقطع عن نظم الشعر ، إن لم يكن قد انقطع عن نظمه بالفعل . والذى أعرفه أن ناجى لا يزال يعنى كعادته ، وإن يكن قد انقطع بالفعل عن النظم الكثير بين عامى ١٩٣٤ ، ١٩٣٨ ، وذلك لأسباب لم يحن الوقت لذكرها ، أما بعد سنة ١٩٣٨ ، فقد أخذ ملك الكنار يعود إلى شدوه الأول وشجوه القديم . وليس صحيحاً أن شعر ناجى فى صباه خير من شعره الحالى ، وإن كنت قد أوردت جميع الأمثلة التى ذكرتها فى مقالى السالفين من ذلك الشعر ؛ فقد آثرت أن أفعل ذلك لكى يستطيع من يريد الرجوع إلى شعر ناجى أن يجده مجموعاً فى ديوان مستقل ، لا متفرقاً فى عشرات المجلات ، أو مختزناً فى رأس الشاعر (!!) ... وذلك أن ناجياً لا يقيد شعره فى ديوان أو كراسة ، كما يصنع عباد الله الشعراء ، وهو حين ينظم المقطوعة أو القصيدة فهو إنما ينظمها فى رأسه ... أى فى ذهنه ، وهو لا يتناول قلماً وقرطاساً ، ثم يخلو إلى نفسه كما يستوحى معظم الشعراء ملائكتهم — أو شياطينهم — ولكنه ينظم شعره كلما هاجته دواعى الشعر وهواجسه ، فهو ينظمه فى الخلوة ، كما ينظمه بين يدى الحبيب . وهو ينظمه فى الحدائق ، كما ينظمه فى زحمة الترام . وهو ينظمه نائماً أو مستيقظاً ...

ونحن نأسف لأن ناجياً لم يجمع شعره منذ سنة ١٩٣٨ إلى الآن فى ديوان يكون بأيدى محبى فنه والمفتونين به من قرائه الكثيرين فى الأمم العربية . وليس يخفف من هذا الأسف أن ثلاثة أرباع هذا الشعر مسجل فى صفحات الرسالة ، لأن هذا التسجيل لا يسعف إلا الأقلين بالرجوع إلى هذا الشعر

* * *

وبعد ... فماذا فى جنة ناجى الوارفة الظلال من حَسَكٍ وسَعدان وأشواك ؟ وماذا ينقص هذه الجنة الدانية القطوف مما فى جنات أولئك الشعراء الأمجاد : شلى ، وبيرون ، وكيتس ، ووردذورث ، وسكوتس ، وتنيسون ، وبوب ، وشيكسبير ، وبروننج وغيرهم وغيرهم من شعراء الإنجليز والفرنسيين والألمان والإيطاليين والأسبان وقدماء اليونان ممن كانت أرواحهم تهوم حولنا وتغمغم ، وتطل علينا من خزائن كتب ناجى ، وتكاد تُغنّى لنا وأنا أحدثه عنها جميعاً ؟ لقد أوشكت أن أترك هذا السؤال بين يدى ناجى ، ثم أفرغ من نقده ! لقد رأيت فوق مكتبه ديوان الشاعر الإنجليزى الشاب كيتس ، فتناولته ثم ضحكت ... ثم أخبرته ، وقد سألنى ، أننى كنت أقرأ فى هذا الديوان قبل أن ألقى ناجى بدقائق ، منظومته الرائعة الخالدة (أنديميون) ... وأننى كنت أقرأها لأهيِّء من مأساة تأليفها ونقدها رداً صامتاً على نقاد هذا الزمان ، الذين يحلو لهم أن يقضوا على شعرائنا الشباب كما قضي نقاد كيتس على كيتس ، فمات فى ريعان الصبا وشرخ الشباب ضحية هؤلاء العلماء الظالمين الذين لا يرضيهم إلا أن يقذفوا فى نار الجحيم بشعرنا وشعرائنا ونقدنا ونقادنا ممن يعرضون أقلامهم وكراماتهم لدفع أذى أولئك العلماء العُتاة الظالمين عن جنود أدبنا ومعقد رجائنا فى مستقبل هذا الأدب

فهل يخشى ناجى أن ينظم لنا غرة مثل أنديميون ، أو درة مثل أدونيس ؟ ألا يذكر ناجى أى أثر تركته فى نفسه أدونيس التى نظمها شلى تخليداً لذكرى كيتس ، بمناسبة موته من جراء الحملة الظالمة التى شنها عليه حضرات النقاد الظالمين ؟

لقد جرب ناجى النظم ، وقد أعطانا مثالاً شائقاً فى ديوانه

---

(١) لا جدال فى أن خاصة ناجى الأولى هى قرض الشعر وإن كان من العدل بل من الانصاف أن نقرر أنه طبيب لا يعدل بمهنته شيئاً فى الحياة ، وأنه يملأ مكتبته بالكتب الطبية التى يدرسها فى عناية وعمق . وكان المرحوم شوقى بك يثق به ثقة لا حد لها حتى كاد يكون ناجى طبيبه الخاص ، وهكذا يصنع كثير من القاهريين . ولناجى قدرة وطلاقة عجيبة فى المحاضرة فى علوم مختلفة بلغات مختلفة .

الصغير المتواضع تحت عنوان : قلب راقصة ... تلك الأقصوصة التى تؤكد ما ذهبنا إليه من نبل مشاعر ناجى وجمال تصويره للحياة وتفجر الشعر من قلبه وتدفقه فى دمه ، وقد جرب ناجى نظم الملاحم ، فأنشأ ملحمتيه الرقيقتين اللتين لم تطبعا بعد : الأطلال ، وليالى القاهرة ، وكل منهما فى حوالى ألف بيت ... فهل يحسب ناجى أنه أدى واجبه نحو الشعر العربى ، والأدب المصرى الحديث ، بهذا القدر الضئيل من الجهد المشترك ؟ أليس يروع ناجى ما يرى من الفراغ المفزع فى دواوين شعرائنا شيباً وشباناً ؟ أيستطيع أن يقارن بين هذه الدواوين وبين تلك المئات من دواوين الشعراء الأوربيين الذين كانت أشباحهم تشرف علينا من خزائن كتبه ؟ أخشى أن يكون ناجى شاعراً أنانياً ، يقرأ كل هذا القدر من الشعر ، ولا يعطى الناس غير تلك الصُّبابات من القصائد والمقطوعات ... إنما نريد تجاوباً بين ناجى وبين أصدقائه من أولئك الشعراء المحبوسين فى خزائنه ... لقد أنجبت مصر ناجياً ليكون بلبلاً من بلابلها التى تأسو بغنائها أضعاف ما تأسو بطبها ... لقد أردنا أن نكتب عن ناجى فبدأنا بالكتابة عن قلبه ... فأين قصة ذلك القلب ؟ أين هذه القصة الكبيرة الطويلة ذات الصور والتهاويل التى يجيد ناجى إبداعها ؟ إن بيرون حينما أنشأ دون جوان أو تشيلد هارولد ، وشلى حينما نظم روزاليند وهيلين وقصصه الباكيات الأخر ، وشيكسبير حينما نظم فينوس وأدونيس ... وشعراء الغرب حينما نظموا قصصهم البارع العالى ، إنما كانوا ينظمون قصص قلوبهم الفتية الكبيرة النابضة ... فأين قصص قلوب شعرائنا فى غير البيت أو البيتين أو القصيدة أو المقطوعة ؟ ومن غير ناجى ومن هم من طراز ناجى ممن ثقفوا أساليب الأدب الأوربى ، ونهلوا من معينه يستطيعون أن يسدوا تلك الثلمة فى الشعر العربى ؟

ولا أستطيع بعد هذا أن ألاحظ شيئاً على أشعار ناجى يمكن أن يؤبه له أو يعتد به . وإن كان لا بد من ملاحظة شىء والتصريح به ، فهو هذا التهافت القليل الذى ينتاب بعض أبيات ناجى ... وهو تهافت مادى فى غالب الأمر ، أي من ناحية التركيب والأسلوب . ولا شك فى أن السبب فى ذلك هو ما يأخذ به ناجى نفسه من طريقته العجيبة فى قرض شعره ، وبالأحرى ... نظمه أشعاره بتلك الطريقة الغيبية التى لا يستعين فيها بقلم أو قرطاس . ونحن نعرف من علوم النفس والتربية أن الشىء الذى يستعمل الإنسان فيه أكثر من حاسة واحدة تكون دراسته ووعيه أكثر إتقاناً مما إذا اقتصرنا فيه على حاسة واحدة أو حاستين فى الوقت الذى نستطيع أن نستعمل فيه أكثر من ذلك . فلو أن ناجياً كان يتناول قلماً وقرطاساً ليدون أشعاره وقت نظمها لاستطاع أن يعيد فيها نظره ويجيل عليها عينيه ، ولأجرى عليها عملية التجويد . وإذا هو أشرك مع عينيه أذنيه ، ثم لسانه ، أى جعل يرددها ، أو (يُدندن !) بها ، إن صح أن نستعمل هذا التعبير المصرى لجاءت كل أشعاره مصقولة على غرار واحد وتجنَّب ما يندُّ به ذهنه من الانحراف النحوى أحياناً : كقوله فى رثاء المرحوم طانيوس عبده :

إجمع الآن طاقةً غضَّةَ النور تبتسمْ
أهدها روح شاعرٍ خالدٍ بالذى نظمْ

فقد عدَّى أهدى بغير لام أو إلى وهى لا تتعدى إلا بهما . وكقوله فى الشك :

نعلو الحياة بها إلى أن تنتهي عند التراب رخيصة كتراب
يا هيكل الحسن المبارك ركنه الساحر النور الطهور رحاب

فقد جرَّ رحاب فى غير موضع للجر ، وإن احتج بالضرورة الشعرية ، فليس يعيب الشاعر الناضج إلا أن يحتج بها . ومن ذلك استعماله دوى مكان دوَّى بالتشديد

وعلى ذكر رثاء طانيوس عبده ... لقد ذكر ناجى أبياتاً لم يكن (بليق !) أن يذكرها قط فى ديوانه وإن يكن قد ذكرها فى الحفلة ، ولن أزيد الطين بلة فأذكرها هنا

وإلى أن يصدر ناجى الجزء الثانى من ديوانه فنحن نحييه ونعقد عليه أحسن الآمال

دريني خشبة

١ - الألغاز فى الأدب العربى

للأستاذ محمود عزت عرفة

اللغز ... ومرادفاته

قد يبدو لأول وهلة أن الألغاز فن مستحدث تسرب إلى أدبنا العربى فى عصوره المتأخرة ، فلهج به المتخلفون من الأدباء حتى أصبح فناً قائماً بذاته ، وغرضاً فى النثر وفى الشعر تنصرف إليه الغاية ، وتُصاغ فيه الرسائل والمقطعات ، كما نرى ذلك فى العصر التركي وما تلاه من عهود الانحطاط

على أن النظرة الشاملة تنفى عن أذهاننا هـذه الفكرة الخاطئة ، وتكشف لنا عن مدى تسلسل هذا الفن مع العربية منذ أقدم عصورها

والواقع أن الألغاز - وما يجرى مجراها - لا تعدو أن تكون ضرباً من التعبير عماده اللقانة والفهم وحسن التأتى والفطنة من القائل ومن المستمع جميعاً ؛ وتلك نفحات ذهنية كان للعقل العربى منها منذ نشأته أوفر نصيب . واشتقاق « اللغز » فى اللغة يشير إلى قدم هذه التسمية أو قدم مدلولها على الأقل ، إن لم يمكن التثبت من إطلاقها على هذا الفن نفسه منذ العهد الجاهلى

يقول قدامة فى كتابه نقد النثر : أما اللغز فانه من ألغز اليربوع ولغّز إذا حفر لنفسه مستقيماً ثم أخذ يمنة ويسرة ، ليعمى بذلك على طالبه ، وهو قول استُعمل فيه اللفظ المتشابه طلباً للمعاياة والمحاجاة

وأورد ابن الأثير قريباً من هذا ثم أضاف : وقيل - يعنى فى الألغاز - جمع لَغْز بفتح اللام ، وهو ميلك بالشىء عن وجهه ...

هذا وللغز مرادفات كثيرة يوردها أكثر المصادر من غير تفرقة ولا تحديد ، فيقال له (اللحن) وهو التعريض بالشىء من غير تصريح ، أو الكناية عنه بغيره . ومن ذلك قوله تعالى فى صفة المنافقين : (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول) قال الزمخشرى : أى فى نحوه وأسلوبه ، وقيل اللحن أن تلحن بكلامك أى تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية ...

ويطلق على اللغز أيضاً المعمّى والترجم والأغلوطة ، والأحجية والمحاجاة (لدلالة الحجا عليه) ، والأدعية مثل الأحجية ... وأنشد الجوهرى فى الصحاح :

أُداعيكَ ما مُستصحَباتٌ مع السُّرى
حِسانٌ وما آثارهُن حسان !

وقال يعنى السيوف . ويقال للغز أيضاً (الأُلْقية) وهي ما يأتى بقصد الاختبار وطلب التعجيز ، و (المعاياة) ولعلها من تطلب الإعياء أو إثبات العى . وكل هذه ألفاظ تتقارب معانيها حتى لتكاد تومئ إلى مدلول واحد . ولقد حاول ابن الأثير فى « المثل السائر » أن يفرد من بين ذلك ما سماه (المغالطات المعنوية) فيجعله نوعاً ، ثم يضم الأحاجى والأغاليط والألغاز والمعميات فيجعلها نوعاً آخر

تقسيم ابن الأثير

وهو يقول عن النوع الأول الذى سماه المغالطات المعنوية : حقيقته أن يُذكر معنى من المعانى له « مثل » فى شىء آخر أو « نقيض » ، والنقيض أحسن موقعاً وألطف مأخذاً

ويقدم كنموذج لماله « مثل » قول المتنبى فى وصف رمح :

يغادر كلَّ ملتفت إليه
ولَبَّته لثعلبِهِ وجارُ

فمعنى الثعلب المقصود هنا سنان الرمح . ولكن إمكان انطلاق هذا اللفظ على الحيوان المعروف أيضاً ، أتاح للشاعر أن يثبت لفظ (الوجار) على سبيل الجمع بين المثلين : الثعلب الحيوان ووجاره

أما ما يأتى على سبيل « النقيض » فذلك كقول الشاعر - محاجياً فى الدواب - :

وما أشياء تشريها بمال
فإن نفقَتْ فأكسدُ ما تكون؟

إذ يقال نفقت السلعة أى راجت ، ونفقت الدابة إذا ماتت قال ابن الأثير : وموضع المناقضة ههنا فى قوله إنها إذا نفقت كسدت ، فجاء بالشىء ونقيضه ، وجعل هذا سبباً لهذا ...

ويخَطّئ ابن الأثير من يُدخل هذا الضرب من المغالطات المعنوية فى باب الألغاز ؛ ويعيب ذلك على أبى الفرج فى أغانيه والحريرى فى مقاماته

واللغز عنده – بعد ذلك – هو كل معنى يستخرج بالحدس والحزْر ، لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازاً ، ولا يفهم من عرضه . ويمثل لذلك بقول الشاعر [1] ملغزاً فى الضرس :

وصاحب لا أمل الدهر صحبته يشقى لنفعى ويسعى سعى مجتهدِ
لم ألقه مذ تصاحبنا فذ وقعت عينى عليه افترقنا فرقة الأبد !

على أنه يعود فيتمثل بقول الآخر ملغزاً فى (خلخال) :

ومضروب بلا جـرم مليح اللون معشوق
له قـدٌّ الهلال على مليح القـد ممشوق
وأكثر ما يُرى أبداً على الأمشاط فى السوق !

وواضح أن من السهل إدراج هـذا المثل فى باب المغالطات المعنوية ؛ إذ الأمشاط والسوق المقصودة هنـا هى تلك المواضع المعروفة من الجسم ، ولـكن الشاعر غالط فى معنى الـكلمتين جميعاً ، وأتاح له هذه المغالطة المعنوية (المزدوجة) ما يكون من اقتران سوق البيع والشراء فى الأذهان عادة بأمشاط الشعر التى تباع فيها ، حتى لـكان مما أضافه ابن الأثير إلى ذلك قوله : بلغنى أن بعض الناس سمع هذه الأبيات فقال : لقد دخلت السوق فما رأيت على الأمشاط شيئاً !

هذا وإن المغالطة المعنوية فى البيت الأخير – بذكر الشىء ومثله – لشبيهة بما سلـكه المتنبى من المغالطة فى معنى الثعلب بذكر « مثل » له وهو الوجار . فنرى من ذلك أن اللغز ومرادفاته – ومن بينها المغالطة المعنوية – تدور جميعها حول مدلول واحد أو يكاد يكون واحداً . فمحاولة التفرقة بين معانى هـذه المترادفات توشك أن تكون تعسفاً لا يحصل منه ومجهوداً لا طائل تحته

لماذا يلغزون ؟

استعمل الفصحاء من قديم هذا الضرب من التعبير الدقيق ناظرين إلى فوائد فيه ، منها رياضة الفـكر على تصحيح المعانى واستنباط دقائقها من بطون الألفاظ . ومنها إظهار البراعة فى التلبيس والتمويه بتجلية الحق فى معرض الباطل وإلباس الممكن ثوب المستحيل . ومنها توليد المعانى الغريبة والتزيد فيها ، وابتكار ما يستثير العجب منها فى غموضه ، والإعجاب بعد تجليته وإيضاحه . ومنها صون ما يراد صونه من معانى الـكلام وحجبه إلا دون من يُرغب فى بذله إليه ؛ وذلك ما يقال له « الرمز » وأصله فى اللغة الصوت الخفى الذى لا يكاد يفهم ، ثم أطلق على ما خفى من الـكلام وأريد طيه عن سائر الناس مع الإفضاء به إلى بعضهم . قال قدامة فى نقد النثر : « وقد أتى فى كتب المتقدمين من الحكماء والمتفلسفين من الرموز شىء كثير ، وكان أشدهم استعمالاً للرمز أفلاطون

يضاف إلى هذه الأغراض الدنيوية جميعاً غرض آخر متعلق بالدين ، هو ما يكون من تجنب الـكذب الصراح أو اليمين الـكاذبة ، مع سلوك سبيل المداراة والإرضاء بالظاهر من القول . وقد جاء فى الحديث : رأس العقل بعد الإيمان بالله عز وجل مداراة الناس . وإنما يكون ذلك عند التقية ومخاطبة من تخشى بادرته من حاكم غاشم أو سفيه منهجم . ويسمى ابن دريد ذلك (الملاحق) وقد ألف فيه كتاباً قيماً سنشير إليه . ويسميه قدامة « المعارضة » وتعريفها عنده أنها المقابلة بين الـكلامين المتساويين فى اللفظ . قال : وذلك مثل قول بعضهم وقد سأله بعض أهل الدولة العباسية عن قوله فى لبس السواد فقال : وهل النور إلا فى السواد ! وأراد نور العين فى سوادها ، فأرضى الـسائل ولم يكذب

وضرب قدامة مثلاً من المعارضة فى القرآن قول مؤذن يوسف : « أيتها العير إنـكم لسارقون » وهم لم يسرقوا الصواع ، وإنما عنى سرقتهم إياه من أبيه

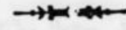
قلت : وشبيه بهذا قوله تعالى على لسان إبراهيم : « بل فعله كبيرهم هذا » يعنى أن الصنم الأكبر كان أشدها إغاظة له لما رأى من زيادة تعظيمهم إياه وأقوها – تبعاً لذلك – حملا على التحطيم « والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه » – ففى الآية أسلوب تعريضى جمع بين تبكيتهم ، والتبرؤ من الـكذب بإسناد الفعل ظاهراً إلى الصنم

وليس بعد هذا النوع من المعارضة كذباً بوجه ، إذ كان من مأثور قولهم : « فى المعاريض مندوحة عن الـكذب » . والصدق فى اللفظ غير مراد لذاته ، بل لدلالة فيـه على الحق ، ومعونة منه على بلوغه . وقد أزال الغزالى ما لعله يتبقى من الشبهة

(١) أبو المظفر أسامة بن منقذ . توفى عام ٥٨٤ هـ

٥ - القرآن الكريم
فى كتاب النثر الفنى

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى



ويلتحق بزعمه الذى زعم لعرب الجاهلية من نهضة علمية سياسية اجتماعية الخ زعمُه أن نشأة علوم العربية كالنحو والبلاغة والعروض قديمة ، أى إنها نشأت قبل الإسلام لا بعده[1] وهو يبنى هذا الزعم أيضاً على ما افترض من أن القرآن أثر جاهلى

وفى الحق أن جميع ما ارتأى وما افترض فى كتابه هذا متصلاً بالقرآن لا يتسق ولا يستقيم فى بحث باحث إلا على فرض أن القرآن من كلام عربى من العرب . وهو لم يصرح بهذا كما صرح بانكار إعجاز القرآن من ناحية الأسلوب ، إلا أن وصفه القرآن بكل مالا يصدُق إلا على نتاج البيئة دليل قاطع فى الموضوع

اقرأ له زيادة على ما قدمنا قوله عن القرآن من صفحة ٤٥ « فلننظر إذن أهو كتاب طبيعي ، أم هو كتاب مملوء بالزخرف والصنعة المحكمة » وقوله « فمن الواجب أن يترك الباحثون ذلك الميدان الذى أولعوا بالجرى فيه وهو عصر الدولة العباسية ، وأن يجعلوا ميدان النضال عصر النبوة نفسه ، وأن يحدثونا ما هى الصلات الأدبية والاجتماعية التى وصلت إلى العرب من الخارج فأعطت نثرهم تلك القوة وذلك الزخرف اللذين نراهما مجسمين فى القرآن . هنالك نعرف بالبحث أ كان القرآن صورة عبقرية أم تقليدية » . فهذا نص لا يقبل شكاً ولا يحتمل تأويلاً فى أن صاحب الكتاب يرى القرآن من كلام العرب تأثر بما تأثروا أو يصح أن يكونوا تأثروا به من صلات أدبية اجتماعية جاءتهم من الخارج ، وأن ما امتلأ به فى زعمه من « الزخرف والصنعة المحكمة » ليس طبيعياً كالذى تراه فى الزهر والشجر والشفق والسماء ، ولكنه مكتسب مجلوب من الخارج ! ونسى أنه لم يقل بأن القرآن أثر جاهلى إلا لينفى عن العرب أن يكونوا « أخذوا طرائق النثر الفنى عن الفرس واليونان » ، فهو يسلبهم كل ما أعطاهم ، بل يشكك حتى فى عبقرية القرآن لو كان من صنع عربى ووضعه ، كما ترى من قوله « هنالك نعرف بالبحث أ كان القرآن صورة عبقرية أم تقليدية » . والتقليد هنا ليس هو تقليد عربى لعربى ، ولكن تقليد عربى لأعجمى ، لأن الصلات الخارجية التى يتساءل عنها فى النص السابق هى صلات بين العرب ومن حولهم من الأعاجم . فتشكيكه فى العبقرية وتجويزه التقليد على القرآن قاطع فى أنه لا يرى القرآن من كلام واهب العبقرية وفاطر الإنسان ، ولكن من كلام بشر مشكوك حتى فى عبقريته

وصاحب الكتاب يعرف هذا الرأى من نفسه ، ويعرف

(١) الجزء الأول صفحة ٤٧

فى استعمال (المعاريض) بقوله فى شأنها : « الصدق ههنا يتحول إلى النية فلا يراعى فيه إلا صدق النية وإرادة الخير ؛ فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير إرادته ، صار صادقاً كيفما كان لفظه »

هذا ولم يتفرد متصوفة المسلمين بالإغراب والتعمية فى أقوالهم ـ تقية منهم ومداراة للعامة وظلمة الحكام ـ وإنما شاركهم فى ذلك أهل التصوف من سائر الملل . وسبق هؤلاء جميعاً أهل التفلسف من قدماء الأمم . وقد مرت عبارة قدامة فى رموز أفلاطون ، والقفطى فى كتابه : « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » يقول عن أفلاطون هذا إنه ألف كتباً كثيرة مشهورة فى فنون الحكمة وذهب فيها إلى الرمز والإغلاق

وكان هيرقليس اليونانى يسمى (الفيلسوف المعمَّى) لأنه كان لا يتكلم إلا بالألغاز . وينسب مثل هذا إلى أبيذقليس . قال القفطي : ومن الفرقة الباطنية من يقول برأيه ، وينتمى فى ذلك إلى مذهبه ـ يعنى مذهب الشك فى المعاد ـ ويزعمون أن له رموزاً قلما يوقف عليها[1] وهى فى غالب الظن إيهامات منهم .

(جرجا — يتبع) محمود عزت عرفة

(١) أقول : لعل أبا العلاء كان يشير إلى أمثال هؤلاء بقوله : لقد كذب الذين ظنوا فقالوا : أتى من ربنا أمر برمز

بعد ما بينه وبين ما عليه المسلمون ، كما ترى من قوله بعد ذلك النص « ولكن مثل هذا البحث فى رأيى خطر على الباحثين المسلمين فى الوقت الحاضر : لأن الرأى العام فى مصر والشرق الإسلامى لا يسمح بدرس القرآن درساً تحليلياً يبين ما فيه من العناصر العربية الصميمة والعناصر الدخيلة . والمستشرقون أيضاً لا يهتمون بمثل هذا البحث ، لأن أكثرهم مقتنع بأن العرب لم يكن لهم وجود أدبى قبل الإسلام » . فإذا صح ما نقله هذا الرجل عن المستشرقين فالمستشرقون أقرب منه إلى الإسلام إذ ليس بينهم وبين الإسلام إلا أن يكونوا منطقيين مع أنفسهم ، ويتبعوا النتيجة الحتمية لوجود القرآن مع ما اقتنعوا به من أن العرب لم يكن لهم وجود أدبى قبل الإسلام . أما هو فقد رأيت ما قال

وليس ذلك كل ما قال ، فقد قال أيضاً فى صفحة ٤٦ « وليس أمامنا أى دليل على أن القرآن متأثر تأثراً محسوساً بآداب أخرى أجنبية وإن كان هذا ممكناً لأن العرب قبل الإسلام كانوا على اتصال قليل أو كثير بمن جاورهم »

وقال أيضاً من صفحة ٤٧ « ويمكن الحكم بأن اللغة الأدبية التى سبقت الإسلام لم تكن تخالف كثيراً لغة القرآن ، لأن التطور الكبير الذى ينقل اللغة من أسلوب إلى أسلوب ومن روح إلى روح لا يتم فى خمسين سنة مثلاً ، وإنما يتطلب مدة طويلة ، خصوصاً فى أمة بدوية محافظة قليلة الاختراع والتبديل فى لغتها وأسلوبها » . اقرأ هذا واحكم ما رأى صاحبه فى القرآن ، أأنزله الخالق معجزة للخلق على الدهر ، أم هو من كلام الناس تطور روحه وأسلوبه كما يتطور الروح والأسلوب فى كلام البشر ؟

ثم اقرأ له من صفحة ٥١ : « وإنما ينبغى أن نعتقد أنه كان لهم أدب قوى متين يقرب فى روحه وأسلوبه من روح القرآن وأسلوبه ، فإن البيئة واحدة ، واللغة واحدة ، والعصر واحد » فإذا قرأت له عقب ذلك « ولم يكن محمد إلا بشراً ألهم هداية قومه كما صرح القرآن غير مرة » عرفت أن صاحب الكتاب يرى القرآن من كلام محمد ، وعرفت أيضاً أنه يفترى على القرآن فإن القرآن وإن قال إن محمداً بشر لم يقل إنه ألهم هداية قومه ، فإن مادة « ألهم » لم ترد قط فى القرآن

فإذا قرأت له من صفحة ٦٠ « فإن القرآن يسجع أحياناً ولكنه لا يلتزم السجع ، لذلك نجا من التكلف والابتذال » عجبت لهذا الكاتب المدعى البصر بالفصاحة والبيان ، كيف لم يجد ما يقوله فى سجع القرآن إلا أنه نجا من التكلف والابتذال ! وهو ثناء يشبه الذم لو أنه قيل فى سجع أحد الفصحاء مثل ابن العميد الذى يستحسن صاحب الكتاب سجعاً له كل الاستحسان (صفحة ١٥٧) ، فكيف به وقد قيل فى القرآن

ولعلك لاحظت أنه حين (نجى) القرآن من التكلف والابتذال فى السجع رد ذلك إلى أنه يسجع أحياناً ، أى إلى قلة السجع لا إلى السجع نفسه . فإذا قرأت له قوله من صفحة ٦٥ « ولو تركنا المشكوك فيه من الآثار الجاهلية ، وعدنا إلى نص جاهلى لا ريب فيه وهو القرآن ، لرأينا السجع إحدى سماته الأساسية » لعجبت لهذا الرجل كيف يكتب . ألم يقل قبل إن القرآن يسجع أحياناً ؟ فكيف يجعل السجع الآن إحدى سماته الأساسية ؟

ومثل آخر من إنزاله القرآن منزلة كلام البشر قوله من نفس الصفحة « والقرآن نثر جاهلى ، كما أوضحنا ذلك من قبل ! (والتعجب من عندنا لأنه لم يوضح بأكثر مما قدمنا لك) والسجع فيه يجرى على طريقة جاهلية حين يخاطب القلب والوجدان . ولا ينكر متعنت أن القرآن وضع للصلوات والدعوات ومواقف الفناء والخوف والرجاء سوراً مسجوعة تماثل ما كان يرتله المتدينون من النصارى واليهود والوثنيين ولا تنس أن الوثنية كانت ديناً يؤمن به أهله فى طاعة وخشوع ، وكانت لهم طقوس فى هياكلهم . وكانت تلك الطقوس تؤدى على نحو قريب مما يفعل أهل الكتاب من النصارى واليهود » !

أفترى هذا الكلام يحتاج إلى تعليق ؟! أم هل تريد كلاماً أوضح وأدل على رأى هذا الأفاك ؟ إذن فاقرأ له ما قال بعد

ذلك : « والقرآن وضع لأهله صلوات وترنيمات تقرب فى صيغتها الفنية مما كان لأهل الكتاب من صلوات وترنيمات ، والفرق بين الملتين يرجع إلى المعانى ويكاد ينعدم فيما يتعلق بالصور والأشكال . ذلك بأن الديانات الثلاث الإسلام والنصرانية واليهودية ترجع إلى مهد واحد هو الجزيرة العربية . فاللون الدينى واحد ، وسورة الأداء تكاد تكون واحدة » ! فقد رأيت الآن ! لقد صارحك صاحب النثر الفنى بذات نفسه ، لا عن القرآن فقط وتقليده حتى الوثنيين فى الصورة والشكل ، ولكن عن الأديان الثلاثة كيف أنها كلها بنت البيئة ، بنت الجزيرة العربية ، ولك أنت أن تعلل لماذا أغفل الوثنية فلم يجعلها رابعة البنات !

الرجل بقوله هذا قد وضع بين أيدى الناس المفتاح إلى مذهبه فى القرآن والدين ، وليس النص السابق فلتة فاتت الرجل ، فقد ذكر رأيه فى الدين وفى القرآن فيما كتب بعد النثر الفنى بما يتفق مع هذا الذى كتب فى « النثر الفني » وأين ؟ سأخبرك ببعض ذلك ، وفى البعض بلاغ

كان الأستاذ أحمد أمين علل فقدان الملاحم والمنظومات الطويلة في الشعر العربى بتقييد الشعراء بعد العصر الجاهلى بقيود الشعر الجاهلى ، فرد الدكتور زكى مبارك عليه يقول فى صفحة ١٣٩٣ من العدد ٣١٥ من الرسالة « إن عبقرية العرب ليست فى القصص وإنما عبقرية العرب فى الغناء والتعبير عن الأنفاس الروحية . وفى بلاد العرب نشأت الديانة الموسوية والديانة العيسوية والديانة المحمدية ؛ فإن امتازت لغات الشرق والغرب بالمنظومات الطويلة فى القصص والتاريخ ، فقد امتازت لغة العرب بأكرم أثر عرفه الوجود وهو القرآن . وهو حجة اللغة العربية يوم يقوم التفاخر بين اللغات بالأحساب » والأستاذ أحمد أمين كان يتكلم عن أدب العرب مقارناً إياه بأدب غيرهم من الأمم والشعوب ؛ فهذا الرد من زكي مبارك لا يصلح رداً إلا أن تكون الديانات الثلاث من وضع العرب ؛ وإلا أن يكون القرآن من أدب العرب كذلك

***

وبعد ، فقد كنت أسندت إلى زكى مبارك تهماً ثلاثاً : أنه يدعو إلى نقد القرآن ، وأنه ينكر إعجاز القرآن وأنه يكاد يصرح بأن القرآن من كلام البشر ، وطلبت إليه أن يتبرأ أو أثبت ، فأجاب إنى لا أفهم كتابه ، وأنه لا يتبرأ منه ولو ذهب معه إلى جهنم الحامية ، فكان لا بد من الإثبات . وقد فعلت ، وإن لم أستقص ما فى كتابه وما كتب بعده من دليل . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

محمد أحمد الغمراوى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٥١ — ومخبر النساء بعد المنظر

عيّرت امرأة حكيما بقبح المنظر . فقال لها : ياهذه ، إن منظر الرجال بعد المخبر ، ومخبر النساء بعد المنظر ...

٥٥٢ — ثلاثون خاتما وثلاثون عكازاً

في (تاريخ بغداد) للخطيب : قال عبد الله بن محمد بن شهاب : كان لخلف بن عمرو العكبرى ثلاثون خاتماً وثلاثون عُكازاً ، يلبس كل يوم خاتماً وعكازاً[1] طول شهره . فإذا جاء الشهر المقبل استأنف لبسها . وكان له سوط معلّق ، فقلت له : ما هذا؟ فقال : مارُوى : (علّقْ سوطك يرهبك عيالك)[2]؟ وكان ظريفاً ...

٥٥٣ — خطبة في الصلح

في (محاضرات الراغب) : خطب رجل في الصلح ، فقال : أما بعد ، فإن الصلح بقاء الآجال وحفظ الأموال ، والسلام

٥٥٤ — عجائب

في (الأغاني) : أحمد بن الطيب السرخسي : حضرت مجلس محمد بن علي بن طاهر ، وحضرته مغنية (يقال لها شنين) مشهورة فغنت (قول دعبل) :

لا تعجبي يا سلمَ ، من رجل ضحك المشيبُ برأسه فبكى

ثم غنّت بعده (والشعر لدعبل) :

لقد عجبتْ سلمى وذاك عجيب رأت بي شيباً عجّلته خطوبُ

فقلت لها ماأكثر تعجب سلمى هذه ! فعلمت أني أعبث بها

(١) ويحمل عكازاً . ومثله

إذا ما الغانيات برزن يوما وزجّجن الحواجب والعيونا

إنما أراد وكحلن العيون . والزجج دقة في الحاجبين وطول ، وقيل أطاله بالأثمد (اللسان ، التاج)

(٢) (في مجمع الأمثال) : علق سوطك حيث يراه أهلك . هذا يروى عن النبي (عليه الصلاة والسلام) والمعنى اجعل نفسك بحيث يهابك أهلك ، ولا تغفل عنهم وعن تخويفهم وردعهم

لأسمع جوابها ، فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة :

فَـهلكُ الفتى ألاَّ يَراحَ إلى نَدًى
وألاَّ يرى شيئاً عجيباً فيعجبا[1]

فعجبتُ والله من جوابها وحدّته وسرعته ، وقلت لمن حضر : والله لو أجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرفاً

٥٥٥ — اخترت استعمال الصواب فيك

في تاريخ بغداد للخطيب : قال قال المأمون لأبي حفص عمر بن الأزرق الكرماني : أريدك للوزارة

قال : لا أصلح لها يا أمير المؤمنين

قال : ترفع نفسك عنها

قال : ومن رفع نفسه عن الوزارة ، ولكني قلت هذا رافعاً لها وواضعاً لنفسي عنها

قال المأمون : إنا نعرف موضع الكفاة الثقات المتقدمين من الرجال ، ولكن دولتنا منكوسة ، إن قوّمناها بالراجحين انتقصت ، وإن أيدناها بالناقصين استقامت ؛ ولذلك اخترت استعمال الصواب فيك ...

٥٥٦ — أفتانا به الإمام أبو إسحق

قال محب الدين بن النجار في تاريخه : قال شميب بن الحسين القاضي أنشدني الشيخ أبو إسحق الشيرازي[2] هذين البيتين لنفسه :

جاء الربيع وحسنُ ورده ومضى الشتاء وقبح برده
فاشرب على وجه الحبيب[3] ووجنتيه وحسن خدّه

ثم بعد مدة كنت جالساً عنده فذكر بين يديه أن هذين البيتين أنشدا عند القاضي عين الدولة حاكم صور (بلدة على ساحل بحر الروم) فقال لغلامه : أحضر ذاك الشان فقد أفتانا به الإمام أبو إسحق . فبكى الشيخ الشيرازي ، ودعا على نفسه ، وقال : ليتني لم أقل هذين البيتين ! ثم قال لي : كيف تردهما من أفواه الناس ؟ فقلت : ياسيدي ، هيهات ! قد سارت بهما الركبان

(١) راح له يراح : أخذته له خفة وأريحية

(٢) صاحب البيتين : (سأل الناس عن خل) وفيه يقول الشاعر عاصم من بغداد :

تراه من الذكاء نحيف جسم عليه من توقده دليل
إذا كان الفتى ضخم المعالي فليس يضره الجسم النحيل

(٣) قال ابن خلكان : كان في غاية من الورع والتشدد في الدين . وقال السبكي : شيخ الاسلام ، صاحب التصانيف التي سارت كسير الشمس

نحو أدب قومي

الوادي المقدس

للأستاذ سيد قطب

على ضفافِ الخلودْ وفي شِعابِ الزمنْ
والدهر يحبُو وليدْ قد كان هذا الوطنْ

يا فجرُ مَنْ ذا رآكْ يجولُ تلكَ السماءْ
وليسَ حيٌّ سِواكْ يُهدِي إليه الضياءْ ؟

رأتك تلك الضِّفافْ رأتكَ تلك البُرورْ
رأتك قبل المطافْ وأنتَ طفلٌ غريرْ

وشبتَ والدهر شابْ وحنَّكَتْك الحياةْ
والنيلُ بادي الشبابْ والزهر يقفو خُطاهْ

ينسابُ مثل النَّغَمْ في عزف ناي طروبْ
وكانسيابِ الحُلُمْ تُضفِي عليه الغيوبْ

خريرهُ صلَواتْ معطَّراتُ النشيدْ
وموجُهُ أغنياتْ مرتَّلاتُ القصيدْ

يا نيل كم من شِراعْ يا نيل كم من سَفِينْ
أسلَمْتَها للوداعْ على مدار السِّنينْ

يا نيل كم من جموعْ ماجَتْ بتلك الضفافْ
يا نيل كم من زروعْ وذِي وذِي للقطافْ

وأنتَ صِنوُ الخلودْ وفي يديْك الزِّمامْ
وكل عام تعودْ مُجدِّدَ الأيامْ

تجري فتجري الحياهْ ويُمْرِعُ الشاطئانْ
ويستفيقُ الرُّعاهْ وتمرح القُطْعانْ

ويَنْشطُ الزرزورْ بجمْعِ العيدانْ
لِعشه المعْمورْ بفرحه الوسنانْ

أكادُ خلفَ القرونْ أحس رِكْزَ الجموعْ
أراهُمُ مُهطِعين في موكب الربيعْ

قد شمروا للحصادْ وخَلَّفوا أمشيرْ
في فرحة الأولادْ تسابقوا للبكورْ

وموكب للرَّواحْ في كل يوم يؤوبْ
يزفه الفلاحْ على مدار الغروبْ

من الحقول المَريعه إلى الحمى والديارْ
تضم فيه الطبيعه أبناءها الأبرارْ

لحُونه من صياحْ ومن رُغاءِ النَّعَمْ
ومن رجيع النُّباحْ ومن ثُغاءِ الغنمْ

على مدار القرونْ يسير فيه الرُّعاه
كأنهم خالدونْ ما بُدِّلوا في الحياه

أحبُّ فيكَ الخلودْ يا أيُّها الوادي
أحب فيك الصمودْ لِلقاهر العادي

تَصبُّ فيكَ الوفودْ وأنت يقظانُ ساهرْ
تصوغهم من جديدْ كأنما أنت ساحرْ

يا مهبط الأسرارْ من الغيوب العميقه
يا موطن الأسحارْ من القرون السحيقه

تأوي إليك الزمانْ خوف البِلَى والفناءْ
يأوي لحصن الأمانْ فيستمدُّ البقاءْ

ووجهك الفتانْ بلونه الأسمرْ
يا طالما يزدانْ بزرعك الأخضرْ !

ترنو له عيناي في فتنة العاشقْ
يا أرض يا دنياي يا آية الخالقْ

يا أرض كم تحلمين بالزهر أحلام شاعرْ
رؤاكِ طولَ السنين يا أرض ، تلك الأزاهرْ

وريحك المعروف بشمه أنني



٧ – الشعر الجديد

يلحق بالشعر الجديد ما يدعونه اليوم (الشعر المنثور) . ويكاد النوعان يتطابقان في جميع المظاهر والخصائص التي ألمت بها في هذه الأحاديث . وغالب ما قرأت من (المنثور) مُنشأ إنشاء ؛ ومنه ما هو مترجم . وما يستجاد من هذا أو ذاك لا يكاد يذكر

ولقد كنت أحسب بادئ الرأي أن رُحْب (المنثور) وانفساح جنباته ، وأنه غير منحصر في وزن أو قافية – مما يأذن لسلامة التعبير ومتانة الأداء . ولكني وجدت الحال هي الحال . فإن كان لهم شيء مما يزعمون من المقدرة ، فهنا مجاله . وإلا فأين نتلمس (نضارة الزهر ، وعَبَق الريحان ، وفتنة الألوان) ؟

وعلى ذكر (القافية) يَعِنّ مظهر آخرُ سوى ما أسلفنا – من مظاهر (الشعر الجديد) : ذلك هو قَلَق القوافي فيه ونبُوُّها ، حتى إنك لتحس أنها تحشر حشراً ، وتساق سوقاً ، وتضغط في أماكنها ضغطاً ، فتأتي واهنة خائرة ، أو باردة فاترة

ورصانة القافية تنبئ بالفُحولة ورسوخ القدم . وقديماً اعتبرها النُّقاد من أسس الموازنة ، ومقوّمات المقايسة بين الشعراء . وقد عُني بها (العروضيّون) فبسطوا فيها القول ، ونسّقوا لها القواعد ، وأفردوها بالتأليف ؛ حتى وصلوا من ذلك إلى تفصيلات دقيقة ، وتفريعات عجيبة . وذلك لمكانتها من القصيد ، وأثرها في النفوس ، متى اكتملت فيها شرائط الحسن ، واستحكمت لها أصول الفن

ولسنا بصدد طرْق هذا الباب ؛ وإنما نريد أن نقول لهؤلاء النظّامين : رويدكم ؛ فإن الأمر ليس من الهوْن كما تظنون ؛ فإحكام القافية وإنزالها منزلتها ، مما يتطلب تحصيلاً عظيماً ، وحِسّاً مرهفاً ، ومُعاناة طويلة للجزل من الكلام ، والمحكم من القريض

فلا غَرْو إذاً أن ندرك سرّ تبرّم القوم بالقوافي ؛ فقد تواترت اليوم صيحات تدعو إلى (كسر هذا القيد ، وخلع ذلك النير) . قالوا : وما للتقفية والشعر ؟ لئن كانت التقفية سبيل القدماء ومنبت عصورهم ، لخير لنا في عصرنا هذا أن نطرحها ، لنكون في التفكير أكثر سداداً ، وفي الخيال أبعد مرمى ، ولنكون سِراعاً ككل شيء

قالوا هذا ، وقالوا كثيراً غيره ، وأوغلوا في الاحتجاج ، فأصبحنا نرى من القصائد ما لا تقفية له مطلقاً ، وما نُوّعت فيه التقفية على أوضاع وأشكال شتى ، وصور لا تكاد تنحصر

فالسر – فيما أرى – ليس فيما زعموا . وإنما السر كل السر فيما يقوم في سبيل التقفية – ولا سيما إن طالت في القصيدة – من عقبات ، وما يعترض من شدائد . فكيف النجاة إلا فيما يتمحّلون وما يفتعلون من أسباب ؟

وبينما أنا أهم باختتام هذه الكلمة ، إذ خطر لي حوار كان بين أديبين[1] – منذ قريب – حول ما يسمى (الشعر المهموس) وهو ما يمكن أن تتسع له أحاديثنا هذه . وكان في نفسي منه شيء . وهو فن ابتدع حديثاً ، فيما أظن

في خاطري مألوف مميزُ العَرْف

يا أرض ، هذا الصعيد مقدس في ضميري
سرى عليه الجدود وأخلدوا للقبور

يكاد فرطُ الحنين إليهمُ في شعوري
يردهم شاخصين إليَّ خلف الدهور

يا أرض سرٌّ دفين مُغيَّبٌ في ثراكِ
يَرُدُّنا موثقين إليكِ أسرَى هواكِ

هذا الثرى المنثور في صفحة الوادي
عرفته في الضمير رفات أجدادي

يا أرض . هذا النشيد من وحيك العبقريّ
فاقضي له بالوجود بسرِّك القُدُسيّ

(حلوان) سيد قطب

(١) على ما أذكر . ولعلهم أكثر . والموضوع ليس في متناول يدي الآن . وإنما اعتمدت فيه على الذاكرة

ولقد كنت جهدت فى تبين مدلول (الهمس) فى ذاك الحوار ، مستأنساً باللغة ، فلم أوفق كل التوفيق . فانصرفت إلى الشعر الذى ساقاه للتصوير ، وتأملته وأمعنت فيه

وكان أحد المناقشين يتعصب لشعراء (المهجر) أشد التعصب ويقدمهم في هذا الباب ، وينكر على المصريين - فيما أذكر - استمدادهم فيه . وساق كل من المتناظرين مقطوعات مختلفة . وطال النقاش

إلا أنى لم أتذوق فى الشعر المصرى مذاقاً خاصاً ، لم ألمح فيه لوناً أو طعماً خاصاً - أما الشعر المهجرى فكان من صفته الوَنَى والفتور والتهافت ، وإن حاول الأستاذ - جاهداً - أن يحمّله من المعانى ما لا يحتمل ، وأن يعتصر منه ما ليس فيه . ولقد عجبت من هذا الاختيار ، وفى (المهجر) شعراء ذوو مكانة سامية ، ولهم فن مستملح ، وتجديد عذب

فليت شعرى ما (الهمس) فى الشعر وما مرماه ؟

(للحديث بقية) (ا . ع)

كتابة الإسبانية بالحروف العربية

أورد حضرة الأستاذ الجليل « ن » فى العدد ٥٦٢ من الرسالة خبراً حول كتابة اللسان الإسبانى بالحروف العربية استحدثه من أستاذنا الدكتور باول كراوس

وكأنى بكثير من الناس لا يعرفون عن هذه الحقيقة التاريخية إلا اليسير ؛ لذلك أحببت أن أقدم إلى أصدقاء « الرسالة » لمحة سريعة عن الظروف التى أحاطت بهذه الكتابة راجياً أن تتاح لى الفرصة للتحدث عن أدب الموريسكيين الذى كان جله يكتب بالحروف العربية

بعد أن استرد الإسبانيون غرناطة - آخر معقل لدولة الإسلام فى الأندلس - ظل كثير من المسلمين Moriscos يعيش فى كنف الدولة الجديدة المنتصرة . ولكن سرعان ما اشتدت وطأة محاكم التفتيش عليهم ، فحملوا - أمام هذا الضغط - على استعمال اللغة الأعجمية Aljamia فى حياتهم الاجتماعية . ولم يكن فى وسعهم حينئذ أن يكتبوها بالحروف اللاتينية ؛ فلجأوا إلى حروف لغتهم العربية

وفى سنة ١٦٠٩ أقصى الموريسكيون عن إسبانيا واندثرت لغتهم التى استحدثوها ، فقُضى بذلك على آخر مظهر من مظاهر الأدب الإسلامى فى الأندلس

والأدب الأعجمى ككل أدب ، له ناحيتان : النثر، ويتمثل فى كتب الدين والشريعة وسير الرسل . والشعر ، وقد نظمت به المدائح النبوية وقصة يوسف

وها هى ذى بعض الأبيات من قصة يوسف نظمها باللغة الأعجمية شاعر مجهول عاش فى القرن الثالث عشر والرابع عشر :

حديث دا يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

لُو مِيانْت أَدَ اللهُ أَ لَاتْ يَاسْ إِبارْدَادَار

أُنْرِدُ إِقُنْبِيلْدُ شَانْرُ دَارَايِنْتِرَار

ثم يسترسل فى ذكر الصفات الإلهية حتى يصل إلى قول يوسف لأبيه :

أ كاشْتُ فُوَا كابِي أُنْزَ أَشْتِرَالَشْ

كامِرْشْ لَقَرَّارَ تِيَايْ كُنَالَشْ

كالشُلْ إِلْلُنَ أَرْكا أَنْدَبَ أَنْتِرَالَشْ

ومعناه : « إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين »

ولا تزال خزائن الموريسكيين مدفونة لم يكشف فى القرن التاسع عشر إلا على القليل منها . ولعل فى استخراجها من مدافنها ما يوضح مدى النشاط الفكرى الذى بلغه هؤلاء القوم المعذبون .

أحمد مدينة

البيت الذى يعدل ألف بيت

قرأنا فى العدد الأخير من « الرسالة » رأى الأستاذ دريني خشبة فى بيت للدكتور إبراهيم ناجى وهو يعدله بألف بيت من جيد الشعر

ونحن نرى أن البيت الذى يعدل ألف بيت من جيد الشعر هو بيت الرئيس أبى منصور على بن الحسن (صردر) :

ناضلتنا بنوافذ مسمومة وودت لو قبلت سهم الرامى من قصبدته :

يا ماء « لينة » لو نفعت أوامى

كانت حياضك لى كئوس مدام

أما البيت :

ومن عجب أحنو على السهم غازياً

ويسألنى قلبى متى يرجع الرامى

فيعدل بيتاً واحداً ، لأنه مأخوذ عن الرئيس أبى منصور بتصرف

محمد على خليل

بقايا نغم

نشر الأستاذ محمود حسن إسماعيل قصيدة فى العدد الماضى من « الرسالة » الغراء بهذا العنوان ورد فيها ما يأتى :

وفيها أنت يا ليلاىْ سلوٌ يانعٌ لبكاىْ

وفجر رائع لدجاىْ وخلد سامع لغناىْ

يعللنى ويوحينى

أما أنت ياليلاى سلو يانع لبكاى ، فهذا كلام جميل وإن كان السلو لا يوصف بأنه يانع ، وأما قوله (يعللنى ويوحينى) ، فذلك خطأ محض إذ ليس من اللغة الصحيحة أن أقول (يوحينى) بمعنى (يوحى إلىّ أو لِى) ولو قال (يُحْيينى) لكفى نفسه هذا الاضطرار الذى أوقعه فى خطأ واضح

هذا وللأستاذ تقديرى وثنائى على أى حال .

عبد القادر محمود

« كتاب الفلاحون » والدكتور غلاب

طالبنا الدكتور غلاب بالأدلة على جور الأب عيروط أحياناً وعلى ركاكة أسلوب الترجمة ، فاليه بعض هذه الأمثلة بلا تعليق :

١ — جاء فى ص ١٥٨ : إن الشدة القرآنية تلين أمام الضرورة والتقاليد

٢ — وجاء فى الصفحة نفسها : إن جرائم القتل بسبب العرض التى هى لا تزال مألوفة إلى حد كبير والتى هى مجندة من الإسلام ، إن لم تكن من أوضاعه تاتى رحمة العدالة الرسمية (أى فى المحاكم !)

٣ — وجاء فى ص ١٦٠ : أن الأم التى تلد تلحقها نجاسة شرعية مدة (أو إبان كما يقول السيد غلاب) أربعين يوماً إن كان المولود ولداً أو ثلاثين إن كان بنتاً !

٤ — وفى ص ١٦١ يقول بعد أن شنع كثيراً على عادة إطالة مدة الرضاع : ونحن نشاهد نفس هذا التعيين فى مدة الرضاع عند قدماء المصريين وفي أفريقيا السوداء وفى أوامر القرآن !

٥ — وجاء فى ص ١٢٥ : إن الفلاحين يقومون بطقوس الصلاة بعد الوضوء مساء !. ويوم الجمعة مرات عديدة ! وأنهم يصلون جماعة ، أو على الأقل يصورون هيكل حركات الصلاة !

٦ — وفى ص ١٣٣ : « إن النساء الباكيات على الميت (يؤنبن الإله على دعونه إياه !) ويسائلن الميت وزوجته وأولاده بل والموت نفسه » وينتهى الكلام بلا معنى عند هذه العبارة ! فمم التساؤل ؟

٧ — وفى ص ١٢٤ : ينفى عن الفلاحات ملاحظة شىء من قواعد الإسلام حتى الشهادتين أو الصوم أو الزكاة

٨ — وفى ص ١٥٦ : رمى الفلاحات المصريات جميعاً بالعهر والدعارة وعدم الصون !

٩ — وفى ص ١٨ : يتهم الفلاحين بأنهم يقدسون الحيوان ، كما كان يصنع قدماء المصريين !

١٠ — وفى ص ١٢٥ : إن المسلمين لا يفهمون عربية القرآن الأدبية !

* * *

فهذه عشرة مآخذ من عشرين أعددناها فى مقال أشفقت « الرسالة » من نشره . فهل يأبى المترجم إلا أن نزيد ؟! وهل يرضيه هذا اللون المكشوف من النقد ؟ أما ركاكة الأسلوب فالكتاب كله شاهد على ذلك ، وفى نشر شىء منه تضييع لوقت القراء

(د . غ)



عمي حسن

للأستاذ نجيب محفوظ

رحماك اللهم ! ماذا فعلت ؟ ... أين جلدي وأين رشادي ؟ ... وكيف أداري خجلي حيال هذه الشعيرات المحترقة ؟ ... وكيف أستمع لنجوى هذا الرأس الكبير الذي ظل - ستة وأربعين عاماً - ملتقى لتجارب الحياة ، يحتفظ منها بما يشاء ويعتبر بما يشاء ؟! ... فهل حقاً خانني البصر وهل حقاً خانتني الإرادة ؟ ... أو إن عمق إحساسي بالخجل والخيبة هو الذي كبر الهفوة لناظري وضاعف من أثرها في شعوري ؟ ... والحق أني لم آت أمراً أشذ به عن سنة الطبيعة ، بل لو كنت ذا فطنة لأيقنت من زمن طويل أنه ما من هذا المصير مفر ... ألم ألق بنفسي في مرتع الحسن الصبيح والشباب النضير أشهد نضجه واستواءه ؟ ... فمن أين كانت لي قوة أصد بها نزوع القلب عن أن يجني من حصاد الهوى ما يروى به غلة فؤاد أضناه الترمل وعناه التوق إلى الأليف

وقد عرفت « فيفي » وهي في المهد بعد أن نورت الدنيا بأسبوع واحد ، وكنت في ذاك الوقت في الثلاثين وأنتظر مولودا أيضاً . وأذكر أني كنت أوصي زوجي - ضاحكاً - أن تكثر من النظر إلى وجه طفلة جيراننا علّ مولودنا المنتظر يقبس من روائها حسناً . ولم يكن يفصل بين الشقتين سوى ردهة قصيرة فجعلت الصغيرة - حين دعاها الداعي إلى تعلم الحبو والمشي - تقطعها حبواً ومشياً ، فنمت رويداً رويداً تحت سمي وبصري ، لها منتهى ودي وحبي وحناني ، بل لكأنها ما كانت تتحرك وتنمو إلا بالحرارة التي يسكبها حبي على قلبها الصغير . وزاد هذا الحب وتضاعف حين ابتلاني الدهر فسلبني زوجي ثم ابني الصغير ، فعلقتها بجنون ووجدت فيها سلوة وعزاء . وأحبتها أختي - وكانت تقيم معي - فصرنا لها أباً وأماً . كان حسبي أن أنظر في عينيها الخضراوين أو أعابث شعرها الكستنائي أو ألبي نداءها فرحاً مسروراً إذا نادت « عمي حسن » ، وكان أبوها يضاحكني فيقول : « ما عرفت كفيفي طفلة تحب عمها أكثر من أبيها ! »

فيفي الصغيرة تلك هي التي أحببت فيما بعد حباً غير الحب الأبوي الأول . وإني لأتساءل متحيراً متى أحببتها هذا الحب الجديد ؟ أو كيف تحول حناني إلى عاطفة قوية وشغف جنوني وهيام حق ؟ .. هل تولد فجأة ذاك اليوم الرهيب الذي لا ينسى ؟ هذا بعيد . ففي مثل حالتي لا يأتي الحب فجأة ؛ بل كيف أقول فجأة وقد ترعرعت عمرها السعيد البالغ ستة عشر عاماً بين يدي وفي متناول أنفاسي ! إنما يمكن أن يقال إن بذرته ذرت في فؤادي منذ استوى العود النض وارتوى بماء الشباب ، وامتلأ الصدر والخدان بالأنوثة ، وومض في العينين بريق الفتنة والملاحة ، فلم أعد أرى طفلة تلثغ باسمي أو تلهو بسلسلة ساعتي ، ولكن شابة حسناء ريا الشباب ناضرة الحسن تنفث الفتنة والهيام . هنالك بهرني الحسن وملأني الإعجاب . وكنت كلما دب دبيب الفتنة في قلبي تعوذت بالله وأنكرت مشاعري . ثم جفلت من مداعبتها ، فلم أعد أربت على خدها أو أعابث ذوائبها ، وهمت في أجواء من الغموض واللهفة والشوق المكتوم والحيرة القاتلة والشغف والخوف ، ولولا أني ممن يندر أن يفكروا في أنفسهم أو ينظروا في باطنهم لفطنت إلى حالي ، ولكني رحت أقنع نفسي بأن ما انتابني من اضطراب ما هو إلا أثر من إعجابي بالأنوثة الناضجة يتحد في قلبي بحبي الطاهر القديم . هكذا خادعت نفسي . على أني لم ألبث أن صحت يوماً وقد بلغت بي الوحشة حد الجنون - وكانت غابت أسبوعاً في بيت جدها - « رباه إن الحياة لا طعم لها بدون فيفي واعتراني شجن وكمد ووجوم

وجاء يوم فرأيت قلبي على ضوء الشمس الساطع وبرح الخفاء ، وكنت أعبر فناء البيت إلى الطريق ، وكانت فيفي تلهو كمحبوب عادتها بركوب الدراجة في الفناء . فلما رأتني مقبلاً اتجهت نحوي بدراجتها في رشاقة حتى صارت على بعد أذرع مني ثم رفعت يمناها تحييني ، فاختل توازنها ، واضطربت بها الدراجة

فهرعت نحوها حتى حاذيتها ، فاعتمدت بيسراها على كتفى الأيسر متفادية السقوط ، ونظرت إليها مؤنباً فطالعتنى بعينين ضاحكتين ، وقد شدت راحتها على كتفى وانغرست ركبتها فى قلبى ولم أسترد نظرتى فأدمت إليها النظر وقد لانت أساريرى . ثم ما لبثت أن ابتلعنى تيار عارم من الوجد والهيام فوددت بكل ما أوتيت من قوة وشغف لو ضممتها إلى قلبى . وجعل هذا القلب ينتفض كان ركبتها مفتاح كهربائى يسلط على شغافه تياراً عنيفاً . هكذا انقطع الشك وبرح الخفاء . وبعد لحظات كنت ماضياً فى طريق وقد انشغلت عن الدنيا جميعاً ، فلم أعد أشعر إلا بنفسى التى نبضت بحياة جديدة كدوامة ثائرة ، فأثملنى طرب دفين ، ولـكن لم يزايلنى شعور بالتبعة والخوف والحزن . وجعلت أتساءل « إلى أين تمضى بى يا قلبى ؟ » نعم إلى أين ؟ ... فهذا طريق غير مأمون العثار ، فأين منى خطى الشباب وقلوب الفتيان ؟ ... وهل أنا إلا « عم حسن » فماذا يقول والداها العزيزان لو علما بما جد فى قلبى ؟ ... كيف يريان جارهما الرزين الوقور وقد انقلب عاشقاً ولهان ؟ ... بل مالى أثقل على قلبى بالتردد والمخاوف ، فلأتفق مع قلبى إن هذا الحب شىء طبيعى لا غرابة فيه ، وإنه لن يكون الأول أو الأخير من نوعه ؛ بل سأفرض أن جارى العزيز بارك بعطفه ما يختلج فى صدرى ، فكيف لى بعد ذلك أن أحولها من ابنة إلى زوجة ! وكيف أجعلها تنظر إلى عمها حسن فترى فيه حبيبها حسن ؟ وضاق صدرى والتهب جبينى وذكرت الصلعة اللامعة التى أتوج بها هامتى ، والشيب الذى يحرق فؤادى ، وثلاث أسنان قد قلعت وسنة جديدة قد نغضت ، فأكلت صبرى ممتلئاً شجناً وكآبة .

ولـكن هل ارعويت ؟ ... كلا ... ففى اليوم الثانى جاءتنا إلى البيت خفيفة نشيطة كعادتها — وكانت أختى تصلى العصر — فأقبلت نحوى وجلست إلى جانبى يتألق ثغرها بالابتسام ، فأحدث مجيئها شفاء لما كنت أكابد من أوجاع الانتظار ، وهيج أسقاماً أنكى من هاتيك الأوجاع وأمر . وجدتنا منفردين لحظات أتى أنفرد بها لأول مرة ، وداخلنى اضطراب وقلق وهيام . ولم تكن أول مرة تخلو إلى وأخلو بها ، ولـكن أجدت لى الخلوة هذه المرة شعوراً لا عهد لى به ، ووجدت فى أعماق نفسى حسيس أمنية يهمس لى لو تخلو لنا الدنيا كما تخلو هذه الحجرة ! ... لو تخلو فلا أخت ولا أب ولا أم ولا مخلوق سواها وسواى . هنالك تؤاتينى شجاعتى وتنجاب عنى الوساوس وتنحسر عن ناظرى غشاوة القنوط ... فمن لى بأن أطير بها إلى تلك الدنيا المقفرة ؟ ... وحولت إليها عينى فرأيت المرح والبراءة ، فثبتهما على وجهها المحبوب . وما كان أسعدنى رجلاً فى تلك اللحظة لو جثوث — أنا والأعوام التى أحملها على عاتقى — عند قدميها الصغيرتين مادا راحة راغب ضارع ... وشعرت بتحديق عينى فرشقتهما بنظرة صافية حتى أحسست الأرض تميد بى ، وتعمدت ما وسعتني الحيلة أن أجعل لنظرتى معنى جديداً غير ما عهدت ، وأن أحمل عينى رسالة من أعماق الفؤاد لأجذبها من عالمها البرىء إلى دنيا آمالى وأحلامى . ولـكن هل أدركت شيئاً ؟ ... هل بلغت الرسالة ؟ ... أما لو كان ذلك كذلك لتولاها الارتباك وخضبها الخجل ... فهل تعثرت فى الارتباك أو غض من طرفها الحياء ؟ اختلط على عينى الأبصار والتوهم واصطرع فى مجال إحساسى قوى الإدراك ونوازع الأمل . وعطفت رأسها عنى برشاقتها الحلوة فاستقر بصرى على خدها الوردى . وفى نشوتى وهيامى تجممت وثبة الحياة الجارية فى كيانى فى رغبة واحدة لا تقاوم ... أن ألثم هذا الخد . وهوى عنقى نحوها فى ذهول الوجد فلثمتها ! والتفتت نحوى كالفزعة . ثم ضحكت ضحكة عالية ملأ رنينها أذنى ومشاعرى جميعاً ؛ ثم طوقت عنقى بذراعيها وقبلتنى فى خدى ! هل نلت المرام ؟ . رباه ! كانت قبلة اقشعر لسريان برودتها جسدى ، فجمد دمى فى عروقى ، وسكت قلبى عن الخفقان ، واحترق وجهى خجلاً . كانت الطفلة المرحة البريئة تقبل عمها حسن ، وكان مثلى كمثل مجنون عاد إليه رشاده فجأة فوجد نفسه متجرداً وسط قوم عقلاء . ألا ما أبعد الشقة بين الأفعال والنيات ! ألم تلتفت إلىّ فى رشاقة الغزلان ؟ ألم تطوق عنقى بذراعيها ؟ ألم تطبع على خدى قبلة ؟ ولـكن أين من هذا كله الحب والولع ؟! وشق علىّ الخجل وشقت علىّ الخيبة ، وبينما راحت هى ، وكأنها نسيت كل شيء ، تروى لى ما شاهدت فى السينما أمس ، جعلت أحادث نفسى : رحماك اللهم ! ماذا فعلت ؟ أين جلدى وأين رشادى ؟ وتساءلت محزوناً : ألا يجمل بى أن أشد الرحال إلى بيت غير هذا البيت وحى غير هذا الحى ؟!

نجيب محفوظ

12me Année No. 567

Lundi - 15 - 5 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٥٦٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٢ جادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٥ مايو سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـرس

صفحة
٤٠١ ردود وحـدود .. ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
٤٠٤ الغناء .. .. : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٤٠٦ قيس ولبنى ... ... } تأليف الأستاذ عزيز أباظة بك للأستاذ دريني خشبة ...
٤٠٩ وليم شيكسبير ... ... هل كان حيا ؟ ... ... } الأستاذ حسين غنام ... ...
٤١٢ الألغاز فى الأدب العربى ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ..
٤١٥ كتاب « الوعى القومى » } تأليف الأستاذ قسطنطين زريق للأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٤١٧ آذان الفجر ... (قصيدة) : الدكتور عزيز فهمى . . ..
٤١٧ على قبر أخى « : الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان
٤١٨ أغنية الرياح الأربع « : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٤١٨ شعر ناجى ... ... : الأستاذ حبيب الزحلاوى ...
٤١٨ القرآن فى كتاب النثر الفني : الأستاذ ابراهيم السيد عجلان
٤١٩ إلى الأستاذ الكبير (ا . ع) : الأستاذ على متولى صلاح ...
٤١٩ إلى الدكتور زكى مبارك .. : السيد يحيى محمد على .. ..
٤٢٠ « تجول تلك السماء » ... : الأديب محمد عبد الفتاح إبراهيم

ردود وحـــدود

للأستاذ عباس محمود العقاد

تناول الباحث الفاضل الأستاذ أحمد أمين بك موضوع الفردية والاجتماعية فى مقال آخر بمجلة الثقافة فانتهى منه إلى قوله :

« ... ومجال القول فى هذا الموضوع فسيح ، ولفظ الفردية والاجتماعية يطلق على معان كثيرة ينشأ بسببها الخلاف بين الكتاب الأفرنج والعرب على السواء . فالفردية التى عنيتها فى مقالى السابق هى الأنانية أو الأثرة ، والاجتماعية هى الغيرية والإيثار . ولا شك أن الأستاذين معى بعد هذا التحديد فى أن الرقى الأخلاقى والاجتماعى سائر نحو الاجتماعية لا الفردية . فمن أسباب رقى الغربيين على الشرقيين وعيهم الاجتماعى أو بعبارة أخرى شعورهم بوطنهم وأمتهم بجانب شعورهم بشخصهم . ومن هذا الوعى نظمت الجمعيات والنقابات ، وبذلت الدماء فى الحروب دفاعاً عن الوطن ... »

ثم استطرد قائلاً : « على أن الفردية قد تطلق أيضاً على نوع النظام الحكومى الذى يتمتع به الفرد بحريته وملكيته وتجارته وما إلى ذلك من غير أن تتدخل الحكومة فى شأنه إلا عند الضرورة القصوى ، وضده الاجتماعية أو الاشتراكية ، وفى

هذا المعنى أيضاً أخالف الأستاذين ، وأزعم أن العالم سائر إلى الاشتراكية على نحو ما ، ومصداق ذلك أن أعظم الأمم الفردية كانجلترا أو أمريكا تصطبغ نظمها من حين لآخر بما يقربها من الاشتراكية ، فتتدخل فى تنظيم الاقتصاد وتأخذ من الغنى لتعطى الفقير »

وأحسب أننا متفقون بعد هذا فى أكثر مراحل الطريق :

فنحن نعيب أدب الأنانية المحدودة كما يعيبه الأستاذ ، وهو على ما نرى يوافقنا على أن الأدب المحض مطلوب غير معيب ، وكل منا يقدر الفائدة الاجتماعية ويحب أن يكون للأديب سهم كبير فيها

وإنما الخلاف على ما يظهر فى تقدير الدرجات

فنحن نعطى الدرجة الكبرى للأدب المحض ونقول إنه يخدم المجتمع ولا يستغنى المجتمع عنه بحال من الأحوال ، لأن التعبير عن خوالج النفس علامة صحية يدل وجودها على سلامة البنية الاجتماعية ، كما يدل فقدها على نقص أو عطب فى تلك البنية . وليس على الأديب حرج أن يكتفى بالأدب المحض الذى يقترن بتلك السلامة ؛ لأنه إذا أهمله لم يقم به أحد غيره .

أما البحث فى شئون المعيشة ومسائل الأسعار والموارد والأجور فهو بحث يحسنه الاقتصادى والسياسى وكاتب الصحف الخاصة إذا قصر فيه الأدباء

ولكن الأستاذ أحمد أمين يعطى الدرجة الكبرى للأدب الذى يبحث فى تلك الشئون ، ويرى أن تاريخ الإنسان يتقدم من الفردية إلى الحاسة الاجتماعية أو الوعى الاجتماعى الموكل بمسائل المعيشة وما إليها ، ويستدل على ذلك بأمم الغرب واصطباغ النظم الإنجليزية والأمريكية بصبغة تقربها من الاشتراكية

وفى هذا نحن مختلفون

لأننا نرى أن العبرة التى خرجنا بها من الحرب بين الأمم المتحاربة هى عبرة «الحرية الفردية» فى مقاومة الدعوة العنصرية التى يمحى فيها الأفراد

فقد تبين حتى الساعة من مجرى الحرب العالمية أن أقوى الأمم دفاعاً عن نفسها هى الأمم التى تبلغ فيها الحرية الفردية مداها ، أو هى الأمم التى تعترف للفرد بحقوقه فى جانب حقوق الدولة.

فالأمم العنصرية — وهى النازية والفاشية — قد استعدت كل الاستعداد للحرب فلم تبلغ من غايتها بعض ما بلغته الأمم الديمقراطية على قلة استعدادها فى بداية أمرها . وهذا مع نكران الفرد الشديد فى الأمم العنصرية ، ومطالبتهم كل فرد فى الدولة بالفناء فى مشيئة الأمة كما يمثلها حكامها المطلقون

فالصراع القائم اليوم هو أصدق امتحان للفردية فى مكافحتها للعنصرية العمياء التى تمحو حقوق الأفراد

أما أن الأمم الديمقراطية « تصبغ نظمها اليوم بصبغة تقربها من الاشتراكية وتأخذ من الغنى لتعطى الفقير » فهذا فى اعتقادنا أكبر تسليم للفردية من قبل العنصرية ، وأكبر انتصار لحقوق الفرد إلى جانب حقوق الدولة

فمعنى هذا كله أن الفرد يجب أن يعرف جزاءه على خدمة وطنه ، وأن نسيان حقوق الفرد فى إبان الصراع القومى أمر غير عادل وغير مشكور ، إذ الوطن الحقيق بالدفاع عنه هو الوطن الذى ينصف فيه الأفراد من جميع الطبقات ولا يظلمون

ونقابل بين هذا وبين « السخرة الوطنية » فى الحروب الماضية فنرى جلياً أن « الحقوق الفردية » هى التى انتصرت فى الحرب الحاضرة إلى جانب الحقوق الدولية ، وأن تاريخ الإنسان متجه لا مراء إلى تعظيم حرية الفرد وحقوق الفرد وترجيح المجتمع على المجتمع بمقدار ما يتفاضلان فى تلك الحرية وتلك الحقوق

وتقرير هذه الحقيقة مهم فيما نرى لمصلحة الدعوة التى يدعو إليها الأستاذ أحمد أمين . إذ نحن خلقاء أن نعرف الآن هل نحن محتاجون إلى مطالبة الدولة برعاية حق الفرد أو محتاجون إلى مطالبة الفرد برعاية حق الدولة ؟ وهل التقصير الآن آت من الفرد فى رعاية الحقوق القومية أو من الأمم فى رعاية الحقوق الفردية ؟

ويبدو لنا أن الأستاذ أحمد أمين يطالب الأمم برعاية حقوق الأفراد ، فهو إذن أقرب إلينا أو نحن إذن متقاربون

وسبيلنا إذن أن نعظم إحساس الفرد بحريته وحقوقه وديونه على المجتمع حين يطالب المجتمع بديونه عليه

ولا خسارة فى هذا على الأمم ولا على الأفراد

***

ولعلم الكلام نصيبه فى مناقشاتنا اليوم مع نصيب علم الاجتماع أو فلسفة الآداب والفنون

فقد كتب إلينا الأديب الدمياطي الأستاذ طاهر أبو فاشا يعقب على ما نقلناه عن المعرى فى بعض فصولنا الحديثة إذ تقول :

« ونستبعد التخيل الذى ينتظر المذياع ورسائل البرق وركائب الهواء ونكاد نجزم أن أبا العلاء لم يذكر السماع من بعيد والانتقال فى لمح البصر وسريان النار مئات الفراسخ إلا ليقول إنها مستحيل من المستحيلات الكثيرة التى تتعلق بها قدرة الله كما يتعلق بها وضع الجسمين فى مكان واحد ، وهو أبعد الإحالات فى أقوال الفلاسفة ومنهم أبو العلاء الذى لا يخلو أسلوبه من الأغراب والتبسط حين يتحدث إلى غير الفلاسفة من الفقهاء »

وقرأنا فى مجلة « دمياط » تعقيباً يشبه تعقيب الأديب الدمياطى جاء فيه : « إن قدرة الله يستحيل أن تتعلق بالمستحيل - إلا العادى طبعاً - لأنها إن تعلقت به فإما أن تتعلق به لتوجده أو لتعدمه . فإن كان الأول فهو يستحيل لأنه لو وجد المستحيل لما كان مستحيلاً ، ولا نقلب واجباً أو جائزاً كما يقول إخواننا علماء الكلام ، وإن كان الثانى فهو مستحيل أيضاً لأنه معدوم بنفسه ولزم تحصيل الحاصل كما يقول المتكلمون »

وتعقيبنا على هذا التعقيب أن مراجعة كلامنا مرة أخرى تغنى عنه ، لأننا « أولاً » لم نكن نتكلم عن رأينا بل عن رأى المعرى فى رسالة بعينها و « ثانياً » لم ننس أن الفلاسفة - ومنهم أبو العلاء - يقولون إن وضع الجسمين فى مكان واحد أبعد الإحالات و « ثالثاً » حرصنا بأن المعرى يكتب بأسلوب الإغراب والتبسط حين يتحدث إلى الفقهاء . أى إنه يعنى غير ما يقول ، وأن رأيه الصحيح غير رأيه فى هذه الرسالة بعينها .

ومذهبنا نحن بعد هذا أن « إمكان مالا يمكن » شيء لا يقبله عقل الإنسان

ولكن الإنسان قد يحكم باستحالة أمر وهو مخطىء فى حكمه لبطلان الأسباب التى يبنى عليها الاستحالة

ومثال ذلك من كان يؤمن بأن الأرض مسطحة تحدها آفاق السماء ، فإنك لو قلت له : هل يمكن أن يذهب الإنسان غرباً ويعود شرقاً لقال لك على اليقين إنه مستحيل وليس فى الإمكان

ولكنه مخطىء فى فهم الاستحالة ، لأن الأرض ليست مسطحة محدودة بآفاق مطبقة عليها . بل هى كرة مستديرة تذهب إلى مغربها فتعود من مشرقها ، كما يحدث هذا كل آونة فى هذه الأيام

وكذلك وضع الجسمين فى مكان . فإن استحالته قائمة على أن الفضاء ثلاثة أبعاد ، فإذا ثبت أن الفضاء أربعة أبعاد أو خمسة أو ستة تحيط بالأجسام من غير جوانبها المحسوسة ، أو إذا ثبت قول أينشتين إن الزمان بُعدٌ رابع يحيط بالأجسام فى التقاءات كثيرة ، فهنالك يتغير النظر إلى استحالة وضع الجسمين فى مكان واحد ، ويصح أن « يكون فيها قولان » على لسان الجادين لا على لسان الهازلين فى فض المشكلات !

* * *

وللنحو نصيبه كذلك مع نصيب علم الكلام أو علم الاجتماع وفلسفة الآداب والفنون

فقد ظهر من العراق خازن آخر من أولئك الخزنة الواهمين الذين يحسبون أنهم قابضون على مفاتيح اللغة جميعاً ليفتحوا ويغلقوا ويصرفوا ويمنعوا ويقولوا بما يجوز وما لا يجوز وما يقال وما لا يقال ، وليس لهم من محصول اللغة ما ينغلق عليه قفل واحد !

فهذا الخازن الواهم يقول فى خلط كثير « إن المقابلة بين الكفتين » لا تجوز ، ومثل هذا لا يرد عليه . وكفى

ويقول وهو يرد علينا : « احتج أولاً بالمراوحة أو الروح لا من الرواح ثم وثب إلى التراوح . وفى كليهما كان مسقطاً فى القول واهماً ، وهذه عاقبة من يخطىء الصواب ويريد الخلاص من الإقرار بالخطأ » ، فالمراوحة عمل فاعل واحد والتراوح عمل فاعلين أو أكثر منهما . فالاختلاف واحد لا يتراوح وحده ، وكذلك لا يقال هذا الشيء لا يتساوى ولا يتماثل ولا يتشابه » إلى آخر هذا اللغط العجيب

وجوابنا على « لا يقال » هذه بسيط جداً ، وهو بل يقال ويقال ويقال ، ولا يقال غيره فى هذا المعنى ، وإليه المثال

فيقال مثلاً : « لا يتساوى القمر فى ليلتين وقد تتساوى الشمس فى برجين »

ويقال مثلاً : « لا يتشابه الرجل فى عمرين ، وقد يتشابه العمر فى رجلين »

الغنـــــاء

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

أنا (والله) لست من علماء (الغناء) ولا من التلامذة فيه ؛ ولا أغشى اليوم دوره حتى أسمعه ، ولست عراقياً ولست حجازياً ... (فما أشرب ولا أطرب ...[1])

ولو كنت هناك لتمثلت بقول محمود جار الله (رحمه الله) :

سهرى لتنقيح العلوم ألذّ لى ... من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طرباً لحل عويصة ... أشهى وأحلى من مدامة ساق
وصرير أقلامى على أوراقها ... أحلى من الدوكاه والعشاق[2]

(١) قال بعضهم : أباح أهل الحرمين الغناء وحرموا النبيذ . وأباح أهل العراق النبيذ وحرموا الغناء ، فأوجدوا لنا السبيل إلى الرخصة فيهما عند اختلافهما إلى أن يقع الاتفاق »

(٢) الدوكاه والعشاق : نغمان . وجدت فى نزهة الجليس للعباس ابن على المكى هذا : « أنغام العرب أصلها فارسية وهى ستة كالهندية : الراست والدكاه والسيكاه والجهار كاه والبنجكاه ونوروز الصباح .

ويقال على هذا المثال : « لا يتماثل المرض فى الإنسان والحيوان ، وقد يتماثل فى الإنسان »

ويقال أيضاً : « لا يتراوح الاختلاف بين عصرين ، ولكنه قد يتراوح بين يومين أو سنتين »

ويقال تقاضيا وتقاضاه ، وتجاوبا وتجاوب الصدي أو تجاوب المكان بالأصوات ، وتراميا وترامى السحاب ، وتدانيا وتدانى منه ، وغير ذلك كثير مما فيه قصد المفاعلة وليس فيه قصد التعاقب والترق

وليعلم ذلك الخازن الواهم بعد هذا أن الاختلاف مفرد ولكنه يدل على جميع المختلفين ، فإذا قلنا تراوح الاختلاف فهو القياس كما نقول تراوح المختلفون وتقاتل الناس وتباينت الأمم وتعانق الأصحاب ، ولا نهاية لما يقال من هذا القبيل

أفيقال هذا إذن أو لا يقال يأيها الجواد ، بلغة العامة لا بلغة الضاد ؟ يقال ويقال ، وإن استطعت فقل خيراً منه فى معناه ، وما أنت بمستطيع .

عباس محمود العقاد

وألذ من نقر الفتاة لدفها ... نقرى لألقى الرمل عن أوراقي

وما روايتى قول الحسن البصرى فى السماع – وقد نظمه ابن عبد ربه فى عقده – وسائر ما أرويه فى (نقل الأديب) إلا زلفى ، تزلف إلى هذه اللغة التى شاء الله أن أكتب فى ديوان خدامها ووسيلة لتحبيبها إلى بنيها فى هذا الزمان العجيب . فلما اطلعت فى الرسالة الغراء (٥٦٣) على مكتوب الفاضل السيد عبد العزيز الرفاعى فى (مكة المكرمة) فى الحجاز موطن الغناء فى القديم ودار محلليه ، خفت أن أجيب ، فأخطىء ولا أصيب . وأنا فى البحث فيما أعرفه المعرفة الصالحة وجل القلب ، فكيف تكون حالى فى الذى أجهله ؟ فليس لى – وقد قلت الحق – إلا اتباع هدى الله والعمل بقوله تعالى فى (النحل والأنبياء) : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »

رحت إلى ابن عبد ربه وقلت له : انت رويت قول الحسن فى كتابك (العقد) – واسمه اليوم العقد الفريد – فكيف يكون الغناء عوناً على طاعة الرب ، وكيف يصل الرجل به رحمه ويؤاسى أخاه ؟ فتلقيت منه هذا الكلام :

« إن الصوت الحسن يسرى فى الجسم ، ويجرى فى العروق ، فيصفو له الدم ، ويرتاح له القلب ، وتنمى له النفس ، وتهتز الجوارح ، وتخف الحركات ... وقد يتوصل بالألحان الحسان إلى خير الدنيا والآخرة ، فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق من اصطناع المعروف وصلة الرحم والذب عن الأعراض والتجاوز عن الذنوب . وقد يبكى الرجل بها على خطيئته ، ويرق القلب من قسوته ، ويتذكر نعيم الملكوت ويتمثله فى ضميره ... وبعد فهل خلق الله شيئاً أوقع بالقلوب ... من الصوت الحسن ... وهل على الأرض رعديد مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير :

قل للجبان إذا تأخر سرجه ... هل أنت من شرك المنية ناج ؟ !

إلا ثاب إليه روحه ، وقوى قلبه ؟ أم هل على الأرض بخيل قد تقفعت أطرافه لؤماً ثم غُنى بقول حاتم الطائى :

يرى البخيل سبيل المال واحدة ... إن الجواد يرى فى ماله سبلا

إلا انبسطت أنامله ، ورشحت أطرافه ؟ أم هل على الأرض غريب نازح الدار بعيد المحل يغنى بشعر على بن الجهم :

يا وحشتا للغريب فى البلد النازح (م) ماذا بنفسه صنعا

فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا إلا انقطعت كبده حنيناً إلى وطنه ؟ ... »

وناقشت صاحب (العقد) فى التحليل والتحريم فقال لى : ع هذا الخبر :

« قال ابراهيم بن سعد الزهرى قال لى الرشيد : من بالمدينة ممن يحرم الغناء ؟

قلت : من أمتعه الله بخزيته !

قال : بلغنى أن مالك بن أنس يحرمه

قلت : يا أمير المؤمنين ، أوَ لمالك أن يحرم ويحلل ؟ والله ما كان ذلك لابن عمك محمد (صلى الله عليه وسلم) إلا بوحى من ربه ، فمن جعل هذا لمالك ؟ ولو سمعت مالكاً يحرمه ويدى تناله لأحسنت أدبه ... »

وجيت إلى ابن خلدون وفاتحته بما قصدته لأجله ، فما أملاه على :

« إن النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك فيصيب مزاج الروح نشوة يُستسهل معها الصعب ... ويزيد ذلك تأثيراً إذا كانت الأصوات متناسبة ... لأجل ذلك تتخذ العجم فى مواطن حروبهم الآلات الموسيقية فيحدق المغنون بالسلطان فى موكبه بآلاتهم ويغنون فيحركون نفوس الشجعان بضربهم إلى الاستماتة »

وقلت فى نفسى : « الحكمة ضالة المؤمن » فغدوت إلى أصحاب (رسائل إخوان الصفاء) واسترأيتهم - طلبت رأيهم - فى الغناء ، فمن جوابانهم :

« من الألحان والنغمات ما يسكن سورة الغضب ، ويحل الأحقاد ، ويوقع الصلح ، ويكسب الألفة والمحبة . فمن ذلك ما يحكى أنه فى بعض مجالس الشراب اجتمع رجلان متغاضبان وكان بينهما ضغن قديم ، فلما دار الشراب بينهما نار الحقد ، والتهبت نيران الغضب ، وهم كل واحد منهما بقتل صاحبه ، فلما أحس الموسيقار بذلك منهما وكان ماهراً فى صناعته غير نغمات الأوتار ، وضرب اللحن الملين المسكن وأسمعهما ، وداوم حتى سكن سورة الغضب عنهما ، وقاما فتعانقا وتصالحا . ومن الألحان والنغمات ما ينقل النفوس من حال إلى حال ويغير أخلاقها من ضد إلى ضد . وكانوا يستعملون عند الدعاء والتسبيح والقراءة ألحاناً من الموسيقى تسمى « الحزن » وهى التى ترقق القلوب[1] إذا سمعت وتبكى العيون وتكسب النفوس الندامة على سالف الذنوب ، وإخلاصَ السرائر ، وإصلاحَ الضمائر . وكانوا قد استخرجوا لحناً آخر يقال له « المشجع » كانت تستعمله قادة الجيوش فى الحروب ، يكسب النفس شجاعة وإقداماً . واستخرجوا أيضاً لحناً آخر كانوا يستعملونه فى المارستانات يخفف ألم الأسقام عن المريض . واستخرجوا أيضاً لحناً آخر يستعمل عند المصائب والأحزان يعزى النفوس ويسكن الحزن . واستخرجوا لحناً آخر يستعمل عند الأعمال الشاقة والصنائع المتعبة مثل ما يستعمله الحمالون والبناءون وأصحاب المراكب يخفف عنهم كد الأبدان وتعب النفوس . ولكل أمة من الناس ألحان ونغمات يستلذونها لا يستلذها غيرهم مثل غناء الديلم والأتراك والأعراب والأرمن والزنج والفرس والروم من الأمم المختلفة الألسن والطباع والعادات ... »

وقد وجدت عند صاحب كتاب (إنسان العيون) المعروف بالسيرة الحلبية هذه المقالة وهى جديرة بالرواية :

« قد شوهد تأثير السماع فى الحيوانات غير الناطقة بل فى الأشجار ... ومن لم يحركه السماع فهو فاسد المزاج غليظ الطبع . وعن أبى بشر أن النبى (صلى الله عليه وسلم) وأبا بكر مراً بالحبشة وهم يلعبون ويرقصون فلم ينكر عليهم . وبه استدل أئمتنا على جواز الرقص حيث خلا عن التكسر . وتواترت الآثار بإنشاد الأشعار بين يديه (صلوات الله وسلامه عليه) بالأصوات الطيبة مع الدف وبغيره . وبذلك استدل أئمتنا على جواز الضرب بالدف ، ولو فيه جلاجل ، لما هو سبب لإظهار السرور »

تلكم أقوال جماعة فى الغناء ، وحيا الله أخانا الفاضل المكى وحيا ربعه ، وحيا مواطن عظيمة كريمة بهر الدنيا منها ذلك الضياء !

(١) فى (الأحياء) للغزالى : ينبغى أن يمنع من الضرب بالشاهين فى معسكر الغزاة فإن صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ، ويشوق إلى الأهل والوطن ، ويورث الفتور فى القتال وكذا سائر الأصوات والألحان المرققة للقلب . فالألحان المرققة المحزنة تباين الألحان المحركة المشجعة ، فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتفتير الآراء عن قتال الواجب فهو عاص

قيس ولبنى

مسرحية الأستاذ الشاعر عزيز أباظة بك

للأستاذ دريني خشبة

خرج من منزله بظاهر المدينة لبعض شأنه ، فمر بخيام لبنى كعب فاستسقى ، فبرزت إليه بالماء ابنة شيخ القبيلة ، وسيد الحى ، الحُباب الكلبى ، فما كذَب أن سَبقت القطرةَ الأولى التى أطفأت حر ظمئه ، النظرةُ الأولى التى أشعلت دمه ، وأججت فى فؤاده ذلك الهوى المبرّح ، والتى أصابت روحه بهذا الظمأ ، بل بذاك السُّعار ... إلى العيون النّجل ، والفم الباسم ، والوجه المنازل ، والقد الفاره ، والصبا المجتمع ، والجمال الفينان !

ومضى قيس وقد أبرمت عيناه وعينا لبنى الوثيقة المقدسة بين قلبيهما الخاليين ، فى تلك السرعة الخاطفة التى لا تكون إلا بين العيون والعيون !

ثم تعدد اللقاء ، وصرّح الحب ، وغنّت البيدُ بالهَزَج الحلو الذى كان يرسله قيس من أعماق قلبه شعراً موجعاً حزيناً

ومضى قيس إلى أبيه ، ذريح بن ليث بن بكر ، فباح له بحب لبنى وسأله أن يخطبها عليه ، فأشاح ذريح ، وأشار على ولده بخطبة إحدى بنات عمه ، فهن أولى به ... وكان ذريح ذا مال واسع وثراء ضخم ، ولم يكن له ولد غير قيس ، فخشى أن يدخل فى ماله ناس ليسوا من أهله . فانطلق قيس إلى أمه يستعين بها على أبيه ؛ غير أنه كان كالمستمين على الرمضاء بالنار ، فانطلق إلى أخيه فى الرضاع ، الحسين بن على ، وكان معه ابن أبى عتيق ، فشكا إليهما بثه ، فطمأنه الحسين ، وانطلقا به إلى الُحباب والد لبنى فخطباها منه على قيس ، فنسى الرجل تقاليد البادية إكراماً لفخر شباب الجنة ، وإجلالاً لابن بنت رسول الله ، ولم يشترط شيئاً إلا أن يسعى إليه ذريح والد قيس لتمام الخطبة ، حتى لا تكون فضيحة من جراء ما رددته كثبان الجزيرة من أشعار قيس ... ولم ير الحسين فيما طلب الحباب تعسفاً ، فمضى إلى ذريح فأقسم عليه إلا أن يخطب لبنى على ابنه قيس ، فخضع الرجل ولان عاصيه ، وتمت الخطبة ، وزفت لبنى إلى حبيبها ... وأوى الألف إلى إلفه ، ورقأ الدمع وسكن الوجيب ، وتهلل وجه الحياة

وغبرت سنون ... ثم كان ما لم يخش أحد أن يكون ! لقد أحزن ذريحا ونغص عليه عيشه ، أن لبنى عقيم لا تلد ... لقد أرسل الرجل عينيه فى ظلمات المستقبل الكريه ، فرأى ثروته الواسعة تؤول إلى أيد من غير صلبه ، فأقسم ليكونن له من قيس ولبنى موقف ، وليكونن له فى هذا البلاء رأى ومنه مخرج !... وإذن فَلْتَبِينْ لبنى ... وليتزوج قيس فتاة غيرها ولوداً غير عقيم ... ولتكن الحياة فى دار ذريح من أجل هذا جحيماً لا تحتمل ، وليشن ذريح وزوجه الحرب الداخلية على قيس وزوجه ، وليتهماه بالتقصير والعقوق والانشغال عنهما ببلبناه ، وليطلبا إليه تطليق لبنى على مسمع منها ، فإن أبى فليرغماه على أن يشرك معها زوجاً أخرى ، فإن أبى فليتسرّ ، وليتخذ من الأماء من يضمنّ له الولد ، فإن أبى فليسلط عليه ذريح عذاباً لا قبل له به

... وقد رفض قيس كل هذه الحلول ... فكان ذريح يخرج وقت الظهيرة فيعرض رأسه للنار التى تصبها الشمس ، فإذا رآه قيس أقبل عليه ووقف يظله حتى يفىء الفىء فينصرف . ولما طال هذا الأمر ، وكان ذريح يستعين على قلب قيس بدموعه كى يطلق لبنى ، ضعف هذا القلب ، وفى ساعة من ساعات الذهول أرسل قيس كلمة الطلاق التى كان يشترطها ذريح ليريحه من هذا العذاب الذى استمر عاماً بأكمله !

ولم يلبث قيس أن ذُهِب بعقله ، وانقلبت الحياة فى بيت ذريح مأساةً لا تطاق ... ولما انقضت عدة لبنى ، أقبل أبوها وأهلها لاحتمالها ... وحيل بين قيس وبين الإلمام بخبائها فهام على وجهه ... ثم اتبع رحلها مليا ... وهنا يقول صاحب الأغانى : « وعلم أن أباها سيمنعه ، فوقف ينظر إليها ويبكى ، حتى غابوا ، فكر راجعاً ، ونظر إلى خف بعيرها ، فانكب عليه يقبله ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدمها ! »

ولم يلم قيس على ما أصابه إلا نفسه

وأشار عليه أبوه بالتقلب فى أحياء العرب عسى أن يجد فتاة تُسليه أو تنسيه ، فأبى أولاً ... ثم فعل ... ورأى فتاة حسناء فسألها عن اسمها فأجابت : « لبنى ! » فخر مغشياً عليه ، ولما أفاق عرض عليه أخوها الصهر ، فقبل بعد طول امتناع ... فلما زفت إليه زوجه الجديدة لم ينظر إليها ولم يهش لها ولم يدن منها ولا خاطبها بحرف ! ... وأخبره صديق له أن لبنى حينما علمت بزواجه بعدها غمها ذلك وقالت : « إنه لغدار ، ولقد كنت أمتنع عن إجابة قومى إلى التزويج فأنا الآن أجيبهم ! »

ولم يفتأ قيس يشبب بلبنى ويرسل نفسه فى إثرها حسرات يؤجج بها شعره الحزين الباكى حتى اضطر الحباب إلى أن يشكوه إلى أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان ، فكتب معاوية إلى نائبه بالحجاز يهدر دم قيس إن تعرض للبنى ، وأمر أباها أن يزوجها رجلاً من كِندة ، فزوجها من كَثير بن الصلت

وتلهى قيس بالاتجار فى الإبل ، وذهب بقطعة منها إلى المدينة فلقيه زوج لبنى ووقف يشترى منه ناقة وهو لا يعرفه ، وذكر له أن يأتى إلى دار كثير بن الصلت ليقبض الثمن إذا أصبح . وذهب كثير إلى منزله ، وأمر أن تعد لبنى غداء يتناوله مع أحد أضيافه ... فلما كان الغد ، وأقبل قيس ، وصوّت بالخادم لتخبر سيدها أن صاحب الناقة بالباب ، سمعته لبنى وعرفته ، فلما دخل لقيته ، وكشفت قناعها ، فبهت ساعة لا يتكلم ، ثم نشج نشيجاً مؤلماً ، واستخرط فى البكاء ، وانصرف من فوره محزوناً محطماً ... وأرسلت وراءه لبنى من يسأله فيم تزوج ، فقال : أقسم ما اكتحلت عينى بالمرأة التى تزوجتها ولو رأيتها ما عرفتها ولا مددت إليها يداً ولا كلمتها ولا كشفت لها عن ثوب ! فكانت إجابة جددت هوى لبنى وفجرت قديم حبها !

وسافر قيس إلى الشام ليلقى معاوية ، فلقيه ابنه يزيد فشكا إليه حاله ، فرثى يزيد له ، وأزال ما كان كتب أبوه من إهدار دمه

وأكثر الرواة بعد ذلك على أن قيساً ولبنى قد توفيا مفترقين . وذكرت قِلةٌ أن ابن عتيق قد توسل إلى كثير ، زوج لبنى ، بالحسن والحسين وجماعة من أهل البيت فى حاجة لم يذكرها له حتى وعد أن يقضيها مما له من ملك أو مال أو أهل ، فقال ابن أبى عتيق : إذن تهب لى لبنى زوجتك وتطلقها ! ففعل كثير ، واستحيا الحسن والحسين ومن معهما لأن ابن أبى عتيق لم يطلعهم من ذلك على شىء من قبل ... وأبقى ابن أبى عتيق لبنى عنده حتى قضت عدتها ، ثم زوجها قيساً ، فنعما بما كان لهما من سابق حب وسعادة حتى ماتا !

* * *

فهذه إذن قصة قيس ولبنى كما أوردها أبو الفرج فى الأغانى ، لخصناها على هذا النحو المضغوط ، لنقابل بينها وبين تلك القصة الشعرية الجميلة التى نظمها الشاعر الكبير المتفنن عزيز أباظة ، للمسرح المصرى أولاً ، ولنزيد بها فى ثروة الأدب العربى ، وليسام فى تجديد هذا الأدب أولاً وقبل كل شىء !

فماذا صنع هذا الشاعر الكبير بتلك القصة الفريدة ؟ ومن أى نقاطها آثر أن يبتدئ ، وعند أى طرفيها آثر أن ينتهى ؟ وأى قدر من التوفيق أصاب فى تقسيم فصولها ، وتوزيع المناظر على تلك الفصول ، وبَعْث الحياة والحركة فى مناظرها بتعدد مشاهدها المختلفة ؟ وماذا من رواية أبى الفرج آثر أن يثبت ، وأن يحذف ؟ وهل وفق كل التوفيق فى كل ما أثبت وكل ما حذف ؟ وماذا ابتدع من المناظر الجديدة التى ليست من صلب الرواية الأصبهانية ؟ ولغة التمثيلية وفرق ما بينها وبين لغة قيس ومن إلى قيس من عرب الحجاز قبل ثلاثة عشر قرناً ...

كل هذه أسئلة ينبغى أن نجد أجوبتها فى المقارنة بين قصتى مؤلف الأغانى والشاعر المصرى ؛ ونَعْجَل فنقول إنها أجوبة سترفع رأس الأدب العربى الحديث ، وستفتح أعين الشعراء العرب عامة ، والشعراء المصريين بوجه خاص ، على كنز من الكنوز التى نفتقدها فى آدابنا ، والتى لن يعمر ديوان من دواويننا إلا إذا شمل شيئاً منها أو مما يشبهها من الشعر القصصى الطويل . هذا كلام لن نفتأ نردده ، وسوف نردده ما رددت أنفاسنا

* * *

ألف الشاعر درامته بجعلها فى خمسة فصول :

١ — فالفصل الأول يتألف من ستة مشاهد ، ويتضمن وفود ابن أبى عتيق من قبل الحسين على الُحباب ، أبى لبنى ،

ومعه قيس وذريح ، لخطبة لبنى ، فتتم الخطبة ويزول ما بين الحيين من البغضاء التي سببتها أشعار قيس في التشبيب بلبنى

٢ – ويتألف الفصل الثاني من خمسة مشاهد ، ويبدأ بعد زواج قيس من لبنى بخمس سنوات ، ويكون قيس مريضاً أو متماثلاً للشفاء ، ويتضمن مخاصمة ذريح وزوجه لقيس ولبنى ، وطلب ذريح تطليق لبنى أو ضم زوجة ثانية إليها أو تسرى قيس ببعض الأماء ... وتكون حجة ذريح وزوجه انصراف ولدهما عنهما بسبب لبنى ، ثم يصرح الرجل بالحقيقة وهي عقم لبنى . ويرفض قيس جميع ما عرض عليه وينتهي الفصل بذلك ... دون أن نعلم علام استقر الرأى :

٣ – أما الفصل الثالث فيتألف من منظرين ، أولهما قصير ويتألف من مشهد واحد ، ونسمع فيه إلى راع يتغنى ببعض شعر لقيس ، ثم نرى قيساً يناجي نفسه ، ثم يناجي المغنى ، ونعلم أنه طلق لبنى ، وأنه لا يلوم إلا نفسه لما أصابه بسبب ذلك من وجد وحزن ولوعة

ويتألف المنظر الثاني من ثلاثة مشاهد ، ويتضمن منظر ارتحال لبنى بعد قضاء عدتها في بيت ذريح ، وما كان من محاولة قيس الإلمام بخيامها ، وما أوشك عمله هذا أن يحدث من قتال بينه وبين فتيان الحباب لولا تدخل أبي لبنى ... وتبدو لبنى فجأة فيرجف قيس ... ثم يمضى بها الركب بين حنين قيس وأنينه ...

٤ – ويتألف الفصل الرابع من خمسة مشاهد ، ويتضمن عفو أمير المؤمنين عن قيس ، ومنحه الحرية يغدو ويروح كيف يشاء ، وهياج آل الحباب لذلك ، كما يتضمن زواج قيس ، وحزن لبنى لهذا الخبر ، مما يؤكد ما كان لا يزال في قلبها من إعزاز لقيس ، ثم تقدم مالك ، بن عم لبنى ، لخطبتها ، وكان يحبها من قبل ، ثم تمام هذه الخطبة ، ورضاء لبنى بها بعد الذي عرفته من زواج قيس

٥ – أما الفصل الخامس ، أو الفصل الأخير ، فيتكون من منظرين ، يتألف أولهما من أربعة مشاهد ، ويتضمن لقاء مشحباً بين قيس بن ذريح ، وقيس بن الملوح ، أو مجنون بني عامر ، وفيه عتاب بين القيسين ، ثم إعتاب ؛ ثم يقبل ابن أبي عتيق – حبيب المحبين ، والسفير بين المغرمين ، باحثاً عن المجنون فيغتبط بلقاء المجنونين ! ثم يجوز بالوادى كثير زوج لبنى فيرى إبلاً وأينقاً هى إبل قيس وأينقة قد عرضها للبيع ، فيكلمه فى مُهر ، فيبيعه له قيس وهو لا يعرفه ، على أن يقبض الثمن غداة غد فى منزل كثير ... ويذهب الجميع بعد انصراف كثير إلى خيمة ابن أبي عتيق ليسمروا ثمة

أما المنظر الثاني فيتألف من مشهد واحد طويل ، ويتضمن ذهاب قيس والمجنون وابن أبي عتيق إلى دار كثير – زوج لبنى – ليقبض ثمن المهر . فيكون ثمة لقاء مشْجٍ عنيف بين قيس ولبنى ... لقاء مفاجيء تتفجر فيه العواطف ، وتذوب فيه روح قيس وقلبه فيغشى عليه ، وتحمل لبنى إليه الماء الذى يسعف به ، فإذا أفيق ، كان عتب وكان عذل ... يقبل فى إثره كثير ، فتقدم إليه لبنى أضيافه كلاً منهم باسمه ، حتى إذا بلغت قيساً عرفه كثير قبل أن تذكر اسمه ... ثم يتدخل ابن أبي عتيق فلا يزال يُمسِّي على كثير ويُسكِّني ، ثم ينتهي إلى تأكيد ما بين قلبي قيس ولبنى من عقود وعهود ، مع وفائها لزوجها الثاني ، حتى ينتهي إلى أن يطالب من كثير أن يخيِّر لبنى بينه وبين قيس ... فإذا أثنت عليه لبنى وقالت كلاماً يفهم منه محبتها لقيس ... أرسل الكلمة الهائلة ... وتم تسريحها ... ثم ينبض القلبان الحبيبان بالأغنية القديمة الخالدة .

(يتبع) دريني خشبة

وليم شيكسبير

هل كان ملكا ؟

للأستاذ حسين غنام

(ولد شيكسبير فى أبريل عام ١٥٦٤ ، وتوفى فى أبريل عام ١٦١٦ ؛ وفى ذكر ميلاده وموته نكتب هذه الكلمة الطريفة تحية للشاعر العظيم فى قبره)

توطئة

ظلت المسرحيات الخالدة المنسوبة إلى وليم شيكسبير، شغل العلماء والأدباء والباحثين قرابة قرن من الزمان ، فى ناحية واحدة ، لأن العالم شغل بها منذ أن وجدت ، من نواحيها الأخرى

فلم يكن شاغلهم هذا القرن إذن هو قوتها الخارقة ، فلا يختلف اثنان فى عبقرية كاتبها وقوته التى لا تجارى ، والذى يقدم على بحثها يتهيبها قبل الإقدام على دراستها وفهمها ، وشيكسبير علم : أى مادة قائمة بذاتها تدرس فى المدارس الإنجليزية جميعاً ، ابتدائيها وعاليها

حتى فن (السينما) ، على ما بلغه من شأو عظيم فى الإخراج والحيل الخارقة للطبيعة نفسها ، يتهيب الإقدام على هذه المسرحيات لإعدادها للسينما ، وقد أخرجت السينما روايتين من مسرحياته ، هما : حلم ليلة صيف ، وروميو وجولييت . وقد بلغت الأخيرة من الجودة والإتقان فى الإخراج حداً كبيراً . أما حلم نصف الليلة فقد سقطت فى الإخراج ، ولهذا ينظر فن السينما إلى أعمال شيكسبير خجلاً !

وهاتان المسرحيتان ليستا من أحسن أعمال شيكسبير ، فماذا تكون النتيجة لو أقدم فن السينما على إخراج بعض مسرحياته الممتازة مثل مكبث ، والملك لير ، وعطيل ، وسمبلين ، ويوليوس قيصر ، والعاصفة ، وكما تريد ؟

خذ مثلاً كاتباً مسرحياً آخر ، هو برناردشو ، فقد اعترف بنفسه أن فيلم (بجماليون) المأخوذ عن مسرحيته التى تحمل هذا الإسم ، بلغ درجة من النجاح لم تبلغها المسرحية على المسرح ...

وقل مثل هذا فى فيلم (ميجور باربارا) المأخوذ عن مسرحيته بهذا الإسم ، فقد نجح نجاحاً كبيراً ...

وقد عادت (السينما) إلى أعمال شيكسبير فى محاولة أخرى ، هى مسرحية هنرى الخامس ، تخرجها بالألوان الطبيعية ، وهى محاولة جدية عساها تنجح !

* * *

أما أن أعمال شيكسبير شغلت العلماء والباحثين قرابة قرن من الزمان ، فلم يكن مبعثها قوتها وعظمتها ، ولكنه البحث فى حقيقة كاتبها ومنشئها ، وهل هو الممثل المغمور وليم شيكسبير ، أم هو شخص غيره ؟

وقد ظهرت كتب عديدة فى هذا الموضوع ، إلى جانب المئات والمئات من الكتب التى تبحث هذه الأعمال وتشرحها وتحلل عبقرية شيكسبير ... وعلى الرغم من قيام هذه الحرب التى تكاد تستنفد جهود الشعوب جميعاً ، أفراداً وجماعات ، بمن فيهم من علماء وأدباء وشعراء وصحافيين ، فإن الكتابة عن شيكسبير لم تنقطع عاماً واحداً ... ومن الكتب التى ظهرت عنه أخيراً - فى نحو عام سابق من هذا التاريخ - كتاب للأستاذ هسكث بيرسون عن حياة شيكسبير ، وقد قال عنه برناردشو إنه عمل طيب لم يقرأ له نظيراً فى التراجم القديمة التى وصفت عن المترجم له العظيم ...

وكتاب ثان بقلم الدكتور تليارد عنوانه صورة عالم اليزابث ، وآخر بعنوان طوالع فولستاف للأستاذ دوفر ولسن

والكتاب الثانى يختص شيكسبير بالقسم الأكبر منه ، فى كلامه عن تأثير الأدب فى العالم ، وعمل الكتاب والأدباء والشعراء فى سبيل الإنسانية والحضارة

أما الثالث فهو يدافع عن شيكسبير من الناحية الإنسانية فيما صور به هنرى الرابع فى تخليه عن صديقه فولستاف ، ويدافع عن إنسانية شيكسبير المتطرفة وحبه للخير العميم ، ضد آراء موريس مورجان ...

وكتاب رابع بقلم إديث ستول عنوانه مفكرة شاعر ،

وهو يبحث فى نظم شيكسبير وقوته على التعبير البعيد البليغ وكتاب خامس ، وهو موضع حديثنا فى هذا المقال ، وهو من الكتب الكثيرة التى شغلت الباحثين قرناً من الزمان فى تلك الناحية الواحدة ، والتى يتلخص بحث العلماء والأدباء فى محاولاتهم ومجادلاتهم منها فى : هل هذه المسرحيات كتبت بقلم شيكسبير أم بقلم فرنسيس بيكون وكيل الملكة اليزابث ، وظلت تنسب إلى شيكسبير مئات من السنين ؟

الكتاب الجديد

هذه المسألة حيرت عديداً من العلماء والأدباء ...

وهذا الكتاب آخر ما ظهر عن هذا الموضوع ، وقد وضعه الأديب الأمريكى المعروف إدوارد مورجان ، الذى توفر على دراسة شيكسبير مدة عشرين عاماً متوالية ، وخرج من هذه الدراسة بنظرية جديدة إذا صحت قلبت تاريخ شيكسبير ومسرحياته رأساً على عقب ، بل غيرت كثيراً من تاريخ انجلترا المتوسط

وقد سببت هذه النظرية الجديدة حيرة جديدة ، واستحدثت حدثاً ضخماً فى تاريخ الأدب الإنجليزى . وقبل أن نتكلم عن هذا الكتاب ونناقشه يجب أن نضع أمامنا ما قاله أحد نقاد الإنجليز أخيراً بصدد الكتب التى تخرجها المطبعة عن شيكسبير وأعماله : (إن الكتب التى توضع عن شيكسبير شتيت مختلف ، فبعضها دون ، وبعضها جنون ، على أن غالبيتها تتحدث عن الناقد نفسه لا عن شيكسبير وأعماله ، ولكنها جهود مشكورة على أية حال !)

يدعى مورجان أن الإجابة الصحيحة لكل المحاولات والمناظرات والبحوث السابقة يتلخص فيما يلى من الحقائق التى ضمنها كتابه ، ونحن نأتى على بعضها ونناقشه فيما يلى :

١ — هل مات إدوارد السادس صغيراً ؟

يقول مرجان إن فرنسيس بيكون كتب المسرحيات المعزوة إلى شيكسبير ، ولكن بيكون كان فى نفس الوقت ، هو ملك انجلترا إدوارد السادس الحقيقى !

فالمعروف فى تاريخ انجلترا أن هذا الملك المعجزة ، الخارق الذكاء ، مات فجأة وهو فتى فى السادسة عشرة من عمره .

ولكن مورجان ، على ذلك ، يدعى أن ادوارد الصغير لم يمت فى هذه الباكرة ولكنه اختفى فجأة اختفاء غامضاً مريباً

٢ — الرسالة الخفية

يعلم كل الأدباء الذين درسوا شيكسبير جيداً ، أن هناك دلائل وقرائن تثبت أن مؤلف روايات شيكسبير حاول أن يحمل أعماله رسالة خفية بين سطورها ...

ولكن هؤلاء الذين يعتقدون أن شيكسبير حاول أن يلمح إلى أنه بيكون نفسه تجابههم هذه الحقيقة : لماذا كان بيكون ، وهو ذو الشخصية القوية الممتازة فى البلاط ، والقاضى الفاضل رفيع الشأن والفيلسوف العظيم ، يحاول ، أو يرغب فى إخفاء حقيقة شخصيته ، ويمنح الخلود لممثل وضيع مجهول اسمه شيكسبير ؟

هذه المسألة المعقولة تهلهل ما نسجه هؤلاء الذين يقولون أن شيكسبير هو بيكون . فقد كان من السهل على بيكون أن يكشف عن نفسه كمؤلف لتلك المسرحيات وهو ما تقدم من تلك المكانة الأدبية ، لو لم يكن فى المسألة سر أعظم من هذا وأمر أشد خطراً ... يبدو لنا من النقطة التالية ...

٣ — هل كان الملك وكيل الملكة ؟

وهذا الرأى المعقول يؤيد وجهة نظر مورجان تأييداً قوياً . فهو يعتقد أن فرنسيس بيكون كان أكثر من كاتب متحجب . لقد كان شخصية متحجبة أيضاً ؛ فهو شخص فر من الجلوس على عرش خطير ، محاط بالدسائس والمؤامرات ، إذ لم يجرؤ على الكشف عن شخصيته الحقيقية خوفاً من (نصف أخته) القوية ، إليزابث ، التى نصبت على عرش انجلترا عام ١٥٥٨ ، حتى لا تقتله

ويعتقد مورجان أن اليزابث عرفت أن وكيلها فى الملك ، فرنسيس بيكون ، كان ابن والدها نفسه ، هنرى الثامن ، من زوجته الثالثة جين سيمور ، وإنه سيكون — تبعاً لذلك — خطراً شديداً على عرشها ، إذا طالب به

ولكن ، هل هناك سبب معقول يجعلنا نعتقد أن هذا الغلام ، صار قادراً فيما بعد من سنيه المتأخرة ، على أن يكتب هذه الأعمال التى نحلها وليم شيكسبير ؟

بالتأكيد هناك سبب معقول !

كان هذا الملك ، وهو طفل صغير ، مشهوراً فى البلاط أنه طفل عجيب معجز ، مفرط فى الذكاء والقوة العقلية ، حتى سموه سليمان الثانى !

فقد كان وهو فى السابعة من عمره ، شاعراً ورساماً ، وقد حذق اللغة اللاتينية حذقاً تاماً ...

ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره كان يترجم اللغة اللاتينية !

ويحتمل بل يرجح ، أنه اتفق مع (نصف أخته) أى أخته من أبيه ، الملكة اليزابث ، على أن يكتب أعماله الأخرى تحت إسم فرنسيس بيكون ... ومن الناحية الثانية ، باستعماله إسم الممثل المجهول شيكسبير لمسرحياته ... ولا يكون بذلك خطراً على عرش (نصف أخته) حتى فى تلميحاته الخفية بين سطور كتاباته

فماذا يكون دخل هـذا الممثل المجهول المدعو شيكسبير في عرش انجلترا ، وما هي علاقته به ؟

فى عام ١٥٥٣ ، أعلن أن إدوارد الصغير مات فتربعت على عرش انجلترا اللادى چين جراى ، ولكنها قتلت بعد تسعة أيام من حكمها . وعندئذ حكمت مارى تيودور مدة قصيرة ، ثم خلفتها اليزابث عام ١٥٥٨

وكانت هـذه الفترة من التاريخ الإنجليزى فترة دموية من دسائس ودماء

وإذا كان إدوارد حياً ، ومختفياً كان لديه من الأسباب ما يجعله يخشى على حياته إذا ظهر وطالب العرش فآثر السلامة الشخصية على العرش

على أن اختفاءه المفاجىء ، وإن ظل سراً مكتوباً ، جعل كثيرين من الناس يشكون فى أنه مات حقاً

ويقول مورجان : إن الأوراق الرسمية فى سنة ١٥٩٩ تثبت أن عدداً كبيراً من الناس ألقى عليهم القبض ، لأنهم أعلنوا أن إدوارد السادس حى لم يمت . وكان حينئذ عمره يقرب من الستين عاماً ...

وكثير من الكتاب والشعراء لمحوا فى كتاباتهم إلى أن الملك الصغير إدوارد لم يمت ، فهذا الشاعر (مايكل دريتون) يقول من قصيدة :

« إن الملك إدوارد السادس ، المقصور فى حياته القصيرة ، (مع الريبة فى هذا) ولكنه ترك المملكة »

٤ — فى منزل بيكون

ويستمر مورجان فى كلامه فيقول ثانياً :

إن هناك برهاناً آخر ، وهو أن المنزل القديم ، الذى كان يعيش فيه بيكون ، فى سانت البان ، كان مكتوباً على باب الحجرة الخاصة التى ينام فيها أسماء جميع الملوك الإنجليز من وليم الفاتح إلى چيمس الأول الذى ارتقى العرش بعد الملكة اليزابث .

وبين اسمى اليزابث وچيمس يوجد اسم آخر يكاد يكون مطموساً ولكنه يبدأ بحرف ...E وهو أول حرف من سم إدوارد

ومن المحتمل جداً أن يكون بيكون فى نزوة تهكمية ساخرة كتب سم إدوارد هناك ، وهو يعنى به نفسه !

٥ — طغراء

وهنا يذكر مورجان برهاناً قوياً على صدق نظرياته . ويبدو معقولاً إلى حد بعيد ... يدلل به على أن شيكسبير وبيكون ، لم يكونا غير شخص واحد هو إدوارد السادس ...

وهذا هو البرهان :

فى بعض مسرحيات شيكسبير توجد هذه الطغراء ...

EVI
ER
ET

فالأولى تعنى الحرف الأول من إدوارد ، والحرفان بجانبها IV يعنيان السادس

والثانية تعنى إدوارد ركس

والثالثة تعنى إدوارد تيودور

وهذه الطغراء نفسها وجدت بالذات فى بعض أعمال فرنسيس بيكون

٦ — القرد فى اللحية

ويلفت مورجان أنظارنا إلى صورة زيتية لفرنسيس بيكون ، وجدت فى كتابه المعروف

The Mirror ox State and Eloquence

فإذا قلبت هـذا الرسم وجعلت رأسه إلى أسفل ، وجدت فى لحية الرسم الغريبة شكلا لوجه قرد !

وتذكر سجلات التاريخ أن إدوارد السادس كان مغرماً بقرد يمتز به إلى درجة بعيدة ، وكان هذا القرد يجلس دائماً على كتف نديم هذا الملك ... كهذا الرسم :



٧ — نقش فى الخشب

ودليل آخر ...

فقد وجد كتاب اسمه Minerva Brittanica بقلم مؤلف مجهول باسم هنرى بتشام ، ويظهر فى هذا الكتاب رسم عليه نقش فى الخشب يحمل هاتين الكلمتين اللاتينيتين Mente Videbor ومعناها ساكون مرئياً فى المقول ، ولكن الغريب فى أمر هـذا النقش أن نقطة وضعت وضعاً شاذاً بين الكلمتين ، لأن هذه النقط لا توضع فى اللغات الإفرنجية إلا فى آخر الجمل ، ولكنها موضوعة بين الكلمتين ، فتجمل من آخر الكلمة الأولى ، وأول الكلمة الثانية هذه الحروف : TE. VI

وهـذه هى الحروف الأولى من إسم : تيودور إدوارد السادس ، كما فى هذا الرسم ، والكاتب يخفى نفسه خلف ستار !



(البقية فى عدد قادم) صبحى غنام

٢ - الألغاز في الأدب العربي

للأستاذ محمود عزت عرفة

ملاحن العرب

كلف العرب من قديم بهذا الضرب من التعبيرات الغامضة، وعرفوا قيمته. وكانت تسعدهم على ذلك فطنة ولقانة وسرعة بديهة طبعوا عليها؛ حتى لتؤثر عنهم في هذا الصدد أقاصيص معجبة لا تخلو في نظر المدقق من المبالغة والتهويل - وإن بقى لها كامل دلالتها على تأصل هذا الفن فيهم - كالذي روى عن العنبري الذي أسر في بكر بن وائل، فسألهم يوماً رسولاً يبعث به إلى قومه فقالوا: لا ترسل إلا بحضرتنا... والقصة مشهورة جاء فيها قول الرجل للرسول: «قل لهم - يعني قومه - إن العرفج قد أدبى، وقد شكت النساء، وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها، وأن يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معهم حيساً، واسألوا الحارث عن خبري...» وسأل قومه الحارث بعد أن أعياهم فهم كلامه، فأوقفهم على مرامي رسالته، وأنذرهم قرب وقوع أعدائهم عليهم وغزوهم لديارهم، فاتخذوا للأمر أهبته...

ومثل هذه القصة في الأدب الجاهلي كثير. ولقد فتن الرواة بترديد هذا النوع من الملاحن وجمعه والتزيد فيه، وتجدد بظهور الإسلام الغرض الديني - الذي أشرنا إليه - من المعارضة عند التقية، وتجنب الكذب الصراح بإضمار غير الظاهر من القول. واقتحم الأدباء واللغويون باب التصنيف والجمع في ذلك. ومن أشهر ما انتهى إلينا فيه (كتاب الملاحن)، وهو مؤلف لطيف لابن دريد (أبي بكر محمد بن الحسن البصري الأزدي، المتوفى عام ٣٢١ هـ) وقد طبع حديثاً في مصر

ويعلن ابن دريد الغرض من تأليف الكتاب في مقدمته فيقول: هذا كتاب ألفناه ليفزع إليه المجبر المضطهد على اليمين، المكره عليها، فيعارض بما رسمناه، ويضمر خلاف ما يظهر، ليسلم من عادية الظالم ويتخلص من جنف الغاشم؛ وسميناه (الملاحن)، واشتققنا له هذا الاسم من اللغة العربية الفصيحة التي لا يشوبها الكدر ولا يستولى عليها الكلف... الخ

وقد سجل لنا ابن دريد جمهرة من ألفاظ اللغة التي تصلح للتعمية والمعارضة في الكلام. منها أن تقول: والله ما سألت فلاناً في (حاجة) قط والحاجة ضرب من الشجر له شوك، وما (رأيته) أي ما ضربت رئته ولا (كلمته) أي جرحته... وتقول ما أنا بصاحب (بكر) وهو ضرب من النبت، ولا أخذت لفلان «فروة» وهي جلدة الرأس، ولا كشفت لفلانة «قناعاً» ولا عرفت لها «وجهاً» فالقناع الطبق والوجه القصد... وتقول «مالعبتُ» أي ما سال لعابي وما «جلست» من قولهم جلَس فلان إذا دخل الجلْسَ وهو نجد وما والاه، وما عرفتُ لفلانة «بعلا» وهو النخل يشرب ماء السماء، ولا «زوجاً» وهو النمط يطرح على الهودج... الخ

فتيا فقيه العرب

من ضروب الألغاز ما وضعه الرواة قديماً تحت عنوان «فتيا فقيه العرب» بقصد المحاجاة والمعاياة. وقد نقل السيوطي عن التبريزي في تهذيبه أن فقيه العرب هو الحارث بن كلدة. لكنِ المشهورُ من لقب الحارث أنه حكيم العرب أو طبيبها، ولم يشتهر بين القوم باسم الفقيه. على أن السيوطي يوضح هذه الشبهة فيقول: أطلق على طبيب العرب فقيهُ العرب لاشتراكهما في الوصف بالفهم والمعرفة...

والحارث بن كلدة ثقفي من الطائف حذق الطب في بلاد فارس ونال هنالك الشهرة البالغة، ثم رجع إلى الحجاز. وكانت وفاته في أوائل عهد الرسول عليه الصلوات ولم يثبت إسلامه، وإن كان من الثابت أن النبي استشاره غير مرة، وكان يأمر أصحابه باستشارته. ولم يجزم أحد بنسبة هذه الفتاوى إلى الحارث، وإنما يبدو أن شهرته، وما أثر عنه من الفطنة وجودة الطبع هو ما جر إلى إدراج اسمه في هذا المقام. ثم أصبح فقيه العرب فيما بعد شخصاً خيالياً تسند إليه كل فتوى دقيقة أو جواب لغز بارع. يقول السيوطي في وصف ما تطورت إليه التسمية: ليس مراد ابن خالويه والحريري بفقيه العرب شخصاً معيناً؛ إنما هم يذكرون ألغازاً وملحاً ينسبونها إليه، وهو مجهول لا يعرف ونكرة لا تتعرف...

ومن الجلي أن هذا النوع من الإلغاز مقصود به التعجيز وإظهار البراعة في عمق التفكير ودقة العبارة. وأ كثر من فُتن به الفقهاء في مجالسهم وحلقات دروسهم وتناظرهم... فمن

ذلك قولهم إن فقيه العرب أفتى بجواز السجود على الخد إن كان ظاهراً « والخد هنا بمعنى الطريق » . وسئل فقيه العرب عن الوضوء من الإناء المموج فقال : « إن أصاب الماء تمويجه لم يجز ، وإلا جاز » والمراد بالمموج المضبَّب بالعاج

ولأبى محمد الحريرى طرائف معجبة من الألغاز والأحاجي ، ومقامته الثانية والثلاثون – وتسمى الطيبية أو الحربية – تدور جميعها حول فتاوى فقهية ملغزة ينسبها إلى فقيه العرب ، وفقيه العرب عنده هو بطل مقاماته المشهور – وشيخ المكدين – أبو زيد السروجي ... وضع على لسانه جواب مائة مسألة ملغزة ألقيت إليه فى علم الفقه ، ما بين طهارة وصلاة وصيام وحج ، ومعاملات مختلفة من بيع وشراء وقضاء وأحكام وزواج وطلاق ... والمقامة مشهورة يتيسر للقارئ أن يراجعها فى مصدرها

وهنالك مقامات ثمانٍ أُخر تدور جميعها حول الألغاز والكنايات وما يجرى مجراها ، وهى بحسب ترتيب موضعها وأرقامها من الكتاب : الثامنة المعربة ، ١٥ : الفرضية ، ١٩ : النصيبية ، ٢٤ : القطيعية أو النحوية ، ٣٥ : الشيرازية ، ٣٦ : الملطية ، ٤٢ : النجرانية ، ٤٤ : الشتوية أو اللغزية

وقد سبق الحريرى أستاذه بديع الزمان بمقاماته الثلاث فى فن الألغاز وهى : الصفرية التى وصف فيها الدينار إلغازاً ، ثم العراقية والشعرية فى الإلغاز عن أبيات من الشعر

ضروب أخرى من اللغز :

إذا تركنا الملاحن والمعاريض وفتيا الفقيه جانباً ، ثم نظرنا إلى اللغز من وجهة طرائق الإغراب فيه ، وجدناه ضروباً ... قال ابن الأثير : منه المصحَّف ومنه المعكوس ، ومنه ما ينقل إلى لغة من اللغات غير العربية . وضرب مثلاً[١] للأخير بقول القائل : اسمى إذا صحفته بالفارسية « آخر » . فهذا شخص اسمه تركي وهو دنكر – بالدال والنون – و « آخر » بالفارسية « ديكر » بالياء ، فإذا صُحفت هذه الكلمة بجعل يائها نوناً صارت « دنكر » وهو الاسم المطلوب

وقد وجدت قريباً من ذلك فى كتاب الله ما قصه عن بنى إسرائيل فى قوله تعالى : « وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا ، وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ، نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم ، فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون »

فقد أمروا بأن يقولوا حطة – أو ما فى معناها – من كلمات التوبة والاستغفار ؛ والمعنى حط عنا ذنوبنا حطة . فأبدلوها ظالمين مستهزئين وقالوا « حنطة » وقيل قالوا بالنبطية (حطا سمقاثا) أى حنطة حمراء ، وهذا ضرب من التعمية والإلغاز حملهم على التشدق به حمقهم واستهزؤهم ، وما فتئوا يرددونه حتى فضح الله مكرهم . ونرى تسجيلاً آخر للقصة نفسها فى آيتى الأعراف : وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية . إلى قوله تعالى : بما كانوا يظلمون

وفى سورة البقرة : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا أنظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم »

قال الزمخشرى : كان المسلمون يقولون لرسول الله (ص) إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم : راعنا يا رسول الله ، أى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه . وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهى (راعينا) فلما سمعوا بقول المؤمنين (راعنا) افترصوه وخاطبوا به الرسول (ص) وهم يعنون به تلك المسبة فنُهى المؤمنون عنها وأمروا بما فى معناها وهو (انظرنا)[١] فذلك تعريض آخر لحدثنى اليهود من معاصرى الرسول ، يسجله الله عليهم ويكشف سترهم فيه

ويبدو أن ولوع القوم بهذه التعمية والألغاز كان لا ينتهى عند غاية ؛ فقد روى[٢] عن عائشة رضى الله عنها أن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليك[٣] فقال النبى : عليكم ! قالت عائشة رضى الله عنها : فقلت : بل عليكم السام واللعنة ! فقال عليه السلام : يا عائشة إن الله يحب الرفق فى كل شىء . قالت عائشة : ألم تسمع ما قالوا ؟ قال فقد قلت عليكم !

(يتبع) **محمود عزت عرفة**

(١) ستورد أمثلة مختلفة للمصحف والمعكوس فى تضاعيف الكلام .

(١) يذكرنا هذا بقول ابن رشيق : « إن بعض الوزراء ، وقيل بل هو المأمون ، غير (المسلحة) واستهجنها لما فيها فقال قولوا : « المصلحة » ، وليس ذلك لعلة إلا موافقة كلام السفلة » العمدة ج : ١ ص : ١٨٣

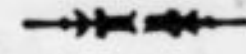
(٢) إحياء علوم الدين للغزالى ج ٢ : « آداب الألفة والأخوة والصحبة »

(٣) من معانى السام : الموت — الألفاظ الكتابية للهمذانى

كتاب الوعى القـــومى

تأليف الدكتور قسطنطين زريق

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن



البلاد العربية الآن فى سبيلها إلى التنبه والوعى الذى يسبق النهضات ويدلها على المهيع الواضح ، ويأخذ بيدها إلى الطريق الواجب أن يسلك . فإن المسالك متشعبة دائماً فى إبان هذه الأوقات ، ولا بد من أدلاء ماهرين من رجال الفكر الناضج والثقافة الصحيحة يقفون بجانب رجال السياسة والحكم فى البلاد العربية الصاحية من سباتها الطويل ليوجهوا البلاد وجهة صحيحة خشية أن تطغى عليها تيارات مختلفة فتصرفها عن سواء القصد واعتدال الجادة

هؤلاء الأحرار « الوعاة » من رجال الفكر هم الذين نحتاج إليهم اليوم فيما نحن بسبيله من يقظة قومية . وإذا كان عددهم قليلاً لا يتناسب مع خطورة القضية التى تواجهها البلاد العربية ، فقد ظهرت من قلائلهم « آثار واعية » تبشر بأن الوطن العربى بدأت فيه طلائع التفكير المنظم والدرس المتسق ، وتبشر كذلك بأن ضآلة العدد ليست بمانعة من جودة النوع . وتبشر كذلك بأن البلاد العربية ظهر فيها قوم لا يؤمنون بقيمة الأمشاج المختلطة من الأدب والشعر إيمانهم بالقيم العالية للعلم الصحيح الذى يعبر عنه الغربيون بكلمة Science لا العلم الذى كان يجعل من الفقيه عالماً ومن النحوى عالماً ومن العروضى عالماً

ولقد ظهر فى المكتبة العربية ثلاثة كتب قيمة تتصل بموضوع الثقافة والتربية القومية وما إليها : الأول كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » للدكتور طه حسين . والثانى كتاب « آراء وأحاديث فى التربية والتعليم » للأستاذ ساطع الحصرى مستشار المعارف فى الجارة العربية الشقيقة سورية ، والثالث كتاب « الوعى القوى » للدكتور قسطنطين زريق أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية ببيروت

أما الكتاب الأول فوضعى يختص بموضوع الثقافة فى مصر ، وقد لقى فى حينه ما يستحقه من النقد ومكّن الله لمؤلفه من الأمر ما يعينه على تحقيق براجه الطويلة

أما الكتاب الثانى فيتناول مسائل فى التربية والتعليم والقومية ، وكان من حظى أن أقدمه لقراء « الرسالة » من عهد قريب . أما الكتاب الثالث ـ الوعى القومي ـ فكان من حظه أن يقدمه إلي قراء الرسالة تقديماً موجزاً بليغاً أستاذنا وصديقنا توحيد بك السلحدار الذى كان له الفضل فى إذاعة بعض نسخ منه بين أصدقائه الذين يحبهم ويحبونه ويحب أن يناقشهم كثيراً فى مسائل تتعلق باليقظة القومية والنهضة الحقيقية لبلادنا

وليست « الرسالة » بباخلة على مثل هذا الكتاب أن يطول الكلام فيه ، فإننا نعرف من أهداف صاحبها النبيلة ؛ واضطلاعه بحمل رسالة الفكر الصحيح فى الوطن العربى ما يطمعنا فى إطالة الكلام ، فإن قيمة مثل هذا الكتاب « التوجيهى » لا تعرف ما دام مطموراً فى رفوف المكاتب ، أو منـحّى فى زوايا الخزائن ؛ وإنمـا تظهر قيمته ويعرف قدره متى ما نبّه إليه منبّه أو ذكّر به مُذكر . والذكرى تنفع المؤمنين

* * *

يشترط الدكتور زريق لاستكمال النهضة القومية العربية ثلاث خطى رئيسية : الأولى : بناء الأساس الفكرى الذى تقوم عليه النهضة بدراسة الغايات والوسائل دراسة بعيدة عن الارتجال

والثانية : تحويل هذه الدراسة المنظمة إلى عقيدة قومية تتجه بالأفراد إلى الأهداف الصحيحة

والثالثة : تنظيم ، الأمة العربية وضبط نوازعها وإخضاع إرادتها لإرادة وحيدة منبعثة من عقيدة واحدة ، وتعنى هذه الخطوة العمل المنظم الصادر عن فكر منظم يدرّب عليه الرجال والنساء على السواء

والدكتور زريق حين يدعونا إلى البحث فى غايات نهضتنا لا يحرم علينا دراسة نهضات الأمم الأخرى ودرس غاياتها ؛ فإن مثل هذه الدراسات تكون كالقبس على شرط أن نكيفها لحياتنا الخاصة

والعربى الواعى قومياً هو الذى يعرف من أى المنابع يفيض هذا الوعى ، وإلى أى الأهداف يتجه . أما التشدق بألفاظ اللغة والجنس وجلال التاريخ القديم من غير فهم حقيقى لمعانيها فذلك نوع من الشعور الذى لم يرتفع إلى قمة الفكر ؛ ولم يكتسب مع الفكر نعمة الحياة

والعربى الواعى يحس إحساس فهم وإدراك بعوامل الضعف فى الشخصية العربية الحاضرة ويواجه مشكلاتها مواجهة واقعية صريحة لا عوج فيها ولا التواء

ولما كان الغرب بوصفه الحاضر عاملاً فعالاً مع شخصيتنا العربية الحاضرة ، ولا مناص لنا من تفاعل هذين العاملين ، فقد وجب علينا أن نفهم الغرب حق فهمه وندرك كنهه حتى نحسن مواجهته ونأخذ له أهبته ويكون اتصالنا به على ضوء وبصر وعلم لا عن صُدف طارئة . ومن الخطر أن تأخذ البلاد العربية روعة وتعروها هزة بمظاهر الغرب الخلابة حتى ولو كان ذلك فى سرعة السيارات وعجيب صنع الأدوات ... فإن وراء ذلك نظاماً اقتصادياً لا شك سيبقى فى جوهره النظام السائد فى المستقبل . والدكتور زريق يدعونا إلى إدراك هذا النظام الذى يمتاز بالتنظيم الدقيق الذى يؤلف بين أجزائه ، وأخذنا من محاسنه وتجنبنا عيوبه التى كانت تحت اختبار الغربيين

والحق أن الدكتور زريق متأثر بهذا « التنظيم » حتى فى طريقة تأليفه ... فكتابه – كما يقول أحد المعجبين به – لا يعدو أن يكون مسائل متفرقة يعرفها الرجل الواعى منا ، وتخطر على باله حين يغشى مجتمعاً أو يركب سيارة أو يقرأ كتاباً أو يشاهد أحوالاً ... ولكن الدكتور زريق جمع هذه المسائل « ونظمها » تنظيماً جعل منها وحدة متماسكة الأطراف ، وأخرج منها كتاباً لا تحس فيه تفككاً أو تصيداً لفكرة أو اجتلاباً لمعنى ولكنك تراه مترابطاً محكماً متسلسلاً

وليس مثل هذا التنظيم فى الدرس سهل المأتاة على كل من حاوله . فكثيرون منا تضطرب الأفكار فى خواطرهم وتزدحم على نفوسهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يؤلفوا بينها ويصنفوها فى كتاب يُفضى كل سطر منه إلى تاليه ، ويؤدى كل فصل منه إلى تابعه ، كما فى كتاب « الوعى القومى »

ولم يجعل المؤلف مهمة الإيقاظ للوعى القومى حبساً على رجال السياسة وأصحاب الحكم . بل كل فرد من أفراد الأمة يستطيع أن يساهم فى الإيقاظ مهما كان عمله ، ومهما كان مركزه ، وذلك جميل من المؤلف ، فإذا كان الأفراد جميعاً يحملون ألم سوء الأحوال ، ويشتركون فى احتمال المصائب مهما كانت نتائجها فلم لا ينالون شرف المشاركة فى التنبيه على مايعود عليهم بأحسن الفوائد وأجزل العوائد ؟

فاشتراك أفراد الأمة فى الإيقاظ جائز بل واجب على شرط أن تنعدم الأثرة كما يردد الأستاذ ساطع الحصرى ، وينعدم التمرد والعصيان على رأى البروفسور كامبانياك

وللدكتور زريق على أستاذيته الجليلة فى جامعة بيروت هو معلم من الطراز الأول ؛ فهو لا يحاول فى كتابه أن يكون مبدع ألفاظ أو منشئ عبارات أو مخاطب عواطف ... ولكنه رجل اختمرت عنده فكرة نبيلة فقام يدعو إليها فى عبارة تتفق مع جلال فكرته . فلا ترى عنده مبالغة أو سرفاً فى القول أو حشداً للألفاظ ، ولكنه مع ذلك قد عرض الفكرة عرضاً بليغاً ، لا يتزيد فى لفظة ولا يهوّل فى عبارة ولكنه يلقى الكلام على ضوء من صدق الأحكام . وبعد النظر واتساع الثقافة وإدراك لحقائق التاريخ مع وزن لقيم الألفاظ التى يستعملها وقدْرٍ حقيقى لها

إلا أن أغلاطاً قليلة وقعت فى الكتاب نرجو من الكاتب الفاضل أن يتدارك أمثالها فى المرجو المنتظر من تأليفه . ومن هذه الأخطاء : ص ١١ « يبقى الأستاذ شيبوب وأمثاله محقون » والصواب محقين ، والواو التى بعد النفى والاستثناء فى قوله «وما من أحد يلمس الحياة العربية الحاضرة ألا ويشعر» لا لزوم لها والفصيح تركها ؛ وقد كرر هذا الخطأ فى ص ٤٨ وص ٧٩ ، والفعل عاقه يتعدى بغير همزة فلا يقال أعاقه ويعيقه ص ٤٩

والآية التى أوردها المؤلف فى آخر مقدمة الطبعة الثانية ص ١٦ محرفة وصحتها : « فإن الذكرى تنفع المؤمنين » والمؤلف لم يشر إلى أنها آية ، إلا أن وضعها على تلك الصورة قاطع على أنها اقتباس من القرآن الكريم

وعلى الأستاذ سلام الله ورحمته .

محمد عبد الغنى حسن

أذان الفجر

للدكتور عزيز فهمي

الله أكبرُ هذا الذكرُ توحيدُ ... الله أكبرُ هذا اللحنُ تجويدُ
ترنم الكونُ في رفق وفي دَعة ... وسبح الطير والتسبيح تغريد
وأرهفَ الليلُ أذْناً جِيدٌ صاغية ... والبدر معتكف والأفقُ مخضودُ[1]
وكاد يُطرق ما في الكون من حجَرٍ ... فللجماد كما للحيِّ تمجيدُ
بلالُ[2] أذَّنَ في أعلى منارِه ... وردَّد الذكرَ والمزمارَ داودُ
لله صوتٌ سرى والليل منهزمٌ ... كما تراجع بعد العزم رعديدُ
تطير كالعِهن[3] أشتاتاً غياهبه ... كما تناثر بركانٌ وجلمودُ
ويزحف الصبحُ في أعقاب جحفله ... فينجلي ولواء النور معقودُ
لله صوتٌ سرى وهْناً[4] على وهَن[5] ... حتى تجاوبَ بعد الكبْتِ محدود
بينا يُجلْجِل في الآفاق منطلقاً ... يردّه الذكر فالممدود مشدودُ
الله أكبر يا نوَّامُ فانتبهوا ... جَدَّ المعاد ولم تُنجز مواعيد
إن تُنجزوه فتكفير ومغفرةٌ ... أو تُنسئوه فكفران وتجديد
هذا المؤذن يسري صوته نغماً ... لحن رهيب له في الصدر ترديد
يُطهر النفس من أدران عالمها ... فالنفس صاعدة واللحن تصعيد
كأن تعويذةً في الجو عابرةً ... تمسُّها فإذا بالإثم مردود

(١) عاجز عن النهوض (٢) بلال بن رباح مؤذن الرسول
(٣) كالصوف
(٤) الوهن كالموهن قال الأصمعي هو حين يدبر الليل
(٥) سرى ضعيفاً متئداً

لحنُ حبيب يجوب الكون مُختَرقاً ... مع الأثير حدوداً دونها البيدُ
لحن شجيٌّ يجوب الليل هاتفه ... وأين منه إذا أسرى الأغاريد
وأين منه لحون الطير ذكَّرَها ... وكر الحبيب بأن الإلف مفقود
وأين منه الشاني في تلهفها ... تبوح بالشوق أو يُفضي به العودُ
الله أكبر ! مات الليل وانبلجت ... أشعة الصبح ... هذا الفجر مولود !

على قبر أخي

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

آه يا قبر ، هنا كم طاف روحي ... هائماً حولك كالطير الذبيحِ
أوَ ما أبصرته دامي الجروح ... يتنزى فرط تبريح ويأسِ
مرهقاً مما يعنيه الحنينْ

وهنا يا قبرهُ أشواقُ نفسي ... يا لأشواقٍ على تربك حُبِّس
وهنا قبلة أحلامي وهجسي ... قرَّبتني الدارُ أو طال نزوحي
خيالي بك رهن كل حينْ

إن نأى بي البعد ردتني إليكْ ... لاعجات ماتني ، وجداً عليكْ
لستَ تدري أيُّ دنيا في يديكْ ... من جنان وبشاشات وأنسِ
يا لقلبي ، أصبحت في الهامدينْ

آه يا قبرُ له إشعاعُ نورِ ... لا أرى أجمل منه في القبورِ
فيك أحبابي ، وفي قلبي الكسيرِ ... مأتمٌ ما انفك مذ باتوا لديكْ
قائماً يأخذ منه بالوتينْ

وإذا يُنزف دمعُ المقلِ ... يجهشُ القلبُ أسىً ، ما يأتلي
نادباً عندك أشهى أمل ... باكياً فيك نصيري وظهيري
ساكباً من ذوبه غيرَ ضنينْ

أوحش السامرُ من ذاك السميرِ ... غيرَ أصداء فؤادٍ وشعورِ
نغمٌ أفعم أمواج الأثير ... بالأماني والهوى والغزلِ
وترامى بين أحضان السنين



أغنية « الرياح الأربع »

أهدى الأستاذ الشاعر « على محمود طه » مسرحيته الفاتنة « أغنية الرياح الأربع » إلى صديقه الشاعر « محمد عبد الغنى حسن » فحياه بهذه الأبيات :

ما زلتَ تُطرب فى البيان وتُبدعُ
وتَصبُّ لحنكَ فى القلوب وتُترعُ
لك كلَّ يوم آيةٌ شعريةٌ ... لله ما هذا الخيال الطيِّع ؟ !
وَتَظَلُّ تَرتاد الغيوبَ محلِّقاً ... وتجوب آفاق المحيط وتذرع
الناس فى سجن الجمود وقيْده
حبُسٌ وأنتَ لك الفضاء الأوسعُ
صور تُجلّيها بريشة ماهر ... ينقاد فى يده البيان ويخضع
تلك المعانى النافرات ذلولةٌ ... بيديْكَ لا تأبى ولا تتمنع
وتكاد تُبرز كلَّ خافية الهوى ... فكأنها شيءٌ يُحَسُّ ويسمع

يا أيها الملاح مالك تائهاً ... لا يستقر على شراعك موضع ؟
والبحر مضطرب الأواذى هائج ... والريح عاصفة المهبة زعزع
فى كل ثغر مشهد لك رائع ... وبكل ميناء حديثٌ أروعُ
تلك الروايات الفصاحُ جليلةٌ
وأجلُّها عندى « الرياح الأربع »

شعر ناجى

حينما أصدر الدكتور ناجى ديوان شعره « وراء الغمام » كتب الأساتذة الأعلام العقاد وطه والمازنى ، وكتب غيرهم من أدباء الشباب الشيء الكثير فى شعر ناجى . وقد اتفقت آنذاك أو كادت تتفق أقوال الشيوخ والشباب فى طبيعة ذلك الشعر . والذى يخيل إلى الآن – وقد أتم الأستاذ دربنى خشبة دراسته فى شعر ناجى أنه لم يطلع على ما قيل فى هذا الشعر . فماد ما قال أولئك الأعلام والنقاد فى شعر ناجى يناقض ما قاله فيه الأستاذ دربنى خشبة مناقضة صريحة

أما المآخذ الشعرية فقد ذكر بعضها الأستاذ حافظ جلال والمرحوم ممابة نور وسواهما فقد أعادوا أكثر عيون شعر ناجى إلى الأستاذين العقاد ومطران وبعضها إلى شعراء المهجر نعيمه ومعلوف . واللطيف فى هاتيك المآخذ ، أنها هى بعينها التى اقتبسها الأستاذ الناقد دربنى خشبة للتدليل على سمو شعر ناجى !

حبيب الزحلاوى

القرآن فى كتاب النثر الفنى

الأستاذ الغمراوى يرى فيما يرى أن الدكتور زكى مبارك يذهب إلى أن القرآن الكريم من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، ولقد صرح الدكتور بما ينفى هذا الزعم فى كتابه « الموازنة بين الشعراء » ص ٢٣٦ إذ روى بيتى البوصيرى

زهرة عطرت الدنيا بنشْرِ ... ثم مالتْ بين أحلام وشعرِ
وذوت عن عمُرٍ للزهر نضر ... هكذا تنفدُ أعمارُ الزهورِ
والشذى باقٍ بروح العابرينْ

كلما أشرق فى الليل القمرْ ... مُترِعاً بالنور أعصابَ الزهَرْ
أظلمت نفسى وهاجتنى الذِّكر ... كيف غيبتُكِ فى ظلمة قبْرِ
كيف أسلمتك للترب المهينْ

وإذا ران على الدنيا هجودُ ... وغفا فيها شقىٌّ وسعيدُ
لم يزل يهتف بى صوتٌ بعيدُ ... من وراء الغيْب وانى وظهرِ
ومضى يهمسُ همسَ العاتبينْ

عتبه أخذى بأسباب البقاء ... أتملىْ من وجودٍ وضياءْ
وعديل الروح فى وادى الفناء ... السَّنى ضنَّ عليه والوجودُ
فهو بالحرمان لم يبرح رهينْ

أيها الهاتف من خلف الغيوبِ ... ما ترى نبع حياتى فى نضوب
لم أزل أضرب فى عيش جديب ... موحش كالقفر موصول الشقاء
منذ أمسى نجمه فى الآفلين

أين إبراهيم منى أين أينْ ... حبة القلب ونور الناظرين
أنا من عيش وموت بينَ بينْ ... فمملّ الحَيْنَ موف عن قريب
يمسح الجرح وآلام الحنين

ما حوربت قط إلا عاد من حرب
أعـدى الأعادى إليها مُلقى السلم

ردت بلاغتها دعوى معارضها ... رد الغيور يد الجانى عن الحرم

ثم يعقب قائلاً : « كلمة صدق ؛ ويكفى أن تقرأ القرآن بجيدة ونزاهة لتلمس هـذه الحقيقة ؛ فالقرآن كتاب خطر رهيب يحمل عدوه على الإيمان به والخشوع لديه ، ولو صحت ـ لاصحت ـ أراجيف الملحدين من أن القرآن من إنشاء محمد بن عبد الله لكان محمـد أعظم رجل شهد هـذا الوجود « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صـدور الذين أوتوا العـلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون »] طبعة ثانية سنة ١٩٣٦ م ، وأنا أرى أن قول الدكتور ولو صحت إرخاء العنان للخصم . وأقول للدكتور أيضاً إن محمداً أعظم رجل شهد الوجود ، لأن صاحب العزة والجبروت عَـلِمه أهلاً ـ والله أعلم حيث يجعل رسالته ـ لأن يحمل عبء تلك الرسالة العظيمة ، ولأن ينزل عليه ذلك الكتاب العظيم ، فمن البدائه أن الدكتور لا يرضى لرأيه أن يكون من أراجيف الملحدين !

هـذا ومن بعض الإلزامات التى ألزم بها الأستاذ الغمراوى الدكتور مبارك قوله فى الرسالة (٥٦٥) « إذا كان ـ يعنى القرآن ـ من عند الله فكيف يمـكن أن يثبت للعرب ذاتية كالذى أراد وليس فيه لعربى منهم حرف » ، ويمـكننا أن نرد هذا الإلزام قائلين : إن القرآن الكريم ـ وهو من عند الله يدل على أن العرب لهم ذاتية أدبية باعتبارهم مخاطبين به وهو أجدر من يراعى مقتضى الحال

ابراهيم السيد عجلان

إلى الأستاذ الكبير (ا ٠ ع)

تصدّيت -- مشكوراً -- للأخذ بيد شباب الشعراء إلى النهج السوىّ ، فشكرنا لك صنيعك وحمدنا لك كريم نهضتك ، وانتظرنا منك -- وأنت الأستاذ والوالد -- أن توضح لهم معالم الطريق فى رفق وأناة ، شأن المربى القادر يُغضى عن العيب ، ويدل على الصواب

ولـكننا يا أستاذ رأيناك -- وقد كتبت إلى اليوم سبع كلمات -- تحمل عليهم حملة التأديب والزجْـر والتشهير دون توجيه صالح ، أو رغبة صادقة مخلصة فى تقويمهم وإصلاحهم وهدايتهم

أين يا سيدى الأمثلة والنماذج تشرحها لهم وتقفهم على مواضع الحسن والقبح فيها ؟

أين الشرح والتعليم الذى يفعله الأساتذة مع تلاميذهم الذين يريدون بهم خيراً ؟

ألا ترى يا سيدى الأستاذ الجليل أن كلماتك هذه ربما كان من نتائجها تثبيط بعض العزائم التى نريدها على أن تنشط ، وإماتة بعض الهمم التى نريدها على أن تحيا وتعيش وتنمو ؟

إن شعراء الشباب هم الرجاء المرموق ، والأمل المرجّى ، وإن لهم لجهداً مشكوراً ، وآثاراً حميدة ، وإن « الرسالة » الـكريمة هى مؤازرتهم ومناصرتهم ومعينتهم ، وهى سلمهم إلى المجد الذى يبغون ونبنى لهم ويحبون ونحب لهم

فإما أن تكون -- يا سيدى الأستاذ -- هادياً ومرشداً ومُوجِّهاً لهم وإما أن تدعهم يشقون طريقهم إلى المجد أو يهلـكوا دونه . والسلام

(المنصورة) ... على متولى صلاح

إلى الدكتور زكى مبارك

إن مما أحزن كل معنى بالأدب هـذه الخصومة التى قامت بين الزيات ومبارك وهذه القطيعة التى وقعت بين المبارك والرسالة

وإننى كواحد يعني بالأدب ويعجب بالزيات والمبارك ويحب الرسالة من حقى أن أحزن وأتألم وأتأذى لما حصل ، ومن حقى أن أنتصر لصاحب الحق فى هذا الخلاف

إن السبب الذى إليه يعزو الدكتور مبارك هـذه الخصومة هو أن الرسالة نشرت لأحد خصومه كلاماً آذاه وآلمه وأغاظه

ولا إخال أحداً ممن يعرفون الأستاذ الزيات على حقيقته — لا كما عرفه الدكتور مبارك أخيراً — يجارى الدكتور فى اعتقاده ويقره على رأيه ؛ لأن الزيات كما نعرفه ويعرفه غيرنا وكما عرفنا به الدكتور مبارك نفسه فى أكثر من مناسبة أديب رضى الخلق كريم النفس سليم القلب نبيل القصد لا يخاصم إلا الباطل ولا يناجز إلا الضلال ولا يناصر إلا الحق . يعتز بأصدقائه ويعتز أصدقاؤه به ولا يختلف مع أحد منهم إلا على حق

ولعل الدكتور مبارك يذكر قوله فى الأستاذ الزيات فى حديث له مع الأستاذ طه الراوى نشر فى الرسالة بعددها ٥٣٠ الصادر بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٩٤٣ وهو « أن الزيات صديق مضمون » ولما سئل عن معنى مضمون أجاب « أن لها معنى ومعانى ، فالصديق المضمون هو الصديق الذى لا يخشى تغيره بأى حال »

وكيف يكون الصديق « المفطور على العقوق » والذى لا ينفع معه عتاب » « والذى حرم نعمة الفهم لمعنى الصديق » صديقاً مضموناً ؟ وهل حقاً أن الزيات مفطور على العقوق يا دكتور ؟

إن كان تلفيقاً ما نشر فى الرسالة من كلام أغضبك فأدحضه بما يتوفر لديك من براهين ؛ أما أن تسكت عمن آذاك وآلمك وتنحي باللائمة على الأستاذ الزيات وحده فهذا ظلم ؛ لأن الزيات بنشره ما نشر إنما يؤدى واجبه كواحد لا يحابى ولا يمالىء أحداً

والرسالة كما يعرفها كتابها وقراؤها وأنت منهم يا سيدى الدكتور ميدان تتصاول فيه الأفكار وتتبارى فيه القرائح وتتسابق فيه الأقلام فمن حقها أن تؤدى رسالتها الأدبية وفق الخطة التى وضعتها لنفسها

فكيف ترضى يا سيدى الدكتور أن تسلبها حريتها فى التصرف بهذا الحق وتحرمها حقها فى استعمال هذه الحرية فتطالبها بمراعاة صداقتك وهذا مما لا يتفق ومنهجها الذى تسير عليه

(بغداد) يحيى محمد على

تجول تلك السماء

جاء فى قصيدة الأستاذ سيد قطب المنشورة فى العدد الماضى

يا فجر من ذا رآك تجول تلك السماء

فاستعمل كلمة (تجُول) بمعنى تطوف متعدية بذاتها مع أن الفعل (جال) لم يرد فى كتب اللغة عامة متعدياً بنفسه بهذا المعنى فقد جاء فى المصباح والمنجد ما يأتى : « جال يجول فى البلاد طاف يطوف » « وجال جولاً وجَولةً وجولاناً فى المكان » طاف به ودار وجاء أيضاً : « جال بمعنى اختار » وهذا ليس المعنى المقصود فى البيت

فلو أن الأستاذ قطب استبدل بكلمة « تجول » « تجُوب » لما وقع فى هذا الخطأ

محمد عبد الفتاح ابراهيم

12 me Année No. 568

Lundi - 22 - 5 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٥٦٨ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٢ مايو سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهــرس

صفحة
٤٢١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٤٢٣ قيس ولبنى ... ... { تأليف الأستاذ عزيز أباظه بك / بقلم الأستاذ دريني خشبة ...
٤٢٥ لماذا لا تكون سعيداً ؟ : الأستاذ عبد العزيز جادو . .
٤٢٦ في دنيا الأحلام ... .. : الأستاذ توفيق حسن الشرتوني
٤٢٩ الألغاز في الأدب العربي ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٤٣١ القضايا الكبرى في الاسلام : قتل حجر بن عدي .. ... { الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
٤٣٤ من الشعر الجديد ... . . . : الأستاذ محمد محمد رضوان . .
٤٣٦ نقل الأديب .. .. : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٤٣٧ من خريف الربيع [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٤٣٨ الشعر الجديد ... . : الأستاذ الكبير (ا . ع)
٤٣٩ جائزة أدبية ... ... : الأستاذ حبيب الزحلاوي ...
٤٣٩ حول مزايا الخط العربي . . : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٤٤٠ شعر ناجي . ... : الأستاذ (د . خ) ... ...

١٨ ــ دفاع عن البلاغة

١٠ ــ التلاؤم في الأسلوب

أثبتنا بحجة العقل ودليل الوجدان أن التأنق في الأسلوب أصل في طباع الناس، وسر في كيان اللغة، وركن من أساس البلاغة؛ وأن الجمال اللفظي المطبوع مُنْية كل لسان ينطق، وبغية كل أذن تعي؛ فالناس خاصتهم وعامتهم يحبون أن يسمعوه، والكُتّاب قادتهم وسوقتهم يتمنون أن يستطيعوه. وإذا كان في حمَلة القلم من يقدح فيه وينفّر منه كان ذلك من باب الكذب على النفس مردُّه إلى أسباب يعرف بعضها ذلك الثعلب الفاضل الذي

رام عنقوداً فلمـا أبصر العنقودَ طالَه
قال: هذا حامضٌ لما رأى أن لا ينالَه!

فلندع ذلك الآن ولنسدد القول إلى الغرض المقصود من التلاؤم. فما التلاؤم في حقيقة معناه وطبيعة مداه؟ التلاؤم كلمة جامعة لكل وصف لا بد منه في اللفظ ليكون الكلام خفيفاً على اللسان، مقبولاً في الأذن، موافقاً لحركات النفس، مطابقاً لطبيعة الفكرة أو الصورة أو العاطفة التي يعبر عنها الكاتب أو الشاعر

فالتلاؤم من حيث القبول في الآذان والخفة على اللسان، يكون في الكلمة بائتلاف الحروف وتوافق الأصوات وحلاوة

الجرْس . ويكون فى الـكلام بتناسق النظم وتناسب الفِـقر وحسن الإيقاع . ومن هنا تنشأ السلاسة والعذوبة والطلاوة والرخامة ، وانسجام التراكيب ، ومتانة الحبك ، وكل صفة تنفى عن الـكلام التنافر والنبوّ والقلق والتعسف والتعقيد والهلهلة والركاكة والغثاثة والحوشية والجفوة . ومدار ذلك على الذوق الفنى السليم ، والأذن الموسيقية المرهفة . فبى هاتين الحاستين وضع البارئ المصور البديع — جلّ وعلا — سر الفن كله . وبهاتين الحاستين هذبت الدهور اللغة ، وصقلت العبارة ، وتنخلت الألفاظ والتراكيب ، فتخيرت منها للأساليب الرفيعة لغة خاصة يعبرون عنها فى تاريخ الأدب بالألفاظ الـكتابية والتراكيب الشعرية

وإلى هاتين الحاستين يُعزى التفاضل بين كاتب وكاتب ، والتفاوت بين شاعر وشاعر ، والتباين بين ناقد وناقد ؛ وإليهما كذلك يرجع تقديم كلمة على كلمة ، واختيار لفظة دون لفظة ، وقصور الـكلام عن مداه ، أو بلوغُـه إياه ، سواء أكان هذا البلوغ أو ذلك القصور من جهة تأثير الـكاتب أو الشاعر ، أم كان من جهة تأثر القارئ أو السامع

وعلى هاتين الحاستين يجري نظم الـكلام متسقاً كحبات العقد ، مؤتلفاً كنغمات اللحن ، منسجماً كسلاسل النهر ، مصقولاً كمتن السيف ، مونقاً كأفواف الوشى ؛ وتلك خصائص الطبع الموهوب لا حيلة فيها لمحتال ، ولا قدرة عليها لمقلد . وتفاوت الفضل كما قال ابن الأثير « يقع فى تركيب الألفاظ أكثر مما يقع فى مفرداتها ؛ لأن التركيب أعسر وأشق »

وتمييز اللفظ الحسن من اللفظ القبيح يحصل بأدنى كلفة ، لأن المرجع فى ذلك إلى الحاكم المطلق وهو السمع ، فما استخفه كان حسناً ، وما استثقله كان قبيحاً . « وحسن الألفاظ وقبحها ليس إضافياً إلى زيد دون عمرو ، وإلى عمرو دون زيد ، لأنه وصف ذوى لا يتغير بالإضافة »[1] فالقَراح والنُقاخ وصفان مترادفان للماء ولكن حسن الأول وقبح الثانى لا يختلف فيهما أحد

* * *

وأما التلاؤم من حيث موافقة الـكلام لحركات النفس ، ومطابقته لصور الذهن ، فيكون بتقطيعه فِقَراً وفواصل تقصر أو تطول تبعاً لحالات النفس والفـكر . فلـكل عاطفة درجتها من الإبطاء أو الإسراع ، ولـكل فكرة مداها من الضيق أو الاتساع ، ولـكل صورة طبيعتها من الظهور أو الضمور ، ومن القوة أو الضعف . قد تـكون أشعة الإلهام كومضات البرق تتعاقب على الذهن بسرعة ؛ وقد تـكون عواطف النفس فائرة تجيش بالألم أو تضطرم باللذة ؛ وحينئذ تـكون الفِقر القصيرة أنسب الصور للتعبير عنها ؛ كما ترى فى السور المـكية من كتاب الله ؛ فإنها لاشتمالها على أصول الدين تتصل بالعاطفة ، فجاء لذلك أسلوبها قصير الآى كثير السجع رائع التشبيه قوى المجاز . وقد تـكون المعانى رزينة بطبيعة موضوعها لتوخيها الإفادة أو الإقناع أو الشرح ، فتقتضى الأسلوب المرسل أو المفصل ، كما ترى فى السور المدنية من القرآن الـكريم ؛ فإنها لاشتمالها على أصول الأحكام تتجه إلى العقل ، فنزل أسلوبها هادئ البيان طويل الجمل مفصل الآيات واضح الغرض . أما إذا كانت الفكرة متشاجنة الأصول متشابكة الفروع فالأبلغ أن تفصَّل بالاستدارة .

والاستدارة (La période) صورة من صور التعبير فى اللغات العليا ، تحدث عنها أرسطاليس وترجمها مترجموه إلى العربية بهذا الاسم ، ولـكن البيانيين من علمائنا لم يحفلوا بهذا النوع ولم ينبهوا إليه فى أساليب العربية على كثرة وروده فى النثر والنظم ، حتى وقع عليه بعض المتأخرين فسموه (القول بالنظم) أو (حسن النسـق)[1] . والاستدارة جملة متوسطة الطول تشتمل على فاتحة وخاتمة ، وتتألف من فواصل ترتبط بإحكام ، وتتساوق فى انتظام ، وتحمل كل فاصلة من فواصل الفاتحة جزءاً من المعنى بحيث لا يتم المراد إلا بذكر الجملة الأخيرة وهى الخاتمة

مثالها من الشعر قول النابغة :

فما الفرات إذا هب الرياح له ... ترمي غواربُه العِبْرين بالزَّبد

يمده كل وادٍ مترعٍ لَجِبٍ ... فيه ركام من الينبوب والخضَد

يظل من خوفه الملاح معتصماً ... بالخيزرانة بعد الأين والنَّجد

يوماً بأجود منه سيبَ نافلةٍ ... ولا يحول عطاء اليوم دون غد

ومثالها من النثر قول الجاحظ : « فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ، وكان منزهاً عن الاختلال مصوناً عن التـكلف ، صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربة الكريمة » ، والاستدارة كثيرة الدوران فى طريقة ابن المقفع وطريقة الجاحظ

(للـكلام بقية) احمد حسن الزيات

(١) المثل السائر ٥٧

(١) قال ابن حجة فى خزانة الأدب : « حسن النسق ويسمى التنسيق نوع من محاسن الـكلام وهو أن يأتي المتكلم بالـكلمات من النثر أو الأبيات من الشعر متتاليات أو متلاحمات تلاحماً سليما مستحسناً ، وتـكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية إذا أفرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه »

٢ ـ قيس ولبنى

للشاعر المجدد الأستاذ عزيز أباظة بك

للأستاذ دريني خشبة

وضعنا بين أيدي القراء ـ وذلك في العدد السابق من الرسالة ـ خلاصة مضغوطة لقصة هذا الهوى اللافح ، والحب الرمض الممض ، الذي ملأ حياتيْ قيس ولبنى بمأساة من أروع مآسي الأدب العربي القديم ، أو الأدب العربي في صدر الإسلام ، وذلك وَفْقَ ما أثبت القصةَ أبو الفرج في أغانيه ، ثم أردفنا الخلاصة بموجز جاف لمسرحية الشاعر المجدد عزيز أباظة بك ، رجاء أن نشرك معنا القراء في استعراض القصتين ، والموازنة بينهما ، وإدراك ذلك الجهد الشاق الموفق الذي بذله الشاعر المصري البارع في استغلال قصة الأغاني والتصرف فيها ، دون تقيد برواية ، ودون تقديس للتاريخ ، فالأغراض الأدبية ، ولا سيما إن كان المسرح هو طريق إبرازها ، لا يلزم أن تتقيد بما ورد في سجلات الماضي ، حتى وإن كان ما ورد في تلك السجلات هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من أي نواحيه . . . ولا داعي لأن نضرب مثلاً بالطريقة التي تنوولت بها مأساة مثل مأساة كليوبطرة على أيدي شيكسبير وشوقي مثلا . . . وقد كان شيكسبير نفسه لا يحفل كثيراً بدقائق التاريخ وحقائقه ، بل كان يضحي كل شيء في سبيل الهدف الذي كان يضع من أجله دراماته ، مع أنه كان يغترف الحوار أحياناً من سجلات هذا التاريخ

١ — فلقد استغنى الأستاذ عن شخصيتي الحسن والحسين ، واكتفى بأن يكون ابن أبي عتيق رسول الحسين إلى الحباب أبي لبنى ، وللشاعر رأيه في هذا الاستغناء ... والكلام عن ذلك لا بد أن يكون كلاماً شائكا ، لأنه يتناول مسئلة إبراز الأشخاص الذين تحيطهم بهالات مقدسة على المسرح . . . وقد كان الشاعر لبقاً في وسيلة هذا الاستغناء ، إذ جعل سببه اشتغال الحسين بموضوع تلك البيعة التي فرضها معاوية على المسلمين لابنه يزيد ، ولم يجعل سببها إكبار الحسن أو الحسين عن المشاركة في هذه القضية الغرامية . . . التي كانا فيها رسولي رحمة وحنان وعطف بين قلبين ، وبين أسرتين كريمتين من أسر المدينة والبطون القريبة منها في مَترَف

٢ — واستغنى الشاعر أيضاً عن قصة بزوغ هذا الحب بين قيس ولبنى ، كما استغنى عن مرات اللقاء المختلسة الأولى ، التي تذكي الحب عادة وتؤكده ، والتي تصور ما كان يتجشمه المحبون في سبيل هذا اللقاء في البيئة العربية القديمة من أخطار وما كانوا يستهدفون له من هول وروع

٣ — واستغنى كذلك عن هذا المشهد المؤثر الذي توسل به ذريح للتأثير على قلب قيس الغَض كي يطلق لبنى . . . مشهد قيامه في الظهيرة عاري الرأس والشمس تصب لهبها على يافوخه ، ومجيء قيس ليظلل أباه حتى يفيء الفيء ...

٤ — ومنظر وداع لبنى في قصة أبي الفرج ! هذا المنظر الذي لا يكاد أن يضارعه مثيل في أدب أمة من الأمم ! اسمع إلى الأصفهاني حيث يقول : « فوقف ينظر إليها ويبكي حتى غابوا . فكر راجعاً ونظر إلى خف بعيرها ، فأكب عليه يقبله . ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدمها ! فلما جن الليل ، وانفرد ، وأوى إلى مضجعه لم يأخذه القرار ، وجعل يتململ فيه تململ السليم ، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها ، فجعل يتمرغ فيه ويبكي ... !! »

ولست أدري لماذا لم يسجل شاعرنا الكبير هذا المشهد الرائع في نهاية الفصل الثالث ؟ لعلنا نوفق إلى كشف السر في المقال الباكي الذي سوف يتلو هذا الفصل

٥ — ولم يشأ الشاعر لمسرحيته أن تنتهي إلى مأساة ، ولذلك لم يأخذ في ختامها بأقوال الجمهرة من الرواة الذين قرروا أن قيساً ولبنى لم يجتمعا بعد الطلاق ، وأنهما ماتا على هذا الفراق المر . والبعد الوبيل ، وأخذ بأقوال القلة التي لا يؤبه لها من الرواة الذين زعموا سعي ابن أبي عتيق والحسن والحسين ، أو ابن أبي عتيق وجاه الحسن والحسين لتطليق لبنى من كثير ، وردها على قيس . وهكذا آثر النهاية السعيدة التي تجبر ما انشعب من تلك القلوب الكسيرة وترد الأمنة إلى عيون المؤرقين ، على النهاية الباكية القاسية التي تفرق بينهم أبد الدهر . وللشاعر مطلق الحق في أن يتصرف هذا التصرف ، وسنترك تعليل اختياره هذا إلى الفصل الباكي الذي سوف يتلو هذا

الفصل كما ذكرنا من قبل، والذي سوف نطالع فيه القراء على الأهوال النفسية التي يضطرب بها فؤاد شاعرنا العزيز فتؤزه أزا... هذا الفؤاد الذي أصبح في ذاته ملحمة حزينة آسية، مشرقة بالدمع، من أروع ملاحم شعرنا الحديث... ملحمة تحترب فيها الذكريات وتتضرم بالآلام والأوجاع

ولو قد أراد الشاعر أن تكون مسرحيته مأساة، لأحببنا له أن يخلق من ضعف القصة الأصبهانية قوة، وأن يثور فيها على التاريخ وعلى الرواة ثورة كاملة شاملة... فقد أحب قيس لبنى، وبادلته لبنى هذا الحب الجارف الذي خالط قلبيهما وامتزج بدمائهما، وربط بينهما الرباط المقدس الذي لا يعقل أن ينفصم على هذا النحو الزرى المضحك، لأن ذريحا أراد له أن ينفصم، ولأن ذريحا وزوجه أصرا على أن ينفصم، بحجة أن قيساً قد آثر عليهما زوجه أولاً، ولأن لبنى أنثى عقيم ثانياً... فيظل قيس يخالف من أمرها عاماً بأكمله، إبقاء على زوجه التي لا يد لها في هذا العقم، ثم ينهزم هذا النبل كله فجأة، وينهزم هذا الحب العارم الصارم كله فجأة، وتنحل الأواصر المقدسة فجأة، فيرسل قيس زوجه وحبيبة قلبه ومنية نفسه إرسالاً سهلاً هيناً ليناً، لأنه لم يعد يحتمل أن يعذب أبوه المأفون نفسه، ولم يعد يحتمل أن يرى تلك النار المشبوبة في دار المجانين الذين يظلون عاماً طويلاً وأكثر من عام طويل يشاكسون زوجين سعيدين حبيبين، وينغصون عليهما صفو الحياة... لوددنا إذن لو أن شاعرنا قد ثار على التاريخ وعلى الرواة وعلى أبي الفرج ثورة كاملة شاملة، فرفض قصة هذا الفراق وذاك الطلاق الذي أضحك الدنيا بأسرها على سذاجة قيس لبنى، وأشمت به قيس ليلى، وعرضه لزراية المحبين وازدرائهم في عالم الإخلاص والوفاء

٦ — ولكن ماذا عسى أن تكون ماجريات الحوادث لو ثار الشاعر هذه الثورة؟ هنا يترك الأمر كله للعبقرية التي برهن الشاعر الكبير على أنه يدخر منها الشيء الكثير

٧ — ثم طلاق كثير للبنى... هذا الطلاق الذي تم في جلسة واحدة ما خطبه؟ أبهذه السهولة يتم الطلاق في البيئة العربية المحافظة الصارمة؟ ومتى طُلب إلى عربي، بَلْه المسلم، أن يُعطى حرية التصرف في أحد من أهله... ولا سيما إن كانت الزوجة هي الغرض من إعطاء تلك الحرية؟ ثم كيف تم تلك الخدعة التي لا يجيزها عرف ولا دين في حضرة الحسن والحسين، سِبْطيْ رسول الله، وسيدَيْ شباب أهل الجنة؟ وإن فوجئنا بها مفاجأة؟!

ولكن هذه هي الرواية التي أثبتها أبو الفرج، وأبو الفرج راوية ماهر يستعين على أذهاننا بإثارة مشاعرنا، فلا يدعنا مستطيعين أن نسأل ما خطب كذا وما خطب كذا... ولكنه يتركنا نتألم في غير استنكار لهذه القلوب الرطبة التي أنهكها الحب، وأنهكتها الرحمة للمحبين... الرحمة التي لا تدع لسائل أن يسأل، ولا لمستدرك أن يستدرك

***

وبعد، فقد كانت قيس ولبنى نجاحاً كاملاً على مسرح الفرقة المصرية، وقد تلفت الشعب فجأة فوجد آذانه تمتلئ ببيان عربي فصيح، وشعر بدوي فيه جزالة وفيه فخامة وروعة، وفيه موسيقا تلين عاصيه، وتتدفق به في القلوب مُيَسَّراً مفهوماً... بل محفوظاً في كثير من رقائقه، مُحَبَّباً في كثير من قوافيه، مدهشاً في كثير من كلماته التي تخيرها ذَوْق دقيق كأنه ذوق لآل، أُغرِم بالعربية الفصحى فوهبه الله سرها، يجلو من غُرَرِها ودُرَرِها ما يشاء...

لقد كانت قيس ولبنى، برغم ما حاك في القلب من قصة أبي الفرج، قطعة من الحياة يختلط فيها جد الواقع بروعة الشعر، وتدفق الحوار بهدوء النجوى، وحرارة الحب بصلابة الواجب!

لقد كان فرحنا بها لا يعدله فرحنا بأية طرفة أدبية صدرت عن المطبعة المصرية هذا العام... وكيف لا نفرح بها وقد صدرت بعد الدعوة الطويلة التي دعت إليها الرسالة، من وجوب عناية الشعراء بالدرامة المنظومة التي آن الأوان لكي تسد فراغاً مخيفاً في الأدب العربي... وليس معنى هذا، قبل أن يعقب علينا معقب، أو أن يسيء تأويل كلامنا مسيء... أن قيساً ولبنى كانت ثمرة لهذه الدعوة، ولكنها كانت آية من آياتها...

لقد سألت ناظمها الشاعر الجليل: ماذا أوحى إليك بنظم مسرحيتك؟ فأجاب حفظه الله: لقد اقترحتها عليَّ زوجتي... ظللها الله برحمته ورضاه!

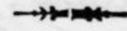
ولهذا حديث غير هذا الحديث، ومقام غير ذاك المقام. وسوف أتحلل مما وعدت الأستاذ به من عدم التحدث عن هذه الأشياء، لأنها من حق التاريخ والأدب لا من حقه.

دريني خشبة

بحث نفسى اجتماعى

لماذا لا تكون سعيداً ؟

للأستاذ عبد العزيز جادو



كثيراً ما يتوق الناس إلى ما ليس فى متناول أيديهم ، لا لأنهم يريدون هذا الشىء بذاته ، ولو أنهم يظنون بأنهم سيكونون سعداء إذا حصلوا عليه ، ولكن لأن هناك شيئاً يفتقرون إليه فى تركيبهم العقلى والروحى

ومن أوهام الجنس البشرى أن يعتقد أن السعادة رهينة بشىء أو مكان أو زمن ؛ أو بأنه يمكن الاستحواذ عليها بالمال ، أو بأنها توجد فى جهة دون أخرى ، أو بأنها ستأتى حتما على أجنحة الزمان ، وكل أولئك - لعمر الحق - من بعض الترهات التى تعترى الناس فى طفولة التفكير

السعادة لا يمكن أن تشرى بمال لأنها حالة من حالات العقل — الحالة المستمدة من الداخل موجهة إلى الخارج — وستتبعك إلى كل مكان ، وفى كل وقت وفى كل حالة إذا أنت نظرت إلى الأشياء والحالات التى تحيط بك بعين مميزة فاحصة ، وعندئذ تعرف أن التمييز والتقدير هو الحب ، وأن الحب هو أن تكون سعيداً

وبعد ، فما الأشياء التى تجعلك سعيداً أو شقياً ؟ أنت اليوم تقول إنك سعيد لأن لديك ما كنت تريد . وبعد شهر ستكون شقياً وتود أن تحصل على شىء آخر ، وستكون سعيداً مرة أخرى عند ما يضىء أمامك أمل الحصول على رغبتك الجديدة ؛ وشقياً عند ما ينهار ما بنيت بسبب نكبة ما . والفقر الحقيقى أو الشقاء ليس فى أن تمتلك القليل بل هو فى أن تشتهى الكثير ، فلكى يكون المرء سعيداً عليه أن يكون قنوعاً فالقناعة كنز لا يفنى

السعادة التى تترجح من خيط واه إنما هى كرغبات محسوسة معرضة للسقوط والضياع . هذى السعادة مثلها فى الخداع مثل السراب

الرغبة ، والطموح ، والتأميل فيما هو أحسن ، كل أولئك ضرورى للتقدم الإنسانى ولا سيما إذا فسرت كما يجب أن تفسر فهى مبعث السعادة . ولكنه التفسير الذى يخفف كفة الصواب أو كفة الخطأ فى الميزان . فإذا رغبنا فى شىء صائب يستحق الاهتمام وجدنا طريقة أو أخرى نحصل بها عليه ويمكننا أن نعيش فى الأمل سعداء . وعلى ذلك ، يجب علينا أن نذكر أن ليس هناك شىء مادى يستحق أن نزن كل سعادتنا به ؛ فإذا كانت رغباتك تهدر سعادتك ، فغربلها جيداً وانظر كم منها غير مجد ، ورض نفسك على أن تقذف به بعيداً

لا تكن متتبعاً لأولئك الأغرار الواهمين لأنه ينقصهم العقل ، إنهم يرون قشور الأشياء لا لبابها ، والشىء الذى يعوزهم هو القدرة على التغلغل فى أعماق الأشياء ، أى التفرس والتبصر والاستشفاف

إن المغنطيس الكهربى يجذب الحديد عند ما يسرى التيار فى وحداته ، كذلك تجذب الشخصية السعادة عند ما يتدفق تيار عقل ثاقب فى شعوره الداخلى . ربما يكون المرء محبوباً من شخص ومكروهاً من آخر ، والاتجاهات العكسية ما هى إلا محض رد فعل لفكرة فردية تتبعها مقارنة للشخص المعين طبقاً للفكر والمقاييس المعينة لرجل بعينه . والمرء يحتمل أن يكون فى الحقيقة غير مستحق حب أحد له أو كراهية أحد ؛ أو ربما يستأهل حب كل منهما . ولكن شعورهما المحدود يمنعهما رؤية الحقيقة كاملة واضحة .

وهكذا يواجه الناس الحياة . وغالباً ما تكون التأويلات الشخصية هى التى ترق بالعقول التي لا تتسع لإدراك الأشياء إدراكاً شاملاً ، وبغير ذلك يضيع الكثير من الجمال والسعادة . فإذا أمكن الفرد أن يرى السعادة فى شىء فلِمَ لا يمكن أن يراها الجميع ؟ ألم يكن الفرق غالباً فى عقل الفرد ؟

أنت لا يمكنك أن تكون سعيداً لأن عندك ما عندك ، ولكن لأنك تحب ما عندك . وقوة الحب والكراهية كامنة فى نفسك ، واتجاهك الفردى نحو شىء وصلتك الشخصية به هى التى يعتد بها

ربما تكون هنا ، أو هنالك ، أو فى أى مكان ، فإذا أضاء

في دنيا الأحلام

للأستاذ توفيق حسن الشرتوني

لا أومن بالأحلام ولا أعيرها اهتماماً جدياً ، لأني أعتبر أكثرها ناتجاً عن عوامل الغريزة المكبوتة والعقل الباطن ، غير أني أقف حائراً أمام بعض الأحلام التي حلمتها وأصبحت بعد قليل حقيقة راهنة لا أحلاماً طارئة لا تتجاوز مخيلة النائم ولا تعدو فراشه

وكم تساءلت : أهي المصادفة تقضي بصحة بعض الأحلام أم هو الإلهام ؟ ولكن ما هي المصادفة وما هو الإلهام ؟ وكيف أعلل حدوثهما ؟ لا أدري

وكل ما أدري أنني رأيت أربعة أحلام صح ثلاثة منها والرابع ما يزال غامضاً ؛ وأرجح أنه سيظل غامضاً إلى ما شاء الله

حلمت وأنا في عهد التلمذة أن المفتاح الذي كنت قد أضعته وكان يهمني أمره كثيراً مطمور في التراب قرب شجرة قديمة العهد في قلب الملعب الشرقي في مدرسة الحكمة . وكنت قد فتشت عنه في كل مكان هناك دون جدوى ، ثم وجدته في المكان نفسه الذي هداني إليه الحلم

أما الحلم الثاني فهو : كنت ذات ليلة جالساً في داري أطالع إحدى الصحف اليومية فجاءني ولد لا يتجاوز الثالثة من عمره وضرب الجريدة التي في يدي وطرحها أرضاً . ثم أخذ يداعبني مقهقهاً ويلاعبني راكضاً من كرسي إلى كرسي ، ومن ناحية إلى ناحية . والغريب في الأمر أنني حلمت أن هذا الولد هو ولدي مع أني ما كنت أباً في ذلك الحين ولا متزوجاً

وبعد سنوات صح هذا الحلم بحذافيره ، إذ كنت صباح يوم جالساً في المكان نفسه أطالع بعض الجرائد ، فخرج ولدي من غرفته وهو دون الثالثة من عمره وتقدم نحوي وضرب الجريدة وأوقعها من يدي . ثم شرع يلاعبني ويركض مقهقهاً من مكان إلى مكان . وكان في لباسه وكامل هيئته يشبه تمام الشبه الولد الذي عاينته في الحلم

أليس من الغريب المدهش أن يشاهد المرء ولده في الحلم قبل

قلبك وسما عقلك ستشعر بالسعادة تغمر نفسك . أما إذا فكرت بأنك عوملت بإجحاف ، أو إذا ظننت أنه لا يمكنك الحصول على ما ترغب ، أو إذا لم يبدُ لك الجو جميلاً ، فلا يمكن أن تملك إلا الحزن

عند ما تمطر السماء ، ويكفهر الجو وتتلبد السحب بالغيوم يشعر الكثيرون بالتعاسة إذ يقولون (أين هي الشمس ؟ يا له من يوم عبوس !) ويفهم آخرون — وهم أسمى روحاً — أن هناك وراء تلك السحابة المليئة بالمياه المتدفقة شمساً لا تزال تشع . أليس من الخرق أن يُخدع بمثل نقاب رفيع كهذا أناس عقلاء ذوو حس ؟ ومع ذلك فالحد الذي يفصل بين الفرح والحزن دقيق كما أنه خداع ؛ مبهم لمن يعملون للظاهر ، وواضح لمن أوتوا الإيمان والذكاء ، فيرون الحق من خلالها

إذا كان حب شخص هو ما تظن أنه سيجعلك سعيداً فلا تعتمد على ذلك الحب . أحبب بقوة ما استطعت ولكن لا تطلب الحب إن لم تر هناك استجابة . الحب الصادق القوي هو المثل الأعلى ، ولكن إذا كان هناك تفاوت كبير في الطبع وأنت نفسك الشخص الذي لا يميل إلى التبادل فيحسن بك كثيراً أن تنقل انتباهك — مع إرادتك — إلى شخص آخر أكثر تلبية

والحب في صدق وإخلاص ورزانة يمكن أن نطلق عليه بسهولة مسألة انتباه Attention . انقل انتباهك ، فينتقل حبك . وأنت لا تحب كل الملايين من الناس المحبوبين لأنك لا تعيرهم انتباهك ، ولأنك لا تعرفهم معرفة ألفة ، ولذلك لا يمكنك أن تفهم حياتهم . سيأتيك الحب بأخذك الاتجاه الإيجابي نحو الشخص الذي تحب واهباً لا سائلاً ، معطياً خطتك الحكيمة الاعتبار والانتباه الضروريين ...

ثم إن التعاسة ناشئة معظمها عن أننا نتصور غيرنا أسعد حالاً منا ، وعن أننا نريد أن نكون دائماً أسعد من سوانا ...

والشخص إذا أضاع كل شيء فعليه ألا يفقد الأمل وحب العمل . فالعمل المنتج يرفع القلب ويعلي الفكر ويشرف الشعور ويؤله النفس . وهل هناك سعادة فيما عدا ذلك أو في شيء غير ذلك ؟

عبد العزيز جادو
دبلوم علم النفس وعضو نادي المتكلمين بانجلترا

مجيئه إلى العالم ؟ أإتفاقاً كان ذلك أم وحياً أم ماذا ؟

أما الحلم الثالث فهو : حلمت منذ أعوام أن أحد الأنسباء وهو شاب فى ريق العمر ونشاطه قد قضى نحبه فى أحد المستشفيات ؛ وبعد أيام قليلة جاءنى رسول يبلغنى خبر وفاته فى المستشفى نفسه الذى حلمته ممدداً فيه على فراش الموت

وأغرب من ذلك أن الشاب كان يتمتع بصحة يحسد عليها فلم يدر بخلدى أدنى خوف على حياته . ولم يكن لدى من داع لحدوث هذا الحلم الذى أوحى إلىّ بموته

أنا لا أدعى معرفة الغيب ولا ما يخبئه المستقبل فى طياته ، ولست من مدّعي النبوة ، أنا رجل من طلاب الأدب والعلم لا من طلاب المعجزات والخوارق . لكنى لا أنكر وجود قوة فى الإنسان تستبق معرفة الحوادث . هذه القوة ما تزال مستترة على العلم لم يسبر غورها بعد ولم يتح له تحديدها

فكم مرة يفكر المرء فى أحد أصدقائه ولا يلبث حتى يراهم أمامه . وكم مرة يتخيل أمراً فيتحقق لساعته ، وقد قيل : « اذكر الذيب ، وهيىء له القضيب »

أما الحلم الرابع فهو على جانب عظيم من الغرابة ، لا يمتّ بصلة إلى الشهوات المكبوتة التى يقال إنها تستيقظ فى العقل الباطن فى خلال النوم ، ولا يتعلق أيضاً بموت أو ولادة أو كسب أو خسارة أو ما شاكل ذلك مما يكثر حدوثه بين الأحياء فيعلق بمخيلاتهم ويشغل أذهانهم ، فيأتيهم فى الحلم

لا أزال أذكر أننى ليلة الحلم أويت إلى مخدعى قبيل منتصف الليل ، وبقيت أتقلّب على فراشى إلى ما بعد الساعة الثانية دون أن يغمض لى جفن من تكاثر قصف الرعود وتواصل هدير الزوابع والأمطار ، لأن الليلة كانت هائلة من أروع ليالى الشتاء برقاً ورعداً ومن أشدها برداً وزمهريراً

لم يتملكنى النعاس إلا فى الهزيع الأخير من الليل ولم أكد أستسلم إلى سلطان الكرى حتى نزل علىّ هذا الحلم ، فشعرت ساعة نزوله كأننى لست بالنائم ولا بالمستيقظ بل بينهما ، وما بينهما سوى عالم الرؤى — عالم الأنبياء والأولياء — ولا شأن لى فى هذا العالم

حلمت أن صديقاً لى توفاه الله منذ عدة سنوات هبط مخدعى وانتصب أمامى قائلاً : أنتم معاشر الأحياء تعتقدون أن المرء الذى تغادره الحياة تغادره المعرفة ويبرحه الشعور ، فتنقطع كل صلة له بكم وبعالمكم ، فيعود لا يدرى ما يحدث بأوساطكم ولا يشعر بأعمالكم ولا بسرائكم وضرائكم ؛ وهذا خطأ فاضح ، فالميت لا يفقد غير الحركة والنطق اللذين كان بهما يظهر لكم معرفته وشعوره ، ولا يعنى فقدانهما فقدان المعرفة والشعور ، بل فقدان الواسطة التى كان بها يتصل بكم

أجل ليس لدى الأموات ألسنة تتكلم ولا أجسام تتحرك لتعرب لكم عن معرفتها وإدراكها وشعورها بل هم بقوة الحياة الكلية — وقد أصبحوا جزءاً منها — غدوا أقوى منكم معرفة وأسمى إدراكاً وأشد شعوراً

كنت فى الحياة الدنيا أعدّ نفسى ويعدّنى الناس من فطاحل العلماء ، ومن أعاظم الدهاة الذين لا تخفى عليهم خافية ، وبعد الموت تبينت جهلى وجهل الناس تقدير إدراكى ومعارفى

فأنا الذى كنت أحسب عالماً لم أكن إلا على يسير من العلم ، وأنا الذى كنت أُعدّ مدركاً لم أكن إلا على ذرة من الإدراك لأننى لم أعرف من شجرة الحياة طيلة حياتى إلا قشورها

كنت على جانب عظيم من الجهل لأننى لم أتمكن فى الحياة من معرفة أقرب المقرّبين إلىّ ، الذين كنت أساكنهم أو كانت تربطنى بهم صلة من الصلات . أما اليوم فقد حررّنى الموت من الجهل ، ففدت علومكم التى كنت أتبجّح بمعرفتها بمثابة ألاعيب صبيانية أمامى ، وصارت دنياكم الحافلة بالرموز والأسرار والأحاجى مضيئة عن ظهر قلبى ، وبواطنكم المستترة التى لم أدرك كنهها فى الحياة أصبحت اليوم واضحة حيال ذهنى وضوح شمس الظهيرة

لقد كنت مخدوعاً حقاً فى كثير من الأمور . مخدوعاً فى معرفتى لنفسى ومعرفتى للناس . فجاءنى الموت يعرفنى بنفسى مبيناً لى مقدار قصورها وعجزها فى المعرفة خلال الحياة . ويعرفنى بالناس كاهم لا كما كنت أتوهم معرفتهم . لأنه أظهر لى ماتكنه طبائعهم من خفايا الغرائز والنزعات التى كانت غامضة علىّ كل الغموض

لقد كنت مخدوعاً بالمظاهر الخارجية إلى أقصى حد . فكم رجل كنت أحسبه صديقاً فكان عدواً . وكم إنسان كنت أعده مخلصاً فكان مخاتلاً . وكم رجل دين كنت أعتبره جم الفضائل فكان جم الرذائل . وكم امرأة كنت أعتقد بها الطهر والورع فكانت على غير ذلك

أما الآن فقد تجاوزت عالم الغش والخداع والتمويه إلى عالم الحقائق فأصبحت أرى كل شيء واضحاً جلياً . إني أطل عليكم من كوة هذا العالم – عالم الحياة الكلية وأرقبكم من نوافذها المشمة فى دخائل أذهانكم وقلوبكم : وأتفقد أعمالكم وكل ما يصدر عنكم من خير أو شر . وإنى لعالم بكل ما تظهرون وما تكتمون

ولست وحدى أعلم ذلك بل يعلمه مثلى كل من حرره الموت من قيود دنياكم وأصبح متحداً بالحياة الكلية التى تسبغ عليه نعمة المعرفة الكاملة

فالأموات يرونكم دائماً وأنتم لا تشعرون برؤيتهم إياكم ، ويتفقدونكم دائماً وأنتم لا تعلمون بتفقدهم لكم ، لأنهم أصبحوا أرق منكم معرفة وأسمى روحاً وأنفذ بصيرة

فكم من رجال حولى يتطلعون إلى دنياكم ويرقبون فيها أبناءهم وأحفادهم ويرون ما آلوا إليه من الضنك والفقر على الرغم من كثرة ما أورثوهم من مال وعقار . فهم يشاهدون أموالهم التى اكتسبوها بعرق الجبين وادخروها لأبنائهم كيف تتبدد فى الحانات والمواخير وأندية الميسر والخلاعة ، ويأسفون لضياعها فى بؤرة الفساد ويتألمون لأنهم لم يعملوا بها عملاً مفيداً للجنس البشرى بدلاً من توريثها لمن لا يستحقها

أما دنياكم هى دنيا الحروب والمطامع – دنيا الرياء والأباطيل – دنيا الأخطاء والفواحش – دنيا الخوف والجهل والضعف . ولهذا نحن نشفق عليكم بالرغم من كثرة شذوذكم وتهربكم على الأخص من معرفة الحقيقة – حقيقة نفوسكم وحقيقة غرائزكم . كأن الحقيقة هى غول دنياكم تخشونها كما تخشون الموت ، والحقيقة وحدها هى رجاؤكم العتيد . فخير لكم أن تظهروا على علاتكم بدلاً من أن تتقنعوا بأقنعة الغش وتتستروا بها ، فهى لا تستركم عن وجه الحق . فالأقنعة فانية والحقائق باقية .

انتهى الحلم فاستيقظت فور انتهائه وأنا أردد عبارته الأخيرة . فقلت فى نفسى هل الأقنعة الفانية هي أجسامنا التى نتعارف بها فى هذا الكون ، والحقائق الباقية هى جوهر الحياة الذى لا يدركه الفناء . ثم عكفت على نفسى أسألها : كيف جاءنى هذا الحلم ؟ وهل يحلم المرء بما لا يدركه وما لا يقع تحت حواسه ؟

ألا تبلغ المخيلة شأواً لا تبلغه الحواس ولا يصل إليه الإدراك ؟ أليس للدين الذى يلقن الإيمان بالحياة الأخرى ضلع أيضاً فى هذا الحلم المرتكز على الإقرار الصريح ببقاء الحياة بعد الموت ؟

أليس لمعضلات الحياة الدنيا ومشاكلها أو بالأحرى ، أليس لتعطشي لمعرفة أسرارها وحل رموزها وأحاجيها يد فى إلهام هذا الحلم الذى يملأنى بكمال المعرفة بعد الموت ويشبع رغباتى وتمنياتى ولو فى العالم الآخر بالوصول إلى ذروة الإدراك : إدراك حقائق الحياة وخفايا الكائنات ؟

(بيروت) **توفيق حسين الشرتونى**

---

٣ – الألغاز فى الأدب العربى

للأستاذ محمود عزت عرفة

ألغاز الفقهاء والنحويين

(ا) كان الفقه الإسلامى فى نموه ، وانشعاب فروعه من أصوله ، أشبه شىء بالدوحة العظيمة أنشبت فى الأرض جذورها ثم تطاولت إلى السماء بهيكلها ، وأرسلت أفنانها مكتسيات بالورق النضر فى كل متجه فلم تدع تحتها مكاناً ضاحياً أو موضعاً غير ظليل

وفى العصر العباسى وما تلاه من عصور التدوين والتصنيف توسع الفقهاء فى دراسة الفروع توسعاً لم يتركوا معه شاردة ولا واردة إلا أثبتوها ؛ وراحوا يفتنُّون فى افتراض مواطن الشبه ، ثم الإفتاء فيها بما يزيل لبسها ، افتناناً ولجوا به باباً من التكلف والصنعة لم يحمد الكثيرون لهم مغبته لما قد صرفهم إليه من الحفول بالتوافه واستنفاد قوى التفكير فيما لا تعظم جدواه أو ينفع كثيراً علمُه

وقد أشرنا فيما قبل إلى ذيوع ما أسموه فتيا فقيه العرب ؛ ونذكر هنا أن جلة العلماء ورؤساء المذاهب منذ القرن الثانى لم يسلموا فى مجالسهم وحلقات دروسهم ممن يتعرض لهم بأسئلة يرمى بها إلى تعجيزهم ، ويذهب فيها مذهب التعمية والإلغاز على نهج فتاوى فقيه العرب

ولم يكن بد لهؤلاء الأئمة من أن يجيبوا وإن صرفهم ذلك لحظة أو لحظات عما هم بسبيله من البحث الجدى والتحقيق المفيد

قال الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى — المتوفى سنة ٦٠٦هـ — فى كتابه مناقب الإمام الشافعى : اعلم أنه نقل أن الشافعى سألوه فى بعض المسائل بألفاظ غريبة ، فأجاب عنها فى الحال بألفاظ عربية ونحن نذكر بعضها . أحدها : قيل له : كم قُرء أم فلاح ؟ فأجاب على البديهة : من ابن ذكاء إلى أم شملة . والمراد بالقرء الوقت ، وأم فلاح الفجر وهو كنية الصلاة . والسؤال واقع عن مدة وقت صلاة الفجر ؛ وقول الشافعى رضى الله عنه من ابن ذكاء أى من وقت الصبح وهو كنيته ، إلى أم شملة وهى كنية الشمس أى إلى طلوع الشمس ...

وسئل : هل تسمع شهادة الخالق ؟ قال : لا ولا روايته . والخالق الكاذب قال تعالى : « إن هذا إلا خلق الأولين » وأورد الفخر الرازى أمثلة أخرى ، ثم ختم بقوله : فلنكتف بهذا القدر ، إذ لا يمدح الشافعى بمثله !

(ب) وقريب من ألغاز الفقهاء وفتاويهم – وإنهن لكثر – ألغاز أئمة اللغة

على أن هؤلاء لم يكتفوا بابتداع الألغاز ابتداعاً ، أو جمع ما قيل منها مقصوداً به التعمية حقيقة ، وإنما أضافوا إلى ذلك أشياء من كلام العرب فطنوا إلى إمكان إيجاد التعمية فيها ، وإن لم يقصد قائلوها ذلك . وأكثر هذا أبيات من الشعر القديم[1] « لم تقصد العرب الإلغاز بها وإنما قالتها فصادف أن يكون ألغازاً . وهى نوعان : فإنها تارة يقع الإلغاز بها من حيث معانيها وتارة يقع الإلغاز بها من حيث اللفظ والتركيب والإعراب » .

ويسمى القسم الأول أبيات المعانى ، ومن أقدم أمثلتها قول الشاعر – يصف عقاباً صعد إلى موضع وكرها فى يوم عاصف الريح :

ومحجوبة أزعجتها عن فراشها ... تحامى الحوامى دونها والمناكب
وخفاقة الأعطاف بانت معانقى ... تجاذبنى عن مئزرى وأجاذب

ومن جياد أبيات المعانى فى شعر المتأخرين قول النواسى يصف الكرم :

لنا هجمةٌ لا يدَّرى الذئب سخلَها ... ولا راعها غضُّ الفِحالة والحظر
إذا اختبرت ألوانها مال صفوُها ... إلى الحوِّ إلا أن أوبارها خُضر

وقوله من قصيدة يمدح فيها الفضل بن يحيى :

إليك أبا العباس من بين من مشى ... عليها امتطينا الحضرمىَّ الملسَّنا
قلائص لُم تعرفْ حنيناً على طَلًى ... ولم تدْرِ ما قرعُ الفنيق ولا الهِنا

قال ابن رشيق : « فذكر أن قلائصهم التى امتطوها إليه

---

(١) السيوطى فى المزهر ج ١ ص ٣٣٨

نعالهم ، فأخرجه كما ترى مخرج اللغز ، واتبعه أبو الطيب فقال :

لا ناقتى تحمل الرديف ولا ... بالسوط يوم الرهان أجهدها
شراكها كورها ، ومشفرها ... زمامها ، والشسوع مِقْودها

ومن أبيات المعانى قول شاعر يصف أيام الزمان ولياليه (وهى الأسبوع) :

سبعٌ رواحلُ ما ينخْنَ من الونَا ... شيمٌ تُساق بسبعة زُهر
متواصلات لا الدؤوبُ يملُّها ... باقٍ تعاقبُها على الدهر

ولابن إسحق الجرمى (توفى ٢٢٥هـ) فى دودة القز :

وبنات جيب ما انتفعت بعيشها ... وواْدُتُها فنفعْنَنى بقبور
ثم انبعثن عواطلاً فإذا لها ... قرن الكباش إلى جناح طيور

وقال صرَّدر ملغزاً بجرة (توفى عام ٤٦٥هـ) :

ذاتُ أيدٍ ثلاثة أبدَ الدهْـ ... ـرِ ترى فوق رأسها أيديها
شربتْ ماسقيتَها من شراب ... ثم تسقيك مثل ما تسقيها
خرَستْ آذانها مَعانِىُ أيديـ ... ـها وبأفواهها مقرٌ لمِفيها

ولابن الخشاب يُلغز فى كتاب (توفى فى سنة ٥٦٧هـ) :

وذى أوجه لكنه غير بائح ... بسر ، وذو الوجهين للسر مظهر
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه ... فتفهمها ما دمت بالعين تنظر

وقال شاعر يلغز فى (الإبرة) :

سعت ذات سَمٍّ فى قميصى فغادرت ... به أثراً ، والله يشفى من السمِّ !
كست قيصراً ثوب الجمال وتبَّعاً ... وكسرى وعادت وهى عارية الجسم

وللحاتمى فى الباب (توفى عام ٣٨٨هـ) :

عجبت لمحرومين من كل لذة ... يبيتان طول الليل يعتنقان
إذا أمسيا كانا على الناس مرصداً ... وعند طلوع الفجر يفترقان

ألغاز فى اللفظ والتركيب والإعراب

مرت بنا أمثلة مختلفة لأبيات المعانى قديمها ومحدثها ... أما الضرب الثانى من ضروب الألغاز وهو ما يستعان فيه بالإغراب فى « اللفظ أو التركيب والإعراب » فذلك ما تتضاءل جودته أمام النوع الأول ويصغر قدره دونه

وإن أثر التكلف والصنعة ليظهر فيه ظهوراً لم تعرفه العربية فى عصورها المتقدمة . وهو لا يعدو أن يكون ـ فى أكثر أمره ـ تمويهاً لفظياً سهل الإدراك قليل العمق ، لا يصعب على السامع فهمه ، ولا على المنشئ إيراد مثله

ومن أقدم نماذجه التى تلمسها اللغويون فى شعر الأوائل قول الفرزدق :

يفلِّقنَ هاماً لم تنله سيوفنا ... بأسيافنا هام الملوك القماقم

قال ثعلب : ها حرف تنبيه ومَن استفهام . قال مستفهماً : من لم تنله سيوفنا ؟ وتقدير البيت : يفلقن بأسيافنا هام الملوك القماقم . قلت : فيكتب البيت هكذا :

يفلقن « ها ، من لم تنله سيوفنا ؟ » ... بأسيافنا هامَ الملوكِ القماقم

وقال آخر :

عافت الماء فى الشتاء فقلنا ... بردِّيه تصادفيه سخينا

قال السيوطى : جوابه أن الأصل « بل رديه » ثم كتب على لفظ الإلغاز

ومن ذلك قول الآخر :

لما رأيت أبا يزيد مقاتلاً ... أدع القتال وأشهد الهيجاء

قال : يقال أين جواب لما ؟ وبم انتصب « أدع » ؟ ثم أوضحه بما خلاصته أن يكتب البيت هكذا . لن ـ ما رأيت أبا يزيد مقاتلا ـ أدعَ ... الخ

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ... ونحن بوادى عبد شمس وهاشم

معنى البيت : أقول لعبد الله ـ لما سقاؤنا وهى أى ضعف ونحن بهذا الوادى ـ شِمْ ، أى شم البرق عسى يعقبه المطر ...

ونلاحظ أن هذا الضرب الأخير من الألغاز اللفظية اتى أنصاره والمتشيعين له منذ القرن الخامس الهجرى فما بعده ؛ وراج على ألسنة النظامين والسجاعين ممن آثروا جانب اللفظ على جانب المعنى ، وأنفقوا مجهودهم فى المحسنات البديعية والحلى اللفظية يرصعون بها صفحات منثورهم ومنظومهم . وكأنما الضرب الأول من أبيات المعانى قد ذهب بذهاب المطبوعين من أدباء اللغة ، وذوى القرائح المبتكرة فيها . وبقى هذا الضرب الأخير من التلاعب بالألفاظ يتمم الصورة الباهتة لحالة الأدب فى عصور

القضايا الكبرى في الإسلام

٥ - قتل حجر بن عدى

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

هذه القضية من أكبر القضايا الإسلامية ، وقد قام المسلمون وقعدوا لها ، وعدوها على معاوية بن أبى سفيان فى أربع عدوها عليه . روى ابن الجوزى بإسناده عن الحسن البصرى أنه قال : أربع خصال كُنّ فى معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة ، وهى أخذه الخلافة بالسيف من غير مشاورة ، وفى الناس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلاف ابنه يزيد وكان سكيراً خميراً ، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعاؤه زياداً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتله حُجْر بن عَدِىّ ، فياويلاً له من حجر وأصحاب حجر

وهذا إلى ما بلغه عدد الشهود فى هذه القضية ، فقد بلغوا فيها سبعين شاهداً ، ولم تصل إلينا قضية إسلامية بلغ الشهود فيها مثل هذا العدد ، وكل هذا يدل على ما لهذه القضية من الشأن فى الإسلام ، وسنقوم بدرسها غير متأثرين فيها إلا بما يقضى به الشرع ، لأن حكمه فوق كل شخص ، ويجب أن يكون نافذاً فى الناس كلهم ، كبيرهم وصغيرهم ، ورفيعهم ووضيعهم

كان حجر بن عدى من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد القادسية فى خلافة عمر ، وشهد بعد ذلك الجمل وصفين وصحب علياً ، فكان من شيعته ، وكان من أعظم الناس ديناً وصلاة وعلماً ، ولكنه كان مغالياً فى تشيعه ، حتى إنه لم يسترح لما استراح له الناس جميعهم من تسليم الحسن بن على لمعاوية ابن أبى سفيان . واجتماع كلمة المسلمين بعد ذلك الخلاف الذى كاد يقضى عليهم

وقد تم ذلك الصلح سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، فاستعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة ، وأوصاه فيما زعم المؤرخون ألا يترك شتم على وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب لأصحاب على والإقصاء لهم ، والإطراء بشيعة عثمان والإدناء لهم ، فأقام المغيرة عاملاً على الكوفة وهو أحسن شىء سيرة ، ولكنه كان لا يدع شتم على والوقوع

انحطاطه ، وهو كما قلنا أيسر تأليفاً وأقل عمقاً من سابقه . ومن أمثلته المتأخرة قول ابن نباته ملغزاً فى « القطائف » :

أحاجيك ، ما حلو اللسان وإنه ... لأبكم إذ تعزى إليه المعارف
يُرى جالساً فى الصدر ما كان كاملاً ... فإن نقصوه فهو فى الخلق « طائف »

وللشريف فتح الدين القنائى يلغز فى « كمّون » :

يأيها العطار أعرِبْ لنا ... عن اسم شىء قل فى سومْكْ
تبصره بالعين فى يقظة ... كما يرى بـ« القلب» فى «نومك»

وذلك أن مقلوب أحرف « نومك » هو « كون » ...

وقال صلاح الدين الصفدى ملغزاً فى « الفيل » :

أيما اسم تركيبُه من ثلاث ... وهو ذو أربع ، تعالى الإلٰه !
حيوان و «القلب» منه نباتٌ ... لم يكن عند جوعه يرعاه
« فيك » تصحيفه ، ولكن إذا ما ... رمت عكساً يكون « فى » ثلثاه

وقال آخر ملغزاً فى « بلبل » :

وما طائر نصفُه كله ... له فى ذرى الدوح سير ولبث
رأينا ثلاثة أرباعه ... إذا صحفوها غدت وهى « ثلث »

وكانوا ربما يهوى أحدهم إلى درك من السخف بعيد فيقول :

يا من له الطول فى المعالى ... وبالمعانى لنا يبصّرْ
إنى كما قلت فى سؤالى ... ما مثل قولى : نعم مقصّر !

و « نعم مقصر » يرادفها « إى وان » ؛ فذلك لغز فى « إيوان » بعث به على بن الحسين الموصلى إلى صديقه ومعاصره صلاح الدين الصفدى

وقريب منه قول شهاب الدين بن حجر ملغزاً فى « صهباء » :

يا فاضلاً هو فى الأحا ... جى ليس يخلو من ولع
ما مثل قولك للذى ... يبكى الحبيب : « اسكتْ رجع ! »

(يتبع) محمود عزت عرفة

فيه ، والدعاء لعثمان والاستغفار له ، فإذا سمع ذلك حجر بن عدى قال : بل إياكم ذم الله ولعن ، ثم قام وقال : أنا أشهد أن من تذمون أحق بالفضل ، ومن تزكون أولى بالذم ؟ فيقول له المغيرة يا حجر اتق هذا السلطان وغضبه وسطوته . فإن غضب السلطان يهلك أمثالك . ثم يكف عنه ويصفح ، فلما كان آخر إمارته قال فى على وعثمان ما كان يقوله ، فقام حجر فصاح صيحة بالمغيرة سمعها كل من بالمسجد ، وقال له : مر لنا أيها الإنسان بأرزاقنا فقد حبستها عنا وليس ذلك لك . فقام أكثر من ثلثى الناس يقولون : صدق حجر وبَرَّ ، مُرْ لنا بأرزاقنا ، فإن ما أنت فيه لا يجدى علينا نفعاً . وأكثروا من هذا القول وأمثاله ، فنزل المغيرة ودخل عليه قومه فقالوا : علام تترك هذا الرجل يجترىء عليك فى سلطانك ؟ فقال لهم : إنى قد قتلته ، سيأتى من بعدى أمير يحسبه مثلى ، فيصنع به ما ترونه يصنع بى ، فيأخذه ويقتله

ثم توفى المغيرة فضم معاوية الكوفة إلى زياد بن أبى سفيان ، فقدم إليها من البصرة ، ثم قام فى الناس فخطبهم ، وترحم على عثمان وأثنى على أصحابه ، ولعن قاتليه ، ورجع إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث ، فبلغه أن حجراً يجتمع إليه شيعة على ، ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه ، وأنهم حصبوا عمرو بن حريث ، فشخص إلى الكوفة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه - وحجر جالس - ثم قال : أما بعد فإن غِبَّ البغى والغى وخيم ، إن هؤلاء جَمُّوا فأشروا ، وأمنونى فاجترؤا علىّ ، والله لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم ، ولست بشىء إن لم أمنع الكوفة من حجر ، وأدعه نكالا لمن بعده

ثم أرسل إلى حجر يدعوه وهو بالمسجد ، فقال له أصحابه لا نأته ولا كرامة ، فرجع الرسول فأخبر زياداً بذلك ، فأمر صاحب شرطته أن يبعث إليه جماعة ، ففعل فسبهم أصحاب حجر ، فجمع زياد أهل الكوفة وقال لهم أتشجُّونَ بيد وتأسون بأخرى ، أبدانكم معى وقلوبكم مع حجر الأحمق ، هذا والله من دحسكم ، والله لتظهرن لى براءتكم أو لآتينكم بقوم أقيم بهم أوَدَكم وصعرَكم . فقالوا : معاذ الله أن يكون لنا رأى إلا طاعتك وما فيه رضاك . فقال لهم : فليقم كل رجل منكم فليدع من عند حجر من عشيرته وأهله ، ففعلوا وأقاموا أكثر أصحابه عنه ، ثم بعث زياد صاحب شرطته إلى حجر وأمره أن يشد عليه وعلى أصحابه بالسيوف إن لم يتبعوه ، فأتاه صاحب الشرطة يدعوه فمنعه أصحابه من إجابته ، وحصل بين الفريقين قتال لجأ بعده حجر إلى داره ، ثم انتقل منها إلى دور بعض أهل الكوفة يحتمى بها ، ولما ضاق عليه الأمر أرسل إلى محمد ابن الأشعث الكندى ليأخذ له من زياد أماناً حتى يبعث به إلى معاوية ، فجمع محمد جماعة ودخلوا على زياد فاستأمنوا له على أن يرسله إلى معاوية فأجابهم ، فأرسلوا إلى حجر فحضر عند زياد ، فلما رآه قال : مرحباً بك أبا عبد الرحمن ، حرب فى أيام الحرب ، وحرب وقد سالم الناس ، على أهلها تجنى براقش . فقال حجر : ما خلعت طاعة ، ولا فارقت جماعة ، وإنى لعلى بيعتى . فقال زياد : هيهات هيهات يا حجر ، تَشُجُّ بيد وتأسو بأخرى ، وتريد إذا أمكن الله منك أن ترضى ، كلا والله . فقال حجر : ألم تؤمنى حتى آتى معاوية فيرى فىَّ رأيه ؟ فقال زياد : بلى قد فعلنا ، انطلقوا به إلى السجن

ثم بعث زياد إلى أصحاب حجر حتى جمع منهم اثنى عشر رجلا فى السجن ، ودعا رؤساء الأرباع وهم عمرو بن حريث وخالد بن عرفطة وقيس بن الوليد وأبو بُردة بن أبى موسى الأشعرى ، وقال لهم : اشهدوا على حجر بما رأيتم منه ، فشهدوا أن حجراً جمع إليه الجموع ، وأظهر شتم الخليفة ، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين ، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا فى آل أبى طالب ، وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه ، وعلى مثل رأيه وأمره

وقد نظر زياد فى شهادتهم فقال : ما أظن هذه الشهادة قاطعة ، وإنى لأحب أن تكون الشهود أكثر من أربعة . فكتب أبو بردة شهادة غيرها قال فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبى موسى لله رب العالمين ، شهد أن حجر بن عدى خلع الطاعة ، وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة ، وخلع أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله عز وجل كفرةً

صلعاء[1]. فقال زياد : على مثل هذه الشهادة فاشهدوا ، أما والله لأجهدنّ على قطع خيط عنق الخائن الأحمق ! فشهد عليها سبعون شاهداً من وجوه أهل الكوفة

ثم بعث زياد بحجر وأصحابه إلى معاوية ومعهم هذه الشهادة ، فحبسهم بمرج عذراء ، وكتب إلى زياد : أما بعد فقد فهمت ما اقتصصت به من أمر حجر وأصحابه ، وشهادة من قِبَلك عليهم ، فنظرت فى ذلك ، فأحياناً أرى قتلهم أفضل من تركهم ، وأحياناً أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم ، والسلام

فكتب إليه زياد : أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت رأيك فى حجر وأصحابه ، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم ، وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم ، فإن كانت لك حاجة فى هذا المصر فلا تردنّ حجراً وأصحابه إلىّ

فلما قرأ معاوية كتابه أمر بقتل حجر وسبعة من أصحابه ، وعفا عمن بقى منهم بشفاعة بعض أصحابه من قومهم ، وكان مالك بن هبيرة السكونى قد قال لمعاوية : يا أمير المؤمنين دع لى ابن عمى حجرا . فقال له معاوية : إن ابن عمك حجرا رأس القوم ، وأخاف إن خليت سبيله أن يفسد على مصرى ، فيضطرنا غداً إلى أن نشخصك وأصحابك إليه بالعراق . فلما قتل معاوية حجرا اعتزل مالك معاوية فى منزله ، فأرسل إليه معاوية أن يأتيه فأبى ، فبعث إليه بمائة ألف درهم ، وقال له : إن أمير المؤمنين لم يمنعه أن يشفعك فى ابن عمك إلا شفقة عليك وعلى أصحابك أن يعيدوا لكم حرباً أخرى ، وإن حجر بن عدى لو قد بقى خشيت أن يكلفك وأصحابك الشخوص إليه ، وأن يكون ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر . فقبلها وطابت نفسه ، وأقبل إليه من غده فى جموع قومه حتى دخل عليه ورضى عنه

ولكن كثيراً من الناس لم يقبلوا هذا العذر من معاوية فى قتل حجر وأصحابه ، وأنكروا عليه هذا الحكم إنكاراً شديداً ، وكانت عائشة رضى الله عنها تقول : لو لا أنا لم نغير شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيّرنا قتل حجر ، أما والله إن كان ما علمت إلا لمسلماً حجّاجاً معتمراً . وقد رثته هند بنت زيد الأنصارية وكانت تَشَيَّعُ فقالت فى رثائه :

ترفع أيها القمر المنير تَبَصّر هل ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب ليقتله كما زعم الأمير
تجبّرت الجبابر بعد حجر وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا ليت حجراً مات موتاً ولم ينحر كما نحر البعير
فإن يهلك فكل زعيم قوم من الدنيا إلى هلك يصير

والذين لا يعذرون معاوية فى قتل حجر يرون أن ما حصل منه لا يحل به سفك دمه ، لأن دم المسلم حرام ما لم يرتد عن دينه أو يسفك دم غيره ، وقد حملوا فى ذلك آية الحرابة على خلاف ظاهرها ، وهى قوله تعالى فى الآية — ٣٣ — من سورة المائدة (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) فذهبوا إلى أن أو فى هذه الآية للتفصيل لا للتخيير ، وعلى هذا يكون جزاء أولئك المحاربين أن يقتلوا إذا قتلوا ، وأن يصلبوا إذا قتلوا وأخذوا المال ، وأن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا أخذوا المال ولم يقتلوا ، وأن ينفوا من الأرض إذا أخافوا الناس ولم يأخذوا مالاً ولم يقتلوا

ولا شك أن هذا كله خلاف ظاهر الآية ، ولهذا ذهب كثير من السلف إلى أن أو فيها للتخيير لا للتفصيل ، فيكون ولى الأمر مخيراً فى هذه العقوبات يجتهد فيها على ما تقتضيه مصلحة الدولة ، ولا يتقيد فيها بتلك القيود السابقة ، وقد أخذ معاوية بهذا فى حكمه على حجر ، ورأى أنه أمام فتنة إذا لم يأخذ فيها بأقصى العقوبة استطار شرها ، ويكون فى ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر وأصحابه ، وقد كان له أن يأخذ فى ذلك بأخف هذه العقوبات وهو النفى من الأرض ، ولكنه استعمل فيه حقاً أباحه له الله تعالى ، وله فى ذلك اجتهاده الذى يعذر فيه ولو كان خطأ ، ولو أنه استعمل فى ذلك أخف هذه العقوبات لكان أولى وأحسن

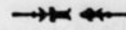
وكان على حجر وأصحابه أن يتعظوا بتلك الفتن التى ذهبت فيها دماء من لا يحصى من المسلمين ، وقتل فيها خليفتان من الخلفاء الراشدين ، وأن يسعهم فى ذلك ما وسع من كان أعلى منهم مقاماً ، وأعظم شأناً ، وأقوى كلمة ، من كبار المهاجرين

(١) يرى فى هذا أن الخروج على الامام والجماعة كفراً

على هامش النقد

من الشعر الجديد

للأستاذ محمد محمود رضوان



يأبى شعراء الشباب الذين يحمل عليهم الأستاذ الكبير « ا . ع » ، ويأبى الذين يناخون عنهم من الشيوخ أن يقروا هذه الحملة إلا أن تكون مدعومة بأمثلة من هذا الشعر توضح نهجه وتكشف عواره إن كان فيه عوار

والأستاذ « ا . ع » يأبى ذلك ولا يرضاه ، ولعل عذره أنه لا يهاجم أشخاصاً ، بل يريد إصلاحاً فما به من حاجة إلى إثارة شاعر بعينه أو تجريحه

وللأستاذ في ذلك رأيه ، ولكن ها هو ذا شاعر من شعراء الشباب يقدم نفسه ، ويعرض على الأستاذ الكبير قصيدة من شعره - لعلها من أحسن بضاعته - ثم يسأله رأيه في هذا الطراز من شعر الشباب

وما على الأستاذ الكبير لو أجابه ؟ إنه لم يفعل . حينئذ رأيت - وأنا ممن يضيقون بهذا الشعر الجديد - أن أكفيه الجواب ، وأتولى عنه بعض ما أشركه فيه من رأي في هذا الشعر

أما هذه القصيدة فهي « أين الطريق » ، وصاحبها هو الشاعر الشاب الأستاذ علي شرف الدين

— ١ —

وقبل أن نناقش القصيدة يجدر بنا أن نتساءل ، أهي من الشعر الجديد حقاً حتى يمكن أن نتخذها أنموذجا ننتهي من دراسته إلى الحكم لهذا الشعر أو عليه ؟ أو بعبارة أخرى هل يرضى شعراء الشباب الذين يحوم حولهم النقاش أن تمثل هذه القصيدة مذهبهم الجديد ؟

أما أنا فأرى أنها جمعت القديم والجديد معاً . أخذت من القديم شيئاً ومن الجديد أشياء ، هي من القديم في وحدة موضوعها ، ومن النادر أن ترى قصيدة في هذا الشعر الجديد تدور حول موضوع مؤتلف تتساءل أفكارها وتتواكب معانيها لبلوغ هدف واحد ، بل إنك ترى القصيدة - من هذا الشعر - فجوات لا اتساق بينها ، يطرق الشاعر معنى ثم يوغل فيه بأنماط من التشبيهات والاستعارات المتسفة والأخيلة البعيدة حتى لتخرج منه بفكرة مشوهة غير محدودة ، ثم ينتقل بك إلى آخر لا يمت إلى سابقه بوشيجة وهكذا دواليك ، حتى تنتهي من القصيدة ، التي قد تبلغ المائة من الأبيات - وما ظفرت منها بهدف أو عرفت بين أفكارها نسباً .

أما قصيدتنا فهي إلى القديم أقرب من هذه الناحية ، تفهم من عنوانها (أين الطريق) ما في نفس الشاعر من حيرة . يبدؤها بيأس من الحياة جرّه عليه احترافه الأدب ، ثم يمضي في وصف هذا اليأس وكيف أدرك قيمة الحياة فنفض منها كفه ومات شعوره فما يحس فرحا أو حزناً ، ثم يخاطب أمه وأباه فيشكو إليهما أساه وحاله اليائسة ، ويتساءل أذلك من غضبهما

والأنصار ، وزعماء قريش وغيرها من القبائل ، وما كان لهم أن يتكلموا وقد سكت الحسن والحسين وابن عباس وابن الزبير وابن عمر وغيرهم ممن يجب أن يرجع إليهم في ذلك الأمر ، ولا يذكر حجر وأصحابه بجانبهم ، لأنه لم يكن لهم فيه ناقة ولا جمل

وقد يقال إن حجراً وأصحابه كانوا على حق في ثورتهم للعن علي رضي الله عنه ، ولكن حقهم في ذلك يضيع بما كانوا يذهبون إليه من لعن عثمان ومعاوية ، وقد كان منهم عمرو بن الحمق الذي كان يزعم أنه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه ، على أن كثيراً من المؤرخين ينكرون ما روى من أن بني أمية كانوا يلعنون علياً على المنابر ، وقد ذكر من روى ذلك أن الحسن طلب إلى معاوية في صلحه معه أن يكف عن شتم علي فلم يجبه إليه ، فطلب ألا يشتم وهو يسمع فأجابه إلى ذلك ولكنه لم يف به ، ولا أدرى كيف يعقل هذا مع أن معاوية كان قد جعل الأمر بعده للحسن ، وما أظن الذي كان يتلى على المنابر يتعدى لعن قتلة عثمان ، فكانت شيمة علي ترى أنهم يقصدونه بذلك ، وكان يؤلمهم ذلك اللعن ، لأن كثيراً منهم اشترك في ذلك القتل

عبد المتعال الصعيدي

عليه أم لكثرة ذنوبه ؟ ويذكره ذلك بأيام الصبا فى كنفهما فيتحسر على تلك الأيام الذواهب ، كما كان يتحسر عليها الأقدمون من الشعراء ، ثم يذكر همته التى طمحت إلى المجد فكبا دونه سالكا فى ذلك سبيل الاستعارة ، فإذا المجد جبل مرهوب المفاوز أملى الشباب عليه أن يرقاه ولا زاد له إلا الأعصاب والفصحى فتمزقت كفه ودميت قدماه ، ولكن لا عجب فقد تكشفت له محنة الأكفياء ونكبة الأدباء فى هذا البلد العجيب

— ٢ —

ولو أنك نظرت إلى هذه المعانى التى طرقها الشاعر لم تجد فيها شيئاً جديداً يمكن أن نعده من سمات الشعر الجديد إلا انتحاءها ناحية اليأس المرير يطالعك فى مطلع القصيدة ويصاحبك فى كل بيت من أبياتها حتى تأتى على آخرها

عافى الله الأستاذ حبيب الزحلاوي إذ يقول « إن الشعر روح وإن الحياة الشعرية التى لا تفيض بالنعمة ولا تشيع السرور بالنفس والفرحة بالوجود ليست بحياة »[١]

وأى أمل نرجوه فى شعر يدعو إلى اليأس ويثبط الهمة ويجعل الدنيا ليلاً حالكا

لم يبلغ الأمل البعيد فمال لليأس القريب
أصبحت رسماً حافلاً باليأس والصمت الرهيب

هذه النغماة التى تفيض على القصيدة من أولها إلى آخرها هى من أبرز سمات الشعر الجديد . كأن الشاعر لا يعرف قدره إلا أن شاع فى شعره اليأس والحزن والأسى

نعم ... لقد ردد القدماء بؤس الأديب وشقاء من أدركته (حرفة الأدب) ورأينا هذا المعنى كثيراً فى شعر الخريمى وأبى تمام وأبى العلاء ولكننا لم نر منهم شاعراً يناقض شعره حياته ويقول غير ما يحس ، لم نرَ منهم من كان فى حياته راضياً وفى شعره ساخطاً كما نرى فى هذه الأيام . بل رأينا من كان فى حياته وشعره راضياً كأبى نواس ، أو فيهما ساخطاً كأبى العلاء . أما التلفيق بين رضا الحياة وسخط الشعر فبدع لم نره إلا عند سادتنا شعراء هذا الزمان

(١) العدد ٥٦٣ من الرسالة

إنك لترى الشاعر فى أيامنا هذه وحياته كلها مرح ولهو ومجون وانبساط ، فإذا أمسك القلم لينظم رأيت الدموع والحسرات واليأس المر كأنه لا يكون شاعراً إلا إذا ركب زورقاً من الأحزان فى بحر من العبرات

إن شاعراً كعبد الحميد الديب — رحمه الله — إذا شدا فى شعره بالبؤس والشقاء فلا بدع ، لأنه كان بائساً شقياً فهو يصور حاله التى يعانيها ، ويصف حياته التى يقاسيها — وهذه هي مهمة الأدب

أما شاعر كطاهر أبو فاشا — وهو معروف بمرحه ولهوه وازدحام حياته بأساليب المزح والدعابة — فلن نقبل منه هذا الشعر القاتم الحزين الذى تلمحه حتى فى عنوان ديوانه (الأشواك) فتحس منه الوخز وتلمس الدماء ... وما أحسب هذا الشعر إلا أثراً من آثار التقليد بين شعرائنا المحدثين من الشبان . سرى فيهم فسموا دواوينهم (ألحان الألم) و (الدماء) وغير ذلك من الأسماء

نعود إلى قصيدتنا فنقول إنها خالفت الشعر الجديد أيضاً فى وضوحها . فليس فيها فكرة غامضة كهذه الأفكار التى يكتظ بها هذا الشعر ، وعجيب من الأستاذ البشبيشى أن يضع هذا الغموض بجانب ما فى شعر أبى تمام والمتنبى والمعرى وابن هانىء وشوقى والزهاوى من عقد فى الخيال حيرت الباحثين أزماناً[٢]

شتان يا سيدى ما بين غموض منشؤه عمق الفكرة ودقة التصور ، وغموض منشؤه خطأ الفكرة وفسادها . هذا غامض لأنه يحتمل كيت وكيت من أوجه التأويل والتخريج وكلها صائب . أو لأنه عميق بعيد الغور حتى إذا كشفت عن معناه وأسفر لك وجهه هششت له وانشرح صدرك

أما ذاك فغامض ، لأنه لم يُبن على أساس من الفكر الصحيح فهيهات أن ينكشف لك فيه وجه — لأنه لا وجه له — إلا مع تعسف لا يحتمله اللفظ ولا تطيقه العبارة

هل قرأ أستاذى البشبيشى بيت أبى تمام فى الخمر :

جهمية الألفاظ إلا أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء

(٢) الرسالة العدد ٥٦٤

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٥٣ — أمق الناس بستر هذا الشعر أنت

قال أبو الفرج : تقدم رجل إلى عبيد الله بن الحسن ابن الحصين بن أبي الحر وهو قاضي البصرة مع خصم له ، فخلط في قوله ، فتمثل عبيد الله بقول أبي الأسود :

يصيب وما يدرى ويخطى وما درى
وكيف يكون النوك إلا كذلكا

فقال الرجل : إن رأى القاضي أن يدنيني منه لأقول شيئاً فعل ، فقال له : ادن . فقال له : إن أحق الناس بستر هذا الشعر أنت ، وقد علمت فيمن قيل (وكان قد قيل في جد عبيد الله) فتبسم عبيد الله وقال له : إني أرى فيك مصطنعاً فسر إلى منزلك وقال لخصمه : رح إلى فنرم له ما كان بطالب به

وهل فكّر أي مذاهب الجهمية يريد؟ وهل قرر ما يحتمله البيت من تأويل وتخريج ؟ وهل تذوق النشوة التي يتذوقها من يتكشف له وجه يرضيه من قصد أبي تمام بهذا البيت ؟

وهل قرأ قوله :

هن عوادي يوسف وصواحبه
فعزماً فقدماً أدرك النجح طالبه

وفكر في هذا الغموض ما مصدره ؟ وهل بني على أساس صحيح أم فاسد ؟

ومع هذا فإن أبا تمام لم يسلم من الملامة بسبب هذا الغموض الذي له وجه ، فكيف تريدنا على أن نرضى من شعرائنا الجدد غموضاً ما له وجه ؟ بل ولا عين !

(البقية في العدد القادم) محمد محمود رضوان

٥٥٤ — اعتاد بدني ما تعتاد وجوهكم

في (الكامل) : يروى عن الأصمعي أنه رأى رجلاً يختال في أُزَيْرٍ[(١)] في يوم قُر في مشيته ، فقال له : ممن أنت يامغرور ؟ فقال أنا ابن الوحيد أمشي الخيزلى[(٢)] ، ويدفئني حسبي . وقيل لآخر في هذه الحال : أما يوجعك البرد؟ فقال : بلى (والله) ، ولكني أذكر حسبي فأدفأ . وأصوب منهما قول العريان الذي سئل في يوم قر عما يجد ، فقال : ما على منه كبير مئونة ، فقيل : وكيف ؟ فقال : دام بي العرى فاعتاد بدني ما تعتاد وجوهكم .

٥٥٥ — إذا نكر انصرف

كان الزمخشري في جوف الكعبة مشغولاً بتأليف الكشاف، فجاء الإمام عمر النسفي ، وقرع باب الكعبة . فقال الزمخشري : من على الباب ؟ فقال النسفي : أنا عمر

فقال الزمخشري : إذا نُكِّرَ صُرف

٥٥٦ — فلسنا نتكلم لوجه الله خالصا

قال أبو حيان التوحيدي : سمعت الشيخ أبا حامد (الأسفرايني) يقول لطاهر العباداني : لا تعلق كثيراً لما تسمع مني في مجالس الجدل ، فإن الكلام يجري فيها على ختل الخصم ومغالطته ودفعه ومغالبته ، فلسنا نتكلم لوجه الله خالصاً ، ولو أردنا ذلك لكان خطونا إلى الصمت أسرع من تطاولنا في الكلام ، وإن كنا في كثير من هذا نبوء بغضب الله (تعالى) فأنا مع ذلك نطمع في سعة رحمة الله[(٣)]

---

(١) أزير مصغر أزار

(٢) هو يمشي الخيزلى والخوزلى إذا تبختر (التاج) مشية فيها تثاقل وتراجع وتفكك (اللسان)

(٣) تاج الدين السبكي : هو طمع قريب فإن ما يقع من المغالطات والمغالبات في مجالس النظر يحصل به من تعليم إقامة الحجة ونشر العلم وبعث الهمم على طلبه ما يعظم في نظر أهل الحق ، ويقل عنده قلة الخلوص ، وتعود بركة فائدته وانتشارها على عدم الخلوص ، فقرب من الاخلاص إن شاء الله

قرأ قارىء في مجلس الامام الاسفرايني : (للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً) فقال أما العلو فقد أردنا ، وأما الفساد فما أردنا

من خريف الربيع

[إلى حمامة أبريل ! ...]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ذَهَبْتُ لِلرَّوْضِ فى صَباحِ
مُقيدِ اللَّحن ، والجناحِ
وفيــه ما فِيَّ من أغانِ
مَطْلُولةِ الشدو بالجراحِ
أوتارُ أطيارِه سُكارَى
يَعْزِفنَ وَجْدَ المحب نارا
سعيرُها خمرةُ الحيارَى !
حَنَّتْ إليه الرُّؤَى خطاها
وخلفها انسابت الدُّموعُ !

***

سِيَّانِ في قبضةِ الرِّياحِ
شوكُ الجلاميدِ ، والأقاحى
فكم رحيقٍ بلا دِنانٍ !
وكم دنانٍ بغــير راحِ !
وكم ربيعٍ لنــا توارَى
تودُّ لو كانت العــذارَى
لِسِحره الغائب انتظارا
ماتتْ لياليهِ فى صباها
فهل لأحلامها رُجوعُ ؟ !

***

وكم خريفٍ بلا زهــورِ
ولا أغانٍ ، ولا طيورِ
يلوحُ مُسْتَيْقظ الشُّعورِ
كأن خمراً عليــه سارا
مُتَيَّمَ النُّــورِ مُستطارا
كنشوةٍ حَلَّتِ العِذارا
ونغمة رقرقت شجاها
ومالهــا فى الرُّبى سميعُ !

***

رأيتُ عُشًا على نخيــلِ
كمهجةٍ فى جَمَّــة الغليل
رَيّانَ بالنوْحِ والعَويل
هــديله فى الصباح طارا
فضج للدوح واســتجارا
ناحتْ بأشــواقه جِهارا
حمــامة مَزَّقتْ حشاها
وخانَ أحلامَها الرَّبيع !

***

وأنَّ تحتَ الظلال جــدولْ
يجرى ... ولكنه مُكبَّلْ
كخاطــرٍ فى دمى تنقَّل
إن قلت : أقبِلْ ! أرى نِفارا
أو قلت : أبعِد ! دنا مَزارا
كطائرٍ فى الشُّبَّاكِ نارا
وأنَّة فى الحشا طــواها
سجن يُسمونه الضلوع !

***

حزينةٌ أنت يا ظــلالُ ؟
أم فيك نفسٌ بهــا ملالُ ؟
أحاطَنا الحبُّ والجمــالُ
وأنتِ مثــلى كتمتِ نارا
وتنفضين الأسى عطارا
لبستِ من حَيْرَتى دثارا
ولُحتِ ثكلَى تريدُ فاها
يبكى به قلبهــا الصديعُ !

***

وأنتَ يا أيهــا الحزينُ !
يا شاعراً شفَّه الحنينُ ...
ألْقِ مَزامِيرَكَ الأنين
فى ظُلْمة لم تجِدْ نهارا
فِــدَفَّ إنشادُها ودارا
كغُربةٍ ضلَّت الدِّيارا
فطــنبتْ فى الرُّبى أساها
والرَّوض من حولها خليع ! !



٨ – الشعر الجديد

أوضحت فى هذه الأحاديث آرائى فى «الشعر الجديد» مطلقة صريحة . وكانت قد تجمعت لدىّ من مطالبات طويلة . وكنت أهم أحياناً بتقييدها ، وأنساها أحياناً ، حتى كان أن فتح «الأستاذ الجليل» هذا الباب . فلممت شعث ما تفرق منها فى ذاكرتى ، وجهرت بها مستهدفاً وحدى لغضب الغاضبين ؛ فإن جلة النقاد قد آثروا العزلة ، واعتصموا بالسكوت ، لما قدمت فى كلمتى الأولى . ولقد وددت لو كنت قد خرجت من الإجمال إلى التفصيل ؛ ولكنى جانبت الأشخاص ، لما أسلفت ، وعمدت إلى «المدرسة» — كما يعبر الآن — وهى تجمع ما تفرق من خصائصهم ، وتضم شتات مميزاتهم

ولا شك عندى أن الذين تتبعوا كلماتى وتأملوها فى إنصاف وعدل ، قد أدركوا أى صنف أعنى من الشعراء ، وأى نوع تنتظم هذه الصفات التى عنيت ببسطها ، وجهدت فى تحديدها — فلا يغالطن مغالط بعد هذا — أنى أعنى فلاناً أو فلاناً من شعرائنا ذوى المكانة فينا ، أولئك الذين أجمعنا على تمجيدهم ، لا الذين يتلمسون شهرتهم بين فئة قليلة من المعجبين

والآن آنَ أن أتحدث إلى الكاتب الفاضل الأستاذ دربنى خشبة فى بعض نقداته ، كما وعدت أن أفعل .

قال الأستاذ[1] : «لقد أنكر الأستاذ جميع الشعر العربى بعد البارودى وشوقى وحافظ . . . وأشفق من الشعراء الشيوخ الأجلاء الذين لا يزالون على قيد الحياة ، والذين يعتز بهم الشعر العربى . . . الخ»

أقول : يشير الأستاذ إلى مقالى بالرسالة[2] . فقد قصرته على هؤلاء العِلية الأمجاد ، وضممت إليهم صبريا — وإن كان كثير غيرى لا يذكرونه فى حلبتهم — لأوجه من الشبه كثيرة بينه وبينهم . وقد رجعت إلى هذا المقال ، فإذا هو خلو من هذا الإنكار . ولعله توهمه من قولى : «فلما خلا الميدان من هؤلاء الفرسان ، ودالت أيامهم ، سدلت على المسرح الستارة . ثم عادت فارتفعت . فإذا مشهد عجب ، وإذا الحال غير الحال ، وإذا نحن أمام فوضى النظم والنظام ... الخ» فهذا يا سيدى لا يدل بمنطوقه ولا بمفهومه — فيما أدرك أنا — على أنه لم يكن بيننا إذ ذاك شعراء من الطبقة الأولى ، بدليل قولى : «فوضى النظم والنظام» ؛ فإن كلمة «النظام» إنما تطلق فى العرف العام على القارضين الذين ينظمون ولا يشعرون[1] ؛ فهذه الفوضى لا نعرفها فى أثناء حقبة شعرائنا هؤلاء . وإنما شاعت بعدهم هذا الشيوع الذى نلمسه الآن . أما قولى : «إن تلك الحقبة لا تعبر إلا عنهم وحدهم ، وإن نجم بينهم من يعترف لهم بالاقتدار رسمو الشاعرية» ، فدليل آخر يشهد لى . ومعنى كون تلك الحقبة لا تعبر إلا عنهم وحدهم ، أن لهم ميزات اشتركوا فيها جميعاً ، فأفردتهم بين شعراء جيلهم . فهم فصل قائم برأسه فى تاريخ الشعر الحديث . وهكذا يجب أن يكون فى تاريخ الأدب المصرى

على أنى مع ذلك عند عقيدتى الثابتة فيهم — وهى عقيدة جمهرة المتأدبين فى العالم العربى — تلك هى أنهم لا يزالون يتسنمون المكانة الأولى بين الشعراء لهذا العهد . والفلك الدوار قد يجود بأمثالهم وبأعظم منهم . فليرقب الفلك الدوار

وقال الأستاذ الفاضل : «أمن العدل أن يحدثنا عن قصيدة لم نرها ، لنحكم إن كان إنكاره منها ما أنكر حقاً ، أوليس من الحق فى شيء ؟ وهل من العدل أن يجحد شعراء الشباب عامة ، لأن تلك القصيدة لم ترقه ؟ »

أقول : ليرجع الأستاذ إلى مقالى الأول خاصة ، ومقالاتى بعد ذلك ، ليرى أبان أنا أحكامي جميعاً على تلك القصيدة وحدها ؟ وليراجع سيدى المقال الذى تعرضت فيه لهذه القصيدة ، ولينظر ما قلت هناك . وإذا كان الأستاذ يحكم هذا الحكم من غير أن يقرأ كلامى حق القراءة ، فما حيلتى ؟ وما حيلتى أيضاً أن يسيغ

(١) عدد ٥٦١ ص ٢٩٨ من الرسالة (٢) عدد ٥٥٩ ص ٢٥٨

(١) من العمر

أن يكتب مثلي سبعة أحاديث مستنبطاً آراءه فيها من قصيدة واحدة ؟

وهل في كلامي ما يشير أو يدل على أني « أجحد شعراء الشباب عامة ؟ » لا يا سيدي . إني حكمت على فئة كبيرة تسنى لها – بعوامل مختلفة – أن تنشر شعرها بين ظهرانينا . وهو شعر هزيل في ألفاظه وتراكيبه ومعانيه . فليس معنى هذا ألا يكون من بين شعر هؤلاء الشباب ما يُستجاد أو يستملح . ولولا أني لزمت الصمت عن الأشخاص في هذه الأحاديث لمثلت

أما « نبش قبور الموتى » و « سرقة أكفان النائمين تحت التراب » ... الخ . فهذه ألفاظ معادة ، نسمعها دائماً في معرض الازدراء بالقديم أو التنفير منه . فنضرب عنها صفحاً

وقال الأستاذ أيضاً من مقال آخر[1] : (وخامسة الأثافي ، أو داهية الدواهي ، ما وقعت فيه من أسبوعين من الخطأ الشنيع فقد ذكرت في كلمتي . . . طائفة غير قليلة من الشعراء الشباب في مصر ، على أنهم بعض من يمثل شعرنا الحديث . وكان هذا الخطأ سبباً في إثارة بعض هؤلاء الشعراء أنفسهم ، فقد ساءهم أن تحشر أسماؤهم على هذا النحو الزري في ذلك الثبت الطويل من أسماء الشعراء) . ثم قال : (ولكن المضحك في هذا الأمر غلو بعض من نقموا مني ذكر أسمائهم في ثبت الشعراء هؤلاء ! لقد أقبل أحدهم ثائراً كالعاصفة ، ونكش شعر رأسه (نكشة) أفزعتني ، ولست أقول إلا الحق ! ثم راح يتهمني بأني أناقض نفسي حين أعلن استجادتي لشعر هؤلاء (الـ . . .) . ثم قال : (والظريف أن الذين أنكر عليهم صديق «العاصفة» شاعريتهم ، كانوا شعراء من الطبقة الأولى عند صديق آخر سعى إليّ ليعلن احتجاجه للسبب نفسه ... الخ .)

هذا ما رأينا اقتباسه ضرورياً من كلامه

فانظر إلى هؤلاء الشعراء كيف ينكر بعضهم شاعرية بعض على هذه الهيئة الغريبة !

وهل بعد تصوير الأستاذ دريني خشبة لهذا المنظر البديع ، نحتاج إلى شرح أو تعليق ؟

« انتهى الحديث » (ا . ع)

(١) عدد ٦٣ ص ٣٢٥

جائزة أدبية

في عدد المقتطف الصادر في شهر مايو نشر الشاعر بشر فارس قصيدة عنوانها « إلى زائرة »

قرأت القصيدة ، ثم قرأتها مرات ، ثم أعدت قراءتها في أوقات متفاوتة ، وكنت ، عقب كل قراءة ، أعود بالخيبة من عدم الفهم ؟ ! ولكن هل في أداة تفكيري عطب أو تلف ، وقد قرأت وفهمت أكثر ما نشر في ذلك العدد من المقتطف من بحوث في العلم والفلسفة والأدب ؟

يحسن بي إذن أن أشرك قراء الرسالة معي في قراءة هذه القصيدة وأتعهد بجائزة مالية قدرها خمسة جنيهات مصرية ، أدفعها إلى من يستطيع فهم معاني تلك القصيدة وشرحها ، ولا أستثني قراء العربية في سوريا ولبنان وفلسطين والحجاز والعراق ، وقد أودعت المبلغ في إدارة الرسالة . وهذه هي القصيدة :

إلى زائرة

لو كنتِ ناصعة الجبين ... هيهات تنفضني الزياره
ما روعة اللفظ المبين ؟ ... السحر من وحي العباره

ظِلٌ على وَهَجِ الحنين ... رَسَمتْه معجزة الإشاره
خطٌ تساقط ، كالحزين ، ... أرخى على العزم انكساره
ماذا بوجْد المحصَنين ؟ ... صوت شجٍ خلف الستاره

غيَّبتِ في العجب الدفين ... معنى براءته البكاره
دراً يفوت الناظمين ... ونهضت تَهْديني بحاره
خطوات وسواس رزين : ... وهبْ تُعمِّيه الطهاره

« بشر فارس »

حبيب الزحلاوي

حول مزايا الخط العربي

مما رزئت به هذه اللغة الكريمة بتأثير من ضعف حماتها ، أن أصبحت حسناتها سيئات تعتد عليها

ومن عيوبها عند الكثيرين أنها أهملت في خطها حروف الحركة مستعيضة عنها بالشكل الجزئي ، أو الشكل الكامل لمن لا يجيد القراءة ، وحجة من يفضلون الكتابة اللاتينية أنها برئت من هذا « العيب » الذي أورث كتابتنا اللبس والغموض

وإن من الطريف المضحك أن يكون صدى هذه الصيحة عندنا ، صيحة تقابلها هنالك ، يتنادى فيها القوم بحذف حروف

الحركة من كتابتهم ضنـًا بالزمن والورق والمجهود

وإلى القارئ، نص عبارة وردت بإحدى المجلات الأمريكية(١) عن هذا الموضوع

« لقد كتب الشيء الكثير حول الهجية المنقحة كوسيلة من وسائل التوفير في المساحة . ومن المحتمل أن تكون هذه خطة جيدة ، على أنها ستكون أجود إذا نحن تقدمنا بها إلى مدى أكثر ، باتخاذ نهج من الاختزال يتوفر به نحو أربعين في المائة من مساحة المكتوب . ولن يكون هذا شاقاً إلى الحد الذي تعتقد ، لأنك تستطيع بلا شك أن تتلو هذه العبارة . أليس كذلك ؟ » وكتبت المجلة العبارة على هذا النسق من الهجاء :

"Mch hs bn wrttn abt rfrmed splng as a savr of spc. Possbly ths wld b a gd pln. Bt it wld b a bttr pln if it wer carrd frthr ..."

وهذا نص الجزء الأول مما ترجمناه ؛ وإذا نحن أعدنا كتابته على الوضع الذي يكتب به في الإنجليزية اليوم ، جاء هكذا :

Much has been written about reformed spelling as a saver of space. Possibly this would be a good plan. But it would be a better plan if it were carried farther

ويرى القارئ مبلغ الاقتصاد في الطريقة الأولى ؛ ويتضح من الإشارة باستهلالها أن القوم قد بدأوا يتلمسون أسلوباً في الهجية كأسلوبنا ، يحذفون منه حروف الحركة . أفلا يحق لنا بعد كل هذا أن نستمسك بما نحن عليه ، وندع القوم وكتابتهم يبقون عليها أو يصلحونها . وحسبنا من شر سماعه ؟

(جرجا) محمود عزت عرفة

شعر ناجي

في العدد السابق كلام عن شعر ناجي هو صدى لذلك التطاحن القديم الذي لا نؤثر له أن تشب ناره بعد أن خمدت بين الشعراء والشعراء وبين الشعراء والنقاد وبين النقاد والنقاد ... وأبغض شيء إليّ أن أكون من موقدي تلك النار أو أن أتسبب في إيقادها ... ورجائي أن يتقي الله الذين يحاولون - قاصدين أو غير قاصدين - إيقاد تلك الفتنة من جديد ، لأنها تضر الأدب ولا تنفعه ، فرب نقد أو اتهام لا يعدو أن يكون تجنياً ، يقضى به الناقد أو المتهم على روح الأديب ... أما الاتهام بالسرقة في مثل تلك السهولة وفي مثل ذلك اليسر فهو من الظلم الصارخ الذي يحسن أن نجنب أنفسنا الوقوع فيه ... وقد تفضل أحد الأدباء في العدد الأسبق ، فرد أحد أبيات ناجي التي راقتنا حتى عدلناها بألف بيت من جيد الشعر إلى الشاعر صُرَّدُر حيث يقول :

ناضلننا بنوافـذ مسمومة ... وودت لو قَبِلَت سهم الرامي

وبيت ناجي هو :

ومن عجب أحنو على السهم غازراً ... ويسألني قلبي متى يرجع الرامي !

ولو ألقى الأديب الفاضل باله إلى أن لحاظ الحبيب لا يحسن بل لا ينبغي أن توصف بأنها مسمومة (!) لأن السم والعياذ بالله لا يكون إلا في رؤوس الأفاعي وأذناب العقارب واليعاسيب والزنابير والنمل ، لفطن إلى ناحية الضعف في بيت صر در

ولو أراد الأديب الفاضل أبياتاً أقرب إلى بيت ناجي ، وهو مع ذلك يفضلها جميعاً ، لوضعنا بين يديه الأبيات الآتية :

لابن الرومي :

فيسبيك بالسحر الذي في جفونه ... ويصبيك بالسحر الذي هو نافثه

يحن إليه القلب وهو سقامه ... ويألف ذكراه الحشى وهو فارثه

وللبحتري :

أين التي كانت لواحظ طرفها ... يصبو إليها القلب وهي سهام

إن مت من أسف لشط مزارها ... فالموت روح والحياة حمام

وللسري الرفّاء :

بنفسي من أجود له بنفسي ... ويبخل بالتحية والسلام

وحتفي كامن في مقلتيه ... كمون الموت في حد الحسام

وله أيضاً :

وقد فوقن بالألحاظ نبلاً ... قلوب العاشقين لها رمايا

تمنينا اللقاء فكان حتفاً ... وكم أمنية جلبت منايا

وكنا قد أعددنا مائة بيت أو تزيد كلها تدور حول معنى بيت ناجي فإن أحب الأديب الفاضل أرسلناها إليه ... وسيفضل معنا بيت ناجي عليها جميعاً ، لأن ناجياً في غنى عن أن يسرق من أحد ، لأنه يصور بروحه ودمه ، وله ثقافة وحسن اطلاع يغنيانه عن صردر القديم وصَرَّ دَرَّ العصر الحديث . وقد آن لنا أن نعدل .

(د . غ)

(١) الريدرز دايجست نقلا عن « تايم » ، نقلا عن : دالاس نيوز الأمريكية Dallas News

12 me Année No. 569

Lundi - 29 - 5 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٦٩ « القاهرة في يوم الإثنين ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٩ مايو سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـرس

صفحة		
٤٤١	الشعر والدبابات	الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٤٤٤	الهوى العذرى بين جميل وبثينة	الأستاذ نقولا الحداد .. ..
٤٤٧	بين « أنات حائرة » وبين « قيس ولبنى »	الأستاذ دريني خشبة ... ...
٤٤٩	مع نفسي!	الأستاذ سيد قطب .. ...
٤٥٠	المرأة في حياة المتنبي	الأستاذ حسن الأمين ... ..
٤٥٢	التناقض في كتاب الفن الفني	الأستاذ محمد أحمد الغمراوى
٤٥٤	من الشعر الجديد	الأستاذ محمد محمود رضوان ...
٤٥٦	نقل الأديب	الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٤٥٧	ميت بين الأحياء [قصيدة]	الدكتور عزيز فهمي ... ..
٤٥٧	صديقي الربيع «	الأستاذ العوضي الوكيل ...
٤٥٨	حول شعر الشباب	الأستاذ (م . ع البشبيشي)
٤٥٩	القرآن الكريم في كتاب « الفن الفني »	الأستاذ محمد أحمد الغمراوى
٤٥٩	حول الشعر الجديد	الأديب حسين محمود البشبيشي
٤٥٩	« الفوضى » في المجمعين ..	الأستاذ محمد غسان ... ...
٤٦٠	من خريف الربيع	الأديب محمد عبد الفتاح إبراهيم
٤٦٠	تصحيح	... ...

الشعر والدبابات

للأستاذ عباس محمود العقاد

الآراء في الأدب والشعر كثيرة يضل القارئ المبتدئ بينها فلا يدرى أيها المصيب وأيها المخطئ ولا يسهل عليه الفصل بين الأصيل منها والدخيل

ولكنني — على تبعتي كما يقولون في لغة السياسة — أقرر هنا قاعدة مضمونة الصواب ، يستطيع أن يعتمد عليها من شاء فيصون وقته ويريح نفسه من العناء ، وهى : أن أقرب الآراء في الأدب والشعر إلى الخطأ هو الرأى الذى يفرض على الأديب موضوعاً لا يعدوه ، ويوجهه إلى مطلب ينحصر فيه ، كائناً ما كان ذلك الموضوع من جلالة القدر ، وبالغاً ما بلغ ذلك المطلب من سعة الأفق

فالأدب تعبير عن الحياة

والحياة أكبر من أن تنحصر في غرض واحد أو تعتكف على سنة واحدة ، فليس أوسع من شعور الأحياء بالحياة ، وليس أوسع من تعبير الشعراء والكتاب عنها

خطأ أن يقال للأديب إنك مطالب بالكتابة في شئون السواد الجاهل ومحرم عليك أن تخط شعراً أو نثراً لا يفهمه هؤلاء ، لأن صعود الجاهل إلى طبقة العارف أكرم وأجدى

على بنى الإنسان من نزول العارف إلى طبقة الجاهل

وخطأ أن يقال للأديب إن مسائل العيش هي موضوع الكتابة الوحيد في هذا الزمان أو في أي زمان . لأننا لا نكرم الأدب ولا نرحم الفقير بهذا المذهب . فليس من الكرامة للأدب أن يكون فرعاً ملحقاً بالمطاعم والأفران ، وليس من الرحمة للفقير أن يقضى نهاره في الكدح للعيش ثم يتناول كتاباً ليقرأه فإذا هو أيضاً كدح للعيش من طريق البصر والبصيرة

وخطأ أي يقال للأديب إنك مقيد بإقليمك فلا تكتب حرفاً يخرج بك من نطاق ذلك الإقليم . لأن غارس البصلة — ودع عنك الأدب — لا يقول لها وهو يغرسها : كوني إقليمية ولا تشبهي البصلة التي تنبت في خارج هذا الإقليم . ولكنه يغرسها وتخرج هي على ما تشاء لها التربة والنور والهواء ، ولا نظن البصلة أقدر على الاستقلال « بالتكييف » الإقليمي من الفكرة الإنسانية . فمن كتب في مصر فلن تكون كتابته إلا مصرية ولو كان موضوعها قطب الشمال أو قطب الجنوب ، ولن يصبح الأدب الذي يكتبه النرويجي مصرى الإقليم ولو أجراه كله على النيل والأهرام والصحراء

***

ومنذ مدة شاعت في مصر والشرق العربي بدعة ببغاوية من تلك البدع التي لا يدرى قائلها نفسه ماذا يفهم منها وماذا عسى أن ترمى إليه

فقالوا إن العصر عصر مخترعات وحروب فلا موضع فيه للشعر والغزل ولا لتواريخ الشعراء والغزلين !

وتشاء المصادفات أن يلفظ اللاعطون بهذه البدعة ومطابع الغرب تأتى بين حين وحين بالدواوين الجديدة والنخب الكثيرة من أشعار القدماء والمحدثين !

هذا وهم أصحاب المخترعات وأول المصابين أو المصيبين بحروب الطيارات والدبابات

بل تشاء المصادفات أن نرى العشرات من هذه الكتب في مكتباتنا الشرقية ، وأن يتصدى المجندون في الجيوش الأوربية بيننا لطبع النشرات الدورية ، فإذا هي حافلة بالحديث عن الشعر والأدب والجد والفكاهة ، وإذا هي خالية أو تكاد تخلو من تلك الموضوعات التي يخيل إلى أصحاب البدع الببغاوية أنها دون غيرها موضوعات الكتابة في عصور الحروب والمخترعات

ولكن المصادفات قد شاءت في هذه الأيام مشيئة لم تكن تخطر لببغاء من تلك الببغاوات المسكينة على بال

ففي بريد الشهر الماضي وصل إلينا من لندن كتاب يقول كثيراً بلسان القال ويقول أكثر من ذلك جداً بلسان الحال .

أي كتاب ؟ كتاب مختارات شعرية سماه صاحبه « أزهار أناس آخرين Other Nen's Flowers

ومن صاحبه يا ترى ؟

لتتعب الببغاوات أدمغتها إن كانت لها أدمغة تتعب فما هي بقادرة على تخمينه ولا المقاربة منه

ولكننا نعفيها و نعفى غيرها من جهد التخمين فنقول لهم : إن صاحب هذه المختارات هو المارشال ويفل Wavell حاكم الهند العام وقائد الميادين الذي عرفه المصريون وأبناء الأمم العربية في الشرق الأدنى

أي والله هو القائد الكبير بعينه ! هو الرجل الذي لا يصنع شيء في ميدان من ميادين الحرب إلا سئل عنه وسمع له رأى فيه ، هو الرجل الذي يحرك من الدبابات والطيارات والمدافع أضعاف ما تراه تلك الببغاوات رأى العين من بعيد

تكبره وقعة « الببيوة » في أعين الناس

وتكبره فوق ذلك هذه المختارات التي يرتضيها الأديب الناقد ولا عمل له غير القراءة والكتابة والاختيار

لأن نبوغ القائد في فنه عمل عظيم ، ولكنه غير عجيب

أما العظيم والعجيب حقاً فهو نبوغه في الذوق الأدبي ومساهمته فيه بالنصيب الراجح واتساع وقته له في أحرج الأحوال

وذلك هو النبوغ الذي لا تفهمه الببغاوات ولا يفهمه أصحاب البدع ممن لا يصلحون للعمل ولا للكتابة ولا للقراءة ، ولكنهم يجلسون في مقاعد الملهين ليقسموا الأعمال بين الكتاب والقراء والساسة والقواد ، وكل من خلق الله وما خلق الله في ملكوت الله !

بين قصائد الكتاب نماذج مختلفة يقرأها الجندي ، ونماذج

أخرى يقرأها محب الطبيعة ومحب الأسفار ، ونماذج يقرأها العاشق ويقرأها الفتى والعذراء ، ومنها فى الكتاب مئات تمتلئ بها صفحاته التى تربى على الأربعمائة ، وواحدة منها تكفى لسؤال البيناوات عن مكانها من زمان الطيارات والدبابات ، وهى قصيدة توسون عن رسالة الفتاة المحتضرة إلى حبيبها حيث يقول :

« ماذا أقول لحبيب فؤادك الصدوق أيتها الفتاة التى تودع هذه الغبراء ؟

« ماذا أقول للحبيب يوم تنضين عنك كساء الحياة ؟ »

« قولى له : فى هذا الجانب من وراء القبر نحن العذارى لا ندرى كيف تكون الحياة مرة التناول ، ثم تكون بعد ذلك مرة الفراق »

ماذا أقول لحبيب فؤادك الصدوق حين أراه ؟

ماذا أقول له وقد أطبقت عينيك على الظلام ؟

قولى له حين تعارقين سرير العذراء الذاوية : إنها الآن تراك بنور الضمير وقد عميت العينان

ماذا أقول لحبيب فؤادك الصدوق وأنت تضعفين عن نزر الكلام ؟ ماذا أقول له أيتها المقبلة على وادى الحمام ؟

قولى له وأنا أجاهد الشفتين بختام كل كلام : إن التى أحبتك أمس بكل ما فيها من حياة تحبك اليوم بكل ما فيها من موت ! »

هذا نموذج من نماذج مختلفات فى الكتاب ، لا حاجة بنا أن نسأل عصر الطائرات والغارات الجوية عنها أو نلتمس لها جواز الدخول فيه ، لأن الرجل الذى اختارها له على الأقل حقوق فى الطيارات توازن أضعاف الحقوق التى تدعيها البيناوات الآدمية ، لا سيما وهى بحمد الله بيناوات لا تطير !

* * *

وقد جاءنا فى البريد نفسه كتاب دورى يسمى « أوربا » يعنى بنشر الأنباء الثقافية والاجتماعية عن القارة الأوربية فى إبان الحرب الحاضرة ، فإذا فى صفحاته المختارة صفحة عنوانها « قارة من الشعراء » ، ومطلعها يغنى عن سائرها ، حيث يقول مقدمها فى بضعة سطور :

« إحدى الظواهر البارزة — والمعزية — فى هذه الطامة الدموية أنها حفزت القرائح من كل طراز إلى معالجة القريض ... وهذه صحف الجيوش المتحالفة تزدحم بشعر الهواة كما تنتشر الصحف السرية فى القارة بين الأمم المقهورة ، وفيها قصائد لا تحصى يترنم فيها أصحابها بما طاب لهم من نغمات التحدى والصبر على البلاء »

* * *

هذه الحقائق التى نلفت إليها الأنظار من حين إلى حين هى أنفع الحقائق الأدبية لقراء العربية فى هذه الآونة

لأننا قد برمنا بعصر الجمود ورجونا أن نسرع الخطى فى عصر الطلاقة والتجديد

وما هو الجمود فى لبابه ؟

هو ضيق الأفق أو هو حصر الحياة فى نطاق محدود

وهذا الجمود بعينه هو الذى يتخبط فيه بيناوات البدع ، وهم يحسبون أنهم مجددون وأنهم يخرجون بالشرق المسكين إلى زمان غير زمان الجمود

هذا الضيق الوبيل هو الذى يستقررن فيه أو يرجعون إليه حين يقولون ويعيدون : نحن فى عصر العلم فدعونا من الأدب ! نحن فى عصر النار والحديد فدعونا من الفن والجمال ! نحن فى عصر الطيارات فدعونا من القصائد والشعراء ! نحن فى عصر الحقيقة فدعونا من الخيال !

وحقيقة الحقائق الكبرى أن العصر الذى يحصر الحياة فى نطاق واحد هو أخبث العصور وشر العصور وأسخف العصور ، وأن الهمجية فى عصرها لأصدق وأشرف منه لأنها صادقة فى اندفاعها ولو فى الظلام ، وهذه العصور التى يصفونها تضيق بفسيح الطرق وهى فى النور

إن الغرب لم يغلبنا لأنه قال بالعلم دون الأدب أو بالمخترعات دون الأخيلة والخواطر النفسية ، ولكنه غلبنا لأنه وسع نطاق الحياة

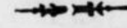
فليكن هذا شعارنا فى نهضتنا فهو آمن شعار وأنبل شعار . وسعوا أفق الحياة ولا تضيقوه وأنتم على ثقة من صواب ما تعملون وجدوى ما تعملون . أما « خذوا هذا ودعوا ذاك » ، فهو كلام كسالى مهزولين لا يصلحون للعلم ولا للأدب ، ولا يفلحون مع الطيارات ولا مع الحمير والبغال ، ولا يزالون يجهلون ما يقولون ثم لا يتوارون بجهلهم عن العيون بل يتحلون به حلية الفخار ويبرزون للتعليم والتنديد !

عباس محمود العقاد

الهـــوى العذرى

بين جميل و بثينة

للأستاذ نقولا الحداد



كثيراً ما يكون أن تؤدى الحوادث التافهة إلى أمور جسام، ما من أحد إلا رأى ثمرة تسقط عن شجرة فلم يبال. ولكن السير إسحق نيوتن رأى ذات يوم تفاحة تسقط من شجرتها فتنبه إلى سبب سقوطها. وكان من جراء تفكيره فيه أنه اكتشف ناموس الجاذبية واستنبط «حساب التفاضل والتمام» الذى يعد فى قمة العلوم الرياضية

والحب غريزة فى الأحياء حتى فى الجماد. وكل إنسان يحب ويعشق. على أن الآدميين متفاوتون فى سورة الحب. وجميل بثينة لا يعد نادرة الزمان فى العشق والغرام. فمثله كثيرون: كقيس ليلى وقيس لبنى وكثير عزة وأمثالهم ممن كنّاهم الناس بأسماء معشوقاتهم أو لم يكنوهم. ولكنهم اشتهروا بشغفهم وافتتانهم وغرامهم المضنى

والأستاذ عباس العقاد اتخذ عشق جميل بثينة «تفاحة نيوتونية» لكى يتوسل به إلى أبحاث سيكولوجية وأخلاقية واجتماعية فى الحب والعشق. فأوغل فى صميم هذه الأبحاث فى كتابه جميل بثينة حتى استخرج منها نواميس الحب العليا كما استخرج نيوتن من سقوط «التفاحة» ناموس الجاذبية الكونية». ولا بدع فكلا الحب والجاذبية نبضة واحدة فى الطبيعة وعند التحقيق تجد أن لهما ناموساً واحداً

إنما جاذبية الكون حبٌّ   وكذا الحب فى الورى جاذبية

وعندى أن أقوى ما يسترعى الأذهان فى مباحث العقاد إصابته موضوع «الهوى العذرى». وهو بالحقيقة موضوع سيكولوجى ليس بالهين الخوض فيه والغوص إلى قرار بحره؛ لأن: الهوى العذرى ظاهرة نفسية إنسانية تناقض سنة الغريزة النسلية فى خط مستقيم. وفى الطبيعة البشرية الآن كثير من الظاهرات الأخلاقية التى تناقض الغرائز الطبيعية فى الأحياء حتى العليا منها. وأظهرها سنّة التنازع، «تنازع البقاء وبقاء الأنسب». تقوم تجاهها فى العالم الاجتماعى «سنة التعاون والتضامن» فهذه طبيعة اجتماعية أخلاقية تناقض على خط مستقيم سنة تنازع البقاء البيولوجية

والمسألة التى هى موضوع التحليل والتعليل فى الناحيتين هى: إلى أى حد يند الهوى العذرى عن الحب الطبيعى الغريزى. ففي فصل عشق جميل وبثينة بحث مستفيض فى هذا

ولى فى تعليل الهوى العذرى كلمة أبسطها فيما يلى تمشياً مع الأستاذ فى بحثه:

إذا كان المعشوق على منال اليد من العاشق كان الحب غريزياً لا تخيل فيه ولا تصوُّر. الذات حاضرة فلا لزوم للصورة ولا وظيفة لها. والحقيقة قائمة فلا سبيل للخيال. ومتى طلعت الشمس اختفى الظلام، وإذا تفتحت العينان امّحى الطيف من المخيلة

الحب الغريزى هو المبدأ الأول، هو لهب الشهوة. فإذا انطفأت هذه الشهوة خمد الحب، ومتى تيقظت احتدم. فإذا كان الحبيب بعيد المنال تولَّى الخيال العمل فى دولة الحب بإيعاز الشهوة. حينئذ تخترع المخيلة الجمال وتبدع فى تصويره إلى أن تصبح صورة الحبيب فى صفحة التصور أجمل من الحبيب نفسه فى هيكل المادة. حتى إذا استعرض الصب حبيبه رآه كما صورته المخيلة لا كما ترى عيناه هيكله المادى. ولهذا قد تستغرب إذ ترى معشوقاً لا مزية له على سائر الناس يفتن عاشقه دون سائر الناس، ويفتتن به عاشقه دون سائر الناس. فتستغرب هذا الافتتان وتندهش من وله هذا العاشق وهيامه بحبيب لا يتفوق بشىء عن سائر المعاشيق. ولا يزيل دهشتك هذه إلا آية الغرام الذهبية وهى «الجمال فى عين الرائى»

فإذا تعذر اتصال المحب بالحبيب تحول غرامه إلى طيف الحبيب وخياله. يصبح عاشقاً خيالاً قائماً فى مخيلته وهو ما نسميه «الحب الروحانى». يرتفع الحب فى نفس الإنسان من حضيض المادة إلى سماء الروح. ويحلق فى أعالى تلك السماء حتى يصبح العاشق وهو يبتغى تمتعاً نفسانياً لا جسدياً. حينئذ يتوارى الحب الغريزى وراء الحب الروحانى. وهذا قابل دون ذلك للتعاظم إلى ما لا نهاية له. يتعاظم الحب الروحانى ويتضاءل الحب الجسدانى، إلى أن يصبح

ذاك برجا هائلاً ، وهذا حصاة فى أسفل البرج . يصبح العاشق كله روحاً تطوف فى سماء الوجود ، بل تكاد تمدد خيال المعشوق حتى يشمل الكون كله ، أو تقلص الكون كله حتى ينطوى فى خيال المعشوق . حينئذ يقنع العاشق بنسمة من أنفاس المعشوق ، وبنظرة فى صورته ، ويسمع كلمة رضى منه ، كما قال ابن الفارض :

عدبنى بوصـــل وامطلى بنجازه

فعندى إذا صح الهوى حسن المطل

وما دام هوى العاشق يتجسم على هـذا النحو ، والعاشق يتلذذ بهذا الوهم ، ولا يمكنه أن يحصـل على الحقيقة . فهواه هذا هو الذى نسميه « الهوى العذرى » . ونعنى بالهوى العذرى الحب الذى خلا من نبضة الغريزة النسلية وتوارت فيه الشهوة الجنسية هو العنب الذى أعرض عنه الثعلب لأنه عال لا يمكنه أن يثب إليه ، فقال : « إنه عنب حامض »

فإذا قدرت ما تقدم من التعليل فلا تستغرب أن يعظم هذا الحب الروحى إلى حد يطمس أن الحب الغريزى ، ويتمادى العاشق فى تولهه وهيامه حتى يتراءى له أن اللذة الجسدية أصبحت ثانوية عنده

ولـكن متى زالت موانع الاتصال بالحبيب ارتدّ الهوى الروحانى إلى الوراء ، وبرز الهوى الغريزى إلى الأمام وقضى على عذرية الحب

على أن الهوى الروحانى لا تذهب قوته سدى بل تضاعف قوة الهوى الغريزى ، لأنه كلما حلق الحب فى جو الخيال وسبح فى فضاء الروحانيات انقض إلى حضيض الحب الغريزى متى زالت موانع الاتصال بالحبيب . وكلما كان ارتفاعه عظيما كان انقضاضه قوياً

وفى رأى مارى ستوب مؤلفة كتاب « الحياة الزوجية » أنه يحسن بالزوجين أن يفترقا حيناً بعـد حين ويعيشا منفردين لـكى يتعاظم فى قلبيهما الحب الروحانى العذرى حتى متى اشتد شوقهما التقيا بقوة حب شديد

ولذلك ما نسميه هوى عذرياً ليس إلا فرقاً أثيرياً وهمياً يزول بزوال الموانع من لقاء الحبيبين

أما الموانع فلا يجهلها أحد . فمنها ما هو شرعى كارتباط أحد المتعاشقين بزواج آخر . أو ما هو شبه شرعى كتفاوتهما فى المقام والشرف والنسب الخ . أو ما هو عرفى كالحشمة الفائقة التى تأبى عليهما اتصالاً بلا مسوغ شرعى . وهـذا المـانع الأخير كان قوياً عنـد العرب وله أشكال مختلفة . ومنها عند العرب تشبيب الشاعر بعشيقة يحرم عليه الزواج منها . وكنا نود أن يشرح لنا الأستاذ العقاد هذه الشريعة العرفية عند العرب ويفسر لنا سببها وفلسفتها .

والمرأة عند الأمم العريقة فى الحضارة ولا سيما الأمم العربية متصونة كل التصون . وفى كثير من العصور كانت فى الخدور والعرض مقدس بعد قداسة المعبود . ولذلك كان الحب الغريزى محتبساً فى نطاق ضيق من الأدب ولا يجد له منفذاً إلا من نافذة التخيلات الشعرية . فمتى عز على العاشق لقاء محبوبه جنح إلى التأمل العقلى حتى تسنى له أن يتمثل لقاءه بحبيبه ويشاهد جماله الفتان وبهاءه اللامع ولطفه الأثيرى فيتمتع به تخيلياً

إذن فهذا الهوى العذرى الذى هو منطق الحب الروحانى الخيالى هو موحى الشعر الغزلى . ولولاه لما كان ثمت شعر ، لأن الحب الغريزى لا يوحى بشىء سـوى طاعة الطبيعة فقط . والإنسان والحيوان فيه سواء

بهذا الحب الشعرى يتلذذ المحب ويترفع عن الشهوة البهيمية . وفى هذا الفردوس الغرامى الذى تبتدعه المخيلة ينشأ إلـه الشعر . أجل ، فى هذه الخلوة العقلية التى يحتكر فيها الحب القوى العقلية ويحصرها فى التأملات الغرامية تتيقظ فى نفس العاشـق غريزة الشاعرية . فـكل عاشق شاعر بحكم الحب . ولـكن ليس كل شاعر ينظم

بناء على ما تقدم لا يمكن أن يكون حب جميل لبثينة عذرياً إلا حين يكون جميل ممنوعاً عنها ، وكان إنه إذا اتصل بها عاد حبه غريزياً كما فهم من سيرة حياته التى تخللت كتاب الأستاذ العقاد .

ولا ريب أن ذلك المنع الذى منى به جميل تارة من قبل أهله وتارة من قبل أهل بثينة عظم فيه الهوى الروحى الشعرى ، ثم الهوى العذرى فى حين الصد والمنع

بقيت كلمة فى باب من أبواب الحب طرقه الأسـتاذ العقاد وناقش فيه الأستاذ الدكتور طه حسين بك وهو غدر المحب بالحبيب وتعريضه للفضيحة . ولذلك قصة رواها الدكتور وهى : « زعموا أن أهل بثينة أذاعوا فى الناس أن جميلاً لا يشبب بابنتهم بل بأمة لهم . فغضب جميل لهـذه القالة وأراد أن يكذبها

فواعد بثينة والتقيا ذات ليلة وتحدثا . ثم عرض عليها جميل أن تضجع فانمت ، ثم قبلت . وأخذها النوم . فلما استوثق جميل من ذلك نهض إلى راحلته فمضى ، وأصبح الناس فرأوا بثينة نائمة فى غير بيتها فلم يشكوا فى أنها كانت مع جميل وقال جميل فى ذلك شعراً »

قال الدكتور : « أتظن أن مثل هذا الخبر يمكن أن يكون حقاً ؟ وأن رجلاً كجميل كان يحب بثينة حباً كالذى نجده فى شعره يستطيع أن يعرض حبيبته لمثل هذه الفضيحة ! » اه

وفى رأى الأستاذ العقاد « أن حب جميل لا يمنع أن يعرضها لتلك الفضيحة ، لأنها لا تتجاوز معنى قصيدة من القصائد الكثيرة تغنى فيها بحبها ولقائها ومناجاتها ، ثم أرسلها فى أفواه الرواة تطوف البادية والحاضرة حيث قدر لها المطاف »

فالدكتور يعتقد أن العاشق الذى يحب ذلك الحب العذرى لا يمكن أن يغدر بحبيبته ذلك الغدر ، والأستاذ لا يحسب تعريضها للفضيحة غدراً بها ينقض حبه لها فهو يمكن أن يحبها حباً جماً ولا يبالى بفضحها على ذلك الشكل

وإنى لأستأذن حضرة الأستاذين الكبيرين أن أقول : إن تصرف جميل مع بثينة فى ذلك الحادث وفى قصائده التى تمس سمعتها ليس قاعدة لتصرف العشاق جميعاً . على أن تصرفاً كهذا لا يتوقف على الحب وشدته أو ضعفه ، وإنما يتوقف على أخلاق العاشق ونوع تربيته ، فقد يتورع عاشق غير جميل عن أن يعرض حبيبته لفضيحة ، وجميل لا يتورع ، لأن لذلك خلقاً نبيلاً ليس لجميل ، فيتحاشى أن يعرض حبيبته الملامة أو فضيحة بل يمكن أن يكون أنبل من ذلك فيعرض نفسه دون حبيبته لفضيحة لكي ينقذها منها أو من مثلها ، وفى الروايات كثير من أمثلة ذلك . والروايات تمثل على الغالب حقائق لا مُثلاً عليا وهمية فقط . ولا بد أن يكون بعض القراء قد وقفت لهم أو لذويهم حوادث من هذا القبيل . فالمسألة مسألة أخلاق لا مسألة حب . بل هى مسألة أنانية أو غيرية

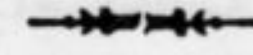
والغالب أن الهوى العذرى يعصم العاشق عن أذى معشوقه أو فضحه . وجميل لم يهو هوى عذرياً ، لأنه لم يكن ممنوعاً من بثينة . أو أنه كان يتخطى المنع فيتصل بها على رغم ممانعة أهله وأهلها وأراجيف الناس . وإن كان فى شعره أو قوله ما يدل على أنه عذرى الهوى فهو من قبيل الدعوى الكاذبة بالنزاهة والتعفف كما يفعل كثير من الناس حرصاً على سمعتهم وكرامتهم ومقامهم وهم كاذبون

نقولا حداد

بين «أنات حائرة»
وبين «قيس ولبنى»

من دموع الشاعر الجليل الأستاذ عزيز أباظه بك

للأستاذ دريني خشبة



تُرى ، هل كانت هذه الزوجة الكريمة الملهمة تدرى أنها تقترح على زوجها إنشاء رثائها هذا المؤلم الحزين الخالد ، وهى لا تزال على قيد الحياة ، حينما اقترحت عليه نظم « قيس ولبنى ؟ »

ويا ترى ، هل فطن هذا الزوج الكريم ، وقد شرع ينظم « قيس ولبنى » أنه إنما شرع بنظم رثاء أعز الناس عليه ، وهى بعد لا تزال تنبض بحياة حافلة سعيدة ؟

يا للمأساة التى أنتجت لنا كل هذا الأدب ، وكل هذا الشعر!

فوجئت بهدية الأستاذ الكريم على غير سابق معرفة ، ففرحت بها ، لأنها ملأت يدىّ بأ.لى المنشود الذى كنت أرسلهما من أجله فى الأدب العربى فلا تفوزان منه إلا بالوشل الذى لا يشفى غلة ، ولا يبل ظمأ ... فلما قرأتها ، عرفت فيها ريح ذلك الفؤاد المحزون الذى نَفّسَ عن أشجانه « بأناته الحائرة » أو هذه الباقة العبقة من زهرات الألم والأسى ، التى نظمها الشاعر تحية لروح أعز الناس وذكرى ! وجدت فى المسرحية ريح هذا الفؤاد المحزون ، وكنت قد تصفحت « أنات حائرة » ، فلشد ما راعنى أن صدق حدسى ! لقد وقعت فيها على زفرة من ذاك الأنين الموجع الذى وصف به الشاعر فى إحدى مراثيه تلك الليلة الخالدة فى حياة كل زوج ، الليلة الأولى التى تربط بين قلبين ، وتحقق حلمين ، وتستفتح فى تاريخ كل عش هادئ طوبى من السعادة والمحبة والتوفيق ...

لقد أجرى الشاعر على لسان قيس ، فى ليلته السعيدة الأولى ، حينما لم الله شمله بلبنى ، نغماً من تلك الموسيقا الباكية التى ترددت فى أطرافها أناته الحائرة ، والتى ذرف بها دموعه وروحه ، وجدا على شريكة حياته وحرقة والتياعا ...

اسمع إلى الشاعر الجليل يرثى إلفه فى ليلة ذكرى عُرسه :

يا ليلة جمعتنا بعد طــول نوى
ذكراك هاجت لنا الأشجان ألوانا
ذكرت ما كان من عرس جلوت به
علىّ أكرم خلــق الله إنسانا
بيضاء هيفاء تحكى الصبح مؤتلقا   والروض متسقاً والبان ريّانا
بتنا تضىء ظلام الليل نشوتنا   وتستثير شجون الليل نجوانا
قالت وقلت ، فلم تفرغ مقالتنا   إلى الصباح ولم تفرغ شكاوانا

واسمع إلى قيس يكمل هذا اللحن :

وحولنا الليل يطوى فى غلائله   وتحت أعطافه نشوى ونشوانا

فتتم لبنى اللحن قائلة :

نكاد من بهجـة اللقيا ونشوتها
نرى الربى(1) أيكةً والرمل بستانا
ونحسب الـكون عش اثنين يجمعنا
والمـاء صهباء ، والأنسام ألحانا
ونحسب العمر فيضاً من صبا وهوى
والغيب ملآن بالأشراق ريانا(2)

فيشدو قيس :

لم نعتنق والهوى يفرى جوانحنا   وكم تعانق روحانا وقلبانا
نغضى حياء ، ونغضى عفة وتقى   إن الحياء سياج الحب مذ كانا(3)
ثم انثنينا وما زال الغليل لظى   والوجد محتدماً والشوق ظمآنا

وتختم اللحن لبنى وهى قائلة :

فى سبيل الهوى ما ذاب من مُهَج
وانهلّ من مقل زانى وقربانا
خضنا الليالىَ نشكوها وننكرها
حتّى التقينا ، فقد لذت لنا الآنا(4)

حتّى التقينا فقد لذت لنا الآنا ! لله ما أوجع تلك الذكرى !

اسمع إذن إلى بقية اللحن يرسل فيه الشاعر الجليل روحه ودموعه :

يا ليلة شبّت الذكرى بعودتها   فى دورة العام ماذا هجت لى الآنا ؟
قد كنت فيما مضى أنساً نطيب به
نفساً ، فأمسيت أوصاباً وأشـجانا

---

(1) فى ديوان أنات حائرة « الدنا » مكان « الربى »

(2) فى الأنات : والغيب مؤتلق الآفاق مزداناً

(3) ليس هذا البيت فى ديوان الأنات

(4) البيتان ليسا فى الديوان

أضنيت أسوان ما ترق مدامعه
وهجت فوق حشايا السهد حيرانا
يبيت يودع سمع الليل عاطفة   ضاق النهار بها ستراً وكتمانا
ويرسل الشجو فى سر الدجى حُرقاً
لو الدجى قُدَّ من صخر إذن لانا !

إلى آخر هذه الأنات الحائرة بين الديوان الوفى الخالد، وبين المسرحية الوفية الخالدة

لقد كنت أقف عند كل شعر يقوله قيس، فأحس فيه قلباً يحترق وروحاً تتململ من الوجد، فى ديباجة قوية، ونفس مرسلة، لا تتفق كثيراً لمن ينظمون شعراً لا تصله بقلوبهم صلة وليس لأرواحهم بموضوعه شأن، فلما وقفت على هذا الشعر الذى يقبسه الشاعر من مراثيه، ليجريه على لسان قيس ولبنى، عرفت سبب هذه الحرارة التى تشيع فى كلمات قيس ولبنى خاصة فلما قرأت فى خطابه إلى أنه إنما شرع ينظم مسرحيته باقتراح من هذه الزوجة الوفية، عرفت أن المقادير قد شاءت أن تكون المسرحية كلها أخلد المراثى فى ديوان الأنات الحائرة

ولكن. ما دام الأمر كذلك، فلماذا آثر الشاعر الجليل أن تنتهى منظومته هذه النهاية السعيدة، ولماذا لم ينته بها إلى المأساة، والمأساة أوجع فى القلب، وأنكأ للنفس! ولا سيما أن كثرة الرواة على أن قيساً ولبنى لم يجتمعا بعد افتراقهما؟

وأحسب الإجابة على هذا سهلة هينة ... فالشاعر المحزون رجل مؤمن عامر القلب بالإيمان ... وهو قد نظم المسرحية لتكون رثاء ووفاء ... وهو قد اتخذ قيساً ولبنى رمزين خالدين له ولألفه ... وهو قد كره لهذا السبب أن ينتهى حبهما إلى هذا الفراق الكريه الذى قال به معظم رواة أبى الفرج، والذى لا لقاء بعده... حتى فى عليين ... وهو لهذا السبب آثر أن يجمع بينهما فى هذه الحياة الدنيا ... وأظنه ... بل أؤكد أنه رمز بذلك إلى لقاء الدار الآخرة

* * *

وبعد ... فنحن نريد أن نتجه بأمانينا إلى هذا الإيمان الذى يعمر قلب عزيز أباظه بك ... الرجل الذى وفى لشريكته فى الحياة ما لم يف أحد لأحد ... الرجل الذى كان يملك هذه الذخيرة من الشعر والشعور وقوة التعبير، ثم لا يطمع فى شهرة أدبية، ولا يحاول منافسة أحد من جبابرة الأدب، حتى كان الذى قضى الله، فسمت إليه الشهرة التى تحنى أقدام غيره وهو أزهد الناس فيها، لأنه إنما كان يبكى لنفسه، ولم يطلب قط أن يسمده أحد، أو أن يعده بالإسعاد على ما ألم به. إنما هو حسن حظ الأدب المصرى الحديث الذى أظفره الله بأدمع ذلك القلب الكبير وأناته، منظومة فى سموط من الألم. أراد الله أن يرسلها الشاعر تفريجاً لهمه، وتنفيساً عن قلبه ... وإلا فأين كان كل ذلك الأدب وقد بلغ الشاعر الخامسة والأربعين؟(١)

فنحن إذن نتجه إلى قلب الشاعر العامر بالإيمان، بأمانينا، بأمانى الأدب المصرى الحديث ... بهذه الآمال التى رددناها، ولن نمل من ترديدها، حتى يعمر شعرنا المصرى الحديث بهذه الثروة الزاخرة التى شهدنا بعض أقباسها فى مجنون ليلى، وكليوبطره، وقمبيز، وكثير عزة، وأغنية الرياح الأربع ... وأخيراً ... فى قيس ولبنى ... وفيما لا أذكر الآن من روائع شعرائنا المجددين

نتجه إلى قلب الشاعر العامر بالإيمان إذن. راجين أن يسير بالشعر المصرى الحديث فى تلك الناحية الوضوعية التى سار بها فى مسرحيته الخالدة، والتى سار بها فى روائعه «فى بطحاء مكة» و«على قبر خديجة أم المؤمنين» و«أحد» و«ذكريات»

وليؤد كل منا الدين الذى فى عنقه للوطن واللغة والأدب. وينبغى ألا تحول آلامنا بيننا وبين واجبنا

دريني خشبة

---

(١) ولد الشاعر بالزقازيق فى ١٣ أغسطس سنة ١٨٩٨ وتعلق بحفظ الشعر منذ أول الصبا، وكان خالد الذكر المرحوم حافظ بك إبراهيم صديقاً للأسرة الأباظية، كثير التردد عليها، فكان يهدى الشاعر إلى روائع الشعر العربى ويوصيه بحفظها ثم عالج قول الشعر وهو فى السنة الرابعة الابتدائية وثابر على معالجته متأثراً بالشعر القديم، ثم متأثراً بعد ذلك بشوقى الذى يعتبره فى أوائل القائمة من شعراء العربية وكان شديد الحرص على أن يحتفظ بشعره لنفسه، وألا يطلع به إلا النخبة من أصدقائه وأقربائه المختارين، وإن نشرت له الجرائد بعض القصائد والمقطوعات وهو بعد تلميذ بالمدارس الثانوية. وقد بدا بنظم قيس ولبنى باقتراح من زوجته ظللها الله برحمته ورضاه — فبدأ نظمها مجاملا ومتسلياً، ثم ذهب فيها شوطاً بعد شوط، ثم أخذ نفسه بإتمامها وفى أكتوبر سنة ١٩٤٣ صدر ديوانه الحزين الباكي «أنات حائرة»، ومما قاله لنا بصدده: «فلقد طالما جاهدت نفسى أن أطويه كدأبى عن الناس! إنه أدمع قلبى وأنين روحى، وأى شأن للناس به!» والديوان يمتاز بقوة أسلوبه، وقوة روحه، وقوة حزنه، وقوة إيمانه؛ وقد نظم معظمه وهو بين يدى الله بالحجاز، فكان يمازج فيه بين الذكريات المؤلمة المبكية، ولا نغالى إذا قررنا أنه من أروع ما فى الشعر العربى من شعر الرثاء

مع نفسى . . . !

للأستاذ سيد قطب

(١) كتاب الحياة

هذه الحياة الدنيا عجيبة : صفحة منها تعرض كأنما هى وجه الجحيم ، فإذا الدنيا كلها آلام ، وإذا الطريق كله أشواك ؛ وإذا النفس الإنسانية فى يأس لا رجاء لها فيه ، وضيق لا مخرج لها منه . وصفحة منها تعرض ، كأنما هى طلعة الفردوس ؛ فإذا النفس الإنسانية تطلّع على هذه الحياة ، وكأنما ترتادها أول مرة ، وفى رحابها الفسيحة آفاق للأمل لا تأخذها الأبصار

وليس بين هذه الصفحة وتلك ، إلا بمقدار ما تتحول النظرة من صفحة إلى أخرى فى كتاب !

فأين هو الحق والباطل فى هذا الكتاب العجيب ؟

(٢) لحظة سعيدة

كم فى هذه الدنيا من أشياء جميلة ، نفقدها كل يوم لأننا لا نلقى إليها انتباهنا فى اللحظة المناسبة

بالأمس كنت فى حجرتى منفرداً ، كانت أبوابها مغلقة علىّ ، لأننى فى أعقاب توعك زال . وفجأة نظرتُ إلى النافذة المغلقة ، فرأيت الشمس من ورائها توصوص لى بأشعتها

لقد أحسست إحساساً — غير كاذب — أنها تستأذن علىّ فى لهفة . إنها تود لو أسمح لها بالدخول . كانت كالصبية الغريرة فى مطلع الربيع ...

وما كدتُ أفتح لها النافذة حتى أشرق محياها الوضىء بابتسامة عريضة . وراحت تلقى بنفسها فى فرح وشوق على أرضية الحجرة المتواضعة ، كأنها ملكة تتخفف من التقاليد

وما لبثتْ أن أخذت تتجاذب مع كل شىء فى الحجرة أطراف حديث شهى ، كنت أصغى له بكل جوارحى ؛ ولقد وعيت فى لحظات قصار أشياء كثيرة ، لا أملك أن أبوح بها . لقد ذابت فى دمى وأحاسيسى ، واندست هناك بعيداً عن متناول الألفاظ

ورويداً رويداً جملت أشعر أن كل ما فى الحجرة يؤلف (جوقة) راقصة توقع (سيمفونية) عذبة . ورأيتنى أشترك مع هذه الجوقة فى الرقص والتوقيع . وقد غاب عن حسى كل ما فى العالم الخارجى من شخوص وأحداث ، وكل ما فى عالمى النفس من مشاغل ومنغصات .

لقد كانت لحظة جميلة . حقيقة لم تدم . ولكنها كسب لا شك فيه ، يضاف إلى رصيدى المتواضع من السعادة العميقة فى هذه الحياة

(٣) الحلم الضائع

حينما كنت أحلم مغمض العينين ، كنت أتسخط على أشواك تؤذينى فى هذه الأحلام

فلما استيقظت وتفتحت عيناى ، رحت أتحسر على تلك الرؤى بكل ما فيها من آلام

عندئذ حاولت أن أغمض أجفانى مرة أخرى ، وأن أستعيد الحلم الذاهب مع الكرى

هنالك سمعت هاتفاً من الأعماق :

هيهات أيها الواهم هيهات
إنه حلم واحد فى هذه الحياة

(٤) الفتى المفقود

لست أنت التى أريد يا فتاة ، ولا عليك آسى فى هذه الحياة

إنما أريد ذلك الفتى الحالم الذى كان يحيل حقيقتك المجسمة ، إلى رؤيا مجنحة

ذلك الفتى الذى كان يلقاك فى عالم الأجسام ، كأنما يلتقى بأسطورة فى عالم الأوهام

ذلك الفتى الذى كانت تضطرب أنفاسه وتتلاحق لأن كفه لامست كفك ، أو لأن نظرته التقت بنظراتك

ذلك الفتى الذى كان الدم يطفر فى شرايينه والبهجة ترقص فى خاطره ، لأن شفتيك أو عينيك قد همستا إليه ابتسامة سريعة

نعم ! أريد ذلك الفتى المغمض العينين ، الذى كان يراك بخياله حورية ساحرة . فإذا فتحهما مرة فرآك إنسانة عابرة ، أغمض عينيه فاستطاع أن يلقاك فى الفردوس المسحور

أريد ذلك الفتى الذى أفتقده فى نفسى اليوم فلا ألقاه . وعليه آسى كل الأسى لا عليك أنت يا فتاة !

(حلوان)

المرأة فى حياة المتنبى وشعره

« إلى المرأة التى ألهمتنى كل حديث عن المرأة »

للأستاذ حسن الأمين

هل كان للمرأة فى حياة المتنبى أثر من بعيد أو قريب ، وهل كان لها فى شعره توجيه خاص ، وهل بدت على هذا الشعر صبغة لها مساس أو بعض مساس بها ؟

لا بد لنا قبل التوغل فى الجواب من أن نفرق فى موضوعنا بين المرأة أماً وبينها زوجة أو حبيبة ، إذ لكل أثره الخاص وناحيته التى لا تشبه ناحية الآخر . فماذا كان تأثير الأم على المتنبى ؟ كل ما عرفناه عن أم المتنبى أنها كانت همدانية صحيحة النسب من صلحاء النساء الكوفيات[1] ومهما أراد الدكتور طه حسين أن يحيط بمولد المتنبي من الشذوذ[2] ومهما أردنا أن ندفع هذا الشذوذ فلا ريب أنه لم يكن لأم المتنبي أى أثر لا فى حياته ولا فى شعره ، بل إن المتنبى الذى تغنى بجدته لم يشر إلى أمه إشارة ولم يولها ذكراً . والدكتور طه حسين محق حين يقف طويلاً أمام هذه الظاهرة فيتساءل عن السر فيها . ولكننا لا يمكن أن نذهب معه إلى النتيجة التى وصل إليها من أن ذلك إنما كان لأن مولد المتنبي كان شاذاً ! ولماذا كان شذوذ المتنبي هو السر فى ذلك ، ولا يكون السر فيه هو أن المتنبى لم ينعم بتلك الأم ففقدها قبل أن يعرف المجتمع وينغمس فى الحياة ؟ أكبر الظن أن أم المتنبى قد فارقت الدنيا قبل أن يقدر لابنها التعرف عليها والتمتع بعطفها وحنانها فتركته لأمها ، فكانت أمها له أماً ، وكانت عاطفة البنوة ملتهبة فيه لجدته ، لأنه لم يعرف غيرها أماً ، وإذا لم يكن الأمر كذلك فلماذا يذكر المؤرخون شوق جدته إليه ولا يذكرون شوق أمه ، ولماذا يعنى برثاء جدته ولا يعنى برثاء أمه ؟

ومهما كان مولد المتنبى شاذاً - على رأى الدكتور طه حسين - فإن هذا الشذوذ لن يحول دون شوق الوالدة إلى ولدها ولن يحول بين رثاء المتنبى لأمه لو كانت هذه الأم حية عند ما كان ابنها شاعر العرب ، ومهما يكن من أمر فالذى لا ريب فيه هو أن أم المتنبى بعيدة عن كل أثر فى حياته وشعره ، وقد حلت محلها فى هذا الأثر أمها فكان من تأثيرها فى شعره تلك القصيدة الرثائية الخالدة التى قيل عنها : (أنه ورد عليه كتاب من جدته تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها فتوجه نحو العراق ولم يمكنه وصول الكوفة فانحدر إلى بغداد ، وكانت جدته قد يئست منه فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه فقبلت كتابه وحمت لوقتها سروراً به وغلب الفرح على قلبها فقتلها)[1]

ونحن لا تهمنا العلة التى ماتت بها الجدة ولا فرق لدينا إذا كانت هذه العلة هى الفرح أو الحزن أو أية علة أخرى مادامت قد ماتت قبل أن يراها ابن ابنتها وبعد أن أوشك أن يراها ، وقد كان المتنبي وهو الشاعر الحساس الملتهب الشعور المتأجج القلب كان حرياً به أن يخلد هذا الموقف الرائع بمثل ما خلده به من الشعر الذى لا نزال نحس فيه أحزان المتنبى وآلامه ، والذى لا يزال على تطاول العهد به مضرب المثل فى الأسى العميق والشجن الدامي ، ومن ذا الذى لا يهزه هذا القول :

أحن إلى الكأس التى شربت بها
وأهوى لمثواها التراب وما ضما

وإذا كان المتنبى ينادى بأنه يحن إلى الكأس التى شربت بها جدته فما كان ذلك لأن هذه الجدة قد ماتت وملكه عليها الحزن فحسب ، بل كان ذلك لأن نفس المتنبى كانت فى ذلك الحين قد امتلأت هموماً ، ولأن الزمن كان قد جرعه أمر الغصص ، ولأنه كان قد رأى بعينيه انهيار آماله فى الحياة وأهل الحياة ، ولأنه كان قد وصل إلى حال أصبح يحن معها إلى ورود كأس

(١) أنساب السمعاني وتاريخ بغداد (٢) مع المتنبي

(١) الديوان

المنية ، ثم فوجىء بموت القلب الذى كان يرى أنه وحده يخفق بحبه ، وأنه وحده الذى يستروح إليه ويعتمد عليه فصاح من أعماق قلبه فى ساعة يائسة (أحن إلى الكأس التى شربت بها) وها هو نفسه يزيد هذه الفكرة وضوحاً وجلاء فيقول :

عرفت الليالى قبل ما صنعت بنا
فلما دهتنى لم تزدنى بها علما

فهو قد قاس من صروف الليالى ما جعله سىء الظن بها وما جعله لا يترقب منها إلا الشر ، فلما أتته هذه الداهية لم يفاجأ بها ولم تزده علماً بما يحمله له الزمن من خبايا المصائب والمحن . ثم هو ذا يمعن فى الإيضاح والجلاء فيصور خيبة أمانيه وتلاشى أحلامه ، فلا ولاية ولا سلطان ولا حشم ولا اتباع بل حظ عاثر ويأس قاتل :

طلبت لهـا حظاً ففاتت وفاتني
وقد رضيت بى لو رضيت بها قسماً

وهكذا بعد أن طوف فى البلاد وراء (الحظ) ، فاته هـذا الحظ وفاتته كذلك هذه الجدة الرؤوم ونحن نلمس فى عجز البيت حساً من الندم الخفى على تلك المغامرات والضرب فى الفلوات وراء الحظ المنشود ونلمس روحاً من الأسف المكبوت على أن لا يكون قد قنع فلم يجازف ورضى فلم يندفع ، وعلى أن لا يكون قد عاش إلى جانب تلك الجدة خلى البال من المطامح بدلا من أن يعيش إلى جانب أولئك الذين لم يعرفوا حقه ولم يجيبوا سؤله ، ولا أدل على هذا الندم والأسف من البيت الذى يليه :

فأصبحت أستسقى الغمام لقبرها
وقد كنت أستسقى الوغى والقنا الصما

ولا نريد أن نسترسل فى النظر بهذه القصيدة ، وإنما نكتفى بالقول إنها صورة حية لمـا كانت عليه نفس المتنبى من الحزن والكمد ، وإنها مظهر واضح لما كان فيه من التبرم بالناس والحياة وأن وفاة جدته كانت مفجراً لعاطفته ، فأرسل نفسه على سجيتها فبكى فيها بكاء مراً :

حرام على قلبى السرور فإننى
أعد الذى ماتت به بعدها سما

وما انسدت الدنيا على لضيقها
ولكن طرفا لا أراك به أعمى

فوا أسفا أن لا أكب مقبـلا
لرأسك والصدر الذى ملئا حزما

وتحدى الناس تحدياً صارخاً :

لئن لذ يوم الشامتين بيومها
فقد ولدت منى لا نفهم رغما

تغرب لا مستعظما غير نفسه
ولا قابلاً إلا لخالقه حكما

يقولون لى ما أنت فى كل بلدة
وما تبتغى ، ما أبتغى جل أن يسمى

كأن بنيهم عالمـون بأننى
جلوب إليه من معادنه اليتما

واستهتر بالدنيا وما فيها :

كذا أنا يا دنيا إذا شئت فاذهبى
ويا نفس زيدى فى كرائهها قدما

هذا هو أثر المرأة الأم ، أو على الأصح المرأة الجدة ، فى شعر المتنبي ، فما هو أثر المرأة الزوجة والمرأة الحبيبة فى حياته وشعره ؟

إذا كان قد وجد بين المؤرخين من يذكر أم المتنبي فيقول إنها همدانية من صلحاء نساء الكوفة ، فإنه لم يوجد بينهم من يذكر زوجته أو يتحدث عنها بشىء ، فنحن لا نستطيع أن نعرف فى أى زمن تزوج المتنبى ، ولا فى أى طور من أطوار حياته ، ولا فى أى بلد من البلاد التى نزلها ، بل إن الغموض ليكتنف هذه النقطة من تاريخه كل الاكتناف ، وليس لدينا شىء واضح عنها ، غير أنه كان له ولد سماه « محسداً » ، أما من هى أم محسد ، وكيف اتصل بها المتنبى ، وأين اتصل ، وكيف كانت حياته معها ؟ فإنا لا نستطيع الإجابة على شىء من هذا . فهل عاشت معه فى بلاط سيف الدولة ؟ وهل انتقلت معه إلى مصر ؟ وهل ذهبت إلى أرجان وشيراز ؟ وهل امتدت بها الحياة بعده أم ماتت قبله ؟ كل ذلك لا يجيبنا عنه التاريخ بشىء ،

التناقض
فى كتاب النثر الفنى
للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

تقدم فيما أسلفنا من كلمات مثل من تناقض صاحب النثر الفنى ، لكن المقام فى تلك الكلمات لم يكن يسمح بالتنبيه إلى ذلك التناقض إلا عرضاً . فلعل من الخير الآن أن ننبه إلى بعض ما فاتنا التنبيه إليه هناك

وأول ما نحب التنبيه إليه من هذا تناقضه فى موقفه من المأثور من النثر الجاهلى . فبينا هو ينفيه ويغالى فى موقف ، إذا هو يثبته ويؤكده فى موقف ، فهو ينفيه نفياً بتاً فى قوله :

« وما نقله الرواة من النصوص لا يكفى لتعيين أساليب النثر فى العصر الجاهلى ... وهو على قلته مما وضع فى العصر الأموى وصدر العصر العباسى لأغراض دينية وسياسية » ص ٣٥ : أول : ثم يؤكد ذلك فى صفحة ٣٧ إذ يقول :

« وإذا كان الشعر الجاهلى مهدداً بمثل هذا الرفض مع اتفاق الباحثين على أنه كان وحده موضع عناية الرواة والحفاظ والناسخين ، فكيف يمكن الاطمئنان إلى صحة ما نسب إلى الجاهليين من النثر مع أن عناية الرواة به قليلة ، ومع أن من خطباء الإسلام نفسه من ضاعت آثارهم لقلة التدوين » لكنك تقرأ له فى صفحة ٥٢ ما ينقض هذا من أساسه إذ يحدثك :

« فأنا من الذين يرون أنه كان هناك أدب جاهلى واسع النطاق ...

يقولون : وأين آثار ذلك الأدب الجاهلى ؟

وأجيب : بأن ذلك الأدب قد ضاع أكثره حتى ليصعب أن نتخذ منه أداة لوصف ما كان عليه الجاهليون من أنظمة أدبية وسياسية واجتماعية ودينية

وهنا يبتسم المنكرون قائلين ومن يدرينا أنه كان هناك أدب ضاع ؟

وعند هذه المفاجأة نجد الجواب ، لأن الأدب الجاهلى لم يضع إلا عند المتأخرين ، أما المتقدمون من رجال القرن الأول والثانى والثالث فقد عرفوه وتدارسوه » !

ولكن أمراً واحداً يستوقف النظر ، هو أن الذين ذكروا مقتل المتنبى ذكروا أن محسداً قتل معه ، فنحن نعرف من ذلك أن محسداً كان يصحب أباه فى عوده من فارس إلى العراق ، ولكننا لا نعرف السن التى كان فيها محسد ، كما إننا لا نعرف أين كانت أم محسد فى ذلك الحين . على أننا نستطيع التأكد من أنها لم تكن تصحبه فى تلك الرحلة القانية ، لأنها لو كانت تصحبه وقتل زوجها وولدها لسمعنا عنها خبراً ، ولروى أبو نصر الجبلى للخالدين عنها شيئاً ؛ فياليت شعرى هل كانت لا تزال على قيد الحياة تنتظر أوبة زوجها وولدها وتستعد لاستقبالها بعد الغياب الطويل ؟ هل كانت أم محسد فى الكوفة تترقب عودة أبى محسد ومحسد فتبعثهما لواعج الوجد والشوق وتفضى إليهما بما فى الصدر من هوى وحنين ؟ أم كانت فى مكان آخر تستطلع أخبار الغائبين العزيزين متوقعة ما يحملانه لها من مجد ورفاه ومال ؟ أجل هل كانت حية تنتظرهما أم كانت ميتة من عهد بعيد أو قريب فلم يفجعها موتهما الدامى ؟

كل ذلك سر فى ضمير التاريخ لم يكشف عنه لأحد . ولكننا نتساءل : هل يمكن أن تموت فى حياة زوجها ، ثم لا يرثيها بكلمة ولا يبكيها بقصيدة بعد أن رأينا شدة تفجعه على جدته وطول حرقته لموتها ، ونحن يعنينا فى مقالنا هذا أن نعرف مدى تأثيرها فى حياة المتنبى وفى شعره ، وبعد كل الذى مر ندرك أننا لا يمكن أن نجد لها أى أثر فى حياته ولا فى شعره

أما ما كان من تأثير الحبيبة فى المتنبي فذلك ما سنجيب عليه فى مقال تال .

(النباطية — بلاد الشام) حسن الأمين

ثم يعود فيؤكد هذا فى صفحة ٥٣ إذ يقول : « أنا أقول بأن الأدب الجاهلى لم يضع إلا عند المتأخرين ، أما المتقدمون فكانوا يعرفونه ويروونه ويتجرون به فى الأسواق الأدبية وعلى أبواب الملوك »

فصاحب النثر الفنى يثبت هنا ما كان قد نفى وأنكر هناك من وجود نثر جاهلى صحيح عرفه القدماء الإسلاميون وتدارسوه ، واستنتجوا منه ما استنتجوا ، وحكموا عليه وله بما حكموا . وهو بهذا يهدم كل ما بنى ورتب على فقد النثر الجاهلى من محو إهماله آراء القدماء وحكمهم فى نثر الجاهلية ، واضطراره إلى الرجوع إلى القرآن لاستنباط صفات ذلك النثر ، بقطع النظر عن رأى صاحب النثر الفنى فى القرآن . أما كيف ، وقد كان ذلك النثر موجوداً مدروساً فى القرون الثلاثة الأولى ، أمكن أن يندثر ويضيع فى القرن الرابع والقرون بعده ، فذلك ما لا فائدة فى التسآل عنه أو النظر فيه عند صاحب الكتاب

وموقف صاحب الكتاب من أمية العرب فى الجاهلية يشبه موقفه من النثر الجاهلى ، فهو يقضى فيها بما يلائم غرضه فى كل مقام . إذا أراد أن يهدم ما بناه الأقدمون على أمية العرب شكك فيها ثم نفاها ، حتى إذا أراد أن يحتج لبعض مزاعمه التى ينقضها نفيه الأمية عن عرب الجاهلية أثبتها وأشاعها

فهو يشكك فيها حين يريد أن يثبت لهم أدباً مكتوباً فى الجاهلية إذ يقول : « وهذا الذى أقوله يحملنا على الشك فى التقاليد التى جرى عليها الباحثون من أن العرب كانوا أميين بدرجة خطيرة ، وأنهم لذلك لم يحفظوا عن طريق الكتابة شيئاً يستحق الذكر من قصائدهم وخطبهم ورسائلهم »

وهو ينفيها عنهم حين يثبت لهم فى الجاهلية علوماً ونهضة لا تقوم إلا على الكتابة والكتّاب كما ترى فى قوله : « وظهور كتاب كالقرآن فى أى لغة يدل على أنها تعدت طور الطفولة منذ أزمان ، واللغة حين تصل إلى عهد القوة والفتوة لا تخلو من باحثين يهتمون بتقييد ما يعرض للأساليب من القوة والضعف والوضوح والغموض » ص ٤٨ وفى قوله : « وإنما أرجح أن يكون العرب فى جاهليتهم عرفوا النحو وعرفوا غيره من العلوم الأدبية . ألسنا نرى القرآن يجرى على نمط واحد فى أوضاعه النحوية لا يختلف فى ذلك إلا باختلاف رواته من القبائل المختلفة » ص ٥٥

وفى قوله : « ونتيجة ما سلف أن العرب فى جاهليتهم اهتموا بالنثر الفنى اهتماماً ظهر أثره وعرفت خواصه فى خطب الخطباء ورسائل الكتاب » ص ٥٦

فاقرأ له واعجب إذ يقول بعد ذلك مباشرة : « ولكن ما عرف عن العرب من إهمال التقييد والتدوين لشيوع الأمية فيهم أضاع علينا معرفة من اهتموا اهتماماً جدياً بتدوين البديع ، فكان من ذلك أن شاع الاعتقاد بأن ابن المعتز هو أول الكاتبين فى هذا الفن الجليل » هذا يقوله فى مقام يريد فيه أن يجعل البديع كالنحو علماً معروفاً فى الجاهلية كما هو صريح كلامه فى صفحة ٥٦ ، فلما لم يجد دليلاً أو شبه دليل على ذلك علله بإهمال التقييد والتدوين لشيوع الأمية فى عرب الجاهلية ، ناسياً ما كان ادعاه لهم من قبل من وجود علماء كاتبين يهتمون بتقييد العلوم

ومثل آخر من اضطرابه وتناقضه ما كتب فى القرآن وأثره فى أهل العصر الأول ؛ فهو فى صفحة ٥٨ يروى فى الهامش رأى المسيو مرسيه من أن العرب كانوا يتجنبون محاكاة القرآن وأن القرآن لذلك لم يؤثر فى نثرهم الفنى تأثيراً يذكر . وقد وافقه بحق على تجنبهم المحاكاة وخالفه بحق كذلك فى إنكاره تأثرهم بالقرآن إذ يقول : فإن ذلك — أى تجنبهم المحاكاة — لا ينافى تأثرهم به وتأثيره فيهم ، فإن هناك عدوى روحية تمس القلب والعقل وتصبغ الآثار الأدبية بصبغة ما يقرأ المرء أو يسمع وإن تكلف الهرب وحسب نفسه بمنجاة من المحاكاة والتقليد »

فهذا صريح فى أنه يرى أن تأثرهم بالقرآن كان غير مباشر ، أى كان رغم تكلفهم الهرب عن المحاكاة والتقليد . لكنه يرجع بعد ذلك فى صفحة ٦٠ فيقول توصلاً إلى تخطئة بعض مخالفيه « والقرآن أساس المنهج الكتابى لذلك العصر — عصر الصدر الأول — بلا شك » فينقض بهذا ما وافق وما خالف به

من الشعر الجـــــديد

للأستاذ محمد محمود رضوان

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

ونعود بعد ذلك إلى قصيدتنا فنكشف ما فيها من سمات الشعر الجديد بقدر ما يطيقه قلمى الضعيف . فنها :

اضطراب الوزن

وشعراؤنا المجددون لا يأبهون بأوزان الشعر كثيراً ... هم ينظمون كما تهديهم الفطرة فإن جرى نظمهم على أوزان الشعر فبها . وإن حادوا عنها ووجدوا من يلومهم أخذتهم العزة فراحوا يعنفون هذا الأسلوب العتيق — مراعاة الوزن — وينادون بتحرير الشعر من هذه القيود الثقيلة التى اصطنعها الأقدمون

وإذا كان الشاعر — على شرف الدين وهو من الذين درسوا العربية وراضوا عروضها وقافيتها يهمل الوزن فأحر بسائر شعرائنا الشبان أن يكونوا أكثر منه إهمالاً له

مطلع قصيدته « أين الطريق »

ملّ الرحيل معفّرٌ أودى به حظ الأديب

وهى كما ترى من (مجزوء الكامل) ووزنه (متفاعلن) أربع مرات . وقد اختل الوزن فيها مرتين . الأولى فى قوله :

لن تشهدى منى السرور على الشروق ولا البكاء على الغروب

فإنه كرر (متفاعلن) خمس مرات . والأخرى كذلك أيضاً فى قوله :

وكأنما للنمط والحرمان من أبنائها حظ الأديب

تناقض المعانى

ويحدث هذا فى أشعار القوم ، لأنهم لا يقصدون إلى هدف فى نظمهم . وإنما هى أفكار تروح وتجىء ، وتشرق وتغرب على غير هدى . ولقد يخيل إلى أن الشاعر منهم يشرع فى نظم قصيدته ومافى نفسه غاية أو هدف فما يزال يلفق البيت والأبيات من الشرق ومن الغرب حتى تستوى له قصيدته . ولئن سألته ماذا يعنى وأيا يريد لتسلل لواذاً ما يلوى على شىء . فهل تنتظر من مثل هذا إلا أفكاراً متناقضة ومعانى متباينة ؟

وهذا شاعرنا يحدثنا عن برمه بالحياة لكثرة نوازلها حتى لقد مات شعوره

وتمررت نفسى زماناً ثم تابت من لغوب
مات الشعور بها فما أنا بالحزين ولا الطروب

وإذن فقد مات شعوره فما يحس حزناً ولا طرباً ، ولكنه بعد ذلك يحدثنا عن قلبه الذى ينزع بالشجو ثم يشكو أساه إلى والديه ، ثم يرجع فى آخر قصيدته « مكلوم الفؤاد بحظ منسى سليب » ، ولست أدرى كيف يتفق الشجو والأسى والفؤاد المكلوم لإنسان فقد الشعور ؟ ...

وتراه يقول إنه لم يبق منه بعد أن أرهقه الزمان

إلا بقـــايا مأتم فى الوجه يبديه شحوبى

مرسيه ، إذ كيف يمكن أن يكون القرآن أساساً للمنهج الكتابى من غير أن يقلَّد أو يحاكى ، أم كيف يتكلفون الهرب من محاكاته ثم يكون عندهم أساساً للمنهج الكتابى ؟

وأعجب من هذا وأصرح فى تناقضه أنه بعد أن رجح معرفة الجاهليين علم النحو بناء على جرى القرآن على نمط واحد فى أوضاعه النحوية ، رجع فنفى ذلك فى الهامش فى نفس الصفحة (ص ٥٥) إذ يقول تعليقاً على دعواه تلك :

« عدم اختلاف الأوضاع النحوية لا يدل على أن العرب لذلك العهد كانوا عرفوا النحو ، ولكنه دليل على أن اللغة كانت موحدة فى طرائق التعبير ، وهذا كاف للاقتناع بأنهم فكروا فى ربطها بقواعد النحو وأصول البيان » ! فانظر إلى استدلاله على معرفتهم النحو فى الجاهلية بعدم اختلاف الأوضاع النحوية فى القرآن ، ثم نصه على أن عدم اختلاف الأوضاع النحوية لا يدل على أن العرب لذلك العهد كانوا عرفوا النحو ، واحكم هل هذا بحث باحث أو عبث عابث ؟ أما كيف أن توحُّد اللغة فى طرائق التعبير كاف للاقتناع بأنهم كانوا فكروا فى ربطها بقواعد النحو وأصول البيان فى الجاهلية ، أم كيف أنهم فكروا فى ربطها بقواعد النحو مع أن العرب لذلك العهد لم يكونوا عرفوا النحو ، فأمر لا يقدر على فهمه إلا من قدر على قوله : صاحب الكتاب ومن على غراره فى البحث والتفكير .

محمد احمد الغمراوى

أشـــلاء آمال تلوح كأنها صرعى الحروب

ولست أدرى كيف يتفق لمثل هذا المحطم الذى لم تبق له الأيام إلا أشلاء من الآمال أن يرق الجبل مزوداً بأعصاب قوية

فصعدت لا زاداً سوى الأعصاب والفصحى العروب

ثم ما رأيك فى كلمة « الأعصاب » فى هذا الشعر ؟

ومن تناقضه أيضاً أنك تراه ساخطاً على الشباب آملا الخير فى المشيب :

وسئمت من ليل الشبيبة وانتظرت سنا المشيب

ولكنه — وقد بلغ الثمانين من زهده وشاب بخياله — ساخط أيضاً على المشيب :

وبلغت من زهدى الثمانين التى هدّت جنوبى

عثرات اللغة والنحو

وهذا شائع فى شعر القوم ولا سبب له إلا جهلهم باللغة وأساليبها ، وفقرهم فى الاطلاع على كنوزها ودقائقها . وارتضاخ ألسنة الكثير منهم بلكنة أعجمية يُزْهون بأن تظهر فى تعبيرهم ، وأخيراً عدم مبالاتهم بما يفشو فى أساليبهم من اللحن وتهوينهم من شأنه . يقول شاعرنا :

وتكشفت لى محنـــة الأكفاء فى البلد العجيب

والأكفاء هم النظراء ، وإنما يريد الأكفياء جمع كفى أو الكفاة جمع كاف ... ويقول :

وقصيدُ عمرٍ دامىَ الأوزان مجروحَ الضروب

ولست أدرى بم نصب نعت المرفوع . ولا معنى للتعلل بالقطع هنا

ازدحام الاستعارات وفسادها

ولعل فساد الاستعارة من أشهر عيوب القوم . فالمعروف أن للاستعارة أصولا ودقائق يزلّ من يحيد عنها ، وأنه لا بدّ من أن تكون مشابهة بين المستعار والمستعار له حتى تصح ... على هذا جرى كلام العرب ، ولكن سادتنا لا يحفلونه ، هم يستعيرون ما شاءوا لما شاءوا من غير اكتراث بعلاقة . وحسبهم ما فى الألفاظ من بريق ولمعان

ثم إن الاستعارة فى كلام بلغاء العرب كانت بمقدار ، وقد تقرأ القصيدة من شعر امرىء القيس أو الفرزدق فلا يقع لك إلا استعارة أو اثنتان أو ثلاث أو ما قرب من ذلك ، وقد عاب النقاد على شعراء بنى العباس إيغالهم فى الاستعارة والتجنيس ، وقضية الاستعارة فى شعر أبى تمام استغرقت أكثر كلام الآمدى فى كتاب الموازنة . فما بال شعرائنا يغرقون فيها — إلى فساد فى التشبيه وانقطاع فى الملاءمة — إغراقاً بعيداً يجعل كل شعرهم استعارات وصوراً متراكمة ، وما هكذا يكون البيان . وقديماً قالوا إن الشىء إذا زاد عن الحد انقلب إلى الضد . اقرأ لشاعرنا هذه الأبيات :

أشـــلاء آمال تلوح كأنها صرعى الحروب

وجـراح أنات تلاشت واندملن على ندوب

ورفات آهات تضمن قبرها صدر الغيوب

وقناة دمع لم تزل بالخد من عهد النحيب

وحنين قلب ملجم الدقات مكبوح الوجيب

نزاع شجو دونه فى ناره شجو الغريب

وقصيد عمر دامى الأوزان مجروح الضروب

أرأيت إلى أشلاء الآمال ، وجراح الأنات ، ورفات الآهات وقبرها ، وصدر الغيوب ، وقناة الدمع ، والدقات الملجمة ، وقصيد العمر ، والأوزان الدامية ، والضروب المجروحة ؟ أرأيت إلى هذه الزحمة المرهقة ؟ ثم اسمع إليه بعد ذلك يصف أيام الطفولة بأنها رفافة كالروح أو كالنور أو طيف الحبيب وأنها ريا كنوار المروج ، ثم إنى أؤكد لك أن شاعرنا — على ما رأيت — مقتصد فى استعاراته وتشبيهاته بالنسبة لما عودناه شعراؤنا المجددون ، فهل هذا هو التجديد يا معشر الشعراء ؟

لقد مرت عصور كان الجناس فيها آفة الأدباء ، فهل يحق لنا أن نقول إن الاستعارة والتشبيه اليوم آفة الشعراء ؟

سوء المقابلة

والمقابلة من محسنات البديع ، ولكن لها دقائق . وقديماً عابوا على الشاعر مقابلته المحب بالمجرم فى قوله (سرور محب أو إساءة مجرم) ، لأن مقابل المحب هو المبغض لا المجرم مع أن المبغض مجرم

وشعراؤنا يقابلون فيخلطون ، وشاعر اليوم يقابل السرور بالبكاء وبرج السعد ببرج الخطوب وإنارة الشمس بغيابها ، وقد يكون له فى كل هذا تأويل ولكنه على كل حال مما يضعف الشعر ويشوه جماله

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٥٧ — أنا آكل الكبش بصوفه

قال الطبرى : كان للفضل بن الربيع (وزير الأمين) خال يستعرض أهل السجون ويتعاهدهم ويتفقدهم ودخل فى حبس الزنادقة فرأى فيه أبا نؤاس [1] — ولم يكن يعرفه — فقال له : يا شاب ، أنت مع الزنادقة ؟ قال : معاذ الله قال : فلعلك ممن يعبد الكبش

قال : أنا آكل الكبش بصوفه ...

قال : فلعلك ممن يعبد الشمس

قال : إنى لأتجنب القعود فيها بغضاً لها

قال : فبأى جرم حبست ؟ قال : حبست بتهمة أنا منها برىء ، قال : ليس إلا هذا

قال : والله لقد صدقتك . فجاء إلى الفضل فقال له : يا هذا لا تحسنون جوار نعم الله (عز وجل) أيحبس الناس بالتهمة ؟ قال : وما ذاك ؟ فأخبره بما ادعى (أبو نؤاس) من جرمه فتبسم الفضل ، ودخل على محمد (الأمين) فأخبره بذلك ، فدعا به وتقدم إليه [1] أن يجتنب الخمر والسكر ؛ إن قال نعم ، قيل له : فبعهد الله ، قال : نعم ، فأخرج

(١) قال أبو الورد السبعى : كنا عند الفضل بن سهل بخراسان ، فذكر الأمين فقال كيف لا يستحل قتاله وشاعره يقول فى مجلسه :

ألا فاسقنى خمراً وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سراً إذا أمكن الجهر

فبلغت القصة محمداً فأمر الفضل بن الربيع فأخذ أبا نؤاس فحبسه

٥٥٨ — غريم وقاض كريم

فى (جمع الجواهر فى الملح والنوادر) لأبى إسحق الحصرى : قال الصولى : كنت يوماً بين يدى (أمير المؤمنين الراضى بالله) إذ دخل عليه بعض الخدم برقعة دفعها صاحب الخبر الملازم لمجلس أبى عمر القاضى : يذكر أن رجلاً أحضر خصما للقاضى ، وادعى عليه مئة دينار ، فألزم القاضى الغريم اليمين إذ لم يجد الخصم بينة ، فأخذ الدواة ، وكتب بيتين ، ودفعهما إلى القاضى ، فأمر القاضى غلامه فأحضر مئة دينار ، ودفعها إلى الرجل ، والبيتان هما :

وإنى لذو حلف كاذب
إذا ما اضطررت وفى الأمر ضيق

وهل من جناح على مسلم
يدافع بالله ما لا يطيق ؟

فعجب الراضى من الرجل وديانته ، وعجب من كرم القاضى وحسن ما فعله

٥٥٩ — بما رضى به لنفسه ولأنبيائه

كان لشريك القاضى جليس من بنى أمية ، فذكر شريك فى بعض الأيام فضائل على بن أبى طالب ، فقال ذلك الأموى : نعم الرجل على ! فأغضبه ذلك وقال : ألعلى يقال : نعم الرجل ، ولا يزاد على ذلك . فأمسك حتى سكن غضبه ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، ألم يقل الله تعالى فى الإخبار عن نفسه (فقدرنا فنعم القادرون) ، وقال فى أيوب (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب) ، وقال فى سليمان (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) أفلا ترضى لعلى بما رضى الله به لنفسه ولأنبيائه ؟

فتنبه شريك منذ ذلك لوهمه ، وزادت مكانة ذلك الأموى فى نفسه .

(١) فى أساس البلاغة ، والقاموس ، والمصباح : تقدم إليه فى كذا وقدم إليه تقديماً : أمره به . وفى القاموس أمره وأوصاه به .

ضعف الأسلوب

وهذا موضوع يطول شرحه فى شعر القوم ، ولكن لن يفوتنا أن نمثل له بقول شاعرنا

أمى أبى أدعو وعند كليكما خير المجيب

وقوله يخاطبهما

أغضبتما فكبا جوادى أم ترى كثرت ذنوبى

وقوله :

وبلغت من زهدى الثمانين التى هدت جنوبى

فما رأيك فى (عند كليكما خير المجيب) و (أم ترى كثرت ذنوبى) وجمع الجنب فى (هدت جنوبى) ؟

***

أما بعد ... فهذه نظرات سريعة لم يملها علينا إلا رغبتنا فى خير الشعر الجديد . ولدينا — فوق ذلك — مزيد .

(بنى سويف) محمد محمود رضوان

ميت بين الأحياء

للدكتور عزيز فهمي

أنا حيٌّ غيرَ أنى لستُ حيّا   إنما أطوى بقايا العمرِ طيّا
ذَبلَ القلب فأذوى مُقلتيّا   وأرانى ضاحكا طلق المُحيّا

وأرانى ناعمَ البالِ رضيّا
ليتنى اليومَ كما كنتُ شقيّا !

يوم كُنا فى أتون العمر نَصلى   حَرَّهُ هجراً وتعذيباً ووصلا
إن دنا منا حبيبٌ ثم مَلا   بدّلَ القلبُ حبيباً وتسلى

لا نُبالى من تجنّى أو تولى
إن دعانا الحبُّ لم نعدم حفيّا

يوم كان الشعر وحياً وهديلا   يوم فجّرناه نبعاً سلسبيلا
يوم كان العيش مهلاً وذلولا   يوم كان الجِدُّ لهواً وفضولا

يومَ علّمْنا القَمارِىَّ الهديلا
يوم علمنا القمارىَّ الرَّويّا !

يوم كنا نُزهقُ الجسم شبابا   يوم كنا نرشُفُ العمر حبابا
كيف أضحى ذلك القلبُ خرابا   كيف حال الكرْمُ غِسليناوصابا

كيف حالت جذوة القلب ترابا
كيف أمست بعدها صفراً نُديّا !

ما لعينى لا ترى رأياً جديدا   أغشتها غشوة عادت صديدا ؟
ما لقلبي خافقاً خفقاً وئيدا   ذلك القلب الذى كان عنيدا !

كل شىءٍ جامد حولى جمودا
ليس فى دنياى ما يوحى إليّا !

كلما لاح بريق فى سمائى   أو بدا آلٌ تلفّتُّ إزائى
فإذا بالبرق وَمضٌ كسنائى   وإذا بالآل أطلال تُرائى

وأنادى والصّدى رجعُ ندائى
ليتنى لم ألف فى الأوهام شيّا !

ويروح الناس أو يغدون حولى   وأنا راضٍ بحالى وبحِلى
ويجِدّون لِلَهوٍ أو لِشغل   وأنا حيرانُ مشدوهٌ، وعقلى

عاجز عن درك ما يشغل مثلى
من رآنى ظن بى مسّا خفيّا

شاب هذا الروح واليأس احتواه   مذ أفاق الروح من حلم شجاه
وأفاق الصب من ماضى هواه   عبثاً تنشد يا قلبى سواه

قد كَبُرْتَ اليوم فاقنع بشذاه
عش جماداً أو فعش مثلى خليا !

أيهذا البلبل الشادى بلحن   ما لهذا اللحن لا يُطرب أُذنى
أيها البلبل ! ما هذا التجنى ؟   هاتِ صوتاً غير هذا أو فدعنى

يا أمير الدوح لُمْ أو لا تَلُمْنى
كان هذا الصوت فى الماضى شجيا !

عزيز فهمى

صديقى الربيع

للأستاذ العوضى الوكيل

شجرُ «المشمش»[1] ازدهرْ   وغدا أبيض الغُرَرْ
وسرى البِشْرُ فى الغصو   نِ نُضاراً وفى الزَّهَرْ
تلكَ بُشرى الربيع قد   سبقت ركْبَهُ النَّضِرْ !

يا صديقى الربيع عُدْ   تَ، فجدّدْتَ ما غَبَرْ
كم فؤاد لحسنِكَ الرّ   ائع الفاتن انتظرْ !
شاعرٍ خالدِ النشيـ   دِ ولولاكَ ما شَعَرْ !
ناقلٍ عنك ما استطا   عَ سبيلاً وما قَدَرْ !

يا صديقى الربيع قد   لجّ بي الشوقُ واستعَرْ
لمرائى نضيرة   فيكَ يُروَى بها النظرْ !
ومعانٍ وضيئةٍ   فيك تسمو على الفِكرْ
ونسيم لشهر آذا   رَ عذب السرى ، عطر

العوضى الوكيل

(١) المشمش أول الأشجار إحساسا بالربيع فهو أسبقها إزهاراً وإبراقاً



حول شعر الشباب

قرأت مقال الأستاذ محمد محمود رضوان فى العدد الأخير من الرسالة الغراء ؛ وقد تصدى فيه لاحتمال ما تركه الأستاذ الكبير (ا . ع) من سوق الأمثال لمواضع النقص فى شعر الشباب .

وعجيب من الأستاذ رضوان أن يتنصل من طابع الشباب مبكراً ، ويحاول أن يقود الحملة على شعر إخوانه الشبان ! على أن العجب قد يقل أو يضمحل إذا علمنا أن الأستاذ قد خلص من متاعب العام الدراسى ، واستقبل فترة الراحة والاستجمام ، فهو يأبى أن يدع الطير في أوكارها ، ويرى بسهامه هدفين من زملائه ، ويمعن فى البأس والتحدى فيرمى إلى غرض ثالث بعيد !

لقد أخذ على الأستاذ طاهر أبى فاشا ميله إلى شكوى الزمان ، ورأى فى ذلك اللون من الشعر تناقضاً مع ما يعرفه عن (طاهر) من الدعابة . . . وفاته أن الشاعر يعلم من أسرار نفسه أكثر مما يعرفه خلطاؤه ! فقد يهزأ بالحياة ظاهراً ، ويخوض عبابها مع الخائضين ، حتى إذا بلغ منه يأس الزمان ، نفَّس عن نفسه ، وسجل على الحياة عدوانها ، وهو فى كل ذلك فطرىّ النزعات ، لا يمت إلى التناقض بسبب ، وإنما هو الشاعر : يسخر حيناً ، ويجدّ حيناً :

أعاتب نفسى أن تبسمت خالياً
وقد يضحك الموتور وهو حزين !

ومن ينكر على الأستاذ (على شرف الدين) غرامه بشكوى الزمان ، وهو الشاعر الأبى النفس ، الذى قعد به حظه العاثر ، وسلك إلى غايته السهل والوعر ، فلم ينل من الحياة ما يرضى نفسه الطموح ! وهل يؤخذ على قصيدته الرائعة أنها قوية النسج ، جزلة الأسلوب ، موحدة الفكرة ، وتلك صفات نلتمسها فى كثير من الشعر فلا نظفر بها ؟ أفيصح بعد هذا أن ننظر إليها على أنها من الشعر القديم ؟ ! لقد ظلم شعراء الشباب ! إذا أخطأهم النسج القوى ، وصفتم شعرهم بالسخف والفتور ، وإذا راعكم منهم البيان الجزل قلتم : هذا من الشعر القديم ! كنت أود أن تنقد القصيدة — وأنت الشاعر — من حيث الوزن ، فتشير إلى هَنَةٍ جاءت من الأستاذ مهواً ، يراها القارئ المدقق فى البيت الخامس منها . . . وإنى أدعك لألمعيتك — وأنا بها جدُّ خبير — وسأرى ما أنت صانع

ثم إن الأستاذ « رضوان » يفرق بين غموض بعض الصور فى شعر الشباب ، وغموض كثير من الصور فى شعر القدامى ! ويسألنى ! هل تبينت معنى قول أبى تمام :

جهمية الأسماء ، إلا أنهم
قد لقبوها جوهر الأشياء

وقوله :

هن عوادى يوسف وصواحبه
فَعزْماً ، فَقِدْماً أدرك النجح طالبه

وقد فات الأستاذ أن الغموض غموض حيث كان ، وأنه مخل بالبلاغة على أية حال ، وأن الشاعر القدير لا يكد ذهن قارئه فى الوصول إلى ما تنطوى عليه أساليبه ، وبقدر ما يتوافر له من أسباب الوضوح يكون حظه من البيان ، ومنزلته بين الشعراء . ولأمرٍ ما وصف المتنبي وأبو تمام بالحكمة ، وانفرد البحترى بصفة الشاعرية المطلقة !

وهل ضرب النقاد الأمثال للتعقيد اللفظى والمعنوى من قول القدامى ظالمين أو عابثين ؟

وبعد فإنى أوثر أن يتولى الشباب الدفاع عن شعرهم ، وأقف من هذه القضية عند هذا الحد ، وأعتقد أن عناصر النبوغ كثيرة فى شعر الشباب ، وأن التوجيه والإرشاد أجدى على الأدب ، وأليق بالناقدين والسلام

(الاسكندرية) (م . ع البشبيشى)

القرآن الكريم في كتاب النثر الفني

كتب الأديب إبراهيم السيد عجلان في العدد ٥٦٧ من الرسالة كلمة ذات شطرين: شطر يتعلق بنص ذكره من كتاب الموازنة بين الشعراء وشطر يتعلق بالزام ذكره مما كتبنا

أما الشطر الأول فالدكتور زكي مبارك موجود ليدفع عن نفسه إن استطاع، ومع ذلك فقد اعترف حديثاً بأن ما أسندناه إليه هو بالفعل رأيه

وأما الشطر الثاني فيكفي أن ننبه الأديب الفاضل إلى كلمتين أغفلهما تحددان الذاتية الأدبية التي هي مدار الإلزام، وهما كلتا «كالتي أراد» أي ذاتية كالتي أراد زكي مبارك. وهو لم يرد إلا ذاتية أدبية تستلزم كتابة الرسائل وتأليف الكتب في الجاهلية، أي ذاتية أدبية غير التي أشار إليها الأديب وأجمع عليها جميع العلماء والمؤرخين.

محمد أحمد الغمراوي

حول الشعر الجديد!

ليس بغريب أن تفسح الرسالة «وصاحبها من رسل التجديد في الأدب العربي عامة» صدرها لمناقشة الجديد والقديم من الروح الشعري؛ بل إن فترة الانتقال والتقلقل التي نجتازها لتفرض علينا هذا النضال، وتاريخ الأدب حافل بأمثاله. ولكن الغريب حقاً أن يكون حماة القديم والداعون له دائماً من رجال اللغة والنحويين (وإني لأحبهم، فقد أشربت تقديرهم عن والدي وأستاذي الزيات والمبارك) لم أفهم لهذه الثورة سبباً ولن أفهم حتى أجد لهذه الأسئلة جواباً:

ما معنى التجديد عند دعاة القديم؟ هل هو عرض الفكرة القديمة في لفظ جديد؟! وكيف يكون اللفظ جديداً واللغة واحدة. أوليس من الطبيعي أن تتجدد الفكرة والصورة دون اللفظ، لأن البيئة تتجدد فالأحاسيس التي تثيرها تتجدد، والتعبير الذي يصورها يتجدد. ومن التعبير تكون الفكرة. ماذا جناه شعراء الشباب - وأنا منهم - سوى أنهم جددوا في الفكرة مع حيوية في التعبير وقوة التصوير وسلامة في اللغة؟

إن التجديد - بمعنى اقتراع ما لم يكن - بدأ في اعتقادنا بالتمثيلية الشعرية؛ وستجد هذه والملاحم أيضاً - كما يدعو الناقد المجدد الأستاذ دريني خشبة - سبيلها إلى الكمال عندنا؛ فقد أوشكنا أن ننتهي من ملحمة كبيرة عنوانها «ملائكة وشياطين»، وعند إخواننا الملهمين الأفاضل محمود إسماعيل وقطب وجودت وعبد الغني حسن ومحمود شعبان والخميسي وفؤاد كامل والدكتور فهمي ومحي الدين صابر ومخيمر والوكيل

هذا في الشعر أما في النقد فإن رسل التجديد فيه هم شبابنا الأفاضل مندور وخشبة وقطب والعريان، وفي القصص الأساتذة ذهني وجوهر وباكثير والمسيري والمصري والسحار ومحفوظ.

هؤلاء هم حملة رسالة التجديد من الشباب؛ وإن الحياة لتسير؛ وليس منا من توهم أن رسالتنا يمكن أن تتأثر بمقال، وهيهات أن يكتمل النقد من غير مثال

حسين محمود البشبيشي

«الفوضى» في المجمع

رأيت الأستاذ الكبير (ا. ع) بك عضو (مجمع فؤاد الأول للغة العربية) يستعمل في نقد (الشعر الجديد) المنشور في مجلة (الرسالة) لفظة (الفوضى) بمعنى الاضطراب والعبث، ورأيت زميله في المجمع أيضاً الأستاذ أحمد أمين بك يستعملها كذلك في اقتراحه الذي قدمه أخيراً للمجمع المذكور، وكذلك زميلهما الأستاذ الجليل السيد محمد الخضر حسين في نقده لهذا الاقتراح

ويقول الدكتور مصطفى جواد فى (مجلة المجمع العلمى العربى — ج ١٠ م ١٨ — : « الفوضى جمع لا مفرد ، ووصف لا اسم جامد ، واستعمالها وإن شاع لا يدل على بصارة بلغة العرب . فالفوضى كالمرضى والقتلى والشتى والصرعى وما أشبه ذلك . فاستعمال « الفوضى » بمعنى الاضطراب والاختلاط والعبث والانتشار والمرج والاختلال خطأ مبين » . وهو موافق لما نص عليه بعض ثقات اللغويين ، ولكن فى كلامهم أيضاً وكلام غيرهم من الأثبات ما يؤيد صحة الاستعمال المشهور : ففى المخصص (صار القوم فوضى أى متفرقين) وفى اللسان (قوم فوضى : مختلطون ... والوحش فوضى متفرقة تتردد ... ونعام فوضى أى مختلط بعضه ببعض ... التهذيب : كل ما كان فى اللغة من باب الإفاضة فليس يكون إلا عن تفرق أو كثرة) وفى الجمهرة (جاء القوم فوضى إذا جاءوا وذهبوا مختلفين) وفى التاج (قال أبو زيد : أمرهم فيضيضى بينهم وفيضوضى ويمدان وفيوضى بالفتح أى فوضى . وذلك إذا كانوا مختلطين يلبس هذا ثوب هذا ، ويأكل هذا طعام هذا ، لا يؤامر أحد منهم صاحبه فيما يفعل من أمره . وذكر اللحيانى أيضاً مثل قول أبى زيد)

محمد غسانه

من غريب الربيع

جاء فى قصيدة الأستاذ محمود حسن إسماعيل المنشورة فى العدد الماضى من الرسالة الغراء ما يأتى

وأنة فى الحشا طواها
سجن يسمونه الضلوعُ

ويلاحظ القارىء أن فى هذا البيت إقواء ؛ إذ ضم الشاعر كلمة « الضلوع » مراعاة للقافية مع وقوعها مفعولاً ثانياً « ليسمُّونه » . . . وهذا غير سائغ عند العروضيين ، فضلاً عن النحويين

محمد عبد الفتاح ابراهيم

تصحيح

جاء فى مقال شيكسبير المنشور بالعدد ٥٦٧ ، بالفقرة رقم ٣ ما يأتى : « ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره كان يترجم اللغة اللاتينية » ، والصواب : ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره كان يترجم اللغة اليونانية القديمة إلى اللغة اللاتينية »

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

12me Année No. 570

Lundi - 5 - 6 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥٧٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٥ يونية سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـرس

صفحة

٤٦١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات .. ...

٤٦٣ مكانة العرب بين الأمم . . : الدكتور عبـد الوهاب عزام

٤٦٦ مصر الاسلامية ... . . : الدكتور محمد مندور . .

٤٦٨ الفن والاصـلاح ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...

٤٧٠ رسـائل المليقات للرصافى : الأستـاذ دريني خشبة ...

٤٧٣ مستقبل القطن المصرى ... : الأسـتاذ زكريا بك حجاج

٤٧٥ الألغاز فى الأدب العربى ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...

٤٧٧ نقـل الأديب . ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

٤٧٨ جـال وشـوك [قصيدة] : الأسـتاذ محمود الخفيف

٤٧٩ على هامش الشعر الجديد ... : الأسـتاذ الـكبير (ا . ع)

٤٧٩ جائزة الزحلاوى ... ... : الأستاذ مصطفى على عبد الرحمن

٤٧٩ « الشعر الجديد » لا « شعر الشباب » ... ... } الأسـتاذ محمد محمود رضوان

٤٨٠ اللهجة المصرية وصلتهـا باللهجات العربية ... ... } الأسـتاذ أحمد مدينة . ...

١٩ ـ دفاع عن البلاغة

١١ ــ التلاؤم فى الأسـلوب

رأيت مى أن تقطيع المنثور من الـكلام جملاً أو فقراً أو فواصل عمل بلاغى تقتضيه حالة النفس وحركة الذهن وطبيعة التنفس . وهذا التقطيع ـ وإن نشأ فى اللغة على مقتضى الطبع ـ له فلسفة وهندسة وموسيقى هن عناوين علم البلاغة ، وبراهين فن البليغ . فأما الفلسفة فقد أشرت إليها فى مقالى السابق إشارة توجّه أو تنبه . وأما الهندسة والموسيقى فلا كهما التلاؤم بين أجزاء الفِـقر وفواصلها . فإن كانت الفواصل متعادلة فهو التوازن ، وإن كانت متماثلة فهو السجع . مثال الأول : وآتيناهما الـكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم . ومثال الآخر : إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم . فبين المستبين والمستقيم تعادل ، وبين نعيم وجحيم تماثل . بَلْهَ التوازن بين آتيناهما وهديناهما ، والـكتاب والصراط ، والأبرار والفجار

والتوازن ويسمى الازدواج مَوْسَـقَةٌ فطرية فى نفوس العرب جعلوا بها النثر أشبه بالنظم فى جمال الرصف وحسن الإيقاع . فهو صفة ملازمة من صفات الأسلوب لا تـكاد تنفك عنه فى جميع أغراضه ومختلف صوره . وهو فى ذلك يخالف السجع

فإن للسجع موضوعات ومواضع لا يطلب إلا لها ، ولا يحسن إلا فيها ؛ ولذلك يُقبل فى غرض دون غرض ، ويجمُل فى صورة دون صورة . قال ابن أبى الأصبع فى تحرير التحبير : « كان المتقدمون لا يحفلون بالسجع جملة ، ولا يقصدونه بتة ، إلا ما أتت به الفصاحة فى أثناء الكلام ، واتفق من غير قصد ولا اكتساب ، وإن كانت كلماتهم متوازنة ، وألفاظهم متناسبة ، وفصولهم متقابلة . وتلك طريقة الإمام على ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام كابن المقفع وسهل بن هرون والجاحظ » . وقال أبو هلال فى الصناعتين : « لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً . ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً يخلو من الازدواج . ولو استغنى كلام عن الازدواج كان القرآن ؛ لأنه فى نظمه خارج عن كلام الخلق . وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل فى أوساط الآيات فضلاً عما تزاوج فى الفواصل منه » . وقال فى موضع آخر : « واعلم أن الذى يلزمك فى تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط . ولا يلزمك فيها السجع . فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن ما لم يكن فى سجعك استكراه وتنافر وتعقيد » .

فالازدواج على إطلاقه ، والسجع على تقييده ، يؤلفان الموسيقية فى الأسلوب البليغ منذ كان للعرب ذوق وللعربية أدب . فليست الحال فيهما هى الحالَ فى سائر الأنواع البديعية التى نشأت فى الحضارة ونمت بالترف وسمجت بالفضول وفسدت بالتكلف . فالذين ينكرون على من يحسنون التأليف بين الأصوات ، والمزاوجة بين الكلمات ، والمجانسة بين الفواصل ، إنما ينكرون جمال البلاغة وجميل البلغاء فى دهر العروبة كله . وإذا أقررناهم على أن ذوق العصر لا يسيغ ذلك البديع الذى أولع به كتاب العصر الخامس ومن خلف من بعدهم ، فذلك لأننا لا نقحم فى ذلك البديع تلك الأنواع التى تحسَب فى عناصر الأسلوب وتنسب إلى خصائص اللغة ؛ كصحة المقابلة ، وحسن التقسيم ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ، واتفاق الفقرة والفقرة فى الوزن ، واتحاد الفاصلة والفاصلة فى الروى

وأقطع الحجج على أن الازدواج والسجع من لوازم الأسلوب العربى أن القرآن وهو « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » قد تجوَّز فى بعض الألفاظ والصيغ محافظة عليهما . قال شمس الدين بن الصائغ فى كتابه : إحكام الرَّاى فى أحكام الآى : « وتتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة المناسبة فعثرت منها على نيف وأربعين حكما » نذكر نحن منها على سبيل المثال : تقديم ما هو مؤخر فى الزمان نحو : ولله الآخرة والأولى . وتقديم الصفة الجملة على الصفة المفرد نحو : ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . وتقديم الضمير على ما يفسره نحو : فأوجس فى نفسه خيفة موسى . وتذكير اسم الجنس مرة وتأنيثه أخرى نحو : أعجاز نخل منقعر ، وأعجاز نخل خاوية . والإفراد فى موضع التثنية نحو : فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، بدلاً من (فتشقيان) . وتغيير بنية الكلمة نحو : طور سينين ، بدلاً من طور سيناء . ووضع اسم المفعول موضع اسم الفاعل نحو : حجاباً مستوراً ، بدلاً من ساتراً ...

كذلك تجد فى كلام أفصح العرب وسيد البلغاء مثل ذلك . فقد كان صلى الله عليه وسلم يغير الكلمة لتلائم أختها فى مثل قوله : « أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة » وإنما أراد ملمة . أو فى قوله : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » ، وإنما أراد موزورات من الوزر . فلو كان الازدواج نافلة والسجع فَضْلة لما كان لهما هذه المنزلة من كتاب الله وحديث رسوله . ولقد زهقت صناعة الحريرى زهوق الباطل ، وذهبت بضاعة الحموى زهاب الزَّبد ، فلم يبق حياً قوياً على فشو العجمة وشيوع الجهالة غير هذين النوعين الأصيلين ، يجريان على الأقلام الموهوبة مجرى الطبع ، ويفعلان بالنفوس الشاعرة فعل السُّلاف ، ويحفظان للأسلوب العربى روحه الذى عاش عليه وفنه الذى خلد به . والناس لا يكرهون السجع لأنه سجع ، ولا البديع لأنه بديع ، وإنما يكرهون التكلف والتمويه والبهرج وتنميق الألفاظ على المعنى التافه ، وترصيع الأسجاع فى الكلام الغث ، كما يكرهون الزخرف المنمنم على الجدار المنهار ، والحلة الموشاة على الجسد المسلول . ولكنك إذا تدبرت ما كتبناه فى حد البلاغة وتعريف الأسلوب ، ووعيت ما قلناه فى معنى الأصالة ومدلول الوجازة ، وكان لك الطبع الذى صقله الأدب ، وجلته الفطنة ، وأسعفته الملكة ، أمنت الكلمة التى لا تقع فى موضعها من الجملة ، والصناعة التى لا تقوم على أساس من الطبع والذوق ، والحلية التى لا تساعد الأسلوب على التأثير والإبانة . وإذن يكون ما تدبج هو الجمال ، وما تنتج هو الفن .

(للكلام بقية) احمد حسن الزيات

مكانة العرب بين الأمم

للدكتور عبد الوهاب عزام

تخلد الأمم على وجه الأرض وتحيا على مر الدهور وتثبت فى صفحات التاريخ بأسباب وقوانين . ويختلف حظها من الخلود ومن المجد باختلاف هـذه الأسباب المؤاتية والقوانين السارية ، قوة وضعفاً ، وإبطاء وإسراعاً ، وضيقاً واتساعاً . وهى أسباب متصلة متشابكة يؤدّى بعضها إلى بعض ويمسك بعضها بعضاً . من هـذه الأسباب صلاحية الموطن ، والقوة الحسية والمعنوية ، والثبات للحادثات ، والاحتفاظ بالخصائص ، والاعتداد بالنفس والثقة بها ، وحضارة الأمة وأثرها فى العالم ، وقدرتها على الأخذ والإعطاء فى معترك الأمم ، والمكانة بين الناس ، وعظم التاريخ على مر الدهور

فأما الوطن فقد منح الله العرب موطناً فسيحاً وسطاً بين المواطن ، فياضاً بالخيرات بعيداً من الآفات الطبيعية المدمرة . موطنُ العرب جزيرتهم التى ولد فيها تاريخهم ومثواهم القديم الذى عرفهم فيه التاريخ منذ تحدث عن البشر بين نجد إلى إيران وجبال طوروس والبحر الأبيض ، ثم متقلّبهم الذى نشرهم فيه الإسلام إلى بحر الظلمات وأواسط إفريقية . وهو موطن شاسع الأرجاء يقع معظمه فى الإقليم المعتدل ، وقليل منه فى الإقليم الحار ، ويجرى فيه ثلاثة من أعظم أنهار العالم : النيل ودجلة والفرات ، وتتقسمه السهول الخصبة ، والبرارى والصحارى والجبال ، وتمتد سـواحله على بحر العرب والبحرين الأحمر والأبيض . هذا الموطن العظيم يكفل الحياة القوية والعيشة الغنية ، والثباتَ على الخطوب ، والبقاء على الزمان . وقد جعل الله مهد العرب جزيرة ممتازة محدودة بالبحار من معظم جهاتها فحفظت هـذا الجنس القوى بمعزل من تقلب الجماعات ، بعيداً من طرق المهاجرات فبقى يطبع الأجسام القوية والطباع السليمة ، والفطر الخالصة ، ثم يمد بها أجزاء الوطن العربى الكبير ، كلما نالت الخطوب من أهلها أو أرقتهم الحضارة . وما يزال يقذف بهم موجة بعد موجة كالنهر العظيم المتدفق من قُنن الجبال ، بَعُد ينبوعه من الشوائب ، واطّرد مجراه إلى الغاية المقدورة له ، ونبتت على عبريه الزروع والأشجار ، وحييت الأمم

ما تزال جزيرة العرب خلاّقة ولاّدة فياضة ممدّة لأقطار العرب بالقبيل بعد القبيل . فإن بليت الأمم فهذه الأمة لا تبلى ، وإن أفنت الأقوام الحوادث فالعرب لا تفنى ، وإن نضب معين الأمم فلن يغيض الدم العربى الخالص ما دامت أنهار الله جارية فى أرض الله ، وما دامت شمسه وهواؤه وأرضه تنمى الأجسام وتطبع الأقوام

وأما الثبات للحوادث الطبيعية والإنسانية ، فما دام هـذا الوطن العظيم يعرف بعضه بعضاً ، ويتصل بعضه ببعض ، فستجد كل ناحية فى النواحى الأخرى ما يسعفها بمطالبها إن قحطت ، وما يدرأ عنها الأحداث إن طغت عليها . ومحال أن تعمها كلها الحوادث إلا أن يكون حادث القيامة حين يرث الله الأرض ومن عليها .

وأما احتفاظ الأمة بخصائصها فعلى قدر ما فى أجسامها وعقولها من قوة ، وعلى قدر ما فيها من اعتداد بالنفس وثقة بها ، والعرب من أقوى الأمم أجساماً وعقولا ، وأ كثرها أنفة وإباء وعجباً وفخراً . والعربى منذ العصور الأولى يغلو فى الاعتداد بنفسه ويأبى أن يسويها بالأمم ، ويربأ من مصاهرتها . وقديماً أبى النعمان أن يزوج كسرى ، وحديثاً قال أحد مجاهدى العرب فى طرابلس الغرب ، وقد عقد صلح بين أهل طرابلس والطليان وامتنّ هؤلاء على العرب بأن سووهم بأنفسهم فى الحقوق . قال هـذا العربى المجاهد وهو ليس رئيساً ولا زعيما : « وا سوأتا ! أأسوّى أنا بالرومي ... إنه لذل عظيم » . بل كان من آفات العرب الغلو فى هذه الكبرياء فصعب أن ينقادوا ويسلسوا القياد . فبهذا الشعور بالعلاء والعظمة يعتزون بأنفسهم ، ويعتازون بخصائصهم ، ويتمسكون بأخلاقهم . وقديماً قال شاعرهم :

وإنى لمن قوم كأن نفوسهم
بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

وقديما رهن حاجب بن زرارة التميمى قوسه لملك الفرس ضماناً لما التزم من خراج . وحارب بنو شيبان الفرس إباء أن يسلموا سلاح النعمان بعد أن قتله كسرى . وقال أبو تمام يمدح بنى شيبان :

إذا افتخرت يوماً تميم بقومها ... وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

والمُثُل أكثر من أن تذكر فى هذا المقام ، وأبين من أن تبين

إذا أحاطت الأمة القوية أنفسها وخصائصها بأخلاق قوية كفلت دفع الخطوب عن حوزتها . ولا سيما الأخلاق الإنسانية العزيزة التى تأبى للأمة أن تخضع فتذل فتفنى . والعربى فى جاهليته وإسلامه أبىّ حرّ ، يأنف أن يَستعبد أو يُستعبد، وقد أمدّه الإسلام بفضائل سيّرته على وجه الأرض كالنجم لا يضل ولا يكل ، وجعلته قانوناً من قوانين الله يسير إلى غايته مسير الشمس والقمر فى حُبُك السماء

وكلما أخرجت الأمة من عمل أيديها ، وأظهرت من نتاج عقولها ، ونشرت من ثمرات أخلاقها وآدابها ، زادتها صناعاتها وعلومها وأدابها رسوخاً على الأرض وثباتاً على مجرى الخطوب . ولا يعرف التاريخ أمة أثرت على وجه الأرض ، وشادت فى الآفاق وفى الأنفس أكثر من العرب . لا يعرف التاريخ أمة حملته أكثر مما حملوا ، أو جمّلته أحسن مما جملوا ، أو سيطرت عليه أعظم مما سيطروا ، أو سطرت على صفحاته أجل مما سطروا . فإذا تركنا التاريخ القديم من معين وسبأ وحمير ومن بابل وأشور ، فهل يحدثنا التاريخ عن أمة طلعت على العالم بمثل ما طلع العرب ؟ همةً ذللت المشرق والمغرب فى سنين ، ونيةً تريد الخير للناس أجمعين ، وعدلاً يسوى بين الجبارين والمستضعفين ، بل يمحو من الأرض كل جبار ومستضعف ويقف الناس جميعاً إخوة على سَنَن من العدل المطلق ، والمساواة الكاملة ، والأخوة الشاملة .

هل يعرف التاريخ أمة جمعت فى سلطانها ما جمع العرب من أمم وأقطار ، ثم آخت بينهم وحفزتهم إلى الفضائل والآداب والعلوم والصناعات ، فإذا معظم العالم المتحضر متعاون على نسج حضارة واحدة عظيمة ، كل أمة على قدر مواهبها وقواها ؟ فوصلت ما انقطع من سير الحضارة ، وقطعت ما اتصل من سير الجبروت والاستعباد والشر والفساد . وما فعلوا هذا كله إلا ابتغاء وجه الله ، وقصداً إلى إصلاح الناس ، وعمران الأرض . وقد ربط التاريخ ذكر العرب وتاريخ العرب بهذه المآثر وتلك الفضائل والأخلاق والمكارم ، وضمن لهم الخلود ما بقى للناس سيرة فى الفضائل والمعالى . لا أقول إن الإسلام صُنع العرب فالإسلام صنع الله ، ولكن العرب كانوا أول من حُمّلوا هذه الأمانة فحملوها ، ودُعوا إلى هذه المعالى ففقهوها ، وكلفوا نشرها فنشروها ، فكأنما خلقت لهم أو خلقوا لها ، وكانوا أحق بها وأهلها ، وللأمم الإسلامية بعد هذا فضل لا ينكر . ثم أدب العرب هل يعرف العالم أعظم منه سمة رقعة ، وطول مدة ، وجمالاً وجلالاً ؟

إذا ثبّتت الأمم بنيانها على كر العصور بالسير المجيدة ، والمثل العالية ، فعند العرب سير رجف بها الزمان ، وأقر لها الحدثان . وإن مكنت الأمم لأنفسها بالصناعات والعلوم والآداب فعند العرب ما يكفل لهم التمكن فى الأرض والخلود فى سجل التاريخ . وحسبُ المجادل أن يُسير فكره بين هضب إيران وبحر الظلمات وجبال البرانس وغابات إفريقية ، ويعبرَ التاريخ فى هذه المواطن كلها أربعة عشر قرناً ليرى مجد العرب ويبصر حجة العرب

ولا نقول إن العرب خَلقوا ولم يقلدوا ، وابتدعوا ولم يتبعوا ، وأعطوا ولم يأخذوا ، وأعاروا ولم يستعيروا ، ولكنا نقول إنهم أحسنوا الخلق والتقليد ، وأجادوا الابتداع والاتباع ، والأخذ والعطاء ، والأعارة والاستعارة . والأمم تدل على فضلها بالأخذ كما تدل عليه بالعطاء ، وتثبت حياتها بالمحاكاة كما تثبتها بالخلق . وإنما حياة الأحياء على قدر ما تؤثر فى غيرها وتتأثر . الذى لا يأخذ ولا يعطى جماد ، والنبات يأخذ قليلاً ويعطى قليلاً . وانظر بعدَ هذا الحيوان الأعجم والإنسان ، ثم اعتبر هذا فى تاريخ الأمم يصح الاعتبار ويطرد القياس

تخلد الأمم بأفعالها وآثارها ، وبقينها فى أنفسها ، ويزيدها مكانة وتمكيناً فى الخلود أن يزيد على مر العصور مجدها ، وتعظم على كر الدهور بين الأمم مكانتها ، حتى تعلو على أحداث الزمان ومطامع الإنسان ، فتقر لها الأمم بالفضل وتُخلى لها سبيلها فى الحياة

وللعرب من هذا كله نصيب موفور ، وسعى بين الأمم مشكور ، إلا من ضل به الهوى أو جار به الحسد . وهم جديرون اليوم بتاريخهم ، حقيقون بسيرتهم . ولن يكونوا إلا كما كانوا من قبل دعاة حرية وأخوة ، وهداة مدنية وعمران ، وأئمة أخلاق وآداب ، وأنصار فضيلة وحق . ولن يكون نهوضهم اليوم إلا خيراً للبشر وسلاماً للناس أجمعين

ولهذه الأمة الكريمة الخالدة لغة كريمة خالدة أنضجها الزمان المتطاول فى البقاع الشاسعة من الجزيرة ، وأخرجتها الفطرة السليمة والإحساس المرهف ، والإدراك النافذ ، لغة كاملة معجبة عجيبة تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة ، وتمثل كلماتها خطرات النفوس . تكاد تتجلى معانيها فى أجراس الألفاظ ، وتتمثل فى نبرات الحروف ، كأنما كلماتها خطرات الضمير ونبضات القلوب ونبرات الحياة ، فالمعانى المحسة والمعقولة مبينة فى ألفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين الأشياء المتشابهة ، فتضع للشبيه لفظاً غير ما وضعته لشبيهه إدراكا للفرق الدقيق بينهما . فإذا وضعت بعض اللغات للضرب مثلاً كلمة واحدة وضعت العربية كلمات تختلف باختلاف آلة الضرب وموضعه من الجسم . وإذا دلت اللغات على صفات الوجه الإنسانى مثلاً بكلمات مركبة لكل صفة ، دلت العربية على كل حلية في الإنسان وكل صفة فى عينيه وحاجبه وأنفه وفمه وأسنانه وغيرها بأسماء خاصة . وليس هذا مقام التمثيل والتفصيل

ثم هذا الإحساس الحاد الدقيق المتمثل فى المفردات يتجلى فى التركيب مدهشاً . فلكل كلمة لها فى الجملة مكانة يحس بها المتكلم أو تحس بها الكلمة نفسها فتعطى صوتاً مكافئاً لهذه المكانة . فالكلمة الأصيلة لها أقوى الأصوات وهو الضم ، والأخريات لها الفتح والجر ، وما أرى هذا إلا ضرباً من الحياة فى الألفاظ والتركيب يبين عن أدق الإحساس وألطفه

وإذا اشتملت اللغات على كلمات هى مادتها ، ففى اللغة العربية مادة وقوالب يستعملها صاحبها حين الحاجة ، فيها مادة ووزن . نأخذ المادة أو نخلقها أو نستعيرها من لغة أخرى ، ثم نصبها فى قالب من قوالب الأسماء والأفعال وصورها بالقوالب أو الأوزان ما تشاء . فلغتنا تدل بالمادة والوزن وبالصيغة والهيئة . فمن سمع فاعلا أو مفعولا أدرك أن هذا الوزن فى حركاته وسكناته له معنى يلازمه فى المواد كلها . وبهذا حدت اللغة واستبانت خصائصها ، حتى نفت عن نفسها كل كلمة أجنبية ما لم تخضع لأوزانها وقوانينها . للأسماء أوزان وللأفعال أوزان ، فما لا تزنه هـذه الأوزان فهو أجنبى . وبهذا بقيت على الدهر المتطاول خالصة نقية ، صحيحة قوية

قيل إن لغتنا صعبة بهذه المفردات وبهذه التراكيب والأوزان ، وإنها تكاد تأبى على دارسها ، وتعجز طالبها . وهذا حق لا ندفعه ، وإن عد عيباً فلا ننكره . ولكنه ليس من نقصان فى خلقها أو اختلال فى بنيتها أو عجز فى موادها وأوزانها . ولكنه نتيجة التطور الكامل والنمو التام . فأدنى الأشياء فى هذا العالم أيسرها وأقلها تركيباً . والكمال يصحبه التركيب والتفصيل والأشكال والأعضال . اعتبر هذا فى النبات والحيوان ، فى الحيوان ذى الخلية الواحدة بالإنسان ، ثم انظر المراتب بينهما . واعتبر هذا فى البداوة والحضارة وفى أنواع الحضارات تجد النقص بساطة ويسراً ، والكمال تركيباً وصعوبة . الكمال فى هذا العالم لا ينال إلا بتطور تلده الأحقاب بعد الأحقاب ، وتنوء به العزائم بعد العزائم ، فلغتنا صعبة ، ولكنها كاملة حية دقيقة موانية ، حية حساسة موسيقية متلائمة

وقد امتحنت هذه اللغة الحضارة الواسعة ، واختبرها التاريخ الطويل ، فلم تعجز ولم تعى ولم تضق بكل ما أدركه الإنسان من علم ، وثقفه من صناعة ، بل وسعت حضارة القرون المتطاولة والأمم المختلفة غير كارهة ولا مكرهة

وقد أراد الله لهـا أن تكون لغة كتابه وترجمان وحيه ، وبلاغ رسالته ، فاشتملت على العالم الحسى والعقلى مصوراً فى كلمات وآيات ، وجزيت على هذا خلوداً ما خلد للانسان عقل وقلب ، وما استقام له إحساس وإدراك . وتقلب الزمن ، وتوالت المحن ، وثارت الفتن وهى ثابتة ناضرة رائعة ثبات قوانين الله وروعة كواكبه . خمسة عشر قرناً محت لغات وخلقت لغات ، وبدلت لغات وحرفت لغات ، والعربيـة هي العربية لم تمح ولم تغير ولم تبدل ، وما آية الخلود بعد هذا ؟

ولم تبق هذه العربية لغة العرب وحدهم بل تثقفتها الأمم

٣٠ ، ٢٢

الأخرى ، وأولتها من الحفاوة والعناية أكثر مما أولت لغاتها أحياناً ، فصارت لغة العلوم والآداب للعرب وغير العرب حقباً طويلة ما بين أقصى المغرب وأقصى المشرق . ولا تزال على تبدل الأحوال وتوالى التغير لغة أدب وعلم فى الأمم الإسلامية غير العربية . ولا تزال هذه اللغات مترعة بألفاظها ولا تزال تستمد العربية

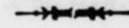
وقد حوت على مر العصور أدباً لا تحويه لغة أخرى . أدب موطنه ما بين الصين إلى بحر الظلمات ، وزمانه أربعة عشر قرناً ، ولا نعرف فى آداب العالم قديمها وحديثها أدباً اتسعت به المواطن هذا الاتساع ، وامتدت به الأعصار هذا الامتداد

فالعربية بأهلها وموطنها وخصائصها وآدابها وتاريخها ، والعربية بقرآنها ، خالدة باقية على الخطوب والعصور لغة دين وعلم وأدب وحضارة وإنسانية . فهل تنصرها همم أبنائها وتستجيب لها عزائمهم ؟

عبد الوهاب عزام

مصر الإسلامية

للدكتور محمد مندور



ليس من شك فى أن الحضارة المصرية القديمة قد خلفت رواسب بعقليتنا الراهنة ، ولكننا نتركها الآن ما دام مظهرنا العام اليوم أننا أمة عربية ، ونقف عند مصر الإسلامية ، ونعنى بها تاريخياً مصر منذ الفتح العربى إلى الحملة الفرنسية ، ولهذه الفترة أهميتها فى كل محاولة جادة لإدراك مقومات حياتنا الثقافية ، وذلك لأن دراستها ستنتهى بنا إلى حقيقة كبيرة ، هى أن مصر المعاصرة ليست استمراراً لمصر الإسلامية . وبيان ذلك هو أن الحضارة العربية والثقافة العربية لم يطرد تقدمهما ببلادنا ولا اطرد جانب الخلق فيهما ، بل غلبت عليهما المحاكاة والصنعة بدلاً من الإبداع والأصالة ، حتى أنه عند بدء الحملة الفرنسية نستطيع أن نقول إن مصر الإسلامية كانت تحتضر فى معظم نواحى نشاطها الروحى بل والمادى . ولم يكن بد عندئذ إذا أريد لبلادنا أن تنهض من أن تقوم نهضتها على أساسين جديدين : هما بعث التراث العربى القديم الذى خلفه صدر الإسلام ببلاد الشرق العربى من جهة ، والأخذ عن الحضارة الأوربية مباشرة أو عن طريق الترجمة من جهة أخرى

وظاهرة اضمحلال الثقافة العربية بمصر فى تلك الفترة من الظواهر التاريخية الكبيرة التى تستحق الدرس . ونحن لا نريد اليوم أن نقف عند تقلب الحكم ببلادنا بين العباسيين والطولونيين ، والأخشيديين والفاطميين ، والأيوبيين والمماليك ، والأتراك العثمانيين وما كان فى عهد كل منهم من ضعف بلادنا السياسى أو قوتها ، وتأثير ذلك فى حياتها الروحية ، وإنما نريد أن نفسر الظاهرة على أساس ثقافى بحت

والذى يبدو لنا هو أن هذا التفسير لا يمكن أن يستقيم إلا إذا حددنا العلاقة بين الثقافة العربية فى مصر والثقافة العربية فى جزيرة العرب والعراق والشام حيث نبتت تلك الثقافة

وثمة حقيقة عامة فى تاريخ الثقافة العربية لها نظائرها فى تاريخ الثقافات الأخرى القديمة ، وهى أن تلك الثقافة قلما ازدهرت إلا حيث توجد السلطة السياسية ويوجد الأمراء الذين يرعون تلك الثقافة

ومصر فى عهدها الأول بالحكم العربى لم تكن منفصلة عن الخلافة لا فى عهد عمر وعثمان وعلى ، ولا فى عهد الأمويين أو العباسيين ، بل كانت تابعة تبعية محكمة ؛ ولهذا لم تقم بها سلطة سياسية مستقلة تستطيع أن ترعى الحياة الأدبية والعقلية ببلادنا وتحوط نفسها برجال الأدب والفكر كما كانت تفعل الخلافة . ومن هنا لم تنشأ ببلادنا بيئة ثقافية قوية كما نشأت ببلاد الشرق . وهناك مثل بسيط ولكنه دال على هذه الحقيقة هو مثل الليث ابن سعد ، فقد نبغ هذا العالم الكبير فى علوم الدين حتى شهد له الإمام الشافعى بالتفوق على الإمام مالك نفسه ، ومع هذا لم يستطع عالمنا المصرى أن يكون مذهباً . ولقد علل الشافعى ذلك بقوله : « إن أصحاب الليث لم يقوموا به » وفى الحق أن التفسير الصحيح هو نشأة الليث بمصر وتبعية مصر عندئذ لبلاد الشرق العربى وعلماء الشرق العربى ، وعدم استقلالها سياسياً وروحياً

وفى القرن الثالث الهجرى انفصل الطولونيون بمصر ، وأخذت بلادنا تستقل بحياتها الروحية ، كما استقلت بحياتها السياسية وكان من المنتظر أن تنشأ عندنا حضارة إسلامية لها طابعها الخاص

أو على الأقل لها قوتها على الأصالة والخلق . ومع ذلك نستطيع أن نقول بوجه عام إن هذه الظاهرة أيضاً لم تتحقق

والسبب فى ذلك هو أن وقت انفصال مصر جاء مع الوقت الذى أخذ فيه الأدب العربى ينقلب انقلاباً خطيراً نحو المحاكاة والصنعة بدلاً من الابتكار والطبع ، وجارت مصر هذا التيار العام الذى انتهى بتجفيف ينابيع الخلق الأدبى الأصيل فى بلاد الشرق العربى وفى بلادنا على السواء

وانقلاب الأدب العربى نحو المحاكاة والصنعة ابتداء من القرن الثالث الهجرى من الظواهر التى أفقرت الأدب العربى ، وكان لها فى تاريخ الأمم العربية كلها أسوأ الآثار

فالذى نلاحظه هو أنه منذ ذلك التاريخ أخذ علماء اللغة والنقاد ينظرون إلى الأدب الجاهلى والأموى وأدب الصدر الأول من العباسيين نظرة تقديس دفعهم إليها دخول الأعاجم بين العرب وتطرق اللحن إلى اللغة وشعورهم بالحاجة إلى المحافظة على صحة تلك اللغة حتى لا يدب الفساد فى لغة القرآن والحديث أو تنحرف مدلولاتها عن وضعها الأول . وطغت نظرة العلماء والنقاد على الأدباء والشعراء فاضطروا أن يحاكوا القدماء لا فى اللغة فحسب ، بل وفى موضوعات القول وبناء القصائد ، وهكذا استقرت ظاهرة المحاكاة حتى أصبح هؤلاء الشعراء وأولئك الأدباء عبيداً للقديم وكأنى بهم يرقصون فى السلاسل

وإلى جانب هذا التيار العام — تيار محاكاة القديم المسمى فى تاريخ الأدب العربى بتيار عمود الشعر — أخذ يظهر تيار آخر معظم رجاله من الشعراء الأعاجم حاولوا أن يجددوا ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتحرروا تحرراً تاماً ؛ فحافظوا على بناء القصائد كما حافظوا على موضوعات القول ولم يجددوا إلا فى الصياغة وكونوا مذهباً هو المعروف بمذهب البديع أى المذهب الجديد . ورأس مذهبهم هو مسلم بن الوليد وبشار وأبو نواس وأخيراً أبو تمام فهو الذى وصل بمذهبهم إلى غايته

مذهب البديع هو مذهب الصنعة . ومن هنا لم يلبث هذا اللفظ أن تطور فأصبح يدل على علم بذاته هو علم المحسنات اللفظية كما فصل موضوعاته أبو هلال العسكرى فى كتابه المعروف « بالصناعتين » صناعة الشعر وصناعة النثر

والصنعة فى الشعر والنثر من أخطر الآفات التى تهدد الفكر والإحساس عند التعبير عنهما ، حتى لأخالها تعمي الرأى وتذهب بصدق الإحساس ، وذلك لأمر بين هو أن الشاعر أو الناثر الصانع المتكلف يفكر ويحس مرتين : مرة ليدرك الإحساس أو الفكرة ، ومرة ليحتال عليهما حتى يسكنها إلى اللفظ وفى هذا إفساد لهما

وهكذا ظهرت المحاكاة كما ظهرت الصنعة فى الأدب العربى ، وصادف ذلك بدء نشوء أدب مصرى مستقل ، فغلبت المحاكاة وغلبت الصنعة على أدبنا نحن أيضاً كما قلنا ؛ واستمرت الأمور تسوء برغم فترات الانتعاش التى اهتزت فيها بلادنا بأحداث ضخام بددت المحاكاة أو مزقت الصنعة لوقت ما كالدعوة العلوية أيام الفاطميين والحروب الصليبية أيام الأيوبيين

وجاء حكم الأتراك العثمانيين بما صحبه من ظلمات ومظالم جففت منابع الحياة الروحية ببلادنا ، حتى إننا عند بدء الحملة الفرنسية نبحث عن أدب مصرى عربى فلا نجد إلا شعراً متكلفاً سخيفاً أو نثراً مسجوعاً يدعو إلى الضحك ، أو كتابة مهلهلة كتاريخ الجبرتى الذى تكاد لغته تمس اللغة العامية

وانتهت الحملة الفرنسية وجلس محمد على على عرش مصر فأدرك بفطرته السليمة أنه لا بد لإنهاض هذه البلاد من أن يقطع التيار ؛ فيعود إلى التراث العربى القديم يبعثه ، كما يتجه ببعثاته إلى أوربا حيث كانت الحضارة الحقة كما سنرى

محمد مندور

إلى الأستاذ توفيق الحكيم

الفن والإصلاح

للأستاذ عبد المنعم خلاف

كلما ثار الجدل فى مصر حول تقدير الفن وإطلاق حريته أو تقييدها بقيود صالح الجماعة والمحافظة على دعائم حياتها، استحضرت فى نفسى صوراً من الطبيعة ومن حياة الأمم التى تمثل النزعتين لأجد القول الفصل الذى يقرب نفسى من الصواب؛ فإنى أرتاح دائماً إلى أحاديث الطبيعة الأستاذة، وإلى أحكام الحياة الصادقة الناجحة، وأتخذهما أساسين لصحة الأفكار والأعمال غير عابىء بعد ذلك بما يرسله المنطق اللفظى والجدل النظرى

وأنا الآن بسبيل تحكيم هذين الأساسين فى القضية التى أثارها الأستاذ الكبير أحمد أمين بك، وجادلها وعلق عليها الكاتب الفنان توفيق الحكيم، وهى: آلفن للفن؟ أم الفن للحياة؟

***

فأما الطبيعة وهى أستاذتنا التى أورثتنا عقولنا وعلومنا وفنوننا وتجاربنا، وعرضت لنا نفسها عرضاً مكشوفاً لنراها ونعرف أسرار علم بارئها وفنانها الأعظم... فقد أرشدتنا – لو كنا نسترشد بها – إلى أن الفن فيها إنما هو وسيلة للنفع والمصلحة لا للترف ولا لإطلاق عبقرية الخلق والتجسيم والتشكيل والتلوين على هوى طليق غير منسجم مع الاتجاه العام فى الطبيعة كلها

وقد أرشدتنا كذلك إلى النسبة التى يجب أن يكون الفن بها فى الحياة وإلى ترتيب وجوده وظهوره فى كائناتها. والذى لا شك فيه أن فى كل شىء فى الطبيعة عملاً ضرورياً وعملاً فنياً. والعمل الضرورى هو الذى يضمن حياة الكائن ضماناً مباشراً. والعمل الفنى هو الذى يضمن حسن إخراجه، ولفت الأنظار إليه وحمل الأحياء على الانتفاع به والمحافظة على استمرار نوعه وحمايته. ومن وراء ذلك الظاهر الفنى نظرة علمية دقيقة مدركة لغاياتها ووسائلها جادة مقتصدة غير هازلة ولا مسرفة.

فوجود « الكيان » المادى « وتجسيمه » وإقامة « هياكله » الضرورية وتهيئة أسباب نفعه واستمرار وجوده هى محاور العمل الطبيعى الدائم فى عالم الجماد والنبات والحيوان، وهى الجهد المبذول فى دؤوب واستمرار فى جميع الفصول والمواسم، ثم يأتى بعد ذلك دور التجميل والإخراج

فالجذور فى النبات مثلاً لا جمال فيها ولا زينة وإنما هى عاشقة للظلمات والعفونات، ساربة أبداً بين الصخور والعقبات، جاهدة باحثة عن الضروريات. فهى تقوم بأعظم العمليات وأدومها وأشقها وأنفعها لحياة الشجرة. ومع ذلك لا تحظى من تقدير السطحيين من الناس بما تحظى به زهرة خادعة فانية محدودة النفع والعمر من الزهرات التى هى من فن تلك الشجرة والتى هى فى الواقع خدعة من خدع تلك الشجرة لجلب اللقاح وتكثير النوع وحفظه

ولا جدال فى أنه خير للشجرة ولصاحب الشجرة أن يحافظ على جذرها الأعوج القبيح ساكن الظلام ليحفظ أوليات حياتها ويرفدها بعوامل النماء، من أن يعنى بكثرة زهرها الجميل فى فترة من فترات حياتها ويهمل جذرها حتى يمرض ويصيبه العجز والكلال عن السعى لغذائها. فإن بقاء الجذر صحيحاً عاملاً كفيل ببقاء الأمل فى حياتها واستمرار وجودها وإنتاج ثمارها وأزهارها. وإن فى الأشجار منافع كثيرة قد يكون جمال الأزهار أقلها عند من يقدرون العناصر الأساسية للحياة. واسألوا جانيات الشوك وجامعي الأحطاب من البرارى والقفار والوديان: أليسوا يمرون على الأزهار البرية الجميلة الفواحة العطر لا يعبأون بها كما يعبأون بالأشواك والأحطاب يجمعونها ليوقدوا النيران ويقيموا الجدران، طلباً للدفء والمأوى بين الأهوال القاسية التى تهدد حياتهم الضرورية؟

كذلك البؤساء مادياً ومعنوياً، المجهودون المنهوكون من السعى فى سبيل القوت والحق والعدالة يمرون بالتحف الفنية والآثار الأدبية التى أنتجت للترف العقلى وألاعيب الذكاء وإزجاء حياة الفارغين الهانئين كما تمر جانيات الشوك وجامعو الأحطاب بالأزهار البرية التى لا توقد ناراً ولا تقيم مأوى!

وينبغى ألا نجعل هوايات المترفين مادياً أو عقلياً مقياساً

للأحكام حين نتحدث عن المسائل الكبرى التى تمس إصلاح مجتمع لا تزال أكثر آلامه ناشئة من التفاوت الفاحش ماديًا وعقليًا بين طبقتيه العالية والسافلة ، المترفة وهى قلة ، والمجهودة المنهوكة وهى الكثرة ؛ فإن الإنصاف يقضى أن تكون المقاييس منتزعة من حياة الكثرة التى هي أشد التصاقًا بضروريات العيش ، وأرهف إحساسًا بمشكلاته ، وأعظم تعرضًا لآلامه ونكباته ، وأقوى اضطلاعًا بخدماته

ومن هنا أخطأ الأستاذ توفيق الحكيم حين هون من شأن الجهود الأدبية الإصلاحية لما وازنها بالآثار الفنية الخالصة متخذًا حجته من ضياع كثير من نتاج الأولى وبقاء كثير من الثانية فى ذاكرة الزمان ، وحين قرر أن الأدب الأوربى لم يبلغ مبلغه العظيم بفضل نزوله معترك الحركات الإصلاحية ، وإنما بفضل قيمته الفنية ، وأن الآداب الأوربية لم تحترم يومًا فنانًا أو أديبًا لأنه مصلح ، ولكنها قد تحترم المصلح إذا كان أديبًا أو فنانًا ، وأنه لا ينبغى للنقاد والمصلحين أن يملوا على الفن اتجاهًا بعينه ولا يجوز لهم أن يوصوه بالحكمة والإصلاح إلا أن يشاء هو ويرضى . لأن الفنان صانع المصلح ، ومصلح المصلح ... وحين قرر مع الأستاذ الكبير العقاد أن اتجاه التاريخ الإنسانى متقدم من الاجتماعية إلى الفردية وقرر أن الوعى الاجتماعى فى الحيوان هو الذى جعل الحيوان حيوانًا ...

إن المصلح هو الذى يمهد للجماعة أن تحيا وتستكمل عناصر نموها وكمالها حتى يكون فيها فنانون وعلماء وقادة وصناع وزراع ... حتى يكون فيها جذور الحياة وثمارها وأزهارها ... وعمله هو السابق المهىء لنضج الملكات الفنية والكفايات الأدبية التى تَرِدُ فى عهود الجمود والجهالة موارد محدودة ومشارع آسنة . ولا جدال فى أن الكفاية الفنية فى الفنان والأديب تتسع وتتعمق كلما كثرت أمامها منابع الوحى وجداول الأفكار والأعمال والمشاهد . ومَن الذى يهىء لها هذا كله غير المصلح الذى تستهوى نفسه دائمًا حياة النفع العام والتهذيب العام والكمال العملى ، ويأخذ نفسه من نفوس أمته ويتسع قلبه لمؤثرات الحياة والاجتماع ويدرك أكثر أسرارها ؟

وقد يكون الفنان — وهو فى الغالب محدود الهواية — يهوى جانبًا معينًا من الحياة ويغلبه وجدان واحد يستولى عليه ويصبغ إنتاجه بصبغة واحدة ، فلا يستطيع أن يدرك جوانب الحياة الأخرى إلا إذا كان فنانًا عبقريًا موسوعيًا واسع الثقافة متعدد الأوتار ؛ فإنه حينئذ يلتقى بالمصلح بل يكون هو المصلح ... إذ أن المصلح فى واقع الأمر فنان ولو لم ينتج آثارًا فنية . بل هو أعظم من فنان ... هو « مخرج » يخرج حياة أمته وينسقها وينظم شؤونها ويعرضها عرضًا جميلاً . والمخرج كما يعلم الأستاذ الحكيم أصبح الآن هو الكل فى الكل فى إبراز الفنون العليا فى الحياة الحاضرة . ولولاه لم يستطع الفن أن يغزو الحياة الآن هذا الغزو الشامل ، ولم يكن لكثير من الفنانين الفرعيين إلا ذكر ضئيل

المصلح هو رائد « فن الحياة » وهو لا شك أعظم الفنون ! لأن الحياة يجب أن « تعاش » أولاً فى طمأنينة وسعادة وعدالة يشعر بها الجميع . ثم يأتى بعد ذلك دور « فلسفتها » التى تحلو للمترفين عقليًا من الفلاسفة والفنانين والأدباء الطلقاء الفارغين

وللمصلح بما له من هذه الوصاية الشاملة أن يقول للفنان : إنك « نشاز » فى جوقة أمتك ... أو هادم لوحدتها ، أو خارج على حدود مجتمعها ، أو مفسد لمثلها الأعلى ، أو مبلبل لخواطرها . وله أن يقترح عليه عملاً بعينه يراه لازمًا لكمال الإخراج فى حياة أمته ، وله أن يقتضيه « الضريبة الأدبية » فى مستوى معين ليردها على الفقراء فى الإحساس الذاتى بالفن والجمال

إن حياة الاجتماع الإنسانى شأن عظيم ! بل هى أعظم شؤون الإنسان : فمنها تفجرت ينابيع فكره ولغته وراحته وعلومه وفنونه وصناعاته ، ومنها أدرك قوة نفسه بين غمرات القوى العمياء ، بل منها أدرك « فرديته » وحريته وحقوقه ، ومنها ظهرت تفاعلات نفسه مع جنسه هذا التفاعل الذى أخرج كوامن نفسه وخصائص جنسه . فليس من الحق أن تُهدر حقوقها فى سبيل حقه ولو كان فنانًا ... وليس من الصحيح أن يقرر أن الإنسان سائر من الاجتماعية إلى الفردية حتى فى الفن . إلا أن يكون هذا انتكاسًا . وليس من الصحيح أن الوعى الاجتماعى فى الحيوان هو الذى جعله حيوانًا . وأنه بالتالى كلما كثر الإحساس بالجماعة فى جماعة ما ، كان هذا دليلاً على أنها أدنى إلى حياة الحيوان .. كلا ! هذه أحكام لا أدرى كيف أرسلها الأستاذ الحكيم ؟ !

فالواقع أن نسبة الغيرية والإيثار والإحساس بالجماعة وبالجنس البشرى كله والتضحية بالنفس فى سبيلهما — وهى دعائم الاجتماع — تنمو نموًا عظيمًا . وليس من هذه الصفات شىء

رسائل التعليقات للرصافي

للأستاذ دريني خشبة

لم يكن أحب إلى من أن أكتب عن الرصافى الشاعر الذى أحبه كما أحب هذه النخبة الكريمة من شعراء العراق الشقيق ، لا الرصافى الفيلسوف الذى يدعونا إلى دين جديد !

ولم يكن أحب إلى من أن أترك القلم للصديق الأعز ، أخى الدكتور زكى مبارك ، لأن القضية قضيته ، والموضوع موضوعه ، وهو الذى فتح علينا باب هذه الفلسفة الجديدة التى أخذ الرصافي يدعونا إليها من دار السلام

لكن الدكتور زكى مبارك يخاصم الزيات اليوم تلك الخصومة التى لا سبب لها ، ويخاصم الرسالة تلك الخصومة التى لا سبب لها كذلك ... إنه يخاصم الزيات ويخاصم الرسالة لأنهما أطلقا العنان لحرية النشر وحرية الفكر وحرية المجادلة ، وأرادا أن يسجلا هذه الصفحة الخالدة من صفحات حرية البحث التى كان الدكتور علماً من أعلامها ، بما أثبت فى كتبه الكثيرة الجريئة من أفكار وآراء ، وهى أفكار وآراء تمس ديننا وتمس لغتنا ، بل هى تخوض فيهما خوضاً . . . أفإن رأى أحد مفكرينا من ذوى الغيرة على الدين واللغة أن بعض هذه الآراء قد جار عن القصد ، وجاء مالئا يديه بالبرهان وبالدليل ، أو بما يؤمن هو أنه البرهان وأنه الدليل ، على بطلان ما ذهبنا إليه ، غضبنا ... وتركنا مجادلنا يقول كل شيء ، ولا نقول نحن شيئا ؟

إن الدكتور زكى مبارك غاضب لأنه لم يكن ينتظر أن يهاجم فى ميدانه الذى هو الرسالة . . . ولقد كنت أغضب مثله حينما أرانى أهاجم ، بل أتهم ، فى الرسالة التى أعدها ميدانى ... وكانت حجة الأستاذ صاحب الرسالة أنه كثيراً ما نادى بأن الرسالة :

تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية
وتجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
وتصور مظاهر العبقرية للأمة العربية

وأن مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة . . .

فى جماعات الحيوان إلا فى حدود الغريزة الضيقة فى الأمومة والأبوة فى بعض الحيوانات العليا ، ولم تنتج حياة الاجتماع فى جماعات الحيوان نتائج تزيد على حاجات هذه الغريزة المحدودة . بينما تنتج حياة الاجتماع فى الإنسان نتائج كثيرة جداً جعلت أمام العالم الطبيعى عالماً آخر صناعياً ، وجعلت الوعى الاجتماعى فى الفرد مبنياً على عقل الفرد وفلسفته لا على غريزته وحدها . إن الجماعة البشرية سائرة من الفردية فى الأمة إلى الجمعية الدولية ، وبوادر هذا واقعة الآن فى هذه الحرب . وبذورها وجدت من قبل فى المجموعات السياسية الكبرى . ولا شك أن هذا يستتبع كبتاً للنوازع الفردية فى كل أمة من الأمم التى تشترك فى هذه المجموعات ، ونزولاً عن بعض خصوصياتها وحرياتها وحقوقها التى كانت لها وهى فريدة ، كما استتبعت حياة الجماعة فى الأمة الواحدة نزول الأفراد عن كثير من حقوقهم وحرياتهم التى كانت لهم قبل حياة الجماعة . فالقانون واحد مطرد : وهو السير من فردية الأسرة إلى اجتماعية القبيلة ثم إلى الأمة ثم إلى الأمبراطوريات واتحاد الولايات . ومن هذه إلى جمعية الأمم التى هى أمل العالم

وليس ذلك فى السياسة وحدها ، فإن ما فى السياسة ينتقل إلى الثقافة والفن الذى ثار حوله هذا الجدل . فالآثار الفنية الأولى فى الأدب العربى مثلاً لم تكن غير مقطوعات شعرية غنائية هاج بها وجدان قائلها فى مناسبات الحب والفراق والفخر والحماسة والمدح والرثاء وغيرها من أغراض الشعر الغنائى ، وهو لا شك شعر فردى يستجيب للأحاسيس والوجدانات الخاصة . ثم أخذت هذه المقطوعات تطول وتتسع للأغراض الاجتماعية فتذكر فيها الحروب والوقائع والمفاخر العامة للقبيلة حتى انتهت بالمطولات والمعلقات التى اهتم بها غير قبيلة قائلها من العرب . ثم ابتدأ ذكر الأمة العربية كلها يسطع فى الشعر العربى حين وضعها الإسلام وضماً واحداً أمام الأمم الأخرى التى احتكت بها فى النضال والفتوح . أفلا يقال بعد ذلك إن الفردية فى الفن العربى كانت تقل نسبتها تبعاً لنمو الوعى الاجتماعى بين العرب ؟

(للكلام بقية) عبد المنعم خلاف

وأنه لذلك يؤثر أن تكون الرسالة دائماً سجلاً صادقاً لاحتراب الأفكار في مصر وفي الشرق العربي بحيث يجد فيها مؤرخو العالم بعد ألف سنة صورة حقيقية لما كان يجري في هذه الأقطار من جدل يدل على الحياة ، ونضال يثبت الشخصية ... وكانت حجة الزيات الأخرى أن الرسالة تناولت بالنقد كل كتابها الأماثل ، وأن الدكتور زكي مبارك نفسه كان أحد مغاوير هذا النقد ، فلم يكد يسلم من قلمه أحد ممن لهم في تحرير الرسالة الجهاد المشكور . لكن النقد الذي كان الدكتور يشب ناره لم يكن نقداً يمس الدين ويمس العقائد ، كهذا النقد الذي وجهه إليه أخيراً أحد الكتاب الأفاضل الغُيُر . والذي كان سبباً في تنكر الدكتور للرسالة ولصاحب الرسالة

وبعد ... فحسبنا خروجاً على موضوع هذه القضية التي تسبب في إثارتها الدكتور زكي مبارك بكتابيه العظيمين اللذين لم يؤلف مثلهما كثيراً لا في مصر ، ولا في الشرق العربي ألا وهما :

١ — في التصوف الإسلامي

٢ — النثر الفني

ولعلي لا أثير سخط أحد بوصف هذين الكتابين بالعظمة ، وبالرغم مما يحملانه من أوجه النقص التي أشار إليها غير واحد من الكتاب والتي وصفتها لأخي الدكتور زكي مبارك أول ما لقيته بالقاهرة في العهد الأخير بأنها ـ أي أوجه النقص هذه (بُقع !) كبيرة كان يحسن بالأستاذ أن يتحاشاها حتى لا تقلل من قيمة كتابيه الجليلين ... وكان هذا قبل عامين على ما أذكر . على أنه ليس هنا ـ أو ليس الآن ـ موضع التحدث عن آيات الخلود في هذين الكتابين ... لأننا نكتب هذا الكلام بمناسبة ذلك الكتاب المفاجيء الذي وصل إلى مصر من العراق الشقيق ، والذي ألفه الشاعر الفاضل معروف الرصافي ، وسماه : « رسائل التعليقات » (مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٤٤) وجعل ثلثيه في نقد كتابي الدكتور زكي مبارك في التصوف الإسلامي والنثر الفني ... والعجيب أن الدكتور زكي لم يطلع بعد على الكتاب الذي ألف في نقده ، ولو لم أكن مشغولاً بقراءته ومناقشة ما فيه لدفعت به إلى صديقي ليسمعنا رأيه فيما رماه به شاعر العراق من تهم أشهد بين يدي الله أنه بريء منها ، وإن خانه التعبير فكتب ما يشتم منه هذا الذي أخذه عليه ناقدوه

وقبل أن نعرض آراء الأستاذ الرصافي نعلن أننا نقدس حرية الفكر ما لم ترم إلى شر ، وما لم تكن نتيجتها بلبلة أفكارنا والعصف بمعتقداتنا ، وهدم المعايير الأخلاقية الكريمة التي زودنا بها ديننا الذي هو أعز علينا وأكرم من فلاسفة العالم

وقبل أن نعرض آراء الأستاذ الرصافي نعلن أننا نؤمن بالله هذا الإيمان الفطري الساذج الذي قذفه الله في قلوبنا ، وأنار به بصائرنا . وأن الله هو خالق تلك الأكوان كلها ، فالله شيء والأكوان كلها شيء آخر . وليس الله مجموعة من القوانين الطبيعية كما يقول الفلاسفة . وإيماننا هذا الساذج الفطري هو الذي يصحبنا في تفكيرنا دائماً وهو لسهولته ويسره لا يشغلنا كثيراً ، ولا يقذف بنا في تلك المهامه التي تورث الخبال ، ولا تثمر إلا الضلالة ، وهو لسهولته ويسره يصرفنا إلى ما هو أجدى من أمور هذه الحياة التي يملأها الجد ... ونحن بهذا الإيمان الساذج الفطري الذي نطيع به الله ونحب به رسوله ، . والذي ندعو الله أن يزيده في قلوبنا رسوخاً أكثر تمدينا من الذين يرموننا بالجمود ، فما أرسل الله رسله إلا لمحاربة الجمود وهداية الناس إلى الحق واليقين

وقبل أن نعرض آراء الأستاذ الرصافي أيضاً ، نذكر ما أخذ على الأستاذ من الجرأة في العقيدة ، والتحلل مما جاء به النبيون أو تأويله بما يلائم أفكاره ، ولا يزال القراء يذكرون هذا الذي نشرته الرسالة عن عقيدته سنة ١٩٣٥ (٨ يوليو العدد ١٠٥ — السنة الثالثة) نقلاً عن الأستاذ أمين الريحاني الذي يقول :

« إن للرصافي رأياً في الوحي الشعري غريباً : هو لا يؤمن

بالوحى ، أو بالحرى الوحى المنزل ، إنما يعتقد أن القوة الشعرية فى الإبداع ، تتعلق بقوة الباه فى الجماع ! وأن الضعف الذى يعتري القوة الواحدة يتصل بالأخرى ، إذن لا بد من التوازن بينهما ... بل هو ضرورى ...

« ... ثم ذكر (أى الرصافى لأمين الريحانى) النبى محمداً وهو فى نظر معروف شاعر عظيم ... على أن أجمل قصائد النبى ، أى أجمل السور القرآنية ، إنما هى التى جاء بها فى عهد الاعتدال الجنسى ، يوم لم يكن له غير خديجة زوجاً ، أما بعد وفاة خديجة ، فقد أصبح محمد مزواجاً ، وكانت القصائد — السور — فى هذا العهد مثل نسائه ، أى دون ما تقدم منها ومنهن

« فقد كتب الرصافى سيرة النبى محمد ، وأطلعنى عليها مخطوطة بيده ، فى سبعة دفاتر من الدفاتر المدرسية ، فما أدهشنى منها ما فيها من العلم والتحقيق ، لأن مصادر الموضوع متوفرة لمن شاء معالجته ، وأحسن البحث والموازنة ، إنما أدهشتنى القوة النافذة والمقدرة على التحليل والاستخراج ، والتفلسف فى عقائد لا تستقيم بغير الإيمان والجرأة والصراحة مع الاتكال على العقل والعلم فيهما

« فقد استخدم فى سيرته المصباح الذى استخدمه العلماء الأوربيون فى نقد التوراة — أى مصباح النقد الأعلى الذى ينير العلم بنور العقل والمقارنات التاريخية . ومما يزيدك إعجاباً بالرصافى أنه لا يحسن لغة أجنبية[1] ، فقد ركن فى كل ما حلل وأوّل واستخرج واستنتج إلى اجتهاده الخاص ، وإلى عومه و حدة العربية

« وإنك لتدرك الروح فى مصنفه هذا إذا علمت رأيه بالله ، فقد قال لى مرة : إن الآية : لا إلـه إلا الله ، لا معنى لها ، ويجب أن تبطل ، أو تبدل بالآية : لا إلـه إلا الوجود ، أى أن الكون هو الله ، هى عقيدة البانتيزم ، أى الحلول ، وهو فيها على اتفاق والزهاوى . وقد يهمل وينسى كثير من شعر الرصافى فى المستقبل ، وتظل سيرته النبوية من الكتب التى تقرأ وتكثر

وقد علقت الرسالة على هذا اللغو تعليقاً كريماً ، فذكرت أن حكومة العراق صادرت كتاب الريحانى لمثل هذا الهتر ، وأن الرصافى قد يقول شيئاً من هذا الكلام فى ساعة لهوه ليطوى فى بساط الشراب ، لا لينشر على الناس فى كتاب ... الخ »

لقد تعمدنا أن نطيل الاقتباس لأن الرصافى عاد فردد هذه الأراجيف فى كتابه الجديد الذى لم يصادر ، وينبغى ألا يصادر ، فالمصادرة سلاح رث لا يجمل استعماله فى هذا العصر الذى يأخذ بحرية الفكر . . . وسنرى كيف نبطل هذا اللغو بعد عرض آراء الأستاذ الكبير ...

(يتبع) دريني خشبة

[1] فى الكتاب الجديد للرصافى يقول إنه يتقن اللغة التركية

من اقتصاديات ما بعد الحرب

مستقبل القطن المصرى

للأستاذ زكريا بك حجاج
مدير مراقبة القطن ومنع خلطه

١ – تأثير السعر على الانتاج

تأثير السعر فى الانتاج الزراعى – شواهد من الماضى – خطورة انكماش الأسعار – الدعوة إلى تثبيت أسعار السلع الزراعية فى الحرب والسلم – مقترحات لتسهيل ذلك – اقتراح إنشاء صندوق للقطن .

مشكلة الإنتاج الزراعى هى مشكلة السعر ؛ فكل منهما يتأثر بالآخر تأثراً كاملاً دائماً . والخطأ فى تدبير مشكلتهما فى دولة ما قد يفضى إلى خرابها ، ولقد أطاحت هذه المشكلة فى انجلترا قبل الحرب الحالية بثلاثة وزراء للزراعة

وتذبذب قيم النقد واضطراب الأسعار كانا السبب المباشر للتدهور الزراعى الذى منى به العالم بين سنتى ١٩٢٠ ، ١٩٤٠ ، إذا استثنينا الفترات القصيرة التى تحسن الإنتاج فيها لعوامل عارضة قصيرة الأجل

ومثل تلك الحالة ما وقع بعد الحروب النابوليونية ، وما حدث غب الحرب الأمريكية الأهلية (١٨٧٣ – ١٨٨٠)

ونصيب مصر من ويلات تدهور الأسعار فيما بين الحربين الماضية والحاضرة كان نصيباً كبيراً . فقد كانت أسعار بعض المحاصيل المصرية لا تفى بنفقات زراعتها ، وكان بعضها يظل ملقى فى الحقل حتى يدركه التلف ولا يجد من ينقله إلى الأسواق لأن تكاليف النقل كانت – على ضآلتها – تثقل المنتج وتجر عليه خسارة محققة

وما زالت فى الأذهان ذكريات قاسية عن التدهور الذى أصاب أسعار القطن فى موسم ١٩٣١ – ١٩٣٢ والقمح والذرة فى سنة ١٩٣٢ والبصل فى سنة ١٩٣٧

عاش الفلاح خلال تلك الفترة معيشة ضنكا ، وأصبح المار بالقرى لا يكاد يرى الجنيه إلا مع آحاد ، بل لقد حدثت بعضهم صادقاً أنه إبان اشتداد الأزمة فى سنة ١٩٣١ لم تقع عينه على أية عملة مدة ثلاثة أشهر

وقد ثقل على الفلاح دفع ضرائب الأطيان ، وآدته الديون ، فانتزعت منه المصارف والمرابون أطيانه ، وبيعت بالمزاد الجبرى مواشيه وآنية بيته ؛ ولولا صدور تشريعات صيانة الثروة العقارية لوقع أغلب فلاحينا فى الإفلاس التام

وكان من جراء ذلك أن ضعفت القوة الشرائية لدى الفلاح وهو الذى يكون ٨٠ فى المائة من مجموع الشعب ، فكسدت أسواق المطالب الزراعية من آلات وأسمدة وغيرها ، وخلت أسواق الملابس والحاجيات البيتية من روادها الفلاحين الذين كانوا يفيضون عليها الحياة . فنضب النشاط التجارى ، وتعطلت بالتالى الأيدى العاملة ، ومن ثم انتشر الفقر ، وفاض القلق والاستياء فى النفوس . وتطلع الناس إلى إصلاح النظم الاجتماعية أو تبديلها . وفى غمرة العوز والسخط ودَّ بعضهم لو اشتعلت الحرب لعلها تأتيهم بخير ، أو لعلها تكون أرحم بهم ذبحاً ، أو لعلها تأكل الناس جملة فيستريحوا .

وحالة انخفاض الأسعار أو انكماشها Deflation أو إقامة النقد على قاعدة الذهب Gold Standard تقع غالباً كلما وضعت الحروب أوزارها

فالفلاح إبان الحروب يشترى ما يلزمه من بذور وأسمدة وآلات ووقود بأسعار مرتفعة جداً هى وليدة التضخم النقدى Inflation وهو يدفع أجور الأيدى العاملة على هذا الأساس ، وإذا اقترض أموالاً فإن فوائدها – على الأرجح – تكون مرتفعة تبعاً للحالة

فإذا دخلت الدول المتحاربة فى السلم هبطت أسعار المحاصيل هبوطاً بالغ الشدة حتى لتعجز عن تعويض بعض مصاريف الإنتاج

فلو أن فلاحاً مصرياً اقترض مثلاً فى سنة ١٩٤٤ مبلغ ١٢٠٠ جنيه لكفاه وقت الاقتراض للوفاء بهذا الدين ١٥٠ قنطاراً ، ولكن هذا القدر من القطن لن يفى بالدين إذا جاءت السلم ، بل قد لا يفى ضعفه ؛ وهنالك يعمد الفلاح إلى إنقاص

الأجور ، ويعمل على خفض قيم الإيجار . يفعل ذلك ابتغاء تفادى الخسارة أو تخفيفها ، ولكن عبثاً ما يحاول ، إذ يتقرر عندئذ زيادة قيمة العملة إلى ما يوازى ضعف أو ثلاثة أمثال قيمتها فى وقت الحرب فيتلاحق التدهور ، ويقع الفلاح فى أزمات عصبية تهدم كيانه المالى ، ولا يجد سبيلاً إلى سداد ديونه التى تكون قيمتها الشرائية قد زادت كثيراً عما كانت عليه وقت الاستدانة

هذه الحالة الخطيرة يجب أشد الوجوب اتقاؤها حتى لا ينخفض مستوى المعيشة بعد الحرب ونقع فى حالة الانكماش التى بسطنا آنفاً مظاهرها السيئة . والذى أعتقده أن لا بد لذلك من وضع نظام تثبيت الأسعار Stibilisation des prix للسلع الزراعية فى الحرب والسلم على السواء بحيث تكون مجزية للفلاح ، أى بحيث تكفل له الربح المعقول ، على أن يقترن هذا النظام بحماية الإنتاج الأجنبى أسوة بما يصنع غيرنا من الدول من مثل انجلترا التى ظلت تحمى صناعة سكر البنجر زمناً غير قصير حتى أمكن وقوف هذه الصناعة على قدميها بلا سند

وبالنسبة للقطن المصرى بالذات أقترح أن تضمن الدولة لمنتجه سعراً يحقق له الربح المناسب . ولإمكان ذلك يجب العمل على زيادة الصناعات القطنية ، وذلك بتشجيعها وحمايتها من الصناعات القطنية الأجنبية كما ذكرت ، مع تخفيف الضرائب عنها تخفيفاً يطرد باطراد الزيادة فى الإنتاج ، أى مع مراعاة (القلة التصاعدية) فى فرض الضرائب

وظاهر أن هذه الحماية ستكفل امتصاص مقدار وفير من قطننا فى مصانعنا ، ولذلك أثره الأدبى والاجتماعى الباهر فى حياتنا . بيد أن الأخذ بهذه المقترحات لا بد له من رأس مال يكفى لتمويل ثلث المحصول على الأقل ، فكيف السبيل إلى هذا المال وأبواب الصرف فى ميزانيتنا تكاد تلتهم كل ما يجىء من أبواب الإيراد ؟

أقترح أن ينشأ لهذا المشروع صندوق خاص يدعى صندوق القطن على نمط صندوق الفرنك الذى أنشئ فى فرنسا عام ١٩٢٨ ، وتؤدى إلى صندوق القطن هذا كل المبالغ التى تمت إلى هذه السلعة بأية صلة ، مثل أموال التأمين الإجبارى على القطن ، وجملة الرسوم الجركية على الأقطان المصدرة ، وضريبة الأرباح الاستثنائية التى تحصل من المنازل المحلية ومن بيوت التصدير ، وفروق أسعار الاستيلاء على البذرة ... الخ .

وأرى أن تبادر وزارة المالية بإنشاء هذا الصندوق من الآن

ورب معترض يقول إن تدبير المال اللازم للأخذ بهذه الفكرة ليس بالأمر الهين ، فنجيب هؤلاء بأن لا ضير أبداً من توفية ما يستلزمه الصندوق من مبالغ مهما تكن الوسيلة . ذلك أن الأمر أمر المحصول الأول للبلاد الذى هو عماد الاقتصاد فيها والمال — على غير ما كان يظن الاقتصاديون القدامى — يجب أن يسخر لخدمة المصالح الاقتصادية وليس العكس . وما النقد – كما يعبر F. Zewig – إلا خادم للبشرية وليس سيدها

ومما يفيد كثيراً فى حماية الأسعار من الانخفاض اتباع نظام الإنتاج والبيع التعاونيين . وقد أخذت بهذا النظام فعلاً بعض الجمعيات التعاونية فجنت منه ثمرات طيبة

هذا التثبيت لأسعار القطن سيكفل — لو تم — رواج الفلاحين ، ومن ورائهم باقى الأمة ، وعندئذ سيجد الفلاح السبل المادية والمعنوية لزيادة إنتاجه من القطن ، والمضى فى تحسين نوعه ، حتى يفى بحاجات الصناعة القطنية الرفيعة ومن ثم تزداد قيمة المحصول فتزداد البلاد خيراً

(٢) تصريف القطن

اقتراح قيام الحكومة بوضع نماذج للقطن المصرى — فوائد وضع هذه النماذج

تدع مصر منذ قديم مهمة تصدير القطن إلى بيوت التصدير التى تتولى الاتصال بالمنازل الأجنبية ، وعرض نماذج الأقطان عليها . ولسنا نعدو الحق إذا قلنا إن المنتج المصرى قد يغبن كثيراً بسبب الصلات المعنوية والمادية بين هذه البيوت وتلك المنازل ، ولاعتبارات أخرى غير خافية

ورأيى أن تقوم الحكومة نفسها بوضع نماذج لكل نوع من أنواع القطن المصرى وفق ما تستلزمه حاجات الصناعة ، ملاحظة فى ذلك درس الخصائص الإقليمية للمناطق الزراعية المختلفة فى مصر ودراسة خصائص قطن كل منطقة من الناحية

الألغاز في الأدب العربي

للأستاذ محمود عزت عرفة

(تتمة)

ألغاز منثورة

لم تسلك الألغاز سبيلها إلى النثر الفني كغرض من أغراضه إلا في عصور الأدب المتأخرة عندما انحط الشعر والنثر جميعاً. فخاض الأول مجارى ضحلة من الأفكار والأخيلة والأساليب، وتهافت إلى معان ضئيلة ليس أدل على مبلغ ضؤولتها من أنهم لم يكونوا يصوغونها في أكثر من أبيات لا تتجاوز في تحديدها «البضع»؛ يضمنونها من متكلف التورية ومستكره الطباق والتجنيس ما قد يكون توفر لديهم في لحظات تفكيرهم الآلي، واعتكافهم الطويل على تصيد الألفاظ من معجماتها. فاقتحم النثر على الشعر حرمه وقد زايلته قداسته، وشاركه سائر فنونه وأغراضه. ولم يبق إلا أن يجوس معه خلال مجاهل الألغاز التي حلا لأكثر الشعراء المتأخرين أن يلتاثوا فيها... وهكذا نجد الألغاز المنثورة منحصرة في هذا النوع المريض الدنف... المتحامل على سند واه من إغراب لفظ، أو لي تركيب، أو تعمية إعراب، أو تصحيف أو تحريف أو عكس أو قلب أو غير ذلك

ومن أمثلته قول الصاحب بن عباد لأبي العباس الحارث في يوم قيظ: ما يقول الشيخ في قلبه؟ أراد قلب (الشيخ) وهو (خيش)[1]

ومن طريف الألغاز المنثورة قول العماد الكاتب للقاضي الفاضل: «سر فلا كبا بك الفرس» فهذا الكلام إذا قرئ معكوساً — بالابتداء من آخر أحرف الفرس — حصلنا منه على العبارة بنصها! ويناظره جواب القاضي الفاضل على دعاء العماد بقوله: «دام علا العماد»

ومن رسالة لفضل الله بن عبد الرحمن بن مكانس ملغزاً في الورد: ما عاطل تتحلى به المجالس، ويتفكه به المجالس، تحمر وجناته من الشرب، وتحمد آثاره في البعد والقرب... إن حذفت أوله وحرفت باقيه وجدته أمراً بالشراب، وإن فعلت كذلك في ثانيه رأيت ما بقي يؤكد المحبة بين الأصحاب. و «ورّ» إن حذفت آخره من ورّى، وغص في بحر الفكر على عكس ثلثيه لتستخرج «درا»...

وكتب بدر الدين بن الدماميني من لغز في (روضة): ما قول مولانا أبقاه الله تعالى... في دار ينعم بها الجاني، وتطرب في مرابعها الألحان المغنية عن المثالث والمثاني... طالما تحركت بها السواكن وهاجت البلابل، ونهر من سأل عنها فاستعذب نهرها السائل... إن عرّف لفظها كان علماً لمحل[2] لا يطرقه محل، ولا ينكر تأنيثه لخل. يحدث المصري بحلاوته، ويخبر عن لطفه وطلاوته. وإلا فعلم على جملة يعرفها الطالب[3] ويستحسن

(١) الخيش مروحة تشبه الشراع تعلق في سقف البيت ويشد إليها حبل تتحرك به. فاذا بلت بالماء ورشت بماء الورد حدث من حركتها نسيم بارد طيب الريح — عن الشريشي في شرح المقامات

(٢) يقصد الروضة العامرة إحدى منازه القاهرة

(٣) لعله يشير إلى كتاب يعرف بالروضة، ولم يتسع لنا المجال لتحقيق هذا.

الصناعية أيضاً، وسيعينها على الدراسة الأخيرة أن في بلادنا الآن مغازل يستطاع بوساطتها تعرف حاجات صناعة الغزل وإجراء مختلف التجارب

وسيفيد وضع هذه النماذج في تحديد القيمة الصناعية للقطن المصري بالضبط، وسيتيح للمنتجين أن يبيعوا أقطانهم بأسعار موحدة لا غبن فيها، وسيرد عليهم هم أنفسهم النفع الذي كان يجنيه الوسطاء، وسيرفع عن القطن المصري الآصار التي كان هؤلاء يضعونها عليه. وفوق هذا فسيجلو للمصانع حالة الأقطان المصرية ويسهل عليها الحصول على حاجاتها المنوعة من مختلف الأقطان، وسيكشف الغطاء عن أسرار طلبات المغازل، تلك الأسرار الخافية إلا على بيوت التصدير الأجنبية

وأرى ألا تسمح الحكومة بإنتاج أصناف من القطن تخالف النماذج التي تضعها، أي أن تمنع إنتاج أي نوع لا يستوفي مطالب المغازل. وتحقيقاً لذلك لا بأس — إذا اقتضت الحال — من قصر الزراعة القطنية عندنا على بيئات معينة.

(البقية في العدد القادم) زكريا مهران

ارتكاب المهالك لينال ما فيها من المطالب . قد فتحت لأرباب القاصد أبوابها ، ومنحت الأفهام الضالة هديها وصوابها ... الخ

ونحن لا نطيل بإيراد الأمثلة من هذا الباب وإنما نترك للقارىء أن يطلب المزيد منها - إن شاء الله - فى مظانها ومواطن طلبها من مجاميع الأدب المتأخرة ...

نبذ فى الملغزين وبعض تصانيفهم

نختم هذا البحث بذكر بعض من كانت لهم شهرة الاختصاص بالألغاز وسمة البراعة والحذق فيها ، دون من ألموا بها غير مكثرين، فى أشعارهم أو تصانيفهم ، كأكثر الذين أشرنا إليهم . فمن برّزوا فى هذا الفن : الحسين بن على المعروف بالنديم[1] قال ياقوت : « كان أديباً كاتباً شاعراً له اليد الطولى فى حل الألغاز العويصة » ، ومن طريف أمره أنهم وضعوا له أبياتاً على صورة الألغاز ولم يلغزوا فيها - يختبرون بذلك فطنته - فقالوا له :

وماشىء له فى الرأس رجلٌ وموضع وجهه منه قفاه
إذا غمّضت عينك أبصرته وإن فتحت عينك لا تراه

ونظموا له أيضاً :

وجارٍ وهو تيار ضعيف العقل خوار
بلا لحم ولا ريش وهو فى الرمز طيار
بطبع بارد جداً ولكن كله نار

فقال عن الأول إنه طيف الخيال وعن الثانى إنه الزئبق ؛ وعلل إجابته فى ذلك بكلام مقنع !

وبرع فى هذا الفن أيضاً محمد بن أحمد الهاشمى الملقب بأبى العبر ، وله فيه طرائف أورد ياقوت كثيراً منها فى معجمه

وذكر أيضاً عن محمد بن سعيد الموصلى أنه كان « ذكياً فهماً إماماً فى استخراج المعمى والعروض » ، ووصف ابن عنين الدمشقى بقوله : «لغوى أديب ... برع فى الشعر وحل الألغاز »

وممن اشتهر بالألغاز فى مصر تاج الدين محمد بن أحمد الدشنانى (٦٤٦ — ٧٢٢ هـ) . ذكره تلميذه كمال الدين الأدفوى فى الطالع السعيد فقال : « كان لشيخنا تاج الدين يدٌ جيدة فى نظم الألغاز والأحاجى وحلها » ثم أورد بعض ألغازه شعراً . وتحدث أيضاً عن الشريف فتح الدين على بن محمد القنائى (المتوفى سنة ٧٠٨ هـ) فقال : « وله يد عليا فى حل الألغاز وله فيها نظم كثير . كان شيخنا تاج الدين الدشنانى يكتب إليه بالألغاز ويحلها ، وكذلك علم الدين يوسف بن أبى المُنا » وذكر عن هذا الأخير — وقد توفى عام ٧٢٨هـ — أنه كان ذا « معرفة جيدة بحل الألغاز والأحاجى ، ونظم فيها أشياء كثيرة » ثم أورد له شيئاً من كلامه

وممن لهم تصانيف فى الألغاز أشارت إليها المصادر الأدبية — وإن لم يصلنا أكثرها — : ثابت بن قرة مؤلف رسالة السبب الذى لأجله ألغز الناس فى كلامهم[1] ؛ وأبو الحسن بن كيسان النحوى صاحب كتاب (المعمّى) ؛ ومحمد بن أحمد ابن طباطبا صاحب كتاب المدخل فى معرفة المعمى من الشعر ؛ ومحمد بن أحمد الكاتب المعروف بالمفجع ، وله كتاب : الترجمان فى الشعر ومعانيه، يشتمل على ثلاثة عشر حدًّا آخرها حد اللغز . وللحسن بن أسد الفارقى كتاب فى الألغاز ؛ والزمخشرى صاحب الكشاف وأساس البلاغة معروف أيضاً بكتابه : الأحاجى النحوية . وقد قام الإمام السخاوى « أبو الحسن على ابن محمد » بشرح هذا الكتاب . قال السيوطى فى بغية الوعاة : وله من التصانيف - يعنى السخاوى - شرح أحاجى الزمخشرى النحوية ، من أجل الكتب فى موضوعه ، والتزم أن يعقب كل أحجيتين للزمخشرى بلغزين من نظمه

إلى هنا نقف الحديث . ونحن لا نحاول أن نستوعب أو نستقصى فى مثل هذا البحث المستفيض ؛ وإنما نضع أمام القارىء خلاصة نرجو أن تكون وافية ملمة من الموضوع بأكثر أطرافه ...

(جرجا) محمود عزت عرفة

(١) كان نديم الخليفة المستنجد بالله ، وعاش بين سنتى ٥٠٠ و ٥٨٠ هـ

(١) سنو وفيات ابن قرة وابن كيسان وابن طباطبا والمفجع والفارقى والزمخشرى والسخاوى هى على الترتيب : ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٤٨٧ ، ٥٣٨ ، ٦٤٣ من الهجرة

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٦٠ — أغذية السوء كالذنوب

أبو القاسم السميسر :

يا آكلا كل ما اشتهاه وشاتم الطب والطبيب
ثمار ما قد غرست تجني فانتظر السقم عن قريب
يجتمع الداء كل يوم أغذية السوء كالذنوب

٥٦١ — الخليفة يدعو لطبيبه النصراني في عرفات

(عيون الأنباء) : قال إسحق بن علي الرهاوي في كتاب (أدب الطبيب) : عن عيسى بن ماسة أن يوحنا بن ماسويه أخبره أن الرشيد قال لجبرئيل بن بختيشوع [1] وهو حاج بمكة : ياجبرئيل، علمتَ مرتبتك عندي ؟ قال : ياسيدي ، وكيف لا أعلم ؟! قال له دعوت لك (والله) في الموقف دعاء كثيراً . ثم التفت إلى بني هاشم فقال : عسى أنكرتم قولي له ، فقالوا : ياسيدنا ، ذميّ ، فقال : نعم ، ولكن صلاح بدني وقوامه به، وصلاح المسلمين بي . فصلاحهم بصلاحه وبقائه . فقالوا : صدقت يا أمير المؤمنين

٥٦٢ — وما ننفض من حولك

كان أحمد بن أبي خالد وزير المأمون فاضلاً مدبراً جواداً ذا رأي وفطنة ، إلا أنه كانت أخلاقه سيئة

قال له رجل يوماً : والله لقد أُعطيت ما لم يعطه رسول الله

فقال : والله لئن لم تخرج مما قلت لأعاقبنك

قال : قال الله تعالى : (ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك)

وأنت فظ غليظ القلب، وما ننفض من حولك

٥٦٣ — فيم اقتحامك ؟ — أريد بسطة كف

دخل الشيخ عبد الرزاق الشيبي على الحسن بن أبي نمي شريف مكة يستأذنه في السفر وركوب البحر ، فأنشده الشريف قول الطُغرائي [1] :

فيم اقتحامك لج البحر تركبه وأنت تكفيك منه مصة الوشل ؟

فأنشده الشيخ على البديهة من القصيدة :

أريد بسطة كف أستعين بها على قضاء حقوق للعلى قبلي [2]

فأمر له الشريف بقضاء دينه ، وأمر له بألف أحمر ، وترك الشيخ السفر

٥٦٤ — مشيت في مكرمة

في (تاريخ بغداد) بينا أبو السائب المخزومي (عبد الله ابن السائب) في داره سمع رجلاً يتغنى بهذه الأبيات :

أبكي الذين أذاقوني مودتهم حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
حسبي بأن تعلمي أن قد أحبكم قلبي وأن تجدي بعض الذي أجد
ألقيت بيني وبين الحب معرفة فليس تنفد حتى ينفد الأبد
وليس لي مسعد فامنن علي به فقد بليت وقد أضناني الكمد

فخرج أبو السائب من داره يسعى خلفه ، فقال له : قف ، أنا مسعدك ، إلى أين تريد ؟ قال : إلى خيام الشعف من وادي العرَج [3] ، فأصابتهما سماء شديدة فجعل أبو السائب يقرأ : (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا [4] والله يحب الصابرين)

ثم رجع إلى منزله وقد كادت نفسه تتلف ، فدخل عليه أصحابه وإخوانه فقالوا له : يا أبا السائب ، ما الذي تصنع بنفسك؟ قال : إليكم عني ، فإني مشيت في مكرمة ، وأحييت مسلما ، والحسن معان ...

---

(١) معنى بختيشوع عبد المسيح ، لأن في اللغة السريانية البخت العبد ويشوع عيسى (ابن أبي أصيبعة)

(١) مؤيد الدين الحسين بن علي قال ابن خلكان : هذه النسبة إلى من يكتب الطغرى وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ ومضمونها نعوت للملك الذي صدر الكتاب عنه ، وهي لفظة أعجمية

(٢) لي قبله حق ، لي قبله مال أي عنده (الأساس ، التاج)

(٣) الشعف : ما ارتفع من الأرض وعلا . العرج بالفتح واد بالحجاز (التاج)

(٤) استكان واستحال : انتقل من كون إلى كون وانتقل من حالة إلى حالة (الكشاف) والاستكانة الخضوع والذل

جمال وشـــوك

[إلى أخي الصابر الراضي الأستاذ محمد سعيد العريان]

للأستاذ محمود الخفيف

يا حُسْنَهَا تُعْجِبُ مَنْ ينظرُ ... صَبَّارَةٌ يا طُولَ ما تَصْبِرُ !
ظَامِي الحَصَى مَنْبِتُها مُقْفِرُ ... لاَ نَبْعَ يُرْجَى حَوْلَها أو يُرَى
إلا لِمَامًا عَارِضٌ مُمْطِرُ

لولاهُ ما إنْ عَرَفَتْ مَوْرِدا ... قَدْ حُرِمَتْ في القَفْرِ حتى النَّدَى
عَزِيزَةٌ تَحْيا بِرَغْمِ الصَّدَى ... كَمْ أشْبَهَتْ في عَيْشِها حُرَّةً
العارُ تأباهُ وَتَرْضَى الرَّدَي

مُحْصَنَةٌ ما داعَبَتْها الرِّياحْ ... ولاَ ثَوَى في فَرْعِها ذو جَنَاحْ
لها مِنَ الشَّوْكِ رهيبُ السِّلاَحْ ... كأنما العِفَّةُ لم تَكْفِها
فاتَّخَذَتْ أُهْبَتَها لِلْكِفَاحْ !

واعَجبا ! أغْصَانُهَا كالنِّصَالْ ... لكنَّما رَفَّ عَلَيْهَا الجَمالْ
ماشَابَ هذا الحُسْنَ قَطُّ ابتِذَالْ ... فَمَا تَرَاهَا العَيْنُ مَيَّاسَةً
تَأَوَّدَتْ في نَزَقٍ أَوْ دَلاَلْ

وحِيدَةٌ أَفْرَدَهَا المَوْلِدُ ... يَتِيمَةٌ مَا هَدْهَدَتْها يَدُ
باليُتْمِ لاَ تَشْقَى ولاَ تَسْعَدُ ... مَا عَرَفَتْ في قَفْرِها راعِيًا
أو أسْخَطَتْها عِيشَةٌ أَرْغَدُ

نَعْمَاؤُها أَنْ تَجْهَلَ الأَنْعُمَا ... وغايَةُ الشِّقْوَةِ أَنْ تَعْلَمَا
مَنْ عَيْشُهُ الحِرْمَانُ لَنْ يُحْرَمَا ... وَمَنْ يَعُبُّ الماءَ في وفْرَةٍ
كانَ جَرِيًا أَنْ يُحِسَّ الظَّما

وخَشْيَةٌ ما اتَّخَذَتْ مِن حُلَى ... إلا التي تَنْسِبُها لِلْعُلَى
يارُبَّ حُسْنٍ إذ يُرَى عاطِلاً ... أَصالَةُ السِّحْرِ به أَبْرَزَتْ
جَمَالَهُ فَهْوَ يُرَى أَجْمَلاَ

في غَيْرِها إنْ رَفَّ حُلْوُ الزَّهَرْ ... أو لاَحَ لِلْعَيْنِ شَهِيُّ الثَّمَرْ
أَذْهَلَ هَذَا عَنْ سِوَاهُ البَصَرْ ... كم زِينَةٍ في العَيْنِ بَرَّاقةٍ
زاغَتْ بها الأبصارُ عَمَّا استَتَرْ



صَبَّارَتِي شَقَّتْ عَلَيْكِ الحياه ... لكنَّما جُنِّبْتِ أيدِي الجُناهْ
في وَحْشَةِ البِيدِ أطِيلِي الصَّلاَهْ ... زاهِدَةَ الصَّحْرَاءِ لا تَحْزَنِي
يا رُبَّ بُؤْسٍ كان فيه النَّجاهْ

يا شَوْكَةَ الصَّحْراءِ لَنْ تَعْدَمِي ... رِعايَةً مِنْ رَبِّكِ الأَكْرَمِ
في كَنَفِ البارِئِ لَمْ تَنْتَمِي ... الخالِقُ الرزَّاقُ لوذِي بِهِ
في عُزْلَةِ الصحراء واسْتَعْصِمِي

كم راعَني فِيكِ صَرِيمُ الإباءْ ... ونُضْرَةُ العودِ بِرَغْمِ الشَّقَاءْ
وبَسْمَةٌ فيها الرِّضا والرَّجاءْ ... ورَوْعَةُ الحُسْنِ وزَهْوُ الصِّبا
والطُّهْرُ والعِصْمَةُ والكِبرياءْ

صَوَّرْتِ يا صَبَّارَتِي الناضِرهْ ... إنْسِيَّةً كالظَّبْيَةِ النافِرَه
قاسِيَةٌ شَوْكاتُها زاجِرَه ... رَيَّانةَ العُودِ عَلَى بُؤْسِها
ضاحِكَةً رائعـــةً ساحِرَه

في نَشْوَةِ المُبْتَهِلِ الزاهِد ... وفي خُشُوعِ الرَّاكِعِ السَّاجِدِ
جَلَسْتُ في الصَّحْراءِ كالعابِد ... أرنو إلى زاهِدَةٍ سَبَّحَتْ
لله في مِحرابِه الخـــالد

يا حُسْنَها كم تُعْجِبُ الناظِرين ... صَبَّارَةٌ : لَفْظٌ ومعنى مبين
ذَكَّرْتِ يا عصماءُ قلبي اليقين ... ما أنْتِ يا صَبَّارَتِي صُورَةٌ
أنتِ خَيالُ الصَّبْرِ للموقنين



على هامش الشعر الجديد

اطلعت فى (٥٦٨) من الرسالة على كلمة للأستاذ الفاضـل حبيب الزحلاوى ، يعلق بها على قصيدة للدكتور بشر فارس ، نشرت فى مقتطف مايو . قال الأستاذ : « قرأت القصيدة ثم قرأتها مرات ، ثم أعدت قراءتها فى أوقات متفاوتة . وكنت عقب كل قراءة ، أعود بالخيبة من عدم الفهم ؟! ... » . ثم قال إنه يشرك قراء الرسالة معه فى قراءة هـذه القصيدة ، ويتعهد بجائزة مالية . . . ولا يستثنى قراء العربية فى سوريا ولبنان وفلسطين والحجاز والعراق ... الخ .

ولقد طمعت فى الجائزة ، فأكببت على القصيدة ، ممعناً فيها ، مقلباً فيها النظر ساعات بعد ساعات ؛ فكنت أبوء بالخيبة بعـد كل محاولة . ولا عَزْو أن تَنْبو العقول عن مثل هذا التخليط والعبث !

ثم إنى قلّبت صفحات العدد نفسه من الرسالة ، فإذا أنا أمام قصـيدة عنوانها : « من خريف الربيع » — وما أكثر أمثالها ! — فتلوتها ، ثم تلوتها ، ثم تلوتها ، فوجدتنى أكاد أكون فى مثل موقف الأستاذ الزحلاوى من قصيدة بشر فارس

فقلت : مالى لا أستريح قليلاً من ذهنى الـكليل ، وعلمى العتيق ، فألجأ أنا أيضاً إلى قراء العربية فأستعين بهم ؟

فليتفضل منهم متفضل ، فيشرح لى هـذه القصيدة شرحاً تلتئم به أجزاؤها ، وتتجمع أوصالها ، وتتكشف به غرائب مجازاتها ، وعجائب استعاراتها ، وبدائع أسرارها ؛ حتى تعود كوناً متماسكا ذا قِوام .

إنى إلى هذا لشديد العطش . (ا . ع)

جائزة الزحلاوى

رصـد الأستاذ الزحلاوى جائزة مقدارها خمسة جنيهات مصرية لمن يفسر له قصيدة كان الدكتور بشر فارس قد نشرها فى المقتطف ، وقد أغرتنى قيمة الجائزة ودفعتنى إلى محاولة تفسـير القصيدة لأنال جنيهات الزحلاوى ، والحق أنى وقفت أمام القصيدة طويلاً وما استطعت — علم الله — أن أظفر منها بمعنى مفهوم أو خاطر واضح . القصيدة كلام يوهم أنه ذو معان فلسفية عميقة ، وليس بها معان على الإطلاق ، إلا ما كان من المعانى الفردية للـكلمات

(القاهرة) مصطفى على عبد الرحمن

« الشعر الجديد » لا « شعر الشباب »

معاذ الله أن يكون الشباب هدفاً مقصوداً فى هذه المعركة ، وإنما هو الشعر الجديد شباباً كان قائلوه أو شيباً . وما علاقة العمر بقديم الشعر وجديده ؟ وهل اخترم طرفة وأبو تمام إلا وشبابهما فى عنفوانه ؟

ولو أنك رجعت إلى كلمات الأستاذ الـكبير (ا . ع) فى هذا الموضوع لوجدت عنوانها « الشعر الجديد » ، وكذلك عنوان مقالى فى العددين ٥٦٨ و ٥٦٩ من الرسالة

نعم إن الأستاذ الـكبير قال فى إحدى كلماته : « ولـكنهم كلهم — أو جلهم — أحداث أو أشباه أحداث »[1] . ولـكنك لو تدبرت هـذه العبارة لم تجد فيها ما يُفهم أن شعراء الشباب كلهم — أو جلهم — مجددون ، وأسارع إلى الاحتراس فأقول : « على النحو الذى فصله الأستاذ فى كلماته عن مذهبهم فى التجديد » ، ثم إن الأستاذ يقول أيضاً : « وهل فى كلامى ما يشير أو يدل على أنى أجحد شعراء الشباب عامة ؟ لا يا سيدى . إنى حكمت على فئة كبيرة تسنى لها بعوامل مختلفة أن تنشر شعرها بين ظهرانينا . وهو شعر هزيل فى ألفاظه وتراكيبه ومعانيه ؛ فليس معنى هذا ألا يكون من بين شعر هؤلاء الشباب ما يستجاد أو يستملح ... الخ . »[2]

إذن فمن الذى أقحم لفظ « الشباب » فى هذه الأحاديث ؟ إنهم أنصار الشباب أنفسهم ، فهم الذين كتبوا « شعراء الشباب والأستاذ الجليل » و « حول شعراء الشباب » و « شعراء الشباب » و « لقد ظلموا شعراء الشباب » و « حول شعراء الشباب » و « حول شعر الشباب »[3] . وغير ذلك

(١) الرسالة ٥٦٠ (٢) الرسالة ٥٦٨ (٣) راجع على الترتيب الأعداد ٥٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٩ من الرسالة

لسنا ننكر أن أكثر النظامين لهذا الشعر الجديد من شباب الشعراء ، ولـكننا لا ننكر أيضاً أن من الشباب من لم يفتهم هذا التجديد المزعوم ، بل إن من هؤلاء المجددين أنفسهم من ينزع عنه — طوعاً أو سهواً — فى بعض الأحيان ثوب التجديد الخادع ، وحينئذ ترى من شعره ما يروقك ويعجبك .

وهذا هو الذى أشرنا إليه فى حديثنا عن بعض مواضع الحسن فى قصيدة الشاعر على شرف الدين ، وإذن فليس للاستاذ البشبيشى على حجة إذ يقول : « ... إذا أخطأهم النسج القوى وصفتم شعرهم بالسخف والفتور ، وإذا راعكم منهم البيان الجزل قلتم : هذا من الشعر القديم »

ومن العجيب أن أنصار هـذا الشعر يقحمون فى ثبت شعرائه أسماء لا تمت إلى جديدهم بصلة ، بل إننا لنقرأ شعرهم فنستعذ به ونستملحه كما نستعذب ونستملح شعر المجيدين من القدماء

أما الغموض الذى أخالف فيه أستاذى ، وأما « معنى التجديد » الذى يتساءل عنه ولده الأديب « حسين » فحقهما التفصيل فى بحث قريب إن شاء الله .

(بنى سويف) محمد محمود رضوان

اللهجة المصرية وصلتها باللهجات المغربية

بين اللهجات المغربيـة واللهجة المصرية وجوه شـبه فى أصوات الحروف ، فالثاء فى الأولى تبدل تاء كما يبدلها المصريون فى ثلج وثوب وثوم وثور وكثير . ومثلها الذال إذ يحول إلى دال مهملة فى نحو الذهب وبذوب وبذوق . كذلك الظاء فإنها ، تنقلب إلى ضاد كما فى نطق المصريين لظهر وظفر ونظيف

وبعض القبائل العربيـة فى المغرب تتلفظ بالقاف على النحو المعروف فى صعيد مصر ، وقد تمـكن هذا النطق فى اللهجات العامية الأخرى حتى تأصل فيها

وكما أن معظم المصريين يبدلون القاف همزة ، فـكذلك يصنع سكان المدن المغربيـة مع تفاوت فى الصوت ، أى الترقيق والتفخيم

والجيم المصرية لها أيضاً نصيب من الانتشار فى الأقاليم المغربية ؛ إلا أن دائرة انتشارها محدودة لا تتعدى بضع مفردات من جملتها : يجازى ويجوز وجزار . وأصل هذا النطق يمنى يحتمل أن يكون قد انتقل إلى مصر عن طريق الخزرج الذين وفدوا إليها من المدينة[1] يؤيد هذا ما رواه ابن دريد من أن اليمنيين يقولون للرجل ركل وللجمل كمل[2]

أما كيفية انتقال طريقتهم فى النطق إلى المغرب فهى أن فريقاً منهم استوطن مدينة سرقسطة بعد فتح الأندلس[3] ثم توالت هجراتهم إلى عدوة المغرب حيث خلفوا أثرهم إلى اليوم

والملحوظ فى لغة المصريين أنهم يقدمون حرفاً ويؤخرون حرفاً فى قليل من الـكلمات ، كما فى يفحر ويجوز وأنارب وانتاظ ، فأصلها يحفر ويزوج وأرانب واغتاظ ، ومثلهم تصنع فئة من المغاربة فى السجادة وبلهاء ودجاج ؛ يقولون : السداجة وبهلاء وجداد

وفى الأحاجى الشائعة بين القبائل فى جبال أوراس غربى الجزائر ذكر لمصر والنيل مثل ما جاء فى أحجية المرارة :

سجرتنا سـجرة النيل ونابتة فى هواها ،
لا سـطحها الريح ولا شربت ماءها

وأحجية الخرشوف :

على سجرتنا سجرة النيل نابتة فى هواهـا
أولادها سـتة وستين رضعوا فى قناهـا

وأحجية الطمورة :

بفلتنا مصرية (أي كبيرة) ترفد مائة صـاع (تحمل) بلاحوية (بردعة)[4]

على أن اللهجة المصرية لم تخل من تأثير مغربى فيها ، فأهل الأسكندرية يضيفون النون إلى أول الفعل فى حالة المفرد المتكلم ، فيقولون : (نسافر) بدلاً من أسافر ؛ ثم يتبعون الفعل بالواو إذا تحدثوا عن أنفسهم ، فيقولون (إحنا بنسافرو)

وهـذا النهج فى التعبير من خصائص اللهجة المغربيـة والأندلسية ، لعل المهاجرين من أهل الربض فى عهد الحـكم أو الفاطميين من بعدهم حملوها معهم . ومن هذا القبيل لفظتا « الـكسكسى » و « البلغة » فإن لهما شهرة فى المجتمع المصرى غنية عن التعريف .

أحمد مصيلحى
ليسانسيه فى الآداب من جامعة فاروق الأول

---

(١) كرنكو فى مقاله عن الخزرج بدائرة المعارف الاسلامية
(٢) شرح ابن يعيش على المفصل ، ج ١٠ ص ١٢٧
(٣) كرنـكو فى نفس المقال
(٤) جاكوبيتى : النـكت الملتقطات فى معرفة الحاجيات . ص ٤٥ و١٢٨ و١٧٢

12me Année No. 571

Lundi - 12 - 6 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥٧١ « القاهرة في يوم الإثنين ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ — ١٢ الموافق يونية سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهرس

صفحة		
٤٨١	السطحيون أو الكتعاء ..	الأستاذ عباس محمود العقاد
٤٨٤	الفن والاصلاح	الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
٤٨٨	رسائل التعليقات للرصافي	الأستاذ دريني خشبة ..
٤٩٠	مستقبل القطن المصري ...	الأستاذ زكريا بك حجاج ...
٤٩٢	النصاح والوعاظ على أبواب الخلفاء	الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٤٩٥	وحي لقاء .. [قصيدة]	الأستاذ سيد قطب . . ...
٤٩٥	أيها الحب ... »	الأديب عبد الرحمن الخميسي
٤٩٦	اللقاء الأول ... »	الأستاذ أحمد مخيمر .. ...
٤٩٧	في اللغة	الأستاذ الكبير (ا . ع)
٤٩٧	تعليقات قرشية مكية ...	الأستاذ حسن عبد الله القرشي
٤٩٨	وفاة الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي	. ...
٤٩٨	إلى الأستاذ محمد عبد الغني حسن	الأستاذ أحمد مصطفى طاحون
٤٩٩	الشيرازي يغني	الأستاذ زكي المحاسني ...
٤٩٩	(١) الوميض	الأستاذ (د . خ) ... ...
٤٩٩	(٢) من النقد الفرنسي ..	
٥٠٠	(٣) عرفت ثلاثة آلاف مجنون	
٥٠٠	(٤) رسالة الغفران بالانجليزية	
٥٠٠	(٥) مباحث في فلسفة الأخلاق	

السطحيون أو الكتعاء

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءني في البريد مقال مطول قال مرسله إنه نشره في بعض المجلات نقداً لكتابي عن عمرو بن العاص في سلسلة أعلام الإسلام.

وخلاصة المقال بعد كلمات لا تقدم ولا تؤخر أن مؤلف عمرو بن العاص « غلب على العرض عنده أسلوب الصحافة، والاكتفاء بالاسترسال دون التحري والتحقيق، وأن مراجعه محدودة، وأن بعض أحكامه يعوزها التحري، وأن السطحية وقلة العناية بالتحقيق تبدوان في مواضع غير قليلة من الكتاب » إلى آخر هذه التهم التي تتردد بتوكيد ليس بعده توكيد وثقة ليس من ورائها ثقة، واطمئنان يفوق كل اطمئنان

ولغير دليل يقال هذا كله اللهم إلا الأدلة التي من قبيل قول هذا العميق الكثير المراجع حيث يقول: « يرى القارئ الاختصاصي في تاريخ الإسلام أن المؤلف أخطأه التوفيق في مواقع، وأن مراجعه محدودة، وأن بعض أحكامه يعوزها التحري. مثال ذلك ما كتبه في تردد عمر بن الخطاب في تسيير عمرو لفتح مصر، فقد زعم المؤلف أن عمر لا يرى داعية للحرب إلا درءاً لخطر أو قصاصاً من عدوان، وهذا غير صحيح. فليس

معروفاً أن فتوحات العرب كانت للدفاع أو للانتقام فقط . وإلا فأين الجهاد لإعلاء كلمة الله ؟ وأين الأسباب الاقتصادية البحتة التى تتجلى فى بعض ما كتبه المؤرخون العرب ؟ فنى فتوح البلدان للبلاذرى قالوا لما فرغ أبو بكر من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش إلى الشام فكتب إلى مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفى غنائم الروم فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع وأتوا المدينة من كل أوب ... »

فالعلامة العميق ، الكثير المراجع ، قد حسب أنه وقع على المراجع التى لم يقع أحد عليها لأنه قرأ فى فتوح البلدان ذلك الكلام ، وقد حسب أن أحداً من الناس لا يعلم أن أبا بكر استنفر المسلمين للجهاد بغير هذا المرجع الفريد الوحيد البعيدعن كل قارئ مستفيد

ونحن أيضاً قد فاتنا هذا كما فات كل قارئ مستفيد

فاتنا أن نعلم أن أبا بكر استنفر المسلمين للجهاد ونحن نؤلف كتاباً فى تاريخ محمد عليه السلام ، وكتاباً فى تاريخ الصديق ، وكتاباً فى تاريخ عمر ، وكتاباً فى تاريخ على بن أبى طالب ، وكتباً أخرى فى تاريخ صدر الإسلام . فلم يفتح الله علينا بكتاب واحد فى أثناء ذلك كله يقول لنا إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قد استنفر المسلمين للجهاد ... ولهذا نحن سطحيون قليلو المراجع ... وحضرة الناقد بفتوح بلدانه وحدها عميق يعلم ما لا يعلم إلا بالجهد الجهيد

حضرة الناقد العميق إذن مسئول ، وله الفضل والكرامة ، أن يدلنا على كتاب واحد ـ واحد فقط ـ تلقيناه عن تاريخ صدر الإسلام ولم يذكر هذا الذى ذكره واستدل به على كثرة مراجعه وقلة مراجعنا ... نحن المساكين السطحيين

نعم كتاب واحد لم يذكر هذا الذى ظنه كنزاً مخفياً لا يعثر به العاثرون إلا بعد فك الأرصاد وإطلاق البخور والتنقيب فى كل رف مسحور وكل سرداب مطمور

وما قول صاحبنا بعد هذا فى رسائل الصديق نفسها وهى تدل على مكان الغنائم من ترغيب المسلمين فى الجهاد ؟

قال فى رسالة « سارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه ، ولتحسن نيتكم فيه ، فإنكم إلى إحدى الحسنيين : إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة »

ولكنه قال فى رسالة أخرى : « فاستتموا موعود الله إياكم ، وأطيعوه فيما فرض عليكم ، وإن عظمت فيه المثوبة ، واشتدت فيه الرزية ، وبعدت فيه الشقة ، وفجعتم فى ذلك بالأموال والأنفس ، فإن ذلك يسيرٌ فى عظيم ثواب الله ! »

فهى أسباب اقتصادية بديعة تلك التى تتقدم عليها الفجيعة فى الأنفس والأموال وتعظم فيها المثوبة وتثقل الرزايا !

وأيا كان غرض الجهاد مع هذا فليس الأمر موضع شك فى فريضة الجهاد على المسلمين ، وليس فى السامعين باسم الإسلام من يجهل أن الجهاد مفروض على المسلم فى حالة من الأحوال ، بل المبالغة التى أربت على كل مبالغة فى حديث الأقوام عن الإسلام أنه دين السيف كما يقولون

إنما المسألة هى موضع الجهاد لا وجوب الجهاد فى بعض الأحوال ، والذى ننكره كل الإنكار أن المسلمين يقاتلون لغير ضرورة ويحملون السيف فى غير موضع السيف ، ولسنا نحيل صاحبنا العميق إلى مراجع الرف المسحور أو السرداب المطمور ، ولا إلى ما كتبناه فى وصف عمر أو وصف الصديق ، ولسنا نكلفه شيئاً أكثر من فهمه للكتاب الذى ينقده بل للفصل الذى يشير إليه ، بل لأول جملة فيه ، حيث نقول : « كان الصدام بين العرب والدولة الرومانية قضاء موعوداً منذ اللحظة التى نشأت فيها الدعوة الإسلامية وكتب لها البقاء . لأن الإسلام رسالة تتجه إلى أسماع الناس وقلوبهم ، والدولة الرومانية سلطان قائم يحول بين رسالته وبين الأسماع والقلوب ، فلا مناص من التقائهما يوماً من الأيام ، على سلام أو على خصام ، وهما إذا التقيا على خصام أو على سلام دخل الإسلام مصر مدافعاً أو غير مدافع ، وبفتح الإسلام مصر على كلتا الحالتين : فتح رضوان أو فتح تسليم » !

فنحن إذن يا شاطر يا عميق ! لسنا بسطحيين إلى هذه الدرجة ، وفتوح بلدانك يا شاطر يا عميق لست بالمرجع الذى نحتاج إليه أو يحتاج إليه أحد ليعلم ما يعلمه جميع المنصفين إلا أمثالك من العمقاء الكثيرى المراجع ! ! وهو أن الجهاد

واجب إذا اضطر إليه المسلمون ، وليس بواجب ولم يجب قط في غير هذه الحال

* * *

وهل نحن سطحيون قليلو المراجع لهذا دون غيره أيها القراء ؟

معاذ الجهل والجهلاء والكتاعة والكتعاء

بل نحن سطحيون قليلو المراجع لأن العميق صاحب المراجع الكثيرة يقول عنا : « فترى مثلاً أن المؤلف يصحح أرطبون إلى أريطون ... والظاهر أن المؤلف يتأثر هنا بتلر في كتابه فتح العرب لمصر ، والصواب أطربون كما فطن إلى ذلك دي جويه في تمليقاته على الطبعة الأوربية لتاريخ الطبرى ، والواضح أن كلة أطربون تعريب اللاتينية Tribunus وهى رتبة من رتب القيادة الرفيعة عند الروم »

فواضح بالله كيف ؟

وصواب يا أخانا بأى دليل ؟

هكذا « وبس » ... واضح وصواب ! ! ونحن غلطانون « وبس » لأننا اعتمدنا على بتلر وانت لم تعتمد على شىء ؟

أما نحن فنعترف أننا عولنا كثيراً على بتلر في كتابه فتح مصر ، ونقرر أننا لم نعرف فى تاريخ هـذه الفترة من هو أولى منه بالتعويل عليه ، ونحيل صاحب المراجع إلى الهامش الذى فيه أن أبا المحاسن ذكر الإسم الصحيح وهو أريطيون .

فعلام يعول صاحب المراجع الكثيرة فى الجزم بتخطئة بتلر وضبط الإسم على أرطبون دون أريطيون ؟

أيكفى أن تكون فى الدولة الرومانية وظيفة يقال لصاحبها « تريبوناس » ليكون واضحاً وصواباً أن حاكم بيت المقدس اسمه أرطبون ؟

إن كان هذا كافياً فلله در المتهكم الساخر الذى قال إن شيكسبير من أصل عربى أندلسى هاجر إلى الجزيرة البريطانية وأصل اسمه الشيخ زبير فصحفت إلى شيكسبير !

ولم لا يكون واضحاً وصواباً بالله ؟ الشيخ زبير اسم من أسماء العرب ، والمسلمون قد هجروا الأندلس إلى كل مكان ، والإنجليز يبدلون الكاف بالخاء فى كثير من الأسماء . فما أقرب التصحيف بعد هذا من شيكسبير إلى الشيخ زبير رحمه الله ؟

أما نحن فما كنا متهكمين ساخرين لأن الله خلقنا سطحيين غير محققين ، ولهذا رفضنا تصحيف « تريبوناس » إلى أرطبون وعللنا ذلك بأسباب تليق بالسطحيين المتعجلين

« أول » هـذه الأسباب أنه على كثرة التصحيف فى نقل الألفاظ الأعجمية لا نزال نرى أن المسافة بعيدة بين أرطبون وتريبوناس

و « ثانى » هذه الأسباب أننا نريد أن نعرف لماذا لم تصحف ألقاب أخرى مع أن اللغة اللاتينية زاخرة بالألقاب ولقب التريبوناس يطلق على غير واحد من الناس

و « ثالث » هذه الأسباب — وهو أسخفها وأضعفها — فى نظر السطحيين المتعجلين أن وظيفة التريبوناس كانت ملغاة إلغاء باتاً منذ قرون فى نظم الدولة الرومانية على عهد قسطنطين

و « رابع » هذه الأسباب — وهو أسخف وأضعف — أن الذى يجزم بهذا اللقب عليه أن يذكر اسم صاحبه الأصيل وأن يثبت وجود الوظيفة واللقب فى ذلك الحين

كل هذا أخذنا به لأننا سطحيون قليلو المراجع ، ولو كنا عمقاء كثيرى المراجع كصاحبنا لما حفلنا بشىء من هـذه الأشياء ولكان حسبنا أن نقول « صواب وواضح » بغير عناء

* * *

ولا تنتهى سطحيتنا نحن السطحيين المساكين عند هذا الذى قدمناه أيها القراء

كلا . نحن سطحيون جداً والمعاذ بالله . نحن من السطحية نكاد نتجاوز سطح الأرض إلى أجواز السماء

نحن سطحيون جداً ، لأننا بالغنا فى إجمال الكلام على حريق مكتبة الأسكندرية ، « فجاء عرضنا للمسألة مبتورا لا يغنى كثيراً ، والمسألة خطيرة الشأن ووثيقة الصلة بسيرة عمرو »

أى والله معشر القراء !

إن مسألة المكتبة وثيقة الصلة بسيرة عمرو بن العاص ! ... عمرو بن العاص الذى لا يعدو فى هذه المسألة أن يكون على حال من حالين : إما أن المكتبة لم تحرق وحينئذ لا صلة له بها على الإطلاق ، وإما أنها أحرقت بأمر الخليفة وحينئذ لا صلة له بها على الإطلاق

إلى الأستاذ توفيق الحكيم

٢ - الفن والإصلاح

للأستاذ عبد المنعم خلاف

لا يجوز لنا ونحن فى أول عهد النهضة الذى مرّ بمثله الغربيون قبلنا بما يقرب من خمسمائة سنة تقريباً أن نرجو من أدبنا الحالى أن يرمى إلى القيمة الفنية والمزايا الأدبية وحدها كما يرمى إليها الأدب الأوروبى الحاضر . لأن الأدب الأوروبى ثمرة عوامل اجتماعية وأدبية وسياسية عدة هى التى عملت فيه وكونته وأنضجته وجعلته أقرب إلى الكمال

وإن الغلطة التى نرتكبها ونكررها فى مجالات السياسة والأدب والاقتصاد هى أننا دائماً ننسى الفارق التاريخى العظيم بيننا وبين الأوروبيين ، ونحاول أن نطبق على بيئتنا القاصرة المتخلفة مقاييس الحياة الأوروبية الحاضرة غروراً منا بالمدنية الصناعية الآلية التى أمكننا نقل كثير من مظاهرها إلى حياتنا فى السنوات الخمسين الماضية وغفلةً منا عن أن نقل المسكان دائماً من حضارة لأخرى أسهل وأسرع من نقل السكان ؛ لأن نقل السكان يستلزم المرور بدرجات من النضج العصبى والثقافى والسياسى والأدبى لا يمكن أن يتحقق إلا فى أطوار وأدوار تاريخية ، وبخاصة إذا كان الانتقال لم يتخذ طريق الطفرة والثورة وإنما اتخذ طريق النضج البطىء على نار هادئة كثيراً ما يطفئها أعداء الإصلاح فترة ، ويعوق عملها الاستعمار والوصايات السياسية الجائرة

فيحسن بنا أن نطرح جانباً الآن قصة الموازنة بين أدبنا الحالى وأدب الغربيين الحالى فإنها موازنة مثبطة

فما كان الأدب الأوروبى الحاضر ليبلغ مبلغه من الازدهار والقيمة الفنية والمزايا الأدبية لو لم تسبقه تلك الحركات الإصلاحية والثورات . وهى ثورات وحركات ساهم فيها أدباء النهضة بجهود عظيمة . وما كان يمكن أن يصل الأدب الأوروبى بمعناه الموسوعى ولا بمعناه الفنى الضيق إلى ما وصل إليه الآن لو لم تقم حركات تحطيم قيود الجهالة والجمود فتحطم الأغلال عن العقل الأوروبى

فإذا نادى الأستاذ أحمد أمين بك أن يكون بجوار أدبنا الفردى والفنى الخالص أدب اجتماعى يعرض مشكلات حياتنا ويصور أمانينا ورغباتنا فى الإصلاح ، ويوقظ أفكارنا الراقدة ويثيرها إلى مطالب المجد والشرف والصلاح والحرية ، فلن يكون فى طلبه هذا اعتداء من النقد على الفن ولا تقييد له ولا حمل له على السير فى طريق آداب الأمم الديكتاتورية الحالية ، وإنما هو طلب معتدل لا يرضى الغلاة من محبى الإصلاح السريع الذين قد يرون من الواجب فى حياة أمة مثل أمتنا لم تحقق جميع ضروريات حياتها الاجتماعية والسياسية ولم تتحرر تحرراً كاملاً من وصايات جائرة أن يكون معظم أدبها وفنها موجهاً وموحياً بالكفاح فى سبيل حريتها ، وتصحيح أوضاعها الأساسية فى السياسة والاقتصاد والأخلاق ، وأن يرسم لذلك المنهج الذى يصح أن يكون فى هذا الدور ، وأن الجهاد للأحياء الأشقياء العبيد الذين لم يدركوا بعد حقوق الحياة ومبادئها الأولية أولى من الجهاد للفن الخالص على ما فيه من لذة وانطلاق وفلسفة وشعر وترف

إننا نكون أناساً غير طبيعيين حين نفرط فى الاستمساك

غير صلة التنفيذ والطاعة ، وليس هنا إذن موضع الإطالة فى هذا الموضوع

فهمنا هذا لأننا سطحيون متعجلون ، فأطلنا القول على حريق المكتبة فى « عبقرية عمر » وشغلنا به بضع عشرة صفحة من ذلك الكتاب . ولم نر أن نعيد هذا كله فى موجز عن تاريخ ابن العاص الذى لا يقال عنه هنا إلا إنه أمر فأطاع ، إن كان قد أمر بشىء وهو لم يؤمر قط بشىء !

سطحيون يا معشر القراء

سطحيون متعجلون ، فماذا يصنع معنا أولئك العمقاء المتريثون ، الذين يقرأون فتوح البلدان وما شاء الله كان !

وإن السطحيين المتعجلين أيها القراء لا تحتمل منهم إطالة أكثر من هذه الإطالة فى مساجلة العمقاء المتريثين ... فكفاية هذا ... ولا حاجة إلى مزيد من السطحية وقلة المراجع وكثرة المعاذير !

عباس محمود العقاد

بحقوق الحياة والحرية وتهاون فيها ، ثم نأبى إلا الاستمساك بحقوق الفن في حريته وانطلاقه .

نكون كالفرنسيين الذين جنت عبادتهم للفن وآثاره على كرامتهم السياسية والقومية حين أخذهم الذعر على مدينتهم باريس ، فسلموا للألمان حين وصلوها إبقاء على ما فيها من مخلفات الفن وآثاره . وكلما وازنت بين صنيعهم هذا وصنيع الإنجليز بتعريض لندن لجماعات الطير الألمانية تفجؤها بالهدم صباح مساء في أسلوب جديد من الحرب المطلقة المجنونة التي لا عهد للناس بها ، فلم يبالوا بما أصاب كنوزها الفنية وآثارها التليدة والطارفة من الهدم والحرق في سبيل إنقاذ حريتهم وكرامتهم وشرفهم القومي ، وفي سبيل سلامة الروح من التعبد لغير الحرية والتفدية — أقول كلما وازنت بين صنيع هؤلاء وهؤلاء أدركت الفرق العظيم بين روح الأمتين . وبين العقلية الأنجلوسكسونية واللاتينية على العموم

فالعقلية الأولى عقلية أحسنت التلقي عن الطبيعة في تقويم الحقائق والأشياء ، فهي تحافظ على آلات الحياة الأصلية التي تكفل حق العيش وحق الحرية قبل المحافظة على أي شأن آخر . وقد نسيت في ساعة المحنة والشقاء والجد هوايات الترف والكماليات ، وضحتها خوف أن تضحي ما هو أعظم منها . . . هدمت لندن لتنقذ ما هو أعظم من لندن ، وهي الروح الإنجليزية ! وهو درس عظيم أعطته إنجلترا للعالم جميعه في هذه الحرب ... أعطته لأعدائها وأصدقائها على السواء فانتفعوا به ولن ينسوه !

أما العقلية اللاتينية في دورها الحاضر الذي ابتلي المصريون بجوارها فيه وذيوع ثقافتها فيهم . فهي عقلية لم تحسن التلمذ على الطبيعة في تقدير لباب الأشياء ، بل تستهويها حياة القشور المزوقة والثرثرة والجدليات والاستعراضات المسرحية والانطلاق وراء النوازع والشهوات ، والتحلل من قيود الاجتماع بحجة الحرية الفكرية . وإنما هي في الواقع حرية طباع لا حرية أفكار . فهي عقلية يسهل استهواؤها واستفزازها وزعزعتها ، لأنها لم تستند إلى طبع ركين يستمد من الطبيعة أسلوبها في تقويم الأشياء وتقديرها ، وتقديم الأنفع على النافع ، وتضحية الفروع محافظة على الأصول ...

***

ذلك هو تقدير الطبيعة والحياة الصادقة الناجحة للفن وآثاره . وهو تقدير موزون ليس فيه تقتير ولا إسراف . هو تقدير في الواقع خاضع للمنفعة والجد في خدمة الأغراض الأصيلة للحياة . لا للترف ولا للهزل ، ولا لإرسال قوة الخلق على هوى طليق أو جموح .

وليس الفن البشري كله مع الأسف سائراً مع هذا الاتجاه . بل منه ما هو سائر معه ، وهو أسمى درجاته . ومنه ما يفسد غايات الحياة ويشترك في تعطيلها وتقويض كيانها في النفوس ، وهو أحط دركاته ... ومنه ما لا فساد معه ولا ضرر منه ، وهو ما يفيض لإرضاء عبقرية الخلق المودعة في الإنسان ، أو لإظهار المهارة والذكاء ، أو لتزجية الفراغ وتسلية المجتمع . وهذا فن لا بأس من كثرته في الأمم التي فرغت من إقامة حياتها على دعائم العدالة والقوة والحق

وإذ ثبت أن لحياة الجماعة من القيمة والاعتبار ما تستحق معهما حياطتها والمحافظة عليها من عوامل الهدم والبلبلة والانتكاس التي تسببها النزعات الفردية والاستبدادية في السياسة — وهي فن الحكم — فلا جدال حينئذ في أن للجماعة الحق في فترة من فترات حياتها أن توجه الفن بلسان النقد إلى الوقوف عند حد ما فيما ينتجه ، حتى يكون منسجماً مع منطق الطبيعة ، أو أن تلزمه على الأقل الوقوف دون حدود الفساد ، والضر الذي يبلبل الأفكار ويشوش على الإحساس الصادق بالحياة .

وإن قوة السخرية في نفس فنان أو تشاؤمه أو إباحيته أو شذوذه قد توحي إليه بصور فنية تثير دهش الناس ومحبتهم ، ولكنها قد تزلزلهم وتفسد عليهم ألفتهم بالحياة ، وائتناسهم بمثلهم العليا ، أو تأخذهم إلى حياة اللذة والجموح الذي لا تحتمله الحياة العملية ، أو تبحث لهم عن الصور الشاذة في الحياة ، أو تخلق لهم تلك الصور وتحملهم على تقليدها بطريق الإيحاء .

ومن هنا يجب التيقظ للأعمال الفنية ، لأنها أخطر أنواع الثقافة وأشدها تأثيراً ، وأوسعها حيلة في استهواء الناس ، وأعظمها انتشاراً بين الجماهير

والفنان الكامل لا بد أن يكون في فنه نوعان من الإنتاج : نوع فردي يجري فيه على طبعه المتفرد الخاص المعتدل وذاتيته

المتازة ، ونوع اجتماعى يجاوب فيه الأصداء الاجتماعية التى تتداول سمعه وسمع الناس فى عصره . وبخاصة إذا كان مجتمعه مشوشاً ناقصاً يحتاج إلى تكميل وتنظيم ، وما بد أن يكون هذان النوعان من الإنتاج فى آثاره . وليس فى هذا إعنات من المجتمع له وإنما هو تنبيه له وتوجيه إلى الآفاق التى يستمد منها عوامل كمال فنه ويؤدى منها ضريبته الأدبية

وليس بصحيح أن الأثر الفنى الذى أنتج فى مناسبة اجتماعية بعينها وكان مستوفياً شروطه الفنية فى الصياغة والحبكة والإخراج يفقد تقديره ووقعه بزوال مناسباته وانقضاء عصر أشخاصه ، كما توهم الأستاذ توفيق الحكيم حين قال عن إبسن إنه كاد يهزأ النقد به وبآرائه فى السياسة والمجتمع لولا فنه ، وأنه قد مات فيه المصلح وبقى الفنان

ليس هــذا بصحيح لأن « التاريخ » له حظه فى التقدير ، ولأنه يظل تاريخاً حياً كل العصور ما دام الفن قد استطاع أن يضفى عليــه من الحركة والحياة ما يضمن لشخصياته الوجود الخالد فى ذهن القارىء وخياله . وليس لصحة الآراء أو خطئها باختلاف العصور أثر كبير فى التقدير ما دام الشرط الأساسى وهو بلاغة الفن قد تحقق

فلن يغمط حق الفنان المصلح الذى جرد نفسه لخدمة مجتمعه وأراد قيادته نحو الكمال ولو تغير عهد الناس ورأيهم فى آرائه الإصلاحية إلا إذا ذهب التقدير الفنى للتاريخ الخالص ، وإلا إذا أهدرت قيمة جهاد الطفولة البشرية وخطواتها المتعثرة الأولى نحو الرشد ونشدان الكمال

وإذا كان الفنــان يملك قوة الإنتاج الذى يهدى أمته ويسددها نحو الكمال ويأخذ بيدها فى عهد الانتقال . ويملك أيضاً قوة الإنتاج فى الأدب الإنسانى الخالص ، ثم يعرض عن النوع الأول سعياً وراء الخلود الواسع والشهرة العريضة بالإنتاج فى النوع الثانى ؛ فإنه لا شك ذو عقوق بأمته وبخل عن أداء « الضريبة الأدبية » الواجبة لها فى فنه

وسيحسب هذا لدى النقد الصحيح نقصاً فى طبيعته الفنية التى لم تستجب لنداء بيئتها ، وبلادةً فى طبيعته الاجتماعية التى لم تحركها عوامل البؤس أو الجهل أو الاستبداد ، ولم تعطفها عواطف الرحم التى يجب أن تكون بينه وبين مجتمعه

على أننا لا نسلم أيضاً بأن الأدب الخاص بمجتمع ما ، والذى يعالج مشكلة من مشكلاته أو يعرض مشهداً من مشاهد حياته لا يروق أذواق غيره من المجتمعات ما دام ذا ذخيرة موفورة من العواطف والأفكار والغرائز والمواقف والمفاجآت البشرية المشتركة . وتلك ذخيرة لا يخلو منها عمل فنى يستحق الخلود ، حتى لدى المجتمع الذى أنتج فيه . فالطبع البشرى واحد الجوهر فى كل مكان وزمان وإن اختلفت أعراضه اختلافاً ما ، وها نحن أولاء نرى فيما نقرؤه ونشاهده فى السينما من آداب الأمم وفنونها الخاصة مصداقاً لما نقول ، فهى كثيراً ما تعالج مشكلات خاصة بالوسط الذى أنتجت فيه . ومع ذلك نجد فينا نحن الشرقيين الأسيويين أو الأفريقيين تذوقاً وفهماً لمراميها وأشخاصها

والتاريخ البشرى متشابه الموجات ، وأمراض المجتمعات البشرية فى دور تكوينها واحدة تقريباً ، ووسائل كفاح الاستبداد والجهالة والبؤس واحدة أو متشابهة

فلا يتوهمن فنان أن دائرة شهرته وخلوده تضيق بضيق المجتمع الذى يعالجه أو يصوره ، فإن النماذج البشرية التى تعرض فى حذق وبراعة أبداً خالدة ؛ تلتقى فى فهمها وتقديرها عقليات الأمم . والبشرية المتفرقة الآن صائرة حتماً إلى لقاء : لقاء فى الفكر والقلب والدم والفن ... وطلائع هذا المستقبل المأمول مقبلة بل هى حاضرة فى دراسة كل أمة لآثار عبقريات كل أمة ، وفى اقتناء مخلفاتها وترجمة روائع آدابها والتعرف إلى خصوصيات روحها . والدليل على ذلك يا صديقى الأستاذ الحكيم أن أدبك القومى ترجم كله ؛ فقد أخبرتنا أن « عودة الروح » « ويوميات نائب فى الأرياف » ترجما ... أما أدبك الذي يدور حول الرموز والأساطير العالمية ، فالنسبة فى ترجمته أقل من هذا

فابحث فى قومك ومجتمعك القريب عن ينابيع لوحيك وصنعتك البارعة ، فإن قومك أولى وأحوج إلى الإيقاظ

والتحرير والإصلاح . ولا عليك من الخلود وذيوع الصيت ، فانهمالك ما احتفظت بصنعتك

إنك شغلت نفسك بالأدب العالى الذى يدور حول الأسرار والرموز والأساطير والقضايا الفلسفية التى تتصل بها النخبة الممتازة فى كل أمة . وأنتجت فى هذا إنتاجاً هو لا شك مفخرة للأدب العربى بين آداب العالم والعقل المصرى بين عقول الأمم . ولكن اسمح لى أن أقول لك بصراحة إن « الشعب » المصرى لم ينتفع بما أنتجت إلا انتفاعاً يسيراً جداً بالنسبة إلى إنتاجك المبارك ، فليس لك فى السينما الشعبية إلا « رصاصة فى القلب » وهى على ما فيها من بعض المواقف التهذيبية لم تعالج عقدة هامة من عقد الحياة المصرية الكثيرة ، ولم تثر فى أذهان الجماهير ثورة ما على الأوضاع السيئة التى تضيع حياتهم الراهنة . وإنما هى لون من ألوان أدب الفكاهة والمتعة فى قوم لا ينقصهم من ألوان الفكاهة والتهريج وإزجاء الفراغ شىء ... بل قد استحالت حياتهم إلى أضاحيك ومباذل ... أما رواياتك الكبرى فلن تتسع لها الآن حوصلة المسرح المصرى أو السينما ، ولن يهضمها جمهوره إذ أنها تعالج قضايا فلسفية ورمزية فوق المستوى العام . وأحسبها وضعت للقراءة العميقة لا للتمثيل والتجسيم ، فإن أحاديث شخصياتها تحتاج إلى سامعين مثقفين دارسين . وقد شهدت ذلك بنفسى فى « أهل الكهف » حينما مثلت فى أول عهدها

لقد تركت أنت وأمثالك لغيركم من المؤلفين التجاريين أن يمدوا بنتاجهم شركات السينما وهيآت المسرح التى كأن بينها سباق فى قتل روح هذه الأمة وفى تشويه سمعتها فى الأقطار العربية بما ينتجه أكثرها من فن فج رخيص مهرج داعر يسرق البقية الباقية من أخلاق الشرف والقوة فى الأمة ، ويفسد ذوقها ويحطم رجولتها ويديل عفاف نسائها ، ولا يرتفع بها — إلا فى النادر — إلى مستوى أعلى ولا يثيرها وينبهها إلى أوضاعها السيئة فى السياسة والاقتصاد والدين والاجتماع

وإن تبعة المسئولين عن توجيه الثقافة الفنية العامة لهذا الشعب تبعة ثقيلة فادحة ! فقد أطلقوا لتجار الغناء والمسرح والسينما أن يفعلوا ما يحلو لهم . وما يحلو لهم هو الربح والثروة بأى الطرق ، وكثير منهم لا يفهمون روح هذا الشعب لأنهم ليسوا منه ... ولا يبالون مصالحه ولا يقدرون ظروف الانتقال الخطيرة التى يمر بها . ولا يعلمون ما يحتاجه الآن لتدعيم بنائه الاجتماعى وتقوية روح النضال والكفاح فيه حتى لا ينسى ولا يفنى بين غمرات الحياة الجديدة العجيبة

لقد أصبحت أوقن أن قادة هذا الشعب الحقيقيين هم زمرة المسرح والسينما والغناء ، ففتيان الشعب وفتياته ونساؤه وأطفاله على معرفة تامة بتفصيلات حياة الممثلين والمغنين والممثلات والمغنيات ، وعلى إلمام تام بمواقفهم وأحاديثهم وأغانيهم ومراقصهم ومباذلهم . بينما هم على جهل تام بحياة الأبطال والمصلحين والخدام الحقيقيين لمصالحهم وسعادتهم ، وما أظن حياة الأغلبية لهؤلاء الممثلين والممثلات تصلح أن تكون قدوة تقود الفتيان والفتيات

عبد المنعم خلاف

٢ـ رسائل التعليقات للرصافي

للأستاذ دريني خشبة

أشرنا فى العدد السابق إلى بعض آراء الرصافى القديمة ، مما له علاقة بآرائه الحديثة التى طلع بها على الناس فجأة تعليقاً على كتابى الدكتور زكى مبارك : التصوف الإسلامى والنثر الفنى ... وإلى القراء الآن بعض هذه الآراء :

١ — يؤمن الرصافى بوحدة الوجود ، وأن لا إله إلا هذا العالم الأعظم الكلى ، وأن قولنا لا إله إلا الله لا معنى لها (أنظر العدد السابق) ، وخير أن يقال لا إله إلا الوجود . . . « إن البحث والتفكير قد ألجآنى إلجاء لا محيص عنه إلى الإيمان بوحدة الوجود (ص ١١) » وأن الله هو الوجود المطلق اللانهائى (ص ١٣) — وقد فسر الظاهر والباطن فى سورة الحديد بأن « الظاهر الذى نراه بأعيننا وندركه بحواسنا ، والباطن الذى لا نراه ولا ندركه » (ص ١٣) . ويدعى أن كل شىء فى هذا العالم جزء من الله ، أو أن المخلوقات « مظاهر للوجود الكلى ، كظاهر الأمواج لماء البحر المائج (ص١٥) » . ولا يصح لأحد أن يقول أنا الله ، كما قال الحلاج ، لأنه جزء من كل ، وإلا كفر (ص ١٦)

٢ — ويؤمن بأن محمداً ، بما أوتى من الكمال النفسى ، والفكر القدسى هو سيد العارفين بهذه الحقيقة (ص١٤) ، وإن يكن قد أخفاها عن أصحابه ، ولم يلمح بها إلا لأبى بكر : « ولا نعلم أحداً كان يقول بها (بوحدة الوجود) من أصحاب رسول الله اللهم إلا أبا بكر . . . فلا يبعد أن يكون قد أخذ عنه هذه الفكرة بالتلقين ، أو يكون قد عرفها من القرآن بالتدبر والتفكير (ص ٤٨) » ، « وآخر ما نقوله فى هذا إنه لم يكن فى زمن البعثة من يمثل فكرة وحدة الوجود سوى رسول الله ، وأصدق الظن يجيز أن يجعل أبا بكر من عارفيها ، كما مرت الإشارة إليه (ص ٧٢) »

٣ — ولا يعترف بأن القرآن هو كلام الله ، ولكنه كلام محمد ، فإذا ذكر شيئاً من القرآن قال : يقول محمد في القرآن ، (ص ١٣) ، ولكنه يعتذر لمحمد بأنه كان يفني فى الله ـ أو فى الوجود الكلى ـ فناء كاملاً ، ولذا جاز له أن يقول هذا القرآن ويزعم أنه يقول الذى يقوله الله ، ويفعل الشىء ويؤمن بأن الله هو الذى يفعل (ص ١٤)

٤ — ويعتقد أن كل ما يقع فى العالم إنما يقع حسب قوانين لا يمكن الإفلات منها (سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً) — ويؤمن بالجبر « ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها » (ص ٢٣) والإنسان دابة ، وأخذه بناصيته ، أى جعله تحت قهره وسلطانه واستيلاؤه عليه (ص ٢٤)

٥ — وهو لهذا ينكر الأدعية (والصلاة من الأدعية طبعاً) ، لأنها لا يمكن أن تغير شيئاً مما لا بد من وقوعه : « . . . لأن الدعاء لا يصح فى المعقول أن يكون سبباً لهلاك الظالم ، أو لشفاء المريض ، أو لقضاء حاجة المحتاج ، فإن ذلك خروجاً عن سنة الله . فإن قلت : فما معنى الاستجابة التى وردت فى القرآن « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم » قلت : إن الاستجابة تكون بمعنى أن الله (تعالى) يهيئ أسباب هلاك الظالم ، وشفاء المريض على وجه موافق لسنة الله ، تهيئة غير مسببة عن الدعاء ولا مترتبة عليه ... الخ (ص ٧٦) وأن هذه الآية واردة مورد التمثيل الذى هو كثير فى القرآن (ص ٧٧) ويستدل على أنه لا معنى للدعاء بالحديث « إن الله لا يعجل لعجلة أحدكم » فعبارة هذا الحديث (وحديث غيره) تدل بصراحة ووضوح على أنه لا معنى للدعاء ولا للاستجابة على الوجه الذى يقولونه ويتصورونه (ص ٧٨) . وإنما فائدة الدعاء هى فى التسلية لنفس الداعى عما أصابه ، والتنفيس لكربه ... الخ ص ٧٨

٦ — وينزلق الرصافى من هذا إلى ما ينزلق إليه بعض المتصوفة من القول بأن الأدعية (ومنها الصلاة) « هى من الأمور التابعة لظاهر الشريعة ، فهى لعامة الناس دون خاصتهم من العارفين (ص ٨٢ — ٨٣) »

٧ — وهو يؤمن بأن كل ما يقع فى الوجود فهو حق ، وأن الباطل هو المحال . وهو فى ذلك يأخذ برأى محيي الدين بن عربى ... « كل ما وقع فى هذه الكائنات فهو حق ، إذ لو كان باطلاً لما وقع ، وإذا كان كل ما وقع فى هذه الكائنات حقاً ، تساوت المتضادات بحكم الضرورة ، فالضلال كالهدى ، والعصيان كالطاعة ، والتقوى كالفسق والفجور ، والشر كالخير ، والحسن كالقبح ... الخ (ص ٢٣) ويؤيد هذا بالآية الكريمة : « ربنا

ما خلقت هذا باطلاً ، سبحانك ، فقنا عذاب النار »

٨ — وما دامت قد استوت المتضادات فى نظره : « ... فعلى الصوفى أن يأخذ نصيبه من الدنيا كما يشاء ، وأن يقرع جبهته بالكأس الروية من لذاتها بقدر ما يستطيع ! (ص ٨٣) كيف لا ، وهو الذى خلق كل نفس فألهمها فجورها وتقواها ، وهو الذى إلى نجديها من الخير والشر هداها ! (ص ٨٦)

٩ — والتصوف عنده « ليس زهداً وعبادة ، وإنما هو فكرة ونزاهة ، يتساوى فيه الترهب والخلاعة ، ويتلاقى فيه التزمت والدعارة ، لأن الله فى مذهب وحدة الوجود يعرف بكل ما فى الكون ، وأن كل ما فى هذا الكون حق عند أهل وحدة الوجود ، فلا أدل عليه من آثاره ، ولا أهدى إليه من ساطع أنواره ، وليس وضع الرجل جبهته على الأرض ساجداً لله ، بأدل على الله من انكبابه على حليلته (بحروفه من ص ٨٥) . وأكثر من هذا ، إذا رأى الصوفى فى أى نوع من لذات الدنيا وشهواتها ما يفتح له باباً من أبواب المعرفة لم يتأخر أن يطرق بابها ، ويفك عيابها ، ويلبس ثيابها ... كيف لا وقد استوت عنده المتضادات ، واجتمعت الملذات بالمذلات ، وإنما الأعمال بالنيات ؟ ! وكيف يذمون الدنيا وقد أودع الله حبها فى الغرائز ، وساوى فى محبتها بين الشواب والعجائز . (بحروفه وثمة أشد منه ص ٨٤)

١٠ — وهو يكفر بالبعث ، وربما آمن بالتناسخ — أو عودة الكائنات بأمثالها لا بأعيانها — ولكنه مع ذلك يعترف بفائدة الإيمان بالبعث ، وما يتصوره المؤمن من الحساب ، فيمتنع عن الشرور ويقبل على الخيرات . « والذى أراه (فى البعث أنه معتقد صرف لا يقوم إلا بالإيمان ، وأن ليس للعقل فيه مجال ، ولا يخفى أن الإيمان بالغيب يتسع لأكبر منه وأبعد ، ولم تقم لنا عليه فى الحجج الدينية حجة أعظم من قياسه على النشأة الأولى ، ولا يخفى أنه قياس مع الفارق بعيد جداً ، لأن النشأة الأولى إنما وقعت على وجه من أسباب النشوء موافق لسنة الله فى خلقه ، وليس كذلك النشأة الأخرى . نعم ! نحن فى عالم الكون والفساد ومن الممكن عقلاً أن تعود الأشياء الفاسدة أو الهالكة فى هذا العالم إلى كونها الأول ، ولكن بأمثالها لا بأعيانها ، فإن عودتها بأعيانها مستحيل ، ومن العبث إقامة الأدلة العقلية على أمور لا تقوم إلا بالإيمان فى جميع الأديان ، وليس الدين إلا بالإيمان فى جميع الأديان ، وليس الدين إلا إيماناً بالغيب ، كما جاء فى القرآن « يؤمنون بالغيب » ، فالإيمان بالغيب هو أساس الأديان كلها (!) (ص ٣٦)

« وكما ينكر الرصافى البعث على الصورة التى نؤمن بها ، فكذلك ينكر الثواب والعقاب ، ما دام الله — أو الكون الكلي — هو الآخذ بناصية كل شىء ، وما دام كل ما يقع فى الوجود إنما يقع حسب قوانين لا يمكن الإملات منها (الجبر المطلق !) وإذا كان ذلك كذلك فلا معنى للثواب والعقاب ، بل لا معنى ليوم القيامة ! إلا أنه يعترف بفائدة الإيمان بهذا كله كما قدمنا — وهذه مسألة أخرى — ومع أنه يؤمن بالجبر ، يؤمن بأن الإنسان مكلف ! لأنه عاقل « وحينما كان التكليف كان الثواب والعقاب ٢٢ ص ٣٩ إلا أنه يجعل الثواب بعد الموت بالاندماج فى الوجود الكلي » ويجعل العقاب بالألم أو الندم الذى يحيق بالمسيء فى الدنيا ، فإذا مات المسيء وتساوى هو والمحسن فى الاندماج بالوجود الكلى ، وهو فى ذلك يؤمن بما وسوس به الجيلانى ... « لأن تساوى الطائع والعاصى عند الله لا يكون إلا بعد الرجوع إلى الله أى بعد الاندماج فى الوجود الكلى المطلق ، فهناك لم يبق للطاعة ولا للعصيان أثر ما !! » ص ٣٢ — ٣٣

وبعد فهذا بعض ما فى ذلك الكتاب وموعدنا العدد القادم إن شاء الله

دريني خشبة

مستقبل القطن المصرى

للأستاذ زكريا بك حجاج
مدير مراقبة القطن ومنع خلطه

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

(٣) دفاع عن الأقطان ذات التيلة الطويلة

طول التيلة فى بعض أنواع أقطاننا ميزة متفردة لا يجوز إهمالها — مأساة القطن السكلاريدس وملابساتها وكونها مقصورة على هذا الصنف بالذات وليست تمس كل قطن طويل التيلة — استنباط أقطان جديدة طويلة التيلة — ميزة هذه الأصناف — فلنعمم فى غير خشية زراعة الأقطان طويلة التيلة .

ويشترك القطن المصرى مع أقطان البلاد الأخرى فى بعض الميزات ، ولكن له ميزات خاصة أتاحتها له طبيعة مصر ، فطول التيلة مثلاً فى بعض أنواع أقطاننا ميزة متفردة ، وليس من الحصافة الاقتصادية إهمال هذه الميزة ، ومحاولة منافسة البلاد الأخرى فى إنتاج أقطان قصيرة التيلة ، ولا سيما وأنّ فى الوسع — بجهود سنشير إليها — توزيع أقطاننا ذات الميزات المفضلة بشروط مناسبة .

نعم لقد اقترن إنتاج السكلاريدس وهو ممتاز بطول تيلته بتضحيات عظيمة ، إذ كان يكلف الفلاح نفقات كبيرة لم يكن يعوّضها السعر، لأن إنتاج الفدان منه كان ضئيلاً نسبياً ، وتصافى حليجه كان دون المائة

وما مَنعَ الناس وقتئذ عن ترك زراعته إلا الأمل فى تحسن أسعاره ، وعدم وجود أقطان مماثلة تكون أضمن وأكثر ربحاً

وفى الثلاث أو الأربع السنوات التالية للحرب الماضية مباشرة استطاع الفلاح بفضل اليسر الذى خلّفته سنوات هذه الحرب أن يواجه تلك التضحيات ، ولكن لما عاد النقد إلى قاعدة الذهب لم يجد فائضاً يضحّي به ، فما لبث أن رهن أطيانه

وقد زاد المسألة حرجاً أن غلات الأطيان المرهونة قُدّرت قيمتها على أساس الأسعار فى وقت التضخم النقدى ، ولم تقدر بسعرها العادى . هذا إلى توالى النقص فيما ينتجه الفدان من قطن السكلاريدس نتيجة لانحطاط الفصيلة وللتلقيح الطبيعى والخلط الزراعى وقلة التسميد وضعف العناية بالوسائل الزراعية الصحيحة

وكان طبيعياً ، وقد تدهور سعر السكلاريدس وهو سيد الأقطان المضروبة أن تتدهور أسعار الأصناف التى تقل عنه تنفيذاً لقانون النسبية الظاهر الآثار فى كل مناحى الحياة . فهبطت الأسعار جميعها إلى أدنى مستوى Level Price وأتيح لمحترفى المضاربة أن يلعبوا على مسرح الاقتصاد المصرى أدواراً أكسبتهم على حساب المنتج كسباً كبيراً

لذلك ليس غريباً أن تثير الدعوة إلى زراعة الأقطان طويلة التيلة أشد الانزعاج . ولكن المأساة ـ إذا نفذنا فى حقائق الأمور ـ مأساة صنف السكلاريدس بالذات وليست مأساة كل قطن طويل التيلة . وليس يصح منطقياً أن يسوء حظ كل الأقطان طويلة التيلة لأن أحدها كان سيء الحظ لظروف خاصة

ساءت أسعار السكلاريدس فى المدة من سنة ١٩٢٢ إلى سنة ١٩٣٢ إلا فترات قصيرة ارتفع فيها السعر نسبياً . وقد اختتمت هذه الفترة بهبوط السعر هبوطاً مزعجاً إذ بلغ فى شهر يونيو سنة ١٩٣٢ تسعة ريالات

لذلك جد المهتمون بالأمر فى استنباط أصناف أخرى يكون لها من وفرة الإنتاج ما يضمن الربح لمنتجها ؛ فاستنبط فى سنة ١٩٣٤ صنفا النهضة والجيزة ٧ ، وكان الأول قصير العمر فمات ، فأما الثانى فما زال يعيش

وتوالى الاجتهاد فيما بين سنة ١٩٣٤ ووقتنا هذا ، فاستنبط الوفير وهو متوسط التيلة ثم الكرنك والملكى اللذان يعدلان السكلاريدس فى طول تيلته ، وأخيراً صنف جيزة ٣٩ أو شربينى

وفى هذه الفترة الأخيرة (من سنة ١٩٣٤ إلى الوقت الحاضر) لم يصب الأقطان طويلة التيلة كساد . بل ـ على العكس ـ صادفت هذه الأصناف إقبالاً طيباً جداً من المصانع على الرغم من ظروف الحرب التى حدّت من التصدير

وإذا كنا متفقين مع المستر هانكوك خبير القطن بوزارة الزراعة فيما ينادى به من أن الصناعة لا تتطلب طول الشعرة فحسب ، بل هى تتطلب أيضاً متانة الشّعرة ودقتها ، فاننا لنغتبط

إذ نؤكد أن الصنفين المصريين المستنبطين أخيراً وهما الملكي والكرنك يجمعان إلى مزية طول التيلة مزيتي المتانة والدقة

إن مناطق زراعة القطن في أمريكا وآسيا وأفريقيا - إذا استثنينا بعض جهات أمريكا - لا تنتج إلا أقطاناً قصيرة التيلة . ومن المقطوع به أن البيئة الأولى لإنتاج القطن ذى التيلة الطويلة هى أرض الكنانة التى أكرمتها العناية الإلهية بطبيعة جوية معتدلة ويد عاملة رخيصة مجتهدة

فلنعمم - فى غير خشية - زراعة الأقطان طويلة التيلة ما دامت توائم طبيعة أرضنا ، ولا سيما وقد استنبطت منها أصناف وفيرة الإنتاج عالية التصافى

على أن الغبن فى زراعة القطن السكلاريدس لم يكن مرجعه فى الحق إلى نوعه ، ولكن إلى ملابسات بيعه ، فالمنتج كان ينشد الربح ، أو على الأقل الفرار من الخسارة ؛ والمغزل كان يستكثر السعر ، فكان يؤثر الرخيص من الأنواع ولو كان قصير التيلة . ولو استطاعت المصانع شراء السكلاريدس بما يزيد ٢٠٪ على أسعار القطن الأمريكى لفعلت راضية

وقد كان بيع القطن المصرى يخضع لعوامل توجدها الآلة البورصية ؛ فهى كانت تسجل بحساسية شديدة كثرة العرض عند بدء الموسم ، ويظل ذلك التسجيل حتى يخرج أغلب المحصول من أيدى المنتجين

هذا إلى الملابسات التى أوضحناها قبلاً ، وإلى عوامل أخرى كانت تتآمر على خفض أسعار ذلك القطن

على أن النسبة الآن بين سعر القطن المصرى طويل التيلة وبين سعر القطن الأمريكى ليست عالية . فالقطن « المدلن » الأمريكى يساوى الآن ٢٠ دولاراً ، أى ما يوازى ٦٦٠ قرشاً باعتبار أن الدولار يساوى ٣٣ قرشاً ، فلو أضيف إلى هذا السعر ٢٠٪ منه ، أى ما يعادل ١٣٢ قرشاً ، لكان السعر ثمانية جنيهات مصرية تقريباً ، وهو ما يقرب جداً من سعر القطن الكرنك المصرى محلوجاً

هذه هى النسبة ، والظروف ظروف حرب حدّت من تصدير قطننا المصرى ودعت إلى عدم التعامل عليه فى البورصات . فكيف فى الظروف العادية حين ينطلق قطننا من كل قيد ؟

(٤) - وسيلة التبادل

فساد نظام المعدنين النفيسين - نظام التبادل التجارى المرجح الأخذ به بعد الحرب - اقتراح الأخذ بهذا النظام فى مصر

إن عناصر الغنى فى أمة من الأمم هى مقدرتها على الإنتاج الزراعى أو الصناعي ، ووفرة اليد العاملة والآلات فيها . وليس النقد فى حقيقة أمره إلا أداة للاستبدال ووسيلة المقارنة بين القيم . ولقد ظل الذهب والفضة طويلاً مقياس الغنى فى الأمم ، ولكنهما فى الحق مقياس أفسده سوء الاستعمال . وما مثل هذين المعدنين فى تقدير الثروة العامة للأمم إلا كميزان مختل فى حانوت بدال ، لا يلبث أن يؤدى إلى إفلاس صاحبه

إنه ليس من العدل أن ينقسم الأفراد إلى فريقين : أحدهما وهو الفريق الأكبر يقضى حياته فى الإنتاج الزراعى أو الصناعى ، ومع ذلك يعانى الكثير من البؤس والبطالة ، والثانى وهو فريق الأقلية يتحكم فى الفريق الأول ، يعطي ويمنع لأن بيده المال

هذا النظام ينبغي أن يستبدل به نظام آخر يحقق العدالة لأفراد الأمة ، ولا يدع للمال كل ذلك السلطان الضخم ، بل ينصب الإنتاج نفسه حاكماً اقتصادياً بدلاً من الحاكمين الحبيسين : الذهب والفضة

والظن أن العالم يتجه بالفعل هذا الاتجاه ، وأن نظام التبادل التجارى فيما بعد الحرب سيحمل كثيراً من الدول على التخصص فى إصدار سلع معينة مقابل استيراد ما يلزمها من الدول الأخرى على نحو قريب من نظام المقايضة Barter Economy Le troc فليكن القطن طويل التيلة سِلعتنا التى نحصل بها على حاجاتنا من الخارج

وبهذه المناسبة نذكر أن عندنا الآن كميات من هذه الأقطان ينبغى ألا يساورنا القلق على تصديرها ، لأنه عندما يستقر السلام سنستطيع أن نجيب بها مطالب البلاد المجاورة التى ستعوزها يقيناً هذه الأصناف

(٥) - نظام تمويل المصارف للأقطان

نقد نظام التمويل فى مصر - إرهاقه للمنتج - النظام المنشود

إن نظام أعمال المصارف فى مصر - فيما يختص بتمويل المنتج الزراعى عامة ، ومنتج القطن بصفة خاصة - يخالف نظام المصارف الوطنية فى بلدان العالم جميعاً . وكأنما وضع خصيصاً لهذا البلد السيئ الحظ

يقدم الفلاح إلى المصرف إنتاجه القطنى فيقدّر المصرف للسلعة ثمناً معيناً ، وبذلك يكون [illegible] ثم يدفع المصرف سعر الفائدة ، ويقيد المنتج بالتزامات ثقيلة تؤوده وتعجزه عن الوفاء بها ، فلا يلبث المصرف أن يقذف إلى البورصة

النصـــاح والوعاظ

على أبواب الخلفاء

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

الحكم في الإسلام لم يبن على الاستبداد ولم يقم على الانفراد، بل أقيم على الشورى وبني على الرأي. ولقد قال تعالى لنبيه عليه السلام: « وشاورهم في الأمر ». وما كان أغنى النبي عن نصح الناصح ومشورة المشير، لمكان فضله، ومقام علمه. ولكن المبادئ الصحيحة لا تحابي مقاماً ولا مكاناً، ولا تعرف عصراً ولا زماناً.

فلقد حدث حماد بن زيد بن هشام عن الحسن قال: « كان النبي يستشير حتى المرأة فتشير عليه بالشيء فيأخذ به »

وكان عمر على شدته ينتفع بأهل الرأي والمشورة ويستمع إلى قولهم، وروى عنه قوله « الرأي الفرد كالخيط السحيل، والرأيان كالخيطين المبرمين، والثلاثة خيط مرار لا يكاد ينتقض »

وطبيعي أن حكاما ذلك شأنهم في قبول المشورة وتلقي الرأي كانوا يستمعون إلى الناصح المبتدئ بنصحه، المتفضل برأيه، فيفتحون له قلوبهم وآذانهم، أو يعطونه الأمان أن يقول ما يشاء في صراحة وحرية. وفي كتب التاريخ والأدب من ذلك طرائف وأشتات

وكان خلفاء الرسول أكثر الناس اهتداء بهديه واقتداء به فلم يصدر عنهم من الأحكام ما فيه مخالفة لسنته وحيدة عن طريقته. ولهذا لا تجد على أبوابهم مزدحماً من الناصحين والوعاظ، لأن الوعظ لا يكون إلا عند ما تدعو إليه الحاجة وتشتد الضرورة. وقل أن تجد في عصر الخلفاء الراشدين إلا مذكراً يذكر الخليفة في عبارة موجزة وإشارة قصيرة. كما حدث لعمر ابن الخطاب فقد دخل عليه سعيد بن عامر وقال: « إني موصيك بكلمة من جوامع الإسلام ومعالمه. قال: أجل. قال: اخش الله في الناس ولا تخش الناس في الله، ولا يخالف قولك فعلك. فإن خير القول ما صدقه الفعل. وأحبب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك. وخص العناية بالحق حيث علمته، ولا تخف في الله لومة لائم »

ولقد كان عمر يصغي إلى نصح الناصح، ولقد يبلغ به التأثر حتى يبكي فتخضل لحيته كما صنع مع خولة بنت حكيم

بمئات الألوف من قناطير القطن دفعة واحدة فيهبط السعر بطبيعة الحال، وكأن المصرف بما فعل قد سهل للأقطان الأجنبية والصناعة القطنية الأجنبية منافسة أقطاننا وصناعتنا

ولسنا نرى في ذلك غرابة، فالمصارف الأجنبية التي لدينا إنما تمثل وترعى المصالح الاقتصادية والصناعية لبلادها وحملة أسهمها

لا جرم إذن أن هذا النظام المصرفي هو من عوامل اختلال اقتصادياتنا وانحطاط مستوى معيشة المنتج المصري. ولقد عاش هذا النظام طويلاً دون أن ننتبه لمساوئه. فلنعمل جاهدين على درء هذه المساوئ كلها أو بعضها، وليكن ذلك عاجلاً بقدر المستطاع

إن النظام المصرفي الذي ننشده في مصر يجب أن يكون نظاماً يشجع الإنتاج ويحميه من الكساد المصطنع ويحافظ على الثروة الوطنية، ويدفع عنها كيد المتلاعبين، ويكون منطوياً على روح مصرية صميمة تعنى بالصالح المصري أولاً وأخيراً

(٦) الطموح إلى نهوض بيوت مصرية بتصدير القطن المصري

وكذلك يجب أن تكون الروح في تصرفات بيوت تصدير القطن مصرية، ولن تكون كذلك إلا إذا كانت وطنية. ولئن قيل إن بيوت التصدير الأجنبية لها من خبرتها الطويلة بحاجات المغازل ما لم يتح لبيوت مصرية، فإن هذه الخبرة لن تكون كل شيء في تصريف إنتاجنا حين تضع الحكومة — طبقاً لاقتراحنا — نماذج للقطن المصري كله

والواقع أنه ليس في التجارة أو الصناعة سر يستغلق على العنصر المصري، وكل ما يستلزمه نهوض المصريين بتصدير أقطانهم هو مزيد من النشاط والمثابرة والجد وممارسة عملية تبصرهم بما خفي عليهم طويلاً. إن المصريين حين يقومون هم أنفسهم بتصدير أقطانهم قد يواجهون مصاعب جساماً، ولكن لنتخذ من هذه المصاعب دروساً نافعة، وكل صعب يهون في سبيل أمنية عزيزة كتمصير بيوت التصدير ذلك التمصير الذي يساعد على إتمام استقلالنا في ناحية اقتصادية لها أهميتها

زكريا مهران

مدير مراقبة القطن ومنع خلطه

أما فى العصر الأموى فنجد الخلافة قد انقلبت مُلكاً .

ونجد الخلفاء قد صدر عنهم من الأعمال ما يعدُّه المؤمنون بعداً عن السنة ، وتجافياً عن المعالم . وهنا يكثر الوعظ ويفشو النصح بأبواب الخلفاء . ونجد جماعة من هؤلاء النصاح يقفون على أبواب الخلفاء لا يبغون جزاءً . ولكن يطلبون رضى الله ولو أسخط المنصوح . ولا يبالون بكلمة الحق يعلنونها صريحة فى وجوه الحكام علّ قلوبهم تلين وتخضع

فلقد ذكر ابن طلحة فى « عقده الفريد » حادث وفود أبى بكرة على معاوية ناصحاً مذكراً فى كلمات بليغة وعبارات فصيحة ، ومعاوية يستمع إلى الرجل فى حسن إقبال ، والرجل يذكره بالدنيا الفانية والمتاع القليل والدار الباقية . ويقول فى نص عبارته : « اعلم أنك فى كل يوم يمضى عنك وفى كل ليلة تأتى عليك ، لا تزداد من الدنيا إلا بعداً ، ومن الآخرة إلا قرباً . وعلى أثرك طالب لا تفوته ، وقد نصب لك حد لا تجوزه . فما أسرع ما تبلغ الحد، أوما أوشك ما يلحقك الطالب . وأنا وأنت وما نحن فيه كائنا زائل ، وسنصير إلى ما هو باق فى الآخرة »

وما أكثر ما وقف النصاح بباب سليمان بن عبد الملك . وكان هو نفسه يسأل عنهم ويطلبهم إلى مجلسه ويبدؤهم بالسؤال ، ويفسح لهم المجال ، فلا يقف بينه وبينهم حراس ، ولا يذودهم عنه حُجّاب . حدّثوا أنه حج ، ولما أتم المناسك دخل المدينة وسأل عن جماعة ممن أدركوا أصحاب رسول الله . فأتوا له بأبى حازم التابعى . فقال له الخليفة يا أبا حازم : ما لنا نكره الموت ؟ فقال : عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة ، فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب ... وما زال الرجل يصف هول الحشر حتى بكى الخليفة . وسأل واعظه قائلاً : كيف السبيل إلى صلاح الأعمال : قال : تقسمون بالسوية ، وتعدلون فى القضية ، وتراعون أمر الرعية

ولما طلب الخليفة منه أن يذكر حاجته ، طلب الناصح منه أن يزحزحه عن النار ويدخله الجنة ... ! وهو طلب ليس فى يد الخليفة تحقيقه . فاعترف بعجزه .... !

ولقد روى المدائنى أن رجلاً من عبد القيس بن قصى دخل على سليمان بن عبد الملك طالباً الكلام . فأذن له ، فقام وهدد الخليفة بالغلظة فى كلامه ، ورجا منه أن يحتمله على كره ، فإن وراءه للخليفة نفعاً وللأمة خيراً . فأذن له بالاستمرار . فأخذ يطلق لسانه فى الخليفة بما خرست عنه الألسن قبله ، وأخذ يلوم الخليفة على سوء اختياره لبطانته ، فهم حرب للآخرة ، سلم للدنيا ، وهم لن يألوا الأمانة تضييعاً ، والأمة عسفاً وخسفاً . وأخذ يحمّل الخليفة مسئولية ما اجترحوا من سيئات ويذكره بخسارة الصفقة وفساد التجارة لمن يريد إصلاح دنياه بفساد آخرته

ومن عجب أن رواة هذه الأخبار لم يصلوا بنا إلى نهاياتها ... بل كثيراً ما كانوا يضيعون الواعظ فى الزحام ... فلا يوقف له على أثر . . . كما حدث مع واعظ الخليفة المنصور الذى لقيه ليلاً فى الطريق فدعاه إلى المسجد فأخذ الرجل يعظه بكلام شديد وحديث طويل وبعد الصلاة طلب الرجل فلم يوجد ... !

وأكثر ما تكون الحاجة إلى النصح حين تسوء الأفعال ويكثر الانحراف من الحكام . ولكننا نلاحظ فى كتب الأدب والتاريخ أن الوعاظ لا يزدحمون إلا على أبواب الصالحين من الخلفاء ... وعلة ذلك أن الحاكم الصالح أكثر قبولاً للنصح واستماعاً للوعظ من غيره . فالطريق إليه ميسر ، والباب إليه مفتوح ، والعاقبة مأمونة ، والمغبة محمودة . لأنه لا يثور ولا يسخط ولا يغضب حتى ولو أغلظ الناصح فى نصحه

وهكذا ليس من الغريب أن نجد جماعة من الوعاظ يزدحمون على باب عمر بن عبد العزيز ، ويجدون فى ظلاله أمناً . فهو يفرح بهم ويهش لهم ويتلقى الكتب منهم ويحتفظ بها ويشير إليها فى مجالسه . فقد كتب إلى طاووس الواعظ كتاباً يسأله عن بعض ما هو فيه . فكتب إليه طاووس : « سلام عليك يا أمير المؤمنين فإن الله تعالى أنزل كتاباً ؛ وأحل فيه حلالا ، وحرم حراما ، وضرب فيه أمثالاً ، وجعل بعضه متشابهاً ، فأحلّ يا أمير المؤمنين حلاله ، وحرّمْ حرامه . وتفكر فى أمثال الله تعالى واعمل بمحكمه ، وآمن بمتشابهه ، واعتبر بأمثاله والسلام عليك » . وطريقة طاووس فى هذا الكتاب هى طريقة الفقيه لا الواعظ . وإن كانت تؤثر عنه مواقف ومقامات لم يخش فيها حاكماً ولا مسلطاً . وكثيراً ما حاول الأمراء تقريبه إليهم فكان يعرض عنهم ولا يزداد إلا جرأة في النقد وصراحة فى القول ...

ومواعظ طاووس تجدها فى شكل كتب ورسائل يرسلها ولا يلقيها أمام الموعوظ ، لأنه كان من أبعد الناس عن مصاحبة الملوك والقرب منهم ، وكان واحداً من ثلاثة رجال اجتنبوا السلطان ولم يتصلوا به ، والإثنان الآخران هما أبو ذر الغفارى وسفيان الثورى

وكثيراً ما وقف محمد بن كعب القرظى بين يدى عمر ابن عبد العزيز ينصحه ويعظه ، وقد يشتد فى النصح وعمر لا يضيق صدره ولا يخرج عن حلمه ويقول الواعظ : « إن الدنيا سوق من الأسواق ، فنها خرج الناس بما ينفعهم وبما يضرهم » فيطرب عمر لهذا الكلام

ويقول الواعظ : – يا أمير المؤمنين ! افتح الأبواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم . فيطرب عمر لهذا الكلام ولسان حاله يقول : – اللهم إنى ما أغلقت دون أحد من المسلمين باباً ، ولا ألقيت بينى وبينهم حجاباً ، ولا رأيت مظلوماً إلا أخذت له الحق من ظالمه ...

ودخل عليه زياد العبد مولى ابن عباس . فقال : – يا أمير المؤمنين : أخبرنى عن رجل له خصم ألد كيف حاله ؟ قال سيىء الحال . قال فإن كانا خصمين ألدّين ؟ قال ذلك أسوأ الحالة . قال فإن كانوا ثلاثة ؟ قال لا يهنيه عيش ! قال والله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك عند الله تعالى ! مطالبك إن قصرت فى حقه . فبكى عمر حتى رق له الحاضرون .

ومن خلفاء بنى أمية الذين استمعوا إلى نصح الناصحين هشام بن عبد الملك . وكان على شحه حليماً واسع الصدر . فقد حدثوا أن خالد بن صفوان المشهور بابن الأهتم دخل عليه فحدثه عن ملوك الأعاجم وزوال ملكهم بعد تمكن الأمر لهم ، فبكى هشام ، وأجزل العطاء للناصح على ما كان من بخله وحرصه

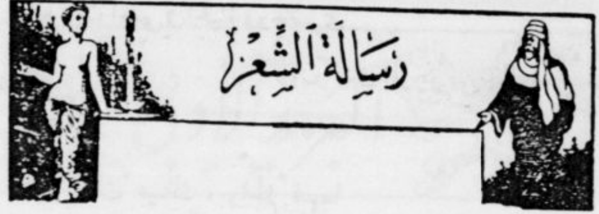
* * *

وفى أول العصر العباسى بقيت بقية من هؤلاء الوعاظ ، وقد وجدوا بباب المنصور منفسحاً . ولهذا نجد في كتب الأدب طائفة من أخبارهم معه . وكان الرجل منهم يشتد فى الكلام ويقسو على الخليفة ويعنف على البطانة ، ويصف الأدواء فى صراحة . حتى لقد بلغ من بعضهم أن قال له : « هل دخل أحد من الطمع ما دخلك ؟ إن الله تعالى استرعاك المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر ، وأبواباً من الحديد ، وحجبة معهم السلاح » . وهذه الموعظة طويلة . ولعلها أطول ما روى عن الوعاظ والنصاح ، ولا يدانيها فى طولها إلا نصيحة الأوزاعى للمنصور أيضاً ، ولكن الأخير كان أخف نقداً وألطف مدخلاً من الأول الذى أوردنا جملة من مواعظه ولم نعرف اسمه ، لأن المصادر التى رجعت إليها لم تذكر اسمه ، بل جملته رجلاً عابراً ! يظهر فى المسجد ويصلى مع المنصور ، ثم يطلب فلا يوجد

ويلاحظ أن الوعاظ من أهل العلم والفقه لا يغالطون فى النصح كما يفعل أهل الزهادة والتقشف ، فطاووس الفقيه أميل إلى الفقه والأحكام منه إلى التعنيف والإيلام ، وكذلك الأوزاعى إمام الشام

وما أكثر حاجة عصرنا هذا إلى رجال من طراز هؤلاء النصاح الشجعان الذين لا يعجبهم فساد الزمان ولا يرضيهم إلا رضى الديّان

محمد عبد الغنى حسن



وحي لقاء

للأستاذ سيد قطب

هـــذا اللقاء كأنه ذكرى   مكنونة في عالمِ النفس
وكأنه وهمٌ أجسّـــمه   لا حادثٌ فى عالَم الحسِّ

* * *

هذا اللقاء الخاطفُ الواجفْ   رتلفّتُ الأنظار فى حذر
كثمالةِ الأحلام ، كالذكرى   فى رِعشةِ اللفتات والصور

* * *

أختاه . واعجباً لنا ! عدنا   فى هـــذه الدنيا غريبين
عدنا إذا ما خلسةٌ سنحت   نمضى على حذر كلصـين !

* * *

ألقاكِ مثل الطيفِ عابرةً   وكأن ما قد كان ما كانا
وكأنما الأيامُ ما شعرَتْ   أنّا عَمَـرْنا قطُّ دُنيانا !

* * *

وتفكرين كأنما افترقتْ   من مَطلْع الدنيا طريقانا
وتذكّرين كأنما اجتمعتْ   فى خاطرِ الأيام ذِكرانا !

* * *

ما أنتِ ؟ إنى لم أجدْ أبداً   أنى كشَفتُكِ قطّ فى النور
ما أنتِ إلا فكرةٌ شردت   ما أنتِ إلا طيفُ مذعورِ !

* * *

وشقيّةُ الخطوات عاثرةٌ   فى حينما اتجهتْ لمأمولِ
وكأنما تمضى مُروّعةً   وضميرُها يُفضى لمجهول !

أيهـــا الحب !

للشاعر عبد الرحمن الخميسي

[ننشر هنا الجزء الأول من ملحمة كبرى
عنوانها « الحب » تقع فى عشرة أجزاء]

أيها الحب الذى يُظمئُـنى   لمزيد ، كلما جَرّعنى !
اسقنى خمـــرك حتى أنتهى   أنتَ يا منْ للردى يُسلِمنى
اسقنى : فالموتُ عندى غايةٌ   لكَ عُليا نحو من أوجدنى
وأنِلْ للدود جسمى ثم طرْ   بحياتى ... حُرّةً عن بدنى

* * *

أيها الحب الذى أخضعنى   لقواه وهو يغـــزو مهجتى
تلك نيرانُكَ ... ما أعذبها   حينما تحـــرق منى قوّتى
جاذبٌ أنت فؤادى مرةً !   دافعٌ أخرى ، لتُدكى لهفتى
وأنا نهْبٌ لـما يا حُبُّ قد   شِئته من رحمة أو قسوةِ

* * *

أيها الحبُّ تسامَى وانحدَرْ   جنة كنت لدينا أم سَقَرْ
أنت رىٌّ خالدٌ ما ذاقـــه   أحد إلا سما فوق الفِكَر
عانقت روحىَ روحاً فيك ، ما   حلُمَتْ إلا بها أنقى الصُّور
فاستبح ما شئت قلبى ودمي   أنا حى بك من دون البشر

* * *

إن تكن قيداً ، فما أكرمه !   فهو لى طـــوق إلى حريتى
فنيتْ ذاتىَ فى شرعك – إذ   عشقتْ – لكن لتُحيى يقظتى
وتُريـــنى فِتناً أبصرُها   خلال الإغراق فى محبوبتى
وتُربنى صوراً فى الغيب ما   نصعت إلا لتسبي مهجتى

* * *

أيها الحبُّ لك التقديسُ يا   صفةَ الربِّ ويا سرَّ الحياهْ
إن لمست الصخر لمساً ينتفضْ   كائناً يسمى مُدِلاً بقـــواه
تجنحُ النفسُ إلى ظلّك فى   لحظة الناسك تدعوه الصلاه
وتغنى الروحُ من أحلامها   لكَ لحناً هو زُلْفى للإله

* * *

أنتَ فى كل شروق وغروبْ تمزج الظلمة بالنور الحبيب !
أنتَ تنسابُ مع الماء إلى برعم الزهرة فى الوادى الخصيب
ثم فى الزهرة كمَّا ترتجى بلبلاً يطربها حتى تغيب
ثم فى الموت، وفى البعث: مُمتَّى تنشأ الأنفسُ منها والقلوبْ

***

أيها الحبُّ الذى قامتْ على أصله الدنيا ودارَ الفلَكُ
وارتمى النور على أقدامه وجثا بين يديه الحلَكُ
أنتَ فى الريح إلى الغاب إذا أخذت أغصانها تشتبك
ولقد عشنا بمغناك ، وفى دينك الحقِّ الأنامُ اشتركوا

***

معبدُ أنتَ لأبناء الحياه تسجد الألباب فيه والجباه
قد سرى فيه بخورٌ عابقٌ باحتراق فى الحنايا والشفاه
يغنم الراكع فى ساحته نعمةَ الإيمان تستهوى دماه
معبدُ أنتَ ولا يجْحدُهُ غير كفَّار بأشواق الحياه

اللقاء الأول

للأستاذ أحمد مخيمر

ولما تلاقينا لأولِ مرة
ورف فى الصادى على فمك العذبِ
وجدت لينبوع الحياة تدفقاً
بنفسى ، وموسيقى تغلغل فى قلبى
وأحسست أنى من جديد على الذُّرا
أُطلُّ إلى الأجيالِ ، والزمن الرحبِ
هنالك حيث النورُ طلقٌ مجدَّد
سمعتُ أغاريد السمٰوات والغيبِ
يذنى [illegible]
فناهيكِ من شدوٍ وناهيكِ من سرب

وأبصرتُ أمسى فى الحياة ، وحاضرى
وبانَ غدى المرجوُّ من خلل الحجْب

***

وحينَ رنتْ عيناكِ ، والحلمُ فيهما
وظلُّ الكرى مُلقى على طرف الهدب
ذهبتِ بأحلامى إلى مَشرَعِ المنى
ورُحتِ بأشواقى إلى منهل الحبِّ
وأدنيتِنى للخلدِ حيناً ، فلم تزلْ
تطالعهُ عينا فؤادى على قُربِ

***

ولما وقفنا للوَداع ، وأوشكتْ
تفيضُ بنات العين غرباً إلى غربِ
وهبَّتْ نُسيماتُ الأصيل رقيقةً
أرقَّ من النجوى وأحلى من العتْبِ
يَهجنَ دواعى الشوق بين جوانحى
فيلمعنَ فى أغوارها لُمعةَ الشُّهبِ
أهبتُ بقلبى : قد خُدعتَ بما ترى
من الثمر المنضودِ والغُصُنِ الرَّطْب
أغركَ أن الورْدَ دانٍ ، وأنها
قريبٌ ، وأنَّ النورفى وجهها يَسْبى !
لعلك لو فتشت عنها وجدتها
أحابيلَ للدنيا تظلُّ بها تُصْبى
غداة غدٍ أخشى إذا ما تكشّفتْ
تُقلِّبُكَ الآلامُ جنباً إلى جَنبِ
فقال فؤادى : كلُّ حبٍّ لقيتُه
فَزادٌ يمينُ السالكين على الدَّرْبِ
إذا ما بدَا الحبُّ الكبيرُ لناظرى
نفضتُ يدى مما عرفت من الحبِّ
وحسبي نمت يوم سونا [illegible]
فما لكَ من عَتْبٍ ، وما لىَ ذنبِ



فى اللغة:

جاء فى كلمتى فى (٥٧٠) من الرسالة ما يأتى : « ولا غرو أن تنبو العقول عن مثل هـذا التخليط والعبث » ، وكانت العبارة فى الأصل الذى أنفذته إلى الرسالة هكذا : « ولا غرو من أن تنبو ... »

ويظهر أن المصحح ظن أن « من » من الخطأ ، أو من سبق القلم ، فحذفها

ولـكن إثبات « من » صحيح كحذفها ، فنى « الأساس » (لا غرو من كذا : أى لا عجب) (ا . ع)

تعليقات قرشية مكية

(١)

تثور اليوم على صفحات الرسالة الغراء وفى « بريدها الأدبى » الشائق معركة نقدية هائلة إخالها لا تزال بعد فى مرحلتها الأولى . أما الحملة فشبرها الأستاذ الـكبير « ا . ع » ولقد كان فى رأيى — محقاً فيها — وموفقاً إلى حد كبير ؛ فآفة الشعر العربى — فى النظرة الصحيحة العادلة — هاته البمثرات والقشور يزوقها ويبهرجها من لا يستفظع أن يجعل من روحانية الشعر العربى وموسيقاه الرفيعة معرضاً للسخرية الأدبية والزراية الصاخبة فى شكول هي غاية فى بلادة التذوق وتحجر الإحساس. ولـكن الأستاذ الـكبير (ا . ع) رأى أن يجعل من هذا العراك ـ حداً فاصلاً ، وكأنه لم يقتنع بنجاح عمليته فى دورها الخطير ـ فانبرى للشعراء الشباب عامة بالتهـكم العارم والنقد اللاذع ، وكنا نود لو ترفق الأستاذ رعاية لمهد الشعر فى ذاته ! فلا مكابرة فى أن الشعر العربى اليوم هو فى أزهر عصوره الذهبية وأزهاها ـ إذا استثنينا بعض المشاركات المتشاعرة فيه . وحسبنا تدليلاً على هذا ما تزخر به دواوين الشعر الحديث وسجلاته . ومالى لا أحيل القارىء الـكريم على « مجموعات الرسالة المالية » ، وما حوته من جيد الشعر ورائعه فى جميع سفيها الخالدة .

على أننا ـ ونحن بصدد الحديث عن هذه المعركة الجديدة ـ نجد لزاماً علينا التنويه بفضل الأستاذ الـكبير « ا . ع » الذى تكرم فأثار هذا الجدل ، كما أن من فروض الشكر تقدير مجهود النقاد الرشيق الأستاذ « دريني خشبة » والشاعر المفضال الأستاذ « محمد عبد الغنى حسن » على نبله وقصده ، أما الأستاذان « سيد قطب وحبيب الزحلاوى » فمن حق القارىء أن يوجه إليهما عتباً لطيفاً على هذا التجنى الذى لا يحسن أن يبدر من مثليهما !

(٢)

لم يقتصر الأستاذ الجليل العقاد على عبقرياته الرفيعة الأربع فراح يجلو للعالم من حيوات أبطال الإسـلام وساداته وعالماته صحائف وضاءة تتجلى بين سطورها ذكريات طيبة حبيبة ؛ فثمة « الصديقة بنت الصديق » وثمّ « عمرو بن العاص » وسيصدر له، إن لم يكن صدر أخيراً ولم يردنا بعد ، الكتاب الشائق « عبقرية خالد بن الوليد » ، كما التفت ذهن العقاد الشاعر إلى شعر العرب الفنى وتراثهم فانبرى يبسط لنا من هيولاه ما يسر ويبهر عن مذهبى الشاعرين الغزليين العظيمين « عمر بن أبى ربيعة » و « جميل بثينه » ومسلـكيهما فتكشفت لهما ـ بفضله ـ مدرستان عتيدتان الصبغة هما ذخر الباحث وعدة الأديب

أما مجموعة العقاد الأخيرة « عرائس وشياطين » التى انتخب فيها نتفاً وطرفاً من مذخور الأدب ما بين عربية وشرقية وغربية والتى يترجمها فى مقدمته : « مجموعة وحى العرائس ذوات الشياطين أو من وحى الشياطين ذوى العرائس تلقيناها من هؤلاء وهؤلاء وجمعناها هدية للقراء » فأقرب وصف لها ـ عندنا ـ يزاوج بين وضعها وحقيقتها أن نقول إنها حديقة فيحاء ذات أفنان مزهوة ملوّنة فى خمائل شهدية الجنى عطرية الشذى منغومة الصدى تتخطر فيها عرائس « هنريك هيني » و « شارل ماكي » و « توماس هاردى » معتنقات مع شياطين « ابن المعتز » و « ابن مهل » و « الشريف الرضى » ، وغير أولئك وهؤلاء من الأرواح المرحة المجنحة التى أباحها العقـاد ورضى لها أن تهامس وتتلاقى وتتخالس فى حديقته الناضرة المريعة « عرائس وشياطين »

(٣)

وها هو الزمن يسعف ويبقى فنقرأ للزيات الحكيم الشاعر، قطعة عتيدة عن المعرى الحكيم الشاعر! قطعة رائعة تزخر بالمعاني الخوالد، وتفيض بالألفاظ البارعة، في بيان مشرق زاهر، وإحساس دقيق مرهف، هو بيان الزيات.

لقد أعدت قراءة المقال[1] مرات ومرات، فكان يتجلى لناظري ونفسي أنني أطالع مجلداً ضخماً عن الشاعر الخالد، لا مقالاً موجزاً فيه الفكرة العابرة والنظرة السريعة

الواقع أنني لا أدري - والله - بماذا أصف هذه الفقرات البليغة النابضة: « ... كان في ظلام الرحم، وولد في ظلام المشيمة، ثم عاش في ظلام البصر، وانتهى إلى ظلام القبر. ومن هذا الظلام المتصل نسج القدر حياة أبي العلاء، وأنشأ عواطفه وسوّد فلسفته، وأبهم عقيدته، وأوحش نفسه! ومن هذا الظلام أيضاً تفجر النور كله على قلبه وعقله؛ فكان آية من آيات ربه الكبرى في ذكاء الفهم ولطافة الحس، وقوة الحفظ ودقة التخيل » ...

« صاحب أبو العلاء الزمان ولابس الناس وراود السعادة حتى استحار شبابه، فلم تزده الأيام إلا يقيناً بعجزه الطبيعي عن مجاراة الأنداد في سباق الحياة، وعن مرضاة النفس بلذات العيش، وعن منازلة الخصوم بسلاح الإفك، فانقلب إلى داره نافضاً كفيه من دهر لا رجية له فيه، وعالم لا صديق له به، ونعيم لا نصيب له منه! »

« كان أبو العلاء في شبيبته نسيم زحمة، ثم صار في كهولته عاصفة دمار! ولعله لو كان بصيراً متفائلاً كالجاحظ، أو ضريراً شهوان كبشار، لتبدل حكمه على الدنيا وتغير رأيه في الناس! »

أأصف هذا بسحر التعبير، وبنصاعة التدليل، وبدقة الملاحظة، أم أصفه ببراعة المنطق، وعمق التحليل، وبهر الإحاطة، أم أنعته بتلون - الاتساق، وإشعاعات العبقرية ومقدرة الفنان؟!

(مكة المكرمة) حسن عبد الله القرشي

الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

في الأسبوع الماضي انتقل إلى جوار الله شيخ من شيوخ الأدب، وعلم من أعلام الصحافة، هو الأستاذ « عبد الرحمن البرقوقي » منشئ مجلة (البيان)، وصاحب المؤلفات القيمة في الأدب والتاريخ. فجأته المنية وهو مشغول بإعداد الجزء الثالث من كتابه (الذخائر) فأسكتت قلباً كان ينبض بأنواع المعرفة، وأسكنت قلماً كان يجرى بمعاني الجمال. والأستاذ البرقوقي كان ثمرة مباركة من ثمار الشيخ محمد عبده، تأثر به في الناحية الأدبية، فكتب في علوم البلاغة، وشرح بعض كتب الأدب. وكان من خير أعماله إصداره مجلة (البيان) في عهد لم يكن للأدب فيه نفاق، فلاقى في سبيل ذلك ما لاقى المجاهدون الأولون من الجهد والمشقة في تذليل مصاعب الطريق، وارتياد مجاهل الأرض. جزاه الله على اجتهاده وجهاده خير الجزاء، وعوض أمته وأسرته من فقده خير العوض

إلى الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

يسرني أن أبدى على صفحات الرسالة إعجابي بما تكتبون، وتقديرى لما تحققون، ولا ينقص من قدر ذلك الإعجاب، أو يغض من قيمة هذا التقدير، أن يقع في تعقيبكم على كتاب « الوعى القومى » مما يقتضى التعقيب في زعمى

لقد ذكرتم أن الواو بعد النفى والاستثناء في قول المؤلف « وما من أحد يلمس الحياة العربية الحاضرة إلا ويشعر » لا لزوم لها والفصيح تركها

فهل تقصدون إلى تلك القاعدة التى تقول: « إن الجملة الماضوية الواقعة حالاً بعد إلا يتعين ربطها بالضمير ويمتنع ربطها بالواو »، كما في قوله تعالى: « وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون »؟

أعتقد أنكم لا تقصدون إلى ذلك ولا تريدونه؛ لأن الجملة في عبارة المؤلف مضارعية مثبتة لا ماضوية

لم يبق إلا أنكم قد عمدتم إلى التنبيه على ما في عبارة المؤلف من الخروج على القاعدة التى تضمنها بيتا ابن مالك

وذات بدء بمضارع ثبت حوت ضميراً ومن الواو خلت
وذات واو بعدها انو مبتدا له المضارع اجعلن مسندا

ولكنى ألاحظ أنكم قصرتم القاعدة على جملة الحال المضارعية المثبتة الواقعة بعد النفى والاستثناء، مع أنها عامة تنتظم ما وقع بعدهما وما لم يقع، فأنى لحضرة الأستاذ هذا التخصيص؟

أحمد مصطفى طاهونه

(١) العدد (٥٦٠) من الرسالة



الشيرازي يغني

سمعنا قبل ثلاث عشرة سنة على شبابة الدكتور عبد الوهاب عزام تناغيم فارس ، فلقد غنى هذا الأديب الكبير أناشيد الفردوسى بلغة الضاد ونشر (الشاهنامة) عن المخطوطات التي سلك الأسفار للتنقيب فيها والحصول عليها . فأتم الترجمة النثرية التي أثرت عن (قوام الدين البندارى) . ولست بسبيل الفردوسى والدكتور عزام فلهما فينة إطراب وإعجاب سيأتي بها الكتاب، وإنما هذه استهلالة يمر عليها القلم تلقاء كتاب جديد لشاعر فارس أخرجه للناس الدكتور ابراهيم أمين الشواربى المدرس بكلية الآداب فى جامعة فؤاد الأول ، وإنه لترجمة غزل لحافظ الشيرازى كتب مقدمته الدكتور طه حسين بك ، فأوفى على الغاية من تحليل أدب الشيرازى كدأبه فى مقدماته للكتب القيمة التي يحملها بيده إلى الجمهور لتحل يمينه فى المقام الكريم . وكتب الأستاذ الفاضل مترجم (أغانى شيراز) توطئة لسيرة الشاعر الفارسى وضح فيها نهج غزله ، وفتح الطريق سالكة أمام القارئين ، وحقق بعد ذلك فى كل منسوخة أثرت لديوان الشاعر على الطريقة الجامعية فى تحرى المصادر وتنقية الأقوال من تصحيف الناسخين وتحريف الطابعين ؛ ثم اندفع فى ترجمة عربية نقية يخيل إلى قارئها أنه يرف بروحه على الأبيات لا تعتوره عقبة ولا تصدمه عقدة . إنها مقطوعات اختار لها المترجم بحوراً مزدوجة من كل جانب ، ولقد كان منه هذا الازدواج أغنى للكلام فى بيت وأوفر للسياق فى شطر .

يا لها غزليات منسوجة بالصوفية كما زعم بعض النقاد ، معطرة بالخمرة كما قال الشراب . وقد حار الناس فى شعراء الخمر الفارسيين، إذ عرفوا عمر الخيام يسكب على نفسه الخمرة حياً وميتاً ، ويشرب الصهباء بكأس من التراب ربما كانت جوانبها من فم امرأة وبدها يد إنسان ، فقالوا : صوفى يشطح الشطحات . ولم يفيد الشيرازى قراءه ففتح لهم باب معانيه على مصراعيه ، فمن كان منهم صوفى النزعة فهمها على هواه ، ومن كان غير ذلك فهم المنى دون لباس التصوف ، وكيفما دار الأمر فإن أشمار الشيرازى خلقت للناى والمزمار ، سواء أديرت بها الأذكار ، أم لثمت بها الأقمار

إنها لتحفة جديدة فى الأدب العربى المعاصر ضمها كتاب قيم زين بصور فنية أبدعت بعضها ريشة المثال الموهوب الأستاذ محمد بديع

(القاهرة) زكى المحاسنى

١ — الوميض

عدلت الكاتبة الفلسطينية المهذبة هدية عبد الهادى فى قضية الرجل والمرأة عدلاً تاماً فى هذا الكتاب الجميل الذى أذاعت معظم أحاديثه من محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية . ولقد قرأنا الكتاب كله فحمدنا للكاتبة الفاضلة حسن إشاراتها إلى المرأة العربية عامة ، والمرأة المصرية بوجه خاص ، كما بهرنا الحديثان القيمان عن باحثة البادية وقاسم أمين ... إن كتاب الوميض ، صيحة حق تجهر بها سيدة مسلمة تعترف فى صراحة بما للمرأة وبما للرجل من حقوق وواجبات ، ونحن يسرنا أن يذيع هذا الكتاب في مصر خاصة ليتم التجاوب المنشود بين الأوساط النسائية فى العالم العربى العزيز . وبالكتاب محاولات قصصية بارعة نرجو أن تصلها المؤلفة الأديبة حتى تتم منها مجموعة مستقلة لتساهم فى قضية تجديد الأدب العربى على خير وجه . وإن كان لنا أن نلاحظ شيئاً على أسلوب الكتاب فرجاؤنا أن تضاعف الكاتبة عنايتها باستدراك الهفوات القليلة التى لا تنقص من قيمة جهدها المشكور شيئاً

٢ — من النقد الفرنسى

أحسن الأستاذ روحى فيصل كل الإحسان فى جمع بحوثه الجليلة هذه التى لخصها عن ثلاثة من أئمة الأدباء والمفكرين الفرنسيين ، ونشرها فى ذلك الكتيب الصغير بحجمه الجم الفائدة بموضوعه ... إنها دروس حميدة فى النقد ، عالجت الشعر ، والحاجة إلى الشعر « لبول فاليرى » والعاطفة فى الأدب ، والبيان « لغوستاف لانسون » والحياة والشعر « لآبل بونار » ، وقد

وفق الأستاذ روحى كل التوفيق فى تلخيصه هذه البحوث الجيدة التى أكسبها أسلوبه الطريف طلاوة وحلاوة . والكتيب هو الحلقة الثانية من سلسلة « اليقظة » السورية التى تنسج على منوال « اقرأ » المصرية ، والتى نتمنى لها الرواج الذى تستحقه

٣ — عرفت ثلاثة آلاف مجنون

هذا كتاب مؤلم فى حياة المجانين وأحوالهم ، ألفه الدكتور آر . سمول ، وعربه الدكتور فائق شاكر ، والأديب حافظ جميل « مطبعة التفيض — بغداد » وهو يحوى ثمانية عشر فصلاً فى أخبار المجانين وأسباب الجنون ، وطرق ترويضهم ونوادرهم الشجية ، فى قصص شائق وتحليل سيكولوچى فريد . والكتاب لا يستغنى عنه الطبيب ولا المربى ولا المراهق ولا كاتب القصص ولا المشتغل بالتحليل النفسى . ولا عيب فى الكتاب إلا فوضى الأخطاء المطبعية التى يجب تداركها فى الطبعة الثانية

٤ — رسالة الغفران بالانجليزية

لا ندرى لماذا آثر الأستاذ ج . براكنبرى أن يقدم رسالة الغفران لبنى وطنه — أو بنى لغته — الإنجليز على هذا النحو الذى لم يألفوه فى أدبهم ... لقد كنا نفضل أن ينقل خلاصة لها طويلة على نسق الخلاصة التى كتبها المرحوم الأستاذ مصطفى لطفى المنفلوطى مثلاً ، والموجودة فى بعض أجزاء النظرات . لأن المقصود من نقل الروائع الأدبية هو إعطاء صورة من روحها وموضوعها ، لا من شكلها ، ولا سيما إن تعرضت تلك الروائع المشكلات اللغوية ومعضلات النحو والصرف ، مما لا يهم إلا أصحاب اللغة نفسها . وما دام الأستاذ المترجم قد نقل الرسالة عن النسخة المحررة التى وضعها الأستاذ كامل كيلانى ، فلم تكن مندوحة عن اتباع طريقة الأستاذ المنفلوطى ، ولكن على صورة أوسع ، ولم تكن ثمة ضرورة فى ترجمة الأشعار العربية تدعو إلى الارتباط باللفظ ، بل كان يكفى أن يعطى المترجم صورة متماسكة من روح البيت أو القصيدة ، مع تقريب المعانى إلى الذوق الإنجليزى بما يناسب طبيعة هذا الذوق نفسه ، وهذا ما نفضله نحن فى ترجمة الشعر الأجنبى إلى اللغة العربية . وما دام الكتاب مقصوداً به أن يقدم للقراء الإنجليز ، فلم يكن ثمة داع إلى إثبات هذا القدر الكبير من الشعر العربى — باللغة العربية — فى صلب الرسالة . إلا إن كان غرض المترجم هو إضفاء ثوب علمى على عمله . أو أن ينتفع المستشرقون مثلاً بجهده المشكور ، فإن كان قد قصد إلى شىء من ذلك ، فنحسب أن عامة القراء من الإنجليز لا يزالون فى حاجة إلى شىء آخر من رسالة الغفران ، لم نقدمه لهم بعد

وفى الترجمة أخطاء يسيرة فى نقل معانى الشعر العربى لا يتسع المجال لاستعراضها هنا

٥ — مباحث فى فلسفة الأخلاق

كتاب صغير ، إلا أنه جم الفائدة ، ألفه الأستاذ الفاضل محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين ، فاستطاع أن يضغط فيه فصولاً قيمة فى الخلق وتكوينه ، والسلوك ، والضمير والمثل الأعلى ، والقياس والمقاييس الخلقية ... الخ فى عبارة جيدة ، وعرض جميل ... ولولا مغالاة الأستاذ المؤلف فى ضغط هذه البحوث حتى أصبحت بالبحوث المدرسية أشبه منها بالبحوث الحرة لكان الكتاب خيراً مما هو . ولعل هذه الإشارة تحفز الأستاذ إلى إطرافنا بتوسيع كتابه ليخلص لنا منه سفر قيم . والأستاذ محمد يوسف موسى من المؤلفين المعروفين بحسن اطلاعهم على الفلسفة الإسلامية خاصة ، وكتابه : فلسفة الأخلاق فى الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية ، هو من أمتع الكتب فى موضوعه ، وهو آية على اجتهاد الأستاذ وحسن فهمه لما يكتب . وكتابه الثالث : تاريخ الأخلاق آية ثالثة على مقدار ما ساهم به فى التأليف الفلسفى فى نهضتنا الفكرية الحديثة «د خ»

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

12 me Année No. 572

Lundi - 19 - 6 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٧٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٩ يونية سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة
٥٠١ وسائل الوحدة العربية ومقاصدها ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
٥٠٤ بعث القديم ... ... : الدكتور محمد مندور ..
٥٠٧ رسائل التعليقات للرصافي : الأستاذ دريني خشبة ..
٥١٠ التناقض في كتاب « النثر الفني » ... ... : الأستاذ محمد أحمد الغمراوي
٥١٢ كل يوم لنا عتاب جديد : الدكتور زكي مبارك .. .
٥١٤ في معرض الفن ... . . : الأديب نصري عطا الله سوس
٥١٧ نقل الأديب .. . . : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٥١٨ البخلاء . . . [قصيدة] : الأستاذ علي الجندي ... . .
٥١٨ أغنية روح « : الأديب إبراهيم محمد نجا ...
٥١٩ إلى الأستاذ عبد المتعال الصعيدي ... ... : السيد محمد عزة ... ...
٥٢٠ في القيافة ... . : الأستاذ محمد محمود رضوان ..

وسائل الوحدة العربية ومقاصدها

للدكتور عبد الوهاب عزام

للعرب موطن واحد أو مواطن متصلة، مترامية بين هضب إيران وبحر الظلمات. وسعة هذا الوطن لم توهن الصلات بين أرجائه المتنائية، فكانت متعاونة متواصلة، على حين لم يكن للناس من وسائل الاتصال وطرق التعارف ما كشفت لهم الحضارة الحديثة، وقد خضعت هذه البلاد كلها حيناً، ومعظم البلاد الإسلامية الأخرى لدولة واحدة الكلمة العليا فيها لرجل واحد، يشرف على هذه الأقطار الواسعة ويدبر أمورها العليا. وكأنما زويت للعرب جوانب الأرض فتدانت أطرافها أو كأنها كانت مصورة على خريطة، كما قلت في الخليفة الوليد:

دانت لسطوته البلدان واجتمعت
في همة العرب أقطار وأمصار
كأن ما بين شيخون وقرطبة
على الخريطة للرائين أشبار

فكيف وقد قرب العلم والصناعة ما بين أقطار العالم كله، وصار ما بين مشرق الأرض ومغربها أيسر على المسافر وأقرب مما كان قديماً بين أرجاء القطر الواحد. كيف وقد صار الإنسان

يسمع الإنسان يتكلم فى أقصى الأرض ، ويعرف الأحداث التى تقع فى أبعد الممالك أسرع مما كان القدماء يعرفون أحداث المدينة الواحدة

لقد طويت المسافات والأوقات ، وتدانت الأبعاد والآماد . فما سعة الوطن العربى بحائلة دون اتصال أقطاره وتعارفها وتعاونها وتآخيها .

ولهذا الوطن الشاسع لغة وأدب وتاريخ وثقافة ، كانت وما تزال على تطاول العصور ، وتنائى الديار ، واحدة أو كالواحدة . فأما اللغة فقد بقيت لغةُ القرآن شائعة فى هذه الأقطار مسيطرة عليها ، فنشأ ما نشأ من اللغات المحلية أو العامية ، ودامت اللغة العربية ملتقى عقولهم وعواطفهم ، وترجمانَ آمالهم وآلامهم ، ووسيلة تفاهمهم وتعارفهم . فما يلتقى عربى بعربى مهما تباعدت ديارهما إلا ارتفعا قليلاً عن لغتيهما المحليتين إلى العربية الجامعة الواسعة فتحدثا بها ، وتعارفا بما علمتهما العربية من قبل من تاريخ وأدب وما طبعتهما عليه من عواطف وآداب ، وكأنهما أخوانِ فرقت بينهما الحادثات حيناً ثم اجتمعا .

وإذا تحدثا فى التاريخ رجعا إلى أواصر جامعة ، ومفاخر مشتركة . فإذا ذكرا خليفة أو ملكا أو أديباً أو شاعراً أو كاتباً أو متكلما أو محدثاً أو مفسراً أو فقيهاً أو فيلسوفاً ذكرا رجالا ليس أحدهما أولى بهم من الآخر ، وسمع كل من أخيه ما يعرفه أو ما يسره أن يعرفه من تاريخه ، وإذا تحدثا فى الحاضر فبينهما على العلات عواطف مولِّفة ، وثقافة مقرِّبة ، اجتمع على تأليفها الماضى والحاضر . وكثيراً ما لقينا العرب من غير ديارنا فى أوطان عربية وغير عربية فما تناكرت الوجوه ، ولا تقاطعت الألسن ، ولا تباعدت العواطف ، ولا اختلفت المعارف إلا بمقدار ما تختلف معارف رجل عن أخيه فى المملكة الواحدة والبلد الواحد

هـذا ولم يعمل العرب اليوم لنشر ثقافتهم بينهم ، وإشاعة أدبهم فيهم ، والتقريب بين عقولهم وقلوبهم ، وإنما هو ميراث التاريخ الذى لم تقو الخطوب على تفريقه ، ورباط الماضى الذى لم تجرؤ العصور على تمزيقه . فكيف إذا مهدت السبل واتخذت الوسائل لتعريف العرب بثقافتهم الموروثة وإمدادهم بثقافة جديدة مشتقة من تاريخهم وأوطانهم ، مستمدة من كل ما أخرجته عقول البشر فى الشرق والغرب . كيف إذا اجتمع علماء العرب على نشر ثقافتهم القديمة مهذبة مرتبة موضحة ميسرة ، واتفقوا على إشاعة ثقافة حديثة ملائمة بيئاتهم وأحوالهم ، ثم اتخذوا فى نشر هذه وتلك وسائل النشر الحديثة . إن الكتاب ليؤلف اليوم فى القاهرة أو دمشق فيقرأ فى بغداد بعد قليل ويقرأ فى المغرب بعد حين على كثرة ما وضع من الفواصل التى أريد بها قطع المغرب عن سائر بلاد العرب . فكيف إذا نظمت الحكومات والجماعات وسائل التعليم والنشر ، ورفعت العوائق وأزالت العقبات ، وتوسلت بما يعرف العالم اليوم من وسائل . إن العالم العربى ليصير إذن بلداً واحداً فى ثقافته وتربيته إلا ما تقضى به البيئة من اختلاف بين الأقطار وبين أرجاء القطر الواحد غير مضر بالأواصر ولا مخلّ بالثقافة المشتركة

والحق أننا حين نتحدث فى التقريب بين بلاد العرب أو التأليف بينها لا نحاول أن نخلق أو نضع أواصر وروابط ولا أن نحتال بالأوهام إلى مقاصدنا ولكنها الحقائق الماثلة ، والأواصر القائمة التى غفلنا عنها حيناً فما وهنت ، وحاول الزمان إنكارها فما خفيت ، وعالجتها الحادثات لتزيلها فما قدرت . إنها خلق الله ومن يغير على الله خلقه ، وإنها سنة الله ومن يبدل على الله سنته . وإنها الحق الذى لا يملك الباطل له تحويلاً ، والتاريخ الذى لا تستطيع الخُدَع فيه تأويلاً

بين البلاد العربية من الروابط والأواصر والعواطف ما بين كل أمة موحدة قوية ، وفيها من الآمال والمقاصد ما لكل أمة عزيزة طامحة ، ولكن ينقصها التهذيب والتدبير والتنظيم والتوضيح . ولهذه كلها وسائلها وهى يسيرة إن صحت عقولنا ونشطت أيدينا

لقد دعا العرب منذ سنوات إلى الاحتفال بذكرى أبى الطيب المتنبى . فاجتمع أدباء من الأقطار العربية فى دمشق ، وتجاوبت البلاد العربية كلها بهذه الدعوة ، واحتفلت بهذه الذكرى ، فلم يخل قطر بين دجلة والمحيط الأطلسى من احتفال بالمتنبى وكتابة عنه ، وإعراب عن عواطف العرب بشعره . هذا ولم تكن الوسائل الكافية قد اتخذت للاحتفال بالشاعر الكبير ، ولكنها كانت دعوة صادفت نفوساً متعارفة ، وقلوباً متآلفة قد غذاها

أدب واحد وأيدها تاريخ واحد ، والبلاد العربية تدعو اليوم إلى الاحتفال بأبي العلاء المعرى هذا العام . وكل أدباء العرب سواء في الاهتمام به ، والدعوة إلى إعظامه . وسيكون احتفال المعرى ، مرآة لوحدة الثقافة في البلاد العربية

هذه الأواصر والوشائج الطبيعية والتاريخية التي تربط بين بلاد العرب لا تعمل عملها إلا إذا عنينا بها فأحكمناها ، وأزلنا العوائق من طرقها ، ووجهناها إلى الغاية المرجوّة وأحسنا الانتفاع بها . وإلا بقيت كقوانين الطبيعة التي لا يهتدى إليها أو المعادن الغنية التي لا يستخرج ما فيها ، أو الأشجار العظيمة التي لا تجنى ثمراتها ، أو الأنهار الزاخرة التي لا يُستقى ماؤها . إن النيل ودجلة والفرات وبَرَدى وأنهاراً أخرى صغيرة تجرى في بلاد العرب ولكنها لا تسقيها حتى يسيطر الإنسان على مجاريها ويحوز مياهها ويسوقها إلى الأرض بالسدود والقنوات . وكذلكم هذه الأفكار التي في عقولنا والعواطف التي في قلوبنا والآمال التي في نفوسنا ، والقوى التي في أيدينا ، وكل ما عندنا وما نستحدث من علم وأدب وخلق كلها تحتاج إلى العناية والرعاية والتوجيه والاستثمار . فنحن في حاجة إلى مؤتمرات للائتمار بيننا في التعليم والتربية والاقتصاد وشؤون كثيرة ، ثم اتخاذ الوسائل التي تؤدى بنا إلى ما نؤمل من اتفاق وتعاون على بناء حضارتنا على قواعد وطيدة ، والسير إلى مقاصدنا على خطط سديدة . على أن نأخذ للأمور أهبتها ، ونعد لها عدتها ، ونعرف المقاصد ونخط الوسائل على بيّنة من أمرنا ، وبصر بحاجاتنا ، واعتداد بأنفسنا فنخلق من بيئتنا وتاريخنا وأحوالنا وأخلاقنا حضارة فيها من تاريخنا سمات ، وعليها من أيدينا علامات ، فليس كرامة أن تقلّد ولا تبتدع ، وليس حياة أن تستعير من غيرك لباسه ، وتستجديه طعامه ، وتأخذ منه حليتك وزينتك ثم تزعم أنك نظيره ، ولكن الحياة فكر ونصب وعمل ودأب وخَلق واختراع واعتداد بالنفس واعتزاز بها ، وأن تشيد بناءك بيدك لنفسك ثم للناس . إنما الحياة أن يكون للأمة على الأرض آثارها ، وسماتها وخصائصها . ولا حرج من بعد أن تأخذ من الأمم وتعطى ، ثم تعاون البشر كافة على حضارة إنسانية جامعة

وبعد فعلى الذين يهيمنون على شؤون العرب من رؤساء وزعماء وعلماء وأدباء أن يخطوا للأخلاق خططها كما يخطون للمعارف والصناعات وغيرها . فما ترتفع لأمة بناء على غير قواعد من أخلاق قوية صحيحة فاضلة . ولا يستقيم لها في الحياة منهاج إلا على هدى الفضائل والمكارم . إننا وقد أخذتنا الفتن والمحن ، وألقت علينا الحوادث أعباء باهظة لا نستطيع أن نثبت ونجدّ إلا بمُدد من الأخلاق وأسلحة من الفضائل . ويخشى أن نفتن عن أنفسنا فنضل طريقنا ، ونفقد سجايانا ثم لا يردنا إليها الجهاد الطويل ، والجد الدائم والندم الضائع وقديماً قال شاعرنا العربى :

ما تنسج الأيدى يبيد وإنما ... يبقى لنا ما تنسج الأخلاق

وحديثاً قال شاعرنا شوقي :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فليحسن سادتنا وقادتنا القيام على أخلاق هـذه الأمة ، وليحسن الشعراء والكتاب تربيتها وتغذيتها وليجنبونا كل فكرة سقيمة ، وكل معنى عليل ، ليجنبونا الألفاظ الرخوة والمعانى الدنيئة ، فلا يهبطوا بشبابنا إلى الدرك الأسفل حيث تموت الهمم ، وتخمد العزائم ، وليسموا بهم إلى المثل التي تطمح إليها النفوس الأبية القوية الطامحة

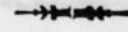
أمامنا تجاربنا وتجارب الأمم ، فلنعتبر ونتعظ ، فالسعيد من وعظته الحوادث وأخذ من الأيام العبر ، واهتدى بهدى التاريخ ، واستمع لنصائح الزمان . إن الزمان يسرع ، والحوادث تتوالى ، والأعمار تمضى ، والتاريخ يسجل والأجيال تقرأ ، فليسرع بنا التفكير والتدبير ولتُحكم الأقوال والأفعال ، لنساير الزمان بكفايته من الأهبة ، ونلقى التاريخ بملئه من العمل الصالح ، والمجد الباقى

وبعد فالعرب اليوم ، على علاتهم ، فيهم من العقول والأخلاق وبينهم من الروابط والعواطف ، ولهم من التاريخ والمكانة ما يؤلف أمة قوية رشيدة عزيزة كريمة فاضلة . وليس لمسير القافلة إلا أن يبين الطريق وتصلصل الأجراس

وليست دعوة العرب إلا إلى الكرامة والعزة وإلى الخير والحق والوئام والسلام . وليست نيتهم إلا الخير للناس جميعاً . لا يريدون إلا أن يتخذوا مكانهم بين الأمم ، ويؤدوا نصيبهم

بعث القديم

للدكتور محمد مندور



ليس من شك فى أن ثقافتنا الحديثة تقوم كما قلنا فى المقال السابق على أساسين : بعث التراث العربى القديم والأخذ عن أوربا ، ولقد كان للحملة الفرنسية فى ذلك أبلغ الأثر وذلك لأمرين : نقل الطباعة إلى مصر وفتح منافذ بلادنا على العالم الغربى . ولا ريب فى أن عودة الفرنسيين إلى بلادهم حاملين آلات الطباعة التى كانوا قد أتوا بها إلى مصر قد أخر نهضتنا الثقافية ما يقرب من جيل ، وذلك لأننا لم نستطع أن نستخدم الطباعة بعد ذلك إلا فى سنة ١٨٢٢ أى بعد الحملة الفرنسية بعشرين عاماً ، وإذا ذكرنا أن حركة البعث العلمى فى أوربا لم تصب ما أصابت من نجاح فى القرن السادس عشر بعد الميلاد إلا بفضل تلك الطباعة ، أدركنا أن نهضتنا الثقافية الواسعة لم تبدأ فى حقيقة الأمر إلا منذ استخدامنا لآلات الطباعة على نحو مطرد أى منذ سنة ١٨٢٢ كما قلنا ، وإنه وإن تكن الجمعيات العلمية التى ألفت لنشر الكتب لم تتكون فى حقيقة الأمر إلا بعد ذلك بكثير ؛ فجمعية المعارف التى أسسها محمد عارف باشا لا ترجع إلى أبعد من سنة ١٨٦٠ وهى تشبه فى تكوينها إلى حد بعيد لجنة التأليف القائمة الآن وشركة طبع الكتب العربية التى كان من أعضائها حسن باشا عاصم وأحمد بك تيمور لم تتأسس إلا سنة ١٨٩٨ ؛ إلا أن حركة البعث أقدم من ذلك بكثير فهى لم تنتظر تكوين الجمعيات لتبدأ ، ولعل انتشار الأفكار الأوربية بفضل أعضاء البعثات كان من أهم الدوافع لذلك البعث ، فرجل كرفاعة الطهطاوى قد فطن بلا ريب أثناء إقامته بفرنسا إلى أن النهضة الأوربية التى رآها قد ابتدأت بحركة بعث قوية للآداب القديمة لاتينية ويونانية ، ولهذا كان يؤمن بأن نهضة بلادنا لا يمكن أن تعتمد على النقل عن أوربا فحسب ، بل يجب أن تعنى إلى جانب ذلك ببعث القديم العربى

ولقد ظهرت آثار هذا البعث فى الشعر قبل ظهورها فى النثر ، وأكبر شخصية تمثل بعث الشعر هى بلا شك شخصية محمود سامى البارودى ، وتلك ظاهرة من اليسير فهمها ، فالنثر الذى كان شائعاً عندئذ لم يعد أن يكون : إما نثراً تعبيرياً يستخدم فى التأليف العلمى أو فى الصحافة ، وإما نثراً شخصياً كالذى نجده فى الرسائل ، والنوع الأول لم يكن يخلو من عجمة فى الصحف ومن نزعة للجدل والتعقيد فى التأليف . والنثر الشخصى ظل نثراً مسجوعاً لفظياً متكلفاً حتى عند أولئك الكتاب الذين نمت ثقافتهم حتى امتلكوا أفكاراً يغنيهم جمالها أو عمقها عن تزويق اللفظ كالأستاذ الإمام الذى ظل يكتب بالأسلوبين معاً ، أسلوب التأليف وأسلوب الرسائل

وفى الحق إننا لا نعرف أسلوباً يتميز به الأدب الحديث بأضيق معانيه غير أسلوب القصة ، فهى أكبر مظهر من مظاهر الأدب الحديث ، وليس بخاف أن القصة حديثة العهد ببلادنا وهى بمجرد ظهورها أخذت تغذى السجع بمادة الفكر وتنقله من التفاهة إلى الجد ، وهذا واضح فى حديث عيسى بن هشام ؛ فأسلوب المويلحى رغم حرصه على أوجه العبارة البلاغية لا يخلو من فكر وإحساس صادقين ، وذلك لأن القصة بطبيعتها تقدم

فى الحضارة الإنسانية ، ويوفوا دينهم للتاريخ . ولن يكونوا إلا كما كانوا من قبل أنصار حق ودعاة أخوة وبناة مدنية وأئمة يهدون إلى الحق وبه يعدلون . ليست دعوة العرب عدواناً على أحد ولا عِداء لأحد ، وإنما هى دعوة الأمة الكريمة العزيزة العادلة التى تعرف ما يجب عليها لنفسها وللناس ، وتحرص على أن تحمل ما هى أهل له من الإعباء ، وتشيد ما هى جديرة به من المكارم ، وتأخذ حقوقها وتؤدى واجباتها على سَنَن بيّن من العدل والإحسان ، وخطة قويمة من الهدى والرشد . والله المسؤول أن يهيئ لها من كل أمر رشدا

عبد الوهاب عزام

للكاتب مادة ، وكل مادة تحتاج إلى العبارة عنها ، فيأتى الأسلوب محملاً بتلك المادة

ومنذ أن خطا أسلوب النثر تلك الخطوة أخذ يشيع فى غير القصص حتى امتد إلى المقالة أو الموضوع القصير على نحو ما نجد عند السيد توفيق البكرى الذى جمع فى أسلوبه بين الصنعة اللفظية وجمال الصور الخيالية وصدق الإحساس أو أصالة الرأى . ولكننا رغم كل ذلك لا نستطيع أن نقول إن النثر قد وصل عندئذ إلى ما لم يكن بد من أن يصل إليه ليجارى النثر الأوروبى فيصبح تعبيراً مباشراً عن فكر غنى أو إحساس صادق ثم يتسم رغم مباشرته بصفات الأدب كعمل فنى ، وتلك مرحلة لم نصل إليها إلا فى القرن العشرين . وليس من شك فى أن السيد مصطفى لطفى المنفلوطى هو الذى خطا بنثرنا إلى تلك المرحلة الأخيرة . ومنذ ظهور هـذا الكاتب العظيم لم يلبث النثر أن استحصد حتى سبق الشعر

واليوم ننظر فى نثرنا فنرى تيارين كبيرين ينطوى فى أثناء أحدهما المويلحى والبكرى ومصطفى صادق الرافعى واحمد حسن الزيات على اختلاف فى الأمزجة وعمق التفكير أو الإحساس ، ولكنهم يجتمعون معاً فى خاصية واحدة ، هى أنهم وإن يكونوا أبعد من أن يمثلوا فى شىء اللفظية التى سادت فى عصور مصر الإسلامية المتأخرة ، إلا أنهم رغم ذلك يحرصون على تجويد العبارة تجويداً فنياً ، ويخضعون الفكر أو الإحساس لطرق الأداء حتى ليأخذك فى أدبهم جمال الصياغة قبل أصالة الموضوع ، أو تحس بأن تلك الأصالة قد اضطرتهم إليها أصول الأسلوب التى ينتهجونها

والتيار الثانى يبتدىء كما قلنا بالمنفلوطى ، ذلك الرجل المرهف الإحساس العذب الأسلوب . ذلك الكاتب الذى غذى أجيال الشباب الناهضة أجمل الغذاء ، وبلغ من التأثير فى نفوسهم ما لم يكد يبلغه كاتب آخر . ولقد كان لعدم معرفة هـذا الكاتب باللغات الأجنبية معرفة تعمق وإحساس ، ما احتفظ لأسلوبه بالسلاسة العربية الصافية . وأما غيره من كتاب هذا التيار فلن تعدم أن تجد فى أسلوبهم آثاراً واضحة للتأثر باللغات الأجنبية ، وما نظننا فى حاجة إلى أن ندل على ما فى أسلوب كاتب كبير كطه حسين من تأثر واضح بطرق الأداء الفرنسية

وأما الشعر فقد سبق النثر — كما قلنا — إلى التحلل من سخافات الصنعة اللفظية وتفاهة المادة ، وسر هذا التحرر يرجع إلى بعث الشعر العربى القديم من جهة ، وإلى طبيعة هذا النوع من الأدب من جهة أخرى ، فنحن نلاحظ أن البارودى قد سلك إلى تكوين مذهبه الشعرى نفس المسلك الذى سلكه من قبل أبو تمام ، فالشاعر العباسى قد كان دائم القراءة للشعر القديم والاختيار منه ، حتى قالوا إنه قد ألف ثمانية أنواع من المختارات ، ولا يزال بين أيدينا ديوان الحماسة شاهداً بأن هذا الشاعر كان أحسن اختياراً وتذوقاً للشعر منه خلقا له . وكذلك فعل البارودى ، فمختاراته تضم جانباً كبيراً من خير ما خلف العرب . وشعر البارودى نفسه شديد الشبه بشعر المتنبى ، كما أن شعر صبرى باشا يكاد يحكى شعر البحترى ، وفى هذه الحقائق ما لا يدع مجالاً للشك فى أن نهضة الشعر الحديث عندنا إنما قامت على بعث القديم ومحاكاته

وموضع التساؤل هو : كيف يستطيع شعر يقوم على محاكاة القديم أن يعبر عن حياة جديدة ؟

هذه المشكلة سبق أن واجهها الأدب العربى واقتتل حولها النقاد والشعراء ، ففى العصر العباسى سخر أبو نواس من الدمن والأطلال وبكاء دعد وإسعاد الرفيق وإلف الناقة ، وظنه تجديداً أن يخرج على تلك الأوضاع ليغازل الخمر ويداعب الغلمان ويصف القصور والحدائق . وهذه النظرية وإن تكن لها وجاهة الظاهر ، إلا أنها فى الحقيقة لا تعدو أن تكون وجاهة سطحية ، فالفن ليس بهيا كله ، وإنما هو بروحه وصياغته ، ولا أدل على ذلك من أننا لا نزال إلى اليوم نؤمن بأن خير ما خلف العرب من شعر هو لا ريب الحنين إلى الديار ، وذلك لأن هذا الحنين وإن لم يمت إلى تجاربنا الحاضرة بسبب من واقع الحياة ، إلا أنه يرمز

فى حقيقة الأمر إلى مشاعر إنسانية عامة ، لا تزال ولن تزال من أجل ما تحمل من مشاعر ، فهو يثير فى النفس شعور الإلف والحنين إلى الماضى ، والتعلق بالأمكنة التى لا ريب لها أرواح تعلق بأرواحنا فتحملها على المحبة . والإحساس بالأمكنة وما تحوى من ذكريات ومسرات وآلام من أخصب منابع الأدب . ونحن بعد لا نحتاج إلى أن نمارس بالفعل كل التجارب التى نتحدث عنها فى أدبنا ، وإلا كنا فقراء الخيال . ومن يستطيع أن يزعم أن كاتباً أو شاعراً ما قد بلا بنفسه كل ما يتحدث عنه ؟ وهل ننسى أن جانباً كبيراً من آداب العالم أجمع لا يمثل ما عاشه كتابه بالفعل ، بل ما ودوا أن لو عاشوه ؟ والواقع والخيال يرجعان بعد فى الأدب الصادق إلى منبع واحد، هو القلب البشرى . وأساس النجاح هو أن يستثير الكاتب فينا إحساساً حقيقياً ، سواء أكان ذلك الإحساس التفاتة إلى ماض عرفناه ، أو تلهفاً إلى مستقبل نود أن نعرفه ، أو مزيجاً منهما

وإذن فعندما نسمع الشاعر الذى يقول :

ألا أيها الوادى الذى ضم سيله

إلينا نوى ظمياء ، حييت واديا !

لا نملك إلا أن نهتز ، ولو لم نر فى حياتنا سيلا ولا وادياً ولا عرفنا ظمياء

والشعر القديم أمس قرباً بالروح الشعرية بحكم موضوعه وصياغته ، فالطلل والناقة أحب إلى النفس من القصر والسيارة . الطلل يستثير معنى الفناء ، ونحن البشر لا يحركنا معنى أكثر مما يحركنا هـذا المعنى . وإن كان من نعم الله أننا ننساه أغلب الوقت ، وربما كان فى هـذه الحقيقة ما يزيده قوة حينما يثار . والناقة حيوان أليف صبور ودود ، ولا كذلك الآلة الصماء ، وصياغة الشعر القديم كموضوعاته ألصق ما تكون بحقيقة الفن . الشعر الجاهلى يجمع على نحو رائع شاعرية الروح وواقعية العبارة ، حتى ترى صورة مادية قريبة مأخوذة من واقع الحيـــاة وقد خلت من كل تكلف فاسد

لقد ابتدأ البعث الشعرى فى بلادنا إذن بإحياء القديم ، ولكن هذا الإحياء لسوء الحظ قد جنح إلى العصر العباسى ، حتى إننا لا نزال إلى اليوم أكثر معرفة ودراسة لأدب ذلك العصر منا للأدب الجاهلى والأموى ، وذلك فيما يبدو لسهولة الأدب العباسى ومشقة الأدب القديم ، ثم لأننا فيما أعتقد لم نصل بعـد من النضوج الفنى إلى حيث نؤمن بتلك الحقيقة الكبيرة التى قال بها من قبل الرجل الصادق الذوق السيد المرصفى من أن خير الأدب العربى الجاهلى والأموى .

ونحن نعتقد أن الإمعان فى دراسة ذلك الأدب الجاهلى وتذوقه هو الوسيلة الوحيدة للخطو بشعرنا التقليدى خطوة جديدة أو على الأقل لصيانته من أن ينقرض أمام تيار الشعر الحديث المستمد من الأدب الغربى

هذه هى مظاهر البعث الأدبى فى مصر المعاصرة أجملناها ، وبقى أن ننظر فى النقل عن أوربا ، وكيف أثر هـذا النقل فيما بعثنا من تراث ، وكيف تفاعل معه ليخلق نوعا جديداً من الحياة الثقافية نخشى أن يكون جانب كبير منها مفتعلا ، ولـكننا نرجئ تفصيل ذلك إلى المقال الآتى

محمد مندور

---

٣ – رسائل التعليقات للرصافي

وحدة الوجود فى الفلسفة اليونانية

للأستاذ دريني خشبة

ذهب الأستاذ الرصافى فى تعليقاته إلى أن « وحدة الوجود » هى شىء لم تعرفه الدنيا قبل الإسلام ، وأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو أول من عرفها ، وأنه لم يذكر منها شيئاً لأصحابه إلا ما لمح به منها لأبى بكر ، وإن يكن قد أشار إليها فى القرآن ، ثم ظلت مجهولة حتى القرن الثانى من الهجرة حينما جهر بها المتصوفة الذين يعدهم الأستاذ وحدهم فلاسفة المسلمين (ص ١٣ – ١٤)

وقبل أن نخوض فى هذا الحديث الذى لم نكن نؤثر أن نعرض له لو لم يدع الأستاذ الرصافى جميع المسلمين إلى الأخذ به ، عائباً عليهم أخذهم بظاهر ما أتاهم الرسول به ، وعدم فهم ما قال « محمد » فى القرآن على أصله ، مستشهداً على غفلة المسلمين بكلام لمستشرق إيطالى جاهل يقول : « إن المسلمين تمسكوا بمتن الإسلام لا بروحه ، فأغمضوا عيونهم على شكل الأحكام التى أتيتها محمد ، وبقوا جامدين عليها ، فلذا بقيت على ما هى عليه من ركود وجمود ، أى بقيت ديناً ابتدائياً لا يتمشى مع كل زمان ؛ وليس ذلك من عمل محمد ، بل هو من عمل المسلمين . . . » ص ٢٠٣ ، داعياً لهذا المستشرق بألا يفض الله فاه لقوله هذا الكلام ... فض الله فاه وأفواه الزنادقة أجمعين !

لولا هذا اللغو الذى يدعونا الرصافى إليه ، ولولا أنه طبعه فى كتاب وزعه وأهدى منه ، لما آثرنا أن نخوض فى إفك نهانا رسول الله عن الخوض فيه حتى لا نهلك . . . ولكن ما الحيلة ونحن نرمى بالجمود والدعوة إلى الحجر على حرية الفكر إذا دعونا إلى محاربة هذا البهتان الذى شاع فى الدولة العباسية ؛ فكان فى شيوعه القضاء على أمجاد المسلمين الفكرية والسياسية

قبل أن نخوض فى هذا الحديث إذن نحب أن نعود بالأستاذ الرصافى ، هداه الله ، إلى ما قبل الإسلام بقرون عشرة أو نحوها . . . لنستعرض ما كان يراه فلاسفة اليونان فى هذا الوجود ، وذلك منذ أن بدأت الإنسانية تتفلسف تلك الفلسفة التى نعتقها ، وإن تكن هى التى هدتنا إلى الله خالق كل شىء . . . المحيط بكل شىء ، الهادى إلى سواء السبيل . وسنجتهد ألا نلتوى بالقراء فى مهامه تلك الفلسفة اليونانية التى تصور لنا أخصب نضال فكرى فى التاريخ للاهتداء إلى الحق . ومع ذلك فلم يفز الحق منها بشىء : وسنرى أن اليونان فكروا فى وحدة الوجود ، وأن مشكلات هذه الوحدة كانت تتعقد فى رؤوس فلاسفتهم تعقداً يقف عند أصول مضحكة ، لأنها مزيج من خيبة الرجاء ، ومن الخبط فى ظلمات لم يحن الحين للتفكير الإنسانى أن يستجلى أسرارها . ومع أنه من الجرأة أن نلخص هذه الأفكار المتضاربة فى عمود أو عمودين من أعمدة هذه المجلة ، إلا أننا مضطرون إلى ذلك ، لنضحك آخر الأمر على وحدة الوجود التى تملأ أدمغة متصوفينا ، كما ضحكنا أياماً ونحن نكب على الفلسفة اليونانية نتأملها ونتدارسها عسى أن تهدينا إلى شىء نفرح به

١ – فكر طاليس فى نشأة الموجودات ، حية وجامدة ، فزعم أنها نشأت من الرطوبة(١) ولكن كيف نشأت ؟ هذا ما لم يستطع طاليس أن يفسره

٢ – ثم زعم تلميذه أنجزماندر أنها خلقت من مادة غير معينة ولا محدودة(٢) ، وذلك بالانفصال عنها ، ثم قضى الله عليها بالفناء فى تلك المادة ثانية للأنانية التى أبدتها فى أن تكون لها حياتها المستقلة !

٣ – ثم زعم أنجزيمنس أنها البخار Vapour—âap ، وأن الأشياء قد خلقت منه ، إما بالتكاثف (السحاب والماء والتراب) أو بالتخلخل (النار والشموس) !

٤ – ثم جاء فيثاغورس وأتباعه الذين اقتدوا بأورفيوس الموسيقى فى تقشفه وزهده واتخذوا البياض شعاراً لهم وسموا إلى تطهير النفس من أدران المادة بالتفكير الفلسفى فزعموا أن الأشياء قد خلقت من العَدَد (!!) وملأوا فلسفتهم

(١) Moisture (٢) Infinite Undefined

بالألغاز التي لا يفهمها من ليس من طائفتهم

٥ — ثم كان أجزنوفانس المنشد الذى ثار بأساطير هومر الإلهية ودعا الناس إلى عبادة الله الواحد الذى ليس كمثله شىء والذى تنزه عن الأعضاء ، فهو سميع كله سمع ، وبصير كله بصر وعاقل كله عقل .. موجود فى كل الوجود Omnipresent إلا أنه كان يؤمن بأن الله (حال) فى العالم ، وأنه ليس شيئاً غيره ، وهو لذلك أول قائل بوحدة الوجود

٦ — ثم جاء بارمنيدس فأنكر كل ما تدركه الحواس ولم يؤمن إلا بما يدركه العقل ، وذهب إلى أن كل شىء غير الوجود — الكينونة ! — خداع ووهم ، لأن المحسات كلها فانية والوجود وحده هو الأزلى الخالد ، إلا أنه عاد فاعترف بكرّية الوجود وأنه يشغل مكاناً وفى ذلك اعتراف ضمنى بمادية الوجود ... !

٧ — ويؤيد الفيلسوف زينو ما ذهب إليه بارمنيدس ، وينكر الحسيات والتعدد والحركة (وسبحان واهب العقول !) فكأنما العالم عند هؤلاء عالمان ، عالم الوجود المنوى ، وعالم الوهم (اللاوجود) الحسى — أما ما هى العلاقة بين العالمين فلم يحاولوا تبيانها

٨ — ويجىء هرقليطس فينقض آراء من تقدموه ، ويعترف بالتقاء عالمى الوجود واللاوجود ، بل بالتقاء المتناقضات كلها ، محتجاً بأن التناقض هو فى نظرنا فحسب ، ثم يرتأى أن العالم كله مخلوق من النار ، وأنه دائم التحول لا يثبت على حال واحدة لحظة واحدة ، وأن العقل الإنسانى والحياة الإنسانية هما قبضة من تلك النار تشتعل بالحواس والتنفس — ودوام التحول هو دوام الاشتعال nûp ، إلى أعلى way up وإلى أسفل way down الخ

٩ — ثم يأتى إميذوكلس فيرد المخلوقات إلى أربعة جذور (عناصر !) : التراب والماء والهواء والنار ، ويزعم أنها لا تتغير فى طبيعتها وأن الذى يقوم بالاتصال بينها هو الحب (الجاذبية) وأن الذى يقوم بالانفصال بينها هو البغض (التنافر) . ويتناوب الحب والبغض تجميع العناصر وتفريقها إلى الأبد ، فمرة ينتصر الحب فيصير الكون كله مزيجاً « وحدة » وأخرى ينتصر البغض فتتفرق العناصر

١٠ — وتأتى نوبة الذريين ، فيقول ديمقريطس [1] إن العالم يتركب من ذرات seeds يدفع بعضها بعضاً ، خبط عشواء (!!) فيناقضه أناجزا جوراس الذى يقول بتعدد العناصر وبوجود قوة عاقلة مدبرة حكيمة هى « العقل » أو ما يسميه هو Noös تتولى تحريك تلك العناصر وتوجيهها وجهة غائية صالحة تضمن جمال الكون ونظامه ، إلا أنه يعتقد قدم العقل والعناصر على السواء وأن أحدهما لم يخلق الآخر ، وإن حرك العقل العناصر وألف معها « وحدة الوجود ! » — ومع ذلك فقد ظل اثنينياً آخر الأمر

١١ — ويأتى « دور » السوفسطائيين الذين يعنون بالحياة العملية ، ويهملون الفلسفة النظرية ، وزهدوا فى المناقشة حول الآلهة ... ويقول أحدهم « بروتاجوراس » : « إننى لا أستطيع أن أقرر إن كانوا موجودين أو غير موجودين ، كما لا أستطيع أن أستبين صورهم ، وإن حياتنا القصيرة لا تساعدنا على معرفتهم معرفة صحيحة لشدة الغموض الذى يكتنفهم ! » وبهذا أثاروا الشكوك وزعزعوا العقائد ، وإن خدموا الثقافة خدمة جليلة .

١٢ — ويصلح سقراط ما أفسده السفسطائيون ، وينشىء نظرية المعرفة القائمة على الإدراكات العقلية والمعانى الكلية ، والتى جعلها أساساً للفضيلة كما جعل الجهل أساساً لكل الشرور ، وتجاهل عواطف المرء وشهواته ؛ فكانت نقطة الضعف فى فلسفته التى ردت إلى الناس إيمانهم بالحقائق الخارجية على أساس ثابت غير الأساس القديم الساذج الذى هدمه السوفسطائيون . وقد انقسم أتباع سقراط بعد موته إلى طوائف ثلاث ، فانصرف الكلبيون عن زخرفة الحياة وآثروا التقشف ، وزهدوا فى العلوم والفنون . بل دعوا إلى الجهل مكتفين بالفضيلة التى تكفل لهم السعادة ! أما القورينيون فقد خالفوا الكلبيين فى طريق الوصول إلى الفضيلة ولم يروا السعادة فى الزهد والتقشف ، بل رأوها فى اللذة والاستمتاع بكل ما تصبو إليه النفس فى حدود الاعتدال حتى لا تكون النتيجة شراً ، وكلما كانت اللذة حسية كانت فى نظرهم أضمن جلباً للسعادة من اللذة الذهنية ، ولهم فى شرح اللذات كلام طويل عجيب — أما الميجاريون فقد

(١) أسقطنا من السلسلة أستاذه الفيلسوف ليكيبوس وإن يكن هو صاحب النظرية

نشدوا السعادة — أعنى لفضيلة — فى حياة التأمل والمعرفة — فى التعمق الفلسفى ، واستكناه حقيقة هذا الوجود

١٣ — ثم كانت نظرية المثل التى قال بها أفلاطون ، وأن لكل شئ مثالاً من الكمال مجرداً من الحس يسمو إليه ، فهو يجعل المثل ذوات مستقلة عن الأشياء لها وجود قائم بنفسه ، وجعل مثال الخير أساس جميع المثل : ومع أن أفلاطون يعترف بوجود إله خلق العالم ويحكم ويدبر أموره فهو يتردد بين الوحدانية والتعدد ، ولا يحدد العلاقة بين الله ومثال الخير ؛ والعالم عند أفلاطون عالمان . عالم الحقيقة وهو عالم المثل ، وعالم الظواهر وهو هذ العالم المحس ، وهو صورة لعالم المثل . ثم هو يؤمن بالتناسخ ، فتعود النفس السعيدة إلى عالم المثل وتبقى فيه حقبة ثم تعود فتحل فى إنسان آخر ؛ فإن كانت شقية عذبت قليلاً ثم حلت فى جسم مخلوق وضيع ، والسعادة عند أفلاطون هى الإحاطة بعالم المثل ، وفهم العلاقة بين المثل والمحسوسات والتمتع بالمتع البريئة ، ثم تحصيل أكبر قدر من الثقافات ، ونرانا من أفلاطون أمام ثالوث عجيب : المادة ، والمثل ، والله ، وكلها قديم . وهذا هو الضلال

١٤ — وقد نقد أرسطو نظرية المثل وهدمها من أساسها لما خلق أفلاطون من هذا العالم الخيالى الذى يوازى هذا العالم المدرك ، ولأنه لم يستطع تعليل كليهما ولا تعليل الحركة فى العالم الثانى . وقد رأى أرسطو أن سبب هذه البلبلة فى أفكار الفلاسفة هو عدم وجود قواعد ثابتة تضبط أفكارهم وكلامهم فاخترع المنطق لهذا الغرض . وقد عرض لمسألة الله وخلق العالم فنفى الزمنية بينهما ، بل جعلهما مقترنين ، اقتران المقدمة بالنتيجة ، فلم يكن الله أولاً ثم كان العالم . وبهذا كان العالم قديماً عند أرسطو ... والله عنده هو الكمال المطلق والعلة الصورية الغائية التى تحرك هذا العالم بجذبه إليه . وهذا هو الترقى ، اقتراب العالم من الكمال المطلق ... وما دام العالم قديماً فهو لا أول له ... وكذلك لا نهاية له . . . واضطرب أرسطو فى تصور ذات الله ، هل له وجود مستقل مشخص ، أم ليس له هذا الوجود المشخص المستقل ؟ فقول أرسطو مرة إن الله يحيا فى سعادة أبدية ، وأنه هو الوجود المطلق يدل على التشخيص والوجود المستقل ؛ ولكن تعبيره عنه مرة أخرى بأنه هو الصورة المجردة يعنى أنه من مادة لا وجود لها ... وعلى هذا فلا وجود له إلا هذا الوجود المنوى . وليس بعد هذا اضطراب فى فلسفة العلم الأول الإلهية . أما فلسفته الطبيعية فسليمة لا غبار عليها ، إذ تتبع هذه الفلسفة نشوء العالم من الهيولى إلى الصورة ، وإن فضله درون فى هذا الباب

* * *

وبعد ، فكيف بعد هذا العرض السريع لهذه الناحية من نواحى الفلسفة اليونانية يزعم الأستاذ الرصافى أن وحدة الوجود هى شئ إسلامى بحت لم يعرفه إلا محمد ، ثم فلاسفة المتصوفة المسلمين بعد محمد بقرن أو قرنين من الزمان ؟!

ثم ماذا أصاب الفلاسفة اليونانيين من الهلكة والتخبط ، من لدن طاليس أول فلاسفتهم إلى أرسطو أعظم مفكريهم ، بسبب القول باندماج الله فى العالم أو العالم فى الله ... إلا من هدى الله !

أما الرد على الأراجيف التى تنشأ عن هذا الإفك ، فليس هذا أوانه

دريني خشبة

---

٢ - التناقض
في كتاب النثر الفني
للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

إن الأمثلة التي ضربناها لتناقض صاحب الكتاب لا تمثل كل مظاهر فساد التفكير الفاشي في الكتاب، وليست هي كل أمثلة التناقض فيه على الرغم من أن أكثر الكتاب تراجم ونصوص في كثير منها طول، وهذه وتلك تقي بطبيعتها صاحب الكتاب أن يظهر عيوب تفكيره اللهم إلا إذا تطوع بالتعليق

فمن أمثلة وقوعه في التناقض حين يأخذ في التعليق وهو يترجم لرجال القرن الرابع ما وقع في كلامه على ابن شهيد؛ فقد روى لابن شهيد رأياً يناقض صريح رأي زكي مبارك في الأسلوب، وأقره على ذلك الرأي فهدم بذلك رأي نفسه وتناقض من حيث لا يدري. روى له في صفحة ٥١ من الجزء الثاني قوله: «إن للحروف أنساباً وقرابات تبدو في الكلام، فإذا جاور النسيب النسيب، ومازج القريب القريب، طابت الألفة وحسنت الصحبة، وإذا ركبت صور الكلام من تلك حسنت المناظر وطابت المخابر» إلى آخر ما روى له. ثم علق عليه بقوله: «وهذا كلام جيد، وأجوده ما نص فيه على أن للحروف أنساباً وقرابات تبدو في الكلام؛ فإذا جاور النسيب النسيب ومازج القريب القريب طابت الألفة وحسنت الصحبة» وليس لتعليقه هذا معنى إلا أنه يقر للأسلوب بما أنكره مراراً من قبل. فإن تناسب الحروف من صميم الأسلوب أو هو الأسلوب صرفاً، لأنه يتعلق باللفظ والصيغة دون المعنى. فهذا نص لا يستطيع صاحب الكتاب تمحلاً ولا تأويلاً له، يضاف إلى ما ناقض به نفسه سابقاً في أمر الأسلوب، وينقض عرضاً كل ما كتب عن أسلوب القرآن، لأن القرآن الكريم هو المثل الأعلى لهذه الظاهرة البلاغية التي نبه إليها ابن شهيد، وأقرها واستجادها زكي مبارك في غفلة من ذاكرته وهواه. على أن هناك نصوصاً أخرى له غير التي سبق ذكرها ينقض بها مذهب نفسه في الأسلوب وإنكار مكانته قد تأتي لبعضها مناسبة فنذكره

ومما جاء فيه صاحب الكتاب بقول مختلف استقامة ألسنة الأعراب. فهو يقول في صفحة ٥٥ من الجزء الأول: «ورأى من المضحك أن يظن أن العرب لم ينتبهوا إلى وقوع اللحن في لغتهم إلا بعد الإسلام، وأن اتصال العرب بالأعاجم هو الذي رماهم باللحن، كأن لغة العرب بدع من اللغات لا يلحقها تغير ولا تبدل، وذلك رأي واضح البطلان» وهو هنا يخلط بين اللحن وبين التغير الطبيعي الذي يطرأ على اللغة بالتدريج في الدهر الطويل والذي نشأت وتنشأ عنه اللهجات، والذي لا يمكن أن يعد من اللحن بحال. لكن لا علينا، فنحن هنا لا ننظر في صحة نتائجه، ولكن في اتساق تفكيره؛ إذ النتائج قد يرجع بطلانها إلى فساد المقدمات مع اتساق التفكير أو إلى فساد التفكير مع صحة المقدمات، كما قد يرجع طبعاً إلى فسادهما معاً. فلتكن مقدمات صاحب الكتاب ما تكون أفهو متسق التفكير؟

لقد أشار إلى هذه النقطة في موضعين آخرين على الأقل. أشار إليها عرضاً في صفحة ٥٨ من الجزء الأول حين أراد توكيد تأثر نثر الصدر الأول بالمدنيات الأجنبية. قال: «ولا عبرة بما عرف عن فريق من العرب من الحرص على تربية أبنائهم تربية عربية صرفة، فإن هذا لم يكن يراد به صرف الشباب العربي عن فهم المدنيات الأجنبية، وإنما كان يراد به حمايته من العجمة التي كانت تعيب الأرستقراطية العربية، وتجعل صاحبها موضع السخرية بين معاصريه» وهو بهذا يشير طبعاً إلى ما هو معروف عن العصر الأموي من إرسال بعض الأمراء والخلفاء أبناءهم إلى البادية لينشأوا فيها على استقامة اللسان والسلامة من اللحن. لكن اقرأ الآن له من صفحة ٢١ من الجزء الثاني: «فإننا نرتاب في سلامة الأعراب من اللحن والغلط، ونرى أنهم قد يلحنون كما يلحن المولدون»! إذن ففيم كان إرسال الأبناء إلى البادية حماية لهم من العجمة التي كانت تعيب الأرستقراطية العربية؟ لقد كان ذلك عبثاً إن صح رأي صاحب الكتاب في أن الأعراب قد يلحنون كما يلحن المولدون. ولو وقف قول صاحب الكتاب عند هذا لكان

الخلف خفياً بين طرفى أقواله الثلاثة وبين أوسطها ، ولجاز أن يلتمس له شيء من عذر ، لكنه - وهذا موضع العجب - علق على قوله الثالث فى الهامش بما يأتى :

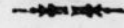
« ويجب أن نذكر أن الشعر الجاهلى والأموى كان يجرى على قواعد من النحو لم تأخذ صيغة نهائية فى التحديد والترتيب ، كما اتفق ذلك فى العصر العباسى ؛ فأغلاط الجاهليين والأمويين ليست أغلاطاً بالقياس إلى لغتهم هم ، وإنما هى أغلاط بالإضافة إلى اللغة التى حدد قواعدها النحويون » ! إذن فلم رميهم باللحن حين لا لحن ما داموا كانوا ينطقون طبق لغتهم هم ، وافقت نحو العصر العباسى أو خالفته ؟ إن هـذا الرجل لا يدرى أنه بقوله هذا قد نفى تطرق اللحن والعجمة إلى الأمويين فى الوقت الذى ينسب فيه الجاهليين إلى اللحن فى صلب كتابه ، ولا يدرى أنه يجعله الشعر الجاهلى والأموى يجرى على نحو رجراج كالذى يدعى ويتوهم يصطدم بالسبب الذى من أجله زعم أن نشأة علم النحو قديمة فى الجاهلية ، ألا هو جرى القرآن « على نمط واحد فى أوضاعه النحوية لا يختلف فى ذلك إلا باختلاف رواته من القبائل المختلفة » إذ كيف يمكن أن يجرى القرآن على نحو واحد ولا يجرى الشعر ؟ وإذا كان القرآن لا يختلف نحوه إلا باختلاف القبائل فلم لا يكون الشعر أيضاً كذلك ؟ إن الرجل يعترف من حيث لا يدرى باطراد النحو فى لغة كل قبيلة ما دام اختلافه من اختلاف القبائل ، ويعترف بأن اللغة فى جملتها تجرى على نحو واحد ما دامت لا تختلف إلا فى المواطن اليسيرة التى تختلف فيها الرواية فى القرآن حسب اختلاف القبائل عند هذا الرجل ، وإذن فلا معنى لترجرج نحو اللغة فى العصر الأموى وانعقاده فى العصر العباسى إلا أن هذا الرجل أراد أن يأتى بجديد يخالف به علماء العربية فوقع فى خلف بعد خلف فى النقطة الواحدة وفى العبارة الواحدة ، سنة الله فى الباطل وأهله

على أنه لا حد فيما يظهر لباطل هذا الرجل ، ولا نهاية لتخبطه ؛ فقد تعرض للقرآن مرة أخرى حين ترجم لابن فارس وحاول نقد آرائه ، لكنه ترقى فى هذه المرة فاقترح أن يفرد للقرآن نحو خاص ! إى والله ! واقرأ له إن شئت من هامش صفحة ٤٢ من الجزء الثانى : (والقرآن يجب أن يفرد له نحو خاص ، وكذلك الأدب الجاهلى والأموى ، ولغات العالم كله تعترف بما يسمى « النحو التاريخى » ونحن فى حاجة إلى ذلك النحو لتوجيه بعض ما يبدو شاذاً من تعابير القرآن) ! أفكان علماء العربية ينتظرون صاحب النثر الفنى حتى يجىء بذلك النحو الخاص لتوجيه « بعض ما يبدو شاذاً من تعابير القرآن » ؟ وفيم كانت علوم العربية كلها إن لم تكن لفهم القرآن وتبيان ما يبدو لهذا الرجل شذوذاً فى القرآن ؟ وشذوذاً عما ذا ؟ عن نحو لغة قريش وهو معترف بأن القرآن يجرى على نمط واحد فى أوضاعه النحوية إلا إذا كان الراوى من قبيلة غير قريش ؟ أم عن نحو لغات القبائل الأخرى وهو يعترف أن لغة القرآن إنما هى لغة قريش ؟ فما الحاجة إلى نحو جديد إذا كان القرآن يجرى — وكان الأدب الجاهلى والأموى يجرى — إما على نحو لغة قريش أو على نحو لغة قبيلة أخرى فى المواطن القليلة التى تختلف فيها القبائل عن لغة قريش ؟ أمن أجل وجود نحو تاريخى للغات العالم ، يريد أن يوجد نحواً تاريخياً للقرآن ؟ إنه إذن لا يفهم ما النحو التاريخى ولا لماذا وجد فى لغات العالم . إن لغات العالم الحاضرة تغيرت بالتدريج عما كانت عليه ولو من قرون قليلة ، فلغة شاكسبير مثلاً غير لغة ماكولى وولز ، ولا أحسب لغة بوالو وراسين عين لغة هوجو وأناتول فرانس . والنحو التاريخى للانجليزية أو الفرنسية يبين الاختلاف الذى طرأ فيما بين ذلك على الانجليزية أو الفرنسية ، فأى شبه بين عربية القرآن والأدب الجاهلى والأموى وبين الإنجليزية أو الفرنسية من هذه الناحية ؟ لو كان هذا الرجل يكتب عن فهم لا عن تقليد ببغائى ، لأدرك أن النحو التاريخى للغة القرآن هو نحو نشأة المدنانية عن أصلها فى ماضى العربية السحيق ، وهذا لو أمكن الوصول إليه لا يفسر ما يبدو لهذا الرجل شذوذاً فى القرآن ، لأنه لا شذوذ هناك إلا إذا كان نحو الجاهلية الأولى هو الأصل وإذن يكون أكثر نحو العربية المعروف شذوذاً ، كما إن أكثر نحو الإنجليزية أو الفرنسية الحاضرة شذوذ بالإضافة إلى نحوهما فى الماضى السحيق . فصاحب النثر الفنى يكتب من غير علم ولا ترو ولا تفكير سديد ، أو هو رجل راكب فى البحث هواه (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)

محمد أحمد الغمراوى

كل يوم لنا عتاب جديد

للدكتور زكي مبارك



قرأت كلمة الأخ الكريم الأستاذ دريني خشبة فرأيته يصرح بأني خاصمت الرسالة وخاصمت الأستاذ الزيات ، لأنهما أطلقا العنان لحرية النشر وحرية الفكر وحرية المجادلة ، فهل يكون معنى هذا أني أحارب تلك الحريات ، وأني أبغض من يتعرضون لنقد ما يصدُر عن قلمي ؟

لا شيء من ذلك ، فهذا الأخ يعرف مبلغ حبي لحرية الرأي ، وإنما أراد أن يتلطف فيدعوني إلى الصلح بذلك الأسلوب الرفيق ، ولعله لو انتظر أياماً لرأى كيف يسعى الأستاذ الزيات إليَّ أو أسعى إليه ، فبيننا أواصر أخوية لا يزلزلها خصام ولا قتال ، ونحن أعقل من أن نختصم بصورة لا ينفع معها صلح ، فالعقل الذي يوحي بمجاملة الأعداء رغبةً في تحويلهم إلى أصدقاء ، لا يقبل أبداً محاربة الأصدقاء ليحوّلهم إلى أعداء

والدنيا لا تسمح في كل يوم بخلق صداقة كالصداقة التي بيني وبين الأستاذ الزيات ، ولعلها لن تسمح أبداً ، فقد تبدلت الدنيا من حال إلى أحوال ، حتى كادت تصيّر الصداقة الصحيحة من ضروب المحال

وما بيني وبين الأستاذ الزيات من الوداد قد تعرّض لمكاره كثيرة ، فقد كان لنا في كل يوم عتابٌ جديد ، وكان حين يتعب مني يقول : كيف أستطيع أن أصلح ما بينك وبين الناس ولا أستطيع أن أصلح ما بينك وبيني !

والخصومة الأخيرة لم تكن مما يحب ، لأنها وقعت بعد صلح شهده أبنائي قبل أسبوعين اثنين ، ولهذا قال وهو يعاتب : ما الذي سيقول أبناؤك ؟

وكان الجواب حاضراً ، ولكني لم أجب ، ولو أني أجبت لقلت : إن أبنائي تعجبوا من أن يسمح الأستاذ الزيات بنشر كلام يزعم كاتبه أني أحارب القرآن ، وأحارب الدين ، مع أنهم يرون في كل يوم أني أدعوهم إلى المحافظة على الصلوات

وكنت أستطيع أن أقول للأستاذ الزيات : وما الذي تقول أنت إن عاتبك ضميرك وأنت تعرف أني أديت للإسلام خدمات لن يؤدي بعضها من يتهمونني في إسلامي ؟

ولكني لم أقل شيئاً ، وتركت الأستاذ الزيات ينشر سلسلة من المقالات لرجل حاقد شوى قلبَه الحقدُ عشرين عاماً أو تزيد ، وقد قدمت للأستاذ الزيات ردّين فطواهما عن عمد ، لأنه رآني أحاسبه ولا أحاسب ذلك الحقود ، فكيف رغب الأستاذ الزيات في أن ينجو من حسابي ، وهو حسابٌ يحمل أنفاس العتاب ؟

وما الذي يقع إن طوى الأستاذ الزيات هذا الرد أيضاً ليصورني أمام قرائه بصورة من يأبى الصلح ؟

لن يقع شيء ، فقد كتبت عشرين رداً ، ثم مزقتها جميعاً ، رعايةً للمودة الغالية التي تفيأنا ظلالها عدداً من السنين ...

وللأستاذ الزيات أن ينسى أني عرفته أو عرفني ، فأنا نفسي تناسيتُ فنسيت ، ولم يعُد بيني وبين الرسالة من صلة غير متابعة ما يُنشر فيها من الأبحاث الجياد

كان رأيي أن معاونة الرسالة فريضة على كل مصري ، لأنها صوت مصر في الشرق ، ولم يقع ما يغيّر هـذا الرأي ، فالرسالة باقية بإذن الله ، وسأعاونها ما حييت ، وسأتذكر في كل وقت أنها كانت لقلمي أجمل ميدان ، وأرحب ميدان

والله عز شأنه هو الذي أراد أن يقع ما وقع ، فما كان يخطر في بالي أن لقراء الرسالة نحو كتّابها عواطف تصل إلى حد العشق ، ولا كنت أتوهم أنني سأتلقى في كل يوم خطابات من قرائي في مصر والشام والعراق ، خطابات كلها أسفٌ على ما قيل من أني خاصمت مجلة الرسالة وخاصمت الأستاذ الزيات

وأنا لا أستكثر أن ينزعج قرائي لفراقي ، فما كذبت عليهم في حرف ، ولا صارحتهم بغير الحق ، ولا تخوفت من تمردهم على الصراحة ، ولا دعوتهم إلى مصانعة الباطل في سبيل المنافع الفانية

والأستاذ الزيات يعرف كيف جنَى قلمي على حياتي ، وكيف خلق لي ألوفاً من الأعداء ، وكيف قضى بأن أعيش في وطني عيش الغريب

وهل ينسى حزنه لحزني يوم نجح بعض الحاقدين في محاربة الحوار الذي أدرته على لسان آدم ولسان حواء ؟

وهل ينسى العلقم الذي اجترعناه معاً ونحن نعاني ثورة

الجهّال على القلم البليغ ؟

مضى ما مضى ، وأصبح ودادى للأستاذ الزيات طيفاً من أطياف التاريخ ؛ فلم يبق إلا أن أنص على ظاهرة خطيرة ، ظاهرة مؤذية تزلزل المجتمع الإسلامي من حين إلى حين ، وهى تتمثل فى غرام الجاهلين بالغض من عقائد المثقفين ، ليقولوا إنهم وحدهم أهل الإيمان ، وليعزّوا أنفسهم عن جهلهم البغيض ، وتلك تعزية كانت تنفع فى الأيام الخوالى ، ولـكنها اليوم أضيع من الضياع

كنا نجد فى عبارات المؤرخين عند التعرض لأحد المفكرين أمثال العبارة الآتية :

« وكان غفر الله له يُتهَم بالنظر فى العلوم العقلية »

فهل تبقى هذه العبارة وأمثالها على ألسنة بعض الخلق فى هذا العهد ؟

وأنا أوجّه الأسئلة الآتية إلى من يدّعون التفرد بالغيرة على الدين الحنيف :

إذا عجز الإسلام عن غزو قلوب المثقفين فإلى من يُصوِّب سهامه الروحية ؟

وإذا صح أن الإيمان الحق هو إيمان العجائز فما هو مصير أهل الشباب والعافية ؟

وإذا كان الجهل بشيراً بصحة العقيدة ، فما الموجب لإنشاء المعاهد العالية ؟

أتريدون الحق ؟

الحق أنى لن أيأس من أن يظفر المثقفون بمكانتهم فى المجتمع الإسلامى ، فقد نزعنا راية الإسلام من أيدى الجهلة ، وصار إلى أقلامنا المرجع فى شرح أصول الدين ، والمسلمون كلهم يشهدون بأن أقلامنا هى التى تبصّرهم بجمال الشريعة الإسلامية ، وجمال اللغة العربية ، والله يؤتى الحكمة من يشاء

أقلامنا هى التى تشرح دقائق الأدب العربى ، وسرائر الدين الإسلامى ، ولن نترك هذه الميادين للجاهلين ، ولن نرحم أعمارهم التى تضيع فى اتهامنا ظلماً بالزيغ والإلحاد

وإذا ألحدنا فمن يؤمن ؟

أيؤمن الجاهلون وقد حجبهم الجهل عن الإيمان ؟

على أنفسهم فليبكوا ، إن كانوا صادقين ، فما فوق غفلتهم غفلة ، ولا فوق جهلهم جهل ، وهم حطب جهنم ، ولـكنهم لا يشعرون

الإسلام دين العقل ، لا دين الجهل ، ونحن بفضل الله ومشيئته ورعايته أنصار هذا الدين ، ولن يتلقى المسلمون مبادئه إلا عن أقلامنا ، فليرحم نفسه فلان الفلانى ، وليطمئن إلى أن متاعبه فى محاربتى لن تنال منى إلا بقدر ما تنال النمال فى نسف الجبال

لقد سمحت مجلة الرسالة لفلان الفلانى أن يشطح وينطح فى نقد كتاب النثر الفنى ، فماذا صنع ؟

انبهرت أنفاسه وانقطعت بعد خمس مقالات هى من الهزال بمكان !

هل كان الأستاذ الزيات ينتظر هذه العاقبة لذلك الفلان ؟

اسمع كلامى يا صديقى الزيات ، اسمع كلامى ثم اسمع ، فما كنت نبياً حتى تزعم القدرة على بعث الأموات ، ولا كنت سينمائياً يُنطق الصور الهوامد من وراء حجاب

قد أثق بقدرتك على المستحيل يا صديقى الزيات ، ولـكنى أستبعد كل الاستبعاد أن تقدر على خلق ذلك الفلان

ولك أن تجرّب حظك إن أردت ، لك أن تحاول مغاضبة الله فتحيى من أراد الله أن يموتوا ، لأنهم جاهلون ، وإن زعموا أنهم علماء وأحياء

جرّب حظك يا صديقى ، فنحن فى أزمان التجاريب ، وقد تصل إلى أشياء لا تخطر فى البال

وأسارع فأقرر أن نجاحك فى تجاريبك لن يصل إلى الزعم بأن إيمان الضفادع أشرف من إلحاد الرجال

لقد فرح فلان الفلانى حين رآنى أعترف بصحة ما رواه عن كتاب النثر الفنى ، وأنا أرجو الأستاذ الزيات أن يخبرني أنه رأى كتاباً فى الأدب العربى أعظم وأعمق من كتاب النثر الفنى

إن الأستاذ الزيات يؤرخ الأدب ، فليحدثنى عن كتاب هو أعظم من كتابى ، إن كان يستطيع ، ولن يستطيع

إن ذلك الناقد الحاقد لكتاب النثر الفني وقف عند مسألة شائكة ، وهى المسألة الخاصة بآرائى فى إعجاز القرآن ، ولم يقف

عند هذه المسألة إلا لأنه يعرف أن الظروف لا تسمح بأن أجازيه عدواناً بعدوان ، ولو أني وثقت بأن كلامي يُنشر في الرد عليه لوضعت وجهه في الحضيض ، لأني في نظره ملحد ، ولأنه في نظري جهول ، وقد عشنا حتى نرى التهمة بالإلحاد أخف من التهمة بالجهل !

ثم ماذا ؟ ثم يبقى ما حدثنا به الأستاذ دريني خشبة عن الكتاب الذي أصدره الأستاذ معروف الرصافي نقداً لكتاب النثر الفني وكتاب التصوف الإسلامي

ومعنى هذا أني وجدت فرصة تشغلني بالأستاذ معروف الرصافي عن ذلك الفلان ، فليحمد الله ذلك الفلان ، وليثق بأنه في أمان

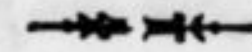
سأرى ما يقول الأستاذ الرصافي ، وسأرد عليه حرفاً بحرف ، لأنه من أكابر المفكرين بالعراق ، ولأنه شغل نفسه بمؤلفاتي شغلاً يستوجب الثناء .

زكي مبارك



في معرض الفن

للأديب نصري عطا الله سوس



عناصر العمل الفني هي إحساس الفنان ومخيلته ، وشخصيته الخالقة التي تحيل مشاعره وتأثراته إلى مادة جديدة لها طابعها الخاص ، والرغبة الملحة في الإنتاج ، والقدرة على الأداء ، ثم التوفيق في الإخراج

وتقاس قوة العمل الفني بقوة هذه العناصر مجتمعة ، كما يتسرب الخلل إليه بقدر ما يتطرق الضعف إلى أحد هذه العناصر أو بعضها

كما يجب أن تكون هذه العناصر في حالة توازن ، فلن تجدى قوة الأداء شيئاً إذا كانت العاطفة ضعيفة أو فجة . والفنان الكبير حين تعوزه الرغبة في الإنتاج ويقسر نفسه عليه قسراً ، يأتي عمله الفني مشوشاً مضطرباً تنقصه الطواعية : ذلك الإحساس الذي يتملك الفنان حين مؤاتاة الملكة فيشعر أنه في يد قوة أكبر منه تسوقه وتلهمه وتختار له الألفاظ الدالة أو الألوان المعبرة ...

هذه مبادئ أولية — أو أظنها كذلك — ولا أدرى كيف غابت عن عقول أعضاء اللجنة التي اختارت هذه المجموعة من اللوحات وجعلت منها معرضاً للفن [1] ، إذ مستوى المعرض في مجموعه أقل من المتوسط بكثير ونسبة المجيدين فيه قليلة جداً . وأنت إذ تلقى نظرة عابرة على ما في المعرض من لوحات يفدحك الإحساس بأن بعض هؤلاء المصورين قد قضوا أعمارهم في غرف مغلقة فلم يروا من محاسن الطبيعة أو جمال الكون شيئاً ، وإلا فلما اختاروا هذه الأشكال الفثة الرثة للتعبير عن عواطفهم وإحساساتهم ! ؟

وفيما يلي بعض أرقام قد تلقي بعض الضوء — أو تهيء بعض العذر للذين يحكمون على هذا المعرض حكماً قاسياً كما فعل ناقد في إحدى الجرائد الأجنبية المحلية فقال إن صور هذا المعرض قد طبخت طبخاً وأنه معرض كئيب !

بلغ عدد العارضين ١١٦ بينهم ٢٧ آنسة وسيدة

وبلغ عدد الصور ٣٥٨ منها ٨٥ للسيدات

وبلغ عدد التماثيل ٢٨ تمثالاً

وبلغ عدد الذين ينتمون إلى الرسم بحكم المهنة ـ من مدرسين وطلبة بمعاهد الفنون ـ ٣٧ رساماً ومثالا ، عرضوا ١١٨ صورة وتمثالاً

ونحن لا ننكر على بعض هؤلاء الموهبة الفنية ، ولكن امتلاكهم ناصية الأداء بحكم المهنة يغرى البعض الآخر باقتحام قدس الفن وليس في مكنتهم إلا الإساءة إليه وانتهاك حرمته ، كما يفعل كثير من طلبة الأزهر ودار العلوم حين يتوهمون أنهم شعراء لأنهم درسوا اللغة العربية والعروض !

* * *

(١) معرض القاهرة الرابع والعشرون للتصوير والنحت (مايو سنة ١٩٤٤)

أبرز صور هذا المعرض من صنع الأساتذة لبيب تادرس وحسن محمد البنانى وحسين بيكار ونظير خليل ، والآنسات مرجريت نزبك وإحسان خليل و ج . كوهين

والذى يتأمل صور المرحوم لبيب تادرس يحس أن الفن قد خسر خسارة كبيرة بوفاة هـذا الفنان الناضج الذى كان بينه وبين الطبيعة صلة روحية عميقة تنعكس على صوره في جلاء ووضوح وتضفى عليها سر الفن ، ذلك السر الذى يحاول الرائى استكناهه فيفشل

أما حسنى محمد البنانى فهو فنان لا شك فى مقدرته ، خصوصاً فى « ظل التكعيبية » و « منظر ريفى » و « مراكب » تلك الصور الرائعة التى تحـاول سبر غورها فلا تستطيع ، لأن فيها قلب فنان ، وقلب الفنان أعمق من أن يسبر غوره .

وللأستاذ حسين بيكار ثلاث لوحات تنبض حياة وقوة : منها « حديقة الحب بتطوان » التى تتمثل فيها فرحة الألوان ، وتحس إذ تنظر إليها فرحة الفنان نفسه والفرشاة فى يده يودع لوحته ما أودعته الطبيعة قلبه . ومنها (حرم الدكتور أبو ذكرى) تلك الآية الرائعة التى تتمثل فى تقاطيعها الأنوثة الشرقية المحتشمة والجمال المصرى الصميم ، تطل من ورائه روح عذبة وادعة تمكن من إبرازها فنان متوفز الشعور والإحساس

أما « زوريان أشود » ، فقد وفق تماماً فى قطعته الحية « زنجية » ، وهى تمثل امرأة عارية ، وهى ليست امرأة عارية حقاً بل « شكل » مجرد شكل اتخذه الفنان رمزاً لعاطفة ، وأداة لإبراز نبضات قلب . وهى نبضات غامضة مستسرة توحيها الحياة الداخلية الغامضة المستسرة ، فتبرز العاطفة من وراء الشكل ، وتنسى المرأة وتذكر القلب الحي المودع فى التقاسيم والأوضاع

كما أن « السيدة ا . ب » وهى من رسمه أيضاً صورة ناضجة حية ، ونحن إذ نطلق كلمة (حية) على صورة شخصية Portait نعنى أن الصورة لا تمثل وجهاً من الوجوه ، إنما تمثل روحاً كما تتمثل فى مرآة روح أخرى هى روح الفنان

واسترعتنى صور « نظير خليل وهبه » لما فيها من عمق الإحساس وقوة الأداء والفهم التام لمعنى الفن ، فلا إسـفاف هناك أو اضطراب أو خلل فى كل ما رسم

أما صور « تيتا » — الآنسة مرجريت نزبك — فيتمثل فيها الجلال الفنى الذى ينبع من تقديس وإكبار الفنانة لفنها ، ومن هنا تبدو صورها كصلوات فى محراب الفن ، صلوات للجمال الأبدى والحقائق الخالدة التى تـكمن وراء الأشكال والتقاسيم والأوضاع ، وصورها الثلاث تدل على دراية ونضوج وعاطفة قوية ، ولـكنها مستقرة لا تعرف الطفرات أو سورات الإلهام ، ومن هنا ألوانها الهادئة الرزينة

وقد وقفت وقفة طويلة أمام صـور الآنسة إحسان خليل : إن هذه الفتاة فنانة حتى أطراف أناملها ، والذى يتأمل المناظر الطبيعية التى رسمتها يحس أنها تتناول الفرشاة بقلبها الرقيق لا بأصابع يديها ، ومن حسن حظ «إحسان» أن صور الآنسة عايشة عبد العال قد وضعت إلى جانب صورها ، فأظهرت تماماً مميزات « إحسان » وتفوقها !

والآنسة ج . كوهين متأثرة بالفنان (رودان) بعض الشىء ، ولـكنها فنانة مجيدة ناضجة تمام النضج ، وقد عرضت الآنسة ا . شمليان لوحتين تعتبر إحداهما من خير ما فى المعرض من صور الطبيعة الصامتة ، والثانية لا بأس بها

وأحب أن أقول كلمة عن محمود سعيد بك فقد عرض ثلاث لوحات ، وكلنا يعرف مكانة هذا الفنان الـكبير الذى سبق أن أبدينا إعجابنا به . ولـكن إذا كانت هذه اللوحات تعبر عن الفنان محمود سعيد فى طوره الحالى ، فلا شك أن فنه قد أصيب بالخرس . وقد خلا فن محمود سعيد فى السنوات الأخيرة من التنويع والتجديد ، وليس فى صوره التى رأيناها فى هذا المعرض تلك العذوبة أو القوة التى كانت تطالعنا بها صوره السابقة

كما أن الآنسة مرجريت نخلة قد ظلمت نفسها بعرضها ثلاث لوحات لا تمثل فنها كل التمثيل ، وقد رأينا لها مجموعة قوية من الصور فى معرض الفن النسائى الذى أقيم فى نادى سـيدات القاهرة منـذ شهرين أو ثلاثة ، ولذا أوثر عدم الحديث عنها

* * *

وقد عرض الأستاذ الحسين فوزى ١٤ لوحة ، وإذا كان

قد نجح فى واحدة أو اثنتين على الأكثر ، فلا شك أنه نجاح الصدفة لا نجاح القدرة . ومن الغريب حقاً أن تعثر على صورة للأستاذ الشيتى عنوانها « الأمومة » ، ويبدو على وجه الأم وله العاشقة الحيرى ، وعلى وجه الطفل الرضيع مشاغل وأعباء ونستون تشرشل ، ونحن نعترف للأستاذ الشيتى بالقدرة فى الرسم والتلوين فقط ... أما الروح الفنية فلا

وقد اختارت الآنسة « أندريه ساسون » موضوعات يسهل ظهور الفشل فيها ، فظهر واضحاً جلياً إلا فى صورة واحدة وهى « فاطمة » ، ففيها شىء من البراعة . وإذا لم يكن فى صور الأستاذ يوسف كامل ما يصدم العين أو الإحساس فليس فيها ما يثير الانتباه أو يحرك النشوة الفنية

أما صور الأستاذ سند بسطا فالفن منها براء ، فهى لا تدل إلا على عاطفة قلقة باهتة شاحبة ، ولا تنبئ إلا عن الاجتهاد الذى يصطدم بحدود الموهبة وحدود القدرة على الأداء فيفشل !

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر فيجب أن نذكر أن الإمعان فى الصقل يذهب برواء الفن ويطمس معالم العاطفة فيه كما حدث فى صور محمود سعيد والسيدة فتحية ذهنى

ومن بين الذين نجحوا فى الصور الشخصية Porraits الأستاذ محمد حسن ، فليس هناك من ينكر مقدرته ، والسيدة اعتماد الطرابلسى فى « رأس الأميرة فريال » والأستاذ بدوى اسكندر فى « ابتسامة » التى تفيض شباباً وبشراً وحياة ، والأستاذ حسين محمد بدوى فى « الجدة » وصلاح الدين طاهر فى « توفيق الحكيم » والسيدة رايس مولى فى « صورة لمارتن » والأستاذ أحمد صبرى فى قطعتين من ثلاث ، وسمسونيان سيمون فى « رأس طفل » ، وإجادة الأخير لصور الطبيعة الصامتة خير بكثير من إجادته للمناظر الطبيعية أو الصور الشخصية ؛ وقد عرض جورج ميخائيل لوحتين إحداهما لفتاة والأخرى لفلاح ، وكلاهما فياض بالمعانى

***

وخير من رسموا مناظر الطبيعة هم : الآنسة إحسان خليل فى لوحاتها الثلاث ، والأستاذ نجيب أسعد ، وله قطعة واحدة جيدة ، هى « فى الحديقة » ، أما بقية مجموعته فهى دون المتوسط بكثير . وسعيد حامد الصدر فى « شجر » و « فى الحديقة » ، والأستاذ نعيم جاب الله فى « منظر ريفى » . كما يجب ذكر زهور الأستاذ شفيق رزق فهى خير ما عرض من نوعه فى المعرض

***

وهناك مجموعة أخرى من الرسامين نلمح فيهم الروح الفنية ، ولكنهم لم يصلوا بعد إلى المستوى الذى نرجوه لهم ، ونأمل أن نرى لهم صوراً أحسن فى المعارض المقبلة ، وهم الأساتذة صدقى الجباخنجى ، وكامل مصطفى محمد ، ومصطفى المهدى ، وسمسونيان سيمون ، والآنسات مفيدة شعبان وزينب محمد على

أما فن النحت فأعتقد أن تماثيل الأستاذ جمال سجينى هى خير ما فى المعرض ، ويأتى بعده الأستاذ فتحى محمود

وآمل أن أستطيع قريباً الكتابة فى توسع وإفاضة عن بعض الفنانين الذين أبدينا إعجابنا بهم ، اعترافاً بفضلهم ومقدرتهم

نصرى عطا الله سوس

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٦٥ – لكنه أسد

(إخبار العلماء بأخبار الحكما) للقفطى : تفاخر ابرخس الشاعر اليوناني وأوميرس ، ففخر على أوميرس بكثرة الشعر وسرعة عمله وعيره ببطاء عمله وقلة شعره . فقال أوميرس : بلغنا أن خنزيرة بانطاكية عيرت لبوة بطول زمن الحمل وقلة الولد وافتخرت عليها بضد ذلك . فقالت اللبوة : لقد صدقتِ ؛ إني ألد الولد بعد الولد لكنه أسد ...

٥٦٦ – واستمرض الله يمرضك

فى العقد :

قال الأعمش : أتانى عبد الله بن سعيد بن أبى بكر فقال لى : ألا تعجب ، جاءنى رجل فقال : دلني على شيء إذا أكلته أمرضنى ، فقد استبطأت العلة ، وأحببت أن أعتل فأوجر

فقلت له : سل الله العافية ، واستدم النعمة ؛ فإن من شكر على النعمة كمن صبر على البلية ، فألح علىّ ، فقلت له : كل السمك واشرب نبيذ الزبيب ، ونم فى الشمس ، واستمرض الله يمرضك إن شاء الله

٥٦٧ – لرخص فيه حفنة حفنة

فى (تاريخ بغداد) عبد الله بن هلال البزاز : أكل أشعب مع سالم بن الجعد تمراً ، فجعل يأكل زوجاً زوجاً ، فقال سالم : إن النبى (صلى الله عليه وسلم) قد نهى عن القِران [1] فى التمر

فقال : اسكت ، والله لو رأى النبى (صلى الله عليه وسلم) رداءة هذا التمر لرخص فيه حفنة ، حفنة ...

(١) فى حديث فى أكل التمر لا قران ولا تفتيش أى لا يقرن بين تمرتين (الأساس) وإنما نهى عنه ، لأن فيه شرها وذلك يزرى بصاحبه (النهاية)

٥٦٨ – وأنت أنت وطنبورك طنبورك

فى (مسالك الأبصار) للعمرى : قال جحظة البرمكى : كنت بحضرة إسماعيل بن بلبل (الوزير) بواسط فلما انصرفت رافقني البحترى ، وكان قد زاره ، فلما وصلنا إلى (دير قُنَّى) [1] قال لى : ويحك يا جحظة ! هذا دير قُنّى ، وهو من الحسن والطيب على ما ترى ، وأنت أنت ، وطنبورك طنبورك ! فهل لك أن نقيم به اليوم فنشرب ونطرب وننعم ونلعب ؟ فقلت : نعم ، ولم يكن معنا نبيذ ، فسألنا عمن يقرب منا من العمال (الولاة) ، فكتب إليه البحترى :

يا ابن عيسى بن فَرُّخان وللفرس (م) بعيسى بن فَرُّخان افتخار
قد حللنا بدير قُنَّى وما نبغى (م) قِري غير أن يكون عُقار
فاسق من حيث كان يشرب كسرى (م)
عصبة كلهم ظباء حرار
من كُميت توات الشمس منها ما تولته من سواها النار [2]

فوجه إليه عشرين دَنّا شراباً ، ومئة دجاجة ، وعشرين حملا ، وفاكهة . وعملت فى الأبيات لحناً ، فلم نزل نشرب عليه يومنا وليلتنا

٥٦٩ – استنباط

قال السبكى (صاحب الطبقات) استنبط كمال الدين القليوبى شارح (التنبيه) من قوله تعالى : (يا أيها النبى ، قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين : يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) — أنَّ ما يفعله علماء هذا الزمان فى ملابسهم من سعة الأكمام ، وكبر العمامة ، ولبس الطيالس حسن ، وإن لم يفعله السلف ، لأن فيه تمييزاً لهم يعرفون به ، ويلتفت إلى فتاويهم وأقوالهم

(١) على ستة عشر فرسخاً من بغداد وهو فى الجانب الشرقى معدود فى أعمال النهروان (معجم البلدان)

(٢) الكميت : الخمر لما فيها من سواد وحمرة ، والكمتة لون بين بين السواد والحمرة (القاموس ، اللسان) قال قوم : الكميت معرب وأصله بالفارسية كيته أى مخلط كأنه اجتمع فيه لونان سواد وحمرة (شرح أدب الكتاب لموهوب الجواليقى)

البخلاء...

للأستاذ على الجندى

الناسُ فى اللُّؤم أنواعٌ ، وشرُّهمو
عندى البخيلُ . ألا سُحْقاً لمن بَخِلاَ
يا ليتـه حين لا تَنْدَى أنامـلُهُ
بالسَّائلِ النَّزْرِ يندَى وجهُـه خجلا
أُعْجُوبةٌ فى الوَرَى أنَّ البخيلَ — على
فَقْـدِ الرُّجُولة — يُدْعَى بينهم رجـلا
يا بُؤْسَ لِلْحُرِّ أَعْمَتْـه مَطامِعُـه
فصاغَ من ماله غُلاًّ[1] — له — قَمِـلاَ
هذا الجنونُ ! وكم فى الناس ذو خَبَل
تُخْفِى ظَواهِرُهُ عن عَينكَ الخَبَلاَ
السل والبخل : ذا داءٌ يُطَبُّ له وذا عَياءٌ ، وشر الداء ما قتـلا
يشقى البخيل على الدنيا وفى يده أسْبابُ نِعْمته لو أنه عَقَلا
جرى له «المُشْتَرِى[2]» سعداً ، فما جَلَهُ
بِطبعِـه النَّحس حتي رَدَّه « زُحَلاَ »
يُمْسِى ويُصْبح مجهودًا ، وليس له
مِمَّا جَنَتْـه يَدَاه غَـيرُ ما أكلاَ
ويَجْرع الصَّابَ مُختارًا ، وثروتُه
تجرى ينابيعُـها من تحته عَسَلاَ
لاَقَى العقوبة فى الدنيا مُعجَّلةً كذلك الشر يأتى أهله عجلا

ماذا على الموت لو أخنى بكَلْكَلِهِ على اللئام ، فنشفِى منهمُ الغُلَلا
ما نفع زِعْنِفةٍ بالمال قـد فُتِنوا
لا يحسنون — سوى تحصيله — عملا
لو كان لله ما للمال عِنْدَهُمو
من الجلال ، لصاروا فى التُّقَى مثلا
ماتوا من الفقر خوفاً قبـل موتهمو
والخوف موت وَحِىٌّ[3] يسبق الأجلا

(١) قمل الغل : أصابه القمل فهو قمل
(٢) من كواكب السعود (٣) السريع [illegible]

من أغانى الشاعر الحائر

« أغنيـة روح »

للأديب ابراهيم محمد نجا

هات قيثارى ، ففى قلبى غناءْ وبعينىَّ دموع الفـرحِ
واستمع منى أغاريد الصفاءْ وأناشيد الهـوى والمرحِ
مرت الأيام ، أيام الشـقاءْ وأتى عهـد الطلا والقدحِ
واستفاق القلب من أحزانهِ
واستراح الروح من أسر الشجونْ
وهفا قلـبى إلى أفنانهِ بلبلاً يصدح باللحن الحنونْ

ذهب الليل بأحزان الظلامْ وأتى الفجر بأفراح الضياءْ
وتغنى بأغانىَّ الغـرامْ كل قلب بات محزون المساءْ
فإذا روحى الشوق المستهامْ سابح ما بين أطياف الفضاءْ
وإذا الدنيا كما كنت أراها فى رؤى الحب وأحلام الكرى
فكأن الفن بالحسن كساها أو براها الله خلقاً آخرا

ها هي الأزهار تندى بالجمالْ وهى نشوى بالضياء الغامرِ
كعذارى راقصات فى الخيالْ أو كأحلام بقلب الشاعرِ
زفها النور ، وزفتها الظلال للفراش المستهام الطائرِ
ونسيم الفجر من لهفته ... يحتسى الأنداء من ثغر الزهور
والغدير الطلق من نشوته ... يتثنى بين أسراب الطيور

صـور تفتننى كل صباحْ وتوافينى بفن باهرِ
وأنا الشاعر كم غنَّى وناحْ للجمال العبقـرى الساحر
فتولت بأغانيـه الرياحْ فى فضاء ما له من آخـر
أين منها صورة الماضى الدفينْ فى قلوب موجعات داميه ؟ !
صورة ينسجها الليل الحزينْ من خيوط الذكريات الباكيه !

إيه يا قلبيَ دع ما قد مضى من ليالى اليأس والحزن الوجيع
الشتاء الجهم ولَّى وانقضى والربيع الطلق غنى فى الربوع
آه لو عدت فـؤاداً نابضاً بالهوى العذرى من بعد الهجوع
رب غصن قد تعرَّى فاكتسى فلمَ اليأس ؟ وما هذا الشحوب ؟



إلى الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

السلام عليكم ورحمة الله، وبعد فقد قرأت مقالكم الشائق في قضية نسب زياد في مجلة «الرسالة»؛ ولقد كنت أرجو وأنا ألمس في أبحاثكم نفوذ النظر وثاقب الفكر أن لا تفوتكم في هذه القضية نقطة وجيهة وذات خطورة، وهي احتمال التلفيق وأثر الحزازات السياسية والحزبية

فمعلوم أن ما وصل إلينا من الروايات في هذا الموضوع وغيره قد دُون في عهد الدولة العباسية؛ ومعلوم أن كثيراً مما دون في هذا العهد، مما يتصل خاصة بالدولة الأموية وكبار رجالاتها، قد تأثر إلى حد كبير بتلك الحزازات، وأن الذي ينعم النظر يلمس تعمد التشويه والتسوئ والمبالغة والإعظام قوياً بارزاً

وزياد من كبار رجالات هذه الدولة وموطديها، وقد كان في ولايته للعراق في عهدها صارماً شديداً؛ ثم خلفه ابنه فيها فسار من جهته على غرار أبيه، ووقعت من جهة أخرى في عهده حادثة كربلاء الأليمة التي جلبت عليه نقمة الناس، وانتشرت عنه بسببها أسوأ الأحاديث

فهذا من وجه عام من شأنه أن يدعو الباحثين إلى التحفظ والتوقف والارتياب في رواية نسب زياد واستلحاقه لأن لحمة هذه الرواية وسداها مطعن وغمز وتشويه وتسوئ

ومن العجيب أننا نجد الروايات تغمز نسب عمرو بن العاص بما غمزت به نسب زياد بشكل ما؛ وهو من أعاظم رجال الدولة الأموية وموطديها، ونجدها كذلك تسخف في وصف ظروف ولادة الحجاج وخَلْقه ورضاعه سخفاً مضحكا، وهو صنو الرجلين العظيمين الأولين في هذه الدولة؛ بل ونجدها لا تدع رجلاً من كبار رجالات وقواد هذه الدولة إلا غمزته في أمانته أو عرضه أو دينه أو خلقه؛ وإنه لمن الحق أن يحمل هذا بوجه عام الباحثين في قضية من القضايا المتصلة بالدولة الأموية وكبار شخصياتها إلى التحفظ والتوقف والارتياب، وأن لا تجعله يكتفي بتوجيه وتخريج الروايات والبحث في نطاقها كأنها قضايا مسلّمة

يضاف إلى هذا أنه إذا أنعم النظر في عناصر رواية نسب زياد خاصة ظهر فيها ثغرات عديدة تؤكد قوة احتمال التلفيق وضلع الحزازات السياسية والحزبية كما أشرنا إلى ذلك آنفاً. ففي عناصر الرواية:

١ - أن زياداً كان يعرف بزياد بن عبيد، وأنه كان له إخوة من أمه ومن أبيه هذا؛ فهذا قد ينقض نقطة كون سُميّة من البغايا العامة؛ فإذا كان أبو سفيان قد اتصل بها سفاحاً فيكون قد اتصل بها وهي تحت زوج. فكيف يستقيم هذا مع رواية توكيد أبي سفيان أن زياداً من نطفته؛ وكيف يمكن لأبي سفيان أن يؤكد ذلك من حيث الأصل. على أنه مما يصلح أن يكون موضع تساؤل وارتياب معاً وثغرة كبيرة في الرواية هذا التفصيل الدقيق المروى عن اتصال أبي سفيان بسمية في الطائف في زمن الجاهلية، وتداول هذا التفصيل ومعرفة شاهده العياني أبي مريم الخمّار وأدائه الشهادة عنه بعد البعثة النبوية

إن تكن يا قلب قد ذقت الأسى فلكم ذاقته من قبل قلوب

لا تلمني إذ أغني في الصباح بعد ما قد كنت أبكي في المساء
فأنا الشاعر أيامي جراح وليالِيَّ سهاد وبكاء
فلماذا أترك الصفو المتاح بينما أغرق نفسي في الشقاء؟!
إنها لحظة صفو أجتليها في حياة غُشِّيت بالكدر!
إنها زهرة أنس أجتنيها بين أشواك الأسى والضجر!

يا ليالي الحب في الماضي البعيد هل تعودين؟ فقد عاد الأمل
وكأني اليوم أحيا من جديد للأماني... للأغاني... للغزل
ولقد حطّمت هاتيك القيود وتهيأت لأغلال القبل
فتعالي... كل أيامي تهون غير أيام الغرام الأول
إنها - والعمر شجو وأنين - فرحةُ الزهر، وشدوُ البلبل

يا حبيبي ها أنا بين يديك لهفة كبرى، وشوقاً، وهياما
وفؤادي ما هفا إلا إليك أو شكا - إلا لعينيك - الغراما
فإذا ما جاء واستاق لديك فاحتضنه يا حبيبي... ثم ناما
وإذا جاء الصباح الباسمُ فاحبُه صفو الحنان الطاهر
إنه قلب رقيق حالم إنه قلبيَ... قلب الشاعر:

بنحو خمسة وخمسين عاماً ورواية تلك الصورة البذيئة عن سمية بعد اتصال أبي سفيان بها ...

٢ — أن أبا سفيان قد اتصل بسمية في الجاهلية وأن زياداً قد ولد أيضاً فيها . ولقد كان استلحاق أولاد السفاح في هذا العهد سائغاً جارياً لا غضاضة فيه ولا مطعن : وقد زعمت رواية نسب عمرو بن العاص أنه ولد سفاح وأن أباه قد استلحقه ؛ والعاص بن وائل السهمي والد عمرو من كبار شخصيات وبيوتات قريش ؛ فالقول بأن أبا سفيان قد أنف من استلحاق زياد لا يستقيم مع السائغ الجاري

٣ — لم تصرح الرواية أن أبا سفيان قال للامام على إن زياداً ابنه حينما أعجب الإمام بموقفه الخطابي في خلافة عمر ؛ وكل ما ذكرته قوله إنه يعرف أباه ؛ فكيف عرف أنه عنى نفسه حتى أنذره بضرب الخليفة ؟ ثم إذا كان الإمام قد عرف ذلك ـ لأن هناك رواية فيها إيماء أوضح ـ وكان في اجتهاده أن تصريح أبي سفيان موجب لحده ؛ فهل كان يسكت عنه وهو المشهور بالشدة في مثل هذه الأمور . هذا مع أن في رواية تهديد الإمام ثغرة أخرى ، لأن اتصال أبي سفيان بسمية وولادة زياد مما كان في الجاهلية والإمام أجل من أن يجهل أنه لا حد ولا بأس على أبي سفيان ، لأن إسلامه قد جب ما قبله . ثم أليس هنا موضع تساؤل وعجب عن ذيوع حديث جرى بين الإمام وأبي سفيان خاطفاً عابراً وغدوه من الروايات المتداولة على ألسنة الرواة ؟

٤ — إذا فرضنا أن أبا سفيان قد أنف من استلحاق زياد عند ولادته مع تأكده أنه ابنه وأنه أعجب به فيما بعد فإنه لم يكن هناك مانع من جهة ولا مطعن من جهة أخرى في استلحاقه لأن الحادث مما يتصل أصلاً في الجاهلية ، وقد أقر الإسلام أنساب الجاهلية على علاتها

٥ — لقد كان زياد والياً من ولاة الإمام ، فهل يعقل عاقل منصف يعرف طبيعة ورع الإمام وتحفظه وتشدده ، ويعرف ما كان ناشباً بينه وبين معاوية بن أبي سفيان أن يستخدم شخصاً يعرف أنه ابن سفاح أولاً ويعرف أنه ابن أبي سفيان وأخو معاوية ثانياً

٦ — ويخيل إلي بالإضافة إلى هذا كله أن زياداً المعروف في شدته وقوة شخصيته والذي كان نابغة عبقرياً منذ خلافة عمر، ثم كان والياً من ولاة الإمام على ليأنف أن يعلن على رؤوس الأشهاد وفي مجلس شرعي أنه ابن زنا وأن أمه بغي، ولو كان ذلك بسبيل التحاقه بنسب أبي سفيان ، وأن معاوية الملك العربي المسلم العظيم ليأنف أن تُسوَّأ سمعة أبيه واسمه في هذه المناسبة مهما كان الباعث السياسي ، كما أنه ليس من ضرورة إلى ذلك ، وزياد هو ما هو من العبقرية والنبوغ وقوة الشخصية ، ومعاوية هو ما هو من الدهاء والعقل والحلم إلى تلك الفضيحة الخالدة على الدهر للاثنين مما لتكون وسيلة تضامن وتناصر بينهما

هذا ما عن لي أن أعلق به عسا كم تتفضلون ببيان رأيكم توفية للموضوع الطريف الذي طرقتموه ولكم الشكر والاحترام

محمد عزة

في القافية

جاء في قصيدة الأستاذ محمود الخفيف « جمال وشوك » بالعدد ٥٧٠ من الرسالة يصف شجرة الصبار :

وحشية ما اتخذت من حُلى — إلا التي تنسبها للـعُلى
يارب حُسنٍ إذ يرى عاطلاً — أصالة السحر به أبرزت
جمـاله فهو يرى أجملا

وفي قافية الشطر الثالث خطأ يسمونه « سناد التأسيس » لأن ألف « عاطلاً » تأسيس ـ والتأسيس ألف في كلمة الروي بينها وبينه حرف متحرك ـ ومتى أسست قافية في قصيدة وجب تأسيس سائر القوافي

ولو أنصف الشاعر لقال

« يارب حسن حينما عُطّلا »

أو نحو ذلك .

(بني سويف) محمد محمود رضوان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

12me Année No. 573

Lundi - 26 - 6 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة الثانية عشرة — « القاهرة في يوم الإثنين ٥ رجب سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٦ يونية سنة ١٩٤٤ » — العـــدد ٥٧٣

الفهـرس

صفحة
٥٢١ تعليم الجنسين ... . : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٥٢٤ دليل على يدحض مذهب وحـدة الوجود ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
٥٢٧ العقل الباطن ، ما هو وكيف نصل إليه ؟ ... . .. : الأستاذ عبد العزيز جادو ...
٥٢٩ رسائل التعليقات للرصافى : الأسـتاذ دريني خشبة ...
٥٣١ القرآن الـكريم في كتاب « النثر الفنى » .. ... : الأســتاذ محمد أحمد الغمراوى
٥٣٤ القضايا الـكبرى في الاسلام : قضية المغيرة بن شعبة . . . : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٥٣٦ ذو الرمة صاحب « مى » : الأستاذ محمود عزت عرفة ..
٥٣٨ السراب ! ... [قصيدة] : الدكتور إبراهيم ناجى . .
٥٣٨ موجة ! ... « : الأســتاذ محمد عبد الغنى حسن
٥٣٩ وحدة الوجود . ... . : الأستاذ نقولا الحداد .. ..
٥٣٩ حول مذهب وحــدة الوجود : الأستاذ زكريا إبراهيم ...
٥٤٠ إلى الأستاذ محمد أحمد الغمراوى : الأســتاذ محمد يوسف موسى
٥٤٠ حول قصيدة .. ... . : الأديب محمد عبد الفتاح إبراهيم
٥٤٠ شجر المشمش وميعاد إزهاره : السيد محمد كيلانى ... . .

تعليم الجنسـين

للأستاذ عباس محمود العقاد

من القرارات التى لها شأن لا يدانيه شأن فى قرارات التربية الحديثة أمر الحكومة الروسية الأخير بالفصل بين الجنسين فى دور التعليم بعد أن مزجت هذا التعليم كل المزج سنوات متواليات على أساس المبدأ الشيوعى المعروف الذى فحواه أن الرجل والمرأة متساويان كل المساواة فى الملكات العقلية والنفسية

وقد علمت نشرة الأخبار الحكومية التى أذيعت بواشنطون هذه التفرقة فقالت ما خلاصته إن التجارب الطويلة فى تعليم الصبيان والبنات قد دلت على فارق واضح بينهم فى الثانية عشرة أو الثالثة عشرة وما حولها . فكانت النتائج تختلف اختلافاً بيناً مع وحدة السن والمجهود ، ويظهر هذا الاختلاف فى طاقة العمل عند الصبى البنت ومع تعدد التجارب والبيئات

والمعلوم أن عدد الصبيان والبنات الذى يقع تحت الملاحظة الحكومية فى المدارس الروسية أكبر عدد يتيسر لأصحاب مذاهب التربية فى قطر من الأقطار ، فإن رعايا الحكومة الروسية يتجاوزون مائة وخمسين مليوناً يذهب أبناؤهم وبناتهم جميعاً إلى المدارس الابتدائية من سنواتهم الباكرة ، وينشأ هؤلاء الأبناء والبنات فى بيئات الشمال والجنوب ، وفى مدن

الصناعة وقرى الزراعة وبين الشعوب الأوربية والأسيوية على السواء . فإذا تعذر الانتفاع بخلط التعليم بين الجنسين فى هذه البيئات جميعاً فهى تجربة لا تمدلها فى الوفاء والتمحيص تجربة أخرى يملكها أصحاب مذاهب التربية فى عصرنا الحديث

ويضاف إلى هذا أن المشرفين على التعليم بالبلاد الروسية لهم مصلحة وهوى فى إثبات المساواة الكاملة بين الجنسين فى جميع الملكات والأعمال ، لأنهم يبنون على هذه المساواة نظماً كثيرة تتناول الأسرة وتوزيع العمل وحقوق السياسة ، بل تتناول أساس المذهب الشيوعى كله فى مواقع الخلاف بينه وبين سائر المذاهب الاجتماعية ، فهم لا يفرقون الجنسين فى مرحلة من مراحل التعليم إلا إذا بطلت عندهم كل محاولة للتوحيد والتوفيق وإثبات التشابه الذى ينفى كل فارق من الفوارق بين الصبيان والبنات أو بين الرجال والنساء

لهذا نقول إن قرار الحكومة الروسية بالفصل بين الجنسين فى دور التعليم له شأن لا يدانيه شأن فى قرارات التربية الحديثة ، وينبغى أن يلتفت إليه ويطيل النظر فيه كل مشتغل بتعليم الصغار والكبار من الحكوميين وغير الحكوميين ، بل نعتقد أن المسألة يحق لها الالتفات وإنعام النظر فى نطاق أوسع من نطاق المدارس الابتدائية أو نطاق البحوث التى تعنى بالصبيان والبنات . لأن الفارق إذا وجد فى البنية لا يوجد فى زمن ويختفى بعد ذلك أو قبل ذلك فى أزمان ، بل هو موجود قائم فى دخائل البنية وأعماقها ، وإن تفاوتت درجات ظهوره بين حين وحين

ولقد كان أناس من أساطين علم النفس وأئمة المذاهب الكبيرة فيه بين علماء العصر الحديث يقاربون هذه المسألة الجلى بمناية دون العناية التى تنبغى لأمثالها وتنبغى لهم وهم يطرقون المباحث التى تتصل بتهذيب النفوس ومصير الأجيال ، ولا نحاشى من هؤلاء أمثال « ألفرد أدلر » الذى خطر له أن يناظر « فرويد » فى دراساته النفسية المشهورة ، وهى فى تاريخ المعرفة الإنسانية فتح من أعظم الفتوح . فأدلر يقول فى موضوع تعليم الجنسين ، من كتابه عن فهم الطبيعة الإنسانية « إن أهم المنشآت التى أقيمت لتحسين العلاقات بين الجنسين ما أنشئ للتعليم المشترك بينهما »

ثم يقول « إن هذه المنشآت لا تقابل باتفاق الآراء . لأن لها خصوماً كما لها أصدقاء »

« فأصدقاؤها يجملون أقوى برهان لهم على صلاحها أن الجنسين — خلال التعليم المشترك بينهما — تنفسح لهما الفرص ليفهم كل منهما صاحبه فى السن الباكرة فيقضى هذا التفاهم على الموروثات الوهمية ويمنع عواقبها الضارة جهد المستطاع . أما خصومها فيجيبون عادة بأن الصبيان والبنات يكونون فى سن المدرسة قد بلغوا من الاختلاف حداً يزيد الشعور به والانتباه إليه عند الاختلاط فى معهد واحد . لأن الصبيان يحسون أنهم مرهقون ، ويداخلهم هذا الإحساس مما يشاهد على البنات من أنهن أسرع فى النمو الذهنى خلال هذه السن الباكرة . فإذا اضطر هؤلاء الصبيان إلى المحافظة على مزيتهم وإقامة البرهان على تفوقهم بدا لهم فجأة لا محالة أن مزيتهم فى الحقيقة إن هى إلا فقاعة صابون ما أسهل ما تنفجر وتزول

« ويقول بعض الباحثين غير هؤلاء إن الصبيان فى المعاهد المشتركة يقلقون أمام البنات ويفقدون كرامتهم فى نظر أنفسهم

« ولا محل للشك فى اشتمال هذه الأقوال على نصيب من الصدق والرجاحة ، ولكنها لن تصمد للاختبار إلا إذا نظرنا إلى تعليم الجنسين معاً كأنه ميدان للتنافس بينهما على قصب السبق فى الملكة والكفاءة ، وهى نظرة وبيلة إن كان هذا هو غرض التعليم عند الأساتذة والتلاميذ . وما لم نوفق إلى أساتذة يرون فى التعليم المشترك رأياً أفضل من اعتقادهم أنه سبيل إلى التدرب على التنافس أو التنازع المقبل بين الجنسين فى المجتمع ، فكل محاولة للتعليم المشترك فاشلة إذن لا محالة ، ولن يرى خصومه من النتائج المحتومة إلا دليلاً على صوابهم بما أصابه من إخفاق »

ثم يستطرد أدلر فيقول : « وما أحوجنا إلى خيال شاعر لتصوير الحالة كلها فى صورتها الصحيحة . فلنقنع من ثم بالإشارة إلى المواضع البارزة منها ، ومنها أن الفتاة الناشئة تتصرف فعلاً تصرف من يشعر بالضعة ، ويصدق عليها تماماً ما قلناه آنفاً عن الرغبة فى التعويض عند ابتلاء الإنسان بذلك الشعور . وإنما الفارق هنا أن شعور الضعة مفروض على الفتاة بحكم بيئتها ،

وأنها تساق إلى هذا الاتجاه سوقاً حثيثاً يدعو الباحثين ذوى النظر الثاقب أحياناً إلى تصديق هذه الضعة فيها ، وليس لهذا الوهم من نتيجة إلا النتيجة العامة التى يندفع إليها الجنسان حين يتعجلان خطط التزاحم والتنافس التى تشغل كلا منهما بغير ما يعنيه وما يصلح له ... »

***

هذه تخريجات أدلر وتأويلاته فيما عسى أن يصيب التعليم المشترك من عوارض النجاح أو الفشل قبل أن يوضع هذا التعليم موضع التجربة فى نطاق واسع كنطاق المدارس الروسية

فقرار المشرفين على تعليم الجنسين فى روسيا مفيد فى استدراك هذه التأويلات والتخريجات قبل أن توغل فى طريقها إلى تلك النتائج المزعومة

إذ لا يمكن أن يقال إن فصل الجنسين فى المدارس الروسية ناشىء من شعور الضعة المفروض على الفتاة أو البنت الصغيرة ، لأن النساء الروسيات من سن الأربعين فنازلاً قد نشأن على عقيدة التساوى بين الجنسين ولم تفرض عليهن البيئة عقيدة غيرها منذ فتحن أعينهن إلى الآن . ولو غلا الدعاة الروسيون إلى أحد الطرفين لجاز أن يكون غلوهم فى تقرير هذه العقيدة وتوكيدها لا فى ادحاضها وإضعافها ، فليست هناك ضعة مفروضة على الفتاة بحكم بيئتها ، ولا يوجد هناك من يسوقها إلى هذا الاتجاه سوقاً حثيثاً يوهم الباحثين ذلك الوهم الذى « توهمه » أدلر من بعيد

ومع هذا سجل الباحثون الروسيون أن الفرق حاصل بين الجنسين فى أدوار التعليم ، وتبين لهم أن الصبى من سن العاشرة إلى الرابعة عشرة يعانى من تجميع القوى فى بنيته عناء يثقل عليه فيبطىء نموه بعض الإبطاء ، وعلى خلاف هـذا يطرد النمو فى البنات بين العاشرة والرابعة عشرة فيزدن فى الوزن والطول فضلاً عن استعداد الفهم والمعرفة

ثم يأتى دور الصبيان بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة فإذا هم الذين يسبقون البنات فى الوزن والطول والاستعداد للفهم والمعرفة . فلا يتأتى وهذه هى الفوارق بين الجنسين من العاشرة إلى السابعة عشرة أن يتلقوا معاً دروساً واحدة ويجارى بعضهم بعضاً فى مضمار واحد

وعدا هذا يأتى دور آخر وهو دور التفكير فى الفوارق بين عمل الرجل والمرأة فى الحياة . إذ ليس من المستطاع أن يناط بهما عمل واحد يؤديانه على نحو واحد من القابلية والكفاءة .

فالرجال يعدون للجندية ويدربون على فنون من الدربة الرياضية العسكرية وهم فتيان صغار ؛ ولا يقال إن النساء أيضاً يعملن للدفاع عن أوطانهن فى الجيوش . فإن الواقع أن الوظائف موزعة بين الرجال والنساء حتى فى ميادين القتال ، فلا تناط بالنساء إلا الأعمال التى توائمهن كأعمال التموين والمواصلات والتمريض وما شاكلها مما يباشرنه وراء خطوط النار

وكذلك لا تناط بهن فى تحضير الذخيرة والأسلحة إلا الأعمال التى يطقنها دون الأعمال الكبرى التى لا يصلحن لها ولا تناط بغير الرجال

وكما ينبغى أن يعد الرجال للجندية ينبغى أن يعد النساء للأمومة وما يتصل بها من فنون التربية والتنشئة والعناية بالصحة والغذاء ، ومهما يكن من التسوية بين الآباء والأمهات فى تبعة الأبوة والأمومة فلن تلغى هـذه التسوية كل فارق بين الأب والأم فى النشأة والاستعداد

ولقد جرب فصل الجنسين بضعة أشهر فظهر أثر هذه التجربة فى زيادة التجانس والتوازن بين صفوف المتعلمين والمتعلمات ، وأمكن أن يستفيد الصبيان والبنات خير فائدة من كل فترة يتشابهون فيها ولا يتفاوتون

ولم يزل أساتذة التربية هنالك حريصين على مذهبهم المعهود من التسوية بين الجنسين وهما مفترقان . فقال سولوخين مدير إحدى المدارس بموسكو إن هذا التفرقة لا تفيد التفضيل والتمييز « لأن البنات والصبيان فى مدارسنا يتلقون وسيتلقون طبقة واحدة من التعليم والتدريب ، ويؤهبون أهبة متساوية لنصيبهما من عمل الحياة وينشأون على عقيدة التكافؤ بين الجنسين »

ونقول نحن إن عقيدة التكافؤ لا تهم فى هذا الموضوع ما بقى الفارق بين الرجل والمرأة فى البنية والوظيفة محسوباً له حسابه الصميم فى مراحل التعليم من الطفولة إلى الشباب

فليست المسألة التى نحن بصددها مسألة تقدير المنازل والمراتب

على ذكر رسائل التعليقات للرصافي

دليل علمي يدحض مذهب وحدة الوجود

للأستاذ عبد المنعم خلاف

لخص الأستاذ الفاضل دربني خشبة مقولات احتواها كتاب أصدره الشاعر العراقي معروف الرصافي تدور حول الإيمان بوحدة الوجود وحلول الخالق في المخلوق

وكنت اهتديت إلى دليل علمي قاطع يدحض هذا المذهب ويلقي ضوءاً جديداً أمام العقل البشري الموغل في بحث علاقة الله بالكون حتى لا ينزلق إلى الأخذ به ... اهتديت إليه في ٥ - ١٢ - ١٩٤٠ وسطرته في سجل خطراتي اليومية . وهممت بنشره في مناسبات عدة أثناء مقالاتي عن الإيمان بالإنسان ، ولكن أراد الله أن أطرح هذا الدليل في مطارح البحث والجدل الذي سيثيره حتماً كتاب الرصافي . فهذا هو أنسب الأوقات لانصباب هذا الدليل الجديد على ذلك المذهب القديم الزجي الذي يرفع رأسه على قلم شاعر يريد أن يستخدم القرآن ورسول الإسلام ستاراً ودريئة ويزج بهما في الدعوة إلى مذهبه . مع أن القرآن وبيان رسول الإسلام ليس أوضح منهما في تبيين الحدود بين الله والطبيعة

***

وكنت وما أزال داعياً إلى ابتداء التفكير في الطبيعة وما وراء الطبيعة على ضوء التأمل فيما استطاعت قوة الخلق والمحاكاة والإنشاء المودعة في الإنسان أن تصنعه وأن تسخره ؛ لأن ما أنشأه الإنسان وما وصل إليه من أسرار الطبيعة جدير أن يغير منطقه التجريدي القديم ونظرته للعلاقة بين الله والطبيعة

ولكن مع الأسف لا تزال ظلال التجريدات والفروض القديمة تسيطر على عقول كثير من الباحثين الشرقيين في مسائل الوجود ، ولا يزالون خاضعين في تفكيرهم الديني والفلسفي لرجال المدرسة القديمة التي لم تتصل بأصول الثقافة العلمية الحديثة التي تحتك أيدي العلماء فيها بيد الله وتأخذ منها أسرار الخلق والتكوين ، ولو أن عقلا كعقل الرصافي ، أو كعقل الزهاوي اصطنع ذلك الأسلوب الذي ندعو إليه ، وهو أسلوب تجديد النظر في الوجود على أساس أسرار الإنسان الحالية ، إذن ما وجدا ضرورة إلى اعتناق مذهب وحدة الوجود . . . ولكنهما عقلان متأثران بالمباحث الصوفية وفلسفاتها القديمة التي أوغلت في بحث قد أثبتت الحياة أنه لا طائل وراءه بل وراءه كل الهلاك والبلبلة والضياع والاختلاط

ولقد غزا هذا المذهب عقول بعض الفلاسفة والصوفية الذين آفتهم أنهم طلبوا أن يدركوا الله وما وراء الطبيعة بالحواس التي يدركون بها الطبيعة وبالعقل البشري المخلوق لإدراك النسب بين كائنات الطبيعة وحدها أولا . فلما عجزوا عن رؤيته تعالى وإدراكه - كما هو المنتظر - ذهبوا إلى أنه لا بد أن يكون الله هو هذا الوجود الظاهر ، وأنه يحل فيه وليس له

في ديوان من دواوين التشريفات ، ولكنها هي مسألة القيام بأعمال الرجال وأعمال النساء على الوجه الصالح لكل من الجنسين ، وهذه هي الحقيقة التي ينبغي أن يتلقفها ببغاوات الصيحات الجديدة في هذا الشرق المسكين . فرب بدعة جديدة هي أعرق في الغباء وضيق العطن وضحولة الوعي من أعرق جهالات القرون الأولى

فمن شاء من ببغاوات الصيحات الجديدة عندنا أن يقال له إنه « على آخر طراز » فليكن كما شاء على آخر طراز يختاره في سنة ١٩٤٤ أو بعد ذلك بألف سنة أو ألفين

إنما عليه أن يردد صيحاته الببغاوية في الأقفاص التي تليق بها ، ولا يتجاوزها إلى حقائق الحياة وقواعد الآراء التي تناط بها مصائر الأجيال

عباس محمود العقاد

وجود منفصل عنه ، وهكذا تجد الوثنية التي حاربتها الأديان والفلسفات السامية سنداً عظيماً من هذه الفلسفة التي تعيش في ظلال هذا المذهب

وهكذا تتحول كل الطبيعة إلى أصنام آلهة !

وهكذا تعود الحجارة والبقر والخنفسان والخنازير معبودات إلهية ! ...

* * *

وبديهي أن النظرة الأولى تهدي إلى أن الله غير الطبيعة . وأن هناك انفصالا بين الخالق والمخلوق

ولكن النظرة البديهية هذه كثيراً ما يطمسها التأمل الذي لا يقنع بالظاهر الواضح ، ولا يرضيه الوقوف عندما يوحيه المنطق العملي ، بل يلذ له أن يلجأ إلى الفروض ويحاكم فكرة الله إليها ... ولا شك أن هذا إيغال مهلك لا طائل وراءه إلا الضياع والبلبلة

وقد ذهبت بي نظراتي في النفس والوجود إلى أن الوقوف على سطح الوجود هو المنطق الذي لا نملك غيره ما دمنا محدودين ضئيلين في أرض ضئيلة الحجم جداً بالنسبة إلى الوجود الأعظم الذي نرى منه بعض سطحه حين نسرح أبصارنا في السماء . . .

فكل إيغال وراء ما توحيه البداهة يكون وراءه الشرود والجموح والبلبلة . فالإحساس بانفصال النفس عن الكون وانفصال الله عن الكون تبعاً لذلك هو تلك النظرة البديهية التي لا نملك غيرها إن أردنا أن نسير مع المنطق العملي للحياة . وأن نحل أكثر مشكلات الوجود ، وأن يطرد تقدمنا البشري وأن تحدد المسئوليات والتبعات ، ولا تختلط الحدود ولا تسقط التكاليفات ولا تهدر قيم الأشياء

أما اعتناق مذهب (وحدة الوجود) فمعناه الاختلاط والتشويش والفوضى والتباس المقاصد وذهاب الاختيار بين الخير والشر

وبديهي أن الحياة الاجتماعية وصلاحها هي الفاصل في الأمور الجدلية ، أو ينبغي أن تكون كذلك . والحياة الاجتماعية تأبى هذا المذهب كل الإباء ولا تحتمله لحظة . لأنه أعظم أسباب انهيارها ودمارها ! فإن الإنسان سيكون بهذا المذهب إله نفسه لأنه جزء من الخالق . . . وسيكون الآلهة بعدد المخلوقات أو بعدد الناس على أقل تقدير !

وإن الحياة الحالية لم تحتمل شطط الإنسان وجبروته ومتابعة هواه ، وهو يعتقد أنه مخلوق تافه مسئول له خالق سيحاسبه حساباً عسيراً ... فما بالكم به حين يعتقد في نفسه أنه إله أو جزء من الإله !

لقد ضرب الإنسان العالم بالأضغان والمدمرات وأشعل الحياة وهو طفل عاجز قاصر ... فما بالكم به إذا حسب أن إرادة نفسه هي من إرادة الكون كله ؟!

إن الأمر أعظم مما يتصور هؤلاء الفلسفون المأفوكون ! وإن الحياة العقلية لم تقبل أن يكون للكون آلهة متعددة من العقلاء ... فكيف بهم إذا كانوا مجانين ؟

فاللهم اهد الرصافي في شيخوخته ومرضه إلى منطق البداهة حتى يعود إليك على دين الفطرة التي يلقاك بها الفطريون المؤمنون الذين يتركون لك ما لم يستطيعوا إدراكه في حياتهم المحدودة !

* * *

هذا جدل يعتمد على النظر وتقليب المسألة أمام المنطق التجريدي الذي يصطنعه أصحاب المذهب ، ويعتمد أيضاً على التحاكم في هذه المسألة إلى المنطق العملي الذي توحيه الحياة الاجتماعية

ولو كان الأمر مقصوراً على هذا الأسلوب لوجد أصحاب هذا المذهب مجالا للمناقشة ورد القول وتشقيق الجدل ، وما كان طمعنا في إفحامهم إلا بقدر

ولكن عمدتنا في دحض هذا المذهب حجة بالغة من العلم الحديث صاحب المعجزات التي تخضع لها جميع أعناق البشر ، ولا يستطيع أن يماري فيها المارون من صناع الكلام وحاذقي الجدل

حجة يبينها التأمل بيقظة في أسرار الأعمال الإنسانية العظيمة في الطبيعة : تلك الأعمال التي استحالت إلى آيات من

آيات الكون يمر عليها الناس وهم عنها معرضون ، كما يفعلون مع آيات الله فى الآفاق ...

وهى تَسَلُّط العقل البشرى « باللاسلكى » وتحكّمه به فى الآلات وإدارتها ورصدها من بعد شاسع ، وانفصال تام بين العقل الإنسانى والآلة . . . فقد رأينا (ماركونى) يضىء مكاناً فى استراليا وهو فى أوربا ... ورأينا الدبابات تزحف والطائرات تطير وتحارب وليس فيها سائقون ... وإنما يديرونها ويتحكمون فى تحريكها من بعد

ورأينا « رادار » تلك العين السحرية العجيبة التى حدثتنا مجلة (المختار) عن التقائها أو التقاء الإنسان بواسطتها بالأحجام على مئات وآلاف من الأميال . ومع أنها فى العهد الباكر من اكتشافها والانتفاع بها ، فقد انتفعت بها انجلترا فى مقاومة الغارات الألمانية فى معركة انجلترا

ورأينا أن ما يحدث لتلك الآلات ينتقل إلى ذهن الإنسان الراصد لها فى لحظة . فهو معها بعلمه وقدرته وإرادته يصرفها كيف شاء مع الانفصال التام والبعد الشاسع بينه وبينها . وهو يكونها ويركبها ويجعل فيها عقلاً وروحاً تحركها وتصرفها . وما دام قد أعطاها قوانينها فلا لزوم لوجوده فيها والمكث بجانبها أو الامتزاج بها

أفلا تقاس على هذا الأساس علاقة الله بالكائنات ؟ وتحل بذلك تلك المشكلة التى خلقتها عقول من لم يروا لهم سبيلاً غير اعتناق مذهب وحدة الوجود ؟ بلى ! فإن ما يقدر عليه الله لا يذكر بجانبه ما يقدر عليه هذا الإنسان الضئيل العاجز . ولا شك أن من كمال الإنسان أن يقدر على التصرف فى « مخلوقاته » من بعد ، وأن يرصدها ويرقبها ويوجه إرادته إليها وهو متحرر منها منفصل عنها لا يشعر بضرورة الاتصال بها والتقيد بحيزها الضيق ... فأولى برب الكمال المطلق والقدرة المطلقة والإرادة القاهرة أن لا يكون عليه لشىء سلطان وألا يتقيد بقيد

وإن فى ذلك آية يرسلها الله من التأمل فى أسرار الإنسان وحى أعماله فى الأرض ... وسبحان الله ! لقد أقام من الإنسان دليلاً ووسيلة لحل كثير من العقد والمشكلات ، وخلقه صورة مقربة لبعض شؤونه الجليلة التى يتعجل المتعجلون فى الحكم عليها بعقلهم القاصر وفى مدى عمرهم المحدود الذى لا يقاس إلى الأبد الكبير الذى يظهر الله فيه شؤون الخلق والأمر فى أدوارها وأوانها الموزون المقدور و« لا يعجل لعجلة أحدكم » كما قال « محمد » سيد الأصفياء العارفين بشؤون الله !

وقد قلت مرة : إن الحياة لم تنته ولم يبد أنها تقرب من نهايتها التى تتضح بها غاياتها وتنضج ثمراتها . فلا يليق بالفيلسوف أن يحكم حكمه النهائى عليها قبل انكشاف غاياتها . وأولى به أن يرصد الأدلة التى تلدها الأيام وتضمها على طريق الأحياء يوماً فيوماً لترشد السالكين وتشير لهم إلى الأمام

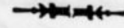
ومنذ أن اهتدى الإنسان إلى وجود القوة التى يظهر أنها « مادة » الطبيعة الأولى وهى الكهرباء ، وبعد أن شرع يدس يده وفكره فى هذه القوة الخفية ويستخدمها ويحرك بها ما يشكله من المادة . ومنذ أن ظن أنه سيصل إلى أن يكثف هذه القوة بدرجات مختلفة تحت ضغوط معينة ليخلق منها العناصر المادية المتبلورة الثلاثة والتسعين ... منذ ذلك كله ، ينبغى للمفكرين التجريديين أن يتربصوا أعماله وكشوفه ليبنوا عليها أحكامهم ومنطقهم وأن يقتصدوا فى تلك الفلسفات الفرضية والشطحات الصوفية التى لا نهاية لها ، لأنها « ذاتية » وليست « موضوعية » موضوعها ذلك الكون المادى العجيب الذى استمددنا منه عقولنا وأحكامنا . وأن ينادوا معنا إلى الصوفية المادية التى تعجب وتتعبد بالفكر فى الطبيعة الظاهرة وأعمال الله وأعمال الإنسان فيها ، وتتعلق بالمحسوس قبل التعلق بغيره حتى تفرغ منه قبل نهاية رحلتها على الأرض ، ثم تلتفت — إن قدر لها البقاء على الأرض بعد هذا الدور — إلى ما وراء الطبيعة لتبحث فيه وتحكم عليه

عبد المنعم خلاف

بحث نفسي عملي

العقـــل الباطن
ما هو وكيف تصل إليه ؟

للأستاذ عبد العزيز جادو



شبه وليم جيمس العالم النفساني المعروف العقلين الواعي والباطن بكتلة من الجليد عائمة في البحر . عُشرها يُرى طافياً على سطح الماء ، وتسعة أعشارها مغمورة فيه . ويهمنا أن نذكر أن ليس هناك كتلتان — واحدة فوق سطح الماء وأخرى تحته — ولكنها واحدة فقط تسعة أعشارها مغمور

وفي تشبيه البروفيسور جيمس ، نرى أن العقل ككتلة الجليد ، عشره واع . والعقل الواعي هو العقل المفكِّر ؛ عقل الدراية ؛ العقل الذي يبت في الأمور . وتسعة أعشار العقل باطن — أي تحت مجال الشعور ... ليس هناك عقلان ، وإنما هما حالتان متباينتان للعقل

العقل الباطن هو مستودع الذاكرة . هو مركز عواطفنا وغرائزنا ؛ يسيطر على أفعال الجسم العادية المنعكسة وغيرها من الأفعال اللاشعورية . وهو يباشر تجديد بناء الجسم حينما تموت خلايا قديمة وتولد أخرى جديدة . العقل الباطن لا يناقش قانونه الإيحاء ، فهو يتلقى الإيحاءات الموجهة إليه من العقل الواعي ثم يبدأ في العمل على إبداع الحالات التي توافق تلك الإيحاءات . وهذا هو السر الأعظم للنفوذ العقلي على الإنسان . وإن الرجال أو النساء الذين يقدِّرون هذي الحقيقة ويتعلمون بالتمرين ليصلوا العقل الباطن ويغرسون فيه إيحاءات الصحة والسعادة والقوة والتحصيل ، يمكنهم أن يكونوا أساتذة أحراراً لأنفسهم ومصايرهم مجددين بناء أنفسهم في حدود كون أوسع وأنبل وأقرب إلى الغاية البشرية العليا

والطرق التي ينصح بهـا علماء النفس للوصول إلى العقل الباطن تتطلب هدوءاً وجهداً ذاتياً ، وانسحاباً من مشاغل الحياة

كثير من أساتيذ علم النفس والعلوم العقلية يؤكدون أهمية العقل في الهيمنة على التصرفات الإنسانية ، كما في حالة الصمت مثلاً ، فقد يكون الصمت مطلوباً لذاته ، بيد أن طلاب العلوم النفسية يكابدون آلاماً في سبيل هذا الصمت . وإذا حملنا النفس في مثل هذه الحالة على الرضوخ إلى الفكرة اللاشعورية يكون التأثير إثمه أكبر من نفعه

والطرق المتبعة يمكن أن تُمارس في الطريق إلى عملك ، وفي عملك ، وفي بيتك ، ومهما يكن عملك . يمكنك الوصول إلى اللاشعور طول يومك ، وبواسطة الإيحاءات المغروسة فيه تحوِّل حياتك كما تريد

١ — لقد تعلمنا أن اللاشعور هو مستودع لجميع الأفعال الانعكاسية والاعتيادية . وكل عادة من عاداتك تكون كأمر محقق ، عاملة على التأثير في العقل الباطن . ونحن نبني العادات بتكرار أفعال ثابتة . وكل عادة تطبع نفسها على اللاشعور ؛ تكون في الواقع شيئاً من اللاشعور Subconscions وأنت لا يمكنك أن تكوِّن عادة من غير أن تعمل تخطيطاً في العقل الباطن ، ومن ثم تسمى هذي العادات انعكاسات . وأنت تتصرف بطرق مبهمة بدون فكرة متيقظة أو إرادة . وهذه العادات تباشر سلوكك حتى أن الطريقة العملية للوصول إلى اللاشعور تكون ببناء العادات الحسنة ، وهذه تُبنى بالتكرار الدائم . أبدل عاداتك السلبية بعادات إنشائية . وبذلك تتحول حياتك بواسطة هذه الطريقة الوحيدة — طريقة القيادة اللاشعورية — مثال ذلك أن رجلاً في السادسة والسبعين من عمره اعتاد الإسراف في التدخين . ولقد حاول مرات عدة أن يقلع عن هذه العادة . والآن ، ما عادة التدخين ؟ هي التدخين ، مراراً وتكراراً إلى أن صارت حركة عادية . فلكي تقطع العادة عليك أن تغطيها بعادة أخرى . لقد بدأ هذا الرجل بالإقلاع عن التدخين . لقد شعر أول مرة أنه يحب التدخين ، ولكنه قال « لا » تلبية للمؤثرات الداخلية . إن له رغبة في التدخين ولكنه لم يفعل . وفي المرة الثانية استجاب كذلك للرغبة ، على حين كاد يبدأ في تكوين عادة أخرى . وفي المرة الثالثة كان ينمِّي ببطء عادة معاكسة للتدخين « لا . لن أدخن » فبعد أن فعل هذا عدداً

من المرات كوّن عادة عدم التدخين . وهكذا ركّب عادة على أخرى بهذه الطريقة حتى امّحت السابقة

. إن هذا سيعطيك مفتاحاً لمنع أية عادة ، أيا كانت لا سيما إذا كانت عادة طبع سيء . والطبع هو تلبية تؤثر في الإحساسات لتتنبه من الخارج الذي يقلقنا

٢ — العقيدة هي الوسيلة المستترة للوصول إلى اللاشعور . فالذي تعتقد فيه برسوخ يصير في العقل الباطن أثراً سائداً . وآثارك السائدة هي التي تقودك . ولهذا يجب أن يكون لك عقيدة ، لأن وجهة نظرك ستحكم أفعالك

إذا كان لك عقيدة غير معقولة — عقيدة مبنية على خرافة وجهل وخوف وكذب لا تقوى على البحث العلمي — وتضحى حياتك ملتوية ، ضيقة وبيلة ؛ ولكن إذا كانت لك عقيدة غير مكبلة بقاعدة أو مبدأ ، لم يفسدها خوف ، عقيدة في سمو الحياة ، والاعتقاد الذي لا شك فيه للوجود غير المتناهي ، عقيدة في الاستقامة الجوهرية للأشياء — هذه العقيدة السماوية هي التي سوف يجعل من حياتك جنة ، وتطهر شعورك الباطن ، وفي هذا تطهير لقواك الواعية

٣ — لقد بينا أن اللاشعور هو مستودع الذاكرة ، وكل شيء تذكره يهبط إلى اللاشعور ، فإذا أردت أن تصل إلى العقل الباطن فما عليك إلا أن تستذكر شيئاً . استذكر الفِكَر العظيمة ، فإن لها أثراً مدهشاً ، وهذا هو السبب في أنك في الصيف يروقك كثيراً أن تحوطك المناظر الجميلة . خذ أجازة أسبوعين تمضيهما في جهات خلوية تر فيهما عجائب الطبيعة منتشرة أمامك . ثبّت هذه الصور في اللاشعور . استذكر بعض أبيات شعر جميلة ، أو فكرة منبهة ، أو عبارة نبيلة ، ستفتح باباً من أبواب اللاشعور ، وتضع فيه اهتزازات شافية وتأثيرات فعالة

٤ — قانون الهدوء يتطلب تركيز قواك الباطنة على شيء محدود فتكون سيداً وعقلك الباطن خادمك . إلق مطالبك على اللاشعور فعنده القوة على إجابة طلبك ، وله القوة على العمل بأمرك إذا عملت على إلقاء طلباتك بقوة كافية . إذا أعطيت إيحاءاتك إلى اللاشعور بطريقة مترددة ومسايرة للزمن ، لا يمكنك أن تنتظر نتائج من أي نوع

عندما تذهب إلى عقلك الباطن لا ترجُ ولا تتملق . بل إلق أوامرك على اللاشعور كأنما أنت قائد وهناك ملايين الجنود في انتظار سماع أوامرك لتفعلها . إلق أوامرك ؛ وليكن رجاؤك هو الأمر الهادئ بدلا من الالتماس الحقير — هذا هو الرجاء حسب الأصول العلمية

٥ — قدّم رجاءك الاصطلاحي إذا شعرت بدافع . ادفع الإيحاء إلى جميع مشاعرك على قدر ما تستطيع . مثال ذلك : إذا أردت نظراً صحيحاً فكر فيه ، وقل : « أعين سليمة ، أعين سليمة » ، ما الذي يفعله هذا ؟ إنه يدفعها إلى الأذنين . ثم انظر لنفسك في مرآة وتصوّر عينيك كأنهما سليمتان تماماً . اكتبها على قصاصة ورق . اكتب بحسين مرة « نظر صحيح » فهذا ينبه حاسة النظر . اطبعها على اللاشعور بواسطة جميع الحواس المختلفة

٦ — صور الأشياء غير منظورة لعقلك في رسوم . ويمكنك أن تطبع في اللاشعور رسماً بأكثر سهولة من فكرة مختلسة — ازرع المقدرة على التصور ، أي المقدرة على إتيان صور عقلية واضحة وعيناك مغلقتان . شاهد نفسك كاملا ، فاعلا الشيء العظيم الذي تتمنى أن تفعله ، ما حاجتك ؟ أنت تشتغل في شركة بكفايتك الضئيلة بأجر زهيد ؟ إذن صوّر نفسك لعقلك أنك رئيس أو مفتش . انظر لنفسك كأنك أنت هذا الرجل وأنك تقوم بعمله . احتفظ بهذه الصورة دائماً أمامك

٧ — في الصباح المبكر عند استيقاظك من النوم ، وفي المساء قبل أن تأوي إلى فراشك ، لحظتان سيكولوجيتان . يكون الشعور فيهما في تأدية وظيفته عن جزء فقط ، واللاشعور في ركوده مفتوحاً . فحالما تفتح عينيك في الصباح ، لتكن أول فكرة لك هي الفرح . الفرح باستقبال فجر يوم جديد . استقبله بابتسامة واغتبط بمرور ليلة وبدء يوم آخر . ردد قولك : (اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك ، فلك الحمد ولك الشكر)

هذه الأفكار الحسنة ترفعك فوق كل شيء حقير ، وتضعك في جو من الأمن والفرح والجمال والقوة

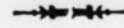
استعمل اللحظة السيكولوجية فإنها ستفتح اللاشعور

(اسكندرية) عبد العزيز جادو

٤ـ رسائل التعليقات للرصافي

« كلمة أخيرة »

للأستاذ دريني خشبة



وبعد ، فقد عرضنا على القراء فى كلمتنا الأولى عن هذه الرسائل آراء الأستاذ الرصافى التى يلحد بها فى الله وفى الإسلام والتى نقلتها الرسالة عن الأستاذ أمين الريحانى ، عن الرصافى سنة ١٩٣٥ ؛ ثم عرضنا فى كلمتنا الثانية طائفة من آرائه تلك ، أوردها فى كتابه الجديد الذى علق به على كتابى الدكتور زكى مبارك : التصوف الإسلامى والنثر الفنى ، ومن بين هـذه الآراء إيمانه المطلق بوحدة الوجود وما ينبنى على هذه الوحدة من آثار أخلاقية هدامة ، ثم رأيه فى تأليف القرآن ، والأدعية (ومنها الصلاة) ، والبعث ، والجبر ، وتساوى المتضادات من خير وشر ، وتقى وفجور ، وترهب وخلاعة . ثم إنكاره للثواب والعقاب على النحو الذى جاء به الإسلام . ثم دعوته المسلمين إلى الأخذ بآرائه إن أرادوا أن يكون لهم مجد ، أو أرادوا بين الأمم مقاماً محموداً . ثم أثبتنا فى كلمتنا الثالثة فساد ما ذهب إليه الأستاذ من أن نظرية وحدة الوجود هى شىء من صنع الرسول الكريم ، لم يعرفها العالم إلا حينما جاء بها محمد . ثم ما كان من اهتداء متصوفة المسلمين إليها بعد محمد بقرن أو قرنين من الزمان . أثبتنا فى كلمتنا الثالثة فساد هذا الزعم لأن نظرية وحدة الوجود فكرة ترددت فى الفلسفة اليونانية ، فقد قال بها إجزنوفانس Xenophanes الذى كان يؤمن بالحلول ، وأشرنا إلى ما كان يزعمه هرقليطس من التقاء المتضادات وتساوى الخير والشر وجميع المتناقضات بناء على ذلك ، لأن التناقض فى زعمه ، هو فى نظرنا فقط ! وذلك وما قبله هو لباب نظرية وحدة الوجود ! وأشرنا كذلك إلى ما ذهب إليه أناجزاجوراس Anaxagoras من تعدد العناصر ووجود قوة عاقلة ـ ال Noös حالّة فى الكون متحدة به ، تتولى تحريكه وتنظيمه ـ ثم أتينا على ما انقسم إليه تلاميذ سقراط من بعده من حيث نظرة كل منهم إلى الفضيلة أو السعادة . ونشدانها ... فالكلبيون ينشدونها فى الجهل والزهد والتقشف والقورينيون ينشدونها فى اللذة ، واللذة الحسية بنوع خاص ـ وهو ما يذهب إليه معظم متصوفة المشرق ـ هدامم الله ـ والميجاريون ينشدونها فى التأمل الفلسفى ، ثم وقفنا من أفلاطون أمام ثالوثه العجيب : المادة ، والمُثل . والله ، وما كان من اضطراب أرسطو فى تصور ذات الله ، هل له وجود مشخص مستقل ، أو هو صورة مجردة معنوية ؟

استعرضنا هذه الآراء اليونانية لنثبت أن نظرية وحدة الوجود ليست شيئاً جاء به محمد أو تضمنه الإسلام ، لأنها إفك لم ينته الفلاسفة من شأنه إلى شىء يطمئن إليه قلب أو يؤمن به عقل ، ولأن الإسلام دين الفطرة ودين الاستقرار يأبى أن يسلم الناس لفوضى لا ضابط لها ولا خير للأنام فيها ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن التفكير فى ذات الله ، وأمرهم بإدمان التفكير فى مخلوقاته ، كان الحكيم الأعظم الذى يهدى للرشد ويجنب الأمة مهاوى الضلالات ، وإن أخذنا إخذ رسول الله ليس دعوة إلى الجمود والحجر على حرية الفكر ، ولكنها دعوة ضـد الباطل الذى ندعى إليه ولا خير لنا فيه ... بل هى تصرفنا عن الجد الذى تأخذ به أمم العالم نفسها إلى هذا العبث الذى يُضحك الدنيا بأسرها علينا ، ويجعلنا موضع سخريتها وازدرائها ... لقد أمرنا نبينا بالتفكير فى مخلوقات الله لنستثمر تفكيرنا فى مخلوقاته فى صنع مدنيتنا وتوفير سعادتنا ، ولو قد عرف رسول الله خيراً فى التفكير فى ذات الله لما ضن به علينا ، ولكنه أشفق على هـذا العقل البشرى الذى لم يطّلع من أسرار الوجود إلا على أتفه مقدار لا يعتد به ... أشفق عليه من مثل هذا الضلال الذى انتهى إليه الفلاسفة من بحثهم فى ذات الله ... أليس حسبنا أن نعقل أن هذا الوجود الفانى الجليل لا يمكن أن يكون موجوداً بنفسه ! ألم ندرس علم طبقات الأرض وعلم الفلك وعلم الحياة وعلم النفس ؟ أى مقدار عجيب من المعرفة هدتنا إليه هذه العلوم ؟ أكل هـذا السحر العلمى المعجز شىء لم يهيئنا إياه إله حكيم قادر ؟ ثم هذه الوحدة الوجودية التى يهرف بهـا عقل المخرفون : هل لها عقل ؟ وهل ترى وتسمع ، وهل هى مادة

صرفة أو روح صرف ، أو مادة وروح ؟ ثم ما قيمة نظرية خائبة لا تفرق بين الخير والشر ، وبين الأبيض والأسود ، وبين التقوى والدعارة ، وبين الزهد والجشع ، وبين الفضيلة والرذيلة ، وبين السجود بين يدى الله ، وإكباب المرء على حياته ؟! ما هذا البلاء الذى يدعونا المأفونون إليه ، ويزعمون أن عدم أخذنا به ووقوعنا فيه هو سبب تخلفنا وعلة تأخرنا ؟ ما ذا يريد هؤلاء ؟ أيريدون أن تكون الدنيا داراً واسعة شاسعة يعمرها قوم من المجاذيب ؟ ! هل فرغنا من استكناه أسرار خلق الله ، فلم يعد إلا التفكير فى ذات الله ؟ ! هل انتصرنا على أمراضنا فشفيناها ، وعلى مشكلات الفقر والجوع والجهل فحققناها ، وعلى استئصال الشر من النفس الإنسانية فمنعنا الحروب وعالجنا الآفات ؟ ! هل عرفنا سر الكهرباء ؟ هل اهتدينا إلى (ذات !) المغناطيس و (ذات !) الضوء و (ذات !) أنفسنا فلم يعد إلا أن نهتدى إلى ذات الله ! وهل يعقل أن ندرس الهندسة الفراغية ونحن لا ندرى شيئاً عن الهندسة النظرية ، أو حساب المثلثات ونحن نخطئ الجمع والطرح !

أليس يكفى أن تكون هذه النظرية قائمة على ذلك الخيال الأخلاق ليثبت أنها فاسدة ، وأنها لا بد أن تكون تعلة يتعلل بهـا المؤمنون لستر نواحى الضعف فى أدبهم المنهار ، وسلوكهم المريض ، وخلقهم المعتل ؟ إنهم مثل القورينيين من تلامذة سقراط ، ينشدون اللذة ، واللذة الحسية الخسيسة على وجه الخصوص ، وانغماسهم هذا الذميم فى الملذات هو الذى جعل أذهانهم تتبلد ، وأرواحهم تصدأ ، وتفكيرهم يسف ، فراحوا يوهمون هواهم أن الخير والشر سواء ، وأن التقى والدعارة صنوان ، وأن المصير واحد ، وأن سبب تأخر الأمم الإسلامية وتخلفها هو هذا التعفف الذى لا موجب له ، وهذا الفهم السيئ لما جاء به محمد من شريعة أخذناها بحرفيتها ولم نعبث بها فخورناها وأولناها ، وفهمنا ثلاثة أرباع هذا القرآن الكريم على أنه آيات تمثيلية يخوف بها الله ، فهو — سبحانه وتعالى عن هذا البهتان — يقصد بظاهرها الأميين ، ثم جعل لها باطناً لا يعرفه إلا الراسخون فى علم وحدة الوجود من الزنادقة الذين اتصلت نفوسهم بنفس إبليس الأكبر ، ولم تندمج فى الله ... أو فى الوجود الكلى كما يكذبون ويهرجون ويلفقون .

وبعد أيضاً ...

فحسبنا أن نأتى على نظرية وحدة الوجود من جهتها الأخلاقية هذه لنراها تنهار من أساسها ، فنريح أنفسنا من تكرار ما قاله ابن حزم والشهرستانى ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وأبو منصور عبد القاهر البغدادى فى توهينها ثم تكذيبها وتبيان زيفها ، مما هو مذكور مشهور ، ومما يسهل على كل قارئ أن يرجع إليه ليرى كيف حارب علماؤنا الأعلام تلك الفئة الباغية ... ثم نريح أنفسنا من الرد على المكذبين بالوحى وبالقرآن ، المتحللين من شريعة الله السمحاء التى يتخذونها هزواً ، ويعلوهم الغرور فيأبون أن يؤمنوا كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يفهمون

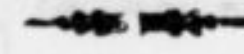
وحسبنا أيضاً أن ننبه إلى ما يقع فيه هؤلاء الأنجاس من أخس ألوان الحب الحسى والانحراف الشديد القذر فى هذا الحب مما نقرأ أخباره عن أئمتهم وأقطابهم ، مما أورد بعضه أبو عبد الله الزنجانى فى أطروحته ، وما نجد أخباره فى الكشكول وروضة المحبين وديوان الصبابة وتزيين الأسواق وتلبيس إبليس ويتيمة الدهر وكتاب الكنايات ... ودفاع الصديق الأعز الدكتور زكى عن الصوفية فى هذا الميدان — وهو من البقع التى ذكرت فى حديثى الأول — لن يغنيهم شيئاً — فقد شوى جلودهم فيما يتعلق باستنتاجاتهم الخبيثة فى التقاء المتناقضات وتساويها فى نظرية وحدة الوجود ، وقد هاجمهم غير مرة ، ولا سيما فى باب التجريد

وحسبنا أن ننبه مرة ثانية إلى أن وقوعهم فى الموبقات الحسية هو الذى جعلهم يلتمسون تبريراً لها بقولهم إن الشريعة للعوام والحقيقة للخواص أى لهم ، ورحم الله ابن القيم فقد

٦ - القرآن الكريم في كتاب النثر الفني

« ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الاسلام »
[قرآن كريم]

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي



لقد كنا على حق حين شرّحنا الدكتور زكي مبارك وحللناه وفضحنا موقفه من الإسلام والقرآن . وكنا على حق حين قررنا أنه يتخذ الأدب حيلة ووسيلة إلى محاربة الله الذى أنزل القرآن آية منه سبحانه ، هى عند من يفقه ويعلم أكبر وأعجب من آياته فى السماء والأرض . وكنا على حق حين قلنا إن اتخاذ زكى مبارك الأدب وسيلة لإفساد الخلق بنشر المجون ، ولإضلال النفوس بنشر الإلحاد ، هو أول تلك المحاربة وليس بآخرها ، وإن يكن بعدُ أظهر مظاهرها ، فإن محاولة إبطال حكمة الله فى جعل كتابه الذى أنزله على آخر أنبيائه ورسله معجزة أدبية ، هى محاربة لله من غير شك . وزكى مبارك يحاول إبطال تلك الحكمة عن طريقين : طريق نظرىّ هو الدعوة إلى إنكار إعجاز القرآن ليبطل عند صغار العقول أمثاله أن القرآن من عند الله ؛ وطريق عملى هو العمل على جعل الأدب إباحياً شهوانياً بعد أن جعله الله فى القرآن وبالقرآن إصلاحياً ربانياً . لقد أحيا الله بالأدب أمة ، وأنزل معجز كتابه للانسانية رحمة ، وزكى مبارك يريد أن يعين بالأدب على موت أمة ، أو أن يسد باب الحياة ويديم فتح باب الفساد والفناء على هذه الأمة المبتلاة به وبأمثاله من الملاحدة الإباحيين

ولسنا نريد ظلم زكى مبارك ، فهو فى هذا تابع مقلد ، لا مبتكر ولا مبتدع . فقبله كان أبو نواس وأمثال أبى نواس من الذين صرفوا الأدب عن الوجهة التى شرعها الله للناس فى الأدب بالقرآن ، فجعلوا الأدب للغواية بعد أن كان للهداية ، وجعلوه للشيطان بعد أن كان لله . وقبله كان ابن الراوندى وأمثال ابن الراوندى من أهل الأهواء الذين أرادوا أن يهدموا الإسلام فلم يهدموا ولم يهلكوا إلا أنفسهم ، والذين كانوا يبغون كلام الله عوجا ، فلم يقع العوج إلا بهم عقلاً ونفساً وقلباً وعملاً ، كما وقع بعقل زكى مبارك ونفسه وقلبه وعمله ، وذهبوا وبقى كلام الله ، كما وصفه الله سبحانه وتعالى : (قرآناً عربياً غير ذى عوج) و (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا)

ولقد ندم أبو نواس وما ندم زكى مبارك ، وما أظنه يندم . ندم أبو نواس حين قال : (فإذا عصارة كل ذاك أثام) ، وحين قال : (وتذكرت طاعة الله نضوا) . وما ندم زكى مبارك حين يقول — فى بعض ما كتب بعد كتابه التافه الفاسد الذى شغلنا بهذه الكلمة عما كنا بسبيله من تبيين تفاهته وفساده — يقول محدثاً عن نفسه فى العراق : (يئست من الصيد فى الحرم الحيدرى بعد فرار تلك الغزالة ، وبدأت أعتب على سيدنا على بن أبى طالب ، فتلى لا يكرم فى رحابه بالماش والجلاش ، وإنما يكرم مثلى بالهيام فى أودية الفتون) ! وليت سيدنا علياً (كرم الله وجهه) كان حياً يسمع عتبه ، إذن لأكرمه بالعصا أو بالحجر ، جزاء نكل بهم من أجل هذا[1] ، ورحم الله الشافعى حيث قال : « لو أن رجلاً تصوف أول النهار ، لا يأتى الظهر حتى يصير أحمق » وحيث قال : « مالزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد إليه عقله أبداً »

وصدق الله العظيم القائل :

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ؛ ثانى عِطفِه ليُضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه فى الآخرة عذاب الحريق »

وحسبنا الآن أن نترك الكلمة للصديق الأعز الدكتور زكى ، ليناقش آراء الأستاذ الرصافى ، وليرى إن كان يدعونا الأستاذ إلى دين جديد

(يتبع)

(١) تلبيس إبليس ص ٣٦٦ وما بعدها

الماجنين المتهتكين أمثاله . ذلك فى العراق ، وفى مصر لم يندم حين يقول تحريضاً على الفجور فى بعض ما كتب : (ارجعوا ، فالفضيحة فى غرامى تكريم وتشريف ، لأنى قيثارة الغرام فى ألحان الخلود) ! ونعوذ بالله من غرور يؤدى إلى خبال ! فما سمع قبل اليوم أحد فى أدب مكشوف أو مستور ، بتكريم فى فضيحة ، أو بقيثارة فى ألحان ، إلا من مثل هذا الدعى الذى يكذب على الأدب وعلى الناس كما يكذب على الله

ولقد أصر ابن الراوندى كما يصر زكى مبارك على محاربة الله ورسوله بالكذب والزور وقلة الحياء . وهل كذبٌ أفظع أو زور أشنع من زعم هذا الرجل فى كلمته الأخيرة أن القول بإعجاز القرآن جهل ، وإن إنكار الإعجاز علم ، وإن الإيمان بالقرآن كما آمن ويؤمن المسلمون من لدن عصر الرسول إلى اليوم هو إيمان العجائز لا إيمان أهل الشباب والعافية ؟ إذن فماذا كان إيمان أمثال على بن أبى طالب وعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وسعد بن أبى وقاص وعمرو بن العاص ، ومن إليهم من شباب الإسلام الذين صار كثير منهم بعد شيوخا ، والذين جاهدوا فى شبابهم وشيبهم من كان على مثل إيمان زكى مبارك اليوم؟ أفكان إيمان أولئك يمت إلى عقيدة زكى مبارك بصلة وهو يقول ما يقول فى القرآن ؟ أم كان إيمانهم إيمان عجائز يقوم على مجرد التصديق وإيمانه هو يقوم على الدليل والبرهان ؟ والله لو كان إيمانهم كذلك لكان خيراً ألف مرة مما يزعمه زكى مبارك لنفسه من إيمان هو فى الواقع لا إيمان ، ويقين هو فى الواقع شك وإلحاد . إذ ما فائدة الدليل والبرهان إلا أن يوجد عند صاحبه ذلك الإيمان القرآنى الذى لا يتزعزع ، إيمان العجائز الذى يتهكم به زكى مبارك الآن ؟ وإذا وجد هذا الإيمان الراسخ الراسى عن طريق التصديق البديهى ، فما الحاجة إلى سوق الأدلة والبراهين ؟ ومع ذلك فالأدلة والبراهين متظاهرة متضافرة ، لا تدحض ولا تنقض ، ولكن زكى مبارك وأمثال زكى مبارك قوم لا يفقهون

ومن وقاحة هذا الرجل ومكابرته التى لا حد لها زعمه الذى زعم من أن المرجع فى شرح أصول الدين صار إلى مثله — والعياذ بالله — وأن المسلمين كلهم يشهدون بأن أقلام من لف لفه هى التى تبصر المسلمين بجمال الشريعة الإسلامية وجمال اللغة العربية ، والله يؤتى الحكمة من يشاء ! فهل رأيت صفاقة أوقح من صفاقة هذا الذى ينكر أن القرآن امتاز بأسلوب ثم يزعم أنه بجمال اللغة العربية بصير ، وينكر من الشريعة الإسلامية أسسها ويزعم أنه بجمالها خبير ، ويقول فى بعض ما كتب : « أعبد الله وأحب الشيطان » « أنا كافر ياظمياء » ثم لا يتحرج أن يتبجح بقوله « ونحن بفضل الله ومشيئته ورعايته أنصار هذا الدين ، وإن يتلقى المسلمون مبادئه إلا عن أقلامنا » «والله يؤتى الحكمة من يشاء» ! « إن أبنائى تعجبوا من أن يسمح الأستاذ الزيات بنشر كلام يزعم كاتبه أنى أحارب القرآن ، وأحارب الدين » ؟

طيب ! زكى مبارك لا يحارب القرآن ولا يحارب الدين ، وماشاء الله كان ! ففيم قوله من كلمته الأخيرة « إن ذلك الناقد الحاقد لكتاب النثر الفنى وقف عند مسألة شائكة وهى المسألة الخاصة بآرائى فى إعجاز القرآن ، ولم يقف عند هذه المسألة إلا لأنه يعرف أن الظروف لا تسمح بأن أجازيه عدواناً بعدوان » إلى آخر سفهه الذى قال . فلم كانت مسألة إعجاز القرآن شائكة إن كان يقول فيها بما يقول المسلمون ونطق به القرآن ؟ ولماذا تمنع الظروف أن يجازينى عدواناً بعدوان إذا كان عدوانه هو إيراد الحجة التى تبطل عدوانى وما اتهمته به من إنكار إعجاز القرآن ؟ أيكون لكلامه هذا الممضوغ معنى إلا زعمه أن لديه حججاً تبطل إعجاز القرآن لا يمنعه من إيرادها إلا خوف الناس وبطش القانون ؟ إذن فقد أقر مرة أخرى بإنكاره إعجاز القرآن !

على أنى اتهمته بأكثر من إنكار إعجاز القرآن . اتهمته بأنه يرى القرآن كلام محمد لا كلام الله ، وأن الأديان كلها ،

لا الإسلام وحده ، بنت البيئة ومن وضع الأنبياء ، وأوردت على ذلك البراهين من كلامه . فهل يستطيع دحضاً لتلك البراهين ؟ إن كان يستطيع فلماذا لم يفعل ؟ وإن كانت تلك التهمة الخطيرة لا تطابق ما يعلم من نفسه ، وإن صادفت عبارات تشهد لها من كلامه ، فلماذا لم ينكر التهمة ؟ ولماذا لا ينكرها مجرد إنكار وإن لم يأت لعباراته تلك بتوجيه أو تأويل ؟ وإذا كان لا يستطيع هذا ولا ذاك فأينا الجاهل بالإسلام ، الكاذب على الله ، المخادع للناس ؟

الحق إنه يعلم من نفسه صدق ما وصفته به ، وصدق تحليلى نفسيته ، ويعلم أنى وفيت بوعيدى الذى كنت أوعدته من كشفه للناس حتى لا يعود ينخدع به مسلم ، وأنه لن يجديه بعد اليوم أن يسوق للناس ما ليس من الإسلام باسم الإسلام تضليلاً لهم وإغواء كما كان يفعل من قبل . ومن هنا عدوله عن مقارعة الحجة إلى الشتم ، ومن هنا تظاهره بالمقدرة وهو يعلم من نفسه ما يعلمه الناس فيه من العجز . ثم من هنا محاولته إيهام من لم يتتبع أصل هذه الخصومة أنى أنا الناقد الحاقد تعرضت لنقد كتابه من حيث هو كتاب ، ثم وقفت منه عند مسألة واحدة شائكة هى مسألة إعجاز القرآن . وهو يعلم والذين تتبعوا هذه الخصومة يعلمون أنه كاذب ، لأن هذه الخصومة لم تثر إلا حول القرآن وإعجازه حين عجز زكى مبارك عن فهم أبسط كلمة فى أبسط آية من سورة الفلق ، ولأن كتاب النثر الفنى لم يذكر حين ذكرناه أول مرة إلا كمرجع يحوى الأدلة على إنكار صاحبه إعجاز القرآن ، وذهابه إلى أن القرآن من كلام البشر لا من كلام الله . وطاولناه وأمهلناه لينكر ما فى كتابه مما يتصل بذلك ، فأبى إلا التشبث به ، وفضل أن يذهب معه إلى جهنم الحامية مكان الملحدين الأحرار ، فلم يكن بد من أن نورد نحن من الأدلة ما يكفى لإثبات ما ادعيناه عليه وما أسندناه إليه ، من غير استقصاء للدليل . فإن كان الذى سقناه من الدليل لا يكفيه فإن لدينا غيره من النثر الفنى ومن غير النثر الفنى مما ألف ونشر . وإن اكتفى اكتفينا بما قلنا فى هذه الناحية ، ومضينا فيما كنا بدأنا من التدليل على فساد كتابه من حيث هو بحث . وإن عاد إلى الناحية الدينية بمثل بذاءة كلمته الأخيرة وافترائه ، عدنا إلى دمغه بالحجة من غير أن نلجأ إلى إيراد نص سبق ، فما أكثر غلطاته وسقطاته وشطحاته التى أتى حين كان يظن أنه فى أمن وعافية . وليذكر البيت المشهور الذى قيل فى العقرب والعودة إليها إن عادت . ومن أنذر فقد أعذر . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

محمد أحمد الغمراوى

القضايا الكبرى في الإسلام

قضية المغيرة بن شعبة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

-٦-

كان المغيرة بن شعبة من عظماء العرب في الجاهلية والإسلام، وقد اشتهر بالدهاء، حتى كان يقال له مغيرة الرأى، فلما أسلم قبيل عمرة الحديبية لم يلبث أن ظهر شأنه في الإسلام، فاستعمله النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أموره، واستعمله أبو بكر في خلافته. وولى لعمر البحرين والبصرة والكوفة، وكان أول من وضع ديوان البصرة، وسُلِّم عليه بالإمرة

وقد اتهم بالزنا في هذه القضية الكبرى، وكان والياً على البصرة عند اتهامه بهذه الجريمة الشنيعة، فتطلع الناس إلى هذه القضية الكبرى وما يجرى فيها، لأن القضاء قبل الإسلام كان قد فسد أمره في العالم، حتى صار حكمه يجرى في الوضيع دون الشريف، ويتناول الضعيف دون القوى، كما فعل اليهود في حكم الزانى وقد أنزل رجمه في التوراة على موسى عليه السلام، فكان أول ما ترخصوا فيه أنهم كانوا إذا أخذوا الشريف تركوه، وإذا أخذو الضعيف أقاموا عليه الحد؛ فكثر الزنا في أشرافهم حتى زنى ابن عم ملك لهم فلم يرجموه، ثم زنى رجل آخر من قومه فأراد الملك رجمه، فقام قومه دونه، وقالوا: والله لا ترجمه حتى ترجم فلاناً – لابن عم الملك – فرأى اليهود أن يضعوا شيئاً دون الرجم يكون على الشريف والوضيع، فوضعوا الجلد والتحميم وحرفوا بذلك الحد الذى أنزل الله عليهم، وقد نزل في ذلك قوله تعالى في الآية – ٤٣ – من سورة المائدة (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين)

وما كان الإسلام ليعيب على اليهود تفريقهم في القضاء بين الشريف والوضيع، ثم يقع فيما وقعوا فيه، فلم يفعل مع المغيرة إلا أن أنزله من كرسى الإمارة إلى مجلس الاتهام، ليعلم الناس أنهم سواء في الإسلام، وأن شأن القضاء فيه أكبر من المغيرة ومن فوق المغيرة

وكان الذى اتهم المغيرة بالزنا أبا بكرة نفيع بن الحارث الثقفى مولى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان بينه وبين المغيرة منافرة لم يذكر المؤرخون سببها، ولعلها ترجع إلى أن المغيرة ولى البصرة بعد عتبة بن غزوان، وكان عتبة يقرب أبا بكرة لما بينهما من صلة النسب، فلما ولى المغيرة بعده لم يجد في ولايته ما كان يجده قبلها، وكان المغيرة وأبو بكر متجاورين بينهما طريق، وكانا في مشربتين في كل واحدة منهما كُوَّة مقابلة الأخرى، فاجتمع إلى أبي بكرة نفر يتحدثون في مشربته، فهبت الريح ففتحت باب الكوة، فقام أبو بكرة ليسده فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب كوة مشربته، وهو بين رجلى امرأة فقال للنفر: قوموا فانظروا. فقاموا فنظروا. وهم زياد بن عبيد أخو أبي بكرة لأمه، ونافع بن كلدة، وشبل بن معبد البجلى، فقال أبو بكرة لهم: اشهدوا. قالوا: ومن هذه؟ قال: أم جميل بنت الأرقم من عامر بن صعصعة. وكانت تغشى المغيرة والأمراء، وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها، لأن النهضة الإسلامية في ذلك العصر كانت تشمل الرجال والنساء جميعاً، فلما قامت أم جميل من تحت المغيرة عرفوها، واتفقوا على أن يشهدوا عليه عند عمر.

فلما خرج المغيرة إلى الصلاة منعه أبو بكرة، وكتب إلى عمر بما حصل منه، فعزله عن البصرة وبعث أبا موسى الأشعرى أميراً عليها، وأمره بلزوم السنة، فقال له: أعنى بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم في هذه الأمة كالملح. فقال عمر له خذ من أحببت، فأخذ معه تسعة وعشرين رجلاً، منهم أنس مالك، وعمران بن حصين، وهشام بن عامر وخرج معهم فقدم البصرة ومعه كتاب عمر بإمارته، فدفعه إلى المغيرة فقرأه، وكان أوجز كتاب وأبلغه

أما بعد – فإنه بلغنى نبأ عظيم. فبعثت أبا موسى أميراً فسلم إليه ما في يدك، والعجل

فسلم المغيرة ما في يده إلى أبي موسى، وأهدى إليه وليدة تسمى عقيلة، ثم رحل إلى المدينة ومعه أبو بكرة والشهود، فقدموا على عمر، وحضروا مجلس القضاء بين يديه، فلما فتح

باب التحقيق معهم قال المغيرة : سل هؤلاء الأعبد : كيف رأونى ؟ أمستقبلهم أم مستدبرهم ؟ وكيف رأوا المرأة أوعرفوها ؟ فإن كانوا مستقبلىَّ فكيف لم أستتر ؟ أو مستدبرىَّ فبأى شىء استحلوا النظر إلى فى منزلى على امرأتى ؟ والله ما أتيت إلا امرأتى وكانت تشبهها

فشهد أبو بكرة أنه رآه على أم جميل يدخله كالميل فى المكحلة ، وأنه رآهما مستدبرين ، وشهد شبل ونافع مثل شهادة أبى بكرة ، ولما جاءت شهادة زياد قال عمر : أرى رجلاً أرجو ألا يفضح الله به رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم يفصح زياد شهادة الزنا وقال : رأيته جالساً بين رجلى امرأة ، ورأيت قدمين مخضوبتين تخفقان ، وإستين مكشوفتين ، وسمعت حفزاً شديداً فقال له عمر : هل رأيت كالميل فى المكحلة ؟ قال : لا . فقال له : هل تعرف المرأة ؟ قال : لا ولكن أشبهها

فلم يثبت الزنا بذلك على المغيرة ، لأنه لا يثبت إلا بأربعة شهود يشهدون به شهادة صريحة ، كشهادة أبى بكرة وشبل ونافع ، فانقلب بذلك الأمر على هؤلاء الثلاثة ، وعدت شهادتهم قذفاً بالزنا ، وقد أمر بهم عمر فجلدوا حد القذف ، ولما رآهم المغيرة قال لعمر : اشفنى من الأعبد . فقال له عمر : أسكت أسكت الله نامتك ، أما والله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك

ولما كان الله تعالى يقول فى القاذفين « والذين يرمون المحصنات ، ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم » جمع عمر الثلاثة فقال لهم : من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل ، ومن لم يفعل لم أجز شهادته . فأكذب شبل نفسه ، وأكذب نافع نفسه وأبى أبو بكرة أن يفعل لأن فعل عمر به بلغ منه ما بلغ وقد حقد على أخيه زياد مخالفته له فى الشهادة ، فلم يكلمه بعدها

وقد يستغرب القارىء تلويح عمر لزياد بمخالفة الثلاثة فى الشهادة على المغيرة ، لأن مقام الحاكم يقتضى منه أن يساعد على كشف الجريمة لا على سترها ، حتى لا يفلت المجرمون من يد العدالة ، فيأمن الناس شرهم ، ويستقيم بذلك حالهم ، كما يستغرب مؤاخذة أولئك الشهود الثلاثة مع هذا بالقذف ، وإقامة حده عليهم ، وحملهم على تكذيب أنفسهم ، حتى تقبل بذلك شهادتهم فى المستقبل

ولكنه إذا رجع إلى الأصل فى تشريع تلك الحدود وزال منه ذلك الاستغراب ، لأن الشارع فى تشديده فى تلك الحدود يقصد الإرهاب أكثر من التنفيذ ، ولهذا قيد تنفيذها بقيود تجعلها لا تقع إلا فى النادر ، وإلا حين تتعين لحسم شر تفاقم أمره ، ولا يجدى غيرها فى علاجه ، كأن يشتهر شخص بانتهاك الحرمات ، فمثل هذا يجب على الإمام أخذه بتلك الحدود ، ولا يصح أن يعمل على إسقاطها عنه

وما كان لأبى بكرة أن يفعل مع المغيرة ما فعل ، فيتجسس عليه فى بيته ، ويطلع ضيوفه على أمور يجب فيها الصون ، بل كان يجب عليه أن يكف نظره عما شاهد ، ولا يحاول استقصاءه وتفصيله ، لأن المغيرة لم يشتهر بانتهاك الحرمات ، وقد كان من العقل والشرف بحيث يجل مقامه عن ذلك ، وكانت امرأته معه فى بيته ؛ فكان عليه أن يحمل ما رآه عليها ، ويكف نظره سريعاً عن ذلك الأمر الذى لا يجوز له أن ينظر إليه

ولو صح أن المغيرة فعل ما شهد به أبو بكرة ، لكان عليه أن يستر ذلك عليه هذه المرة ، ثم ينصحه فيما بينهما ، أو يخبر عمر فى السر بما رأى ، ولا يجتهد فى إقامة الحد عليه ذلك الاجتهاد الذى ينافى أصل تشريعه ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغنى من حد فقد وجب ، وقال أيضاً : اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله تعالى عنها ، فمن ألمّ بها فليستتر بستر الله ، وليتب إلى الله ، فإنه من يبدى لنا صفحته نقيم عليه كتاب الله عز وجل . وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم وعن كثير من الصحابة أنهم كانوا يلقنون المقر ما يسقط الحد عنه ، وقد أخذ بهذا جمهور الفقهاء ؛ وذهبت المالكية إلى أنه لا يلقن من اشتهر بانتهاك الحرمات

وقد قال ابن حزم فى كتابه مراتب الإجماع : والشهود الأربعة إذا شاهدوا الزنا كان أولى فى حقهم الستر بحكم الأخوة ، ويكونون كأنهم لم يشاهدوا موافقة لمن لم يشاهد ؛ فإن الله تعالى ستر على عبده حيث لم يطلع على قبيح فعله جماعة أكثر من الأربع ، فلو اختاروا الستر ووافقوا من لم يطلع كان هذا أحق ، وبالإخوة أليق ، لكن لم يفترض الستر عند تمام الحجة ، إذ لو وجب ذلك لم يبق لشرع الحد قاعدة .

عبد المتعال الصعيدى

ذو الرمة صاحب مى (*)

للأستاذ محمود عزت عرفة

إذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
« ذو الرمة »

بين عامى ٧٧ و ١١٧ من الهجرة عاش ذو الرمة سنى حياته الأربعين، أكثر ما تراه على ظهر قلوصه يذرع الصحراء ويعتسف البيد، وهو أشعث أغبر :

صريع تنائف ورفيق صرعى توفُّوا قبل آجال الحِمام
سروا حتى كأنهمو تساقوا على راحاتهم جُرع المدام

وأقل ما تراه فى حمى الكوفة أو البصرة أو دمشق لا يلبث إلا ريثما ينشد مدحته ، ثم يعود ممتطى الوطاب ، ليستأنف من سيره وسُراه على راحلته صيدح ... تلك التى :

تصغى إذا شدها بالكور جانحة
حتى إذا ما استوى فى غرزها تثب

وهو فى كل ذلك ينشد قلبه الضائع ، وينتقل من ماء إلى ماء خلف أظعان محبوبته « مى » ملتمساً وجوه الحيل إلى لقائها ، والتزود من النظر إليها والاستمتاع بحديثها ، فى عفة واحتشام يضمانه فى صف جميل وكثيِّر وقيس بن الملوح من عشاق العرب المستعففين

وذو الرمة هو أبو الحارث غيلان بن عقبة العدوى المضرى ، ويلتقى حديث تلقيبه بذى الرمة، فى قصص واحد ، مع حديث أول لقاء بينه وبين صاحبته « مى » ؛ إذ يروُون فى ذلك أنه مر يوما بخباء قومها فاستسقاهم . فقالت لها أمها : قومى فاسقيه . . . فجاءته الفتاة بالماء ؛ وكانت على كتفه رمة — وهى قطعة من حبل — فقالت : اشرب يا ذا الرمة !

ويروون كذلك أن الحصين بن عبدة العدوى ـ كبير عشيرته ـ كان أول من لقبه بذلك حين سمعه ينشد شعره . فقال : أحسنت يا ذا الرمة ؛ وكان الشاعر منذ صغره يربط بهذه الرمة جلداً فيه تعويذة ويعلقها على عاتقه حتى كبر على ذلك وشب . على أن ابن قتيبة أورد فى كتابه « الشعر والشعراء » أنه سمى بذلك لقوله :

لم يُبق منها أبدُ الأبيد غيرَ ثلاثٍ ماثلات سود
وغير موضوح القفا موتود فيه بقايا رُمةِ التقليد

أما صاحبته مى ـ بنت مقاتل المنقرى ـ فلا يكاد الرواة يختلفون فى حقيقتها ، بل إن هذه الهالة التى يطوقونها بها من الأدب الممتع لتترك فى نفس القارئ صورة جميلة لها لا تكاد تمحى

وأحاديث لقاء ذى الرمة بمى كثيرة مترددة فى كتب الأدب ، ولكن يبدو أنه بقدر جمالها وملاحتها كان قبح ذى الرمة وشناعة خلقته ، حتى لكان من قول أمه فيه : اسمعوا شعره ولا تنظروا إلى وجهه . . . وكان أسودَ اللون دميم الخلقة ينبزه جرير الشاعر بالأسود والعبد .

ومن الثابت أن مياً تزوجت من غير شاعرها ، وأنها افترقت عنه أضعاف أضعاف ما اتصلت به ؛ ولكنا لا نستطيع أن نتبين من هذا ـ ولا من غيره ـ حقيقة ما كان من شعورها نحوه ، ولا مبلغ ما تطوَّرَ هذا الشعورُ فى فترات تعارفهما المختلفة . أما شعوره هو فواضح : حبٌ خالص ، عفيف متمكن ، إلا ما كان يشوبه من ذكر خرقاء — كمحبوبة له أخرى — وسنشير إلى حقيقة ذلك بعد قليل

وقد كان من صفة « مى » عند الراوين أنها جميلة ، مسنونة الوجه طويلة الخد شماء الأنف ، عليها وسم ملاحة وجمال . ويزيد هذه الصورة فى النفس تجسيما ما يُسبغه ذو الرمة عليها من وصف ممتع فى ثنايا شعره . فهي كما يقول :

براقة الجيد واللبَّاتِ واضحة كأنها ظبية أفضى بها لبَبُ
تزداد للعين إبهاجاً إذا سفرتْ وتحرجُ العينُ فيها حين تنتقب
لمياء فى شفتيها حُوةٌ لَعَسٌ وفى اللثاتِ وفى أنيابها شنَبُ

وهى ناعمة الجمال إذا رآها ، رخيمة المنطق إذا سمعها . وأجل ما فيها عيناها وابتسامها :

لها بشرٌ مثل الحرير ومنطقٌ
رخيم الحواشى لا هُراءٌ ولا نزْرُ
وعينان قال الله : كونا فكانتا
فعولانِ بالألباب ما تفعل الخمر
وتبسم لمح البرقِ عن متوضِّح
كلَون الأقاحى شاف ألوانَها القطرُ

(*) هذا المقال فصل من بحث واف عن حياة ذى الرمة ، نجتزىء به الآن لضيق المقام

ومية بعد مشرفةُ الجيد كالغزال ، مشرقةُ الوجه كالشمس ، ولكن أجمل ما فيها – دائماً – عيناها وابتسامتها :

لها جيد أم الخشف ريعت فأتلعت
ووجه كقرن الشمس ريان مشرق
وعين كعين الرئم فيهـــا ملاحةٌ
هي السحر أو أدهى التباساً وأعلق
وتبسم عن نور الأقاحيّ أقفرت
بوعساء (معروفٍ) تُغام وتطلق

تلك مى الفتاة كما يصفها الشاعر فى ريق جمالها وميعة شبابها ، أمامىُ المسنة العجوز، بعد أن غالت شاعرها غول المنايا، وقوض من صرح جمالها تواتر الأيام ؛ فهي التي يحدثنا عنها أسيد بن عمرو حين يقص فيقول :

مررت على مي وقد أسنت ، فوقفت عليها وأنا يومئذ شاب فقلت : ما أرى ذا الرمة إلا قد ضيع فيك قوله :

أما أنت عن ذكراك مية تقصر
ولا أنت ناسى العهد منها فتذكر ؟

فضحكت وقالت : رأيتني يا ابن أخي ، وقد وليت وذهبت محاسني ، ويرحم الله غيلان فلقد قال هذا فى وأنا أحسن من النار الموقدة فى الليلة القرة فى عين المقرور : ولن تبرح حتى أقيم عندك عذره . ثم صاحت : يا أسماء ، اخرجي . فخرجت جارية ما رأيت مثلها . فقالت : أما لمن شبب بهذه وهويها عذر ؟ فقلت : بلى ! فقالت : والله لقد كنت أزمان كنت مثلها أحسن منها ، ولو رأيتني يومئذ لازدريت هذه ازدراءك إياى اليوم . انصرف راشداً . هذه مى فى أيام ذى الرمة وبعده ، فمن هى خرقاء ؟ لقد شبب الشاعر بها وردد اسمها فى شعره غير مرة ، وقدم إلينا من صفاتها الجميلة صورة معجبة . ولكن الروايات بعد كل هذا تصطدم فى حقيقة شخصيتها بين إنكار وإثبات ، فعند بعضهم أنها هى مىّ بذاتها، لقبها الشاعر خرقاء فى مواضع من كلامه . ويروى آخرون حديث خروجه إلى بعض البوادى والتقائه بخرقاء من آل البكاء من عامر بن صعصعة – وما كان من تخريقه أدواته توصلاً إلى مكالمتها بالتماس إصلاحها ؛ ثم ما كان من اعتذارها عن نفسها بأنها خرقاء لا تحسن عملاً وتلقيبه إياها بذلك وثمة أقصوصة أخرى يروونها عن سبب تشبيبه بخرقاء مُتمسِّمين بها « الرواية الكبرى » عن حبه لمى ؛ تلك هى أن ذا الرمة ضاف زوج مى فى ليلة ظلماء، فلما عرفه وخلاَّه بالعراء أنشد فى جوف الليل :

أراجعةٌ يا مي أيامنـــا الألى
بذى الأثل ؟ أم لا ، مالهن رجوع

فألزم الزوج المحنق زوجته أن تصيح بالشاعر : (يا كذا) وأى أيام كانت لى معك بذى الأثل ؟

فركب غيلان راحلته وانصرف غاضباً ، حتى مر بخرقاء ، فوقعت فى عينه ، فقال فيها يسيراً من شعره يريد بذلك أن يغيظ ميًا ، ثم ما لبث بعد قليل أن مات

ويقيم لدينا الدليل الملموس على حقيقة وجود خرقاء وانفصال شخصيتها عن شخصية مى – فضلاً عن الروايتين السابقتين – ما يقوله ذو الرمة فى مطلع قصيدة يمدح بها عبد الله بن معمر التيمى :

أخرقاء للبين استقلت حمولها ؟ نعم غربة ، فالعين يجرى مسيلها
كأن لم يرعك الدهر بالبين قبلهـا
لمىّ ولم تشهد فراقاً يزيلها

فها نحن أمام محبوبتين لذى الرمة يروعه الدهر بفراق واحدتهما بعد الأخرى ، ويؤيد هذه الحقيقة أيضاً قوله من قصيدة أخرى :

وأروع مهيام السرى كل ليلة بذكر الغوانى فى الفناء المواصل
جعلت له من ذكر مىٍّ تعلةً
وخرقاء فوق الواسجات الهواطل

ونحن نختم كلمتنا هذه بقولنا إن الغزل وما يتصل به هو الناحية البارزة من شعر ذى الرمة ، على أن فى مدائحه وأهاجيه وفى قيمة شعره الأدبية واللغوية ما يستحق التسجيل . وحسبى الإيماء هنا إلى بائيته : ما بال عينك منها الماء ينسكب ... فإنى وجدت أكثر أبياتها – بل كلها – مستشهداً به فى مختلف المصادر العربية القديمة على دقائق لغوية ونحوية وبلاغية وبيانية لا يحيط بها العد

فهذه ناحية أخرى من نواحى دراسة ذى الرمة قد نعود إلى بسط القول فيما وقفنا عليه منها ، إن أسعدنا الوقت وانفسح لنا المجال .

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

السراب ...!

[الجزء الأول من ملحمة السراب]

للدكتور ابراهيم ناجى

السرابُ الخؤونُ والصحراءُ ... والحيارى المُشرَّدُونَ الظِّماءُ
وليالٍ فى إثرهنَّ ليالٍ ... سَنةٌ أقفرتْ وأخرى خَلاءُ
قلَّ زادى بها ، وشحَّ الماءُ ... وتولّى الرفاقُ ، والأخلّاءُ
كيف للنازح الغريب ارتحالى ... وجناحاىَ السقمُ والبُرَحاءُ
وجراحى المُستَنزِفاتُ الدوامى ... وخطاى المقيَّداتُ البِطاءُ !

أدركى زورقى فقد عبث اليمُّ (م) به ، والعواصفُ الهوجاءُ !
فغرَ الليلُ فاهُ وانبسط البحـ ... ـرُ وجُنَّت أمواجه السوداءُ
والعباب العريض ، والأفق المو ... حش ، واللانهايةُ الخرساءُ !
أبدٌ لا يُحَدُّ للعين قد ضا ... ق ، فأمسى والسجن هذا الفضاءُ
سهرت ترقب الصباح وعين النـ ... ـجم كلَّت وما بها إغفاءُ !
عجبى من ترقُّبي ، ما الذى أر ... جو ولمّا يعُد لقلبى رجاءُ !
وأنا مرهف المسامع فيه ... لى إلى كل طارق إصغاءُ ...

التقينا كما التقى بعد تطوا ... ف على القفر فى السُّرى أنضاءُ
قطعوا شوطهم على الدم والشو ... ك ، وراحوا على اللهيب وجاءوا
فى ذراعيكِ أو ذراعىَّ أمنٌ ... وسلام ... ورحمة ... ونجاءُ
وعلى صدركِ المعذب أو صد ... رىَ حصن وعصمة واحتماءُ
كم أناديكِ فى التنائى فترتدُّ (م) بلا مغنم لىَ الأصداءُ
وأناديكِ فى دمائى فتنسا ... بُ على حسرة لدىَّ الدماءُ
وأناديكِ فى التدانى وما أطـ ... ـمع إلا أن يُستجابَ النداءُ
اسمُكِ العذب أروع الأ ... سماء مهما تعدَّدَت أسماءُ
لفظة لا تبينُ تنطلقُ الأقـ ... ـدار عن قوسها وترمى القضاءُ
وهي بين الشفاه ناىٌ وتغريـ ... ـد وطير وروضة غنّاءُ
وهى فى الطرس قصة تُذكر الأحـ ... ـبابُ فيها وتُنشَدُ الأنباءُ
صُدفةٌ ثم وقفة فاتفاقٌ ... فاشتياقٌ فوعدٌ فلقاءُ !
فقليلٌ من السعادة لا يكـ ... ـملُ فيه ولا يطولُ الهناءُ
فافتراقٌ فلوعةٌ فاحتراقٌ ... فجحيمٌ وَقودُه الشهداءُ

من أدب الشاطئ

موجة ...!

[مهداة إلى موجة بشرية متجبرة لعل الله يبصرها بمواطن الحق والعدل]

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

موجة أزبدت وأرغت فقلنا ... كادت الأرض تحتنا تتبعثرْ
وعلت كالجبال وهىَ رواسٍ ... وبدت مثل مارد لا يقهرْ
تقذف الرعب فى القلوب وتُلْقى ... كلَّ هَولٍ والبحر بالناس يزخرْ
تتعالى تجبُّراً كقوىٍّ ... يتعالى على الضعيف الأصغرْ
أدركتها الحظوظ سعداً فراحت ... تهزأُ اليومَ بالأنام وتسخرْ
أيها الزاخر العنيف تمهل ! ... كلُّ حال لضدها تتغير ...

ومضت لحظة علينا فكانت ... مثل عمر الندى السريع وأقصر
فإذا الموجةُ القوية أضحت ... تتلاشى على الرمال وتُنثرْ
وإذا مَتنُها الشديد الأواذى ... يتهادى فى الرمل أو يتكسرْ
والهدير الذى على صفحتيها ... صار فى الشط ساكناً لا يهدرْ
والعتوُّ الذى تمثل فيها ... صار ذكرى للمرء لو يتذكرْ

أيها الزاخر العنيف ترفَّق ... أيها الظالم القوى تدبر
كل شىء فى الكون يجرى عليه ... أجلٌ حانٌ وحكم مُقدَّرْ
إيه يا موجة التجبُّر رفقاً ... من يكن للفناء لا يتجبَّر
كان فى البحر قبل خلقك موج ... عدد الرمل والحصا أو أكثر ...
لا تقولى : أنا . ففى الكون خلق ... أنتِ أدنى منه مكاناً وأحقر ...
رُبَّ مستكبر على الأرض يمشى ... فوقه فى السماء من هو أكبر



وحدة الوجود

حضرة الفاضل الأستاذ صاحب مجلة « الرسالة »

أستأذنكم والأستاذ دريني خشبة قول كلمة وضيعة فى نقد « رسائل التعليقات للرصافى » للأستاذ دريني خشبة فى العددين الأخيرين من المجلة

كان موضوع النقد « وحدة الوجود » ، وليس فى المقالين تعريف «لوحدة الوجود» ولا اقتباس هذا التعريف عن كتاب الرصافى (إن كان الرصافى قد عرّفها)

فعبارة « وحدة الوجود » من غير تعريف مبهمة ولا أعلم كم قارىء من قراء الرسالة فهموا المراد منها . وفيما كنت أقرأ المقال الثالث للأستاذ دريني خشبة كنت أؤمل أن أفهم المراد منها فيما سرده من نظريات فلاسفة اليونان من طاليس إلى أروسطو إلى أفلاطون إلى غيرهم ؛ فإذا بوحدة الوجود ازدادت غموضاً بل غابت وراء سحب تلك الفلسفات السفسافية التى يعجز القارىء عن أن يحصل منها معنى معقولاً . وهو معلوم الآن أن نظريات الفلاسفة القدماء فى الوجود لا تذكر إلا فى تاريخ الفلسفة لكى يعلم المتأخرون ماذا كان تفكير المتقدمين فيها . لأن تلك النظريات سلاسل سخافات كنشوء الكون من (الرطوبة) ؟ أو من العدد أو من البخار إلى غير ذلك مما لا تهضمه العقول السليمة

واختلاف الفلاسفة القدماء فى شأن الوجود دليل قاطع على أنهم تخبطوا فيه على غير هدى . ولو أصابوا كبد الحقيقة لالتقوا كلهم فى مركز الحقيقة وهو واحد ، كما أن العلماء العصريين كلما اهتدوا إلى حقيقة علمية التقوا كلهم عندها من غير خلاف كالتقائهم جميعاً عند الجوهر الفرد Atom فى الكيمياء وعند كروية الأرض فى الجغرافيا وعند (تمركز) الشمس فى وسط أفلاك السيارات فى الفلك ، وعند جميع القوانين الطبيعية المحققة

فإذا كان المراد بوحدة الوجود أن الكون كله من ذرات وأجسام وأجرام نشأ من هيولى واحدة ، فهو ما أثبته العلم الحديث ولا يد للفلاسفة القدماء فيه . فقد ثبت للعلم العملى الاختبارى التجريبى أن جميع الأجسام والأجرام الأرضية والسماوية مؤلفة من عناصر كيمية مماثلة ، وأن العناصر مؤلفة من كهارب (ذريرات مماثلة . وإنما تختلف العناصر بعضها عن بعض بعدد ذريراتها وترتيبها وحركاتها فيها . فالهيولى «أصل المادة» هى الذريرات المماثلة التى تتألف منها جميع أجزاء الوجود

بهذا المعنى وبه فقط ، يعتبر الوجود « وحدة » أى أنه مؤلف من هيولى واحدة لا ثانى لها

ولم ترد وحدة الوجود في فلسفات الفلاسفة المتأخرين إلا نادراً حتى تقابل مع (ثنائية الوجود) Dualism ، والمراد من هذه أن للوجود ضلعين : مادة هيولانية وعقلاً متفاعلين . ولهم فى (الثنائية) أبحاث عويصة جداً

وعند أهل العلم ، العقل هو كالحياة أحد منتجات تفاعل المادة ؛ فهو والحياة والاجتماع وأدب النفس ، كل هذه ظاهرات للمادة — الهيولى أصل كل شىء

وما وراء الطبيعة الذى زعمه الفلاسفة وتفلسفوا به كالحرية والجبرية والقدرية والعلة والمعلول الخ ما هو إلا نتاج عقلى ، والعقل كما قلنا نتاج المادة . فإذن ليس وراء الطبيعة شىء . وما زعمه « وراء الطبيعة » وتفلسف به إنما هو ضمن نطاق الطبيعة — طبيعة المادة — الهيولى

الهيولى أصل كل شىء ، ومنها وحدانية الوجود

وأما مسألة نسبة الله إلى الوجود أو نسبة الوجود إلى الله ، فسألة فقهية لاهوتية لا أتعرض لها بتاتاً .

نقولا الحداد

حول مذهب وحدة الوجود

ليس أيسر على الناس من أن يَقْذِفوا الفلاسفة والمفكرين بالكفر والإلحاد ، فإن من دأب العامة أن تتمرد على كل ضرب من ضروب الامتياز ؛ وهؤلاء قد تفردوا بالامتياز العقلى ، فلا بد أن يكونوا موضعاً لاتهام العامة . ويظهر أن الناس أسخياء فى

منح لقب « الإلحاد » سخاء ما بعده سخاء ، فإن واحداً من المفكرين لم ينج من هذا اللقب الذى لا يكلف الناس كثيراً ! وقد كان أصحاب القول بوحدة الوجود — من بين سائر المفكرين — أكثرهم تعرضاً لهذا الاتهام ، فحكم على الفيلسوف الإيطالى جيوردانو برونو Giordano Bruno بالحرق ، وحكم على الفيلسوف اليهودى أسبينوزا B. Spinoza بالطرد من الكنيسة اليهودية ، وكُفِّر غيرهما ممن قال بوحدة الوجود كابن عربى فى الإسلام ، وسكوت إريجين Scot Erigène فى المسيحية . ولكن على الرغم من هذا الطعن الشديد الذى لقيه مذهب وحدة الوجود ، فقد استمر الفلاسفة والمفكرون ينظرون إلى وحدة الوجود على أنها أعلى صورة من صور (الواحدية) monisme وذهب نفر منهم إلى حد أبعد . فأعلن (أن وحدة الوجود هى النظرية الكونية الوحيدة التى لا بد أن يأخذ بها العالم المحدث »[1]

بيد أن ثمة فريقاً آخر من الفلاسفة قد نظر إلى « وحدة الوجود » ، على أنها تتضمن إنكاراً لوجود الله ، فذهب شوبنهور — مثلاً — إلى أن « مذهب وحدة الوجود ليس إلا صورة مهذبة لمذهب الإلحاد ، لأن حقيقة مذهب وحدة الوجود تنحصر فى أنه يهدم التعارض الثنائى الموجود بين الله والكون ، وأنه يقرر أن الكون موجود بفضل قواه الباطنة الخاصة به . فالمبدأ الذى يقول به أصحاب وحدة الوجود من أن الله والكون شىء واحد ، إنما هو وسيلة مهذبة للاستغناء عن الله ، أو تعطيل عمله » . وعلى الرغم من هذا النقد ، فإن مذهب وحدة الوجود يعتبر من أمعن المذاهب الفلسفية توحيداً وتنزيهاً . وليس من الصحيح ما يقوله شوبنهور من أن هذا المذهب يتضمن إنكاراً لوجود الله athéisme ، بل الصحيح أنه يتضمن إنكاراً لوجود العالم acosmisme . وحسبنا أن نرجع إلى كتاب «فصوص الحكم» لابن عربى ، حتى نتحقق من صحة هذا الحكم ، فإن هذا المفكر الإسلامى قد انتهى إلى القول بأن (العالم متوهم ما له وجود حقيقى) ، لأنه ليس ثمة غير حقيقة واحدة لا تتكثر ولا تتغير ، وهذه الحقيقة الواحدة هى الله أو (الحق) ؛ وهو قد أظهرنا فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، على أن الله هو عين الوجود (فما ثَمَّ إلا الله الواجب الوجود ، الواحد بذاته . . . منه وإليه يرجع الأمر كله) ، فمن التعسف إذن أن نصف مذهب وحدة الوجود بأنه إفك ينطوى على كثير من الأراجيف (كما ذهب إلى ذلك أحد الكتاب فى « الرسالة ») ، ومن قلة الإنصاف أن نحكم على الفلسفة ، باسم الدين ، حكماً هذا قدره من الخطأ والمجازفة والتعسف

زكريا إبراهيم
ليسانسيه فى الآداب والفلسفة
بدرجة الشرف الأولى

(1) إرنست هيكل : « لغز الكون » ، الفصل الخامس عشر من « الله والعالم »

إلى الأستاذ محمد أحمد الغمراوى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فإنى يسرنى أن أرسل إليكم وقد فرغتم من نقد كتاب النثر الفنى فى تعرضه للقرآن الكريم ، أجمل عبارات الشكر على ما كتبتم ؛ فإنه والله قد شفى غيظ قلوب المؤمنين ، وقمع شياطين الضلال والإلحاد بعد أن كثرت هذه الأيام فى كل واد

وقد قمتم بهذا الواجب الدينى عنا جميعاً ، فلكم من الله الجزاء الحسن والثواب الأوفى ؛ وقد كان من بركات ما كتبتم أن حيل بين مؤلف الكتاب وبين مجلتنا المحبوبة « الرسالة » التى نقدرها وصاحبها المفضال

وسلامى وتحياتى وإجلالى لكم وللأستاذ الزيات الجليل

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

حول قصيدة

جاء فى قصيدة الأديب إبراهيم محمد نجا « أغنية روح » المنشورة بالعدد الماضى من الرسالة هذان البيتان :

وإذا الدنيا كما كنت أراها فى رؤى الحب وأحلام الكرى
فكأن الفن بالحسن كساها أو براها الله خلقاً آخرا

ويلاحظ القارىء أن فى الشطر الثانى من البيت الثانى خطأ عروضى : يسمى سناد التأسيس . وقد أشار إلى مثله الأستاذ محمد محمود رضوان فى قصيدة الأستاذ الخفيف . فإلى متى يقع الشعراء فى مثل هذا الخطأ

محمد عبد الفتاح إبراهيم

شجر المشمش وميعاد إزهاره

جاء فى العدد ٥٦٩ من الرسالة الغراء شرحاً لكلمة (المشمش) الواردة فى قصيدة الأستاذ العوضى الوكيل بأنه أسبق الأشجار إزهاراً وإيراقاً . والذى أعرفه أن أول الأشجار إيراقاً وإزهاراً هو شجر اللوز ، ثم الجارنيك ، ومن ثم المشمش . ترى هل يختلف زمن الإزهار والإيراق فى مصر عن الشام ؟

(حماه) محمد كيلونى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

12 me Année No. 574

Lundi - 3 - 7 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٧٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ رجب سنة ١٣٦٣ — الموافق ٣ يولية سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٥٤١ العلم والعلماء فى رعاية الإسلام والعروبة ... ... } الدكتور عبد الوهاب عزام

٥٤٤ الأخذ عن أوربا .. ... : الدكتور محمد مندور .. ..

٥٤٧ الرصافى ، والحر ، ووحدة الوجود . .. . } الأستاذ دريني خشبة ..

٥٤٩ عرائس وشياطين ... ... } تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد بقلم الأستاذ سيد قطب

٥٥٢ فساد الطريقة فى كتاب « النثر الفنى » .. .. } الأستاذ محمد أحمد الغمراوى

٥٥٤ إعجاز القرآن فى كتاب « النثر الفنى » .. ... } الدكتور زكى مبارك ... ..

٥٥٦ وحدة الوجود بين الفلسفة والدين ... ... } الأستاذ محمد يوسف موسى

٥٥٧ نقل الأديب ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

٥٥٨ جلاد الظلال [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل

٥٥٩ حمد وشكر ... ... : ... ...

٥٥٩ « البستان » . . .. .. : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

٥٥٩ تكرار « بين » بين الاسمين الظاهرين ... ... } السيد ضياء الدين أبو الحب

٥٦٠ أغلاط ... . : الأستاذ على محمود حسن ...

العـــلم والعلماء
فى رعاية الإسلام والعربية
للدكتور عبد الوهاب عزام

إن الذين يعيشون فى حماية القانون وحراسة الشرطة ورقابة القضاء ، الذين يعيشون فى الحَضَر بين جُدرانه وأبوابه وشوارعه ودروبه ، يحسبون أن جماعة لا يسيطر عليها سلطان قاهر ولا يقهرها قانون نافذ ولا يقوم بين أفرادها قوّامون من الشرط والجنود هي جماعة مُسلّحة للقتال والنهاب ، يبطش قويها بضعيفها ، ويفتك المسلح فيها بالأعزل ، ولكنا نرى جماعات بادية تعدل بينها سُنن العيش ، وتمسك بها دون العدوان الرغبةُ والرهبة ، ويقوم عليها عرف عادل مسلط . وربما يظفر فيها الفرد من الحرية ورعاية الحق والواجب بما لا يظفر به إنسان الحضر ، ويقيده العرف بأ كثر مما تقيد الحضرى سلاسل القانون

وكذلكم يحسب الذين يعيشون فى هذا العصر ، يرون ضروباً من دور التعليم تتداول الناشئ منذ الطفولة إلى أن يبلغ الثلاثين أو يجاوزها ، ويرون وزارات للمعارف تسيطر وتدبر وتنفق ، ويبصرون سُنناً شتى ونظماً مختلفة لتلقين العلم وتفقيه

التعلم ، ويسمعون دوياً مستمراً فى التعليم والتربية ، وجدالاً متمادياً فى وضع القوانين ونقضها وخط الخطط وتغييرها — يحسب الذين يشهدون هذا ويسمعونه أن جماعة ليس فيها وزارة المعارف تضع القوانين وتنشىء المعاهد وتنفق الأموال ليس لها من العلم نصيب ، ولكنا نرى فى تاريخ الأمم كلفاً بالعلم ودأباً عليه وتبحراً فيه . ونقرأ عن العلماء النابغين فى كل علم والصناع الماهرين فى كل صنعة ، ولم يقم على هذه العلوم والصناعات وزارة للمعارف ولا حشر لها ما نعهد اليوم من الموظفين والقوانين والأموال والأعمال

وفى تاريخ الإسلام ما يحير القارىء من الحث على العلم والدأب على تحصيله والولع به واحتمال المشقة فى سبيله والرحلة إلى الأقطار البعيدة من أجله ، والتنافس فيه ، فقد جاء الإسلام داعياً إلى العلم حاثاً على النظر فى ملكوت السموات والأرض وسمَّي دستوره الكتاب والقرآن ، وكانت أول كلمة نزلت من القرآن (اقرأ) . وحمل العرب أمانة الإسلام ، ورعوا سنن القرآن ، فاجتمعت الأمم فى رعايتهم على حب العلم وطلبه ، والكد فيه والدأب عليه حتى صار العالم الإسلامى كله كمدرسة واحدة يجدّ معلموها ومتعلموها فى التعليم والتعلم . ويقوم عليها خلفاء وأمراء وكبراء يبذلون من جاههم ومالهم لأولى العلم . وقد بلغ الخلفاء بالعلم والعلماء منزلة التقديس . وأثرت عنهم فى هذا سِيَر لا يعرف الزمان نظائرها ولا يعى التاريخ أشباهها . هذا هرون الرشيد يصب الماء على يد عالم ضرير ويقول إنه يفعله إكراماً للعلم ، وولداه الأمين والمأمون يتنافسان فى تقديم النعلين لأستاذهما الكسائى . والخليفة المعتضد بالله ، كان يوماً يطوف فى بستانه وهو آخذ بيد ثابت بن قرة الحرانى ، فجذبها دفعة وخلاّها ، فقال ثابت ما بدا يا أمير المؤمنين ؟ قال : كانت يدى فوق يدك والعلم يُعلى ولا يُعلى عليه

وقد سار الخلفاء الأمويون والعباسيون والفاطميون وملوك بنى أمية بالأندلس وأمراء العرب جميعاً ، ثم الملوك المسلمون من بعدهم على سنن واحدة فى نشر العلم والحث عليه وإعزاز أهله والبذل لهم ، وبناء المدارس وخزائن الكتب وبلغوا فى هذا غاية ليس وراءها غايات

وما ظنك بأمة تدون القرآن ثم لا تعتمد على مصاحفه وحدها فتحفظه وتتلقاه بالرواية الشفوية لا تشذ منه كلمة ولا حرف ، ثم لا تكتفى بهذا بل تروى طرائق النطق به على اختلاف اللهجات ، فتحفظ للكلمات طرقاً للأداء تخلدها فى الصحف وتحفظها بالمشافهة على مر العصور ؟ ثم ما ظنك بجماعة جمعت من أفواه الناس فى المشرق والمغرب أحاديث الرسول وقد مضت عليها عشرات السنين غير مدونة . بهذه الهمة سار المسلمون فى هداية شرعة الإسلام الواسعة ، وأخوة الإسلام الجامعة ، وفى رعاية العرب الأحرار وملوكهم الأخيار

طلب المسلمون العلوم الدينية واللغوية والعقلية فى كل مكان ، بكل الوسائل وعلى كل الأحوال ، وكانت البلاد الإسلامية كالبلد الواحد يرحل طلاب العلم فيه والعلماء من جهة إلى أخرى ويقطعون الفيافى البعيدة كما ينتقل أهل القطر الواحد من جانب فيه إلى جانب ، حتى صارت الرحلة سنة بين العلماء ، فمن لا يَرحل ولا يُرحل إليه لا ينال بينهم مكانة عالية . وكم تغلغل علماء اللغة والأدب فى البوادى يتلقون عن الأعراب جيلاً بعد جيل

وحسبنا مما تفيض به أخبار العلماء هذه المثل :

الحافظ ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق المتوفى سنة ٥٧١ طلب العلم فى مكة ، والكوفة ، وبغداد ، وأصبهان ، ومرو الشاهجان ، ونيسابور ، وهراة ، وسرخس ، وأبيورد ، وطوس ، والرى ، وزنجان ، وقد عد شيوخه ألفاً وثمانمائة ، منهم نيف وثمانون امرأة

والخطيب التبريزى اللغوى الأديب . يقول فيه ابن خلكان : (وكان سبب توجهه إلى أبى العلاء المعرى أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة تأليف أبى منصور الأزهرى فى عدة مجلدات لطاف . وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعرى . فجعل الكتاب فى مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة . ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر فيها البلل . وهى ببعض الوقوف ببغداد ، وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب)

وأبو القاسم سليمان بن مطير اللخمى الطبرانى الشامى المتوفى

سنة ٣٦٠ ، رحل فى طلب الحديث إلى العراق والحجاز واليمن ومصر والجزيرة الفراتية ، ولبث فى الرحلة ثلاثاً وثلاثين سنة وعدد شيوخه ألف

وتاج الإسلام أبو سعد التميمى السمعانى نقل ابن خلكان أنه وصل فى طلب الحديث إلى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها وسافر إلى ما وراء النهر وخراسان عدة دفعات ، وإلى قومس والرى وأصبهان وهمذان وبلاد الجبال والعراق والحجاز والموصل والجزيرة والشام وغيرها ... وكان عدة شيوخه تزيد على أربعة آلاف شيخ

وانظر هـذا المثل فى الحرص على العلم إلى النفس الأخير . روى ياقوت عن بعض العلماء قال : دخلت على أبى الريحان البيرونى وهو يجود بنفسه قد حشرج نفسه ، وضاق به صدره ، فقال لى فى تلك الحال : كيف قلت لى يوماً مسألة كذا وكذا؟ فقلت له إشفاقاً عليه : أفى هذه الحالة ؟ قال لى يا هذا أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة ، ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها

غير العلماء الذين رحلوا لرؤية البلاد والأمم ووصفها عن عيان ، كالمسعودى الذى رحل إلى بلاد الفرس والهند وأطراف الصين وبلاد السودان وزنجبار ، فضلاً عن البلاد العربية وقال :

نطوف آفاق البـــلاد فتارة
إلى شرقها الأقصى وطوراً إلى الغرب

وغير الرحالين المعروفين كابن جبير وابن بطوطه وابن سعيد

ولم يكونوا فى هذا الجمع كحاطب ليل بل كانت سنتهم فى أخذ العلم التثبت والإسناد . التزموا هذين فى الحديث ثم أشاعوها فى العلوم الأخرى فصار ديدناً لكل عالم ومتعلم . وكان من تثبتهم أنهم لم يكتفوا بمـا يكتب وحده وسموا من يعتمد عليه صحفياً . والتزموا السماع من المشايخ الموثوق بهم والقراءة عليهم ، والاستجازة منهم ، فلم تقبل رواية شفوية أو مكتوبة إلا بسند مقبول ولم تقبل الكتب إلا بنسب يصلها بمؤلفيها . لم يقصروا عنايتهم على كتب الدين ، بل نالت كتب الأخبار التى لم تمت إلى الدين بصلة أو التى يتحرج منها المتدينون كأخبار الشعراء والمثنين ، كثيراً من عنايتهم . وحسبنا كتاب الأغانى .

وكثيراً ما نجد دواوين الشعراء فى نسخ عليها سماع يصحح نسبتها إلى أصحابها . وقد وضعوا للسماع أصولاً التزموها واهتدوا بها ، ومن عجيب ما روى من التثبت فى الرواية أن أبا على القالى البغدادى الذى رحل إلى الأندلس وأدّب الحكم المستنصر ولىّ عهد عبد الرحمن الناصر ، أعار تلميذه الحكم كتاباً من كتبه فأبقاه الحكم عنده مدة طويلة فلما رده إلى أستاذه أسقط الرواية به وقال : لا آمن أن يكون لحقه تغيير وهو عند الحكم

هـذا وقد كان التعليم فى أكثر مقاصده يراد به وجه الله وحفظ الدين وما يتصل به أو تكميل النفس ، والاستجابة لنزوعها إلى المعرفة . ولم يكن موصولاً بالمناصب والمرتبات كما نرى فى هذا العهد . لم يكن أهل العلم مضيعين ولم يكونوا محرومين من الجزاء الحسن ، ولكن لم يكن طلب العلم مرتبطاً بالشهادات والدرجات ارتباطه فى هذا العصر ، بل اختلف علماؤنا فى جواز أخذ الأجر على التعليم ، واستقبحوا أن يطلب العلم للمال والجاه ونحوهما

وسنذكر بعد ما قاله بعض العلماء حينما أنشئت المدارس ورتبت فيها الوظائف لطلاب العلم

دور العلم

كان طلب العلم فى المساجد وفى دور العلماء أحياناً ، وكانت خزائن الكتب مباءة درس كذلك . ثم أنشئت مدارس للتعليم خاصة

فأما المساجد فقد كانت دور علم فى البلاد الإسلامية على اختلافها فى هـذا ولا سيما المساجد الجامعة . فالجامع العتيق فى مصر وهو المعروف اليوم بجامع عمرو كانت فيه دراسة متصلة . وكان به فى بعض العصور أربعون حلقة للدرس لا تبرحه ، وبهذا الجامع درس الشافعى وتلاميذه ، وبه أملى الطبرى ديوان الطرماح . وفيه تنبّى أبو تمام ، وغشى حلقاته المتنبى

وجامع ابن طولون وهو أكبر جوامع القاهرة وأقدمها كانت تدرس به العلوم الدينية كما يدرس الطب والميقات ، وكذلك كان الجامع الأموى . قال ابن جبير : « وقد أجرى فيه كل يوم لأكثر من خمسمائة إنسان » . وكذلك كان جامع قرطبة فى الأندلس وجامع الزهراء ، وفيه أملى القالى كتاب

الأخـــــذ عن أوربا

للدكتور محمد مندور

يردد بعض الناس هنا وهناك أن الشرق غير الغرب، وأنه لا سبيل لالتقائهما، ونحن فى الحق لا نعرف قولاً أكذب من هذا وبخاصة فى مجال الثقافة، حيث يشهد التاريخ أن التيارات الفكرية لم ينقطع لها مدد بين شطرى العالم، وإن كان من الصحيح أن لكل من هذين الشطرين خصائص مميزة إلى جانب ما يجتمعان فيه حقائق إنسانية عامة

والناظر فى تاريخ الحضارات يلاحظ أنها لم تتوقف قط عن التأثر ببعضها البعض، ولئن كان من الثابت أن الشرق قد كان مهد الحضارات؛ فإن الغرب لم يلبث أن أخذها عنه واتجه بها وجهات جديدة فنشر فى الروح مبادىء العقل واتجه بالنظر إلى العمل، وبذلك وسع من أسس الحياة الروحية كما مكن للانسان من استخدام المادة والسيطرة عليها

ولقد سبق للعرب أن اتصلوا بالحضارة الإغريقية القديمة، وأخذوا عن تلك الحضارة ما أمكن أخذه مما يصح عند العقول كافة كأصول التفكير الرياضى والفلسفى، وأما ما يتصل من تلك الحضارة بمقومات الحياة الاجتماعية والعاطفية، وهو ما تتميز به الحضارات، فلم يستطيعوا بداهة فهمه ولا قبوله أو نقله، ومن هنا لم يترجموا إلى لغتهم شيئاً من شعر الإغريق وإن كانوا على العكس من ذلك قد ترجموا جانباً من أشعار الفرس كالشاهنامه وغيرها. وربما كان ذلك لأن حياة الفرس التى يصورها ذلك الشعر كانت أقرب إلى حياة العرب من حياة الإغريق، ثم إن الدين قد لعب فى هذه المفارقة دوراً حاسماً، فالفردوسى شاعر مسلم وهوميروس وثنى

ولقد تجردت نفس الظاهرة ببلادنا منذ أن أخذنا ننقل عن أوربا فى أوائل القرن التاسع عشر إلى يومنا هـذا، فالشعر بل والنثر الأدبى بمعناه الضيق كان آخر ما أخذنا فى نقله، بينما

الأمالى. ولا تزال المساجد حتى اليوم موضع درس

وأعظم المساجد صيتاً فى التعليم فى عصرنا الجامع الأزهر بمصر، وجامع الزيتونة فى تونس، وجامع القرويين بفاس

ثم أنشئت دور للتعليم خاصة، من أقدمها بيت الحكمة الذى بناه الرشيد فيما يظهر، وكان للترجمة والتعليم. روى القفطى فى أخبار بنى موسى بن شاكر أن المأمون أوصى بهم إسحق ابن إبراهيم المصيصى وأثبتهم مع يحيى بن أبى منصور فى بيت الحكمة... إلى أن قال: فخرج بنو موسى بن شاكر نهاية فى علومهم، وكان أكبرهم وأجلهم أبو جعفر محمد، وكان وافر الحظ من الهندسة والنجوم عالماً بأقليدس والمجسطى وجميع كتب النجوم والهندسة والعدد والمنطق

وفى القرن الثالث الهجرى أراد المعتضد بالله العباسى أن يبنى ببغداد جامعة. روى المقريزى أن الخليفة المعتضد لما أراد بناء قصره فى الشماسية ببغداد استزاد فى الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد، فسئل عن ذلك فذكر أنه يريد ليبنى فيه دوراً ومساكن ومقاصير يرتب فى كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية، ويجرى عليهم الأرزاق السنية ليقصد كل من اختار علماً أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه، ولم يكن رأى المعتضد عجبا فى ذلك العصر الذى أولع فيه الناس بالعلم ومهدت وسائله، ولم يكن جديداً فيه إلا جمع الناس فى مكان واحد

ثم أنشئت جامعة القاهرة التى سميت دار العلم فى القرن الرابع. أنشأها الحاكم بأمر الله، وفتحت للناس يوم السبت عاشر جمادى الآخرة سنة ٣٩٥، وحملت الكتب إليها للنسخ والقراءة، ودرس بهـا القراء والنحويون والأطباء والمنجمون ودرس الحساب والمنطق

قال المقريزى: وأباح ذلك كله للناس على اختلاف طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها... وحضرها الناس على طبقاتهم، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلم، وجعل فيها ما يحتاج إليه الناس من الحبر والأقلام والورق والمحابر

(للحديث بقية)

عبد الوهاب عزام

اتجهت جهود بعثات محمد على وخريجو مدرسة الألسن إلى نقل العلوم أولاً ، ولهذا الاتجاه سبب مزدوج ، فوالى مصر العظيم محمد على كان رجلاً ذا طموح عملى ، ولقد رأى الأوروبيين يسيطرون بعلومهم التى تمكنهم من القوة المادية ، ولهذا أرسل معظم أعضاء بعثاته للتخصص فى تلك العلوم كالهندسة والكيمياء والطب وصناعة السفن والفنون الحربية المختلفة ، والسبب الثانى هو ما سبق لنا أن أشرنا إليه من بعد الكتابات الأدبية شعراً ونثراً عن محيط حياتنا فى الشرق واتصالها الوثيق بنوع الحياة والإحساس الغربيين

هذا ، إلى ما فى نقل الأدب من مشقة ، بل من استحالة فى بعض الأحيان وبخاصة الشعر

وبعد : لقد سبق فرأينا أن نهضتنا الحالية تقوم على أساسين : بعث التراث العربى القديم ثم الأخذ عن أوربا . ولامراء فى أن البعث لا يثير بيننا جدلاً ، وكلنا مجمعون على وجوبه بدافع قومى وثقافى معاً . وليس كذلك أمر الأخذ عن أوربا فهنا يجب أن نميز بين نوعين مما نأخذ : أخذ مبادىء العلوم المادية والعقلية وهذه لا نظن أن صوتاً جدياً يرتفع لمقاومتها . وهى فى الحق ليست ملكاً للعرب ولا للشرق ، بل ولا من السهل أن نقول أين نبتت وأين نمت ، ومثلها مثل السيل يجتمع من جداول لا حد لها تأتيه من كافة الآفاق ، وعلى العكس من ذلك أخذ الأدب ؛ فهنا ترتفع الخصومة ويشتد الصخب ، ولتلك الخصومة ما يبررها وهى حقيقة بأن ننظر فيها عن قرب ، وذلك لما للأدب من خطورة لا يدانيها شىء ؛ فالأدب وعاء لتقاليد الأمة الاجتماعية والأخلاقية ، بل والدينية ، وفيه تتركز روحها بحيث يعتبر بحق مرآة حياة الأمم ، ثم إنه من أخص المجالات التى تظهر فيها أصالة الشعوب فى الخلق والحساسية وإدراك مواضع الجمال والقبح ، ومن الطبيعى أن تحرص كل أمة على مقومات حياتها كما تحرص على أصالتها

ولكننا نلاحظ برغم ذلك أننا قد أخذنا فى الربع قرن الأخير ننقل عن أوروبا أدبها شعراً ونثراً ؛ فهل فى هذا حقيقة ما يهدد كياننا القومى أو يمس أصالتنا كشعب شرقى له مميزاته التى رسبت عن السنين الخالية ، حتى استقرت بروحه ؟

ذلك ما لا نراه . فحياتنا الراهنة قد تأثرت بما نقلنا عن أوروبا من علوم وتطبيقات لتلك العلوم أكبر التأثر حتى أصبحت اليوم بلا جدال أقرب إلى الحياة الأوروبية منها إلى حياة البداوة الأولى . ونحن اليوم نجاهد شعباً وحكومة لنشر هذا النوع الجديد من الحياة بأقصى وسعنا . وهذا شىء من السهل أن يفسره العقل ، فبمواصلة الطَّرْق لا بد أن تصبح حداداً . بل إنك لتستطيع أن تصل إلى الإيمان ذاته بالمواظبة على شعائره وحركاته الخارجية ، فما بالك بالأثر الخطير الذى تحدثه مظاهر الحياة المادية فى نوع الحياة اليومية التى نحياها ؟ ومن هنا لا يستطيع أحد أن يزعم أن مقومات حياتنا لا تزال بعيدة عن أن تجد فى الأدب الأوروبى ما يعبر عنها بل ويغذيها . وليس من شك فى أن هناك الكثير من مبادئ الأخلاق والاجتماع ، بل ومن مبادئ الدين التى نتفق عليها مع الغربيين بحيث لا نكاد نتبين مواضع الخطر على حياتنا القومية فى النقل عن أوروبا . ونحن بعد لا نجهل أن هناك جوانب من الحياة الاجتماعية نخشى محاكاتها بغير حذر واستنارة . وأهم تلك الجوانب مشكلة العلاقة بين المرأة والرجل ، وتلك مشكلة تمد الأدب فى الشرق والغرب أكبر المدد . ولكننا وإن كنا مجبولين بطبعنا على وجوب التبصر إلا أننا نلاحظ أن الأدب العربى ذاته قد وصل فى تصوير تلك العلاقة إلى حد من الحرية بل والإباحة لا نحتمله نحن اليوم ، بل ولا يجرؤ عليه شعراؤنا ، وفى قصائد امرئ القيس وعمر بن أبى ربيعة وبشار وأبى نواس من ذلك الشىء الكثير . وبالرغم من هذه الحرية وتلك الإباحة لم تثر ثائرة العرب ولا قوضت أركان حياتهم ولربما كان فى الأدب متنفس أهون ضرراً من الكبت والتزمت .

ثم إن الهيئة الاجتماعية بوجه عام تأخذ الأدباء وبخاصة الشعراء منهم في جميع بلاد العالم بشيء كثير من التسامح حتى لنلاحظ أننا في مصر نفسها كثيراً ما نقرأ للشعراء ما لا يجرؤ ناثر أن يقوله . ولقد سبق لروسو عند مناقشته للدور الذي يلعبه المسرح في الحياة أن أنكر قدرته على تقويم معوج أو إصلاح فاسد، لأن الناس لا يذهبون إليه لتلقي درس في الأخلاق والاجتماع بل لمجرد التسلية أو المتعة العقلية وفي هذه التسلية وتلك المتعة ما يكفي لأنها تهون علينا حمل الحياة . والأمر في الأدب عامة كالأمر في المسرح

***

وأما عن الأصالة في خلق الأدب والمحافظة على خصائصه المميزة ، فهنا أيضاً لا نرى خطراً من المحاكاة ، بل نراها على العكس المدرسة الأولى للأصالة ، ومن ناشئة الأدب من يظنون مخطئين أن الأديب يُخلق من العدم ، وأن الموهبة في غنى عن القراءة والتحصيل والاستيحاء ، بل والمحاكاة أحياناً ، مع أن تاريخ كبار المؤلفين وكتبهم تشهد بنقيض ذلك . فلافونتين قد أخذ « حكاياته » عن إيزوب اليوناني ولابروبير ابتدأ « صوره الأخلاقية » بالنقل عن تيوفراست ، بل وشكسبير نفسه قد استقى موضوعات رواياته من « بلوتارخ » و « تاسيت » و « جيرالد دى سنتيو » وغيرهم . ومع ذلك لم يقل أحد إن هؤلاء الكتاب الكبار قد فقدوا أصالتهم . ولقد يقول قائل فليكن . ولكن لم نحاكى الأوربيين ونستلهمهم ولدينا تراثنا القديم الخليق بأن يمدنا بما نريد

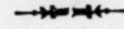
وجوابنا على ذلك هو أننا لا نريد أن نقصر الأخذ على أوربا . ولقد قلنا في المقال السابق إن في الأدب العربي ، بل وفيما نظن أنه قد مات منه ما لا يزال ولن يزال حياً أبد السنين كالحنين إلى الديار ، وذلك لضربه في الشعور الإنساني بأعراق عميقة ، ولكننا مع ذلك نلاحظ أنه ما دامت حياتنا قد تغيرت،

وما دام الأوربيون قد استحدثوا من الأدب أنواعاً لم يعهدها أدبنا العربي ، فإنه من الحمق أن نزج بالاعتبارات القومية في هذا المجال ونحرم أنفسنا من أنواع الثقافة والغذاء الروحي . ولو أن الأوربيين كانوا مكاننا لما أحجموا عن الإفادة منها ، ولقد سبق لهم أن نهبوا تراث الشرق قبل أن يغزوه بأسلحتهم . فما بالنا نتقاعد تقاعد الكسالى الذين يحتجبون خلف نعرة باطلة ليخفوا ما هم فيه من عجز عن اللحاق بقافلة العالم التي تسير حثيثة الخطى

محمد مندور

الرصافى ، والحر ، ووحدة الوجود

للأستاذ دريني خشبة



الدنيا حر ! والكلام فى الفلسفة ، وفى وحدة الوجود كما يفهمها الأستاذ الفاضل ، معروف الرصافى ، يزيد رهق هذا الصيف القاهرى القائظ ، والناس لهذا السبب محتاجون إلى ما يسليهم لا إلى ما يكربهم ، ويؤجج الدنيا من حولهم ، ويزيدها سموماً إلى سموم ...

إلا أننا مع ذلك لا نرى بدأ من العودة إلى هذه القضية ، قضية الأستاذ الفاضل ، معروف الرصافى ، أو قضية وحدة الوجود ، مكرهين ، بعد إذ حسبنا أننا قلنا فيها الكلمة الأخيرة ، أو كلمتنا نحن الأخيرة على أقل تقدير ...

فأستاذنا الفاضل المحبوب (نقولا الحداد) يتفضل فيشرف هذه القضية بالاشتراك فيها ، فى حيّز خاص ، ويلاحظ أننا لم نورد تعريفاً لنظرية وحدة الوجود ، ولا اقتبسنا هذا التعريف عن كتاب الرصافى (إن كان الرصافى قد عرّفها) ثم قال حفظه الله إن مقالنا الثالث زاد النظرية غموضاً ، بل جعلها (تغيب وراء سحب تلك الفلسفات السفسافية التى يعجز القارئ عن أن يحصل منها معنى معقولاً) . ثم أخذ الأستاذ الجليل يفيض علينا بعد ذلك من علمه الغزير الذى طالما انتفعنا به ، شارحاً رأيه ، أو رأى العلم الحديث ، فى نشأة الخليقة ، مما لا نعرض له هنا بخير أو شر ... لأن الدنيا حر ، كما بدأنا هذه الكلمة ، ولأن الرجل الذى لا يعترف بالوجود إلا للمادة ، ويقرر أنه ليس وراء الطبيعة شئ ... وأنها — أى الطبيعة — هى كل شئ ، وأنه يعتبر مسئلة نسبة الله إلى الوجود ، أو نسبة الوجود إلى الله مسئلة فقهية لا هوتية لا يتعرض لها بتاتاً ... ذلك الرجل الفاضل الذى يقول هذا جازماً به غير متردد فيه ، لا بد أن يكون بطل هذا الموضوع . والبطولة فى هذه الموضوعات الشوائك تفتح أبواباً ليس فى فتحها خير لأحد ، لأنها تفضى إلى مجادلات فارغة ، وتولد خصومات مرة . بل ربما أحدثت فتنة لا تصيبن الذين ظلموا خاصة

ونحب أن نوضح موقفنا فى هذه القضية التى ابتلانا بها الأستاذ الفاضل معروف الرصافى ، كى يقتصد بعض كتابنا الأجلاء ، وأدبائنا المحترمين ، فلا يحرفوها عن مواضعها ، ولا يمدوا بها عما أردنا أن نحصرها فيه . فقد ألف الأستاذ الرصافى كتابه تعليقاً على كتابى صديقنا الأعز الدكتور زكى مبارك : التصوف الإسلامى والنثر الفنى ، ثم تعليقاً على كتاب لمستشرق إيطالى يدعى (لئونا كايتانى) سماه (التاريخ الإسلامى) ، والتعليقات على الكتابين الأول والثالث تعليقات من وجهة نظر تعد إسلامية بحتة ، وقد ذكرنا شيئاً كثيراً عن معتقدات الأستاذ الرصافى الذى لا يفهم معنى للآية : لا إله إلا الله ... ويرى الصحيح أن يقال : لا إله إلا الوجود . وينكر الوحى على الصورة التى يؤمن بها المسلمون ، وينكر أن القرآن كلام الله . ويكرر عبارة ... قال محمد فى القرآن ، فى معظم صفحات كتابه ، ثم ينكر البعث على صورته الإسلامية ، وينكر الحساب والثواب والعقاب ، ويؤولها تأويلاً سخيفاً مضحكاً أشرنا إليه فيما كتبنا من قبل . ويؤمن — كما ننقله بحروفه من مقالنا الثانى (العدد ٥٧١) — بوحدة الوجود فيقول : « إن البحث والتفكير قد ألجآنى إلجاء لا محيص عنه إلى الإيمان بوحدة الوجود (ص ١١) » ، وأن الله هو الوجود المطلق اللانهائى (ص ١٣) ، ويدعى أن كل شئ فى هذا العالم جزء من الله ، أو أن المخلوقات « مظاهر للوجود الكلى » كمظاهر الأمواج لماء البحر المائج ، (وقد فاتنا أن نذكر أن هذا التشبيه ليس من اختراع الرصافى ، بل إنه قد أخذه عن شيخه التلمسانى أحد القائلين بهذا الإفك — ولا يؤاخذنا الأستاذ زكريا — (كتاب الحجج النقلية والعقلية للعلامة ابن تيمية ص ٧٩) ، وهذه هى وحدة الوجود التى يؤمن بها الرصافى ، الله هو العالم والعالم هو الله ، وأن ممن قال ذلك فى القرآن فى سورة الحديد : «هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم» ؛ فإن هذه الآية تدل بمفهومها دلالة صريحة على أن لا موجود إلا الله ... هو الأول الذى ليس له بداية ، والآخر الذى ليس له نهاية ، وليس معنى هذا إلا أنه هو السرمدى اللانهائى ، وهو الظاهر الذى نراه بأعيننا وندركه بحواسنا ، (أى نراه ونشمه ونسمعه ونذوقه ونحسه ، ولا أدرى ما ذا

أيضاً !) والباطن الذى لا نراه ولا ندركه ، وليس معنى هـذا إلا أنه هو كل شىء ، وأنه لا موجود غيره . ونحن إذا أخذنا صفو المعنى من عبارة الآية قلنا بأن الله هو الموجود الكلى المطلق اللانهائى ، وأنه لا موجود غيره . هذه هى وحدة الوجود التى هي أساس مذهب التصوف وهذا منشؤها » (بحروفه من الرسائل ص ١٣)

وقد فرع الرصافى من هـذه النظرية كل ما ذهب إليه من إنكار ما أنكر من صميم العقائد الإسلامية التى تخرج منكرها من حظيرة الإسلام ، ثم فرع منها تساوى المتضادات ، فالخير مثل الشر ، ومصيرهما واحد ، والتقى مثل الدعارة ، والكفر مثل الإيمان ، والأبيض مثل الأسود ، والعقل مثل الجنون ، وتفكير العلماء المهذبين مثل تخريف الجهلاء المخرفين ، ولا فرق بين فضيلة ورذيلة . والمغفل لهذا السبب ، هو الذى يحرم نفسه من لذة أتيحت له ، سـواء أتاحها له الرحمن أو هيأها له الشيطان ...

والأستاذ الفاضل معروف الرصافى ، يدعونا فى آخر كتابه إلى الأخذ بآرائه هذه ، ويعزو غفلة المسلمين وتأخرهم إلى التمسك بحرفية الإسلام وعدم تأويله كما تزخرف له الأباطيل التى فرعها عن تلك النظرية .. وقد ذكرنا فى مقالنا الأول ، كما ذكرنا فى مقالنا الأخير أنه لولا هذه الدعوة لأهملنا الرد على ترهاته إهمالاً تاماً . . . لأننا لسنا موكلين بأفهام الناس ، ولا جعلنا الله قوامين على حرية الفكر

من هذا يرى أستاذنا الفاضل المحبوب نقولا الحداد أن القضية قضية إسلامية ، زعم الرجل المسلم الذى أثارها ـ أنها من تفكير رسول المسلمين ، وأن متصوفة المسلمين هم الذين أذاعوا بها ونشروها ، مما اضطرنا إلى نقض هـذا الزعم بإثبات وجودها فى الفلسفة اليونانية . . . فى ذلك المقال الذى لا أدرى والله كيف زاد النظرية غموضاً

ومن هذا يرى أستاذنا الفاضل المحبوب نقولا الحداد ، أننا قوم مسلمون ، قام فينا رجل ينقض لنـا معتقداتنا ، ويزعم لنـا أن الحمير والبغال والجمال والحمام والبط والأوز والهوام والضفادع وكل ما يدخل فيها ويخرج منها هو جزء من الله الذى نعبده ونؤمن به ··· وأننا نستطيع أن ندرك هذا الإله فنراه ونشمه ونتذوقه ونسممه ونحسه ونأكله ونشربه ونلفظه ونبنى به بيوتنا بجميع غرفها وجميع « مرافقها ! » فننام فيه ونخرج منه ـ ولا نخرج منه إلا إليه ! ـ ثم يأتى يوم فنهدمه !

أفإن زعم لنا هذا الرجل تلك المزاعم ، وزعم لنا أن رسولنا الكريم هو صاحب هذا اللغو . وأن ما نؤمن به من إلـه قدير خلق هذا العالم ولا يعقل أنه هو ··· أو هو إياه ! ـ باطل أوقعنا فيه قصر نظرنا . ثم غلا بعد ذلك فهدم المعايير الأخلاقية بقوله فى تساوى المتضادات ··· فهل يوافق أستاذنا الجليل المحبوب « نقولا حداد » على ترك هـذا الإفك ، يسمم عقول المسلمين ، وإغفال تلك الأراجيف تعبث بالفضائل التى يحثنا عليها ديننا الكريم القويم ؟!

لست أدرى لماذا أوجه هذا الحديث كله إلى الأسـتاذ نقولا الحداد ، ولا أوجه شيئاً منه إلى الكاتب الأديب الفاضل الأستاذ زكريا إبراهيم (الليسانس فى الآداب والفلسفة بدرجة الشرف الأولى) الذى طالما أثنيت على رقائقه الجيلة لأستاذنا الزيات ، شفاه الله وعافاه ، وحفظه للأدب والدين ، وإن أنكر الرصافى المغوار فائدة الصلوات والأدعية

لست أدرى لماذا لا أوجه شيئاً من هذا الحديث إلى أخينا الأستاذ زكريا ؟! ألكونه جعلنا فى كلته الطيبة من العوام الذين يرمون الناس بالإلحاد ويمنحونهم ألقابه التى لا تكلفهم شيئاً ؟ أم لكونه جعلنا نكرة حيث تفضل علينا بتلك الأشارة العظيمة الكيسة التى سوف تـكسبنا الخلود ! لا هذا ولا ذاك . . . فنحن مع ذلك نعترف بقيمة ما قرأناه لهذا الأديب المفكر المهذب ، ولكننا بالرغم من حسن رأينا فيه ، نصر على توجيه السؤال التالى إليه :

أيؤمن حضرته بأن هذا العالم غير موجود ؟ وبما انتهى إليه ابن عربى من أن العالم متوهم ماله وجود حقيقى ، لأنه ليس ثمة غير حقيقة واحدة لا تتكثر ولا تتغير ، وهـذه الحقيقة الواحدة هى الله أو الحق ، وأنه ما ثم إلا الله الواجب الوجود ، الواحد بذاته ... الخ ؟

على هامش النقد

عرائس وشـــياطين

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

للأســـتاذ سيد قطب

« هذه الصفحات نخبة مجموعة من وحى العرائس ذوات الشياطين ، أو من وحى الشياطين ذوى العرائس . تلقيناها من من هؤلاء وهؤلاء ، وجمعناها هدية إلى القراء . وكل ما توخيناه فيها أن نتجنب التكرار كما نتجنب الاسفاف والاطالة

« فهذه قصائد من الشعر العربى أو العالمى ، يكثر فيها الايجاز ويقل الاسهاب ، ويندر فيها المشهور المتكرر على جميع الأسماع ...

« وحسبنا منها شرط واحد نرجو أن يتحقق لها جميعاً فى رأى قرائها ، وذلك أنها — وهى من وحى العرائس والشياطين — خير ما يقرب الانسان إلى قلب الانسان »

عباس محمود العقاد

جدَّ لى رأيان متناقضان فى هـذه المجموعة ، هما اللذان أستعرضهما هنا مع القراء : ففى أثناء القراءة الأولى السريعة ، ولم أنته بعد من المجموعة ، ولم أتبين مواقع قصائدها ومقطوعاتها فى نفسى . فى هـذه القراءة التى يلتفت فيها الذهن إلى أكثر الأشياء التماعا ويلتفت فيها الحس إلى أشد الأصوات تصدية ... عندئذ قلت : إن الشعر العربى يستطيع أن يقف على قدميه أمام الشعر العالمى

وحينما انتهيت من قراءة المجموعة وخلوت إلى نفسى أتبين موقع كل قطعة وكل قصـيدة ، وألمح وراء الألفاظ والمعانى ، ما ترسمه من ظلال إنسانية وما تصوره من حالات نفسية . عندئذ قلت : إن هـذه المجموعة صحيفة اتهام للشعر العربى !

فأى الرأيين هو الخطأ ، وأيهما هو الصواب ؟

مرجع الحـكم فى هذا هو طريقة إحساسنا بالحياة ، وحقيقة مطالبنا من الشعر . فأما أنا فلا أتردد فى القول بأن الحياة فى صميمها إن هى إلا انفعالات واستجابات ، وعواطف وحالات نفسية ، وأن الأفـكار والمعانى إن هى إلا بلورات صغيرة على سطح الحياة ، وكثيراً ما تـكون مموّهات لجريان الحياة ، وإن كانت فى أحيان قليلة تساعدها على التعمق والنفاذ

أيؤمن حضرته بأن هذه الأرض التى نعيش فوقهـا وهى تسبح بنا فى السموات وهم فى وهم ؟ وأن الشمس التى تنير لنا ظلمات البر والبحر ، وهم فى وهم ، وأن كل شىء من هذه المدركات وهم فى وهم ، حتى الأستاذ زكريا نفسه وهم فى وهم ، وأن ليسانسيه الآداب والفلسفة بدرجة الشرف الأولى التى حصل عليها بعد أن أذاب بصره وصهر مخه وهم فى وهم ، وأن أساتذته المحترمين المبجلين وهم فى وهم ، وأن البطيخ اللذيذ البارد الذى يطفئ حر الظمأ فى هذا الصيف القائظ وهم فى وهم ، وأن باعة هذا البطيخ الذين يشتطون فى ثمنه هذه الأيام وهم فى وهم ؟!

أيؤمن حضرته بأن جدار غرفته التى يقرأ فيها كتب فلسفاته وهم فى وهم ، وأنه لو نطح برأسه هذا الجدار لما سال الدم منه لأن الجدار وهم فى وهم ، ولأن رأسه وهم فى وهم ، وحتى لو فرض أن سال الدم ، فالدم وهم فى وهم ؟ ! ما هـذه الفلسفة يا عالم ؟! ولماذا يعز عليكم أن نصف هذه الفلسفة بأنها إفك وأنها تنطوى على كثير من الأراجيف ؟ ولماذا يكون من قلة الإنصاف أن نحكم على الفلسـفة باسم الدين ، ما دامت هذه الفلسفة كما رأى الأستاذ زكريا تحاول نقض ديننا الـكريم القويم ، وما دامت هـذه الفلسفة تدعونا إلى ذلك التدهور الأخلاقى والتحلل من جميع الآداب ؟ أيؤمن الأستاذ الفاضل زكريا إبراهيم بتساوى المتضادات كما يؤمن الرصافى ؟ أيؤمن بأن الدعارة كالتقى ، وأن إكباب المرء على حليلته لا يقل عن سجوده بين يدى الله ؟ أم أن هذا هو حكمنا على الفلسفة باسم الدين ، وهـذا قدر ذلك الحـكم من الخطأ والمجازفة والتعسف ؟

وما رأى أستاذنا الفاضل المحبوب نقولا الحداد فى هـذه الفلسفة التى لا تعترف بالعالم ، أو بالطبيعة التى لا يؤمن حضرته بما عداها ؟!

يا عالم ... الدنيا حَر ، ونحن موجودون ... فكونوا أنتم وهماً فى وهم ... ودعوا لنا ديننا الفطرى الجميل الساذج ... فالعالم يجد وأنتم تلهون .

دريني خشبة

وليس « الإنسان » الراقى هو الذى تستهويه المعانى المجردة والأفكار المبلورة ، - كما يعتقد الكثيرون - ولكنه الإنسان الذى يتعمق حسُّه أدقّ المشاعر وأجلها ، والذى يدرك نبضات الحياة وانفعالاتها ، والذى يتخذ من ذلك كله غذاء لحسه وفكره جميعاً

والشعر هو نبضة قلب قبل أن يكون لمة فكر ؛ وهو خفق حياة ، قبل أن يكون فكرة ذهن ، وهو حالة نفسية قبل أن يكون قضية فكرية ؛ وهو ظلال إنسان قبل أن يكون التماع أفكار ، ووسوسة أفئدة قبل أن يكون رنين ألفاظ

فإذا نحن نظرنا إلى الشعر العربى بهذه العين فى مجال الشعر وجدناه فقيراً فى الظلال الإنسانية والحالات النفسية بمقدار ما هو غنى بالأفكار والمعانى والاستجابات الحسية المباشرة التى لا تتعمق النفس الإنسانية إلى مدى بعيد

والتعبير العربى - وبخاصة فى الشعر - تعبير مباشر أقرب ما يكون إلى الاستجابة الحسية ، فهو يؤدى الفكرة أو المعنى ، ثم لا تلمح وراءه مخلوقاً إنسانياً . إنك تلمح ولا شك فكراً وحساً ، ولكن المخلوق الإنسانى الذى يشتمل الفكر والحس ويشتمل بجوارهما حياة آدمية كاملة قلما تلمحه وراء التعبير العربى

ولقد خيل إلى مرة أن هذه اللغة نبتت فى الظهيرة على صحراء مكشوفة . فهى لا تلقى حولها ظلا . ليس هناك ما يسمونه « بين السطور » كل لفظ وكل تعبير يقابله معنى أو فكرة ، ثم لا شىء وراء المعنى ووراء الفكرة . لا ظل . لا صورة . لا رؤى فى الضباب غير مميزة الملامح بينما تثير فى النفس شتى التخيلات وشتى الاهتزازات

وبمقدار الغنى فى الأفكار والمعانى الذى تضمنه الشعر العربى ، كان الفقر فى الرؤى والأحلام ، وفى الصور والظلال ، وفى الحالات النفسية ، والملامح الإنسانية ؛ وهذا هو مفرق الطريق بين الشعر العربى وكثير من الشعر العالمى فى مجموعة « العرائس والشياطين »

حتى شعر الغزل عند المذربين وغير المذربين ، قلما تجد فيه وراء اللفظ إلا المعنى ، ووراء التعبير إلا الفكرة . قلما تلمح الحالة النفسية والملامح الإنسانية ، قلما تسمع الوسوسة والهينمة التى لا تعرف مصدرها ، ولا تدل عليها الألفاظ بذاتها ، ولكن تدل عليها الظلال التى تلقيها الألفاظ وتتوارى خلف التعبيرات .

إن بيتين ساذجين بسيطين كقول مسلم بن الوليد (فيما أذكر) وقد حضرته الوفاة وهو وحيد غريب وليس حوله إلا نخلة بجرجان يناجيها فيقول :

ألا يا نخلةً بالسفح مِن أكناف جُرْجان
ألا إنى وإياك بجرجان غريبان

إن هذين البيتين لهما نموذج راق فى الشعر العربى ، وهو نموذج متواضع بالقياس إلى الشعر العالمى ، ولكنه كذلك نموذج نادر !

فماذا فى هذين البيتين الساذجين . فيهما أن المعنى والفكرة يتواريان ليفسحا المجال للصورة الإنسانية والحالة النفسية . صورة الإنسان الغريب المفرد تقربه الغربة من كل مخلوق ، ويرهفه الانفراد إلى الأنس بكل كائن ، وخلع الحياة عليه ومعاطفته معاطفة القريب للقريب

وعلى هذا النحو ينبغى أن ننظر إلى الشعر ، على أساس ما يثير فى نفوسنا من أحاسيس ، وما يرسم لخيالنا من صور ، وما يطلقنا من أعيان الفكر المحسوسة المحدودة ، ويصلنا بصور الإنسانية وبالحياة المكنونة . وذلك فيما اعتقد واجب شعراء الشباب

ولكن حذار أن نفهم من هذا ما يفهمه بعضهم من تلك الفوضى . إن الشعر - مع هذا - ليس تهيؤات مخبول ، ولا تهاويل مذهول . والحالات النفسية المطلوب تصورها ، ليست هى خلط المجانين ، وتداخل الاستعارات وتراقص التعبيرات . إن بين الشعر وبين هذه التهيؤات والتهاويل لبعداً سحيقاً ، فإذا لم يكن بد من هذا البلاء فلا ، والشعر العربى القديم بحسيته وتجريده أقوم وأهدى ، وأخلد فناً

* * *

وإلى القراء بعض الأمثلة الحاسمة بين المعانى والأفكار ، وبين الحالات النفسية والصور الإنسانية فى قطعة من مجموعة العرائس والشياطين ، للشاعر الإنجليزى الحديث « هوسمان » بعنوان « إلى السوق أول مرة » وليست هى بأغنى ما فى هذه المجموعة من هذا الرصيد

يوم أنشأت أذهب إلى الأسواق ، أوائل عهدي بالأسواق
كانت الدراهم في الكيس جد قليل
وكم طال بي النظر وكم طال بي الوقوف
على أشياء في السوق لا تنال

* * *

تغير الزمن اليوم ، فلو أردت الشراء لاشتريت
هنا الدراهم في الكيس ، وهناك أشياء الأمس في السوق
ولكن أين يا ترى ذلك الفتى المحروم ؟

* * *

« طالما شكا قلب الإنسان ، لأن (اثنين واثنين : أربعة) لا هي ثلاثة كما نودها حيناً . ولا هي خمسة كما نودها بعد حين وأحسبه سيشكو إلى آخر الزمان .

فبقياس الأفكار والمعاني ، هذه المقطوعة لا شيء ! إن معانيها قريبة قريبة ، فهي لا تزيد على قولهم : (كل ممنوع محبوب) و « كل ما تملكه اليد تزهده النفس » و (ما كل ما يتمنى المرء يدركه)

ولكن أين هذا من تلك الأحاسيس الإنسانية الخالدة الغامضة التي تثيرها هذه المقطوعة في نفس كل (إنسان) عانى ما عاناه الشاعر من « أن اثنين واثنين أربعة لا هي ثلاثة ، كما نودها حيناً ولا هي خمسة ، كما نودها بعد حين » وأحس بحلاوة التشهي وزهادة المشتهى بعد حين . واضطرب بين واقع الحياة الذي يحتمه المنطق ولا مفر منه ورغائب النفس التي لا تستند إلا للشوق المجهول الذي ينكر المنطق المحتوم !

ليس المعنى هنا هو المهم ، إنما هو المخلوق الآدمي الذي يحس دبيب انفعالاته ووسوسة وجداناته ، وليست الفكرة التي تحويها المقطوعة هي المهمة ، وإنما هي الصورة المترائية بين الظلال الشفيفة

ثم طريقة تناول الموضوع واستعراض الصورة واحدة بعد الأخرى وتسلسل الصور الحية المتخيلة ، كل هذا له شأنه وله قيمته في استثارة الأحاسيس . لا إلقاء المعنى مبلوراً مجرداً كأنه قذيفة !

* * *

وسنعود إلى استعراض بعض المقطوعات الأخرى في هذا الصدد الذي يستحق في اعتقادي أن نعود إليه مرة ومرة لتصحيح الفكرة السائدة بيننا عن الشعر والشعور

أما الآن فنقول : إن العقاد قد أحسن إلى الأدب العربي بهذه المجموعة ، وإنها لمحسوبة له كأي كتاب من كتبه ، وإننا لفي حاجة إلى غيرها من المجموعات . وإذا لم يكن لها من فضل إلا إثارة مثل هذه التفسيرات للشعر وتصحيح مقاييسه تصحيحاً عملياً ، فإن هذا وحده يكفي

والطريقة التي اتبعها في التعريف بكل شاعر وعصره وطريقته ومنزلته تجعل للمجموعة هدفاً آخر غير المادة التي احتوتها . ذلك هو التعريف السريع المفيد لعدد من الشعراء في العالم لا يتسنى للكثيرين أن يتعرفوا إليهم بمثل هذا الوضوح .

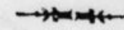
سيد قطب

١ - فســـاد الطريقة

فى كتاب النثر الفنى

« عدم الدقة »

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى



أردنا بما قدمنا من أمثلة لتناقض صاحب الكتاب أن ندل على فساد تفكيره . وورود مثله فى أى بحث بل فى أى كلام كاف فى إسقاطه ، فلا يقام له وزن فى ميزان الحق والصواب . لكننا لا نريد أن نقف عند هذا ، بل نريد أن ندل أيضاً على فساد طريقته ، لأنه قد جمع فساد الطريقة إلى فساد التفكير

وسنبدأ من عيوب طريقته بعيب يمت إلى سوء التفكير بسبب وثيق ، ذلك العيب هو عدم الدقة . وصاحب الكتاب يعلم أن الدقة أول شروط البحث ، وأن مراعاتها أول ما يجب على الباحث . وما أظنه إلا قد اجتهد أن يكون دقيقاً : دقيقاً فى التفكير ، دقيقاً فى التعبير ، دقيقاً فى الفهم ، دقيقاً فى الاحتياط لما يظنه الحق . لكن أخطأه التوفيق أو أعوزته المقدرة فى كل هذا ، فلم تنجه محاولة الدقة فى التفكير من الوقوع فى التناقض الذى رأيت ، وأسلمته محاولاته الأخرى إلى ما سترى

وسأبدأ من الأمثلة بمثل جامع أو شبه جامع لعدم الدقة فى كل هذا . ذلك أن صاحب الكتاب أراد أن يحكم فى مسألة الشعر والنثر أيهما أفضل فقال من صفحة ٢٥

« أحب أن أدون رأيى فى الفرق بين منزلة الشعر ومنزلة النثر ، وهو رأى لم أسبق إليه : رأيى أن الموضوعات هى التى تحدد نوع الصياغة ؛ فهناك مواطن للقول لا يصلح فيها غير النثر ومواطن أخرى لا يصلح فيها غير الشعر . والبليغ الموفق هو الذى يفهم سياسة الفطرة فى مثل هذه الشئون »

وأراد أن يضرب مثلاً يوضح معناه . فهل تظنه جاء بشعر لا يصلح لموضوعه النثر ، أو بنثر لا يصلح لموضوعه الشعر ؟ لا هذا ولا ذاك ، بل جاءك بمحاورة بينه وبين المسيو مرسيه فى مغزى عدول معاوية رضى الله عنه عن سجعة كان أملاها على كاتبه ، فأخطأ كلاهما الصواب كما سنبينه فى موضعه ، وأخطأ هو فى الاستطراد . ثم قال تماماً للتوضيح : « ولو تتبعنا آثار الكتاب الذين منحوا موهبة الشعر لرأيناهم يجنحون إلى القريض فى مواضع لا يغنى فيها النثر شيئاً ؛ فبديع الزمان يمضى فى رسائله ومقاماته ناثراً ، ثم ينتقل إلى الشعر فجأة حيث يرى الشعر أقرب إلى ما يريد . وقد رأينا عبد العزيز بن يوسف يراسل الصاحب بن عباد فيبدأ خطابه ناثراً ، ثم يميل إلى النظم ولا يفوته أن يعلل ذلك فيقول : ابتدأت أطال الله بقاء مولاى الصاحب بكتابى هذا وفى نفسى إتمامه نثراً فمال طبعى إلى النظم ، وأملى خاطرى على يدى منه ما كتبت ونعم المعرب عن الضمير مضمار القريض : »

هذا اقتباس طويل ، أليس كذلك ؟ لكن لا بأس بطوله ما دام يعين على ما نحن بصدده من ضرب المثل لعدم الدقة عند صاحب الكتاب فى أكثر من ناحية

وأول ما يلفت من كلامه هذا هو بُعد ما بين أوله وبين آخره ، أو ما بين رأيه وبين استشهاده على ذلك الرأى ، فرأيه عبر عنه بصيغة القصر والحصر : « مواطن للقول لا يصلح فيها غير النثر ومواطن أخرى لا يصلح فيها غير الشعر » . . . « يجنحون إلى القريض فى مواضع لا يغنى فيها النثر شيئاً » . . . فهو هنا لم يدع لاشتراك النثر والشعر موضعاً ، لكنه فيما استشهد به يخبرك عن بديع الزمان فى رسائله ومقاماته إنه (ينتقل إلى الشعر فجأة حيث يرى الشعر أقرب إلى ما يريد) فهل كون الشعر عندئذ أقرب إلى ما يريد بديع الزمان معناه أن النثر لا يغنى شيئاً عن الشعر فى ذلك الموضع ؟ أم معناه ، أن النثر قريب إلى ما يريد البديع ولكن الشعر أقرب ، حتى فى رأى صاحب الكتاب ؟ فرأى صاحب الكتاب فى الآخر غير رأيه فى الأول ، أو دعواه على بديع الزمان فى الآخر تقصر عن دعواه فى الوسط وعن تفرقته بين ما لا يصلح له إلا الشعر وما لا يصلح له إلا النثر فى الأول . ولا أريد أن أسمى هذا تناقضاً ، ولكنه تقصير فى الفهم وتقصير فى التعبير ، فيما يتعلق ببديع الزمان وفيما يتعلق بعبد العزيز بن يوسف

ومع ذلك فقد نفى صاحب الكتاب فى صفحة ٢٦ عن عبد العزيز بن يوسف أن يكون جيد الشعر (والقطع التى وصلت إلينا من شعره باردة الأنفاس) فى قول صاحب الكتاب ، مع أنه قد أدخله قبل فى « الكتاب الذين منحوا موهبة الشعر » ، كما رأيت . وإذن فقد استشهد به ، على علات تلك الشهادة ، ثم كر عليه بما يبطل شهادته فى صلاحية الشعر حيث لا يمكن أن يصلح

النثر . فماذا تسمى هذا من صاحب الكتاب ؟ إن لم يكن تناقضاً فهو على الأقل عدم دقة في الفهم والتفكير

ولعلك لاحظت أن صاحب الكتاب حين أراد أن يحكم بين الشعر والنثر فى المنزلة بادعائه مواطن للقول لا تصلح إلا لأحدهما دون الآخر ، لم يتمم التقسيم من ناحية ، ولم يبين تلك المواطن من ناحية أخرى . لكن يظهر أنه ترك بقية التقسيم لفطنة القارىء ، وإن كان هو ليس عنده من الفطنة ما يتجنب به إبطال شهادة ثانى شاهديه ؛ أما مواطن كل من الشعر والنثر ، فقد عاد إلى تبيينها بقوله من صفحة ٢٦ : « قلنا إن الموضوعات هى التى تحدد نوع الصياغة ، فلنمد إلى ذلك بكلمة حاسمة فنقول : إذا كان موضوع القول متصلاً بالمشاعر والعواطف والقلوب كان الشعر أوجب ، لأن لغته أقدر على التأثير والإمتاع ، وإذا كان الموضوع متصلاً بأعمال العقل والفهم والإدراك كان النثر أوجب ، لأن لغته أقدر على الشرح والإيضاح والإفهام والتبيين والإقناع » . وتلاحظ أنه هنا قد عدل عن صيغة القصر إلى صيغة التفضيل ، فهو يبيح لكل من النثر والشعر أن ينوب عن صاحبه ، وإن لم يسد مسده ويغن غناءه ، لكنك تلاحظ أيضاً أن كلمته الحاسمة هذه ، وإن كانت أرخى زماماً من كلمته الأولى التى لم يسبق إليها ، قد أخرجت الشعر من مجال العقل وأخرجت النثر من مجال القلب من حيث السبق فى الإجادة والصلاحية للتعبير ؛ فالسبق دائماً للشعر فى مجال القلب ، وللنثر فى مجال العقل من غير نظر إلى الشاعر ولا إلى الكاتب . أى أنه لم يعر شاعرية الشاعر ولا كاتبية الكاتب أى التفات : فعنده أن المواضيع المتصلة بالقلب يجب أن يتناولها صاحبها بالشعر ؛ فإن لم يكن شاعراً لم يكن له أمل فى النبوغ . ومثل هذا يقول طبعاً فى المواضيع المتصلة بالعقل . ولسنا ندرى — ولا نظنه يدرى — من أين له هذا الحكم النظرى البحت ، وإن ادعى له الحسم . كما لا ندرى ما رأيه فى مثل معلقة الحارث بن حلزة ، وهى خطبة جدلية فى قصيدة . لكن الأهم من هذا وذاك أنه وهو يبحث ويأتى بالحاسم من الرأى لم ير داعياً لأن يحدد الاتصال بالمشاعر والعواطف والقلوب ما نوعه وما مداه ، إذ غير معقول أن يكون كل ما اتصل بالشعور أولى به الشعر ، ولا كل ما اتصل بالفهم أولى به النثر ، وإن كان الثانى أقرب إلى المعقول من الأول . فالحارث بن حلزة ألقى خطبة شعرية للعقل والجدل منها أكبر النصيبين ، ولم يمنعه ذلك أن يذكر بها مدى الدهر . والخطب الوعظية أو الحماسية فى الصدر الأول ، وبعد الصدر الأول ، لها من القلب والشعور أكبر النصيبين ، ولم يمنعها ذلك أن تؤثر ويذكر بها أهلها مدى الدهر ، فأين هو ذلك الحسم الذى ادعاه صاحب الكتاب لكلمته تلك ؟ إنها كلمة مبهمة ، لا حسم فيها ولا فصل ، فهى مثل للتقصير فى النظر ، وعدم الدقة فى التفكير وفى التعبير

على أننا سنفرض أن صاحب الكتاب أراد بذلك الذى سماه اتصالاً بالمشاعر والعواطف والقلوب ، على أقل تقدير علاقة الحب . فهل تظنه حتى فى هذا كان أدنى إلى الدقة فى بحثه والاحتراس فى التعبير ، فلم يسو بين النثر والشعر فى هذا الباب ؟ إن كنت تظن هذا فاقرأ له ما كتب فى صفحة ١٥٧ فى فصل النسيب : « وفى القرن الرابع يظهر الغزل فى النثر ظهوراً رائعاً بحيث يمكن مقارنة الرسائل الغرامية بأقوى قصائد التشبيب ، ولا يمكن الارتياب فى قدرة كتاب القرن الرابع على إجادة هذا الفن وتفوقهم فيه وتصرفهم فى ضروبه تصرف المبدعين » . فأين ذهبت إذن تلك الكلمة الحاسمة وذلك الرأى الذى لم يسبق صاحب الكتاب إليه ؟ أم هو مجرد كلام يثبت باسم البحث فى صفحة ٢٦ وينفى باسم البحث أيضاً فى صفحة ١٥٧ ؟ وإذا كان صاحب الكتاب لا يستطيع الاحتراس والتزام الدقة حتى فى أضيق الدوائر وأظهرها وأقربها إلى ما ألف وألف الناس ، فمتى يرجى منه أن يقوم بما يوجبه البحث من الدقة والاحتراس والاحتياط ؟ ولا تنس أن عبارته هذه قد كتبها وهو يبحث عن خصائص النثر الفنى فى القرن الرابع ، أو هكذا على الأقل قد ترجم للباب الثانى من الجزء الأول من كتابه ، فلا يمكن أن يعتذر له عنها بالمبالغة أو بالتحمس كما يعتذر للناشئين ، لأن النثر الفنى فى القرن الرابع هو موضوع بحثه الأصيل ، وما عدا ذلك فهو ملحق به محشور فيه . فإذا كان هذا الرجل جاداً فى بحثه ، يعتقد ما يقول وما يقرر ، فلماذا لا يطبقه ؟ وإن كان يطبقه فلماذا لا يتعلم كيف يحسن التطبيق ؟

محمد أحمد الغمراوى

إعجـــاز القرآن

فى كتاب النثر الفنى

للدكتور زكى مبارك

انتهت مقالات الأستاذ الغمراوى فى الثورة على آرائى في إعجاز القرآن ، الآراء المبثوثة فى كتاب النثر الفنى ، انتهت مقالاته بأسرع مما كنت أتوقع ، ففى كتاب النثر الفنى آراء فى إعجاز القرآن أخطر من الآراء التى تحدث عنها بإسهاب ، ولو كنت أستظرف هذا الرجل لدللته على تلك الآراء ، فهو في أشد الاحتياج إلى أن يعلن عن نفسه بتكفير الدكتور زكى مبارك ، كما أعلن عن نفسه أعواماً بتكفير الدكتور طه حسين

لقد أشقى نفسه ، وأشقى المطابع ، وأشقى باعة الورق ، ليخرج كتاباً ضخم الحجم فى نقد كتاب الشعر الجاهلى ، وهو اليوم يصوم ليدّخر ما يطبع به كتاباً أضخم وأفخم فى نقد كتاب النثر الفنى

أعانك الله يا أيها الأستاذ الفضال على نفسك ، فما بعد شقوتك شقوة ، ولا بعد ضياعك ضياع

وأنا مع هـذا أعطف عليك ، لأنك من قراء كتاب النثر الفنى ، وبقراءته ستدخل الجنة بغير حساب ، فهو تميمةٌ لنجاتك من تكفير المؤمنين بلا دليل ولا برهان

وإذا صح زعمك الأثيم بأنى أحارب القرآن فلن يسمع الله لك ، ولن تجد من يستريح إلى بهتانك ، يا كاتباً يؤذى الرجال باسم الدين ، وهو أجهل من أن يفهم أسرار الدين

إن مقالاتك فى مجلة الرسالة كانت وبالاً عليك ، فقد صورتك بصورة من لا يفهم حرفاً واحداً من حروف القرآن ، وهى أيضاً شهدت عليك بالعجز عن الصراحة فى مجادلة رجل قضى شبابه فى الاعتصام بالرأى الصريح

أنت تعرف جيداً أن إدارة الرقابة بوزارة الداخلية لا تسمح بنشر المجادلات الدينية ، ومن هنا كان طغيانك ، وإلا فما الذى أسكتك عن نقـد آرائى فى إعجاز القرآن وقد ظهر كتاب النثر الفنى قبل عشر سنين ؟

لا يؤذينى أن تزعم أنى ملحد ، ولا يؤذينى أن يتفق الناس جميعاً على أننى ملحد ، فأنا أصافى الله وحده ، ولا أقيم لبنى آدم أى ميزان

ولو أن الله أنعم عليك بإيمان مثل إيمانى لـكان لك من الوجود الذاتى ما يعصمك من الافتراء على الرجال

هل يعرف القراء هويّتك يا أيها الأستاذ الفضال ؟

استخبرت عنك فعرفت أنك أستاذ كيمياء بكلية الطب

فما الذى ابتكرت فى علم الـكيمياء ؟

إرجع إلى المعمَل كما يعبّر المصريون ، أو المختبَر كما يعبر العراقيون ، واحبس نفسك هناك لتصل إلى شىء ، يا شخصاً يستر تقصيره فى عمله بالتطاول على الرجال

لن تفلح أبداً ، يا هذا الشخص ، ولن يكون لك من المجد العلمى أو المجد الأدبى نصيب ، وإصرارك على الإفك بتكفير الدكتور زكى مبارك لن يزيد فى إيمانك ، وهل يكون لمثلك إيمان ؟

أنا الملحد فى زعمك لم أستعن بغير الله ، ولم أستنصر بغير الله ، ولم أحول وجهى إلى وجهة ينكرها الله ، وقد صرّحت مرّات ومرّات بأنى لا أخاف الله إلا تأدباً مع ذاته العليّة ، فـكيف أخاف الناس ؟

سهمك مردودٌ إلى صدرك ، يا هذا الفلان ، وستموت مسلولاً بفضل حقدك ، فارحم نفسك من الحقد لتعيش

بيدى — بعد استئذان الأقدار — حياتك أو موتك ، فانظر ما الذى تختار لنفسك ، يا هذا الفلان !

لم تكن أول كاتب يدعو إلى تشكيك الناس فى إسلامى ، وقد انحدر من سبقوك إلى اتهامى ، فلتنحدر أنت أيضاً ، وستحقّ لعنتى عليك فيكون اسمك محمد احمد الغمراوى

ولن أعاتب الأستاذ الزيات بعد اليوم على أن ينشر لك ما تريد فى الغض من أقدار الباحثين ، فقد عرفتُ أن مجلة الرسالة تعبتْ من تلوّم بعض من القراء على إكثارها من الأبحاث المتسمة بالحرية الفكرية ، فهى تنشر مقالاتك لتقول إنها

حديقة تجمع بين الأزهار والحشائش ، وبين الأسود والثعابين

وأنت لجهلك فرحت بمخاصمتى لمجلة الرسالة ، فهل كنت تنتظر أن أخاصم مجلة الرسالة من أجلك إلى آخر الزمان ؟

إن قراء الرسالة سألوا عنى حين غِبتُ ، ولن يسأل عنك سائلٌ حين تغيب

ومن أنت حتى يسأل القراء عنك ؟

بضاعتك تنحصر فى تكفير المؤمنين

وأنا مع هـذا أعطف عليك ، لأنك من قراء كتاب النثر الفنى ؛ والله عز شأنه سيتفضل فيرفع من يقرأون كتاب النثر الفنى

ولـكن كيف ؟

أفترع الجواب فأقول :

آرائى فى إعجاز القرآن بكتاب النثر الفنى آراءٌ تُقنع المستنيرين بإعجاز القرآن ، وهم الفئة التى نخاف عليها من الارتياب فى إعجاز القرآن

لا خوف من إلحاد العوامّ ، فإيمانهم لن يتعرض لأىّ زلزال ، ولـكن الخوف من إلحاد الخواصّ ، وقد أقنعتهم فى كتاب النثر الفنى بصحة إعجاز القرآن

هؤلاء الخواصّ كانوا فى بالى وأنا أؤلف كتاب النثر الفنى ، فأشبعتهم إيماناً بإعجاز القرآن ، ولن يرضيهم كلامٌ غير كلامى

***

ثم ماذا ؟

ثم أترك محاسبتك على حقدك ، ولا أرجو الله أن يغفر لك ، فما لمثلك مكان فى فردوس الغفران

وإن بدا لك أن تعاود الإصرار على اتهامى فى إسلامى فسأقول بعبارة صريحة إن إسلامك مدخول ، وإنك تستر جهلك بدعوى الغيرة على الدين الحنيف

وما غرامك بأن تُفهم قراء الرسالة أنى أحارب القرآن ؟

ما هذا الغرام الأثيم بإيذاء المؤمنين يا هـذا الشخص المسلم بالصورة لا بالوجدان ؟

إن آرائى فى إعجاز القرآن شرحت صدور الألوف من المسلمين ، وأقنعتهم بأن القرآن قوة روحية لا قوة لفظية ، وأن روحانيته هى السر فى ظفره بالخلود

إن مجلة « الرسالة » غير مسئولة عما تصنع بنفسك ، ولو نشرتْ لك ألف مقالة لبقيت حيث وضعك القـدر العادل أستاذ كيمياء لم يبتكر شيئاً فى علم الكيمياء

اترك تكفير الدكتور زكى مبارك وتكفير الدكتور طه حسين يا هذا الفلان ، واشغل نفسك بمصيرك ، يا شخصاً لن يكون له مصير ، ولو اعتصم بالخيوط الفانية مما ينسج السراب

أنا أقنعتُ المثقفين بإعجاز القرآن ، فماذا صنعتَ أنت ؟

***

أما بعد فهذا جوابى لقرائى ، وهو جواب رجل يقال إنه ملحد ، رداً على مفتريات يذيعها عنى جهولٌ يدعو إلى اتهامى فى اسلامى

لك الويل يا هـذا الفلان ، فلن أترك الرد عليك ما دامت مجلة الرسالة ترى أنك أهل لنشر ما تسوق من المفتريات

رأيى هو الرأى ، ويكفينى مجداً وشرفاً أنى أقنعت المثقفين بإعجاز القرآن ، وعند الله جزائى ، وما عند الله أخلد من الخلود

زكى مبارك

وحــــدة الوجـــــود

بين الفلسفة والدين

للأستاذ محمد يوسف موسى

تناول فى هذه الأيام الأخيرة مذهب وحدة الوجود بعض كتاب الرسالة وقرائها النابهين الأفاضل ، بمناسبة « رسائل التعليقات للرصافى » ونقدها للأستاذ دربنى خشبة ، وكلٌ عرض لهذا المذهب من الناحية التى يراها جديرة بالاهتمام . وقد رأى أحدهم ، وهو الأستاذ زكريا ابراهيم المعروف باصطناع الدقة فى التعبير والحكم ، أن من التعسف والخطأ والمجازفة أن يقال عن هذا المذهب إنه إفك ينطوى على كثير من الأراجيف وإنه لا يتفق وعقائد الدين الحقة

لذلك أرجو أن يكون لى التقدم بهذه الكلمة ؛ لعلها تكشف بعض الحقيقة ، أو تساعد على الوصول إليها

***

الذهاب إلى فكرة « وحدة الوجود » ليس إلا أحد الحلول أو الأفهام التى حاول بها المفكرون والفلاسفة فى القديم والحديث أن يحلوا أو يفهموا مسألة صلة الله بالعالم ، وقد أنتج التفكير فى هذه المسألة كثيراً من المذاهب التى وعاها الزمن وسجلها تاريخ الفلسفة

ومحيى الدين بن عربى من زعماء القائلين بهذه الفكرة ، وكان له من أجل ذلك أنصار وخصوم ؛ هؤلاء يقذفونه بالزندقة والكفر ، وأولئك يجعلونه الشيخ الأكبر وأحد أولياء الله وأصفيائه ، ولكل أمارات ودلائل ، ولا يتسع المقام لذكر ذلك أو الإشارة إليه . إلا أنى أشير إلى أن عبد الوهاب الشعرانى ، وهو من أكبر أنصار الشيخ ، حاول أن يوفق بين الشريعة وبين ما ورد فى مؤلفات الشيخ مما لا يتفق والدين ، فلم يستطع إلى ذلك سبيلاً ، فلجأ أخيراً إلى حذف ما لا يتفق وما عليه أهل السنة والجماعة من كتاب الفتوحات ، كما روى ذلك بنفسه فى مختصره لهذا الكتاب ، وتلك لعمرى خطة إثمها أكبر من نفعها !

ولكن ، ما معنى هذه الفكرة « وحدة الوجود » التى تؤدى إلى التكفير فى رأى كثير من الناس ؟ هى ، كما يتبين من كتب ابن عربى نفسها ، القول بأنه ليس هناك إلا وجود واحد هو الله والعالم كله مظاهر له ، أو بعبارة أخرى ليس جميع الممكنات إلا مظاهر للحق (الله) يتجلى فيها ولولاه لكانت عدما[1]

ومعنى هذا أن الحقيقة التى هى الوجود الحق هى ذاته تعالى : وهى فى عالم الحيوان حيوان ، وفى عالم النبات نبات ، وفى عالم الجماد جماد ؛ فالله منبث فى كل شىء من سماء وأرض وشجر وحيوان ، وما إلى ذلك كله مما خلق حتى عجل بنى إسرائيل هو بعض مجالى الله ومظاهره ، ولهذا صح لموسى عليه السلام أن يقول للسامرى : « وانظر إلى إلهك » ![2]

هكذا يقول ابن عربى ويتناسى تتمة الآية : « وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفاً لنحرّقنّه ثم لننسفنه فى اليم نسفاً » مما يدل دلالة واضحة لا تحتمل الجدل والمكابرة على ما فى خطاب موسى عليه السلام للسامرى من تهكم به وبما صنع !

وليست هذه النصوص متفردة فى مؤلفات ابن عربى ، إنها مليئة بكثير أمثالها الدالة على هذه النظرية الغامضة الصعبة التصور والعسيرة الفهم ، والبعيدة عن العقل والدين فيما أرى ، ويرى كثير غيرى إنها لا تتفق مع الدين الذى يرى وجود موجودين ــ الله والعالم ــ متباينين فى كل شىء ومنفصلين تمام الانفصال ، أحدهما وجوده رهن بإرادة الآخر ، ولا تتفق كذلك معه بحال ما ، ما دام الدين ينزه الله عن أن يكون أشرف مخلوقاته مجلى ومظهراً له ، فكيف بعجل بنى إسرائيل وما دونه

ولا تتفق كذلك مع العقل الذى يرفض أن يؤمن بشىء يعجز عن إدراكه على أى نحو كان ، كما أنه لا يرى ضرورة للإيمان بها فى سبيل فهمه الله والعالم والعلاقة بينهما

ولعل رفض العقل والشرع لفكرة وحدة الوجود هو الذى حمل بعض المفتونين بابن عربى يبرئونه من القول بها أو الذهاب إليها ؛ أمثال السراج البلقينى والسيوطى والشعرانى وعبد الغنى النابلسى[3] ، ولكن كيف يمكن هذا ، والفتوحات والفصوص قاما على هذا المذهب ولا يستطاع تأويلهما جميعاً !

قد يقبل الإغماض فى عبارة يجرى بها لسان صوفى أخذه الوجد ، وارتفع به الحال ، وشاهد ما لا نشاهد ، فقال فى لحظة من لحظات التجلى والمشاهدة : أنا الحق ــ مثلاً ! ــ ولكن ليس من المقبول الإغماض فى نظرية قام عليها مذهب ، وامتلأت بها كتب ، وسجلها صاحبها وهو هادئ النفس يحس بما يقول ويقدره قبل أن ينطق به !

---

(١) الفتوحات جـ ٢ : ٢١٥ ــ ٢١٦ (٢) شرح الفصوص ص ٢٣٦ وما بعدها (٣) كتابى : فلسفة الأخلاق فى الإسلام وصلاتها بالفلسفة الأغريقية ص ١٩٦

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٧٠ — إن الكفاف لراهب أو زاهد

أبو القاسم عامر بن هشام القرطبي :

قالوا : الكفاف مقيم . قلت : ذاك لمن
لا يستخف إلى بيت الزراجين(١)
ولا يبلبله هبُّ الصَّبا سحراً ولا يلطفه عرف الرياحين
ولا يهيم بتفاح الخدود ورما (ن)
الصدور وترجيع التلاحين

(١) من قصيدته المسماة عند أهل الأندلس بكفر الأدب . وقد قالها لما زين له بعض أصحابه الرحلة إلى حضرة ملك الموحدين : مراكش . (الكفاف) في المصباح : قوته كفاف أي مقدار حاجته من غير زيادة ولا نقص سمي بذلك لأنه يكف عن سؤال الناس ويغني عنهم (يستخف) يسرع والمعروف خف (الزرجون) الخمر . فارسية معربة أي لون الذهب (اللسان)

لقد أبنت رأيي بوضوح وتفصيل في ابن عربي — معتمداً على مؤلفاته — من الناحية الدينية والأخلاقية ، في كتابي الذي ذكرته بالهامش ، وأتبعت ذلك برأي ابن تيمية فيه وفي أمثاله ، وفعلت ذلك للعلم وحده ولتوفية ما يجب للدراسات العلمية من أمانة وعدم تعصب ، ولا أريد هنا أن أذكر شيئاً مما ذكرته هناك في هذه الناحية

ولعل الأخ الفاضل الأستاذ زكريا ابراهيم لا يرى بعد هذا أن من التعسف والخطأ والمجازفة وصف مذهب وحدة الوجود بأنه إفك ينطوي على كثير من الأراجيف ، بل لعله يرى أن هذا الوصف فيه غير قليل من الاعتدال !

وأما القول بأن « من دأب العامة أن تتمرد على كل ضرب من ضروب الامتياز » ، ولهذا « ليس أيسر على الناس من أن يقرفوا الفلاسفة والمفكرين بالكفر والإلحاد » ، فلن يصرف من يرى الحق أن يصدع به ، ومع هذا ، ليت شعري أكان الغزالي وأمثاله من العامة ؟ على أني أرى أن نتشدد جميعاً ونقتصد اقتصاداً كبيراً في الحكم بالتكفير والزندقة والإلحاد ونحو هذا مما يتصل بالعقيدة والدين . محمد يوسف موسى

٥٧١ — فأصلح الأمر أن يبقوا مفاليسا

الحسن بن شاو المعروف بابن النقيب :

في الناس قومٌ إذا ما أيسروا بَطِروا
فأصلحُ الأمر أن يَبقَوا مفاليسا
لا تسألِ الله إلا في خمولهم
فهم جيادٌ إذا كانوا مناحيسا

٥٧٢ — ما تطاق في الشعر يا أصمعي !

إسحق الموصلي : سأل الرشيد عن بيت الراعي :

قتلوا ابن عفان الخليفة مُحرماً ودعا فلم أر مثله مخذولا

ما معنى (محرما) ؟ فقال الكسائي : أحرم بالحج . فقال الأصمعي : والله ما كان أحرم بالحج ، ولا أراد الشاعر أنه أيضاً شهر حرام فيقال : أحرم إذا دخل فيه كما يقال : أشهر إذا دخل في الشهر ، وأعام إذا دخل في العام . فقال الكسائي : ما هو غير هذا . فقال الأصمعي : ما أراد عدي بن زيد بقوله :

قتلوا كسرى بليل محرما فتولى لم يُمتَّع بكفن(١)

أي إحرام لكسرى ؟ فقال الرشيد فما المعنى ؟ قال : كل من لم يأت شيئاً يوجب عليه عقوبة فهو محرم لا يحل منه شيء . فقال الرشيد : ما تطاق في الشعر(٢) يا أصمعي !

٥٧٣ — ليس له عدو بين أضلاعه إلا معدته

قال أبو الفرج الأصبهاني : وجدت في كتاب الشاهيني : أنشد أبو الحارث حميد قول العباس بن الأحنف :

قلبي إلى ما ضرني داعِ يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي
إن دام هجرك لي يا مالكي أوشك أن ينعاني الناعي

فبكى ثم قال : هذا شعر رجل جائع في جارية طباخة مليحة ، فقيل له : من أين قلت ذاك ؟ قال : لأنه بدأ فقال : (قلبي البيت) ، وكذلك الإنسان يدعوه قلبه وشهوته إلى ما ضره من الطعام والشراب فيأكله فتكثر علله وأوجاعه ، وهذا تعريض ثم صرح فقال : (كيف احتراسي : البيت) ، وليس للانسان عدو بين أضلاعه إلا معدته ، فهي تتلف ماله ، وهي سبب أسقامه ، وهي مفتاح كل بلاء عليه ، ثم قال : (إن دام لي : البيت) ، فعلمت أن الطباخة كانت صديقته ، وأنها هجرته ففقدها وفقد الطعام ، فلو دام ذلك عليه لمات جوعاً ، ونعاه الناعي

(١) يريد قتل شيرويه أباه أبرويز بن هرمز (٢) في فهمه ، فهم غريبه

الطبيعة في الصيف

جـــلاد الظلال ...

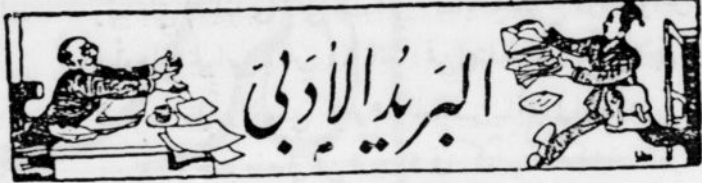
« المهجر »

[الجزيرة في هاجرة الصيف]

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

دعوها على راحاته الخضر ترتمي   فقد شفها برح الهجير المسمم
رمت فوقه أشجانها وتنفست   إليـه بشكوى عابر متجهم
ولاذت به مفطورة ، فظلالها   أساريـر وجه اليائس المتجهم
وأدواحها ركبان دون أحالهم   ضلال الفلا أصنام دير مهدم
تناجت بصمت أيقظت هجرانه   يمامات ظهر صاحيات كنوم
هففن ، وذرفن التغني صبابة   تخطفن إحساس الغصون المتكتم
وأغفت على حضن من الموج نائم   بخيل الرؤى إلا على كل ملهم
هو النيل رباها على الحب والهوى   وعانق شطيها عناق المتيم
وطوق جنبيها فلاحت غريبة   على ساعديه من أسى البين تحتمى
وتحكى له أشجانها ، وحديثها   يغني بلا عود ، ويشكو بلا فم
تضوع غراماً وانتظاراً وحيرة   وشعراً إلى غير الهوى لم ينغم
يمر على محرابها الناس غفلاً   كما مر موذي على دار مسلم
وتسري حواليها السفائن خشعاً   سرى تائب في كعبة الله محرم
تشق عباب آمات همهاس موجه   فلاح كمشتاق إلى نفسه ظمى
ولولا خطا تياره لحسبتها   تماثيل طير في سراب مدوم
لها شرع بيض الحواشي متونها   كأعلام جيش مستجير مسلم
سكون ولكن في حنيات صدره   بقايا لهاث الشد في قلب مجرم
وأقعي على الأسوار قيظ رأيته   يطل بوجه الحانق المتندم
يلوح جلاد الظلال وهذه   سياط اللظي منه طوال التضرم
يكدن يحلن الظل وهماً وغصنه   تهافت مفزوع عميق التوهم
تشاكى من التعذيب فرع وطائر   وعشب فكان الروض إيحاء مأتم
وأوقف نعش الريح لا كف لاحد   ولا خطو بكاء كثير الترحم
تعرى عن الأستار ، فهو مكفن   بضوء على الأغصان حيران محجم
شواظ ولا نار ، ونار ولا لظى   وروبا لهيب في خيالي وفي دمي
وموقد عبادين مات لهيبه   وشبت أغانيه سعيراً بأعظمي
وكدت أرى والنار لم تبد سجدة   مجوسية قامت على كل مجثم
وركباً من التهييد تخفى وجوهه   وتنظر من وجه الأثيم الملثم
وحائرة من عالم الزهر أطرقت   حداداً على عطر الصباح المكلم
مقيدة ، ملهوفة ، ذات آهة   مقيدة تبدو كطيف مجسم
تمد يديها للغدير ، وقلبه   إلى عودها يجرى بكوب محطم
أظمآى تنادى ظامئاً ؟ من رأى الأسى   يغيث الأسى في الخاطر المتألم ؟ !
لقد بح صوت الجو برحاً ولهفة   كما بح سر الغيب صوت المنجم

وهاجرة يشوى بها الظل مثلما   يقلب في الأشواق قلب المتيم
لها وهوهات في الربى خلت أنها   فحيح أفاع من زوايا جهنم
رميت بها حران أحكى حكاية   عن الصيف لم أنبس ولم أتكلم
ولكنني أروى عن الوحي كيفما   روى لي بأطياف الخيال المهمهم
لنفسي أحكيها ، ومن هول سحرها   طلاسم سمع الغافلين المختم ...
رأيت جحيماً لم تباركه فارس   بعباد نار من بنيها مزمزم
ولم يرن طواف إلى قبساته   بقلب من التسبيح شاد مرنم
ولا حدثت عنه الخرافات أهلها   ولا خط عنه الوهم حرفاً بمرقم
له وهج يصلى الوجوه بحره   ويفهق كاليحموم في مسرب الدم
وألسنة بيض لهن رطانة   بمثل لغاها كاهن لم يتمتم
كأن عفاريت الظهيرة طنبوا   خياماً على هذا البساط المضرم
تنادوا بألفاظ صداها وساوس   سمعت معانيها بآذان أعجم ...
وجو غضوب الذر يكظم نقمة   ويكتم غيظ الساخط المتبرم
شممت به ريح المعاصي سخينة   محملة الأنفاس من كل مأثم
يفح بجراع الشكوك هواجساً   لهن دبيب السم في رأس أرقم
وألحد صوفي النخيل ، فما أرى   به رهزة كانت إلى النسك تنتمى
لقد كان رعاش الأيادي تبتلاً   إلى الله لم يدنس ، ولم يتأثم
ولم يجن ذنباً يبتغي عنه توبة   مع الناس يدعوها بكف ومعصم
أما قام في الفجر الرطيب مؤذناً   يصيح بتكبير على العقل مبهم
فما باله أصغى وأصغت ظلاله   كمنتظر حكم القضاء المحتم !
وألقى على الأفق المصفد نظرة   كأصفاد عيسى والتفاتات مريم
وأزهق إحساس الطبيعة ، فاغتدت   بحزن على كتم الشكايات مرغم



حمد وشكر

أسرة الرسالة تحمد الله على ما أسبغ من نعمة العافية على رئيس تحريرها . وتنوب عنه فى شكر الأمم العربية قاطبة ، أفراداً وجماعات لما طوقته به من كريم رعايتها وجميل برها ونبيل عواطفها ، وسؤالها المتصل عنه أثناء مرضه ، مما كان له أطيب الأثر فى تخفيف ألمه وسرعة إبلاله . وإن لم يكن بد من أن تخص بالشكر أحداً فهى تقدمه خالصاً موفوراً إلى صديقها الفاضــل الدكتور عبد الله الكاتب بك الذى أجرى العملية للأستاذ الزيات بمستشفى الروضة ، وتولاه بعنايته حتى تماثل للشفاء . ثم تخص بالشكر وزراء مصر ونوابها وعلماءها ، وكل من تفضــل بالسؤال عن الأستاذ بحضوره إلى المستشفى أو بإرسال البرقيات والرسائل ، وتبتهل إلى الله اللطيف أن يتم للأستاذ من كمال الشفاء ما هو أمنية أصدقائه ومحبيه ، إنه سميع مجيب .

البستان

أهدى الأديب الكبير والأستاذ الجليل إسعاف بك النشاشيبى مجموعة من مؤلفاته إلى صديقه الشاعر الأستاذ محمد عبد الغني حسن . ومنها كتاب « البستان » الذي هو مجموعة من الشعر والنثر أحسن الأستاذ الجليل فيها الاختيار . فكتب إليه الشاعر هذه الأبيات :

بستانك الناضر فى حسنه ... لله ما أبهى وما أفتنا !
أمتعتنى منه بمــا يَشْتَهى ... ويخلبُ الألبابَ والأعينا
آويتنى منــه إلى روضة ... آنستُ منهــا الظلَّ والمجتــنَى
فى كل سطر منه تفريدةٌ ... يُوشك منها العقلُ أن يفتنا
جمعتَ فيه كلَّ أصل زكا ... ورُمتَ فيه كلَّ فرع دنا
واخترتَ من نظم ونثرٍ به ... ما جوَّدَ المنشئ أو أتقنــا
ما كنتَ فيه كاتباً منشئاً ... بل كنتَ فيه راوياً محسناً
ورب شعر أنت أحييته ... وكاد بالنسيان أن يدفنــا
هذا اختيارٌ فيه من عقلكم ... ما قد رأيناه عياناً هنــــا
فى فندقٍ (١) ذكرنا « بابلاً » ... قد بَلْبَلَ الله به الألسنا
فى موطن العجمة مِنْ حيِّه ... صادَفتِ (الضادُ) لها موطنا
أيامَ ما انحلَّ لكم مجلسٌ ... صبحاً ولا انفضَّ لكم وهنا (٢)
تُديرُ فيه القولَ مستوعباً ... وتنشُدُ الأشعار مستحسنا
تلك الليالى البيضُ يا سيِّدى ... لم يبق منها غير حُلو المنى

تكرار « بين » بين الاسمين الظاهرين

تفضــل الأستاذ دربنى خشبة فأصــدر مقاله القيم فى الرسالة عدد ٥٦٩ معنوناً على هــذا الوجه : بين « أنات حائرة » وبين « قيس ولبنى » ، فجاءت « بين » مكررة بين الاسمين الظاهرين ، كما جاء فى الرسالة العدد ٢٧٣ ص ١٥٧٤ فى البريد الأدبى بعنوان : « وزير المعارف يحكم بيننا وبين لجنة إنهاض اللغة العربية » ، جاء تحت نفس العنوان ما يأتى :

« وصنيع الأستاذ هيكل باشا هو الفرق بين وزير يقرأ

(١) إشارة إلى فندق « الكنتنتال » ، وفيه عصبة أدبية رفيعة كان يزينها الأستاذ الجليل ... (٢) الوهن : نحو من نصف الليل

كأن ثكالى مخرسات على الرُّبى
شليلات همس الروح والجسم والفم
وقفن عليهــا ينتظرن معزياً
وطرف المعزِّى عن طريق الأسى عمى
طرحن مناديل الظلال على الثرى ... وكاد بهن العود كالظل يرتمى
وأطرق فيها كل شيء فما بها ... سوى طيف مصلوب وإيماء مسقم
كأن القصور الشامخات بأرضها ... محاريب جن فى مزار محرَّم
يطن حواليها الهجير كأنه ... تخافت عار حول عرض مثــلم
وينفخ كالحداد ناراً شرارها ... تناهش خزى فى ضمير مذمم
مشيت بها حيران أشبه خاطراً ... بقلب ملول جازع اليأس مظلم
أفتش عن سحر الربيع وعطره ... كأنى نقَّابٌ بأحشاء منجم

لقد مات ! واغتالت مغانيه بغتة
كما اغتال عصف الشك أحلام مغرم
ألا أين هفهاف النسيم بأيكها ... وأين مزامير الضحى المتبسم ؟
وأين أغانى الموج والموج شاعر ... وإن لم يُذِعْ شعراً ولم يترنم
وأين الهوى إنى حملت ربيعهُ ... بقلب من الأشواق عات مدمدم
وهمت على صيف الجزيرة شارداً ... بحبي كسرٍّ فى حشاها مطلسم
أحب لياليها ، وأهــوى تُرابها
وأهوى غروب الشمس فى أفقها الظمى
فقدتُ أليف الروح بين شعابها ... وعدت بحزن المستطار المتيم
كأنى هجير تائه فوق أرضها ... يغنى بناى من أسى النفس ماجم

محمود حسن اسماعيل

ويقضى وبين وزير آخر يسمع ويمضى » ، ونعتقد أن الصواب هو عدم جواز تكرار « بين » بين الاسمين الظاهرين

وكنت قد قرأت للمؤرخ واللغوى العراقى المنسى المرحوم « رزوق عيسى » صاحب مجلة « المؤرخ » البغدادية رأياً فى هذه القضية وجدته فى بعض المسودات من تراثه الأدبى القيم أرغب فى عرضه على أنظار حضرات أساتيذ اللغة ليبدوا رأيهم فى ذلك وإليكم النص عنه :

« من أوهام فريق كبير من كتاب العربية أنهم يوسطون « بين » بين الاسمين الظاهرين المتعاطفين فيقولون مثلا : (الحرب قائمة على ساق وقدم بين اليابان وبين الصين) ، والصواب : بين اليابان والصين ، لأن « بين » تقتضى الاشتراك فلا تدخل إلا على مثنى أو مجموع ، ولإثبات صحة ما نحن بصدده ننقل بعض ما جاء فى كتاب « درة الغواص فى أوهام الخواص » للحريرى :

« ويقولون المال بين زيد وبين عمرو » بتكرير لفظة « بين » فيوهمون فيه . والصواب أن يقال : « بين زيد وعمرو » ، كما قال سبحانه وتعالى : « من بين فرث ودم » ، والعلة فيه أن لفظة « بين » تقتضى الاشتراك فلا تدخل إلا على مثنى أو مجموع ، كقولك : « المال بينهما والدار بين الأخوة » ... قال الشيخ الرئيس أبو محمد - رضى الله عنه - : وأظن الذى وهمهم لزوم تكرير لفظة « بين » مع الظاهر ما رأوه من تكريرها مع المضمر فى مثل قوله عز وجل : (هذا فراق بينى وبينك) ، وقد وهموا فى المماثلة بين الموطنين ، وخفى عليهم الفرق الواضح بين الموضعين ، وهو أن المعطوف فى الآية قد عطف على المضمر المجرور الذى من شرط جواز العطف عليه عند النحويين من أهل البصرة . تكرير الجار فيه ، كقولك : مررت بك وبزيد . قال أبو القاسم المرتضى :

بينى وبين عواذلى ... فى الحب أطراف الرماح
أنا خارجى فى الهـوى ... لا حكم إلا للمـلاح

وقد جوز بعضهم إعادة « بين » بين اسمين ظاهرين ، ومنهم السيد أحمد شهاب الدين الخفاجى ، ولكنه مذهب ضعيف يناقض ما ورد فى الفرقان العظيم من الآيات البينات فى عدم إعادة « بين » مع الاسمين الظاهرين . قال ابن برى : إعادة « بين » هنا جائزة على جهة التأكيد ، وهو كثير فى كلام العرب ، كقول الأعشى :

بين الأشج وبين قيس باذخ ... بخ لوالده وللمـولود

وقال عدى بن زيد : بين النهار وبين الليل قد فصلا . وقال ذو الرمة بين النهار وبين الليل من عقد ... على جوانبه الأوساط والهدُب

وقد علق (الخفاجى) على هـذا فى كتابه « شرح درة الغواص فى أوهام الخواص » ص ٩٤ قائلا : فمن هنا يعلم أن إعادة « بين » لا تفسد نظماً ولا معنى كما توهمه المصنف - أى (الحريرى) -

وجاء بحث مفصل عن « بين » فى كتاب « كشف الطرة عن الغرة » للسـيد محمود شهاب الدين الآلوسى ص ١٣٦ ومن قوله : « ومن أوهامهم أنهم يوسطون « بين » بين الاسمين الظاهرين المتعاطفين فيقولون : « المال بين زيد وبين عمرو » . والصواب : « بين زيد وعمرو » بترك التوسط والتكرير ، لأن « بين » تقتضى الاشتراك فلا تدخل إلا على مثنى أو مجموع ، كقولك : (المال بين الأخوين ، والدار بين الأخوة) .

هذا ما أردنا بيانه ، والمرجو أن نقع على الصواب الذى يراه أساتذة اللغة الكرام

« بغداد » ضياء الصبه أبو الحب

أغلاط

قرأت فى عدد الرسالة ٥٧٣ قصيدة عنوانها « السراب » للدكتور ناجى ، وهى من عيون الشعر الحديث ، غير أنى مررت فيها بهنات أحببت أن يعلمها الشاعر الكبير وقراء الرسالة :

١ - القصيدة من بحر الخفيف وأجزاؤه : (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) ، وقد تصير فاعلاتن فَعِلاتن أو مفعولن ، وقد تحول مستفعلن إلى مُتَفْعلن ، ولكن البيت :

اسمك العذب أروع الأسـماء مهما تعددت أسماء

لا يوافق هذا البحر ، ولا ما تحول إليه أجزاؤه ، فهو بيت مكسور

٢ - لا أعرف فى اللغة (صدفة) ولا (هناء) ، وإنما أعرف مصادفة وهناءة ، وكذلك لفظ (الأبد) يعرفه اللغويون بمعنى الزمن ، ولكن الشاعر يقول :

أبد لا يحد للعين قد ضا ... ق فأمسى والسجن هذا الفضاء

ولا يفوتنى أن أقول إن الشاعر عبد الغنى حسن له قصيدة فى نفس العدد وفيها : « تتلاشى على الرمال وتنثر » ، ولا أعرف فى اللغة (تتلاشى) هذه ، فلعل الشاعرين يدلانى وقراء الرسالة على مصدر صحة هذه الكلمات

٣ - العواصف الهوجاء وأمواجه السوداء عبارتان مغلوطتان ، وصوابهما : (الهوج) و (السود)

٤ - ولست بدار الفرق بين سنة مقفرة وسنة خالية ، وهما متقابلتان فى شعر الدكتور

هذا وللشاعر الكبير تقديرى واحترامى

على محمد حسن
مدرس بالأزهر

12me Année No. 575

Lundi - 10 - 7 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٧٥ « القاهرة في يوم الإثنين ١٩ رجب سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٠ يولية سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٥٦١ مسألة الجنسين .. .. : الأستاذ عباس محمود العقاد

٥٦٤ محو الأمية في مصر .. .. : الأستاذ دريني خشبة . .

٥٦٦ « داعي الدعاة » مناظر المعري : الدكتور محمد كامل حسين ...

٥٦٩ الأحلام .. .. : الأستاذ عبد العزيز جادو ...

٥٧٠ اتجاه الأدب العربي بعد الحرب القائمة ... ... } الأستاذ منصور جب الله ...

٥٧٢ القرآن الكريم في كتاب « النثر الفني » .. .. } الأستاذ محمد أحمد الغمراوي

٥٧٥ بضاعة القلم . ... : الأستاذ توفيق حسن الشرتوني

٥٧٧ نقل الأدب . . .. : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٧٨ ملحمة السراب [قصيدة] : الدكتور إبراهيم ناجي ..

٥٧٨ مزامير ! ... . : الأستاذ محمود حسن إسماعيل

٥٧٩ الوجود المادي . .. ... : الأستاذ نقولا الحداد ..

٥٧٩ الجائزة الأدبية . ... .. : الأستاذ حبيب الزحلاوي ..

٥٨٠ حول وحدة الوجود أيضاً : الأستاذ زكريا إبراهيم ...

مسألة الجنسين

للأستاذ عباس محمود العقاد

في مقالنا الماضي عرضنا لقرار الحكومة الروسية الذي أمرت فيه بفصل الصبيان والبنات في بعض مراحل التعليم، لأن الذكور والإناث يختلفون في استعداد النمو ما بين العاشرة والسابعة عشرة، فيبطئ تكوين الذكور ما بين العاشرة والرابعة عشرة ويسرع تكوين الإناث، ثم يبطئ تكوين الإناث ما بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة ويسرع تكوين الذكور.

وهذا مع اختلاف الإعداد للمستقبل بعد انتهاء الدراسة. فالذكور يعدون للجندية والإناث يعددن للأمومة، وكلتا الوظيفتين تدعو إلى تعليم خاص لا يشترك فيه الجنس الآخر ولا يفيده أو يفيد الأمة أن يشترك فيه

وقد قلنا في التمهيد لذلك: « إن الفارق إذا وجد في البنية لا يوجد في زمن ويختفي بعد ذلك أو قبل ذلك في أزمان. بل هو موجود في دخائل البنية وأعماقها، وإن تفاوتت درجات ظهوره بين حين وحين »

وهذا الذي نريد أن نتوسع فيه بعض التوسع في هذا المقال. لأن الاختلاف بين العاشرة والسابعة عشرة ما كان

ليظهر فى هذه السن لو لم يكن هناك اختلاف مستقر فى أجزاء البنية جميعاً من ساعة الميلاد بل من قبل ساعة الميلاد . فالبنية قبل العاشرة كانت مختلفة فى خلاياها ودقائقها ما فى ذلك أقل ريب ، ولولا ذلك لما نشأ الاختلاف فى الاستعداد حين نشأت دواعى ظهوره

كذلك يظل الاستعداد العقلى والجسدى مختلفاً بعد السابعة عشرة وإن توارى بعض التوارى فى بقية أدوار الحياة . لأنه لا يختلف عبثاً ومصادفة بل يختلف لغرض باق هو المقصود لا شك بالاختلاف فى مدى تلك السنوات

وهذه حقيقة يستطيع العلم أن يفسرها ولكنه لا يستطيع أن ينفيها ويمنعها بحال من الأحوال . لأن نفيها أو منعها من وراء سلطان العلم والعلماء

فالاختلاف بين الجنسين فى الطاقة والملكة موجود من زمن قديم ، ونتائج هذا الاختلاف فى الحياة العامة والحياة الخاصة موجودة كذلك منذ زمن قديم ، وغاية ما ينتظر من العلم أن يفسر لنا أسباب هذا الاختلاف أو يفسر لنا دلالاته ومعانيه ، ولكنه ينقض نفسه حين ينفى وجوده أو يعترف بوجوده ثم ينفى دلالته فى الماضى ووجهته فى المستقبل ، فليس للعلم ولا للعلماء هذا السلطان

على أن اختلاف الجنسين فى الطاقة والملكة سابق لاختلافهما فى نوع الإنسان . فلا مساواة فى الحيوانات العليا بين الذكور والأناث ، وليست حقوق الأناث مساوية لحقوق الذكور فى تلك الحيوانات ، إن صح التعبير هنا بكلمة الحقوق . ولم تشاهد قط جماعة من الحيوانات الاجتماعية تقودها أنثى أو تحتل منها محل الزعامة كما تفعل الذكور ، ولم تشاهد قط أنثى تستتبع لها طائفة من الذكور لتختار منها ما تشاء حين تشاء

والعلم لا يستطيع أن ينكر هذا ولا يستطيع أن يجرده من الدلالة ، ولا يستطيع بعد هذا وذاك أن يزعم أن الحيوان يحتاج إلى التنوع فى وظيفة الجنسين ولا يحتاج إليها الإنسان .

على أن العلم قد أخذ منذ سنوات قليلة فى كشف هذه الحقيقة من مكامنها الأولى التى تبين لنا أن الاختلاف فى القدرة الإنشائية كان من أبدأ البداءات بين خلايا التذكير وخلايا التأنيث ، ونحسب أن العلماء واصلون إلى فصل الخطاب فى هذا الباب بعد بضع سنوات . فيبطل يومئذ محال الدعاة الذين يعمون أو يتعامون عن المحسوس لأنهم يسخرون حقائق الحياة لمذاهبهم العوجاء ، بدلاً من تسخيرهم هذه المذاهب لحقائق الحياة

وحسبنا أن نقرر هنا ما أثبته الباحثون فى « فزيولوجية الجنس » من تجارب الخلايا في كلا الجنسين . فهذه التجارب تثبت أن عوامل الذكورة إنشائية ، وأن عوامل الأنوثة سلبية تابعة أو هى على وجه من الوجوه بمثابة اختفاء عوامل الذكورة . فالجزء الذى تستأصل منه خصيته يضمر ولا تنبعث فيه دواعى النماء ، ولا يحدث مثل هذا فى أنثاه إذا نزع منها المبيض ولو من أوائل الطفولة ، لأن نموها الأنثوى لا يحتاج إلى عامل مضاف من عوامل الإنشاء

ومع هذا لا نحسب أن الأمر يلجئنا إلى الميكرسكوب والخلايا لنعلم أن طبيعة الذكورة تقتضي الإرادة الإيجابية وأن طبيعة الأنوثة تقتضى المطاوعة والمتابعة وما يمتزج بهما من الخلائق والنزعات

فالذكور فى جميع الحيوانات هى المجتهدة الطالبة والأناث فى جميع الحيوانات هى الملبية المطلوبة ، وإن اشترك الجنسان فى رغبة التناسل واستبقاء النوع

وقد خلق الذكور ، نفوساً وأجساماً ، بحيث يريدون تحقيق رغباتهم الجنسية ويستطيعون تحقيقها كرهاً إذا بدا لهم الإكراه ، ولم تخلق هذه المزية للأنثى فى نوع من الأنواع ، وليس إمكانها بمعقول

ولاعبث فى هذه التفرقة بين مزية الجنسين ، لأن الأنثى ليست بها ولا بالنوع حاجة إلى تسليط إرادتها بعد الحمل الذي يشغلها عدة شهور . فمن العبث أن تمطى الإرادة لتمطل وظائف الذكور فى خلال هذه الشهور ؛ ومن مصلحة النوع أن تكون مزية الإرادة والسيطرة للرجل ومزية الطاعة والتلبية للمرأة . وهكذا شاءت حكمة الخليقة سواء عندها من يشاء من اللاغطين ومن لا يشاءون

وكما قضت حكمة الخليقة بالإرادة والسيطرة للرجال قضت بفارق آخر بين الجنسين يجعل التدبير وبعد النظر خاصة للرجال لا يرزقها النساء

فكثيراً ما تلام المرأة ، لأنها أسيرة لميولها الحاضرة ، تندفع معها ولا تفكر فى عواقب الأمور ولا يفلح معها الإقناع ولا الوعيد فى تحويلها عن تلك الميول

ويفوت اللائمين أن نسيان العواقب ضرورة فزيولوجية لتحقيق فريضة النوع من جانب النساء . فلو كان من طبع المرأة أن تبالى بالعواقب وتوازن بينها وبين الميول الحاضرة لتعاظمت أمامها متاعب الحمل والولادة والحضانة وما فيها من أخطار قد تودى بالحياة ومن منغصات قد تبغض الإنسان فى أقدس الواجبات

فهذه ضرورات الخلقة التى لا كلام فيها لمتعلم ولا لتحليل محلل قد ميزت الرجل بالسيطرة والإرادة فى صميم الفارق بين الذكورة والأنوثة ، وقد جعلت وظيفة الرجل وظيفة لا يناقضها التدبير والنظر البعيد ، كما يناقضان وظيفة المرأة

وحكمة الخليقة هنا يؤيدها الشاهد المحسوس ، فإذا علمنا أن تكون النساء لا يتيح لهن جملة أن يساوين الرجال فى مزايا الإرادة والعزيمة والتدبير والنظر البعيد ؛ فكل كلام عن تشابه الملكات بعد ذلك محض هراء

نعم تعرف للمرأة مزاياها التى لا يشابهها فيها الرجال ، وهى مزايا يفيد فيها التخصيص والتوزيع ، ولا مناص فيها كما قدمنا من التباين والافتراق فى مراحل التعليم وفى مراحل العمل والمعيشة ، وهذا الذى نعنيه ونخشى أن يغفل عنه المتعجلون والمغربون فى انتحال المذاهب واتباع الدعوات

ونعيد هنا ما قدمناه فى مقالنا السابق حيث نقول : « إن المسألة التى نحن بصددها ليست مسألة تقدير للمنازل والمراتب فى ديوان من دواوين التشريفات ، ولكنها مسألة القيام بأعمال الرجال وأعمال النساء على الوجه الصالح لكل من الجنسين »

فلا يضير الناس أن يقال ما يقال عن تساوى الأقدار وتعادل المراتب بين النساء والرجال ما فهموا حقيقة الاختلاف بين استعداد هؤلاء وهؤلاء ، وما وكلوا لكل منهما عمله الذى يحسنه ولا يعطل فيه ملكاته التى توارثها من أول عهد التاريخ ، بل من أول عهد الأحياء بالاختلاف بين التذكير والتأنيث

وهذه مسألة تثار الآن كما تثار جميع المسائل فى أوقات الحروب والثورات . فإن كلمة حق وحقك وحقوقهم وحقوقنا هى أول ما يسمع فى الدنيا عند ما يتسع فيها ميدان النزاع والتنافس والمغالبة على حظوظ الحياة ، وقد سمعنا الكثير عن حقوق العمال وحقوق الجنود وحقوق الشيوخ والأطفال ، وسمعنا الكثير عن حقوق الضعفاء المحكومين وحقوق الأقوياء الحاكمين ، وسنسمع الكثير غير هذا حين تقترب ساعة الفصل بين جميع هذه الحقوق . فلا عجب أن تتردد بيننا وبين الأمم الأخرى كلمات الداعين والداعيات إلى حق المرأة فى كل شىء حتى ما نبت للرجال كل الحق فيه

لا عجب فى ذلك ولا مدعاة فيه للتشاؤم والإنكار . إذ لا شك أن التنبه الخاطىء بغير فهم وسداد أنفع من الجمود الخاطىء بغير فهم وسداد ، وقد جمدت المرأة زمناً طويلا ؛ فلها اليوم أن تأخذ كفايتها من اليقظة كما أخذت كفايتها من الجمود ، ولها فى هذه اليقظة أن تخطىء ثم تخطىء حتى تصيب طائعة أو ترد إلى الصواب بحكم الحوادث التى تنفرد أبداً بالحكم الأخير

والذى نحن على يقين منه أن المرأة ستظفر بكل حق هى قادرة عليه ومحتاجة إليه ، أو هى به فى حدود الأنوثة التى أقيمت لها حدودها قبل المذاهب والقوانين ، وستبقى لها حدودها بعد المذاهب والقوانين

ستظفر المرأة بكل حق من هذه الحقوق ، ولكنها ستعدل بمشيئتها عن تلك المطالب التى لا تريدها لأنها قادرة عليها أو محتاجة إليها ، بل تريدها لأنها « زى جديد » كتلك الأزياء الجدد التى يشغف بها بنات حواء

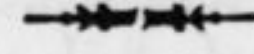
وسيأتى اليوم الذى يصبح فيه هذا الزى الجديد قديماً ؛ فإذا هو منبوذ غير مطلوب ، وفوات المدة هو كل ما يلزم لمناقشة هذه الدعاوى وتفنيد تلك الآراء . إن صح أنها آراء

عباس محمود العقاد

محو الأمية فى مصر

المشروع الجليل الذى تضطلع به وزارة الشئون الاجتماعية

للأستاذ دريني خشبة



ليس أخزى لأمة من الأمم أن تشيع فيها تلك الأمية الذميمة على الصورة التى تشيع بها فى مصر . وبالنسبة العالية التى ترتفع إلى ٨٥ ٪ فى بلادنا ... وأى خزى ألا يكون فى مصر من الملمين بالقراءة والكتابة أكثر من مليونين وربع المليون وأن يكون بها من الأميين أكثر من اثنى عشر مليوناً وثلاثة أرباع المليون !

أى خزى أن تكون هذه حالنا بالرغم من الملايين العشرة من الجنيهات التى شرعنا ننفقها على التعليم سنوياً ؟

وكيف أغمضنا عيوننا على هذه الحال كل تلك السنين الطوال ، والمسألة تتعلق بكرامتنا وقوميتنا واستقلالنا وحياتنا وبكل ما هو عزيز علينا ؟

وإذا عددنا أدواءنا الاجتماعية ، فأى داء وبيل يكون أقسى على المجتمع المصرى من تلك الأميه الذميمة المتفشية فى طبقاته على هذا النحو ، وبتلك النسبة العالية ؟

وإذا عددنا أمراضنا المتوطنة ، فأى مرض فتك بنسبة تزيد على اثنين بالمئة أو سبعة بالألف من سكان مصر ، كما تفتك تلك الأمية الوبيلة بثمانمائة وخمسين من كل ألف مصرى عزيز ؟

وماذا يصنع التيفود والتيفوس والملاريا والرمد والأنكلستوما والبلهرسيا أشد مما تصنعه تلك الأمية بإخواننا الساكين المصريين من فلاحين وعمال وصناع وتجار وجنود وشرطة ؟

إن هذه الأوبئة التى ذكرنا ، وغيرها مما لم نذكر ، ليس مصدرها الميكروب كما يزعم الأطباء ، وإنما مصدرها تلك الأمية التى تغشى عقول هذه النسبة العالية من إخواننا المصريين البائسين

إن الفلاح الذى يشرب من البركة الراكدة ، والفلاحة التى تغتسل فى تلك البركة ، إنما يصنعان ذلك بعامل الأمية التى حالت قسوة الأمة ونومها الطويل الذى نامته دون إنقاذ غالبية الشعب من براثنها

وإن المرابى الذى يغتال أموال الفلاحين وغير الفلاحين من طبقات الشعب ، إنما يغتالهم من طريق أميتهم التى رانت على أبصارهم ، وناءت على عقولهم ، وحجبت عنها النور بتلك الطبقة الكثيفة من السذاجة والغفلة والجهل المبين

إن اضطلاع وزارة الشئون الاجتماعية بمهمة محو تلك الأمية الذميمة هو أشرف الأعمال التى تضطلع بها وزارة من الوزارات بل هو أجل خدمة تؤديها للوطن ، الوزارة التى أنشئت لخدمة المجتمع المصرى ، وانتشاله من تلك الوهدة التى تتردى فيها غالبيته المسكينة البائسة التي لا تنتفع من ملايين التعليم العشرة إلا بأزهد مقدار وأضأله ، وبطرق بعيدة غير مباشرة

وإن مهمة محو الأمية فى مصر لعمل تنوء به وزارة واحدة ، ويجب لهذا أن يعد خدمة وطنية عامة تُعَبَّأ له جهود الشعب كلها ، بحيث يكون مرتكباً لجريمة الخيانة الوطنية الكبرى كل مصرى يستطيع أن يساهم فى هذا العمل ثم يحجم عن المساهمة ، أو يتراخى فى القيام بنصيبه فيه

إن هذه النسبة العالية من إخواننا وآبائنا وأمهاتنا وأخواتنا وأبنائنا المصريين ، المحرومين من نعمة القراءة والكتابة ، هم فى الحقيقة محرومون من النور ، بل من الحياة ، بل من الكرامة الإنسانية . وإن من الأنانية التى ليست وراءها أنانية أن تنتفع نسبة ضئيلة من سكان البلاد بمائة مليون من الجنيهات أو تزيد كل عشر سنوات ، دون أن تنتفع غالبية الشعب بشىء من هذه الملايين

فالمسئلة جد إذن ، ونحن منها إزاء خطر وطنى يجب أن تتضافر الجهود على التغلب عليه ... لقد أنشأنا وزارتى التموين والوقاية المدنية من الغارات الجوية لأسباب لو اجتمعت كلها ومعها عشرة أضعافها ، لما بلغت أسباب هذه الأمية بمللها وآثامها وعقابيلها الوخيمة ، لأنها أصل العلل ، ولو أنصفنا هؤلاء الإثنى عشر مليوناً وثلاثة أرباع المليون من إخواننا المصريين الأميين التعساء لأنشأنا لهم وزارة لمكافحة تلك الأمية التى تنحط بهم إلى مراتب الحيوانات بين أسماعنا وأبصارنا ، نحن إخوانهم المتعلمين الأنانيين !

فإذا نهضت وزارة الشئون الاجتماعية لهذا الأمر ، وجب ألا تضطلع به وحدها ، بل واجب على كل وزارة أن تعاضدها فيه ، بل وجب على جميع المصريين ، أفراداً وجماعات ، أن يقدموا لها معونتهم الصادقة المثمرة ، بحسبان أن هذه المعونة خدمة وطنية عامة ، وفرض مقدس فى عنق كل مصرى أن يضطلع بنصيبه فيه

ولعل وزارة المعارف هى أولى الوزارات التى ستتقدم لوزارة الشئون النصيب الأوفى من المعونة الصادقة ، وستقدمه شاكرة ذاكرة معترفة بالجميل ، لأن قيام وزارة الشئون بهذا الأمر دون وزارة المعارف فيه معنى من أنبل معانى التضامن الوزارى فى الحكم الصالح ، لأن أحداً لم يقل إن وزارة المعارف قادرة على كل شىء ، بل إن أحداً لم يقل إن أية وزارة من الوزارات قادرة على القيام بالعمل كله الذى أنشئت من أجله ، بل إن أية وزارة من الوزارات لعاجزة أتم العجز عن تحقيق الأغراض التى أنشئت من أجلها ما لم تعاونها فى ذلك معظم الوزارات ، بل كل الوزارات ... فإذا اعترض أحد بأن مكافحة الأمية هو أول الأعمال التى أنشئت من أجلها وزارة المعارف ، قيل له إن كل الأعمال التى أنشئت من أجلها وزارة الشئون الاجتماعية كان مفروضاً أن تقوم بها وزارة المعارف ، فلما أنشئت وزارة الشئون كان إنشاؤها إتماماً لوزارة المعارف ، وتركيزاً للأعمال والواجبات ، والخدمات العامة التى تنوء بها وزارة واحدة ، على أن نصيب وزارة المعارف من هذا المشروع الجليل سيكون أكبر الأنصبة كلها وأوفاها ، فهي التي ستقدم مدارسها كلها للتعليم الليلى ، وهى التى ستقدم مدرسيها فى جميع فروع التعليم ، الأولى منه والابتدائى والثانوى والخاص والعالى والجامعى ، لتعليم إخواننا المصريين البائسين مبادئ القراءة والكتابة والحساب ... وهى ستفعل هذا عالمة أن أساتذتها من التعليم الإلزامى إلى التعليم الجامعى ، لن يشق عليهم أن ينتدبوا لهذه الخدمة الوطنية الكبرى ، لأنها دين مقدس فى أعناقهم للوطن المرزوء بتفشى الأمية فى طبقاته . بل إن أستاذ الجامعة سوف يشعر وهو يقوم بتلك الخدمة الوطنية أنه لم يؤد لبلاده خدمة أجل منها من قبل . . . وها نحن أولاء نرى بين صفوف الجنود الخليفة بيننا أطباء ومهندسين وحاملى درجات جامعية رفيعة يعمل كل منهم برتبة جاويش بسيط ، أو عسكرى لا يحلى ذراعه غير شريط واحد ، وهو مع ذلك يشعر أنه يؤدى واجبه المقدس لبلاده أولاً ، وللمدنية المضرجة بالدماء ثانياً ، وهو مع ذلك يشعر أن قيمته قد ازدادت ، وأن ضميره قد استراح ، وأن درجته العلمية لم تنقص ...

ستفعل وزارة المعارف ذلك ، وستعبئ كل رجالها وكل جهودها فى هذه السبيل ، وستفعله شاكرة ذاكرة معترفة بالجميل لوزارة الشئون الاجتماعية ، وستحذو جميع الوزارات حذو وزارة المعارف فى معاضدة وزارة الشئون ، فتساعدها وزارة الصحة فى مكافحة الأمية الصحية بين طبقات الفلاحين والعمال والصناع والتجار ومن إليهم من سائر طبقات الشعب . . . وتساعدها فى مكافحة الأمية الصحية بين الأمهات والآباء ببث أطبائها ومفتشيها فى القرى والمدن والمساجد والأسواق لتنظيم الاجتماعات للتنوير ، ولتبصير الآباء والأمهات بما لا بد من تبصيرهم به من معضلات الصحة والوقاية من الأمراض العامة ، وسيفعل الأطباء ذلك راضين متواضعين شاعرين أنهم يقومون بنصيبهم فى هذا الجهاد المشترك والخدمة الوطنية العامة الكبرى

وتساعدها وزارة الدفاع الوطنى بتعليم جنودها مبادئ القراءة والكتابة تعليما إجباريا تخصص له ساعات قليلة من ساعات العمل والتدريب العسكرى

وتساعدها وزارة الداخلية بمثل ما تساعدها به وزارة الدفاع ، فلا تقبل شرطياً أمياً بين شرطتها ، ولا خادماً أمياً ولا خفيراً أمياً بين خدمها وخفرائها ، وبذلك تضطرهم إلى تعلم مبادئ القراءة والكتابة اضطراراً وتحملهم عليه حملا . وكذلك سائر الوزارات

وتساعدها وزارة الأوقاف أكبر المساعدة بوضع مساجدها ودور أوقافها المعطلة تحت تصرفها . . . وبتعبئة الأئمة والخطباء والوعاظ ورجال الدين للقيام بنصيبهم فى التدريس ومكافحة أمية الخرافات والشعبذة ... وبهذه المناسبة نشير إلى ما ينبغى أن يساهم به الأزهر والأزهريون من نصيب موفور مشكور ، فهم أقرب إلى نفوس العامة ويتمتعون بينهم بالثقة والمحبة ، ومثل هذا يقال عن رجال الأديان الأخرى المحترمين

على هامش ذكرى المعرى

«داعى الدعاة» مناظر المعرى

للدكتور محمد كامل حسين

الآن يستعد العالم العربى للاحتفال بالعيد الألفى للفيلسوف الشاعر أبى العلاء المعرى ، فرأيت أن أميط اللثام عن شخصية معاصره ومناظره « المؤيد داعى الدعاة » بعد أن ظل مجهولا طوال هذه السنين ، بالرغم من أنه كان رجلاً له خطره وشأنه يرجف الناس باسمه فى القرن الخامس الهجرى ، خشى بأسه الخليفة العباسى ببغداد ، وأبوكاليجار البويهى وطغرلبك التركمانى ، وخشيه المعرى فى مناظراته ، هذا الرجل الذى وصفه المعرى بقوله : «لو ناظر أرسطاليس لجاز أن يفحمه ، وأفلاطون لنبذ حججه » . فمن الغريب حقاً أن تظل شخصية هذا الداعى غامضة مجهولة بالرغم من المحاولات العديدة التى قام بها جماعة من المستشرقين للبحث عنه ، ولو لم أعثر على نسخة خطية لسيرته كتبها بنفسه عن نفسه ما كنت أستطيع معرفة شىء عن هذا الداعية الداهية

عرف هذا الداعى فى التاريخ بلقبه « المؤيد فى الدين » ، واسمه هبة الله بن موسى بن أبى عمران ، ويكنى بأبى نصر ، ولد بشيراز فى أواخر القرن الرابع من الهجرة ، وأرجح أنه ولد حوالى سنة تسعين وثلثمائة من أسرة تدين بمذهب الفاطميين ، وكان أبوه داعى دعاة هذا المذهب فى فارس ، وقد عثرت على جزء من رسالة من أبيه إلى الحاكم بأمر الله الفاطمى يطلب فيها من الحاكم أن يعترف بالمؤيد داعى الدعاة بعده ، ولكن الحاكم أجابه بشىء من الجفاء والغلظة ، لأن أمر الدعوة لا يورث ، ومع ذلك استطاع هبة الله أن يصل إلى مرتبة أبيه ، وأن يصبح حجة جزيرة فارس ، (وهذا بالاصطلاح الفاطمى ومعناه داعى دعاة إقليم فارس) . أما كيف ومتى وصل إلى هذه المرتبة فهذا مالم نوفق لمعرفته إلى الآن ، وكل الذى وصلنا أنه نجح فى اجتذاب عدد كبير من الناس لدعوته ، وأنه كان محبوباً عند جمهور أهل مذهبه حتى قالوا عنه لوزير أبى كاليجار البويهى سنة ٤٢٩ : « إنهم يتخذون هذا الرجل أباً لهم وأخاً وصاحباً ومحلاً لكل سر ومفزعاً فى كل خير وشر » .

نحن لا نعرف من أمر المؤيد قبل سنة ٤٢٩ شيئاً إلا أنه كان مضطهداً من جمهور أهل السنة لتمذهبه بمذهب الفاطميين ، وأن العلماء أغروا به السلطان البويهي ، ورموه هو ومذهبه بكل

وتساعدها وزارة الزراعة بمكافحة الأمية الزراعية بين طبقات الفلاحين ، ولا بد أن تصنع وزارة الزراعة ذلك جادة غير عابثة ، فالفلاح الذى لا يجيد زراعة غير محصولات ثلاثة ، وهو مع ذلك يجهل آفاتها ، هو فلاح أمى جدير بالرثاء خليق بالتنوير . ولقد آن الأوان الذى يجب فيه التفكير فى مستقبل هذا الفلاح إذا ألغيت زراعة القطن تحت ضغط الحرير الصناعى وصوف اللبن .. وسيكون مستقبل هذا الفلاح المسكين أشد تعاسة إذا لم نكافح أميته الزراعية منذ الآن . وإذا لم نكافح هذه الأمية مكافحة فنية على أحدث أصول التربية الزراعية

هذا واجب الوزارات ... أما واجب الأفراد والجماعات فهو عندى أعلى وأسمى ... إننا محتاجون إلى بث الدعوة الواسعة العريضة لمكافحة الأمية بين طبقات هذا الشعب المسكين ، حتى يصبح وجوب مكافحتها عقيدة ، بل إيماناً ... وهذا يقتضى تضافر الجهود كلها ، وخاصة جهود الكتاب والخطباء والرؤساء والصحافة على نطاق واسع ... فالصحيفة أو المجلة التى تصدر دون أن تطرق هذا الموضوع تنسى مهمتها الأولى المقدسة ، وتؤثر الخوض فى الاسفاف على التمرس بالجد . . . والهيئة التى تستطيع أن تساهم فى هذا المشروع بنصيب موفور مشكور، ثم تقصر فى المساهمة هى هيئة تفر من صفوف الجيش الوطنى فى ساعة الخطر . فهى جديرة بالازدراء بل بالعقاب

وفق الله وزارة الشئون الاجتماعية فى إنجاز أشرف الواجبات الوطنية لخدمة الجيل الجديد ... ووفقها الله فى تنظيم هذا المشروع العظيم وتوقيته ووضع خطته وتدبير ماله ، إنه سميع مجيب .

دريني خشبة

موبقة ، حتى أن السلطان أبا كاليجار ما كان يطيق سماع شيء عنه لشدة مقته له ، مع أنه لم يعرفه معرفة شخصية ، ولما ضاق السلطان ذرعاً بما كان يسمعه عن المؤيد أمر بإخراجه من شيراز في رمضان سنة ٤٢٩ ، وأمهل المؤيد عدة أيام ليخرج فيها من المدينة ، على أن يظل في داره لا ينتقل منها ولا يقابل فيها أحداً ، فكبر ذلك عند شيعته وأثاروا فتنة شعواء في المدينة بين السنة والشيعة ، فاضطر الوزير إلى أن يسمح للمؤيد بعقد مجالسه ، وأن يفتح بابه لزائريه ، كما هدد علماء أهل السنة بالقتل والتشريد إن هم أثاروا مرة أخرى مسألة الخلافات المذهبية ؛ فركن الجميع إلى الخضوع على كره وبقيت حزازات النفوس كما هي

أما المؤيد فقد عمد إلى الدهاء والمكر حتى استطاع أن يقابل السلطان أبا كاليجار ، بل استطاع بقوة حجته وفصاحة منطقه أن يكسب عطفه وأن يحوز إعجابه ورضاه ، حتى أمره السلطان بأن يحضر المجلس السلطاني متى شاء كما سمح له بمناظرة مخالفي مذهبه ، وكانت هذه المناظرات إما كتابة يطلع عليها السلطان بنفسه أو كانت شفاهاً على مسمع من السلطان ، والمؤيد قوى الحجة بليغ في مناظراته مجادل له خطره فكان يخرج من مناظراته منتصراً دائماً مما أبهر السلطان وازداد به إعجاباً حتى قال له يوماً : « إني أسلمت نفسي وديني إليك وإنني راض بجملة ما أنت عليه » وهكذا اعتنق السلطان أبو كاليجار البويهي مذهب الفاطميين ودخل دعوتهم على يد المؤيد ، ولكنه اعتنق هذا المذهب سراً فلم يجرؤ على الخطبة باسم الخليفة الفاطمي ، ولم يستطع أن يعلن بين الناس تحوله عن مذهبه واعتناقه مذهب التشيع ، إنما كان دخوله في الدعوة الفاطمية أمراً أخفاه إلا عن أستاذه المؤيد الذي خصص للسلطان مساء كل خميس لتلقينه أصول المذهب وجرت هذه الدروس بأن تبدأ بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم ؛ ثم بباب من كتاب « دعائم الإسلام » للقاضي أبي حنيفة النعمان بن حيون المغربي ، ثم يناقشه السلطان في بعض ما أشكل عليه من أمر المذهب ، ثم يختم المؤيد دروسه بالحمد والدعاء للخليفة الفاطمي ، ثم للسلطان أبي كاليجار البويهي

على أن أمر هذه المجالس الليلية سرعان ما عرفه الناس ، وانتشر خبرها بين جمهور أهل السنة ولكنهم لم يستطيعوا أن يحركوا ساكناً ، وإن كان بعض المقربين إلى السلطان نصحوه بالابتعاد عن المؤيد ؛ والسلطان لا يزداد إلا تقرباً منه وتعلقاً به ، وكلما مرت الأيام ازداد السلطان حباً لأستاذه وإعجاباً به ، حتى قال الناس إن السلطان لا يقطع بأمر إلا بعد استشارة المؤيد ؛ واعتقد المؤيد نفسه أن السلطان أصبح طوع أمره وأنه لا يخالفه في شيء فانتهز المؤيد هذه الفرصة وأخذ في تهجين الشراب والخلاعة للسلطان فأغضب ذلك جماعة الندماء الذين حول السلطان فانضموا إلى أعداء المؤيد وأجمعوا أمرهم على الإيقاع به والعمل على إبعاده عن السلطان حتى لا يستأثر به من دونهم ، فأخذوا يحيكون الدسائس ويدبرون المؤامرات حتى نجحوا في مكائدهم وأظهر السلطان موجدته على المؤيد فأمر بقطع المجالس الليلية ، وعدم السماح للمؤيد بدخول المجلس السلطاني . في هذا الوقت أي في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة تولى أبو منصور هبة الله الفسوى الوزارة لأبي كاليجار ، وكان هذا الوزير الجديد من أشد الناس بغضاً للمؤيد ، ومن أشد الناس نقمة على الشيعة عامة والمذهب الفاطمي خاصة ، فكسب أعداء المؤيد بهذا الوزير الجديد ركناً مكيناً يأوون إليه وعضداً قوياً يعتمدون عليه في الإيقاع بالمؤيد ؛ فالتفوا جميعاً حول الوزير يتلقون منه ما يحيكون به الشراك للمؤيد حتى كانت قصة مسجد الأهواز التي استغلها هؤلاء الأعداء في اقتلاع المؤيد من فارس بأسرها ، أما هذه القصة فتتلخص في أن المؤيد سافر إلى الأهواز لزيارة شيعته ورجال دعوته ، وهناك احتوى على مسجد مهدم فأمر أتباعه بتجديد عمارته وكتب على محرابه اسم النبي الكريم (ص) وأسماء الأئمة الفاطميين من علي بن أبي طالب حتى اسم المستنصر بالله وأمر دعاته بالأذان « بحي على خير العمل » ولم يكتف بذلك بل أقام الخطبة باسم المستنصر الفاطمي . فأثار عمله هذا ثائرة الناس بالأهواز وقامت ضجة بالمدينة من أنصاره المهللين وأعدائه المستنكرين والناس في عجب من أمر هذا الرجل الذي استطاع أن يقيم دعوته ظاهرة مكشوفة في بلد يدين بمذهب يخالف مذهبه حتى أن قاضي الأهواز اضطر إلى أن يرسل إلى الخليفة العباسي ببغداد يندى الخلافة العباسية ، ويندى مذهب الجماعة والسنة وهول في القضية إن ترك المؤيد طليقاً حراً ، ووجه

لوماً عنيفاً للسلطان أبى كاليجار لأنه احتضن هذا الرجل مدة من الزمان ، وفي ختام خطاب القاضى نصيحة للخليفة العباسى بأن يداهن أبا كاليجار حتى يسلمه المؤيد وإلا حلت الدعوة الفاطمية بالبلاد بدلاً من الخلافة العباسية

وهنا نرى مقدار ما وصلت إليه الخلافة العباسية من الضعف حتى لم يبق للخليفة العباسى إلا الخطبة باسمه على المنابر ، أما السلطة الحقيقية فكانت فى أيدى البويهيين والوزراء إذلم يستطع الخليفة العباسى القائم بأمر الله أن يفعل شيئاً عند ما بلغه قضية مسجد الأهواز إلا أن يرسل رسولاً من قبله إلى أبى كاليجار ومعه بعض الهدايا والخلع نظير السماح للرسول فى القبض على المؤيد ، فاشتد بذلك ساعد أعداء المؤيد وأشاعوا فى البلاد أن الخليفة أهدر دمه وانتهزوا فرصة وجود رسول الخليفة فى شيراز وأقاموا مظاهرات صاخبة فى أيام ركوب السلطان بلهجون بمدح السلطان الذى نقم على المؤيد ويرمون المؤيد ومذهبه بكل نقيصة حتى أحرج السلطان نفسه ولم يدر ماذا يصنع بعد فرط حبه وإعجابه بالمؤيد ، وأخيراً أمر المؤيد بأن لا يخرج من داره

أما رسول الخليفة ؛ فكان يخشى المؤيد ويتجنب التعرض لذكره خوفاً من الشيعة ، وخاصة من الديلم الذين دخلوا الدعوة الفاطمية ، فلم يستطع إلا أن يكتب للمؤيد يحذره من الاندفاع فى عصيانه وخروجه عن الستر إلى الجهر ، وأخذ يحبب إليه ترك المذهب الفاطمى والدخول فى سلك الجماعة ويمنيه الأمانى الطيبة من مراكز سامية فى الدولة وأموال تغدق عليه ؛ فكان رد المؤيد على ذلك بأنه لن يترك ما هو عليه ، وأنه سيمضى فى دعوته جهراً ولو أدى ذلك لموته لاعتقاده أنه على الحق وأن غيره على الباطل ، فلم يسع رسول الخليفة إلا الرجوع إلى بغداد ، أما السلطان فخرج إلى الصيد وبقى المؤيد بين أعداء ألداء نخشى على نفسه بغتة من بغتاتهم فرأى أن يخرج لزيارة شيعته ولكنه خشى أن يغتال فى الطريق ولا سيما بعد شاع فى الناس أن الخليفة أهدر دمه ولذلك خرج خفية ، وكان فى طريقه يلتمس الطرق الموحشة ولا يطرق الأماكن الآهلة ، ومع ذلك كان يسمع من حين لآخر أن السلطان فعل به كيت وكيت ، أو أنه قتل وقطع إرباً إرباً ، وأن بغلته مزقت إلى غير ذلك من هذه الأقاويل التى كان يروجها الناس عنه وما بالك بمن يسمع بنفسه عن نفسه مثل هذه الأقاويل !

وانتهى به الطواف إلى الأهواز مرة أخرى وهناك قابل أنصاره فدهش الناس من وجوده بينهم ، وعلم السلطان وجوده فى الأهواز ، فأقسم لينتقمن منه لمخالفته أمره بالبقاء فى داره ، ولأن جماعة الندماء أدخلوا فى روع السلطان أن المؤيد فر إلى الأهواز لينظم ثورة ليقلع السلطان عن عرشه ، وكان للمؤيد عيون فى مجلس السلطان أبلغوه نقمة السلطان وغضبه وألحوا عليه فى الخروج من الأهواز ، لأن السلطان فى طريقه إليها ؛ فخرج المؤيد إلى حلة منصور فى ضيافة أميرها الحسين ابن منصور الذى استمع لقصة المؤيد فوعده الأمير بالتوسط لدى أبى كاليجار لتعود المياه إلى مجاريها الأولى ، وبالفعل قام هذا الأمير ليصلح بين السلطان والمؤيد وكادت تنجح مساعيه لولا أن توفى أبو طاهر البويهى ملك بغداد ، وطمع أبى كاليجار فى ملك بغداد ، وذلك لا يتأتى إلا برضاء الخليفة العباسى ، وهذا ناقم على المؤيد وناقم على أبى كاليجار بسبب المؤيد ، فلم ير أبو كاليجار إلا أن يصانع بدوره الخليفة العباسى ووزراءه ، وأن يضحى بالمؤيد فى سبيل الوصول إلى ملك بغداد ، وجرت مكاتبات عديدة بين السلطان والمؤيد وبين السلطان والأمير الحسين ابن منصور وأخيراً رجحت كفة الهوى على كفة العقل وأصبح محالاً أمر التوفيق بين مطامع السلطان وعودة المؤيد إلى داره ، فاضطر المؤيد إلى أن يغادر حلة منصور وإلى أن يرحل إلى قرواش بن المقلد وهو أمير العرب إذ ذاك . ولكن قرواش كان يتلاعب بالخلفاء ، ينضم إلى العباسيين إذا أغدقوا عليه نعمهم وعطاياهم ويستجيب للفاطميين طمعاً فى خلعهم وألقابهم ، ويصانعه البويهيون خوفاً من سطوته وقوته ، فلما وجده المؤيد على هذا الحال تركه واتجه إلى مصر حيث إمامه الفاطمى ومقر الدعوة الفاطمية .

(يتبع)

الدكتور
محمد كامل حسين
بكلية الآداب بالقاهرة

الأحـــلام

للأستاذ عبد العزيز جادو

الأحلام — كما درسها بعض العلماء — تبين اشتغال الشعور الباطن ، وتقيم الدليل على تلك المشكلة التى طالما حير الإنسان فهمها . والحلم حالة نفسية يشتمل على ما نراه فى نومنا من صور وتمثلات غريبة فى الترتيب عجيبة فى الظهور . وهذه لا تتكون دائماً من الأشياء والشئون المعلومة لدينا فى اليقظة ، بل قد تكون أشياء وأموراً نجهلها تماماً . وللأحلام معنى مهم يتعلق بتوازن حياتنا اليقظة Waking life وليس اللاشعور مجرد نظرية ، ولكنه جزء من الطبيعة البشرية التى يمكن أن تظهر بواسطة الأحلام . فلكي نفهم الحلم علينا أن ندرك معنى اللاشعور . الشعور هو جزء صغير فقط من شخصيتنا . أما اللاشعور — الذى يتألف غالباً من التأثيرات ، والنزعات الموروثة والمكتسبة ، والرغبات الجنسية المكبوحة — فيكوّن الجزء الأكبر من الذات الحقيقية Real self

فإذا كانت هذه الحياة اللاشعورية غير منسجمة مع الذات الشعورية فإنهـا ستستولى علينا بالتدريج وتتلف فهمنا للحياة . هذا من حيث إمكان مساعدة الأحلام لنا

إننا جميعاً نرغب فى أكثر مما نملك . ولما كان الطموح هو ينبوع الحياة ، فإن النزعات المكبوتة يمكن أن تقلب حياتنا المنتعشة إلى حياة خاملة . فالأحلام تمهد السبيل للتهرب من الحقيقة ، وفى الأحلام يقوم الناس بما قد يكون مستبهماً عليهم فى عالم الحقيقة

كثير من الأحلام يأخذ صورة إرضاء الرغبة Wish-fulfilment والرغبة يمكن أن تميَّز بسهولة ، ولكن هناك كثيراً من الرغبات الغامضة . وهذه الرغبة الغامضة هى التى تسبب معظم القلق . وفى اللاشعور يكتمن الكثير من الرغبات الغريزية التى لا يمكن أن تكون مرضية فى الحياة العادية من غير ما تناقض مع الدستور الاجتماعى للفرد ، واحترامه الذاتى

وهكذا نرى أن الميول التى نرضيها ونشبعها أثناء النهار لا تحتاج إلى إرضاء فى الأحلام

والأحلام ربما تكون فى الأصل جنسية ، سواء أكانت الذكرى من الطفولة المبكرة أم من الكبت الحالى ، أو ربما تكون متعلقة بذوى القربى فى صورة رغبة لاشعورية لموتهم أو لبعدهم ؛ أو ربما تكون أيضاً شهوة للقوة . هذه الأمثلة غالباً ما تكبح ولا يسمح بظهورها ، لأنها متناقضة مع الحياة اليومية ، الحياة الواعية الشعورية ، ولأن الرقيب Censor من جهة أخرى يمنعها من الظهور بضغطه عليها . ولكنها قادرة على إظهار نفسها أثناء النوم عندما تتعطل الحواس وتنقطع عن العمل ، وتكون الرقابة الأخلاقية على العقل الواعي مسترخية Relaxed . عندئذ يدأب اللاشعور فى عمله فينسج لنا حياة أخرى يعيش المرء فيها غاطاً فى إحساساته وتصوراته وانفعالاته وآماله المكبوتة التي لم يتمكن من تحقيقها ، فتتجسم إذ ذاك تلك الإحساسات والتصورات ، وتتوالد وتظهر منها سلسلة وقائع قد تكون من الغرابة بمكان . إلا أن هذى الرغبات لا تجرؤ على الظهور بمظاهرها الحقيقية حتى ولا فى الأحلام ، بل تتستر وراء أشكال ورموز ظاهرها برىء

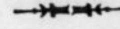
وهذا هو السبب فى أن أكثر الأحلام مزاج Jumble من الماضي والحاضر ، ومجموعة مختلفة من الناس ؛ وهذه التمثلات تتلون غالباً بصور معانى ما اختزنه الإنسان فى عقله الباطن فى حالة صحوه ويقظته . كما أن الأفكار والرغبات وآثار الأعمال ، وما يُلقَّن عن الغير من صنوف الإيحاء قد تكون مادة الأحلام وأشكالها

ومن هنا تنشأ الفكرة بأن الأحلام ما هي إلا صحيفة أخرى من صفحات حياتنا الكثيرة ، ومظهر آخر من مظاهر فعالية النفس

اتجاه الأدب العـــربى

بعد الحرب القائمة

للأســـتاذ منصور جاب الله



قيل إن أبا بكر الخوارزمى وقف بباب الوزير الصاحب بن عباد فقال له الآذن : إن سيدى قد ألزم نفسه ألا يلج بابه إلا من كان يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، فأجاب الخوارزمى على الفور : هذا القدر من شعر الرجال أو من شعر النساء ؟ ... وإذ علم الصاحب بجواب الخوارزمى قال : دعه فإنه الخوارزمى !

إنما كان ذلك رأياً قديماً فى الأدب العربى ، إذ كان القدامى يعدون الأديب أديباً بكثرة حفظه ، على حين أن كثرة الحفظ لا تجعل من الإنسان أديباً وإنما تخلق منه « راوية » . وليس أدل على ذلك من أن الخوارزمى الذى صدرنا بحكايته هذا الفصل قد هزم هزيمة نكراء حيال بديع الزمان الهمذانى ، وهو الشاب الحدث ، هزيمة اختصرت حياته فخانه العمر ولم يأت عليه إلا ما دون العام حتى كان فى عداد الثاوين

الحق أن معنى كلمة « الأدب » قد لقى تحولاً كبيراً فى سائر اللغات ، ومع أننا ما برحنا ننظر إلى معنى كلمة الأدب نظرة رجعية ، لا نستطيع أن نغفل التحول الكبير الذى طرأ على الأدب العربى بعد الحرب العالمية الماضية ، فقد كانت لأدبنا مظاهر نحب أن نناقشها ونفحصها حتى نتكون على ضياء البحوث النضيجة عناصر الأدب الجديد بعد انقضاء الحرب الناشبة وعودة الأمور إلى مجاريها

لقد كان من مظاهر الأدب العربى فيما بعد الحرب الماضية أن اتجه الأدباء إلى الترجمة والنقل عن اللغات الأجنبية ، حتى عدّ عدم التمكن من إحدى اللغات نقصاً لا يغتفر فى الأديب ، ورأى الكثيرون أن اللغة العربية وحدها لا تكفى فى تكوين الأديب العربى . وكان من جراء ذلك أن ذهب الأدباء مذاهب عدة ، فكانت هناك النزعة « اللاتينية » والنزعة « السكسونية » ولكل من النزعتين أنصار وخصوم ، حتى لقد بصرنا بأدباء يكتبون بالعربية على حين أن أحدهم لا يطالع كتاباً عربياً مهما تكن قيمته العلمية ، ومن ثم لم يكن « أدب ما بعد الحرب » أدباً إنشائياً ذا نزعة استقلالية ، وإنما كان عالة على سواه من الآداب الغربية ، حتى لقد صدق كاتب محدث بوصفه الأدب عندنا بأنه (مستعمرة !) فالنقل عندنا هو كل شيء ؛ فإذا شئنا التحرر من ربقة النقل الصريح فزعنا إلى « الاقتباس » والمحاكاة ، ومن

ويهمنا هنا أن نعرف أن الحلم — إذا حاولنا استعادته عند استيقاظنا من النوم — كثيراً ما يمحى منه أثر أشياء كبيرة الأهمية ، ويحل محلها عند اليقظة عمل آخر للرقيب ، بواسطته يُنسى الجزء المكبوت من الحلم

وإذا ترسم الحالم ارتباط عدة أحلام فلا ريب فى أنه سيجد أنها جميعاً تتجه إلى نقطة واحدة فى حياته ، هى مركز الكبت ، نقطة البداية لميله الحالى

هذى هى الأحلام التى تتعلق باللاشعور ، والتى تمدنا بالدليل على تناقضنا . إلا أن هناك عناصر معروفة تنشأ عنها الأحلام العادية هى :

١ — التأثيرات التى تأتينا من الداخل كامتلاء المعدة ، وسوء الهضم ، أو عدم انتظام الدورة الدموية وارتباك المخ . وهذه كلها أو بعضها يسبب فى الغالب أحلاماً مزعجة نسميها بالكابوس

٢ — الذكريات المحفوظة فى أعماق اللاشعور . بيد أن هذه الذكريات تتولد منها أفكار أخرى تناسبها فيتوسع النطاق فيبنى صروح أحلام شامخة

٣ — التهييج والانفعال النفسى الذى ينعكس إلى مراكز الدماغ فيجعله فى حالة عمل متواصل ، ويحصل العمل غالباً فى تداعى الأفكار ، وهى توضح لنا سبب تنوع الأحلام واختلاف مناظرها وحادثاتها

ومن تلك العناصر نرى أن أكثر الأحلام مصدرها الحادثات اليومية الواقعة فى حياتنا . وقد تتركب هذه الحادثات . فتنشأ منها قصة أو واقعة غريبة

وللأحلام نوع آخر لا يقل رتبة عن الإلهام ندع الكلام فيه لمقال تال .

عبد العزيز جادو

هنا كان الكاتب ينقل القصة — مثلاً — عن كاتب غربى ثم يحور أسماء الأشخاص والأماكن ، ويغير طابع الرواية بعض التغيير ، ثم يخرجها إلى الناس قصة مصرية !

وحالنا فى هذا تحاكى الحال التى آل إليها الأدب فى العصر العباسى حين كان الكتاب لا يقرأ إلا إذا نص عليه بأنه منقول عن الفارسية ، وقيل فى هذا الشأن إن عبد الله بن المقفع وضع كتاب « كليلة ودمنة » وضْماً ، ثم نحله إلى الهند وفارس ليقرأه الناس ويجدوا فيه متاعاً !

ولما كان الشىء بالشىء يذكر ؛ فإن كاتب هذه السطور يذكر أنه كان محرراً بإحدى الصحف اليومية المصرية ، وكان صاحب الصحيفة من المولعين بالترجمة ؛ فكان لا يسيغ مقالاً من إنشاء المحرر ، ولو ضرب به المثل فى البلاغة ونصاعة البيان ، بيد أنه كان يتطاير طرباً كلما بصر بمقال مترجم عن كاتب أوربى مهما تكن قيمته ! ومن هنا كان كل محرر منا يبذل الجهد الجهيد فى كتابة مقال ، فإذا شاء أن يحظى بتقدير صاحب الجريدة نسبه إلى التيمس أو الطان — مثلاً — رحمه الله وغفر لنا وله !

هذا مثال لسنا مغرقين فيه علم الله ، يدل على مقدار ما بلغه الأدب عندنا من التدهور ... وعلى ذلك يقتضينا الأمر أن نفك الأغلال التى ناء بها أدبنا حتى يكون أدب ما بعد الحرب الراهنة أحسن حالاً من أدب ما بعد الحرب الماضية

نريد أن يكون أدب ما بعد الحرب أدباً ذاتياً مستقلاً يصدر عن أحاسيس ذاتية وخوالج نفسية صحيحة ، وليس معنى ذلك أن نخنق « الترجمة » ونقضى على المنقول من اللغات الأخرى ، وإنما نريد أن نتخير من كل حسن أحسنه ، ثم يكون النتاج أخيراً أدباً عربياً خالصاً فلا يضطرب المزاج ولا يطغى عنصر على عنصر . ولا نريد أن نسهب فى هذه النقطة فسنفرد لها بحثاً خاصاً إن شاء الله

ولقد عابوا على الأدب العربى خلوه من القصص ، على حين أنه يفهق بالقصص ، وإنا لنكتب هذه الكلمة وبين أيدينا كتاب « مجمع الأمثال للميدانى » ، وهو كتاب لو نسق على الطريقة الحديثة لكان من أروع كتب القصص فى سائر اللغات . وحتى لو سلمنا جدلاً بخلو الأدب العربى من القصص ، فإن ذلك إنما يكون طبيعة مزاجية فيه ، لا نقصاً يحسب عليه ، على أن العرب ليس لهم أن يشكوا خلو أدبهم من القصص بعد الحرب الحاضرة ، فقد خاضوا غمراتها واشتركوا فى ملاحمها ، ولا مشاحة فى أن هذا الصراع العالمى يخلق فيهم روح « القصة » ، إذ كانت الحرب السالفة مادة لا يستهان بها فى القصص الغربى

ولقد استطاع كتاب قلائل من المحدثين أن يخلقوا القصة « المصرية » ، ولكنه بقى علينا أن نكتب القصة « العربية » ، وهذا ما نحاول العمل فى سبيله الآن

ولقد كان الأدب العربى فيما بعد الحرب الماضية إقليمياً أو محلياً إلى حد بعيد ، فضعفت الصلة بين الأدباء المصريين والسوريين والعراقيين وغيرهم ، فالكاتب المصرى قل أن يعقد صلة أدبية مع كاتب آخر فى سوريا أو العراق مثلاً ، والصحف المصرية لا تنشر فى الغالب سوى مقالات الكتاب المصريين أو مقالات الكتاب الغربيين المترجمة ، ولذا لا نحسب قارىء الصحف العادى يعرف أحداً من كبار الكتاب العرب خارج مصر ، ونحن المصريين لا نخلى أنفسنا من تبعة هذا القصور ، ولا نحاول دفع التهمة إلا بإزالة أسبابها

وهنا يؤدى بنا الكلام إلى التعريج على (الفكرة الإسلامية) و « الفكرة العربية » وأيهما أولى بالتفضيل . ونحن هنا فى مصر نمزج الفكرتين ولا نجد فرقاً بينهما . أما فى البلاد العربية الأخرى فيأخذون على المصريين تمسكهم بهذا المزج . ويرون فى ذلك ضرباً من التعصب الدينى . ولا نحسب الأمر على هذا التصور يصيب الحقيقة المجردة . ذلك لأن الفكرة (الإسلامية) أعم من الفكرة (العربية) ، فكان من الطبيعى أن تطوى أولاها أخراها وتحتويها ، ولقد سفه الإسلام النعرة العنصرية والجنسية

وهنا نقول أيضاً إن الشقة بعدت بين الكتاب المصريين وبين أصفيائهم العرب بسبب النزعتين (الفرعونية) و (العربية) ثم « الشرقية » و « الإسلامية » ، وقد ذهب أحد الزعماء المصريين إلى لبنان مصطافاً قبل بضعة عشر عاماً وأقيم له حفل خطب فيه زعيم لبنانى معروف فقال « نريد أن تكونوا معنا

٧ - القــرآن الكريم في كتاب النثر الفني

« وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ، ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون »
[قرآن كريم]

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

طلع زكي مبارك بعقاليه كما يطلع الشيطان بقرنيه . لا يستجيب إلى خير ، ولا يبصر هدى ، ولا يدعو إلى رشد ، ولا يأتي إلا بإثم أو إفك أو ضلال

وبضاعة زكي مبارك كلام يلقيه لا يدري أعليه يكون أم له ، بل يلقيه بظن أنه له فإذا هو عليه ، وهـذا من خذلان الله له ، ومن يحارب الله مخذول .

إن كان أحد عدو نفسه فذلك زكي مبارك . يبلغ منها بجهله وغروره ما لا يبلغ الخصم بعقله . يريد أن يخفي معايبها فيدل عليها ، ويريد أن يدرأ عنها فيبدي عن مقاتلها

لقد كتب يدافع عن نفسه فأمكن منها في كل موقف من مواقف الدفاع :

أمكن منها حين صاح مرتين يستغيث بالدكتور طه حسين ، وما ذا يملك له الدكتور طه وهو يجمع على نفسه من الاعترافات ما يوبق أقله ويهلك

وأمكن منها حين اعترف متطوعاً مختاراً بأن في كتابه آراء في إعجاز القرآن أخطر من الآراء التي روينا له . وهو يعلم أي آراء روينا ، ويعلم أن ما كشفناه للناس من آرائه قد هدمه وهده ، ولا زال يعضه ويقض منه المضاجع . فأي نفع له في أن يقول إن هناك في كتابه ما هو شر وأخطر ، اللهم إلا أن يكون أراد أن ينسب غيره إلى الغباوة ، فنسب نفسه إلى الغباوة والحمق معاً . فإن النبي الأحمق هو وحده الذي يريد أن يدفع عن نفسه فيعترف عليها اعترافاً كهذا فيه كل التأييد لما قال الخصم ، وفيه بعد ذلك مزيد

وأمكن من نفسه حين أكد هذا الاعتراف بقوله إنه لو شاء لدل الخصم على تلك الآراء التي هي شر وأخطر ! ونحن نعرف من كتابه كل ما يخاف كما قد أنذرناه ، ومع ذلك فما الحاجة إلى تلك الآراء وقد دمغته أخواتها دمغة سيعرف بها ما عاش ؟ ألا يكفيه من الوسم ما بلغ العظم ؟ ألا يكفيه من الغل ما أحاط بالعنق ؟ أم هو يريد غلاً يأخذ منه بالمخانق حتى يكتم منه الأنفاس ؟ لينتظر فسيرى أنا نعرف منه ومما كتب ما لا يخطر له ببال .

وأمكن من نفسه حين زعم لنفسه الشجاعة والصراحة ونفاها عن غيره . وأي صراحة يدعي أو أي صراحة يبغي بعد الذي كان ؟ لقـد صارحناه رأينا فيه ، وأنصفناه إذ لم نقتصر على الادعاء كما يفعل هو مع الناس ، بل جئنا على الدعوى بالدليل

عرباً لا شرقيين ولا فراعنة » والحق أن المصريين لا يستطيعون أن يجردوا أنفسهم من ميراثهم الفرعوني القديم ، ولـكن هذا لا يحملهم على الازورار عن القافلة العربية والتخلف عن الركب الإسلامي المظيم ، ولا نستطيع أن نفرق بين النزعتين العربيـة والإسلامية ، فقد كان الإسلام على فطرته وبساطته يوم كانت الأمبراطورية الإسلامية عربية خالصة ، ولم تدخل المذاهب الملية المعقدة إلا حين دالت دولة العرب وخرج الأمر عن أيديهم ، وكان العرب كذلك أعرف الناس بالتسامح الديني لأن القرآن الـكريم نزل بلسان عربي مبين ، فلما آل الأمر إلى الأعاجم جهلوا معنى التسامح فـكانت الحروب الصليبية القاشمة

فإذا صحح الـكتاب المصريون نظرتهم إلى « الفرعونية » تحتم على الـكتاب العرب في الأقطار الأخرى أن يصححوا نظرتهم إلى الفـكرة (الإسلامية العربية) على اعتبار أنها وحدة لا تتجزأ

بقي بعد ذلك أن يعالج الأدب مسائل الإصلاح الاجتماعي علاج الباحث المحقق ، فـكاتنا ما برح في مثل هذه المسائل كحاطب ليل ، على حين أنها من صميم الأدب الحديث

ولعل اتجاه الأدب العربي بعد الحرب القائمة يكون منصرفاً إلى الدعوة إلى زيادة الإنتاج القومي والأخذ بأسس الاقتصاد الصحيح . وهـذه كلها نقاط مجملة نرجو أن تسمح لنا الظروف بعلاجها في شيء من التفصيل .

(الرمل) منصور جاب الله

لتمكنه من إبطال الدليل إن استطاع . واجهناه وجابهناه بالتهمة ودليلها وهو حى يرزق يستطيع أن يدفع عن نفسه : بالحق إن كان لديه ، أو بالباطل كما يفعل الآن . ألا يقارن هـذا بما فعل هو مع الشيخ مصطفى القاياتى رحمه الله ؟ زعم فى بعض ما كتب ما لم يكن ليجرؤ على زعمه لو كان الشيخ القاياتى حياً ، وما ليس يصدقه فيه أحد ، من أنه كان ـ أى زكي مبارك ـ وهو تلميذ يحضر لمصطفى القاياتى محاضراته وهو أستاذ ! ثم لا يستحيى زكي مبارك بعد هـذا أن يحشر نفسه فى عداد الصرحاء الأشراف !

هكذا أمكن زكى مبارك من نفسه ، كما أمكن منها حين سمى ظهورى عليه بالحجة طغياناً ، وحين علل هذا الطغيان بعلمى أن الرقابة تمنع نشر المجادلة الدينية ! أما إنه الحق يطغى على الباطل ولؤمه ، لا الحق يمنع من ظهوره الرقيب . ومع ذلك فما حاجة زكى مبارك إلى المجادلة مطلقاً إن كان رأيه فى القرآن وإعجازه رأى المسلمين من لدن عصر النبى الكريم إلى اليوم ؟ ما حاجته إلى المجادلة الدينية التى يمنع منها الرقيب ، إن كان يمكنه التوفيق بين النصوص التى أوردناها عليه من كلامه وبين عقيدة المسلمين فى القرآن ؟ إن أحداً لا يعرف أن الرقابة تمنعه من تأويل كلامه إلى ما يطابق عقيدة المسلمين ويوافق إجماع علمائهم . أما الجدل الذى يراد به تبرير إنكار إعجاز القرآن أو إثبات أن القرآن من كلام البشر فنعم منع الرقابة منه ، ونعم عقاب القانون عليه . فهل هـذا هو الجدل الذى كان يريد زكي مبارك والذى لا يجد إليه السبيل ؟ إذن فقد أراد أن يعتذر عن نفسه فاعترف عليها حين أراد أن يحتمى هذا الاحتماء بالرقيب

ومع ذلك فالمسألة بيننا هى رأى زكى مبارك فى القرآن لا دليل زكى مبارك على ذلك الرأى . فإذا كانت الرقابة تمنعه من الجدال عن رأيه بالدليل فذلك شهادة منه ومن الرقابة أن رأيه ليس مما يجوز عنه الدفاع ، كما لا يجوز الدفاع مثلاً عن رأى زاعم لو زعم أن مصر لا يحق لها الاستقلال

إن هذا الغبى الأحمق لا يستطيع أن يفهم أنه ينال من نفسه أكبر النيل بدفاعه عنها هذا الدفاع . إنه كالغريق فى الحمأة لا يزيده جهاده للخلاص منها إلا غوصاً فيها حتى يلتئم سطحها فوق رأسه ، وكان خيراً له ألا يقربها ، فإذ قد قاربها فقد كان أنجى له ألا يتورط فيها

ومحاولة الرجل الخلاص بالكذب أو بالمكابرة أو بالمغالطة والمهاترة لا تنفع ولا تجدى . فليس ينفعه مثلاً أن يلجأ إلى حيلته القديمة التى نبهنا إليها فى التمهيد ، فيسمى الأشياء بغير أسمائها أو بضد أسمائها ، كما يفعل من تسمية العلم جهلاً والجهل علماً ، أو الإسلام إلحاداً والإلحاد إسلاماً وإيماناً . فهذه الحيلة التى قد تجوز على الناس عند انبهام الأمر ، لا يمكن أن تجوز على أحد فى البسائط الواضحة والبديهيات المسلمة

وموضوع الخصومة بيننا وبين هذا الآفك هو فى دائرة البسيط البديهى ؛ دائرة المسلَّم المعروف من الدين بالضرورة ؛ دائرة الأمور التى هى فصل بين الإسلام وغير الإسلام ، بين المسلم وغير المسلم : دائرة إعجاز القرآن ، وأن القرآن كلام الله لا كلام البشر ، وأن الأنبياء والرسل ليس لهم من الدين إلا تبليغه ، وأن وحى الله إليهم ليس كهذا الذى يسميه الشعراء والمفكرون إلهاماً . هذه الأصول المسلَّمة عند المسلمين كافة ، المعلومة من الدين بالضرورة هى موضوع الكلام بيننا وبين زكى مبارك ، وموضوع الخصومة . وهو ينكرها ويكابر فيزعم أننا نفترى عليه الإلحاد

المسلمون كافة يقولون إن القرآن معجز ، ويفهمون من إعجازه إعجاز الأسلوب قبل كل شىء ، وهو يقول إن القرآن غير معجز وإن أسلوبه أسلوب عادى يقدر عليه جميع الكاتبين . ثم يزعم أنه قد أقنع المثقفين بإعجاز القرآن !

إن إنكار إعجاز الأسلوب يستتبع حتماً إنكار إعجاز المعنى إلا فى المواطن التى يكون فيها المعنى من النبوءات التى تحققت بالفعل ، أو يكون من العلميات التى يحققها البحث العلمى على مر الزمان . فكثير مثلاً من قصص القرآن كان معروفاً ، إن لم يكن للعرب فللنصارى واليهود فى التوراة والإنجيل . ومن السهل على المكابر أن يدعى أن محمداً درس أو أن محمداً سمع . وقد قيل ذلك بالفعل . قالوا فيما حكى الله عنهم : « لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين » . حتى لو لم يكن القصص معروفاً لسهل على المكابر بعد معرفته أن

يدعى أنه كان غير مجهول ، بل لصعب جداً على غير المكابر أن يطمئن إلى أنه لم يكن معروفاً من قبل ، ولاستحال إثبات ذلك إثباتاً يرتفع معه كل شك ، إن لم يكن فى عصر النبى ففى ما بعد عصر النبى من العصور . فما الذى حال بين المنصفين من العرب فى زمن النبى صلوات الله عليه وبين مثل هذا الشك فى إعجاز القرآن وفى رسالة النبى ؟ إعجاز الأسلوب ! إعجاز الأسلوب حال بينهم وبين الشك

إن المعنى بعد أن صار معروفاً لهم كان يمكنهم التعبير عنه بالطبع ، ولكن لا بأسلوب القرآن ولا بشىء يشتبه بأسلوب القرآن . وهذا بعض وجه الحجة عليهم فى مثل قوله تعالى : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » . وسنعود فيما نستقبل من الكلمات إلى موقف صاحب الكتاب من هذه الآية بالذات كمثل ناطق بسوء فهمه وخلطه وإحالته حين يعرض للقرآن . أما الآن فيكفى أن ننبه إلى أن التحدى فى الآية الكريمة بقوله تعالى (مثله) وفى غيرها من الآيات إنما هو تحد بالأسلوب قبل كل شىء ، لأنهم بعد أن سمعوا بعض السور وعرفوا معناها كانوا يستطيعون أن يزعموا أن المعنى ملك للجميع ، أخذوه هم كما أخذه محمد ، ويعبرون عن المعنى بأى أساليبهم يرون أنه يقوم لأسلوب القرآن . ولو فعلوا وكان ذلك ممكناً لسقط التحدى به إلى الأبد . لكنهم لم يفعلوا ولم يكونوا ليفعلوا ، لأنهم كانوا إزاء أسلوب لا يمكن تحديه ، لا كما يزعم هذا الأفاك الأحمق إنه أسلوب فى مقدور جميع الكاتبين

فالذى ينكر إعجاز الأسلوب مثل صاحب النثر الفنى يلزمه حتما أن ينكر إعجاز بعض القرآن على الأقل كالقصص القرآنى أو بعضه ، أسلوباً ومعنى ، لأنه يستحيل عليه وقد أنكر إعجاز الأسلوب القصصى أن يزعم أن القصص نفسه معجز بالمعنى أو بالروح ، كما يزعم أنه أقنع المثقفين بهذا النوع من الإعجاز فى القرآن . وإذا سقط التحدى بقصص القرآن سقط التحدى بسورة من مثل القرآن ، لأن كثيراً من قصص القرآن سور بأسرها ، أو فى قدر سورة من غير القصص ، وإذن يسقط التحدى بالقرآن بأسره ، لأن الله سبحانه حين تحدى عباده بسورة من مثل القرآن لم يقيدهم بأى قيد فى اختيار السورة . فلو اختاروها سورة قصص ، أو جاءوا بقصص فى قدر سورة ولو قصيرة من غير القصص ، وكان ما جاءوا به يلتبس بالقرآن من حيث الأسلوب ، لكانوا قد كسروا التحدى وبطلت معجزة القرآن بين العرب ، فضلاً عمن جاء بعدهم ممن ليس له بصرهم بالفصاحة والبيان

فانظر فى هذا وتأمله جيداً وحكم عقلك ومنطقك ما شئت ، تجد أن إنكار إعجاز الأسلوب يؤدى حتماً إلى إنكار الإعجاز كله فى القرآن كله ؛ فإذا تبين لك هذا فاحكم حكمك على صاحب النثر الفنى ، منكر إعجاز أسلوب القرآن ومدعى إقناع المثقفين بإعجاز القرآن من ناحية الروح !

إن الرجل يلعب ويلهو بالخطير العظيم من الحق ، ويكذب ويأفك على الناس وعلى الله رب الناس . لكن لا عجب فهو يخبرنا أنه لا يخاف الله إلا تأدباً ، فهو لا يستشعر خوفاً حقيقياً منه سبحانه . فماذا يمنعه من الكذب والافتراء على الله ؟

على أننا لم نفرغ بعد من هذا الأفاك

محمد أحمد الغمراوى

بضاعة القلم

للأستاذ توفيق حسن الشرتوني

لا جدال أن بضاعة القلم هي البضاعة التي تصدر خاماً من منجم الدماغ الإنساني، وتتحول إلى مصنع الحافظة للقيام بمهمة فرزها وضروب حياكتها. وما مصنع الحافظة سوى مستودع يعج بمفردات اللغة وشواردها، ومسبك يصب ألفاظها وتعابيرها. والملهمون وحدهم يحسنون خلق هذه البضاعة وإبداع نسجها، لأنها بضاعة فريدة صعبة المراس، تقدر بالجودة لا بالكثرة.

فكم فص من الماس لا يساويه ألف فص، وكم قلادة من قلائد اليراع لا يعدلها ألف قلادة. فالثرثرة إذاً ليست أدباً، وحوشي اللفظ ليس بياناً، وانتحال أفكار الغير لا يعدّ نتاجاً، واجترار أقوالهم لا يعتبر فناً. إنما الأدب والبيان والفن نتاج يرتكز على دعائم الابتكار في المعنى، والبلاغة في المبنى، والجزالة في الأسلوب، والإيجاز في التعبير

أما الابتكار في المعنى وهو بيت القصيد، فلا يبدعه غير الموهوبين. والموهوبون أنفسهم لا ينتجونه طريفاً إذا لم يستثمروا مناجم أدمغتهم، ويغرزوا في أعماق تلافيفها ومطاوي أغوارها معاول تفكيرهم ومهاميز جهادهم ليكشفوا عن مستغلق أرواحهم، وعن كل ما تلبد في مستودع أذهانهم، وتستر في مكنون طباعهم وخفايا غرائزهم. وأدباء العربية أحوج الأمم في هذا العصر إلى استغلال مناجم أدمغتهم. فهي ما تزال بكراً لم يستثمر منها غير اليسير الذي لا يروى غلة ولا يبل ظمأ

ومن العار أن تظل حياتنا الأدبية والعلمية مقصورة على معارف الجدود، أو مستمدة من نتاج أدمغة الغربيين نأخذ منهم ولا نعطيهم، ونتمتع بمستحدثاتهم العلمية وروائعهم الأدبية والفنية، ولا نبادلهم علماً يستحق الذكر، أو أدباً جديراً بالتقدير، أو فناً خليقاً بالإعجاب

إن العاجز يمثل دور الطفيلي ويعيش عيالاً على غيره. أما نحن فلسنا بالعاجزين. نحن أبناء أمة عريقة، لنا من ماضيها الزاخر بغرر الفكر، ومن تاريخها الحافل بجليل المآثر، ما يؤهلنا لماشاة أرقى الأمم حضارة وعلماً، وما يذكى فينا روح المساهمة الواجبة علينا إزاء العالم، في حلبة الإبداع والتجدد.

وليس يعوزنا غير التضلع في العلوم والفنون والصناعات، والاطلاع على طارفها وتالدها، والتعمق في درسها وتمحيصها لاستجلاء كنوزها. ثم التمرن على إشغال الذهن ومواصلة التفكير لبعث ملكة الاستنباط الراقدة في حنايا أدمغتنا البكر، وهذا كله في متناول أيدينا. فجامعاتنا ومدارسنا ومكتباتنا كلها تزخر بمختلف المعارف الإنسانية، ينهل منها الطالب ما يشاء، ويثقف نفسه ما شاء لها من التثقيف.

ولكن هل من السهل إجهاد الذهن لاستخراج ما فيه من الدرر واللآلئ؟ إنه لعمري إجهاد عنيف لا يضاهيه إجهاد الغواص لاستخراج لآلئ البحر، يتطلب علماً وجلداً وخبرة في الحياة، ويستدعى جهداً خارقاً في التفكير، ورهفاً دقيقاً في الملاحظة، وإنعاماً خالصاً في الروية، تتعاون كلها على بعث اليقظة في الحواشي والوعي في البصيرة. والحواشي المستيقظة والبصيرة الواعية مصراعا الدماغ، لا ينفذ إلى دخائله دونهما، ولا تستخرج درره الكامنة في أغواره إلا بهما.

فلا شيء في هذا الكون يجنى عفو الخاطر، بل بشق النفس وإجهاد الجسم والعقل

فالعلم الذي نستوعبه بحول، هو نتاج كفاح الأجيال. والكتاب الذي نتصفحه بساعة هو نتيجة جهاد الأعوام.

والصناعات التى نتمتع بأدواتها المدهشة ، قد صرف مبدعوها العمر كله لإيجادها . والأدوية الناجعة التى نفزع إليها عند الحاجة ، ونتناولها ساعة نشاء ، قد بذل فى سبيل تحضيرها واكتشافها دماء القلب وعصارة الروح

فارتقاء الإنسان إذاً مصدره الفكر . ولولا أعمال الفكر الشاقة ، لما كانت الحضارة ومستحدثاتها ولا العلم ونواميسه . فكل جليل وجميل فى الكون تمخض فكراً فى الذهن قبل أن تجسم كتاباً ، أو تحول آلة أو تقمص فناً

فمن شاء الخلق والإبداع فليفكر . وألا يمل من التفكير . فمن لا يزرع لا يحصد ، ومن لا يواصل التفكير لا يخلق ولا يبدع

إن الجسم لا تقوى عضلاته بلا مواصلة العمل والرياضة ... هكذا الدماغ وهو خير ما فى الجسم من عضل وخلايا لا تتفتح مواهبه الخالقة ، وتشتد قواه المبدعة إلا بقوة المران والتفكير المستمر . ولا يغرب عن البال أن الثقة بالنفس هى أساس الفكر ، فمن وثق بنفسه فكر بدماغه دون أن يتوكأ على أدمغة الآخرين . وما الإحجام والخمول والتواكل سوى قيود مرهقة للنفس . يتحتم علينا أن نتحرر منها ليتسع أفق تفكيرنا ونتاج عقولنا

أما البلاغة فى المبنى فزينتها خلوها من الحشو والتكلف ، وبعدها عن الإبهام والتعقيد ، وحرصها على الوضوح والطلاوة وتجنبها عن محض الشمور والسجية . هكذا الأسلوب لا يعتبر جزلاً إلا إذا كان سهلاً ممتعاً ، مؤدياً المعنى بلغة صحيحة ، وعبارة رشيقة ، ولفظ متلائم

أما الإيجاز فى التعبير ، فهو من أهم لزوميات هذا العصر الخاطف ، الذى جعل الناس يتنقلون من قطر إلى قطر بسرعة تبز جوارح الطير ، ويرسلون أصواتهم وأفكارهم من قطب إلى قطب ، كما ترسل الصواعق

لقد مضى عهد المداورات والمترادفات ، وتصرم زمن الاستغراق فى الكنايات والاستعارات ، وجاء العهد الذى يستدعى الكاتب النفاذ إلى لب الموضوع بسرعة توازى سرعة العصر الذى نعيش فيه

فالمعانى التى تستوعب بصفحة من خطل الرأى أن نعبر عنها بصفحات . والفكرة التى توضح بجملة من الخطأ أن نمدها فى كثرة الجمل . فالكتاب الشائق فى هذا العصر هو الكتاب السهل المأخذ ، الغنى بروى البيان والفكر والتعبير الموجز

أما المطولات فقد تصرم عهدها وطوتها الرفوف

إنى أوثر اليوم أن تنسج بضاعة القلم على هذا النحو ، فلكل عصر بضاعة كما لكل عصر رجال .

(بيروت) توفيق حسن الشرتونى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٧٤ — فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه

في السياسة الإلـهية لابن تيمية :

سئل الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو . أحدهما قويّ فاجر والآخر صالح ضعيف مع أيهما يغزى

فقال : أما الفاجر القوى فقوته للمسلمين ، وفجوره على نفسه . وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه ، وضعفه على المسلمين . يُغزَى مع القوى الفاجر

٥٧٥ — قارئ عجيب

في (الحوادث الجامعة في المئة السابعة) لابن الفوطى : في سنة (٦٣٧) توفي الشيخ على بن حازم القارئ المعروف بالأبله ، كان آية في حفظ القرآن المجيد ، وتجويد قراءته ، يقرأ كل سورة شاء معكوسة ، واختبر له مرة على سبيل الامتحان سورة (الرحمن والقمر والجن) فقرأ ثلاث السور معكوسة دفعة واحدة من كل سورة آية ، وكان يقرأ من كل سورة شاء آية من أولها وآية من آخرها ويختمها في وسطها . ومع هـذا كله كان عنده بله ، وميل إلى اللعب مع الصغار والتشبه في أفعالهم مع علو سنه

٥٧٦ — يأكل ليعيش لا يعيش ليأكل

في (رسائل أبو بكر الخوارزمى) : حق على العاقل أن يأكل ليعيش ، لا يعيش ليأكل ، وكفى بالمرء عاراً أن يكون صريع مأكله . وقتيل أنامله ، وأن يجنى بيعضه على كله ، ويبين فرعه على أصـله ، فكم من لقمة أتلفت نفس حر ، وكم من أكلة منعت أكلات دهر [١] ، وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت ، وكم من عذوبة خلفها بشاعة الموت . ومن غلبت شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيمية والخلع عن ربقة الإنسانية

٥٧٧ — لم يكن من يجور

« المحاسن والمساوى » لابراهيم بن محمد البيهقى :

لولا من يقبل الجور لم يكن من يجور

٥٧٨ — لا تحسن أن تقول كقوله

في « الصبح المنبي » : حكى صاحب المفاوضة قال : كان سيف الدولة يميل إلى أبي العباس النامى الشاعر ميلاً شديداً إلى أن جاء المتنبي فمال عنه إليه ، فغاظ ذلك أبا العباس ، فلما كان ذات يوم خلا به وعاتبه وقال :

الأمير لمَ يفضل علىّ المتنبي ؟ فأمسك سيف الدولة عن جوابه فألحّ وألحّ وطالبه بالجواب ، فقال : لأنك لا تحسن أن تقول :

يعود من كل فتح غير مفتخر
وقد أغذ إليـــه غير محتفل [٢]

---

(١) في رسالة الصاحب بن عباد في الطب : قال الحكيم الأول بقراط في البدن السقيم : إنك متى ما زدته غذاء زدته شراً

(٢) أغذ : أسرع في السير ، ومراد المتنبي مطلق السير لا كما فسر الواحدى ، والبيت في قصيدة مطلعها :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عند محبيهن كالقبل

الضمير في (محبيهن) يرجع إلى الممالك أو إلى الأسل لا كقول العكبرى : كان الوجه أن يقول عند محبيه ، لأن الطعن مصدر طعن إلا أنه جعله جمع طعنة

ملحمة السراب ... !

القسم الثاني

للدكتور ابراهيم ناجي

ما بقائى وأجمل العمر ولَّى وانتظارى حتى يحين الشتاء
تمت حقبة تغير وجه الـكون فيها وحالتِ الأشياء
بطلع الفجر مرهقاً شاحب النو ر عليه الكلال والإعياء
وأرى الصبح فى المشارق يخبو ما به نضرةٌ ولا لألاء
قد علا طلعة النهار شحوبٌ واصفرار واعتلّت الأضواء
وبنفسى دب المساء وحلّ الليـل من قبل أن يحين المساء
عدتنى كالربيع فى موكب الزهـر له روعة وفيه رُواء
ولك الوجه أومض السحر فيه والتقى الحسن عنده والذكاء
وشحوب كظل راح وللنـد مان تجلو شحوبها الصهباء
ولك الكرم ذو العناقيد رفّت وتهادت فروعه الملساء
ولك الجيد أتلعاً أودع الصا نع فيه من قدرة ما يشاء
قُدّ من مرمر وشعشعه الفجـر بورد وصُبّ فيه الضياء
ولك المقلة التى يشرئب السهم من لحظها ويخفى الحياء
ولك اللفظة التى تبعث الها مد حيًّا كأنها كهرباء
وأنا الطائر الذى تصطبى نفـسى السموات والذُرا الشماء
راشنى صائدٌ رمانى فأدمانى وولّى الجانى وعاش الداء
كلما مرت الليالى يزيد الجرح غـوراً والطعنة النجلاء
طُويتْ رحلتى وودعتُ أحـلامى فنفسى من الأمانى براء
كثرت حيرتى وزادت تباريحى وشكى وما لحزنى انتهاء
مرحباً بالهوى الكبير فإن يبق وإن تسلمى يطب لنفسى البقاء
فهو القمة التى تهزم المو ت ولا يرتقى إليها الفناء

ابراهيم ناجى

مزامـــير !

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

ليتنى كنتُ صلاةً فى كهوف الناسكينا
أتلاشى فى طريق اللـه شوقاً وحنينا ...

ليتنى كنت غِناءً تائهاً فوق الصحارى
هزّنى طيرٌ غريبٌ فوق رُكبان حيارَى

ليتنى كنت شعاعاً فى ليالى الحائرينا
أسكب السُّلوان للدمـع وأغتال الأنينا ...

ليتنى كنت سكوناً خاشعاً بين الجبال
تتلاقَى فىَّ آيا تُ وجودى بالزوال

ليتنى كنت غداً لا تعلم الأقدار سِرَّهْ
أو نشيداً ضنّ شادى الغيب أن يعزف نبرهْ

ليتنى كنتُ على لُجٍّ (م) البحار الخضر زورقْ
كيفما شاءت بى الريح (م) على الأمواج تخفِقْ

ليتنى كنت حفيف السحاب فى آذان بيدِ
يسمع الليـلُ صبابا تى ويُصغى لنشيدى

ليتنى كنت صفير الحب من ناىِ الرُّعاةِ
تشرب الوديان والقطعان خمراً من لهاتى

ليتنى كنت عصاً فى كف أعمى لا يراها
هى تهديه ولكن مَن إلى النور هداها !

ليتنى كنت غراماً بين جنبَيْ عاشقَين
سمِعا إنشادَ نيرا نى ... فظلا خاشعَين

ليتنى كنت رياحاً تهتِفُ الآبادُ منها
أنا أهواها ... ولكن رغم أنى لم أكُنْها

محمود حسن اسماعيل



الوجود المادى

١ – أشكر عظيم الشكر لحضرة اللوذعى الفضال الأستاذ دربنى خشبة تفضله علىَّ « بالفاضلية والمحبوبية » وهو بهما أجدر منى وأليق

٢ – أرجو من حضرته ألاَّ يزجنى فى معركة وحدة الوجود لأنى لا أصلح جندياً فيها . وما تعرَّضتُ لها فى العدد السابق من الرسالة إلا لأننى كنت أود حقيقةً أن أعلم ماذا يراد بوحدة الوجود

٣ – أرجو من الأستاذ دربنى أن يراجع ما قلته فى مقالى السابق لكى يتحقق جيداً أنى لم أقل إن مقاله الثالث زاد النظرية غموضاً . بل قلت بكل وضوح وصراحة لا تقبل التأويل ، إن ما سرده من نظريات فلاسفة اليونان زاده غموضاً لأنها سلاسل سخافات كنشوء الكون من الرطوبة الخ . فهى لا تستحق أن يُستشهد بها ولا يستفاد منها شيء لتعريف وحدة الوجود . لذلك أرجو منه أن يصحح عبارته لكيلا يفهم القراء أنى نسبت إليه قولاً لم يقله

٤ – فهمت من كلمة « الوجود » الكون المادى ، لأن ما استشهد حضرته به من أقوال فلاسفة اليونان يدل دلالة صريحة على أن هؤلاء الفلاسفة عنوا بالوجود أصله المادى لا غير . كذا فهمت . وهو واضح من قولى « إذا كان المراد بوحدة الوجود أن الكون كله من ذرات وأجسام نشأ من هيولى واحدة الخ . فهو ما أثبته العلم الحديث الخ » . فعن الوجود المادى تكلمت ، وهو الذى عنيت ، وطبيعته قصدت . ولذلك لا أسلم بهيولى أخرى غير هيولاه ما دمت لا أحس بهيولى أخرى . فنى عقيدتى أن كل ما أحس به بإحدى حواسى هو من طبيعة هذا الوجود الهيولى ولا غيره . وما وراء الطبيعة لا أحس به إذن فليس هو من الوجود المادى . ولذلك قلت إنه لا شيء وراء الطبيعة المادية . أما إذا كان وراء الطبيعة شيء آخر وهو الروح فهو وجود غير مادى ، غير طبيعى . ولذلك تنصلت من التعرض له

٥ – أما قول أستاذنا الفاضل دربنى إن القضية قضية إسلامية فأقول بشأنه أنى لم أنازع فى هذه القضية ولن أنازع على الرغم من أن قضية نسبة الوجود إلى الله (رب العالمين) ليست إسلامية بحتة بل هي قضية عالمية ولا تحتكرها أية أمة دون أخرى . على أنى لا أتعرض لها بأى حال

٦ – وهو موضوع خرج من دائرة قصدى فيما كتبت وإنما استدرجنى إليه أستاذنا دربنى بقوله أخيراً : ما رأى الأستاذ نقولا الحداد فى هذه الفلسفة التى لا تعترف بالعالم أو الطبيعة الخ . رأيى أنى لا أستطيع أن أعتقد بأن ما أحس به بحواسى الخمس هو وهم كما حاول الفلاسفة التصوريون Idealists أن يقنعونا وكبيرهم الفيلسوف بركلى Berkeley فى أواخر القرن السادس عشر على الرغم من مقدرته المنطقية فى الإقناع . إن حواسى بنات أفعال المادة فى جسدى فلا أقدر أن أكذبها أو أقول إنها تخدعنى . وهذا موضوع عويص جداً أتهيب أن أتصدى له .

نقولا الحداد

الجائزة الأدبية

كنت فى مجلس ضم عشرة من الأدباء ، فيهم ثلاثة من الأقطاب ، أى إذا ذكر الأدب فى مصر أو فى العالم العربى كان هؤلاء من المتقدمين

جرى الحديث فى قصيدة بشر فارس والجائزة الأدبية التى لم يفز بها واحد من الأدباء ، فحمل واحد من هؤلاء الأقطاب (ولا أسميه الآن) على شعر بشر فارس حملة تؤيد الغرض الذى رميت إليه فى وضع الجائزة ، وتؤيد أيضاً رأى الأستاذ الجليل (ا . ع) فى أنها غير مفهومة لا يمكن شرحها ولا معرفة غرض ناظمها

ثم بلغنى من رجل صادق الرواية ، أن ذاك الأديب القطب الكبير قال للشاعر بشر فارس ، إن قصيدته وعنوانها : « إلى زائرة[1] » واضحة مفهومة ، وأنه شرح لى ستة أبيات من ثمانية أبيات هى كل القصيدة ففهمتها ، وقال أيضاً إن العيب ليس فى شعر بشر فارس بل المرض فى فهم من لا يفهمون هذا الضرب من الشعر ولا يفطنون إلى بدائعه !

لا يسمنى ، وقد بلغتنى الرواية كما وقعت ، إلا مطالبة الأستاذ الأديب القطب الكبير ببعث شرح الأبيات الستة التى قال إنه شرحها لى ففهمتها ، إلى الرسالة ليعرض على القراء ، وإنى أنقده أجراً على ذلك عشرة جنيهات لا خمسة .

حبيب الزحلاوى

(١) انظر الرسالة عدد ٥٦٨

حول وحدة الوجود أيضاً

علمتنا الفلسفة أن الباطل لا يصير حقاً بكثرة منتحليه، والحق لا يستحيل باطلاً بقلة معتقديه. فلئن كثر الناقمون على وحدة الوجود من كُتاب «الرسالة» وقرائها، إلا أن هذا لن يصرفنا عن تبرئة أصحاب هذه المقالة مما ينسب إليهم. فأما القول بأن وحدة الوجود تدعو إلى التدهور الأخلاقي والتحلل من الآداب، فهذا قول باطل مردود، وليس أدل على فساد هذا الحكم من أن ابن عربي نفسه — وهو إمام أصحاب هذا المذهب — كان «يفرِّق بين الظاهر والمظاهر فيقر الأمر والنهي والشرائع على ما هي عليه، ويأمر بالسلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الأخلاق والعبادات»، كما شهد بذلك ابن تيمية نفسه[1]. وأما القول بأن عبارة ابن عربي القائلة بأن العالم ما له وجود حقيقي (وهي تلك العبارة التي جعل منها الأستاذ دربني خشبة محوراً لرده، واتخذها ذريعة للسخرية من الفلسفة) عبارة فاسدة تنبو عن العقل، وتند عن المنطق، فهذا قول مرفوض منقوض، لأن ابن عربي لا يعني بالوجود هنا، ذلك الوجود الحسي الملموس، بل يعني الوجود الحقيقي الذي لا يتطاول إليه الوهم، ولا يرقى إليه العقل الإنساني القاصر. فكل ما تدل عليه هذه العبارة، هو أن وجود المحدثات المخلوقات ليس بوجود حقيقي، لأنه وجود عارض يلحقه التغير، ويتوقف على وجود غيره؛ في حين أن وجود الله الذي لا يثبت كونه إلا بعينه، وجود واجب لا يعرض له التغير والإمكان، ولا تلحقه الإضافة والتقييد بحال[1]

أما تلك الأحكام السريعة المبتسرة التي يطلقها البعض على مذهب فلسفي عميق كمذهب وحدة الوجود، من غير تثبت أو تحقيق، ومن دون بحث أو تدقيق؛ فهذا ما لا نُعَنِّي أنفسنا بالرجوع إليه وإدامة النظر فيه — وحسبنا أن نقرر هنا ما لمذهب وحدة الوجود من نزعة واحدية تتفق مع اتجاه العلم الحديث (وهو ما أظهرنا عليه أرنست هيكل عند حديثه عن هذا المذهب في كتابه «لغز الكون»)، وما ينطوي عليه هذا المذهب من تنزيه بالغ استحال معه العالم إلى موجود متوهم ما له وجود حقيقي وأصبح الله وحده هو الموجود!

هذه كلمة ثانية أكتبها دفعاً لكل شبهة، ولن أردفها بأخرى مهما بدا للأستاذ الفاضل دربني خشبة أن يقول. فإن مثل هذه المسائل المعقدة قد لا تحتملها أعصاب القراء الفائرة في هذا القيظ!

زكريا ابراهيم

(1) «مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية، الجزء الأول، الرسالة السابعة، ص ١٧٦

(1) «فصوص الحكم» لابن عربي، الفص اليوسفي. والفتوحات جـ ١، ص ٨٨٣، ٨٨٤

12me Année No. 576 — Lundi - 17 - 7 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٧٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٦ رجب سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٧ يولية سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة
٥٨١ الشيخ عبده وطريقته فى التفسير : الأستاذ محمود شلتوت ...
٥٨٤ العلم والعلماء فى رعاية الاسلام والعربية . ... } الدكتور عبد الوهاب عزام ...
٥٨٧ الأدب الاغريقى فى عصر الاسكندرية .. .. } الدكتور محمد مندور ... ...
٥٩٠ مشروع محو الأمية أيضاً .. : الأستاذ دريني خشبة ...
٥٩٢ عهد التلمذة . . .. : الأستاذ راشد رستم .. .
٥٩٣ الشعر العربى والشعر العالمى فى عرائس وشياطين ... } الأستاذ سيد قطب . . ..
٥٩٦ نقال الأديب . . .. : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٥٩٧ سجعة الكروان [قصيدة] : الدكتور عزيز فهمى .. . .
٥٩٧ ألزم الألزم من لزوم ما لا يلزم ... . [قصيدة] } الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٥٩٨ (١) إلى الأستاذ الفاضل نقولا الحداد ... ...
٥٩٨ (٢) الدفاع عن وحدة الوجود } الأستاذ دريني خشبة .. ..
٥٩٨ « أفنونى فى رؤياى » ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٥٩٩ ذكرى الامام محمد عبده .. : « م ... » ... .
٥٩٩ فى اللغة .. .. : الأستاذ أحمد صفوان .. ...
٦٠٠ ابن جنى لا ابن جنى ... : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٦٠٠ إلى الأستاذ السيد محمد عزة : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٦٠٠ الأغوار .. .. : .. ..
٦٠٠ مجلة السودان .. . . .. : ... ...
٦٠٠ تصويب ... ... : ... ...

الشـــيخ عبـــده
وطريقته فى التفسير

للأستاذ محمود شلتوت

من المعروف أن البيئة تؤثر فى الإنسان تأثيراً كبيراً فهي تطبعه بطابعها وتنشئه على أخلاقها وتحمله بقوتها وسلطانها على أن يكون عضواً فيها ، يعيش كما تعيش ، ويفكر كما تفكر ، وينزل على إرادتها وحكمها مطمئن القلب راضى النفس

ولكن مع هذا قد يظهر فى الأمة أو الجماعة من الحين بعد الحين أفراد يجمل الله منهم مظهر رسالة خاصة إلى الأمة أو الجماعة ، فيصنعهم على عينه ويعصمهم من التأثر ببيئاتهم ، فينشأ الواحد منهم بيئة برأسه أو أمة فى نفسه ، لا يتأثر بجماعته ، ولا يتقيد بقيودها ، ولا يزن الأشياء بميزانها بل بالعكس يؤثر هو فيها ويقتحم عليها حصونها ، ويعيش معها ما عاش فى كفاح وجلاد وهو فى كل يوم يفتح فتحاً جديداً ويدك حصناً عنيداً ، ويتعهد من وراء ذلك بذوره التى يضعها حتى ترسخ أصولها ، وتسمق فروعها ، وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها

أولئك هم المصلحون فى كل زمان ومكان : منهم رسل الله المبلغون عنه ، المؤيدون بوحيه ، ومنهم دون ذلك من عباقرة الأمم وأفذاذ التاريخ

ولقد كان الشيخ عبده من هؤلاء العباقرة الذين عصمهم الله من التأثر ببيئاتهم ومكنهم من التأثير فيها

* * *

كانت بيئة الشيخ عبده هي البيئة الأزهرية التي تكونت في أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة . وكان طابعها الركود الفكري ، والتعصب المذهبي ، والتقديس للآراء والأفهام والسمو بها عن النقد ومحاربة كل رأي جديد ، وقد وصل الأمر بهذه البيئة إلى أن أوجبت التقليد في دين الله وحرمت الاشتغال بالعلوم العقلية والرياضية وقاومت من حاول الخروج عليها في ذلك زماناً طويلاً . وكانت أكبر جناية لهذه النزعة جنايتها على القرآن فقد صورته كتاباً عزيز المنال بعيداً عن الأفهام لا يدركه إلا الراسخون الذين مضوا وقد درسوه واستنبطوا منه جميع ما يلزم المسلمين فليس لأحد بعدهم أن ينظر فيه كما نظروا ولا أن يستنبط منه كما استنبطوا ، ولا أن يفسره بغير ما فسروا

ظل القرآن في ظل هـــذه النزعة يدرس دراسة أساسها الإسراف في المناقشات اللفظية لعبارات المفسرين ، والاعتماد في قصصه على الروايات الغريبة والإسرائيليات الموضوعة وفي تشريعه على المذاهب الفقهية وفي عقائده على الآراء الكلامية . وقد صار القرآن بهذا كأنه تابع لا متبوع ومحكوم عليه لا حاكم

* * *

ولقد تهيب الناس بهذا الوضع كتاب الله وصاروا لا يعرفون من مزاياه سوى أنه كتاب يتعبد بتلاوته ويتبرك به وتستمطر به الرحمة على الموتى ويستشفى به من الأمراض والعلل الجسمية

* * *

في هذه البيئة نبت الشيخ عبده كما ينبت الورد بين الأشواك أو كما ينبع الماء الصافي من بين الصخور . فكان بحق مجدداً لأمر هذه الأمة وكان بحق نوراً انبثق من أفق الأزهر انتفع به من انتفع وازور عنه من ازور ، وبقي على ذلك قوياً وهاجاً يجذب إليه أنظار المؤمنين وينفذ إلى بصائر المخلصين

زلزل رحمه الله على الجامدين حصونهم ، ودمدم عليها بالحجج والبراهين ، وكشف الحجاب الذي أسدله الجمود والتعصب على الدين شرعة وعقيدة ، فبدا منه ما كان خافياً وعاد إليه بهاؤه الأول وجلاله القديم ، وبدد الغبار الذي عقد حول كتاب الله وأنقذه من شر هذه النزعة التي جعلته وراء الظهور ، وآثرت عليه قول فلان وفلان

وليس من الممكن أن نبسط آثار هذا المجدد العظيم في كل ناحية من النواحي ، ولكننا نعرض في اختصار إلى موقفه من القرآن ؛ فإنه كان يراه أصلاً للدعوة الفكرية الإصلاحية مهما تشعبت فروعها ، وكان ينظر إليه على أنه أساس القوة ومصدر العزة للدولة الإسلامية والمسلمين جميعاً . فاستقبله على أنه — كما أنزله الله — كتاب هداية وتشريع وأخلاق ، ونهى عن اتخاذه لغير ذلك من الأغراض المادية التي لا تليق بجلاله ، والتي تصرف المسلمين عن الانتفاع بهديه وإرشاده ، ونبه المسلمين عامة وأهل العلم خاصة إلى مركز القرآن ، وأنه المسيطر على كل ما سواه في العلميات والعمليات ، يجب أن يتحاكم إليه المختلفون ، وأن يخضعوا لحكمه وأن يتركوا جميع الأقوال لقوله ؛ فليس أمام حكمه حنفي ولا شافعي ولا سني ولا معتزلي

وقد عني رحمه الله أشد العناية بتجريده التفسير من كل ما لا ثقة به من الروايات والإسرائيليات ، وأوجب الوقوف عند الحد الذي قصه القرآن من أحوال الماضي أو أخبر به من شئون المستقبل

ولم يكن رحمه الله ذا اهتمام كبير بأسباب النزول ، بل كان يعتمد في فهم المعنى وربط الآيات على ما يفيده الموضوع وترشد إليه الألفاظ والأساليب ، حسب المعهود من اللسان العربي المبين

* * *

هذه هي طريقة الشيخ عبده في تفسير القرآن ، عرفناها

واضحة جلية مما كتبه بنفسه كتفسيره لجزء (عم يتساءلون)، الذى فرغ منه كما يقول فى آخره — منتصف الساعة السادسة بعد الظهر من يوم الأحد ٢٣ أغسطس سنة ١٩٠٣ فى مدينة جنيف من بلاد سويسرا، وكتفسيره لآيات خاصة تفنيداً لشبه[1] أثارتها، عند خصوم الإسلام، مكانة الجمود والرواية من التفسير. وما دونه عنه تلميذه البار السيد رشيد رضا، وهو من أول القرآن إلى قوله تعالى فى سورة النساء: (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن)

* * *

لم يكن الشيخ عبده من هؤلاء الذين يقترحون ويدعون إلى ما اقترحوا دون أن يكون منهم أسوة عملية تشق للناس طريق ما يقترحون، بل كان رحمه الله عملياً قبل كل شيء، فلم يدع فرصة فى حضره أو سفره تمر حتى يلقى فيها دروس التفسير على طريقته ومنهاجه. وقد واظب على ذلك فى دروس متتابعة ظل يلقيها بالأزهر نحو سبع سنين، وكان يحضرها كثير من علماء الأزهر والنابهين من طلابه، ويحضرها الكبراء من رجال الدولة والتفكير، حتى أحدث فى الأزهر حركة فكرية حادة لفتت أنظار العلماء والمشتغلين بالمسائل الإسلامية فى الشرق والغرب إلى الأزهر وإلى الإسلام

بهذا مما ذكرنا وبغيره مما لم نذكر كان الشيخ عبده هو المجدد الإسلامى العظيم للقرن الرابع عشر من الهجرة، له خطه المعروف وفكرته الواضحة التى أسهر لها ليله وأضنى بها جسمه، وتعرض فى سبيلها لحقد الحاقدين وكيد الكائدين، ثم لبى دعوة ربه معتزاً بما لم يترك سواه من علم وإصلاح

* * *

وإذا كانت تعاليم الشيخ عبده قد أثرت من نصف قرن مضى فى التفكير الإسلامى تأثيراً قوياً؛ فإن المخلصين للأزهر لا يزالون إلى الآن يرجون أن يسرع الأزهر فى الاقتراب من هذه التعاليم، وأن يجعلها من أسس دراسته وأساليب تفكيره ولا بد أن يقترب الأزهر — وهو معقل الدين — من طريقة الشيخ عبده مهما طال الأمد. لأنها طريقة السلف الصالح التى قوم بها الدين وعز جانبه، وآخر هذا الدين لا يصلح إلا بما صلح به أوله

أيها السادة: هذه ناحية من نواحى عظمة الشيخ عبده وأحب ألا أغادر موقفى هذا حتى أسجل أن عظمة الشيخ عبده لم تكن ترجع فقط إلى علمه الواسع وإحاطته بأساليب الحياة الصحيحة، ولكنها فى الواقع ترجع إلى صفات صيغ بها وطبع عليها؛ فقد كان مؤمناً قوى الإيمان، كان مخلصاً لفكرته، كان شجاعاً فى الحق لا يعرف التردد ولا المجاملة، كان متجرداً عن الأهواء والمطامع، ليس مشغولاً إلا بفكرته ولا معنياً إلا بنجاح دعوته، كان معتمداً على الله وعلى قوة الحق وعلى الصراحة والوضوح، وما كان يعرف ركناً يأوى إليه سوى هذه الصفات

وكان بكل هذا شخصية مهيبة يحيط بها الوقار ويحفها الجلال، ويشع منها نور الحق وروعة الصدق فتجذب إليه الناس فيملك عليهم السمع والبصر والفؤاد

ذلكم هو المصلح وذلكم هو الإمام رحم الله الإمام وأسبغ عليه رضوانه:

محمود شلتوت

---

(١) من ذلك مسألة سحر الرسول، ومسألة زيد وزينب، ومسألة الغرانيق، ومسألة الجبر والاختيار

العلم والعلماء

فى رعاية الاسلام والعربية

للدكتور عبد الوهاب عزام

وقد أنشئت فى أرجاء البلاد الإسلامية دور أخرى للعلم عرفت باسم المدارس ومن أقدمها مدارس نيسابور : المدرسة البيهقية ، ومدرسة الأمير نصر أخى السلطان محمود . ثم جاء الوزير نظام الملك وزير السلاجقة فى القرن الخامس فأنشأ مدارس كثيرة فى بغداد ونيسابور وهراة وأصفهان ومرو والبصرة والموصل . وقد فتحت نظامية بغداد للدرس سنة ٤٥٩ ، وتولى التدريس بها على مر العصور جماعة من كبار العلماء منهم : الغزالى ، وابن عساكر ، وأبو اسحق الشيرازى . وأقام بها الغزى الشاعر ، وتولى الأبيوردى خزانة الكتب بها

ورتب نظام الملك فى مدارسه أرزاقاً للعلماء وجرايات للطلاب ليفرغوا لطلب العلم . وقد روى أنه كان ينفق على مدارسه ٦٠٠ ألف دينار فى السنة

وقد روى الحاج خليفة أن بعض العلماء اغتموا لبناء هذه المدارس وخشوا أن تكون ذات أثر سيئ فى العلم والعلماء قال :

« على أن من تعلم علماً للاحتراف لم يأت عالماً إنما جاء شبيهاً بالعلماء ، ولقد كوشف علماء ما وراء النهر بهذا ونطقوا به . لما بلغهم بناء المدارس ببغداد أقاموا مأتم العلم وقالوا كان يشتغل به أرباب الهمم العلية والأنفس الزكية ، الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به ، فيأتون علماء ينتفع بهم وبعلمهم . وإذا صار عليه أجرة تدانى إليه الأخساء وأرباب الكسل فيكون سبباً لارتفاعه

قال جيبون : إن ولاة الأقاليم والوزراء كانوا ينافسون الخلفاء فى إعلاء شأن العلم والعلماء ، والإنفاق على دور العلم ، ومعاونة الفقراء على التعلم . فأولع الناس بالتعليم والتعلم ما بين سمرقند وبخارى إلى فاس وقرطبة . وقد أنفق وزير واحد لأحد السلاطين (نظام الملك) مائتى ألف دينار على بناء المدرسة النظامية ببغداد وجعل نفقتها خمسة عشر ألف دينار فى السنة .

وكان فيها ستة آلاف تلميذ فيهم ابن العظيم وابن الفقير . إلا أن الغنى ينفق من مال أبيه والفقير يأخذ من ريع المدرسة . وكان للمعلمين رواتب كبيرة

وكثرت المدارس على مر الزمان وتنافس فيها الأمراء والكبراء . قال ابن جبير فى الكلام عن بغداد : « والمدارس بها نحو الثلاثين وهى كلها بالشرقية . وما منها مدرسة إلا يقصر القصر البديع عنها وأعظمها وأشهرها النظامية . ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محتبسة تصير إلى الفقهاء والمدرسين بها ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم »

ولا ننسى المدرسة المستنصرية التى بناها الخليفة العظيم المستنصر بالله العباسى (٦٢٣ — ٦٤٠) ولا تزال آثارها قائمة على شاطئ دجلة . وكان يدرس بها العلوم الدينية والتاريخ والطب والحساب والمساحة . وكان يتصل بها صيدلية ومستشفى . وقد بلغ عدد الفقهاء المدرسين بها ثلاثمائة تجرى عليهم الأرزاق . وكان لكل طالب جراية من الطعام ورأتب من المال . وكان من مدرسيها أبو الفرج بن الجوزى وغيره من كبار العلماء

وكانت هناك دار للاجتماعات والحفلات الرسمية كما يكون فى جامعات هذا العصر أحياناً . وكان من شروط الواقف فيها أن يكون لكل مدرس فى كل يوم ٢٠ رطلاً من الخبز و ٥ أرطال من اللحم بالخضر والحطب وفى كل شهر ١٢ ديناراً ، ولكل مُعيد سبعة أرطال من الخبز وغرافان من الطعام وثلاثة دنانير فى الشهر ، وللخازن الكتب ١٠ أرطال خبزاً فى اليوم وأربعة لحماً وعشرة دنانير فى الشهر ، والمشرف على هذا الخازن خمسة خبزاً واثنان لحماً ، وثلاثة دنانير فى الشهر الخ . وكان من الشروط أيضاً أن يرتب فيها طبيب مسلم حاذق يعلم عشرة من الطلاب دائماً ويعطى المرضى الأدوية بغير ثمن

تنافس أمراء المسلمين وكبراؤهم فى بناء المدارس ودعوة الطلاب والمدرسين إليها ، وإجراء الأرزاق الكثيرة وتيسير طلب العلم لهم . وقد عد المقريزى مما أنشئ فى القاهرة إلى عصره من المدارس الكبيرة زهاء ثمانين مدرسة أقدمها المدرسة الصلاحية التى بناها السلطان صلاح الدين بجانب مسجد الإمام الشافعى بالقرافة سنة ٥٧٢ ؛ وجعل رئيسها الشيخ نجم الدين

الجنوشانى . ومما يذكر مثالاً لأرزاق العلماء فى تلك المدارس ماروواه السيوطي فى حسن المحاضرة أن معلوم الشيخ نجم الدين كان أربعين ديناراً فى الشهر وعشرة دنانير للنظر على أوقاف المدرسة . ورتب له كل يوم سبعين رطلاً مصرياً من الخبز وراويتين من ماء النيل

وبنى القاضى الفاضل المدرسة الفاضلية بجوار داره سنة ٥٨٠ ووقف بها جملة عظيمة من الكتب قيل إنها كانت مائة ألف مجلد . ومدرسة الأمير جمال الدين بنيت سنة ٨١٠ ووقف فيها لكل طالب ثلاثة أرطال من الخبز و ٣٠ درهماً فى الشهر ولكل مدرس ثلاثمائة درهم

وكذلك كانت حواضر البلاد الإسلامية العربية الأخرى غاصة بالمدارس . وقد عد المؤرخون فى دمشق وحدها مائة وثلاثين مدرسة وفى بيت المقدس زهاء خمسين . وقيل إنه كان فى قرطبة وحدها أيام الحكم المستنصر ثمانون مدرسة

كانت تدرس بهذه المدارس العلوم الدينية والعربية والعلوم الفلسفية والطب والرياضة . وكان بكل مدرسة خزانة كتب غالباً ، كما كانت بعض الدور التى بنيت لتكون خزائن كتب مدارس أيضاً . وما كان أعظم جدوى خزائن الكتب فى تيسير العلم والتقاء العلماء فى العصور التى لم تكن فيها مطابع تيسر للناس الكتب بأثمان قليلة وزمن يسير . وكم يحدث التاريخ عن خزائن الكتب فى دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة

روى ياقوت أنه كان بكركر من نواحى القُفص ضيعة نفيسة وقصر جليل لعلى بن يحيى المنجم — وكان من العلماء المقربين عند الخليفة المتوكل ، ومن بعده إلى المعتمد ، وتوفى سنة ٢٧٥ ودفن بسر من رأى — وكان فى القصر خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون فيها صنوف العلم . والكتب مبذولة لهم فى ذلك والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة فى ذلك من مال على بن يحيى . فقدم أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحج وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شىء فى النجوم فوصفت له الخزانة فمضى ورآها فهاله أمرها ، فأقام بها وتعلم فيها علم النجوم ، وقد جمع على هذا للفتح بن خاقان وزير المتوكل من الكتب أكثر ما اشتملت عليه خزانة حكمة قط ، كما يقول ياقوت

ويقول ياقوت كذلك فى ترجمة جعفر بن محمد الموصلى المتوفى سنة ٣٢٣ : « وكان له ببلده دار علم قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفاً على كل طالب للعلم لا يمنع أحد من دخولها ، وإذا جاءها غريب يطلب الأدب وكان معدماً أعطاه ورقاً وورِقاً . تفتح فى كل يوم » . ويقول ياقوت عن مدينة مرو : « فارقتها وبها عشر خزائن للوقف لم أر فى الدنيا مثلها كثرة وجودة ، منها خزانتان فى الجامع : إحداهما يقال لها العزيزية بناها رجل يقال له عزيز الدين من خدام السلطان سنجر ، وكان فيها اثنا عشر ألف مجلد أو ما يقاربها — إلى أن يقول عن إحدى هذه المكاتب : (وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلى منها مائتا مجلد وأكثره بغير رهن تكون قيمتها مائتى دينار . وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره مما جمعته ، فهو من تلك الخزائن) » ، فهذه خزائن فى مدينة مرو مكنت ياقوتاً من تأليف كتبه ، وحسبك بمعجميه الجامعين : معجم البلدان ومعجم الأدباء

ويحدثنا التاريخ أن أبا تمام الشاعر كان ماراً بهمذان فى بعض أسفاره ؛ فنزل البرد وسدت الطريق فأقام عند بعض معارفه ، فجمع ديوان الحماسة من خزانة له

فهذه خزائن العلماء والكبراء من أطراف البلاد الإسلامية ، فما الظن بخزائن الخلفاء والملوك فى المدن الكبرى ؟ لقد كانت خزائن الكتب من سنن الحضارة الإسلامية والعربية ، ولا تزال بيوت الخاصة فى الأقطار العربية مشتملة على خزائن قيمة . ولا تزال بقية المخطوط من تلك الخزائن تحدث أخبارها . وقد أدركنا فى خزائن استامبول مثلاً مما كان فى العواصم الإسلامية الأخرى

وكان الناس إذ ذاك لا يجدون الورق ميسراً رخيصاً كما نجده فى هذا العصر ، وكان كل كتاب ينسخ ويصحح على حدة . فغلت أثمان الكتب ، وكانت النسخة من الكتاب تصحح وحدها على مؤلفها أو عالم يوثق به ؛ فكان لا بد من الجهد والدأب لضبط نسخ قليلة من كتاب واحد

ولم يكن الأمر كما نرى اليوم تصحح نسخة واحدة للمطبعة فتخرج على غرارها آلاف النسخ مصححة رخيصة ميسرة

للفقير والغنى . ومع هذا نرى الكتب المطبوعة غير مستندة إلى نسخ يوثق بها ونجدها مملوءة بالتحريف والغلط ، فأين الهمم من الهمم ؟ ومع هذا نرى خزائن الكتب فى عصرنا أقل منها فى العصور الماضية ، أيام لم يكن الورق رخيصاً والمطبعة تنشر آلاف النسخ من كتاب فى زمن يسير لا يزيد على زمن كتابة نسخة واحدة منه . فلعل أهل العصر يكفون من غلوائهم ، ويقللون من زهوهم وإعجابهم بأنفسهم والزراية على أسلافهم

هذا الإجلال للعلم ، والجد فى طلبه وتيسير السبل له وتنافس الناس فيه وحرص الكبراء على إنشاء المدارس وخزائن الكتب والإنفاق على دور العلم ، كل هذا أشاع العلم فى أرجاء البلاد ، فشمل وعم ، وكانت للمسلمين حضارة كاملة ومعارف شاملة ، ومؤلفات سجلت كل ما أدركه العقل وعرفته الصناعة إلى تلك العصور . وكانت الجماعة تفى بحاجاتها من العلم وفاء طبيعياً فيكثر المحصلون فى الفن على قدر حاجة الأمة إليهم أو على قدر الرغبة فى المعرفة والكمال دون نظر إلى المناصب ، فلم يعان الناس إذ ذاك ما يعانى أهل هذا العصر من كثرة المحصلين المبتغين الوظائف وقلة هذه الوظائف

ومن الأدلة على سعة المعارف الإسلامية وشمولها كتب التراجم . كتب المسلمون تراجم شتى بعضها عام كتاريخ ابن خلكان وذيوله وبعضها خاص بطبقة من الناس كتراجم الصحابة أو تراجم المفسرين والمحدثين والفقهاء والحفاظ والرواة والقراء والأدباء والشعراء والنحاة والنسابين والمعبّرين ، والأولياء والصوفية وتراجم المتكلمين والفلاسفة والأطباء والمصورين الخ ، وكثرت كذلك تواريخ المدن والأقطار ومن خرجت من العلماء كتاريخ بغداد ودمشق والقاهرة . وقد أثبت صاحب كشف الظنون نحو سبعين تاريخاً للمدن . وأكثر تاريخ المدن تاريخ العلماء من أبنائها ، وحسبك تاريخ صقلية لابن القطاع الذى ترجم فيه لمائة وثلاثين شاعراً من جزيرة صقلية وحدها ، وتاريخ الأندلس الأدبى لابن بسام الذى سماه (الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة) . وهو بحر زاخر بأخبار العلماء والأدباء

وحسبنا دلالة على سعة العلم ووفرة العلماء أن المقرى صاحب نفح الطيب ترجم للسان الدين بن الخطيب ، ثم استطرد إلى ذكر شيوخه فملأ مجلدين كبيرين فى أخبار الوزير وأساتذته . وكذلك فعل فى كتابه زهر الرياض فى أخبار القاضى عياض .

ومطالع التاريخ يستطيع أن يأتى بالمثال بعد المثال ، ويقيم الحجة إثر الحجة على ما كان لأسلافنا من سيرة مجيدة ، وخطة رشيدة فى طلب العلم ورعايته وإكرام العلماء وتشييد المدارس والخزائن ، وهى سيرة لم يحدثنا التاريخ بمثلها فى الحضارات الماضية ، لقد فتحنا للناس أبواباً من النظر ، وهديناهم سبلاً فى المعرفة والنقد والتثبت . وأخذنا إلى ما عندنا تراث الماضين وأمانة القرون الأولى فما قصرنا فى الاختراع والابتداع ولا فرطنا فى حفظ الأمانة ورعايتها

والمنصفون يعرفون حقنا وإن أنكره الناس فنحن أعرف بأنفسنا وأبصر بتاريخنا . وسنبنى على مجدنا التليد مجداً طريفاً ونملأ أنفسنا الإعجاب بتاريخنا والثقة بأنفسنا واليقين بمستقبلنا ، والإيمان بالله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا .

عبد الوهاب عزام

١ - الأدب الاغريقي
في عصر الاسكندرية

للدكتور محمد مندور

يذكر القراء أن الإسكندرية كانت فى زمن ما عاصمة عقلية للعالم أجمع ، حتى ليصطلح علماء التاريخ على تسمية القرون الثلاثة السابقة لميلاد المسيح بعصر الإسكندرية . وهو عصر إغريقى بلغته وثقافته . ومع ذلك فمن واجبنا نحن المصريين أن نعنى بدراسته لا تصاله الوثيق بتاريخ بلادنا . وما نظن فهمه يستقيم ما لم نلم بملابساته التاريخية لنرى كيف احتلت الإسكندرية هذه المكانة ، ونحدد أهميتها بالنسبة للعواصم الأخرى التى عاصرتها ، وبخاصة آثينا . وعندئذ سوف نرى خصائص الأدب الإغريقى فى ذلك العصر تتحدد بذاتها متميزة عما عداها

ونقطة التحول كانت بلا ريب ظهور ملوك مقدونيا ، وبخاصة فيليب وابنه الإسكندر الأكبر فى القرن الرابع ق . م . فإلى ذلك الحين كانت بلاد الإغريق عبارة عن مدن مستقلة ، تكون كل مدينة وضواحيها دولة قائمة بذاتها . ومع ذلك فقد استطاعت تلك المدن أن تأتى بالمعجزات فى المجال الثقافى والمجال العملى على السواء . ونخص بالذكر آثينا التى وإن لم يبلغ قط سكانها هى وضواحيها نصف المليون ؛ فقد خلفت من التراث العقلى ما لا يزال يبهرنا حتى اليوم ، كما استطاعت أن تتزعم المدن الإغريقية الأخرى لترد جحافل الفرس وتحمى الحرية فى بلاد اليونان كافة ، ولكنها لم تكد تستوى فى الزعامة بفضل انتصاراتها الباهرة حتى أخذها الصلف فنفرت إسبرطة الأبية ، وكانت بين المدينتين حروب طاحنة دامت ما ينيف على ربع القرن ، وقد اشتركت فيها جميع المدن ، وخرجت منها ضعيفة متهافتة . وعندئذ ظهر المقدونيون الذين امتد طموحهم إلى السيطرة على بلاد اليونان ، بل على العالم أجمع فى وحدة شاملة

ولكن العرين كان لا يزال به أسود وبخاصة آثينا ، حيث صمد الزعيم الوطنى الشهير « ديموستين » لفيليب وابنه ، وقد رفض أن يستسلم على الرغم من ضعف مدينته ، وذلك لأنه لم يكن يعرف غير الجهاد مهما تكن احتمالات الفوز أو الهزيمة ، وعنده أنه ليس أشرف للرجل من أن يموت وسلاحه بيده

ولا شك أن موقعة كيرونيد التى حدثت سنة ٣٣٨ ق . م . بين فيليب المقدونى وجنده من جهة ، وجيوش آثينا وطيبة من جهة أخرى ، قد كانت من المواقع الفاصلة فى تاريخ الإنسانية ؛ فانتصار فيليب على ديموستين هو انتصار عالم على عالم آخر . مضى عالم المدن . . . عالم الحرية ، وحل محله عالم الحكم المطلق والروح العالمية . وقتل فيليب سنة ٣٣٦ ق . م . وخلفه الإسكندر ، وكان ما نعرفه من سيطرة هذا القائد العظيم على الشرق والغرب . ومات الإسكندر سنة ٣٢٤ ق . م . وهو يعد العدة لغزو شمال إفريقية وإسبانيا وبلاد الغال ، ليعود إلى وطنه من الغرب بعد أن تركه من الشرق . وكان فى اتخاذه من بابل عاصمة لملكه ما يرمز لفكرته فى توحيد العالم والجمع بين الشرق والغرب

بعد موت الإسكندر تطاحن قواده على اقتسام أمبراطوريته العظيمة ، وكانت عدة معارك وعدة تقسيمات إلى أن حدثت معركة إبسوس سنة ٣٠١ ق . م . فكان التقسيم النهائى . وليس يعنينا من تلك المدة المضطربة غير نتائجها النهائية ، وقد تمخضت عن ثلاث ممالك كبيرة : مملكة أنتيجونوس بمقدونيا وبلاد اليونان ، ومملكة سايلكوس بسوريا ، ومملكة بطليموس بمصر

أما مملكة أنتيجونس فما زال اليونان يناهضونها العداء وتناهضهم ، حتى انتهى الأمر بوقوع بلاد اليونان بيد روما الناشئة ؛ فأصبحت مقاطعة رومانية منذ سنة ١٤٦ ق . م . وإنه وإن تكن الثقافة الآثينية لم تخب دفعة واحدة ، إلا أن مراكز الثقافة الأخرى أخذت تحتل مكانها ، ونحن لا نجد بآثينا خلال القرن الرابع غير الفلسفة والكوميديا ، وأما ما دون ذلك من مظاهر النشاط الروحى فقد ذوى . فالشعر الغنائى قد جفت ينابيعه حتى لم يعد يقصد لذاته ، بل لمصاحبة الموسيقى على نحو ما نرى فى الأوبرا كوميك الحديثة . والشعر الهجائى وشعر الوجدان « elegie » لم يعودا غير عبث باطل أو سخرية مصطنعة « Parodie » . وأما الملاحم فكان عهدها قد انقضى بحيث أنه عندما كتب أنتيماخوس ملحمته عن أساطير طيبة ومغامرات هرقل لم يهز شعره نفساً ، لأنه شعر مصنوع علم الشاعر فيه أوضح من روحه ، وكذلك الأمر فى التراجيديا التى لم يعد لها وجود يذكر

لم يبق إذن بآثينا من فنون الأدب غير الكوميديا ؛ فهي التى ترعرعت فى ذلك الزمن ، وقد انتهى بها الأمر إلى ما يسمى بالكوميديا الجديدة على يد فيليمون وميناندروس ، وهى

الكوميديا الأخلاقية : شىء مغاير للكوميديا القديمة ، كوميديا أرستوفانس . فهى لم تعد نقداً لنظم الحكم وتيارات التفكير بل تصويراً لشخصيات عادية يأخذها الشاعر من الحياة اليومية ، ولكنها لا تصل إلى كوميديا النماذج البشرية أمثال : ألسست وهرباجون وترتيف لموليير ، تلك التى يخلقها كبار المفكرين ؛ فيهتدى بها الناس إلى أنفسهم

ومع الكوميديا نجد كما قلنا الفلسفة ، فقد نهضت إلى جوار الأكاديميا والليسيه مدارس أخرى : مدرسة الرواق ، وحديقة أبيقور ، ثم مذهب پرون والمذهب الكلبى ، ونحن وإن كنا ننظر عندئذ ، فلا نجد مقراً للفلسفة غير آتينا إلا فى القليل من نحو ميجارا وبرقة ، إلا أننا نلاحظ أن الكثيرين من فلاسفة ذلك العهد قد كانوا غرباء عن آتينا ، فزينون من مستعمرة فينيقية بجزيرة قبرص وكليانتوس من مدينة أسوس بآسيا الصغرى ، وكرزيبوس ولد بمدينة سوليس بآسيا الصغرى أيضاً . وفلسفتهم وإن تكن إغريقية بما فيها من تحكيم العقل والربط بينه وبين نظام العالم إلا أنها شرقية بروحها الذى يكاد يكون دينياً . ولقد نادت الرواقية بالجبر وقال الإبيقوريون بالمصادفة ، وأنكر هؤلاء وجود الروح وأثبتها أولئك وتبلبلت الأفكار ، فانتهى الأمر بالشك البيرونى وامتدت كل تلك الآراء إلى تعاليم أفلاطون نفسه ، فإذا بالأكاديمية تقول بالاحتمالية ، وقد انهارت المثل فانهار بانهيارها عنصر الثبات فى المذهب . ومن هنا يتضح كيف أن كل هذه الفلسفات برغم ما فى بعضها من نبل كالرواقية لم تكن بلا ريب إلا السبيل الذى قاد إلى الانحلال ، وفيها إنكار للإرادة البشرية أو استسلام لأحداث الحياة أو توقف فى الحكم ، فيها عنصر سلبى خليق بأن يقوض حياة الشعب

ذلك ما كان من أمر آتينا التى لم يعد بها كما رأينا غير الكوميديا والفلسفة ، ولكن المملكتين الأخريين قد نشأت بهما مراكز فنية للثقافة ، فى آسيا الصغرى وسوريا نشأت بمملكة السيليكيين مدن كبيرة كبرجاما وأنطاكية ، وفى مصر نشأت بمملكة البطالسة الإسكندرية ونيوقراطيس وبتوليمايس

وإنه وإن تكن كل تلك المدن قد ازدهرت فيها الحياة المادية والروحية إلا أن واحدة منها لم تبلغ ما بلغته الإسكندرية ، ومن هنا يصطلح علماء التاريخ ، كما قلنا ، على تسمية العصر الذى يقع بين الإسكندر الأكبر وأوغسطس أمبراطور روما باسمها .

وهو عصر لم يكد يتأثر بالثقافات الشرقية التى عاش بينها بينها بحيث يخيل إلينا أن تيتيوس ليفيوس المؤرخ الرومانى الشهير قد أصاب الحقيقة عند ما قرر أن المدن اليونانية التى نشأت بالشرق إذ ذاك كانت « كجزر يونانية تضربها من جميع النواحى أمواج بحر من البرابرة » ، ولقد كان الإغريق ينظرون إلى شعوب الشرق نظرة الغالب للمغلوب ، نظرة السيد للمسود ، وكانت شعوب الشرق بدورها تمقت أولئك الغزاة وتصدف عنهم ، ولقد وجدنا فى دستور نيوقراطيس ما يحرم على الإغريق الزواج من المصريات ، وكانت مدن الإغريق فى الشرق تعيش على النظام اليونانى ، فللكثير منها مجالس تشريعية (إكليزيه وبوليه) ، وحكام كحكام المدن الإغريقية الأوربية وإن تكن اختصاصات تلك المجالس وهؤلاء الحكام قد كانت شكلية استشارية أكثر منها فعلية نافذة ، وكانت السلطة الحقيقية بيد الملك

لم يصبغ الإغريق إذن بلاد الشرق بصبغتهم ولا لقنوه ثقافتهم فى ذلك العصر ، بل ظلوا غرباء عنه لا يكادون يؤثرون فيه أو يتأثرون به ، وإنما تداخلت الثقافات فى العصر الرومانى وبعد ظهور المسيحية حيث امتزج التفكير اليونانى بالإيمان الشرقى فى الإفلاطونية الحديثة التى هزت الروح الإنسانية كلها فى القرنين الثانى والثالث بعد الميلاد

عصر الإسكندرية إذن عصر إغريقى بحت ، وهو مجرد اصطلاح تاريخى . فالحديث عن أدب الإسكندرية يتناول كل ما قيل من شعر ونثر فى البلاد اليونانية كلها خلال ثلاثة قرون . والملاحظ على ثقافة ذلك العهد أنها أصبحت ثقافة علمية محصلة أكثر منها أدبية خالقة ، كما أصبحت عالمية لا قومية وصناعة لا حياة . ولا غرابة فى ذلك ، فقد انتقلت الحياة الفكرية من الساحات العمومية (الأجوار !) إلى المكاتب والصالونات ، انتقلت من حرارة الحياة إلى برودة الكتب ، انتقلت من الحاضر إلى الماضى ومن الواقع إلى الفكر المجرد ، نمت الدراسات التاريخية : تاريخ عام وتاريخ الفن والفنانين والكتب والكتاب ، تاريخ الفلاسفة والعلماء . لقد ابتدأ العالم يعيش على ماضيه ، ويجد فى ذلك الماضى خيراً من حاضره . ونمت الدراسات العلمية : رياضة وطبيعة وطب وتاريخ طبيعى وجغرافيا ونحو وفقه لغة وموسيقى وكل هذه الدراسات مع ذلك لم تكن أصيلة . كانت جماً لا فلسفة فيه ولا نقد إلا بمقدار . لقد امتاز هذا العصر بثقافة موحدة سمحت حتى لذوى النفوس التافهة بأن يصبحوا

أدباء وشعراء وبذلك امحت الفروق الشخصية ولم يعد للأسلوب الفردى غير وجود محدود

فى هذا الوسط العلمى نشأ أدب الإسكندرية ؛ فكان نصف قائليه من العلماء . ولفهم البون الشاسع بين هذا الأدب والأدب الإغريقى القديم لا بد من أن ننظر فى نشأة الفنون الأدبية المختلفة نظرة عاجلة

نشأت فنون الأدب القديمة نشأة شعبية ، فالقصص والغناء وإن كانا قد ظهرا معاً ملازمين فيما يبدو لنشأة الإنسانية ، إلا أن القصص الأدبى قد سبق الغناء ؛ فأعمال البطولة الماضية أعمل فى خيال الرجل الفطرى من الحاضر والقصص خليق بأن تستجيب له نفوس رجال يعيشون فى نظام ملكى ، حيث للملك هيبة وجلال يحملان أفراد الشعب على الإعجاب بالأبطال السابقين . وكانت الشعوب فى جملتها زراعاً وبحارة وعمالاً لا يجدون فى عملهم اليومى غير حرارته التى تشغلهم حيناً ، ثم ينقضى العمل غير مخلف ما يشغل النفس ، أو يهز الخيال . ولهذا صادفت ملاحم هوميروس ظمأ فى النفوس حتى كان القرن الثامن ق . م . وقد انهارت الملكيات وحلت محلها نظم أرسطوقراطية أو ديمقراطية لا يتخللها الاستبداد الفردى إلا من حين إلى حين ، وتقهقرت الحياة الجماعية القبلية وأخذت الشخصية البشرية تظهر وسط المجموع ، وأصبح الحاضر يشغل الناس ويتعلقون به ناظرين فيما يحمل من مسرات وآلام ، فظهر الشعر الغنائى بما يحمل من عنصر شخصى ومن أصداء الحاضر . وسارت الحياة وقد أصبح الإغريقى لا يقنع بالقصص أو الغناء بل يود لو تُصوَّر حياته وحياة آلهته ليراها بعينى رأسه ويشهد أحداثها بما فيها من معان فنشأ الشعر التمثيلى فى القرن الخامس

وكانت نشأة تلك الفنون موزعة بين الشعوب الإغريقية ، فالقصص نشأ فى إيوليا بآسيا الصغرى حتى ليكاد ينحصر الخلاف الجدى عن مولد هوميروس بين جزيرة كيوس ومدينة أزمير ، ومن إيوليا انتشر فى إيونيا لينتهى أخيراً إلى أتيكا بأوروبا حيث دون بأمر بزيستراتس مستبد آثينا فى القرن السادس قبل الميلاد . وأما الشعر الغنائى فقد ظهر موزعاً حسب أنواعه . فالأغانى الشخصية : أغانى الشراب والغرام ولدت وازدهرت بلزبوس الإيولية . جزيرة « ألسية » و « سافو » تلك التى قالوا إن رأس أورفيوس قد أرست بها فأوت إلى أحد خلجانها . وشعر الجوقات ، شعر الجماعات ، شعر النصر والمواكب قد نشأ بين الشعوب الدورية الخشنة المحمولة على الجهاد النازعة إلى الحياة القبلية والنظم الأرسطقراطية : ففى طيبة ولد بنداروس وباللهجة الدورية كتب أناشيد النصر التى لدينا . والشعر الهجائى وشعر الوجدان ذهبت بهما القبائل الأيونية ، وأما الشعر التمثيلى ففن آثينى فى جوهره

ولقد كان لنشأة تلك الفنون بين هذه الشعوب ما يبررها ، فالجنس الإيولى جنس مرهف الإحساس فنان المزاج مقبل على الحياة متأثر بأحداثها ، والجنس الدورى كما قلنا جنس خشن مولع بالمعارك والانتصارات والإيونيون قوم أغنياء بأحلامهم وبحياتهم العقلية ، والسخرية والوجدان خصائص تلازم حساسية العقل ولين الحياة . وأما الآثينيون فأهل نشاط عملى وإقدام على المغامرات ولا شك أن فى المسرح ما يرضى تلك النزعات

هكذا نشأت فنون الأدب ، شعبية إقليمية . ومع ذلك لم تلبث أن أصبحت إغريقية عامة ، فتكونت لغة قصصية مزيج من الإيولى والإيونى والأتيكى ولغة إيولية للأغانى الشخصية ولغة دورية لشعر الجوقات ثم اللغة الأتيكية للمسرح . وبلغ من ثبات تلك اللغات الأدبية وتخصصها أن رأينا شعراء آثينا مثلاً يكتبون باللغة الدورية الأجزاء الغنائية من مسرحياتهم

تكونت إذن لغات أدبية مصطنعة ، ولكن ذلك لم ينل من قوة الأدب الذى ظل متصلاً بالحياة حتى جاء عصر الإسكندرية ، وقد اختلطت فى المدن الجديدة الأجناس وانهار استقلال المدن القديمة وجفت الحياة العامة فنضبت ينابيع الأدب الذى لم يعد يتجه إلى الشعوب بل إلى نخبة من المثقفين . لم يعد خلقاً تلقائياً بل صناعة أو تزجية فراغ . لقد حلت فيه المهارة محل العبقرية ، حل العلم محل نبض الحياة ، حل الظرف والكياسة محل وثبات القلب وتأجج القرائح

لقد نشأ أدب الإسكندرية بعيداً عن الشعب ، بعيداً عن الحياة ، فجاء الكثير منه أدباً متكلفاً قليل الحظ من الصدق

أدب الإسكندرية كنبات فى بيوت من زجاج . ومع ذلك لم يذو النبات كله كما سنرى فى المقال الآتى .

محمد مندور

مشروع محو الأمية أيضاً

وجوب عقد مؤتمر أو مجلس أعلى

من كبار رجال التربية للنظر في المشروع

للأستاذ دريني خشبة

تمنينا في كلمتنا السابقة أن يوفق الله وزارة الشئون الاجتماعية إلى النجاح في هذا المشروع العظيم الذي اضطلعت به ، والذي يجب أن ننظر إليه باعتباره الأساس القويم الذي يجب أن تنهض عليه جميع مشروعاتنا ، لتنهض على هدى وعلى نور مبين

ومشروع مكافحة الأمية أو محوها ليس من السهولة واليسر بحيث يقف عند حدود تعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب ، وقليل من مبادئ الدين وتدبير الصحة . . . فهذا القسط من التعلم قسط زهيد لا يكافح الأمية ولا يمحوها ... إن لم يضاعفها ويزد طينها بلة ...

لقد همت الأمة بمثل هذا المشروع من قبل ، حينما فكرت في تعميم التعليم الإلزامي ، وذلك منذ نحو من عشرين سنة . . . فماذا كانت النتيجة ؟ ! هذا هو الضوء الذي يجب أن نسير على هداه . . . ونحن على يقين من أن وزارة الشئون الاجتماعية سوف لا تتردى في مهاوي الفشل الذي تردت فيه وزارة المعارف في عهودها السابقة ، والتي أضاعت فيه على الأمة جيلاً من طفولة أبنائها ومن صباهم ومن شبابهم ... دون أن يتعلموا شيئاً ... كما أضاعت نحواً من خمسين مليوناً من الجنيهات لو أن نصفها أو ربعها أنفق على هدى وبصيرة ، وفي ضوء تجارب الأمم الأخرى ، بل في ضوء التجارب التي أجراها في مصر محمد على الكبير ، الحاكم الأمي العظيم ، لسهلت على وزارة الشئون الاجتماعية اليوم أعباء القيام بما تبقى من هذه المهمة الشريفة الهائلة

لنذكر دائماً أننا أمام مشكلة من أشد مشكلاتنا تعقيداً . . . لنذكر أن وزارة الشئون أخذت على عاتقها مهمة انتشال اثنى عشر مليوناً وثلاثة أرباع المليون من إخواننا المصريين ، من براثن الأمية الذميمة . . . من ظلمات الجهالة المهلكة . . .

فكيف يا ترى تنهض بهذا المشروع الضخم ؟ وعن من هؤلاء الاثنى عشر مليوناً وثلاثة أرباع المليون تبدأ ؟ أتبدأ بالأطفال وأمرهم موكول إلى وزارة المعارف ، أم بالغلمان وأمرهم موكول إلى سياسة التعليم العام الذي شرعت وزارة المعارف تعدله برنامجاً ذهبياً ؟ أم بالشباب والشيوخ ، ومشكلة تعليمهم ليست هنة من الهنات ، بل هي مشكلة المشكلات ! وهل يكون للمرأة — أو الفتاة — نصيب من مشروع وزارة الشئون ، بوصفها تشغل من الأمية نسبة أعلى مما يشغلها الذكور ؟ وإذا استقر الأمر بوزارة الشئون على أن يشمل مشروعها الذكور والإناث على السواء ، فما هي الوسيلة — أو الوسائل — التي سوف تروض بها تلك الكتلة الهائلة العجيبة من الأميات المصريات البائسات ، وتروضهن بها على قبول الفكرة أولا ، فكرة محو الأمية ، ووجوب إقبالهن على تعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب وما هو وراء الكتابة والقراءة والحساب من محتوم الثقافات ؟ أم تفضل وزارة الشئون أن تبدأ بتعليم الذكور ، فإذا فرغت من شأنهم شرعت في حربها ضد أمية النساء ؟ ومتى تفرغ من إبادة الأمية بين الذكور لتبدأ إبادة الأمية بين النساء يا ترى ؟ وهل من الخير لمصر والمصريين أن يهملوا إبادة الأمية بين النساء حتى يفرغوا من أمر الذكور ؟ وأيهما خير : البدء بمكافحة الأمية بين النساء ، أم البدء بمكافحتها بين الذكور ؟ وإذا نهضنا بالحرب ضد الأمية في الميدانين في وقت معاً ، فكيف نبدأ في حدود الوسائل التي تيسرها لنا ظروفنا الحاضرة ، ومواردنا المالية ؟

هذه بعض مشكلات البدء في مكافحة الأمية

وثمة مشكلات لا تقل خطورة عن تلك التي ذكرنا ، تتعلق بالهيئة التي سوف تتولى الإشراف على هذا المشروع الشريف الضخم ... هل يشترك في ذلك نفس الرجال الذين اضطلعوا بمشروع التعليم الإلزامي ففشلوا فيه فشلاً ذريعاً تاماً كما عبر وزير المعارف الحالي ؟ وهل حقاً كان هؤلاء الرجال الأفاضل سبب الفشل في هذا المشروع . لا يشاركهم في ذلك أحد ممن يتولون في مختلف الظروف سياسة التعليم في مصر ؟ ثم ما هي الوسيلة ، أو الوسائل ، التي تتقى بها وزارة الشئون تكرر المأساة التي وقعت لسوء الحظ من قبل ؟

ونمة مشكلات أجل خطورة من كل ما ذكرنا ... تتعلق باختيار المعلم — أو المعلمين — الذين سوف نعبئهم للنهوض بهذا المشروع ... ومما لا ريب فيه أن المعلم الإلزامي سوف ينهض بأثقل الأعباء فى تلك الحرب ، يعاونه سائر المعلمين فى سائر فروع التعليم ؛ فهل هؤلاء المعلمون جميعاً صالحون لأن توكل إليهم تلك المهمة النبيلة السامية ؟ والمعلم الإلزامى بنوع خاص ما خطبه ؟! لقد عبنا عليه قلة العلم وقلة الثقافة ، بل منا من اتهمه هو نفسه بالأمية الشنيعة في أفكاره وفى معلوماته ، بالرغم من وجود عدد لا يستهان به من المعلمين الإلزاميين المثقفين ثقافة ممتازة استطاعوا أن يلمسوا هذا العيب فى أنفسهم ، فعالجوه بالإكباب على القراءة وحسن الدرس واقتناء الكتب ، حتى أصبح منهم الكتاب والشعراء والمفكرون . فماذا صنعت الدولة لإصلاح حال هذا المعلم البائس ؟ لقد تناول المستشار الفنى لوزارة المعارف حياة هذا المعلم المصرى الكريم فى كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر) فى أكثر من فصل من فصوله . فصوره لنا فى صورة مؤلمة . . . وطلب له من الدولة العناية اللائقة به فى ناحيتيه الأدبية والمادية ؛ فماذا حققت الدولة إلى اليوم من رجاء المستشار يا ترى ؟ نعترف أنها أوشكت أن تفرغ من إنصافه مادياً ، ولكن متى تنصفه أدبياً ؛ فتكمل هذا النقص العلمى والثقافى الذى أخذه عليه المستشار فى كتابه ، بالطريقة التى يراها الفنيون ، والتي من أجلها وأكثرها نفعاً تلك الدراسات الصيفية التى أخذت بها مراقبة التعليم الحر لتكميل النقص الذى لمسته في ثقافات الكثيرين من مدرسيها . لقد استكثر المستشار الفنى على هذا المعلم أن يضطلع بحالته تلك بمهمة تعليم الأطفال فى المدارس الإلزامية . فكيف نترك العبء الأكبر من مكافحة الأمية بين الكبار يقع على كاهله . وهو لا يزال فى الحالة التى عهده المستشار عليها منذ ست سنوات . أى عند ما فرغ من تأليف كتابه

إن المعلم الصالح سيكون المثل الأعلى الذى تقيمه الدولة بين الأميين ، يعلمهم ويهذبهم ويهديهم إلى الرشد . ويقيم عليهم من شخصيته سلطاناً أدبياً جديراً بالمحبة والاحترام ... فأى بلاء يصيب أمانينا إذا كان هذا المعلم أحوج من الأميين إلى من يكافح فيه أميته الكامنة ، التى تزيدها قشور المعلومات الفجة سوءاً على سوء ؟؟

أما مشكلة البرنامج ، فبالرغم مما يبدو من سهولتها ويسرها وبالرغم من أن مجرد التفكير فيها يثير الضحك ، فهى لا تقل تعقيداً عن سابقاتها ... إن الذين يظنون مشكلة البرنامج سهلة ميسرة ، يحصرون تصورهم فى مكافحة الأمية فى ذلك الميدان — أو النطاق — الضيق المحدود . . . نطاق القراءة والكتابة والحساب . ولو فكروا فى ألوان الأميات التى ينبغى مكافحتها ، لاعترفوا بتعقد هذه المشكلة وتشعبها . وقد أشرنا إلى ألوان من الأميات الزراعية والصناعية والصحية فى كلمتنا السابقة ، والذى نريد أن نخصه بالذكر هنا ، هو المدة التى تكفى لمحو عار الأمية عن الرجل العادى أو المرأة العادية ، ثم القدر اللائق من التعليم والثقافة الذى يكفل محو هذا العار ، ثم الوسيلة التى نتقي بها انصراف من علمناهم من الأميين عن القراءة والكتابة والاطلاع حتى لا يعودوا أميين كما بدأوا ... ونكون قد انتهينا إلى ما انتهى إليه أمر التعليم الإلزامى من فشل ذريع ، ساحق ماحق ، لسوء الوسائل التى اتخذناها ، وللأرض البور التى بعثرنا فيها بذورنا ، ولقصر نظرنا الذى حصرناه فى ذاك النطاق الضيق المحدود ... نطاق القراءة والكتابة والحساب ، الذى ربما ظننا أننا نفرغ منه فى أشهر أو فى عام أو عامين

ماذا ندرس إذن لهؤلاء الأميين ؟ ماذا نعلمهم حتى يصبحوا مواطنين صالحين ذوى كرامة ، صحاح الأجسام لا تخترمهم العلل ، صحاح الأفهام لا تجوز عليهم الترهات ، صحاح الأيدى لا يقترفون سوءاً ، صحاح النظر يستحقون أن ينعموا بنعمة الديمقراطية ؟!

وكم من الزمن يكفى يا ترى لضمان بلوغ الأمي الواحد هذه المرتبة ؟ وكم من السنين تكفى لمحو الأمية من مصر ؟

وهل يكون البرنامج واحداً فى فترة المكافحة كلها ؟ أم عساه يختلف فى السنة الثانية عن السنة الأولى ، وفى السنة الثالثة عن الثانية ... وهكذا !... وماذا أعددنا من الكتب والأدوات لهذه الحرب الطاحنة ؟! وماذا أعددنا من المكتبات المتنقلة وأشرطة السينما التهذيبية والثقافية ، والمصابيح السحرية ، والفرق التمثيلية وغير ذلك من المشوقات التى لا غناء عنها ؟!

كل هذه مشكلات يجب أن ينعقد مؤتمر أو مجلس أعلى يضم النخبة المختارة من كبار رجال التربية فى مصر لدراستها ووضع خطة السير لكل منها

يجب أن نسير على هدى أخطائنا الماضية ، والله ندعو أن يوفق خطانا

دريني خشبة

بمناسبة انتهاء العام الدراسي

عهـــد التلمـــذة

للأستاذ راشد رستم

أول العهود وأميزها

وأمتن الروابط وأدومها

تدور الدنيا وتدور ، وتذهب الأيام ولا تعود ، وتتفرق الجماعات ولا تدوم ، وهـذا الحرم المدرسي المعنوي قائم لا يحول ولا يزول

واسع الرحبات ، فسيح الجنبات ، يستقبل الأجيال بعد الأجيال ، في رضا ومهابة وسلام

هؤلاء الذين نراهم فيه اليوم رأى العين ، هم أولئك الذين كنا نراهم فيه ، أيام كنا فيه بالأمس ، رأى الغيب — وهكذا حلقة إثر حلقة وجيلاً بعد جيل

ها هم أولاء يلعبون كما كنا نلعب ، ويدرسون كما كنا ندرس — أبناء لآباء ثم آباء لأبناء ، والكل عند المحراب سواء

* * *

ساحة دائمة البقاء ، تتلاقى فيها ما لا يتلاقى إلا فيها من حلاوة الدهر ، وبراءة السن ، وبداوة العمر

ساحة تتجلى فيها حياة الفكر والروح ، وتلعب فيها حكمة الشعوب لعبتها الكبرى في صقل العقول وتكييف الميول

هنالك تشهد الإنسانية أبناءها الصغار بين أيدي أبنائها الكبار ، فترجو أن ترى في هؤلاء الصغار أسمى معانيها الكبار

* * *

في البيت تتجلى مسؤولية الفرد ، وهنا تتجلى مسؤولية الجماعات

إن مراكز الجماعات من نواد وجمعيات وثكنات وما يخرج عنها للسلام وللعراك ، من حروب ورحلات واجتماعيات ، هي لا شك في حياة الشعوب والأمم روابط وعهود وذكريات ، يختلط فيها الدم بالدم ، واللحم باللحم ، والفكر بالفكر .

ولكن يشهد الله أن عهـد المدرسة هو عهد الجميع ، وهو فوق جميع العهود ، بل هو قبل جميع العهود ، هو عهد الصداقة والأخوة والصفاء

هو الحقل الذي توضع فيه البذرة الأولى لشجرة الأخوة الأولى ، تنمو وتنمو ، فتنمو معها الفروع والأغصان والأوراق والظلال ...

* * *

إن نظام المدرسة اليومي ، رغم تكراره اليومي ، لا يدعو إلى السأم ولا إلى الملل — ذلك أنه نماء متدفق وتجديد مستمر ، مرحلة بعد مرحلة وعاماً بعد عام ، بل يوماً بعد يوم

هذا التكرار اليومي لهـذا العهد المدرسي لا يحيله جموداً ، بل هو يزيد في معناه ثبوتاً ورسوخاً وخلوداً ، ويرتفع به إلى طبقات ليس فيها غير صفاء النفس ، ودوام الربط ، وسعادة الذكر ...

بل إن هذا التكرار المتنوع المستمر يصهر النفوس الناشئة صهراً هيناً ليناً شديداً قوياً يجعلها صالحة للعمل صالحة للبقاء

وهو العهد الذي يشعر فيه الإنسان مهما كان صغيراً ، أنه قوة ، وأنه ينمو ، وأنه سيصير قوة أخرى

حركة دائمة ، وتنافس محبوب ، وآمال متتابعة ، وحياة لها كل المستقبل ولا تنسى أبداً

هي الوحدة الموسيقية التي تضبط خطى الجيل ، والتي تربط بين أفراده وهم يسيرون في الحياة لخدمة الأوطان . هنالك تتجلى عظمة هذه الموسيقى إذا ارتفعت بالنفوس إلى مراتب التضحية وخدمة المجموع

* * *

نعم ما أحلاه عهداً ، وما أحبه إلى النفوس عوداً ، فكلما تقدم المرء في السن كلما عرف قدره ، وعاد به الحنين إلى تلك السنين

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فحنوا لذالكا

يود المرء أن يرجع إلى هذا العهد الذي أقام له بينه وبين إخوانه زمالة هي زمالة الدهر ، والتي هي أسمى من قرابة اللحم والدم ، ورب صداقة خير ألف مرة من قرابة ، وإذا لم يكن القريب صديقاً فهو والغريب سواء بل أشد غرابة

على هامش النقد

الشعر العربي والشعر العالمي

في عرائس وشياطين

للأستاذ سيد قطب

فى كلمتى الماضية عن هذا الموضوع قلت : « بمقدار الفنى فى الأفكار والمعانى الذى تضمنه الشعر العربى ، كان الفقر فى الرؤى والأحلام ، وفى الصور والظلال . وفى الحالات النفسية واللامح الإنسانية . وهذا هو مفرق الطريق بين الشعر العربى وكثير من الشعر العالمى فى مجموعة « العرائس والشياطين » وضربت لذلك مثلاً قطعة : « إلى السوق أول مرة » للشاعر الإنجليزى الحديث « هوسمان »

فاليوم أضرب أمثلة أخرى تشرح هذه الفوارق وتوضحها .

فى المجموعة قطعتان متقاربتا الموضوع ، فاستعراضهما معاً قد يكون أقرب إلى توضيح الفروق

فأما القطعة الأولى ، فهى لابن زهر الأندلسى بعنوان : « فى المرآة »

إنى نظرت إلى المرآة أسألها فأنكرت مقلتاى كل ما رأتا

رأيت فيها شيخاً لست أعرفه وكنت أعهد فيها قبل ذاك فتى

فقلت : أين الذى بالأمس كان هنا

متى ترحل من هذا المكان متى ؟

فاستجهلتنى وقالت لى وما نطقت

قد كان ذلك ، وهذا بعد ذاك أتى

وهى أبيات جيدة فى موضوعها ، ولفتة لها قيمتها ، ووقفة بين صورتين من صور الحياة أجمل ما فيها أن إحدى الصورتين تنكر الأخرى وهى تكملها . وذلك أقصى ما نستطيع أن نسنده إليها من المزايا مع الاعتراف بأننا نضيف إليها من أنفسنا بعض ما قد تقصر عنه ألفاظها !

ولكنها — مع هذا — وقفت عند الحس لا تتعداه إلى أغوار النفس . فهذا شاعر لا يدرك الفرق بين الفتى الذى كانه والشيخ الذى صاره ، إلا حين يقف على المرآة ، فيرى تغير الملامح وتنكر السمات — وهذه أمور مردها إلى الحس — فإذا علم بهذا الانقلاب الظاهرى لم يتجاوزه إلى التفتيش فى أحناء النفس عما هنالك من انقلابات . ولم تثر فى نفسه أشتات الذكر ، وألوان الخواطر التى تعتلج فى نفس « الإنسان » ، وترد على الخاطر ولو لم ينظر فى المرآة !

ولا أحب أن أنكر جمال اللفتة فى قوله : (متى ترحل من هذا المكان متى ؟) فإنه نبضة « إنسانية » لها قيمتها ، ولكنها نبضة واحدة ، تكاد تلتقى بومضات الذهن ، ولفتات الفكر

وهل أسى على التلميذ من فراق الإخوان ، وهل أحب إليه من العودة بعد الأجازات لرؤية الإخوان !

***

قد تمر الفترات يكره فيها البعض مدرسته ، يرجو هدمها ويتمنى حرقها !! ولكنه لا يدرى أنه يحبها . . . ويحب العودة إليها ، يلعب كما كان يلعب ، ويعيش كما كان يعيش ، لا يحمل العبء الذى يحمل ، لا هرباً منه ، إذ ليس منه مفر ، وإنما حباً وحنيناً إلى تلك التى كان يظن أنه لا يهواها ، وما هو إلا العاشق الولهان ، غيور . . . يثور ويثور . ثم يثوب ويثوب ، يعيده حبه وغرامه إلى حبيبه ومحبوبه

***

البيت هى ألطف العهود وأقساها ، وأنها فى الحالين ما أحلاها ... بل إن شدتها التى كان المرء — وهو صغير — يخشاها ، ما هى إلا تلك الراحة التى — وهو كبير — دوماً يتمناها ! وإن راحتها التى كان يظنها خيالاً ، ما هى إلا الحقيقة التى يود لو أنه استطاع فاستبقاها ؟!

***

لعب مع تلقين ، وجهد فى تهوين ، وشدة فى لين ، وشك إلى يقين ، وحياة فى تكوين ، ونمو فى تمكين — ذكرى وحنين ، وعهد لن يبين

من عنده لى عهد لا يضيعه كما له عهد صدق لا أضيعه

راشد رستم

للصور المتناقضة ، وأياً ما كانت ، فهي تنبض مرة واحدة ، ثم تجمد بلا حراك

على مقربة من هذه القطعة في الكتاب قطعة أخرى للشاعرة الإنجليزية (أليس ميتل) تحت عنوان : « خطاب فتاة إلى العجوز التي ستكونها بعد سنين » وهي مقطوعة طويلة ، ولكنا سننقلها كاملة لأن الاجتزاء ببعض منها دون بعض لا يجدي .

فهنا (إنسانة) تطل بشطر منها على شطر ، وتنظر بعين الفتاة الناضرة العابثة إلى العجوز المستكينة الفانية ، فلا تستطيع أن تتماسك أمام الصورة التي تستحضرها بعين الخيال ، فترثي لنفسها بنفسها . وتشتبك الأحاسيس والمشاعر ، وتظل رائحة جائية بين المستقبل الأعجف المظلم والحاضر المنضر المنير وتعرض أمام خاطرها شريطاً حافلاً بالخواطر والأحاسيس . وهي بين ذلك كله (الإنسانة) و (المرأة) في مخلوقة واحدة ، وهذه هي المقطوعة :

اسمعي ! أيتها المرأة التي أبلتها السنون
إذا طويت يدك الناحلة على هذا القرطاس
فاذكري تلك التي باركته بلمساتها وقبلاتها

***

أناديك : يا أماه ؛ فإن أثقال السنين كسرتك
بل أناديك : يا بنتاه ؛ فإن ذكرى الزمن أيقظتك
ومن أطوار قلبي . يخلق الزمن كل ما فيك

***

آه أيتها السائمة المكدودة . إن الصبيحة في السماء لشمطاء
أفلا تذكرين السحب كيف تساق ؟
أترينها كانت تهدأ عند المغيب ؟

***

تمهلي هنيهة في ختام مطافك الطويل
فإن في هذه الساعة الموحشة
لألفة لساعة التدبر والتذكار

***

يؤلمك أيتها الصامتة الخافقة تذكيري إياك
بتلك الهضاب — هضاب الشباب — التي عصفت عليها السماء
وتلك الأعاصير الأوابد من القوة والعافية ، التي خلفتها وراءك
اعلمي أن البطحاء الموحشة التي تدرجين فيها الآن
إنما هي دنيا مساء صموت

وتأملي في تلك القمم المغشاة . إنها تسفر عن صباح

***

اسمعي ... هاتيك رياح الجبل تهب بالغيوث
وهاتيك القمم على حين غرة تتألق بالشعاع
حاشاي أن أدعك تذهبين — ناسية — إلى الموت

***

ليتني أعلم أي جانب من قلبي هذا المضطرم سيتبعك
إلى حيث الرياح لا تعصف ولا تهزم
وحيث أزهار الجبال الصبية لا تعيش ولا تجود

***

ولكن دعي خطابي وفيه ما فيه من خواطرك المفقودة
ينبئك كيف كانت الطريق في بداية الطريق
ويصحبك إلى الغاية ، حين إلى الغاية تنتهين

***

آه . رب ساعة من ساعاتك تقودك فيها خواطري
فما تشعرين إلا والرياح من وطنك القديم تحوم حواليك
وإن أخفاك عنها الزمن والظلام والسكوت

***

تقول لك : كم جاشت بالفتاة هذه الذكريات
وكم رانت على الصباح ظلمات هذه الظلال
وكم خيّم عليها هذا الحزن الذي تفارقينه بقلب حزين

***

وبعد . فمالي أفقوك بخواطري هذه ليت شعري ؟
إن الحياة تتبدل ، وإنك مع الأيام تتبدلين
فيأيتها الطبيعة التي لا تتبدل . ليتك تردين إليها فؤادي الضليل

***

ستعود إلينا نسماتها بقبلاتها
وستسري إلينا في المساء كأنها قبلة في الصباح
وسينفث الصيف نعمته التي لا يغيرها الزمان

***

ونحن وقد تبدلت لنا لمحة بعد لمحة ، ونسمات بعد نسمات
تتعقب إحدانا الأخرى في شتى المسارب والدروب
على نفحات الطفولة الخالدة التي تتأرج بها الرياحين أطفال الخلود

***

وما أكتب إليك هذا الخطاب المستطلع الناظر إلى الغيوب

لأموه لك الذبول بأكاليل من المجد والفخار

وأحف هذا الذواء بشارات النصر والنجاح

* * *

كلا ! إنما هو شباب واحد وينطوى من الحياة الضياء

إنما هو صباح واحد ويغشى النهارَ السحابُ

إنما هي شيخوخة واحدة تتلاقى فيها الأشجان والهموم ، جموعاً وراء جموع

* * *

صه يا لسانى ، إن كلماتى أسالت عبرات عينيك

صه صه . فما أغزر ينبوع الدموع

يا للجفون البائسات . ما أسرع ما تبكي وهي قريبة إلى الرقاد !

* * *

عذراً للفتاة ! لقد وسوست لها نزوة من غرائب نزوات الشباب

أيتها المرأة البائسة ! ألق من يدك هذا الخطاب

إنه حطم قلبك فانسى أننى كتبته إليك

* * *

إن التى كانت تنظر منك إلى ذلك المحيّا

هى الآن تمس براحة البنوة شعرك المشتعل

وتبارك هذا الشفق الحزين بدموع الصباح

* * *

هذه هى المسارب النفسية التى سارت فيها خطرات تلك الفتاة ، وتلك هى المسالك والدروب المتعرجة الطويلة . وهى (إنسانة وامرأة) حين تحس بخطوات الزمن هذا الإحساس ، وحين تزج بخيالها إلى المرهوب من شيخوختها — وهى فى حمّى منها بفورة الشباب الحاضر — ومع ذلك تفزع وتضطرب فتلجأ إلى خيال الذكريات التى ستعتادها فى الشيخوخة المرتقبة ذكريات الشباب التى (ستسرى إلينا فى المساء كأنها قبلة الصباح) فإذا هدأ روعها وتماسكت عادت تواجه (العجوز التى ستكونها) بالحقيقة الأليمة (إنما هو شباب واحد وينطوى من الحياة الضياء) . شباب واحد والمرأة أحس ما تكون بوحدانية هذا الشباب !

وإننا لنمضى فى تتبع هذه الخطرات النفسية فى نفس هذه (الإنسانة) فلا نبلغ مداها ، بأبصر ولا أوضح مما بلغته بألفاظها ، فلا ضرورة إذن للشرح والبيان

هنا فيض إنسانى من الخوالج والخواطر والأحاسيس ، وقلما تعثر فيها على (معنى) بارز ، أو فكرة مبلورة ، أو حكمة سائرة . ولكنك لا تخطئ فيها وجه الإنسان وانفعالاته وخطراته ، تتماوج وتتداخل ، وتضطرب وتختلج وتسمع فيها حركة الحياة وتلمح فيها ظلالها من وراء الألفاظ والتعبيرات

ذلك شعر . وشعر كله . وشعر يحسن أن نتأثره لا مقلدين ولكن مستفيدين . ففى نفوس الكثيرين منا ينابيع طليقة ، تحبسها الطرائق التقليدية للشعر العربى فى التعبير . وإن كانت المسألة فى صميمها أكبر من الألفاظ وأوسع من التعبير .

سيد قطب

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٧٩ — تشبيهها في ذنبها وقرونها

قال القاضي أحمد بن خلكان: كان أبو البقاء يعيش ابن علي بن يعيش حسن التفهيم، طويل الروح على المبتدئ والمنتهي. وقد حضرت يوماً حلقته وبعض الفقهاء يقرأ عليه (اللمع) لابن جني فقرأ بيت ذي الرمة بباب النداء

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل
وبين النقا آ أنت أم أم سالم؟(1)

فقال الشيخ موفق الدين: إن هذا الشاعر لعظم وجده بهذه المحبوبة وكثرة مشابهتها للغزال — كما جرت عادة الشعراء في تشبيهم النساء الصباح الوجوه بالغزلان والمها — اشتبه عليه الحال فلم يدر هل هي امرأة أم ظبية، فقال: آ أنت أم أم سالم وأطال الشيخ القول في ذلك بحيث يفهمه البليد البعيد الذهن وذلك الفقيه منصت حتى يتوهم من يراه على تلك الصورة أنه قد تعقل جميع ما قاله الشيخ، فلما فرغ من قوله قال له الفقيه: يا مولانا، إيش في هذه المرأة الحسناء يشبه الظبية؟ فقال له الشيخ موفق الدين قول منبسط: تشبهها في ذنبها وقرونها فضحك الحاضرون، وخجل الفقيه وما عدت رأيته حضر مجلسه

٥٨٠ — فسكت وسكتنا

في (الأغاني): أقبل عيينة بن حصن إلى محلة بني زبيد في «الكوفة» فسأل عن محلة عمرو بن معد يكرب؛ فأرشد إليها، فوقف ببابه ونادى: أي أبا ثور، أخرج إلينا، فخرج إليه، وقال: انزل، فإن عندي كبشاً، فنزل فعمد إلى الكبش فذبحه، ثم ألقاه في قدر وطبخه حتى إذا أدرك جاء بجفنة عظيمة فثرد فيها، وأكفأ القدر عليها فقعدا فأكلا. ثم قال له: أي الشراب أحب إليك اللبن أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية؟ قال: أوليس قد حرمها الله علينا في الإسلام؟ قال: أنت أكبر سناً أم أنا؟ قال: أنت. قال: فأنت أقدم إسلاماً أم أنا؟ قال: أنت. قال: فإني قد قرأت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريماً إلا أنه قال: «فهل أنتم منتهون» فقلنا: لا فسكت وسكتنا، فقال له: أنت أكبر سناً وأقدم إسلاماً فجاءا فجلسا يتناشدان ويشربان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا، ثم انصرف عيينة وهو يقول:

جزيت أبا ثور جزاء كرامة ... فنعم الفتى المزدار والمتضيف
قريت فأكرمت القرى وأفدتنا ... تحية علم لم تكن قط تعرف
وقلت: حلال أن تدير مدامة ... كلون انفقاق البرق والليل مسدف
وقدمت فيها حجة عربية ... ترد إلى الإنصاف من ليس ينصف
وأنت لنا (والله ذي العرش) قدوة ... إذا صدنا عن شربها المتكلف
يقول أبو ثور: أحل حرامها ... وقول أبي ثور أسد وأعرف

٥٨١ — ضعف الإسناد...

في (خاص الخاص) للثعالبي: كان أبو محمد السرجي من ظرفاء الفقهاء والمحدثين ببغداد، فركب يوماً في سفينة مع نصراني، فلما بسط سفرته، سأل السرجي مساعدته ففعل، ولما فرغا أحضر شرابه تحكي لونه عينَ الديك وريحُه فأرة(1) المسك، وأراد السرجي أن يجد رخصة فقال: ما هذه؟ وتوهم النصراني مراده، فقال: خمر، اشتراها غلامي من يهودي

فقال: نحن أصحاب الحديث نكذّب سفيان بن عُيَيْنة ويزيد بن هرون أفنصدّق نصرانياً عن غلامه عن يهودي؟ والله ما أشربها إلا لضعف الإسناد. ومدّ يده إلى الكأس وشربها

---

(1) الوعساء: رملة لينة. جلاجل (بفتح الجيم وضمها) مكان، قال الشنتمري: ويروى بالحاء. النقا: الكثيب من الرمل. والقول من أبيات (الكتاب) والشاهد فيه إدخال الألف بين الهمزتين من قوله (أأنت) كراهية لاجتماعهما كما أدخلت بين النونات في قولهم: اضربنان كراهية لاجتماعها.

(1) فأرة المسك: نافجته، وعاؤه. في (الأساس): شممت يده فكأنها يد عطارة ذبحت فأرة

سجعة الكروان...

للدكتور عزيز فهمي

هاتف في السَّحَرْ   بارعٌ مُقتدِرْ
صادحٌ مُطنِبٌ   ساجعٌ مُختصِرْ
مطربٌ هزَّني   لحنُه المبتكَرْ
لم يزل هاتفاً   في ليالي القمر
عاده وجدُه   ودعتني الذِّكَر
فاحتسبتُ الهوى   والصبا المحتَضِر
ودعوت المنى   والشباب النَّضِر

بين همس الرُّبى   وخريرِ النَّهَرْ
ودبيب المُنى   وحفيفِ الشجرْ
وهبوب الصَّبا   واعتراض الدُّبُرْ
طاب لي مجلسي   وحلا لي السهرْ

جَنَّةٌ عندَها   يعذبُ المُستقرْ
دوحُها حافلٌ   بِشَهِيِّ الثَّمَرْ
روضها عابقٌ   وَرْدُهُ والزَّهَرْ
ماؤها سَلْسَلٌ   وِرْدُه والصَّدَرْ
جنة حفها   نخلها المُشتجِرْ
بينما يستوي   قائماً ينأطِر (1)

ليلةٌ في الزمن   لم يشبها كدر
ليلةٌ فَذَّةٌ   من هِبات العُمُرْ
فتزوَّدْ بها   لِلَيالٍ أُخَرْ

يا غلام اسقنا   هاتِها وابتَدِرْ
هاتها مُرَّةً   حُلْوَةَ المختَبَرْ
في كؤوس ذهب   وأوانٍ حُمُرْ
هاتها رَطبةً   في دمي تَستعِرْ
هاتها وابتدر   لم أعُدْ اصطَبِرْ

ها كها ها كها   يا نديمي اعتبر

عانسٌ زانها   ثوبها والخَفَرْ
من عقيق العنبْ   دَمُها المُنهمِرْ
فِتنةٌ للنظرْ   من رآها سكِرْ
وزرها هَيِّنٌ   ذنبها مُغتفَرْ

خمرة عُتِّقَتْ   من قديم العُصُر
أُمها بابلٌ   وأبوها مُضَرْ
قهوة صُهْرِجَتْ   في أقاصي الحُفَرْ
دمها كاهن   قبل عهد الحَضَر
لم يذق مثلها   قيصرٌ ذو سُرُرْ

يا طيورَ الرُّبى   روضكم مُزْدهِرْ
كلكم نائحٌ   ويحكم! ما الخبر؟
حسبكم حسبكم   بعض هذا الخور!
شاعرٌ ناقمٌ   ومُغَنٍّ ضجِرْ
كلكم عازفٌ   فوق هذا الوتَرْ
كلكم ريشةٌ   في مهبِّ الغِيَرْ
كلكم هدَّهُ   دهرُه فانكسر
كلكم مُوجَعٌ   مُشْتَكٍ مُفتقِرْ
عاشقٌ مُدْنَفٌ   قد براه الحَوَرْ
وأخٌ يائسٌ   من خبايا القَدَرْ
لم يَعُدْ صادحٌ   في ليالي السمر!

ألزم الألزم من لزوم ما لا يلزم (*)

الناس بالناس من حضرو بادية
بعض لبعض – وإن لم يشعروا – خدم

والنسل أفضل ما فعلت بها   وإذا سعيت له فمن عقل

ورفقاً بالأصاغر كي يقولوا   غدونا بالجميل معاملينا
فأطفال الأكابر إن يُوقَّوا   يُروا يوماً رجالاً كاملينا

لا تزدرُنْ صغاراً في ملاعبهم   فجائز أن يروا سادات أقوام

(1) ينثني

(*) مخطوط للنشاشيبي



١ – إلى الأستاذ الفاضل نقولا الحداد

يؤسفني أيها الأستاذ أن تكون قد فهمت من كلمتي السابقة شيئاً غير ما أكنه لك من المحبة الصادقة والإجلال الأكيد... فأنت أستاذنا الفاضل، وكاتبنا العالم المحبوب، وذلك مذ كنا تلاميذك الصغار المعجبين بك... وتشككك في صدق هذا الاعتراف هو موضع أسفي وألمي. أما ما عنيته، بل كتبته صراحة، من أن الذي كتب عن نظرية وحدة الوجود – تلك النظرية المشئومة – قد كتب من وجهة نظر تكاد تكون إسلامية بحتة، فلا يعني أن تكون احتكاراً لأمة دون أخرى ولا يعني منع أحد من الخوض فيها، وإلا كنا متناقضين مع أنفسنا حينما نفينا ما وهمه الأستاذ الرصافي من نسبتها إلى نبينا الكريم، وحينما استعرضنا آراء الفلاسفة اليونانيين فيها. ونحن نزيد المسألة بياناً فنقرر أن نظرية وحدة الوجود ليست من الإسلام في شيء. بل هي الكفر الصريح في رأي كبار الأئمة المسلمين، أما ما فهمه أستاذنا الفاضل المحبوب من مقالنا عن النظرية في الفلسفة اليونانية، وأنه خرج من المقال بأن اليونانيين عنوا بالوجود أصله المادي لا غير، فهذا كان ولا يزال موضع عجبي، فقد أوردت في المقال آراء من قالوا بالوجود المادي لا غير. ومن قالوا بوجود Noös أي عقل مدبر حكيم وراء هذا الوجود المادي، وآراء من قالوا بعالم المثل. ثم ألمعت إلى رأي أرسطو في الصورة ورأيه في الله. الخ

على أننا نكرر لأستاذنا الفاضل المحبوب شكرنا ونعرب له عن حسن قصدنا

٢ – الدفاع عن وحدة الوجود

كال لنا الأستاذ زكريا كيلاً شديداً دون أن يعرض للنظرية بشيء مقنع؛ فهل يتفضل حضرته فيتناولها في صراحة، وليبدي لنا رأيه فيما ذهب إليه العلامة ابن تيمية بصددها في كتابه الفريد «الحجج النقلية والعقلية فيما ينافي الإسلام من الجهمية والصوفية، كالحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، ونفي القدر، أو الاحتجاج به على الرضا بالمعاصي. الخ»، وما تناول به ابن عربي من التكفير والزندقة والإزراء بالرسالة

يا أخي... اقصد في دفاعك عن ابن عربي، حتى تفرغ من دراسة هذه القضية، وأسأل الله لك السداد.

دربي

«أفتوني في رؤياي»

لعل الأستاذ الفاضل «عبد العزيز جادو»، وقد تعرض للأحلام تعرض الفاحص الخبير، أن يكشف ما التبس عليّ من أمر هذه الرؤيا. وله مني ومن قراء هذه الكلمة الشكر على إيضاحه سلفاً

في ظهر يوم الإثنين ٢٧ رمضان «من العام الفائت» كنت أطالع في كتاب نظام العالم والأمم للشيخ طنطاوي جوهري (جزء ٢ ص ١١٣)

وكنت مجهد البدن محروراً، فلذت بفراشي واستلقيت على ظهري، وأسندت الكتاب مفتوحاً إلى صدري، ثم تابعت القراءة، وهذه عادة مقيتة أعترف وأنا آسف بأني ما زلت أتبعها! على أني أنصرف إلى غايتي فأقول إني استغرقت فجأة في نوم مضطرب خفيف، ثم رأيت كأنني أركب قطاراً أعود به من

وأكرموا الطفل عن نكر يقال له

فإن يعش يدع كهلاً بعد أعوام

رب شيخ ظل يهديه إلى ... سبل الحق غلام ما احتلم

إذا الإنسان فُضّ العقل منه ... فما فضل الإناس على النمال؟

فانفع أخاك على ضعف تحس به ... إن النسيم بنفع الروح هباب

لجد بعرف ولو بالنزر محتسبا ... إن القناطير تحوي بالقراريط

تروم رزقاً بأن سموك متكلا ... وأدين الناس من يسعى ويحترف

فإذا ملكت الأرض فاحرم ترابها ... من غرسه شجراً بغير ثمار

إذا فاتك الأثراء من غير وجهه ... فإن قليل الحل أولى وأبرك

القاهرة إلى الصعيد وقد توقف عند محطة بنى مزار . ووجدتنى أخترق بعض شوارع هذه البلدة — والواقع أنى لم أزرها من قبل — ثم أقف أمام بيت أساوم صاحبه فى بيعه ! وبعد قليل كنت أحادث الرجل نفسه عن كتاب له ، وقد تناولته فاحصاً ، ثم رحت أقرأ فيه هذه العبارة : (ويسبق السبق هى المعالى ؛ فإذا لاحظنا الحياة) ، وفجأة استيقظت وأنا أكرر هذه الجملة من الكتاب وأراها بعينى فيه وما كان أشد عجبى حين وجدت أمامى ـ حقيقة ـ هذا السطر من كتاب المرحوم الشيخ طنطاوى : « والناس يتسابقون وقصب السبق هى المعالى ، فإذا لاحظنا الحياة » الخ

وعليه فأكون قد قرأت وأنا نائم الكلمات السبعة الأخيرة من السطر الذى أمامى قراءة صحيحة لم أحرِّف فى أثنائها إلا الكلمة الأولى فجعلتها « ويسبق » بدل « وقصب » فهل معنى هذا أن العين وهى مغمضة تجيد القراءة الصحيحة إلى الحد الذى يعيه العقل ؟

وإذا صح أن أذن النائم تعى أصواتاً حقيقية ، فتختلط هذه الأصوات بأحلامه مع شيء من التكييف — وذلك ما يحدث كثيراً — فكيف يصح أن ترى العين أشياء حقيقية رؤية يعيها العقل ، والعين فى كل ذلك منطبقة ؟ ...

وقد نفترض أن العين لم تكن مغمضة تماماً ، فهل يؤدينا هذا إلى الإقرار بأن الإنسان قد ينام ويرى الرؤى في نومه ، وعينه مع كل ذلك مفتوحة تبصر ؟

محمود عزت عرفة

(جرجا)

ذكرى الإمام محمد عبده

فى يوم الثلاثاء الماضى (١١ يولية سنة ١٩٤٤) احتفل الأزهر الشريف بدار « الإذاعة اللاسلكية المصرية » بذكرى الأستاذ الإمام المصلح محمد عبده . فألقى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء كلمة قيمة عن (الشيخ عبده وطريقته فى التفسير) صدر بها هذا العدد من الرسالة ، وألقى بعده الدكتوران الفاضلان محمد البهى ومحمد باضى — وهما عضوا بعثة الإمام محمد عبده إلى ألمانيا — كلمتين أخريين

وقد سر أهل الفكر والعلم بهذا الاحتفال يهتم به الأزهر ، ويذيعه باسمه على المسلمين فى الشرق والغرب ، لأن فى ذلك وفى الكلمات التى ألقيت ، دلالات على روح جديدة نرجو أن ينتفع الأزهر بها ، وأن تكون عوناً له على بلوغ ما يصبو إليه من آمال إن شاء الله .

(م ...)

فى اللغة

قال الأستاذ على محمد حسن فى عدد الرسالة ٥٧٤ (ولا يفوتنى أن أقول إن الشاعر عبد الغنى حسن له قصيدة فى نفس العدد — ٥٧٣ — وفيها : « تتلاشى على الرمال وتنثر » ولا أعرف فى اللغة « تتلاشى » هذه ...)

قال فى (نهج البلاغة) : وما تلاشت عنه بروق الغمام . قال ابن أبى الحديد : هذه الكلمة أهمل بناءها كثير من أئمة اللغة ، وهى صحيحة وقد جاءت ووردت ، قال ابن الأعرابى : لشا الرجل إذا اتضع وخس بعد رفعة ، وإذا صح أصلها صح استعمال الناس : تلاشى الشىء بمعنى اضمحل . وقال القطب الراوندى : تلاشى مركب من (لا شىء) ولم يقف على أصل الكلمة

وقال البديع الهمذانى فى رسائله : فإن أطفئت بارت وتلاشت . وفى مقاماته : وتلاشت صحتى . وفى معجم الأدباء لياقوت : التفاوت فى تلاشى الأشياء غير محاط به . وفى المثل السائر لابن الأثير : وأوسعها توشية وإذهاباً إذا وسع غيرها تلاشياً وذهاباً . والتلاشى فى كلام ابن خلدون كثير جداً . ووردت اللفظة فى شعر الغزى فى مواسم الأدب ، وفى نقد النثر لقدامة ، وأوردها التاج فى مستدركه وأبو البقاء فى كلياته . وفى تفسير الإمام الطبرى : لما خرج ابن مسعود من الكوفة اجتمع إليه أصحابه فودعهم ثم قال : لا تنازعوا فى القرآن فإنه لا يختلف ولا يتلاشى ولا ينفد لكثرة الرد[1] ...

محمد صفوان

(١) من مقال العلامة النشاشيبى فى مجلة المجمع العلمى العربى (م ١٩ ج ٣) باختصار

ابن جميع لا ابن جميع

كنت نبهت الأستاذ الفاضل الدكتور باول كراوس إلى صواب اسم ابن جميع الطبيب الإسرائيلي على وزن كريم لا على وزن فعيّل بالتشديد

ولكن الأستاذ أصر في مقال آخر له بمجلة الثقافة عدد ٢٨٦ على الإسم الخطأ . فأرجو منه وهو مولع بالتحقيق والتدقيق أن يتقبل هذا التصحيح مرة أخرى من المخلص .

محمد عبد الغني حسن

إلى الأستاذ السيد محمد عزة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد فأشكر لكم حسن ظنكم بي ، وجميل تقديركم لما أكتب في مجلة الرسالة الغراء ، وإن تعليقكم على مقالي في قضية نسب زياد ليدل على ميزة عظيمة في أدب النقد ، وحسن فهم لقضايا التاريخ ، وإني أعتقد أنه لم يفتني ذلك التوجيه الذي أشرتم إليه في هذه القضية ، لأني حينما أنصفت معاوية وزياداً فيما قضيت بذلك على الروايات التي فيها تحامل عليهما ، وكان لتدوينها في عصر العباسيين أثر في ذلك التحامل ، وهذا غاية ما يمكن أن يسلك في تحقيق هذه القضية ، لأننا نجد أنفسنا بعد هذا أمام أمر لا يصح الشك فيه ، وهو أنه كان هناك قضية في نسب زياد ، وأن زياداً كان ينسب قبلها إلى غير أبي سفيان فألحق بعدها بنسبه ، وأن خير توجيه لهذا هو ما روى من اتصاله بأمه على ذلك الوجه من أنكحة العرب في جاهليتهم ، ولا سيما أنه لا يوجد في التاريخ توجيه غيره لذلك النسب ، ولا يقدح في كون سمية من البغايا أنها كانت تحت زوج ، لأن البغي بغي على أي وضع كانت ، ولا سيما في ذلك العهد الذي وصلت الإباحية فيه إلى أبعد الحدود ، وكذلك لا يقدح في عظمة زياد أن ينشأ من ذلك النكاح الجاهلي ، لأن عظمته كانت ترجع إلى شخصه لا إلى نسبه ، ومثل هذا ونحوه من السهل أن يستساغ في التاريخ ، ولا يسهل أن ترد به تلك القضايا الظاهرة

عبد المتعال الصعيدي

الأغوار

(ديوان شعر للأستاذ الأديب المعروف أحمد الصافي النجفي — صدر عن دار المكشوف — بيروت — ١٩٤٤)

باقة يانعة من شعر التأملات والخطرات الفكرية — تقرأه فينقلك من هذه الدنيا الممتلئة بالآلام ... إلى عالم من التأمل الذي لا يورثك غير الآلام أيضاً . . . لكنها آلام لذيذة . . . إنها آلام الإنسانية التي تبكي في كل مكان . . . وتضحك في أمكنة قليلة . . .

لا نريد أن نستطرد ... ففي نيتنا الكتابة الطويلة عن هذه « الأغوار » في فرصة أخرى ، نرجو أن تكون قريبة . . . فتحياتنا سلفاً لشاعرنا الرقيق المحبوب الأستاذ النجفي

مجلة السودان

(أسبوعية — تصدر نصف شهرية مؤقتاً — عمارة إيموبليا شارع شريف — القاهرة) عدد يونية سنة ١٩٤٤

صدر من هذه المجلة الرشيقة عددها الأول فجاء مبشراً بما هو ظننا دائماً بشباب السودان المثقف ، وما هو أمل كل مصري يؤمن بأن السودان هو نصفه الثاني . والعدد حافل بأنباء السودان العزيز وأخبار أعيانه ومرافقه ؛ والمجلة تمثل الجالية السودانية في مصر أصدق تمثيل — ونحن حين نقول الجالية نقصد بها هذا الشباب الشقيق الذي لا يختلف منا ولا نختلف منه ، والذي نكن له أصدق عواطف الأخوة وأنبل مشاعر الوفاء . وقد خصصت المجلة أبواباً للشعر والقصص والسينما والمسرح ، وهي تحرر هذه الأبواب بروح سوداني نرجو أن ينفعنا في تتبع الحركة الأدبية الفنية في السودان . . . ونكرر تهنئاتنا

تصويب

تغيرت في المقال الافتتاحي للعدد الماضي كلمة يتغير بها معنى الجملة كلها ، وهي : « الجزء الذي تستأصل منه خصيته بضمر ولا تنبعث فيه دواعي النماء ، ولا يحدث مثل هذا في أنثاه إذا نزع منها المبيض ... » ، وصوابها : « الجرذ . . . »

12 me Année No. 577

Lundi - 24 - 7 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس محررها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٧٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ شعبان سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٤ يولية سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة		
٦٠١	موضوعات الـكتب ... .. :	الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٦٠٤	أحمد رامى ... ... :	الأستاذ دريني خشبة .. ...
٦٠٦	«داعي الدعاة» مناظر المعرى :	الدكتور محمد كامل حسين . .
٦٠٩	ما هذه الحرب وما وراءها ؟ :	الأستاذ توفيق حسن الشرتوني
٦١١	القرآن الكريم في كتاب « النثر الفني »	الأستاذ محمد أحمد الغمراوى
٦١٤	حول بعث القديم ... ... :	الأستاذ محمد خليفة التونسى
٦١٧	نقل الأديب	الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٦١٨	سلام على أسمهان ! [قصيدة] :	الأستاذ على أحمد باكثير ..
٦١٨	ألزم الألزم من لزوم ما لا يلزم ... . [قصيدة]	لأبي العلاء المعرى ... ...
٦١٩	تفسير الحلم ... . :	الأستاذ عبد العزيز جادو ..
٦١٩	عود إلى وحدة الوجود .. :	الأستاذ زكريا إبراهيم ...
٦٢٠	الفهم والشعر والمال ... ... :	الأستاذ حبيب الزحلاوى ...
٦٢٠	مكتبة نقابة الصحافة ... .. :	... ...

موضوعات الكتب

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتبت منذ أسابيع مقالاً بمجلة « آخر ساعة » عنوانه « أريد من هؤلاء » قلت فيه :

« أريد من زعمائنا أن يشغلوا أوقات فراغهم ، لأن الذى لا يحسن تدبير الفراغ لا يحسن تدبير الأعمال »

ثم قلت : « وندع رجال السياسة والأعمال ، ونلتفت بعض الالتفات إلى طائفة من كبرائنا لهـا في العصر الحاضر عمل لا يغني عنه عمل الآخرين

« إن العصر الحاضر عصر حرب ، وإن مصر قد أصيبت من هذه الحرب ووجب أن تعرف على التحقيق كيف تتعرض لها وكيف يكون الدفاع عنها . وقد ظهر عن معارك العلمين وطرابلس وأفريقية الشمالية ما لا يقل عن خمسين كتاباً في اللغة الإنجليزية ولم يظهر كتاب واحد من رجالنا المختصين بشئون الحرب في هذا الموضوع . وعندنا طائفة غير قليلة العدد من كبار ضباطنا المحالين إلى المعاش ، فلماذا لا يكتبون لنا رأيهم في معركة العلمين وفي خطط القتال الذى دار بين أوكنلك ومنتغمرى وروميل وجرازياني وسائر القواد والضباط ؟ »

وقد عقب على مقالنا هذا الأستاذ عبد الخالق يوسف المحامي

فقال إنه يوافقنا على رأينا ولكن « ذلك لا يمنع من الإشارة إلى المؤلفات التي وضعت في هذا الموضوع والتي كتبها الأديب الملازم الأول السيد فرج » ... وهي تتناول حرب الصحراء المصرية وأفريقيا الشمالية ، وأحاديث أخرى عن الحرب من وجهة عامة

ونحن ، والحق يقال ، قد فاتنا أن نطلع على المؤلفات التي أشار إليها الأستاذ عبد الخالق يوسف حين صدورها ، ثم اطلعنا على بعضها بعد أن نبهنا إليها قراؤها المعجبون بها فألفيناها من الموجزات الوافية بمقاصدها في هذا الموضوع ، وصح أن يقال إن مؤلفها الفاضل قد قام بما يسميه الفقهاء « فرض كفاية » عن الكتاب العسكريين في مصر ، أو الذين كانوا ينبغي أن يحسبوا في مقدمة الكتاب العسكريين

فكتابه عن حرب الصحراء المصرية ملم بمقدمات هذه الحرب وأطوارها واختلاف عوامل النصر والهزيمة فيها ، وقلما اتصلت بهذه الحرب مسألة من المسائل التي تعنى العسكريين إلا كان له إلمام بطرف من أطرافها

كذلك اطلعت في مجلة الجيش على بحوث كثيرة عن الحرب في جميع ميادينها وأطوارها يضارع بعضها أحسن ما نقرأه لخبراء هذه الموضوعات في المجلات الأوربية والأمريكية

ولكننا نرى بعد هذا أن ملاحظتنا الأولى لا تزال قائمة في مكانها ، لأنها متجهة إلى زعمائنا العسكريين وغير العسكريين ليشغلوا أوقات فراغهم بدراسة الموضوعات التي لا يغني فيها غيرهم ، وليس ظهور الكتب والفصول في هذا الصدد مما ينفي عن زعمائنا في مختلف ميادين الحياة أنهم متى فرغوا من العمل لم يشغلوا هذا الفراغ كما يشغله أمثالهم في البلاد الأخرى

ولا تزال ملاحظتنا الأولى قائمة من وجه آخر وهو الابتداع والإنشاء في درس شئون الحرب التي تمس البلاد المصرية من قريب

فالصحراء الغربية مصرية قبل كل شيء

ومن الواجب أن يكون علم المصريين بها وتنقيبهم على أساليب الدفاع والهجوم فيها هو العلم الأصيل الذي يرجع إليه الخبراء من أمم العالم بأسره ، وأن يكون بين أيدينا اليوم كتب شتى عن الغزوات التي تعرضت لها مصر غرباً من بداية التاريخ إلى هذه الأيام ، وأن تدرس هذه الغزوات دراسة عصرية كما يدرس الأوروبيون غزوات هانيبال وأتيلا في بلادهم ليعلموا منها عوامل الضعف والقوة في الدفاع والهجوم على حسب اختلاف العصر والخطة والسلاح

فأين هو الكتاب المصري الذي يحقق لنا غزوات الليبيين لحدودنا الغربية ؟ أو غزوات قواد الرومان ثم الفاطميين لتلك الحدود ؟

وأين هو الكتاب المصري الأصيل الذي يحقق لنا المصادفات والمفاجآت والعوارض المنتظرة وغير المنتظرة مما حدث في أرضنا وتخومنا ونحن أحق الناس أن نعرف كل صغيرة وكبيرة عن تلك الأرض وتلك التخوم ؟

ليس لي شأن بالمسائل العسكرية في ناحيتها الفنية ، ولكنني أعلم أن نيابتي عن الصحراء الغربية كلفتني أن أراجع كل ما تيسرت لي مراجعته عن تاريخها وتاريخ الغزوات الأجنبية فيها ، وكان الشائع أن النفاذ منها في جميع وجهاتها مستحيل أو قريب من المستحيل ، ولكنني تبينت أن الاطمئنان إلى هذا الرأي باب من أبواب الخطر الشديد وكتبت في هذا المعنى منذ ثلاث سنوات رداً على المؤكدين لهذه الطمأنينة أقول إن الحيطة واجبة في الشواطئ المصرية وإلا فالنفاذ منها ليس بالمستحيل ، وإن كان عسيراً بالغاً في العسر أقصاه . وبيان هذا من رجال عسكريين أدعى إلى الثقة ووضوح الحقيقة بالحجة الفنية التي تعوز الغرباء عن هذه الفنون

وقد كان هذا النقص في خاطري يوم أردت من زعمائنا العسكريين أن يتداركوه وأن يسقطوا عن كاهلهم هذه الفريضة التي لا تلقى قبلهم على كاهل أحد من الناس

والذي نرجوه أن يتحول فرض الكفاية الذي قام به بعض ضباطنا الشبان إلى « فرض عين » يقوم به كل قادر عليه ، وهل ينبغي أن يقدر عليه أحد قبل ضباطنا العظماء ؟

***

ويستطرد بنا الكلام عن الكتب وموضوعاتها إلى بدعة مضحكة تروج على بعض الألسنة التي لا تمل الاقتراح ولا تقترح

إلا غير ما تراه ، وخلاصة هذه البدعة أن الكتابة عن أبطال التاريخ ممنوعة وأن الأدباء يجب أن ينحصروا فى الحاضر الذى هم فيه

وقد رد صديقنا الأستاذ المازنى على هذه البدعة فى مقال له بالبلاغ عن كتابنا « عبقرية خالد » فقال : « هل يراد ترك القديم جملة ؟ إن تاريخ الأمم كالذاكرة للفرد ولا ندرى كيف يعيش إنسان بغير ذاكرة ولا كيف تحيا أمة تجهل ماضيها وترى أن تدفنه وتهيل عليه التراب »

ثم اطلعنا فى مجلة الإثنين على كلمة بعنوان « المستقبل لا الماضى » يعيب فيها كاتبها الأديب أن يتكلم الناس عن على وعثمان وموقف أبى موسى الأشعرى من التحكيم ، ثم يقول إنه لا يريد هذا « ولكننا نريد أن نعرف ماعسى أن يصنع ١٧ مليون مصرى ٩٥٪ منهم فقراء معدمون . نريد أن نعرف ما هو مستقبل الوطنية الصحيحة فى مصر وما هو مركز الاستقلال الحقيقى فى هذا البلد . نريد أن نعرف هل الأفضل لمصر أن تبقى زراعية فتعيش فى الذل والاستعباد أم تجمع بين الزراعة والصناعة ليرتفع مستوى الحياة فيها ويسمو ... »

إلى آخر ما يريد أو يريدون

والظريف أن يصدر هذا من محرر « الإثنين » وهو يعلم أن العام ينطوى وقد استنفدت المطابع من صحف المجلات عشرة آلاف صفحة فى توافه المتبطلين والمتبطلات من رواد المراقص والمحافل وميادين السباق ، ثم يستكثر بعد هذا بضع مئات من الصفحات على سيرة خالد بن الوليد أو عثمان بن عفان أو إنسان من ذوى الذكر كائناً من كان !

ويظن الكاتب الظريف أن (التقاليع) الأمريكية تنفع هنا كما تنفع فى أخبار المجالس والأندية وما وراء الستار وما أمام الستار

والتقاليع الأمريكية لا تنفع فى هذا الباب

لأنه يصح أن يذكر أن انتشار الزراعة أو الصناعة وما شابه ذلك من نظم الثروة وتوزيعها أمور فنية لها قوم مختصون بها ، هم الاقتصاديون والزراعيون وخبراء المال والنقد والمصارف والشركات ، ودخول الأدباء فى هذه المباحث افتيات على « وظيفة » أصحابها وتعطيل لعملهم الذى هم أحق الناس أن يلتفتوا إليه

ويصح أن يذكر أننا تناولنا من مسائل العصر الحاضر أهمها وأولاها بالالتفات والتحقيق وهى مسألة النهاية التى تصير إليها الحرب الهتلرية ، كما أوضحنا حقيقتها فى كتابنا (هتلر فى الميزان) . ولم تكن هذه المسألة غريبة عن مستقبل الوطنية فى مصر ولا عن مركز الاستقلال الحقيقى فيه ، ولكنها غريبة عن عقول طمسها الله ، فحمات من التبعات التى تجهل مداها ما تنوء به كواهل الأجيال

ويصح أن يسأل نفسه بعد هذا سؤالين وهما : ما هو الوقت الذى يسقط فيه حق التأليف بمضى المدة ؟ أهو خمسون سنة أو مائة ، أو عشرة أسابيع أو عشرة شهور ؟

وأين هى الأمة التى ليس لها حاضر ولا مستقبل ؟ ولماذا لم توجد أمة قط تركت الكتابة عن الماضى ولها حاضرها ومستقبلها فى كل دقيقة من الزمان !

فسنة ١٩٤٤ ليست هى الحاضر الوحيد الذى خلقه الله ، وسنة ١٩٤٤ ليست هى السنة الوحيدة التى اشتغل فيها الناس بمعيشتهم وبحثوا عن أسعار الخبز واللحم والقمح والقطن والشعير سنة ١٩٤٤ فى هذا كسنة ٩٤٤ وكسنة ٩٤ وسنة ١٩٤٤ قبل الميلاد

كل سنة من هذه السنين يا أخانا هى وقت حاضر ، وهى سنة يأكل فيها الناس ويشربون ويهتمون بأسعار اللحم والخضر وبمسائل الفقر والغنى ، وبمستقبل الصناعة والزراعة ، أو ما شابه الصناعة والزراعة من مصادر الأرزاق

ومع هذا لم ينقض « عصر حاضر » قط حرمت فيه الكتابة عن الماضى البعيد أو الماضى القريب

ولم ينقض عصر حاضر قط شغل فيه الأدباء بواجب الخبراء الاقتصاديين والماليين والزراعيين ، مع أنهم لم يبلغوا من قبل ما بلغوه الآن من الكثرة والافتنان والتوسع فى الاختصاص ...

فلماذا يمتنع على الأدباء فى سنة ١٩٤٤ وحدها أن يكتبوا فى الأدب والتاريخ ، ويجب عليهم أن ينازعوا المختصين فى الشؤون الاقتصادية وهم كثيرون أكفاء ميسر لهم سبيل البحث فى هذه الشؤون ؟

١ – أحمد رامي

للأستاذ دريني خشبة

حاولت أن أكتب عن أحمد رامى غير مرة ، فكان الشعر يغازل قلمى ، وكانت الدنيا كلها تمتلئ بالغناء والموسيقا من حولى ، وكانت ترجمته تجتمع فى خيالى نشيداً طويلاً تاماً متسق الألحان متنوع النغم ، يضرب العقاد فى مثانيه من هنا ، والقصبجى فى مثالثه من هناك ، وبقية السادة النُّجُب ، أفراد التخت الموقر الخالد من فوق ومن تحت ، يلوِّنون ويفتنون ، والصوت الإلهى المقدس يشيع فى اللحن فيرف به فى القلوب ، ويملأ به المشاعر ، ويطوف به على العذارى والمحبين والمكلومين ، فيبطب للكبد الحرَّى ، ويأسو الفؤاد المحترق ، ويكفكف الدمع فى المقلة المؤرقة ، ويرطب اللسان الظامئ ، والفم الغرثان ، بالأغانى الصامتة ، والآهات الخافتة ، فيتسلى محب ، ويرق حبيب

وكنت فى كل مرة أستغنى بهذا الخيال الجميل الحلو عن الكتابة ، لأنه خيال روحى حى تمسخه الكلمات ، وتزيفه تراكيب الجمل ، ويُضَنُّ به على هذا الهراء الذى يسمونه التحليل فى عالم النقد ، وأسميه التزييف فى دنيا الجمال ...

يتهمنى كثير من إخوانى القراء بأننى أسخو فى ثنائى على الشعراء الذين أختارهم للكتابة عنهم ، وابتسم لى الأستاذ الزيات مرة وأوصانى بالاقتصاد فى هذا الثناء ؛ فمن عذيرى إذا لم أجد مندوحة عن الثناء على رامى ! ... رامى الذى أغرم العالم العربى كله بأغانيه ، فأنصت إليها ، وتغناها ، وهتف بها ، وداوى بسحرها آلامه ، وأروى بسلسالها أُوَامَه ، وجعلها مشرع حبه ، وترنيمة وجده ، وتعلة هواه

من منا أيها الإخوان لم يخل إلى نفسه فوجدها تردد أغانى رامى؟ ترددها راضية وترددها محزونة ، وترددها مشوقة وترددها هائمة وترددها فرحة مرحة طروباً ! مَن مِن أبناء هذا الجيل لم يملأ رامى عشرين عاماً من عمره السعيد المديد بما يمتلئ به قلبه من شعر وغناء ومحبة ؟ من منا لم تسحره منظومات رامى التى أودعها أسرار قلبه ، وسقاها مُنْهَلَّ دمعه ، وخلط بها دمه ونجوياته وأمانيه ؟ !

إن المعرفة الإنسانية يا أخانا ليس لها زمان

وإن النفس الإنسانية يا أخانا ليس لها زمان ، وليست هى من « مودل » سنة ١٩٤٤ دون ما تقدمها من السنين

فإذا كشف الكاتب حقائق المعرفة الإنسانية أو حقائق النفس الإنسانية فى سيرة خالد بن الوليد ؛ فهو قد كشف الحقيقة التى تبقى ألف سنة وألفى سنة بعد اليوم ، بل تبقى ما بقى الإنسان ونفس الإنسان ، يوم تكون مساحة الأرض الزراعية وعدد الآلات الصناعية فى سنة ١٩٤٤ عدماً فانياً ، كأنه لم يخلقها الله قط فى عالم الوجود

يصح أن يذكر الكاتب الظريف هذا كله ، ويصح أن يذكر معه أن إحياء الروح العربى والقومية العربية فى عصرنا هذا موضوع لا يجيء اليوم فى غير موعد ولا على غير أوان

انجلترا والولايات المتحدة تتحدث بالجامعة السكسونية ، وهى القوية الغنية عن الجامعات

والروح العربى لازم جداً فى هذا العصر ، لأن المذاهب الهدامة التى تهدد مستقبل الآدمية كلها تأبى أن تكون للأمم نخوة قومية ، أو نخوة لغوية ، أو نخوة دينية ، ولا تريد من الناس إلا أن يكونوا نقابة أجراء تشتغل بأسمار السوق وأحاديث الخضر واللحوم

ولهذا نحن نكتب عن خالد بن الوليد وعلى بن أبى طالب وعمرو بن العاص ، وكل بطل من أبطال التاريخ

وإذا فرغنا من كتبنا التى ندرسها الآن فأحب شيء إلينا أن نبحث عن بطل مضت عليه خمسة آلاف سنة لنخصه بالتقديم والتفضيل ، ونعتقد أن تقديمه وتفضيله أعون على التعريف بنفس الإنسان من أبطال العصر الحاضر ، لأن الناس يستغربون ما مضى من الأجيال ؛ فإذا رفعنا عنهم الغرابة كان هذا أدعى إلى التعريف بحقائق الإنسان

سنكتب عن هذا وأمثاله ما شئنا نحن أن نكتب فيه ، وشيء واحد لن نكتب عنه طال عليه الزمان أو قصر ، وهو الموضوع الذى يمليه علينا أعداؤنا الماركسيون مستترين أو مصرحين ، وهم فاهمون ونحن فاهمون

عباس محمود العقاد

إن رامى العظيم الخـالد ، هو ذلك النبع الأول الصافى ذو الخرير ، الذى تفتأ الحائم الوُرق تحوّم من فوقه وتهوى إليه ، لتحسو من صفحته الحسوة والحسوتين تبل ظمأ وتشفى جُواداً ، ثم تسكن إلى الأفنان لتملأ الدنيا هديلاً ، وتبشر المحبين برسالة رامى ... رامى الذى يقول منذ ربع قرن :

تغلغل الحب فى فــؤادى   تغلغل المـاء فى الغصون
وأرسـل الحسن فى قريضى   من نوره الواضـح المبين
فجاء أحـلي من الأمانى   يَبسمن لليائس الغبين
وجاء أشجي من الأغانى   نَدَين بالوجـد والحنين
يا ريشة الوهم صـوّرى لى   فى صـفحة الخاطر الحزين
ما جف من يانع جَنَىَّ   وغاض من سلسل مَعِين
ويا طيور الخيال خـفى   فى دولة الليـل والسكون
وابـكى فضاء صـدرى   ورجّعى من صدى أنينى
ورفرفى فى على فائت تقضّى   ترفضّ من ذكره شئونى

ويخيل لى ، وأنا أردد هذا الشعر الجميل من شعر رامى الذى حفظته منذ ذلك العهد ، أن أحداً من الناس لا يستطيع أن يكتب عن رامى دون أن يغازل الشعر قلمه كما يغازل قلمى الآن .

وللكتابة عن الشعراء الممتازين أو الأدباء الممتازين خطط متنوعة سهلة كلها ، يسير على المؤرخ أو الناقد ... ولعل أصعب هذه الخطط وأشدها عسراً على الناقد أو المؤرخ ، هى تلك التى يغازل الشعر فيها قلمه ، فلا يدعه يقول ما يريد ، ولا يتركه يسير فى تلك السبل السهلة المعبدة التى سار فيها الكتاب قبله . فيبدأ بكلمة عن نشأة الشاعر والبيئة التى أرضعت بلبانها خياله وغذت بثمارها وجدانه ، وسلطت ظباءها وألوانها وأضواءها على قلبه تنوشه وتطبع على شغـافه الأحمر والأصفر والوردى والبنفسجى ، وتضوّئ سويداءه استعداداً لتلقى وحى السماء ... ثم يتناول بعد ذلك الظروف التى هيأت للشاعر قول الشعر ، ومما يتردد فى تلك الظروف من غزل ونظر ودعابة ، تنقلب آخر الأمر إلى قلب يرتجف ولسان يتلجلج ، ودمع يترقرق وعين مؤرقة ، وكبد محترقة وخيال كامل شامل يتسع للأرض والسموات ، ويد تتناول القلم ، هذا المخلوق العجيب ، فتسجل الآيات البينات ، ترسلها كلاماً موسيقياً موزوناً حافلاً بالمعانى الفريدة ، ثم يفرغ — أى الكاتب أو المؤرخ — إلى شعر هذا الشاعر ينقده ويزنه ، ويظل يقول لك هذا جيد وهذا ردىء ، وذلك متوسط ، وذاك غامض ، وتلك الفقرة لا معنى لها ، وهذا الشطر لا خير فيه ، حتى إذا كنت قد كونت لنفسك رأياً فى الشاعر قبل أن تقرأ هراء الناقد . وحتى إذا كنت قد أغرمت بشعره ، ورضيت عن طرائقه وموضوعاته ، تسلمك لناقد المحترم بآرائه فلا يدعك حتى تنفى نفسك ويتقزز خيالك ، وتمسخ الصورة الجميلة الرائعة الحبيبة فتصبح هولة أو سعلاة ...

أما الخطة التى يغازل الشعر فيها شباة القلم ، فلا تتأتى إلا إذا كانت ثمة صلة روحية بين الشاعر والناقد . ولقد أراد المرحوم الأستاذ صادق عنبر أن يكتب كلاماً ما يجمله مقدمة لديوان رامى ، فلم يستطع أن يقول شيئاً . ولكنه كتب سطوراً جميلة ، يحمل كل منها بيتاً منثوراً من الشعر ، لا يصله بالبيت السابق ولا يربطه بالبيت اللاحق سبب من الأسباب ... وإليك نموذجاً من أوائل هذه الأبيات :

عرفته فتياً يخف للشعر ويجتمع له ... الخ

وعرفته وقد لبس الشباب ، وإذا شمائل مرجوة المخايل ...

ثم عرفته شاعراً غزلاً يشبه أن يكون كالبهاء . فى الضحك والبكاء ...

وإنك لتراه ، فتقرأ شعره فيه ... وتقرأ له فتراه فى شعره ، لقد رق مزاج شعره ، وعذب على النفس اطراده ...

ويندر أن تلقاه إلا باكياً أو ضاحكاً ... فإذا بكى ... وإذا ضحك ... وهكذا إلى آخر الصفحات الثلاث التى قدم بها للجزء الأول من ديوان رامى الذى يشمل شعر صباه بين سنتى ١٩١٦ ، ١٩١٧

وأنا والله أعذر المغفور له الأستاذ عنبر وأطلب له من الله الرحمة ، فرامي من الشعراء الذين تصعب الكتابة الموضوعية عنهم ، وقد غازل الشعر قلم عنبر كما يحاول أن يغازل قلمى الآن ، وكما غازل قريحة شوقى — رحمه الله — حينما قدم للجزء الثانى من ديوان رامى بأبيات ثمانية يقول فى أولها :

ديوان رامى تحت حاشية الصبا   عذب عليه من الرواة زحام
بالأمس بل صدى النهى وسَنيُّه   واليوم للتالى الولى سجام
شعر جرى فيه الشباب كأنه   جنبات روض طلهن غمام
فى كل بيت مجلس ومدامة   وبكل باب وقفة وغرام

والبيت السابع

أما زهير فقد سما (هرم) به   ولتسمون بشعرك الأهرام ...

على هامش ذكرى المعرى

«داعى الدعاة» مناظر المعرى

للدكتور محمد كامل حسين

— ٢ —

اتجه المؤيد إلى مصر حيث إمامه الفاطمى ، ومقر الدعوة التى كان يدين بها ، وفى طريقه كان يحدوه أمل باسم مشرق بما سيلقاه فى مصر من تقديم وتكريم لما قام به من جهود فى سبيل الدعوة وعلو كعبه فى علوم المذهب ، فقد كان إليه المرجع في عويص مسائله ، حتى أن داعى الدعاة الأكبر كان يرسل إليه يسأله ويستوضحه فى بعض المشاكل المذهبية ، لهذا كله بنى لنفسه فى الخيال قصوراً شامخة ، وعلا به خياله إلى الوصول أعلى المراتب ، ولكن هذا الأمل كانت تغشاه أحياناً سحابة مظلمة تطغى على فكره فتهدم مابناه خياله وتهبط به إلى الحضيض ، فبالرغم من اعتناق المؤيد للمذهب الفاطمى ، وبالرغم من شدة احترامه لإمامه حتى درجة التقديس كان المؤيد يعلم أن السلطة الحقيقية فى مصر ليست بيد الإمام إنما كانت بيد أم الإمام ، أو بمعنى آخر كانت بيد التسترى وكيلها ، ولم يكن التسترى يأبه بشئون الدعوة الفاطمية بقدر ما عنى بتركيز سلطانه وسطوته ، نخشى المؤيد أن لا يجد فى مصر ما كان يطمح إليه ، وكاد هذا التفكير يثنيه عن المضى فى رحلته إلى مصر ولكنه نظر حوله فلم يجد مكاناً يأوى إليه آمناً على حياته سوى مصر فمضي إليها حتى دخلها سنة ٤٣٧هـ . وذهب إلى دار الخلافة حيث قابل الوزير الفلاحى الذى رحب بمقدمه وأكرمه وأمر بأن تجهز له دار وصفها المؤيد بقوله : « فأخذونى إلى دويرة كانت فرشت لى هى من الكرامة فى الدرجة الوسطى من الحال ، لا بالإكثار ولا من الإقلال » وسمع الناس بمقدمه ، فتوافدوا على داره للترحيب به ونصحوه بالاتصال بالتسترى . فذهب المؤيد إليه ،

وإذا استثنينا البيت الثالث من هذا الكلام العجيب ، طلبنا من الله لشوقى الرحمة ، كما طلبناها للأستاذ عنبر ...

ولعل أصدق كلمة قيلت فى شعر رامى هى تلك التى كتبها حافظ — رحمه الله — يحيى بها هذا الجزء الثانى الرائع من ديوان رامى ، الذى يجمع شعر صباه أيضاً (١٩١٨ — ١٩٢٠) . قال حافظ :

« أدمنت النظر فى شعر رامى ، فإذا به من ذلك النوع الحسن الذى يعجزك تمايل حسنه . تسمع البيت منه فيشيع الطرب فى نفسك قبل أن تعلم مأتاه ، وقبل أن يتطلع العقل إلى إلى فهم معانيه . ذلك هو شعر النفس ، وهو أرق مراتب الشعر

ورامى شاعر موفق الشيطان إذا تغزل أو وصف ، رقيق حواشى الألفاظ ، بعيد مرامى المعانى ، يقول الشعر لنفسه ، وفى نفسه ، فإذا جلس إليه ، وسنح له المعنى العصرى ، تخير له اللفظ السَّرِى

وهو كثير الاعتماد على نفسه فى شعره ، فلا يتسلق على كلام غيره ، وأثر ذلك بيّن فى غزله ووصفه ، فقد نحا فيهما منحى عصرياً جديداً ، أكرمهما فيه عن عنجهية البداوة ، وركاكة أولئك الذين تصدوا لقرض الشعر ، فوضعوا أمامهم مشقاً من الشعر الغربى ، وترجموا معانيه ، ولكن إلى ألا لغة ، فجاء أسلوبهم يرتضخ أعجمية ، وأسلوب رامى يتدفق عربية . فديوانه سلوة العاشق ، ونزهة المتأمل »

وحافظ رحمه الله صادق جداً فى معظم هذه النظرة السريعة المركزة فى شعر رامى ، وإن ظلمه بقصر نبوغه على الغزل والوصف ، إذ عبقرية رامى عبقرية متعددة النواحي ، إذا جاء الغزل وأشعار الغرام فى أولها ، لم يأت شعر الوصف فى المرتبة الثانية مباشرة ، بل سبقته ألوان زاهية زاهرة من شعر رامى .. فى مقدمتها ذلك الشعر الإنسانى الرفيع الذى سوف نتحدث عنه بعد أن نذكر لك هذا الكلام الذى جرى الكتاب على إثباته والذى نعرف أكثره ؛ فنذكر أن رامى ولد بالقاهرة سنة ١٨٩٨ ، أى فى السنة التى عرفنا أن أخانا الشاعر المحبوب « ناجى » ، وأن شاعرنا الجليل الموهوب « عزيز أباظة » قد ولدا فيها . وأن والده كان طبيباً كبيراً معروفاً ، وأنه تخرج فى مدرسة المعلمين ، ثم زهد فى حرفة التدريس ففرغ لقرض الشعر مستعيناً براتبه الحكومى ومنصبه فى دار الكتب ، وما تدره عليه أغانيه ودراماته الشعبية من ربح حلال لا أظن أنه ينتفع بمعظمه ، وإنما ينتفع به البائسون والمحتاجون ...

(يتبع) دريني خشبة

وبالغ التسترى فى إكرامه ووهبه الأموال والخلع ، وأخذ يعده ويمنيه بل أراد أن يختص بالمؤيد دون غيره من وجوه المصريين ، ولكن هذه الوعود كانت كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء فلم يف التسترى بما وعد بل كاد للمؤيد ومنعه من مقابلة إمامه المستنصر ، وزاد الطين بلة أن بعض المغرضين سعوا بالفساد بين المؤيد والتسترى ، وخوفوا التسترى من وجود المؤيد وقالوا له : « كيف تطوع لك نفسك أن تأخذ هذا الرجل الأعجمى المقام الذى أنت مخصوص به ، وما يؤمنك أنك إذا أدخلته أخرجك وإذا قدمته أخرك ، وهو أبسط منك لساناً وأقوى جناناً ، وهو يدل بعزة الإسلام والتخصيص بالدعوة والخدمة » فكان لهذا الكلام وأمثاله أثر فى نفس التسترى الذى قلب للمؤيد ظهر المجن وأوعز لبعض حاشيته للتحرش بالمؤيد حتى ضاق المؤيد ذرعاً ، كان يلتفت حوله فلم يجد له ناصراً ولا معيناً حتى الوزير الفلاحى لم يستطع مساعدته ومؤازرته فى هذا الوقت ، وهنا أجد فى سيرة المؤيد التى كتبها عن نفسه صورة دقيقة لحالة رجال مصر فى هذا الوقت ، ولا سيما لهؤلاء الذين يتنافسون للوصول إلى الحكم وإلى المؤامرات التى كان يدبرها بعضهم لبعض التى أدت إلى اضطراب البلاد ، والغريب أن يصدر هذا الكلام من رجل خدم الدعوة الفاطمية وأشاد بذكر الفاطميين وفضائلهم ونهكم بخصومهم ، ومع ذلك كله كان المؤيد فى سيرته مؤرخاً صادقاً صور حالة مصر كما هى دون تحيز لإمامه أو خوف ممن تناولهم من معاصريه ، فقد كانوا جميعاً يخشون ازدياد نفوذ المؤيد فعملوا جميعاً على الإيقاع به . لذلك فكر المؤيد فى الخروج من مصر بل استمد فعلاً للرحيل ، ولكن التسترى خاف من المؤيد إذا خرج من مصر فمنعه من الرحيل ليكون تحت رقابته ورقابة عيونه ، فاضطر المؤيد أن يكشف القناع عن هذا الرجل وأن يهجو التسترى فى كل مناسبة تتاح له ، فبسط فيه لسانه فى المجالس والأندية دون خوف أو وجل إلى أن قتل التسترى سنة ٤٣٩هـ

وصفا جو مصر للوزير الفلاحى الذى كان يعطف على المؤيد بعض العطف . لذلك نراه يسمح للمؤيد بمقابلة إمامه المستنصر . وتمت هذه المقابلة فى آخر يوم من شعبان سنة ٤٣٩ ؛ وهنا أترك للمؤيد وصف مقابلته الأولى لإمامه : « وكنت فى مسافة ما بين السقيفة الشريفة والمكان الذى ألمح فيه أنوار الطلعة الشريفة النبوية ، فلم تقع عينى عليه إلا وقد أخذتنى الروعة وغلبتنى العبرة وتمثل فى نفسي أنى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) ماثل ، وبوجهى إلى وجهيهما مقابل ، واجتهدت عند وقوعى إلى الأرض ساجداً أن يشفعه لسانى بشفاعة حسنة بنطقه ، فوجدته بعجمة الهابة معقولاً وعن مزية الخطابة معزولاً ، ولما رفعت رأسى وجمت على نوبى للقعود ، وجدت بناناً يشير إلى بالقيام ، فقطب أمير المؤمنين خلد الله ملكه وجهه عليه زجراً على أننى ما رفعت به رأساً ، ولا جعلت له قدراً ومكثت بحضرته ساعة لا ينبعث لسانى بنطق ولا يهتدى لقول ، وكلما استرد الحاضرون منى كلاماً ازددت إحجاماً ولعقبة العى اقتحاماً وهو خلد الله ملكه يقول : « دعوه حتى يهدأ أو يستأنس » ، ثم قمت وأخذت يده الكريمة فترشفتها وتركتها على عينى وصدرى ودعيت وخرجت »

وعين المؤيد بعد ذلك حاجباً على باب المجلس الذى يدخل منه إلى أم الخليفة المستنصر الفاطمى ، حتى يكون على صلة دائماً بإمامه ، وقنع المؤيد بهذا العمل المتواضع لا لشىء إلا لأنه سيكون على قرب من الإمام ، ولكن اليازورى خليفة التسترى ، خشى مغبة اتصال المؤيد بالمستنصر فعزله بعد ثلاثة أشهر واشتدت نكبة المؤيد بقتل الوزير الفلاحى وتولية الجرجرانى الوزارة بعده ، فقد كان هذا الوزير الجديد يخشى على مركزه وسطته من المؤيد ، فعادت إلى المؤيد سيرته الأولى من كثرة الأعداء حوله وعن ذلك يقول المؤيد « وتحيرت فى شأنى لا أفتح عيناً إلا على عدو ، ولا أرى فى جهة من الجهات إلا ضمير سوء » : فصمم المؤيد على السفر من مصر ، وبلغ اليازورى ذلك فاستدعاه وأقنعه بالعدول عن عزمه ، فظن المؤيد أن هذا التبليغ بإيعاز من المستنصر فاضطر إلى الخضوع ، ولا سيما وقد أصبح اليازورى الداعى الأكبر ، وكان اليازورى ، كما وصفه المؤيد رجلاً عطلاً من المواهب التى تؤهله لرتبة الدعوة ؛ فأراد المؤيد أن يتقرب إليه وأن يصلح علاقته معه ، فاتفقا على أن يضع المؤيد المجالس والمحاضرات التى يقرؤها داعى الدعاة عادة كل يوم خميس على أتباع المذهب ، واجتهد المؤيد فى تحسين وتجميل هذه المحاضرات حتى

يعلم اليازورى أن المؤيد قد أخلص الخدمة له ، واستمر الأمر على هـذا المنوال مدة طويلة كان اليازورى يلقى المحاضرات التى كتبها المؤيد وكأنهـا من إنشائه حتى ولى اليازورى الوزارة سنة ٤٤٢ ، فلم يشك الناس فى أن أمر الدعوة صار إلى المؤيد ، دون غيره ، ولـكن خاب فألهم إذ ندب لهـا أحد بنى النعمان واعتذر اليازورى للمؤيد بكلام خفف آلامه بعض الشىء ووعده وعداً حسناً ، وانتظر المؤيد الوفاء بهذا الوعد ، ولـكنها لحقت بالوعود الأخرى ، فاشتد حنق المؤيد ، وأرسل إلى الوزير يهجوه ، فتوعده الوزير وهدده ، والمؤيد كعادته لم يأبه بوعيد ولم يخش من تهديد ، فاستمر فى حملته ضد الوزير وانقطع عن لقائه سبعة أشهر إلى أن كانت ثورة بنى قرة وانتصار الجيش فى قمع هذه الثورة سنة ٤٤٣ وسارت الوفود لتهنئة الوزير ، فألح أصدقاء المؤيد عليه أن يذهب معهم للوزير ، ففعل مرضاة أصدقائه ، وسر الوزير لقدومه وعينه بعد ذلك رئيساً لديوان الإنشاء وضاعف فى رزقه فتحسن حاله ومع ذلك كانت أحواله مع اليازورى بين الرضى والغضب ، وكل ذلك مرجعه إلى طموح المؤيد وطمعه فى الوصول إلى درجة داعى الدعاة

ظل المؤيد صاحب دار الإنشاء فى مصر إلى أن سمع بدخول طغرلبك التركمانى مدينة الرى سنة ٤٤٦ ، وبحكم عمله بدار الإنشـاء علم بأن البيزنطيين اتفقوا مع السلجوقيين لغزو أملاك الفاطميين فى الشام وأعالى الجزيرة ، فعمد المؤيد إلى المـكر والخديعة ، فـكاتب الـكندرى وزير طغرلبك وكاتب غيره ممن توهم أنهم على اتصال بالسلجوقيين ، واجتهد فى أن يستميلهم جميعاً للمذهب الفاطمى وإلى مساعدة الفاطميين ضد البيزنطيين والعباسيين ، وكان يرمى بذلك إلى هدفين ، إما أن ينجح مسعاه ويدخل القوم فى الدعوة الفاطمية أو أن تصل إلى مسامع الخليفة العباسى أمر هـذه المـكاتبات ، فلا يطمئن إلى طغرلبك وصحبه ويحاربه ليبعده عن أملاك الدولة العباسية ، ولـكن جيوش طغرلبك زحفت إلى العراق وخطب له على منابر بغداد سنة ٤٤٧ ، وسمع المؤيد بهروب البساسيرى من بغداد خوفاً من التركمانية ؛ فانتهز المؤيد هذه الفرصة وكاتب البساسيرى ووعده بالأموال والسلاح ليحارب السلجوقيين باسم الفاطميين ، ومن الطبيعى أن يرحب البساسيرى بالعمل باسم الخليفة الفاطمى وأرسل إلى المؤيد بذلك ، فذهب المؤيد إلى الوزير اليازورى وأطلعه على هذه المـكاتبات فوافقت هوى الوزير ، واستعد الفاطميون فى تجهيز الأموال والخلع والسلاح التى وعدوا بها البساسيرى ، ولـكن اليازورى لم ينس للمؤيد تصرفه هذا بدون استشارته فى أول الأمر ، وانتهز هـذه الفرصة لاقتلاع المؤيد من مصر لازدياد نفوذ المؤيد فى البلاد ؛ فقد اكتسب المؤيد فى هذه الفترة الطويلة احترام وحب عدد كبير من المصريين وخاصة بعض حاشية الإمام المستنصر . لذلك نرى اليازورى يعهد إلى المؤيد أن يكون على رأس الركب المسافر بالأموال والخلع ؛ فاعتذر المؤيد وأدرك من توه ما كان يجول بخاطر اليازورى ، ولذلك كان يقابل مكر الوزير بمكر أشد منه وأقوى ، حتى كاد اليوم الذى حددوا فيه السفر تمسك الوزير بأذيال المؤيد ، وأخذ يستعطفه ويلح عليه بأن يتولى توصيل الأموال إلى البساسيرى ، والمؤيد يمعن فى الرفض كما أمعن الوزير فى الإلحاح ، حتى اضطر الوزير أن يقول للمؤيد : « افتقرنا إليك وافتقرت الدولة والإسلام والمسلمون ، وديانتك تقتضى أن تصرخ صريخهم وتجير مستجيرهم » . فسخر المؤيد من كلامه هـذا ، وأجابه متهكماً : « سبحانى سبحانى إن كنت بهذه المثابة ومحلاً لهذه المخاطبة ! » ولـكن الوزير ازداد إلحاحاً واشتد دفع المؤيد ، وأخيراً قبل المؤيد أن يتولى هذا الأمر بشرط أن يخرج توقيع الإمام المستنصر بأن لا يوجه إليه لوم لو فشل فى مهمته ؛ فأجيب إلى ذلك وصدر التوقيع وبه الإنعام على المؤيد بخلع الوزارة ، ودعى المؤيد للبسها ولـكنه رفض ، واعتذر عن ذلك مفضلاً أن يظل فى زى أهل العلم

وأخذ الركب فى السير بين جلبة عظيمة ، والناس فى عجب من أمر المؤيد الذى قبل السفر فى هذه المهمة الشاقة ؛ فقد كان مقدماً على خطر جسيم وعمل لا يستهان به ، وهو قلب نظام الحكم فى العراق وإسقاط الدولة العباسية . والغريب حقاً أن يطلب المؤيد ألا يصطحب معه جنداً واكتفى بما معه من خزائن المال والسلاح

تجاوز الركب حدود مصر فى طريقه إلى الرحبة ، وكان اليازورى قد نصح المؤيد بالابتعاد عن ابن صالح المرداسى صاحب حلب ، لأنه نقض عهد الفاطميين واستقل ببلاده ، فصار عدواً للفاطميين بعد أن كان تابعاً لهم ، ونصحه كذلك أن يصطنع عدداً من الكلبيين ليحاربوا مع البساسيرى ، فكانت هذه النصائح موضع تفكير المؤيد طول سفره ، حتى بلغ دمشق

ومكث ليستريح قليلاً ، نراه يكاتب ابن صالح ويعرض عليه العودة إلى الدعوة الفاطمية ، بل يطلب منه مساعدته في حروب العباسيين ، وأخذ يعد ابن صالح في كلام طويل أثبت المؤيد نصه في سيرته ، ولست أدرى كيف استجاب ابن صالح إلى المؤيد ؛ فأعاد الخطبة على المنابر باسم المستنصر الفاطمى ، وذهب هو نفسه لمقابلة المؤيد الذى خلع عليه ولقبه بتاج الأمراء . ثم نرى ابن صالح وجيشه ينضمون إلى المؤيد ويسيرون معه لمحاربة العباسيين ، والواقع أن تحول ابن صالح بسهولة تعد من أغرب ما ذكره المؤيد ، لأن المؤيد استطاع بخطاب منه أن يكبح جماح ثائر له خطره وقوته ، بل استطاع أن يتخذ منه عوناً وعضداً . ثم استطاع أن يسترجع حلب إلى أملاك الفاطميين ، كل ذلك تم بخطاب من المؤيد إلى ابن صالح . أما الأسباب التى جعلت بن صالح يقبل هذا كله فهذا ما لم نستطع تعليله

(يتبع)

الدكتور
محمد كامل حسين
بكلية الآداب بالقاهرة

ما هذه الحرب وما وراءها ؟

للأستاذ توفيق حسن الشرتونى

لم يبق فى المعمور قطر مهما يكن قصيًا عن مناطق القتال ، لم يصطدم بشظايا هذه الحرب ، ولم يحمّل عبء ويلاتها وشرورها . إنها لعمرى حرب غريبة بفظائعها وأهوالها ، خارقة بعددها ومعداتها ، فاقت كل حدس وتخمين ، وبزت أقاصيص الجن وأساطير الأقدمين

فالتاريخ لم يرو لها مثيلاً فى كثرة الضحايا واتساع الجبهات ، وجُسامة التخريب والتدمير . لقد شملت نارها العالم بأسره ، حتى أمسى لا يأمن مغبتها الطفل النائم فى سريره ، ولا الراتع فى أحضان أمه ، ولا المريض المستلقى على فراشه ، ولا الشيخ القابع فى داره ، ولا الساكن مشارف الجبال ، ولا العائش فى بطون الأودية ومطاوى الأدغال

صدام فظيع هذا الصدام البشرى الهائل الذى لم يبق ولم يذر . فالمدن التى يجتاحها يدعها قاعاً صفصفاً ، والأرض التى يمر كبها يجعلها خراباً يباباً . كيف لا والسابحات فى الجو تدك أمنع الجبال دكاً ، وتهتك أوعر المفاوز هتكاً ، والغائصات فى اليم تقدّ بطن العباب قدًّا ، وتبلغ أعمق الأغوار خداً . والقاطعات البيد تنهب أرذل القفار نهباً وتقطع موحش المجاهل قطعاً وهى تنشر الموت والدمار فى كل مكان

فأين المفر من حرب طاحنة كهذه الحرب . أضرم نارها جنون الإنسان على أخيه الإنسان ، وأثارها حرباً شعواء تقذف نيران الجحيم من آلاتها الجهنمية ، فتتلف الضرع والزرع وتفتك بالإنسان والحيوان ، وبكل ما هب ودب على سطح الأرض وما تمخض فى أحشائها

خمسة أعوام تصرمت على هذه الحرب ، أو تكاد تتصرم . تحمّل منها البشر ما لم تتحمله القرون ، وبذلوا فى ساحاتها الأرواح بالملايين ، والأموال « بالبلايين » وضحّوا من تراث الحضارة ومن مخلفات الآباء وآثار الأجداد بما لا يقدر بثمن ولا يعوض بأجيال

والحرب دائرة بعد ما خمد أوارها ، ولا خفّت نارها ، وهي ما تزال مسعرة تتأجج لهيباً وتزداد ضراماً

أيود الإنسان الغافل أن يروى الأرض بالدماء ، ويغمرها بالخراب . فيقضى قضاء مبرماً على أينع ما فى الدوحة البشرية من مخضلّ الغصون . ويلوى على البقية الباقية من ذخائر الحقب ونفائس الدهر التى هى خلاصة العقل البشرى ونتاج جهاده على مر العصور والدهور

أما كفى البشر ما قاسوه حتى الآن من فظائع التقتيل والتخريب ، وما كابدوه من ضروب الشقاء والحرمان ! وما تحملوه من وطأة الأوبئة والمجاعات !

لقد هللوا كثيراً لاختراع السيارات والطيارات واستبشروا خيراً بتقدمهم الباهر فى صناعة الكيمياء واللاسلكى ، وعدّوا العصر الذى نعيش فيه عصراً للرخاء البشرى والتمدن العالى . فكانت النتيجة كالعسل الممزوج بالسم يحلو طعمه ويقتل مذاقه كيف لا وقد انقلبت السيارات الوفيرة فى هذه الحرب الآلية الطاحنة دبابات تزرع الويل والثبور ، وتبدلت الطائرات

الجائية المنبطة والحبور قاذفات تلق على الأرض أفدح الشرور . هكذا الأجهزة اللاسلكية والسوائل الكيماوية التي كانت نعيماً للأرواح والأبدان قد تحولت جحيماً لاهبة وغازات خانقة ...

ما شاء العلماء ولا أئمة الفكر والاختراع أن يجنوا على الإنسانية بمختلف علومهم ومستحدثاتهم . فهم صفوة خلق الله وأكثرهم نفعاً لعباده . لكن الغريزة البشرية المرتكزة على الجشع وحب الأثرة هي التي تحول الخير شراً والعلم ضراً . وستبقى هكذا عائشة في مقررات الحياة البشرية ما دامت وسائل علاجها مستعصية على مدارك علماء النفس والجسد ، وسر إصلاحها مغلقاً في وجوههم

ولهذا أعتقد أن الأخلاق الشاذة والغرائز الملتوية في هذا الكائن المجهول الذي يُدعى الإنسان ، لا تتعدل ولا تتغير ، بمجرد تعديل الأنظمة أو تغيير القوانين . فمهما يُبدع المصلحون والمشترعون يظل إبداعهم حبراً على ورق ، ما لم يؤتوا علماً راهناً يسيطر على الغرائز البشرية نفسها ، ويتمكن من التحكم في عناصرها الأصلية ، ليتم له تعديل نزعاتها وتوجيهها توجيهاً صالحاً لقبول الأنظمة المستجدة والشرائع المستحدثة

فنتائج الحرب الماضية ما تزال ماثلة للعيان ، وهي حرب تعد في مجموع خسائرها أعظم حرب عرفها التاريخ — ما خلا هذه الحرب — زُهقت فيها الأرواح بالملايين ، ناهيك بفظاعة تدميرها ، وفداحة الأوبئة والمجاعات التي انتشرت بسببها في معظم أنحاء الأرض ، وفتكت بالناس فتكا ذريعاً ، حتى أمست ضحاياها تزيد على ضحايا المعارك زيادة هائلة

فماذا جنت الإنسانية من هذه الخسائر الجسيمة ؟ لقد انتهت تلك الحرب المشؤومة وأسفرت عن عصبة أمم كسيحة ، لم تقو يوماً على تطبيق الشرائع والأنظمة التي استحدثتها لسلامة الأمم والشعوب . ولم تتمكن من مجابهة المغيرين الذين كانوا ينتهكون حرمة قوانينها ويعبثون بشرائعها . والاعتداء على بلاد الأحباش وعلى الصين ، وبقاء العصبة مكتوفة اليدين تجاههما ، يدل دلالة واضحة على إفلاسها

غير أنها ولو باءت بالفشل وانتهت بالهزيمة ؛ فإنشاؤها عقيب الحرب الماضية يعد محاولة في سبيل الإصلاح . وهي لعمري محاولة لها قيمتها ووزنها في ميدان التجدد الفكري واليقظة الاجتماعية . لأنها برهن على الوعي البشري الذي شمل العالم المتمدن ، حتى أصبح يرى من الضروري إنشاء عالم أفضل من عالمنا ، يحفظ حقوق الناس على اختلاف أجناسهم ، ويسبغ عليهم جميعاً نعم الحياة وخيراتها

أجل إن عصبة الأمم لم توفق لإنشاء هذا العالم المنشود . وقد جرنا فشلها وفشل ما سبقها من المعاهدات الناقصة إلى هذه الحرب الضروس التي أثقلت كاهل الإنسانية . فأقفرت أرضها ودُكت معالمها ، ويُتم أطفالها ، وقُضي على خيرة شبابها

فما وراء هذه الحرب ، أرخاء ووفاق يشمل العالم بأسره ، أم بلبلة وشقاق ؟ لا أدري . لكني أتفاءل خيراً بتدرج الإنسانية نحو المثل العليا التي تضمن سلامها ورخاءها ورقيها

فميثاق الأطلنطي بادرة أمل ورجاء . إذا تمكن العالم في الغد من تطبيق بنوده وتعميم نفعه ، صحت الآية القائلة : على الأرض السلام والرجاء الصالح لبني البشر

ولكن لا يعزب عن بال المصلحين أن الطبيعة البشرية أمارة بالسوء . فمن الواجب درسها وتمحيصها على ضوء العلم ، والتغلغل في أعماق جذوعها ، لتفهم عناصرها واستقصاء أطوارها . فعندئذ لا يصعب على البشر أن يتبينوا لها طريقاً قويماً . فبمقدار ما تصلح الطباع البشرية يصلح الكون

(بيروت) توفيق حسين الشرتوني

---

٨ - القـــرآن الـكريم
فى كتاب النثر الفنى

« إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا »
[قرآن كريم]

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

لم نفرغ بعد من إفك صاحب النثر الفنى

فالمسلمون كافة يدينون بأن القرآن كلام الله ليس لإنسان فيه حرف ، وصاحب النثر الفنى يتكلم عن القرآن كأنه كلام النبى ، ويبنى على ذلك فى بحثه ما قد بنى . وقد أوردنا على ذلك النصوص من كلامه فى كلمتينا الرابعة والخامسة ، لكننا قلنا فى كلمتنا السادسة إننا لن نحتاج إلى تكرار نص إذا لج زكى مبارك العناد فألجأنا إلى معاودة الاستشهاد

فهاك نصاً لم نذكره يجمع صنوفاً من الجهل وسوء الأدب قال من فصل النسيب صفحة ١٤٧ من الجزء الأول :

« ولم نجد فى المجموعات الأدبية مختارات نثرية فى النسيب لأن مصنفى المجموعات كانوا يفهمون أن الغزل لا يخرج عن الأنفاس الشعرية » . وقد كشف بقوله هـذا عن قلة اطلاع ، لأن كتاب (النثر المختار) يحوى أكثر من نص طويل من النثر الجاهلى فى النسيب على مذهبه ؛ لكن لا علينا ، فليس هذا من همنا الآن وإنما همنا ما كتب عقب كلامه السابق عن القرآن قال :

« غير أننا نجد فى النثر لأقدم عهوده نماذج غزلية كالذى وقع فى القرآن وصفاً للحور والولدان نحو :

(وحور عين ؛ كأمثال اللؤلؤ المكنون)

ونحو : (ويطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين)

وكما جاء فى سورة الواقعة :[١]

(إنا أنشأناهن إنشاء ؛ فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً)

فهذه كلها أوصاف تدخل فى باب النسيب . ونسب إلى إحدى النساء حديث فى وصف الرسول هو أيضاً نسيب ، لأنها تكلمت عن أوصافه الحسية التى تعين أنه إنسان جميل ، ووصف الجمال من ألوان النسيب . ثم جاء القصص الغرامى الذى شاع فى عصر بنى أمية وأول عصر بنى العباس »

وأول ما نلاحظ على كلامه أنه أدرج القرآن مع كلام البشر فى فصل من باب عقد لبحث خصائص النثر الفنى فى القرن الرابع ، وكلامه السابق مقدمة هذا الفصل ليريك فى زعمه تطور النسيب والغزل فى النثر من أقدم عهوده إلى القرن الرابع ، فهو بهذا يقول بلسان الفعل والتطبيق أن القرآن من كلام الناس ، يحشر مع كلام الناس ويصنف مع ما يناسبه من أصناف كلام الناس .

والصنف الذى وضع فيه الآيات السابقة هو الغزل والنسيب

فهل قرئ أو سمع فى الأدب العربى قبل كتاب النثر الفنى أن القرآن به غزل ونسيب ؟ هل سمع أو قرئ لباحث مسلم أو غير مسلم قبل أن يكتب زكى مبارك كتابه أن آيات سورة الواقعة من الغزل والنسيب ؟

ما هو الغزل وما هو النسيب عند الأدباء وعند كل الناس ؟ أليس هو فى أضيق حدوده إعراب إنسان عن الافتتان بجمال إنسان ؟ فأى ركن من هذه الأركان يمكن أن يطبق على ما ذكر زكى مبارك من نصوص القرآن ؟ دع عنك ما يصحب الغزل عادة من التمنى الظاهر أو المستتر ، فهل ذلك الوصف للحور فى الآخرة يمكن أن يعد غزلاً بأى وجه من الوجوه ؟

إن أحداً لم ير الحور ، حتى يفتتن فيصف . وليست الحور من متاع الدنيا ونعيمها حتى يكون وصفهن ووصف نساء الدنيا من باب سواء . ولو تخيل كاتب أو شاعر نساء القرن الآتى فوصف من جمالهن وبالغ ما عد أحد ذلك من الغزل ، فكيف يمكن أن يكون من الغزل جمال وصف الحور فى الآخرة وهن من الغيبيات عند المؤمنين ومن الخياليات عند الملحدين ؟

ولنفرض أن الحور حاضرات يراهن فى الدنيا كل إنسان ، أفيعد جمال وصفهن من الغزل والنسيب ؟ إن وصفهن عندئذ يكون مثل وصف نساء قطر من أقطار دنيانا هذه ، فهل يعد

---

[١] الآيات كلها من سورة الواقعة

والشاهد الثانى صحته (يطوف عليهم) من غير واو وإن ورد فى الكتاب بالواو كما نقلنا

هذا غزلاً ونسيباً ، أم الغزل يقتضى تخصيص أنثى معينة أو أناث معينات بالافتتان أو الإعجاب ؟

وعلى أى حال فمن هو المفتتن المعجب بالحور العين فى القرآن ؟ إن الغزل يستلزم متغزلاً كما يستلزم متغزلاً فيه . يستلزم شاعراً أو كاتباً فى طرف ، كما يستلزم أنثى — أو غير أنثى فى مذهب صاحب النثر الفنى — فى الطرف الآخر . فما هو الطرف الذى منه الافتتان فالوصف فى القرآن ؟ محمد بن عبد الله ؟ ! إذن لقد دار البحث ورجع إلى نفس النتيجة التى ظهرت من الأول : أن صاحب النثر الفنى يرى القرآن من عند محمد لا من عند الله ، إذ لا يمكن أن يجوز أن يصدر من الله جل جلاله غزل أو نسيب

لقد كان فى نفس النصوص القرآنية التى أوردها ذلك المغرور المتعالم ما يرده إلى صوابه لو كان يبحث حقاً ، فقد عد من النماذج الغزلية فى القرآن الآيات الكريمة (إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكاراً . عُرباً أتراباً) . وهذا الكلام لا يمكن أن يكون من قول مخلوق ، بشر أو غير بشر ، لأنه لا يمكن أن يستقيم فى عقل عاقل أن يكون أحد من الخلق أنشأ أو ينشئ صنفاً من النساء إنشاء فى الدنيا فضلاً عن الآخرة . وإذا حاول مكابر أن يتجاهل دلالة المصدر ليصرف فعل (أنشأ) عن معناه الحقيقى إلى معنى مجازى يمكن أن يقوم به بشر ، فقد حال الله سبحانه بينه وبين ذلك بقوله تعالى : (فجعلناهن أبكارا) ، لأن الله وحده هو الذى يخلق الأنثى بكرا ، لا يقدر على ذلك غيره سبحانه . أما البشر أجمعون فيعجزون حتى عن أن يردوا الثيب بكراً مهما حاولوا . فضمير المتكلم فى تلك الآية الكريمة لا يجوز فى عقل أن يرجع إلى محمد أو إلى غير محمد من العرب أو من الخلق أجمعين . لا يجوز ولا يمكن أن يرجع ضمير المتكلم فى تلك الآية إلا إلى الخالق سبحانه ، فهو دليل قائم ومذكر دائم أن القرآن ليس من كلام مخلوق ، فلا يجوز أن يجريه أحد مجرى كلام البشر كما فعل زكى مبارك حين أجرى تلك الآيات الكريمة — وكلها من سورة واحدة — مجرى الغزل ، وحشرها بجهله وسوء أدبه فى فصل النسيب ، برغم خلوها من كل شرط من شروط الغزل والنسيب

على أن خطل زكى مبارك لم يقف به عند أمر الحور بل جمله يتعداهن إلى الولدان ، فاجترأ على أن يدخل فى باب النسيب قوله تعالى فى أهل الجنة : (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق ، وكأس من معين)

وليس يدرى أحد ماذا فى هذه الآية الكريمة مما يمكن أن يدخل فى النسيب من قريب أو من بعيد حتى على فرض أنها من قول النبى لا من قول الحق سبحانه . فالأكواب والأباريق والكأس لا يمكن أن يعد ذكرها من باب الغزل بحال ، حتى لو كانت من خمر تغتال العقل ؛ فكيف وهى من معين لا يصدع ولا يغتال كما أخبرنا الله سبحانه فى الآية التى بعدها ليحول بين العقلاء وبين إنزال نعيم الآخرة منزلة ما يألف الناس فى الدنيا ، وليبطل إفك آفك إن زعم أو أراد أن يزعم أن الآية من الغزليات أو الخمريات . وما هى الآية التى بعدها ؟ هى قوله تعالى : (لا يُصدَّعون عنها ولا يُنزِفون) . واسأل صاحب النثر الفنى — البحاثة المتجرد عن الهوى — لماذا لم يذكر هذه الآية عقب أختها ليتم المعنى وليكون القارئ على بينة من الأمر وهو يقرأ لصاحب الكتاب إفكه المبين ؟

لقد عرف صاحب الكتاب أن ذكر الآيتين مما يفسد معناه ويفوت عليه غرضه . وغرضه أن يوقع فى نفس القارئ أن الوصف وصف مجلس شراب كالمعروف فى الأدب الخليع ، إذ ماذا تنتظر من شرب بين خمر وولدان ؟ فهذه هى القرينة الوحيدة التى أراد زكى مبارك أن يأتفكها ليصح له أن يقول إن آية (يطوف عليهم ولدان مخلدون) هى من باب الغزل والنسيب ، وليوحى إلى القارئ أن ما سماه بعد فى نفس الفصل بغزل المذكر كان معروفاً عند العرب ، أو سيكون معروفاً فى الجنة ، أو ما شاء الشيطان أن يسخر صاحب الكتاب لنفثه وبثه فى الصدور والنفوس . فان لم يكن هذا من مقصود صاحب

الكتاب ومراده ؛ فليخبرنا وجهاً آخر يمكن أن تدخل به تلك الآية في الغزل والنسيب بأي شكل أو على أي احتمال ، مع أنه ليس فيها إلا مجرد لفظ الولدان ، وليس فيها من وصفهم إلا أنهم « مخلدون » . فليسوا من ولدان الدنيا التي علم منزل القرآن سبحانه أن سيجعل الشيطان لبعضهم أوصافاً لا تليق ، فنزههم سبحانه عن تلك الأوصاف بقرينتين مانعتين : وصفهم بالتخليد ، ووصف ما يحملون من شراب بأنه ليس مما يصدع الرأس أو يغتال العقل ، وذلك فضلاً عن القرائن الأخرى المنبثة فيما قبل هاتين الآيتين وما بعدهما من الآيات .

وبعد فإن من أعجب عجائب القرآن الكريم وأروع مظاهر إعجازه أن تأبى آياته الكريمة هذا الإباء على من يبغيهن عوجاً ، أو يبتغي لهن نقصاً ، كهذا الذي أراد أن يجعل منهن غزلاً ونسيباً ، وقد أكرمهن الله ونزههن وأعزهن أن يكون بهن غزل أو نسيب . ولو أفلح زكي مبارك أو غيره في مثل ما ابتغى وبغى ، لكان ذلك الغزل والنسيب من كلام البشر ، ولما كان القرآن هو القرآن الذي وصفه الله سبحانه بقوله : (وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد) . وقد رأيت مثلاً من عزة القرآن كتاب الله ، ورأيت كيف يرتد عنه الباطل مقهوراً مدحوراً لم ينل من قدس القرآن وحماه شيئاً ، ولم يعلق بذلك القدس والحمى منه شيء . فالقرآن يدفع عن نفسه هذا الدفاع المعجيب ، ويمتنع من عدوه ذلك الامتناع التام الأشم ، امتناع الحق من الباطل . وكل الذي يلزم لإدراك ذلك عقل يدرك وقلب يفقه ونية خالصة لله لا تعرج على ما سواه ، وهي صفات تجتمع لمسلم حيناً ويعز اجتماعها كل حين

ومهما يكن من أمر الناظر في القرآن ، فالقرآن فيه دلائل الإعجاز لمن يبصرها ، وفيه كل قوى الحق ليس في الوجود ما يقهرها . (والله متم نوره ولو كره الكافرون)

محمد أحمد الغمراوي



حول بعث القـــديم

للأستاذ محمد خليفة التونسى

قرأت مقال الدكتور محمد مندور الذى نشرته الرسالة فى عددها (٥٧٢) فى «بعث القديم» وقد عنت لى عليه الملاحظات الآتية :

أولاً : ذهب الدكتور إلى أننا لم نستخدم الطباعة إلا فى سنة ١٨٣٢ ، ولا أدرى إلى أى مطبعة يشير الدكتور ، ولكنى أرجح أنه يشير إلى المطبعة التى أسسها محمد على باشا ، ولو رجعنا إلى كتب التاريخ حتى ما كان فى أيدى صبية المدارس الابتدائية فضلاً عن كتب تاريخ الأدب العربى فى العصر الحديث لوجدناها تذكر أن هذه المطبعة أسست سنة ١٨٢١ وإن اختلف فى اسمها فهى تدعى المطبعة الأهلية أو المصرية أو مطبعة الباشا أو بولاق والإسم الأخير أشهرها[1]

ثانياً : ذهب فى الكلام عن الجمعيات التى تألفت لنشر الكتب — إلى أن جمعية المعارف أسسها محمد عارف باشا وأنها لا ترجع إلى أبعد من سنة ١٨٦٠ ، وجمعية المعارف إنما أسسها ابراهيم بك المويلحى سنة ١٨٦٧ . قال الدكتور تشارلز آدمس فى ترجمته : « وأسس حوالى سنة ١٨٦٧ جمعية سماها « جمعية المعارف » لتعمل على نشر الكتب العربية القديمة . وأنشأ أيضاً مطبعة سماها باسم الجمعية لنشر مثل تلك الكتب »[2]

وذكر الأستاذ الزيات سبب إنشائها فقال فى ترجمته بعد أن ذكر إفلاسه فى التجارة ، وفشله فيما ولاه الخديو اسماعيل من مناصب : « وجاءت وزارة شريف تريد أن تضع الدستور الأول فكان المويلحى ممن اختيروا لوضع (اللائحة الوطنية) ولكن آماله كانت تسفر دائماً عن الفشل، فابتغى الوسيلة إلى الرزق فى الكتابة والنشر ، فأنشأ « جمعية المعارف » لطبع الكتب القيمة وإذاعتها فى مطبعة اشتراها لنفسه »[3] واسماعيل لم يل مصر إلا فى سنة ١٨٦٣ والمويلحى لم يؤسس الجمعية والمطبعة إلا بعد وضع اللائحة الوطنية ، ومجلس شورى النواب الذى وضعت لائحته الوطنية فى وزارة شريف لم يفتتح إلا فى ١٩ نوفبر سنة ١٨٦٦ وهذا مما يرجح أن إنشاء الجمعية كما قال الدكتور تشارلز آدمس كان سنة ١٨٦٧ . وقد ذكر المفصل أن تأسيس المطبعة كان سنة ١٢٨٥هـ وهى توافق سنة ١٨٦٧[1]

ثالثاً : بعد أن أشار الدكتور إلى جمعية المعارف السابقة وأنها لا ترجع إلى أبعد من سنة ١٨٦٠ قال مانصه : « إلا أن حركة البعث أقدم من ذلك بكثير فهى لم تنتظر تكوين الجمعيات لتبدأ ، ولعل انتشار الأفكار الأوربية بفضل أعضاء البعثات كان من أهم الدوافع لهذا البعث ، فرجل كرفاعة الطهطاوى قد فطن بلا ريب أثناء إقامته بفرنسا إلى أن النهضة الأوربية التى رآها قد ابتدأت بحركة بعث قوية الآداب القديمة لاتينية ويونانية ، ولهذا كان يؤمن بأن نهضة بلادنا لا يمكن أن تعتمد على النقل عن أوربا فحسب ، بل يجب أن تمنى إلى جانب ذلك ببعث القديم العربى »

وإن البعث قد بدأ قبل رفاعة الطهطاوى وليس الدافع إليه انتشار الأفكار الأوربية أولاً بل الدافع الأول الحاجة إلى ترجمة الكتب عن اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، فليس انتشار الأفكار الأوربية من أهم الدوافع إذ ذاك ولا هو منها فى شىء . والترجمة بدأت على التحديد فى سنة ١٨٢٧ ، وهى السنة التى أسس فيها محمد على باشا مدرسة الطب فى أبى زعبل وجلب لها الأساتذة من أوربا وأسند رياستها إلى الدكتور كلوت بك . وكانت اللغة الشائعة إذ ذاك قد وصلت إلى منتهى ما قدر لها من الانحلال والتهافت بعد أن وسعت كل ما قدم لها من المعارف زمن الدولة العباسية ، كما كانت العلوم التى تدرس بمدرسة الطب قد نضجت فى الغرب فناءت العربية الشائعة عن حملها إلى الطلبة الذين كانوا — من مصريين أزهريين وغير مصريين — عاجزين عن فهم ما يدرس لهم باللغات الأوربية ، وكان الأساتذة لا يعرفون العربية ولو قد عرفوها كما كانت فى عهدهم لعجزوا لقصورها وقصورهم عن إفهام طلبتهم ما يريدون ؛ لذلك اضطر محمد على إلى إحضار المترجمين من السوريين والمغاربة والأرمن ليترجموا فى الفصول ما يقول الأساتذة فيها بلغاتهم الأجنبية إلى العربية كما يفهمه الطلبة . وليترجموا أيضاً ما يؤلف الأساتذة لطلبتهم من الكتب فى الطب البشرى والبيطرى والتشريح والأقراباذين ، وعلم وظائف الأعضاء ، ولما كانت العربية المعروفة عاجزة عن الترجمة اضطر المترجمون إلى الاستعانة بما وضع العرب قديماً من مفردات فنية ، وبهذا بدأ بعث القديم فى مصر . قلت

(١) الأستاذ الزيات فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » هامش ص ٤١٧ الطبعة السادسة . و « المفصل » لجماعة من الأساتذة المصريين جـ ٢ ص ٣١٤ و « المجمل » لهم أيضاً ص ١٧٤

(٢) الاسلام والتجديد ترجمة الأستاذ عباس محمود ص ٢٠٢ و ٢٠٣

(٣) تاريخ الأدب العربى للزيات ص ٤٣٩

(١) المفصل جـ ٢ ص ٣٨٥

في مصر لأنني أقيد نفسي ببعث القديم والترجمة في مصر وحدها اعتماداً على أن الدكتور لم يتعرض لها في غيرها في مقاله بعث القديم، مع ملاحظة مقاله السابق «مصر الإسلامية» «الرسالة العدد ٥٧٠» ، وإن كان مما يفهم من ذلك ضمناً أن هناك من سبقوا المصريين في بعث القديم والترجمة ، كالمستشرقين في أوربا، وكما وقع في سوريا بعد أن وفدت عليها البعوث التبشيرية من البروتستنت والكاثوليك ، فقد أسسوا أول مطبعة في أوائل القرن السابع عشر ، أي قبل أن يؤسس محمد علي باشا مطبعة بولاق بنحو قرنين، كما أسس الآباء اليسوعيون مطبعتهم في منتصف القرن التاسع عشر[1] فبعثوا بما طبعوا كثيراً من الكتب ، وقد كان المترجمون في مدرسة الطب في أبي زعبل من السوريين والأرمن والمغاربة — كما قدمنا — وعلى أيدي أولئك المبشرين تعلم أولئك المترجمون ، وبدأت ترجمتهم وبعثهم القديم في مصر سنة ١٨٢٧ ؛ فإذا بحثنا عن رفاعة الطهطاوي حينئذ وجدناه في باريس يتعلم مبادىء هجاء الفرنسية لأنه لم يبعث إلى فرنسا إلا في إبريل سنة ١٨٢٦[2] ، وعاد إلى مصر سنة ١٨٣١ ، ولم يهتم ببعث الكتب القديمة إلا في عهد سعيد باشا بعد أن رجع من السودان ، فأحيا قلم الترجمة بنفوذه بعد أن مات في أيام محمد علي ، وهنا ذكر الشيخ عهده بالمستشرق ده ساسي والمستشرق كوزن وما يقوم به المستشرقون من أعمال قيمة في خدمة اللغة العربية بنشرهم أمهات الكتب ؛ فوضع مشروعاً للعناية بتصحيح الكتب القديمة القيمة وطبعها بمطبعة بولاق ، وعرضه على سعيد باشا فأجازه »[3] ، ونحن نعلم أن سعيداً لم يل مصر إلا في سنة ١٨٥٤ ، فإسناد الدكتور سبب بعث القديم إلى رفاعة الطهطاوي خطأ بلا ريب ، وإلصاقه به إيمانه بأن « نهضة بلادنا لا يمكن أن تعتمد على النقل عن أوربا فحسب ، بل يجب أن تعنى إلى جانب ذلك ببعث القديم العربي » إلصاقه برفاعه ذلك تخرص بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، بل هو يدل على أن الدكتور في مقاله يحوم حومان الصحفيين ويحدس حدسهم ، ولا يقع وقوع العلماء ويتثبت تثبتهم ، وإن كان ما قلناه لا ينفي أن رفاعة قد شد أزر البعث وتوسع فيه وإن لم يكن المبدع له حتى في مصر ، ولا ينفي أنه أصبح يؤمن بعد ذلك بحاجة نهضتنا إلى بعث القديم إلى جانب النقل وإن كان ما دفعه إلى هذا البعث تقليده المستشرقين في هذا الميدان إذ كان قد صادف أيام وجوده في باريس علمين من أعلامهم : أحدهما الأستاذ سلفستر ده ساسي مدير مدرسة اللغات الشرقية ، وكان واسع الاطلاع في العربية ، نشر كتباً عربية كثيرة وألف شرح مقامات الحريري المتداول بين أيدينا وقد توفي سنة ١٨٣٨ ؛ وثانيهما الأستاذ كوزن وقد نشر كثيراً[1]

فرفاعة إذن لم يبدأ البعث إلا مقلداً المستشرقين ، وذلك بعد تأسيس مدرسة الطب بنحو ثلاثين سنة وقبل تأسيس المويلحي جمعية المعارف بنحو عشر سنوات

رابعاً : وإذا رجعنا إلى صدر الفقرة السابقة لم نجد مفراً من الجزم بأن آثار البعث قد ظهرت في النثر قبل ظهورها في الشعر . فالبارودي الذي يمثل أول أثر البعث في الشعر لم يكن قد ولد حين نهض النثر ليحمل تراجم تلك الكتب ، فالبارودي لم يولد إلا سنة ١٨٣٩ (١٢٥٥ هـ) بينما الكتب التي ترجمها وألفها المترجمون كالمسيو عنحوري والمسيو رفائيل وغيرهما تبدأ قبل مولد البارودي بنحو اثنتي عشرة سنة ، والكتب التي ترجمها وألفها رفاعة وأصحابه وتلاميذه بدأ ظهور بعضها قبل سنة ١٨٣١ حين عاد رفاعة إلى مصر وظهر كثير منها والبارودي لم يولد وبعضها وهو ملفوف في أقمطته إذ كانت مدرسة الألسن قد أسست برياسة رفاعة نحو سنة ١٨٣٤ وما أسرع ما نبغ كثير من تلاميذه في الترجمة والتأليف مثل عبد الله أبو السعود واحمد عبيد وخليفة محمود[2] فألفوا وترجموا كثيراً من الكتب ، ولا ريب أن هذه الكتب التي ظهرت قبل شعر البارودي كانت تكتب نثراً لا شعراً ، ولا ريب كذلك أن نثرها — وإن لم يبلغ مبلغاً عالياً من البلاغة — يرتفع كثيراً عن نثر الجبرتي والشرقاوي ، وغيرهما قبله وإذن فالنثر قد تأثر قبل الشعر ببعث القديم لا كما زعم الدكتور في مقاله وكرر زعمه مرتين من أن الشعر تأثر ببعث القديم قبل النثر ، ولكن لا مفر لنا من تقييد النثر الناهض بأنه النثر التأليفي وليس النثر الفني أو الأدبي، وإن كان هذا لا ينفي أن النثر الأدبي أيضاً قد استمد من بعث القديم مادة غزيرة للفكر ، وذلك لأن نواة النهضة الثقافية في مصر هي العلوم التي كانت تدرس في مدرسة الطب بأبي زعبل . وفي ذلك قال الزيات : « لم ينل الأدب من عناية الأمراء العلويين ما نال العلم »[3]

خامساً : قال الدكتور : « في الحق إننا لا نعرف أسلوباً يتميز به الأدب الحديث بأضيق معانيه غير أسلوب القصة ، فهي

(١) تاريخ الأدب العربي للزيات ص ٤١٧ ، والمفصل ص ٣١٦
(٢) الأستاذ أحمد أمين . الثقافة : العددان ٢٣٠ و ٢٣١
(٣) الثقافة : العدد ٢٣٥

(١) الثقافة : العدد ٢٣٢ ، والمفصل ص ٤١٢
(٢) الثقافة : العدد ٢٣٤ (٣) تاريخ الزيات ص ٤٢٤

أكبر مظهر من مظاهر الأدب الحديث ، وليس يخاف أن القصة حديثة المهد ببلادنا ، وهي بمجرد ظهورها أخذت تغذى السجع بمادة الفكر وتنقله من التفاهة إلى الجد ، وهذا واضح من حديث عيسى بن هشام ، فأسلوب الموبلحى برغم حرصه على أوجه العبارة البلاغية لا يخلو من فكر وإحساس صادقين ، وذلك لأن القصة بطبيعتها تقدم للكاتب مادة ، وكل مادة تحتاج إلى العبارة عنها ، فيأتي الأسلوب محملاً بتلك المادة . ومنذ أن خطا أسلوب النثر تلك الخطوة أخذ يشيع في غير القصص حتى امتد إلى المقالة أو الموضوع القصير » ونلاحظ أولاً فى عبارة الدكتور أنه استعمل الأسلوب بمعنى القالب فسمى القصة أسلوباً ، وخير أن تسمى قالباً وسنسميها هنا كذلك ، واستعمل الأسلوب بمعنى طريقة التعبير ونحن نوافقه على ذلك ، ثم نذكر أن عبارته تشتمل على قضيتين : الأولى أن القصة هى التى غذت السجع بمادة الفكر ونقلته من التفاهة إلى الجد ، ويستشهد على ذلك بحديث عيسى بن هشام للموبلحى . والقضية الثانية أن مادة الفكر قد أثرت هذا الأثر فى القصة ثم فى المقالة أو الموضوع القصير

أما عن القضية الأولى فاننا نعلم من تاريخ ابراهيم الموبلحى أنه لما عاد من الآستانة إلى مصر سنة ١٨٩٤ أو سنة ١٨٩٥ أسس جريدته الأسبوعية مصباح الشرق ، وقد قال فيها الزيات : (هي صحيفة أسبوعية كان يدبجها باللفظ الرشيق والأسلوب الأنيق ، ويرسلها بالسهام النافذة فى الاجتماع والنقد والسياسة ، فقضت حاجة فى نفوس الأدباء ، ونهجت لهم الطريق السوى فى الإنشاء ، ووطأت له هو أكناف الرؤساء والكبراء ، واستمر على إصدارها حتى حان يوم وفاته)[١]

وذكر في الفصل أنها « كانت نموذجاً من أعلى نماذج الأدب الحر في هذا العصر ، يتطلع إليها المتأدبون فى شوق ولهف لما تطالع به من مصفى الكلام ومنتقاه ، وأبدع البيان وأحلاه فى أبواب السياسة والعلم والفلسفة والأدب ، ويترقبها الكبراء فى قلق ووجيب قلوب ... فلقد كان الموبلحى أقدر كتاب العربية على النقد وأمرهم وأوجعهم ... وكان يعاونه فى تحرير هذه الصحيفة الفذة ولده الأديب الكاتب العالم محمد بك الموبلحى وهو الذى كان يكتب رسائل (حديث عيسى بن هشام) التى سويت بعد كتاباً »[٢] وأريد أن أقف هنا ولا أرجع القهقرى الآن لأسأل الدكتور : أكان ما تنشر هذه الصحيفة فى العلم والفلسفة والاجتماع والأدب والنقد كلاماً فارغاً من المعانى ، ولم تكن تحتوى على المادة الفكرية فيها إلا رسائل حديث عيسى ابن هشام وهى لا تخرج فى مضمونها عن النقد ، وقلم ابراهيم الموبلحى الذى كان يرسل بالسهام النافذة فى الاجتماع والنقد والسياسة ، فيترقبه الكبراء فى قلق ووجيب قلوب ، أبقى هذا القلم لا يكتب إلا اللغو حتى جاء الإبن محمد فزوده بمادة الفكر ونقله من التفاهة إلى الجد ؟ أيهما أكبر يا سيدى جحا أم ابنه ؟ وأيهما علم الآخر النقد : آلأب أم الإبن ؟

ولنرجع إلى ما قبل ذلك مع الموبلحى الأب حين أصدر هو وعثمان جلال صحيفتهما (نزهة الأفكار) سنة ١٨٦٩ ، وكانت شديدة اللهجة فلم يلبثها اسماعيل باشا حتى ألغاها . فهل كان ما تكتب هذه الجريدة كلاماً خالياً من الفكر حتى يلغيها اسماعيل ؟ وأسأل الدكتور ثانياً هنا : أكان الإبن محمد قد ولد فى هذا الوقت أم لم يولد؟

أحسبك هذا يا سيدى أم تريد التوغل إلى الوقائع المصرية التى أسست سنة ١٨٢٨ ، وما كانت تنشر من بحوث علمية وأدبية واجتماعية وفلسفية ودينية وقانونية منذ أسست ، لأنها لم تكن قبل كما نراها اليوم قاصرة على الأمور الرسمية ، بل كانت تتسع لكل ما تتسع له جرائدنا اليوم ، فقد كتب فيها رفاعة وأصحابه وتلاميذه ومحمد عبده وتلاميذه ، ثم صحيفة « اليعسوب » الطبية التى أنشأها محمد على البقلى باشا سنة ١٨٦٥ وجريدة وادى النيل التى أسسها عبد الله أفندى أبو السعود سنة ١٨٦٥ ومجلة (روضة المدارس) التى أسست سنة ١٨٧٠ ، وفيها يقول المفصل : « كانت تفيض بسابغ الفصول فيها أقلام أئمة العلم والأدب من أمثال رفاعة بك وعلى مبارك باشا وإسماعيل باشا الفلكى والشيخ حسين المرصفى وعبد الله باشا فكرى ، والواقع الذى لا مرية فيه أن هذه المجلة كانت مما نفخ فى روح النهضة اللغوية والأدبية فى هذه البلاد »[١] ، وفيها قال الزيات : « مجلة علمية أدبية يحررها نخبة من ذوى المكانة فى العلم والأدب »[٢]

وما ألف وترجم رجال الثقافة فى مصر فى القرن التاسع عشر من كتب فى العلوم المختلفة إلى منتصف العقد العاشر قبل تأسيس مصباح الشرق . أكل أولئك كان لغواً من القول وزوراً حتى ظهرت القصة وهى المعجزة السحرية التى أجراها الله على يد محمد الموبلحى فى حديث عيسى بن هشام ، فأخذت كما قلت : تغذى السجع بمادة الفكر ، وتنقله من التفاهة إلى الجد ، وهل خفى على الأستاذ وهو يتعرض لتاريخ الثقافة فى العصر الحاضر أنها بدأت علمية ؟

(١) تاريخ الزيات ص ٤٤٠ (٢) المفصل ج ٢ ص ٣٨٦

(١) المفصل ج ٢ ص ٣١٩ (٢) تاريخ الزيات ص ٤١٩

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٨٢ — فلم أر فيه للشراب حدوداً

في (مطامح الأنفس) للفتح صاحب (القلائد) : قال أصحاب محمد بن عيسى « قاضي قرطبة » ركبنا معه في موكب حافل من وجوه الناس ، فعرض لنا فتى متأدب قد خرج من بعض الأزقة سكران يتمايل ، فلما رأى القاضي هابه ، وأراد الانصراف فخانته رجلاه ، فاستند إلى الحائط وأطرق ، فلما قرب القاضي رفع رأسه وأنشأ يقول :

ألا أيها القاضي الذي عم عدله ... فأضحى به بين الأنام فريداً
قرأت كتاب الله تسعين مرة ... فلم أر فيه للشراب حدوداً

أما القضية الثانية وهي أن القصة تأثر سجعها بعادة الفكر حتى انتقلت من التفاهة إلى الجد ثم امتد ذلك إلى المقالة أو الموضوع القصير — فنحن لا نوافق الأستاذ على رأيه فيها — فما قدمناه في الرد على القضية الأولى يكفي لبيان فساد الثانية ، لأن ما كتب أولئك الأئمة في الصحف التي أشرت إليها قبل مصباح الشرق لم يكن قصصاً ، بل مقالات . والنتيجة التي لا مفر لنا من استخلاصها إذن هي أن المقالة قد تأثرت بعادة الفكر ، وانتقلت من التفاهة إلى الجد قبل القصة ، ثم شاع ذلك في القصة وفي غيرها ، فالمعلوم قد أمدت أولئك الكتاب بالمادة ، وكما قال الدكتور : (كل مادة تحتاج إلى العبارة عنها ؛ فيأتي الأسلوب محملاً بتلك المادة) وهذا تسلسل منطقي مقبول ولا ريب .

وبعد فقد طال المقال ، ولنا رد على رأي الدكتور في المنفلوطي وانقسام النثر إلى تيارين الآن ورأيه في نثر الإمام محمد عبده ، والأسلوب الشائع في عصره والمقام لا يتسع لأكثر من ذلك ، فلنقف عند هذا الحد مكتفين فيما سبق بالإيجاز المخل ، لأن الموضوعات التي تعرضنا لها تشتمل على الثقافة في النهضة الحديثة كلها ؛ فلابد لها من البحث المستفيض ، ولكن حسبنا من الكلام فيها ما يؤدي بنا إلى الإفهام .

هذا وللدكتور مني إعجابي وتحياتي — **محمد خليفة التونسي**

فإن شئت أن تجلد فدونك منكباً ... صبوراً على ريب الزمان جليدا (1)
وإن شئت أن تعفو تكن لك منة ... تروح بها في العالمين حميدا (2)
وإن أنت تختار الحديد فإن لي ... لساناً على هجو الزمان حديدا

فلما سمع شعره وميز أدبه أعرض عنه وترك الإنكار عليه (3) ومضى لشأنه

٥٨٣ — تباً لها ! قد كان بصري فيها ثابتاً

في الطبقات لابن سعد :

عثمان بن مظعون حرم الخمر في الجاهلية وقال : إني لا أشرب شيئاً يذهب عقلي ، ويضحك بي من هو أدنى مني ، ويحملني على أن أنكح كريمتي من لا أريد ، فنزلت هذه الآية في سورة المائدة في الخمر . فمر عليه رجل فقال : حرّمت الخمر ، وتلا عليه الآية فقال تبّاً لها ! قد كان بصري فيها ثابتاً

(قلت) : هذه هي الآية الكريمة العظيمة :

« يا أيها الذين آمنوا ، إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ، لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون »

---

(١) « أن تجلد » بسكون الدال وحقها الفتح . وفي كتاب سيبويه وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المرفوع والمجرور في الشعر قال :
إذا اعوججن قلت (صاحب) قوم ... بالدو أمثال السفين العوم
فاليوم (أشرب) غير مستحقب ... إثماً من الله ولا واغل
وفي رواية للشريشي في بيت الأندلسي : فإن شئت لي جلدا

(٢) أن تعفو : مثله :
أرجو وآمل أن تدنو مودتها ... وما إخال لدينا منك تنويل
وفي هذا البيت شاهد آخر وهو حذف ضمير الشأن في (إخال) وهو المفعول الأول

(٣) في (كتاب القضاة بقرطبة) : ما أتى عن القضاة من الاغضاء عن السكارى والتغافل لهم والرقة عليهم ، فلا أعرف لذلك وجهاً يتسع لهم فيه القول ، ويقوم لهم إلا وجهاً واحداً وهو أن حد السكر من بين الحدود كلها لم ينصه الكتاب المنزل ، ولا أتى فيه حديث ثابت

سلام على أسمهان !

للأستاذ على أحمد باكثير

غرقتْ ؟ كيف يغرق النُّور والحسـ
نُ وفنُّ الخلود فى شبر ماء ؟

ما تقولون ؟ هل تجدُّون أم تلـ ... هون أم هل يجد صرف القضاء ؟
لو حواها البحر العريض اضاق الـ ... بحر ذرعاً عن روحها الشّمّاء !
أو حوتْها الصحراء لا نتفضتْ ظـ
لاً وماء فى جنة خضراء !
لِمَ لَمْ تغرق الكواكب والشُّهب
وشمس الضُّحى وبدر السماء ؟
صوتُها العبقرى قد كان يُغنى ... عن ضياء ينير فى الظلماء !

***

مَن شدا بعد أسمهان بلحن ... فَلأُذْنٍ عن لحنه صمّاء
ما عزائى من بعدها بنشيد ... أو غناء ولات حينَ عزاء ؟
ضلّة قيل إنها بُلبلٌ أو ... كروانٌ أو عندليبُ غناء
أين من صوتها حناجر طير ... أو أرانين آلة خرساء ؟
صوتُها الصوت للخلود وللفر ... دوس لا للدُّنيا ولا للفناء !
أسمعَ اللهُ منه للناس حيناً ... ليحنُّوا شوقاً لدار الجزاء
ليرَوْا أنّ ما على الأرض فان ... والنعيم النعيم فى الفيحاء !

***

ليت عينى تذهبان ويُضحى ... خطبُها كاذباً من الأنباء !
شهر يوليو مَنْ ذا يردُّك ابريـ ... ـلَ وأعطيه مهجتى وذَمائى ؟
شهر يوليو لا كنت يا شهر يوليو ... أنت شهر الدموع والأرزاء

***

آه يا أسمهان ! يا بهجة الدُّنيـا وأغنية السّنا والسّناء
خرست بعدكِ البلابل فى الرو ... ض وجفت جداول السّرّاء
وظلال الفن الرفيع اضمحلّت ... وتولّت بشاشة النُّدماء !
كنت أبكى - إذا سمعتُكِ تشدين - بدمع بندى على أحشائى
صرت أبكى - إذا سمعتك تشدين - بدمع مُوَرَّد بالدماء !
ليت عيسى يعود حيًّا فيُحييـ ... ـك لتُحيي موتى من الأحياء !
أنتِ أولى بمعجزات رسول ... بشّرت صوتُ الله فى العذراء
فاذهبى كالربيع ... كالكوكب الها
وى ... كسارى النسيم ... كالأنداء !
واخلدى فى القلوب ما خلد الفـن وجاشتْ بلابلُ الشعراء
وارقدى فى ثرَى الكنانة واقضى
ما تشائين من هوًى ووفاء !
نَضَّرَ اللهُ بالنعيم مُحيّا ... كِ وأولاكِ منزل الشُّهداء

(المنصورة) ... على احمد با كثير

الزم الألزم من لزوم ما لا يلزم(*)

لأبى العلاء المعرى

منع الفتى هيناً لجر عظائما ... وحمى نمير الماء فانبعث الدم

لا يتركن قليل الخير بفعله
من نال فى الأرض تأبيداً وتمكينا

وأحسب الناس لو أعطوا زكانهم ... لما رأيت بنى الأعدام شاكينا
فإن تعش تبصر الباكين قد ضحكوا
والضاحكين لفرط الجهل باكينا

قبيحٌ مقال الناس جئناه مرة ... فكان قليلاً خيره لم يعاون
إذا أنت لم تعط الفقير فلا يبن ... له منك وجه المعرض المتهاون

إذا ما فعلت الخير فاجعله خالصاً ... لربك وازجر عن مديحك السنا
فكونك فى هذى الحياة مصيبة ... يعزيك عنها أن تبر وتحسنا

فلتفعل النفس الجميل لأنه ... خير وأحسن لا لأجل ثوابها

أشد عقاباً من صلاة أضعتها ... وصوم ليوم واجب - ظلم درهم

توهمت يا مغرور أنك دَيِّن ... علىّ يمين الله مالك دين
تسير إلى البيت الحرام تنسكا ... ويشكوك جار بائس وخدين

والظلم يمهل بعض من يسمى له ... ويحل نقمته بنفس الظالم

(*) مخطوط للأستاذ النشاشيبى



تفسير الحلم

رداً على سؤال الأستاذ الفاضل محمود عزت عرفة فى العدد السابق من الرسالة نحيل حضرته إلى مقالنا المنشور بالعدد ٥٧٣ من الرسالة بعنوان « العقل الباطن » ، وفيه تفسير واف لحلمه ؛ فإن العقل الباطن أنشط بكثير من العقل الواعى . ولحلمه هذا ، الذى يعده علماء النفس من أحلام اليقظة ، تأويلان :

أولهما : أن عقله الباطن سبق عقله الواعى واستدرك عليه ما نقص من مطالعته

ثانيهما : أنه يغلب على الظن أن حضرته طالع الفقرة التى يشير إليها فى الكتاب وهو بين اليقظة والنوم فى حالة كان الفكر فيها مكدوداً تمر به الحقائق مر الأطياف ؛ فلم يدرك أنه قرأها ، ومن ثم فسرت القوة الباطنة ما تبهم على القوة الواعية . ولعل القارىء كان تفكيره مصروفاً إلى ناحية أخرى على حين أن نظره كان متشبثاً بالحروف التى تكون الجملة المشار إليها

وسنعود إلى علاج هذا الموضوع فى شىء من التفصيل إن شاء الله .

(الاسكندرية) عبد العزيز جادو

عود إلى وحدة الوجود

لم يكن فى نيتى أن أعود إلى « وحدة الوجود » بعد كلمتى الأخيرة التى كنت أعتقد أن فيها دفعاً لكل شبهة ؛ ولكن يظهر أن طريقتى فى الإيجاز لا تستقيم مع الأسلوب الجارى عندنا فى الجدل ، فلا بد لى إذن أن أسهب وأطيل حتى يكون فى القول شفاء ومَقْنَع . وما دام الأستاذ الفاضل دربنى خشبة قد دعانا إلى اتخاذ الصراحة فى القول ، فلابأس من أن نأخذ بنصيحته ، داعين الله أن يقينا شر العواقب !

ولسنا نريد أن نمضى فى دفاعنا عن وحدة الوجود ، دون أن نبين الفرق بين هذه النظرية وغيرها ؛ فإن هذه التفرقة من شأنها أن تجلى لنا جانباً كبيراً من المشكلة التى نحن بصددها . ولعل أهم فرق بين مذهب وحدة الوجود panthéisme ومذهب المؤلهة Théisme أن الثانى ينظر إلى الله باعتباره طرفاً مقابلاً للطبيعة ، أى باعتباره موجوداً خارجاً عن الكون : extramundane يخلقه ويحفظه ويتصرف فيه من الخارج بينما ينظر الأول إلى الله على أنه يكون مع الطبيعة شيئاً واحداً ويعمل فى الكون من الداخل باعتباره « قوة » أو (طاقة) . فالفرق الجوهرى بين مذهب وحدة الوجود ومذهب المؤلهة ، ينحصر فى مسألة علو الله على الكون ومباينته له . أو بطونه فيه ومحايثته له

وإذا نظرنا الآن إلى هذه المسألة نظرة عقلية خالصة ، فإننا نجد أن الأدنى إلى الصواب أن يكون الله باطناً فى الكون ، لا عالياً عليه : ذلك أن الذات الإلهية لا يمكن أن تكون ذاتاً مشخصة ، وإلا كانت محدودة معينة ؛ فلا بد لنا إذا أردنا أن ننزه الله التنزيه الواجب ؛ أن نتجنب كل ضرب من ضروب التشبيه أو التجسيم أو التشخيص ، فنقول إن الله ليس كمثله شىء ، أى أنه ليس لذاته حد ولا وصف . ولما كانت الصفة الوحيدة التى نستطيع أن ننسبها إلى الله (وهى فى الحقيقة صفة سلبية خالصة) ، هى أنه غير متناه ، فلا يمكن أن يكون هناك شىء غير الله ، ولا بد إذن بالتالى أن يكون العالم جزءاً منه . وعلى ذلك فإن الكون مظهر لله ، أو مجلى من مجاليه ، إذ لوكان ثمة شيء غير الله ، لكان الله محدوداً ، ولما وجد فى كل مكان

هذه هي الحقيقة الجوهرية التى يقوم عليها مذهب وحدة الوجود ، وهى عندى حقيقة ثابتة تتأيد بكل وجه من الوجوه ؛ وقد انبرى جيته للدفاع عنها ، فقال : « إن من خطل الرأى أن نتحدث عن الله باعتباره منفصلاً أو مستقلاً عن الطبيعة ، فإن الفصل بين الله والطبيعة هو بمثابة الفصل بين النفس والبدن . وإذا كنا لا نعرف النفس إلا عن طريق البدن ، فكذلك نحن لا نعرف الله إلا عن طريق الطبيعة . فمن التعسف إذن أن نكيل التهم لأولئك الفلاسفة الذين يوحدون بين الله والطبيعة ، وليس من شك فى أن كل ما هو موجود لا بد أن يكون متعلقاً بالجوهر الإلهى ، لأن الله هو الموجود الوحيد الذى يشمل وجوده

سائر الموجودات ويستوعبها جميعاً ... وإن الكتاب المقدس نفسه لهو بعيد عن معارضة هذه الحقيقة ، على الرغم من أننا نختلف فى تفسير عقائده حسب ما يتراءى لكل واحد منا »

وفى استطاعتنا أن نضيف إلى عبارة جينه ، أن الكتاب المقدس ينطوى على أقوال تؤيد وحدة الوجود بصراحة ؛ فإننا نجد عبارة للقديس بولس يقول فيها : « إننا فى الله نحيا ونتحرك ونوجد » ، وعبارة أخرى يقول فيها : « إن منه (أى من الله) وبه ، وله كل الأشياء » ؛ فليس مذهب وحدة الوجود إذن وقفاً على الفلاسفة والمفكرين ، بل إن هذا المذهب شائع فى كثير من الديانات كما يظهر بالنسبة إلى المسيحية التى تقول إن الله حى فى كل شىء ، وكل شىء فى الله

بقى لنا بعد هذا أن نتعقب الاعتراضات التى وجهت إلى هذا المذهب ، فنرد على كل اعتراض منها على حدة . وقد سبق لى أن كتبت بحثاً عن « الاتحاد والحلول ووحدة الوجود » عرضت فيه لنقد ابن تيمية الذى هاجم فيه هذا المذهب ، فلعلى أستطيع أن ألخص طرفاً منه فى كلمة أخرى إن شاء الله .

زكريا ابراهيم

الفهم والشعر والمال

قرأت « إلى زائرة » وليست « إلى زائرة » من أجود قصائد بشر فارس ولكنها على كل حال ترمز إلى ترجرج العاطفة عند الشاعر وقد تولته نوازع الغريزة فكتب بها فكانت قصيدته تلك ظلاً لحالته النفسية

وبعد ليس الشعر ألهية عارضة يقرأ كما يقرأ الخبر المحلى فى الصحيفة

فليعد الأستاذ الزحلاوى إلى إعادة قراءة زائرة فلعله يكون أول الفائزين . ولى رجاء أن لا يتبرع الزحلاوى بعد اليوم بالمال من أجل الفهم

بهذه الفقرات ختم (صلاح الأسير) كلمته التى نشرها فى مجلة الأديب البيروتية عن (الجائزة الأدبية) واعتقد أنه لم ينل ناقد من أديب بمثل ما نال (صلاح الأسير) من صديقه بشر فارس فى تصديه للدفاع عن شعره واجتهاده فى تفسير حالته النفسية عند ما نظم قصيدته إلى زائرة ، وهل من سلاح أقتل من سهم مسموم يريشه عدو إلى صدر شاعر يدافع عنه فيقول فيه : إنه (مترجرج العاطفة تتولاه نوازع الغريزة) فكانت قصيدته المشؤومة تلك ظلاً لحالته النفسية ؟

كنت ولا شك ، رءوفاً بالشاعر بشر فارس عندما تظاهرت بالتواضع فنسبت لأداة فهمى الركود والعى ، فاستنجدت بأرباب الفهم ، فى مصر والبلاد العربية ، حتى لا أنسب إليه عيوب ترجرج العاطفة ، والتواء الذهن ، والحمى الحيوانية التى تنتاب من تتولاهم نوازع الغريزة

ما كنت أود أن أقول إن الدكتور بشر فارس ليس بشاعر ولا يمت إلى الشعر بصلة ، وأن ليس بينهما إطلاقاً أواصر قربى ووشائج تعارف ، ولكن الأستاذ الأسير — عافاه الله — قالها على طريقته هو ، طريقة الصداقة والعداوة ، الجاهلة والعاقلة ، فلينعم إذن بشر فارس المتهم بصلاح الأسير المدافع

أى أديب ياصاحبى لا يعرف أن الشعر ليس بألهية عارضة ؟ بل يجب أن تعلم يا صاحبى أن الأديب الذى لا يعرف أن الشعر صدق ، ووضوح ، وملاحظة ، ونقد ، وإنسانية ، وعطف ، وفلسفة وحب ، إنما هو أديب مشكوك فيه . بل يجب أن تعلم مرة ثانية أنه لا يكفى الشعر المعنى المبتكر ، ولا الديباجة الرائعة بل يجب فيه الاتساق الفنى بين المعنى والديباجة يربطهما الجرس الموسيقى ، وعندها تحس النفس بجهال لدنى وبطرب ونشوة تعجز عن تحليل عناصرها ، فكيف به إذا خلا من كل هذه العناصر الأساسية ؟

رجانى الأستاذ الأسير أن لا أتبرع بعد اليوم من أجل الفهم ، وأنا أطمئن الأستاذ على أنى وقفت حياتى (من المهد إلى اللحد) على العلم والفهم ، فهل أضن بمالى من أجل الفهم ؟ وليفهم الأستاذ الأسير « أن كل ما فى الأرض من مال لا يكفى لتفتيح ذهن من الأذهان ليفهم مثل هراء بشر فارس »

حبيب الزحلاوى

مكتبة نقابة الصحفيين

أهدى إلى مكتبة نقابة الصحفيين ١٢ كتاباً من رياسة مجلس الوزراء و ٤٧ من وزارة الأشغال و ٧ من إدارة المطبوعات و ٧ من المتحف الحربى و ٨ خرائط وأطالس كبيرة من مصلحة المساحة والمناجم و ٥ مجلدات من مصلحة الإحصاء والتعداد و ٨ من مرصد حلوان و ١٠ من لجنة التأليف والترجمة والنشر (هدية أولى) و ٣ من الاتحاد المصرى للصناعات و ٦٣ من مكتبة المعارف و ٥ من مكتبة العرب و ٢٣ من المطبعة العصرية

12 me Année No. 578

Lundi - 31 - 7 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٥٧٨ « القاهرة في يوم الإثنين ١١ شعبان سنة ١٣٦٣ — الموافق ٣١ يولية سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة
٦٢١ الأدب الأغريقي في عصر الأسكندرية ... ... { الدكتور محمد مندور ... ...
٦٢٥ أحمد رامي ... ... : الأستاذ دريني خشبة ... ..
٦٢٧ محرجات ... . : الأستاذ علي الجندي .. ...
٦٢٩ نيتشه والزواج ... .. : الأستـاذ زكريا إبراهيم ..
٦٣٠ القضايا الكبرى في الاسلام : قضية الشاعرين هدبة وزيادة } الأستـاذ عبد المتعال الصعيدي
٦٣٣ فساد الطريقـة في كتاب « النثر الفني » ... ... } الأستـاذ محمد أحمد الغمراوي
٦٣٦ نقل الأديب ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٦٣٧ معركة الثلوج [قصيدة] : الأديب سعد الدين أ. فوزي
٦٣٧ ألزم الألزم من لزوم ما لا يلزم ... ... [قصيدة] } لأبي العـلاء المعري ... ...
٦٣٨ حول بعث القديم ... ... : الدكتور محمد مندور .. ...
٦٣٩ عمرو بن العاص ... ... : الأستـاذ دسوقي إبراهيم ...
٦٣٩ تلاشي .. .. : الأستاذ كامل السيد شاهين
٦٣٩ الاتحاد والحلول ووحدة الوجود : الأديب حسين محمود البشبيشي

الأدب الأغريقي
في عصر الأسكندرية

للدكتور محمد مندور

خلصنا من المقال السابق إلى أن الأدب الأغريقي في عصر الإسكندرية كان كنبتات في بيوت من زجاج، فهو بمعزل عن الفضاء الطلق حيث تهب نسمات الحياة منبعثة عن الشعب. ومع ذلك فالنبات — كما قلنا — لم يذو كله وإن شحبت نضرته وقل ماؤه

ولما كانت ملابسات الحياة لم تدفع إلى فن أدبي بذاته، ولا غلبت فناً على فن. فقد كتب أدباء ذلك العصر في كافة الفنون. ولكنني لا أستطيع أن أقف مع القارئ عند كل منها، وقد سئمت القبح حتى أعود استخرجه من بطون الكتب. وأي خير في أن أطلعك على شعر أو نثر ترى فيه مدح الملوك قد حل محل الوطنية، والتملق محل حرارة القلب، والخرافة محل الإيمان، والتعلق بالخوارق محل تبجيل الآلهة، ثم التفيقه والتبجح بالمعرفة المحصلة المكتسبة محل استطلاع المجهول والحرص على الفهم الصحيح. وإنما أقف بك حيث

بمود هذا الأدب فيتصل بالحياة وإذا بالجمال يشرق في نواحيه . أقف عند نفس تفتحت للحب فتذوقت حياة الريف وأنشدت مع الرعاة أناشيدهم . أقف عند نفس تحن إلى الماضي فتستنشق شذاه أو تمعن في الحاضر فترصد أحداثه وقد نطقت بأسرارها

شعر المقطوعات

ولنبدأ بشعر المقطوعات Epigramme وهي قطع شعرية صغيرة لا تكاد تعدو العشرين بيتاً ، ولكنها كثيرة العدد حتى لتملأ أكثر من مجلد في المجموعة المعروفة « بالمختارات الأغريقية Greek Anthology » . وهي لأكثر من أربعين شاعراً من شعراء ذلك العصر ، وإن يكن معظمهم من ضعاف الشعراء . ومع ذلك فمن بينهم من تطرب النفس لشعره طرباً حقيقياً . خذ مثلاً الشاعر ألكيبيادس الساموسي تجد له ما يقرب من ثمان عشرة مقطوعة شديدة الشبه بشعر ألسيه وسافو :

« اشرب يا ألكيبيادس . لِمَ هذه الدموع ؟ أية محنة قد أصابتك ؟ ! لست الوحيد الذي اتخذت منه كبريس Cypris » إلهة الحب « فريسة . لست الوحيد الذي أردته سهام إروس القاسي . لِمَ تدفن نفسك في التراب ؟ ! لنشرب نبيذ باكوس صافياً . ها هو الفجر ينبثق . إذا كان المصباح قد انطفأ أتريد أن تنتظر حتى يستيقظ ؟ لنشرب في مرح . أيام أخرى قلائل — أيها المسكين — ثم يطويك الظلام الرحب تستريح بين أحضانه »

أو ما تحس في شعره بجمال الأسرار . جمال الاعترافات . نجوى نفس أليفة . شاعر مرهف

وخير من ألكيبيادس فيما أظن ليونيداس الترنتي من شعراء القرن الثالث ق . م . ولد فقيراً وعاش مشرداً ، فتوثقت معرفته بالحياة . كتب لوحات للمقابر والنذور ومحفورات للتماثيل وصوراً للشعراء والفنانين وقطعاً فلسفية وأخلاقية ، كتب الكثير منها لصغار الناس : صيادين وغزالات يحملون القربان إلى الآلهة أو يموتون لشدة الكد في الحياة ، ومن ثم واقعية شعره وألفاظه الملونة بالمهن المختلفة ، ألفاظ دقيقة تشف عن عاطفة حيية . لقد عبر في سحر عن جمال الحياة الفقيرة الجاهدة كما عبر عن روعة الربيع وصفاء الينابيع . استوحى مثلاً الشاعر القديم سيمونيدس فوصف حقارة الحياة . وصف تلك النقطة ، الهروب بين أبديتين : أبدية الماضي وأبدية المستقبل

« لقد انقضى أيها الرجل زمن سحيق قبل أن تأتي إلى الحياة وسينقضي زمن سحيق بعد نزولك إلى هاديس « العالم الآخر » . ما هي برهة حياتك ؟ نقطة أو أقل من ذلك ، وهذه الحياة شاقة ، فاللحظة الراهنة ذاتها لا سرور فيها ، بل إنها لأشد إيلاماً من الموت البغيض . اهرب إذن من الحياة ، اهرب إلى المرفأ »

ولربما كان أقوى الجميع ملياجر الذي جمع مختاراته المسماة « بالتاج » فكانت نواة للمختارات الإغريقية التي بين أيدينا . ولنستمع إليه يرثي هليودورا حبيبته :

« لتذهب إليك دموعي ، هليودورا ، هدية ! لتذهب إلى هاديس كأثر مقدس لحبي ! دموع قاسية الإراقة . ها أنا أسكب فوق قبرك الذي طالما بكيته ، أسكب الأسى ذكرى لغرامي . أنا ملياجر ، أئن من أجلك أيتها العزيزة الراحلة ، أئن في ألم ، ألم مبرح . قربانا للأكيرون لا خير فيه . وا أسفاه ! أين غصني الأخضر الذي طالما أحببته ! لقد سلبني إياه هاديس ، وهذه الزهرة المتفتحة قد غبرها التراب ، آه إنني أضرع إليك جاثياً ، أضرع إليك أيتها الأرض الكريمة الثمار أن تتقبلي في رفق منذ الطفلة المبكية ، تقبليها في رفق أيتها الأم وضميها إلى صدرك ، بين أحضانك »

أغاني الرعاة

وهنا أيضاً دعنا نكتفي بتيوقريطس ؛ فهو أكبر شعراء الرعاة ، بل أكبر شعراء عصر الإسكندرية ، وله من

كبار شعراء الإنسانية ، ولنوجز ما نريد معرفته عنه لنستطيع بعد ذلك أن ننصت إلى شيء من شعره وفيه ما يبعث النضرة في القلوب

ولد تيوقريطس في سيراكوسة بصقلية في السنوات الأخيرة من القرن الرابع ق . م وأمضى جزءاً من حياته بجزيرة كوس حيث تعرف إلى الشاعر فيليتاس ومدرسته كما تعرف بالكبيادس الساموسى السابق الذكروبأراتوس، وعاش جزءاً آخرفى إغريقية الكبيرة (= جنوب إيطاليا) . أرسل قبيل سنة ٢٧٠ ق . م إلى هيرون مستبد سيراقوسة قصيدة مدح ليمنحه رعايته ولكنه لم ينجح فانصرف بمديحه إلى بطاليموس فيلادف وعاش في الإسكندرية بعض الزمن . وأما تاريخ موته فلا نعرفه على وجه التحقيق

لدينا من شعره عدد من المقطوعات الصغيرة ثم ثلاثون قصيدة تسمى (إيدليا) Idyliia وهذه اللفظة تصغير للفظة إيدوس Eidos الإغريقية ، وإيدوس معناهاقصيدة غنائية إطلاقاً وإذن فالإيديليا هي القصائد أو اللوحات الصغيرة . ولكنه لما كانت قصائد الرعاة تغلب في المجموعة ؛ فقد غلب هذا المعنى على اللفظ في العصور الحديثة

ولكن شعر تيوقريطس في الحقيقة ليس كله من أغاني الرعاة ؛ فمن بين الثلاثين قصيدة نسقط خمساً منتحلة واثنتين مشكوك فيهما ، وننظر في الباقي فنجد من بينها أغاني الغرام وفصول المحاكاة «mime» ، التي تشبه أشعار هيروندلس . ومنها الريفيات التي تجمع بين الغناء والمحاكاة ، ومنها القطع القصصية ، ومنها الأناشيد ، وأخيراً منها المدائح

كل ذلك إلى جوار أغاني الرعاة

لقد تملك تيوقريطس القدرة على الإحساس ؛ ثم القدرة على خلق شخصيات حية في أسلوب شخصي . لقد استمر الرجل الطبيعي حياً فيه . استمر فلم يقتله الأديب . فهو يرى العالم : يرى صيفه وألوانه وعبيره . الكأس لا يزال يفوح بخاره ، وفروة الراعي ليكيداس تشم منها الخميرة ، وروائح الخريف تطفو في أعياد التاليسيا . وعذوبة الماء والظلال ، ولين المخدع من أوراق الكرم ، كل هذا يدركه تيوقريطس مختلطاً بخرير الينابيع وتغريد العندليب

الفكرة المسيطرة عند تيوقريطس هي الحلم بالحياة الريفية . وهذا شعور كثيراً ما يظهر في عصور الحضارة . وموضع المشقة فيه هو أن يأتي طبيعياً . وبهذا تميز تيوقريطس عن غيره من اللاحقين .

الطبيعة عنده ليست الطبيعة القاسية التي عرفها هزيودوس ، ولا الطبيعة الحزينة الحالمة ، التي تغنى بها فرجيليوس ، ولكنها طبيعة مشرقة يراها الشاعر دائماً في فصل الضوء بأعلى الجبال حيث ترعى القطعان . وما نظن شاعراً قد حملنا على الإحساس بأواخر الصيف وأوائل الخريف مثلما فعل تيوقريطس في وصف التاليسيا ، العيد الذي أشرنا إليه فيما سبق :

« أ اني ليكيداس في ابتسامة عذبة عصاه ، أعطاها رمزاً لصداقتنا باسم ربات الوحي ؛ ثم اتجه إلى اليسار متابعاً طريق البيكا ، وأما إقريطس وأنا وأمينتوس الجميل ؛ فقد يممنا بيت فرازيداموس ، حيث رقدنا فوق أسرة كثيفة من ورق الكرم النضر . وكان كثير من السرو والعبل يترنح فوق رءوسنا غير بعيد من الموجة المقدسة التي تخر من كهف النامف « Nymph » . وفي الأعشاب المشتبكة كانت الصراصير التي أحرقتها حرارة الشمس تغنى حتى بح صوتها ، والضفدعة الخضراء تصيح قصية تحت الأشواك المتداخلة . والقبرة وعصافير الجنة تغرد ، واليمام يئن ، والنحل الأصفر يطن حول الينابيع . من كل فج كانت تنبعث رائحة الصيف ، وقد مازجها عبير الخريف ، والكمثرى والتفاح تتساقط وفيرة على أرجلنا وإلى جانبنا ، وقد ثقلت الأغصان بالبرقوق ، فتدلت حتى مست الأرض . وأزيل عن الدنان طين عتيق . يا نامف Nymph كاستاليا : يا ساكنة البرناس ! هل قدم كيرون العجوز كأساً كهذه إلى هرقل

فى كهف الفولوس الخصيب ؟ ليتنى أستطيع أن أعود فأضع المذراة فى القمح ، بينما تضحك هى وقد امتلأت يداها بالسنبل والحبوب »

هذه لوحة ناطقة موحية . سر جمالها فى بساطتها وصدقها ؛ فالشاعر يسمى الأشياء بأسمائها ، وهو أرهف حساً من أن يصطنع لغة شعرية متحجرة . فالضفدعة والصرصار لم يتحولا تحت قلمه إلى كروان وعندليب ، وكل من يعرف الريف يذكر صدق ما وصف . وبفضل طبيعية أسلوبه نحس بأعقاب الصيف وأوائل الخريف وقد غمرها الشعر ، فإذا هي أفعل فى النفس من الواقع .

وما يحببه تيوقريطس من الرعاة هو بساطتهم : شعر أشعث وحزام من جلد الشجر ، وفتاة طبيعية يتغنى بجمالها . وما يعنيه ما يظن الناس بذلك الجمال

« يا ميز Muse بيريه ! غن مى الطفلة الرقيقة . فكل ما تمسينه أيتها الإلهة يصبح جميلاً . بومبيكا أيتها الفتاة الباسمة الخفيفة الدم ! يدعوك الجميع سورية عجفاء قد أحرقتها الشمس ، ولكنى أنا ، أنا وحدى ، أقول إنك شقراء كالعسل . البنفسج أيضاً أسود ، والزنبق مجمد . ومع ذلك يجمعان للتيجان قبل غيرهما من الزهور . الجدى يجرى وراء شجرة النحل ، والذئب وراء النعجة ، والبجع خلف المحراث ، وأنا مجنون بك . بودى لو كنت غنياً كقارون . إذن لأقمت لنا تمثالا من الذهب هدية لأفروديت : أنت بالناى ووردة وتفاحة ، وأنا بثوب جديد وأحذية نخمة . بومبيكا أيتها الباسمة الخفيفة الدم ! أقدامك كعقل الأصابع ، وصوتك كالحلم ، وأما جمالك فلا أستطيع أن أصفه »

ولقد يحمل السيكلوب بوليفيم فى إحدى قصائده على التغنى بجمال معشوقته جالاتيه بقوله :

« جالاتيه أيتها البيضاء ، لماذا تردين من يحبك ؟ أنت أنصع بياضاً من اللبن المخيض ، أنت أرق وداعة من الحمل ، وأشد حيوية من البقر ، وأنعم لمعاً من عنقود العنب الأخضر »

هذه قصائد فيها اهتزاز من انفعال الحب ، فيها نغمة صادقة كأنها من حرارة الحياة

تيوقريطس شاعر الريف . شاعر الغرام . وأما ما دون ذلك من شعره فى المديح فتافه

وهو إلى جانب ذلك شاعر المحاكاة Mimes حتى ليعتبر حواره بين نساء سيراقوسة أنموذجاً لذلك النوع من الأدب الذى سنتحدث عنه فى المقال الآتى

محمد مندور

---

٢ - أحمد رامي

للأستاذ دريني خشبة

كل الناس على أن موهبة رامي في الغزل وشعر الغناء هي خير مواهبه ... ونحن لا نرى هذا الرأى

لا نرى هذا الرأى بالرغم من هذه الخمسين والمائة أغنية التى تملأ آذاننا وقلوبنا ، وتتدفق مع أعذب الأصوات وأرخمها فى كل جوارحنا ، وتطوى مع الأثير فى كل لحظة ألفاف الهواء حول كواكبنا ؛ فتداوى كلوم المحبين ، وتذهب بلواعج المدنفين وتترنم بها الأصوات كلها حتى المنكر منها والأجش ، فيخيل لها أنها صارت بلابل !

لا نرى مطلقاً أن موهبة رامى هى روحه الغنائية التى تجيد الغزل ، وتفتن فى مذاهبه هذا الافتنان الحلو الموفق ، الذى يحس الناس فى ثناياه حرارة الحب ، ويتسمعون إلى دقات القلوب العاشقة ، ويشهدون من فنون الجفون المؤرقة ، والأنفاس المحترقة ، أشكالاً وألواناً

إن رامى الذى يحترق من أجلنا ، ويذيب قلبه وروحه كيما يطب لنا ، هو شاعر الإنسانية ولسانها الناطق وترجمانها الأمين

إن الذين يزعمون أنه شاعر الليالى الحمر ، والسهرات الصوادح ، أولئك يصدفون عن حقيقة رامى ، ويخطئون جوهره ، إنما رامي هو شاعر الإنسانية كلها ... الشاعر الذى صدق فى التعبير عن آلامها ، لأنه بلا منها الشىء الكثير والشىء المتنوع ، والغزل - أو شعر الحب - هو أحد الألوان التعبيرية الصارخة التى أذهلت الناس عما هو أشد منها من ألوان رامى التعبيرية الأخرى ، لأنهم سمعوه من هذين اللسانين الخالدين[1] وحياً بديعاً ، لا تسجيعاً ولا ترجيعاً ، ولو ذكرنا قلب رامى المعذب ونحن نلتذ أغانيه تشيع بالنشوة فى أرواحنا ، لحق أن نتذكر قوله :

أنا فى غيهب الحياة منار   ضاء من فرط نوره الديجور
لم أذق فى الحياة للسعد طعما   كيف يدرى الحلو الفم الممرور
أطرب الناس بالأغانى من الشـ   ـعر وفى القلب لوعة وسعير[1]

ولذكرنا أن رامى يستعين بشعره للتنفيس عن آلامنا بما ينظمه لنا من تباريح قلبه شعراً نحسبه يفيض بهجة فى حين أنه يقطر دماً . ونخاله يندى بشاشة فى حين أنه يتنزى ألماً

دعينى يا بنات الشعر أبكى   على ما نالت الأيام منى
أمانٍ مِتن فى قلبى صغاراً   كما ذوت الأزاهر فوق غصن
وزرع طاب لم أقطف جناه   وكم بذرت يداى ولست أجنى
وأهل أصبحوا بدداً وشدوا   إلى دار النوى أرحال ظعن
ولست أطيق بعدهم ، ولكن   أروح عن فؤادى بالتمنى
فكونى يا بنات الشعر أهلى   وأشياعى لدى البلوى وركنى
وغنى من أساك والهمينى   فبينك فى الهوى عهد وبينى
أراك بخاطرى وأودأنى   أراك بناظرى وأن ترينى
إذن أشفقت من وجدى وسقمى   وشفك لاعجى وشحوب لونى[2]

ولسمعناه يستعبر قائلاً :

أحن إلى الماضى كما يذكر الحمى   طليح نوى ترمى به الفلواتُ
وأندب أيامى اللواتى تصرمت   لشعرى إذا ضمتنيَ الخلوات
وفى الشعر تأساء وفيه رفاهة   وفيه لقلب يا قظ نشوات
أنيم به حزني كما يبعث الكرى   إلى عين طفل صارخ نغمات
وأكذب نفسى أننى إن صدقتها   أغار عليها الهم والحسرات
لقد ألفت نفسى الشقاء وإن يكن   ألماً فمن آلامه الخطرات
وما يحسن الأشعار إلا معذب   تضرَّمُ فى أحنائه الحرقات
ولو كان كل ناعماً فى حياته   لما بهرتكم هذه النفحات

لقد صنعت لنا الآلام من رامى هذا الشاعر المرهف الحس ، الدقيق الشعور ، الذى حرك ألسنتنا ، كما ملأ عواطفنا ، بأغانيه ولعل كارثته فى المغفور له والده العزيز - الدكتور محمد رامى - المتوفى بالقاهرة يوم الأحد ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٩ ، هى التى وجهت قلب رامى ، أو شعره ، تلك الوجهة الإنسانية التى تجتمع فيها عواطف الألم والرحمة والرثاء للضعفاء ، وإسعاد المحزونين ، وتمنى الخير للناس جميعاً ... وذلك أن الشاعر قد ألقيت على كاهله بوفاة والده مسئوليات عائلة كاملة ، فيها الأم البارة الرؤوم

(١) أم كلثوم وعبد الوهاب

(١) ديوان رامى ج ٢   (٢) ج ٢ ص ١٠

وفيها الأخوة الصغار الخُضْر كأفراخ القطا ، وفيها الشاعر نفسه الذى لم يكن يفنى ، وينظم خلجات شبابه الغض وصباه المتفتح ، باقات يانعة من هذه القصائد التى يضمها الجزء الأول من ديوانه ١٩٢٦ — ١٩٣٧ حتى قذف بقلبه جميعاً فى خضم اليتم المصطخب ذى الأمواج والأثباج ، ولهذا لا نكاد نرى ديواناً عربياً من دواوين شعرائنا يفيض بالروح العائلى، كما يفيض به الجزء الثانى من ديوان رامي وما جاء من ذلك فى الجزءين الأول والثالث ، وما لم ينشره رامى من شعره فى ديوان بعد ... وذلك إذا استثنينا ديوان « أنات حائرة » لشاعرنا الجليل الأستاذ عزيز أباظة بك

اسمع إلى رامي ينظر إلى سرير أبيه المريض ، ثم يتوجع ويقول من قصيدته « نهر الحياة » ، ذاكراً أخاه النازح ، وأمه وإخوته :

يا نهـر أيامي ، أما آخر   لشـقة العيش التى أقطع
أربت همومى فنبا مضجعي   وصاحب الآلام لا يهجع
أب طريح فى فراش الضنى   أقض فى رقـدته المضجع
تتابعت فى الليـل أناته   وكل أنات الدجى تسمع
شكا من الداء الذى شفه   وانهمرت من عينه الأدمع
وقال أخشى أن يحل الردى   ولى قطا زُغبٌ ولى مطمع
أخاف أمضى عنهم تاركاً   عشهم تلوى به زعزع
ولى أخ يا نهر عيشى خلت   منه ديار وخـلا مهيع
وكان أنسى فى ضمير الدجى   وكان لى من عطفه مرتع
فهـل لذى العلة من صحة   وهل لنضـو نازح مرجع
وهل لليل العيش من مشرق   يجلو ظلام اليأس إذ يطلع
لو كنت فرداً لم أرع إربة   إن كان يعطى الدهر أو يمنع
لـكن لى أماً ولي إخـوةً   ولى أباً فى ظـله نرتع
ولا يطيب العيش إلا إذا   سـقاهم حوض المنى المترع

هذا شعر يحس فيه القارئ لذع الألم الذى يرتجف أمام شبح اليتم

ثم مات الوالد المريض ، وبعد أن خفت وقدة الحزن فى نفس رامى ، رثاه بتلك المنظومة الفريدة التى أومأ فيها إلى أيام مرضه ، ثم إلى الأمانى التى كان الوالد يعلقها على الشاعر الشاب ، وإلى الوضع الذى وضعته فيه المقادير بعد هـذا الخطب الجلل :

كم جنى والد على ابن ولـكنا   جنينا عليك ـ صفحاً وغفرا
ثم هنيئاً فليس بالميت من خلـ   ـف من بعد موته ابناً أبرا
أنا أحنو على اليتامى وأرعى   أينما عاشرتك بالطهر دهرا
ثم أحيي ذكراك ميتاً وقد خلد
ت ذكرى تضوع فى الـكون نشرا

ولم يفتأ رامى يذكر أباه ويرعى عهوده ، ويذرف عليه دموع أمانيه :

كم مر بى عيد تمنيت أن   يكسونى فيـه جديد الثياب
وكم تقضت بى ليـال ولا   سمير لى فيهن إلا الـكتاب
وحين أدركت المنى لم أفز   من ثغره بالبسمات العِذاب
وكم جلسنا أسرة نرتجى   رجوعه بعـد طويل الغياب
نرنو إلى موضـعه بيننا   وقد خلا من بشره والحِباب
... ...
نشأت فى يتم ولى والد   فما اكتفى الدهر بهذا العذاب

نرنو إلى موضعه بيننا ! ما أبسط هذا التعبير وما أبدعه وما أشد لذعه ! لقد كان يتم رامى مفجر ينابيع الإنسانية فى قلبه الشاعر النابض الكبير ! لقد صحبه ذلك الشعور باليتم حتى فى رثائه أصدقاءه ، ولعل ما رثى به صديقه ، فقيد الأدب والشعر والمسرح المرحوم محمد تيمور ، هو من عيون الشعر العربى فى باب رثاء الأصدقاء :

كيف أرثيك يا رفيق شبابى   يانجيى من شـيعة الأحباب
أبدمعى ؟ الدمع أرخص ما يبـ   ـكى به صاحب على الأصحاب
أنت أولى بأن يبلل مثـوا   ك بنضح من الفؤاد مذاب

وهو يلم فى القصيدة كلها تلك الإلمامات العائلية المؤلمة التى لا يقدرها إلا من جربها ، والتي تذيب القلوب وتقطع نياطها ألماً وحزناً :

طار لبى لـما نعيت وضاقت   بى دنيا كثيرة الأسباب
تلك حالى ؛ فـكيف حالك يا تيمـ   ـور لما غدوت فى الغياب
خلت الدار منك يا بهجة العمـ   ـر وأقوت من سرحها المخضاب
ثم أضحت (ربرى) تنادى أبى أيـ
ـن ولا من يرد رجع الخطاب
طرت من عشها وكنت لها عطـ   ـفا وزقا تحت الظلال الرطاب
ثم طال انتظارها لك حتى   يئست بعد صبرها من إياب
فاطمأنت على مصارحة الدهـ   ـر وقرت على أليم المصاب

محـــرجات...

الأســتاذ علي الجندي

كان المجلس مرصعاً بكواكب لامعة من الأدباء والأديبات، فدار الحديث حول مبالغة بعض الناس في كتمان سنهم، وأن أديباً كبيراً قضى نحبه ولم يعرف سنه أحد! حتى كأنها من مفاتح الغيب التي استأثر الله بعلمها! وهنا انبرت أديبة نابهة فقالت: الناس جميعاً في ذلك سواء بدليل أن الأستاذ - وأشارت إلى - لا تسعفه شجاعته بإخبارنا عن سنه! فدارت بي الأرض الفضاء، وأطرقت قليلاً أزور في نفسي كلاماً، فلحظت الشيطانة ذلك، وعلمت أن وراء الإطراق ما وراءه! فاستدركت قائلة: على شرط أن يقول الصدق كل الصدق، لا شيء غير الصدق!

ويحك أيتها الإنسانة! إن الصدق ليكون أحياناً معجزة للمرء كما يقول بعض السلف رحمه الله!

ومع أني لم أتجاوز دائرة الشباب، وهي دائرة (مرنة) والحمد لله! ومع أني لا أستجيز الكذب إلا في الشعر، فقد أحسست ميلاً شديداً إليه! وخيل إلي أنه لا بأس في هذا المقام أن أطرح من عمري بضع سنوات! ولكني عدت فتذممت من ذلك، ووجدت عنه مندوحة في قولي:

أعلم أني ولدت في أيام حرب من الحروب المشهورة، فقال أديب: لعلها حرب البسوس! وقال آخر: لعلها حرب الردة! فقالت الأديبة: هذا تحامل شديد! أظنها: حرب «المائة عام»! فقلت: ولم لا تكون حرب «الوردتين»[1]! فضحكوا وضحكن! وانفسح المجال للمفاكهة البريئة، فتنوسي السؤال، وكفى الله المؤمنين القتال!

وحينما كنت مدرساً بالتجارة، جاءتنا من الوزارة (نشرة) تطلب فيها من المدرسين أن يخبروها بأسمائهم وعناوينهم وشهاداتهم ومرتباتهم وأسنانهم، والخطب فيما عدا السن يسير، ولكن من الذي يستطيع أن يدون اسمه على مرأى ومسمع من زملائه؟! أشهد لو أن الوزارة ضاعفت لهم الحصص، أو قطعت عنهم المرتبات ما ثاروا عليها هذه الثورة! وطال تردد المسألة بين الناظر والمدرسين على غير طائل حتى كادت تحدث الجفوة، وأخيراً فطن الناظر لما كان يجب أن يفطن له أولاً، فاستدعاهم إلى مكتبه، وقال - وهو يضحك - لقد عرفت السر! ليبح كل واحد منكم لي بسنه على انفراد وعلى عهد موثق أن أطويه في صدري! وهنا برح الخفاء وانفرجت الشفاه عما أجنته السرائر! ولكن أستطيع أن أزعم: أن كثيراً مما قيل تبرأ منه شهادات الميلاد!

وإني لأعرف قوماً يجهلون زمن مولدهم! أو قل: يتجاهلونه فلا يحتفلون به، كما يحتفل بعض الناس! ويلذ لهم أن يذهلوا

(١) حرب (المائة عام) والوردتين من حروب أوربا في القرون الوسطى

وقد لزمت رامي هذه الروح الرثائية في معظم شعره، وفي معظم نظراته التي كان ينظم فيها الشعر لنفسه خاصة، ونقول لنفسه خاصة، لأن لرامي منظومات كان (يصنعها تحت الطلب)، وهي منظومات - أو أغان - لنا فيها رأي ربما أعلناه فيما بعد. وتتجلى هذه الروح الرثائية في قصيدته (إلى أخي البعيد ج ٢)، التي يتمنى فيها أوبة هذا الأخ المسافر. فيحسب الإنسان أنه يرثيه بشعر من أجود أشعار الرثاء... وتتجلى أيضاً في قصيدتيه الفريدتين (الجمال العاطل - والجمال الراحل ج ٢). ثم قصيدته (اللقيط)، وفي (غريب يغني)، و(مستقبل الحب) و(إلى البدر)، و(شكوى عليل)، و(طيور الأماني)، و«شعر الدموع»، و«الشيب الباكر». إلى آخر هذه المجموعة المؤثرة من أشعار رامي الإنسانية الباكية التي جمعها الجزء الثاني من ديوانه، والتي ترن أصداؤها في جميع أغانيه

(يتبع)

دريني خشبة

عنه عامدين متعمدين ! ومع أن ذلك مغالطة فى الحقيقة المرة لا تجدى عليهم شيئاً ، إلا أن النفوس تأنس لهذه المغالطة وتسكن إليها !

ولا يصح أن يكون هذا موضع العجب ، لأنه فطرة فى الإنسان يستوى فيها الرجل والمرأة ، فالتعلق بالشباب يعادل التعلق بالحياة ، بل الحياة فى أنضر عهودها وأبهى مظاهرها ، وكل سنة تمر علينا تبعدنا من هذا الشباب المحبب الموموق بقدر ما تدنينا من شيء كريه مقيت هو الهرم الذى يسلمنا إلى الفناء !

وإنه ليروعك أن ترى شاعراً زميتاً جاداً صارماً كالمتنبى يبكى الشباب ، وهو يرفل فى ورقه النضر ويمرح فى ظله السابغ فيقول :

ولقد بكيت على الشباب ولِمّتى مسودة ولماء وجهى رونق
حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفنى أشرق

وصدق عمرو بن العلاء فى قوله : ما بكت العرب شيئاً ما بكت الشباب ، وما بلغت به قدره . كما صدق الأصمعى حين يقول : أحسنُ أغاط الشعر : المراثى والبكاء على الشباب !

وإنك لستطيع أن تقدر مبلغ حرص الإنسان على الشباب ، وحسرته على زواله من هذه النادرة التى حدثت بين الرشيد ومغنّيه ابراهيم الموصلى ، مع ما يملك الملوك من وسائل تغنيهم عن الشباب أو تعزّيهم عنه على الأقل : جاء فى أمالى المرتضى : أن إسحاق الموصلى حدث عن أبيه ابراهيم . قال : غنّيت بين يدى الرشيد يوماً والستارة منصوبة :

وأرى الغوانىَ لا يُواصلن امرءا فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فطرب الرشيد واستعاده وأمر لى بمال . فلما أردت الانصراف وجه إلىّ كلاماً شديداً وقال : أتتغنّى بهذا الصوت وجوارىّ من وراء الستارة ؟ ! لولا حرمتك لضربت عنقك ! قال ابراهيم فتركت الصوت والله حتى نسيته !

وقد كنت أظن أن كتمان السن والمغالاة فى إخفائه من سمات هذا العصر الذى لانت فيه الأخلاق ، واشتد الحرص على المتع ، وكثر فيه الزور والزيف ، ولكنى وجدت ذلك سنة القدامى من أعلام السلف ؛ ففى النجوم الزاهرة : أن الإمام أبا بكر الأنصارى كان إذا سئل عن سنه يقول : أقبلوا على شأنكم ، لا ينبغى لأحد أن يُخبر عن سنه ؛ إن كان صغيراً يستحقروه ، وإن كان كبيراً يستهرموه ! ثم ينشد :

لى مُـــدّة لا بدّ بالغُـها فإذا انقضت وتصرمت مِتُّ
لو عاندتنى الأُسدُ ضاربةً ما ضرّنى ما لم يَجِ الوقت

وفى نفح الطيب يحدث المقّرى الأكبر عن نفسه قائلاً : كان مولدى بتلمسان ، ووقفت على تاريخ ذلك ، ولكنى رأيت الصفح عنه ، لأن أبا الحسن بن مُؤمن سأل أبا طاهر السّلفى عنّ سنه ، فقال : أقبل على شأنك ؛ فإنى سألت أبا الفتح بن زيّان عن سنه فقال : أقبل على شأنك ؛ فإنى سألت على بن محمد ابن اللبان عن سنه فقال : أقبل على شأنك ؛ فإنى سألت حمزة ابن يوسف السهمى عن سنه فقال : أقبل على شأنك ؛ فإنى سألت أبا بكر المنقرى عنّ سنه ، فقال : أقبل على شأنك ؛ فإني سألت الترمذىّ عن سنه فقال : أقبل على شأنك ؛ فإنى سألت بعض أصحاب الشافعى عن سنه فقال : أقبل على شأنك ؛ فإنى سألت الشافعي عن سنه فقال : أقبل على شأنك ؛ فإنى سألت مالك بن أنس عن سنه ، فقال : أقبل على شأنك ؛ ليس من المروءة للرجل أن يخبر عن سنه !

وقد زاد بعض الأقدمين على كتمان السن ، كتمان السرّ والمال والمذهب ، وفيها يقول الحسين البغدادى كما نقله معجم الأدباء :

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة سر ومال ، ما استطعت ، ومذهب
فعلى الثلاثة تُبتلَى بثلاثة بمكفّر وبحاسد ومكذّب

وقد جاء فى كتمان المال : ما رواه الكامل فى المبرد : من أن عبد الملك بن مروان سأل عبد الله بن يزيد بن خالد — وكان من العقلاء — عن مقدار ماله ، فقال له : شيئان لا عيلة علىّ معهما : الرضاء عن الله ، والغنى عن الناس . فلما خرج قيل له : هلا أخبرت الخليفة ! قال : لا يعدو أن يكون قليلاً فيحقرنى ، أو كثيراً فيحسدنى .

على الجندى

صفحة من كتاب

نيتشـــه والزواج

[صفحة مهداة إلى الآنسة المهذبة « ا . م . »]

للأســتاذ زكريا إبراهيم

في ظلال الوحدة القاسية ، ومن خلال الحياة العقلية الباردة ، أرسل نيتشه صيحته العالية : « إن ما تسمونه الحب ، ليس إلا سلسلة من الحماقات القصيرة المتتالية . أما الزواج فهو الحماقة المستقرة الكبرى التي تجيء خاتمةً لتلك الحماقات » ! وليس من عجب أن يعلن نيتشه مثل هذا الحكم على لسان نبيِّه زرادشت ؛ فإن فيلسوفنا قد جهل المرأة ، ففاتته بذلك معرفة جانب كبير من جوانب الحياة الإنسانية . وقد شهدتْ بذلك أخته فقالت : « إنني لم أشهد لديه أدنى أثر من آثار عاطفة المحبة . فكل اهتمامه كان منصرفاً إلى المسائل العقلية ، وأما ما عدا ذلك فلم يكن يلقى منه غير اهتمام سطحي . ويظهر أنه هو نفسه قد عانى كثيراً فيما بعد ، بسبب انعدام كل عاطفة من عواطف الحب لديه » . وإذا كان نيتشه قد جهل ذلك العلم الكبير الذي سماه سقراط باسم « الحب » ؛ فليس بدعاً أن تجيء أحكامه التي أطلقها على المرأة . أحكاماً قاسية لا تثبُّت فيها ولا هوادة . وهو نفسه قد فطن إلى أن جهله بالمرأة لا بد أن ينحرف به عن جادة الصواب ؛ فذكر على لسان تلك المرأة العجوز التي التقى بها حكيمه زرادشت : « إن من الغريب أن ينطق زرادشت بالحق في حديثه عن النساء ، مع أنه لا يعرف عنهن إلا الشيء القليل ! »

ولكن ما هو هذا الحق الذي نطق به زرادشت في حديثه عن المرأة ؟ ألا فلنستمع إليه وهو يفضي إلى تلك المرأة العجوز بسر « المرأة » الذي كشفت له عنه الحياة ! : « كل ما في المرأة لغز ، وليس لهذا اللغز من حل إلا الولادة ... ليس الرجل للمرأة إلا وسيلة ، أما الغاية فهي دائماً : الولد . . . يجب أن يُنشَّأ الرجل للحرب والقتال ، أما المرأة فيجب تُعدّ للترويح عن المحاربين ، وكل ما عدا ذلك فهو حمق وضلال » . أما المساواة بين الرجل والمرأة فهي حديث خرافة ، لأن الجنسيْن مختلفان ، ووظيفة كل منهما مختلفة كذلك عن وظيفة الآخر . ويصف نيتشه هذه المساواة بأنها مساواة مضادّة للطبيعة Antiphysis ، لأن من المحال أن تنقلب المرأة رجلاً ، مهما أجهد الخياليون utopistes أنفسهم في توطيد أسباب ذلك الانقلاب . ومهمة الرجل في نظر نيتشه هي أن يقوم بجلائل الأعمال ، ومختلف ضروب الحرب والقتال ؛ أما المرأة فإنه ليس ثمة لديها شيء سوى الحب والطفل . وتبعاً لذلك فإن سعادة الرجل هي : « أنا أريد » ، وأما سعادة المرأة فهي : « هو يريد »

وقد حَمَلَ نيتشه على « الزواج الحديث » — كدأبه في الحَمْل على كل ما هو مُحدَث — ، وأخذ عليه أنه زواج يقوم على العواطف الصاخبة التي لا تدوم ، والأهواء الجامحة التي لا تستقر . فالزواج لا يمكن أن يقوم على الحب ، لأن الحب يعصف برجاحة الحكم ؛ وإنما الواجب أن يقوم على أساس من التدبر والحكمة . وإذا كان نظام الزواج ، في المجتمع الأوربي الحديث ، قد أخذ يزحف على ساقين ؛ فما ذلك إلا لأن زواج الحب قد أصبح يُنظر إليه اليوم نظرة ملؤها التسامح والتساهل . أما الزواج الكامل الذي تتحقق فيه حكمة هذا النظام على أحسن وجه ، فهو ذلك الذي تكون فيه الرابطة بين الزوجين ، رابطة قوية لا تنفصم عُراها ، بحيث لا يمكن أن تعصف بها الأهواء العابرة والنزوات العارضة . ومثل هذا الزواج لا يمكن أن يكون الأصل فيه هو الحب ، بل « غريزة النوع » أو « غريزة الامتلاك » (باعتبار أن الزوجة والأبناء بمثابة ممتلكات للزوج) ، أو « غريزة السيطرة » . ويؤكد نيتشه قيمة غريزة السيطرة في الزواج ؛ فيقول إن الأسرة أشبه ما تكون بمملكة صغيرة تحتاج إلى أبناء وورثة لكي يدوم بقاؤها ، ففي مجال الأسرة يستطيع الرجل أن « يباشر » إرادة القوة التي توجد لديه !

بيد أن نيتشه سرعان ما يعدل عن هذه النظرة ، لكي يقدِّم لنا عن الزواج صورة أخرى محببة جميلة ، يُدخل فيها فكرته عن الإنسان الأعلى ؛ فيقول : « أنت شاب في مقتبل العمر ، وتتمنى أن تكون لك زوجة وأولاد ، ولكنني أسائلك : هل أنت رجل يحق له أن يطمع في البنين ؟ هل أنت الرجل

الظافر المنتصر على نفسه ، المسيطر على حواسه ، السائد على فضائله ؟ أم أن الشهوة الحيوانية والحاجة الضرورية هما اللتان تتكلمان بلسان رغبتك ؟ أم هي العزلة قد دعتك إلى ذلك ؟ أم هو اضطرابك وتنازعك مع نفسك ؟ إنني أريد أن يكون ظفرك وحريتك هما اللذان يتشوقان إلى الولد ؛ وإن عليك أن تبتني الأنصاب الحية لظفرك وحريتك . أجل ، إن عليك أن تبتني شيئاً يعلو عليك ، ويسمو فوق مستواك . ولكن يجب قبل ذلك أن تكون أنت نفسك متين البنية ، قوياً في الجسم والروح . فليس عليك أن تتناسل وتنتج فحسب ، بل إن عليك أن تُنتج في صعود ، فترتفع بنفسك إلى ما فوق ... وإنما الزواج عندى هو اتحاد إرادتين أو شخصين ، لكي ينشأ منهما واحد يكون خيراً منهما »

وعلى هذا النحو لا تعود المرأة مجرد أُلهيَّة ، ولا تقف مهمتها بعد عند الترويح عن المحاربين ، وإنما تصبح مخلوقاً جديراً بالاحترام والتقدير ، نظراً لأن قيمتها لا تقل عن قيمة الرجل في خَلْق الإنسان الأعلى ، والتأدّي بالإنسانية إلى تلك الغاية السامية التي تعلو عليها .

زكريا إبراهيم

القضايا الكبرى في الإسلام

قضية الشاعرين هدبة وزيادة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٧ —

هذه قضية الشاعرين العُذْريين : هُدْبة بن خشْرم وزيادة بن زيد ، بل مأساة الشعر الذى أراد الإسلام أن يجعل منه رسالة إصلاح ، وصلة تراحم ، فأبى إلا أن يمضى على ما كان عليه قبله ، يثير العصبية بين العرب ، ويقطع صلة التراحم بينهم وقد شغلت هذه القضية الناس ثلاث سنين ، بوقائعها المثيرة ، وأخبارها المؤثرة ، وأشعارها البليغة ، وكان أهل المدينة أكثر الناس افتتاناً بأخبارها وأشعارها ، لأن وقائعها جرت فيما بينهم ، وكان هدبة أول من أُقيد منه في الإسلام ، فأحدث ذلك في أهل المدينة الوادعة أثراً عظيماً ، حتى قال مصعب الزبيرى : كنا بالمدينة أهل البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبر هدبة وزيادة ازدريناه ، وكنا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بهما .

وكان من أمر هذه القضية أن هدبة وزيادة اصطحبا في ركب من قومهما إلى الحج ؛ فكانا يتعاقبان السوق بالإبل ، وكان مع هدبة أخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز فقال :

عوجى علينا واربعى يا فاطما   ما دون أن يرى البعير قائما
ألا ترين الدمع منى ساجما   حذار دار منك لن تلائما
فعرَّجت مُطرداً عُراهما   فعماً يَبُذُّ القطف الرواسما(١)
كأن في المثْناة منه عائما   إنك والله لأن تباغما(٢)
خَوْداً كأن البوص والمآكما   منها نَقاً مخالطٌ صرائما(٣)
خير من استقبالك السمائما   ومن مناد يبتغى معاكما(٤)

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته ، فنزل فرجز بأخت زيادة ، وكانت تدعى أم خازم أو أم القاسم ، فقال :

لقد أرانى والغلام الحازما   نزجى المطى ضُمَّراً سواهما
متى تظن القلص الرواسما   والجلة الناجيـــة العياهما
يبلغن أم خازم وخازما   إذا هبطن مستحيراً قاتما
ورجع الحادى لها الهماهما   ألا ترين الحزن منى دائما
حذار دار منك لن تلائما   والله لا يشفى الفؤاد الهائما
تماحك اللبات والمآكما   ولا اللمام دونْ أن تلازما
ولا اللزام دون أن تفاقما   ولا الفقام دون أن تفاغما
وتركب القوائم القوائما

فشتمه زيادة وشتمه هدبة ، وتسابا طويلاً ، ثم صاح بهما القوم : اركبا لا حملكما الله ، فإنا قوم حجاج

وقد خشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه ، وهدبة أشدهما حنقاً ، لأنه رأى

---

(١) الطرد المتتابع السير ، والعراهم الشديد ، والرواسم الابل تسير الرسيم وهو فوق الدق

(٢) المثناة الزمام ، والعائم السابح ، وتباغم تكلم

(٣) البوص العجز ، والمآكمان ما عن يمين العجز وشماله ، والنقا ما عظم من الرمل ، والصرائم دونه

(٤) ويروى — ومن نداء يبتغى — أى رجلا تناديه أن يعينك على عكمك حتى تشده .

أن زيادة قد ضامه إذ رجز بأخته وهى تسمع قوله ، ورجز هو بأخته وهى غائبة لا تسمع قوله ؛ فضيا ولم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حجهما ، ورجعا إلى عشائرهما

وكان هدبة من بنى عامر وزيادة من بنى رقاش ، فتفاقم الشر بين الرهطين ، والتقى نفر من بنى عامر فيهم أبو جبر وهو رئيسهم الذى لا يعصونه ، وخشرم أبو هدبة ، وزفر عم هدبة ، ونفر من بنى رقاش فيهم زيادة وإخوته عبد الرحمن ونفاع وأدرع ، وكان ذلك بواد من أودية حرتهم ؛ فكان بينهم كلام ؛ فغضب أدرع وأبو جبر، وكان زفر عم هدبة يعزى إلى رجل من بنى رقاش ؛ فقام أدرع فرجز به فقال :

أدُّوا إلينا زُفَرا نعرف منه النظرا
وعينه والأثرا

فغضب رهط هدبة وادعوا حداً على بنى رقاش ، فتداعوا إلى السلطان . ثم اصطلحوا على أن يدفع إليهم أدرع فيخلو به نفر منهم ؛ فما رأوه عليه أمضوه . فلما خلوا به ضربوه الحد ضرباً مبرحاً ؛ فراح بنو رقاش وقد أضمروا الحرب وغضبوا ، وكان على السلطان أن يتولى إقامة الحد على أدرع ، حتى يهدئ تلك النفوس التى لا تزال تنزع إلى جاهليتها ، وتحاول الرجوع إلى عاداتها التى قضى الإسلام عليها

ثم جعل زيادة وهدبة يتهاديان الأشعار ويتفاخران ، ويطلب كل واحد منهما العلو على صاحبه فى شعره ، وجرت بينهما فى ذلك أشعار كثيرة روى صاحب الأغانى بعضها ، ولم يزل هدبة يطلب غرة زيادة حتى أصابها فبيته فقتله ، ثم تنحى مخافة السلطان . وكان على المدينة يومئذ سعيد بن العاص ؛ فأرسل إلى عم هدبة وأهله فحبسهم بالمدينة . فلما بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه ، وتخلص عمه وأهله ؛ فلم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمن أخو زيادة إلى معاوية بدمشق ؛ فأورد كتابه إلى سعيد بأن يقيد من هدبة إذا قامت البينة فأقامها ؛ فمشى رهط هدبة إلى عبد الرحمن وسألوه قبول الدية فامتنع . وقال :

أنختم علينا كلكل الحرب مرة فنحن منيخوها عليكم بكلكل
فلا تدعنى قومى لزيد بن مالك لئن لم أعجل ضربة أو أعجل

أبعد الذى بالنعف نعف كويكب
رهينة رمس ذى تراب وجندل
أُذكر بالبقيا على من أصابنى
وبقياى أنى جاهد غير مؤتل

وقيل إن سعيد بن العاص كره الحكم بين هدبة وعبد الرحمن . فحملهما إلى معاوية بدمشق ؛ فلما صارا بين يدى معاوية قال عبد الرحمن : يا أمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتى ، وقتل أخى ، وترويع نسوتى . فقال معاوية لهدبة : قل . فقال هدبة : إن هذا رجل سَجَّاعة ، فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاماً أو شعراً فعلت . فقال له معاوية : لا بل شعراً . فقال هدبة :

ألاَ يا لقومى للنوائب والدَّهر وللمرء يُردى نفسه وهو لا يدرى
وللأرض كم من صالح قد تأكمت
عليه فوارته بِلَمَّاعةٍ قَفْرِ
فلا تتقى ذا هيبة لجلاله ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر

إلى أن قال :

رمينا فرامينا فصادف رمينا منايا رجال فى كتاب وفى قَدْرِ
وأنت أمير المؤمنين فمالنا
وراءك من مَعْدًى ولا عنك من قَصْر
فإن تك فى أموالنا لم نضق بها ذراعاً وإن صبر فنصبر للصبر

فقال له معاوية : أراك قد أقررت بقتل صاحبهم . ثم قال لعبد الرحمن : هل لزيادة ولد ؟ قال : نعم ، المسور ، وهو غلام صغير لم يبلغ ، وأنا عمه وولى دم أبيه . فقال له معاوية : إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق ، والمسور أحق بدم أبيه

ثم رد معاوية هدبة إلى المدينة ، فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور ، فذهب عبد الرحمن به إلى والى المدينة وهو سعيد بن العاص ، وقيل مروان بن الحكم ، فسأل سعيد عبد الرحمن أن يقبل الدية عن أخيه ، وقال له : أعطيك ما لم يعطه أحد من العرب ، أعطيك مائة ناقة حمراء ، ليس فيها جدَّاء ، ولا ذات داء . فقال له عبد الرحمن : والله لو نقبت لى قبتك هذه ثم ملأتها ذهباً ما رضيت بها من دم هذا الأجدع . فلم يزل سعيد يسأله

ويعرض عليه فيأبى ، ثم قال له : والله لو أردت قبول الدية لمنعنى قوله :

لَنَجْـدعنَّ بأيدينا أنوفـكم   ويذهب القتل فيما بيننا هدرا

فدفعه سعيد إليه ليقتله ، وكان الأولى أيضاً أن يتولى قتله بنفسه

فلما مضى من السجن إلى القتل التفت فرأى امرأته وكانت من أجمل النساء ، فقال :

أقِـلِّى علىَّ اللومَ يا أمَّ بوزعا   ولا تجزعى مما أصاب فأوجعا

ولا تنكحى إن فرّق الدهر بيننا
أغَمَّ القفا والوجــه ليس بأنزعا

كَلِيلاً سوى ما كان من حد ضرسه
أكَيْبِدَ مِبْطانَ المشيات أروعا

ضروبا بلحييه على عظم زَوْرِهِ   إذا الناس هشوا للفعال تقنَّعا

وحُـلِّى بذى أكرومة وحميَّة   وصبر إذا ما الدهر عض فأسرعا

فمضت إلى السوق حتى انتهت إلى قصاب فقالت له : أعطنى شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردها عليك . ففعل فقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها ، ثم جدعت أنفها من أصله ، ثم ردت الشفرة وأقبلت حتى دخلت بين الناس وقالت : يا هدبة ، أتراني متزوجة بعد ما ترى ؟ قال : لا الآن طاب الموت

ثم خرج يرسف فى قيوده فإذا هو بأبويه يتوقعان الثُّكلَ وهما بسوء حال ، فأقبل عليهما وقال :

أبلياني اليوم صبراً منكما   إن حزناً إن بدا بادىء شر

لا أرانى اليوم إلا ميتاً   إن بعد الموت دار المستَقَرْ

اصبرا اليوم فإنى صابر   كل حىّ لقضاء وقَدَرْ

فلما دفع هدبة إلى عبد الرحمن ليقتله استأذن فى أن يصلى ركعتين ، فأذن له فصلاهما وخفَّفَ ، ثم التفت إلى من حضر فقال : لولا أن يظن بى الجزع لأطلتهما ، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما . ثم قال قبل أن يقتل :

إن تقتلونى فى الحديد فإننى   قتلت أخاكم مطلقاً لم يُقَيَّدِ

فقال عبد الرحمن : والله لا أقتله إلا مطلقاً من وثاقه . فأطلق فقام إليه وهز السيف ثم قال :

قد علمتْ نفسى وأنت تعلمُهْ   لأقتلنَّ اليوم من لا أرحمهْ

ثم قتله . وقد رثاه واسع بن خشرم فقال :

يا هدب يا خير فتيان العشيرة من
يُفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا

الله يعلم أنى لو خشيتهمُ
أو أوجس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوه ولم أُسْلِمْ أخَىَّ لهم   حتى نعيش جميعاً أو نموت معا

وكان هدبة قد بعث إلى عائشة يقول لها : استغفرى لى . فقالت : إن قتلت استغفرت لك . فلما قتل وفت بوعدها واستغفرت له .

عبد المتعال الصعيدى

---

٢ - فســــاد الطريقة
فى كتاب النثر الفنى

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

« عدم الدقة أيضاً »

ومثل آخر(١) يجمع صنوفاً من عدم دقة صاحب الكتاب، موقفه من السجع. فإننا إذا صرفنا النظر عن موقفه من سجع القرآن نجد صاحب الكتاب غير دقيق فى تعبيره، وغير دقيق فى تفهم كلام غيره، كما نجده غير دقيق فى تقسيمه بل فى تفكيره، حتى لتبلغ أغلاطه من هذه الناحية أحياناً مبلغ التناقض

فمن عدم دقته فى التعبير خلطه بين السجع والازدواج فى شاهدين من شواهد ثلاثة استشهد بها من كلام ابن المعتز « على أن التزام السجع لم يغلب غلبة مطلقة كما سنرى عند كتاب القرن الرابع، وإنما هى طلائع لهجوم السجع نراها عند كتاب القرن الثالث » كما يقول

فأول الشاهدين قدم له صاحب الكتاب بقوله من صفحة ٨٢ من الجزء الأول: «ولابن المعتز من كلمة ثانية يغلب عليها السجع والازدواج » ثم ذكر سطرين أو أكثر قليلاً من كلام ابن المعتز يغلب عليهما الازدواج وليس فيهما إلا سجعة واحدة. فليس فيهما إذن ما يدل على غلبة السجع على كلمة ابن المعتز وإن كان فيهما ما يصح أن يدل على غلبة الازدواج. والدقة كانت تقتضى أن يأتى بشاهد يدل على غلبة الاثنين، فإن كان لا بد أن يكون أحدهما أظهر فليكن السجع لا الازدواج، لأن الموضوع موضوع السجع، والفصل فصل أطوار السجع، والاستنتاج متعلق بالسجع وطلائع هجومه عند كتاب القرن الثالث

وثانى الشاهدين كأولهما فى دلالته، فقد اقتبس صاحب الكتاب لنفس الغرض من كلمة أخرى لابن المعتز ما يزيد قليلاً عن أربعة أسطر يغلب عليها الازدواج، ولا تحوى إلا سجعتين متفرقتين لا تدلان على أن السجع كان يغلب على كلمتى ابن المعتز كالازدواج، ولا على ما أراد صاحب الكتاب أن يستدل عليه من بدء هجوم السجع فى القرن الثالث، لأن مثل الفقرتين المشار إليهما يمكن استخراجه لكاتب ما من المشاهير أو غير المشاهير بين كتاب أى قرن. فليس فيهما إذن دلالة خاصة عن السجع فى قرن خاص كالقرن الثالث، خصوصاً وقد زعم صاحب الكتاب فى الصفحة قبل ذلك أن السجع بعد أن ضعف سلطانه قليلاً فى العصر الأموى - وكان غالباً فيما زعم على عصر النبوة - أخذ يسترد قوته فى أواخر القرن الثانى. وهذا معناه أن طلائع هجوم السجع ظهرت لا فى القرن الثالث ولكن فى أواخر القرن الثانى إن كان لكلام هذا الرجل قيمة ووزن، ولم يكن يكتب كل ما يرد على خاطره من غير تمييز أو تمحيص

ولم يقف صاحب الكتاب عند مجرد القول إن السجع « عاد يسترد قوته فى أواخر القرن الثانى » بل تجاوز ذلك فزعم أنه بدأ يرى فى أواخر القرن الثانى « رسائل يكاد يلتزم فيها السجع ». فإن صدق فى قوله هذا كان ذلك أدل على الحين الذى أخذ السجع يغلب فيه من الشاهدين المشار إليهما آنفاً من كلام ابن المعتز فى النصف الثانى من القرن الثالث، لأن ذينك الشاهدين ليس فيهما التزام ولا شبه التزام للسجع كما بينا لك. صحيح إنه جاء لابن المعتز بفقرة ثالثة طويلة كلها سجع لكنه كذلك جاء بفقرة فيها طول لكلثوم بن عمرو العتابى يؤيد بها قوله إن القرن الثانى شهد فى أواخره رسائل يكاد يلتزم فيها السجع. فهذا كاتب من القرن الثانى وذاك كاتب من القرن الثالث، وبكل استشهد صاحب الكتاب على أن السجع بدأ يغلب فى زمنه. وواضح أنه إذا كان السجع بدأ يغلب فى أواخر أحد القرنين فمن المستحيل أن يكون بدأ يغلب فى أواخر القرن الآخر؛ فصحة أحد القولين تبطل صحة القول الآخر من غير ريب

(١) انظر العدد ٥٧٤ من الرسالة

على أننا إذا رجعنا إلى ما زعم صاحب الكتاب فى أول صفحة ٨١ من أن السجع « كان يغلب على النثر فى عصر النبوة ، ثم أخذ سلطانه يضعف قليلاً فى العصر الأموى وإن حرص عليه القصاص والخطباء وناقلوا أحاديث الأعراب » وقارنا ذلك بقوله عن السجع عقب ذلك مباشرة « إنه عاد يسترد قوته فى أواخر القرن الثانى ، وبدأنا نرى رسائل يكاد يلتزم فيها السجع » . فإننا نجد رأياً ثالثاً لصاحب الكتاب لا يتفق مع بدء غلبة السجع لا فى أواخر القرن الثانى ولا الثالث . ذلك أن السجع إذا كان غالباً فى عصر النبوة فضعفه قليلاً فى العصر الأموى معناه نقص فى مقدار غلبته لا امحاؤها ، فهو إذن فى زعم صاحب الكتاب كان أيضاً غالباً فى العصر الأموى وإن دون غلبته فى عصر النبوة ؛ وهــذا هو معنى وصف الضعف بالقلة إن كان لذلك الوصف معنى . وإذن تكون عودة السجع إلى استرداد القوة فى أواخر القرن الثانى معناها عودته إلى ازدياد الغلب لا إلى اكتساب الغلب . فالسجع حسب هذا الكلام من صاحب الكتاب كان غالباً فى العصر النبوي ، وظل غالباً فى العصر الأموى ، وإن إلى درجة أقل ، ثم ازداد غلبه وظهوره فى أواخر القرن الثاني . فلا معنى إذن لقوله بعد ذلك إن طلائع هجوم السجع بدأت تظهر فى القرن الثالث فى حين لم يسبق قول بأن السجع فقد الغلبة التى كانت له فى القرنين الأولين إن صح ما زعم صاحب الكتاب

فالمسألة كما ترى ليست مجرد عدم دقة فى التعبير ولكنها فى حقيقتها قلة تحقيق وعدم دقة فى التفكير

لكن من عجيب أمر صاحب الكتاب ، وذاك كلامه عن السجع فى القرنين الأولين ، أن يسمى السجع فى القرن الثالث بدعة كما ترى من قوله فى صفحة ٨٣ :

« ومن أظهر الدلائل على ذيوع بدعة السجع فى القرن الثالث ما رأيناه من حرص ابن داود على وضع عناوين الفصول مسجوعة فى كتاب الزهرة » ، وهو لم يكن ذكر قبل أن السجع كان قد اختفى أو تضاءل لا فى القرن الثانى ولا فى أوائل القرن الثالث حتى يصح إذا عثر على نص منه أو نصوص فى أواسط القرن الثالث أو أواخره أن يعد ذلك بدعة ذاعت يستدل على ذيوعها باطراد السجع فى عناوين الفصول من كتاب

ثم بينما أنت تقرأ له هذا فى صفحة ٨٣ إذا بك تقرأ له فى صفحة ٩٦ من نفس الفصل : « وكلام ابن الأثير يؤيد ما انتهينا إليه فى أثناء هذا الفصل من أن بناء الجملة لم يخرج فى جوهره عن السجع طوال القرن الثانى والثالث » ! وابن الأثير صاحب المثل السائر عاش فى أوائل القرن السابع ، وكلامه لم يكن فى تاريخ السجع متى ظهر وغلب ، أو متى ضعف واختفى ، ولكن كان فى مدح السجع إذا استوفى شروطه ؛ فكيف يمكن أن يكون فى كلامه ذلك ما يؤيد ما انتهى إليه صاحب الكتاب فى تاريخ السجع وتطوره ؟ ثم إذا كان ما انتهى إليه صاحب الكتاب فى أثناء الفصل هو « أن بناء الجملة لم يخرج فى جوهره عن السجع طوال القرن الثانى والثالث » فكيف يمكن أن يكون السجع عاد يسترد قوته فى أواخر القرن الثانى ؟ أم كيف يستقيم أن يسمي السجع فى القرن الثالث بدعة يلتمس لذيوعها الدليل ؟ إن تلك الجملة التى لخص فيها صاحب الكتاب ما انتهى إليه لا تدع له محلاً للاستثناء فى أمر السجع وذيوعه ، لا من ناحية الزمن ولا من ناحية الكلام ، فليس أشمل من ناحية الكلام من أن بناء الجملة لم يخرج فى جوهره عن السجع ، وليس أكثر استغراقاً من ناحية الزمن من قوله إن ذلك كان طوال القرنين الثانى والثالث

فهذه نقطة واحدة بسيطة تضارب صاحب الكتاب فيها عدة مرات

على أننا إذا تركنا اضطراب صاحب الكتاب فى السجع فى القرون الثلاثة الأولى ، وذهبنا إلى القرن الرابع الذى هو الأصل فى بحثه ، لم نجده فيه أقل اضطراباً ولا أكثر دقة وتحقيقاً

وأول ما تلقاه من فصل السجع والازدواج (صفحة ١١٣) أربعة أسطر يخبرك صاحب الكتاب فى الأولين منها أنه بين لك أطوار السجع فى النثر الفني ، وأنك رأيت كتاب القرن الأول والثانى والثالث يتنقلون بين السجع والازدواج ، ويذكر لك فى السطرين الآخرين أن التزام السجع صار من خصائص نثر القرن الرابع ، وأن كتابه لا يتحررون من السجع إلا إلى الازدواج ! فإن كنت ترى فرقاً بين هذا الذى ذكر لك عن كتاب الرابع وذلك الذى أخبرك عن كتاب الأول والثاني والثالث كنت كبير النصيب من قوة الخيال ، فإذا قرأت له عقب ذلك عن القرن الرابع قوله : (ولم يخرج من كتاب هـذا العصر إلى الحرية فى الصياغة الفنية إلا عدد قليل) عجبت أولاً كيف يكون التزام السجع من خصائص النثر الفنى فى القرن الرابع ويكون بين كتابه مطاقاً من يؤثرون الحرية فى الصياغة الفنية ، قلوا أو لم يقلوا ، وعجبت ثانياً كيف ينبه صاحب الكتاب إلى الحرية الفنية فى القرن الرابع دون القرون الثلاثة قبله ، كأن القرن الرابع كان أقل التزاماً لسجع من تلك القرون

ثم تقرأ له بعد ذلك تقسيم كتاب القرن الرابع إلى طوائف ثلاث : طائفة تلتزم السجع وتزاوج قليلاً ، وطائفة تؤثر الازدواج وتسجع قليلاً ، وطائفة تؤثر الحرية ، فلا تسجع أو تزاوج إلا قليلاً . وقد عد لك من الأولى تسعة ، منهم الخوارزمى ومن الثانية ثمانية منهم ابن العميد ، ومن الثالثة سبعة منهم ابن مسكويه

فإذا قارنت بين عدد من عدّ لك من كتاب الطوائف الثلاث عجبت كيف وصف الطائفة الثالثة من قبل بالقلة وهى سبعة أثمان الثانية وسبعة اتساع الأولى إن كانت تلك الأرقام تتناسب مع اتساع كل طائفة كما ينبغى أن تكون . على أنه بعد ذلك قد زاد فى الطائفة الثالثة حين عد منهم إخوان

ثم يأخذك عجب أشد حين تقرأ له فى صفحة ١١٥ :

« وإذا نظرنا فى نثر ابن العميد وجدنا الحرية غالبة عليه ، ولكنا نراه يلتزم السجع أحياناً ، كأن يقول . . . » .

ويأتيك بمثل كله سجع . يشتد عجبك حين تقرأ هذا ، وتتساءل كيف أمكن أن يخطىء صاحب الكتاب هذا الخطأ ، أو كيف أمكن أن يتراخى في التعبير إلى هـذا الحد : يجعل ابن العميد على رأس الطائفة الثانية ، ثم يقول إن الحرية تغلب عليه فيحشره مع الطائفة الثالثة ! أى باحث هـذا الذى يقسم فلا يحسن التقسيم ، أو يطبق فلا يحسن التطبيق ؟

فإذا خطر لك أن تستقرى ما أورد صاحب الكتاب من نثر ابن العميد لترى إلى أى الطائفتين ينسبه فى الحقيقة ، انقلب عجبك سخرية بهـذا الباحث الذى يجعل ابن العميد على رأس طائفة ، ثم يدخله بالوصف فى طائفة أخرى ، ثم لا يورد له من شواهد نثره فى كتابه بجزأيه إلا ما يخرجه من الطائفتين جميعاً ويلحقه بالطائفة الباقية ! لأن ابن العميد فى تلك الشواهد يسجع أكثر مما يزاوج ، بل الازدواج قليل فى تلك الشواهد بالنسبة إلى السجع ، أما الحرية فليس له منها إلا أقل من القليل

وإذا كان هـذا هو مبلغ تناقض صاحب النثر الفنى فى الحكم على نثر كاتب مشهور مثل ابن العميد ، حتى فيما الحكم فيه سهل ، فكيف يمكن أن يوثق أو يطمأن إلى حكمه على من ذكر أو لم يذكر من كتاب القرن الرابع أو غير القرن الرابع ؟

الحق أن الرجل لا يحسن تقسيما ولا حكما ، ولا استقراء ولا استنباطاً ، وإن نادى على نفسه أنه باحث كبير يستطيع الخروج على الإجماع حتى فى أمر القرآن

محمد أحمد الغمراوي

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٨٣ — بل يتعدى إلى الأعقاب

قال النواجي : قال التيفاشي في كتابه « سرور النفس بمدارك الحواس الخمس » . وهو عدة مجلدات : إني وجدت جل من يستعمل هذا المشروب لا يفي له خيره بشره ، ولا يقوم نفعه بضره . وذلك لجهله بوجه استعماله ؛ فإن من المعلوم أن المقصود من شرب الخمر منفعتان : إحداهما راجعة للنفس ، وهي التفريح ونفي الهموم ، والأخرى للبدن وهي حفظ صحته عليه ، ونفي الأمراض النازلة به . ويتحقق عند كل من له أدنى مسكة من عقل أنها إذا استعملت على غير ما ينبغي انعكست هاتان المنفعتان مضرتين ؛ فصار عوض السرور هماً وغماً وضجراً وسوء خلق ، وعوض الصحة مرضاً مزمناً أو موتاً فجاءة . إلا أنه لا يقتصر الأمر على عكس هاتين المنفعتين فقط ، بل يتعدى إلى مضار أخرى عظيمة إن سلمت المهجة كذهاب العقل والمال والجاه والذكر الجميل . ولا يقف الأمر على ذلك بل يتعدى إلى الأعقاب ؛ فإن الحكماء أجمعوا قاطبة على أن مدمن الخمر لا ينجب ، وإن أنجب كان الولد أحمق

٥٨٤ — هذا الكلام عليك لا لك

لما ناظر أبو الوليد « سليمان بن خلف » الباجي [1] الفقيه أبا محمد علي بن حزم قال له الباجي : أنا أعظم منك همة في طلب العلم ، لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب ؛ وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق

فقال ابن حزم : هذا الكلام عليك لا لك ؛ لأنك إنما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديل بها مثل حالي ، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته ؛ فلم أرج به إلا علو القدر العلمي [1] في الدنيا والآخرة . فأفحمه

٥٨٥ — . . . زادتها ستة أذرع

في « الحوادث الجامعة » لابن الفوطي : في سنة (٦٤١) أنفذ محيي الدين بن يوسف الجوزي رسولاً إلى ملك الروم « كيخسرو بن كيقباذ » ، فاجتمع به في إنطاكية ؛ فلما عاد حكى أشياء غريبة ، منها أن النساء يتعممن كالرجال ، والرجال يلبسون السراقوجات ، وعمائم النساء تختلف في الكبر والصغر ، لأن المرأة إذا جاءت بولد تعممت بعمامة طولها ستة أذرع ، وكلما جاءها ولد زادتها ستة أذرع . وذراعهم ذراع ونصف بذراع بغداد

٥٨٦ — دعانا إلى الخروج عليك

أسر عتاب بن ورقاء جماعة من الخوارج ؛ فوجد فيهم امرأة فقال : وأنت يا عدوة الله ممن مرق من الدين ، وخرج على المسلمين ، أما سمعت قول الله تعالى :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

فقالت : حسن معرفتك بكتاب الله دعانا إلى الخروج عليك يا عدو الله

---

(١) الباجي هو صاحب « المقالة » المشهورة في كتابة النبي (صلوات الله عليه) . قال ابن عساكر في تاريخه : جرى بينه وبين علماء الأندلس مناظرة في أن النبي كتب أم لم يكتب ؛ فذهب الباجي إلى أنه كتب ، وألف رسالة في ذلك : وفي (نفح الطيب) : « بين فيها أن ذلك غير قادح في المعجزة ، إذ ليس من عرف أن يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه أمياً ، لأنه لا يسمى كاتباً ، وجماعة من الملوك قد أدمنوا = على كتابة العلامة ، وهم أميون والحكم للغالب لا للصورة النادرة » . وقد شنع على الباجي علماء عصره وكفره أبو بكر الصائغ

(١) قال صاعد في تاريخه : كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة . أخبرني ابنه أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تآليفه نحو (٤٠٠) مجلد

أو حين يقول :

رياض تخايل الأرض فيها خيــلاء الفتاة بالأبراد
منظر معجب تحيــة أنف وريحــه ريح طيب الأولاد

إنما يبلغ فى هذين المثالين وفى غيرها أبدع ما يبلغه الشعر العربى من الإحساس بحياة الطبيعة ، ولكنه يبقى فى منتصف الطريق بين هــذا المدى ، والمدى الذى يبلغه الشعر العالمى عند بعض الأمم فى الاتصال بالطبيعة اتصال الفرد بالأسرة والخلية بالجسم الحى ، والذرة الصغيرة بالكيان الكبير

فها هى ذى الشاعرة الإنجليزية المعاصرة « روث بتر » ، تقول فى مجموعة العرائس والشياطين ، للموت :

لا تنادينى والصيف مشرق أيها الموت !
إننى فى الصيف لن أجيب النداء
حين يوسوس العشب ويتمايل بأعطافه
لا ترفع إلى صوتك بالنداء من تلك الظلال السفلى
« حين يحن الصفصاف ويترقرق الماء
حين يتوانى الجدول وينعس الهواء
حين يتموج الابلاب على الأسوار
لا تنادنى . قلت لك لا تنادنى أيها الموت فى ذلك الأوان
إنك عبثاً تنادى وترفع الصوت بالنداء
فى إبان الأزاهير النامية لن أصغى إليك »

***

« لكننى سأصغى إليك حين يتجرد كل حال وحالية
ومرحباً بدعائك حين ينتثر الورق من الشجر على ثراه
حين يسمع للسفوح فحيح فى العاصف المهتاج
حين يشم الرعاة من الشرق رائحة الثلوج
حين يهجر الحقل للريح تتولى حصاده
حين يصبح الإعصار حطاب الوادى الذى يطيح بأعواده
حين يصبح البَرَد بذرة الأرض التى تنثرها السماء
حين ننفر من كل شىء ولا نتوق إلى شىء
ناد يومئذ يا موت ولك الإصغاء والترحاب
فيومئذ أسمع وأنهض وأمضى ! »

وليس لدينا من الفراغ ما نقف به على مواضع الجمال الجزئية فى تصوير الطبيعة فى الصيف إبان الحياة ، وفى الشتاء إبان الموت ، ولا فى تصوير وسوسات الحياة ووساوس الموت هنا وهناك : « حين يوسوس العشب ويتمايل بأعطافه . وحين يحن الصفصاف ويترقرق الماء . وحين يتوانى الجدول وينعس الهواء» ، أو : « حين يسمع للسفوح فحيح فى العاصف المهتاج . وحين يصبح الإعصار حطاب الوادى الذى يطيح بأعواده . وحين يهجر الحقل للريح تتولى حصاده » ... الخ . فهذه جزئيات قد تخطر للشعر العربى ، ولا سيما لابن الرومى

ولكننا نتجاوز هذا إلى الظاهرة الكبيرة الجامعة فى هذه المقطوعة . تلك هى شعور الفتاة بأنها لا تستطيع أن تموت والطبيعة فى فصل الحياة ، ولن تلبى الموت إذا دعاها ، لأن الطبيعة حولها حتى وهى خلية حية فى هــذه الطبيعة النامية . أما حين يدب الموت فى الأم الكبيرة . فهنا يحس أبناؤها أن لا مانع من إجابة دعاء الموت ، وذلك «حين ننفر من كل شىء ولا نتوق لشىء » ، وحين يدب الموت من الداخل تسهل إجابة النداء من الخارج

وفى القطعة مجال لتصوير « المرأة » التى تحسب الموت طوع رغباتها ورغبات الحياة النابضة فى قلبها كأمها الطبيعة ، فهى تناديه أن ينصرف عنها الآن ، كما تنادى الخطيب والحبيب فى تمنع وإدلال ! ولكننا معجلون عن الإفاضة فى هذا إلى إيضاح الظاهرة الكبيرة الجامعة فى قطعة أخرى لفتاة جــديدة !

« لورنس هوب » الاسم الرمزى لشاعرة إنجليزية معاصرة أيضاً !

إن رفيق الحياة يدعوها . . . وإنها لترغب فى إجابة دعوة الحب والحياة . ولكن الطبيعة حولها حزينة والليلة شاتية ، وإنها لتشعر أنها هى وهو وثمرة هــذه الاستجابة إنما هم جميعاً خلايا فى هذا الجسم الحى ، وأن هذا الحزن الذى يدب فى حنايا الطبيعة سيتسرب فى « الروح الهائمة على أعتاب الدنيا تستجدُّ فيها جثمانها » . فتنشأ الثمرة وفيها من هذا الحزن قطرات . فلتؤجل الدعوة إذن إلى حين تكون الطبيعة كلها فى فرح صبوح :

« لا ... غير هذه الليلة !
إن المطر يقطر حزيناً وانياً ...

عبرات أسى تحت سماء شجية

وعلى البعد « ابن آوى » هزيل خافت العواء

يزيد الفسق وحشة وعزلة

* * *

« النهر الدافق يتقدم إلى البحر بهمهمة الشكوى

والظلال تؤوى إليها الوساوس الخفية

وعيناى ترنوان نحو عينيك ابتغاء عزاء

فتلقاهما الأهداب مبللة بالدموع

* * *

« إن الروح الهائمة على أعتاب الدنيا تستجدِ فيها جثمانها

إن دخلتْ من خلال قبلاتنا إلى حظيرة الحياة

ورثت كل ما فى قلوبنا من أسى

وكلَّ ما فى المطر المنحدر من شجن مكظوم

* * *

« لا . حين تشتهى استجابة الحب الكبرى

أقبل إلىَّ والصباح يرتع فى الأنوار

والبلابل من حولنا مشوقة تصدح بالغناء

بين الورود من حمر وبيض

* * *

« وكذلك حين يقضى الله لى تلك الفريضة الحلوة القدسية

مذعنة لمشيئته الإلهية

كى أمنح الدنيا صورة من جمالك

لأسلمها إذن إلى الدنيا ومعها فرحى فيك »

فهذه شاعرة وامرأة . يبدو فى مقطوعتها طريقة إحساسها بفرح الطبيعة وحزنها ، وتتبين الوشائج الحية بينها وبين هذه الأم الكبيرة ؛ وهذه هى الظاهرة التى نريد إبرازها . ولكن هذا لا ينسينا أن نقف مرتين أمام موضعين من مواضع الإبداع فى القصيدة :

الأول : طريقة الإحساس بحزن الطبيعة وفرحها : فالمطر « الذى يقطر حزيناً وانياً عبرات أسى تحت سماء شجية » يجتمع إلى « ابن آوى هزيل خافت العواء على البعد » فيزيد الفسق وحشة وعزلة . و « النهر الدافق يتقدم إلى البحر بهمهمة الشكوى » يجتمع إلى « الظلال تؤوى إليها الوساوس الخفية » وكلاهما يجتمع إلى « عيناها ترنوان نحو عينيه ابتغاء عزاء فتلقاهما الأهداب مبللة بالدموع » . ثم فى الوجه الآخر : « الصباح يرتع فى الأنوار . والبلابل مشوقة تصدح بالغناء » وكلمة « مشوقة » خاصة فى هذا المكان إنها لوحة متناسقة الألوان أو سيمفونية متوافقة الألحان بين الطبيعة وأبنائها الجميع

والثانى : تلك الكناية الدقيقة البارعة عن « الروح الهائمة على أعتاب الدنيا تستجدْ فيها جثمانها » وعن « استجابة الحب الكبرى » التى ترتفع بها وترتفع حتى تجعلها « الفريضة الحلوة القدسية التى يقضيها الله » . إنها كناية امرأة . وامرأة تحب . وامرأة شاعرة تجتمع كلها فى سياق !

* * *

وقد توجهنا حتى الآن فى الموازنة بين الشعر العربى والشعر العالمى إلى شعراء الغرب فى مجموعة « العرائس والشياطين » وبخاصة الشعراء الإنجليز ، فلنتوجه نحو الشرق أيضاً فى هذه الموازنة فى الشرق البعيد ، وفى مصر الفرعونية مثل نتقدم بها مطمئنين

يقول الشاعر الصينى « يوان مى » من شعراء القرن الثامن عشر الميلادى بعنوان « زهر الصفصاف » :

« أزهار الصفصاف كنديف الثلوج ... إلى أين ؟

أين تمضى جموعك الضالة مع الريح ؟

* * *

« قلما نبالى . وأقل من ذلك ما ندرى !

إنما سبيلنا من سبيل الهواء

حياتنا فى دوَّاماته العاصفة

وموتنا فى الهاوية هناك »

فهذا إنسان يحس بنفسه وبالناس كزهرة أو أزهار الصفصاف . « سبيلهم جميعاً من سبيل الهواء . حياتهم فى دوَّاماته العاصفة وموتهم فى الهاوية هناك » . فيزيد على إحساس الغربيين بالاندماج فى الطبيعة ، تلك الصوفية الفينية ، طابع الشرق الجليل العميق البسيط الذى لا يكاد يبدو فى الشعر العربى

وفى المجموعة قطعة أخرى للشاعر نفسه فيها هذه الصوفية

الرقيقة ويجانبها إحساس المودة الصادقة بينه وبين الطبيعة التى تداعبه نسماتها وترسل عليه زحاماً من المطور وتبسم فى وجهه وهو لا يدرى من زحمة المطور عليه عطر الورد من عطر البشنين :

« على ضفة الجدول الغربى
تطيف بى الأحلام فى الغسق المزنبق
وتداعبنى نسمات الربيع
فترسل علىّ زحاماً من المطور
وتبسم فى وجهى حين لا أدرى
عطرَ الورد من عطرِ البشنين »

ونتجاوز مجموعة « العرائس والشياطين » لنقع على أغنية مصرية قديمة حيث : « تدعو شجرة الجميز فتاة إلى موعد حب تحت ظلالها ، واعدة أن تكون أمينة على أسرارهما » !

وفى الموضوع كما ترى تلك الصداقة الحلوة بين شجرة الجميز وبين الحبيبين ، حيث تشترك الطبيعة فى مباركة الحب . فإذا أضفنا إلى ذلك أن شجرة الجميز كانت مقدسة عند المصريين لأن إلٰهة « الخصب » « حاتحور » كانت تسكنها وترسم مطلة بين فروعها ، زاد الموضوع قوة . فليست الطبيعة وحدها هى التى تبارك الحب بل الآلهة أيضاً ، وإلٰهة الخصب بنوع خاص !

وهـذه القطوعة مترجمة ترجمة حرفية ربما ذهبت بالكثير من جمالها ولكنها تفى بالغرض الموضوعى :

« غنت شجرة الجميز إلى فتاة جميلة
وكانت كلماتها تتساقط كقطرات الشهد
فأصبح الثمر الذى أحمله بلون الياقوت الأحمر
وكل ما فى تعريشتى لأجلك

***

« إن أوراقى تزدان بلون خضرة البردى
وفرعى وجذعى لهما بريق عين الهر
تعالى تحت ظلى الرطب
ليستريح حلم قلبك الذى به تحلمين

***

« سترسل سيدتى رسالة حب
إلى الشخص الذى سيكون سعيداً
قائلة : احضر إلى حديقتى قليلاً
واجلس معى فى ظلى
سأجنى لك الفاكهة لسرورك
وسأقطع الخبز وأصب النبيذ
سأقطف لك الأزهار النضرة

***

« فى يوم هذا العيد السعيد
ستكون سيدتى وحدها مع حبيبها
آه . سأصمت عما أرى
ولا أتفوه بما سمعت ! »

***

إن إحياء الطبيعة والاندماج فى حياتها ، كلاهما مرحلة بعد أخرى . وكلتاهما فى حاجة إلى رصيد ضخم مذخور من الحيوية الباطنية . وقد كانت حيوية العرب حيوية حس تنفق أولاً بأول فى الانفعال القريب والحركة المباشرة ، والعمل المنظور . فلم يبق فى نفوسهم ذلك الرصيد المذخور فى الباطن للتأملات والتصورات ، التى هى أعلى وأعز ما فى الفنون . ولعل فى هذا تعليلاً لعدم نمو القصة الفنية فى الأدب العربى إلا على نحو قريب من الحكاية والخبر والكلام فى هذا الموضوع يطول . وليس هذا المقال موضعه على كل حال .

سيد قطب

من أدب الزراع:

الخــــط الأول ...

لصاحب العزة محمد محمود جلال بك

ثمانية أعوام خلت كنت إذا مررت بناحية معينة من زراعتى أشعر فجأة بشبه صدمة يعقبها شيء من الاشمئزاز ، إذ تقع عينى بين نضرة النبات على بقعة جرداء . وحتى فى الأوقات التى لا تكتسى الأرض بحلة من زرع كنت أرى فى لون التربة معنى من الجدب ولوناً من الإهمال . كنت أراها كالمن يفسد معروف الرجال ، ويجاور هـذه البقعة مقابر « الشيخ عطا » ؛ فكأنما تفصل بين الدنيا والآخرة . وكم آلمنى منظرها ، والفلاح كالفنان يجد أذى فى النشاز ؛ فهـذا يسره اتساق المزروعات مرأى ، وذاك يكره تنافر الألوان ، أو إهمال التنسيق فى ناحية من تمثاله

وقلت مرة إن إصلاحها يأخذ بيد أهل الدنيا ، ويرفه الجوار لسكان هـذه المقبرة ! . . . كان ذلك سنة ١٩٣٦

ومنذ يومين مررت بها كأى مرور مما يحدث مرتين فى الشهر على الأقل . ولكن ما أدرى كيف سبح الخيال إلى عام ١٩٣٦ ، ولم رجعت الذاكرة سراعا إلى ما كان ؟!

نظرت فإذا الحقل ضمن زراعة القطن هـذا العام ، وإذا الحقل يمتد فى نظام ونضرة واتساق إلى آخر حدود المقبرة !

تلفت إلى ناظر الزراعة عن يمينى ، وتلفت القلب إلى صفحات تنشر من عمر مضى ، وكادت تشغل الصحف كل البال ، وتغمر فى طياتها الحاضر . ثم تيقظ العزم وتيقظ الحاضر ؛ فتساءلت : أين القطعة التى عملنا على إصلاحها ؟ قال : هى تلك ! مشيراً بيده : انظر ، لقد أصبحت أخصب ناحية فى زمام القطن . . . المجاور !

وهل زرعت لحسابنا ؟ قال : كيف ! لقد تقاطر الراغبون حين فراغنا من عملية الإصلاح ، وإنى لأذكر كيف كانت مطمح النظر لأول (خط) رسمه الحراث فيها

وفى الشهر الماضى زرت صديقى وأستاذى صاحب الرسالة ، وفى حديثنا أشار بلفظه العذب وأسلوبه الصافى عاتباً على انقطاع كتابتى قائلاً : أهكذا لا شيء من نظمك ولا شيء من نثرك ؟ إنى غاضب حقاً . لم يكن ردى غير اعتذار ووعد بإعادة ما كان بينى وبين الرسالة

ولست أخفى على قراء « الرسالة » أنى تهيبت العودة إلى ساحتها ، وكل ما فيها رشيق دقيق . تهيبت تهيب من يخشى لأمانته حسن قدره للأمور مع الرغبة فى الوفاء

وقمت فى بكور اليوم إلى مكتبى أسجل هذه السطور القليلة ؛ ويقوى من عزمى ما أعلم من أن الأدب أوسع صدراً وأبر بمن ينتسب إليه ، أو يحاول قربه من أن يرده خائباً ، أو أن يطوى عنه ستره

ومنذ سنة ١٩٣٦ لم أكتب شيئاً ، ومن العجب اتفاق التاريخين .

وما كدت أكتب السطر الأول فى تعليق على ما رأيت حتى ذكرت « الخط الأول » الذى أشار إليه ناظر الزراعة . فالخط الأول فى كل سعى هو أشقه ! أو لم يقبل الزارعون إثر الخط الأول فى الحرث ؟ وإذن فلتقبل معانى الأدب وعظاته ما تم الخط الأول فى المحاولة

ومن أروع ما قرأت حكمة لأبى شرف الأندلسى عنيت بها قديماً ، حتى نقشتها فى رحبة دارى وجعلتها خلف الباب ، لتكون أمامى وأمام أولادى شحذاً للعزم ، متى همّ أحدنا بالخروج . قال أبو شرف : « إذا خرجت من دارك ، فقد قطعت ثلثى الطريق » .

وإذن فالخط الأول . . . هو الخط الأول . . .

(الشيخ عطا) فى { ٥ شعبان ١٣٦٣ / ٢٥ يولية ١٩٤٤ }

محمد محمود جلال

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٨٧ — ويشرى به للقتيل الكفن

قال أبو الحجاج البلوى فى كتابه (ألف با) : أنشدنى الشيخ الفقيه أبو محمد العثمانى لبعض الشعراء يمدح أحد الملوك ، وكان يرى عدوه فى حال القتال بسهام من ذهب ! :

وقد صاغ من ذهبٍ نصلَه فأبدى من المنّ ما لم يُمَن
يُداوِى الجريح به جرحَه ويشرى به للقتيل الكَفَنْ

٥٨٨ — حمق شاعر وسخف صوفى

فى تتمة (اليتيمة) : استصفع[1] حيدر الخجندى بقوله :

ما إن سألت الله مذ أيقنت نفسى أن الذل تحت السؤال

وإنما كتبته تعجباً من خرقه وحمقه فى الترفع عما يدين به أفضل العالم وسيد ولد آدم نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ونظيره فى الجهل الكثيف والعقل السخيف ـ الصوفى الذى كان إذا ذكر الله (سبحانه) لا يقول : تبارك وتعالى ، ولا عز وجل ؛ فإذا قيل له فى ذلك أنشد :

إذا صفت المودة بين قوم ودام إخاؤهم سمج الثناء ...

٥٨٩ — كتب الدولة وعرضها على أئمة اللسان والفتوى

فى « طبقات الشافعية » للسبكى : كان إلى « ابن برّى »[2] التصفح فى ديوان الإنشاء ، لا يصدر كتاب عن الدولة إلى ملوك النواحى إلا بعد أن يتصفحه[3] إمام من أئمة اللسان وكان « القاضى الفاضل » يتصفح الكتب التى يكتبها العماد الكاتب ومن دونه . وكانوا يستعظمون صدور كتاب عن السلطان غير معروض على أئمة اللسان وأئمة الفتوى

وفى (وفيات الأعيان) : كانت وظيفة (ابن بابشاذ)[1] بمصر أن ديوان الإنشاء لا يخرج منه كتاب حتى يعرض عليه ويتأمل ؛ فإن كان فيه خطأ من جهة النحو واللغة أصلحه ، فسيروه إلى الجهة التى كتب إليها ، وكان له على هذه الوظيفة راتب من الخزانة يتناوله فى كل شهر ، وأقام على ذلك زماناً ...

٥٩٠ — البخيل

فى (بخلاء) الجاحظ ، فى رسالة أبى العاص بن عبد الوهاب الثقفى : البخيل عند الناس ليس هو الذى يبخل على نفسه فقط ، فقد يستحق عندهم اسم البخيل ويستوجب الذم ولا يدع لنفسه هوى إلا ركبه ، ولا حاجة إلا قضاها ، ولا شهوة إلابلغ فيها غايته ، وإنما يقع عليه اسم البخيل إذا كان زاهداً فى كل ما أوجب الشكر ، ونوه بالذكر ، وادّخر الأجر . وقد يملق البخيل على نفسه من المؤن ، ويلزمها من الكلف ، ويتخذ من الجوارى والخدم ، ومن الدواب والحشم ، ومن الآنية العجيبة ، ومن البزة الفاخرة ، والشارة الحسنة ما يربى على نفقة السخى المثرى وجود الجواد

٥٩١ — إذا ماتوا لم يخلفوا شيئاً

قال الصفدى : كان أبو الحسين بن السماك يتكلم على رؤوس الناس بجامع المدينة ، وكان لا يحسن شيئاً إلا ما شاء الله ، وكان مطبوعاً بالتكلم[2] على مذاهب الصوفية فرفعت إليه رقعة فيها : (ما تقول السادة الفقهاء فى رجل مات وخلف كذا وكذا) فلما فتحها ورأى ما فيها من الفرائض رماها من يده وقال : أنا أتكلم على مذاهب أقوام إذا ماتوا لم يخلفوا شيئاً

فعجب الحاضرون من سرعة جوابه

(١) طلب أن يصفع ، كأنه ما قال هذا القول إلا لذلك . والصفع : قيل مولد

(٢) أبو محمد عبد الله . برى بفتح الباء وتشديد الراء المكسورة .

(٣) تصفح الكتاب قراءته قراءة نقد . وتأمل تصفحت وجوه القوم إذا تأملت وجوههم تنظر إلى حلاهم وصورهم وتتعرف أمرهم

(١) طاهر بن أحمد . بابشاذ : كلمة عجمية تتضمن الفرح والسرور (ابن خلكان)

(٢) فى (الأساس) : هو مطبوع على الكرم وقد طبع على الأخلاق ، وهو متطبع بكذا

٣ – السراب . . . !

للدكتور ابراهيم ناجي

مر يومى كأمسه مسرحاً تنـ رض فيه الحياة والأحياء
آدم كالقديم قلباً وتفكيـ راً ولكن تبدل الأزياء
لم يحل طبعه ولا ذات يوم لبست غير نفسها حواء
النضار المعبود رب ومحرا ب وقدس والشهرة الجوفاء
والحطام الفانى عليه اقتتال والأمانى بريقها إغراء !
وسفين تمر إثر سفين والرياح اللذات والأهواء
والغيوب المحجبات رحاب تعبت فى رموزها الحكماء
عندها المرفأ المؤمل والشـ (م) ط المرجى والصخرة الصماء
مر بى اليوم كاسفاً وأتى ليـ ل مضىء تزف فيه السماء
قد جلت فيه عرسها كل نجم قدح يستحم فيه الضياء
لم تزل تسكب السلاف وللأقـ داح فيها تجدد وامتلاء
لم تزل ! حتى هوم الحان نمسا ن وأغفى البساط والندماء
غير نجم فى جانب الأفق يقظا ن له رونق به وجلاء
ذاك نجم السعيد منى له الشو ق ومنه الوميض والإيماء
كم أغنيه بالحنين كما غنـ (م) ت على فرع غصنها الورقاء
وذراعاى فى انتظار وصدرى فيه للضيق فرحة واحتفاء
موقداً للغريب نار ضلوعى رب بالنار للغريب اهتداء
قد سرى مدلجاً إلىّ على خو ف وبينى وبينه بيداء
كم دعوناه وهو نور بعيد فاحتويناه وهو جسم مضاء
كيف خليتنى وباعدت مسرا
ك وما لى إلى ذراك ارتماء
بالذى فيك من سنا لا تدعنى فيم هذا التسويف والإبطاء
ما ترانى وقد ذهبت بحظى أخطأتنى من بعدك النعماء
وانتهى بعدك الجميل فلا فضـ ل لمسد ولا يد بيضاء
ومضى الحسن بعد بينك والإحسـ ان طرًّا والغرة السمحاء
حسنات كانت يد الدهر عندى فانطوت بانطوائها للآلاء

ابراهيم ناجى

تحيــة المعرى

[ألقيت فى مهرجانه الألفى الذى أقيم فى حيفا]

الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

سلام عليك حبيس الظلام حليف العذاب ، طريد القدر
على قلبك المبتلى بالشقاء على روحك المضطرب المستعر
سلام عليك سلام الندى إذا صافح الزهر غب السحر

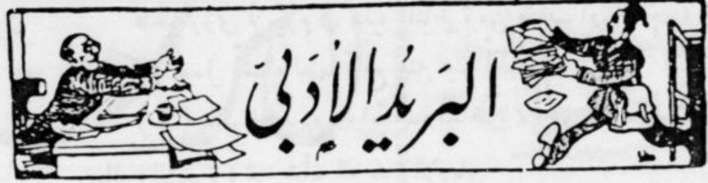
* * *

أمنطلقاً من قيود التراب على حين يرسف فيها البشر
ومتخذاً عزلة المحبسين صفياً يقيه أذاة وشر
ويا من حييت بروح تأبى على ربقة الجسد المقتصر
اجز برزخاً قام ما بيننا وبينك وارفع كثيف الستر
ومن عالم الغيب أشرف علينا وبين لنا كنهه المستتر
وقل كيف بت وراء الزمان وهل طبت نفساً بذاك المقر
أما زلت تسعى وراء اليقين فينأى به عنك عقل عسر
ظللت مدى العمر فى أسره وما قاد يوماً إلى مستقر
فكم حيرتك خبايا الغيوب وأورثك الشك سود الفكر
لقد فلسفتك حياة ألحت عليك بآلامها — والغير
حياة تمر على جانبيها فهذا يسىء وهذا يسر
طوت عنك وجه بشاشاتها وأولتك وجهاً لها مكفهر
فأقفر قلبك وهو الخصيب وعاف الرفاة وعاف الأشر
عذرتك ، ما انصفتك الحياة فكيف يطيب لديها العمر
وكيف يروق ، ولا نفس تهفو فتحنو عليك بقلب أبر

* * *

ويا باعث النور يهدى البصائر ما ذاق نعمة نور البصر
تمل من السرمدى البقاء ضياء الألوهية المنتشر
ضياء بفيض الرضى والأمان على من يحط رحال السفر
هنالك لا محنة تبتليك ولا أنت تشقى بحظ عثر
ويا سيرة تملأ الخافقين فتعنو لديها كبار السير
حياة الفتى حلم ينقضى وما العمر إلا خلود الأثر

(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان



تعقيب على مقال

طلعت علينا الرسالة الغراء في عددها الـ ٥٧٣ بمقال قيم للأستاذ عبد المنعم خلاف، عنوانه « دليل علمي يدحض مذهب وحدة الوجود »، ولما كانت بعض الآراء التي يحويها المقال المذكور تحتاج إلى مزيد من التمحيص والإيضاح رأيت أن أدل على ذلك باختصار في هذه العجالة

والذي يلفت النظر لأول وهلة قول الأستاذ في مستهل مقاله: إنه اهتدى إلى « دليل علمي قاطع يدحض هذا المذهب، ويلقي ضوءاً جديداً أمام العقل البشري الموغل في بحث علاقة الله بالكون » ومذهب الواحدية أو وحدة الوجود من أقدم المذاهب الفلسفية في العالم وأشدها إثارة للجدل. ويكفي لإدراك خطره في تاريخ الفلسفة الحديثة، أن نذكر الفيلسوف الكبير (سبينوزا) الذي يعد من أساطين هذا المذهب في العصر الحديث ومن أعظم الداعين إليه بالقول والعمل

فليأذن الأستاذ – ونحن من المعجبين بكتاباته – بأن نناقشه الرأي في هذا الموضوع الخطير، الذي لا يصح إطلاق القول فيه من غير حجة أو برهان

١ – بدأ الأستاذ بقوله: « وبدهي أن النظرة الأولى تهدي إلى أن الله غير الطبيعة، وأن هناك انفصالاً بين الخالق والمخلوق... » ونحن لا نوافق الأستاذ على أن هذه القضية من « البدهيات »، بل ينبغي أن تعد من مسائل الفلسفة الكبرى التي شغلت عقول المفكرين القدامى والمحدثين ... وعلى أساس الحلول التي قدموها لهذه المشكلة قامت مذاهب لها أثرها في تاريخ الفكر – ومنها مذهب وحدة الوجود

ولعل أقرب دليل على أنها ليست أمراً (بدهياً) أن يعني الأستاذ خلاف بإيراد دليل علمي جديد لإثباتها

٢ – يقول الأستاذ خلاف: « ينبغي للمفكرين التجريبيين أن يقتصدوا في تلك الفلسفات الفرضية والشطحات الصوفية. لأنها (ذاتية) وليست (موضوعية)... »

ونسائل الأستاذ مستطلعين لا منكرين: هل يجوز أن نصطنع الطريقة (الموضوعية) في بحث المسائل الدينية؟ ألا يمكن أن تؤدي بنا هذه الطريقة إلى نتائج تشبه ما توصل إليه (رينان) في بحثه القيم المعروف؟ أم ترى ذلك صحيحاً بالقياس إلى الدين المسيحي، وليس يصدق على الدين الإسلامي؟

٣ – أما الدليل العلمي الذي يدحض به الأستاذ مذهب وحدة الوجود. فخلاصته:

« أن العقل البشري تسلط باللاسلكي وتحكم به في الآلات وإدارتها ورصدها من بعد شاسع. كما نرى في (الرادار) وغيره (وعلى هذا الأساس) يجوز أن تقاس علاقة الله بالكائنات، وبذلك تحل المشكلة التي خلقتها عقول (أصحاب) مذهب وحدة الوجود »

وهذا التعليل (العلمي) طريف ولا شك، ولكنه متهافت قليل الغناء. ألا ترى أنه يوقع الأستاذ خلاف – وهو المؤمن المخبت لله – في ورطة أخرى لا قبل له بها، هي (التجسيم والتشبيه)!

وإن كان (ماركوني) قد أضاء مكاناً في أستراليا وهو في أوربا، كما يقول الأستاذ. فالعلم الحديث يفسر هذه الظاهرة تفسيراً مادياً بحتاً... ومَثَلُ (ماركوني) في ذلك مثل الذي يوقد ناراً بحجرين يصك بعضهما ببعض. وحاش لله أن يتصل بنا على هذا الوجه المادي الغليظ...

٤ – ويقول أخيراً: « ينبغي للمفكرين أن ينادوا معنا إلى الصوفية المادية ». فما الصوفية المادية التي يدعو إليها الأستاذ؟ فإن رأى الأستاذ خلاف إيضاح ما سبق على صفحات الرسالة الغراء، ليعم به النفع، ويرتفع اللبس، كنا له من الشاكرين.

(بغداد) صدقي حمدي

حول أغلاط

أخذ الأستاذ «علي محمد حسن» في عدد ماض من الرسالة على الدكتور ناجي بعض أغلاط في قصيدته (السراب) أحببت أن أصحح بعضها فيما يلي:

١ — لعل البيت المكسور ينقصه كلمة « عندنا » فيكون هكذا :

اسمك المذب عندنا أروع الأسماء مهما تعددت أسماء

وبذلك يكون صحيحاً

٢ — (الصدفة) كلمة لغوية بالرغم مما شاع من عدم لغويتها ، فكثير من المعاجم وكتب اللغة كاللسان أوردها . وفي حديث أبي ذر « ... والبر ما حاك في النفس ولم تلده صدفة » وقال أبو دهبل الجمحي :

فطوراً أمنى النفس لقيالك صدفة وطوراً إذا مالج بي الحزن أنشج

أما (الهناء) فلم أعثر عليها إلا في قول الشاعر :

هناء محا ذاك العزاء المقدما فما لبث المحزون حتى تبسما

٣ — يوصف الجمع أحياناً بوصف المفرد ، وخاصة فيما كان مفرده على أفعل مذكر فعلاء (المغنى والأشمونى) كأهوج وهوجاء وأسود وسوداء

قال جرير :

وجوههم السوداء جهم كأنها ظرابى غربان بمجرودة محل

٤ — أما الأبد عند الدكتور ناجى ، فلم يخرج عن الزمن عند اللغويين ، ولكنه زمن الشاعر الذى يتجسم فى خياله المعنى والزمن كأنه محدود .

عبد الحميد ناصف
مدرس بكلية اللغة العربية

الخوارزمى

جاء فى مقال الأستاذ منصور جاب الله المنشور فى العدد ٥٧٥ من الرسالة ما يأتى :

« كان القدامى يعدون الأديب أديباً بكثرة حفظه ، على حين أن كثرة الحفظ لا تجعل من الإنسان أديباً ، وإنما تخلق منه (راوية) . وليس أدل على ذلك من أن الخوارزمى الذى صدرنا بحكايته هذا الفصل قد هزم هزيمة نكراء حيال بديع الزمان الهمذانى ، وهو الشاب الحدث هزيمة اختصرت حياته »

ولا أريد أن أستعرض مع الأستاذ ما كان يراد بكلمة (أدب) فى العصور المختلفة ، ولا أن أناقشه فى أن القدامى لم يطلقوا هذا اللفظ على الخوارزمى لكثرة حفظه فحسب ، وإنما رأوا مع ذلك فيه الشاعر الناثر ، لست أريد شيئاً من هذا ، وإنما أريد أن أرفع عن أبى بكر هذا الظلم الذى لحقه طوال هذه القرون

فالخوارزمى لم يهزم فى هذه المناظرة من ضعف أو تقصير ، ولكننا نجمل أشياء لعلها ترفع عنه هذا الحيف :

(١) انفرد البديع برواية هذه المناظرة ، وهو شاب حدث يطلب الشهرة ؛ فمن شأنه التزيد والادعاء

(٢) استغل البديع قبل المناظرة سيداً شيعياً من المحكمين ومدحه بقصيدة . ثم ادعى على الخوارزمى كرهه للشيعة

(٣) كان الخوارزمى مبغوضاً من وجوه القوم فى نيسابور البلد الذى جرت فيه المناظرة

(٤) استعان البديع بفتائه وحداثة سنه وميل الحاضرين إليه فهوش وشوش ، ولعل الخوارزمى استصغر هذه الأمور فكف وعف

(٥) وعلى فرض أن الخوارزمى هزم حقيقة فى هذا الصراع . فالمعروف أن المناظرة لم تكن فى أمور أدبية ذات بال ، حتى يستدل بذلك الأستاذ على ما ادعاه

هذا مجمل موجز لهذا الموضوع أحببت به أن أنبه الأذهان إلى الحق فى هذه المناظرة التاريخية المشهورة

على محمد حسن
مدرس بالأزهر

« وجيدة » للأستاذ شعبان فهمى

تفضل الأستاذ شعبان فهمى المحامى فأهدانى قصة (وجيدة) التى قامت بنشرها جماعة نشر الثقافة بالثغر الحبيب ؛ فأخذت أنقل البصر بين صفحاتها ، وأرسل الفكر وراء لفتاتها ؛ فما وجدت فيها غير حيوية تفرض عليك شخصية المؤلف الفاضل فى رفق وأناة فى غير ما مبالغة فى التصوير ولا اضطراب فى الوحدة القصصية

القصة صورة واضحة التقاسيم ، باسمة الألوان التى تصور البيئة التى أنبتت بطلها ووجد فيها منازع تصوره ومطارح هواه ومهابط إلهامه ، وهى فوق ذلك توشك أن تكون طبيعة صادقة تزخر بالآمال والأحلام وتموج بالأشجان والآلام ، وقد نلمس آثارها فى كل صفحة بل فى كل كلمة من كلماتها . ولقد صدق الدكتور « المرحوم » إسماعيل أدهم حين قال إنها قد تكون أول قصة مصرية طويلة تنبع من أصول مصرية وتفيض بمشاعر مصرية

وبعد ، فليس بغريب أن تكون القصة على هذه الحال من الكمال فى الوحدة والسهولة فى العرض والصدق فى التعبير فصاحبها الصديق الفاضل تجرى فى دمائه الروح القصصية ، بل إن ثقافته القانونية لتفرض عليه ذلك .

(الاسكندرية) صبحى محمود البشبيشى

12 me Année No. 580

Lundi - 14 - 8 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثانية عشرة «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٥ شعبان سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٤» العـدد ٥٨٠

الفهـرس

صفحة

٦٦١ مسألة الجنسين ... ... : الأستاذ عبد العزيز جادو ...

٦٦٥ الأدب الأغريقى فى عصر الأسكندرية ... ... : الدكتور محمد مندور ... ...

٦٦٨ أحمد رامى ... ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...

٦٧٠ «داعى الدعاة» مناظر المعرى : الدكتور محمد كامل حسين ...

٦٧٣ حول بعث القديم ... ... : الأستاذ محمد خليفة التونسى

٦٧٦ فساد الطريقة فى كتاب «النثر الفنى» ... ... : الأستاذ محمد أحمد الغمراوى

٦٧٨ إلى الأستاذ بشر فارس ... : الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

٦٨٠ ويل للفلسفة من الناس ... : الأستاذ ذكريا إبراهيم . .

٦٨٠ إلى الدكتور محمد مندور ... : الأستاذ محمد خليفة التونسى

مسألة الجنسين

للأستاذ عبد العزيز جادو

نستعير هذا العنوان من الأستاذ العقاد لنتكلم فى هذا الموضوع من وجهة نظر أخرى يحتمل أن يكون لها اتصال وثيق بما كتب الأستاذ الكبير، وربما تكون متممة لبحثه من الوجهة السيكولوجية والبيولوجية معاً. فن رأينا أن حركة الأنوثة تستهدف لثلاثة عوامل هى من الأهمية بمكان: (الأول) أنها فى حاجة إلى أى ظاهرة متيقظة Conscious ؛ و (الثانى) أن قوتها الشديدة لا تزال تكمن فى قسمين محكمى السد: السيكولوجيا الأنثوية القديمة التى عليها يترتب ضعف الأنثى مدى حياتها؛ والسيكولوجيا المنيفة الحديثة، ويدخل التحصيل Achievement من ضمن فروعها ... وهاتان لا يمكن أن تمتزجا بحال؛ و (الثالث) حركة الأنوثة ويعوزها البرنامج الثابت الذى يحسب للذكر حسابه. ولا يمكن أن ينجح أى برنامج اجتماعى أو سيكولوجى ما لم يكن مشتملا على اشتراطات أو نصوص لكل جماعة اجتماعية وسيكولوجية فى حدود اختصاصها ..

قام جماعة منذ حين بدعوة يرمون من ورائها نشر ما يسمونه مذهب العُرى، وأسسوا لأنفسهم أندية كانت تعرف بأندية

العراة . بيد أننا لا نعرف غرض تلك الشرذمة تماماً ولا ما يقصدون من هذا العرى . ومع هذا فنحن نقول هنا : هيا نتجرد من ملابسنا المعنوية جميعاً ، سيكولوجيا وبيولوجيا ، طارحين وراءنا القيود الجنسية والاعتبارات الأخرى ، لنرى ما هذه المادة التي بأسفل هذا الحيوان الذي نسميه امرأة ، سواء أكانت متسترة بنبات الخلنج أم بأوراق التين ؛ وهذا الحيوان الذي نسميه رجلاً ، سواء أكان مستوراً تحت ستر سرمدي أو سروال

من المحقق أن جهاز التفكير ، جهاز « حالات الشعور مثلاً » الذي أنتج بضعة أسماء عظيمة كسيكولوجية الأنثى ، كان يجب أن يُهمل من مدة بعيدة . والمرأة بالرغم من حريتها لا تزال مولعة بأعمال الخـــدم ، فهي تمضي أكثر وقتها في المطبخ تعمل في غسل الأواني . وإذا تأنقت كانت دمية . والذكر أينما كان لا يملك سوى دقيقة واحدة يمضيها معها عند ما يؤثر عليها بطريقة أو أخرى

والحياة كلها استجابة للبيئة . والوراثة ما هي إلا حركة انتقال Transmission لتجارب بيولوجية عالقة بالذاكرة . فالمرأة استجابت لبيئتها بما نعرفه عنها كامرأة ، وملابسات الضعف انتقلت في خلايا النطفة في أمشاج كلا الجنسين . وهي لا يعوزها إلا أن تغيِّر بيئتها لتغير استجابتها ؛ وهي لا تحتاج إلا أن تُعاد ولادتها سيكولوجياً كي تمحو العوامل المتناقضة التي تصدّها وتقيدها

والمرأة في أمريكا ربما يكون لهـا النفوذ والـكلمة العليا . والرجل ربما كان مجرد (حصان) ينقل الأحمال ... ولـكن كيف تـكونت المرأة على هذه الحال من الضعف ، والنعومة ، واللطف ؟ إن أحداً لا يعرف الجواب الصحيح ، لأن هذا كما يقول الأستاذ العقاد من وراء سلطان العلم والعلماء . ولـكن هناك من يقول إن هذا راجع إلى نماذج الجنس في مراكز خلايا النطفة . وهناك أيضاً من يقول إنه يرجع إلى وظيفة الحمل ، وربما ترجع إلى الحادث الشهري في الأنثى البشرية (الحيض)

ولو أن الحيوانات الذكور من أي نوع يمكن أن تحوط الأناث التي من صنفها ببيئة من الضعف ، أو بشيء مضعف ، نرى الأناث تحت أضرار الحمل تنسل . والحيوانات الذكور ، على الأقل ، تستميلها الأناث عند ما تـكون متأثرة بانفعال أو تأثر . والجهاز يعمل جيداً إذا كنا حيوانات راقية . ولـكن الزمن هو الذي جعلنا ننتج مقداراً كبيراً من الأناسي بتحسينات في المبادئ الأساسية ، وتمحيصات للعمل والمظهر أكثر مما لو كنا نعمل في إنشاء السيارات وإصلاح الأطارات وتحسين الأنارة كلما واجهنا ضرورات الحياة الحديثة والنظم المبتكرة

لنـكشف عن خلايا النطفة أولاً : خلية الأنثي كبيرة ، مستديرة تحمل مخزناً صغيراً من الغذاء ، كما تحمل عدداً معيناً من الأمشاج Chromosomes . وخلية الذكر أصغر كثيراً ، مستطيلة ، لا تحمل غذاء ، ولها ذيل عائم ، تحمل عدداً مماثلاً من الأمشاج التي تشمل نماذج فيزيقية وعقلية لأسلاف الجنين . وحينما تتقابل هاتان الخليتان يطرحان اختلافهما ويجددان ترتيب مادتهما اللقاحية إلى أن يتماثلا تماماً عند ما يتدفقان معاً ويبدآن واجبهما العادي في تقسيم الخلية

والجنس على الأرجح مثل الشعر يميل إلى السرعة حينما يتم توافق الأمشاج . وعلى أي حال لا يمكننا أن نقرِّر جنس الجنين حتى الأسبوع الخامس أو السادس من تـكوينه ، غير أن هناك من يزعم معرفة الجنس لشكل الخلايا . على أن حقيقة الذكورة أو الأنوثة ترينا اختلافات واضحة حتى في رحم الأم . وكذلك في أي جهاز للتناسل . فعلينا أن نعمل ما ازدراه نيكوديموس Nicodemus ، وهو أن ندخل مرة أخرى في بطون أمهاتنا ونولد ثانية لنؤرخ الميلاد من وقت وصول خلايا النطفة

إن مدة الحمل في الذكر تقل يومين عن الحمل في الأنثى ، وذلك لأن الذكورة أشد تحولاً Metabola من الأنوثة . واشتغال نمو الجنين يسير بسرعة ونشاط أكثر . والطفل الذكر أثقل في

الوزن من الطفل الأنثى ، كما شوهد من بحوث بوديش Boditch وهايبرج Heiberg وآخرين ، كما أن أعضاءه وعظامه أثقل

والأطفال من كلا الجنسين يختلفون فى حجم أعضائهم الجسمانية وفى وزن عظامهم . ولكن يمكننا أن نعزو أى اختلاف بينهم إلى الحقيقة بأن مبيض الأنثى ينتج بويضات Ova على حين أن الذكر ينتج الحييونات المنوية Spermatozoa ، وغدد كلا الجنسين تقتسمها خلية ذات فتحة مشتركة

وفى خلال الفترة التى تسبق المراهقة ينمو البنون والبنات نمواً يكاد يكون متشابها بالرغم من القصور الذاتى فى الأنثى . وليس يبدو على المرأة حتى انقطاع الحيض أنها فى حِل من موانع سيكولوجيتها الأنثوية . إنها سن الفتح ، وهى السن التى يتسنى فيها للنساء أن يصبحن ذوات شخصيات متسلطة قوية . وحينما نجردها من ملابسها يمكننا أن نلاحظ أن تشريحها Anatomies ينتج لنا اختلافات كَمِّيَّة فقط ، من الاستجابة للبيئة . والمرأة يُقوِّيها التشريح السهل ، وإذا كانت نموذجاً حسناً قلنا إنها جميلة ، بمعنى أنها أكثر طفولة وأكثر وداعة . فهى إذن أكثر ميلاً إلى جنسها ، ولذا تُحَب ويُرغب فيها . . . ولو أن الذكر الحالى يعجب بنوع من الجمال الأنثوى الذى كان يعتبر فيما مضى « أداة » للتناسل

وهناك نقطتان ضيقتان فى تشريح الأنثى بجانب مقدار صغير من أنسجتها العضلية ، وأعضائها القليلة الفعالية والكفاية ، الأولى : ميلها إلى البدانة بسهولة . وهذا الميل إلى البدانة عرض من أعراض التحول Metabolism ، فبدلاً من أن يحرق الجسم الغذاء إلى نقطة النشاط يقف فى منتصف الطريق عند نقطة البدانة . وهذا يوضح السبب بنوع ما فى اتساع صدور نساء كثيرات . والبدانة مصدر حيرة شديدة للمرأة الحديثة أياً كان عملها . وهذا الميل إلى البدانة إنما هو نتيجة ضعف أنسجتها العضلية ، لأن حاجزها البطنى الضعيف لم يبين إلا موضعاً عضلياً واحداً . ولكن هذا الشدّ الحقيقى Corset فى غاية الأهمية ، لا لأنه يمسك الأحشاء فى مكانها فحسب ، ولكن لأنه يحافظ على ضغط الدم المناسب ، ويقف خفقان القلب عند حده . أما الرجل فإن له مشداً متوتراً من العضل فى حاجزه البطنى ، وهذا يمده بضغط دمه العالى ، ودقات قلبه البطيئة . ويبدو هذا واضحاً غاية الوضوح عندما نذكر أن الحزوز البطنية الممتدة تكون فى بعض الحالات سبباً لصدمة جراحية لا يكون الجراح مسئولاً عنها

والرجل والمرأة فى اختبارات الذكاء متساويان ، ولكن المرأة تتأخر فى التحصيل ، لأنها فى حاجة إلى قوة Stamina توصِّلها إلى أطماحها . وإن تحولها البطىء ، وحاجزها البطنى الضعيف هما العائقان الرئيسيان لبلوغ تمام القوة

والنقطة الأخرى هى أن الأمراض التى تتعرض المرأة لها تدل أيضاً على أن تحولها أقل قيمة ، فى حين أن الأمراض التى يكون الذكر متعرضاً لها تشير إلى أن هناك تحولاً يعمل زيادة عن المقرر . ومن رأى «ماك ليود» أن تحول الأنثى أقل من تحول الذكر بنسبة ٦ر٨ ٪ . ولقد وجد «ألفاريز» من دراساته فى ضغط الدم أن ضغط الدم عند الذكر أعلى مما هو عند الأنثى بـ ١٦ر٥ ملليمترات . ويعرف كل شخص أن دقات قلب المرأة أسرع منها فى الرجل . وبالطبع يجب علينا أن نتأمل الغدد الصماء بما فيها غدد الجنس . ولكننا لا نعرف إلا القليل لنستنتج النتيجة الأخيرة

إذا سلّمنا جدلاً بعبارتى ذكر وأنثى ، نرى أنه ليس هناك ذكورة بحت ولا أنوثة بحت ، وما دامت الحالة كذلك نضع اسماً لا يكون مرتبكاً ، ولتكن كلمة « طفل » أو « ناقص النمو » بدلاً مما نعنى بالمؤنث . وعبارة « مراهق » أو « تام النمو » بدلاً مما نقصد بالذكر . وقد ترى المرأة أن هذه التعبيرات غير مقبولة ، ولكن ليس فى كل أنثى ما يجعلها « طفلة » أكثر مما يجعل كل ذكر مراهقاً . إذن ، فحركة المراهقة هى التى يشمل برنامجها وظواهرها كلا الجنسين . وعلى الذين يحبون أن يشتركوا فى المفاضلة بين الرجل والمرأة أن يدركوا تماماً أن الجنسين كليهما مشترك فى التبعة . وربما يكون الرجال أكثر

خطأ فى ذلك : فقد ساعدوا المرأة على الاحتفاظ بضعفها لكى تكون أكثر خضوعاً لهم سواء كانت ألعوبة أو خادمة . وربما يعترض الرجال على الكلام المتعلق بالراهقة على ضوء ما تقدم بقدر ما تستنكر النساء كلمة (الطفولة) التى أصبحت تنطبق على أجسامهن . ويجب علينا أن نفهم بادىء الرأى أن واجب الرجل فى حركة المراهقة يكاد يكون ثورياً كما فى المرأة ، ولو أنه قد تم فعلاً فى مجالات مختلفة

وحركة المراهقة معناها الميلاد الجديد لكلا الجنسين . فنى حالة المرأة مثلاً – يجب أن تستسلم لسيكولوجية المراهقة التى تطغى على الحياة من المهد إلى اللحد . لأن المرأة تولد فى سيكولوجية خاصة مضعفة تتمشى معها فى الحياة . وسيكولوجية الأنثى هذه هى التى تجعل إضعاف البيئة ممكناً . والتى تحتفظ على الدوام بكامة السر لتحفظ الأشياء مأمونة هادئة

وهناك حالات فى تاريخ البشر انعكست فيها وظائف الجنسين أو حوِّرت بوضوح . فمن بين الإسكيمو نشاهد الذكر يقوم فى بعض الأحيان بما يتطلبه العمل المنزلى ، وهو لذلك سمين مترهل . ويقول أريستوفانس Aristophanes إن نساء أسبرطة كان يمكنهن أن يخنقن ثوراً بأيديهن . ونقرأ فى التلمود أن وظائف الجنس تغيرت أثناء عصر واحد من التاريخ العبرانى

وبينما تعمل الغدد فى إفراز الهرمونات التى تؤثر فى التقدم وفى السلوك ، يجب علينا أن نذكر أن معظم الاختلافات تكوِّن شيئاً هاماً فى السلالة البشرية Jenus homo وبفهم هذا عند ما نذكر أن المبيض يزن من جرامين إلى ثلاثة جرامات فقط ، على حين أن الخصية تزن من ١٠ جرامات إلى ١٤ جراماً . وهذا جزء من التفاوت فى الوزن يتمشى مع القاعدة العامة للوزن الأقل لجميع أعضاء الأنثى . والمرأة القوية يحتمل أن يكون لها مبايض أثقل كما يمكن أن يكون لها قلب أكبر . ولكن تأثير الغدد الجنسية واجد لا يُقدَّر بأكثر من قيمته . والذكورة والأنوثة ليستا خالصتى الذاتية : هما دائماً أخلاط ، فصيلة الراهقين تقدم أخلاطاً موزونة ذات فائدة كبيرة لمصلحة الجنسين . والفرق النوعى الواضح بين الرجل والمرأة هو التركيب المنوى فى الذكر والتركيب البيضى فى الأنثى Ovogenic

وغدد الجنس ليست منابع لما عرفناه بالمزايا العرضية فحسب ، وإنما تعتبر الكمية والجوهر لكل ما يمكن أن يذكر فيما نعتبره مبدأ بيولوجيا سليما ، أى أن الرجل والمرأة كليهما استجابة بروتبلازمية للبيئة Brotoplasms . وما دامت الحالة كذلك يمكننا أن نؤثر بتوسع فى الاستجابة بتغيير البيئة . واختلافات الجهاز بين أشكال البروتبلازم الحيوية للذكر والأنثى تافهة وعديمة الأهمية . والاختلافات التى نشاهدها هى فى الغالب آثار من صنعنا ، وهى تنشأ فى الغالب من حالات العقل والعادات . واختلاف التركيب الجنسى لا يمكن أن يعلل بحرية الذكر وبلوغه ما يشتهى ، ولا يمكن أن يعلل بالخضوع والعجز فى العمل من جهة الأنثى

والسبب فى تفوق الذكر ليس فى حقيقة جنسه ولكن فى المنافع التى يفعلها بقواه ، إنه يعيش لا فى بيئة (الذكر) ولكن فى بيئة من القوى . وإنه لا يستعمل سيكولوجية « الذكر » على الأقل ، حيث ينجح ، ولكنها سيكولوجية من القوة ... ليس « البرهان » ذكراً : إنه منطق التحصيل ... وليست (البداهة) أنثى : إنها عقدة من العبث والكذب والمخادعة ... وضعف الأنثى ليس سببه الغدد في حد ذاتها ، وليس حقيقة أنها أنثى ، ولكن السبب يرجع إلى تحول فسيولوجى وسيكولوجى ناتج عن الاستعمال الضيق المحدود لقواها ، والفكر الحديث والطب أزالا إلى حد كبير الآثار المكبوتة للحيض والولادة .

وليس الحب هو كل الحياة لفتاة يافعة أو لامرأة ناضجة .

فالحب الحقيقى يأتى فقط عند ما يفقد المرء حياته ، والعاشق هو الشخص الذى يحاول أن ينقذ حياته فيفقد كل حبه وحياته

والمرأة – بالتأكيد – لها دور خاص Rôle هو ولادة الطفل ، وللرجل دور خاص هو إنتاج الطفل ، ولكن هذه الأدوار التى يقوم بها الجنسان بولغ فيها مبالغة لا يتسع لتفصيلها المقام .

(الأسكندرية) عبد العزيز حادو

الأدب الاغريقى
في عصر الاسكندرية

للدكتور محمد مندور

رأينا أن شعر الإسكندرية لا يهز النفوس إلا عندما يعود فيتصل بالحياة ، ولقد شهدنا ذلك الاتصال فى المقطوعات الصغيرة وفى أغانى الريف والرعاة . وبإنعام النظر فيما سقنا من أمثلة ، يلاحظ القارئ بلا ريب أن ذلك الشعر وإن كان نقياً خالصاً فإنه لم يخل من واقعية ، وذلك لا فى الأسلوب فحسب ، بل وفي نوع الإحساس والتفكير. ولقد استمعنا إلى تيوقريطس ينصت إلى الضفدعة الخضراء ، ويتغنى ببمبيكا الباسمة الخفيفة الدم ، وقد جن بها عادياً خلفها كما يعدو الذئب وراء النعجة والبجع خلف المحراث ، وعنده أن جالاتيه ، البيضاء كاللبن المخيض ، لاذعة كعنقود العنب الأخضر .

وهـذه الواقعية لا علاقة لها بالمذهب الأدبى الذى ظهر خلال القرن التاسع عشر بذلك الاسم ، فأدباء ذلك القرن وعلى رأسهم بلزاك وفلوبير وموباسان إنما كانوا يقصدون بالواقعية الكشف عن الجوانب الوضيعة فى النفس البشرية ، حتى لقـد تطور مذهبهم فانتهى إلى الطبيعية التى نجدها عنـد زولا حيث لا ترى إلا الغرائز الشاذة والقوى العضوية ومخلفات الوراثة المثقلة تقود أبطال الروايات . واقعية شعراء الإسكندرية لا غوص فيها ولا تحليل ولا التماس للجوانب المظلمة فى النفس، وإنما هى تصوير لواقع الحياة الساذجة ، ولشعور النفس المفطور بأسلوب مباشر

وإذا كانت هذه الواقعية قد طالعتنا من ثنايا الأغانى ، فإنه لم يكن بد من أن تنفرد بنوع بذاته من أنواع الأدب ، وهذا النوع هو ما سميناه فصول المحاكاة Mimes

فصول المحاكاة

نشأ هـذا الفن بصقلية كما نشأت أشعار الرعاة ، وإن يكن أقدم منها تاريخاً ، إذ يعتبره النقاد عنصراً من العناصر التى مهدت للكوميديا ، وأكبر الظن أنه نشأ فى القرن الخامس ق . م . على يد سُفرون وزينار كوس ، وإن يكن ما كتباه قد ضاع . ولهذا لا نستطيع أن نجزم بطريقة بنائهما لتلك الفصول ، وإن كان من الراجح أنها كانت على غرار ما وصلنا من اللاحقين لهما ، وبخاصة هيرونداس (يسميه البعض هيروداس) الذى نشر له العالم الإنجليزى كنيون Kenyon سنة ١٨٩١ سبعة فصول عن ورقة من أوراق البردى موجودة بالمتحف البريطانى . وكل فصل منها عبارة عن حوار بين شخصين أو ثلاثة أشخاص أحياناً من النساء وأحياناً من الرجال ، وهو شديد الشبه بفصل من مسرحية ، وإن كانت تلك الفصول لم تعد للتمثيل ، بل كتبت للقراءة أو الإلقاء . ولقد كان هيرونداس هذا فيما يبدو معاصراً لتيوقريطس . وأشخاص الحوار من عامة الشعب أو من الطبقة الوسطى . فتجد معلم المدرسة وبائع الرقيق والقوادة والجزمجى الشهير ... الخ ... والشاعر يصورهم فى حياتهم اليومية ، وهو يلتمس لحواره أى سبب كان : لقاء فى طريق ، أو احتكاكا فى زحام ، أو مساومة على سلعة . وإذا بنا نشهد ساعة من حياتهم بهمومها الدارجة، ومسراتها المألوفة، وشهواتها الصغيرة، وثرثرتها الأبدية التى نعرفها جميعاً فى أفراد الشعب ، وما يتخلل حديثهم من أمثال وتحيات محفوظة ، وشتائم موروثة ومصطلحات لا نفهم لها وضعاً ولا معنى . من أمثال : «بلا آفية» و «ياسيدى لما إنت» ، وما إلى ذلك مما يستطيع أن يسمعه القارئ بكل ركن من أركان الحسينية أو البغالة ، فنستمع طوراً بعد طور إلى القوادة ذات الناب الأزرق تنقل إلى فتاة مغريات عربيد كبير ، أو بائع الرقيق يقص على المحكمة محنه ويطلب إليها العدل ، أو أب يتحدث إلى معلم المدرسة عن ولده « الشيطان الرجيم » ويقص عليه « عفرتته » التى لا تنتهي ؛ أو نرى بائع الأحذية الشهير يعرض على « مترو » أحذيته الجيدة ويطرى البضاعة

فصول المحاكاة لوحات أخلاقية صغيرة ، لوحات لا عمق فيها ولكنها تصوير صادق للحياة ، وهى وإن خلت من عنصر الدراما إلا أنها مع ذلك تكوّن غالباً وحدة لها بدؤها ونهايتها . وموضع الجمال فيها هو سذاجتها رغم ما بها من دقة الملاحظة ، ثم

بقاؤها في مستوى الشعب ، فلن تجد فيها أى تداخل من كاتبها . بإحساسه الخاص أو آرائه ومثله ، فكأن الشاعر سلبي بحت يستمع إلى من حوله ويرصد ما يستمع ، ومع ذلك كم فيها من دقة وصدق وحسن اختيار للتفاصيل الدالة ، وقد تتابعت بها دعارة القول وعفة الحياء ، وقاحة بائع الرقيق وسذاجة نساء الحارات ، مكر بائع الأحذية وتصنع المستهترات

فى هذه الفصول مجموعة كاملة من المشاعر المتوسطة التى نجدها عند عامة الناس ، والشاعر لا يحيد بها إلى التزمت ولا إلى التسامح المسرف ، بل يلازم الصدق فهو لا يمتدحها ولا يهجوها بل يصورها كما هى غير متجنب ما فيها من قبح ولا مبالغ فيه . وهو لا يخشى العبارة المسفة ولكنه لا يبحث عنها ، كما أنه لا يغدق العطف على ما يحب ولا يصب اللوم على ما يكره . وشخصياته وإن لم تخل من رذائل وقسوة إلا أن تصرفاتهم لا تصل قط إلى حد المآسى الدراميتيكية . وهم بهذا أيضاً يظلون فى واقع الحياة . الحياة الحقيقية التى يندر بها الأبطال الخارقون كما يندر كبار المجرمين

ثم إن هذه الفصول وإن كانت تصور نواحي إنسانية عامة إلا أنها تضيف إلى ذلك حقائق تاريخية خاصة بشعب صقلية فى ذلك الحين ، ذلك الشعب الذى اشتهر منذ القدم بكثرة الحركة وخفة اللسان ومرونة الخلق والنزوع إلى الاستطلاع

ولقد كتب تيوقريطس نفسه كما ذكرنا فى نهاية المقال السابق بعضاً من تلك الفصول ، ولعل « نساء سيراقوزة » خير مثل يضرب لها . والحوار يجرى بمدينة الإسكندرية فى يوم من أيام عيد أدونيس وبطلاه امرأتان أتت بهما من سيراقوزة إلى الإسكندرية بعض المهام التجارية فذهبتا إلى العيد حيث لا تنقضي تعليقاتهما على ما يريان ، فالحصان الرمادى الضخم يخيفهما وكل منهما تشكو من زوجها وإن كانتا فى حقيقة الأمر أميل إلى الطيبة ، وهما لا يغنيان ولكنهما يحبان الاستماع إلى الغناء ، وبالفعل ينشد أحد المغنين نشيداً جيلاً لأدونيس وبه ينتهى الفصل . وها نحن بعيدون عن رعاة الجبال وقد انتقلنا إلى المدن حيث تجرى الحياة المتواضعة التى لا شعر فيها ، ولكننا نجد فى صدق التصوير وسذاجته ما يعوض من الشعر ، وإن كان تيوقريطس لم يتمالك من أن يختم فصله بنشيد فيه شذا الشعر الجميل

الشعر العلمى « الأكاديمى »

قلنا من قبل إن الكثير من شعر الإسكندرية كان شعراً مصنوعاً وضعه العلماء بعيداً عن الحياة ، ولدينا من هذا النوع الشىء الكثير ، فأراتوس يتحدث عن « ظواهر الطبيعة » فى كتاب ضخم . وكاليماكوس يقص نسب الآلهة بمغامراتهم وحوادثهم المعروفة فى أسلوب تعليمى فى « أناشيده » أو يوضح الأسباب والمسببات فى « أصوله » ، بل ومنهم من أخذ في محاكاة هوميروس فحاول أن يضع الملاحم . وأكبر هؤلاء المقلدين هو أبولونيوس الرودسى الذى ألف ملحمة كبيرة يقص فيها رحلة جازون ورفاقه بحثاً عن الجزة الذهبية ، ذلك أن جازون هذا كان عمه قد اغتصب من أبيه العرش ؛ وعندما حاول استرداده طلب إليه العم أن يأتيه أولاً بالجزة الذهبية ، وكانت تلك الجزة ببلاد تراقيا النائية حيث يحرسها تنين ضخم فضلاً عما فى تلك الرحلة البعيدة من مخاطر . ولقد استطاع جازون أن يأتى بالجزة ، وذلك بفضل ميديه بنت ملك تراقيا التى أحبت البطل وجنبته بنصائحها وذكائها مواضع التهلكة بل وهربت معه . وهذه هى القصة المعروفة بقصة « الأرجونوت » أى بحارة « أرجو » وهو إسم السفينة التى أبحر عليها جازون ورفاقه

وأبولونيوس وإن يكن بلا ريب من الشعراء العلماء ، شعراء الصنعة . فإنه يعد برغم ذلك شاعراً كبيراً وبخاصة فى بعض أجزاء ملحمته التى استرسل فيها مع إحساسه إلى حد ما . ولعل من خير ما كتب وصفه لغرام ميديه : « مدّ الليل ظلاله على الأرض ، وفى البحر نام البحارة بسفنهم وهم يتأملون هيليكيه Heleké ونجوم الأريون . وقد هفا المسافرون فى الطريق إلى ساعة النوم ، كما هفا الحراس على الأبواب . بل والأم الحديثة عهد بموت أبنائها قد لفها خدر نوم عميق . وعواء الكلاب لم يعد يسمع بالمدينة . لم يعد ثمة همس لصوت . لقد تملك الصمت ظلام الليل

ولكن ميديه لم يفزها عذب النوم ، لقد أيقظها آلاف من الهموم ، هموم غرامها ... وكان قلبها يثب فى صدرها بلا انقطاع ، وكأنه شعاع يثب فى غرفة وقد عكسته مياه تصب فى قدر . فهو يهتز دائراً فى سرعة فيقفز هنا وهناك . على هـذا النحو كان يدور قلب الفتاة بصدرها

حدثت نفسها حيناً بأنها ستعطى المادة السحرية الثيران « التى كانت ستفترس جازون » لتهدئها ، وحيناً بأنها لن تعطيها . فكرت فى أن تموت ، ثم فى أن لا تموت ، وأن لا تعطى المادة السحرية محتملة ألمها دون أن تفعل شيئاً . وأخيراً جلست وفكرت ، ثم قالت : ما أشقانى ! لقد تحوطتنى المحن . أين المفر ؟ بكل سبيل شكوك لنفسي ! لا دواء لألمى الذى لا يمسك عن إحراق . آه ! ليت أرتميس « إلهة الصيد » استطاعت أن تقتلنى بسهامها قبل أن أراه . كيف أستطيع أن أعد المواد السحرية خفية عن أهلى ؟ ماذا أقول ؟ أى حيلة أخترع لأدارى معونتى ؟ هل أحادثه سراً بعيداً عن رفاقه ؟ يا للبؤس ! إن موته ذاته لن يدع لى أملاً فى الشفاء من آلامي . بعد موته سيحتضننى الألم . وداعاً عفافى ! وداعاً ضياء حياتى ! فلينج على يدى ولينأ من هنا دون جراح . لينأ إلى حيث يهوى فؤاده »

ولست أدرى ماذا يظن القارىء بهذه الفقرة التى هي بلا ريب من خير ما كتب وإن كنت عن نفسى أحس فيها الصنعة بادية والتكلف واضحاً ، ولا أدل على ذلك من أن ننعم النظر فى تشبيهه المعقد لقلب الفتاة بالشعاع الذى يثب فى غرفة وفى الغرفة قدر وبالقدر يصب ماء ، والماء يعكس الشعاع ، والشعاع يتطاير شرره فى كل ناحية وما إلى ذلك من تفيهق العلماء وصنعتهم المرذولة

ذلك عن فن الملاحم . ولقد سبق أيضاً أن قلنا إن شعراء ذلك العصر قد حاولوا كافة الفنون الأدبيـة ، فهم لم يقفوا عند الملاحم يحاولون بعثها بعد أن كان زمن الفطرة والطبع السليم قد انقضى ، بل كتبوا أيضاً التراجيديات . ومن غريب الأمر أنه أكبر شعراء التراجيديات فى ذلك العصر وهو ليكوفون Lycophon لم يرقه ما أحدثه أوريبدس فى أسلوب التراجيديا من تطور نحو النثرية . فأراد « كأديب مرهف » أن يعود بها إلى اللغة الشعرية القديمة . فأخذ يحاكي أيسكيلوس وبنداروس ، ولـكن التكلف أفسد محاولته كما نتوقع ، وكان فى هذا فشل للتراجيديا لا يقل عن فشل الملاحم

ونخلص من كل ما سبق عن أدب عصر الإسكندرية إلى أن لم يجد إلا عند ما عاد إلى الحياة ، لقد جاد فى شعر ليونيداس لأنه لامس بؤس الحياة وخبر أسرارها ، وجاد فى شعر تيوقريطس لأنه هاجر إلى الريف حيث السذاجة الساحرة ، وجاد فى فصول المحاكاة ، لأنه صور واقع الحياة ، ولقد صدقت نغماته فى شعر الغرام ، لأن الحب شعور غلاب ، وأما فيما عدا ذلك فقد جاء شعر علم وتكلف وكتب وصالونات .

« انتهى » محمد مندور

٤ – أحمد رامي

للأستاذ دريني خشبة

لم نستطع أن نهتدي إلى شيء في قصة حب رامي ، هذا الحب الذي لمسنا أثره في الكلمة السابقة ، والذي تفجر بعد ذلك ألحاناً صافية ، فيها كثير من الدموع ، وفيها كثير من الألم ، وذلك حينما دخلت في حياة الشاعر مطربة الخلود الآنسة أم كلثوم ، فوجدتها حياة تضطرب بتلك الآلام التي تختلط فيها ذكريات اليتم والحب ... اليتم العابس المتجهم ذي المسئوليات ، والحبّ الخائب المنكوب ذي الصبوات ، وجدته يقول :

هل زال من دنياي حسن هزني ؟	أم قر في قلبي لهيب النار ؟
حب تضرّم في حنايا أضلعي	فأصابه يأس بطول قرار
وبكيته حتى مللت بكاءه	فسكت منطوياً وحزنيَ وارِ

وهذا كلام سهل لين ، لكنه مؤثر ، بل مُبك ... وأي قلب ... لا يتأثر حينما يسمع رامي في رقته وسمو عاطفته ، يهتف بهذا الشعر الجميل السهل اللين ، شاكياً باكياً ، ذارفاً دموع قلبه ، مصعّداً أنات روحه ، واقفاً عند الشطر الأخير :

فسكت منطوياً وحزنيَ وارِ !

وقفة العاشق المكروب أمام هذا الحطام المقدس من بقايا حبه !

لقد أرهفت أم كلثوم سمعها حينما سمعت رامياً يئن ذلك الأنين الموجع وسط جنته الذاوية الذابلة ، فوجدته يسائل الأطياف التي تهمهم من حوله :

لمن الغناء أقوله فأصوغه	من أدمعي ودمي ، وطيب سراري
ومن الذي يوحي إليّ من الهوى	قبس الخيال وصدحة الأوتار
ما أطلق الطيرَ الصدوحَ بشدوه	مثل ابتسام الزهر والنوار
أو نضر الزرعَ البهيجَ زهورَه	كالشمس والماء النمير الجاري
أو أرقص البحر الخضم عبابه	كالبدر يشرق باهر الأنوار

وتلفت رامي فجأة على صوت رخيم رضيّ ندي يقول له :

« أيها الطائر المنفرد المعذب المهيض الجناح ، صُغ غناءك لي أملأ به الكون ، وأجعل لك به دماً جديداً وحياة جديدة ... صُغه لي أوحِ إليك من أفانين الهوى ألوانها الزاهرة الباهرة ، وأنفض الرماد عن قبس خيالك ، والصدأ عن صدحة أوتارك ، وأبتسم لك ابتسام الزهر والنوار ، وأشرق على عباب بحرك الخضم إشراق البدر باهر الأنوار ، وأدفئ جنتك بمثل الشمس التي جرت في فلكك الدوّار ، وأرويها بمائي النمير الجار ، وأتردد في أنفاسك عطراً ، وأتبلج في ظلام يأسك فجراً ، وأرد عليك شيطانك النافر ، وأذود عنك وسواسك الساهر ، وأسحر لك بنات غابك ، وعرائس عُبابك ، فتفرش لك طرقات جنتك بأفواف الزهر ، ولآلئ البحر ، وتمدك بروائع الفكر ، ونفثات السحر ... و ... و ... » . وما إلى ذلك مما يغازل الأقلام من الشعر ، وهي تكتب عن رامي وأم كلثوم

وانتفض فؤاد رامي لذلك الصوت الرؤوف الرخيم انتفاضة هائلة لم تزل تتردد ملء أضالعه عشرين عاماً ، وأحسبها سوف تتردد فيه حتى يشيخ رامي ، وحتى يهرم معه أناس آخرون

لقد رأينا كيف عز على رامي أن يصمت هذا الصمت الذي أفزعه وشغل باله ، وهو شاعر الإنسانية الحزين الذي يقول :

الحزن أدّبني ، وهذب خاطري	وأنالني عُلو الخيال السامي
وأسال أسراب الدموع فصغتها	صوغ المعاني في شجيّ نظامي
وأرق إحساسي ومدّ مشاعري	فوصلت كل الناس في أرحامي
قاسمتهم أحزانهم وحملت من	أعبائهم شطراً من الآلام

فلما سمع من أم كلثوم هذا النداء الرخيم الندي الرضيّ ، خفق قلبه ، واستجاب له ، وحلت مطربة الخلود عقدة السحر عن لسانه ، فانطلق يصوغ لها أغانيه الخالدة (من أدمعه ودمه وطيب سراره) ، وانطلقت هي (توحي إليه من الهوى ، قبس الخيال وصدحة الأوتار)

ولقد كان دخول أم كلثوم في حياة رامي ثورة كاملة في تلك الحياة اليتيمة الحزينة الباكية ، ولقد استطاعت أم كلثوم أن تلهم رامياً كل هذه الثروة الطائلة من المعاني (البكر !) التي لم يسبقه إليها أحد من الشعراء (فيما نعلم) والتي سجلها في (شعره الجديد) وأغانيه المصرية المذبة التي أنقذت الغناء المصري من الإسفاف الذي تردّى فيه زماناً طويلاً قبل أن يهيئ له الله رامياً ، ليجدده ، وليهذبه ، ولينفي عنه ما كان يشوبه من خيال غث ، وتعبيرات رخيصة ، وغزل بارد مكشوف ؛ مما سنخصص له كلمة مستقلة إن شاء الله

واستطاعت أم كلثوم كذلك أن تخفف من برحاء الحزن

فى نفس رامى ، وأن تلطف من لَذْع الحُرَق التى كان ينطوى عليها من جراء نكبته فى حبه ، وقد اعترف هو بذلك فى كثير من شعره الذى أخذ يرق ويصفو لدخول أم كلثوم فيه :

صوتك هاج الشجو فى مسمعى   وأرسل المكنون من أدمعى
سمعته فانساب فى خاطرى   للشعر عين ثرّةُ المنبع
ودبّ فى نفسى دبيب المنى   والبرء فى نضو الجوى الموجع
سلوى من الدنيا نسلى بها   قلب شديد الخفق فى أضلعى
طال به السهد كأن الدجى   ضل به الفجر فلم يطلع
حتى إذا غنيتِ ذاق الكرى   ونام نوم الطفل فى المضجع
كأنما لفظك فى شدوه   منحدر من دمعى الطيّع
فيه صباباتى وفيه الضنى   يشكو تباريح فؤادى معى
نظمت أشعارى وغنيتها   منظومة الحبات من مدمعى
أودعتها الشكوى فما رق لى   من راح بالقلب ولم يرجع
ولو تغنيتِ بها عنده   عاد إلى الود ولم يقطع

أما حديث هذا (الذى راح بالقلب ولم يرجع) فعلمه عند رامى الذى يقول بعد هذا :

يامن شدت بنسيبى   ناجيت فيه حبيبى
ورددت من شكاتى   ورجّعت من نحيبى
وأودعت فى الأغانى   تناوحى ووجيبى
فجرتِ نبعَ خيالى   من بعد طول النضوب
أنمتِ حزن فؤادى   بصوتك المحبوب
وكنتِ مألف حسى   وظل روحى الغريب
وآنس اليوم قلبى   نجيّه فى القلوب
حتى غنيت بنجوا   ك عن هوى وحبيب (1)

فنحن إلى الآن تلقاء حالات ثلاث من أحوال رامى ... أولاها رامى المحب المحزون ، وثانيتها رامى الذى يشكر القدر على هذا الصوت الذى أخذ (يدب فى نفسه دبيب المنى ، والبرء فى نضو الجوى الموجع) ، رامى الذى لا يزال يحن إلى إلفه القديم فيقول :

أودعتها الشكوى فما رق لى   من راح بالقلب ولم يرجع
ولو تغنيتِ بها عنده   عاد إلى الود ولم يقطع

أما الحالة الثالثة ، فرامى الذى أخذ يتسلى عن هواه القديم ، حيث يقول :

أنمتِ حزن فؤادى   بصوتك المحبوب
وكنتِ مألف حسى   وظل روحى الغريب
وآنس اليوم قلبى   نجيّه فى القلوب
حتى غنيت بنجوا   ك عن هوى وحبيب

وذلك اعتراف صريح من رامى بأن قلبه قد آنس اليوم نجيّه فى القلوب ، حتى غَنِىَ بنجواه عن كل هوى وكل حبيب

أما تاريخ قلب رامى بعد هذه الأطوار الثلاثة من أطوار حبه فليس من شأننا ، ونستطيع أن نقول إنه أصبح قلباً شديد الصلة بأذنيه ... أى من هذه القلوب التى تعشق بالأذن قبل أن تعشق بالعين أحياناً وإن تك عين رامى من أعشق عيون الشعراء الذين عرفناهم أجمعين . ونستطيع أيضاً أن نلفت النظر إلى حب جديد شب فى قلب رامى فجأة ، وجعله لأول مرة فى حياته يذكر الشك ويردده كثيراً فى أشعاره الجديدة وفى أغانيه المصرية البارعة الرائعة :

تقول أسأت الظن بى فكأنما   تخال محباً لا تسوء ظنونه
وهل قر قلب فى هواه ولو غدا   يساجله فرط الحنان خدينه
إذا لم يكن فى الحب شك وحيرة
فمن أين يحلو للمحب يقينه ؟

ومن قصيدته (بين الشك واليقين) :

قد أحاطت بك العيون فما أسـ   ـتطيع ألقى مكان عينى منك
وجرت حولك الأحاديث حتى   كدت أنسى الذى أحدّث عنك
وأطافت بك القلوب وقلبى   ضاع فى غمرها ولما يبنك
خبرينى أى القلوب تناجيـ   ـن فقد همت فى غيابة شك

ومن قصيدته (كذب الظنون) التى مطلعها :

أخاف عليك من نجوى العيون   وأخشى أنّة القلب الحزين
وأعلم ميل نفسك أن تكونى   هوى الدنيا ومُنبعَث الحنين
فأخشى قولة العُذّال مالت   لغيرك ، وامحى كذب الظنون
وقفت على هواك مطار فكرى   ومسرى خاطرى وهوى فنونى
ووحّدت المعانى فيك حتى   رأيت الكون خلواً من شجونى
فهل يرضيك ما ألقى فأرضى   نصيبى فيك من ذل وهون
أم الظن المريب أضل رشدى   وأرسل ليله يغشى يقينى
وأنت كما عهدتك فى غرامى   نجية قلبى الراعى الأمين

ومن قصيدته (ظن المحبين) :

ساورتنى الظنون فيها ولكنـ   ـنى غالبت سوء ظنى حينا

(1) نعتذر عن حذف بعض الأبيات لسياق الحديث

على هامش ذكرى المعرى

«داعى الدعاة» مناظر المعرى

للدكتور محمد كامل حسين

— ٤ —

لخصت فى مقالاتى السابقة شيئاً من حياة المؤيد داعى الدعاة، وتحدثت عن شىء من نشاطه فى الحياة السياسية، ولم أشأ أن أدخل فى تفصيلات لا تتحملها الصحف السيارة، والآن أتحدث عن أثر المؤيد فى الحياة العلمية والأدبية. فقد كان المؤيد عظيم الأثر فى معاصريه، واستطاع أن يسحرهم بفصاحته ويبهرهم بقوة حججه فانقاد له خلق كثير، واستطاع كذلك أن يجعل من تلاميذه مدرسة لها طابعه، تتحدث بآرائه وتبشر بتعاليمه، كما وضع عدة كتب لا تزال إلى الآن من أمهات الكتب التى لا يقر بها إلا شيوخ الدعوة الطيبية فى الهند واليمن، (أى طائفة البهرة)، وقد سرد عبد الله بن المجدوع فى رسائله أسماء الكتب التى وضعها المؤيد فى الدين، وهى تبلغ نحو ثلاثة عشر كتاباً، منها كتاب واحد بالفارسية هو كتاب أساس التأويل، وقال إن المؤيد ترجم هذا الكتاب عن العربية عن كتاب «أساس التأويل» لأبى حنيفة النعمان بن حيون المغربى. وقدر لى أن أطلع على هذا الكتاب بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن؛ فإذا هو يبحث فى تأويل قصص الأنبياء بعد أن قدم فى عدة صفحات قليلة بوجوب تأويل القرآن الكريم تأويلاً باطنياً، ووجوب معرفة الظاهر والباطن

ولعل أكبر أثر تركه المؤيد هو كتاب «المجالس المؤيدية»، وهو مجموعة محاضراته التى ألقاها فى مجالس الدعوة، وتجمع كل مذهب الفاطميين. فلم يترك المؤيد شيئاً من مذهبه دون الحديث عنه فى هذه المحاضرات التى بلغت الثمانمائة محاضرة، ولا أدرى تماماً متى جمعت هذه المحاضرات ومن الذى أطلق عليها هذا الاسم، ولكن الذى لا شك فيه أن الداعى اليمنى حاتم بن إبراهيم المتوفى سنة ٥٩٦ رتب هذه المحاضرات حسب

ثم ساءلتها أتحمل عنى بعض ما ذقت فى هواها فنونا
فثنت طرفها وقالت أما تبر ح يا ظالمى تسىء الظنونا
وأنا لا أشيم فى قلبك السا در نوراً ولا أحس يقينا
كانا بى. الظنون وما أحسب إلا أن الأمانة فينا!

وكما يتردد ذكر الشك فى شعر رامى الجديد تتردد الشكوى من كثرة المحبين الذين تتهاوى فراشات قلوبهم فى نار حبيبه المقدسة:

يا من أخذت فؤادى أخذ العدو الحبيب
قلبى لديك فقل لى ما حاله فى القلوب

وما أعذب مطلع قصيدته «هوى الغانيات»

كيف مرت على هواك القلوب فتحيرت من يكون الحبيب؟

ومن قصيدته «بين الشك واليقين»:

وأطافت بك القلوب وقلبى ضاع فى غمرها ولما يضمك
خبرينى أى القلوب تناجيـن فقد ضعت فى غيابة شك

ثم تكثر فى شعر رامى الجديد تلك المقطوعات الرقيقة التى لا نستطيع أن نسميها إلا «خطابات شعرية» كان يرسل بها إلى حبيبه الجديد، يملأها بالشكوى وبالشك والحنين وهو يصرح فى معظم هذه (الخطابات المنظومة) بأن حبيبه هذا ذو صوت حنون حلو:

عشقتك للصوت الحنون وللشجى
وما كنت أدرى ما يجر هواك
غناء كشدو الطير فى رونق الضحى
ومعنى تناغى فى سماء منـاك

وإذا سئل رامى عمن يكون هذا الحبيب أجاب:

أرادونى على أنى أبوح وهل يتكلم القلب الجريح

إلى أن يقول:

وتزدحم القلوب على هواها فتنكرنى ولى كبد قريح؟

وبعد ... فمن الفضول فى تاريخ شعرائنا أن نعدو هذا الحد. مَنَّ الله على رامى بنعمة الهدوء فى عش حياته العائلى. زوجاً كريماً وولداً براً رحيما.

دريني خشبة

ونشرها باسم « جامع الحقائق » ، فأدى بذلك خدمة جليلة لمن يبحث فى المجالس المؤيدية

قسم حاتم بن إبراهيم المجالس المؤيدية إلى ثمانية عشر باباً ، جمع فى الباب الأول ما ذكره المؤيد عن التوحيد ، وفى الباب الثانى ما اختص بالإبداع والمبدع الأول ، وفى الثالث ما ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى الرابع عن النبى (ص) وعلى بن أبى طالب ، وأفرد الباب الخامس لعلى بن أبى طالب ، وجمع فى الباب السادس ما قيل فى إثبات الإمامة فى ولد على ، وأن الإمامة تنتقل من والد إلى مولود لا تنقطع إلى يوم القيامة ، وفى الباب السابع حديث عن الأشباح الروحانية وفضلهم ، وفى الثامن ما قيل فى المادة والتأييد والوحى المتصل بالأنبياء ، وحديث عن الأنبياء والأوصياء ، وفى البابين التاسع والعاشر وجوب أخذ العهد على المستجيبين للدعوة ، ووجوب التأويل وصحته ، وفى الباب الحادى عشر نجد رد المؤيد على غلاة الشيعة وعلى القائلين بالتناسخ ، وفى الباب الثانى عشر رد المؤيد على الفلاسفة والمعطلة والمنجمين ، وفى الباب الثالث عشر رسائل المؤيد إلى أبى العلاء المعرى ، ورد المؤيد على المعتزلة وعلماء أهل السنة واليهود ورده على ابن الراوندى صاحب كتاب الزمردة الذى يحتج فيه على الرسل ، ويحاول أن يبرهن على إبطال الرسالة ، وفى الباب الرابع عشر تحدث المؤيد عن أضداد الأنبياء والأوصياء منذ عهد آدم ، وفى الباب الخامس عشر جمع بعض مناجاة المؤيد وخطبه ومواعظه ، وجعل فى الباب السادس عشر فى ذكر فضل المهدى المنتظر ، أو بحسب اصطلاحهم « قائم القيامة » والباب السابع عشر عن المعاد والثواب وذكر أهل العذاب ، وختم كتابه بالباب الثامن عشر وهو خاص بأهل العذاب

هذه هى الموضوعات التى تحدث عنها المؤيد فى مجالسه ، وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على أن المؤيد كان واسع الاطلاع عالماً بمذهبه وبآراء جميع الفرق الإسلامية الأخرى ، وبما نقل إلى العربية من مذاهب الفلاسفة الأقدمين . والمؤيد فى كثير من مجالسه كان يأخذ آية من القرآن الكريم ، أو قولاً مأثوراً عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو عن أحد أئمة الفاطميين ويشرحه شرحاً يتفق مع ما كان يدعو إليه . فهى مجالس تأويل إن صح أن نسميها بهذا الاسم ، وهنا تتجلى لنا شخصية المؤيد ، إذ أن داعى الدعاة الأكبر أو الحجة هو صاحب التأويل فى عصره ، ولهذا نرى شيئاً من الاختلاف بين الدعاة فى تأويل بعض الآيات القرآنية الكريمة . فالتأويل شخصى يختلف باختلاف الدعاة وباختلاف العصور ، فتأويل النعمان بن حيون يختلف عن تأويل جعفر بن منصور اليمنى صاحب كتاب الكشف ، وكتاب سرائر النطقاء ، وكتاب أسرار النطقاء ، وهما يختلفان عن تأويل المؤيد فى مجالسه . وهم جميعاً يختلفون عن تأويل دعاة اليمن ، وهذا عجيب من قوم يدعون أن التأويل من عند الله سبحانه وتعالى !

كان المؤيد يبدأ مجالسه بمقدمة يحمد فيها الله ويثنى بالصلاة على النبى وعلى وصيه ، ثم يخاطب السامعين بقوله : « معشر المؤمنين » ... معلوم أن ... كما كان يختم كل مجلس بالدعاء لسامعيه ، ثم يعقبها بحمد الله والصلاة على النبى والوصى والأئمة . وكان إذا أراد التحدث عن نفسه فى مجالسه يقول : وقع فى أيدى أحد دعاتنا ... أو « سئل العالم » « قال العالم » ، لأنه كان يستر نفسه موهماً جمهور المستمعين أن هذه المجالس إنما هى صادرة عن الإمام نفسه

وها كم نص المجلس الثانى من المجالس المؤيدية فى موضوع الشرع والعقل بعد حذف المقدمة لطولها « معلوم أن المسلمين يشهدون بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام ضرورة من حيث أن القرآن الكريم مشحون بذكرهما وقصصهما . وهم « المسلمون » خصوم أمتيهما اللتين هما اليهود والنصارى ، وشهادة الخصم لا يحتاج معها إلى بينة ، وهم ينكرون النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا بينة للمسلمين غير القرآن الذى لا يقبلونه ويقولون ما هو بلغتنا ولا يلزمنا فيه حكم إعجاز ، والأخبار التى يأثرونها فى إعجاز النبى « ص » هم يردونها ولا يقبلونها . فكيف الحيلة فى إثبات نبوته عليهم ، من حيث لا يستطيعون ردها !

المناظر من المسلمين إذا ناظرهم قال إن كان موسى الذى دل عليه نبينا (ص) ونطق به القرآن الذى هو كتابه ؛ فقد لزمنكم نبوة صاحبنا كما لزمتنا نبوة صاحبكم ، وإلا لم نعرف صاحبكم كما

لا تعرفون صاحبنا . وعنده أنه دقق فى المناظرة وأحسن وجوّد، ولم يعلم أنه قابل كفراً بكفر ؛ فكان كما قال الله تعالى : « ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء » وإنما الطريق عليهم أن يسألوا عن برهان سبقهم وأحدهم وأوضاع دينهم من حيث العقل فيوافقوا على كون اليهودية والنصرانية عندهم لفظاً بلا معنى وأن معانى ذلك محصورة فى دين الإسلام الذى أتى به محمد (ص) فيتمين على من طلب النجاة منهم ؛ فلم يمل ميل الهوى الإيمان به .

وقول آخر : معلوم أن النبي « ص » مبعوث إلى الكافة كما قال الله تعالى « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا » وأن معجزة القرآن الذى هو كلام عربى يختص بلسان العرب، فإنه يستحيل أن يكلف الرومى والهندى والتركى أن يقبلوا القرآن معجزاً ويؤمنوا به وبمن أتى به ، فما حجة نبوة محمد « ص » على هذه الأمم كلها إلا أن يقام عليهم من صورهم وتراكيبهم حجج عقلية هى موجودة فى معانى القرآن دون ظاهر لفظه عند الراسخين فى العلم يقوم منها برهان نبوة النبي « ص » وإلا فلا برهان .

وقول آخر مختصر شاف : أن العقل صنع الله سبحانه فى باطن الإنسان يرى به مبصرات الآخرة ككون العين صنعه فى ظاهره يرى بها مبصرات الدنيا ، وقد يشرك الحيوان الإنسان فى العين ، ولا يشركه فى العقل ؛ فما يقال فيمن أعمى عينه بيده فحجب عنها ضياء العالم ونوره؟ وهل يحكم على من فعل ذلك بعين يشركه الحيوان فيها إلا بضعف الرأى وسوء الاختيار؟ أفلا يحكم على من أعمى العين المطموح بها إلى دار القرار بالشقوة والخسار وحلول جهنم دار البوار نعوذ بالله من ذلك . وجملة ما يقال فى قضية قولهم إن الشرع غير موضوع على العقل إن ولى أفاقه من قصر أن يكون بجناح البرهان فيها طائر فرأى أنه إن أثبت لكل شىء برهاناً ودليلاً ، واقع خطباً طويلاً ، وبدل تصحيح جسم رياسته تعليلاً فأبى أن يسلك فى هذا القول مضيقاً ، وآثر أن يقتصر على نفسه طريقاً ، ونفى أن بين الشرع والعقل صحبة أو قربة وسن بقوله هذا سنة أبقت على دين الإسلام سبة . والخ »

هذا نص المجلس الثانى من المجالس المؤيدية بعد حذف الابتداء والانتهاء وهو يدل على مقدار حذق المؤيد وقوة حجته وتهكمه بخصوم مذهبه . ومن الطريف أنى قرأت فى الأسبوع الماضى مقالاً للأستاذ الجليل عزيز بك خانجى يتحدث فيه عما سمعه من المرحوم الشيخ محمد عبده فى تفسير سورة « والتين والزيتون » وأضيف الآن أن المؤيد داعى الدعاة أشار إلى هذه السورة فى ديوانه بقوله :

ففكروا فى التين والزيتون   واستكشفوا عن سره المكنون
ولم أتى من ربنا به القسم   كما أتى بالنون أيضاً والقلم

أما فى المجالس المؤيدية فقد أوّل هذا القسم بنفس التفسير الذى سمعه الأستاذ خانجى من الشيخ محمد عبده . فقال المؤيد : « وقعت الكناية عن آدم بالتين وعن نوح بالزيتون لأن كل ثمرة يتقدمها ورق ونوار ، والتين ينشق عنه أعواد الشجر وكل حى يسبقه حبل وولادة ، وآدم استخلصه الله من أديم الأرض من غير حبل وولادة فمن أجل ذلك مثله بالتين . وخلاصة الزيتون هى الزيت المأخوذ عنه كأنه الغرض من الزيتون وكمثل ذلك . فخلاصة نوح ابراهيم المستخلص من ذريته حتى كأن الغرض من نوح ابراهيم فهو مضمر فى نفس القسم من الله سبحانه . أما معنى « طورسينين » فالرمز لموسى عليه السلام ، وطورسينين هو موضوع مناجاته ومكان فضيلته ، وفيه إضمار وهو المسيح « وشجرة تخرج من طورسيناء تنبت الدهن وصبغ للآكلين » فالمسيح هو الشجرة الخارجة من طورسيناء النابت من منبعة ملة موسى فشرفه الله ورفعه . وهذا البلد الأمين كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم ، هناك قبلة الله الناسخة لقبل، بيتها أول بنيان بنى على وجه الأرض ، كما قال الله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين » لآخر ساكن من أولى العزم من الرسل قال الله سبحانه وتعالى : « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد »

فتوارد الخواطر بين المؤيد والإمام الشيخ محمد عبده فى تفسير هذه السورة أوضح من أن يحتاج إلى شرح فإنى أشك فى أن الإمام الشيخ محمد عبده قد اطلع على تفسير المؤيد ، فسايره فى تفسيره الذى ورد فى المجالس المؤيدية التى اعتبرها من الكنوز التى تركها علماء المذهب الفاطمي ، والتى لا غنى عنها لمن يدرس تاريخ وعقائد الدولة الفاطمية .

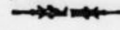
(يتبع)

دكتور
محمد كامل حسين
بكلية الآداب بالقاهرة

حول بعث القديم

منزلة المنفلوطى بين كتابنا

للأستاذ محمد خليفة التونسى



أوردت فى مقالى السابق « حول بعث القديم »[1] خمس ملاحظات مما عن لى ملاحظته على مقال الدكتور محمد مندور « بعث القديم »[2]، وهأنذا أعود إلى مناقشة رأى الدكتور فى المنفلوطى، وانقسام النثر إلى تيارين الآن ، كما وعدت فى آخر مقالى السابق ، وكما أبيت على نفسى هناك أن أقف فيما لاحظت موقفاً سلبياً ، فوقفت بعده موقفاً إيجابياً — سأقف هنا ليكون الرأى أوضح والكلام أتم ، وسألزم نفسى الإيجاز هنا ، كما ألزمتها إياه هناك لضيق المقام

رأى الدكتور أن القصة بمجرد ظهورها أخذت تغذى السجع بمادة الفكر ، على نحو ما نجد فى المويلحى « محمد » ، ثم شاع الفكر بعدها ، ومنها إلى المقالة « على نحو ما نجد عند السيد توفيق البكرى الذى جمع فى أسلوبه بين الصنعة اللفظية وجمال الصور الخيالية وصدق الإحساس أو أصالة الرأى » . ثم خطا النثر خطوة أخرى فى القرن العشرين على يد المنفلوطى ، فأصبح كالنثر الأوربى « تعبيراً مباشراً عن فكر غنى أو إحساس صادق » . ثم قال : « واليوم ننظر فى نثرنا فنرى تيارين كبيرين ينطوى فى أثناء أحدهما المويلحى والبكرى ومصطفى صادق الرافعى وأحمد حسن الزيات ، على اختلاف فى الأمزجة وعمق التفكير أو الإحساس ، ولكنهم يجتمعون معاً فى خاصية واحدة ، هى أنهم وإن يكونوا أبعد من أن يمثلوا فى شىء اللفظية التى سادت فى عصور مصر الإسلامية المتأخرة ، إلا أنهم رغم ذلك يحرصون على تجويد العبارة تجويداً فنياً ، ويخضعون الفكر أو الإحساس لطرق الأداء ، حتى ليأخذك فى أدبهم جمال الصياغة قبل أصالة الموضوع ، أو تحس بأن تلك الأصالة قد اضطرتهم إليها أصول الأسلوب التى ينتهجونها . والتيار الثانى يبتدئ كما قلنا بالمنفلوطى، ذلك الرجل المرهف الإحساس العذب الأسلوب ، ذلك الكاتب الذى غذى أجيال الشباب الناهضة أجمل الغذاء ، وبلغ من التأثير فى نفوسهم ما لم يكد يبلغه كاتب آخر »

ولا تعنينى هنا مناقشة رأى الدكتور فى تقدم الحد الفكرى فى القصة على المقال ، فقد خالفته فى ذلك وتعقبته فى المقال السابق ، بل يعنينى ما نقلته بعد ذلك ، وإنما ذكرته لأحفظ لآراء الدكتور اطرادها وتماسكها ، ولأن ما لخصت أساس لما نقلت ، ومن أجل هذا لجأت إلى نقل ما أريد مناقشته مع طوله دون التلخيص .

وأسأل نفسى هنا سؤالاً يحدد الرأى الذى أريد مناقشته هنا ، وسنرى أكان الدكتور موفقاً فى الإجابة عنه أم لم يوفق

آلمنفلوطى ممن ينطوون في أثناء التيار الأول كالمويلحى والبكرى والرافعى والزيات ، أم ممن ينطوون فى أثناء التيار الثانى كطه حسين الذى ضربه الدكتور مثلاً لرجال هذا التيار ؟

يرى الدكتور أن المنفلوطى ممن ينطوون فى أثناء التيار الثانى ، بل يوغل فيرى أن التيار الثانى يبتدئ به ، ونترك الآن أن هذا التيار ابتدأ به ، وحسبنا أن نرى أكان أم لم يكن من رجاله ؟

وقبل أن نناقش رأى الدكتور نلاحظ عليه أولاً أنه حدد الخاصية التى يجتمع فيها — كما عبر — رجال التيار الأول وسكت عن الخاصية التى يجتمع فيها رجال التيار الثانى ، وقد تكرر هذا السكوت مرات منه حين لجأ إلى التقسيم

وما نظننا فى حاجة إلى مقياس جديد غير مقياس الدكتور نطبقه لنرى أى تيار ينطوى فيه المنفلوطى ، فعلينا أن نتمسك به وهو وحده كفيل ببيان الحق الذى ننشده ، وكفيل ببيان أن الدكتور أخطأ فى تطبيق مقياسه وناقض نفسه ولم يصل إلى الغاية التى كان يجب أن ينتهى إليها ، فقد استقام على سنن واضح فى أول أمره ثم حطم مقياسه فانتهى إلى نهاية لم يتخذ لها بدايتها ، ولم تكن البداية التى سلكها لتصل به إليها

أما رجال التيار الأول فهم — كما قال الدكتور — مثل « المويلحى والبكرى ومصطفى صادق الرافعى واحمد حسن الزيات على اختلاف فى الأمزجة وعمق التفكير أو الإحساس ، ولكنهم يجتمعون فى خاصية واحدة ، هى أنهم وإن يكونوا أبعد من أن يمثلوا فى شىء اللفظية التى سادت فى عصور مصر الإسلامية

(١) الرسالة العدد ٥٧٧ (٢) الرسالة العدد ٥٧٢

المتأخرة ، إلا أنهم رغم ذلك يحرصون على تجويد العبارة تجويداً فنياً ويخضعون الفكر أو الإحساس لطرق الأداء حتى ليأخذك في أدبهم جمال الصياغة قبل أصالة الموضوع ، أو تحس بأن تلك الأصالة قد اضطرتهم إليها أصول الأسلوب التي ينتهجونها»

والمقام لا يتسع لإيراد الشواهد من كلام المنفلوطي ، وما نظننا بحاجة إلى الوقوف عند شاهد خاص لنتبين أن هذه الخاصية تتحقق في كل ما كتب المنفلوطي كما تتحقق في المويلحي والبكري والرافعي والزيات من رجال التيار الأول ، فأي كلام للمنفلوطي صالح لأن يكون شاهداً على قيام هذه الخاصية بأوضح سماتها ، ومن أجل هذا ولضيق المقام تركت الاستشهاد ، وأترك للدكتور أن يجيل بصره في أي صفحة مما كتب المنفلوطي — وإنه لكثير — سواء ما وضع وما ترجم وأنا واثق أنه سيجد هذه السمات التي رآها في آثار رجال التيار الأول قائمة في آثار المنفلوطي ، بل سيجدها في آثاره أوضح مما هي عليه في آثارهم ، فما أكثر ما لجأ المنفلوطي في سبيل إخضاع الفكر أو الإحساس لطرق الأداء ، وتجويد العبارة إلى إخراج الفكرة مضطربة ، والإحساس شائهاً ، وأظهر ما تظهر هذه السمات فيما ترجم المنفلوطي فإنه — لجهله الأصل الذي يترجم عنه — لا يقف في تصرفه عند حد حتى ليضل من يقرأ جزءاً من ترجمته العربية حين يحاول أن يتعرف مقابله من الأصل الأجنبي ، بل كان يلجأ أحياناً إلى القصة الأجنبية فيجمل مقدماتها أعجازها ، ويشيع فيها الهدم علواً وسفلاً ، ويقص بعض أطرافها ويزيد في بعضها الآخر ، ولا يزال مكباً عليها مسخاً وتشويهاً حتى ليعجز متبعه عن السير معه وحتى ليكاد يخفى الأصل كله عنه لولا أن يهتدي إليه من طريق آخر كالأعلام مثلاً ، وما علينا إلا أن نرجع إلى ترجمته لقصة غادة الكاميليا فقد غير حتى عنوانها ثم جعلها قصتين بعنوانين ، كما يظهر ذلك من الرجوع إلى مجموعته (العبرات) وهذان العنوانان يظهران حتى في فهرس المجموعة ، ولو وازنا بين ترجمة القصة في آخر مجموعته والأصل الفرنسي أو بينها وبين الترجمة العربية للدكتور أحمد زكي بك لرأينا مقدار ما جنى المنفلوطي بجهله الأصل وحريته التي لا تقف عند حد — على هذه القصة الفريدة الخالدة ، ولقد كان مسخه يمتد إلى كل ما يترجم حتى العناوين ، وما أظن الزيات فيما ترجم — مع حرصه أيضاً على تجويد العبارة — قد اجترح شيئاً من آثام المنفلوطي لأنه يعرف الأصل ولا يترك الاتصال به في أي موضع من المواضع ، وإنما اخترت الزيات لأنه باعتراف الدكتور من رجال التيار الأول

ولم يكن المنفلوطي ليكتفي في الترجمة بما تضمه اللغة العربية بألفاظها وخصائصها من عراقيل في طريقه رغم أنفه ، مع أن كثيراً من ذلك يستمد معناه من البيئة الصحراوية التي نشأت فيها العربية كما يستمده من الحوادث العربية المحضة ، وإنه لعبء أي عبء يحس به من شاء الترجمة الشفافة من أي لغة أجنبية إلى العربية ، بل كان المنفلوطي يضيف إلى العراقيل السابقة عراقيله هو من التشبيهات والكنايات والمجازات والاستعارات العربية التي يستمدها من أساليب الأقدمين ، وإنها لرواشم توارثها العرب لاحقاً عن سابق ، وهي تمت إلى خصائص عربية بدوية وتصبغ الكلام بصبغة عربية بدوية لا تخطر إلا في بال من عاش في هذه البيئة التي نشأت فيها تلك اللغة وتلك الأساليب مما لا يتصوره ذهن غربي ولا يلوكه لسان غربي ولا يوجد في لغة غربية

أما ما كان يضعه المنفلوطي ، فقد كان حرصه فيه على جودة التعبير كما يفهمها هو من حيث البلاغة العربية أكثر منه فيما يترجم ؛ فقد كانت الترجمة تمده بالفكر والإحساس ، فلا يبقى له إلا التعبير ، أما ما وضع ، فالفكر والإحساس فيه له وحده . وإنه لفكر ركيك وإحساس إما فاتر وإما حار ، ولكن المبالغة فيه تبعث الإنسان على السخرية أكثر مما تبعثه على المشاركة فيه والعدوى به

يرى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني أن الترجمة خير محك للكلام الجميل ، فالجميل في لغة جميل في غيرها ، والردىء في لغة ردىء في غيرها[1] ، ونحن مع ذلك نعتقد أن الكلام في

(١) انظر عدد السياسة الأسبوعية الممتاز الذي صدر بمناسبة إسناد إمارة الشعر إلى المرحوم أحمد شوقي بك سنة ١٩٢٧

نقله من لغة إلى أخرى يفقد كثيراً من جماله ، ولكن الأفكار والأحاسيس يستطاع نقلها مع المحافظة على جمالها ، وليس يضيع فى النقل إلا جمال التعبير

فماذا على الدكتور لو أنه نقل جزءاً مما كتب المنفلوطي إلى لغة أجنبية يعرفها ثم نظر فيه بعد ذلك !

أنا واثق أن الدكتور لن يجد بين يديه شيئاً تافهاً أو لاشيء ، لأن جودة التعبير هي أبرز فضائل المنفلوطي ، وهي شيء يضيع أثناء النقل ، فلا يبقى له إلا الفكرة أو الإحساس ، وإنهما لشيئان تافهان - هذا إذا كانت هناك فكرة وكان إحساس

وقد لاحظنا أننا نتكلم عن أسلوب التفكير وأسلوب التعبير ، فلنلاحظ أنه كلما كانت الفكرة أو الإحساس أو الصورة أدنى إلى السذاجة كان التعبير عنها أيسر ، فإذا كان المنفلوطي أيسر فهماً من الرافعي والزيات وغيرهما ؛ فمصدر ذلك أنه لا يتعمق فى فكره كما يتعمقون ، ولا يرهف إحساسه ويصدق كما يرهفون ويصدقون ، ولا يجهد نفسه ليرتقى إلى آفاق الفكر العليا والمثل الإنسانية الرفيعة كما يجهدون ويرتقون

والصبي إذا استطاع أن يعبر الجدول قفزاً دون أن يصيبه البلل ليس له أن يفخر على الرجل إذ يعجز عن عبور النهر إلاسباحة فيقاسى ما يقاسى فى عبوره من هول الأمواج والتيارات ووحوش الماء ، ولا ينال ما يريد إلا بعد أن يأخذ منه النصب كل مأخذ ويلق من المتاعب ما لا يخطر للصبي على بال ، وما على الصبي إذا شاء الفخر إلا أن يلقى بنفسه فى النهر كالرجل وسيعرف أنه ليس الجدول كالنهر

من أجل هذا نرى أن المنفلوطي ليس من رجال التيار الثاني ، فلا يجوز بحال أن نرى ما رأى الدكتور من أن التيار الثاني قد ابتدأ به ، ومن أجل هذا كان المنفلوطي من رجال التيار الأول ، بل إنه لا أصل فيه من بعض من يظنهم الدكتور أصلاء فيه ، وخاصة الرافعي وعلى وجه أخص الزيات ؛ فإن الزيات أدنى منه إلى رجال التيار الثاني وأشبه بهم منه

ولطالما هجم الزيات على أعقد مما اضطرب فيه المنفلوطي من المشاكل الفكرية ، ومع محافظته على اطراد آرائه واتزان خطاه وصفاء فكره وخصائص شخصيته - استطاع أن يحتفظ لتعبيره بطلاوته وأناقته وإشراقه على النحو الذي يفهمه من بلاغة أسلوب التعبير فى اللغة العربية ، كما أبان لنا عنه فى مقالاته حين تعرض للدفاع عن البلاغة

وإنه ليبلغ من بلاغة التعبير ما يريد دون أن يدنى أو ينسيك المشكلة التي يعالجها ، أو يخدعك بجمال الصياغة عن الموضوع الذي يحدثك به ، وما هكذا المنفلوطي ؛ فإنه ليبلغ منه الحرص على جودة التعبير أحياناً مبلغاً يخرجه حتى من رجال التيار الأول المحتفظين بجمال الصياغة ، مع احتفاظهم بوضوح شخصيتهم وخصائص أمزجتهم والصدق فى إحساسهم والجد فى تفكيرهم - ويدنيه إلى الفئة الذين كل همهم أن يخدعوك عن ثقافتهم بحلية لفظية زائفة كرجال العصور الإسلامية المتأخرة أمثال الحريري وابن زيدون والقاضي الفاضل والوطواط وابن نباتة والصفدي وابن حبيب الحلبي والجبرتي والشرقاوي وغيرهم ممن تخلو كتاباتهم الأدبية من كل فكر جاد وإحساس صادق . ونقول يدنيه منهم ولا نقول يضمه فيهم ، لأن المنفلوطي - مهما يسف - لن ينحط حتى يكون مثلهم ، ولن يتهافت حتى يبلغ مبلغهم من التفاهة والسخافة والفسولة ، ولكنه كثيراً ما نزق مثل نزقهم ، وإن كان أرفع منهم أفقاً وأقوم فكراً وأصدق حساً ، فظهر كالمشعبذ مثلهم ، ولو أن شعبذته من صنف أرق وأدق وأعمق

المنفلوطي من رجال التيار الأول ، وليس أفضل رجاله ، وإن كان من أفضلهم ، ونحن نظلمه حين نخرجه عن أشباهه إلى غير أشباهه ؛ فلنضمه حيث وضعه الله ووضعته ملكاته ومؤهلاته وتربيته وثقافته ، وبهذا نوفيه حقه ونعرف له فضله ، وإنه لفضل عظيم . . .

ووداعاً ياسيدي الدكتور إلى أن نلتقي فى مقال آخر نجيب به عن هذا السؤال : آلمنفلوطي - كما قلت أنت - الكاتب الذي غذى أجيال الشباب الناهضة أجل الغذاء ، وبلغ من التأثير فى نفوسهم ما لم يكد يبلغه كاتب آخر ؟

وإليك مني خالص تحياتي وتجلاتي

(سمالوط) **محمد خليفة التونسي**

٣ – فساد الطريقة
في كتاب النثر الفني

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

سوء الفهم

من عجيب عيوب الكتاب سوء فهم صاحبه لنصوص تعرض لها ؛ فإن أقل ما ينتظر من أديب متخصص ألا يخطئ معنى نص إن عرض له في بحث ؛ فإذا هو أخطأ كما أخطأ صاحب الكتاب كان ذلك دليل نقص في الفهم أو الفكر أو نقص في الإخلاص للحق الذي زعم أنه يبحث عنه . ونحن موردون لهذه الظاهرة في الكتاب أمثلة شتى تختلف في أهميتها وتتفق في دلالتها

وأول ما نذكر من ذلك موقفه من الآية الكريمة : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذن لارتاب المبطلون » ؛ فقد احتج بها لنفسه على المسيو مرسيه ، كما سبق أن أشرنا في بعض ما سبق من الكلمات . المسيو مرسيه ينكر إنكاراً مطلقاً أن يكون في العصر الجاهلي نثر فني أو مؤلفات نثرية ، وصاحب الكتاب يزعم أنه كانت هناك كتب دينية وأدبية . وحجة المسيو مرسيه أنه لو كانت هناك مؤلفات نثرية لدونت وحفظت ونقلت إلينا كلها أو بعضها ، كما هو الشأن في آثار الهند والفرس والروم . وحجة زكي مبارك أن فقدان تلك الآثار لا يكفي لإنكار أنها كانت موجودة ، وأن القرآن يشير إلى أنه كانت هناك كتب دينية وأدبية لم يطلع عليها النبي ، فيتهم بتلفيق القرآن مما قرأ فيها « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذن لارتاب المبطلون » كما يستشهد صاحب الكتاب

والآية الكريمة لا تدل على شيء مما ذهب إليه زكي مبارك لأن الحجة فيها تصدق بأمية الرسول صلوات الله عليه مع عدم وجود الكتب ، كما تصدق بأمية الرسول مع وجود بعض الكتب . ووجود بعض الكتب يصدق بوجود التوراة التي كان معروفاً أنها موجودة ، وحاكم الرسول أهل الكتاب إليها في أكثر من حادثة . فاستشهاد صاحب النثر الفني بالآية على وجود كتب دينية وأدبية لعرب الجاهلية تعسف وتصيد للدليل .

فهو قد جرى مع الهوى إن كان قد فهم الآية ، وهو لم يفهم الآية إن كان لم يجر مع الهوى . وقد كان واجباً عليه إن كان يبحث للحق لا للهوى أن يقارن هذه الآية بأمثالها من القرآن ليفسر بعضها ببعض ، ولينظر هل تنصره الآيات الأخرى فيما ذهب إليه ؛ ولو فعل لواجهته آيات عدة كلها تشهد ضده : مثل قوله تعالى « أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون »(١)

وقوله تعالى : « ايتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين »(٢)

وقوله تعالى : « أم لكم سلطان مبين . فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين »(٣)

وقوله تعالى « أم لكم كتاب فيه تدرسون »(٤)

وقوله تعالى : « وما آتيناهم من كتب يدرسونها ، وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير »(٥)

فهذه كلها آيات تدل على عكس ما فهم زكي مبارك من الآية التي استشهد بها من سورة العنكبوت وأخطأ فذكر أنها من سورة القصص ؛ والآيات التي أوردناها تتدرج في تعميم النفي ، نفي ما ذهب إليه زكي مبارك حتى لا تدع الآيتان الأخيرتان منها عند المسترشد بالقرآن شكا في أن الجاهليين لم يكن لديهم كتب تدرس في الدين أو في الأدب . وهذا يتفق مع وصف الله إياهم بالأميين في قوله سبحانه من سورة الجمعة : (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) ؛ كما يتفق مع الحديث الصحيح : نحن أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا .

فهذه كلها نصوص تشهد على صاحب النثر الفني أنه لم يفهم آية سورة العنكبوت ، وتتركه كالسفينة على اليبس ليس له إلى ما يريد من سبيل

هذا مثل من سوء فهم صاحب الكتاب وفساد طريقته ، أو من عجزه حين يتطلب منه البحث شيئاً من التحقيق . ومثل آخر هو أعجب من هذا وأقبح ، موقفه من آية أخرى ، آية سورة هود . فإنه بعد أن أبدأ وأعاد في أن القرآن من جنس كلام العرب وجوهره ومعدنه ، لا يمتاز – زعم – بالأسلوب ولكن بقوة المعنى وقوة الروح ، أراد أن يفسر لماذا لم يأتوا بشيء من مثله فقال :

(١) سورة الزخرف (٢) الأحقاف (٣) الصافات
(٤) القلم (٥) سبأ

« القرآن نفسه فصّل فى هذه المسألة حين قال (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) . فلنتأمل جيداً عبارة (إن كنتم صادقين) ففيها الجواب كل الجواب . وهل كان فى مقدور العرب أن يكونوا جميعاً أنبياء حتى يصلوا إلى ما وصل إليه مواطنهم وزعيمهم وسيدهم محمد بن عبد الله الذى صدقت كلمهم فيه قبل نبوته حيث لقبوه بالصادق الأمين ؟ »

وهذا الكلام من صاحب الكتاب فيه أكثر من عجيبة واحدة فإن قوله « زعيمهم وسيدهم الخ » خاط بين حال النبى بعد فتح مكة وحاله قبل فتحها ، قبل الهجرة ؛ فإن الآية التى ذكر من سورة هود ، وسورة هود مكية أى نزلت قبل الهجرة . ولم يكن عدد المسلمين قبل الهجرة يزيد على بضع مئات إن كان بلغها ، فلم يكن للنبى صلى الله عليه زعامة على أهل مكة بله العرب إذ ذاك ولا سيادة . فصاحب الكتاب إما أن يكون على جهل بالآية متى نزلت ، وإما أن يكون أراد اتقاء التهمة عند الناس

وفى قوله : « وهل كان فى مقدور العرب أن يكونوا جميعاً أنبياء حتى يصلوا إلى ما وصل إليه مواطنهم الخ » عجيبة أخرى ، لأن فيه إشارة خفية أو ظاهرة إلى أن محمداً وصل إلى القرآن من نفسه بصدقه الذى عرفوه فيه قبل نبوته ، ولما لم يكونوا مثله فى الصدق لم يستطيعوا أن يأتوا بقرآن كقرآنه ، ولو كانوا مثله فى الصدق لاستطاعوا . وإذا كان العرب جميعاً لم يكونوا على مثل صدق محمد قبل نبوته ، فليس من الممتنع عقلاً أن يكون بعضهم كان على مثل صدقه ذلك . فكلام صاحب الكتاب هذا يترك الباب مفتوحاً لإمكان إتيان بعض العرب بمثل القرآن ، من غير أن يفسر لماذا لم يأت ذلك البعض بمثله

ولا يتبين ما وراء هذا الكلام لصاحب الكتاب إلا إذا قورن بقوله من مناظرة له فى كلية الآداب : « فيكم من قرأ القرآن وفيكم من قرأ التوراة وفيكم من قرأ الإنجيل ... وهل فيكم من ينكر أن من أعظم الجوانب فى تلك الكتب هى الجوانب الخاصة بالتشريع ؟ ولمن توضع قواعد التشريع إذا اطمأن الأنبياء إلى أن المجتمع فى أمان من شر الفساد والانحلال » وفى قوله : « إذا اطمأن الأنبياء » الدليل كل الدليل إلى رأى صاحب الكتاب فى قواعد التشريع فى القرآن والتوراة والإنجيل هل هى من وضع الأنبياء أو من عند الله . ومن هنا يتبين ماذا أراد بقوله : « وهل كان فى مقدور العرب أن يكونوا جميعاً أنبياء » إلى آخر ماقال تفسيراً لعدم استطاعتهم الإتيان بمثل القرآن

على أن همنا الآن ليس هو العودة إلى تبيان رأى صاحب الكتاب فى القرآن لمن هو ؛ فهذا إنما جاء عرضاً ، ولولا ما جاء متعلقاً به فى الشاهد الذى أوردناه من كلام صاحب الكتاب ما عرجنا عليه . إنما همنا أن ندل على عجيب سوء فهم صاحب الكتاب للآية التى أورد بعضها من سورة هود . وسوء فهمه يتجلى فى حمله (إن كنتم صادقين) فى الآية الكريمة على الصدق الخلقى لا على الصدق الإخبارى فى قول خاص قد قالوه ، كما يتجلى فى زعمه أن فى هذه الكلمات الثلاث ، بهذا المعنى وعلى هذا الوجه ، الجواب كل الجواب على سؤال السائل : لماذا لم يأت العرب بمثل القرآن وهو من جنس كلامهم ، لا يمتاز عنه بأسلوب ، ولكن بقوة المعنى والروح . ونفى الامتياز فى الأسلوب يستلزم طبعاً نفى الامتياز بقوة الروح ، كما أن إثبات قوة الروح يستلزم إثبات قوة الأسلوب لو كان صاحب الكتاب يعرف مظاهر قوة الروح فى الكلام . لكنه مشغول عن كل هذا بظنه أن المسألة مسألة صدق معنوى روحى فحسب ، فلو صدق العرب مثل صدق محمد لجاءوا بمثل القرآن . وهذا طبعاً يترك الباب مفتوحاً للانسانية فى مستقبل الزمن وحاضره أن تأتى بمثل القرآن إذا وجد فيها من يبلغ من الصدق المبلغ المطلوب !

ولسنا ندرى كيف خفى على هذا الرجل أن الصدق على هذا الوجه يفسد النص الذى ذكره من الآية الكريمة ، ويدخل عليه من الخلل والتناقض ما لا يخطر ببال ، إذ يصير معنى ما اقتضب من الآية هو : فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كان خلقكم الصدق فى القول والعمل ! وواضح أن فعل الشرط هو مدار التعجيز لعدم توفره فيهم ، ولو توفر لاستطاعوا أن يأتوا بما طلب منهم أن يأتوا به . فيكون المعنى على فهم صاحب الكتاب أنهم لو كانوا على خلق من الصدق ، وطبع من محبة الحق والبصر به ، لاستطاعوا أن يفتروا عشر سور من مثل القرآن ! وما دام الصدق المشروط قد توفر فى محمد إلى حد لم يتوفر فيهم ، فمحمد استطاع أن يفترى كل القرآن على فهم صاحب الكتاب . ونعوذ بالله من الخذلان !

طبعاً لم يفصل القرآن فى الموضوع هذا الفصل المطابق لفهم زكى مبارك أو الموافق لوحى شيطانه . وإن فهماً يخرج



إلى الأستاذ بشر فارس

قدمت لك رسالتي في « الإسلام والفنون الجميلة » ، وكان جميلاً منك أن عرفت بها قراء المقتطف ، ولكن الذي تولى عنك التعريف — في عدد يونيو سنة ٩٤٤ ص ٨٣ — لم يلتزم جانب الصدق في مهمته ، بل راح يتهمني في جراءة غريبة بخيانة الأمانة العلمية ، فكتبت إليك لترد الحق إلى نصابه وطلبت إليك أن تنشر ردى ، كما نشرت من قبل كلمته كما يقضي بذلك العدل والمنطق السليم ، ولكنك لم تفعل ، فلا نشرت خطابي كما هو ، ولا كنت أميناً في تلخيصه كما ينبغي ، بل اخترت — أو اختار صاحب الإشارة — منه فقرات لا تصور رأيي على حقيقته ، واستباح لنفسه أن يرد على ذلك الذي اختاره من خطابي ، واستبحت لنفسك أن تنشر رده لتوهم القراء أنه رأيي وما هو من رأيي في شيء . وبعد ، فقد تفضلت مجلة الرسالة — منبر الحق — فأفسحت لي من صدرها مكاناً أنشر فيه خطابي إليك الذي أبيت نشره ثم أعقب على الرد الذي ظهر في عدد يوليو سنة ٩٤٤ من مجلة المقتطف

أما خطابي فنصه :

القاهرة في ٢١ يونيو سنة ١٩٤٤

سيدي المحترم الأستاذ بشر فارس

قرأت اليوم في مجلة المقتطف كلمة عن كتيبي « الإسلام والفنون الجميلة » وإنني لأشكر لك عنايتك بتلك الرسالة الصغيرة ، ولشد ما كنت أحب أن أقف عند حد هذا الشكر لا أتعداه ، لولا أنك يا سيدي لم تكن موفقاً في اختيار الناقد الذي عهدت إليه بنقد تلك الرسالة وتعريف القراء بها ، وأغلب الظن أن ناقدك المحترم ليس من الاختصاصيين في موضوع الرسالة بدليل أنه لم يستطع صبراً على قراءتها على صغر حجمها ، ولم ينفذ إلى ما تضمنته من آراء حتى يناقشها ليهدمها أو يعد لها أو يؤيدها أو يأتي في الموضوع بجديد ، لا سيما والبحث حدث لم يتجاوز

المحكم من القول عن إحكامه هـذا الإخراج لهو فهم مختل بالغ الاختلال . وإذا قرأت الآية تامة ، لا كما ابتسرها لك زكي مبارك لغرض في نفسه وجدت المعنى نيراً واضحاً لا عوج فيه ، والحجة مستقيمة ملزمة لا خلل فيها

إن الآية هي : (أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) . والتلميذ المبتدئ إذا قرأ الآية تامة هكذا يدرك حالاً أن (إن كنتم صادقين) معناها إن كنتم صادقين في قولكم إن محمداً افتراه ، لا كما زعم هذا الباحث المتخصص من أن معناها إن كنتم مثل محمد مطبوعين على الصدق مفطورين على محبة الحق

والفرق بين المعنيين هو الفرق بين الحق والباطل ، وبين النور والظلمات . ألا ترى أن ظاهر الآية الذي لا يمكن أن يخفى حتى على المبتدئين هو أن صدقهم في دعواهم يستلزم قدرتهم على الإتيان بمثل القرآن ، فإذا لم يقدروا فهم كاذبون في رميهم النبي بافتراء القرآن على الله ؛ في حين أن ما فهمه زكي مبارك الأديب البحاثة مؤداه أن تخلقهم بالصدق يستلزم مقدرتهم على الإتيان بمثل القرآن ، فإذا لم يقدروا فهم مفطورون على الكذب . كأن خلق الكذب والعجز عن افتراء القرآن متلازمان ، كما أن خلق الصدق والقدرة على افترائه متلازمان كذلك ! وقد شهد صاحب الكتاب للنبي بالصدق فطرة وسجية ، فقد شهد له إذن بالقدرة على مثل القرآن ، أو بالأحرى شهد عليه — حاشاه صلى الله عليه — أنه افترى القرآن على الله كما هو لازم منطق الآية في فهم صاحب الكتاب !

لقد جئنا بالآية مثلاً على النقص البالغ في مقدرة صاحب الكتاب على الفهم ، فإذا بالتحليل المنطقي لفهم صاحب الكتاب للآية يؤدي إلى أن صدق محمد يقتضي في رأي صاحب الكتاب أن يكون القرآن لمحمد افتراء على الله . وخسئ صاحب الكتاب وخسر أي الوجهين فضل أو أي النتيجتين اختار

هذا عجب من سوء فهم صاحب الكتاب لآيتين من كلام الله ، وسترى عجباً من سوء فهمه لبعض كلام الناس

محمد أحمد الغمراوي

الذين كتبوا فيه عدد أصابع اليد الواحد ؛ كما ذكرت فى المقدمة

وناقدك المحترم ، يا سيدى ، كذلك ليس من أهل النظر وأعداء الهوى كما تريد له أن يكون ، فلقد أثبت بما كتبه أنه وقف عند الصفحة الثالثة من الرسالة التى تتضمن ثبتاً بالمحتويات ولم يتجاوزها إلا إلى الصور ليلقى عليها نظرة عابرة ، وليته قرأ هذه الصفحة الواحدة بإمعان ، بل تسرع فأخطأ فى نقل بعض ما بها . إذ ذكر فى نقده « النقابات المساعدة » وحقيقتها « النقابات الإسلامية » ، وهو بعد هذا لم يفطن إلى الصفحات الثمانية التى لخصت فيها البحث باللغة الإنجليزية ، فلم يشر إليها ولم تدخل فى حسابه الذى توج به نقده إذ ذكر أن صفحات الرسالة ٣٢ (كما هو وارد فى الصفحة الثالثة) بينما هى فى الحقيقة ٤٠ صفحة ، وأما الصور ، فإن نظرته السريعة إليها قد دفعته إلى الظن بأنني اكتفيت بتلك الكلمة التى قصدت بها إيضاح الفكرة ، فحسب ، وجملته يسارع فى اتهامي بما أحرص عليه أشد الحرص ، ولو كان حضرته حريصاً على الأمانة العلمية حرصى عليها لقرأ الرسالة كما يقرأ القاضى النزيه أوراق القضية قبل الحكم فيها ، وعندئذ يجد أننى ذكرت فى الصفحة السابعة والعشرين أسماء الكتب التى نقلت عنها الصور وأسماء مؤلفيها . بقيت مسألة أسف حضرة الناقد ، لأننى نقلت إحدى عشرة صورة بحجمها من كتب نشرت قبل الآن ، ثم أمنيته فى أن أعنى بنشر صور جديدة ، وفى الحق إننى لآسف له ، راثٍ لحاله إذ كشف عن سطحيته إن صح هذا التعبير ، لأنه لو كان قرأ البحث وأدركه حق الإدراك لوجد أنه يدور حول موقف الإسلام من الفنون الجميلة ، وبيان هذا الموقف لا يتطلب أكثر من توضيح الفكرة بأى وسيلة إيضاح ميسورة ، فمن الإسراف حقاً ألا يستفيد الإنسان من « كليشيهات » أنفقت الدولة على صنع معظمها ، طالما أن ذلك لا يؤثر فى جوهر الموضوع ويكشف عن الفكرة بجلاء . ولو كان البحث فى الفنون الجميلة نفسها لكان الناقد على حق فى مطالبته بصور جديدة ، **لأن المقصود عندئذ يكون بيان الفن وتنوعه لا بيان** الفكرة الكامنة وراءه

وبعد فإننى أعتقد أن من حق عليك – يا سيدى الأستاذ – ومن حق المكانة العلمية السامية التي تتمتع بها مجلة المقتطف ، بل ومن حق الأمانة العلمية التى تشدق بها حضرة ناقدك المحترم ونسيها فى نقده أن تنشر هذه الكلمة فى نفس الموضع الذى نشرت فيه نقده فى أول عدد يصدر من المجلة لترد الحق إلى نصابه . ولك منى بعد ذلك أطيب التحيات وخالص الاحترام .

محمد عبد العزيز مرزوق

* * *

وأما تعقيبى على الرد الذى نشر فى عدد شهر يوليو سنة ٩٤٤ ص ١٩٠ من المقتطف فهو أننى ما زلت أعتقد من « صاحب الإشارة » ليس من الاختصاصيين فى موضوع الرسالة ، ولا يستطيع أن يستر دعواه بقوله إنه « لم ير مجالاً لمناقشة الآراء وإنها على حسن عرضها ليست على خطر ولا جدة » . ولو كان حقاً من رجال هذا الموضوع لناقش ولو رأياً واحداً من الآراء الكثيرة التى تضمنتها . على أننى لا أعيب عليه هذا قط ولا أطالبه بأن يكون من الأختصاصيين ، وإنما أطالبه بأن يكون أميناً فى التعريف بما يتصدى له من كتب وأبحاث ، مخلصاً فيما يتولاه من هذا العمل ، مدققاً فيما يصدر عنه من أحكام ، لا سيما إذا كانت تمس الآخرين . وأما قصة « الكليشيهات » فأظنه قد عز عليه أن يعود ، إلى الحق مع أن الرجوع إليه – كما يعلم – من أعظم الفضائل . فعندما وضعت إصبعه على المكان الذى يرى فيه جلياً أننى شديد الحرص على الأمانة العلمية راح يستر تراجعه بقوله : « بل أريد المصدر تحت الصورة » ، ومع أننى فعلت هذا فعلاً عند ما نشرت البحث فى مجلة الرسالة (راجع الأعداد ٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٥٤١) إلا أننى لم أشأ أن أشوه جمال الصور فى كتابى بذكر مراجعها ووصفها على نفس الورق المصقول تحت الصورة بل آثرت تحقيقاً للذوق الجميل أن أجمل وصف اللوحات ومراجعها فى مكان واضح فى الكتاب لا يخطئه إلا مهمل أو مغرض ، وكلاهما لا يقام لحكمه وزن .

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

ويل للفلسفة من الناس!

يظهر أن القدماء كانوا على حق حين قال قائلهم: «لا تذيعوا الحكمة بين غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم». وقد كنت إلى حين قريب أجهل قيمة الشطر الأول من هذه الحكمة، حتى ورد إلى خطاب غريب من أديب لا أعرفه، يتهمني فيه بالكفر والإلحاد (بطبيعة الحال)، ويسفه فيه بعض آرائي «الفاسدة المضلة»! وأنا أعترف لهذا الأديب الفاضل بأني قد أخطأت وأسأت، ولكنني أرجوه أن يعرف أن الكلمة من صاحبها هي بمعناها في نفسه لا بمعناها في نفسها. فإذا كانت كلمتي الأخيرة تنطوي على شيء من هذا الذي توهمه أديبنا الفاضل، فلعله مما يشفع لي أن أكون قد أسأت التعبير، أو أن يكون هو قد أساء الفهم! وليطمئن صاحبنا الهمام، فإنه لن تكون لنا رجعة إلى هذا الموضوع بعد اليوم...

زكريا إبراهيم

حاشية: كنت قد وعدت الأستاذ الفاضل دريني خشبة بأن أعرض لنقد ابن تيمية، وأعقب على اعتراضاته في كلمة أنشرها بالرسالة، ولكن يظهر أن المجال لا يتسع لذلك، فضلاً عن أن الوقت لم يحن بعد للكلام في مثل هذه المسائل عندنا، فأرجو المعذرة؟ وعسى أن أرسل البحث بأكمله للأستاذ الفاضل حتى يطلع عليه... (ز. إ.)

إلى الدكتور محمد مندور

ذكرتُ في مقالي «حول بعث القديم» في عدد الرسالة ٥٧٧ خمس ملاحظات لاحظتها على مقالاتك «بعث القديم»، ولما تناولت عدد الرسالة الأخير وجدتك قد نشرت رداً لم أفد منه إلا أنك أحياناً تتخلى عما يليق بالعلماء إلى ما لا يليق. فقد بدأت ردك بأنك تظن أني طالب ثم جزمت بأني طالب. ولست أدري أولاً ماذا يعنيك إن كنت طالباً أم لم أكن، ولست أدري ثانياً ماذا حملك على الاتجاه إلى شخصي ولم أتقدم إليك إلا برأيي

لقد واجهتُك بخمس ملاحظات فانظر كيف أجبتَ عنها

لقد تركتَ الرد على ثلاث ملاحظات لاحظتُها عليك لم تتعرض لها التوقع في وهم القراء أنك أفحمتني بما أجبت عنه وذلك ما لا أرضاه لك، فلتجب عنها إن كنت تستطيع.

وقد تعرضت للاحظتين: إحداها تاريخ الطباعة في مصر في عهد محمد علي، وقد لجأت في تعرضك لها إلى الراوغة والطعن، ثم قلت إن الكتب التي بين يدي كاذبة، ولم تأت ببرهان كعادتك

والملاحظة الثانية قد رجعت فيها إلى رأيي، وهو أن جمعية المعارف ومطبعتها اللتين أسسهما المويلحي ترجعان إلى سنة ١٨٦٧، لا كما قلت أنت بأسلوب المراوغ المكابر إنها لا ترجع إلى أبعد من سنة ١٨١٠، وقد اعتمدتُ أنا على ما ورد بنصه في كتاب «الإسلام والتجديد» للدكتور تشارلز آدمس، وقد أشرتُ إليه في هامش ردي، ومع ذلك تزعم أن هذا المصدر مدرسي. ففي أي مدرسة في مصر يدرس هذا الكتاب؟ وإن جورجي زيدان الذي استشهد برأيه يؤيدني ولا يؤيدك

ثم زعمت كذباً عليَّ أني أوافقك في أن رفاعة الطهطاوي بعث القديم بحكم ثقافته المستنيرة وأنا لم أقل ذلك، ولكنني قلت اعتماداً على أستاذك وأستاذي أحمد أمين بك وهو يترجم إن رفاعة كان مقلداً المستشرقين ده ساس وكوزن في بعث القديم، ولقد نسيت أو تناسيت المصادر، وما كان لك أن تنسى المصادر ولا أن تتناساها، وذكرت أسماء بروكلمان وشيخو وزيدان والرافعي، ولم تذكرت ما يؤيدك. فهل تريد أن تقول إنك قرأت ما قالوا في ذلك وكفى. إن يكن ذلك فما تعرضنا لك فيه.

(سمالوط) محمد خليفة التونسي

12me Année No. 581

Lundi - 21 - 8 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة الثانية عشرة «القاهرة في يوم الإثنين ٢ رمضان سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢١ أغسطس سنة ١٩٤٤» العدد ٥٨١

الفهرس

صفحة
٦٨١ من قراءتهم تعرفونهم ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٦٨٤ مسائل في وحدة الوجود ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
٦٨٧ أحمد رامي في أغانيه ... : الأستاذ دريني خشبة . ..
٦٨٩ المعاني والظلال ... . . : الأستاذ سيد قطب . . ...
٦٩٣ التحامق في العصر العباسي : الأستاذ صلاح الدين المنجد ...
٦٩٥ الحب عند المتنبي ... ... : الأستاذ حسن الأمين .. ...
٦٩٨ الغرام السوقي [قصيدة] : الأستاذ محمد الأسمر ... ...
٦٩٩ (١) الرصافي يغضب ويتبرأ } الأستاذ دريني خشبة ... ...
(٢) إلى الأستاذ كريم إبراهيم
٧٠٠ إلى الأستاذ الجليل النشاشيبي : الأديب أحمد الشرباصي ...

من قراءتهم تعرفونهم

للأستاذ عباس محمود العقاد

بين المطالعة والتدخين مشابهة قريبة في خصلة واحدة ، وهي أن المدخن الأصيل في ذوق التدخين يستطيب صنفاً واحداً من التبغ لا يساوي به صنفاً آخر . بل قد يتساوى لديه الإقلاع عن التدخين بتة وتدخين صنف آخر غير الذي تعوده واستراح إليه

وكذلك القارئ المطبوع ، يتوشج مزاجه على صنف واحد من القراءة يوائمه ويتصل النسب بينه وبين عقله وخلقه وهواه . فإذا عرفت الكتاب ومؤلفه عرفت القارئ ومزاجه ، أو عرفت على الأقل أن إقباله على طراز آخر من المؤلفين بعيد ، وأن اعتكافه على نمط آخر من التأليف عجيب

وكل قارئ بينه وبين مؤلفه وكتابه نسب في الذهن وصلة في الموضوع ؛ فهو القارئ الذي يقرأ بقلبه ويعيش في صفحات كتابه ، وليس بالقارئ الذي يعبر الصفحات والساعات للتسلية وتزجية الفراغ ، ثم ينسى ما كان فيه وينتقل منه إلى نمط آخر من التواليف بينه وبين النمط الأول مسافة شاسعة في عالم الفهم أو الشعور

ويصدق هـذا المعنى على قراء الشعر والقصة وما إليهما من مبدعات الحس والخيال ، ولـكنه أقل من ذلك صدقاً على سائر الموضوعات

ذكرت هذه الحقيقة حين قرأت من أنباء الغزو فى نورمندية أن القائد المعروف فى مصر « برنارد مونتغمرى » يقضى أوقات فراغه بالميدان فى قراءة روايات القصصى الإنجليزى المشهور أنتونى ترولوب

قال المراسل الذى وصف الغزو : « وكان كل يوم ينقضى يزيد التوتر فى ديوان القيادة العليا لقوات الحملة المتحالفة . ولـكن الجو كان جو سكينة فى المقر الشخصى للقواد ، وترك مونتى لمرؤوسيه الأعمال التفصيلية التى يتقنها ، وعكف على مؤلفات أنتونى ترولوب وهو آثر كاتب عنده »

ورسالة كبيرة فى ترجمة القائد العبقرى لا تنم على أخلاقه ومزاجه وميول نفسه ، كما تنم عليه هذه الأسطر القليلة ، أو هذه الحقيقة العابرة ، وهى ولعه بترولوب وتفضيله إياه على أبناء جيله ، ومن خلفهم من القصاص وكتاب الروايات

فأنتونى ترولوب قبل كل شئ كاتب القرية « البسيطة » ، ولا سيما قرى الريف الإيرلندى حيث قضى « مونتى » أوائل صباه . وهو كذلك كاتب المعيشة الدينية الصادقة ، فقلما تخلو له قصة من ظل الـكنيسة ومعيشة لورعين الأتقياء من رجالها واللائذين بجوارها . ويغلب على قصصه كلها جو السلامة الفطرية مع شئ من البداهة ومسحة من الشظف والخشونة . وإذا مس الناحية السياسية فهو يمسها من جانب التعميم ، لا من جانب التحيز البغيض والعصبية الممقوتة

ومن خصائصه التى يمتاز بها بين معاصريه حاسة الواجب أو الضمير الصراح ، وتشمل هذه الحاسة نساء رواياته ، كما تشمل الرجال البارزين فيها . فيوشك أن ينعقد كل زواج فى رواياته على الشعور بالواجب والوفاء دون المتعة والهوى ، وتقضى المرأة بقية العمر شقية بهذا الواجب فى مصارعة الغواية أو دوافع الفكر والمصلحة

وتقترن « حاسة الواجب » بالصرامة التى تلازمها فى أصحاب هذه الحاسة اليقظى ، وإن كانت صرامة يمازجها الذكاء والتصرف والطبع المستجيب

أما أسلوبه فى شرح وقائعه ووصف مناظره فهو أسلوب التفصيل الدقيق مع التشويق والإحاطة . وفيه ملـكة يصح أن نسميها بالملـكة « الطبوغرافية » إذا أردنا أن نقرن بينها وبين الملـكة العسكرية

ويشع فى رواياته جميعاً بريق من التهـكم الطيب الرفيق الذى لا وخز فيه ولا ضغينة ، وكثيراً ما يرسل هذا التهـكم الخفى على خلائق من صنيع خياله الصادق وديدنهم الجد وصعوبة المراس والغلظة الريفية ، ولـكنه إذا تخيلهم فإنما يتخيل فى وصفهم ذلك التخيل « المضبوط » الذى لا يخرج بهم عن الواقع المحسوس

تلك جملة الحقائق التى عرف بها الـكاتب الدؤوب الموهوب ؛ وحسبك من صفاته الخلقية ـ إلى جانب صفاته الأدبية ـ أنه كان يدأب على التأليف وهو مقيد بأعمال وظيفته فى مصلحة البريد ، فلا يقصر فى التأليف ولا يقصر فى تلك الأعمال

* * *

وكلا الـكاتب والقارئ إذن عنوان صاحبه فى جملة هـذه الخلائق والطباع . فترولوب هو الـكاتب « المنتقى » لمونتغمرى ، ومونتغمرى هو القارئ المنتقى لترولوب

فالقائد الموهوب الدؤوب قد نشأ فى بيئة دينية مشهورة بالتقوى والبساطة ، وصحب الجنود والضباط فلم تغيره صحبتهم عن هذه الخليقة الموروثة معاً فى أبيه وأمه . فجاوز الخمسين وهو لا يدخن ولا يقرب الخمر ولا يحيد عن سنن الدين . وأخذ مرؤوسيه باجتناب الخمر والتدخين من طريق غير طريق الأمر والنهى اللذين لا يفيدان ، فـكان يكلف جميع رجاله وضباطه بالعدو فى كل أسبوع شوطاً يبلغ سبعة أميال . ولا صبر للمدخن ولا لمعاقر الخمر على هذا الشوط ولو مرة فى كل أسبوع

وصرامته فى خلقه وحاسة الواجب عنده خصلتان من أشهر خصاله بين رؤسائه ومرؤوسيه ، فهو إذا جد لا يهزل وإذا عزم لا ينثنى . ومن أقواله لجنوده فى دنكرك : « إذا نفدت ذخيرتـكم فرقوا العدو إرباً إرباً بأيديكم » ولم يكن يعنى غير ما يقول

ومن مزايا مونتغمرى فى قيادته أنه عظيم العناية بالأرض ومواقعها قبل تطبيق خطط القتال عليها . ولعله لم ينس هذه العناية العظيمة فى إعجابه بكتابة ترولوب . فإن وصف ترولوب

لمواقع أرضه ووصفه لخلائق رجاله ونسائه كلاهما وفاق الرغبة من سليقة هذا الجندي الموهوب

فإذا قال القائلون : من كلامهم تعرفونهم ، فهم حريون أن يقولوا مثل هذا القول عن القراءة وعن الصلة الخلقية بين المؤلفين والقراء المطبوعين . وكل إنسان يعرف الجد خلقاً وعادة فهو قارىء مطبوع يقرأ بفؤاده وعقله ومزاجه ، لأنه يأنف أن يضيع الوقت في تسلية خاوية لا تنفذ منه إلى مكامن الفهم والشعور

ولهذا ينبغي فيما نرى أن تكون مطالعات العظماء باباً من الأبواب الأولى التي لا يغفلها المترجم ودارس الأخلاق ، لأنهم سواء قرأوا للجد أو للتسلية ينكشفون للمترجم ودارس الأخلاق فيما يقرأون

* * *

وهنالك حقائق شتى تنكشف من مطالعات العظماء ، ولا سيما في ميادين الحرب إبان القتال

فأول ما يخطر على البال حين يقال إن قائداً من قادة الحرب يقرأ في ميدان القتال أنه يقرأ في كتب التعبئة أو الفنون العسكرية أو سير القواد وأخبار الوقائع والغزوات

ويجوز أن يحدث هذا في الحين بعد الحين ، ولكنه إذا حدث فهو الاستثناء النادر ، وليس بالقاعدة العامة في أكثر الأحيان

لأن القائد لا يتعلم خططه ساعة القتال ، ولا يتمم دروسه وهو بين السيوف والنيران ، ولكنه يقرأ ما يقرأ في ساحة الحرب كلما فرغ من واجبه وخلا بنفسه وأحب الخروج هنيهة مما هو محيط به ومطبق عليه ، وهو في هذه الحالة يختار للقراءة غير ما هو مشغول به مستغرق فيه ، ليظفر بما يبتغيه من الترفيه والترويح ، ويحتسب القراءة من الرياضات النافعة التي تنسيه جهود العمل ومضنياته إلى حين

ومن قواد هذه الحرب الذين عرفوا بالقراءة في ساحات القتال أو في طريقهم إلى الغزو كل من القائدين ويفل وإزنهور

فكان ويفل يقرأ في طريقه إلى الحبشة مسرحية من مسرحيات شيكسبير ، وكان يقضي أوقات فراغه بمطالعة الدواوين الشعرية لمختلف الشعراء ، ومن جملة هذه المطالعات جمع تلك النخبة الطريفة من الأشعار التي سماها : « أزهار أناس آخرين » وكتبنا عنها في الرسالة منذ أسابيع

أما إزنهور فقراءته الحبيبة إليه روايات التحليل النفسي وحوادث المفاجآت التي تجرى في حياة الغرب من القارة الأمريكية ، وكلاهما مما يقع في الخاطر أنه محبب إليه وأثير لديه

* * *

وخليق بهذه الملاحظة أن تحضر أبداً في أخلاد أولئك الدعاة المتحذلقين الذين يصطنعون الغيرة على الطبقات الفقيرة أو الطبقات العاملة وهم من أجهل الناس بما يصلح لتلك الطبقات

فمن حذلقتهم في هذه الدعوة – أو هذه الدعوى – أنهم يفرضون على الفقير أن يعيش في عالم الخبز والضرورة ساعة العمل وساعة المطالعة وساعة الرياضة النفسية ، إن اعترفوا بشيء يسمى الرياضة النفسية

وذلك محض خطأ وضلال عجيب ؛ لأن المرء إنما يقرأ للثقافة أو للرياضة والتسرية عن البال ، وليس من التثقيف أن يتحول الكتاب إلى رغيف ، وليس من الرياضة أن يحلم المرء بالجهود والضرورات ، وهو لا ينشد الرياضة إلا لفرط اشتغاله بتلك الجهود والضرورات

وإنها مع هذا لمهانة وليست بالخطأ وكفى . لأن الذين يطالبون التسوية بين الطبقة الفقيرة وغيرها من الطبقات لا يجمل بهم أن يسجلوا على الطبقة الفقيرة عجزها عن مجاراة غيرها في مذاهب الفهم والتخيل والشعور المهذب والمطامح الآدمية ، ولا ينصفون عقول الفقراء حين يمثلونها في سورة المعدات والبطون التي لا تحلم ولا تفكر ولا تقضي العمل والفراغ إلا بالطعام وبالطعام

ومن شأن الطبقات التي يصمها الأدعياء بتلك الوصمة أن تنصف سمعتها من أولئك الأدعياء

ولكن الإنسانية – كائناً ما كان رأي الأدعياء والطبقات في هذه الأمور – هي أكرم على نفسها من أن تعيش أبداً في « المطبخ الحاضر » الذي لا ماضي له ولا مستقبل له إلا بين القطن والبرسيم والقمح والشعير ، وإحصاء الموازين والمكاييل

عباس محمود العقاد

مسائل في وحدة الوجود

للأستاذ عبد المنعم خلاف

كتب كاتب فاضل من بغداد بتوقيع (صدقى حمدى) فى العدد ٥٧٩ من الرسالة كلمة يعقب بها ببعض المسائل على مقالى فى نقض مذهب وحدة الوجود المنشور بالعدد ٥٧٣. قال: «والذى يلفت النظر لأول وهلة قول الأستاذ فى مستهل مقاله إنه اهتدى إلى دليل علمى قاطع يدحض هذا المذهب ويلقى ضوءاً جديداً أمام العقل البشرى الموغل فى بحث علاقة الله بالكون».

ومذهب الواحدية أو وحدة الوجود من أقدم المذاهب الفلسفية فى العالم وأشدها إثارة للجدل، ويكفى لإدراك خطره فى تاريخ الفلسفة الحديثة أن نذكر الفيلسوف الكبير «سبينوزا» الذى يعد من أساطين هذا المذهب فى العصر الحديث، ومن أعظم الداعين إليه بالقول والعمل» إلى أن قال: «فلا يصح إطلاق القول فيه بغير حجة أو برهان»

وإنى ما أنكرت أن يكون لهذا المذهب تاريخ طويل ومعتنقون كثيرون من الفلاسفة والصوفية القدماء والمحدثين، وما أطلقت القول فى نقضه بغير حجة أو برهان. وإنما سقت ما اهتديت إليه واعتقدته دليلاً حديثاً كافياً فى دحض هذا المذهب، وسواء علىّ بعد ذلك أكان محيى الدين بن عربى وسبينوزا وهيجل وغيرهم من معتنقيه أم من مخالفيه. فمن شاء فليأخذ هذا الدليل الذى سقته من حقائق الحياة العلمية الحاضرة ويستأنس به فى بحث العلاقة بين الله والكون ويرفض على ضوئه مذهب الوحدة، ومن شاء فليتركه على شرط أن يأتى هو بدليل

ومن الواجب أن أذكر أننى كنت أثناء التفكير فى مقالاتى عن الإيمان بالإنسان يحوم فكرى كثيراً حول مذهب الوحدة، ويكاد يقبل عليه تحت ضغط الإعجاب والتقدير للروح الإنسانى الخالق والجهد العلمى والعملى الأخير الذى سلك الإنسان فى عداد قوى الخلق والتكوين والإنشاء التى يدير الله بها الكون المادى فى الأرض ... فلم يكن من المستبعد فى الوهم حينئذ أن أنزلق بفكرى إلى الأخذ بهذا المذهب الذى يجعل الإنسان جزءاً من الخالق الأعظم ومظهراً للوجود الكلى قائماً به

ولكن هذا الدليل قضى فى نفسى على بوادر التفكير والتوجه إلى هذا المذهب الذى لا يكاد معتنقه يتماسك أمام نفسه وأمام الكون قلقاً وحيرة حين يخلط فى فكره شعوره بأنه جزء من الخالق، وشعوره بأنه مخلوق عاجز، وحين ييأس من أن يرى الله بنفسه مع أنه جزء منه، وحين يظل فكره دائراً حائراً فى مَتاهات السموات والأرض يبحث عن «مصدره الأول» فلا يراه إلا فى المظاهر المادية التى كان يراها نفس الرؤية قبل اختلاطه وشعوره بازدواج الشخصية بين خالق ومخلوق وخالد وفان. حينئذ يبتدئ ينشد لنفسه ويغنى على هواها باعتبارها جزءاً من الله، كالحلاج وابن عربى. وهنا ابتداء التجديف و «الجنون الدينى» والبيان الملتبس الذى تختل فيه مقاييس المنطق الإنسانى، لأنه يصير خليطاً من منطق الخالق المتوهَّم والمخلوق الواهم ...

ومذهب الحلول ومذهب الاتحاد أو الوحدة غالباً يكون اللجوء إليهما بعد الإعياء فى البحث عن الله وابتغاء رؤيته والاقتراب منه والأخذ عنه مباشرة، وما ينبغى لأفكارنا المحدودة العاجزة الرهينة المسجونة فى أقفاص الأرض الضئيلة بالنسبة للكون أن تطلب هذا المطلب الأعلى الذى لا تدركه الأبصار والأفكار ولا يعلم قدره غيره. وقد قال محمد سيد الأصفياء: «إن الله احتجب عن الأنظار، وإن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه»

ولعل لنا عودة إلى هذا الموضوع بتفصيل يتناول منشأ الأوهام التى دخلت فكرة البحث عن الله وأفسدتها

* * *

٢ — لم يرَ الأستاذ صدقي رأيى القائل: «وبدهى أن النظرة الأولى تهدى إلى أن الله غير الطبيعة، وأن هناك انفصالاً بين الخالق والمخلوق»

ويلوح لى أنه التبس عليه فهم هذه الجملة، فخلط بين بداهة هدى النظرة الأولى إلى أن الله غير الطبيعة الخ. وبين القضية فى ذاتها بعد التفكير العميق فيها .. . فالقضية فى ذاتها غير بديهية بعد التفكير العميق وإدارة الرأى والروية، ولكن

النظرة الأولى الفطرية الساذجة ترى انفصال النفس عن الطبيعة وانفصال الله عنها . لأنها أول درجات الفكر فى الطبيعة ومصدرها . ثم بعد ذلك يبتدئ الفكر الفلسفى الذى يشك فى كل شيء ، ويطلب مبدأ كل شيء ، يحيل هذا البديهى إلى شيء معقد . فيطلب مصدر الطبيعة : فتارة يقول إنه لا مصدر لها ، وتارة يقول إن مصدرها ممتزج بها ، وتارة يقول إن مصدرها منفصل عنها . ولذلك أكرر القول إن النظرة الأولى تهدى إلى ذلك . ثم يأتى التأمل الذى لا يقنع بالظاهر الواضح فيطمس هذه النظرة ، ويوغل فيما وراء سطح الوجود . ويلتبس عليه كثير من البديهى فلا يرى بداهته ، بل يطلب له الأدلة والبراهين .

وحقاً يتحول كل بديهى إلى غير بديهى حين يوغل الفكر فيه ويتعمقه ، ألا ترى أن بعض المدارس الفلسفية تزعم أن حقائق الأشياء غير ثابتة ، وأن المحسوس لا يجوز اتخاذه أساساً ، وأن الموجودات كلها أوهام ، وأنه ليس فى الكون كله حقيقة ثابتة ؟ حتى لقد قال بعضهم « لو وجدت حقيقة ثابتة واحدة لاتخذتها أساساً أبنى عليه جميع الحقائق ! » ألم تسمع بالنظرية الجديدة التى تبطل السببية ، وتقول إن الكون يسير بالاحتمالات التى لا نهاية لها ! ألم تسمع بذلك السفسطائى اليونانى الذى أنكر وجود جدار أمامه وقال إنه وهم من الأوهام ، فلما تحداه مناظره أن يقوم ويخترقه إن كان زعمه صحيحاً قام وجرى إليه حتى اصطدم به فكانت النتيجة ارتطام جسمه وتمزق أوصاله !؟

إن الفكر البشرى كائن عجيب متمرد له قدرة هائلة على الذهاب فى أى اتجاه ، وخلق عوالم صناعية وخيالية لا وجود لها . وصخرة النجاة أمامه هى الاستمساك بالعيش على سطح الحياة وأخذ الحياة بدون تعمق وتعقيد لما تحت البديهى السطحى حتى يبقى لنا شيء ثابت نرتكز عليه . إنما يباح لنا فقط إدمان التعجب مما نرى وتقليب أفكارنا وأيدينا فيه بقدر ما نستطيع أن نسخره ونستغله ونتغلب عليه حتى لا تهددنا عوامل الشقاء والفناء

وقد ظل الناس خاضعين لفلسفة الفروض والتجريدات يدورون فيها دوراناً عقيماً حتى أتى دور الفلسفة التجريبية التى نادى بها (فرنسيس بيكون) ودور الفلسفة الإثباتية التى ثبت قواعدها (ديكارت) فكانت النتائج الباهرة فى العلوم والمعارف الطبيعية والنفسية التى فتحت على الناس بركات من السماء والأرض ، وما تزال تفتح . وقد أقبلت البشرية على هذا الاتجاه العلمى الإثباتى فعاشت به عيشة رحبة زادت ثقتها فى نفسها وحياتها ، وفتحت عليها كنوز الآمال السعيدة ، واستدبرت عالم الفروض الفلسفية والخيالات والشك فيما لا طائل وراء الشك فيه ، ولا قدرة على الاستغناء عنه ، واتخذت بدهيات الحس والفكر قواعد ارتكاز فثبتت أقدامها على الطريق إلى الله ... ووجدت وحدة منطقها وجهدها تتحقق فى هذا الطريق

٣ — استطلع الأستاذ رأيى فى هل يجوز أن نتخذ الطريقة الموضوعية فى بحث المسائل الدينية ؟

ورأيى أنه لا يجوز لنا أن نصطنع الطريقة (الذاتية) إلا فى (الفن) وحده . أما العلم والدين فلن يسمحا (للذاتية) أن تنطلق فى رحابهما

والموضوعية فى العلم أمرها واضح . أما موضوعية الدين فتحتاج إلى بيان :

إن مجال العلم هو البحث فى الكون المادى فيما يستطيع أن يصل إليه بأدواته المعروفة ليصل من وراء ذلك إلى (القوانين) التى تسير بها الطبيعة ليرضى كفاية (الإثبات) فى النفس البشرية . وليستطيع أن (يعتمد) على هذه القوانين كحقائق لا تتبدل ولا تتغير . وليرضى فى النفس كفاية (الاختيار والحرية) بين القوى المادية العمياء الجامدة المجبورة

والمجال الأصلى للدين هو نفس مجال العلم . هو الكون المادى أيضاً ، ولكن لا على الاعتبار السابق ؛ ولكن على اعتبار آخر هو استنتاج (صفات) صانع هذا الكون من الكون ؛ ليرضى فى النفس كفاية (الاعتقاد) وهذه هى الفكرة الأصيلة فى الدين . فكرة الاعتقاد بصانع لهذا الكون له من العلم والقدرة والإحاطة بكل دقيق وجليل فى الكون ما ظهرت آثاره وما وضح فى قوانينه من الدقة والإحكام وعدم التناقض

والذى لا شك فيه عند العقول الموزونة التى لم تنحرف ولم تشذ عن الفطرة أن الإحكام والدقة والجلال والجمال والتنويع والتفريع والاطراد وغيرها من صفات الكون توحى وتلزم

كل عقل غير مدخول أن وراء هذا الكون عقلاً أعظم منه يدبره ويقوم عليه . له من العلم والقدرة والحكمة والإحاطة والهيمنة والقهر وغيرها من صفات الكمال ما يليق بالقِوامَة والتدبير لهذا الكون الرحب الذي لا تدرك نهايته الأوهام البشرية . هـــذه هي الفكرة الأولى في الدين . وهي فكرة لا شك (موضوعية) موضوعها الكون كله ليستنتج الناس منه صفات خالقه . وهي صفات لا تختلف باختلاف جمهرة العقول

إن الدين بهذا الوضع (نتيجة) حتمية للعلم وضرورة لازمة للأُلفة (العقلية) التي لا بد منها في العقل العلمي . ولن يتأتى الكمال في العقل العلمي إلا إذا جمعت فيه كفاية (الإثبات) وكفاية (الاعتقاد) ورجال الدين بهذا الوضع هم رجال العلم الطبيعي وحدهم لا غيرهم من صناع الفروض والأوهام المفتونين بزخرف الكلام يرسلونه فارغا إلا من نزعات شعرية وبدوات خيالية

ورجل العلم لا يبحث في ذات الله وكنهها ، لأن الطريقة العلمية عوّدته أن يتدرج في أبجدية الحقائق ، وهو للآن ولما بعد الآن بكثير من الآباد لم يفرغ من إدراك موجودات الطبيعة المحدودة في الأرض الضئيلة ولم يدرك الروح الإنساني ولا أصل الحياة البيولوجية بل لم يدرك المادة ، حتى إن « ماكن » أكبر علماء الكهرباء المعاصرين قال : « خبروني ما هي المادة قبل أن تسألوا ما هي الروح ؟! »

ولذلك قلت ينبغي للمتأملين التجريديين ألا يسرفوا على أنفسهم وعلى الكون كله فيحاولوا إدراك ذات الله قبل أن يدركوا ذات أنفسهم وذوات الأشياء المادية الضئيلة التافهة

إن الإنسانية إن قدر لها أن تدرك شيئاً من ذلك فلن يكون هذا الإدراك إلا عن طريق العلم الذي فتحت أبوابه وأقبلت حقائقه المخبوءة التي سوف تكون المنطق الإنساني الحديث الذي لا يقيم وزناً للتأمل الفلسفي أو الصوفي أو الشعري الشارد الجامح !

* * *

٤ — خشي الأستاذ من أن يجرنا قياس اتصال الله بالكون على اتصال العقل الإنساني بواسطة اللاسلكي بالآلات وإحاطته بها وإدراكه إياها إلى التورط في التجسيم والتشبيه !

وهذا الدليل الذي سقته لا يستلزم شيئاً من هذا . فليس اتصال الله بنا وبالكون بآلات ووواصل ، كما هو الحال في اتصال الإنسان بالآلات والآفاق بواسطة اللاسلكي ، وإنما هو اتصال مباشر بالعلم المحيط والقدرة التي لا تحتاج إلى وسائط وأدوات ... واللاسلكي في معرض هذا الاستدلال ليس إلا مثلاً مضروباً يوضح لتلك العقول التي لم تر لها طريقاً للتصور إلا الإيمان بوحدة الوجود وعدم الانفصال بين الله والطبيعة ؛ إذ أن خيالها ضاق عن تصور هذا الانفصال

وخلاصة هذا الدليل أننا إذا كنا نرى العقل البشري العاجز يتصل بمخلوقاته من الآلات بعد أن كونها وأعطاها قوانينها ، ويتصرف فيها ويتحكم بها باللاسلكي وهو متحرر منها بعيد عنها غير ممتزج بها ؛ فما بالنا لا نرى العقل الأعظم الذي نعرف قدرته يستطيع أن يتصل بنا بعلمه وقدرته بدون حاجة إلى الاتحاد والامتزاج ؟!

وما ندري ماذا يأتينا به العلم من وسائط الاتصال ؟ لعله يجعلنا نتصل بالأشياء ونؤثر فيها بدون حاجة إلى وسائط اللاسلكي وغير اللاسلكي . لعله يكشف في النفس قوة قادرة على ذلك . وهذا لا شك كمال لنا ، وليس بمستحيل فرضه عقلاً ...

فقبيح بنا أن يضيق تفكيرنا حتى نخضع رب الكون لما نستطيع نحن المجزة الضعفاء أن نتحرر منه ونستغني عنه .

إننا نحس في أنفسنا قدرة على الخلق والتحرر وتنقيح الطبيعة ، فلماذا نجعل الله شبه سجين فيها لا يستطيع من قوانينها فكاكاً مع أنه واضع هذه القوانين ، إذ لا جائز أن تكون وضعت نفسها ؟!

إن أحلام الحرمان التي تطوف برءوس المجزة المحرومين لا يرضيها من القدرة والغنى إلا أن تأمر بالطعام ، فيكون الطعام وببساط الريح فيكون البساط ، وبحك (خاتم القدرة) فيحضر المارد القدير ، وبالنظرة في (البللورة السحرية) فترى ما استتر واستكن في طوايا السموات والأرض !

فإذا كان هذا هو ما في خيال الناس عن قدرة القادرين من المجزة المخلوقين ، فكيف بما في الخيال حين يتصل بالله الذي يمسك السموات ويحبس البحار ، ويدير ملايين الملايين من الكواكب في أفلاكها بغير اختلال وصدام ، ويؤلف بين

٥ - أحمد رامي

« في أغانيه »

للأستاذ دريني خشبة

منذ أن أخذ رامى فى نظم أغانيه المطربة الآنسة أم كلثوم والثورة على أشدها فى عالم الغناء المصرى ، بل عالم الغناء العربى كله . لقد كانت أغانى رامى حرباً بين القديم والجديد . انتهت بفوز الوجهة الجديدة التى وجه رامى أذواقنا إليها ، وإن وجد كثيرون من عشاق المذهب القديم لا يزالون يحنون إليه ويؤثرونه على هذا التجديد الذى لا يروقهم

وأغانى رامى - من حيث اللغة نوعان ... نوع التزم فيه اللغة الفصحى ، واختار له الديباجة المشرقة الناعمة السهلة ، والألفاظ العذبة الموسيقية التى لا تتضمن لفظة واحدة يصعب فهمها على الشخص العادى ... ونوع التزم فيه العامية المصرية القاهرية الساحرة التى يفهمها العالم العربى كله ، ويستملحها لحسن الحظ

وأغانيه - من حيث الكيف ... أو من حيث الروح - نوعان كذلك : نوع نلمس فيه قلب رامى ، ونحس فيه داءه القديم ، وحزنه الممض القيم ؛ ومعظمه مما نظم للآنسة أم كلثوم .. ونوع نلحظ فيه بيان رامى ، وفنه ، ومقدرته الكبيرة المأثورة على التلوين والتظليل والتخطيط ، وإن لم نحس فيه نبضة واحدة من نبضات قلبه المحترق ، ولا طرفة مفردة من طرفات جفنه المؤرق ، ومعظمه مما نظم لسائر المطربين غير الآنسة أم كلثوم ، وسبب ذلك واضح معلوم ، فقد كان صوت أم كلثوم الملهم الأكبر الذى أعاد إلى قلب رامى حياته الأولى :

حسبى من الشعر ومن نظمه ... صوتك يسرى فى مدى مسمعى
سلوى من الدنيا تعزّى بها ... قلب شديد الخفق فى أضلعى
سمعته فانساب فى خاطرى ... للشعر عين ثرّة المنبع[1]

* * *

وما ذروة المجد التى امتد دَرْبها ... على حرة حَزن ووعر جبال
سوى روحنة الأشعار وشع سَرْحها
أفانين أفكارى وزهر خيالى

(١) نعتذر عن التصرف فى ترتيب الأبيات

القوانين المتضادة فى الطبيعة حتى يخرج منها « هرمونى » وتناسقاً عجيباً !

إذن فلا تجسيم ولا تشبيه ولا مخابر ولا معامل كيمياء وفيزياء ولا نظارات ولا قارورات ولا اتصال بسيط أو غليظ كما يتوهم الأستاذ . وإنما هى إرادة عالمة قادرة تقول للمعدوم « كن » فيكون !

لقد حكى القرآن الكريم أن إبراهيم عليه السلام سأل ربه : رب أرنى كيف تحيى الموتى ! قال أو لم تؤمن ؟ قال بلى ، ولكن ليطمئن قلبى . قال فخذ أربعة من الطير فَصُرْهنّ إليك « اذبحهن » ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم ادعُهنّ يأتينك سعياً » وقد فعل إبراهيم فأتته ساعية من غير أن يرى شيئاً يجمعها ويركب أعضاءها ويهندس وضعها !

لقد توهم إبراهيم أن هناك « كيفية » للإحياء ، وأن هناك أدوات ووسائل للخلق والتكوين ، ولذلك سأل ربه سؤاله . ولكن تبين له بعد أن دعا أشلاء الطير المذبوحة المطروحة فى كل أفق ، فإذا بها مقبلة حية أن إيجاد الله ليس إلا بتوجيه الإرادة إليها ، فإذا هى كائنة

٥ - أما الصوفية المادية التى ندعو إليها ويسألنا عنها الأستاذ ؛ فقد سبق لنا أحاديث فيها بين تضاعيف مقالاتنا السابقة ، وبخاصة المقال الرابع من مقالات « أومن بالإنسان » وقد نشر بالعدد ٣٩٦ من هذه المجلة ، ومقال « الحياة صادقة » الذى نشر بالعدد ٢٠٦ من الثقافة

ولعل لنا إليها عودة بتوضيح آخر . والله يهدينا إلى اليقين ويفتح لنا من رحمته !

والسلام على جيرة بغداد العزيزة !

عبد المنعم خلاف

إلى الأستاذ عبد الله زكريا الأنصارى — بالكويت

أشكر لك تحيتك وشكرك على ما تجده فى نفسك من صدى صادق لما أكتب . وأحمد الله إليك على ما وجدته فى مقالى الأخير عن (وحدة الوجود) من معان أزالت آثار التشكيك فى العقيدة الفطرية . وليس لى مؤلفات إلا تلك الأوراق المنثورة فى المجلات !

وأنت بهذا الروض بلبله الذى يرجّع فى مغناه عذب مقالى
بعثتِ فنون الشعر فى فصغتُها وغنيتِها لحن الهوى فحلا لى !

ونستطيع أن نسمى النوع الأول « أغانى الطبع » والنوع الثانى « أغانى الصنعة » ونقول إن معظم ما نظم رامي لأم كلثوم هو من أغانى الطبع ، ولا نقول كله لأنه نظم لهـا كثيراً من « أغانى الصنعة » التى طلب إليه نظمها من أجل أشرطتها السينمائية . وعلى ذكر الأشرطة السينمائية نلاحظ أن رامياً قد عوض حرارة أغانيه فيها بفنه الرفيع ، وبيانه الرائع ، ومقدرته على التلوين والتظليل والتخطيط كما قدمنا ، ثم باستغراقه ، فى مناسبات بديعة ، فى تصوير الطبيعة المصرية الفاتنة الساكنة ، والتعبير عنها ذلك التعبير الهيّن الليّن الذى تنعكس فيه أروع لوحات تلك الطبيعة الممتازة المليئة بالمفاتن . وليس معنى هذا أنه قصر تصوير تلك اللوحات على غير أغانى أم كلثوم ، ولكن معناه أنه خص الكثرة الغالبة من أغانى غيرها بأروع تلك اللوحات ، وإن أودع بعض أغانيها شيئاً ثميناً قيناً بالملاحظة من تلك اللوحات

من منا لم يردد فى نفسه ألف مرة « لحن كروان » الذى نظمه رامى لشريط « دموع الحب » ؟ والذى مطلعه :

يالّلى بتنادى أليفك والفؤاد حيران عليه

ومن منا لم تأخذه مقدرة رامى الفنية فى تصوير الليالى المصرية القمرة التى ينسكب فيها تغريد الكروان العاشق فيزيدها بهاء وروعة ؟!

كروان حيران سابح فى نور القمر
والصوت رنّان ملا الفضا وانحدر
والكون نعسان حتى الطيور ع الشجر
... ...
هايم بنادى حبيبه من غير ما يعرف فين
وان كان ح يسمع نحيبه تحتار تشوفه العين

وتتجلى فى هذا اللحن الخالد مقدرة رامى فى الانتقال من تصوير الطبيعة إلى بث الهوى وشكوى الهيام

أو هذا اللحن الذى مطلعه :

ما أحلى الحبيب بين الميّه وبين الأغصان

والذى يقول فيه :

آدى النسيم يشكى غرامه والغصن يسمع منه يميل
والطير يغنى وكلامه يخلى دمع الزهر يسيل
أسمع لُغَنى الطير الشادى لما يغنى
اسمع حفيف الغصون تبكى بدمع الغمام
لما شجاها النسيم باحت بسر الغرام
والموج فى حضن الموج نايم على شط النيل
إن نبهه الطير الهايم يشبع تقبيل
كل الوجود حب وشجن فى السر يشكى والعَلَن
تعالى وامى فؤادى أسقيك من كاس حنانى
واسمّعك لحن حبى ونطير فى جو الأمانى !!

فهل رأيت هـذا التمهيد الطويل من وصف الطبيعة المصرية لينتهي اللحن بهذا الرجاء الجميل فى البيتين الأخيرين

واسمعك لحن حبى ونطير فى جو الأمانى ؟!

ثم ذاك اللحن البديع الذى يصف الشاطىء المصرى فى جنة المصيف :

يا ما أرق النسيم لما يداعب خيالى
خلانى وحدى أهيم واسبح فى وادى آمالى
الجو رايق وصافى والبحر موجه يوافى
طال به الحنين للبر والبر عنه بعيد
فضِل يهيم فى البحر والشوق ف قلبه يزيد
ولما جا الشط الهادى ريّح جنبه
ووشوش الرمل النادى وشكى غلبه
والشمس عند الأصيل راخيه شعور الذهب
تسبى العيون
والغيم بلونه الجميل خلانى وحدى أهيم
واسبح ف وادى الأمانى

وهكذا نجد أن اللحن كله أغنية عذبة تنغمم بها مصر المفتان على شاطىء البحر الأبيض . وإذا صح أن من كلام الشاعر كلمات تدل على شاعريته ، فكل كلمة من كلمات تلك الأغنية طابع قوى تشهد لرامى بالشاعرية الفريدة الفذة ... وحسبك أن تتخيل ذلك الموج الهائم فى البحر ، حتى إذا وصل إلى الشاطىء : ريّح جنبه ... ووشوش الرمل النادى !

ومن الصور القليلة البارعة التي ضمنها رامى إحدى أغانيه لأم كلثوم ، صورة الليل المصرى القمر فى أغنية « أبات أناجى خيالك » ... كما نسمع الطبيعة المصرية بحقولها وأشجارها

وأطيارها وأنهارها تنادينا أعذب النداء وأرقه فى أغنيات : يا ما نديت ... و ... فاكر ... و ... بكره السفر ، وفرحة القلب ، وليالى القمر ، ووداع ، ... ولكنها صور عارضة لا تستغرق الأغاني كلها ، كما نلاحظ فى الأغانى التى نظمت لغير أم كلثوم

ومن الصور الجيدة فى أغانى رامى تلك التى يبرز لنا فيها القلب الإنسانى فى شتى انفعالاته الغرامية ، وفى مواساته هو له ، كأنه صديقه الأول ... من ذلك تلك الصور الرائعة فى أغنيات : يا طول عذابى ، ومالك يا قلبى ، وإن كنت أسامح ، وسكت ليه يا لسانى ... ثم فى أغنية ، عنيّه فيها الدموع :

عنيّه فيها الدموع والجو ساكن وصافى
والقلب بين الضلوع حيران على خل وافى
طاير يهفهف جناحه عدم فى عشه الأمان
لا حد وامى جراحه ولا سقاه الحنان
لو كان مهنّى لبات يغنّى
لكن حزين شدوه أنين
ينوح على الأغصان وحده ويشتكى لليل وجده
... الخ ...

وأغانى رامى ... مثل شعره ... مليئة بالمعانى البكر التى لا نعرف أن أحداً سبقه إليها ، وهو مع ذلك يؤديها فى عذوبة ورقة متناهيتين ... من ذلك قوله فى أبدع أغانيه « ميعاد » :

... ... حرمت عينى الليل م النوم لاجل النهار ما يطمّنى
صعب علىّ أنام أحسن أشوف فى المنام
غير اللى يتمناه قلبى
سهرت أستناه واسمع كلامى معاه
وأشوف خياله قاعد جنبي
من كتر شوقى سبقت عمرى ! !
وشفت بكره والوقت بدرى ! !(١)

وإيه بفيد الزمن مع اللى عايش فى الخيال ... الخ

والأغنية كلها — على طولها — معان جديدة مبتكرة ، وإن لف الشعراء حولها أحياناً وداروا ...

وأعجب العجب فى أغانى رامي أن بينها وبين ملحنيها من فنانينا الأماثل وشائج تشبه وشائج القربى الروحية . إنهم جميعاً يفرحون بتلحينها لأن الشاعر الرقيق يفسح لهم فيها ، ويلونها لهم تلويناً يغازل عبقريتهم الموسيقية ، وينتقل بهم فى كل منها من الضرب العروضى الكامل ، إلى المشطور البديع المتألق ، ومن بحر إلى بحر ، ومن أوزان يخترعها اختراعاً

وأعجب من هذا كله ذلك التجاوب التام المنتظم بين روح رامي وشعره ، وبين الذين يتغنونه من كبار مطربينا . فلقد يخيل للانسان أن مؤلف شعر رامى وأغانيه ليس رامى وحده ، بل هم أولئك المطربون والمطربات والموسيقيون والملحنون جميعاً . إنه مجد كامل يحار الإنسان فى تعيين بانيه ، ولكن الذى لا شك فيه أن رامياً هو واضع حجر الأساس فى ذلك البنيان المنيف الذى يتألف منه الغناء المصرى الحديث .

دريني خشبة

(١) اعتمدنا فى اقتباس الأغانى على المجموعة التى أصدرتها مكتبة النهضة سنة ١٩٤٢ ، وقد لاحظنا أن بعض المطربين كانوا يهملون فقرات من بعض الأغانى لا يغنونها .. وقاتل الله الجهل

على هامش النقد

المعـــانى والظلال

للأستاذ سيد قطب

هناك فارق حاسم بين لغة العلم ولغة الفن، نستطيع إجماله، فى أن العلم يعنيه ما فى السطور، وأن الفن يعنيه ما بين السطور، وبتعبير آخر إن العلم يعنيه معنى التعبير، والفن يعنيه الظل الذى يلقيه التعبير. ولا يفهم أحد من هذا ما كان مفهوماً عندنا قبل ثلاثين أو أربعين سنة من أن الفن هو تلك الألاعيب اللفظية، والبرقشات التعبيرية، فبين هذا وبين ما نريده فرق بعيد

إن ما نقوله لا يتنافى مع صدق الإحساس، وصدق التعبير عن الحياة، وهما مفرق الطريق بين ما كان يعنيه الأدب قبل هذا الجيل، وما يعنيه الآن. وبعد تحقق هذه المرحلة نبحث عما فى السطور وعما بين السطور أو عن المعانى والظلال فى التعبير عن الأحاسيس الصادقة التى هى الخطوة الأولى فى كل أدب صحيح

وحين نأمن اللبس من هذه الناحية نتحدث - فى حرية - عن أشكال التعبير وعن طرق الأداء التى نفضلها على أشكال وطرق أخرى

لقد أخذنا على الأدب العربى فى جملته أن «المعانى» تعنيه، أكثر مما تعنيه «الحالات النفسية» وأن التعبير فيه يعنى بهذه المعانى الكلية - الحسية أو الذهنية - قبل أن يعنى «بالإنسان» من وراء هذه المعانى والإحساسات

وعذر العرب فى هذا واضح. لقد كانوا أمة حس، لا تختزن فى نفوسها رصيداً من الأحاسيس والوجدانات إنما تنفقه للحظة فى الحركة والعمل، فضلاً على أن طبيعة بلادهم لا تهيء لهم هذا الرصيد

فما عذرنا نحن - فى مصر خاصة - وبيئتها أبعد ما تكون عن بيئة الصحراء فى ألا ننتفع بالبيئة المواتية والطبيعة العريقة، فى إبداع فن يأخذ من اللغة العربية ألفاظها وعباراتها، ويغير فى طريقة الإحساس وطريقة التعبير، لنكون بهذا أمناء لأنفسنا، أمناء لطبيعة بلادنا، أمناء للفن الرفيع فى جوهره ومظاهره

لقد تحدثت فى المقالات الثلاث الماضية بمناسبة كتاب «عرائس وشياطين» عما نعنيه بالجانب الإنسانى وعما نعنيه بالحالات النفسية، فاليوم أتحدث عن طريقة الأداء التى نؤثرها، ونبين المزايا الفنية لهذه الطريقة

* * *

التعبير الذى يلقى المعنى مجرداً يخاطب الذهن وحده، والتعبير الذى يرسم المعنى صورة أو ظلاً يخاطب الحس والوجدان، ويطبع فى النفس صورة من صنع الخيال. وطبيعى أن الطريقة الثانية أقرب إلى طبيعة الفنون، وأن الطريقة الأولى أقرب إلى طبيعة العلوم. والنموذج يوضح هذه القضية أكثر مما يوضحها أى بيان، فالنقد الفنى موكل بالمثال أكثر من الإجمال:

لقد اختار القرآن الكريم طريقة التصوير والتخييل، وجعلها قاعدة فيه للتعبير. ومن العجيب أن يكون القرآن هو كتاب العرب الأول، ثم لا يستفيد الأدب العربى من طريقته الأساسية شيئاً بعد نزوله، وتيسيره للذكر فى أيديهم. إلا فلتات فى ديوان كل شاعر، هى امتداد للتصوير فى الأدب الجاهلى وعلى طريقته، لا على طريقة القرآن الرفيعة

ولعل مرد ذلك إلى أن الحاسة الفنية عند أولئك الشعراء كانت أقل من أن تتطلع إلى هذا الأفق الرفيع فى ذلك الأوان. فلعلنا أن نكون اليوم أحق بهذا التطلع من جميع من مضوا من شعراء العربية خلال أربعة عشر قرناً

إن تفرد القرآن بطريقته التصويرية فى هذا المستوى بين الشعر الجاهلى قبله والشعر العربى بعده يمكن أن يتخذ دليلاً فنياً على تفرد مصدر هذا القرآن، لولا أننا هنا فى مقام البحث الفنى، لا البحث الدينى

والآن نعود إلى نماذج القرآن التصويرية فى التعبير، لبيان فضل هذه الطريقة من الناحية الفنية:

١ — معنى النفور الشديد من الدعوة إلى الهدى ، يمكن أن يؤدى فى صورته التجريدية الذهنية على نحو كهذا : إنهم لينفرون أشد النفرة من الدعوة إلى الإيمان . فيتملى الذهن وحده معنى النفور فى برود وسكون

ولكن التعبير القرآنى يؤديه فى هذه الصورة الحية المتحركة : « فما لهم عن التَّذكِرَةِ مُعْرِضِين ؟ كأنهم حُمُرٌ مُستنفِرة فَرَّتْ من قَسْوَرَة » فتشترك مع الذهن حاسة النظر وملكة الخيال ، ويثور فى النفس شعور السخرية وشعور الجمال ؛ السخرية من هؤلاء القوم النافرين كالحمر ، الوحشية المذعورة من الأسد ، والجمال الذى فى الصورة المتحركة الطليقة

فللتعبير هنا ظلال حوله تزيد فى مساحته النفسية ، إذا صح هذا التعبير !

٢ — ومعنى عجز الآلهة التى كان العرب يعبدونها من دون الله ، يمكن أن يؤدى فى عدة تعبيرات ذهنية مجردة كأن يقال : إن ما تعبدون من دون الله لأعجز من خلق أحقر الأشياء . فيصل المعنى إلى الذهن مجرداً باهتاً

ولكن التعبير القرآنى يؤديه فى هذه الصورة :

(إنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ؛ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ . ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)

فيحيا هذا المعنى الساكن ، ويتحرك فى تلك الصور المتحركة المتعاقبة

أرأيت إلى تصوير الضعف المزرى ، وإلى التدرج فى تصويره بما يثير فى النفس السخرية اللاذعة والاحتقار المهين :

« لن يخلقوا ذباباً » وهذه درجة « ولو اجتمعوا له » وهذه أخرى « وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه » وهذه أنكى

ولكن أهذه مبالغة ؟ وهل البلاغة فيها هى الغلو ؟

كلا ! فهذه حقيقة واقعة بسيطة . فهؤلاء الآلهة « لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له » والذباب صغير حقير ، ولكن الإعجاز فى خلقه هو الإعجاز فى خلق الجمل والفيل . لأنها معجزة خلق الحياة ، يستوى فيها الجسيم والضئيل ، وليست المعجزة فى صميمها هى خلق الهائل من الأحياء ، وإنما هى خلق الذرة الحية المفردة

ولكن البراعة هنا هي فى عرض هذه الحقيقة بصورة ترسم العجز عن بلوغ مسألة هينة فى ظاهرها ، والجمال هنا هو فى تلك الظلال التى تلقيها خطوات الصورة من خلال التعبير

٣ — والتعبير الذهنى المجرد عن هول يوم القيامة يمكن أن يكون نصوصاً كثيرة ، كأن يقال « إنه لهول مفزع مروع مذهل ... » فلا ترتسم فى النفس صورته كما يرسمها التعبير القرآنى المصور :

(إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ؛ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ)

وليس النسق القرآنى وحده فى النظم هو الذى يرتفع بهذا التعبير إلى مستواه الذى تستشعره النفس عند تلاوته . إنما هى هذه الطريقة التصويرية كذلك ، حيث يزدحم الخيال بصور كل مرضعة ذاهلة عما أرضعت ، شاخصة تنظر ولا ترى ، وتتحرك ولا تعى ، وصور الناس سكارى وما هم بسكارى ، فى عيونهم ذهول السكر ، وفى خطواتهم ترنحه

إن هذا الحشد من الصور الذاهلة هو العمل الفنى الضخم فى هذا التعبير

وليست هذه الصور فلتات فى القرآن إنما تلك طريقة متبعة وخصيصة شاملة ، وفى هذا يتفرد القرآن وحده . فالتصوير قد يقع فلتات فى الشعر العربى ، تكثر فى الشعر الجاهلى وتقل فى الشعر الإسلامى . ولا يعد قاعدة فى هذا الأدب كله . ثم تبقى بعد ذلك درجات السمو فى هذا التصوير . ولها مجال غير هذا المجال

* * *

طريقة التصوير والتظليل التى توجه إليها الأنظار ، هى الطريقة

التى وردت فيها فرائد الشعر العربى التى تهيأت للشعراء على ممر الأجيال

فأجود ما وقع لامرىء القيس هو من الشعر التصويرى مثل :

وليل كموج البحر أرخى سدوله علىّ بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت : له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فتشخيص الليل هنا ومنحه الحياة ، ورسم هذه الصورة المتحركة له ، هى موضع الجمال فى هذه الأبيات لا مجرد معنى أن الليل قد طال وأنه سئم هذا الطول

وكذلك بيته الآخر فى وصف حصانه :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مقبـل مدبر معاً
كجلمود صخر حطه السيل من عل

وما فيه من تشخيص الصورة والحركة ، لا مجرد معنى أنه يكر ويفر ويقبل ويدبر فى لحظة واحدة . وأجود ما وقع لزهير أبياته التصويرية كذلك مثل :

إذا ما غَدَوْنا نبتغى الصيدَ مرَّةً
متى نَرَهُ فإننا لا نُخاتِلُهْ
فبَيْنا نُبَغِّى الصَّيْدَ جاء غُلامُنا
يَدِبُّ ويُخْفِى شَخْصَهُ ويُضائِلُهْ

ففى صورة هذا الغلام الشاخصة هنا وفى حركته المرسومة كأنما على الشاشة جمال فنى لا شك فيه

وأجود ما وقع لسويد بن كاهل اليشكرى أبياته التى يصور فيها حاسده صوراً شاخصة فيها الملامح الحسية والانفعالات النفسية . وجميعها صور وظلال لا معان مجردة :

رُبَّ من أنضجْتُ غيظاً قلبَهُ
قد تمنَّى لى موتاً لم يُطَعْ
ويرانى كالشجا فى حلقه عَسِراً مَخْرَجُهُ ما يُنتزع
مُزبِدٌ يَخْطُرُ ما لم يَرَنى فإذا أسمعته صوتى انقمع

لم يضرنى غير أن يحسدنى فهوَ يزْقو مثلما يزقو الضوع »(1)

فتم الصور المزرية التى يرسمها له بعد أن تترك فى النفس ظلالاً واضحة ، وفى الحس صوراً شاخصة ، فيها كل جمالها الفنى الذى يتيحه التصوير والتخييل (2)

ويكثر التصوير فى الشعر الجاهلى ، ويقل فى الشعر الإسلامى ، على عكس ما كان منتظراً بعد وجود القرآن بين أيديهم ، وتعبيره كله قائم على الطريقة التصويرية ، ولكن قاتل الله « المعانى » ، لقد أصبحت كل هم الشعراء وغلبت طريقة العلم على طريقة الفن ، فتقهقر الأدب العربى من هذه الناحية ، بجانب خطواته التى تقدمها فى نواح أخرى

فإذا نحن تجاوزنا ابن الرومى - وهو فريد فى تاريخ الأدب العربى كله - لم نعثر إلا على فلتات فى ديوان كل شاعر ، قام فيها التعبير بمهمة التصوير . فلتات قد تكون مائة وقد تكون ألفاً ، ولكنها تبدو ضئيلة جداً بين ملايين الأبيات من الشعر العربى على ممر الأجيال

وإن أجود ما وقع للشعراء هنا كذلك، لهى الأبيات التى عبر عنها عنها بطريقة التصوير والتخييل . مثل بيت مسلم بن الوليد الذى نقلناه فى كلمة ماضية :

تمشى الرياح به حسرى مولهة حيرى تلوذ بأكناف الجلاميد

وما فيه من تشخيص وخلع الحياة على الرياح

ومثل بيتى كثير :

وإنى وتهيامى بعزة بعد ما تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجى ظل الغمامة ، كلما تهيأ منها للمقيل استقلت

وما فيها من حركة متخيلة : حركة حسية تقابلها حركة نفسية فى تساوق واتفاق . ومثل بيتى المتنبى :

وقفت وما فى الموت شك لواقف
كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

---

(1) الضوع : ذكر الضفدع !

(2) فى الجزء الأول من حديث الأربعاء للدكتور طه حسين بك بحث كامل عن هذا التصوير .

التحامق في العصر العباسي

للأستاذ صلاح الدين المنجد

في العصر العباسي ظاهرة غريبة تلذ الباحث بطرافتها وإطافتها، هي التحامق وإظهار البلاهة تارة والغفلة مرة

وقد تدهش بادئ ذي بداءة وتعجب ؛ فإذا انثنيتَ على نفسك مفكراً متأملاً معتبراً ، أو مقايساً باحثاً ، علمتَ أن في هذا التحامق من الصواب ما ينبئ عن حدة ذهن ، ودقة فهم ، وجودة حدس

فلقد وجد الناس في ذلك ضروباً من الفائدة ، فكانوا يلجأون إليه كلما ضاق عليهم الأمر ، وعسرت أمامهم المسالك ؛ فينالون ما يشتهون ، ويحظون بما يحبون . وما كانوا ليتحامقوا بعد علمهم أن أولئك الناس العوام أشدُّ منهم حمقاً ، وأقل فطنة ، وأكثر غباوة . وما لهم لا يتحامقون في عصر قال العتابيُ الشاعر عن ناسه إنهم بقر لا يفقهون

فقد ذكروا عن عثمان الوراق أنه رأى العتابي الشاعر يأكل الخبز على الطريق بباب الشام (في بغداد) ، فقال له : ويحك ، أما تستحي ؟ قال : أرأيت لو كنا في دار بقر كنتَ تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك ؟ قال الوراق : لا . قال فاصبر حتى أعلمكَ أنهم بقر . فقام العتابي ، فوعظ وقصَّ ودعا ؛ حتى كَثُرَ الزحام عليه ، ثم قال لهم : « روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار ! » فما بقي أحد إلا أخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة أنفه ويقدّره يبلغها أم لا ... فلما تفرّقوا التفت العتابي إلى صاحبه وقال : « ألم أخبرك أنهم بقر ... ؟! »

وكان أناس يرون في الحمق الرَّوْح والراحة ، وطيب العيش فسموا إليه ، وتحدث الشعراء بذلك ، فقال أحدهم :

الروح والراحة في الحمق
وفي زوالِ العقلِ والخُرْق
فمن أراد العيش في راحة
فليلزمِ الجهـلَ مع الحمقِ

وما ذلك إلا لأن العقل كان عدو الإنسان في ذلك الزمان . يقول الشاعر القُمّي :

تحامق ، تطبْ عيشاً ولا تكُ عاقلاً
فعقلُ الفتى في ذا الزمانِ عدوُّه

ولأن من يتحامق يربح ويستريح . فقد سُئل مرة زيد بن سعيد العبدي عن تحامقه ، فقال : « جدَدت فشقيتُ ، ثم تحامقتُ فأرحتُ واسترحت »

وفيهما مشهد استعراض متحرك . يضاعف جمال المعنى الذهني المجرد

ومثل بيتي المعري الفريدين :

رُبَّ قبر قد صار قبراً مراراً ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين في طويل الأزمان والآباد

وما فيهما من سخرية مصورة شاخصة ، تتسق مع السخرية النفسية ، وتوضح رموزها وتجسمها

***

ونكتفي بهذه النماذج لتصوير ما نريده من الجمال الفني في الصور والظلال حين يرسمها التعبير . ثم ننبه هنا إلى لبس قد يؤدي إليه سياق المقال :

نحن لا نعني أن طريقة التصوير وحدها تؤدي إلى أن يأتي كل من يتبعها بقرآن أو ما يشبه القرآن ، ولا أن يبلغ هذا المدى الذي بلغه مسلم والمتنبي والمعري وكثيّر وغيرهم . فليست طريقة من طرق الأداء عصا سحرية تبلغ بمفردها مدى الإعجاز والعبقرية !

إنما نعني أن هذه الطريقة أنسب للتعبير الفني من الطريقة التجريدية ، وأن الشاعر الواحد يبلغ بها في إنتاجه ما لا يبلغه من الجمال الفني لو اتبع الطريقة الذهنية . ثم يبقى بعد ذلك مجال التفاضل في الإحساس لم نمسه ، ولم نحاول البحث فيه . فتلك هبة توهب ، أما الطريقة فهي خطة يلفت إليها النظر ، وإن كان لها من الهبة اللَّدُنّية نصيب

سيد قطب

وكان أناس آخرون يتحامقون لينالوا الغنى . قالوا إنه كان في بغداد رجل عاقل ، أديب فهِم ، شاعر ، يقال له عامر . وكان مع أدبه محروماً مجازفاً . فلما ضاق صدره ، أظهر التحامق والتجانن ، فتفقده صاحب له ، وجعل يطلبه حتى ظفر به في بعض القرى ، وحوله الصبيان ، يضحك ويضحكون . فقال له : يا عامر ، مذ كم صرت بهذه الحال ؟ فقال :

جَنَّنْتُ نفسى لكى أنال الغنى
فالعقلُ فى ذا الزمان حِرمان

وقد يدرك المتحامقُ الملوكَ بتحامقه فتحسن حاله ، ويزيد ماله . قالوا إن علياً القصرى كان ممن يجيد الشعر ؛ وكان محروماً لا يُؤبه له . فتحامقَ وأخذ فى الهزل ، فحسُنت حاله ، وراج أمره ، حتى أن الملوك والأشراف أولعوا به ، فأفاد من هزله وحمقه المال الوافر ، والنشبَ الكثير . وذلك لأنه :

إن كنتَ تهوى أن تنال المالا
فالبس من الحمقِ غداً سربالا

فيسهل ما عسر ، وتوسر وتغنى ، وتقوم بقوت عيالك وأهلك

عذلونى على الحماقة جهــلاً وهى من عقلهم ألذُّ وأحلى
ولقد قلتُ حين أغروا بلومى أيها اللائمون فى الحمق مهلا
حمقى قائمٌ بقوت عيــالى ويموتون إن تماقلت هزلا

وقد يتحامقون لينجوا من آفة أو بلاء . أُدخل عُبادةُ المخنث على الواثق ، والناس يُضربونَ ويُقتلون فى الامتحان . (قتال) : فقلتُ والله لئن امتحننى قتلنى ؛ فبدأته ، فقلت : أعظم الله أجرك أيها الخليفة . قال فيمن ؟ قلتُ فى القرآن ! قال : ويحك ، والقرآن يموت ؟ قلت : نعم ، كل مخلوق يموت . فإذا مات القرآن فى شعبان فبأيش يصلِّى الناس فى رمضان ؟ قال : أخرجوه فإنه مجنون !

وكثيراً ما كان العلماء يتحامقون أو يتجانـون إذا دُعوا إلى القضاء . وكانوا يرون فيه مهلكة لا ينجو منها إلا من رحم الله . ويخافون أن يزلـوا فيعاقبوا . دعا المنصور أبا حنيفة وسفياناً الثورى ، ومسعراً ، وشريكاً ، ليوليهم القضاء . قال أبو حنيفة : أنا أتحامق فيكم ، فأُقال وأتخلص . وأما مسعر فيتجان ويتملص وأما سفيان فيهرب . وأما شريك فيقع . فدخلوا على المنصور ، فتحامق أبو حنيفة ، وتجانن الثورى ومسعر ، فنجوا

ومثل هذا فعل عبد الله بن وهب لما دعاه الخليفة ليتولى قضاء مصر ، فقد جنَّن نفسه ، فلزم بيته

وقد حفلت كتب الأدب بنوادر رائعة ، غير ما ذكرنا ، عن التحامق والتجانن فى هـذا الباب . فمن أظرف ما يروى فى ذلك أن رجلاً آلى بيمين أن لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس لِما قاسى من بلاء النساء . فاستشار تسعة وتسعين نفساً وبقى واحد . فخرجَ على أن يسأل أول من نظر إليه . فرأى مجنوناً قد اتخذ قلادة من عَظم ، وسوّد وجهه ، وركب قصبته . فسلَّم عليه الرجل ، وقال له : مسألة . فقال المجنون : سل ما يعنيك ، وإياك وما لا يعنيك . قال الرجل : فقلت مجنون والله ، ثم حدثته أنى أصبتُ من النساء بلاء ، وآليت أن لا أتزوج حتى أستشير مائة نفس ، وأنت تمام المائة . فقال اعلم أن النساء ثلاث . واحدة لك ، وواحدة عليك ، وواحدة لا لك ولا عليك . فأما التى لك ، فشابة طرية لم تمس الرجال ؛ فهى إن رأت خيراً حمدت ، وإن رأت شراً قالت : كل الرجال على مثل هـذا . وأما التى عليك ، فامرأة ذات ولد من غيرك ، فهى تسلخ الزوج لتجمع لولدها . وأما التى لا لك ولا عليك ، فامرأة قد تزوجت قبلك ، فإن رأت خيراً قالت هكذا يجب ، وإن رأت شراً ، حنت إلى زوجها الأول . فأعجبنى كلامه ، وملأ نفسى ، فسألته ما الذى غير من أمره : قال . رشحت للقضاء ، فاخترت ما ترى على القضاء

***

فهذى طرف تضحك بادىَ ذى بدء ، فإذا تأملها الإنسان وجد فى عمل أصحابها العقل الحسن ؛ والتدبير الحازم ، والرأى السديد

(دمشق) صلاح الدين المنجد

الحب عند المتنبي (*)

للأستاذ حسن الأمين

هل أحب المتنبي وهل أحس بلواعج الوجد وتباريح الغرام؟ هل استطاعت امرأة أن تخلب لبه وتفتن قلبه، فيشيد بها ويتغنى بجمالها ومحاسنها؟

إذا أردنا أن نتخذ شعر المتنبي دليلاً على ترجيح السلب أو الإيجاب، وإذا أردنا أن نرجع إلى ديوانه لنـدلي بالجواب؛ فإننا نستطيع أن نقول بدون تردد إن المتنبي لم يعرف الحب ولم يعانه، فالذي يقول:

وما العشق إلا غرة وطماعة   يعرض قلب نفسه فيصاب
وغير فؤادي للغواني رمية   وغير بناني للزجاج ركاب

إن الذي يقول هذا القول لا يمكن أن يكون من أهل الحب بل هو من الهازئين بالحب وأهله المشنعين عليهم الرامين لهم بالضعف، فالحب عنده غرة وطماعة، وليس من رأيه أن القلب يرمى من حيث لا يحتسب، بل من رأيه أن القلب هو الذي يعرض نفسه لهـذه الغرة والطماعة فيصاب، ولو شاء هـذا القلب ألا يصاب لما أصيب وهذا قلبه فإنه لم يشأ أن يصاب فلم يصب.

ولم يسكت المتنبي عند هذا القول، بل ردده في مواضع شتى فقال:

ممـا أضر بأهل العشق أنهم   هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عيونهم دمعاً وأنفسهم   في إثر كل قبيح وجهه حسن

فالذي يراه المحبون حسناً فتفنى عيونهم به وتذوب نفوسهم ليس إلا الوجوه فقط، وأما النفوس فإنها قبيحة لا خير فيها، ولو أنهم اطلعوا على ما وراء هذا الحسن الخادع لما أضر بهم عشقهم، ولـكنهم أحبوا وعشقوا، دون أن يمعنوا في التأمل بحقائق الدنيا، فلم يعرفوا دخائل من أحبوا، ولم يفطنوا إلى ما ينطوي عليه من غدر ومخاتلة وخداع. وهذا الرأي القاتم متأت ولا شك عن نظرة المتنبي للناس عامة ذكوراً وإناثاً، فلا تحسب المرأة أن المتنبي من أعدائها وحدها، فهو ناقم على الكون ناقم على البشر جميعاً، لأنه يرى نفسه مهتضماً مغيظاً لا يبل له أوام ولا يجاب نداء، وهذا الرأي هو صدى لرأيه القائل:

ومن عرف الأيام معرفتي بها   وبالناس روى رمحه غير راحم

وبعد أن يعلن المتنبي رأيه بالعشق وأهل العشق يلتفت إلى الغانيات المغريات، فيجبههن بأعنف القول وأمر الـكلام ويخاطبهن بقسوة وتهكم صارخاً بهن:

تحملوا حملتـكم كل ناجـية   فـكل بين على اليوم مؤتمن

فلا التهـديد بالرحيل ولا الوعيد بالهجر، استطاع أن يلين قلبه ويميل به إلى الهوى، بل أعلن بأن البين لن يضيره، وأن النأي لن يزعجه. ولماذا يهتم ببعدهن ويشغل نفسه بهن، ولماذا يحزن لفراقهن ويأسى على رحيلهن ما دامت مهجته وحدها هي التي ستتحمل عبء ذلك كله، وما دام لن يجد لهذه المهجة إذا ذابت شوقاً وتلاشت حنيناً — لن يجد عوضاً عنها في الظعائن وثمناً لها في الهوادج!

ما في هوادجكم عن مهجتي عوض
إن مت شوقاً ولا فيها لهـا ثمن

وإن الذي يقول:

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقـــر في همتي   كشعرة في مفرق

والذي يقول عن نفسه وعن الناس:

ودهر ناسه ناس صغـار   وإن كانت لهم جثث ضخام
وما أنا منهم بالعيش فيهم   ولـكن معدن الذهب الرغام

إن الذي يقول هذا القول لا يكون غريباً عليه أن يرى مهجته أسمى من أن يذيبها شوق لمخلوق، ونفسه أعظم من أن يقتلها حب لإنسان

وإذا كنا قلنا آنفاً إن المتنبي ناقم على الناس جميعاً وإن نورته

(*) عطفاً على المقال المنشور في العدد ٦٦٩ من هذه المجلة

ليست على المرأة وحدها ، فهذا لا يعنى أن ليس له فيها نظرة خاصة . فقوله :

إذا غدرت حسناء وفت بعهدها … فمن عهدها أن لايدوم لها عهد

وقوله :

ومن خبر الغـوانى فالغوانى … ضياء فى مواطنـه ظلام

إن هذا القول صراحة فى تخصيصه إياها بالشطر الوافى من حملاته على بنى الإنسان وصراحة برأيه السيء بها ، بل إن هذا القول يضمه فى صف خصومها الألداء وأعدائها الأشداء . على أنه ربما كان أحسن وصفها كل الإحسان وأنصفها كل الإنصاف حين قال :

وإن عشقت كانت أشـد صبابة

وإن فركت فاذهب فما فى فركها قصد

وإن حقدت لم يبق فى قلبها رضاً

وإن رضيت لم يبق فى قلبها حقد

***

ولـكن المتنبى صاحب هذه الآراء القاسية فى المرأة والغرام لم يستطع أن يجرد شعره من الغزل فقد افتتح كثيراً من قصائده بالغزل وتحدث عن الحب والنساء ، وتظاهر بالهوى وشكوى النوى ، وشارك العاشقين فى بث الوجد وذكر الوصل والصد ، حتى أنه أغرق فى ذلك أحياناً إغراقاً حاول فيه أن يتسمى بالعاشق كل العاشق :

وما أنا إلا عاشق كل عاشق … أعق خليليه الصفيين لائمه

وأن يجعل عشقه فوق كل عشق :

وطرف إن سقى العشاق كأساً … بهـا نقص سقانيها دهاقا

وأن يكون شاعراً غزلاً :

أحيا وأيسر ما عانيت ما قتلا … والبين جار على ضعفى وما عدلا

فهو يتحدث عن حب قاتل يعجب معه كيف يبقى حياً ، ويتحدث عن بين جار عليه فلم ينصف ضعفه . ولا يقتصر على هذا الحديث الإجمالى عن الحب بل يعود فيخاطب حبيبة بعينها فيتضرع لها تضرع الولهان :

بما بجفنيك من سحر صلى دنفاً … يهوى الحياة وأما إن صددت فلا

ثم يسهب بوصف عواطفه الغامضة فى عدة أبيات يصل بعدها إلى ما أراده من مدح أحد الناس وينتهي الأمر . وهكذا يبدو غزله بوجه عام ، فهو إما أن يرتفع قليلاً عن هذا المستوى أو ينحط عنه قليلاً أو كثيراً ، ومهما ارتفع أو انحط فهو غزل لا طائل تحته ، ولا عاطفة تذكيه ولا شعور يوريه ويسف أحياناً كل الإسفاف فيقول :

أوه بديل من قولتى واها … لمن نأت والبديل ذكراها

أوه لمن لا أرى محاسنها … واصـل واهاً وأوه مرآها

والمتنبى نفسه يعلن رأيه فى هذا الغزل الفاشى فى بعض قصائده ولا يحجم عن أن يقول إنه سير على سنن غيره من الشعراء ، وأن طريقة الشعر قد اقتضت هذا ، وأن افتتاح القصائد بالغزل ليس دليلاً على الحب والغرام :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم … أكل فصيح قال شعراً متيم

وكأن المتنبى صاحب الدعوة ضد الحب والمرأة قد خشى أن يؤخذ عليه غزله وأن يعتبر تناقضاً مع آرائه الصريحة فاعتذر عن هذا الغزل وأعلن حقيقته ، وأنه ليس فى الواقع الغزل الذى عرفه الناس ونظمه الشعراء ، بل هو غزل رمزى يخفى تحته شعوراً غير شعور الغرام ، وحباً لغير المرأة ، وشغفاً بغير ثناياها الغر وأحداقها النجل ، فبعد أن افتتح قصيدة بالغزل المألوف عاد يقول :

محب كنى بالبيض عن مرهفاته

وبالحسن فى أجسامهن عن الصقل

وبالسمر عن سمر القنا غير أننى … جناها أحبائى وأطرافها رسلى

عدمت فؤاداً لم تبت فيه فضلة … لغير الثنايا الغر والحدق النجل

فما حرمت حسناء بالهجر غبطة … ولا بلغتها من شكى الهجر بالوصل

وهو فى بيته الثالث عنيف متشدد وفى بيته الأخير مستهزئ بلذائذ الوصال مستهتر بالهجر لا يرى أن غضب الحسناء وهجرها يمكن أن يحرم المرء أية غبطة ولا أن وصلها يمكن أن يجلب

أية سعادة وهذا أقسى مظهر من مظاهر آرائه الصلبة . على أننا لا نستطيع أن نجرد جميع غزله من العاطفة والشعور فلا شك أن فى القليل من بعضه عاطفة جياشة وحساً نابضاً ولكن ليس الحب وليست المرأة هى مصدر ذلك ، بل هى ذكريات أيام سوالف وأشواق إلى منازل نائية وأهل بعيدين كأن يقول :

ما لاح برق أو ترنم طائر   إلا انثنيت ولى فؤاد شيق

أو يقول :

وكيف التذاذى بالأصائل والضحى
إذا لم يعد ذاك النسيم الذى هبا
فيا شوق ما أبقى ويالى من النوى
ويا دمع ما أجرى ويا قلب ما أصبى

أو يقول :

ليالىّ بعد الظاعنين شكول   طوال وليل العاشقين طويل
يبن لى البدر الذى لا أريده   ويخفين بدراً ما إليه سبيل
وماعشت من بعد الأحبة سلوة   ولكننى للنائبات حمول
إذا كان شم الروح أدنى إليكم   فلا برحتنى روضة وقبول
وما شرق بالماء إلا تذكراً   لماء به أهل الحبيب نزول

وما أدرانا أن لا يكون وهو يرسل هذا الشعر وأمثاله إنما يذكر تلك العجوز الذى رأينا إشفاقه عليها وشغفه بها فى رثائه لها ، وأنه يذكر أيام صباه الماضية فى بلده بين أهله وقومه :

أما الأحبة فالبيداء دونهم   فليت دونك بيد دونها بيد

ولا بد لنا ونحن فى الحديث عن غزله من أن نلم بالأبيات الجميلة التى تغزل فيها بالأعرابيات وعرض بالحضريات :

ما أوجه الحضر المستحسنات بها   كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية   وفى البداوة حسن غير مجلوب
أين المعيز من الآرام ناظرة   وغير ناظرة فى الحسن والطيب
أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها
مضغ الكلام ولا صبغ الحواجب
ومن هوى كل من ليست مموهة   تركت لون مشيبى غير مخضوب

ولا شك أن هـذا الغزل البدوى ، والتظاهر بالشغف بالأعرابيات إنما هو أثر من آثار النقمة على المرأة فقد اتخذ من بساطة البدويات وسيلة للحملة على غادات المدن وانشغالهن بالزينة والتطرية والتجمل فتهكم على أصباغهن ومساحيقهن ، وهزأ بمضغهن الكلام وشبههن بالمعزى ، وعاب عليهن تمويه الحقائق وجردهن من كل محمدة وحسن ، ومع ذلك ومع أنه اتخذ الأعرابيات ترساً يتوارى وراءه فى الهجوم على الحضريات فإن سجيته أبت إلا أن تتغلب عليه فلم يستطع أن يترك ثناءه على نساء البدو خالصاً لا شائبة فيه ، بل عاوده داؤه المزمن فى الغضب على الجنس البشرى والنقمة على بنى الإنسان فغمز من البادية وأهل البادية غمزة قاسية :

فؤاد كل محب فى بيوتهم   ومال كل أخيذ المال محروب

حسن الأمين

الى الرجال والنساء

الغـــــرام السوقى . . .

للشاعر الأستاذ محمد الأسمر

هذه القصيدة تصف ناحية من النواحى الاجتماعية التى إذا تركت وشأنها انقلبت وباء، وأودت بسعادة الأسر رجالا ونساء وأطفالا. وهل هناك أشد خطراً على سعادة الأسرة من أن يقع الزوج فى حبائل خدعة له تصرفه عن زوجته وأولاده، أو تقع الزوجة فى حبائل خادع لها يصرفها عن زوجها أولادها. إن غراماً ينشأ بين زوج وأخرى غير زوجته، أو بين زوجة وآخر غير زوجها غرام سوقى قائم على الحب الزائف لا على الحب الذى يجلب السعادة المحبين، خصوصاً إذا كانت بطلة هذا الغرام إحدى بنات الليالى المعروفات بالأرتستات، وقد تناول الشاعر فى قصيدته تلك هذه الناحية الاجتماعية وبعض ما يتشعب منها. وجعل إهداءها إلى صديقه الأستاذ كامل الشناوى :

لا يُلهينَّك تغريدُ العصافيرِ ... وناعم الريش عن نَقْر المناقيرِ
واحذرْ من القطة الملساء إن لها ... أنيابها، ولها خدش الأظافير
ورُبَّ حسناء أمسى بعض ما صنعتْ ... بالناس وهو أحاديث الجماهير
فاحذر غوانيَ إن صدَّتْ وإن وصلت ... فهنَّ أشبه شيء بالمناشير(١)
يُصبينَ حتى أخاسيسَ ليس له ... صباً فتسخو يداه بالدنانير
هنَّ التواجرُ فى كل الأمور فما ... يسقطن إلا على القوم المياسير
وهنَّ حولَ الذى يُلقى بلقمته ... شواخص الطرف أشباه السنانير
حتى إذا نَضبتْ يوماً موائده ... بحثن عن غيرها بحث المساعير
فاحذر شوارد منها لا رقيب لها ... ولا تغُرَّنكَ رباتُ المقاصير
كم من قصور حوَتْ أركانُها دنساً ... تَعجَّبتْ منه أركان المواخير
تلك الغوانى غوانى السوق ليس لها ... خِلٌّ ولو كان وهَّابَ القناطير
وماشكرن يداً أسدت لهن يداً ... بل هن فى الأخذ أشباه الأعاصير

(١) إشارة إلى أنهن وراء المال فى كل أحوالهن

يبيت فى أسرهنَّ المرء مبتسماً ... يخدعنهُ فهو وضاح الأسارير
فيا عجيباً تراه وهو مغتبط ... ولو درى لرأى سُخرَ القادير

* * *

هذا وكم من رجال أدنياء لهمْ ... إن صادفوا غِرَّةً فتكُ المغاوير
وإن أحاطوا بسرٍّ ليس يعرفه ... سواهمْ أعلنوه بالمزامير
ومنهمُ معشرٌ أعداء أمتهم ... لهم غرام بأعراض المشاهير
مُبالغون، وقد تلقاهمُ وضعوا ... ما يأفكون به وضع الأساطير
ياويْحَ من أعرضوا عن بحث أنفسهم ... ويبحثون سواهمْ بالمناظير
لو أن كل امرئ يُعنى بحالته ... لم يعشِ قومٌ لقومٍ بالأخابير
ومن تأمَّل يوماً ما صحيفتهُ ... ألهاه ذلك عن فحص الأضابير(١)

* * *

يالهف نفسى على (الزوجات) ضيَّعها ... من الرجال بعولٌ كالطراطير
تخْفَى الحقائق عنهم وهى واضحة ... فينظرون إليها كالسمادير(٢)
ولا يثورون بركاناً له حمَمٌ ... لكن يثورون أشباه القراقير(٣)
كيف اطمأنوا فناموا عن حدائقهم ... مرى اللصوص فما نوم النواطير ؟!
وكل بستان وردٍ نام صاحبه ... عن حفظه فهو منهوب الأزاهير
ولهفَ نفسى على (زوج) تُدنِّسهُ ... قرينةٌ زوجُها زوجُ الفوازير
من النوامض، لا رمل يُبيِّنها ... ولا شيوخ قعود بالطوامير(٤)
من اللواتى إذا ما ريبةٌ عرضت ... فهُنَّ ماهنَّ فى خلق المعاذير!
فيا لها من ظلام غير منكشف ... يلوح كالصبح وضَّاح التباشير

* * *

الله للناس، عمَّ الشرُّ وامتلأت ... أسواقه بالأباليس المناكير
فاحذر، وحذر، وأصلح ما استطعت ولا ... تبغ الفساد، ورفقاً بالقوارير(٥)

---

(١) الأضابير المجموعة من الصحائف
(٢) الخيالات
(٣) القراقير صوت أمعاء البطن
(٤) الطوامير الصحائف
(٥) المعني بالقوارير هنا النساء وفى الحديث الشريف (رفقاً بالقوارير)



الرصافي يغضب ويتبرأ

فوجئت بالرد الذى نشره الأستاذ الرصافي وأنا بعيد عن القاهرة . وقد اتهمنا فيه (١) بأننا بدلنا أقواله (٢) ولم نكن أمناء فى نقلها (٣) وبأنه استنتج من ذاك أننا لم نقرأ التعليقات قراءة مستنيرة بل مررنا بها مروراً خاطفاً ، (٤) وبأن يداً خفية تحركنا (!!) (٥) وبأننا حاقدون عليه (٦) وبأننا نعرف آداب البحث والنقد والمناقشة لكننا ضربنا صفحاً عنها فى تناول تعليقاته لسبب لا يعرفه (٧) وبأننا خلطنا بين آراء الفلاسفة اليونانيين فى وحدة الوجود ، وآراء الزنادقة من متصوفة المشرق (٨) وبأن الغيرة الدينية هى التى أعمت بصائرنا عن الحق (٩) ثم ذكر أنه ليس متصوفاً ، وطلب إلينا أن نسأل الذين يعرفونه ليثبت لنا ذلك (١٠) وأنه لا يدعو إلى شيء كما هو لنا نحن بذلك لدى العامة (!) (١١) ثم ذكر أننا نتجنى على المتصوفة حين نتهمهم بميلهم إلى اللذائذ الجنسية الخسيسة وتحللهم من الشرائع والقوانين والآداب العامة . . . إلى آخر هذا التخبط ونحود فنقول بأننا الآن بعيدون عن القاهرة ... فليت أعداد الرسالة التى سفهنا فيها تعليقات الأستاذ الجليل تحت أيدينا لنرى مقدار ما شوهنا أقواله ، ما دام هو لم يجرؤ أن يقدم لنا دليلاً واحداً على هذا التشويه . وليت رسائل التعليقات تحت أيدينا كذلك ، فقد أعطيناها لصديقنا الدكتور زكى مبارك ليرى فيها رأيه (وذلك منذ شهر تقريباً) ... ونحن نطمئن الأستاذ الرصافى على سلامة تفكير الجمهور من القراء فى مصر وفى العالم العربى ... لأنه جمهور لا يكتفى بأن يقال له إن كل ما ذكره دريني خشبة عن الأستاذ الجليل معروف الرصافى باطل ملفق ليصدق هذا القول .·. ويسرنا أن نعترف للأستاذ الرصافى بأنه صحيح أن يداً خفية تحركنا للرد عليه . لأنها يد الله التى تمحق الباطل والمبطلين دائماً . الله الذى نتواضع فى الإيمان به هذا الإيمان الفطرى الساذج الذى لا يوقعنا فى لغو اللاغين وتناقض المتناقضين ، بعد أن بلونا من مثل ما يلوِّن أحوانا الرصافى الآن ألواناً وألواناً ...

إلا أننى لا أستطيع أن أسكت ، حتى أعود إلى القاهرة بعد شهر إن شاء الله تعالى ، دون أن أعرض على العقلاء فى العالم الإسلامى كله جانباً من هذا الذى عاد الأستاذ الجليل معروف الرصافى فتحدث إلينا به فى رده المتهافت ، وذلك بخصوص استواء المتناقضات أمام الله لا أمام الناس :

لما كان الصوفية يقولون : كل ما وقع فى هذا الكون فهو حق ، وأنه لا باطل إلا المحال كما هو مذكور فى رسائل التعليقات ، تساوت عندهم المتضادات ، فالشر كالخير ، والضلال كالهدى . كلاهما حق ، لأنه واقع ، ولو كان باطلاً لما وقع ، لأن الباطل هو المحال الممتنع الوقوع ، ولكن هذا التساوى فى المتضادات إنما هو بالنسبة إلى الوجود الكلى - أى إلى ذات الله - لا بالنسبة إلينا ، فذات الله فى رأيهم لا يصدر عنها الباطل ، بل كل ما صدر عنها فهو حق ، وهم يستدلون على ذلك بآيات من القرآن كما هو مذكور فى رسائل التعليقات

... ... ولا بد أن الأستاذ خشبة قد قرأ كتاب التصوف الإسلامى للدكتور زكى مبارك واطلع على ما نقله عن الجيلى من أن الله هو الهادى وهو المضل ، وأن الضال متحقق بصفة الضلال ، كما أن المهتدى متحقق بصفة الهداية ، وأنهما أمام الله سواء ، كما هو مذكور فى رسائل التعليقات أيضاً ، وهذا صريح فى أن تساويهما إنما يكون أمام الله ، أى بالنسبة إلى الله ، لا بالنسبة إلينا »

فما رأى العقلاء فى العالم الإسلامى كله فى هذا ؟!

لقد فزع الدكتور زكى مبارك (نفسه !) من الأخذ بهذا الضلال ، وفزع منه على الأخلاق والقوانين والشرائع ، فطمأنه **الأستاذ الرصافى بأن التساوى إنما يكون أمام الله لا أمامنا نحن ،**

أى بالنسبة إلى الله لا بالنسبة إلينا ... لأننا لا وجود لنا ، لأن الوجود الكلى المطلق هو الله ...

إن الأستاذ الرصافى يطلب إلينا تفسير الآيات التى استشهد بها المتخبطون على لغوهم هـذا ، وهو يطلب إلينا ذلك ظاناً أنه يوقفنا أمام مشكل صوره له اضطرابه . ونحن نطمئنه ، لأننا سوف نعود إليه ، ... ثم نسأله هل ينكر أنه ينكر البعث كما يؤمن به المسلمون ، وأنه ينكر أن القرآن كلام الله ، بل هو كلام محمد ألقى فى روعه أنه يقوله بلسان الله ، وأنه لا معنى للعقاب والثواب والحساب إلا على الصور الجنونية التى زخرفها له وسواسه ، وأنه ينكر الأدعية ، ومنها الصلوات ، لأنها لن تغير من قوانين (الوجود الكلى المطلق شيئاً) ؟!

وبعد ... فهل صحيح أن الرصافى لم يدعنا إلى شىء ؟ ! هل نسى ما علق به على ذلك المستشرق الإيطالى الجاهل ؟ ألم يطلب إلينا أن نفيق ؟! نفيق مم يا ترى ؟!

وإلى عود قريب إن شاء الله ...

دريني خشبة

إلى الأستاذ زكريا إبراهيم

ما هذا يا أخى ؟ لماذا قطعت أحاديثك عن وحدة الوجود بعد إذ بدأتها ؟ ماذا حدث ؟

د . خ

إلى الأستاذ الجليل النشاشيبى

ذكرت أيها الأستاذ الجليل فى العدد (٥٧٦) من الرسالة الغراء ضمن « نقل الأديب » التى لا يفى بمدحها لسان أو بيان قصة ابن يعيش حينما أخذ يشرح قول ذى الرمة :

أيا ظبية الوعساء بين جـلاجل

وبين النقا ... آ أنت أم أم سالم

فأطال القول فى ذلك ، بحيث يفهمه البليد البعيد الذهن ، ولكن الفقيه الذى كان يقرأ عليه ويسمع منه سأله بعد كل ذلك : إيش فى هذه المرأة الحسناء يشبه الظبية ؟ فتندر عليه الشيخ قائلاً : تشبهها فى ذنبها وقرونها ! فضحك الحاضرون ، وخجل الفقيه ، ولم يعد إلى المجلس بعد ذلك ! هذا ولم تعلق على القصة بشىء ...

ولكن ما رأى الأستاذ الجليل حينما يعلم — وهو خير من علم ويعلم — أن ما ذكره الشيخ موفق الدين على سبيل التندر والانبساط قد ورد على سبيل الجد والنقد ، وأوخذ به ذو الرمة من جارية معاصرة له ، وقد أقر الشاعر لها بهذه المؤاخذة ، واحتال عليها بالمال كى تكتم هذا العيب ؟ ذكر ابن الجوزى فى كتابه « الأذكياء » ص ١٦٥ القصة التالية :

دخل ذو الرمة الكوفة ، فبينا هو يسير فى بعض شوارعها على نجيب له إذ رأى جارية سوداء واقفة على باب دار ، فاستحسنها ووقعت بقلبه ، فدنا إليها فقال : يا جارية ! اسقنى ماء ! فأخرجت إليه كوزاً فشرب ، وأراد أن يمازحها ويستدعى كلامها ، فقال : يا جارية ! ما أحر ماءك ! . فقالت : لو شئت لأقبلت على عيوب شعرك وتركت حرّ مائى وبرده ، فقال لها : وأى شعرى له عيب ؟ فقالت : ألست ذا الرمة ؟ قال : بلى . قالت :

فأنت الذى شبهت عنزاً بقفرة
لها ذنب فوق استها أم سالم
جعلت لها قرنين فوق جبينها
وطبيين مسودين مثل المحاجم
وساقين إن يستمكنا منك يتركا
بجلدك يا غيلان مثل المآتم
أيا ظبية الوعساء بين جلاجل
وبين النقا آ أنت أم أم سالم ؟ !

قال : نشدتك بالله إلا أخذت راحلتى وما عليها ولم تظهرى هذا ؛ ونزل عن راحلته فدفعها إليها ، وذهب ليمضى فدفعتها إليه ، وضمنت له ألا تذكر لأحد ما جرى !

هذه هى القصة ، فما رأى الأستاذ الجليل ؟ ...

أحمد الشرباصى
خريج كلية اللغة العربية

12 me Année No. 582 — Lundi - 28 8 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٥٨٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٩ رمضان سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٨ أغسطس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

العمــالية الفــكرية

للدكتور محمد مندور

نقصد بالعمالية الفكرية نشوء طبقة اجتماعية جديدة ينزل فيها المشتغلون بالمسائل العقلية منزلة العمال بما لهم من حقوق ومطالب ومشكلات على نحو ما شاهد النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بالنسبة للعمال اليدويين ، وبخاصة عمال الصناعة ؛ وتلك مشكلة ستتمخض عنها الحرب الحاضرة بعد أن مهدت لها الحرب السابقة . ولفهمها لا بد من إلقاء نظرة عابرة على قيمة العمل الإنساني خلال التاريخ ، وتطور تلك القيمة إلى يومنا هذا .

في العصور القديمة كان العمل من اختصاص العبيد ، وأما المواطنون فكانوا يرون عاراً أن يزاول أحدهم بنفسه زراعة أو صناعة ، ولقد أثقلت هذه النظرة تاريخ الإنسانية ، وجاهد المفكرون وطلائع البشر في رفع هذا الثقل قروناً طوالاً ، وبالرغم من أن الإنسانية قد اجتمعت كلها على إلغاء الرق ؛ فإنه لا يزال العمل ينظر إليه إلى اليوم نظرة لا تتفق مع قيمته الحقيقية من حيث أنه منبع الثروة الوحيد . ومن غريب الأمر أن قدماء الإغريق أنفسهم قد فطنوا إلى قيمة العمل ، فجسمها أرسطوفانيس

الفهــرس

صفحة
٧٠١ العمالية الفكرية ... ... : الدكتور محمد مندور ... ...
٧٠٤ نقد رامي ... . : الأستاذ دريني خشبة ... .
٧٠٧ لحن ثائر وطبيعة ثائرة ! ... : الأستاذ زكريا إبراهيم ...
٧٠٩ في رمضان ... ... : الأستاذ منصور جاب الله ..
٧١١ على هامش الغفران .. ... : الأستاذ كامل كيلاني ...
٧١٤ في مؤتمر المحامين العرب .. : الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف
٧١٦ نقل الأديب . ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٧١٧ مآثر النور [شعر علمي] : الأستاذ نقولا الحداد ...
٧١٨ في سبيل وحدة الوجود .. : الدكتور زكي مبارك .. ...
٧١٩ من الأستاذ خليل مطران ... إلى الأستاذ عبد الرحمن صدقي } الأستاذ خليل مطران بك ...
٧١٩ حول الخوارزمي ... .. : الأستاذ منصور جاب الله . .
٧٢٠ حول أغلاط ... ... : الأديب عبد الحميد المسلوت
٧٢٠ ملاحظات ورجاء .. ... : السيد يوسف قنق ... ...

المؤلف الكوميدى الشهير فى رواية رائعة هى بلوتس - إله الذهب وهذا إله أعمى قالوا إن الآثينيين ضرعوا إلى الإله الطبيب أسكيلاب أن يشفيه من عماه فيقيم بمدينتهم اعترافاً بالجميل؛ وهذا ما كان. واستوطن الإله بآثينا، وإذا بالسماء تمطر الذهب حتى غصت به الطرق والحارات، وأمسك جميع السكان عن العمل اكتفاء بهذا الذهب الوفير يغرفون منه لقضاء حاجاتهم. ولكنهم لم يلبثوا بعد أيام أن رأوا المنتجات تنفد، وإذا بهم يتضورون جوعاً والذهب تحت أرجلهم. وهال عقلاءهم الأمر، نخفوا إلى الإله الطبيب يرجونه أن يسكب فى عين إله الذهب ما يذهب ببصره ثانية، حتى يستطيعوا آسفين معتذرين أن يقودوه خارج مدينتهم لترتفع عنهم تلك المحنة القاسية، محنة الذهب، ويعودوا إلى نشاطهم المثمر، يعودوا إلى الكد وعرق الجبين الذى ينتج من الخيرات ما يشبع حاجاتهم الحيوية. هذا ما رآه الإغريق القدماء، أو ما رآه أحد كبار مفكريهم، ومع ذلك ظل العمل من اختصاص الرقيق، ولم يستطع أن يتمتع بما له من واجب الاحترام، بل التقديس، وهذا أمر بديهى، فأنت تستطيع أن تملأ خزائنك بالمال، وتترك هذا المال بالخزائن طوال السنين، ثم ترى أنه لم ينتج شيئاً، وإنما المنتج كد الرجال

وفى خلال القرون الوسطى لم يتغير الموقف، فكان الرجال ملحقين بالأرض، تنتقل ملكيتهم بانتقالها من يد إلى يد. ولم يتحرر البشر إلى حد ما إلا عندما أخذت المدن تتكون وتنشأ بها طبقات اجتماعية جديدة من الصناع والتجار. ومن المعلوم أن نشأة هذه المدن هى التى مهدت السبيل لمناهضة أمراء الإقطاع، والقضاء على نفوذهم القاسى، وقد اعتمد عليها الملوك فى انتزاع السلطة من يد الأمراء وتوحيد الممالك. وفى مقابل ذلك كان الملوك يمنحون تلك المدن وثائق بها كثير من مبادئ التحرر السياسى والاقتصادى. ومع هذا فإن الحريات التى أعطيت للمدن لم يصب العاملُ منها إلا خيراً يسيراً، وذلك لأن رق الإقطاع قد قابله فى المدن تكوين اتحادات عمالية كانت لرؤسائها على أفراد العمال حقوق ثقيلة. وفى الحق إنه لم يكن بد لكى يسترد العمل كرامته من أن تظهر الشخصية البشرية أولاً فى الهيئة الاجتماعية، ويسلم لها باستقلالها الذاتى لتستطيع بعد ذلك أن تنضم إلى اتحاد أو نقابة راضية مستنيرة. وتحرير الشخصية البشرية من رق المجموع هو الكسب العظيم الذى كسبته الإنسانية فى عصر النهضة الذى وضع حداً للقرون الوسطى. فمنذ ذلك العصر نستطيع أن نقول إن فجر الإنسانية قد تنفس

ثم أخذ المفكرون يبحثون فى منابع الثروة ووسائل الإنتاج، وعلاقة الإنسان بكل ذلك. ولما كانت الصناعات لم تنشأ بعد، فقد رأى الباحثون فى الاقتصاد عندئذ أن الزراعة هى المصدر الوحيد للثروة، وأما الصناعة فما هى إلا تحويل للمواد الأولية التى تنتجها الزراعة، فهى لا تخلق جديداً، والتجارة ليست إلا نقلاً للمنتجات

وجاء القرن التاسع عشر باختراعاته العظيمة وأخذت الصناعات تنشأ، ففطن المفكرون إلى أن الإنتاج الاقتصادى ليس تكوين شىء من العدم، والعدم لا ينتج شيئاً، وإنما هو خلق لقيم اقتصادية جديدة، ومقدرة على إشباع الحاجات الإنسانية المختلفة؛ فالمادة الأولية بتحويلها تصبح قيماً جديدة وتشبع حاجات جديدة، وأنت كذلك إذا نقلتها من مكان لا يحتاجها فيه أحد إلى مكان تُطلب فيه تعطيها قيمة جديدة أيضاً. وهكذا دخلت الصناعة والتجارة فى ميدان الإنتاج، وكان فى المناقشات التى دارت حول منابع الثروة وإنتاجها ما انتهى بالمفكرين إلى تقدير العمل الإنسانى. ولكن التقدير شىء، والتسليم بحقوق هذا العمل شىء آخر؛ ثم إنه كان تقدير المفكرين، وهؤلاء فى كل العصور نفر من الخاصة، والأمر لم يكن يوماً لسوء الحظ بيدهم ليستطيعوا تحقيق نظرهم عملاً، فهم طلائع البشر ولكنهم ليسوا قادته الفعليين. ومع ذلك فقد كان فى سبقهم إلى تقدير قيمة العمل البشرى قيمته الحقة ما أيقظ ضمائر العمال؛ ولهذا عند ما ظل أصحاب رءوس الأموال متخلفين عن مسايرة العقلية الجديدة لم يلبث التصادم أن نشأ بينهم وبين عمالهم. ورأى العامل أنه لا يستطيع أن يقاوم بمفرده فتكونت النقابات، واجتمعت النقابات فى اتحادات واستعرت روح الطبقات واحتدم الكفاح بينها، حتى انتهى الأمر إلى الحركات الاشتراكية والشيوعية المعروفة، وحتى فى البلاد التى حافظت على الملكية الفردية كحافز قوى للانتاج لم

تفلت نظمها الاقتصادية ، من أن تتأثر بالكثير من المبادئ الاشتراكية بحيث يمكن القول بأن الديمقراطية ذاتها قد أصبحت فى جميع بقاع الأرض ديمقراطية اشتراكية ، أو اجتماعية إذا أردت أن تتجنب اللفظ

هذا الجهاد الإنسانى الطويل قد انتهى إلى الإقرار بقيمة العمل اليدوى والتسليم لطبقة العمال ، وبخاصة فى الصناعة ، بالكثير من حقوقها ، وهى لم تُمنح تلك الحقوق بل أخذتها أخذاً ، بحيث نستطيع أن نقول إن العمال فى معظم بلاد أوروبا كانوا قد وصلوا قبل الحرب الحاضرة إلى درجة محمودة من الرخاء لم يصل إليها المشتغلون بالأعمال العقلية . ولقد رأيت فى فرنسا قبيل هذه الحرب العامل المتخصص يكسب ما لا يقل عن ثلاثين جنيهاً شهرياً ، بينما يُعطى القاضى الفرنسى ثمانية عشر جنيهاً . ولقد رأيت فى جميع أنحاء أوروبا أن الطبقة المهضومة لم تعد طبقة العمال ، بل طبقة أولئك العقليين ، فبينهم تفشت البطالة ، وعن حقوقهم سكتت الهيئة الاجتماعية ، وذلك لأن إنتاجهم غير ملموس النتائج ، وأفرادهم لم ينظموا بعد فى نقابات أو اتحادات . هنالك تجد الموظف تحت رحمة الحكومة ، والصحفى مستذلا لصاحب الجريدة ، والكاتب يتحكم فيه الناشر ، والمتعلم يبحث عن عمل فلا يجده . وليس من شك فى أن الإنسانية التى لا يمكن أن تفنى لا بد ملتمسة علاجاً لهذه الحالة الصارخة . ولقد عدت إلى مصر فوجدت البلوى أعم : نقابة للصحفيين لم أر لتكوينها مثيلاً فى العالم ، فهى تضم العمال وأصحاب العمل ، ومن الطبيعى أن يتحكم هؤلاء فى أولئك . والوضع الطبيعى أن ينفصل كل فى نقابته ، وأن تتفاوض نقابة مع نقابة لا أن يجتمعوا سوياً كقطط وفيران فى مصيدة واحدة . ورأيت أثرياء يخشون أن تطالبهم الحكومة بما يجب أن يدفعوه من ضرائب فيصيحون بها أن أمسكى عن إنصاف المظلومين من الموظفين ، وقد عضتهم الحياة بأنيابها ، مع أن الضرائب فى بلادنا قلما تصل إلى أكثر من ١٢٪ بينما هى لا تنحط فى أى بلد أوروبى أثناء السلم عن ٣٦٪ على نسب تصاعدية عادلة . ورأيت ناشرين من التجار الجشعين ، يتحكمون فى عقول الكتاب وأقلامهم ، وينزلون بهم إلى حد الدعارة العقلية لترويج البضاعة التى يقبلونها منهم . وأخيراً كم بين المتعلمين من عاطلين ؟ ! ولقد جاءت تلك الحرب فقلبت أوضاع الحياة الاجتماعية ، فإذا بالعزيز ذليل والصعلوك ثرى كبير ، ونمت روح الدجل والنصب والاحتيال والنفاق حتى لأعتقد مؤمناً أنه لا بد لتستقيم الحياة الاجتماعية من أن يعاد إليها اتزانها بأية وسيلة كانت

ليست هناك هيئة اجتماعية تستحق الاحترام إذا لم يقدس فيها الفكر ، وهذا الفكر هو القوة التى نسيطر بها ، لا على النفوس فحسب ، بل على المادة أيضاً . وها هى الحرب قد أوشكت أن تنتهى ، وأنا على ثقة من أن العمالية الفكرية ستحزم أمرها ، وهى التى تقود الرأى العام ، فتطالب بحماية حقوقها وتوفير كرامتها وضمان استقلالها المادى حتى لا يستذلها أحد . وإنه لمن غريب الأمر ألا نرى ببلادنا إلى اليوم قانوناً يحمى الملكية الأدبية والفنية ، ولا نقابات للعقليين الذين يزاولون النشاط الحر والثقافة غير المهنية ، وإذا أُريد لتلك النقابات النجاح ، فمن الواجب أن تنحى عنها السياسة ، وأن يكون تكوينها سليماً .

محمد مندور

٦ – نقـــــد رامى

للأستاذ دريني خشبة

لا نحسب أننا فرغنا من محاسن رامي حتى نخلص إلى معايبه ... إن كانت له معايب تزرى بنبله الجم ، وشاعريته الرقيقة ، وروحه الذى ظل للعالم العربى كله برداً وسلاماً وروْحاً ونشوة أكثر من عشرين عاماً مباركاً يسكب فى آذاننا شدو قلبه النابض ، وغناء وجدانه الفياض ، وأنات نفسه الجريحة الدامية

١ – وأول ما يلفت النظر فى حياة رامى وإنتاجه الأدبى هو انصرافه العجيب المفاجئ عن قرض الشعر ، واقتصاره على توشية أغانيه المصرية الساحرة ، وذلك منذ أن دخلت فى حياته الآنسة أم كلثوم ! . . . لماذا؟ لماذا يا ترى رضى الشاعر الإنسانى أن يكون بلبلاً فحسب ؟ ! حقيقة إنه نظم ثلاثين أو أربعين أو خمسين مقطوعة . . . ولا نقول قصيدة . . . لكنها جميعاً من ذلك النوع الذى ذكرنا آنفاً أنه يصح تسميته (خطابات منظومة) كان الشاعر يضمّنها بعض بثه إلى المخلوق السعيد الذى أعاد الحياة إلى قلبه ، والإيمان إلى روحه ، وإن تكن حياة كلها شكوى وشك وغيرة ، وإن يكن إيماناً قلقاً مزعزعاً ينضح بالدموع والآلام

لقد ذكر رامى لصديق الشاعر الذى سفر بينى وبينه تمهيداً لكتابة هـــذه الفصول أن لديه مجموعة كبيرة من الشعر الذى نظمه فى خلال هذه الحقبة الطويلة من عمره ولم ينشره ؛ وقد حاولت أن أطلع على هذه المجموعة ولكنى لم أشهدها لأن السفر أعجلنى عن ذلك ... ومهما يكن من أمر هذه المجموعة ، فرامى مقصر ولا شك ، وثروة الشعر العربى لن تفتأ تطالبه بعشرة أجزاء من ديوانه الخالد الذى كان يصدره بمعدل جزء عن كل عامين ؛ ونحن لا نشك فى أن إنتاجه الشعرى قد أصبح قلة فى جانب إنتاجه الغنائى ، وإن يكن قد أودع أغانيه كل ما كان يودع شعره من قطع قلبه وروحه ودموعه ... ويسرنا أن نسجل أن شعر رامى القليل الذى نظمه فى الشطر الأخير من عمره المبارك (الطويل إن شاء الله) أحسن ديباجة وأرق نسجاً ، وأحفل بالموسيقا الداخلية من جميع شعره القديم الذى شملته دواوينه الثلاثة ؛ ونحن نعنى بالموسيقا الداخلية ذلك التوافق الصوتى الجميـل الخلاب ، الذى اكتسبه رامى بلا شك من طول اختلاطه بالموسيقيين والملحنين والمطربين ...

ولعل القطعة التالية التى شدا بها فؤاده من أجل ولده ، والتى تذكرنا فى رامي بشاعر الإنسانية ، هى خير ما نقدمه دليلاً على استنتاجنا :

أنت ظـل مده الله علىّ ... يا بُنىّ ! ما أُحَيْلى يا بُنَىْ
والأمانىُّ التى عزّتْ لدىّ ... نعمة العمر وتذكار الصبى
فى ضمير الغيب أدعوك إلىّ ... لست أنساك جنيناً خافياً
حين ألقاك وليداً فى يدىّ ... أعناك لعينى قــرة
وترى آى الرضى فى مقلتىّ ... أرقب اليوم الذى تبسم لى
سابقات خاطرى فى شـفتىّ ... فأناجيك بألحان الهـوى
غير أن تسمع منى أى شيٍّ ... كلمات هى لا معنى لهـا
غض أجفانك عنى يا بُنىّ ! ... فتراعينى ولا تقـوى على

وتشبه هذه القطعة فى موسيقاها الداخلية قطعة (القمرية) المنشورة بعدها فى مجموعة مكتبة النهضة (١٩٤٢)

إن رامى يستطيع فيما نعتقد أن يعدل فى إنتاجه بين أغانيه المصرية وبين شعره هذا الجميل الرائع العذب ... ولولا أننى أوثر ألا أنزلق إلى الخوض فى قضية العربية والعامية الآن ، لأشرت على رامى بإبداع معانيه (البكر) ، التى لفتت نظر حافظ من قبل ، والتى ضمنها أغانيه المصرية ، حينما طغت هذه الأغانى على أشعار رامى ، . . . لأشرت عليه بإبداعها بعض قصائده ، ليكسب بها الشعر العربى ثروة ثمينة خالدة ... ولكن ... هل هذا مستطاع ؟ !

٢ – ولن نعرف الرحمة ولا (الذوق !) ونحن نأخذ على رامى جنايته على الغناء المصرى ، أو الغناء العربى الحديث ، بتركه تلك الفرصة الذهبية النادرة التى أتاحها الله له ليجدد لنا غناءنا تجديداً كاملاً شاملاً ، ولتوسيع آفاق أغانينا بإدخال الأوبرا والأوبريت ، اللتين لا بد أنه يعرفهما معرفة جيدة ، ويزن الفائدة الجليلة البعيدة الأثر التى كانت تعود على الموسيقا

العربية — أقصد المصرية — والغناء المصرى ، لو أنه استغل هذا (التخت) العظيم الذى عاش أكثر من عشرين عاماً (يجتر) أغانيه ويرددها ويسندها ويبدئ ويعيد فيها ... لقد أساء رامى استغلال هذا (التخت) العظيم ، كما أساء استغلال دخول الآنسة أم كلثوم — فى حياته ، فلم يوجه فيهما أغانينا التوجيه الصالح الواسع الأفق ، الذى يخرج بتلك الأغانى من « دنيا التخت » إلى دنيا المسرح ، وإلى دنيا الأوركسترا الراقصة الطروب اللعوب ... وقد يُعترض على هذا بأنه ليس من عمل الشاعر الذى ينظم لحساب غيره ... ونحن نرد على ذلك بأنه كلام لا يصح أن يعتذر به لرامى المثقف الذى يعرف من فنون الثقافة الشعرية الأوربية أزهى ألوانها وأبدع ضروبها ، ويعرف أن الأغنية التى ترسلها أم كلثوم على التخت ، غير تلك الأغنية ذاتها إذا أرسلتها وهى تؤدى دورها فى مأساة أو ملهاة أو درامة أخلاقية ، لأن الأغنية حينئذ يكون لها جمالها الخارجى الذى يضفيه عليها الموضوع ، لا جمالها الداخلى الذى تكسبه من ذاتها فحسب ... ورب معترض يقول إن رامى قد صنع هذا الذى نطالبه به فى أغنياته الكثيرة التى نظمها للأشرطة السينمائية الإثنى عشر التى طلب إليه نظم أغانيها كلها أو بعضها ... وأنه مؤلف « وداد ودنانير » ... ونحن نوافق على أن هذا صحيح وجميل ، إلا أنه شئ آخر غير الذى نطالب به رامياً ... إننا محرومون إلى اليوم من الرواية التمثيلية الغنائية الكاملة أو التى يصل أغانيها وكثيراً من حوارها النثر الخفيف ، وهذه الرواية التمثيلية الغنائية شئ عظيم بارع فى آداب أوربا وموسيقاها وهو غير موجود إطلاقاً فى أدبنا أو فى موسيقانا ... فمن من شعرائنا جميعاً — غير رامى — هيأ الله له تلك الفرصة الذهبية النادرة من حيث اتصاله بالموسيقيين والملحنين والمطربين ثم أساء استغلالها كما أساء استغلالها رامى ، فلم ينتفع بها فى إحداث تلك الثورة التى سوف تظل أغانينا ناقصة معيبة شوهاء مالم يجرفها تيارها ، وما لم تحترق فى نارها فتخرج زكية سنية ذات روح وذات لألاء وذات جوهر نقى مُصَفّى

٣ — ولعل غلطة رامى فى ذلك — أنه قصر صداقته الفنية على أبطال موسيقيي (التخت) — وهم — مع إجلالنا لهم وإعجابنا بهم والإشادة بذكرهم فى غير مناسبة ، قوم أميون فى ثقافتهم الفنية ، فهم لا يفهمون ما الأوبرا وما الأوبريت ، ومن الخبال أن نطالبهم فى ذلك الميدان بشئ هو ضد طبائعهم ، وعكس سلائقهم الفنية ، التى لا تزيد كثيراً على تكرير الغناء وتسنيده أو التمهيد له — ولذلك فنحن نستحثهم أن ينتفعوا بفرصة معهد الموسيقا والغناء المسرحى ، فلا يدعوها تفلت منهم ، لأن فى إفلاتها القضاء عليهم ... وهذا موضوع آخر له حينه ومقامه إن شاء الله

نريد أن نعيب على رامى عدم انتفاعه بأحد ممن ثقفوا الموسيقا الغربية ومرنوا فيها ، بل برزوا فى التأليف بها ... والمؤلم أنه يعرف الكثيرين منهم ، وأن الكثيرين منهم يعرفونه . والرجل الذى تضعه المقادير فى المكان الذى يهيئ له القيام بثورة إصلاحية ثم ينكص على عقبيه ، فلا ينتهز الفرصة التى هيأتها له هذه المقادير هو رجل مقصر بلا ريب ، إن لم يكن شيئاً آخر لا نؤثر التعبير به

٤ — ونزيد فى أسفنا — بهذه المناسبة — إعراض رامى عن التأليف للمسرح فى دائرة اختصاص مواهبه الشعرية : ولعل الذين لا يعرفون ماضى رامى المسرحى يسألون : وما بال رامى ، وما بال مطالبته بشئ لم يدرسه ، أو لم يألفه ؟ فعلى هؤلاء أن يعلموا أن رامياً قد خدم الثقافة المسرحية فى مصر خدمة طيبة سيذكرها له الذاكرون دائماً ؛ فقد أخذ نفسه بترجمة مجموعة كبيرة من أشهر الروايات مثلت جميعاً على المسرح المصرى ، وخلبت ألباب نظارتها بجمال أسلوبها وحسن اختيارها ومرونة ترجمتها حتى تلائم المتوسط العام لجمهور مسرحنا ، ومن هذه الروايات هملت ويوليوس قيصر والعاصفة والنسر الصغير ، وبهوديت وفى سبيل التاج وجان دارك وشارلوت كورداى وسميراميس ... ومجرد ذكر أسماء هذه الروايات يذكرنا بماضيها المسرحى الناجح فى المسرح المصرى . ولست أدرى كيف يبلغ رامى هذه الدرجة من المجد الشعرى ، وكيف يبذل كل هذا المجهود فى دنيا المسرح ولا يفكر مطلقاً فى نظم الدرامة المسرحية ... ماذا نسمى هذا التقصير الذى يحدث هوة سحيقة فى مجد رامى ؟ وما سبب هذا التقصير يا ترى ؟ هل سببه أنه كان

يخضع لمقتضيات البيئة الفنية التي كان يعمل لحسابها؟! تلك البيئة التي صرفته - أو أوشكت أن تصرفه - عن قول الشعر، وعن التفكير فى نظم الأوبرا أو الأوبريت، لقد حاول رامى مرة أن ينظم الدرامة المسرحية، وكانت محاولته جيدة ناجحة، وذلك حينما نظم (غرام الشعراء) التى نشرها فى «الرسالة» (على ما أذكر)، والتي مثلتها إحدى الفرق المصرية ولا تزال محطة الإذاعة الحكومية تعيد إذاعتها بين الفينة والفينه. فاذا وقر فى ذهن رامى بعد هذه المحاولة؟

٥ — ومما يؤخذ على رامى أنه وقف بتجديده فى الأغانى المصرية عند حد الابتعاد بها عن الابتذال القديم، وتوسيع أفقها بتضمينها تصوير الطبيعة المصرية والإفاضة فى تحليل العواطف الإنسانية مما أشرنا إليه من قبل، ومما شكرناه لرامي الشكر الذى يستحقه؛ وقد كنا نطمع من رامى أن يذهب فى التجديد إلى أبعد من هذا الحد، فكان يحاول مثلاً نظم الأغانى القصصية البارعة Ballads التى حُرم منها الشعر المصرى الحديث ذلك الحرمان المزرى المعيب، فعسى أن يتحفنا الشاعر الذى عمر حياتنا بأعذب ألحانه وأرق أغانيه بهذا اللون المفقود فى غنائنا المصرى ... القديم والحديث

٦ — كان رامى موفقاً فى معظم أناشيده ... إلا أنها وا أسفاه جاءت كلها أناشيد غنائية يصعب على الجماعة أداؤها. وليس ذلك لطبيعة تلحينها كما يتبادر إلى الذهن أول الأمر، ولكن لطبيعة تأليفها دخل كبير فى ذلك ... ومن السخف أن نطالب رامى بنشيد قومى ... ولكن من الواجب أن نطالبه بأناشيد مصرية متنوعة يسجل فيها رامى بأسلوبه الساحر وتصويره الشاعر ونظمه العذب الدقيق: مصر الحديثة الناهضة، مصر الفلاحة العاملة. مصر التى تذهب كل صباح إلى الكتاتيب والمدارس والجامعات ... مصر المتضامنة التى تأبى أن تتخلف عن قافلة المدنية ... تلك القافلة التى جدبها المسير

٧ — أما لغة رامى، وموسيقا شعره الخارجية ... أعنى أوزانه وبحوره وقوافيه ... فالنقد الذى يعنى بالناحية الجدية يستحيي أن نقول فيها شيئاً ...

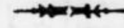
عاش رامى حياة طويلة طيبة، تنبض بالحب فى قلب مصر الحديثة، وعاش لمصر والشرق يملأهما شدواً وغناء وتجديداً ...

دريني خشبة

ها هو ذا الإنسان

لحن ثائر وطبيعة منحرفة !

للأستاذ زكريا إبراهيم



شعلة متوهجة تقدح الشرر ، ولهب حار تتراقص فيه النيران ، وسيل جارف تتدفق منه الأمواه : تلك هي ملحمة نيتشه الفلسفية الرائعة !

إنها شعر دافق ينبض بالحياة ، ولحن ثائر يزخر بالقوة ، وموسيقى صاخبة تفيض بالنشوة . . . هي فلسفة حية نبعت من قلب الوجود ، وسرت فى دماء صاحبها حارة فائرة ، ثم تدفقت على لسانه عاصفة هوجاء تهدر وتزفر ! ولكنها فلسفة قد شاقها الأفق البعيد ، واستهواها النجم القصى ، فلما حلقت بجناحيها كالنسر في أجواز الفضاء ، وأشرفت على الوجود من قبة السماء ، لعبت برأسها نشوة العلو ، فتضاءل الوجود فى عينيها المشدوهتين ، وتصاغر الكل تحت جناحيها المنشورين !

... أجل ، إن فى شعر نيتشه سحراً غريباً يستأثر بالخيال ؛ فإن الصور والمشاهد تتابع فيه كالرؤى والأحلام ، والنفس تتنقل معه كأنما هى فى رحلة رومانتيكية رائعة فى بلاد ساحرة فاتنة : تمر بها المشاهد الأليمة المرعبة ، بعد المشاهد السارة المبهجة ، ويطوف بها الغريب المضحك ، بعد الجليل الرائع ؛ ولكن الأمر الوحيد الذى يفسد على الإنسان كل ما فى نيتشه من الجوانب الوجدانية المستحبة ، ويدفعه إلى النفور منه والعزوف عنه ، هو تلك الكبرياء المتعالية التى اصطبغت بها فلسفته ، وذلك الغرور المتطرف الذى اتسمت به أحكامه ...

كان نيتشه يعتقد أنه نسيج وحده ، ولذلك فقد اتخذ فى كل مؤلفاته موقف فاوست المتمرد ذى النزعة الرومانتيكية ، وثار معه على كل قانون ، وكل أخلاق ، وكل حياة اجتماعية . ولما تضخمت عنده شخصيته ، أصبح ينظر إلى ذاته على أنها مركز للعالم كله ، لا بل أستغفر الله ، على أنها تستوعب العالم كله وتضمه تحتها ! فإذا قال نيتشه بفكرة ، فقد وجب ألا يكون أحد قد سبقه إلى تلك الفكرة ؛ وإذا أصدر نيتشه حكما ، فلا بد أن يكون هذا الحكم صحيحاً ، ولو أجمعت الإنسانية كلها على أنه غير صحيح ! . . . لقد عاشت الإنسانية على قيم فاسدة وشرائع كاذبة ، فلا بد من أن يأتى نيتشه بلوحة جديدة للقيم يقضى بها على كل تلك الأوهام والخرافات التى ظلت الإنسانية تحرق لها البخور طوال حياتها ! أليس نيتشه هو مسيح العصر الحديث الذى اعتقد فى نفسه أنه أعظم رجل أنجبه عصره ؟ ألم يقل نيتشه إن الثورة الفلسفية التى سوف تحدثها آراؤه ، ستكون نقطة البدء لانقلاب هائل يحل بالإنسانية كلها ؟ ألم يعتقد نيتشه أنه حطم شريعة المسيحية ووضع حداً لقيمها الكاذبة ومعاييرها الخاطئة ؟ إذن فليس من حرج عليه إذا قال بملء شدقيه : «إن الناس تخطىء الحساب ، إذ تعتبر بداية التاريخ ، ذلك اليوم المشئوم الذى بدأت به المسيحية . أجل ، لماذا لا تكون بداية التاريخ هي نهاية المسيحية ؟ إذن فلنحسب القرون والأجيال ، ابتداء من اليوم ، فإن يومنا هذا هو يوم تحول مطلق للقيم والمعايير كلها » !

هكذا قال صاحب لوحة العهد الجديد ، الذى آمن بالأرستقراطية المتطرفة ، وانتهى به غروره إلى قمة الجنون المزردة . وليس بدعا أن يعتقد نيتشه فى نفسه أنه مسيح العهد الجديد ، فقد خيل إليه أن شريعة المسيح قد تهدمت على يديه ، وأن عليه هو أن يقدم للانسانية شرعة جديدة يقيم بها بناء القيم من جديد ! وقد قارن نيتشه بين نفسه وبين المسيح ، وقدم نفسه فى كتابه : «ها هو ذا الإنسان !» : Ecco Homo باعتبار أنه المسيح الجديد ! وحينما كان الجنون قد أخذ يتسلل إليه ، نراه يوقع خطابه الأخير إلى « برانديس » بإمضاء « المصلوب » ! Le Crucifié ، وليس من عجب أن يعتقد نيتشه ذلك فى نفسه ، فقد توهم أن العمل الذى قام به فى عالم الأخلاق والفلسفة ، عمل فريد لم ينهض به أحد من قبل ... وأما مؤلفاته فقد اعتبرها من قبيل ذلك الوحى الذى يجىء به الأنبياء المرسلون ، وإن كانت تختلف عنه فى أنها وحى صادق لم تموهه الأكاذيب والأساطير ! وتبعاً لذلك فقد تحدث نيتشة عن كل كتاب من كتبه ، باعتباره حدثاً هاماً بالنسبة إلى العالم كله ؛ ووسم واحداً من هذه

الـكتب باسم « الفجر » ، ظناً منه أنه هو فجر اليوم الجديد الذي طلع على العالم بأسره !

وحينما نظر نيتشه إلى عالم القيم Valeurs ، ألفى أن النقد السائد فيه نقدٌ زائف بهرج ، فأعلن بقوّة وحماسة أن الوقت قد حان لتغيير مادة ذلك النقد وصورته معاً ... أجل ، إن الإنسانية قد أخطأت حتى الآن فى كل قيم الحياة التى اتخذتها لنفسها ، فلا بدّ من أن يأتى مشرّع هذا العصر ، فيقدم لها صورة صادقة للحياة الوحيدة التى يمكن أن تـكون جديرة بأن يتحمل المرء فى سبيلها مرارة العيش ! وقد نادى نيتشه بقيم الحياة الجديدة ، ثم هتف فى نشوة وسرور : « إن آلاف الأجيال القادمة لن تقسِم إلا باسمى » !

وتضخّمت فى نفس نيتشه عاطفة الأرستقراطية ، فلم يلبث شعوره بنفسه أن تزايد ، حتى استحال إلى شعور مريض غير طبيعى . وليس أدلّ على انحراف نفسيته فى هذا الصدد ، من أنه كان يعتقد أنه ينتسب إلى سلالة نبيلة من جنس سلافى ، كأن السلافيين جنس راق ليس أنبل منه ، وكأنما هو سلافىّ أصيلٌ حقاً ! — فهذا الألمانى الذى تجرى فى عروقه دماء جرمانية خالصة ، كان يفخر طَوال حياته بأنه ينحدر من أصل بولونى عريق ، هو آل نيتسكى Nietzky ؛ على حين أن أخته نفسها قد ذكرت أنه ليس فى عروقه قطرة واحدة من الدم البولندى ! وهذا الابن الذى أنجبه قسّيس ألمانى من مقاطعة بروسية ، كان يتوهّم دائماً أنه ليس بألمانى ! وقد كوّن عنده ذلك الأصل البولونى المزعوم فـكرة متسلطة idée fixe سيطرت على نفسه وكان لهـا تأثير كبير فى حياته ، حتى لقد أصبح يخضع لها فى كل تفـكيره وعمله

ولما كان النبيل البولندى — فيما روى نيتشه — يفصل فى الحـكم الذى يُصْدره مجلس بأكمله ، فيحكم عليه بجرة قلم واحدة أنه منقوض أو ملغى ، وبذلك ينسخ حكم ذلك المجلس بكلمة واحدة ، فقد شاء نيتشه أيضاً أن يقضى على كل ما حكمت به الإنسانية مثل هذا القضاء ، ومن ثم فقد تقدم فى بطولة وإقدام ، وكتب تحت كل ما قضت به الإنسانية حتى الآن : « منقوض » ! ونحن نعلم أن كوبرنيكوس كان بولونياً ؛ وقد غير كوبرنيكوس نظام الـكون ، فلا بد أيضاً من أن يقلب نيتشه نظام الأفـكار والمعايير رأساً على عقب ، ولا بُدّ من أن يجعل الإنسانية تدور حول محور مما كانت تحتقره وترذله — وإذا كان شوبان Chopin البولندى (وهو فى الحقيقة فرنسى أيضاً بحكم أن أباه كان فرنسياً) قد حرّر الموسيقى من التأثيرات الألمانيـة ، فإن نيتشة لا بد أيضاً أن يحرر الفلسفة من هذه التأثيرات الألمانية ! ولـكن كل ما فعله نيتشة فى الواقع هو أنه عدّل فلسفة شوبنهور واتجه بها اتجاها خاصاً ؛ فلم يتجه بإرادة الحياة اتجاهاً تشاؤمياً ، ولم يَلْقَ ضروب التغير وما يجىء معها من ألوان الألم المختلفة بكلمة « لا » (كما فعل شوبنهور) بل اتجه بإرادة الحياة اتجاهاً تفاؤلياً ، وتقبّل كل ما يجىء به التغير من ضروب الألم . أما الذى جعله يعتقد أنه قد اتجه بالفلسفة اتجاها جديداً خالصاً ، فهو ميله إلى اعتبار نفسه رائد الإنسانية الأول ! فإن نيتشة حينما كان ينتج فـكرة من الأفـكار ، كان يتوهم أن أحداً قبله لم يسبقه إلى تصور تلك الفـكرة ؛ ومن أجل ذلك فإن كل عبارة من عباراته ، وكل قول من أقواله ، يرن فى السمع كأنه كلمة الخالق : « ليكن نور » ! Fiat lux ، أى كأنما هو يستخرج عالماً من العدم !

وعلى الرغم من أن نيتشه قد انقض على الفلاسفة الألمانيين جميعاً ، فإنه قد اعتقد بمثل ما اعتقد به هؤلاء « ابتداء من هيجل حتى شوبنهور » وهو أن ليس فى استطاعة أحد غيره أن يفهمه ! وفى كتابه « عدو المسيح » tudesques نجده يذكر أن اليوم الذى سيكون ملـكاً له إنما هو اليوم الذى يتلو الغد ... « إن هناك أناساً يولدون بعد موتهم ؛ وأنا أعرف جيداً ما هى الشروط التى لا بدّ منها ، لـكى يفهمنى الناس : آذان جديدة تستطيع أن تتسمّع الموسيقى الجديدة ... أعين جديدة تستطيع أن تستشف الأشياء البعيدة . شعورٌ جديد يستطيع أن يتقبّل الحقائق التى ظلت صامتة خرساء حتى الآن . إن من يتهيأ لهم هذا كله ، هم وحدهم قرائى ، قرائى الحقيقيون ، المقدّرون لى منذ الأزل ؛ فماذا يعنينى عن الباقين ؟ إن الباقين هم الإنسانية (أو العامة ، فالمعنى واحد) ؛ ولا بد أن نسمو على الإنسانية فى القوة ، ورفعة النفس ، والقدرة على الاحتقار » !

هذا هو نيتشه كما بدا لنفسه ، فقد اعتقد فيلسوفنا أنه ليس ثمة رجل يدانيه بين أهل عصره . وعلى الرغم من أن نظرته إلى نفسه لا تخلو من الصدق فى بعض النواحى - لأن شخصية نيتشه فى الواقع شخصية فريدة ، قلما يعثر المؤرخ على نظير لها - إلا أن فى هذه النظرة أيضاً شيئاً غير قليل من الإغراق والتهويل . ومهما يكن من شىء ؛ فإن قارىء نيتشه تتوزعه عاطفتان مختلفتان أثناء مطالعته لكتب فيلسوفنا : عاطفة الإعجاب من ناحية ، وعاطفة الشفقة والرثاء من ناحية أخرى (بالرغم من أن نيتشه قد اطرح هذه العاطفة الأخيرة واعتبرها إهانة أو مسبة) فنحن نجد لدى نيتشه ، وفى تضاعيف كثير من الأفكار السامية ، شيئاً ينطوى على الانحراف والشذوذ ، وهذا الشىء يستوقف أحياناً ، ويضيع على القارىء أروع التأثيرات العقلية والقلبية فى أحيان أخرى . وإذا كان نيتشه قد وسم كتاباً من كتبه باسم « مسألة فجنر ، مشكلة موسيقية » ، أفليس فى استطاعتنا نحن أيضاً أن نقول : « مسألة نيتشه ، مشكلة مرضية problème pathologiue »

زكريا ابراهيم

فى رمضان . . .

للأستاذ منصور جاب الله

لكل أمة مواسمها وأعيادها ، وللمسلمين فى رمضان موسم حافل جليل ، فأما حفوله فيرجع إلى أن له طابعاً يمتاز به على سائر الشهور ، فله مطاعم خاصة ومشارب خاصة لا تلذها الأعين في غير أيامه ، ولا تشتهيها الأنفس إلا فى صيامه ، وهو بعد موسم التجارة ونفاق الأسواق ، وزيادة الكسب ، وتضاعف المرابح ، فكم من تجارة معطلة أو بضاعة مزجاة تجد فى غضونه موسمها الرائج ، وعصرها الذهبى ، وكم من صناعة يحييها رمضان من العدم ، وتبقى ما بقيت أيامه ، فإذا مضى انقضت بانقضائه ، وأمست فى قرارة النفس منها ذكرى

فهو ولا غرو شهر تحيي فيه النفوس وتستمتع به القلوب والعيون ، وإذا كان رجل التقوى والورع يجد فيه متاع نفسه ولذتها ، فرجل الفن ولا ريب واجد فيه طلبة روحه وبغيتها ، فللحكمة فيه بلاغ ، وللتذكرة مساغ ، وللفكاهة تطريب ، وللملم ترغيب . وإذا كان المسلم يجد فى رمضان متاعاً من جهة الدين والتقى ، فغير المسلم واجد متاعه من جهة الفن والملهى

وكم شهدنا صدقاناً لنا على غير الإسلام يطوون هذا الشهر المبارك صائمين نهارهم فإذا جنهم الليل عمدوا إلى فطور المسلمين متلذين فرحين ، ولقد كان بعضهم يرى فى الإمساك عن الطعام مشاطرة لإخوانه المسلمين ، وحفاظاً على تقاليد البلد الإسلامي ، وتأدباً دون المجاهرة بالإفطار ، فرمضان من هذه الناحية قاس على المفطرين ، فما يُرى المرء مفطراً يطعم الطعام جهاراً نهاراً إلا أحس منه خروجاً على العرف ومخالفة مشنوعة للتقاليد ، قد تتاخم فى بعض الحين جريمة الاعتداء على المال أو العرض ! ولقد كانت الدولات الإسلامية فى ذرورها تعاقب المفطرين من غير عذر ، بإقامة الحدود عليهم ، وهكذا يكون عقاب المستهترين بدين الله وشعائر الدولة والخارجين على نظام الحكومة وتقاليدها ، ردعاً لهم وقمعاً لشهوات الناس المطوّحة بهم فى سبل من المنكر لا ترضى

وإذا كان قد رفع الحد عن المفطر لما تخاذلت الدولات الإسلامية ، وتداخل العنصر غير العربى فى إدارة الشئون ، فلقد بقى على الأيام الحد الأدنى ، فما أفطر بغير عذر إلا طريد مجتمع أو أضحوكة فى المجالس

وأما الآخرون من غير المسلمين فيصومون رمضان لا ورعاً ولا تقى ، ولكن يصومونه صوماً فنياً بمعنى أنهم لا يشعرون بالأحاسيس الوجدانية والنفحات اللدنية التى يستحسها الصائمون القائمون من المسلمين . وإنما يرون فيه حمية قامعة لا تحتاج إلى استشارة الطبيب ، وهم إذا يرون ألوان المطعوم والمشروب يتشهون ما تقع عليه العيون ، ويتحلب منهم اللعاب ثم يقبلون على الشراء وإذا هم يذكرون أنهم مأخوذون من تلقاء أنفسهم بالحمية والامتناع من مزاولة الطعام والشراب ، فيمضون فى الحمية إلى غاية النهار ، يروضون النفس على قوة الإرادة . وتلك هى « فنية » الصوم عند الصائمين المشاطرين من غير المسلمين

على أن للصوم حكمة تسمو على « الفن » يستشعرها الصائم

صوماً حقيقياً لا أثر فيه للرياء ولا للمكابرة ، وتلك هى المقصودة من قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » فما يبعث الصوم إلا على التقوى ، وما يستثير فى النفس غير الورع والرثاء لحال ذوى الخصاصة والمخمصة والفقراء والمساكين ، وما تشمر النفس إلا بالحدب على هؤلاء ، وإيثارهم بالصدقة ، وبرهم بالزكاة

وإن الله جلت قدرته لعليم بما يضار به الصائم وما يلحقه من أذى إذ يترك – بأمره تعالى – طعامه وشرابه ، ويقتسر اقتساراً على هجران كيوفه ولذاذاته ، وما كانت تلك منه إلا بمنزلة النفَس يتردد ، أو القلب يتحرك !

فهذا وهذا يجتمعان على النفس ، ويأتلفان على الروح ، مما يصعب فى قليل أو كثير على الناس ، ولكن لا مناص لهم من هجران مطاعمهم وكيوفهم وإذلال نفوسهم ، حتى تعرف النفس الناعمة الراضية مقدارما يعانى أهل المخمصة من ألم الجوع وحرارة العطش وأوصاب المرض وبرحاء الألم

وهذه ، ولا ريب حكمة تسمو على كل حكمة ، وما تخفى مراميها على أحد سبر كنه الصيام

والصائمون وكثير ما هم ، أتراهم يحسون حكمة فى الصيام ؟ لعل كثرتهم الكثيرة لا ترى فى الصوم إلا أنه ضرب من التسلية والتلهى ؛ فلا نشق الشهر الأطول إلا بنهار نؤوم وليل ماجن ؛ فإذا جاء العيد انقلبوا فكهين . وعادوا إلى ما كانوا يقارفون من فنون الفطر . وكأن هؤلاء ما صاموا ولا طووا النهار عطاشاً جائعين

ولقد تجد فرداً من الناس اقتعد من الناس مكان الصدارة ، وتبوأ كرسى الرياسة ، وإذا به يستفتح مجلس اللغو ، مُرسلاً لسانه يخوض فى عرض هذا ويثلم شرف هذا وينحى باللوم الشديد على هذا ، حتى إذا وقف لسانه فى حلقه من شدة التعب – تعب الكلام وتعب الصيام – ونال من كل الناس مبتغاه وقضى من كل ما يريد وطراً . رفع بصره إلى السماء وصاح فى ورع متكلف « اللهم إنى صائم اللهم إنى صائم » ، وكأن هذه العبارة فى عرفه تجبُّ كل ما سبق ، وتنسخ سائر ما قبلها ، وتفتح له باب السماء ، وتكون توبة نصوحا يلقى بها وجه الله راجحة حسناته سيئاته ، وما هذه إلا صورة لا تخفى من صور رمضان ، وما بنا فى حاجة إلى استيعاب غيرها من الصور ؛ فالكلام فى رمضان لا يتناهى عند حد ، والكلام فيه لا يمل له دفع ولا رد .

ونخلص من هذا إلى القول بأن رمضان فى هذه الأيام العصيبة التى أخذ الناس فيها يدركون معنى الإسلام الحقيقى .

وتقدمت فيها الصفة الإسلامية للدولة ، إلى مقام الصدرة من سائر بلدان الإسلام ، نقول إن رمضان قد أصبح فى هذا العهد ذا صفة بارزة محسوسة ، إن كاد ليكون شيئاً مادياً تلمسه الأيدى وتراه العيون ، وإن كاد ليأخذ بتلابيب المفطر ليدله على احترام شعائر الله وأداء فرائضه . وما هذا إلا من بشائر التوفيق ونصرة دين الله .

منصور جاب الله

على هامش الغفران

للأستاذ كامل كيلانى

[مقدمة كتاب « على هامش الغفران » الذى يصدر فى أول سبتمبر بمناسبة العيد الألفى لأبى العلاء المعرى]

تمهيد

١ — شجر الحور

صوّر فيلسوفنا « أبو العلاء » فيما صور من روائع أخيلته فى « رسالة الغفران » ما لقيه صاحبه فى موقف الحشر ـ قبل أن يؤذن له بدخول الفردوس ـ وما كابده يومئذ من شدائد وأهوال ، يتضاءل بالقياس إليها كل ما قاساه فى حياته الأدبية من عناء البحث والدرس . ثم صور ما نعم به ـ بعد ذلك ـ فى رحاب الفراديس من أطايب ولذائذ مرتقبات ، يتضاءل ـ بالقياس إليها ـ كل ما يبهج الأديب فى أفقه الفكرى من متع عقلية ، ومعان فلسفية ، وصور بيانية . ثم تمثل فيلسوفنا صاحبه وقد رافقه فى دار الخلد ملك كريم ، فجعل يريه من رياض الجنة عجائب ، لا يعرف كنهها إلا الله سبحانه . وثمة قال الملك :

« خذ ثمرة من هذا الثمر فاكسرها ، فإن هذا الشجر يعرف بشجر الحور »

فيأخذ سفرجلة ، أو رمانة ، أو تفاحة ـ أو ما شاء الله من الثمار ـ فيكسرها ، فتخرج منها جارية حوراء عيناء ، تبرق ـ لحسنها ـ حوريات الجنان »

٢ — قارئ الغفران

ثم التفت فيلسوفنا إلى قارئ رسالته ، وقد خشى أن تحول غرابة بعض ألفاظها بينه وبين دخول فردوسه الأدبى البهيج واجتناء ثمار جنته الفكرية ، فقال :

وإنما أفرق (أفزع) من وقوع هذه الرسالة فى يد غلام مترعرع ، ليس ـ إلى الفهم ـ بمتسرع ، فتستعجم عليه اللفظة (يستبهم معناها ويستغلق فلا يتبينه) فيظل معها فى مثل القيد ، لا يقدر على العجل (السرعة) ولا الرُّوَيد (المهل)

٣ — ترجمة النصوص

وما أجدرنا أن نستشعر — من الإشفاق والحذر — أضعاف ما شعر به فيلسوفنا — قبل مئين عشر من السنين ، وأن نزيد ، إلى شرحه — أضعاف ما أثبته ، وأن نترجم نصوصه إلى الأسلوب العصرى ، وأن نصنع بها صنيعنا فى أجزاء « حديقة أبى العلاء » و « رسالة الهناء » ، حتى لا يضجر شبابنا الذكى بما يعترض طريقه إلى هذه الجنات الفكرية — بين خطوة وخطوة — من صخور وهضاب ومتاعب وصعاب ، إن كانت تؤمن معها العثرات ، فلا مرية أنها — على الأقل — معوقات

٤ — فى صحبة المعرى

ولا أكتم القارئ أنى — كلما امتدت بى صحبة هذا الفيلسوف الموهوب ، ورأيت إقبال الخاصة على أدبه الصادق وخياله الأصيل — وجدت لذلك فى نفسى غبطة لا يعدلها إلا غبطتى بما أكن من حب وتقدير لهذه الشخصية العالمية الفذة التى تفتن الباحث بما انفردت به من الخصائص والمزايا ؛ فيؤثرها على غيرها من الشخصيات — فى عالم الفكر والبيان — ولا تلبث عبقريتها أن تملك عليه من مذاهب التكريم والإعجاب قدر ما ملكت آثارها الرائعة من مذاهب الجودة والإبداع .

٥ — تبسيط الآثار العلائية

وإنه ليطيب لى أن يكون فى موالاة الحديث عن « أبى العلاء » تجلية لما بقى فى أيدينا من روائعه بين قراء العربية ، وإذاعة لخصائص ذلك الفكر النفاذ بألمعيته إلى مسارب الكون ودقائق الحياة ، المؤيد بقدرة ساحرة على التصور والتصوير ، وتملك شامل لناحية اللغة فى الإبانة والتعبير .

ولست أشك فى أن تبسيط هذه الكتب العلائية ، وترجمة جمهورها إلى الأساليب العصرية ، سيخلق من المتأدبين أشياعاً جددا لأبى العلاء ، ومريدين عارفين بدقائق مراميه ، وغوامض أهدافه ومعانيه ، ونصراء لأدبه الرفيع ؛ وصحابة يؤمنون بفنه العالى ، فلا يلبث صاحب « الغفران » و « اللزوميات » ،

و « الفصول والغايات » أن تزف إليه مكانة الصدر التى ينفرد بها بين قادة الفكر العربى غير منازع

٦ — جزاء العاملين

وقد تضافرت الحوافز البعيدة ، والجهود الموفقة الرشيدة ، على استثارة هذا الكنز الملائى الذى كان مغيباً فى ظلمات الأيام ، وكان هذا دليل اليقظة الأدبية الصادقة فى هذا العصر ، كما أسلفنا القول — منذ عشرين عاماً أو تزيد — فى مقدمة اللزوميات ، كما كان هذا التقدير خير جزاء للعاملين

٧ — صديق وأستاذ

لقد كان من دواعى السعادة التى ظفرنا بها فى مستهل حياتنا الفكرية ، أن شببنا ونحن شديدو الولوع بهذا الأديب الموهوب ، وما زلنا مأخوذين بمــا نظم ونثر ، نديم التفكير فى فلسفته العالية التى تمتح من قريحة صافية ، مفتونين بنظراته التى تمدها بصيرة كأنما أودعها الله حرارة كوكب آلق لا يفتأ يشع ، حرصاء على استنفاد الوسع فى تقصى بدائعه . فكان « أبو العلاء » لنا — منذ نشأتنا الأدبية — صديقاً بل أستاذاً لا نريم مجالسه ، ولا نمل حديثه ، فما نزال نبدى فى روائعه ونعيد ، حتى لقد أفقدتنا تلك الروائع كراهة الحديث المعاد .

والحق أن الاستماع إلى البيان الساحر كالنظر إلى الجمال الساحر ، كلاهما أخاذ يستولى على نفس الرائى والسامع جميعاً ، متجدد الفتنة أمام أعينهما أبداً ، كأنما عناه « ابن الرومى » حين قال :

« ليت شــعرى إذا أعاد إليهمــا
كرة الطرف مبــدىء ومعيد
أهى شىء لا تسأم العين منــه
أم لهــا — كل ساعة — تجديد
بل هى العيش لا يزال — متى استه
ـرض — يجــلى غرائباً ويفيد »

٨ — سحر البيان

ولولا هــذا السحر الذى غمر نفوسنا من الأدب العربي ، وذلك الولاء الذى طوينا عليه جنوبنا للفن الملائى ، لما تيسر لنا أن نظفر بتذليل ما لقيناه من المصاعب فى تحقيق النصوص الكاملة لرسالتى الهناء والغفران ، وترجمتهما — مع ما ترجمناه من رسائله الأخرى وأشعاره — إلى الأسلوب العصرى .

٩ — حوافز ومرغبات

وكان من الحوافز التى زينت لنفوسنا هذه الفكرة التى ترمى إلى تقريب البيان الملائى ، من أذهان الجمهور العربى فى عصره العتيد ، أننا عنينا — من قبل — بترجمة طائفة من روائع كتاب الغرب وشعرائه ، وكان لما نقلناه من أدب « شكسبير » حظ من الإقبال والتقدير ، بعيد المدى عظيم التأثير ، جدير بعبقرية هذا الشاعر العالمى الكبير

١٠ — ترجمة إنجليزية

ثم يسر الله لنا — من بعد — أن نتعاون مع الأديب الإنجليزى المترجم . براكنبرى على إخراج ترجمة إنجليزية لرسالة الغفران مقتبسة من الطبعة الثالثة ، وترجمة ثانية مقتبسة من « حديقة أبى العلاء » ، وقد ظهرت الأولى ؛ فلقيت من أدباء الغرب ومفكريه ما هى خليقة به من الإعجاب والإطراء . وستتبعها الثانية بعد قريب .

١١ — درر فى أصداف

وما أحق هذا ، بأن يوحى إلينا أن يكون الأدب الملائى قريب الجنى ، عذب النهل ، لكل وارد عربى ، يسمع بالمعرى ، ويعلم مكانته وعبقريته ، ثم تحول الحوائل بينه وبين الاستمتاع بما ترك من روائع الفكر ، وخوالد الأثر ، إذ ألف ذلك العربى أسلوبنا العصرى ، وتصعب عليه ما سواه من تليد البيان ، وبوده أن تتفتح له الأصداف عن غوالى الدرر ، وتتكشف له الأقنعة عن واضح الغرر

١٢ — تجلية الغامض

وما أجدر رواد الأدب العربى عامة والأدب العلائى خاصة أن يطيلوا الروية والجلاد والمصابرة ليتسنى لهم الاهتداء إلى حل طلاسم التحريف التى عقدتها أنامل النساخ ، وتجلية الغامض من العبارات ، وتحقيق المشكل من المفردات ، والتعليق على المعانى بما يؤيدها من شعر « أبى العلاء » ، حتى يستعين القارئ بذلك كله على استطلاع وجوه الرأى فى أغراض ذلك الفكر العبقرى ، واختلاف الصور فى شعره وضوحاً وغموضاً ، وإجمالاً وتفصيلاً ، ولكى يصبح ذلك كله باباً من أبواب البحث الأدبى ، وهو لا ينفتح إلا بطول الاستقراء ، واستحثاث الملاحظة ، وإذكاء الفطنة .

١٣ — عرائس الخيال

وإن ذلك ليستعصى على الباحث إذا لم نحبب إليه ملازمة أبى العلاء ، فنوضح له من أسراره ودقائقه ووجوه آرائه ، ما يستغلق على من يكتفى بالنظرة العابرة ، والخطرة الذاهبة . ومتى ظفرنا بتحقيق هذه الغاية ، أنس القارئ بفيلسوفنا ، وأحسن صحبته ، فلم يضجر بأسلوبه ، ولم ينفر من غرابته ، ولم يجد فى فردوسه من الثمار إلا ما وجده « ابن القارح » فى جنة الحور ، فلا يكسر منها ثمرة إلا خرجت منها عروس أخاذة من بنات الأفكار ، بارعة الجمال ، تبرق (تتحير) ـ لحسنها ـ أبكار المعانى وعرائس الخيال .

١٤ — أغراض الهامش

وقد جعلنا هـذا الهامش تبياناً لما أحاط برسالة الغفران من ملابسات ، وما بعث عليها من دوافع ، حتى يأنس القارئ بجلية خبرها ، فيما يطالع من صورها . وعقبنا على ذلك ببسط جمهرة من الأغراض العلائية البعيدة الأغوار ، مما لم يتسع له تعليقنا على النص الكامل الذى توخينا فى شرحه ما وسعنا من قصد وإيجاز .

***

وقصارى رجائنا أن تكون فصول هـذا الهامش وأجزاؤه عوناً لشبابنا على تفهم ما استسر من مغالق الغفران وخباياها ، ورائداً يكشف لهم ما دق من غوامضها وخفاياها ، وهادياً يؤمنهم مخاوف الطريق ، إلى روائع هذا الكنز السحيق ، ويقفهم على مرامى هذا الفيلسوف البارع ، ويجلو لهم بدائع لفتاته وأمثلته ، ومفاتن صوره وأخيلته ، ويدلهم مقاليد فلسفته .

١٥ — ذهب ونحاس

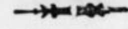
وقد أضفنا بما ترجمناه وقبسناه وشرحناه — كما أسلفنا القول فى « حديقة أبى العلاء » — إلى ما يحتويه المنجم العلائى من حر ذهبه الأصفر ، قليلاً من النحاس الأحمر ، ليصبح كالعملة الذهبية الحديثة ، أقرب تداولاً ، وأدنى تناولاً ، وأيسر جدوى .

كامل كيلانى

في مؤتمر المحامين العرب

وزير مصر ممهد للوحدة العربية

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف



التعارف سبيل التآلف فى الميول والرغبات ، والتفاهم على المقاصد والغايات ، والأخذ بأسباب المودة الوطنية الأكيدة ، وإذا قلت التعارف فلست أقصد ما يجرى من ذلك على الأوضاع الرسمية والتقاليد الدبلوماسية ، وإنما أعنى التعارف الذى تتقارب به الأرواح ، وتمازج فيه العواطف ، وتتضامن به الفكر والغايات ، فيكون كل فرد فى دائرته قِبلة صاحبه ووجهته ، ويكون الجميع فى هذه الدائرة حلقة متماسكة لا تنفصل ، وقوة متساندة لا تباين ، ووجهة واحدة فى تحقيق الخير الشامل والصالح العام

هذا التعارف أحوج ما تكون إليه الأمم العربية ، وهى فى هذا الطور تنشد الوحدة بين أفرادها ، والتعاون بين حكوماتها ، والتآلف بين أبنائها ، والتضامن القوى الجميع فى تحقيق الآمال المشتركة والأغراض المتفقة والغايات المنشودة . وإذا كانت تلك الأقطار ظلت نحو ربع قرن من الزمان وهى تكافح فى هذا السبيل ، فإن كل أمة بقيت فى هذا الكفاح محصورة فى ميدانها ، ولم يكن يربطها فى ذلك إلا زيارة وزير تجرى على الوضع الرسمى ، أو نقلة كبير يقوم بها عابر سبيل إن صح أن يكون هذا رباطاً بين الأشقاء الخلصاء .

وفى الفترة الأخيرة فطنت الأمة العربية إلى ما يجب عليها فى هذا الشأن من توطيد التعارف وتبادل العواطف ، ورأت أن خير ما يؤدى إلى هذا السبيل هو عقد المؤتمرات العامة ليلتقى بذلك قادتها وزعماؤها ، وليكون مدعاة تقاربها وامتزاجها بما يتم من تبادل الرأى وتضامن الأفكار فى تحليل المسائل الهامة وتذليل العقبات الصعبة ، والتغلب على ما يقف فى سبيل نهوضها . وإننا لنكتب هذه السطور وقلوبنا مفعمة بالغبطة والبهجة لقد

مؤتمر المحامين العرب الذى دعت إليه سوريا ، قد تم على صورة رائعة موفقة دلت على الصدق والإخلاص فى الأخذ بأسباب نهضة شاملة ووحدة جامعة ، ويقظة تملأ النفوس والقلوب ، وإذا كانت سوريا قد أحسنت فى الدعوة إلى عقد هذا المؤتمر الهام فى هدفه وغايته ، وإذا كانت قد أحسنت مرة أخرى ، إذ دعت إليه جهابذة القانون وعلماء التشريع فى مصر ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ، فنهضوا إلى تلبية دعوتها الكريمة فخورين مبتهلين ، فإن مصر قد أحسنت من جانبها كل الإحسان ، إذ رأت أن يكون رئيس الوفد المصرى فى هذه السفارة وزير العدل ، ثم أحسنت كذلك مرة أخرى إذ اختارت صاحب المعالى الأستاذ محمد صبرى أبو علم باشا بذاته ، ليكون رسول أمته فى تبليغ أمانيها وتوضيح غاياتها بين وفود العروبة فى هذا المؤتمر ، فإنه بعقله وحكمته ، وبما حباه الله من سعة الإدراك والمواهب ، وبما تم له من شرف السمعة وقوة الخبرة أبلغ ما يكون فى تبليغ الرسالة ، وأقدر ما يكون لحمل الأمانة ، وأوفق ما يجب لتمثيل مصر الزعيمة بين وفود الأقطار الشقيقة

أحسنت مصر كل الإحسان ووفقت حكومتها كل التوفيق فى اختيار معالى صبرى باشا فى هذه المهمة نظراً لما اكتمل بشخصيته من بلاغة الحجة ، وبراعة التعبير ، ودقة البحث وعمقه فى ميدان التشريع ، ثم هو فى ميدان الدعوة للعربية يمتلئ غيرة وحماسة ، ويتدفق إيماناً بالحق ويقيناً بالصدق ، مما وسع له فى المنزلة والمكانة فى قلوب أبناء الأقطار الشقيقة ؛ فكلهم له أخ وصديق ، وهو لهم جميعاً أخ وصديق ، لهم فى قلبه وفى نفسه ما له فى قلوبهم وفى نفوسهم ، ولا ريب أنه كان يعبر عن ذات نفسه أصدق تعبير ، إذ قال عند سفره : « إننى بانتقالى إلى سوريا أنتقل إلى قطعة من مصر وأهل هم من أبناء مصر » ، لأنه هكذا يرى فى كل قطر من أقطار العربية وهكذا إحساسه نحو أبناء العروبة .

ولقد كانت لفتة بارعة من هذا الفطن اللبق ، إذ تقدم إلى فخامة رئيس الجمهورية السورية بهدية متواضعة فى قيمتها ، ولكنها عظيمة فى دلالتها . أجل لقد قدم إلى فخامته مسبحة

حجازية ، وماذا تكون قيمة المسبحة مهما بلغت ، إلا أنها جلب من الحجاز الشقيق ، فهى إشارة لها مغزاها ومعناها فى الحرص على جمع الشمل ، وتوطيد الوحدة الجامعة ، وإلا فما كان أهون على الوزير أن يختارها هدية منسوبة إلى مصر ، ولكنه يرى أن مصر والحجاز وسوريا وسائر الأقطار الشقيقة كلها وطن العروبة ، وكل ما فيها عام للجميع .

بهذا الشعور الفياض الدافق قصد معالى صبرى باشا إلى ملاقاة أبناء العروبة فى سوريا ، وبمثل هذا الشعور اليقظ النابض تلقوه مرحبين مبتهجين يرون فى صورته صورة مصر الزعيمة الأمينة ، ويلمسون فى إحساسه الشريف إحساس مصر الصادقة النيير ؛ فهو ينزل فيهم على الرحب والسعة ، ويمشى على الإكرام والتكريم ؛ فاستقبله فخامة الرئيس استقبالاً يفيض بالمحبة والمودة ، ودعاه الوزراء والكبراء إلى حفلات تكريم هى مظهر الصداقة والأخوة ، وصدرت الصحف كلها مزدانة بصورته ، تطرى فيه عالماً جليلاً وقائداً مجاهداً ووزيراً مشرعاً ورسولاً كريماً من الكنانة الخالدة إلى شقيقتها المحبة المخلصة ؛ فماذا يكون هذا كله وما الغرض منه والدافع إليه إلا أنها عواطف أبناء العروبة ، نضجت على الأخاء واستوت على الرخاء ، وإلا أنها منزلة كريمة لمصر بين شقيقاتها من الأمم يرفع لواءها زعيم مصر ويؤدى رسالتها وزير مصر

لقد تجلى هذا الشعور كأوضح ما يكون فى موقف الوزير فى حفلة افتتاح المؤتمر ليؤدى تحية النيل — على حد تعبيره — إلى بردى والفرات وفلسطين ولبنان وشرق الأردن مقرونة بالإعجاب وعرفان الجميل . فلم يقف فى أداء هذه التحية عند واجب المجاملة الكلامية ، بل ولم يقف عند الحدود المرسومة لمباحث المؤتمر ومداولاته ، ولكنه امتد فى التحية بما تطمع إليه مصر وما ترجوه لشقيقاتها من الخير وما تتمنى أن يكون من عقد المؤتمرات النافعة المثمرة ، إذ قال فى خطبته موجهاً الخطاب إلى فخامة رئيس الجمهورية السورية ورجال حكومتها الأماجد وأعضاء المؤتمر :

يا فخامة الرئيس

يجتمع حولك فى هذه القاعة ممثلو البلاد العربية ، وإن اجتماعهم فى هذه الظروف وفى هذه المناسبة لفياض بالمعانى ، جياش بالحقائق ، هاتف بالرجاء فى المستقبل ، عازف بألحان الأمل البسام ، هابط برسالة المجد والسلام ، ناشر لصحيفة من الصحف الأولى ، صحف الأولين الخالدين من أبطال التاريخ العربى المجيد

نجتمع هنا فى هذه القاعة حاملين إلى فخامتكم ، وإلى حكومتكم ، وإلى كل أمة ممثلة هنا صورة من الآمال التى تحدونا ، وآية من المجد الذى يناديننا ، ونوراً من الإصلاح الذى نعمر به نوادينا ، نجتمع لا لنستلهم مجداً فردياً . ولا لنستمطر السماء على بلد دون آخر . إن لساننا ليهتف مع الشاعر العربى إذ يقول :

ولو أنى حبيت الخلد فرداً ... لما أحببت بالخلد انفراداً
فلا هطلت على ولا بأرضى ... سحائب ليس تنتظم البلادا

وإن الوحدة التى يبغيها المحامون المجتمعون هنا للتشريع هدفاً وغاية هى صورة مصغرة للوحدة التى تبتغيها الأمم العربية فى الحياة مثلاً أعلى وحصناً تحتمى فيه عند كل ملمة ، وبقدر ما يصادف هذا المؤتمر من توفيق ونجاح تتفتح أبواب الخير لمشروع الوحدة العربية ، وإننا إن شاء الله لواصلون إلى تحقيق هذا المشروع ؛ فإن مشروعاً عظيماً كهذا تخفق من حوله قلوب الملايين من أبناء الأمم العربية داعية مبتهلة وتتولاه أيدى كرام الزعماء الذين وضعوا أيديهم فى يد زعيم مصر رفعة مصطفى النحاس باشا بعد أن عاهدوه على العمل لإنقاذه وجعله حقيقة لمشروع مكتوب له التحقيق والتوفيق إن شاء الله

وهذا كلام طيب يملأ كل نفس مخلصة بالغبطة ، ولقد كان وقعه فى نفوس المؤتمرين جميلاً إذ قابلوه بالتصفيق والهتاف تحية لمصر المجاهدة وتقديراً لوزيرها الصادق الأمين وإكباراً لطموحها الموفق السديد ، ولن يسع كل عربى مخلص إلا أن يكبر المعنى المقصود فى هذا الكلام وأن يسأل الله تحقيق الأمل فيه .

محمد فهمى عبد اللطيف

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٩٢ — وإذا المودة أقرب الأنساب

في الأغاني : قال طوق بن مالك للعتابي : أما ترى عشيرتك — يعني بني تغلب — كيف تُدل عليّ ، وتتمرغ وتستطيل وأنا أصبر عليهم

فقال العتابي : أيها الأمير ، إن عشيرتك من أحسن عشرتك ، وإن عمك من عمك خيره ، وإن قريبك من قرب منك نفعه ، وإن أخف الناس عندك أخفهم ثقلاً عليك وأنا الذي أقول :

إني بلوت الناس في حالاتهم … وخبرت ما وصلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً … وإذا المودة أقرب الأنساب

٥٩٣ — إذ صار بيدي ساعة واحدة

قال الحسن بن علي بن حسين لامرأته عائشة بنت طلحة : أمرك بيدك

فقالت : قد كان عشرين سنة بيدك فأحسنتَ حفظه ، فلن أضيعه إذ صار بيدي ساعة واحدة ، وقد صرفتُه إليك . فأعجبه ذلك منها وأمسكها

٥٩٤ — دية المسيح

« عيون الأخبار » : ولى أعرابي[1] بعضَ النواحي ، فجمع اليهود في عمله وسألهم عن المسيح ، فقالوا : قتلناه وصلبناه

قال : فهل أديتم دِيَته ؟

قالوا : لا

قال : فوالله لا تخرجون أو تؤدوها ، فلم يبرحوا حتى أدّوها

(١) في « العقد » : هو أبو مهدية ، ولي جانباً من اليمامة ، وكان به قوم من اليهود أهل جدة . (قلت) الجدة : الغنى . والواجد : الغني

٥٩٥ — تمثالا تدمر

قال أبو دلف في التمثالين اللذين في تدمر :

ما صورتان بتدمر قد راعتا … أهل الحجى وجماعة العشاق
غبرا على طول الزمان ومرّه … لم يسأما من ألفة وعناق

وقال محمد بن الحاجب يذكرهما :

أتدمر ، صورتاك هما لقلبي … غرامٌ ليس يشبهه غرام
أقل من التعجب : أي شيء … أقامهما فقد طال المقام
يمر الدهر يوماً بعد يوم … ويمضي عامُه يتلوه عام
ومكثهما يزيدها جمالاً … جمال الدر زيّنه النظام !

وقال أبو الحسن العجلي :

أرى بتدمر تمثالين زانهما … تأنق الصانع المستغرق الفطن
هما اللتان يروق العين حسنهما … يستعطفان قلوب الخلق بالفتن

٥٩٦ — فكلفتنا ضيق الضمان

كلم رجل آخر في أن يؤخر شيئاً على غيره ، فقال : اضمن أنت عنه

فقال : أردنا منك سعة المهلة فكلفتنا ضيق الضمان .

٥٩٧ — ترى النص إلا أنها تتأول

الوزير عون الدين بن هبيرة :

يلذ بهذا العيش من ليس يعقل … ويزهد فيه الألمعي المحصل
إلى الله أشكو همة دنيوية … ترى النص إلا أنها تتأول

٥٩٨ — هذا هو الحر الذي ينبغي أن يصطنع

نفح الطيب :

لما ورد ابنُ القراء الأخفش على المرية مدح رفيعَ الدولة ابن المعتصم . فقال له من أراد ضرّه : يا سيدي ، لا تُقرّبْ هذا اللعين ، فإنه قال في اليهودي :

ولكنَّ عندي للوفاء شريعةً
تركتُ بها الإسلامَ يبكي على الكفر

فقال رفيع الدولة : هذا (والله) هو الحرُّ الذي ينبغي أن يُصطنع . فلولا وفاؤه ما بكى كافراً بعد موته ، وقد وجدنا في أصحابنا من لا يرعى مسلماً في حياته .

مآثر النـــور ...

شعر علمى

الأستاذ نقولا الحداد

أما خلق الضياء لنا العيونا؟ وشقَّ لها عن المُقَل الجفونا[١]
رسولُ النور يستدنى الأقاصى وعنها يشرح الخبر اليقينا[٢]
جمال الكون لاح بوجنتيه وداجى هجره طمس الظنونا
إذا ما غاب لم يفقد ضريرٌ بصـيرته ويعمى المبصرونا
بدت صُحُفُ الضيا تطوى رسوماً
بدائعَ ثم تنشرها فنـــونا[٣]
ودَّبجتِ المروجَ الخضرَ لما طلت أزهارها لوناً فلونا[٤]
فما بين احمرار وازرقاقٍ تموَّجت الأزاهرُ يزْدَهِينا
فيالك من شِعاعٍ[٥] ناظماتٍ قصدَ الروض يسحرنا فتونا

(١) بمقتضى نظرية التطور ، تنشأ أعضاء الجسم الحى حسبما تقتضيه عوامل البيئة . وفى رأى داروين وسبنسر وغيرهما أن حاسة البصر كانت فى الأحياء الدنيا كالديدان مثلا فى سطوح أجسامها . فترى دودة الطين التى يستعملها صيادو السمك طعما فى سنارتهم — تراها متى ظهرت للنور تتلوى كأنها ميزت بين النور والظلمة ، وهى لا عين لها . وعلى تمادى التطور ، تجمعت حاسة البصر فى الحيوانات الفقارية فى بؤرة واحدة أو « بؤرتين أو أكثر » وهى العين ، فبهذا المعنى ابتدع النور العين

(٢) النور الذى ينعكس عن الأجسام ، يأتينا بأخبار صفاتها المرئية ، كاللون والحجم والحركة والمسافة الخ ... والنور الذى يصدر من الأجرام السماوية يأتينا بأخبار ما فيها من عناصر ولمعات وحرارة ، وما لها من سرعة واتجاه الخ .. والشطر التالى تلميح لهذا

(٣) كأن النور صحائف ، ترسم فيها صــور الأشياء المختلفة والفوتوغرافية مثل لهذا

(٤) الثابت علميا أن الألوان ليست فى الأشياء التى نراها ، بل هى فى الجهاز العصبى البصرى وفى المراكز الدماغية ، وإنما يختلف لون عن لون باختلاف تأثير موجات الأشعة في العصب البصرى وموجات الأشعة المنعكسة عن الأشياء تختلف بالطول والعدد فى الثانية (كموجات الراديو) فأطولها يفعل اللون الأحمر وأقصرها اللون الأزرق . وحاصل القول أن موجات النور تبتدع الألوان

(٥) شعاع بكسر الشين جمع شعاع بضمها

فموسيقى الضياء تريك نقشاً وموسيقى الأفانين الأنينا[١]
إذا هبَّ النسيم وفاض ضوءٌ تهللت الربى وصفت معينا
وإن غمَرَ الرياضَ سنا ذكاءٍ تفجرتِ الحياةُ بها عيونا
وحيَّتها الطيـور مغنياتٍ وقد رقصت حدائقها غصونا

أيا قمراً يريدُ سناك يحوى رسالاتِ الهوى للعاشقينا
وعندكِ تلتقى الأبصار تروى إذا أصغيتُ عن مهجٍ شجونا
فكم من عاشق ناغاكَ وجداً وكم من مدنف ناجى حزينا
ألم يُمْلَأْ سِجلُّكَ من قضايا
غرام مسامريك مدى السنينا ؟
فما فتواكَ فى شيخ تصابى وهام بكاعبٍ بكرٍ جنونا
أتأتلف الحمامةُ مع بعيرٍ وتألف ظبية بغلاً حَرُونا
ألا سل جدة الأقمار[٢] ماذا دهاها حين قاربت العرينا
بدا الضرغام يكبرها ألوفاً تهادى نحوها يمشى الهوينا[٣]
وداعبها وراودها فعفت فعاهدها يكون لها قرينا
فقالت : ويكَ لو زفُّوا الجَدْيَ حفيدَته وربك يكفرونا
وجاذبها إليـــه فدافعته تمزِّق عن محياها الجبينا
فصدَّته وقد ثقلت عليه تُفَأل الغيظ سجِّيلاً وطينا
وما ركلته حتى فرَّ عنها وأصبح من تغضبها أمينا
وقد بقيت قذائفها لديها كواكبَ دائراتٍ يجتلينا

(١) قد يكون هــذا الشطر غامضاً . ولــكن اللبيب لا يغمض عليه المعنى ، وهو أن « موسيقى حفيف الغصون تسمعك الأنين حملا على موسيقى الضياء التى تريك نقشاً » ، وذلك لما بين الموسيقيين من التشابه . فلكل فيها سلم ، ذات سبع درجات — سبع نغمات وسبعة ألوان رئيسية .

(٢) جدة الأقمار الشمس وهى أم السيارات . ولبعض السيارات غير الأرض أقمار . فللمريخ قمران والمشترى تسعة أقمار ولزحل تسعة ولأورانوس أربعة ولنبتون قمر واحد

(٣) الرأى الأخير فى ولادة السيارات من الشمس أنه فى دهر من الدهور المتقادمة جداً ، اتفق أن مرت الشمس على مقربة من نجم أكبر منها ألوف الأضعاف . ففعل فيها بقوة الجذب مداً وجزراً ، كما يفعل القمر فى بحار الأرض . فارتفع قدر كبير من كتلتها ، وهى غازية ، كعمود ضخم . فقطعته قوة الجذب من الجانبين قطعاً ، ولما جاز النجم والشمس يتباعدان بقيت تلك الكتل المقطعة تدور حول الشمس سيارات ، وفى الأبيات التالية تلميح لكل هذا

ولهذا الرأى تفصيل واف فى بعض مؤلفات السير تجايمس تجنيز ، وفى مقالة له فى دائرة المعارف البريطانية ، وهو أول من شرح هذه النظرية المسماة الرأى المدى Tidal Theory



فى سبيل وحدة الوجود

قرأت الكلمة الأخيرة للأستاذ دريني خشبة فى الرد على الأستاذ معروف الرصافى ، وهى كلمة لا تتسق مع موضوع البحث ، لأن الأستاذ دريني سلك فيها مسلك التحدى للأستاذ الرصافى ، وذلك مسلك لا أرتضيه فى أمثال هذه المساجلات

وسبب هذه المعارك القلمية يرجع إلى آرائى عن وحدة الوجود فى كتاب التصوف الإسلامى ، وكان المنتظر أن أقول كلمة فى الفصل بين أولئك المتخاصمين ، ولكنى سكتّ عن عمد ، لأن تلك المعارك اتجهت وجهة دينية ، مع أن نظرية وحدة الوجود نظرية فلسفية ، والدين يلاقى الفلسفة فى حين ويفترق عنها فى أحيان

كنت أستطيع أن أفصل بين أولئك المتخاصمين ، لأن كتابى سبب هذه الخصومة ، ولأنى شغلت نفسى بدرس هذه النظرية عدداً من السنين ، ولكنى رأيت أن أقف على الحياد ، لأن اشتراكى فى المناظرة سيزيدها احتداماً إلى احتدام ، وسيسوقنا جميعاً إلى متاعب فكرية تزلزل العقول ، وتبلبل القلوب

أنا حاضر لخوض هذه المعركة من جديد ، ولكن أين الميدان ؟

سيتصدّى للرد علىّ ناس لا يفهمون مرامى كلامى ، كالناس الذين زعموا أنى أنكرت إعجاز القرآن فى كتاب النثر الفنى ، مع أن آرائى فى إعجاز القرآن هى الآراء الباقية ، وإن قال بعض الخلق إنها من الكفر الموبق !

لن أعيد القول فى نظرية وحدة الوجود إلا يوم أضمن أن ينظر الناس لحرية الرأى ، كما كان ينظر المسلمون إلى تلك الحرية فى عهد ازدهار المدنية الإسلامية

أما اليوم فأنا يائس من حرية الرأى ، فكل كاتب يحاول أن يكون واعظاً فى مسجد ، أو راعياً فى كنيسة ، كأن الفكر الحرّ من القيود لم يبق له مكان فى هذا الوجود

والذى يهمنى فى هذه الكلمة الوجيزة هو دعوة الباحث الفضال الأستاذ دريني خشبة إلى اجتياز عقبات هذه المساجلة بأسلوب لا يجرح الأستاذ الرصافى ، ولا يصور الباحثين المصريين بصورة المتعنتين

وكنتُ وعدت بالرد على الأستاذ الرصافى ، وسأفى بما وعدت ولكن بالتجمل والترفق ، فما يجوز أن أجرح رجلاً شغل نفسه بتأليف كتاب يردّ به على كتابين من مؤلفاتى ، والأستاذ دريني يعرف أن الذوق هو خير ما دعا إليه الأنبياء

والمودة الوثيقة التى أضمرها للأستاذ دريني توجب علىّ أن أدعوه إلى الاقتصاد فى الغض من نظرية وحدة الوجود ، فهي نظرية عبقرية ، وهى خير ما جادت به قرائح الفلاسفة فى تاريخ الفكر الإنسانى ، وليس من السهل أن تنهدم بمقالات يؤازره فيها الأستاذ عبد المنعم خلاف ، وإن بلغا الغاية فى قوة الحِجَاج

أنا أحترم كل رأى يصدر عن عقيدة ، وإن أنكره عقلى ، ولا أحتقر غير الآراء التى تصدر عن الرياء

ومن المؤكد عندى أن الأستاذ دريني والأستاذ عبد المنعم يصدُران عن عقيدة فى الغض من نظرية وحدة الوجود ، فأنا أنظر إلى ما يكتبان بعين المحب العطوف

فإن قال قائل : وكيف جاز أن أسكت عن تأييد هذه النظرية والأقلام تنوشها من كل جانب ؟ فجوابى أننى قلت فيها كل ما أملك من القول فى كتاب التصوف الإسلامى ، وأنا أكره الحديث المعاد

وأنا أيضاً نقضت هذه النظرية بعد أن شرحتها فى كتابى ، لأن طريقتى فى التأليف تقوم على أساس الاستقصاء فى موازنة الآراء

وهنالك مشكلة سكت عنها الأستاذ دريني ، وهى تأثير تلك النظرية فى الحياة الإسلامية ، إن كان قرأ الفصل الخاص بالمدائح النبوية فى كتاب التصوف الإسلامى

فما رأيه فى هذه المشكلة ، وهى من كبريات المشكلات ؟

سيدفع الأستاذ دريني ثمن المودة التى أضمرها لروحه اللطيف ، والثمن هو دعوته إلى قراءة كتاب التصوف الإسلامى مرة ثانية ليرى كيف أقمت نظرية وحدة الوجود على أمتن أساس

يسرنى أن أساجل باحثاً له فى نفسى منزلة الصديق الغالى ، ويسرنى أن ينتصر فى المساجلة ؛ فما لى غرض غير الوصول إلى الحق ، ولو كان دليلى إليه أعدى أعدائى

أنا أعلن إيمانى بنظرية وحدة الوجود على نحو ما ذهبت إليه فى كتاب التصوف الإسلامى ، ولن أرتاب إلا باقناع ، فهل تستطيع إقناعى يا أيها الصديق ؟

يجب أن تعرف أنى سأقهرك على المشى فوق الأشواك ، وأنى سأصل إلى إقناعك بما لم يقنعك به الأستاذ معروف الرصافى

أنت تهدد بالعودة من المصيف ، لتجتاح خصومك

وأنا أهددك بما ادّخرت لعقلى وقلبى من هجير مصر الجديدة

فتعال إلى مساجلتى يا أيها الصديق الغالى

وأساس المساجلة أن تترك التفكير فى أن نظرية وحدة الوجود تجنى على العقيدة الإسلامية

وأنا أعتذر بالنيابة عنك للأستاذ معروف الرصافى ، وهو رجل أعفى نفسه فى جميع أطوار حياته من الرياء ، وسيكون له فى تاريخ الشعر والرأى مكان

إنه رجل يعتذر عن الضعف بشيخوخته ، فكيف تستطيل عليه بشبابك ؟

سأرى ما تجيب به يا صديقى بعد عودتك من المصيف ، وإن كان لى سبيل إلى الهرب من مصاولتك ، وهى أنى أستعدّ لشرح مسابقة الأدب العربى ، فقد بدأتها فى الرسالة منذ أعوام ، ومكانها فى مجلة الرسالة وهو مكانها الأول ، فإلى اللقاء بعد أسابيع .

زكى مبارك

من الأستاذ خليل مطران إلى الأستاذ عبد الرحمن صدقى

حضرة الأديب الكبير والصديق الكريم الأستاذ عبد الرحمن صدقى

كتبتَ لأبى نواس ترجمةً وافيةً من طراز جديد ، بلغة لا تختلف إلا قليلاً ، فُصحَتُها فى هذا العهد ، عما كانت فى أزهر عهودها . وقد آثرت لها الأسلوب القصصى البارع فى الجانب الذى صَلُح منها لهذا الأسلوب ، فبلغتَ بقوة الخيال وحسن السبك ، مع مراعاة الحقيقة التاريخية غايةَ ما يبلغه الكاتب القصصى المجيد من التشويق . وكم كانت لك جولةٌ متعمقة وموفّقة فى نواحى تلك النفس المنغمسة فى الشهوات ، الحائرة المرتابة ، المؤمنة فى النهاية ، التى فعلت فيها البيئة الظرفية أفاعيلها على الولاء

وما من شك فى أن ذلك الشاعر المطبوع - الذى لم يدرك ذروته شاعرٌ فى العرب بعذوبة اللفظ ، وجلاء المعنى ، وطرافة الفطن ، وبداعة التصوير - قد ظل طوال أيامه ، وعلى اختلاف الحوادث التى مرت ، وعلى علاتها الجمة ، صادقاً مع نفسه كل الصدق فيما استقر عليه رأيه الأدبى ، أو الاجتماعى ، أو معتقده الدينى . ولذلك يستحق المعذرة لعبقريته ، وإن تصرّف فى سيرته المتهتكة تصرفاً لا يحبه الناس من الرجل العظيم

فأشكر لك هديتك ، وأثنى عليك بما يحق لك . ولئن عاقنى عن التوسع فى متابعة دراستك الحلوة ضعفُ جسمى ووهن عزمى ، لقد أوجزت لك بكلمة ما جرى به القلم على قدر

بارك الله فيك ، ويسّر لك أن تزيد العالم العربى من ثمرات ألمعيتك .

خليل مطران

حول الخوارزمى

حجزتنا أشاغيل طرآنية عن التعقيب على كلمة الأستاذ على محمد حسن فى حينها ، ونحن إذ نحمد للكاتب يقظته فى تتبع السقطات والعثرات فى كل مقال أو قصيد ، نحب أن نطمئنه إلى أن « ظلم القرون » الذى تطوع بإزالته عن أبى بكر الخوارزمى ، قد فطن إليه المتأخرون من نقدة الأدب العربى ، ونحسب أن أحد المستشرقين وضع بحثاً علمياً فى المناظرة بين البديع والخوارزمى ، كما أن الدكتور عبد الوهاب عزام سلسل فى « الرسالة » قبل سنين مقالات ماتعة أزال بها الوهم الذى علق بأذهان المتأدبين فيما يتصل بهذه المناظرة التى وصفها الخوارزمى نفسه بأنها « شعبذة » ، وإذا لم تكن شعبذة فليست من الأدب فى شىء .

كذلك لم تغب عنا المراجع التى نقل عنها الأستاذ أسانيده فى نصفة الخوارزمى ، ومع احتفاظنا برأينا فى أدب الرجلين لا نجزم بصحة المناظرة ، ولا بجدّيتها إن صحت ، وإنما جرنا إلى

ذكرها في مقالنا الأول سياق الكلام لنثبت « رجعية » النظرة إلى الأديب من كلام الصاحب بن عباد الذى نسب إليه أيضاً قوله : « لو أدركت عيسى بن الهمذانى لأمرت بقطع يده » فلما سئل فى ذلك قال : « لأنه جمع شذور اللغة فرفع عن المتأدبين عناء البحث » يعنى بذلك كتاب « الألفاظ الكتابية » ومعنى هذا أن كل من وضع موسوعة أو صنف معجماً استحق فى دين « الصاحب » قطع يده ... نسأل الله السلامة !

منصور جاب الله (الرمل)

حول أغلاط أيضاً

فى عدد الرسالة الأخير تصويبات لغوية للأستاذ عبد الحميد ناصف المدرس بكلية اللغة العربية[1] ، وقد أدهشنى أن أرى فيها كثيراً من الأخطاء التى لا يصح إغفالها والسكوت عليها فآثرت أن أنبه على بعضها

١ — يدعى الأستاذ أن الصدفة كلمة لغوية بالرغم مما شاع من عدم لغويتها ، فكثير من المعاجم وكتب اللغة كاللسان أوردها ، وفى حديث أبى ذر (والبر ما حاك فى النفس ولم تلده الصدفة)

ولقد اطلعت على اللسان والقاموس والمختار والمصباح فلم أجد كتاباً أورد لفظ صدفة ، على أن الذى حيرنى واستوقفنى وأثار عجبى هذا الحديث الذى ذكره . وليت شعرى كيف يسيغ الأستاذ مثل هذا الخلط العجيب الذى لا تصححه رواية ، ولا تجيزه دراية ولا يلتئم عليه معنى ؟ وهل يستجيز عقل أو يستبيح ذوق أن يكون البر ما يحوك فى النفس ويتردد فى القلب وأين يقع الإثم إذاً ؟

لقد ورد هذا الحديث فى كتب السنة هكذا (عن النواس ابن سمعان رضى الله عنه) قال : سألت رسول الله (ص) عن البر والإثم فقال : البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس . وفى رواية أخرى سأل رجل رسول الله (ص) عن البر . فقال : جئت تسأل عن البر . قال : نعم . فقال : استفت قلبك ، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك ، وهكذا كل روايات الحديث ، وهى موافقة للمعنى المستقيم الذى يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، ولم يرد فيها لفظ الصدفة ، ولا هى مما تمت إلى معانيه بسبب . فمن أين أدخلت على الأستاذ روايته وكتب السنة بأجمعها دون استثناء ليس فيها كلمة صدفة المقحمة فى هذا الحديث

وأعجب شىء أن يستدل بصحة هناء بقول الشاعر :

هناء محاذاك العزاء المقدما فما عبس المحزون حتى تبسما

ومن هذا الشاعر الذى احتج بقوله ؟ هو ابن نباته المصرى المتوفى سنة ٧٦٨ هـ . قاله فى تهنئة الملك الأفضل صاحب حماة ، وتعزيته فى وفاة والده المؤيد . فهل ابن نباته ممن يحتج بكلامهم فى اللغة أم ذلك مذهب جديد فى فن الاحتجاج والاستشهاد

٢ — وصف الجمع بصفة المفرد لعله لم يرد إلا فى كلام المؤلفين وافتراضات المتأخرين ؛ فإن ذهبت تلتمس له شاهداً صحيحاً من كلام العرب أعجزك العثور عليه . أما البيت الذى زعم أن جريراً قاله فلا يوجد فى ديوانه ولا هو مما يشبه شعره

عبد الحميد المطرى

ملاحظات ورجاء

اطلعت على القسم الثانى من ملحمة السراب للأستاذ الكبير الدكتور إبراهيم ناجى فى العدد ٥٧٥ من الرسالة الغراء ، فأعجبنى تصويره أيما إعجاب حيث تجلت فيه عبقرية الشاعر العظيم . وبينما كنت فى طريقى أثناء قراءة الملحمة لاحظت عند منتهاها قبل البيت الأخير أن ضلع الشطر الثانى مكسور وهذا هو البيت :

مرحباً بالهوى الكبير فإن يبـــق وإن تسلمى بطب لنفسى البقاء

ويمكن الجبر بحذف شىء منه أو بتغيير الشطر ، وقد سبق فى العدد الماضى من الرسالة ٥٧٤ أن أبدى الأستاذ على محمد حسن رأيه فى القصيدة المعنونة بالسراب ، حيث لاحظ كسراً فى ضلع بعض الأبيات . والقصيدتان من بحر الخفيف ، فأرجو أن يتفضل الشاعر الألمعى فيجبر الكسر مع قبول عظيم تشكراتى وخالص تحياتى .

« مكة المكرمة » يوسف قبتى

(١) « الرسالة » كتب إلينا الأستاذ ناصف يتبرأ من هذه التصويبات ويقول أنها مدسوسة عليه ، فهذا الرد موجه إلى ذلك الجاهل المجهول

12 me Année No. 583

Lundi - 4 - 9 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٥٨٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٦ رمضان سنة ١٣٦٣ — الموافق ٤ سبتمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـرس

صفحة

٧٢١ زواج الأقارب والأباعد . . : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٧٢٤ شعراء الشباب ووجوب عنايتهم بثقافتهم الخاصة ... : الأستاذ دريني خشبة ... ..
٧٢٦ « داعى الدعاة » مناظر المعرى : الدكتور محمد كامل حسين ..
٧٢٨ بقية فى المعانى والظلال ... : الأستاذ سيد قطب ... ...
٧٣١ كتاب للمصايد والمطارد ... : الأستاذ سعيد الديوه جى . .
٧٣٣ فساد الطريقة فى كتاب « النثر الفنى » ... ... : الأستاذ محمد أحمد الغمراوى
٧٣٦ نقل الأديب . ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى
٧٣٧ قصر الهودج .. [قصيدة] : الأستاذ على أحمد باكثير ..
٧٣٨ عودة إلى وحدة الوجود ... : الأستاذ قولا الحداد ...
٧٣٩ حول وحدة الوجود .. : الأستاذ إبراهيم السيد عجلان
٧٣٩ من غير تعليق . . ... : الأستاذ سيد قطب ... ...
٧٤٠ تصويب . . . . : الأديب حسين محمود البشبيشى
٧٤٠ « مجلة الأنصار » ... .. : ... ...

زواج الأقارب والأباعد

للأستاذ عباس محمود العقاد

... ...

« هل لى أن ألتمس لديكم الرأى فى أمر عنّ لى لم أوفق إلى غيركم أطمئن إليه ... لأعهد إليه فى الإجابة الشافية القويمة ؟

« والمسألة هى مسألة زواج ذوى القرابة وخصوصاً القرابة « القريبة » بين من يسميهم الإنجليز أبناء العمومة cousins

« فقد زعم بعض من كتب فى هـذا الموضوع وقرأت لهم أن النسل يأتى هزيلاً معتل البنية والذهن ، كلما اقترب الزوجان فى النسب ، (ولنضرب مثلاً لذلك صاحب كتاب أصول الحضارة فى تدعيمه رأيه ببيوتات أوربا المالكة) ، كما قرأت أيضاً ما ينفى هذ القول ويثبت نقيضه .

« ثم إننى رأيت أن نبينا محمداً صلوات الله عليه قد ذهب إلى تزويج بنتين من بناته من رجلين من ذوى قرباها القريبة . فاستنتجت من ذلك أن لا غضاضة ولا مضرة فى مثل هذا الزواج .

« ومن هنا ترون التضارب والخبط بين علماء أوربا وأدباء العربية القدامى فى أمور هى من الأهمية بالمكان الأول ، لأنها تتعلق بمستقبل بنى الإنسان وما يرجى لهم على هذه الأرض من

ارتقاء فى بنية الجسوم والعقول والأخلاق .

« وعلى هذا نلتمس بين يديكم الحجة والصواب فى هذه المشكلة من الناحية البيولوجية والعلمية . . . وأما ونحن بصدد الزواج وما يدور حوله فليسمح لى الأستاذ أن أستفتيه فى اقتران المصريين من الأوربيات الغربيات من الناحية البيولوجية الحديثة . . . »

(الاسكندرية) « م . ث »

***

ومسألة الزواج اليوم ـ وبعد الحرب الحاضرة على الخصوص ـ هى إحدى المسائل التى يتجدد البحث فيها ، أو يعاد النظر إليها على ضوء من العلم الحديث والتجارب السابقة واللاحقة فى المجتمعات المختلفة ، حسبما تدين به تلك المجتمعات من العقائد الدينية والسياسية ، ولا سيما المجتمعات التى تفرض عليها عقائدها رأياً خاصاً فى بناء الأسرة وعلاقات الرجال والنساء .

فالنظر إليها من بعض جوانبها مقدمة لنظرات كثيرة فى الواقع سيشغل بها أبناء مصر مختارين أو غير مختارين بعد زمن قصير .

ومن هذه الجوانب التى تستحق النظر أو تستحق إعادة البحث فيها جانب الزواج بين الأقارب والأباعد ، وما يقوله عنه المختصون بهذه الشؤون من علماء الاجتماع ومؤرخى طبائع الأجناس .

فالزواج بالأباعد ، وهو ما يسميه خبراء هذه الشؤون « إكسوجامى » Exogamy هو عادة أو شريعة من أقدم الشرائع فى المجتمعات الفطرية والمجتمعات التى أخذت بنصيب من الحضارة

ويندر بين هذه المجتمعات من لم يعرف « الإكسوجامى » فى صورة من صوره الكثيرة التى تتغلب على جميع الفروض وتتناقض أغرب التناقض فى بعض الأحوال .

فمن هذه المجتمعات ما يحرم فيه زواج الأخوين ولا يحرم فيه زواج الأب بينته ، ومنه ما يحرم فيه زواج هؤلاء جميعاً ومعهم أبناء الأعمام ، ومنه ما يحرم فيه زواج أبناء القبيلة الواحدة الذين ينتسبون إلى جد واحد ، ومنه ما يحرم فيه الحمل ولا تحرم فيه الصلات الجنسية .

والاختلاف فى تعليل هذا التحريم بين الباحثين فيه أكبر وأوسع من اختلاف القبائل فى هذه العادة ، وهذه الشريعة

فمنهم من يعزوها إلى غيرة الأب من ولده ، وغيرة الأم من بنتها ، ومنهم من يعزوها إلى رغبة الرجال فى إظهار القوة باغتصاب الحلائل من القبائل البعيدة ، ومنهم من يعزوها إلى « الطوطمية » ، أو اتخاذ حيوان من الحيوانات جداً للقبيلة كلها وربا حارساً لجميع أفرادها ، فهم جميعاً فى حكم الأسرة الواحدة التى لا يجوز لها أن تأكل من لحمها ودمها » . . . ومنهم من يعزوه إلى الأسباب الاقتصادية ، لأن الأب يتقاضى مهراً من الزوج الغريب ولا يتقاضاه من ابنه أو ابن عمه ، ومنهم من يعزوه إلى ما يكون بين الأقربين من الألفة التى تضعف الرغبة الجنسية وتنشئ بين الأقربين علاقة من الرحم غير علاقة الزواج

وكل أولئك جائز أن يؤدى إلى تقرير هذه الشريعة فى الجماعات الأولى ، وإن غلب بعضه على جماعة وغلب غيره على جماعة أخرى .

وقد كان اجتناب الأقربين فى الزواج مذهباً معروفاً بين العرب ، وإن لم يتفقوا عليه ، فكان أناس منهم يعتقدون أن الولد يجىء من القريبة ضاوياً « لكثرة الحياء من الزوجين فتقل شهوتهما ، ولكنه يجىء على طبع قومه من الكرم » ، وفى ذلك يقول أحدهم :

يا ليته ألقحها صبيا فحملت فولدت ضاويا

ويروى عن النبى عليه السلام أنه قال : « اغتربوا لا تضووا » ، حديث لا نقطع بصحته ، لأنه عليه السلام قد زوج بنتيه من الأقربين ، كما ذكر الأديب صاحب الخطاب

أما الرأى الذى يوشك أن يستقر عليه الخبراء بهذه الشؤون فهو أن الزواج بالأقارب لا ضرر فيه من الوجهة البيولوجية إلا فى حالة واحدة ، وهى أن يغلب على الأسرة كلها استعداد جسدى لبعض الأمراض ، كما يتفق أن يغلب على بعض الأسر الاستعداد لأمراض الصدر ، أو اختلال الأعصاب أو سوء الهضم ، أو ما شاكل ذلك من دواعى الضعف التى تورث وتنتقل إلى الأبناء . فإن الولد إذا ورث الاستعداد للمرض من أبيه وأمه كانت وقايته منه أصعب من وقاية أبويه ، وهذه حالة لا شك فى ضررها ، سواء كان تشابه البنية فى أسرة

واحدة أو فى أسر غريبة . إذ لا يجوز لرجل مستعد لمرض من الأمراض أن يتزوج بامرأة مستعدة لهذا المرض على التخصيص سواء كانت من أهله أو غير أهله

أما فى غير هذه الحالة فزواج الأقارب مأمون من الوجهة البيولوجية على قول الأكثرين من الثقات . وقد روى وستر مارك فى كلامه عن أحدث الآراء فى موضوع الأكسوجامى مشاهدات بعض المعنيين بتجربة التلاقح بين الحيوانات فإذا بالكثيرين منهم يتفقون على أن هذه الحيوانات سلمت من عوارض الهزال المزعوم وأنجبت ذرية من أحسن أنواعها فى صفات القوة والنشاط ، ولا سيما الحيوانات التى يعنى بانتخابها وإبعاد الضعيف منها لأسباب فردية لا علاقة لها بالبنية الموروثة

ومع هذا أى قول من أمثال هذه الأقوال يمضى بغير خلاف من النقيض إلى النقيض ؟

فمن أعجب التناقض فى هذا الصدد أن الكاتب بت رفرس Pitt—Rivers ينفى الضرر من تزاوج الحيوانات القريبة ويجعل شاهده على ذلك خيول السباق ، فإذا بزميل له فى هذه البحوث وهو سير جيمس بن بوكوت Boucat يناقض هذا الرأى ويتخذ خيول السباق نفسها حجة له على قوله ويهيب بقومه أن يدركوا ذرية الخيول الإنجليزية بدم غريب قبل أن يبلغ بها الضعف مبلغاً لا تجدى فيه المداركة

والقول الفصل فى هذا الخلاف غير مستطاع ، ولكننا نسيغ بالعقل سبب الضعف الذى ينجم من تزاوج الأقربين وهو اشتراكهم فى الاستعداد للأمراض والعوارض الخلقية أو الخلقية ، فإذا انتفى هذا الاشتراك فليس يتضح أمامنا سبب للتحذير من هذا الزواج ، وليس فيما شاهدناه من الأمثلة دليل على أن زواج الأقربين أضر بالذرية من زواج الأبعدين

* * *

أما زواج المصريين بالأوربيات فلا ضرر فيه من الوجهة الجسدية مع سلامة الزوجين ، وفيه إلى جانب هذا مزايا التلقيح بالدم الجديد الذى شوهدت حسناته فى كثير من الشعوب والأفراد

ونحن نعتقد أن المسألة هنا ليست مسألة اللحم والدم وصحة الجوارح والأعضاء ، ولكنها مسألة « الأعصاب » التى هى خزين الملكات والمواهب الخلقية والعقلية ومناط التفاضل الكبير بين الأقوام والأجناس . فقد تكون المرأة صحيحة الدم واللحم بريئة من عوارض السقم والهزال ، ولكنها لا تنفث فى أبنائها نشاطاً جديداً ما لم يكن مصدر هذا النشاط ذلك الخزين العصبى الذى تكنزه بعض الأمم بالتجارب النفسية والجسدية فى عشرات الألوف من السنين

فهذا الخزين العصبى هو الذى يستفاد من البناء بالأوربيات ولا سيما بنات الشمال

ومن هذه الوجهة لا اعتراض على زواج المصريين بالأوربيات أو من يشابههن فى هذه الخصلة ، وإنما يأتى الاعتراض على هذا الزواج من الوجهة القومية والوجهة الأخلاقية والوجهة الإنسانية على السواء

فالنساء المصريات اليوم أوفر عدداً من الرجال المصريين ، فإذا تركهن أبناء وطنهن ليبنوا بالأجنبيات فعاقبة ذلك عضل مئات الألوف من البنات فى سن الزواج ، وعاقبة هذا العضل فساد فى الأخلاق وبلاء على المجتمع المصرى يربيان على كل نفع مرجو من البناء بالأوربيات ولو كن من أفضل النساء

وهكذا يرى الأديب صاحب الخطاب أن شئون الأمم تعالج جملة من جوانب كثيرة ولا يقتصر العلاج فيها على جانب دون جانب . وعندنا أن الأمة التى تكون كل فتاة فيها متزوجة فى سنها المعقولة أسلم من الأمة التى ينجب فيها عشرة آلاف أو عشرون ألفاً نسلاً متفوقاً وإلى جوارهم ألوف العوانس يبتذلن أنوثتهن فيسرى فسادهن إلى البيوت جميعاً ويغرق ذلك النسل المتفوق فى لجته التى لا تدفعها شطوط ولا جسور

فنصيحة الفرد أن الزواج ببنات الأمم المتقدمة زواج صالح مطلوب

ونصيحة الأمة أن ترك بناتها معضولات بلاء غير مأمون . فإن تسنى دفع هذا البلاء وتحصيل النفع من البناء بالأوربيات المتقدمات فقد استطيعت خدمة الفرد والأمة على السواء

ولكنه على هذا احتمال بعيد .

عباس محمود العقاد

شعراء الشباب
ووجوب عنايتهم بثقافتهم الخاصة

للأستاذ دريني خشبة

ليس الغرض من هذه الكلمة تعيير شعراء الشباب بفقر ثقافتهم، ولكن الغرض منها هو التعاون العام بين من تعنيهم نهضة الشعر العربي، وبين أولئك الشعراء الذين تعتمد عليهم نهضتنا الأدبية كل الاعتماد في الأخذ بيد الشعر، وتجديده، والاتجاه به إلى الوجهات التي ظل الشعر العربي محروماً منها إلى اليوم

ونحن حينما ندعو إلى وجوب إحداث ثورة - أو نهضة - في الشعر العربي، نؤمن بأن الثورة - أو النهضة - ليست عبثاً يستطيع أن ينهض به أولئك المتأدبون الظرفاء الذين عرفوا بعض موازين الشعر. وقواعد العروض، فكان حسبهم من الشعر كله هذه المعرفة البائسة التي انقلبت في رؤوسهم غروراً ذميماً، وخيلاء لا تعرف التواضع، وأحلاماً تشبه أحلام الصائمين في هذا الزمان بالأطايب والأشربات!

لا يستطيع جاهل أن ينفع نفسه ولا أن ينفع أمته... ولا تستطيع جماعة من الجهلاء أن تضطلع بعمل يحتاج القيام به إلى علم وبصيرة وطول تجربة... وقد طالبنا شعراء الشباب بإحداث نهضة في الشعر العربي تشمله كله شكلاً وموضوعاً... فما راعنا إلا أن يظن أولئك المتأدبون الظرفاء أننا ندعوهم لهذا العمل، ونعتمد عليهم في القيام به... فأمطرونا بعثات كثيرة من هذياناتهم التي دعوها شعراً... ومع إعجابنا الشديد بعدد كبير مما وصلنا من المنظومات الشائقة من مصر ومن جميع الأقطار العربية إلا أننا لم نستطع منافقة أصحاب الكثرة الغالبة من المنظومات الأخرى التي تضطرنا إلى مصارحة إخواننا الظرفاء هؤلاء بوجوب النصح لهم بالانصراف عن قرض الشعر، ومماطاة صناعتهم البائرة تلك، التي سوف تجر عليهم عقابيل من الحسرات لا قبل لهم بها... وليس في تعبيرنا بذلك الأسلوب قسوة على أحد... فالمسألة جد لا لعب... إنا مفتقرون إلى شعر جديد يشحذ من همة الأمم العربية، ونرى فيه تلك الأمم آمالها ومطامحها، ونرى فيه أدباً جديداً حياً سائغاً لا نقلد به العباسيين، ولا نمشي به في آثار الأمويين أو الأندلسيين... نريد شعراً تتجلى فيه شخصيتنا قوية مستقلة لها طريقتها الخاصة من الأداء والتفكير... لا شعراً مقلداً رثاً تكرنه روح الماضي، وتجثم على صدره قيود الغابرين... ونحن حينما هبنا بشعراء الشباب ليتغنوا آمالنا الجديدة، ولينشدوا لنا أنشودة العالم العربي الحديث، لم نكن نزعم أن هؤلاء الشعراء مبرأون من العيوب، ولكنا كنا نزعم أنهم أقدر على التجديد من الشعراء الشيوخ الأجلاء، الذين نحبهم ونحترمهم. وإن خامرنا الشك في قدرتهم على التجديد، لأنهم عاشوا معظم حياتهم في هذا القديم الذي لم يعرفوا غيره

غير أن الشعراء الشباب - أو أغلبية الشعراء الشباب - المشهورين وغير المشهورين فقراء في ثقافتهم إلى درجة محزنة... والشاعر الفقير في ثقافته لا يستطيع أن ينهض بثورة في الشعر وإن حاولها، وأرق في سبيلها عينيه، لأنه مفتقر إلى الأدوات الأولى التي تمكنه من إتقان عمله، وتمهد له سبيله إلى قلوب قرائه...

ولسنا ندري إن كان كلامنا هذا سوف يغضب أحداً من هؤلاء الشعراء ما دمنا صادقين فيه، صادقين في إزجاء النصح لكل شاعر يود أن تكون له منزلة سامية في مستقبل هذا الشعر الذي ندعو إلى تجديده وإصلاحه

وشعر الشباب في الأقطار العربية فئتان. فئة تجهل اللغات الأجنبية، وفئة تعرف واحدة أو أكثر من واحدة من تلك اللغات... فالفئة التي تجهل اللغات الأجنبية لم تطلع على نماذج الشعر الأجنبي في لغاته الأصلية. وأكبر الظن أنها لا تدري ما الملحمة ولا الدرامة المنظومة ولا ما الشعر المرسل... وليس في ذلك ضير قط على شعراء هذه الفئة، وإن كنا نؤثر لهم تعلم إحدى هذه اللغات وإتقانها إلى الدرجة التي تساعدهم على مطالعة أشعارها لما للمحاكاة والإيحاء من أثر بالغ في تجديد شعرنا الذي نصبو إليه، فإن لم يتيسر لهم تعلم إحدى اللغات الأجنبية، فلا

أقل من استيعاب كل ما يترجم من ملاحم تلك اللغات ومن دراماتها ، ثم تطالب العبقرية العربية بتذكر أن تلك الملاحم وهذه الدرامات كانت شعراً في لغاتها الأصلية ، فليس ما يمنع أن ننظم مثلها أو أرقي منها أو ما يدانيها بالشعر العربي ... وإن لم يرقنا الشعر المرسل الذي دعونا إليه ، ولا نزال نؤثره على غيره للملاحم وللدرامة المنظومة ، فلنختر لنظم الملحمة أو الدرامة الطريقة العروضية التي تروقنا . إذ لا ينبغي أن يحول الشكل دون الغرض

أما الفئة التي تعرف اللغات الأجنبية وتتقنها إلى الدرجة التي تقرأ بها الشعر الأجنبي قراءة مفهومة سائغة ، فهي الفئة التي أخرجت لمصر وللشرق العربي أحسن شعرائها ، ولسنا نريد أن نثير فتنة بين الفئتين بهذا التفضيل الذي لا يماري في حقيقته أحد ، بل نحن - على العكس من ذلك - نريد أن نتهم أغلبية الفئتين بأنها أغلبية فقيرة الثقافة ، قليلة الاطلاع ، لا تحفل بأن تجاري تيارات الفكر العالمي ، ولا يعوا كبنها تلك المواكبة التي تنعكس في أشعارنا - إما موافقة وإما معارضة وإما ابتداعاً

إن المكتبة العربية القديمة لتحفل بطائفة قيمة من كتب النقد التي تتجلى فيها عبقريات أسلافنا من النقاد العرب ، والتي تطلعنا على موازين أدبية لا يقل كثير منها عما يروج اليوم من أساليب النقد الحديث في أوربا . . . فهل اطلع شعراؤنا الشباب - أو أغلبية شعرائنا الشباب - على هذه الكتب ، وهل حاولوا الانتفاع بما أورده أصحابها فيها من كرائم اللفتات الأدبية التي تكون للقرائح الفجة ، والأذواق الشاردة ، كما تكون النار للذهب ؟

هل قرأ شعراؤنا الشباب - أو أغلبية شعرائنا الشباب - كتاب العمدة لابن رشيق ، أو كتاب نقد الشعر ونقد النثر لقدامة ؟ إنهم لا شك يسمعون عن كتاب الصناعتين للعسكري ، فهل فكروا في قراءته والانتفاع بما فيه ، أو بما في كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، أو كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ؟! ثم كتب البيان والتبيين والكامل ومعاهد التنصيص وغيرها وغيرها من ذخائرنا التي لا تحضرنا الآن أسماؤها والتي لا داعي لحشد أسمائها ...

إن هذه الكتب وغيرها ثروة ثمينة في المكتبة العربية القديمة لا غنى عنها الشاعر يحترم نفسه ... شاعر يحس من نفسه بنواحي الضعف فلا يمنعه استعلاء أو غرور عن معالجتها بالإكباب على كتب القدامى من أبطال النقد الأدبي العربي ، ثم بما تصل إليه يده من كتب النقد الحديث المؤلفة أو المترجمة ، وهي كتب والحمد لله قد أنفق فيها مؤلفوها ومترجموها جهوداً محمودة مشكورة ، يجب أن تقابل من طائفة الأدباء عامة ، والشعراء بوجه خاص بحسن القراءة والمذاكرة ، حتى يكتب الكتاب ، وينظم الشعراء على هدى مما تلفتهم إليه تلك الكتب من عيوب الكتابة ومآخذ النظم ، وحتى يستطيعوا أن يفهموا روح القوة - أو روح النهضة - التي نطالب إليهم الاضطلاع بأعبائها في الأدب العربي عامة ، وفي الشعر العربي خاصة

ولدينا من كتب النقد الحديث طائفة صالحة جداً من إنتاج أشبال الجامعة ورجالها الصناديد ، ومن إنتاج كرام كتابنا الذين مهدوا لنا طريق نهضتنا ، وحملوا المشاعل الأولى بين أيدي أدبنا الغض المفتقر إلى الإصلاح والتجديد ... فهل قرأ شعراؤنا الشباب ، أو معظم شعرائنا الشباب ، شيئاً من تلك الكتب ، وهل انتفعوا بها في تنظيم إنتاجهم الأدبي ؟

إن الشاعر الذي يكتفي بمواهبه في توجيه منظوماته هو شاعر تعس ، لا يرجى منه خير كثير ... والشاعر الذي يبخل على نفسه بشراء عشرة كتب في النقد القديم والحديث هو شاعر فقير في تفكيره ، مريض في إنتاجه ، غاط في نومه المتلئ بأحلام النوكى والضعفاء ... تلك الأحلام المريضة التي لن يصيب منها الأدب العربي ، ولن يصيب منها الشعر العربي إلا ما أصاب من الزخارف الباطلة التي سماها أصحابها شعراً ، وما هي من الشعر في شيء ، لأنها عبث يغثي النفوس ، ويكرب الأخيلة ، ويزهد الإنسان في إنشاد الشعر

وليس تقصير شعرائنا الشباب ، أو معظم شعرائنا الشباب في مطالعة كتب النقد هو كل ما نأخذه عليهم ، بل يحزننا أن نقرر أن أكثرهم لا يقرأون من الشعر العربي إلا قدراً ضئيلاً لا يُقوِّم ألسنة ، ولا يكسب ثروة ، ولا يربي ملكة ، ولا يطبع ذوقاً ، ولا يمد القريحة بما تفتقر إليه ساعة النظم من شتى التعابير وفنون الأساليب ... يبدو ذلك كله في استعباد طائفة بعينها

على هامش ذكرى المعرى

«داعى الدعاة» مناظر المعرى

للدكتور محمد كامل حسين

— ٥ —

من الآثار الأدبية التى تركها المؤيد فى الدين «داعى الدعاة» رسائله إلى أبى العلاء المعرى . وهى الرسائل التى نبهت الجيل الحديث للبحث عن هذا الداعية ، بعد أن ظل مجهولاً زهاء عشرة قرون ، ويرجع الفضل فى نشر هـذه الرسائل إلى المرحوم الأستاذ مارجوليوث المستشرق الإنجليزى ، الذى نقل هذه الرسائل عن كتاب « معجم الأدباء » لياقوت الحموى ، ونشرها لأول مرة بمجلة الجمعية الأسيوية الملكية سنة ١٨٩٦ ، ثم أعاد نشرها مرة أخرى بمجلة الجمعية الأسيوية سنة ١٩٠٢ ، وقدم لها بمقدمة صغيرة ادعى فيها أن هذه المناظرة كانت سنة ٤٣٨هـ ولكنى أخالفه فى تحديد هذه السنة ، وأذهب إلى أن هذه المناظرة إنما كانت سنة ٤٤٩هـ ، وعندى ما يؤيد ما ذهبت إليه ، فقد نقل ياقوت الحموى أنه « لما كانت المناظرة بين أبى العلاء ، وبين داعى الدعاة ، فى ذبح الحيوان ، أمر داعى الدعاة بأن يؤتى بأبى العلاء إلى حلب » . وفى الرسالة الثالثة والأخيرة من رسائل داعى الدعاة ، تصريح بأنه كان فى الشام أثناء هذه المناظرة . وهناك نص آخر ورد فى « المجالس المؤيدية » على لسان الخليفة المستنصر الفاطمي « حتى توجه من وجهناه من داعينا للقاء التركمانية فانعقد بينه (أى بين الداعي) وبينه (أى بين المعرى) من المناظرة مكاتبة لا مشافهة . فهذه النصوص تثبت أن هذه المناظرة جرت أثناء خروج المؤيد فى الدين لحرب طغرلبك ، وأن المؤيد كان بالشام وفى حلب ، وقد ذكرت فى مقالاتى السابقة أن المؤيد فى الدين خرج من مصر للقاء التركمانية سنة ٤٤٨هـ وكان بحلب سنة ٤٤٩هـ ، وتكاد تجمع المصادر على أن رسالة داعى الدعاة الأخيرة وصلت معرة النعمان بعد وفاة أبى العلاء بأيام قليلة ، ونحن نعلم أن المعرى توفى سنة ٤٤٩هـ

من التعابير ، وطائفة بعينها من المعانى ، وطائفة بعينها من الأخيلة لقرائح الكثيرة الساحقة من شعراء الشباب ... وذلك دليل جلى على فقرهم الثقافى ، وندرة اضطلاعهم على الشعر العربى الزاخر بأكبر ثروة لفظية يمتلكها شعر أمة من الأمم ... شعر عاش منذ أكثر من ألفى سنة ، ولا يزال يعيش ، وسوف يعيش ؛ وإن كنا نطالب له عيشاً جديداً وحياة ثائرة مختلفة الأغراض متغايرة المقاصد عما اعتاد الشعر القديم — وكل الشعر العربى أو معظمه ، فى رأينا قديم

وقد تشترك الفئتان ، الذين يعرفون اللغات الأجنبية والذين لا يعرفونها ، فى ذلك العيب الواضح ... أى عدم الاطلاع الطويل العميق على كتب النقد ، قديمها وحديثها ... وعلى دواوين الشعر العربى قديمها وحديثها كذلك . إلا أن تقصير شعرائنا ، أو معظم شعرائنا ، الذين يجيدون لغة أجنبية ، فى الاضطلاع على شعر تلك اللغة ، واستيعاب ما نقل إليها من أشعار اللغات الأخرى ، قديمها وحديثها ، هو تقصير لا تبرره أسباب وجيهة ، اللهم إلا الغفلة والكسل وتراخى الهمة ...

ولست أدرى كيف يطيق شاعر يجيد اللغة الإنجليزية مثلاً ألا يستوعب درامات شيكسبير وبن جونسون ومارلو ، وألا يقرأ منظومات براوننج وشلى وبيرون وتنيسون وسكوت الطويلة الرائعة التى هى بلا شك خير ما نظم البشر وأحسن ما تغنت به الإنسانية ... ولست أدرى كيف يطيق شاعر يجيد اللغة الإنكليزية مثلاً ألا يقرأ ما ترجم إلى هذه اللغة من ملاحم الأقدمين كالإلياذة والأوذيسة والإنياذة والكوميديا الإلهية مثلاً وهى تلك الملاحم الخالدة فى عالم الشعر ، والتى لا ندعو دعوتنا إلا ليكون لنا مجد شعرى يشبه مجدها أو يدنو منه ... ولست أدرى كيف يطيق من يجيد اللغة الإنكليزية مثلاً ألا يقرأ كتب النقد الرائعة التى كتبها هازلت أو أرنولد ، ومدلتون ولامبورن ، وريتشارد ، وسبنجارا ، ومن إليهم من أساطين النقد الحديث

وبعد ... فهذا كلام لا نريد به تعيير أحد من شعراء الشباب الذين نعقد عليهم آمالنا فى النهوض بالشعر العربى الحديث ، ولكنه كلام نريد به حفز همم شعرائنا الذين يرحبون بالنقد ويتشوفون إلى الكمال .

دريني خشبة

وهناك بعض نصوص أخرى تؤيدان هذه المناظرة التي كانت بين الأديبين العالمين حدثت سنة ٤٤٩هـ . وسبب هذه المناظرة كما حدثنا المؤيد في مجالسه أنه جرى ذكر أبي العلاء المعري في مجلس الناظر بحلب ، فهجا الحاضرون أبا العلاء وأغروا الناظر بدمه ، وادعوا أن الغيرة على الدين تبيح قتله ، ولكن المؤيد في الدين اقترح على الحاضرين أن يجرد لأبي العلاء من يحاجه ويناظره حتى ينكشف عواره وينحط قدره بين معاصريه ، ويتخذ الناظر من هذه المناظرة ذريعة للقضاء على هذا الزنديق الخارج عن الدين ، ثم نشط المؤيد لمناظرته تلك المناظرة التي كانت من أسباب خلود المتناظرين

ويخيل إليّ أن المؤيد في الدين لم يسرف في الحكم على أبي العلاء إسراف معاصريه ، ولم ير في عقيدة أبي العلاء ما كان يراه غيره ، فقد رمى المعري بالإلحاد والتعطيل والخروج على دين الجماعة بل لا تزال عقيدة أبي العلاء إلى يومنا هذا موضع نقاش بين الأدباء والعلماء . أما رأى المؤيد داعي الدعاة في أبي العلاء فقد وضحه في مجالسه بقوله : قد انتهى إليكم خبر الضرير الذي نبغ بمعرة النعمان وما كان يعزى إليه من الكفر والطغيان على كون الرجل متقشفاً ، وعن كثير من المآكل التي أحل الله له متنبعاً . فهذا النص إن دل على شيء فإنما يدل على أن المؤيد لم يقبل كلام الناس في أبي العلاء ، ولم يذهب مذهبهم في اتهام دينه ، بل هذا النص دفاع عن تحريم المعري للحوم تعففاً منه وتقشفاً

ويخيل إليّ أيضاً أن غرض المؤيد من هذه المناظرة أن يعرف حقيقة مذهب أبي العلاء ، وأن يستوضح أسرار فلسفته وأسرار عقيدته فقد يكون أبو العلاء من الذين يتخذون التقية والستر حجاباً لهم ، ويوهمون الناس بغير ما يبطنون ولذلك بدأ المؤيد رسالته الأولى بشيء من الظرف والإعجاب بأبي العلاء ، ثم نراه في الرسالة الثانية يسخر بأبي العلاء ويتهكم به ، وفي الرسالة الثالثة يصرح بأنه لم يجد عند أبي العلاء ما كان يأمله

أما جواب المعري ؛ فيظهر منه أن أبا العلاء قد سمع بأمر المؤيد في الدين داعي الدعاة من قبل ، وكان يعرف مقدرته وحجته فبالغ في تعظيمه وتفخيمه ، إما خشية على نفسه من سطوة المؤيد وإما تأدباً معه في المناظرة لمركز المؤيد في الدعوة الفاطمية والدولة الفاطمية

ومهما يكن من شيء ، فالمؤيد في هذه المناظرة ضيق الخناق على أبي العلاء ، وكان أبو العلاء يتلمس الطرق للهرب من خصمه فأخذ يحاوره ويحاول الفرار من موضوع المناقشة وداعي الدعاة من ناحيته يجذبه نحو موضوع المناظرة ؛ فسؤال داعي الدعاة كان عن الأسباب التي أدت بأبي العلاء إلى تحريم أكل اللحوم والألبان . فكان جواب أبي العلاء في موضوع إرادة الله في الخير والشر، ثم البراءة من أشعار قالها بعض الملحدين . أما سؤال الداعي فلم يجب عليه جواباً شافياً . ولو طالت حياة أبي العلاء لظفر الأدب العربي بثروة أدبية فلسفية لها قيمتها

أما ما قيل من أن المؤيد داعي الدعاة أمر بأن يحمل إليه المعري بحلب ليخيره بين الإسلام والموت ، وأن المعري خاف على نفسه ، فشرب السم ؛ فهذا ما لم يقبله أحد من القدماء ولا المحدثين

والآن نتساءل هل كان المعري يدين بمذهب الفاطميين ؟ فقد جاء في كتاب « الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار » أن المعري كان أحد دعاة الحاكم بأمر الله الفاطمي وابنه الظاهر » !

ولا أدري من أين استقى مؤلف هذا الكتاب هذا الخبر إذ لم يقع بين يدي من كتب الدعاة ما يؤيد هذا الزعم ، بل لم أجد داعية من دعاة المذهب الفاطمي يشير إلى أن أبا العلاء كان من زمرتهم ولو صح هذا الخبر لوجدت الدعاة على عادتهم يطنطنون بذكر كل نابغة يظهر بينهم ، حتى لو فرض أن أبا العلاء اتخذ التقية لنفسه وستر حقيقة مذهبه ومرتبته في الدعوة لما خفي ذلك عن كبير دعاة المذهب وهو المؤيد في الدين ، ولما احتاج الداعي الأكبر إلى مناظرة المعري لكشف ستره ومعرفة حقيقة مذهبه ، لأن الداعي الأكبر عنده سجل الدعاة ، وهو أعرف الناس بهم

حقيقة نجد في لزوميات أبي العلاء بعض العقائد الفاطمية ، ولكن هذه الآراء التي ذكرها المعري لا تقوم دليلاً على اعتناقه المعري لهذا المذهب . فقد كانت التيارات الفكرية في عصر المعري تتحدث بهذه الآراء ، وكان المعري في وسط يخضع

على هامش النقد

بقية في المعانى والظلال

للأستاذ سيد قطب

قلت فى الكلمة الماضية : إن طريقة التصوير والتظليل هى الطريقة التي وردت فيها فرائد الشعر العربى التى تهيأت للشعراء على ممر الأجيال

وقلت : إن طريقة التصوير والتخييل هى قاعدة التعبير فى القرآن الكريم ، وأنه تفرد بطريقة التصوير ـ فى هذا المستوى ـ بين الشعر الجاهلى قبله ، والشعر الإسلامى بعده

وقلت : إن التعبير الذى يرسم للمعنى صورة أو ظلاً ، يخاطب الحس والوجدان ، ويطبع فى النفس صورة من صنع الخيال ، وأن هذه الطريقة أقرب إلى طبيعة الفنون من الطريقة الأخرى التى تعنى بإبراز المعانى فى الأساليب الذهنية التجريدية

فلعله يكون من كمال البحث فى هذا الموضوع أن نعرض نماذج أخرى من الشرق والغرب ومن القديم والحديث ، غير القرآن الكريم — فى مستواه الرفيع — وغير الشعر العربي فى الجاهلية والإسلام

***

جاء فى « العهد القديم » — التوراة — كلام عن لسان « الجامعة بن داود » قال :

« باطل الأباطيل . الكل باطل . ما الفائدة للانسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس ؟ دور يمضى ودور يجىء ، والأرض قائمة إلى الأبد . والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تشرق . الريح تذهب إلى الجنوب ، وتدور إلى الشمال . تذهب دائرة دورانا ، وإلى مداراتها ترجع الريح . كل الأنهار تجرى إلى البحر والبحر ليس بملآن . إلى المكان الذى جرت منه الأنهار ، إلى هناك تذهب راجعة . كل الكلام يقصر ، لا يستطيع الإنسان أن يخبر بالكل ، العين لا تشبع من النظر ، والأذن لا تمتلئ من السمع . ما كان فهو ما يكون ، والذى صُنع فهو الذى يصنع ، فليس تحت الشمس جديد . إن وجد شىء يقال عنه : انظر هذا جديد ، فهو منذ زمان كان فى الدهور التى كانت قبلنا . ليس ذِكرٌ للأولين . والآخرون أيضاً الذين سيكونون لا يكون لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم .

« أنا الجامعة . كنت ملكا على إسرائيل فى أورشليم . ووجهت قلبى للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ما عمل تحت السموات . هو عناء ردىء جعله الله لبنى البشر ليعنوا فيه . رأيت كل الأعمال التي عملت تحت الشمس ، فإذا الكل باطل وقبض الريح . الأعوج لا يمكن أن يقوَّم ، والنقص لا يمكن أن يجبر . أنا ناجيت قلبى قائلاً : ها أنا قد عظُمتُ وازددت حكمة أكثر من كل من كان قبلى على أورشليم ، وقد رأى قلبى كثيراً من الحكمة والمعرفة ، ووجهت قلبى لمعرفة الحكمة ، ولمعرفة الحماقة والجهل . فعرفت أن هذا أيضاً قبض الريح . لأن فى كثرة الحكمة كثرة الغم ، والذى يزيد علماً ، يزيد حزناً .

هذا كلام قديم ، وترجمته ترجمة رديئة من حيث الأسلوب العربى . ولكن هذا لا يفقده طابعه الفنى العالى .

هنا إنسان يغمره السأم والملال ، ويطويه اليأس والقنوط

للنفوذ الفاطمي سياسياً ودينياً ، وشب المعرى وقد امتلأ فكره بعقائد الفاطميين وآرائهم ، وحوى منها الشىء الكثير ؛ فلما نضج واستطاع أن يميز بين المذاهب المختلفة والآراء المتباينة تخلى عن كثير من عقائده وآرائه السابقة التى كانت تسود بيئته وعصره ، وكون لنفسه مذهباً حراً لا يتقيد برأى ولا يتعصب لمذهب دون مذهب . فأغضب معاصريه سواء أكانوا على مذهب الفاطميين أم من جمهور أهل السنة ، واتهم فى دينه شأنه فى ذلك شأن كل المصلحين وزعماء الفكر الحر فى جميع أنحاء العالم

فالمعرى لم يكن من دعاة المذهب الفاطمى ، بل لم يكن ممن اعتنق هذا المذهب ، بل كان أشد الناس حرية للفكر ومن أكبر زعماء المسلمين والعرب دعوة إلى حرية الفكر .

دكتور
محمد كامل حسين
مدرس بكلية الآداب بالقاهرة

(يتبع)

ولكنه لا يقول : إنه ملول سأمان ، ولا أنه يائس قانط ، إنما يرسم لك صور الحياة والأشياء فى نفسه ، ويدعك ترى نفسه فى هذه الصور والأشياء :

الكل باطل . وحركة الحياة مكرورة معادة ، لا شيء جديد تتفتح له النفس ، ويتطلع له القلب . الأرض قائمة إلى الأبد ، والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تشرق . والريح كذلك . تذهب دائرة وإلى مداراتها ترجع . والأنهار تجرى إلى البحر ، والبحر ليس يملآن ... فالطبيعة هنا — من خلال هـذه النفس — يغشيها السأم والملال والتكرار العقيم .

ثم ماذا ؟

ثم هذا هو الإنسان . تقصر كلماته عن التعبير عما فى نفسه ، والعين لا تشبع من النظر ، والأذن لا تمتلئ من السمع ، فهو عبث كله ما يحاول من الكلام والنظر والسمع ، وسائر ما تهم به الجوارح والوجدانات . على أنه ليس هناك جديد تحت الشمس ، كل ما يكون فقد كان . ويزيد عبث المحاولة لأى شيء فى هذه الدنيا أن ليس ذكر للأولين ، وأن ليس ذكر للذين سيكونون ، فالكل ينسى ويطوى فى تيه النسيان ... !

الكل باطل ، والمحاولة عبث ، فالأعوج لا يقوّم ، والنقص لا يُجبر . والحكمة عبث كذلك ، فهى مصدر الغم ، والذى يزيد علماً ، يزيد حزناً !

لا شيء إذن يستحق النظر . لا شيء يستحق المحاولة . وما على المرء إلا أن ينتظر فى سأم وملل وضيق ، حتى تنتهى هذه الأيام المكتوبة عليه ، ثم يجرفه التيار فيمضى كأن لم يكن ، ويطوى فى زوايا الإهمال كالآخرين !

هنا صورة نفس ، تلقى ظلها على الحياة والأشياء ، فتطبعها بطابعها ؛ يراها الرائى فتؤثر فى حسه ، وتنطبع فى نفسه ، لأنها نفس إنسان ، لا تركيبة ذهن . وهنا تشترك طريقة الإحساس مع طريقة التعبير ، فى التصوير والتظليل ، وفى إبراز نفس إنسانية من وراء الألفاظ ، ومن بين السطور ، على الطريقة التى فصلناها فى كلمات سابقات

***

فى ظل هذه الصورة نقرأ قطعة لتوماس هاردى الشاعر الإنكليزى الحديث : (ترجمة الأستاذ العقاد فى ساعات بين الكتب)

« إذا طلع الفجر ، ونظرت إلى الطبيعة المصبحة ، جدولاً وحقلاً وقطيعاً وشجراً موحشاً ، رأيت كأنما هى أطفال مكبوحة على مقاعد الدراسة تشخص إلىّ . وكأنما قد طالت عليها ثقلة الأستاذ فى أساليبه ، فبردت حرارتها ، وران على وجوهها السآمة والضجر والإعياء ، وكأنما تهمس بسؤال كان مسموعاً ، ثم تخافت حتى لا تنبس به الشفاه : عجباً ! عجباً لا انقضاء له أبد الزمان . ما بالنا نحن نقوم فى هذا المكان ؟ أتراها حماقة جليلة قادرة على التكوين ولكنها غير قادرة على القصد والترسيم . خلقتنا فى مزاح ، ثم تركتنا جزافاً لما تجئ به الصروف ؟ أم تراها آلة لا تفقه ما نحن فيه من الألم والشمور ؟ أم ترانا بقية من حياة إلهية قديمة تموت ، فقد ذهب منها البصر والضمير ؟ أم تراها حكمة عالية لم تدركها العقول ، ونحن فى جيشها « فرقة الفداء » والغلبة المقدورة للخير على الشر مقصدها الأخير ؟

« كذلك يسألنى من حولى ولست أنا بالمجيب ، وما تبرح الريح والمطر والأرض فى الظلام والآلام كما كانت وكما سوف تكون ، وما يبرح الموت يمشى إلى جانب أفراح الحياة »

ونحن نكتفى هنا بتعليق الأستاذ العقاد على هذه القطعة ، ففيه أقصى ما نبلغ أن نقول :

« إننا نضرب المثل الأعلى للبلاغة الشعرية بهذه القطعة التى تلوح له (يعنى القارئ الذى تهمه المعانى لا الصور النفسية) هزيلة ضامرة لا تساوى بيتاً من ابن نباتة ، ولا شطرة من صفى الدين ! لأننا نعلم أن الشاعر أراد أن يمثل بها « حالة نفسية » تحيك بنفسه ، فمثلها لنا أحسن تمثيل . أراد أن يصور لنا ملالة النفس العارفة بأسرار الحياة ونواميس الوجود ، فصورها فى سكون لا ادعاء فيه ، وإيجاز لا خلل فيه ، وبساطة يخطئها الجاهل فيحسبها من غثاثة الفضول . فهو رجل نظر فى عبث العواطف وعبث الحوادث وعبث النواميس ، فتولاه الضجر ، ونفرت نفسه ، ثم ثابت إلى السكينة والتسليم — فيم يحزن الحزين ، ويفرح الفرحان ، وفيم ينخدع الناس لهذه الآمال الكاذبة ، ثم لا يزالون ينخدعون بها ، وهم يعلمون أنهم مخدوعون ؟ فى لا شيء ! ... الخ »

وهذا نموذج من التصوير والتظليل ، الذى تتراءى من خلاله « حالة نفسية » تشترك فى رسمها طريقة الإحساس ، وطريقة التعبير

***

ونرجع إلى « العهد القديم » فنختار مقطوعة من « نشيد الإنشاد » المشهور :

تقول « شوليت » بطلة هذا النشيد :

« كالتفاح بين شجر الوعر ، كذلك حبيبي بين البنين . تحت ظله اشتهيت أن أجلس ، وثمرته حلوة لحلقي ، أدخلني إلى بيت الخمر وعَلَمُه فوقي محبة . أسندوني بأقراص الزبيب ، أنعشوني بالتفاح فإني مريضة حباً . شماله تحت رأسي ، ويمينه تعانقني . أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول : ألا توقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء .

« صوت حبيبي . هو ذا آت طافراً على الجبال ، قافزاً على التلال . حبيبي هو شبيه بالظبي أو بغفر الأيائل . هو ذا واقف وراء حائطنا ، يتطلع من الكوى ، يوصوص من الشبابيك . أجاب حبيبي وقال لي قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي . لأن الشتاء قد مضى ، والمطر مرَّ وزال . الزهور ظهرت في الأرض . بلغ أوان القضب . وصوتُ اليمامة سُمع في أرضنا . التينة أخرجت فجها ، وقُعال الكروم رائحتها . قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي يا حمامتي في محاجئ الصخر ، في ستر المعاقل ، أريني وجهك ، أسمعيني صوتك . لأن صوتك لطيف ووجهك جميل

« خذوا لنا الثعالب ، الثعالب الصغار المفسدة للكروم ، لأن كرومنا قد أقعلت

« حبيبي لي ، وأنا له . الراعي بين السوسن إلى أن يفيح النهار ، وتنهزم الظلال ، أرجع وأشبِهْ يا حبيبي الظبي أو غفر الأيائل على الجبال المشعبة

ويقول حبيبها الراعي في مقطوعة أخرى من النشيد :

« ما أجلك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات . قامتك هذه شبيهة بالنخلة ، وثدياك بالعناقيد . قلت : إني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها ، وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ، ورائحة أنفك كالتفاح ، وحنكك كأجود الخمر ، السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين !

« أنا لحبيبي وإليَّ اشتياقه . تعال ياحبيبي لنخرج إلى الحقل . ولنبت في القرى . لنبكرن إلى الكروم ، لننظر : هل أزهر الكرم؟ هل تفتح القعال؟ هل نوَّر الرمان؟ هنالك أعطيك حبي . اللقاح يفوح رائحة ، وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرتها لك يا حبيبي »

فهنا صورة للحب الفطرى ، كأنما هو قطعة من حب الطبيعة ، يتفتح حين تتفتح ، ويفوح حين تفوح . الحبيب فتىً يقفز من فوق التلال المشعبة كالأيل ، والحبيبة كالنخلة وثدياها كالعناقيد . وهما يبرزان للطبيعة ويتواريان فيها كأنهما من كرومها الفائحة المتفتحة ، أو ظبائها وأيائلها الطافرة . أو يمامها في محاجئ الصخر وستر المعاقل . ثم :

« لننظر هل أزهر الكرم ؟ هل تفتح القعال ؟ هل نوَّر الرمان ؟ هنالك أعطيك حبي ! اللقاح يفوح رائحة . وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرتها لك يا حبيبتي »

وهذا منتهى الإحساس بحيوية الطبيعة ، والاستجابة ، كم تستجيب الطبيعة ، وفي إبانها المناسب وأوانها المعلوم . وكل هذ من خلال الصورة والظلال التي يرسمها التعبير للطبيعة وللنفس الإنسانية على السواء . وهي أعلى في آفاق الفن من كل دعا بالغزل على طريقة المعاني الذهنية التي تكاد تكون الوسيلة الوحيدة للتعبير في شعر العذريين وغير العذريين ، فيما عد الفلتات التي لا تكون القاعدة ، وإنما تكون الاستثناء القليل

***

وفي ظل هذه المقطوعات القديمة نتملى قطعة الشاعر الإنجليزية المعاصرة المرموز لها : « لورانس هوب » التي نقلناه في مقالة سابقة تحت عنوان : « في غير هذه الليلة » وقد جاء فيها :

لا . حين نشتهي استجابة الحب الكبرى

أقبل على والصباح يرتع في الأنوار

والبلابل من حولنا مشوقة تصدح بالغناء

بين الورود من حمر وبيض

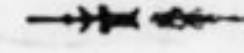
وبقيتها في « عرائس وشياطين » وفي عدد الرسالة (٥٧٩) وقد قلنا في التعليق عليها هناك :

هذه شاعرة وامرأة ، يبدو في مقطوعاتها طريقة إحساسها

كتاب المصايد والمطارد

لكشاجم المتوفى سنة ٣٦٠ هـ.

للأســتاذ سعيد الديوه جى



كنت في صيف السنة المنصرمة قد عثرت على مخطوط قديم فى المدرسة الحسنية فى الموصل ، وتحققت بعد ذلك أن هذا المخطوط هو كتاب « المصايد والمطارد » لكشاجم الشاعر .

وفى ١٤ أغسطس ١٩٤٣ أطلعنى أحد الأفاضل فى بغداد على مقال للدكتور الجليل إسرائيل ولفنسون « أبى ذؤيب » نشره فى مجلة المجمع العلمى العربى عن كتاب « المصايد والمطارد » ، وقد كتب الدكتور الجليل بأنه يود أن يتعرف على نسخة غير نسخته فكتبت هذه الكلمة تلبية لطلبه .

بين مخطوطات المدرسة الحسنية فى الموصل مخطوط قديم ذكره الدكتور الفاضل داود الجلبى فى كتابه مخطوطات الموصل ص ١٢٢ تحت الرقم (٢٦) باسم « بازنامة » . حجم الكتاب ٢٣ × ١٦ سم وعدد صفحاته (١٩٠) صفحة فى الصفحة الواحدة (١٧) سطراً . وهو مكتوب على ورق سميك ، ويظهر من قواعد كتابته وورقه والحبر الذى كتب به أن الكتاب يرجع إلى القرن السادس الهجرى أو ما يقارب ذلك ، كما يظهر أن المخطوط قد تمزق على ممر السنين وأعيد تجليده مرة ثانية فأصلح غلافه وزيد فى كل من أوله وآخره ثلاث أوراق بيضاء خالية من الكتابة ، وهذه الأوراق الستة تختلف عن ورق الكتاب الأصلى فهى : أقل سمكا وأنصع بياضاً . أما الورق الأصلى فقد اكتسب سمرة تدل على قدمه وخاصة حول الأسطر الكتابية فإن السمرة تزداد . وإن المجلد قد أخطأ فى ترتيب أوراق الكتاب ، فوضع الورقة ٩٠ منه بعد الورقة ٩٣ اتضح لى هذا من سياق البحث . والنسخة التى بين أيدينا كثيرة الغلط والتحريف فيظهر أن الناسخ كان يجهل قواعد اللغة العربية ، فكان يمسخ بعض الكلمات بدلاً من أن ينسخها . ونجد قسما من الكلمات خالية من الإعجام ، وأعتقد أن بعض هذا كان من إهمال الناسخ ، وأن البعض الآخر كان من تأثير الرطوبة فى المخطوط

الصفحة الأولى من الكتاب كلها نقوش لازوردية ومذهبة ، ولكن الرطوبة وطول الأمد وعبث الأيدى أثرت فى هذه النقوش فأزالت القسم الكبير منها وشوهت الباقى . فى القسم الأعلى من هذه الصفحة دائرة كبيرة ظهر لى فى وسطها كتابة باللون الذهبى تأملتها طويلاً ؛ فعلمت أنها اسم الكتاب « المصايد والمطارد » . أما وسط الصفحة فأعتقد أنها خالية من الكتابة وهى مجرد نقوش . أما أسفل الصفحة ففيها كتابة يظهر أنها كانت مكتوبة

بفرح الطبيعة وحزنها ، وتتبين الوشائج الحية بينها وبين هذه الأم الكبيرة

* * *

عنينا باستعراض قطعة هاردى فى ظل قطعة « الجامعة » وقطعة « لورنس هوب » ، فى ظل قطعة « شوليت » لغرض خاص ، هو بيان مدى تأثر الشعر الأوربى وانتفاعه بكتابهم المقدس ، وهو تأثر واضح فى هذه القطع جميعاً . فى طريقة الإحساس وفى طريقة التعبير على السواء

ونحن نجد القرآن بين أيدينا ، وهو يتبع فى التعبير طريقة التصوير الحى ، الذى يزيد مساحة المعنى النفسية ، ويحيله صورة حية ، حتى فى الأغراض الدينية البحتة

بين أيدينا هذا الكتاب المقدس يتحدث بأبرع طريقة فنية فى الأداء ، فلا ننتفع بها ، ونرجع إلى اقتباس طرق تعبيرنا إلى الشعر العربى ولا سيما فى العصر العباسى ، حينما تأثر الشعر بالفلسفة والمنطق ، وبرزت فيه المعانى الذهنية بروزاً واضحاً ؛ ولولا أصالة الطبع فى بضعة شعراء فى هذا الوقت ، لقضت الطريقة الذهنية فى الأداء على الطابع الفنى تمام القضاء.

إننى أدعو إلى تملى طريقة القرآن فى التصوير والتظليل فهى أعلى طريقة فنية للأداء . وإذا كانت وجهة القرآن الدينية ، قد جعلت هذه الطريقة خاصة بأغراض الدعوة الإسلامية . فإن نقلها إلى عالم الأدب خليق بأن يرفع هذا الأدب إلى آفاق رفيعة ، لم تصل إليها حتى الآن . فهلموا إلى ذلك النبع الأصيل . نبع القرآن .

سيد قطب

باللون الذهبى وسط نقوش لازوردية ، ولكن طمست معالم الكتابة ، ولم يبق إلا آثار بعض الحروف فصعب قراءتها .

ولا نجد على المخطوط ذكراً للمؤلف . فمن يا ترى مؤلف هذا المخطوط ؟ ذكر ابن النديم أن « أبا دلف القاسم بن عيسى والفتح ابن خاقان وابن المعتز ومحمد بن عبد الله بن البازيار وأبا الفتح محمود ابن الحسين بن شاهن المعروف بكشاجم » ألفوا فى الجوارح والصيد . ومؤلف المخطوط الذى بين أيدينا يستشهد بأبيات لابن المعتز وبأخرى لأبي فراس الحمدانى المتوفى سنة ٣٥٧ هـ . ونحن نعلم أن أبا دلف توفى سنة ٢٥٦ هـ . والفتح بن خاقان توفى سنة ٢٤٧ هـ . وابن المعتز توفى سنة ٢٩٦ هـ . فيكون المؤلف قد عاش بعد هؤلاء الثلاثة . أما كشاجم وابن البازيار فإنهما كانا معاصرين لأبي فراس ، وكانا من شعراء الدولة الحمدانية فى حلب وعاشا فى ظلالها ، وتوفى كشاجم سنة ٣٥٠ أو سنة ٣٦٠ هـ . وتوفى ابن البازيار سنة ٣٥٢ هـ . ولكن لدينا من الأدلة ما تؤيد أن المخطوط هو لكشاجم وهى :

١ — اتفق الذين ترجموا لكشاجم أنه كان متضلعاً من علوم عديدة ، وكان كاتباً شاعراً وله كتاب « المصايد والمطارد » وذكر صاحب كشف الظنون (جـ ٢ : ص ٢٧٦) كتاب « المصايد والمطارد » لأبى الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم المتوفى سنة ٣٥٠هـ . كما ذكر جرجى زيدان فى كتابه تاريخ أدبيات اللغة العربية (جـ ٢ : ص ٢٥١) فى ترجمة كشاجم وينسب إليه كتاب البزاة فى علم الصيد ، منه نسخة خطية فى مكتبة غوطا . مما لا شك فيه الآن أن لكشاجم كتاباً اسمه (المصايد والمطارد)

٢ — وقد ذكر صاحب هذا المخطوط فى باب فضل لحم الصيد ما يأتى :

وأهديت إلى بعض إخوانى صيداً وكتبت إليه فى عقب علة كان فيها بهذه الأبيات :

أزال الله شكواك وأهدى لك أفواقا
خرجنا أمس للصيد وكنا فيه سُبّاقا
فسمينا وأرسلنا على أسهل إطلاقا
فتاح الله بالرزق وكان الله رزاقا
فحصلنا من الدرا ج ما الرحل به ضاقا
فأطممت وأهديت إلى المطبخ أو ساقا
وخير اللحم ما أقلقه الجارح إقلاقا
وذو العادة للصيد إذا أبصره تاقا
فيعدوه بما كان إليه الدهر مشتاقا
فكل منه شفاك الله مشوياً وأمراقا
فهذا الحفظ للصحة لا تدبير إسحاقا

فرجعت إلى ديوانه المطبوع فى بيروت ، فوجدت هذه الأبيات فى صفحة ١٢٩ ، ١٣٠ منه

٣ — وذكر مؤلف هذا المخطوط فى باب معرفة (أصناف البزاة) قال محمود مؤلف هذا الكتاب، فى ذلك شعراً :

حسبى من البزاة والزرارق
سدق (كذا) يصيد صيد الباشق
مؤدب مهذب الخلائق أصيدُ من معشوقة لعاشق
يسبق فى السرعة كل سابق ليس له عن صيده من عائق
ربيته وكنت غير الواثق من طبعه بكرم الخلائق
إن الفرازين من البيادق

ونحن نعلم أن اسم كشاجم هو محمود ، وهذه الابيات من نظمه ومذكورة فى ديوانه (ص ١٣٣) فلم يبق شك فى أن هذا المخطوط هو لكشاجم

المخطوط الذى بين أيدينا مشوش التبويب . فالناسخ قد سلك فى تبويبه طريقة غريبة جداً فإنه بعد المقدمة يشمل على مائة باب وباب واحد (٨٤) منها ذكر معها لفظ باب . فمثلاً (باب ذكر الصيد ، باب فضائل الصيد ، الخ ...) وبعضها يذكر (لفظ باب) فقط و (١٧) لم يذكر معها لفظ باب ، وإنما كتب العنوان مجرداً من الباب مثلاً (معرفة أصناف البزاة) أما بعد الصفحة (١١٦) فإنه قسم الكتاب إلى أبواب رئيسية يشمل كل باب منها أبواباً فرعية ، فأول هذه الأبواب الرئيسية هو (باب علامات الجس وأدويته) ويشتمل هذا الباب على ثمانية أبواب فرعية ، ثم يليه (باب الأكاة) ويشتمل على بابين فرعيين ، ثم يلى هذا أدوية النفس ويشمل على ستة أبواب فرعية الخ ... وهذه الفرعية بعضها له علاقة بالباب الرئيسى وبعضها ليس له علاقة به . ويختم

٤ – فساد الطريقة
في كتاب النثر الفني

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

سوء الفهم أيضاً

ليس الغريب أن يخطىء صاحب الكتاب ذلك الخطأ الشنيع فى فهم الواضح من آيات القرآن الكريم كآية سورة هود التى حللنا فهمه إياها فى كلمتنا السالفة ، فإن خطأه ذلك إن هو إلا نتيجة لرأيه فى القرآن ، ومصداقاً لقوله تعالى : « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه » لكن الغريب أن يخطىء فى فهم نصوص ذكرها من كلام الناس خطأ نذكر لك الآن منه صنوفاً

أراد صاحب الكتاب أن يبين أن صحة المعنى لا تكفى لبلاغة الكلام ؛ فزعم أنه « لا يوجد أصدق من قول من قال :

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

وتساءل : ولكن من الذى يقيم وزناً لصدق هذا الكلام ؟ إن هذا الصدق هو التفاهة بعينها »

والتفاهة ليست فى صدق البيت ولكن فى الفهم الذى لا يدرك أن سر تفاهته هو فى الخلف الذى بين شطريه . ذلك أن البيت فى صميمه بيت تشبيه ، والتشبيه يتطلب مشبهاً به مغايراً للمشبه ، والقارىء يتوقع هذه المغايرة إذا قرأ الشطر الأول ؛ فإذا وجد الشطر الثانى قد كذب هذا التوقع بجعله المشبه به عين المشبه بطل التشبيه عنده ، وهزىء بالقائل الذى لا يعرف ما هو التشبيه ، وبالبيت الذى يكذب شطر منه شطراً

فالبيت من ناحية التشبيه بيت كاذب : يعد القارىء فى شطره الأول بشىء يخلفه إياه فى شطره الثانى . وهذا الخلف والتضاد بين شطرى البيت هو سر تفاهته . فلو حذفت منه حرف التشبيه ووضعت مكانه حرف التوكيد لزال من البيت الخلف الذى هو نوع من الكذب ، ولحل محله الصدق ، ولارتفعت قيمة البيت ارتفاعاً يجعله بمنجاة من أن يكون مثلاً مضروباً فى السخرية والاستهزاء ، لكن صاحب الكتاب غبى عليه أن التفاهة التى يحسها فى البيت راجعة إلى هذا النوع من الكذب فيه ، وتصور أن البيت قد بلغ من الصدق الغاية ، فدل بذلك على أنه فى الحقيقة لم يفهم البيت

ونص آخر وقف صاحب الكتاب عنده موقف العاجز عن الفهم . قول للباقلانى فى كتابه إعجاز القرآن يحتج به لما يراه من أن ما جاء فى القرآن على هيئة السجع ليس بسجع « لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع ، وليس

كل باب من الأبواب الرئيسية بقوله مثلاً عند نهاية باب الجص (انقضت أبواب الجص وأدويتها ، بحمد الله وعونه يتلوها إن شاء الله أبواب الأكلة المتولدة فى جوف الجارح من الجص وغيره وبالله التوفيق)

وفى الباب الأخير الرئيسى الذى ينتهى به المخطوط تكلم المؤلف عن علاجات مختلفة لأمراض الجوارح ، ثم تكلم عن الكلب وصيده وخصائصه وأمارات الفراهية فيه وأحكامه وأدويته ، وانتقل بعد هذا إلى أدوية الفهود وذكر عنها مقتضباً وهو أدوية الفهود : اعلم أن جرب الفهود يعتريها من بولها فينبغى أن يفرش الرمل تحتها حتى يصفو شعرها ولا يصيبها شىء من بولها إلا يشربه الرمل ، ويبدل الرمل من تحته كل قليل فإذا جرب فاسحق له الكبريت الأصفر وربه بالزيت ، واطل بدنه من الجرب فإنه يبرأ منه بإذن الله تعالى والله أعلم

ولهذا فإنى أشك أن يكون هذا الكتاب كاملاً إذ ليس من المعقول أن يتكلم المؤلف عن الفهد فى هذه الأسطر المعدودة بينما نجده تكلم عن بقية حيوانات الصيد وجوارحه فى أبواب متعددة يستوفى البحث ، ومما يزيد فى شكى هذا أن الناسخ لم يختم الباب الأخير بالجملة التى يختم بها الأبواب الرئيسية التى بعد ص ١١٦

وفى الكتاب صورتان للباز مرسومتان بالمداد الأحمر ، وهما خاليتان من كل زخرف ، الأولى رسمت تحت عنوان (باب شرح البزاة وصفتها) والثانية مرسومة بين أسطر (باب علامة صحة الجارح) . اهـ

(الموصل)

سعيد الديوه جي

كذلك ما اتفق مما هو فى تقدير السجع من القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى » وهذا كلام للباقلانى واضح ، يحدد السجع فى رأيه كما يعرفه فى كلام المتكلمين منه ، ويرى سجع القرآن يمتاز منه بمخالفة هذا الحد والفصل الذى ذكر ؛ فلم يجعله من قبيله ، وافقته على ذلك أو خالفته . وقد أراد الباقلانى أن يؤكد احتجاجه لرأيه ذلك فقال كما روى صاحب الكتاب ، وهذا هو محل الاستشهاد :

« وفصل بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ . ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى »

نقل صاحب الكتاب هذا الكلام ، ودل فى الهامش على موضعه من كتاب الباقلانى ، ومضى يلخص الفكرة فيه من غير أن يلحظ أن الكلام فى الأصل ، وكما نقله غير مستقيم مع رأى الباقلانى لتداخل وقع فيه عند طبع الأصل أو عند النسخ استغلق به المعنى على القارئ ، من غير أن يدرك ذلك صاحب الكتاب فيزيل منه التداخل قبل التعليق عليه أو تلخيص الفكرة فيه . والتأمل يبين أن وجه الكلام هو كما يأتى بعد نقل كلة واحدة مكان كلة ، وجملة واحدة مكان جملة :

« وفصل بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون اللفظ منتظماً دون المعنى . ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره »

وقد تكون الفقرة الأخيرة كما يأتى إذا كان التبادل وقع بين فعلى الشرطيتين لا بين جوابيهما :

« ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى »

فهذان وجهان للكلام لا بد أن يكون واحد منهما هو ما كتب الباقلانى فى كتابه ، إذ لا يتضح معناه بغير ذلك . لكن صاحب الكتاب لم يفطن إلى ما فى الكلام الذى نقله من تداخل ، ولم يحاول أن يناقش حجة الباقلانى التى استغلقت عليه بذلك التداخل ، وقصر تلخيصه للفكرة على المعنى المتضح من كلام الباقلانى الذى نقلناه أولا ، موهماً أنه قد لخص المعنى فى الكلام كله ؛ فدل بذلك على تقصيره فى فحص الكلام وتقليبه ؛ أو على قصوره فى الفهم والتفكير

والآن ننتقل إلى مثل ثالث يتعلق لا بسجع القرآن ، ولكن بالسجع فى القرن الثالث

ذلك أن صاحب الكتاب نقل فى صفحة ٨٤ من الجزء الأول من كتابه نصاً من الجزء الأول من كتاب ضحى الإسلام هو :

« ونحن نعلم أن هذا العصر — عصر الجاحظ — لم يتكلف فيه سجع ، ولم تؤلف فيه كتب مسجوعة كلها ؛ وإن تكلف فيه سجع ففقرة أو فقرتان . فأما كتاب كله سجع فهذا ما لا نعرفه فى هذا العصر »

وواضح أن الإنكار الذى فى هذا النص منصب فى تعميمه على أن يكون فى عصر الجاحظ كتاب كله سجع ، ولكن صاحب النثر الفنى غفل عن هذا أو تغافل عنه فى المناسبات الثلاث التى أشار فيها إلى رأى الأستاذ أحمد أمين

ففى المناسبة الأولى وهى التى دعته إلى ذكر ذلك النص لتخطئته استشهد على إمكان وجود كتاب مسجوع لرجل من كتاب القرن الثالث بحرص « ابن داود على وضع عناوين الفصول مسجوعة فى كتاب الزهرة » وواضح أن القرن الثالث يمتد بعد عصر الجاحظ بنحو نصف قرن ، فلو وجد فيه كتاب مسجوع لما استلزم أن يكون حتماً فى عصر الجاحظ . كذلك من الواضح أن عناوين فصول كتاب ليست هى نفس الكتاب ، فوجود العناوين كلها مسجوعة ليس معناه أن الكتاب نفسه مسجوع كله . لكن ذلك هو مبلغ فهم صاحب النثر الفنى للنص الذى أورده لصاحب ضحى الإسلام ومبلغ تفنيده إياه

وفى المناسبة الثانية يشير صاحب الكتاب إلى رأى الأستاذ احمد أمين بقوله من صفحة ٨٦ : « ولا ينبغى أن نستبعد ـ كما استبعد الأستاذ احمد أمين ـ أن توجد مؤلفات مسجوعة فى القرن الثالث ؛ فان عصرنا الحاضر ينكر السجع على المؤلفين أشد الإنكار ويراه ضرباً من التكلف الممقوت ، ومع هذا وجدت فى عصرنا مؤلفات مسجوعة ، مثل : (صهاريج اللؤلؤ) و (حديث عيسى بن هشام) وابواب من (ليالى سطيح) .

وقد وقع صاحب هذا الكلام فى نفس الخطأ الذى وقع فيه آنفاً ، إذ جعل القرن الثالث هو وعصر الجاحظ سواء ، ونسب بذلك إلى أحمد أمين قولاً لم يقله فى النص الذى رواه له ، وإن كان أكبر الظن أن القرن الثالث لم يشهد بالفعل كتاباً مسجوعاً كله ، إن لم يكن هناك على عكس ذلك إلا أدلة صاحب الكتاب . ألا ترى أنه لا يفرق بين عصرنا هـذا الذى يستنكر فيه التزام السجع والعصر الذى عاش فيه البكرى والمويلحي ؟ أفكان ع يستنكر التزامه قبل نصف قرن حين كتب ذانك ابان ، كما يستنكر ذلك الآن حتى يجعل صاحب النثر الفنى ين واحداً ، ويستدل بوجود الكتابين على وجود الضدين فى هذا العصر ؟ أم كان التزام السجع مستحسناً كل الاستحسان حين كتب ذانك الكتابان فلا يكون لصاحب النثر الفنى فيهما إذن دليل أو برهان ؟

ويقول صاحب الكتاب فى مناسبة ثالثة فى صفحة ٩٦ : « والقرن الثالث يسميه صديقنا الأستاذ أحمد أمين (عصر الجاحظ) وينفى عنه السجع ، مع أن الجاحظ يسجع ولا يخرج من السجع إلا إلى الازدواج » . أقرأت هذا ووعيته ، وأدركت الفرق بين ما ينسبه صاحب النثر الفنى إلى صاحب ضحى الإسلام هنا ، وبين النص الذى يرويه له هناك ؟ صديقه الأستاذ أحمد أمين يسمى القرن الثالث عصر الجاحظ ، وصديقه الأستاذ أحمد أمين ينفى عن القرن الثالث السجع ! وهكذا يصح فى فهم صاحب الكتاب أن يمتد عصر الجاحظ إلى سنة ٣٠٠ هـ ، لأن الجاحظ مات سنة ٢٥٥ هـ ، وأن ينفى مؤرخ السجع عن القرن الثالث لأنه نفى وجود كتاب كله سجع فى ذلك القرن ، أو فى النصف الأول من ذلك القرن !

فقد رأيت الآن ثلاثة أوجه لفهم دكتورنا البحاثة لنص واحد لمؤلف معاصر ، ورأيت كيف يحوره ويدوره حتى صيره إلى ما رأيت وما ترى . والأمر إليك الآن فى تسمية هذا النوع من التفكير بحثاً أو تسميته عبثاً ، وفي تسمية هـذا النوع من التصوير تصريفاً أو تحريفاً ، ومن النقل مسخاً أو نسخاً ، ثم فى تسميته هذا كله عجزاً عن الفهم أو اقتداراً عليه ، وصلاحاً فى الطريقة أو فساداً ؛ فإن الأمر جل عن التلاحى ، أو قل كما نشاء أن تقول

محمد أحمد الغمراوى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٩٩ — قم فحيني لقده بمثال

في (قلائد العقيان) : سار أبو محمد عبد الجليل بن وهبون[١] الوزير الأستاذ أبا بكر بن القبطرنة وهو غلام يحار مجتليه ، ويغار غصن البان من تثنيه ، وقد وضع يمناه في شماله ، وتضوع عرف آماله ، والناس ينظرون هلال شوال ؛ فقال :

يا هلال ، استتر بوجهك عني إن مولاك قابض بشمالي
هبك تحكي سناه خدا بخد قم فحيني لقده بمثال

٦٠٠ — ما ليس عندي من إحدى المصيبات

قال الربيع بن سليمان : قصد الشافعي رجل يطلب منه شيئاً فأعطاه ما أمكنه ثم أنشأ يقول :

يا لهف نفسي على مال أفرقه على المقلين من أهل المروءات
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ما ليس عندي من إحدى المصيبات

٦٠١ — الحرة التي تعلو وجهها من الحياء

الظرائف واللطائف للمقدسي : قيل لبنت أرسطاطاليس : ما أحسن ما في المرأة ؟

قالت : الحرة التي تعلو وجهها من الحياء

٦٠٢ — وضربت للحدثان والحرب

في (الكامل) : كانت رُكب[٢] الناس قديماً من الخشب فكان الرجل يُضرب رِكابُه فينقطع ؛ فإذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد ، فأمر المهلب[١] فضربت الركب من الحديد ، وهو أول من أمر بطبعها[٢] ، ففي ذلك يقول عمران بن عصام :

ضربوا الدراهم في إمارتهم وضربتَ للحدثان والحرب

٦٠٣ — ما أعجب هذه القصة !

(وفيات الأعيان) : كان أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج أحد الأئمة المشاهير[٣] المجمع على فضله ونبله وجلالة قدره في النحو والأدب . وكان يهوى جارية بخفته ، واتفق وصول الإمام المكتفي (العباسي) في تلك الأيام من الرقة[٤] . فاجتمع الناس لرؤيته ، فلما رآه أبو بكر استحسنه ، وأنشد أصحابه هذه الأبيات :

ميّزت بين جمالها وفعالها
فإذا الملاحة بالخيانة لا تفي[٥]
حلفت لنا ألاّ تخونَ عهودنا
فكأنما حلفت لنا ألاّ تفي
والله لا كلّمتُها ولو أنها
كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

ثم إن أبا عبد الله محمد بن اسماعيل بن زنجي الكاتب أنشدها أبا العباس بن الفرات وقال : هي لابن المعتز ، وأنشدها أبو العباس القاسم بن عبيد الله الوزير . فاجتمع الوزير بالمكتفي وأنشده إياها ، وقال للمكتفي هي لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، فأمر له بألف دينار فوصلت إليه ؛ فقال ابن زنجي : ما أعجب هذه القصة ! يعمل أبو بكر بن السراج أبياتاً تكون سبباً لوصول الرزق إلى عبيد الله بن طاهر

---

(١) وله ، وقد اجتاز على فرن وبده مرتبطة بيد أحد فتيان أشبيلية يسمى ربيعا ، فقال له : صف لنا هذا الفرن فقال :

رب فرن رأيته يتلظى وربيع مخالطي وعقيدي
قال شبه فقلت صدر حسود خالطته مكارم المحسود

(٢) ركب : جمع ركاب . الأساس : ووضع رجله في الركاب

(١) أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة بطل أي بطل وعبقري في سياسة الحرب . وفي (الايجاز والاعجاز) للثعالبي من كلامه : الاقدام على الهلكة تغرير ، والاحجام عن الفرصة جبن شديد

(٢) طبعها : عملها . الأساس : طبع السيف والدرهم ضربه .

(٣) المشاهير في كلام العلماء والأدباء كثير .

(٤) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات ، ويقال لها الرقة البيضاء (معجم البلدان)

(٥) (فعالها) قال المبرد الفعال يكون في المدح والذم وهو مخلص لفاعل واحد وإذا كان من فاعلين وهو فعال بالكسر (التاج) .

مشهد من الفصل الأول من :

قصر الهودج (*)

للأستاذ على أحمد باكثير

[كان الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله مغرماً بحب البدويات فسمع بجمال فتاة من بادية الصعيد فأرسل إلى أبيها يخطبها فرد الرسول ، فذهب بنفسه متنكراً كأنه رسول آخر من الخليفة . وطلب من أبيها أن ينفرد بسلمى ليقنعها بقبول الخليفة فوافق أبوها (الشيخ عمار بن سعد) . فلما خلا بها اجتهد بكل وسيلة أن يجعلها تعدل عن حب ابن عمها (ابن مياح) وتقبل يد الخليفة الفاطمى ولكن سلمى أصرت على الاعتذار بحب ابن عمها ، وإيثار حياة البادية على حياة القصور . وعندئذ غير الرسول مهجته وقال لها :

الرسول (الخليفة نفسه) :

عِشْتِ يا سلمى طليقَهْ لستِ للمُدْنِ صديقه
لا تحبِّين مغانيـ ـها ولا الدُّور الأنيقه

سلمى (يبدو فى وجهها السرور) :

لطف الله بحالكْ قد فهِمْتَ الآن قصدى

الرسول :

كيف لا أفهم ذلك والذى عندكِ عندى ؟
أنا من رأيكِ يا سلـ ـمى ومَيْلى مثلُ مَيْلِكْ
آهِ لو تسمح لى الأيـ ـام يا سلمى بنَيْلِك !
أنتِ لى لستِ لغيرى وأنا لستُ لغيرِكْ إن لى قلباً كقلبِكْ !

سلمى (مدهوشة) : عجباً ! هل أنت مجنون ؟

الرسول :

نعم يا نور عيـ ـنى أنا مجنونٌ بحبِّك !
قَسَماً بالدُّرِّ فى ثغر ك والورد بخـ ـدِّك
إننى عبدُك يا سلـ ـمى حنانيكِ بعبْدِكْ !

سلمى :

حَسْبك أخرس ! قطع الله لسانك !

الرسول :

يا حياتى حفظ الله زمانك !
أتسبِّين لساناً يتغـ ـنَّى بعبيرِكْ وجمالِكْ وشعاعِكْ ؟

سلمى :

بل لساناً كاذباً خنت به عهد أميرك باحتيالِك وخداعِك !

الرسول :

الأمير انسِيه لا تُجرِيه يا سلمى ببالِك أو خيالِك
أنا خير منه يا سلمى وأولى بجمالِك ودلالِك !

سلمى :

آه لو يسمع ما قُلْتَ المِلك لحاك السيف من هذا الوجود !

الرسول :

كيف يمحو السيف صبًّا هام بكْ
حُبُّكِ الخالدُ أولاهُ الخلود ؟

سلمى :

سيف مولانا الخليفه سيُعافيك غداً من جنونِكْ !

الرسول :

ليس بى للقتل خِيفَه فلقد ذُقْتُ الرَّدَى من عيونك !

[يزحف نحوها ويقترب منها]

العيون السود هذِى ما لها كُفْؤٌ سواى
والجبين الحُرُّ هذا ما له غير هواى !
فَمُك الحلوُ العقِيقُ الجميلْ ما براه اللهُ إلا لفمى !

[تلطمه سلمى بكفها على وجهه]

لطمةٌ منكِ شـ ـفاء للعليل فأعيديها ... بروحى ودمى !

[وهنا استغاثت سلمى بأبيها فأراد الوثوب بالرسول فكشف له أنه الخليفة فارتاع الشيخ عمار]

عمَّار (معتذراً) :

ما الذى ضرك لو أخبرتنا فاحترمناك أمير المؤمنين ؟

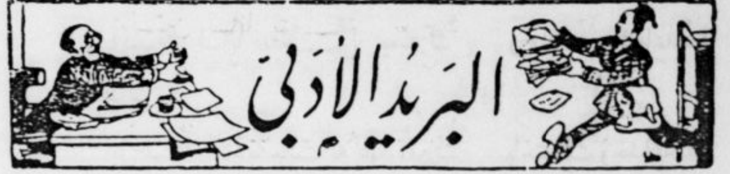
الخليفة :

شِئْتُ أن أشهد سلمى وأراها دون أن تعرف سلمى من أنا
علنى أُدرك من سلمى رِضاها فإذا فُزْتُ به نلتُ المنى !
غير أنى خاب فيها أملى ولقِيت الهجر منها والصدود
واشقائى! كل هذى الأرض لى غير سلمى لم أفُزْ منها بجود !

سلمى :

لستُ يا مولاي إلا أمتكْ كيف تعصى أمةٌ سيدها ؟

(١) عنوان مسرحية شعرية غنائية (أوبرا) ستطبع قريباً



عودة إلى وحدة الوجود

رأيت في العدد ٥٨١ من مجلة الرسالة الغراء عودةً إلى موضوع « وحدة الوجود » بقلم العالم الأستاذ عبد المنعم خلاف. فوددت لو يسمح لي الأستاذ البليغ صاحب الرسالة وحضرات الكتاب فيها وقراؤها قول كلمة أخرى في هـذا الموضوع الذي هو من الأهمية بمكان عظيم الشأن

« وحدة الوجود » بالمعنى الذي فهمناه من سياق المناقشات فيها في هـذه المجلة هي أن الله متحد في الكون المادي بحيث يكون والكون شيئاً واحداً. وهي بالحقيقة قضية فلسفية مختلفة النظريات باختلاف الفلاسفة الذين بحثوا فيها. وليس هنا محل الكلام فيها

الأديان السماوية الثلاثة ترفض هذه النظرية الفلسفية رفضاً باتاً. وهي مجمعة على أن الله والوجود المادي شيئان مختلفان. ولكل منهما ذاتية قائمة بذاتها منفصلة عن الأخرى، وأن الله الواجب الوجود الذاتي خالق الوجود المادي ومسيّره هذه النظرية عقيدة دينية مقررة في تعاليم كل من الأديان الثلاثة لا تقبل النقض ولا التنقيح ولا التعديل، وقد أصبحت تقليداً متحجراً منذ عهد موسى إلى اليوم لا تمكن زعزعته ولا تليينه بوجه من الوجوه. وإذا رام شخص أو جماعة أو طائفة تعديل هذه العقيدة في مجمع أو في مؤتمر عدّ أهل الأديان الثلاثة هذا التعديل بدعة وزندقة وكفراً

على أن للفلاسفة من عهـد لوسيبيوس وديموقراطس ولوقريطس « قبل المسيح » إلى عهد سقراط وأفلاطون وأريسطو ومن تلاهم بعد المسيح إلى اليوم نظريات مختلفة متباينة في علاقة الله بالوجود المادي بعضها تنزهه عن المادة وبعضها تدمجه فيها. وبين النظريتين درجات متفاوتة ووجوه مختلفة. ولهم في نظرياتهم تعاليل بعضها منطقي معقول كثيراً أو قليلاً، وبعضها سخيف لا يقبله عقل ولا يطابق منطقاً

فمن رام أن يبحث في « وحدة الوجود » أو ثنائيته فيما يخرج عن عقيدة الأديان الثلاثة فليعلم أنه يتعرض لتهمة الكفر والإلحاد، ولا يسلم من لسع الألسنة الحـداد. لأنه ليس في بيئتنا الفكرية في البلاد العربية محل لحرية الفكر أو القول أو القلم. فأي بحث فلسفي أو علمي يحتمل أن يساق إلى قضاء الامتحان الديني، وتنسب له تهمة المساس بالعقيدة الدينية، ويُحمّل عليه حملة تكفله. وحينئذ على الباحث أن يدافع عن بحثه لتبرئته من تهمة الكفر والإلحاد، وإلا لسعته الألسنة الحـداد.

يستحيل على من يتصدى للمسائل العلمية أو الفلسفية عن الوجود فيما وراء الطبيعة أن يستطيع التوفيق بين فلسفته والعقائد الدينية الراسخة إذا كان بين الفريقين تناقض أو تضاد، ويستحيل أن يسكت عليه الدينيون إلا إذا قاد النظرية الفلسفية أو العلمية إلى الطاعة العمياء للعقيدة الدينية. وحينئذ يكون قد فكر بالفلسفة والعلم

فحذار أيها العلماء من التفلسف بوحدة الوجود، لأن الموضوع وعر خطر.

نقولا الحداد

إنما كانت ترجّي رحمتكَ   انتَ مولاها فهبْهَا يدها !

الخليفة : أنا يا سلمى الذي يرجو رضاك !

سلمى : أنا يا مولاى من ترجو نَداكْ !

الخليفة : انت يا سلمى التي لا ترحمين !

سلمى : إنما الرحمة حق المالكين !

الخليفة : أنا ملكٌ لِغرامِكْ !

سلمى : أنا ملكٌ لِحسامِكْ !

الخليفة : اعلمى أن غرامى بكِ أمضى من حسامى

لِمَ لا تفدين يا ما لكتى ملك غرامى ؟

سلمى : لَسْتُ أهلاً لك يا مولاى !

الخليفة : أنا أهلٌ لكِ يا دنياىْ !

سلمى : أنت أهلٌ لى وأملٌ لِسواى !

علي أحمد باكثير

حول وحدة الوجود

عنت لى ملاحظة يسيرة على نقطة هامة فى مقال الأستاذ خلاف المنشور بالعدد ٥٨١ من الرسالة الغراء ، وهى :

هل توهم الخليل أن هنالك أدوات للخلق والتكوين ؟

قال الأستاذ ذلك ، ولذلك سأل « أى الخليل » ربه سؤاله ؛ فمن أين للأستاذ الفاضل هذا الفهم ، والسؤال بكيف عن الحال ، ولو كان كما أراد الأستاذ خلاف أن يفهم لكان السؤال هكذا بأى شىء تحيى الموتى ؟ فيؤتى بأى التى هى صالحة لاستعمالها فى أنواع المستفهم عنه ، على أن الأستاذ الفاضل فسر صرهن بـ « اذبحهن » ، وهذا ينافى صريح اللغة وسياق الآية الكريمة ، إذ بعد أن يسرد الكشاف القراءات التى وردت فى تلك اللفظة الجليلة وكلها يدور حول الضم والجمع ينشد قول الشاعر :

ولكن أطراف الرياح تصورها

وقول الشاعر :

وفرع يصير الجيد وحف كأنه

على الليث قنوان الكروم الدوالح

وبدهى أنه لا معنى أصلاً لأذبحهن إليك ، ولكن الضم إليه ليتأملها ويعرف أشكالها وحلاها ، هذا من حيث اللغة والمنطق . والأستاذ هو من هو فيهما

وأما من حيث الأخبار الصحيحة الواردة في هذا المقام — والأستاذ الديّن الحصيف — فهو ما رواه البخارى فى صحيحه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرنى كيف تحيى الموتى ؟ ... الخ »

وبعد أن علق الشراح بآرائهم على هذا الحديث الشريف اخترت « هذا الذى ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك إنما هو طلب لمزيد البيان وتقوية لليقين بالمشاهدة بعد العلم » . حكى بعض علماء العربية أن أفعل ربما جاء لنفى المعنى عن الشيئين نحو قوله سبحانه : « أهم خير أم قوم تبع » ، أى لا خير فى الفريقين ، وجواب الخليل عليه السلام ، ولكن ليطمئن قلبى ، يؤيد ذلك ، هذا وللأستاذ ثنائى وإعجابى

« شبرا بابل » إبراهيم السعيد عجلوه

من غير تدليس :

فى عدد الثقافة الأخير قرأت كلمة للأستاذ (ح . ج) تحت عنوان : « سعد وسعوده » جاء فيها : « نريد أن نتكلم عن سعد — الإنسان العادى — لا عن سعد الزعيم المتفرد ، ولا عن سعد الخطيب المصقع ، ولا عن سعد الخصم الجبار ، فإن قصر الحديث فى هذه الناحية وحدها من نواحيه المتعددة خليق أن يضرب بينه وبين الناس حجاباً يحول دون انتفاعهم بقدرته ، والنسج على منواله فى الحياة

وإنى لأذكر أن كاتباً من كتابنا النابهين كتب عن شخصية سعد فقال ما معناه : إن الإنسان لينظر إلى سعد فيحس أنه على مقربة من رجل ممتاز فى جسمه كما هو ممتاز فى عقله . وإن طلعته لتذكر الناظر إليه بطلعة الأسد . وإنه ليس بين الوجوه الآدمية ما هو أشبه فى قسماته ومهابته من سعد زغلول

« أذكر أنى قرأت هذا الوصف فى كتاب كنت أرجو أن ألتمس فيه لنفسى عوناً على الوصول إلى شىء من أسباب العظمة التى سلكت سعداً فى سجل العظماء ؛ فإن الإنسان ليقرأ سير العظماء ويبتغى أن يقع فيها على سرهم ، لعله أن يصيب حظاً مثل حظهم . ولكنى قمت إلى المرآة بعد قراءة هذا الوصف أتفحص قسمات وجهى . فلم أر فيها شيئاً يشبه الأسد من قريب ولا من بعيد . ورأيتنى فرد كغيرى من الآدميين الكثيرين ، فارتددت وفى نفسى شىء من خيبة الأمل على أن الطبيعة سلبتنى أول مقومات العظمة التى حبت بها زعيمنا الخالد !

« وأنا اليوم لا أريد أن أدفع اليأس فى قلب قارىء جديد بالتحدث عن عظمة سعد ، ولذلك اخترت أن أتحدث عنه لا بوصف كونه أمة فى فرد ولا بوصف كونه الجبار العنيد ، ولا على أنه الشجاع الأعزل الذى وقف فى وجه الدولة المسلحة

« ولكنى أريد أن أكتب عنه باعتباره إنساناً له نواحى ضعفه أحياناً ، وله من الصفات الكثيرة ما يشاركه فيه كل إنسان آخر »

ثم تحدث الأستاذ (ح . ج) عن رقة شعور سعد التى جعلته لا يطيق باكياً أمامه ولا يستقبل أم المصريين فى جبل طارق على الرصيف خوف أن تجيش نفسه. وعن اضطلاعه بالمهام الكبار وهو مريض بجملة أمراض. وعن إثارة الأزمات لحيويته ونفى المرض عنه. وعن فكاهته مع الأزهريين الذين طلبوا إرسالهم فى بعثات إلى أوربا. وعن مداعبته لزملاء المنفى فى مالطة المتأثرين لما يصيب زوجاتهم من قلق عليهم بأن يخبروهن أنهم تزوجوا غيرهن فيبطل القلق!

***

والذى يقرأ هذا الكلام بما فيه من تهكم على حكاية وجه الأسد «يخيل إليه أن الكتاب الذى يشير إليه الأستاذ (ح . ج) قد سار كله على النسق الذى عرض الأستاذ به، وأنه أغفل من سعد تلك الجوانب الإنسانية التى فطن إليها كاتب المقال

ولما كنت أذكر ذلك الكتاب الذى يعنيه فقد عدت إليه فوجدت أن «كاتباً من كتابنا النابهين» هذا. هو الذى يقول فى كتابه بتطويل وتفصيل نجمله فى اختصار شديد:

«إن الذى يحسب سعداً مكافحاً مناضلاً فقط يخطىء فى فهمه، وأنه: «لم يكن أصلح منه للعطف والصداقة وحسن المودة والأنس بالناس والارتياح إلى المعاشرة. وقد حفظ قلبه الكبير ما أودعته الفطرة من ذخيرة العطف الزاخر إلى آخر أيام الحياة.

فإذا تأثرت نفسه بحالة مفرحة أو محزنة؛ فكثيراً ما تغرورق عيناه أو تنهملان بالدمع الغزير. وكان فى مجالسه الخاصة من أقدر الناس على مؤانسة الجلساء بالحديث الشائق والفكاهة الحاضرة والحدب المطبوع، ثم يذكر بالذات حكاية أنه لم يكن يطيق باكياً، وأنه لم يستقبل أم المصريين فى جبل طارق، وفكاهته مع الأزهريين ودعابته لزملاء مالطة فى هذا الموضع. ويذكر فى موضع آخر استجاشة الأزمات لحيويته واضطلاعه بالأعباء مع مرضه ... وهو كل ما ذكره الأستاذ (ح . ج) ثم يزيد جوانب إنسانية أخرى له فى بيته ومع أصدقائه وخصومه، ويكشف عن هذه الجوانب فى سعد بكل تفصيل

***

هذا الكتاب هو كتاب «سعد زغلول. سيرة وتحية»، وهذا «الكاتب من كتابنا النابهين» هو الأستاذ العقاد...

أما الأستاذ (ح . ج) فمن رجال القضاء العادلين!

سيد قطب

تصويب

ورد البيت الآتى:

وساقين إن يستمكنا منك يتركا

بجلدك يا غيلان مثل (المآتم)

فى الكلمة التى وجهها الأستاذ الشرباصى إلى الأستاذ (الجليل) فى العدد (٥٨١) من الرسالة. والصواب أن تكون (المآتم) المياسم جمع ميسم، وهو المكواة. وبها تتم روعة التشبيه الذى يهدف إليه الشاعر؛ فما يريد سوى تشبيه أثر الساقين بأثر الميسم فى الجلد.

حسين محمود البشبيشى

مجلة الأنصار

أصدرت مجلة «الأنصار» العربية الإسلامية فى غرة شهر رمضان عدداً من أعدادها الممتازة خصصته للكتابة المستفيضة والدراسة التحليلية لموضوع «القصص والأساطير فى الشرق». وقد طالعنا هذا العدد فوجدناه حافلاً بالأبحاث العربية الصادقة عن نشأة الأساطير الشرقية. وقد لفت نظرنا بحث واف طريف عن كتاب الشرق القصصى «ألف ليلة وليلة»

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

12 me Année No. 584

Lundi - 11 - 9 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥٨٤ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٣ رمضان سنة ١٣٦٣ — الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٧٤١ التوازن الاجتماعي ... ... : الدكتور محمد مندور ... ...

٧٤٤ وحدة الوجود وهل هي من الاسلام في شيء ؟ ... ... الأستاذ دريني خشبة ... .

٧٤٧ السيد رشيد رضا بمناسبة الذكرى التاسعة لوفاته .. الأستاذ محمود أبو رية . . .

٧٤٩ الأحلام .. . . : الأستاذ عبد العزيز جادو ...

٧٥١ رسالة نبي الوثنية ! ... : الأستاذ زكريا إبراهيم ...

٧٥٣ مستقبل رومانيا ... . . : الأستاذ علي إسماعيل بك ...

٧٥٤ الشهاب المنصوري ... .. : الأستاذ السيد أحمد خليل ..

٧٥٦ نقل الأديب . ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٧٥٧ أوائل الناجحين [قصيدة] : الأستاذ محمد الأسمر ... ...

٧٥٨ الثقافة والعقاد . ... . . : الأستاذ حبيب الزحلاوي ..

٧٥٨ (١) وحدة الشهود . / ٧٥٩ (٢) في اللغة أيضاً .. ... الأستاذ أحمد صفوان .. ...

٧٥٩ إلى ميدان الجهاد . . ... : الدكتور زكي مبارك . ...

٧٦٠ لقد عاذ بمعاذ .. ... . : (ابن المقفع) . . . .

٧٦٠ د يستعصى على العلاج .. : الأديب أحمد الشرباصي ...

٧٦٠ استدراك . . . ... : الأستاذ أحمد صفوان ..

التوازن الاجتماعي

للدكتور محمد مندور

هذه أيضاً مشكلة كبيرة لابد لرجال السياسة والاجتماع من مواجهتها في حزم ، وليس من شك في أن عدم العناية بها بعد الحروب الكبيرة والثورات القومية الماضية ، قد كان دائماً من الأسباب القوية التي مهدت لحروب وثورات لاحقة ، ونحن لا نعرف سياسة أحمق من تلك التي تتناول الأمم طبقات وطوائف دون نظر دقيق إلى ما يجب أن يقوم بين تلك الطبقات والطوائف من توازن يكفل سلامة الأمة وضمان وحدتها .

والطبقات الاجتماعية لم تتكون في التاريخ عفواً ، بل قامت دائماً على المقاييس العميقة المتغلغلة في عقلية الشعوب . ففي العصور القديمة عندما نرى إفلاطون يقسم جمهوريته إلى ثلاث طبقات : حكماء يرأسون المدينة ، وجند يذودون عنها ، وعمال يوفرون لها وسائل الحياة المادية ، لا نستطيع أن نسلم في يسر بأنه إنما أخذ هذا التقسيم عن قياسه للهيئة الاجتماعية وطبقاتها بالفرد وملكاته . ولابد لنا من أن نذهب إلى أبعد مما زعم لنستطيع فهم الأساس الذي أقام عليه هذا التقسيم . نعم إن الحكماء ينزلون من الأمة منزلة الرأس بملكاته العاقلة ، والجند منزلة القلب بقوته الغضبية ،

والعمال منزلة المعدة بنشاطها المادي ؛ ولكن ، أليس من البين أن هذا التقسيم تنعكس فيه المقاييس العامة للاغريق في ذلك الحين ؟ فالعمال ، في هيئة اجتماعية كانت تجمع على أن العمل من اختصاص العبيد ، لم يكن مفر من أن ينزلوا المنزلة الثالثة . والجند ، في بلاد استهدفت لجحافل الفرس وردت بشجاعتها عدوانهم بعد أن هددها فناء محقق ، كان من الطبيعي أن ينزلوا منزلة تسمو على منزلة العمال وتتمتع باحترام المجموع . وأما رياسة الحكماء للمدينة فذلك حلم رآه إفلاطون ، وكان هو أول من تنكر له ، إذ لم يلبث أن ترك السياسة بالرغم من وجاهة محتده وقرب اتصاله بالقادة في ذلك الحين ، وهو بعد حلم لا تزال الإنسانية ترتجيه .

وهكذا نستطيع أن نستشف عقلية الشعوب من أسس تقسيمها للهيئة الاجتماعية ، وهي عقلية دامنة تسيطر حتى على كبار المفكرين أمثال إفلاطون ، مما نظن دائماً أنهم فوق بيئاتهم أو نابين عنها .

وفي القرون الوسطى نعثر على نفس الحقيقة . فعندما يحدثنا التاريخ أن الطبقات الاجتماعية قد انتهت خلال تلك القرون الطويلة إلى التبلور في ثلاثة : نبلاء ورجال كنيسة وطبقة ثالثة ، لن نجد مشقة في العثور على أساس هذا التقسيم ، فقد كانت تلك الأزمان أزمان العهد الإقطاعي حيث يسيطر كل أمير على مقاطعة تتبعه أراضيها ، وما تحمل من بشر يعملون بها ؛ وهكذا تكونت طائفة النبلاء ، نبلاء الدم والوراثة . وإلى جانب هذه الطبقة كان من الطبيعي أن تنهض طبقة رجال الدين في عصور سيطرت فيها المسيحية على عقلية الشعب ، وساقته إلى ما نعرف من زهد وتصوف ، بل وحروب صليبية . وأما العمال والزراع فقد اطرد حمق البشر على إنزالهم دائماً مؤخر السلم

وأخيراً جاءت الثورة الفرنسية الكبرى ، وانتفضت الإنسانية متطلعة إلى فجر جديد . ولقد حطمت تلك الثورة نظام الطبقات الذي تمخضت عنه ، كما رأينا ، القرون الوسطى ؛ ولكن الإنسانية لسوء حظها لم تهتد ، برغم ما أراقت تلك الثورة المجيدة من دماء ، إلى أساس سليم تقيم عليه تقسيمها الاجتماعي . وفي استطاعتنا أن نفهم سر المأساة إذا ذكرنا أن تلك الثورة قد قامت بالمدن ، وأن عصبها كان طائفة الحضريين الذين يعرفون بالبرجوازية ، أي « سكان المدن » ، بل سكان باريس بنوع خاص ، فهم منبت تلك الثورة وبؤرتها المقدسة . وقيام الحضريين بها لم يكن حدثاً طارئاً في التاريخ . فمنذ قرون كانت المدن العامل الفعال في مناهضة النظم الإقطاعية ، وتحطيم سلطة الأمراء ، وتمكين الملوك من توحيد الممالك . ولهذا كان من الطبيعي أن تنشأ في مدينة كباريس تلك الثورة العاتية التي أتت على ذلك النظام البائد .

وبنظرنا في المبادئ التي قامت عليها التقسيمات الاجتماعية في العصور القديمة والقرون الوسطى ، نستطيع أن نحصي الأسس التي كانت تمكن من الوجاهة الاجتماعية ، فهي الحكمة والشجاعة ووراثة الدم والزعامة الروحية . وجاءت الثورة فحطمت كل تلك الأسس ، وإن لم تمحها محواً تاماً من عقلية الشعوب ، حيث لا تزال تعمل إلى اليوم على تفاوت في النسب ؛ وننظر فيما أقام هؤلاء الحضريون على أنقاضها من أسس جديدة ، فلا نكاد نتبين غير أساس واحد هو المال ، وهذا هو سر المأساة التي أشرنا إليها فيما سبق .

حلول المال محل غيره من المقاييس ظاهرة واضحة التفسير ، فالثورة الفرنسية هي وأشباهها من ثورات القرن التاسع عشر قد قامت كما قلنا في المدن على يد الحضريين ، وهؤلاء جمهرتهم العظمى من الصناع والتجار ؛ وهم بتقويضهم لطبقتي النبلاء ورجال الكنيسة قد استطاعوا أن يحلوا محلهما في الصدارة الاجتماعية . وهكذا انتهت الإنسانية إلى التقسيم الكبير المعروف : حضريون « برجوازية » وعمال ، وأصبح المال الأساس العام لتوزيع الهيئة الاجتماعية

قد يقول قائل إن هذا الأساس الجديد خير من بعض الأسس القديمة ، فهو يمكن الهيئة الاجتماعية من مرونة لم تكن تملكها عند ما كان النبل مثلاً ظاهرة وراثية لا حيلة للبشر فيها . وهذا قول كان من الممكن قبوله لو لم يسد في تاريخ الإنسانية خلال القرن التاسع عشر ذلك الاختلال العجيب الذي لم يكن مفر من أن ينجم عن ظهور ظاهرتين كبيرتين في ذلك القرن ، ونعني بهما الحركة الصناعية الكبيرة من جهة ، والأخذ بمبادئ

الاقتصاد الحر من جهة أخرى . والثورة الفرنسية السابقة على هاتين الظاهرتين لم تعالج طبعاً هذا الاختلال ، بل ولا مهدت لعلاجه ، ولهذا لحقتها بفرنسا نفسها ثورتان أخريان هما ثورتا سنة ١٨٣٠ ، سنة ١٨٤٨

نمو الصناعة وما تبعه من نمو التجارة أيضاً ساعد على تكوين طبقات عاتية من الرأسماليين ؛ وروج علماء الاقتصاد لنظرية : « دع الفرد يعمل ، دع التجارة تمر » ، وقالوا بترك النشاط الاقتصادى حراً ، فمكنوا بذلك أصحاب العمل من دماء العمال وهكذا بعدت الشقة بين طبقتى الأمة مما أثار ما نعرف من حركات ثورية واضطرابات اجتماعية

واتخاذ المال أساساً للتقسيم الاجتماعى مصدر لخطر كبير يتهدد الهيئة الاجتماعية فى كيانها . ويزداد هذا الخطر وضوحاً فى أثناء الحروب الكبيرة . ومظهر هذا الخطر هو الانحلال الخلقى . لمن شاء أن يصدع آذانى بقوله إن من الناس المصاميين القادرين على جمع الثروات الطائلة بمهارتهم وحسن فهمهم لحاجات الناس وملاقاة تلك الحاجات ، فذلك ما لن أقبله . وعند ما أنظر حولى فلا أرى إلا صماليك ليس فى عقولهم فكر ولا فى قلوبهم ضمير ينترون المال كل صوب فى خفة تنفر منها النفس ، لا أستطيع إلا أن أحكم بأنهم لا يملكون من مواهب غير الدجل والنصب والاحتيال

ويزيد فى تلك الظاهرة خطورة قيام الحروب الكبيرة ، كما قلت ، فعندئذ ترى النصابين يستغلون مواطنيهم أقبح استغلال ، وترى الأوضاع الاجتماعية وقد انقلبت رأساً على عقب حتى يختل توازن الأمة الاجتماعى أعمق اختلال ، ويكثر محدثو النعمة ، وتلك طائفة تجمع الإنسانية الرشيدة على احتقارها ورد عدوانها

والآن ، وقد استعرضنا المبادئ ، التى وزعت الإنسانية على أساسها طبقاتها الاجتماعية ، وانتهينا إلى أن الأساس العام القائم اليوم هو المال ، ووضحنا ما فى هذا الأساس من أخطار يجب أن نبحث عن الوسيلة التى نتعهد بها ذلك التوازن ونرد إليه ما يجب أن يلازمه من سلامة ، وباستطاعتك أن تقلب أوجه النظر كما تريد ، فلن تجد غير وسيلة واحدة هى تدخل الدولة والأخذ بمبادىء الاقتصاد الموجَّه Economie dirigée

مبدأ الاقتصاد الموجَّه يقوم على تدخل الدولة فى الإنتاج ، وذلك عن طريق التشريع وهو ألزم ما يكون فى أعقاب الحروب الكبيرة ، وأنت عند ما تثقل بالضرائب من أثرى بغير وجه مشروع لا تظلمه ؛ بل تنتصف للأمة منه ، لأنك عند النظر الأخلاق الصحيح لا تستطيع أن تسميه إلا مختلساً ، وأنت عند ما تنتصف للعامل من صاحب رأس المال ، وللمستهلك من المنتج وللمريض من الصحيح وللجاهل من المتعلم ، لا تعتدى على أحد ، وإنما ترغم القصر على أداء واجبه عند ما تنعدم قيادة الضمير ، ونحن فى أمة تصرخ الآلام فى صدور أبنائها ؛ لقد حان الحين ، لكى تحزم الهيئة الاجتماعية أمرها ، وتشد من عزم حكامها ليقيموا توازنها الاجتماعى على أساس ترضاه إنسانيتها الجريحة .

محمد مندور

وحـــدة الوجـــود

وهل هي من الإسلام في شيء

للأستاذ دريني خشبة

قرأت كلمة صديقي الدكتور زكي فراعني أنه لم يقرأ كتاب « رسائل التعليقات » بعد ، أو أنه قرأه كما قرأته أنا ... على حد تعبير الأستاذ الرصافي ، ... أي تلك القراءة السريعة المتقطعة ، التي تبعد بالقارئ عن معاني المؤلف ، وتشط به عن أغراضه ... وآية ذلك ما أراده الدكتور من مساجلتي حول نظرية « وحدة الوجود » . . . وأن يكون أساس المساجلة : أن تترك التفكير في أن هذه النظرية تجنى على العقيدة الإسلامية ... وهذا شرط عجيب . . . ولست أوثر أن أقول إنه شرط خبيث !! ما دام أن الصديق الأعز قد ذكر « أن الذوق هو خير ما دعا إليه الأنبياء ! »

ولست أدري كيف يدعوني أخي المبارك إلى مساجلته على هـذا الأساس العجيب — ولا أقول الخبيث ! — وهو يذكر أنني قلت في كلمتي التي كتبتها عن رسائل التعليقات ، إنني ما كتبت تلك الكلمات ، ولا وددت أن أكتبها ، إلا لأن الأستاذ الرصافي قد ادعى في رسائله أن نظرية وحدة الوجود هي نظرية إسلامية ، بل إنها من ابتداع الرسول الرسول الكريم ، فخر الكائنات ، محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه — أي رسول الله عليه صلوات الله — لم يذكر منها لأصحابه شيئاً ، إلا ما لمح به منها لخليله الصديق — عليه رضوان الله — ... ثم ما ذهب إليه الأستاذ الرصافي بعد ذلك من التخريجات المضحكة التي تعتبر هدماً شاملاً للاسلام ، وتزييفاً واسعاً شاسعاً لما يؤمن به المسلمون ويعرفون أنه الحق من ربهم

فلقد أنكر الرصافي أن يكون القرآن كلام الله . . . وردد عبارة « يقول محمد في القرآن » غير مرة في كتابه المذكور . . . وهو يقحم هذا الإنكار في نظرية وحدة الوجود فيعلله بادعائه أن الرسول الكريم كان يفنى في الله ـ أو في الوجود الكلي ـ فناء كاملاً ، ولذا جاز له أن يقول هـذا القرآن ، ويزعم أنه يقول الذي يقوله الله ، ويفعل الشيء ويؤمن بأن الله هو الذي يفعل ... وأذكر أنه يستدل على هـذا الإفك ـ ولن ندعوه إلا إفكا ـ بالآية الكريمة : وما رميت إذ رميت ولكن الله رمي ! وهي من الآيات التي طلب إلينا تفسيرها بما ينافي ما قذف به وسواسه في روعه . ناسياً أن الآية قد أنزلت في مناسبة خاصة واردة في مكانها من جميع التفاسير

فهل افترينا على الرصافي في ذلك من شيء يا دكتور زكي ؟ وهل تتفق وجهة نظرك في هذه المسألة بالذات ووجهة نظر هذا الرجل الذي رمانا بما رمانا به من تلفيق وتشويه لأقواله ؟

أنت عندي أشجع كاتب في مصر . بل في الشرق العربي ، وقد تبلغ شجاعتك هذا الحد الذي ذكره آرسطو في كتابه عن الأخلاق ، ولا أذكر الآن ماذا سماه . . . ولن أنسى لك أبداً أنك كنت صاحب الفضل الأول في التعريف بالغزالي بمؤلفك القيم في أخلاقه ، ذلك المؤلف الذي خضت به جحيم حرية الفكر غير هياب ولا وجل ، وأنك كنت في كل كتبك بعد الغزالي شجاعاً كدأبك منذ أخذت نفسك بالتأليف والتصنيف ، بالرغم مما في تأليفك وتصنيفك من تلك (البُقع) التي استطاع هـذا الكاتب الفاضل أن يغزوها من ناحيتها

فهل يكفيك هـذا الحد في تذكيرك بشجاعتك الأدبية ، فتعلن رأيك صريحاً خالصاً فيما ذهب إليه الرصافي من نسبة القرآن إلى محمد ، معتذراً له بذلك الاعتذار السخيف !!

أعوذ بالله ـ وأستغفره ـ من أن يكون كلامي هذا استدراجا لك أن تقول ما لا تعتقد ... فأنت عندي أعظم من هذا وأعلى ... وأعوذ بالله وأستغفره من أن أكون قد قصدت بثنائي عليك (بَلْـفَك !) حتى تقف في هذا الصراع الفكري إلى جانبي ... فأنا أعظم من هذا وأعلى (ولا مؤاخذة !)

أما بأسك من حرية الرأي ، لأن كل كاتب يحاول أن يكون واعظاً في مسجد ، أو راعياً في كنيسة ، كأن الفكر الحر من

القيود لم يبق له مكان فى الوجود . . . فهو كلام لا نقبله من زكى مبارك فى هذا المجال ... لأن الأستاذ الغمراوى قال فى كتابك العظيم الخالد ـ النثر الفنى ـ ما قال ، ووجه إليك بسببه ما وجه من تهم مثيرة موبقة . ومع ذلك ، فأنت لا تزال بخير يا صديقى ... تمشى فى مصر الجديدة حراً مطلقاً ، كما تمشى حراً مطلقاً فى أحياء الأزهر وسيدنا الحسين والصنادقية وجاردن ستى ، لم يجر وراءك المسلمون ليحاسبوك بالطوب والحجارة على ما اتهمك به مناظرك الفاضل ، ولم يأخذ بتلابيبك الأزهريون لآرائك فى إعجاز القرآن ، ولم يُحدث المسلمون فى مصر ضجة ليضطروا البرلمان إلى مطالبة الحكومة بجمع كتابك وإحراقه فى ميدان الأوبرا أو ميدان السيدة زينب مثلاً !

نخلّ إذن قضية حرية الفكر التى عملت لها ألف حساب فى كلمتى الأولى عن رسائل التعليقات ، حيث أذكر أننى قلت : « ... وقبل أن نعرض آراء الرصافى نعلن أننا نقدس حرية الفكر ما لم ترم إلى شر ، وما لم تبلبل أفكارنا ، وتعصف بمعتقداتنا ، وتهدم المعايير الأخلاقية الكريمة التى زودنا بها ديننا الذى هو أعز علينا وأكرم من فلاسفة العالم أجمعين » ... والتى أذكر أننى قلت بصدد مصادرة حكومة العراق الشقيق لكتاب الرصافى القديم إن أسلوب مصادرة الكتب أسلوب رث ، وسلاح لا يجمل استعماله فى هذا العصر الذى يأخذ بمبدأ حرية الفكر ...

ولست أدرى ماذا يراد من حرية الفكر أن تكون بعد الذى كانته فى أيامنا هذه من سعة صدر وفسحة مجال ؟! أكان ينبغى أن نصمت فلا نكتب كلمة عن كتاب ينكر فيه صاحبه كل الموجودات ـ إلا الوجود الكلى المطلق الذى يسميه إلهه ـ ؟ أكان ينبغى أن نصمت حينما يقول لنا الرصافى فى كتاب ينشره فى العالم العربى الإسلامى ، إن محمداً هو مبتدع نظرية وحدة الوجود ، وأنه هو مؤلف القرآن ، وأن الأدعية لا داعى لها — ومن الأدعية الصلاة — لأنها لن تغير من القضاء ـ وهو القوانين الأزلية التى لا تتغير ، شيئاً ، وأن كل ما يقع فى الوجود فهو حق ، وأن الباطل هو المحال ، ولذلك تساوت المتضادات . فالهدى كالضلال ، والتقوى كالفسوق ، والخير كالشر .. إلى آخر هذا الهذر الذى يدعى الرصافى أنه تساو أمام الله لا أمام الناس . يريد بذلك استدراك ما أخافك ـ ياصديقى الدكتور زكى مبارك ـ من مغبّة ذلك المعتقد على الشرائع والقوانين والأخلاق . ويريد أن يطمئنك ، فلا يهلع قلبك ، ولا تجزع نفسك . فيقدم بين يديك هذا الدفع المتهافت الذى لا أدرى كيف استقام فى رأس الأستاذ الرصافى حتى يطلب له أن يستقيم فى رؤوس الناس .

ما استواء المتضادات أمام الله ؟! أموافق أنت على هذا الهوس يا صديقى الأعز ؟! أحقاً أن الذى يصيبنا من شر هو من عند الله وليس من عند أنفسنا ؟ ما هذا الجبر المطلق يا دكتور زكى ؟ وإلى أين يؤدى بنا هذا المعتقد الباطل لو أخذنا به ؟! ثم ما هذا الحلول الفاسد الذى يجعل الله فى كل شىء ... بل كل شىء ؟!

ثم يعود الرجل بعد هذا فيثبت أن الإنسان مكلف ، لأنه عاقل ؟! ثم يربط التكاليف بثواب وعقاب ، ليسا من جنس الثواب والعقاب اللذين جاءنا بهما ديننا الحنيف ... ولست أدرى أين يكون مناط التكليف مع هذا الجبر المطلق ؟! وعقاب الإنسان فى رأى الرصافى هو ما يلقاه من تبكيت أمام ضميره ... أما النار ودركاتها فتخويف فحسب ، ووردت آياته من باب التمثيل .. وأما الثواب فى رأيه ، فهو الاتحاد بالوجود الكلى بعد الموت . أى العودة إلى التراب ... هنا تتم سعادة المرء ! وما جاءت آيات الترغيب فى جنة الخلد الموصوفة فى القرآن إلا من باب التمثيل كذلك ...

فما شاء الله على هذا الثواب وذاك العقاب ! وليهنأ بعد اليوم الذين لا ضمائر لهم فتعاقبهم بالتبكيت على ما يقرفون من أوزار وما شاء الله على هذا الكفر بالبعث الذى هو أساس متين من أسس العقيدة الإسلامية ، ثم ما شاء الله على هذا التناسخ ـ أو عودة الكائنات بأمثالها لا بأعيانها ـ الذى يؤمن به الأستاذ الرصافى !

ماذا أبقى الرصافي من الإسلام فلم يبدله ولم يؤوله ؟ !

لقد تناول الله ـ جل وعلا ـ فقال : إنه هذا العالم الحادث الذى درسناه فى الفلك فعرفنا أنه نشأ من هيولى أخضعها الله لقوانينه الخالدة التى انتهت بها إلى هذا النظام المتقن البديع الذى

لا يمسكه غير الله بما أبدع له من قوانين !

وقد تناول الرسول فجعله يؤلف القرآن ويموِّه على الناس ويخترع وحدة الوجود ويخفى أمرها على الناس ، ويدعوهم إلى عبادة كل الموجودات ، وقد نهاهم عن عبادة الشمس والقمر والنجوم والأصنام والأشجار !

وتناول المعتقدات الإسلامية فأنكر البعث والحساب والعقاب والثواب والجنة والنار والميزان والصراط وجميع السمعيات لأنها من أنباء الغيب ، والعقل لا يؤمن بأنباء الغيب

وتناول العبادات الإسلامية فأنكر الأدعية – ومنها الصلاة – لأنها لا تقدم ولا تؤخر فى قضاء الله الذى لا يتبدل ولا يصح له أن يتبدل . فهو كالذين قالوا : يد الله مغلولة ! غلت أيديهم !

ونعي على المسلمين فى تعليقه على أقوال مستشرقه الإيطالى الجاهل – فى آخر الكتاب الذى بيدك – تمسكهم بحرفية القرآن والتعاليم الإسلامية ، ونسب تأخرهم وانحطاطهم إلى ذلك التمسك

فأين هو ذلك الحجر على حرية الرأى الذى تشكو منه يا صديق الدكتور ، وقد استطاع الأستاذ الرصافى أن يقول ذلك كله وأن ينشره على المسلمين فى كتاب ... فلم يصبه أذى ... ولم تصبه إلا كلمات من أضعف مخلوق مسلم يتهمه الرصافى بأنه يكتب لغرض ... وأن يداً خفية محركه للرد على تلك التخرصات ! وأنه نسى آداب المناظرة فى الرد عليه !

فهل من حرية الرأى أن يقول الرصافى ذلك كله ، فإذا رد عليه مسلم ضعيف مثل أخيك الذى أنت من أعرف الناس به ، كانت حرية الرأى مهددة ، وكانت فى عصرنا الحديث شراً منها فى العصور التى عاش فيها الجنيد والحلاج والتلمسانى وابن عربى وابن سبعين والقونوى ومن إليهم من مشعبذى التصوف ؟

إن ديننا يا صديق الدكتور هو أول الأديان التى تحض على حرية الفكر ومحاربة الجمود ... وهل صنع رسولنا الكريم ، فخر الكائنات ، محمد بن عبد الله شيئاً غير هذا ؟ !

افتح أية صفحة من كتاب الله تجد فيها حضاً على حرية الفكر ، ومحاربة للجمود الذهنى ، والاستعباد الروحى ... وقد فطن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما فى البحث عن ذات الله من تهلكة ، فأوصانا بالإمساك عن الخوض فيها ، والتفكر ما شئنا فى المخلوقات جميعاً ، فى الأرض وفى السموات وفى أنفسنا .

فما الذى يغرينا بنبذ وصاة رسول الله ؟ !

لقد أحسنت حينما قلت : إن نظرية وحدة الوجود هي نظرية فلسفية ، وأنك قد سكت حينما رأيت معمار كنا تتجه وجهة دينية فمن الذى وجهها هذه الوجهة ؟ أنا ؟ أم الرصافى الذى جعلها من اختراع الرسول الكريم ، وذهب يتناول لها الإسلام والقرآن جميعاً ؟ !

والعجيب أن يزعم الرصافى أننى ادعيت عليه مالم يقل حينما نسبت إليه معظم هذه الآراء . وهى كلها آراؤه ساقها فى معرض الاستشهاد على ما ذهب إليه بعد إذ جهر فى أول الكتاب بأنه يؤمن بنظرية وحدة الوجود بكل ما علق عليها وخرج منها وأبرز من أسرارها . فلن ينفعه ادعاؤه بأنه إنما كان يستعرض آراء المتصوفة . ولن ينفعه إنكاره أنه متصوف بعد جهره بأنه يؤمن بالنظرية كما عرضها إيماناً لا يرقى إليه الشك

وبعد ... فهل رأيت أن شرطك فى استبعاد العنصر الدينى من المساجلة التى أرحب بها ، وأعانقك من أجلها عناقاً لا يدرى نتيجته بين ذراعى إلا الله ... هو شرط عجيب ... ولا أقول : خبيث ؟ !

من منا الذى سيقهر صاحبه الوفى على المشى فوق الأشواك يا دكتور زكى ؟

دريني خشبة

السيد رشيد رضا

بمناسبة الذكرى التاسعة لوفاته

للأستاذ محمود أبو رية

مما يبعث السرور إلى النفس أن نرى من الناس وفاء للمصلحين واحتفاء بذكرى العاملين ، ذلك بأن هذا الوفاء الذى هو أسنى خلال الإنسانية ، إنما يدل ولا جرم ، على أن العقول والأفكار ، قد استعدت لقبول آراء هؤلاء المصلحين وتعاليمهم ، وأن النفوس قد استعدت للأخذ بها واتباع ما تدعوا إليه ...

وإن مما يغتبط له المرء حقاً أن لا تمر الذكرى التاسعة والثلاثون لوفاة الأستاذ الإمام محمد عبده هذا العام كما مرت من قبل فى سكون ونسيان ، بل رأينا الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية . قد هبت كلها للاشادة بها والإفاضة فى بيان فضل صاحبها

ومما زاد فى اغتباطنا أن سمعنا لأول مرة فى حياتنا صوت الأزهر ينبعث فى هذه الذكرى الكريمة بعد أن ظل صامتاً طوال أربعين عاماً ، واضعاً أصابعه فى آذانه ، حتى لا يسمع له نصحاً ولا يتبع له رأياً ، مما يجعلنا نستبشر بأن هذه البيئة التى تنكرت لمصلحها العظيم فى حياته ، وازورت عنه بعد وفاته ، قد أخذت تدنو من تعاليمه لتدرسها وتنتفع بها ، وأن من كان فيها من الشيوخ الجامدين والخرافيين ، ومن على شاكلتهم فى غيرها من الحشويين والمموقين ، أولئك الذين تخلفوا عن قافلة الحياة بأفكارهم السقيمة وآرائهم العقيمة ، وكانوا عقبة فى سبيل كل إصلاح قد قضى عليهم ولم يبق لهم ولا لآرائهم بين الناس أثر .

لم يجد الأستاذ الإمام فى حياته من التنكر له والمكر به والإعراض عنه مثل ما وجد فى الأزهر ، ذلك بأنه ما كاد يظهر بما يريد من خير لهذا المعهد الكبير ، حتى هب منه فى وجهه فئتان تعارضانه وتصدان عن سبيله : الفقهاء الجامدون ، والشيوخ الخرافيون وقد دسوا فى رؤوسهم تعويذتين لتحفظانهم من (عين) الإصلاح

أولاهما : هذا أمر لم تجر به العادة !

والأخرى : الجمهور على غير ذلك !

أما الفقهاء ؛ فإنهم قد أبوا إلا أن يظلوا على ما وجدوا عليه شيوخهم ، فلا يدرسون إلا كتبهم ، ولا يتبعون إلا أقوالهم ، حتى لقد بلغ الأمر بأحد كبارهم أن يجأر فى مجلس إدارة الأزهر الذى يجمع أمثاله بهذه الكلمة الأثيمة ! «لا يجوز لمسلم أن يأخذ بالحديث ، والواجب أن يؤخذ بكلام الفقهاء ، ومن ترك كلام فقهاء مذهبه للأخذ بحديث مخالف فهو زنديق » !

ومن إمعانهم فى هذا الجمود أن الأستاذ الإمام كان قد رغب إلى الشيخ الإنبابى ، وكان شيخاً للأزهر أن يقرر تدريس مقدمة ابن خلدون بعد أن بين له فضلها ؛ فقال له الشيخ : هذا أمر لم تجر به العادة !

ولما طالب رضى الله عنه بإدخال علمي الحساب والهندسة فى الأزهر عارض شيوخه فى ذلك ، وكانت حجتهم التى (تعوذوا) بها « أن الجمهور على أن هذين العلمين يفسدان العقل ويضيعان الاستعداد لفهم علوم الدين وينبغى عدم تدريسهما » !

ولقد كان لدرس الأدب فى الأزهر ثورة عنيفة ندع الحديث عنها لصاحب « الرسالة » فهو أحق به منا إذ كان من الذين شهدوا هذه الثورة ، ومسهم قرح منها !

وأما الخرافيون . فبحسبك أن تعرف أن كبار شيوخ الأزهر كانوا يحتفلون فى كل عام بمولد الإمام الشافعى ، وكان لهم فيه عادة اسمها (الكنسة) ذلك أنهم كانوا جميعاً يتولون كنس ضريح دفينه الشافعى ، ثم يقسمون هذه (الكناسة) بينهم ليتبركوا بها ! ثم ينقلون العمامة الوهمية الموضوعة فوق القبر من رأس شيخ إلى رأس شيخ آخر ليقتبسوا من أسرارها[1]

ولعل قراء « الرسالة » لم ينسوا تلك القصيدة التى رفعها أحد المفتين إلى السيد البدوى يشكو فيها شيخ الأزهر ويطلب من (غوث الورى) أن ينتقم له منه !

---

(١) من أراد أن يقف على ما كان يجرى فى هذ (المولد) فليرجع إلى جريدة مصباح الشرق الصادرة فى شهر شعبان سنة ١٣١٥ أو فليقرأ القصيدة الرائعة التى نشرها الشيخ الشنقيطى الكبير فى كتابه الحماسة السنية

وقد ظلت الحرب بين الأزهر وإمامه مستعرة طول حياته . وقد مات رضى الله عنه وهو لا يخشى على الدين أحداً غير شيوخ الأزهر . وفى مرض موته قال أبياتاً جاء فيها :

ولست أبالى أن يقال محمد أبلّ أم اكتظت عليه المآتم
ولكنه دين أردت صلاحه أحاذر أن تقضى عليه العمائم

هذا ما كان عليه الأزهر من قبل ؛ فإذا ارتفعت منه اليوم أصوات تشيد بذكرى الأستاذ الإمام ، وتستعلى بفضله بين الأنام ، فتلك آية كبرى على أن البيئة الأزهرية قد أصبحت على غير ما كانت فيه بالأمس ، وأنها قد خرجت إلى النور بعد أن كانت من قبل فى الرمس .

وعلى أننا قد اغتبطنا بهذا المظهر الجديد الذى بدا فى الأزهر فإنا قد لاحظنا أن كل الذين احتفوا بذكرى الأستاذ الإمام قد أهملوا ذكر العلامة المحقق السيد رشيد رضا رحمه الله ، أكبر تلاميذ الإمام فى حياته ، وحامل رسالته وناشر علمه بعد وفاته ، وما كان يصح لهم ، وقد دفعهم الحق والوفاء إلى الاحتفاء بذكرى الأستاذ الإمام أن يدعوا إلى العناية بذكرى العلامة الجليل ولا أن ينكروا فضله

وإنا أداء لحق هذا الرجل العظيم الذى لقى من عدم وفاء المسلمين له ما لقى ، والذى لم يجد أحداً يعنى بتراثه أو يحمل رسالته بعد مماته ، ننتهز فرصة انقضاء العام التاسع على وفاته لننشر عنه هذه الكلمة القصيرة ، ولعلنا نكون قد أدينا بها هذا الفرض الكفائى الذى يلزم المسلمين جميعاً

على أننا لا نحاول اليوم أن نتحدث عن علمه الواسع وفضله الشامل ، ولا نفيض فى بيان جهاده حوالى أربعين سنة فى سبيل دينه ، قائماً وحده بهذا الجهاد لا يفتر ولا ينى ، لا تؤيده حكومة ولا يسنده منصب ، لأن ذلك يحتاج إلى كتاب برأسه .

وإنا نجتزئ بلمحات تدل على صلته بالأستاذ الإمام ومكانه منه ، ونشير إلى بعض ما عمل لتأييد دعوة الحكيمين جمال الدين ومحمد عبده ، ونشرها بين أرجاء الأرض . ولكى لا يرمينا أحد بالغلو فى القول أو الإسراف فى الحديث ؛ فقد آثرنا أن نرجع فى ذلك إلى قول الأستاذ الإمام نفسه فى تلميذه ، فنتناول منه قبساً ، ونروح إلى ما كتب بعض المستشرقين عن دعوة الإمام فننقل عنه ذروا

فمن قول الأستاذ الإمام لبعض أصحابه ، وكانوا يريدون منه أن يقصى عنه السيد رشيد : « إن الله بعث لى بهذا الشاب ليكون مدداً لحياتى ومزيداً فى عمرى ، إن فى نفسى أموراً كثيرة أريد أن أقولها أو أكتبها للأمة ، وقد ابتليت بما شغلنى عنها ، وهو يقوم ببيانها كما أعتقد وأريد ... وقد رأيت فى سفرى من آثار عمله وتأثير مناره مالم أكن أظن ولا أحسب ، فهو قد أنشأ لى أحزاباً وأوجد لى تلاميذ وأصحاباً . . . الخ . » ، وقال للمغفور له الشيخ محمد شاكر عندما أبلغه إرادة الخديو عباس فى أن يبعده عنه : « كيف أرضى بإبعاد صاحب المنار عنى وهو ترجمان أفكارى » ، وكذلك قال لبطرس غالى باشا

وقال الدكتور تشارلز آدمس فى كتابه الإسلام والتجديد : « كان السيد رشيد أكبر تلاميذ الإمام فى حياته ، ومؤرخ سيرته بعد وفاته ، وهو الذى نشر كتبه وفسر تعاليمه ، وكان من أشد الناس أخذاً بها وسيراً على سنتها »

وقال : وإن كتاباته لتنم على أنه أخذ بحظ عظيم فى العلوم الإسلامية المعروفة ونجد فى نشره لمصنفات أستاذه ، وفيما كتبه عليها من الحواشى والتعليقات ما يدل على تمكنه من المواضيع التى يتناولها ، وأعظم ما تبدو كفايته فى علوم الحديث ، وكان لا بد من أن يبرز رشيد فى هذا الميدان ، وذلك لأن الحركة التى أنشأها الشيخ محمد عبده علقت أهمية كبرى على السنة الصحيحة وحدها لتكون مصدراً أساسياً من مصادر الإسلام فى صورته الجديدة »

ثم تحدث عن إنشاء مجلة المنار فقال : « وكانت غاية رشيد من إنشاء المنار مواصلة السير على نهج العروة الوثقى [1] . وكان الغرض الذى رمى إليه المنار هو فى الجملة عين ما عملت له صحيفة العروة الوثقى ، فقد كان من الأغراض التى تضمنتها غايتهما الكبرى نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية ، وإقامة الحجة على أن الإسلام باعتباره نظاماً دينياً لا يتنافر مع الظروف الحاضرة ، وأن الشريعة أداة عملية صالحة للحكم ، وكان من أغراضهما أيضاً السعى فى القضاء على الخرافات والاعتقادات

---

(١) هى الجريدة التى أنشأها الحكيمان جمال الدين ومحمد عبده بباريس لينشرا فيها دعوتهما لايقاظ الشرق ولم يصدر منها إلا ثمانية عشر عدداً ثم صادرها الاستعمار

بحث نفسى علمى

٢ـ الأحلام

للأستاذ عبد العزيز جادو

يرى بعض علماء النفس أن الأحلام عند الأطفال الصغار غالباً ما تكون منطقية معقولة . لأنه إن لم يكن الطفل شقياً بين أهله وفى بيئته ، فإنه لا يملك وقتاً يبنى فيه هيكلاً مركباً من الكبت . ومع أن أحلامهم ترمز إلى رغبات عقيمة غير مجدية ، إلا أن هذه الرغبات نادراً ما تكون غير مقبولة للعقل الواعى عند الطفل الصغير ، فتظهر واضحة غير مستترة . ولكن على قدر ما يكون المراهقون قلقين ، تكون رغباتهم العقيمة غير مقبولة للعقل الواعي ، ولذلك فهى تظهر فى شكل يغاير الحقيقة

وهناك ثلاثة أنواع للأحلام :

١ — أحلام منطقية متَّسقة كأحلام الأطفال . مثال ذلك : والد يرفض أن يأخذ طفله إلى السينما ، فيذهب الطفل فى حلمه إلى سينما يتخيلها إدراكه العقلى

٢ — أحلام تبدو مترابطة ولا يمكنها أن تتناسب مع حياة الحقيقة . مثال ذلك : شخص يحلم بأنه يسير بقرب منزله فيرى أن أخاه يكاد يهاجمه أسد

٣ — أحلام تبدو مفككة ، غير منسجمة ، سخيفة ، مشوشة

والنوعان الأخيران يعتبران نموذجاً من أحلام المراهقين وأحلامنا ولو أنها تبدو غير معقولة وغير مفهومة ، إلا أنها تبدو — دائماً — تعبيراً مستتراً لأساليبنا العقلية الكائنة . والأحلام يمكنها أن تحول إلى هذه الصورة ، الفِكَر التى فى الوجود . ولكى تفعل هذا فهى تنتفع بالطارق التى يمكن أن تبدو للعقل الواعى مضحكة . وهي مع ذلك تتجاهل التناقضات الواضحة ، وتأتى بفكر مختلفة بوساطة التداعى السطحى

ومصدر الحيرة الظاهرة منها ناتجة عن رقابة العقل الواعى . ومع أن كفايتها العملية تُعزى قلة أهميتها إلى الحقيقة بأننا نكون في سبات ، فنمسى غير قادرين على استعمال المراقبة الشعورية ، فهى لا تزال تحاول أن تمنع اللاشعور من أن يكون شعوراً

والعقل الواعى يمكن أن يُمهد للأوضاع ولبعض الصور التى تظهر فى أحلامنا . فإذا انشغلنا يوماً بمواعيد كثيرة مع أناس ، يمكننا أن ندهش إذا أخذت أحلامنا شكلاً مماثلاً .

الدخيلة فى الإسلام ، ومحاربة التعاليم الضالة والتفاسير الباطلة لعقائده ... وما دخل على العقائد من بدع الاعتقاد فى الأولياء ، وما تأتيه طرق الصوفية من بدع وضلالات الخ .

وقال الأستاذ جب وهو يتحدث عن دعوة الأستاذ الإمام فى كتاب وجهة الإسلام : « ... ثم واصل تلاميذه ما بدأ من عمل ، وهم وإن لم يبلغوا مبلغ شخصيته الباسلة ، فقد حملوا مبادئه بكتاباتهم وجهودهم الشخصية إلى جميع أجزاء العالم وأثروا تأثيراً كبيراً ، ولا سيما عن طريق مجلتهم المنار »

وقال برج الأستاذ بجامعة ليدن فى كتاب وجهة الإسلام : « وكانت مجلة (المنار) فى مصر أول مصباح أرسل شعاعاً من هذا التفكير الجديد على جمهور عظيم من المسلمين ، ولم يشرق (منار) القاهرة على المصريين وحدهم ، ولكنه أشرق على العرب فى بلادهم وفى خارجها ، وعلى مسلمى أرخبيل الملايو الذين درسوا فى الجامعة الأزهرية أو فى مكة وحتى الأندونوسى المنعزل . وقال : « وحركة التجديد هذه التى انبعثت من (المنار) وذاعت فى مجلات الملايو أثناء العشرين سنة الأخيرة أحدثت حركة عظيمة فى أراضى ـ بادنج الواطئة ـ وحركة أقل منها فى الأراضى المرتفعة الخ »

وعاد الأستاذ جب فقال : « فمجلة (المنار) بنزعتها الإصلاحية ذائعة فى العالم الإسلامى كله ، وتلعب دوراً هاماً في إصلاح الأفكار الدينية كما بينه الأستاذ (برج) حين وصف تأثيرها فى أندونسيا »

هذه فذلكة صغيرة من تاريخ العلامة الحجة السيد رشيد رضا ننشرها على الناس إثباتاً واعترافاً بفضله رحمه الله ورحم أستاذه .

(المنصورة) محمود أبو رية

على أن عقلنا الباطن ربما يكون مسئولاً عن التعرف بأناس لم نكن قابلناهم فعلاً فى ذلك اليوم ، ونشاط حلمنا قد يبدو باطلاً نظراً إلى أننا لا يمكن أن نتحقق أو أن نذكر بتيقظ ما كنا نظنه يأتى فى أحلامنا

يستيقظ كثير من الناس فى الصباح بهذا التأثير الذى يرجع سببه إلى الرقابة على العقل الواعى . وبعض أجزاء الحلم كثيراً ما يُنسى فى حين أن بعضها الآخر يكون محرفاً ومشوهاً فى الذاكرة الواعية ، ولذا يظل اللاشعور مكبوحاً ، وإذا لم يكن هناك سبب ثابت لوجوب امتلا كنا نوعاً من الحلم الذى نكون مندفعين فيه بدون قصد من مكان إلى مكان ، يحتمل أن يرجع السبب فى ذلك إلى بعض مسائل شخصية نكون قد حاولنا دفنها فى أعماق الصورة

وفى ساعات يقظتنا نحاول أن ننسى هذه المسألة فى عمل ولهو مستديمين . وحلمنا جهد يحمى النوم لكيلا نستيقظ أو نقلق . والناس الذين يحاولون أن يتجنبوا حكماً خطيراً ، أو الذين لا يمكنهم الوصول إلى حكم ، عندهم فى الغالب هذا النوع من الحلم

والأحلام التى نحاول فيها أن نهرب من بعض الأخطار والتى تكون الحركة فيها صعبة كأن نكون دائسين فى وحل لزج أو متعلقين بأغصان أشجار ، لها أهمية مماثلة . وهناك بعض المسائل الخطيرة التى نحاول أن ننساها أو نتحاشاها ، ولكنها برغم جهودنا تتشكل فى صورة غير مقبولة . وأحسن تصرف لنا هو أن نكشف المسألة ونسويها . وحين يقف مثل هذا النوع من الأحلام تكراره عند حده ، علينا أن نحاول فهم القليل عن معنى رموزها . ويجب علينا أن نحلل شعورنا واستجاباتنا وعلاقاتها بالأشباح التى تظهر على الدوام فى أحلامنا . والأمانة التامة من ألزم اللزوميات ، حتى ولو كانت مما لا تسر

ولنأت هنا بمثال للطريقة التى تساعد على الفهم الذاتى :

(فلان) كهل عَزَب ثرثار ، يعيش مع أخته العجوز الأرملة . إنه ينزعج من كل شىء وعلى الأخص صحة أخته . وقد اشتكى من أحلام مزعجة . ففى أوضاع غامضة مختلفة ، رأى أخته ممددة ميتة وإما على وشك الموت . ويرى نفسه إما محاولاً إعادتها إلى الحياة وإما مندفعاً للتفتيش عن أشياء . وإنه ليقول : «أردت أن أسرع ولكننى لم أستطع ، كنت أوقع الأشياء دائماً وأخلط بين قطع الأثاث . وفى كل أحلامى كان (ا) موجوداً ، وكانت توجد أيضاً ممرضة ولكنها كانت تتمثل فى صور شتى . ففي بعض الأحيان كانت ابنة عمى السيدة (ب) ، وكانت فى بعض الأحايين الآنسة (ج) وأحياناً (د) . ولم أكن أفهم سبب وجود (ا) هناك . إنه كان معى فى الجامعة ولكنى لم أكن أحبه كثيراً . وكنت لم أره زهاء العشرين عاماً . وكنت دائماً فى حالة مزعجة أستنجد بهم أن يعملوا شيئاً . وفى معظم أحلامي ، كان (ا) يخلع ساعة أختى الذهبية من رسغها . وكنت أطلب منه أن يعطينيها إذ كان لى الحق فى أن أقرر لمن يجب أن تكون ، وكان هو يتمسك بخطفها من يدى . فيبدأ الجميع فى جذبها فى اتجاهات مختلفة . وفى تلك اللحظة ، كانت أختى تنتصب واقفة وتنظر إلىّ »

وكان (فلان) يستيقظ من نومه دائماً عند هذه النقطة يائساً ، قانطاً يتملكه الشعور بأنه يجب أن يذهب إلى غرفة أخته ليتحقق من أنها بخير

ولو أن هذا يبدو حلماً مزعجاً نموذجياً . فقد كانت هناك بواعث شديدة لاشعورية موجودة فيه . ففى الجامعة كان فلان حيياً خجولاً ، ولقد أراد أن يكوّن لنفسه أصدقاء من بعض النساء ويخص منهن فتاة وكتب قصيدة أهداها إليها ، ولكنها وقعت صدفة فى يد (ا) ، وعرض فلان بعض الوعود ، كما يفعل الشعراء ، ولم يكن شعره رديئاً ومع ذلك فقد صار أكثر خجلاً وأكثر حساسية

(ا) مثال كريه جداً ، حاول أن يهدم إدراك فلان المثالى للنساء ، واتجاهه العف نحوهن بترديد حكايات ماجنة

وكانت الآنسة (ج) جارة أعجب بها فلان . وباستثناء أخته كانت ب المرأة الوحيدة التى عرفها معرفة حقيقية ، ولقد قال لها ذات مرة أنه يحب (ج) حباً شديداً

(د) كانت نجماً سينمائياً تخصصت فى الأدوار التى تمثل المرأة العاقلة الحكيمة

ولقد أراد فلان أن يتزوج ، ولكنه كبت هذه الرغبة ،

حول فلسفة نيتشه

رســـالة نبي الوثنية !

للأستـــاذ زكريا إبراهيم

اعتقد نيتشه فى نفسه أن عليه رسالة لا بد أن يبلغها للانسانية ، فلم يكن له بد من أن ينتقى لنفسه نبياً يتكلم على لسانه . وقد وضع نيتشه رسالته هذه على لسان نبيه زرادشت ، فجاءت وحياً ليس له نظير فى عالم الفلسفة . والواقع أن كتاب « هكذا قال زرادشت » هو طُرفة فنية رائعة لا نجد لها مثيلاً فى الأدب الألمانى الحديث ، بل لعلها تكون أروع ما عرفه النثر الأدبى فى ألمانيا كلها . ولكن الذى يعنينا من أمر هذا الكتاب هو أن نعرف السبب الذى من أجله اختار نيتشه « زرادشت » لكى يكون المعبر عن آرائه . وقد تكفل نيتشه نفسه بالجواب عن هذه المسألة فقال : « إن أحداً من الناس لم يسائلنى — وكان الظن بهم أن يسألوا — عن المعنى الذى أقصده حينما أجرى اسم « زرادشت » على لسانى ، أنا « اللا أخلاقىّ » (immoraliste) الأول ؛ فإن ما كان يميز هذا الفيلسوف من غيره ، هو على وجه التحقيق ، تعارضه المطلق مع اللاأخلاق . والواقع أن زرادشت كان أول من وجد فى الصراع بين الخير والشر ، المحور الأساسى الذى تدور حوله كل الأشياء ، فهو أول من حول الأخلاق إلى مجال الميتافيزيقا ، وجعل منها قوة أو علة أو غاية فى ذاتها . ولكن هذا عينه هو السبب فى اختيارى له : فإن زرادشت هو الذى استحدث ذلك الخطأ الجسيم الذى هو « الأخلاق » moralité ، وإذن فإن من الواجب أن يكون هو أيضاً أول من يفطن إلى ذلك الخطأ ؛ لا لأن اختباره للمسألة كان أطول وأعظم من اختبار غيره من المفكرين (فإن التاريخ مُفعم بالأدلة التجريبية والبراهين العملية التى تنقض النظرية المزعومة عن وجود نظام أخلاقى للأشياء ordre moral des choses) ، بل لأن زرادشت كان أكثر أمانة وتوخياً للصدق من غيره من المفكرين . »

ولكن ما هو هذا الوحى الذى نزل على زرادشت من سماء إلٰهه نيتشه ؟ لقد جاء هذا النبي الجديد بديانة معارضة للمسيحية ، مناهضة للأخلاق ؛ وهذه الديانة مُودَعة فى تضاعيف شعر ذى

ووجد حلاً غير مرضى بمعيشته مع أخته التى كان سيصير مركزها إذا تزوج مشكلة صعبة . وكانت فى الحقيقة ، تتكدر إذا بين لها رغبته فى التعرف إلى نساء أخريات . وكانت أحلامه بموتها إيضاحاً لرغبته اللاشعورية التى تحتم موتها حالاً ، وبهذا يحل مشكلته هذه . وكان هذا غير مقبول لدى عقله الواعى وضميره اللذين عوضا على الرغبة باهتمام مضطرب قلق لصحة أخته ...

إنه كان يميل إلى ج كثيراً ، ولأن السيدة ب شجعته صارت المرأتان مشتركتين فى (اللاشعورية) . ورغبته الخائبة للارضاء الطبيعى البحت كان محققاً بـ د التى أصبحت على هذا النمط مشتركة مع كل من المرأتين ، وكان (ا) متبلبلاً فى شعوره الشخصى بالضعة ، بقدر ما كان قلقاً ، وساعة أخته الذهبية كانت هدية منه ، وتعبر عن العاطفة التى أراد أن يعطيها لامرأة أخرى . فكانت أحلامه لذلك انعكاساً مستتراً لفشله الشخصى

وبعد . فإن باختبار القارئ لأحلامه بإخلاص ، كما فعلنا فى هذا المقال ، ربما يكون قادراً على شرح ما يبدو له منها غامضاً وفى الوقت ذاته يدرس عن نفسه الشيء الكثير

هل أحلامك إلهامية ؟ لقد قال الدكتور الفريد أدلر Dr. Alfred Adler إنها فى بعض الدرجات ربما تكون كذلك . ليس لأى سبب خفى ، ولكن لأنها ربما تدل على محاولات تجريبية عند حل المشكلة التى تتأتى

وقال أيضاً إن شخصاً ربما يركن إلى التنعم بأحلام السعادة والنجاح . غير أن هذا لا يتفق الآن للرجل الجرئ الذى لا تبعد حقيقته عن خياله ، فتكون أحلامه أقل تعبيراً عما يختجنه وجدانه .

(الاسكندرية) عبد العزيز جادو

ساحر رن فى السمع كما ترن الآيات القصار . فلم يَصُغ نيتشه إذن أفكاره فى ألفاظ وعبارات ، بل صاغها فى لمع ولمحات . وهذه الأفكار كثيراً ما يعذب وقعها فى السمع ، بغض النظر عن المعانى التى تنطوى عليها ، فهى أفكار لا تنحصر قيمتها فى ذاتها ، بل فى صورتها الشعرية الرائعة التى ينساب سحرها فى النفس خفياً لا تكاد تلحق به المعانى ! وليس من شك فى أن هذه الصورة الشعرية ذات الموسيقى العذبة ، كان من شأنها أن تصرف النظر عن التأمل فى المعنى الذى تخبئه الألفاظ ، ومن هنا فإن أقوال زرادشت كثيراً ما تتخطى الأسماع إلى القلوب ، فتعمل فى النفس بما لا تعمله الأفكار والمعانى . وهل يمكن للفلسفة أن تؤثر فى النفس كما يؤثر الشعر ؟

وليس أسلوب نيتشه وحده هو المجازى الرمزى ، بل إن فكره أيضاً رمزى كذلك . فلسنا نجد لدى زرادشت تحديدات دقيقة أو براهين ثابتة ، بل نجد خليطاً من الآراء والأقوال ، يمكن أن نجد فيها لكل شيء جواباً بالسلب وجواباً بالإيجاب ، ويمكن أن نجد فيها أيضاً مجالاً للاختيار بين عشرة أو أكثر من التأويلات المختلفة . وهذا كله من شأنه أن يجعل المؤلف فى منجى من الاعتراضات التى يمكن أن يوجهها إليه الناقدون ، لأن الناقد لن يجد لديه شيئاً ثابتاً يمكن أن يأخذه عليه — . ومثل هذا الأسلوب فى الكتابة ، أليس هو من قبيل التخلى عن الفلسفة الحقيقية ، على حساب هوًى ميتافيزيقى خاص ، أو نزعة توكيدية dogmatisme شخصية استحالت إلى إيمان ثابت أو عقيدة راسخة ؟ إذن فما أصدق نيتشه نفسه إذ يقول على لسان نبيه زرادشت : « تسألوننى لماذا ؟ أنا لست ممن يُسألون حين يعملون لماذا ؟ » . وهل كان نيتشه فيلسوفاً يأخذ بالعقل ويخضع للمنطق ، حتى يقدّم حجة على ما يقول ، أو برهاناً على ما يدعى ؟ ... إن زرادشت نبي ملهم ، فليس له إلا أن يملى على الناس أحكامه ، وليس على هؤلاء الناس إلا أن يرهفوا له السمع !

أما الرسالة الجديدة التى جاء بها هذا النبي الملهم ، فهى فى جوهرها ردّ فعل عنيف ضدّ الأخلاق المسيحية المغالية ، والمذاهب العاطفية المتطرّفة ، مما نجده فى العصر الحديث لدى أصحاب « ديانة الألم الإنسانى » religion de la souffrance humaine . وقد استعان نيتشه فى سبيل القضاء على هذه الأخلاق ، بكثير من آثار ذلك النقد الألمانى العنيف للديانات والفلسفات . ولكن هذا النقد قد اتخذ عنده صورة التجديفات العنيفة واللعنات المتواصلة ، فجاءت حملته على الديانات ضرباً من الإنكار الهائج الذى تشيع فيه سَوْرة الجنون . بَيْد أن هذا الإنكار تعقبه تأكيدات مفعمة بالحماسة والحميّة ، بقدر ما هى خالية من كل برهنة أو إثبات . وهذه التأكيدات نفسها قد لقيت نجاحاً كبيراً ، لهذا السبب عينه وهو انعدام البراهين منها : فإن انعدام البرهنة كان من شأنه أن يخلع على تلك التوكيدات الإنكارية (إن صح هذا التعبير) قوة ووجاهة ؛ ومن ثَمّ فقد سيطرت على الناس وأثرت فى عقولهم تأثيراً كبيراً . فهؤلاء الذين يُؤخذون بسحر العبارة وموسيقية اللفظ ، قد وجدوا فى عبارات نيتشه التوكيدية الحاسمة ، لذة كبرى لا عهد لهم بها فى كتب الفلاسفة . وهؤلاء الذين يولعون بالغريب الشاذ ، ويعشقون النادر غير المألوف ، قد وجدوا فى كتب نيتشه ما لا حصر له من الغرائب التى تستثير الإعجاب وتبعث على الدهشة . ولكن هذا وحده لم يكن السبب الوحيد فى إقبال كثير من الناس على قراءة كتب نيتشة (التى أخذت تنتشر ويعاد طبعها) بل إن ثمة سبباً آخر أعمق من ذلك ، وهو أن نيتشه قد نادى بمذهب فردى أرستقراطى ، أراد به أن يهدم كل أخلاق وكل دين . فالروح الإنكارية التى كانت سائدة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن ، قد وجدت فى نيتشه تعبيراً قوياً عن الحاجة التى تشعر بها . وهل كانت رسالة زرادشت فى الحقيقة ، إلا دعوة صريحة مؤدّاها « العودة إلى الوثنية الأرستقراطية » : paganisme aristocratique ؟ وهل كان نيتشة إلا « بَسكال الوثنية » كما قال هافلوك إليس بحق ؟

زكريا ابراهيم

مستقبل رومانيا

للأستاذ علي إسماعيل بك

« لماذا دخلت رومانيا الحرب » ؟

ذلك هو السؤال الذى ردده طوال السنوات الأخيرة كل فرد من أفراد الديمقراطيات « فلماذا » ؟

لقد دخلت ألمانيا الحرب لمطامع أغراها بها النازيون لا أقل من أن نذكر منها سيادة العالم بما سموه النظام الجديد

ودخلت بريطانيا وأمريكا الحرب دفاعاً عن حرية العالم . ودخلت روسيا الحرب دفاعاً عن نفسها . ودخلت إيطاليا الحرب للوهم الذى علق ونما فى نفوس الفاشستيين لإحياء الامبراطورية الرومانية المنقرضة . ودخلت بلغاريا الحرب لحلم دار فى خلد الطامحين من ساستها بإعادة الامبراطورية البلغارية فى البلقان على يد حليفتها البطاشة

أما رومانيا ، ذلك البلد الغنى ، المرح ، الذى خرج من الحرب العظمى بأقصى ما يمكن أن ينال المنتصر من أسلاب وبأكثر مما كانت تحلم به من أراض غنية ومناطق تزخر بالمناجم وتغص بالصناعات فما بالها تدخل حرباً لا ناقة لها فيها ولا جمل ؟

ذلك هو السؤال الذى يحار العقل فى الإجابة عنه إجابة منطقية واضحة .

فلنرجع بالقارىء أولاً إلى حالة رومانيا قبل الحرب العظمى نجد أنها ما كانت إلا ولاية من ولايات البلقان الشرقية ترزح تحت أثقال الماضي العثمانى وتتذمر من نفوذ عنصرين كبيرين يهددان كيانها على الدوام ، وهما العنصر السلافى من الشرق والعنصر الجرمانى من الغرب . فكان لها إذن أن تدخل الحرب العالمية ، إذ كان لسيف ديموقليس حدّان مسلولان على رأسها ، ولا سبيل إلى التخلص من كابوسه إلا بإلقاء نفسها فى أحضان الحلفاء ...

وكان ذلك هو الطريق الذى اختارت رومانيا لنفسها . فحاربت فى صف الديمقراطيات الغربية ، وجلست معهم على موائد الصلح فى سان جرمان ، وخرجت من تلك الموائد ظافرة غانمة غنما ما كانت لتحلم به . فقد سلخ الحلفاء من روسيا إقليم بسارابيا الغنى الخصب فى الشرق وقدموه إليها قرباناً ، كما قدموا إليها أقاليم الدبروجا فى الجنوب ، وقد كان من ممتلكات بلغاريا وترانسلفانيا وبوكوفينا ، وقد كانتا من ممتلكات الامبراطورية النمساوية المنجارية المنحلة

تحققت إذن كل رغبات رومانيا الصغيرة بعد الحرب العظمى ، وأصبحت بعد ذلك « رومانيا الكبرى » وجلست على عرشها إحدى الملكات التى يسجل لهن التاريخ أجل المواقف . فقد كان لنفوذ الملكة مارى ابنة دوق ادنبره ابن الملكة فكتوريا العظيمة أشرف الأثر لا على الفرع الكاثوليكى لأسرة هوهنزلرن — سيجماربنجن وحسب ، بل على الشعب الرومانى أجمع . فقد أخذ ينطبع بالطابع الديمقراطى الذى كانت تتحلى به تلك الملكة الإنجليزية العظيمة ، وبدأت تدب فى مرافقها روح المدنية الغربية . فأخذت ترفل رومانيا فى مطارف السعادة والرخاء . مملكة هذه حالها ، ما الذى حدا بها إلى أن تصنع اليوم ضد ما كانت تقبله بالأمس .

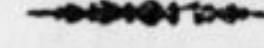
عاشت « رومانيا الكبرى » العشرين سنة الأخيرة عيش الفأر الذى لبس جلد الهر ظناً منه بأن فى لبس الجلد السلامة والنجاة . وكان الرومانيون يعلمون على بكرة أبيهم علم اليقين بأن الهر الجرمانى إنما يتحفز لأنشاب أظفاره فيهم كي يسلخ منهم ترانسيلفانيا وبوكوفينا كما يتحفز لهم الهر الروسى كى يسلخ بسارابيا والهر البلغارى كى يسلخ الدوبروجا . ماذا يصنعون إذن ؟ إذا طلبوا معاونة الحلفاء ، تلقوا إجابة أفلاطونية لا تقترن بأساطيل ولا تعزز بجيوش . وإذا طلبوا معاونة الروس ، فلا أقل من أن تطغى على الأراضى الرومانية أنظمة روسيا الاجتماعية وهو ما لم تكن رومانيا ولا الديموقراطيات لتقبله بأى حال . موقف مربك بلا ريب

لا مناص إذن من إلقاء نفسها فى أحضان الهر الجرمانى ، ولو على غير رغبة منها « فلنحالف الألمان عسى أن يكافئونا على حلفنا » ذلك هو ما كان يدور فى خلد الرومانيين ، ولكن

صفحات مطوية من المصرى

الشهاب المنصورى

للأستاذ السيد أحمد خليل



ذلك شاعر آخر من الشعراء المغمورين الذين نشأوا فى مصر، وتأثروا بما يجرى على أرضها من أحداث، تظاهر فى أعمالهم الشعرية التى خلفوها خصائص هـذه البيئة ومزاياها . ذلك هو الشاعر المعروف بالشهاب المنصورى

ترجمته :

يعرف هـذا الشاعر بالشهاب المنصورى ، وبابن الهائم والمترجمون له يستعملون هاتين الشهرتين . فأما نسبه كاملاً ، فهو : أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الدائم بن رشيد الدين بن عبد الدائم بن خليفة المعروف بالشهاب المنصورى .

ولد سنة ٧٩٨ هـ ببلدة المنصورة ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن وجوده ، وتلق بعض المبادىء فى الفقه والحديث والتفسير والأدب ، ثم رحل إلى القاهرة ، فعرض كتاب التنبيه(١) على الجال الأقفهسى المالكى ، ثم حفظ الملحة وقد رحل فى شبابه مع والده إلى دمشق ، ثم عاد إلى القاهرة وعاود البحث فى التنبيه على الشرف عيسى الأقفهسى الشافعى ، وعرض ألفية ابن مالك على الشمس الجندى وأخذ عنه أشياء من تصانيفه فى النحو كالزبدة والقطرة ، ولما فرغ من قراءته عليه قال :

تناؤك شمس الدين قد فاح نشره
لأنك لم تبرح فتى طيب الأصـــل
أفاض علينا بحر علمك قطرة
بها زال عن ألبابنا ظمأ الجهل

وأخذ النحو أيضاً عن البدر حسن القدسى شيخ الشيخونية ، وسمع الحديث عن الرشيدى وتنزل فى حنابلة الصوفية بالشيخونية وعانى الأدب وطارح الشعراء ، وصار بأخرة أوحد شعراء القاهرة حتى كان العز قاضى الحنابلة يقدمه على الكثيرين ، وقد حج وامتدح النبى بعدة قصائد ، وخمّس البردة ومدح غير واحد

(١) التنبيه هو الكتاب المعروف بتنبيه فى فروع الشافعية لأبى إسحق الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٦ هـ وهو أحد الكتب الخمسة المشهورة المتداولة بين الشافعية وقد شرحه كثيرون (انظر كشف الظنون) ويظهر فى كثير من الحوادث أن تمايز المذاهب فى الدراسة لم يكن مستقراً فى ذلك العصر ، فالطالب يقرأ الفقه الحنبلى والشافعي والمالكى على غير أهل هذه المذاهب كما يتبين ذلك من دراسة الشهاب المنصورى وغيره .

ما هى تلك المكافأة التى كانت تنتظرها رومانيا ؟ إذن فاستمع : وعدت ألمانيا النازية بحل المشكلات المعلقة بين رومانيا وجاراتها بما يرضى الضمير الجرمانى بشرط دخول رومانيا الحرب فى صفها ضد حلفائها بالأمس فتضع بذلك مناطق الزيت والحبوب تحت تصرف الألمان !

تمخض الوعد عن اجتماع فى فينا بين هتلر وساسة رومانيا وهنجاريا ، وكانت النتيجة أن نُزعَت ترانسلفانيا من التاج الرومانى وقُدِّمت قرباناً إلى نسور هنجاريا ! تلك هى مأساة الثقة بوعد الهر الجرمانى

دخلت رومانيا الحرب ووضعت جميع مواردها ومرافقها تحت تصرف الألمان ، فما كان من هؤلاء إلا أن عاملوها معاملة السيد لتابعه ، وبدلاً من أن يكافئوها بالاحتفاظ بالولايات كما كان مشروطاً كافأوها بسلخ ترانسلفانيا وبوكوفينا سلخاً لا شفقة فيه ولا شفاعة

ولما أن دار الفلك دورته وأنشبت روسيا أظفارها فى قلب الهر الجرمانى منتزعة بسارابيا من قبضتها بحد السيف ثاب الرومانيون إلى رشدهم وشمروا - ولكن بعد فوات الوقت - أن لا سلامة الآن لهم إلا بالخضوع والإذعان لمطالب روسيا المشروعة

وقد أذيع اليوم أن بين هذه المطالب - ولا أقل من أن يكون الأمر كذلك - أن تنقلب رومانيا إلى صف الحلفاء وأن تكون حكومة ديموقراطية تحمل السيف فى وجه ألمانيا التى لم تجر عليها محالفتها سوى الخراب والدمار على أنه من الواضح أن الحلفاء سوف يبرون بوعدهم على استرداد ما انتزع الألمان فى اجتماع فينا فيضمون بذلك الحق فى نصابه ويعيدون إلى قيصر ما لقيصر

على اسماعيل

من الأعيان ، وكان صديقاً للسخاوى ، صاحب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، وقد ترجم له ترجمة ضافية ، ويقول الشهاب المنصورى يهنئه بمولود له :

ليهنك شمس الدين فرعك مشبه
سجاياك والقطر الشهي من الطخا
وذلك من جود الإله وفضله
ففرعك من جود وأصلك من سخا

ويتفق صاحب شذرات الذهب مع السخاوى فى أنه توفى يوم الإثنين سادس جمادى الثانية سنة ٨٨٧ هـ

أخلاقه

يقول السخاوى إنه كان ظريفاً كيساً متواضعاً متقللا قانعاً ، ويبدو فيما رأيناه من شعر الشهاب أنه كان ظريف اللسان خفيف الروح يتمثل فيه الخلق المصرى الهادىء الوديع مع اليقظة التامة لما يجرى حوله من أحداث لا بد أن يشارك فيها جاداً أو مازحاً

شعره

فأما شعره فيصفه صاحب شذرات الذهب بأنه جميعه فى غاية الحسن وينقل من ديوان له تلك الأبيات :

شجاك بربع العامرية معهد
به أنكرت عيناك ما كنت تعهد
ترحل عنه أهله بأهلة ... بأحداجها غيد من العين خرد
كواكب أتراب حسان كأنها ... برود بأغصان النقى تتأود

كما يقول السخاوى إنه أضحى مشاراً إليه بالشعر فى الآفاق ، ويحدثنا عن ديوانه أيضاً ويصفه بالكبر ، وأنه انتخبه فى مجلد وسط قبل أن يموت . والمتتبع لحياة هذا الشاعر يرى أنه قد شارك فى جميع ألوان الحياة المصرية فى عصره ، وأن أداته فى ذلك كله كانت الشعر ، فهو يهنىء السلاطين بالملك بالشعر ويمدح ويذم ويداعب ويتحسر بالشعر أيضاً ، وسننقل فى ذلك بعض الحوادث مقرونة بشعره

لما عين مثقال الحبشى الساقى فى مشيخة الحرم الشريف ، وكان مثقال هذا عشير الناس كثير الانهماك على شرب الراح ، فقته السلطان قايتباى وألبسه مشيخة الحرم الشريف لعله يتوب قال فيه الشهاب المنصورى :

يعم ندا كف مثقال فراحته ... فيها لمن أمه جود وإفضال
واعجب له فرعاه الله من رجل ... فيه قناطير خير وهو مثقال

وقال فى شاهين غزالى الظاهرى الرومى ، وكان بارع الجمال افتتن به كثير من النساء والرجال ، وافر العقل غزير الأدب منهمكا فى ملاذ نفسه وشهواتها

قد صاغك الله من لطف ومن كرم
وزاد حسنك بالإحسان تزيينا
فاخفض جناح الرضا واصطد طيوردعا
من جو إخلاصنا إن كنت شاهينا

ويلاحظ أنه مولع بالتورية فى شعره ، فهو يستعمل الشاهين بمعنى الصقر ، ومثقال بمعنى المقدار وهما علمان . وذلك أسلوب من أساليب الشعر فى ذلك العصر

كما يصف طاعوناً تفشى خطره فى الناس فيقول :

يا نعم عيشة مصر ... وبئس ما قد دهاها
لما فشا الطعن فيها ... حاكى السهام وباها

وهو يحارب الأمراء فى جشعهم ليحملهم على أن يخرجوا الغلال التى احتكروها فيقول فى الأمير يشبك الدوادار لما فعل ذلك :

وظالم منه أتانا الغلا ... يا ويله فى الحشر من ربه
فادعوا وقولوا ربنا اطمس على ... أمواله واشدد على قلبه

وهو يتعصب للعلماء فينتصر ابن الفارض على البقاعى ، كما يرثى العلماء الذين عاصرهم رثاء مفجعاً يدل على ما يكنه لهم فى نفسه من احترام وتقدير ، فقد كان فى مصر فى ذلك الوقت سبعة من الشعراء العلماء يحملون اسم الشهاب فماتوا جميعاً وبقى شاعرنا فرثاهم بقصيدة طويلة ذكر طرفاً منها ابن إياس فى كتابه بدائع الزهور ومنها :

خلت سماء المعانى من سنا الشهب ... فالآن أظلم أفق الشعر والأدب
تقطب العيش وجهاً بعد رحلة من ... تجاذبوا بالمعانى مركز القطب

فكاهته

كان شاعرنا يميل إلى الفكاهة العذبة ويحتال لها فى شعره بأنواع من البديع كالجناس ونحوه ، ويتبين ذلك فى الأبيات التالية التى داعب بها صديقه الشاعر عبد الرحمن بن حسن

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٠٤ — تحت كل لم ؟ أسد ملم

ابن الراوندي : ما التصدي للحراب والقضاب ومبارزة الأبطال بأصعب من التصـدى للجواب لمن أمّك بالسؤال . وتحت كل لِم ؟ أسد مُلِمّ

٦٠٥ — إذا استغفى بغمزة حاجبيه

قال أبو نؤاس :

ولست بقائل لنديم صدق وقد أخذ الشراب بعقلتيه
تناولها وإلا لم أذقها فيأخذها وقد ثقلت عليه
ولـكن أدير الـكاس عنه إذا استغفى بغمزة حاجبيه

المعروف بكاب العجم وكان يميل إلى الغلمان :

فى ملاح لك شتى صيف القلب وشتا
كم ليـال مع مليح يا محب الدن بتا
خده بستان حسن حبذا البستان بستا
أنت بالصبيان صب لو رأيت البنت بنتا

وقد عرض له فى أواخر حياته فالج ألزمه الفراش فانقطع فى داره عن الحركة ، ولـكنه لا ينسى حظه من الدعابة الجميلة إذ يقول فى مرضه :

آه يا درهمى ويا دينارى ضعت بين الطبيب والعطار
كنت أنسى فى وحدتى وشفائى من سقامى وصحتى فى انكسارى
قد حمانى الطبيب عن شهواتى فاحم يا رب قلبـه بالنار
طال شوقى إلى الفواكه والبطيـخ والجبن واللّبا والخيار

أما حديثنا عن ديوانه فـيكون فى مقال آخر إن شاء الله .

(جامعة فاروق بالأسكندرية) السيد أحمد خليل

٦٠٦ — أسهل من تلك الخطوة

رفع رجل من الأزد إلى المهلب سيفاً له فقال : يا عم ، كيف ترى سيفى هذا ؟

فقال : إنه لجيد لولا أنه قصير

قال : أطوله يا عم بخطوتى

فقال : والله ـ يابن أخى ـ إن المشى إلى الصين أو إلى أذربيجان[1] على أنياب الأفاعى أسهل من تلك الخطوة[2] ...

٦٠٧ — ولا رزقك عقلا تخدم به ذوى الجدود

سُمع من امرأة من الأعراب ترقص ابناً لها فتقول : رزقك الله جَداً يخدمك عليه ذوو العقول ، ولا رزقك عقلا تخدم به ذوى الجدود

٦٠٨ — فكيف بالظالم ؟

فى الـكشاف للزمخشرى :

صلى الموفق خلف الإمام فقرأ : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسـكم النار) . فغشى عليه ، فلما أفاق قيل له ، فقال : هـذا فيمن ركن إلى من ظلم ، فـكيف بالظالم ؟ !

٦٠٩ — فقد طابت منادمة المنايا

القاضى عبد الوهاب :

متى تصل العطاش إلى ارتواء إذا استقت البحار من الركايا ؟!
ومن يثنى الأصاغر عن مراد وقد جلس الأكابر فى الزوايا !
وإن ترفع الوضـعاء يوماً على الرفعاء من إحدى البلايا !
إذا استوت الأسافل والأعالى فقد طابت منادمة المنايا !

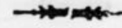
---

(١) بالفتح ثم السكون وفتح الراء . وقد فتح قوم الذال وسكنوا الراء ، ومد آخرون الهمزة مع ذلك . والنسبة إليه : أذرى (بالتحريك) وأذرى (بسكون الذال) وأذربى . إقليم واسع ، تبريز أكبر مدنه (ياقوت)

(٢) لم يقل ذلك جبناً بل قال ما توجبه الصورة إذ كانت تلك الخطوة قريبة للموت (ابن أبى الحديد)

أوائل الناجحين

للشاعر الأستاذ محمد الأسمر



[للبيت العلوى الكريم مآثر محمودة فى تشجيع العلوم والفنون ، من لدن محمد علي الكبير إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق الأول ، وإن فى تكريم جلالة الفاروق لأوائل المتخرجين كل عام لمأثرة كبيرة من هذه المآثر المحمودة المعروفة عن البيت العلوى

وقد كان المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول يمنح أوائل الناجحين فى عالمية الأزهر بعض المنح ، وكان الأزهريون يحتفلون بتوزيع هذه الجوائز على الأوائل منهم ، والقصيدة الآتية أنشدها الشاعر فى بعض هذه الحفلات .]

للسابقينَ الأولينَ تحيتى   شعراً كزهر الروض لما نوَّرا
بَلغَ المُجَلِّى ، والمُصَلِّى غايةً   لهما ، وأبطأ عاجزٌ وتأخَّرا
يتنافس المتنافسون فسائرٌ   خَبَباً ، وآخرُ سائرٌ متعثرا
صَرْحُ الحياة ثوى الضعافُ بسفحه
والأقوياء على الذوائبِ والذُّرى
قُلْ للأوائل قد بلغتمْ شأوكمْ   وحمدتمُ لمَّابدا الصبحُ السُّرى
لم تأخذوا من لهو أيام الصبا   إلا مُباحاً نلتموهُ مُقتَّرا
لستمْ كمن تخذ المقاهىَ دارَهُ   يلهو ويُنفق مُسرفاً ومبذرا
زمنُ الدراسة للدراسة وحدها   ما كان متسعاً لشىء آخرا
خير الجليس به ، وخير مسامر   فيه يراعٌ أو كتابٌ سُطِّرا
والطالب السبَّاق فى طلب العلا   أبداً تراهُ مُنَقباً ومُحبِّرا
ما إن يُرَى فى الليل خارجَ دارِه   وتراه ينهض للدروس مُبكِّرا



يأيها الغرُّ الأوائلُ حسبُكم   عطفُ المليك فما أجلَّ وأكبرا
ونصيحةً لكم الغداةَ نسوقُها   لتُبِينَ ما رُبَّما اختفى وتسترا
لاتحسبوا سَبْقَ الدراسة وحدهُ   يُغنى فيرخى ذيله من شمَّرا
سَبْقُ الدراسة ليس إلا سلَّماً   هو أول الغايات ليس الآخِرا
لا يَقْعُدَنَّ المرء بعد نجاحه   ثملاً ولا يخطرْ به متبخترا
كم آخِرٍ فى الدرس ثابَرَ بعدهُ   فسما وظلَّ الأولون على الثرى !
خذوا بأسباب الحياة وواصلوا   خطواتكم تجنوا الشهىَّ المثمرا



الأزهر المعمور يرعى روضَه   ملكٌ به رفَّ النجاحُ وأزهرا
ما زال يسقيهِ الرعايةَ عذبةً   حتى بدا نضر الجوانب أخضرا
وإذا الملوك الصالحون تعهّدوا   غرساً أتى بالصالحات وأثمرا !
يسعى إليه المسلمون جميعهم   مثل الحجيج سعى إلى أم القرى
وردوا به الوِرْد الشهيَّ مذاقه   وجنوا به المُتَعَهِّد المتخيَّرا
جمع القديم مع الجديد كليهما   أحببْ به مُتَبَدِّياً ، متحضرا
عَلَمُ الزعامةِ فى يديه وحدهُ   ما كان أحراهُ بذاك وأجدرا
حَمَل اللواء إلى الأمام فما مشى   يوماً به فى الحادثات القهقرى
وردتْ مناهِلَهُ البريَّةُ كلها   عسلاً مُصفًى لاأجاجاً أكدرا
يمضى على سَنَن الهدى مستنصراً   بالله ، محمىَّ الجناب مُظفَّرا
بنت الشريعةُ من قديم حصنها   فيه ، وشيَّدت الفصاحةُ منبرا
وتفضَّل اللهُ العلىُّ وزادهُ   فضلاً ، فأيدهُ المليكُ وآزرا



يأيها الملكُ الرشيدُ تدفَّقتْ   منك الأيادى فهى تجرى كوثرا
تُعطى الجزيلَ من العطاء مشجعاً
من لم يَعُقْهُ عن السُّرى حُبُّ الكرى
تبنى العقولَ وأنتَ أقدرُ من بنى
وأجلُّ من ساس الأمور ، ودبَّرا
إن كان كسرى شادَ إيواناً له
حَجَراً ، فأنت تشيدُ أعجب ما يُرى
تبنى المعارفَ والفنونَ وهذه   أبقى على الدنيا وأروعُ منظرا

محمد الأسمر



الثقافة والعقاد

فى عيد ذكرى من ذكريات سعد الماضية ، أصدرت مجلة الثقافة عدداً خاصاً فى الزعيم سعد زغلول من أقلام كتابها البارزين

وكتب أحد هؤلاء الكتاب ، حكاية زيارة اللورد جورج لويد المنيا ، واستقباله فى الأقاليم استقبال أصحاب العروش ، وحملة الصحف على اللورد من جراء هذه الزيارات ، واشتراك مجلس النواب على اختلاف الأحزاب فى هـذه الحملة ، وحنق اللورد وخلقه أزمة استحضر من جرائها الأسطول إلى الأسكندرية ليزيل ما أصاب هيبته من تلك الحملات التى ظن أن الموعز بها والمحرض عليها هو الزعيم سعد زغلول

ويقول كاتب الثقافة إن المغفور له سعد زغلول قال : إن اللورد جورج يتهمنا بأننا كنا الموعزين بحملة الصحافة وحملة النواب على زياراته للأقاليم ، أما أنا فأقول :

« إنها تهمة لا أدفعها وشرف لا أدعيه »

أورد كاتب الثقافة الخبر على هذا النحو كأنه من أخباره الخاصة أو من متداول الحديث بين كتاب الثقافة

بعثت آنذاك بكلمة إلى رئيس تحرير الثقافة ، أضع الأمر فى موضعه الصحيح ، وأدل القراء على المصدر الذى استقى منه الكاتب روايته وهو كتاب « سعد زغلول » لمؤلفه الأستاذ عباس العقاد ، ولم يشأ صاحب امتياز المجلة نشر كلمتى قطعاً لما قد يعقب نشرها من أخذ ورد

سألت عن كاتب تلك الكلمة ، فعرفت أنه لا يقل مكانة عن الكاتب (ح . ج) ، ولعله زامله فى التحقيق والعدالة

عند ما قرأت مقال الثقافة « سعد وسعود » بقلم (ح . ج) وتعليق الأستاذ سيد قطب عليه تذكرت الماضى وقلت فى نفسى « هذه ثقافيات عرفناها فى الجامعيين فى إنكار الفضل على ذويه »

وبهذه المناسبة أنقل خلاصة حكاية أوردها الأستاذ العقاد فى كتابه « سعد زغلول » أهمسها فى آذان كتاب الثقافة وحواشيهم ليت يتدبرها الكاتب اللبق (ح . ج)

قال العقاد وقد سأله الزعيم عن رأيه فى خطبة العرش ، وكان حاضراً كل من فتح الله بركات باشا ومحمود فهمى النقراشى باشا والأستاذ عبد القادر حمزة

أدلى الأستاذ العقاد برأيه ، وقام النقاش بين الرجلين ودام نصف ساعة . فقال زغلول باشا للعقاد

« لماذا تحاسبنى أنا فى هذا ، ولست أنا المسئول عنه »

فأجاب العقاد « لأن دولتك وكيل الأمة والمسئول عن عمل الآخرين »

« فضحك ــ رحمه الله ــ طويلاً ، ثم قال : لو حاسبنى كل فرد من الأمة حسابك يا فلان لعجزت عن أعباء هذه الوكالة »

« قلت وفى نفسى غضب أغالبه : يا باشا ، ليس كل فرد فى الأمة عباس العقاد »

« فتبسم مؤمناً وقال : ليس كل فرد عباس العقاد . . . صدقت »

حبيب الزحلاوى

١ — وحدة الشهود

تعليقاً على ما دونه الأستاذ البشبيشى فى عدد الرسالة ٥٧٨ أقول : أول من قال بوحدة الوجود فى الاسلام هو جهم بن صفوان الذى قتل فى آخر عهد الأمويين ، وقد تأثر فى بدعه ونحله الباطلة بالسمنيين « سمنات » لاختلاطه بهم ، وكم فتح هذا الرأى من أبواب للاباحة والزندقة لشرار الخلق

وأما قول الصوفية الأطهار بوحدة الوجود فلم يكن ناشئاً من نظر أو بحث ، بل هى عندهم حالة خيالية تطرأ للسالك من شدة إقباله على الله إلى أن يغيب عن الكون فينطق بما يوهم وحدة الوجود ، وتسمية هذه الحال « وحدة الشهود » هو الصواب . ومن الصوفية أتقياء أبرار يراعون أدق أوامر الشرع فى جميع شؤونهم ، كما أن بينهم زنادقة إباحيين . قال العلامة يوسف البحرى فيما علقه على « المجموع فى الشهود والمسموع » : إن الواجب له عز الوجوب والعظمة والكبرياء ، فهو منزه عن اللواحق المادية والتعطيلات الإلحادية ، وإن الممكن له ذل الإمكان وحقارة

الاحتياج إليه محقور مقهور محتاج إليه تعالى فى وجوده وبقائه وجميع أطواره ، فلا ينقلب الواجب ممكناً ولا الممكن واجباً ، بل الواجب خالق قادر غنى ، والممكن مخلوق عاجز محتاج فلا يكون أحدهما عين الآخر ، وهذا بديهى وبه نزلت الكتب السماوية وجاء به الأنبياء ... انتهى .

وبحث وحدة الوجود بحث خطر متشعب ، والموفق من وقاه الله شره . وممن توسع فى رد ذلك القاضى عضد الدين فى المواقف

٢ — فى اللغة أيضاً

نقلت فى عدد « الرسالة » ٥٧٦ ذروا من قول الأستاذ النشاشيبى فى لفظة « تلاشى » وأورد اليوم بعض كلامه أيضاً :

بنت العربية (الملاشاة والتلاشى) من (لا شىء) فى القرن الثالث فقالت : لاشى يلاشى ملاشاة ، وتلاشى يتلاشى تلاشيا . وفى إرشاد الأريب « التفاوت فى تلاشى الأشياء غير محاط به » وراوى الجملة هو المنشىء العبقرى أبو حيـان التوحيدى (الذى ربما كان أعظم كتاب النثر العربى على الإطلاق) ، كما يقول العربانى « متز » ، وفى العمدة لابن رشيق « وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى » ، وجاءت اللفظة فى شـعر الصنوبرى

فالتلاشى مولدة كيسة ، وقد تقبلها من تلوت أقوالهم ، وسمينا أسماءهم بقبول حسن . ثم طلع علينا الخفاجى فى آخر الزمان يقول فى شفاء الغليل « التلاشى بمعنى الاضمحلال عاميـة ، لا أصل لهـا فى اللغة » . عامية يا شيخ « قدك اتئب ، أربيت فى الغلواء » خف الله ، احترم أولئك الأئمة ، قل مولدة ، قل محدثة ، لقد ظلمتها حين ذممتها واستأصلت أصلها . والنسب مشهور ، والناجلان معروفان ، وهى (لا) و (شىء) ، وقد نشأت فى العراق ورحب بها المهيللون والبسملون والمحمدلون ، والأدباء والعلماء والباحثون

وسقط مما نقلته فى العدد ٥٧٦ من كلام الأسـتاذ بعد أن ذكر قول ابن أبى الحديد : قلت : مقالة ابن أبى الحديد متلاشية ، والحق مع القطب الراوندى صـاحب شرح نهج البلاغة ومعتقد الشيعة ...

أحمد صفوان

إلى ميدان الجهاد

مضت شهور وأنا معتصم بالصمت فلا أكتب حرفاً فى مدافعة أخصامى ، أو مناصرة أصحابى ، وقد طال الصمت ثم طال حتى أشمت الأعداء ، وأحزن الأصدقاء

وأنا راجع إلى ميدان الجهاد ومعى سلاحى ، فليلقنى من توهم أننى ألقيت سيفى وطويت لوائى

كل شىء يجوز ، إلا أن أخذل وطنى ، وهذا الوطن هو اليوم موئل الحرية الفـكرية فى الشرق

إن خصومى دفعونى إلى ما لم أكن أحب أن أندفع إليه ، فما عندى نية لخصومة روحية أو عقلية لأنى أبغض الشهرة التى يجلبها التظاهر بحرية الرأى

قراء الرسالة يذكرون أنها نشرت عشرات من الملاحظات على التصوف ، وهم أيضاً يذكرون أنى سكت عن التعقيب على تلك الملاحظات ، فما سبب ذلك السكوت ؟

السبب يرجع إلى إيمانى بأن التصوف عُقدة نفسية لا تفسرها كلمة وجيزة فى صحيفة أسبوعية

ولـكننى اليوم أرانى مقهوراً على شرح نظرية وحدة الوجود ، بعد أن طال فيها الـكلام على صفحات الرسالة الغراء بدون إيضاح

وقراء الرسالة يذكرون أن بعض الناس وصفنى بالحمق والغباوة والجهل ، بسبب آرائى التى دونتها عن إعجاز القرآن فى كتاب النثر الفنى

وسأشرح تلك الآراء شرحاً ينفى عنى وصف التهمة بالحمق والغباوة والجهل ، فأنا بفضل الله أعقل وأذكى وأعلم من جميع المتطاولين على مقامى

وإذا كان فلان الفلانى أعلن فرحه بأن الرقابة لن تسمح بنشر دفاعى عن آرائى ، فليعرف ذلك الفلان أن دفاعى سيكون أوضح من فلق الصباح ، وأنه لن يتعرض لمقاومة الرقابة بأى حال

كنت أنتظر أن ينتصر خصومى علىّ بقوة المنطق لا بقوة الحـكومة ، فلن أنسى كيف خصمونى فى يوم نقدت خطبة العرش فى إحدى حكومات الانقلاب

أما بعد فهذا نذيرٌ من النذر الأولى

زكى مبارك

أقرعاز بمعاز

فى أهرام ٢٠ أغسطس سنة ١٩٤٤ نبأ الجمل الذى أهرب من المجزر، ولجأ إلى قصر عابدين، فأمر جلالة الملك فاروق بشرائه وعدم ذبحه. وقد ذكرنا ذلك بما جاء فى كتاب « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمى » ان يعلى بن مرة رضى الله عنه قال: كنت مع النبى عليه الصلاة والسلام جالساً ذات يوم إذ جاء جمل يخبب حتى ضرب بجرانه بين يديه، فقال ويحك: انظر لمن هذا الجمل، إن له لشأناً. فخرجت ألتمس صاحبه، فوجدته لرجل من الأنصار، فدعوته إليه فقال: ما شأن جملك هـذا؟ قال: لا أدرى والله ما شأنه، عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية، فائتمرنا البارحة أن ننحره ونقسم لحمه، قال: لا تفعل، بِعْنيه، قال: بل هو لك يا رسول الله، قال: فوسمه بميسم الصدقة ثم بعث به.

(ابو المنقع)

داء يستعصى على العلاج

فى الميدان الأدبى جريمة خبيثة تستعصى على الضبط، فهى كالداء الذى لا يعرف له دواء؛ هذه الجريمة هى أن يعمد بعض الجاهلين المجهولين إلى اختلاق كلمات أدبية أو اختلاسها، وينسبونها إلى أناس برآء لم يعلموا بها ولم يشتركوا فيها، ثم يرسلونها إلى الصحف والمجلات كى تنشر فتحدث كثيرا من المواقف الحرجة، وتترك من ورائها آثاراً سيئة تهون حينا وتجلّ أحياناً!.

وهذه الجريمة تتكرر يوما بعد يوم؛ فمنذ عشر سنوات أرسل بعض هؤلاء الجهلاء قصيدة فى ديوان للأستاذ حسن جاد حسن إلى الأهرام بعد أن وقع عليها باسم الأستاذ أحمد عبداللطيف بدر، ومنذ سنوات طبع أحدهم قصة نسبها إلى الأستاذ توفيق الحكيم، وفى العام الماضى بعث أحدهم إلى (الثقافة) بقصيدة للمرحوم أبى القاسم الشابى بعد أن وقع عليها باسمى، ومنذ شهور اختلق أحدهم قصيدة متداعية ونسبها فى بعض الصحف إلى الأستاذ عبد الجواد رمضان ... وها هى ذى الجريمة تتكرر اليوم فيرسل بعضهم إلى « الرسالة » كلمة مزوّرة بعد أن ينسبها إلى الأستاذ عبد الحميد نامف. ولا ندرى ما يأتى به المستقبل!

فليت شعرى! كيف يستطاع القضاء على هذه الجريمة؟

إن رئيس التحرير لا حيلة له فى ذلك، فهو لم يحط علم الغيب، والأحقاد الدفينة والخصومات الحقيرة تدفع هؤلاء بين الحين والحين إلى اقتراف تلك الجريمة الشنعاء، فمن لى بمن يطب لهؤلاء؟.. رحم الله شوقى إذ يقول:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا!

أحمد الشرباصى
خريج كلية اللغة العربية

استدراك

قال الدكتور عبد الوهاب عزام فى عدد الرسالة ٥٧٦ (وقد أثبت صاحب كشف الظنون نحو سبعين تاريخاً للمدن)

أقول: وقد سرد العلامة السخاوى فى كتابه (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) زهاء ٣٣٠ (ثلاثين وثلاثمائة) تأريخ للمدن، منها أكثر من ٤٠ فى مكة، وأكثر من ٢٠ لمصر، ومثلها أو قريب منها لليمن، وعشرة ونيف لدمشق، ونحوها لكل من بغداد والأندلس والمدينة النبوية، ولو قيس رقىّ الأمم بوفرة المصنفات ما قارب الأمة المحمدية أمة.

أحمد صفوان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

12me Année No. 585

Lundi - 18 - 9 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٨٥ «القاهرة في يوم الإثنين أول شوال سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٧٦١ الحروف اللاتينية ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...

٧٦٤ حرية الفكر أيضاً ... .. : الأستاذ دريني خشبة ... ..

٧٦٦ في عالم القصة ... . : الأستاذ سيد قطب ... ...

٧٧٠ « داعي الدعاة » مناظر للمعري . . .. } الدكتور محمد كامل حسين ...

٧٧٢ القضايا الكبرى في الإسلام: قذف عائشة ... . } الأستاذ عبد المتعالي الصعيدي

٧٧٥ ابن قزمان ... . : الأستاذ أحمد مدينة ... ...

٧٧٧ بعد عامين ... [قصيدة] : الأستاذ عزيز أباظة بك ...

٧٧٩ إلى الأستاذ محمد أحمد الغمراوي } الأستاذ إبراهيم زكي الدين بدوي . . ..

٧٨٠ حول الحب عند المتنبي .. : الأستاذ داود حمدان .. ..

الحروف اللاتينية

للأستاذ عباس محمود العقاد

علم القراء أن صاحب المعالي الأستاذ العلامة عبد العزيز فهمي باشا قد اقترح على مجمع فؤاد الأول للغة العربية اقتباس الحروف اللاتينية وبعض الحروف المشابهة لها لتيسير الكتابة العربية

وقد خالفه كثيرون ، وعاود معاليه الكرة للرد على هؤلاء المخالفين ، ومنهم كاتب هذه السطور

وكنت قد خالفت رأي معاليه لأن اقتراحه يترك الصعوبة الأصيلة قائمة ويعنى بالصعوبة المتفرعة عليها ، وهي تابعة لها باقية ببقائها

فلا صعوبة عندنا في كتابة حرف من الحروف مضموماً كان أو مفتوحاً أو مكسوراً إذا عرفنا أنه مضموم أو مفتوح أو مكسور ، ولا صعوبة كذلك في قراءته مع هذه المعرفة سواء أكان مشكولاً أم غير مشكول

إنما الصعوبة الأصيلة أن نعرف ما يضم وما يفتح وما يكسر ؛ ثم نكتبه ونقرأه على صواب

وترجع هذه الصعوبة إلى خواص في بنية اللغة العربية لا وجود لها في اللغات التي تكتب بالحروف اللاتينية ، غربية كانت أو شرقية

ومن هذه الخواص الفعل الثلاثى واختلاف أبوابه وارتباط ذلك بالمصادر والمشتقات ، ولا وجود لهذا الفعل الثلاثى فى غير اللغات السامية ، وعلى رأسها لغتنا العربية

ومنها الإعراب ، وهو على وجود القليل منه فى لغات نادرة ، قد اختصت اللغة العربية بأحكام مستفيضة فيه ، لا نظير لها فى جميع اللغات

ومنها أن حروف الحركة فى بعض اللغات الشرقية التى تكتب الآن بالحروف اللاتينية قلما تفيد معنى من المعانى غير إشباع الحركة أو خطفها والإسراع فيها ، ولـكنها فى اللغة العربية تبدل معنى الـكلمة أو تبدل قوة المعنى

فقراءة العربية قراءة مضبوطة لا تتأتى بغير تصحيح العلم بهذه القواعد قبل كتابتها وقراءتها ، وسبيل ذلك أن تختصر القواعد النحوية والصرفية حتى يحيط أوساط الناس بالقـدر الـكافى منها لمقاربة الصواب جهد المستطاع

ونقول مقاربة الصواب لأن العصمة من الخطأ لن تتيسر فى اللغة العربية ولا فى غيرها من اللغات ، ولن تتيسر أبداً فى عمل يتناوله جميع الناس من خاصة وعامة

أما الـكتابة بالحروف اللاتينية فإن صح أنها تضمن للقارئ أن يقرأ ما أمامه على صورة واحدة فهى لا تمنع الـكتاب المختلفين أن يكتبوا الـكلمة على صور مختلفة كلها خطأ وخروج على القواعد اللغوية ، ومن هنا يشيع التبلبل فى الألسنة ويتقرر الخطأ بتسجيله فى الـكتابة والطباعة بدلاً من تركه محتملاً للقراءة على الوجه الصحيح . ولا شك أن الخطأ فى النطق أهون ضرراً من الخطأ الـمكتوب أو المطبوع ، لأن كتابة الخطأ تبقى خطأ النطق وتزيد عليه أنها تسجله وتضلل من عسى أن يهتدى إلى الصواب

فقصارى ما نغنمه بهذا التبديل ، أننا ننقل التبعة من القارئ إلى الـكاتب ولا نمنع الخطأ ولا نضمن الصحة ، وهى فائدة لا يبلغ من شأنها أن تبدل معالم اللغة وتفصل ما بين قديمها وحديثها

وكان من أسباب مخالفتى لاقتراح الأستاذ العلامة — وهى كثيرة — أن طريقته ليست بأيسر من طريقتنا التى نجرى عليها الآن في كتابة الـكلمات العربية مضبوطة بعلامات الشكل المصطلح عليها ، فى موضع الحاجة إليها

لأن الطريقة اللاتينية المضاف إليها بعض الحروف العربية تعفينا من علامات الشكل ، ولـكنها تضطرنا إلى زيادة الحروف حتى تبلغ ضعفها أو أكثر من ضعفها فى كلمات كثيرة ، وتوجب هذه الـكلفة على العارفين وهم غنيون عنها .

ثم هي لا تغنينا بتة عن النقط والشكل ، لأنها تعود بنا إلى النقط فى حروف ، وإلى ما يشبه الشكل فى بعض الحروف لتمييز الألف والثاء والذال والشين

على أن الأمم الأصيلة فى الـكتابة اللاتينية لا تستغنى بالرسم عن ضبط السماع

فاللغة الإنجليزية التي أستطيع الإتيان بالشواهد منها حافلة بالـكلمات التى يختلف نطقها ورسمها ، والتى تنطق على وجه وتـكتب على وجوه ، كما أنها حافلة بالشواذ فى صيغة الماضى والمفعول ومشتقات أخرى

ومن أمثلة الصعوبات فى الرسم أنهم ينطقون هذه الـكلمات نطقاً واحداً وهى مختلفة فى الـكتابة والمعنى والاشتقاق ، وهى Rite و Right و write وأنهم يكتبون حروف الحركة أحياناً على نمط واحد ويخالفون بين النطق بهـا فى درجة المد وفى مخارج الصوت ، كما يفعلون على سبيل التمثيل فى sour و loud و soup أو فى great و breadth و speak أو فى done و bone أو فى door و moon و good

ومن حروف الإنجليزية ما يكتب ولا ينطق به مثل الباء فى climb والـكاف فى knot ومنها ما يهمل حيناً وينطق حيناً بخلاف حرفه مثل daughter و laughter

إلى غير ذلك مما تدل عليه هذه الأمثلة ولا تحصيه ، ويكفى أن نرجع إلى المعجمات التى وضعت لأهل اللغة أنفسهم لنعلم أنهم لا يستغنون عن اتباع كل كلمة بما يضبط نطقها ودرجة امتداد الحركات فيها وموقع النبرة فى مقاطعها

***

وقد رأينا أن نكتفى فى منـاقشة اقتراح اللاتينية بالأقوى والأظهر من الأسباب دون أن نذهب فيها إلى الاستقصاء

والاستيعاب ، وإلا فالأسباب التي تحول دون رسم العربية بالحروف اللاتينية أكثر من هذا الذي أجملناه بكثير

وتناول معالي المقترح اعتراضنا فقال بعد تلخيصه :

« إنه على كل حال اعتراف خارج عن الموضوع . وما أشبهنا ، إزاءه ، بالباحثين عن طرفي الحلقة المفرغة تقوم الساعة علينا قبل أن نهتدي إلى المطلوب ! إن مسألة البحث في أصول اللغة وتيسير قواعد نحوها وصرفها تلك التي يقول المعترضون إنها هي العلاج الشافي لأدواء العربية هي مسألة أخرى قائمة بذاتها ، وهي مطروحة فعلاً على المجمع اللغوي يردد مداخلها ومخارجها ، ويحاول ما وسعت قدرته تمهيد ما يقبل منها التمهيد »

ثم قال معاليه إن لائحة المجمع تجب اعتراضنا ، ورد معاليه عليه لأن : « نصها صريح في أن عليه البحث في تيسير رسم الكتابة العربية ، ووزير المعارف عهد إليه بهذه المهمة بقرار منه خاص ، وهو مكلف نظامياً بتنفيذ قرارات الوزير »

وعندنا أن رد معاليه على هذا الاعتراض هو أشبه شيء بالدفوع القضائية منه بالدفوع المنطقية

فالحق أن تيسير القواعد اللغوية مسألة غير مسألة الرسم وكتابة الحروف ، ولكن اختلافهما لا يمنع العلاقة الوثيقة بينهما ولا يخرجهما عن حكم القضيتين اللتين لا تنظر إحداهما بمعزل عن الأخرى

وكذلك على المجمع بموجب تكوينه أن يبحث في تيسير رسم الكتابة كما عهد إليه

ولكن هذا الوجوب لن يوجب عليه أن يرحب بكل تغيير أو يدين بأن التغيير أسهل من الطريقة التي نحن عليها الآن

فتيسير الرسم العربي واجب لا شك فيه ، ورفض الرسم اللاتيني كذلك واجب لا شك فيه للأسباب التي قدمناها ، وأولها أنه يبدل مماللنا دون أن يخرجنا من تلك الصعوبة التي تدعونا إلى التبديل

وقد نظر المجمع في عشرات من المقترحات التي تقدم بها أعضاؤه أو تلقاها من الفضلاء المجتهدين في حل هذه المعضلة العسيرة

فإذا قال قائل إن الرسم الحاضر أيسر من جميع هذه المقترحات ، لأنه في الواقع أيسر منها . فاللائحة لا تفرض عليه أن يخالف الحقيقة ويقول : بل هي جميعاً أيسر من الرسم الذي نجري عليه .

ولكل لغة صعوباتها التي لا يتساوى الناس في تذليلها ولو زالت صعوبات الرسم والكتابة جماء

فلابد من فارق في اللغة بين المتعلم وغير المتعلم وبين الموهوب وغير الموهوب وبين صاحب السليقة والدخيل عليها

وليست لغتنا العربية بدعاً بين اللغات في هذه الخاصة العامة . . . فمهما نصنع في تيسير رسمها أو قواعدها فلن نسوي بين الناس في كتابتها وقراءتها ، ولن نغني الكاتب أو القارئ عن المزيد من الاستيفاء كلما ارتفع درجة أو درجات في مراتب الفهم والشعور والتعبير

ولهذا ينبغي أن نيسر كتابتها بتيسير معرفتها وتيسير فهمها مع التسليم طوعاً أو كرهاً بأن هذا التيسير لن يدفع كل عسر ، ولن يزيل كل لبس ، ولن يعصم من الخطأ كل العصمة ، ولن يزال الباب بعده مفتوحاً للتفاوت بين قدرة الناس على الصواب واستعدادهم للخطأ من جهل أو سهو أو قصور

وإذا قيل أي العلاجين أدنى إلى تيسير الكتابة ؟ فلا شك أن العلم التقريبي بالقواعد التي تقيم النطق خير من الرسم الذي يقرأ على صورة واحدة مع بقاء صور متعددة للكلمة تختلف باختلاف حظوظ الكتاب من قواعد الصرف والنحو والإملاء والهجاء ، وهذا إن صح أن الحروف اللاتينية تضمن القراءة على صورة واحدة وهو غير صحيح ، لأن جرس الحروف اللاتينية يخالف جرس الحروف العربية في المخارج والحركات وتوقيت الكلمة في أثناء نطقها ، وهو شيء في صميم اللغة كالمعنى ورسم الكتابة على السواء

وأسلم ما يقال في هذا الباب إن الطريقة القائمة لا تزال أسهل وأقرب إلى بنية اللغة من كل مقترح علمنا به ، ولا مانع من جديد يستدرك ما عز استدراكه إلى الآن .

عباس محمود العقاد

حرية الفكر أيضاً . . .

للأستاذ دريني خشبة

ينصب بعض السادة الكتاب من أنفسهم أبطالا للدفاع عن حرية الفكر ، ويعد بعضهم أنفسهم شهداء لهـذه الحرية المكبوتة فى زعمهم ، المضيّق عليها تضييقاً يذهب صديقنا الدكتور زكى مبارك إلى أنه لم يسبق أن حدث مثـله فى الأمم الإسلامية قط

وندع الآن ما ذهب إليه الصديق الكريم من هذه الدعوى ، لنلفت أنظار القراء إلى شىء ظريف جداً يصـدر عن أولئك الأبطال الكرام ، عن قصد ظريف جداً كذلك

وليس هـذا الشىء الظريف الذى نلفت إليه أنظار القراء الآن شيئاً ظريفاً واحداً ، ولكنه أشياء ظريفة يأخذ بعضها برقاب بعض . فتكون آخر الأمر موضوع هذا الشىء الظريف

عندما تناولنا موضوع كتاب الأستاذ الرصافى . وقفنا منه إزاء كتاب يتناول ديننا كله ، ومعتقداتنا جميعها ، فيتأولها تأويلا لا يجوز إلا فى عقل مدخول ... فإلٰهنا — فى زعمه — هو هذا العالم الذى تعرف من العلم الحديث كيف نشأ ... ونبينا ، هو أول مبتدع لهذا الهراء ، كما إنه مؤلف القرآن وقائله .

ونظرية وحدة الوجود تلك التى ابتدعها محمد هى أرقى ما وصلت إليه الفلسفة الإسلامية ، والإيمان بها ينافى الإيمان بمـا جاء به الرسول الكريم من خلق الله لهذا العالم ، والدعوة إلى عبادته ودعائه والإخبات له ، وما قال به من نشـور وحساب وثواب وعقاب وجنة ونار ... ثم تساوى الخير والشر والضلال والهدى والتقى والفسوق والأبيض والأسود ... والسجود بين يدى الله والإكباب على الحليلة ... أمام الله كما يزعم الرصافى فى رده علينا ... استناداً إلى زعم الجنيد ، أنه سبحانه ، هو الهادى وهو المضل ، وما دام الله كذلك فلا يكون ثمة معنى للحساب والثواب والعقاب والجنة والنار على نحو ما يؤمن بذلك المسلمون كافة ... ذلك الإيمان الساذج الفطرى الذى لا يسيغه عقل ... لأن العقل لا يسيغ أنباء الغيب ولا يهضمها ...

ولما كان الرصافى — هداه الله — ينتمى إلى المسلمين ، وقد لغا هذا اللغو الذى كان يلغو به من قديم ، فقد وقفنا منه وقفتنا التى يحتمها علينا ديننا ، لأن دعواه تقلب هذا الدين بجميع عقائده رأساً على عقب . . . وما ظنك بدعوى تنسخ العبادات نسخاً لا يجعل لها ضرورة ، لأنها لن تغير مما قضى الله من شىء ، ثم ما ظنك بدعوى تجعل الله مأكولا مشروباً منظوراً مشموماً تدركه الحواس كلها . . . لأنه الوجود كله . . . ثم الرصافى يزعم أن هـذا هو حقيقة الإسلام ، أما ما يؤمن به السذج البسطاء أمثالنا ، فهو ظاهر الإسلام ، أورده الرسول الكريم على سبيل التمثيل ، ومن باب مخاطبة الناس على قدر عقولهم ، ثم أخفى عليهم تلك الحقيقة الخائبة فلم يطلع عليها إلا أبا بكر ، حتى جاء فلاسفة الإسلام الأعلام — الحلاج والجنيد وابن عربى والجيلانى والتلمسانى وابن سبعين ومن لف لفهم ، فوقعوا عليها وكشفوا سرها وجلوها للعالمين

فلما نفينا أن يكون هذا إسلاماً ، وإسلاماً جاء به فخر الكائنات محمد بن عبد الله ، وأثبتنا للأستاذ الرصافى أن اليونانيين عرفوا وحدة الوجود قبل نبينا بألف سنة أو نحوها أو أكثر منها — وإن زعم هو أننا لم نأت بجديد — تفضل بعض مفكرينا المحبوبين من غير المسلمين بالاشتراك فى هذا الموضوع ، على أنه موضوع عام يحل لكل إنسان أن يشارك فيه برأى ... ولم يبالوا فى سياق كلامهم أن يعلنوا على صفحات الرسالة أنهم لا يؤمنون إلا بالمادة ... أما ما وراء الطبيعة فلا شأن لهم به ... فرحبنا بشار كتهم ، ولما آنسنا أنهم لم يفطنوا إلى أن الموضوع يبحث من وجهة نظر إسلامية خالصة ، نبهناهم إلى ذلك بأرق عبارات الذوق الذى دعا إليه الأنبياء يا صديقى الدكتور زكى ... لكنهم كتبوا ما لمحنا فى ثناياه أنهم غاضبون أو شبه غاضبين ، فلم يشق علينا أن نعلن لهم أسفنا ، ولم نناقش الآراء التى أعلنوها لحرصنا على أن يظل الموضوع محصوراً فى أفقه الإسلامى ، ولأننا كما أعلنا غير مرة ، غير قوامين على حرية الفكر فى مصر ولا فى غيرها من بلاد الله ... فليعتقد من يشاء ما يشاء ، بشرط ألا يجعل عقيدته دعوة يدعو إليها ويجهر فى كتب ينشرها بأنها هى الحق ، وأن ما نؤمن به هو الباطل ... وبشرط ألا يفترى على الله وعلى رسوله إفكاً ينزههما المسلمون عنه ... فإن فعل ذلك ، وكان من انتسابه إلى المسلمين ما نعلم ، فماذا ينكر منا أفاضل

العلماء الذين لا يؤمنون إلا بالمادة حين نقول لهذا القائل إنه ملحد، وإنه زنديق ؟ ! وقد قال هو إن إلـهنا هو هذا الوجود المأكول المشروب المنظور المشموم الذى تدركه الحواس كلها ، وإن نبينا هو هذا الرجل الذى ألف القرآن . وزعم — غير قاصد شراً ! — أن الله هو قائله وموحيه ، لأنه كان أول من عرف سر وحدة الوجود ؟ ! فإن لم نسم هذا الرجل ملحداً زنديقاً ... فماذا يكون يا ترى ؟ أيكون سيد العارفين بالله الذى نؤمن به ؟ وهل من حرية الفكر أن يقول ذلك رجل ينتسب إلى المسلمين ، فإن رد عليه رجل من المسلمين وسمي قوله هذا إلحاداً وزندقة ، صاح حضرات الأفاضل العلماء الأعلام الذين لا يؤمنون إلا بالمادة ، وينكرون ما وراءها : لقد خنقت حرية الفكر فى مصر وفى الشرق ، ثم هتفوا بالعلماء الأحرار فى مصر وفى الشرق أن يقنُتوا وأن يرعووا ، وألا يصرحوا بالحق الذى يؤمنون به فى هذه البيئة المؤمنة الساذجة المتزمتة ، حتى لا يرموا بالإلحاد والزندقة !

هنا واحد من هذه الأشياء الظريفة التى وددت أن ألفت إليها أنظار القراء !

فهؤلاء العلماء الأعلام الذين لا يؤمنون إلا بالمادة يريدون أن يثبتوا فى أذهانكم يا قراءنا العوام السذج المؤمنين أمثالنا أنهم على حق فيما يذهبون إليه بشأن هذا الوجود ، وأننا على باطل ... لأن الوجود قديم ، ولم يخلقه إلـه قادر مستقل عنه كما يفهم بسطاء المسلمين والمسيحيين واليهود وأهل كل ملة ممن ليسوا علماء أعلاماً أمثالهم ، لأنهم لم يدرسوا فلكاً ولا منطقاً ولا علم طبقات الأرض ولا فيزيقا ولا كيمياء ولا فلسفة ، ولا هذا الثبت الطويل من العلوم التى أعشى فى دراستها علماء المسلمين الأعلام أبصارهم ، ولم تضل مع ذلك بصائرهم

بهذه الطريقة يريد هؤلاء العلماء أن يثبتوا فى أذهانكم أنهم على حق ، لأنهم ينطقون بلسان العلم الذى لا يضل ، أما مناظروهم فينطقون بلسان هذا الحشد الحاشد من الأساطير الدينية ، التى هى من أنباء الغيب ، فليس لعقل رأى فيها !

أليس ذلك شيئاً ظريفاً جديراً بلفت أنظار القراء إليه ؟!

ومما يلحق بهذا الشىء الظريف تصريحهم ، ليوهموا القراء كذلك ، أننا نظلم الحق ، حينما نقحم الدين فى الفلسفة ... وليفطن قراؤنا العوام السذج إلى المعنى المسموم الذى تحمله هذه العبارة ! الحق يظلم إذا أقحم الدين فى الفلسفة ، لأن الفلسفة وحدها هى التى تعرف الحق وتعرف كيف تصل إليه ! أما الدين فلا شأن له بالحق ... لأن العقل لا يستطيع أن يمله ! ولماذا هذا اللف كله ؟ لأن الدين يقول بأن الله هو الذى خلق العالم... وهذا قول سهل هـيّن لـيّن ... لم تحسن الفلسفة أن تقول مثله إلى اليوم ! لكن الفلسفة مع عجزها أن تقول مثل هذا القول ، تزعم أنه قول غير معقول ، والمعقول عندها أن يكون العالم قديماً لا خالق له ، أو أن يكون الله هو هذا العالم ... أو الوجود الكلى المطلق ! وتحار الفلسفة بعد ذلك كيف يكون هذا العالم إلـهاً . وكيف يكون هذا العالم بعجره وبجره عاقلاً إن كان عاقلاً يا ترى ؟ ! وكيف تم له هذا الإحكام البديع فى كل شىء ؟ فى الأفلاك والسدم والضوء والحرارة والكهرباء والمغناطيس والغازات . والحياة المعقدة فى الحيوان والنبات ، وفى الحركة ، وفى السكون . والمعقول عند الفلسفة أن يكون كل شىء خاضعاً لقوانين الجبر الصارمة ، وإذا كان ذلك كذلك فما معنى أن يرسل الله — الذى هو الوجود الكلى المطلق — رسلاً ويتخذ أنبياء ؟ هل تستطيع الرسل تبديل شىء أو تغييره ؟ إن أمر الرسل إذن عبث فى عبث . والرسل — أضل الله الفلسفة — كذابون أدعياء ، أو على الأقل ، رجال مخدوعون شُبِّه لهم أنهم ينطقون بلسان الله ، الذى هو الوجود المطلق الكلى !

هذا هو بعض الهذيان الذى تريد الفلسفة أن تدسه فى روع المؤمنين من القراء البسطاء الذين يؤمنون بأن الله خلقهم ، فتحاول الفلسفة إيهامهم أن العلم لا يسيغ هذا ولا يهضمه ، وإن كان يسيغ الشكوك والوساوس ويهضمها !

أفليس ذلك شيئاً ظريفاً جديراً بلفت أنظار القراء إليه ؟ !

وشىء ظريف آخر يُستملح (!) لفت الأنظار إليه ... ذلك أن هؤلاء العلماء الأعلام يلحون على أذهان القراء بتذكيرها دائماً أنهم علماء . فهل يقصدون من وراء ذلك شيئاً ، غير أن مناظريهم فى موضوع وحدة الوجود هم من الأميين الذين يُحكّمون فى موضوع هام كهذا عواطفهم ، ولا يحكمون عقولهم ، إن كانت لهم عقول ! وأن هؤلاء المناظرين قوم متدينون

على هامش النقد :

١ – فى عالم القصة

بنت الشيطان ... ... محمود تيمور

للأستاذ سيد قطب

ليست هذه هى المرة الأولى التى أهم فيها بالكتابة عن « تيمور » ثم أوثر التريث ، لأراجعه مرة أخرى

إنه ليصعب عليك – وأنت تتحدث عن القصة – أن تغفل عمل تيمور . ولكن يصعب عليك أيضاً أن تقرر مكانه ، وأنت مستريح الضمير

رجل كالمويلحى – صاحب حديث عيسى بن هشام – لا يجد الناقد مشقة فى تعيين مكانه . مكان « القنطرة » التى تعبر عليها القصة العربية من المقامة اللغوية ، إلى القصة الفنية

ورجل كتوفيق الحكيم ، لا يجد الناقد مشقة فى تعيين مكانه . مكان « الفنان » ، الذى يجمل القصة والرواية ، فصلاً من فصول الأدب العربى ، يقف فى صف واحد مع بقية فصوله ، التى كانت من قبل مقررة ، والتي لم يكن الأدب العربى يعترف بغيرها من الفصول . يتفق الجميع على هذا من ناحية المبدأ ، ثم يختلفون فى تقويم عمله بعد ذلك كما يشاءون

وقد لا يكون الإنسان – فى عالم القصة – قنطرة كالمويلحى ، ولا مقرراً لفصل جديد فى كتاب الأدب العربى كتوفيق الحكيم ؛ ثم يكون له بعد ذلك مكانه المعلوم

فالمازنى مثلاً قد اشتغل بالقصة الطويلة كإبراهيم الأول وإبراهيم الثانى ، وثلاثة رجال وامرأة ، وعود على بدء ، وبالقصة القصيرة كقصصه الكثيرة فى خيوط العنكبوت ، وصندوق الدنيا وسواها . ومكانه فى هذه القصص وفى سواها هو مكان « الأديب » الذى يستفيد مما يقرأ أعظم الفائدة ، ويتأثر به فيما يكتب كل التأثر . ولكنه يطبع الجميع بطابع خاص متميز

والمازنى – بهذه الصفة – يمكن أن يعد قنطرة لنوع من القصة « الواقعية الشاعرية ! » قنطرة لأصحاب المواهب الخالقة ، يتأثرون طريقته الجيدة ، ويبدعون من ذات أنفسهم بلا اعتماد على أصل يلهمهم

وهناك شبان يحاولون ، لم يتقرر لهم بعد مكان ، فبينهم وبين تقرير مذاهبهم فى عالم القصة خطوات وتجارب وتعديلات

من كتاب القصة القصيرة الأستاذ « يوسف جوهر » – وهو ينسج على منوال جى دى موباسان – فى حرارته وشاعريته ، ولكن « جسم القصة » عنده ما يزال بعد ضئيلاً ، وما يزال مكرراً ، وكثيراً ما يحس القارئ بعد نهاية القصة أن حرارتها البراقة قد خدعته ، وأنه لم يخرج منها بشيء كبير ، لا من ناحية الموضوع ، ولا من ناحية اللمسات الفنية فى العرض ، ولا من ناحية الرصيد الإنسانى الذى هو أثمن ما فى العمل الفنى

ومنهم الأستاذ « صلاح ذهنى » – وهو لا يزال يقبس من طرائق مختلفة ، وله توفيقاته فى أحيان كثيرة . ولكن ينقصه التركيز ، كما ينقصه روح الإبداع الذى يرفع القصة من الحادثة اليومية إلى المجال الإنسانى . وقصصه فى حاجة كذلك إلى الحرارة التى تشعرنا أنه يحس بما يكتب ، وليس متفرجاً عابراً يصف الحوادث

ومن كتاب القصة الطويلة الأستاذ « باكثير » وقصصه – لها طلاوتها والحياة واضحة فيها – ولكن لا يزال ينقصها تمكن الروح القصصية ، التى تنسى القارئ أن هذه قصة

والتدين فى هذا العصر شيء عتيق يثير الضحك ويدعو إلى السخرية . وأهل التدين فى غالب أمرهم قوم شذاذ الأفهام لم يدرسوا فلسفة ولم ينشدوا علماً . فكيف يا أيها القراء النجب تنخدعون بأقوالهم وتتساقون إلى الأخذ بآرائهم ؟ إن خليقاً بكم ألا تصيخوا إلى كاتب يحسب نفسه واعظاً فى مسجد أو راعياً فى كنيسة ، ولا أقصد أن أغمز صديقى الدكتور زكى بإيراد عبارته تلك ...

أفليس ذلك شيئاً ظريفاً من مناظرينا الأفاضل ، أن يقفونا تلقاءهم ذلك الموقف المضحك الذى لن يجوز باطله على أحد !

يتحدثون عن حرية الفكر . فماذا أصابهم من ضروب التضييق يا ترى ؟ !

لينتظروا . فسنحدثهم عن حرية الفكر وما لقى إخوانهم الذين سبقوهم إلى القول بوحدة الوجود من ضروب الهوان

ما أكثر الأشياء الظريفة التى كان ينبغى أن نلفت إليها أنظار القراء لولا ضيق المقام !

(للحديث بقية) دريني خشبة

وتخيل له أنها قطعة من الحياة تقع الآن . وليس مرد هذا إلى نقص الحياة ، ولكن إلى نقص الروح القصصية ، فهو ما يفتأ بين حين وحين ينبه القارئ إلى أنه يقص عليه ، ولا يدعه يستغرق في القصة وينساه !

ومنهم الأستاذ نجيب محفوظ والأستاذ عادل كامل ، وكلاهما يخطو الخطوات الأولى ؛ ولكنهما — فيما يبدو — خطوات ثابتة وثيقة . تكفي لإثبات وجودهما في عالم القصة ، وإن لم تثبت لهما بعد مذهباً مقرراً ينسج غيرهما على منواله ؛ إلا أن هذا لا ينفى أنهما في الطليعة — على تفاوت بينهما — في طليعة كتاب القصة الشبان بلا جدال

وهكذا نجد لكل من يشتغل بالقصة في مصر مكانه المعلوم في هذا العالم . فأين نضع « تيمور » بين هؤلاء ؟

لا هو القنطرة بين طور من أطوار القصة وطور كالمويلحى ، ولا هو القنطرة بين التأثر والابتداع — مع وضوح الذاتية الشخصية والطابع المميز — كالمازنى . ولا هو الناشئ الذى لم يزل أمامه المجال منفسحاً للتمكن والكمال

***

وهذا كله من ناحية الشكل . فأما من ناحية المذهب والطريقة ، فالحيرة كذلك واقعة

رجل كالمويلحى قصاص واقعى بالمعنى الضيق للواقعية . وهو مع ذلك قد استطاع أن يرسم عدة شخصيات إنسانية للعصر الذى كتب فيه القصة ؛ وأن يصور البيئة التى عاشت فيها هذه الشخصيات المحلية : الباشا ، والعمدة ، والمحامى ، والنائب ، والمشايخ ، وغيرهم من الشخصيات التى رسمها فى حديث عيسى ابن هشام . وهم آدميون لا تشك فى آدميتهم ، وواقعيون — بالمعنى الضيق — لا ترتاب فى واقعيتهم ؛ مع شىء من السخرية والدعابة ، تحسبان لهذا القصاص فى عالم الفنون

ورجل كتوفيق الحكيم ، قد تقرر مذهبه — إلى اليوم على الأقل — فهو فى التمثيلية « الفنان » الخالق الذى يبدع شخوصه من « ذهنه » ليؤدوا له فكرة فلسفية خاصة . وهم — على هذا الوضع — أشخاص صحاح منطقيون مع طبيعتهم ، مستقيمون من أول التمثيلية إلى آخرها مع الفكرة التى خلقوا ليؤدوها . كما فى أهل الكهف ، وشهرزاد ، وبيجماليون ، وسليمان الحكيم . أما فى القصة فهو ينحرف عن هذا المذهب إلى شىء من « الواقعية » الممزوجة بالشاعرية ، حتى لتقرب من الرومانتيكية فى بعض الأحيان . كما فى عودة الروح ، وعصفور من الشرق ، ويوميات نائب فى الأرياف ، وزهرة العمر — وإن ظلت هذه الواقعية موسومة بميسم « الفكر » لأن هذه هى السمة الغالبة على طبيعته — ولكن قصصه ورواياته تستمد دائماً من « التنسيق الفنى » والإشعاع الشاعرى ، ما تعوض به الحياة الحقيقية . وما يتيح لها أن تنشئ مدرسة معروفة السمات

ورجل كالمازنى يمثل « الأديب » الذى يفيض على شخوص قصصه حركة حية سريعة ، فى حماسة شاعرية قوية ، كما فى إبراهيم الكاتب وإبراهيم الثانى قصتيه الأساسيتين ، أو يفيض عليها الحركة فى دعابة ساخرة كما فى القصص القصيرة

ومهما قيل من تأثر المازنى لبعض كتاب القصة الغربيين ، واقتباسه من طرائقهم وموضوعاتهم كذلك . فالذى يبقى له بعد هذا كله ليس بالقليل . إنه يتأثر ويقتبس فى اتجاه واحد ، وبطريقة واحدة ، يبدو فيها طابع خاص ، هو دليل الشخصية الفنية ...

وقد لا يكون المازنى خالقاً ولا مبتدعاً لموضوعاته وطرائقه ، ولكن هذا لا ينفى أن له طابعه الشخصى فى كل ما يكتبه . هذا الطابع هو الحركة السريعة ، والانتباه إلى دقائق الانفعالات النفسية ، وإبراز الاستجابات التى يمر عليها الكثيرون غافلين . مع تأثره بكشوف علم النفس الحديث ولا سيما فى مجال « التحليل النفسى » هذا التأثر الذى قد يطغى على العمل الفنى فى بعض الأحيان ، كما فى « ثلاثة رجال وامرأة »

فما مذهب تيمور تجاه هذه المذاهب أو سواها فى القصة ؟

يعسر عليك أن تسلكه فى الواقعية الضيقة التى يمثلها عيسى ابن هشام . إذ أن فيه قسطاً من الشاعرية والتلوين الفنى . ويعسر عليك أن تسلكه فى « الواقعية الشاعرية ! » التى يمثلها المازنى ، لأن الحركة فى فنه وئيدة ، والألوان النفسية باهتة ، والشخصية الإنسانية لا تتصرف تصرف الأحياء . ويعسر عليك أن تسلكه فى « الفنية الرمزية » التى يمثلها توفيق الحكيم لأن الفكرة الفلسفية والمعانى الرمزية لا تبرزان فى أعماله

فتيمور لا هو الذى يرسم شخصيات محلية كالمويلحى ، ولا هو الذى يصور نفوساً آدمية كالمازنى ، ولا هو الذى يخلق

شخوصاً فنية ، كتوفيق الحكيم . ولا هو مع ذلك كله القصصي الناشيء الذى تستطيع أن تدعه إلى التركز والنضوج !

وقد كتب بعضهم يقول : إنه يلتفت إلى « العقل الباطن » فى سيرة أبطاله وتصرفاتهم ويستخدم كشوف « التحليل النفسى » كما فى قنابل وأبو شوشة والموكب

وكتب بعضهم يقول : إنه يرسم « نماذج بشرية » كما فى نداء المجهول ومهاد

وهذا وذلك حق من حيث هو نية وقصد . ولكن ما أثره فى العمل الفنى . إن قيمة القصة لا تقوم على أساس أن القصاص ينتفع بالمباحث العلمية . فهذا قد يفسدها فى بعض الأحيان . ولا على أساس أنه يحاول رسم « نماذج بشرية » فالمهم هو صدق هذه النماذج وحيويتها

وتيمور وفق فى بعض الأحيان فى هذا الغرض أو ذاك ، ولكن هذا التوفيق لم يكن فى تلك المواضع التى عينوها

فمن أظهر الالتفاتات إلى « العقل الباطن » السليمة من التكلف والاصطناع والتى لم تؤثر على التنسيق الفنى للقصة ، التفاتاته فى : « زمان الهنا » و « غانية الحانة » و « انقلاب » فى مجموعة « فرعون الصغير » . ومن أظهر النماذج البشرية : السائحة الأمريكية فى قصة « فرعون الصغير » و « رجل رهيب » فى هذه المجموعة أيضاً . ومن الغريب أن تكون هذه المجموعة قد صدرت سنة ١٩٣٩ . بينما المجموعة الأخرى : « بنت الشيطان » وقد صدرت سنة ١٩٤٤ تتخلف عنها كثيراً فى مميزاتها الفنية

ولكن أى تحليل نفسى . وأية نماذج بشرية ؟

لطالما خيل إلىّ وأنا أجول بين شخوص تيمور أننى فى « متحف الشمع » فتماثيل الشمع هى التى تمثل هذه الشخوص أوضح التمثيل : فلا هى التماثيل الفنية يتصرف فيها الفن كما يشاء ليؤدى فكرة فنية أو ليمثل لمحة نفسية . ولا هى الأجسام الحية التى تجرى فيها دماء الحياة ، فتتصرف تصرف الأحياء . إنها محاكاة للطبيعة وفيها قسط من الفن فى الدقة والتلوين ، ولكنها ليست بعد من الأحياء !

وكثيراً ما يعجزك وأنت تتأمل شخوص تيمور وتصرفاتهم وطريقة حديثهم أن تردهم إلى أى جنس من أجناس الآدميين فى أى زمان أو مكان . وقد يسير بعضهم فى مبدأ الأمر سيرة طبيعية حتى لتكاد تقول : هذا مخلوق حى . ولكن ما تلبث أن يخالف أملك بحركة تكشف لك أن ما أمامك إنما هو تمثال من الشمع ، يحركه المؤلف حركة خاصة ، لأنه توهم ــ من التحليل النفسى ــ أن الناس يتحركون هكذا فى هذا المجال

ويحاول تيمور أن يرسم نماذج بشرية من خلال شخصيات محلية ــ وهى محاولة لو أفلحت لأنشأت فناً إنسانياً وقومياً رفيعاً ــ ولكنه فيما يخيّل إلىّ بعيد كل البعد عن الناس وعن البيئة . فالناس ــ حيث كانوا ــ لا يتصرفون هذه التصرفات . والناس فى مصر ، ليسوا كما يتوهمهم المؤلف ، لا فى طبيعتهم ، ولا فى أحاديثهم ، ولا فى خلجاتهم النفسية ، ولا فى سمة من السمات المحلية الكثيرة التى تبرز طابعهم

إنه لا يخطر لهذه الشخوص مرة واحدة أن تنفعل انفعالاً قوياً ، كما يقع للآدميين ــ وحين تنفعل يبدو التكلف والبعد عن الحقيقة ــ وهى غالباً « مهتانة » كما يقول العوّام ، حتى فى فورات الحب ودفعات الانتقام . والحركة العنيفة ليست مطلباً فنياً فى ذاته ، ولكنها علامة من علامات الحياة تصدر من البنية الحية فى ميعادها ، فتدل على الحياة الكامنة فيها

* * *

و « بنت الشيطان » مجموعة قصص تبدأ بأسطورة تحمل هذا العنوان . وتحوى غيرها سبع قصص أخرى وتلمح فى هذه الأسطورة محاولة فلسفية لإبراز فكرة خاصة ، على نحو ما يصنع توفيق الحكيم . ولكن المدى متطاول . إن الحركة القومية السريعة ، والبراعة الفنية اللابقة كلتاهما خاصتان من خواص العمل الفنى عند توفيق ، وكلتاهما تتوارى فى هذه المحاولة ، فتظل باهتة اللون ، وانية الحركة ، حتى تنتهي الأقصوصة وفى نفسك منها ظلال خفيفة تنمحى بعد قليل

« بنت الشيطان » طفلة آدمية ، اختطفها زعيم الشياطين ، لينفذ وصية سلفه العظيم ، فى أن يصنع شيئاً ، يثبت به أن الشيطان قادر على القيام بشىء آخر غير الشر الذى اشتهر به ! فهو يحاول أن ينشئها بعيدة عن الشر والألم فى قصر مسحور

ولكن أميراً شاباً مغامراً يسمع بخبرها ، فيحاول وينجح فى الاتصال بها واختطافها ويفتح عينيها على مباهج الحياة الدنيا ويوقظ فيها غرائزها ــ بعد أن كانت نائمة ــ فإذا ردها إلى القصر . اشتاقت أن تعود إلى دنيا الشرور الإنسانية ، مؤثرة

إياها مع ذلك العالم الخير الخالي من الألم والشرور

والفكرة — كما ترى — جيدة وبراقة . ولو تولاها قلم كقلم توفيق الحكيم ، لأخرج منها قطعة فنية منسقة . ولو تولاها المازني لأخرج منها قطعة فكاهية ساخرة

ولكنك تقرؤها هنا فتعجبك الفكرة ثم تنقصك الحرارة كما ينقصك التنسيق الذي يقرر الحركة المناسبة في موعدها المناسب ، وهناك مواقف بين الشاب والفتاة تتوقع فيها حركة وترتفع نبضك في انتظارها ، ولكنها تمر كما لو كانت في سنة أو لو كنت متفرجاً بغير حماس !

وفي المجموعة سبع قصص أخرى من النوع « الواقعي » خير ما فيها قصة « الترام رقم ٢ » ، وقصة : « الجنتلمان »

[وفي الأولى يصور فتاة مشردة تركب الترام بلا أجر ؛ فيضيق بها « التذكري » مرة بعد مرة ، حتى تزيد ضيقه بها فيدفعها فتسقط ، ويكاد يقتلها الترام لولا من يأخذ بيدها في الطريق . وهنا يسمع منها التذكري أنها لم تذق الطعام منذ أمس ، بينما ينطلق الترام

منذ ذلك الحين يدب في نفسه عطف على الفتاة ، ولكننا نتبين بعد قليل أن هذا العطف ليس خالصاً . لقد تنبهت الغريزة إن هذا التذكري يعيش أعزب منذ أن ماتت زوجه ، تقوم بشئونه خادمة عجوز . فهو منذ اليوم ضيق الصدر بهذه الحياة ، وهو مشتاق لأن يعثر على الفتاة . وحين يعثر عليها بعد أيام لا يدفعها من الترام ، بل يدس في يدها تذكرة عند صعود المفتش ، وحين يقف الترام يشترى لها رغيفاً محشواً بالأدم ، ويسألها عن حياتها أسئلة متقطعة

حتى إذا كان الشوط الأخير نزل بقصد داره ، وقدمان تتبعانه ... إلى الدار ! لقد أحست الأنثى بغريزتها ما الذي يعطفه عليها ، فسارت على خطاه !

وفي الثانية يرى في مطعم اعتاد أن يرتاده . دمية تمثل « الجنتلمان » يمسك بيده قائمة الطعام ، فيتخيل هذا الجنتلمان حياً ، ويقابله بالتضايق منه والتبرم به ، لما في وقفته من تكلف وما في « نفسه ! » من تصنع ، فيهجر المطعم من أجله . وأخيراً يفلس المطعم ويباع ليهودي في شارع « جامع البنات » ويمر به ، فيراه هناك ذليلاً ممسكاً بيده عينة بطاقات . فيستريح لذلة الجنتلمان . ثم يزداد تدهوره ، حتى يعثر به في شارع الموسكي غارقاً تحت حمل من الملابس القديمة ، فيهز يده فينهار !

وهكذا تجد في القصة الأولى ظلالاً إنسانية ، وتحليلاً نفسياً ، وفي الثانية انفعالات نفسية وسخرية لطيفة . وكلتاهما تنبع من قلب إنسان ، ولكنه إنسان يؤثر اللطف والرقة على الانفعال والحيوية : فضحكته ابتسامة باهتة . وغضبته سحابة طارئة . ووثبته خطوة دانية . وإشارته إيماءة خفيفة . ولكنه إنسان

***

هذه الظلال الإنسانية التي تبدو في بعض القصص ، مع شيء من الشاعرية اللطيفة ، هي وحدها التي تجعل الناقد لا يستطيع أن يغفل فن تيمور وهو يتحدث عن القصة ، مهما كان في هذا الفن من فتور

أيها القارىء . لقد حيرتك فيما أحسب بهذه الأحكام المتناقضة !

إنها صورة من نفسي تجاه فن تيمور . سيد قطب

على هامش ذكرى المعرى

«داعى الدعاة» مناظر المعرى

للدكتور محمد كامل حسين

— ٦ —

رأينا المؤيد عالماً من أكبر علماء عصره ، ومؤلفاً يبث آراءه وتعاليمه فى بطون الكتب ، ومجادلا له خطره يخشاه مناظروه ويرهبه أكبر مفكرى عصره وهو أبو العلاء المعرى . والآن نتحدث عن أثر المؤيد فيمن جاء بعده بعد أن عرفنا مقدار تأثيره فى معاصريه ، فقد كان للمؤيد تلاميذ استمعوا إليه وأخذوا عنه ، منهم الشاعر الفارس المشهور « ناصرى خسرو » الذى وفد إلى مصر بدعوة من المؤيد ، ووصف مصر فى كتابه المشهور «سفر نامه» . فقد تحدث هذا الشاعر عن المؤيد ومجالسه فى كثير من قصائده . فمن ذلك ما ترجمته :

«إن الله قد فتح عليك باب الحكمة بما تفتح عنه خاطر الأستاذ المؤيد

كل من يراه يوم مجلسه يرى عقلاً مفكراً

أن الأستاذ جمل بعطى يوماً مشرقاً ببراهين منيرة كالشمس

إنى نظرت من زاوية عقله فرأيت الفلك دائراً تحتى

فقد أطلعنى على العالمين (الظاهر والباطن)

وجعلهما حاضرين فى مكان واحد من وجودى .

إنى رأيت فى مكان واحد مالكا ورضوان ، واستقر فى صدرى الفردوس والنيران

وقال لى إننى تلميذه ، وأشار عندئذ إلى رضوان »

إلى غير ذلك من أشعار ناصرى خسرو الفارسية التى تحدث فيها عن أستاذه المؤيد والتى يطول بنا الحديث لو تتبعنا أثرها .

من ناحية أخرى بعد المؤيد أستاذ الدعوة الفاطمية فى اليمن مع أنه لم يرحل إلى هذه البلاد ، بل نقل تلاميذه إلى هذه البلاد آراءه وتعاليمه ، وأثبت علماء اليمن هذه الآراء والتعاليم فيما تركوه لنا من كتب ، بل أستطيع أن أقول إن علماء الدعوة فى اليمن هم أكثر الناس حديثاً عن المؤيد ، واقتباساً من كلامه واستناداً لحججه ، وأشدهم اعتقاداً بأن الحق ما قاله المؤيد دون غيره من الدعاة ، ويكفى أن نستدل على ذلك بقول إبراهيم بن الحسين الحامدى المتوفي سنة ٥٥٧ ﻫ فى كتابه كنز الولد : وسيدنا المؤيد أقرب الحدود إلينا ، وهو لا يأتى إلا بصحيح ما جاء به الحدود وإلقاء ما كان به شبهة أو فساد ، لأن الآخر ينسخ ما جاء به الأول بإيضاح الرموز ؛ والمؤيد حجة رابع الأشهاد ذو القوة فى العلم والتأييد والحكمة والتسديد المنصوص عليه باسم الحججية ، كما قال مولاه المستنصر عنه :

يا حجة مشهورة فى الورى   وطود علم أعجز المرتقى
شيعتنا قد عدموا رشدهم   فى الغرب يا صاح وفى المشرق
فانشر لهم ما شئت من علمنا   وكن لهم كالوالد المشفق
إن كنت فى دعوتنا آخرا   فقد تجاوزت مدى السبق
مثلك لا يوجد فيمن مضى   من سائر الناس ولا من بقى

فهذه شهادة من لا ترد شهادته ، وأمر من لا يرد أمره ، وتفويضه له فى نشر ما أحب أن ينشره من العلم بلا حصر ولا قصر ، لعلمه بما عنده من الحق »

أما الذى نقل آراء المؤيد إلى اليمن فهو تلميذه لمك بن مالك قاضى قضاة اليمن فى عهد الصليحى . ولم أجد فى الكتب التى تتحدث عن اليمن شيئاً عن لمك هذا ، ولكن الحسن بن نوح الهندى صاحب كتاب الأزهار ذكر لنا قصة طويلة ، نلخصها فى أن الصليحي صاحب اليمن أرسل قاضى قضاته «لمك بن مالك» على رأس وفد إلى مصر للسماح للصليحى فى النهوض إلى العراق لامتلاكها باسم الفاطميين . فلما جاء الوفد إلى مصر نزل لمك فى دار المؤيد مدة خمس سنوات وانتهز هذه الفرصة ؛ فأخذ عن المؤيد أسرار الدعوة الفاطمية ، وكان يدون كل ما يسمعه عن المؤيد إلى أن استوعب كل ما عند المؤيد من علم ، وكان المستنصر الفاطمى قد حجز وفد اليمن لأسباب لا نعلمها ، ولم يسمح لهم بالعودة إلى بلادهم إلا بعد أن قتل الصليحى ، فعاد لمك إلى اليمن وهناك بخل بعلمه ، ولم يسمح إلا بالشىء القليل منه للداعى المكرم بن الصليحى وللملكة الحرة أروى وأحمد بن قاسم وغيرهم من الدعاة ، بينما خص لمك ابنه يحيى بن لمك بجميع أسرار

الدعوة وكل ما عنده من العلم والحـكمة وسلمه كل ما دونه عن المؤيد ؛ فهيأ بذلك ابنه يحيى ليكون حجة اليمن فى عهد الخليفة الآمر الفاطمى ، وأصبح يحيى أكبر عالم فى اليمن يحج إليه أتباع المذهب الفاطمى للأخذ من علومه التي رواها عن أبيه عن المؤيد

وذكر صاحب كتاب الأزهار جماعة من تلاميذ يحيى منهم الداعى الخطاب بن حسن الشاعر المتوفى سنة ٥٣٣هـ وذؤيب بن موسى المتوفى سنة ٥٤٧هـ وغيرهما ، وهؤلاء الدعاة انتشروا فى اليمن يبشرون بما سمعوا عن يحيى بن لمك وأصبح لهم تلاميذ . فذؤيب مثلاً أستاذ الداعى ابراهيم بن الحسين الحامدى ، وهذا أستاذ حاتم بن ابراهيم ، وهذا أستاذ على بن حاتم ، وهذا أستاذ على بن محمد بن الوليد . وهكذا نستطيع بسهولة ويسر أن نتتبع علماء الدعوة فى اليمن وأن نلمس فى هذه المدرسة روح المؤيد وتعاليم المؤيد أخذها دعاة اليمن أحدهم من الآخر . ولو تصفحنا كتب الدعوة فى اليمن التى وضعت فى القرنين السادس والسابع من الهجرة لا نكاد نجد كتاباً منها يخلو من استشهاد بأقوال المؤيد أو بأشعاره ، فصاحب « كنز الولد » ذكر المؤيد فى أكثر من ستين موضعاً ، واقتبس من المجالس المؤيدية ومناجاته وأشعاره . وصاحب كتاب الأنوار اللطيفة ذكر المؤيد أكثر من أربعين مرة ، ونقل صاحب كتاب الأزهار فصولاً بأكملها عن المجالس المؤيدية منها رسائل المؤيد إلى أبى العلاء المعرى وهكذا ، وكان هؤلاء العلماء يشيرون إلى المؤيد بقولهم : « سيدنا المؤيد » أو « سيدنا » فقط إمعاناً فى تعظيمه وتبجيله . وإذن فقد كان المؤيد عظيم الأثر فى الدعوة الفاطمية بل لا تزال كتبه إلى الآن من أمهات الكتب التى لا يقربها إلا من بلغ مرتبة عالية من مراتب الدعوة في الهند واليمن (أى بين طائفة البهرة)

هناك ناحية أخرى تتجلى فيها عبقرية المؤيد ، تلك هى ناحية الفن الأدبى عند المؤيد ، فقد كان المؤيد رجلاً صاحب فن كما كان علماً من أعلام المذهب الفاطمي ، وكانت صفته المذهبية تضطره إلى أن يحيط بكل شىء حوله ، وإلى أن يلم بالآراء المذهبية وبالتيارات الفلسفية التى ملأت الأقطار الإسلامية فى ذلك العصر ، فأخذ المؤيد بحظ وافر من نواحى الحياة العقلية المختلفة واضطر إلى أن يجادل مخالفى مذهبه طوراً بالمكاتبة وطوراً بالمناظرة الشفوية فكان ذلك من أقوى الأسباب التى أدت إلى أن يكون المؤيد حريصاً أشد الحرص فى أسلوبه وفى لفظه وأن يكون ناقداً مدققاً يفكر ويطيل التفكير وينقد كل لفظ قبل أن يذيعه فى الناس فظهر أسلوبه الأدبى أسلوباً رائعاً يبهر السامعين ، جمع بين قوة أسلوب العلماء المفكرين ، وروعة أسلوب الكتاب الإنشائيين حتى كأنى به قد اتخذ أسلوبه سلاحاً ليفحم به خصومه وليجذب به سامعيه . والمؤيد فى الوقت نفسه كان أستاذاً من أساتذة (التأويل) وأساس التأويل يعتمد على قوة الملاحظة وخصوبة الخيال ، وعلى قدرة خاصة على التغلغل فى الموجودات ليتخذها المؤول دليلاً على أسرار الدين فكان لهذه الناحية أثرها فى فن المؤيد إذا اتجهت به فى شعره اتجاهاً خاصاً لا نكاد نجده عند أى شاعر آخر من شعراء العربية إلا عند أبى العلاء المعرى ، فأبو العلاء والمؤيد هما الشاعران اللذان استطاعا أن يصفا فى شعرهما خلاف العقائد الدينية ، وأن يتحدثا عن الآراء الفلسفية وعن الحياة والموت وعن دقائق الكائنات العلوية والسفلية

انظر إلى المؤيد مثلاً وهو يتحدث فى إحدى أراجيزه عن خلاف الناس فى موضوع « الرؤية » :

ونقضوا قواعد الشريعه كل له مقالة شنيعه
من مثبت لرؤية الرحمن مستشهد بآية القرآن
ومنكر قد جاء ينفى تلكا ودونها الشرك يرى والكفرا

وقال فى نفس الموضوع فى أرجوزة أخرى :

فقائل قال تراه العين وهو لعمرى وصمة وشين
من أجل أن رؤية الأبصار مختصة بالجسم ذى الأقطار
وقائل قد قال لما دققا جداً وفى أفكاره تعمقا
ما ذاك إلا قول ذى تضليل نراه لكن رؤية العقول
أمعن حتى ما أتى بشى ولم يبق رشداً من غى
فالعقل للمرء أداة كالبصر ذا باطن فيه وهذا قد ظهر
فإن جعلت نحوه سبيلاً للعقل لم تجاوز التمثيلا
كلاهما يدرك بالمجانسه مقالة صحت بلا ممارسه
وليس من جنس العقول الله ياقوم كى تدركه حاشاه
كما تعالى أن يكون كالصور مجسماً كما يلاقيه البصر

القضايا الكبرى فى الاسلام

قذف عائشة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ٨ —

سأتناول بحث حديث الإفك المشهور من ناحيته القضائية ، وسأعنى فى ذلك بتحقيق أمور فيه لم يتناولها الذين بحثوه من ناحيته التاريخية ليكون بحثاً قضائياً ينسجم والبحوث القضائية التى تدخل فى موضوعنا ، ويتفق فى ذلك مسلكه ومسلكها ، ويندرج به فى مسائل القضاء لا فى مسائل التاريخ

وكان حديث الإفك فى السنة الخامسة من الهجرة ، وقد جرى بعد انتهاء النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المُصْطَلِق ، فلما دنوا من المدينة قافلين من تلك الغزوة أُذِّنَ ليلة بالرحيل ، فقامت عائشة رضى الله عنها لقضاء حاجتها حتى جاوزت الجيش ، فلما قضت شأنها أقبلت إلى رحلها ، فلمست صدرها فاذا عِقْدٌ لها من جَزْعِ ظَفَارِ قد انقطع ، فرجعت تلتمسه فى المحل الذى قضت فيه حاجتها ، وقد حبسها التماسه حتى أقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لها ، فاحتملوا هودجها على بعيرها وهم يحسبون أنها فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لقلة أكلهن ، لأن السِّمَنَ وكثرة اللحم تنشأ غالباً عن كثرة الأكل

وقد رجعت عائشة بعد أن وجدت عقدها إلى محل الجيش فوجدتهم قد ارتحلوا ، فجلست فى مكانها الذى كانت فيه ، وظنت أنهم سيفقدونها فيرجعون إليها ، فبينما هى جالسة فى مكانها غلبتها عينها فنامت ، وكان صفوان بن المُعَطَّل رضى الله عنه من عادته أن يسير وراء الجيش ، يفتقد ضائعه ، ويرد ما يجده من ذلك إلى صاحبه ، وقيل إنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ، فلما وصل إلى عائشة عرفها لأنه كان رآها قبل الحجاب ، فاسترجع أى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فاستيقظت عائشة باسترجاعه وسترت وجهها بجلبابها ، فأناخ راحلته وأركبها من غير أن يكلمها بكلمة ، ثم انطلق يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل للراحلة .

وكان عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول رئيس المنافقين نازلا مع جماعته مبتعدين عن الناس ، فلما مرت عليه عائشة وصفوان قال : من هذه ؟ قالوا : عائشة وصفوان . فقال : فجر بها ورب الكعبة . وفى رواية : ما برئت منه وما برئ منها . وصار يقول : امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت . ثم أشاع ذلك فى المدينة بعد دخولهم لها ، وقيل إنه كان يُتَحَدَّثُ به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه ، أى يستخرجه بالبحث عنه ، ولكن الذى ثبت عليه الاشتراك فى هذا الإفك أربعة : عبد الله بن أُبَىّ ، ومِسْطَح بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين وعبيد الله بن جحش أخوها . وبعضهم زاد خامساً هو زيد بن رفاعة . وبعضهم زاد سادساً هو حسان بن ثابت

ولا شك أن هذا لا يعد إلا قذفاً فى حق عائشة رضى الله عنها ، لأن دعوى الزنا تقرر أمرها قبل حديث الإفك بآية النساء : (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) ؛ فلا يثبت الزنا بعد هذه الآية إلا بأربعة من

فالفرقتان اجتمعا مشبهه خباطتا عشواء جهل وعمه
ما جاوزت حد صفات البشر ونمت أرواحهم والصور
ذلك تشبيه فما التوحيد وذاك تجسيد فما التجريد

فهو هنا يتحدث عن موضوع خاض الناس فيه ، وتفرقوا شيعاً وأحزاباً بسببه ، حتى لا نجد كتاباً من كتب الفرق إلا وبه فصل عنه ، فلم يترك المؤيد هذه الفرصة دون أن يدلى بدلوه مع غيره من العلماء ، بل هو هنا يجادلهم بالنظم ، كما جادلهم بالنثر ، جادل المعتزلة الذين يرون أن الله سبحانه وتعالى يرى رؤية عقلية ويجادل المشبهة الذين قالوا إننا نرى الله رؤية العين ، ولكن المؤيد يرفض الرأيين ولا يقبلهما ، كما يدلنا نظمه هذا على عقيدة الفاطميين فى هذا الموضوع . وإذن فنحن نستطيع أن نأخذ ديوان المؤيد مرجعاً هاماً لدراسة عقائد المذهب الفاطمي . فقد بث المؤيد شيئاً كثيراً جداً من العقائد الفاطمية فى أراجيزه وشعره مدح بها خلفاء مذهبه .

(يتبع)

دكتور
محمد كامل حسين
مدرس بكلية الآداب بالقاهرة

الشهود ، ولا يجوز لشخص أن يرمى أحداً بالزنا فيما دون ذلك ولو عاينه معاينة ، فكيف بأمر عائشة وقد جرى على أسلوب لا يدل على شيء من الريبة ، لأن الذى يقع فى الريبة يحاول إخفاءها ، ولا يفعل ما فعله صفوان من الإتيان بعائشة على راحلته ، وكان الذى يجب أن يقع لو كان هنالك ريبة أن يأتى وحده ويتركها إلى أن يبعثوا فى طلبها ، أو يقيم قريباً منها إذا خاف أن يتركها وحدها ، بحيث لا يراها ولا تراه ، ولا يراه أحد من الناس ، حتى إذا عثروا عليها سار على عادته فى طريق الجيش ، وقطع على الناس طريق الكلام فى أمرها

وإذا لم يكن حد القذف قد نزل إلى ذلك الوقت ، فإن ما حصل من عبد الله بن أُبَىّ وإخوانه يستحق التعزير الشديد ، لأنه قذف قبيح فى حق سيدة شريفة لها منزلتها كزوجة نبى ، وكابنة أكبر أصحابه وآثرهم عنده ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم لم تتوجه نفسه إلى إقامة التعزير عليهم فى ذلك القذف ، لأنه كان كثيراً ما يغضى عما يحصل من أولئك المنافقين ، ويؤثر فى ذلك المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، لأن عبد الله ابن أبى كان من رؤساء الخَزْرَج ، وكان الإسلام لا يزال غضاً طرياً لم يقتلع من النفوس كل آثار العصبية ، وهذا إلى أن من الحكمة فى مثل ذلك الإفك أن يقضى عليه بالإغضاء ، وأن يترك أصحابه حتى يعلوه من أنفسهم ويروا أنه لا قيمة لكلامهم

فلم يهتم النبى صلى الله عليه وسلم إلا بمعرفة أثر ذلك الإفك فى نفوس أصحابه ، وقد أخذ يستشيرهم فى أمره ، فقال له عمر رضى الله عنه : من زوجها لك يا رسول الله ؟ قال : الله تعالى . فقال عمر : أفتظن أن الله دلّسَ عليك فيها ، سبحانك هذا بهتان عظيم . ثم دعا النبى صلى الله عليه على بن أبى طالب وأسامة ابن زيد ليستأمرهما فى فراقها ، فأما أسامة فقال : أهْلَكَ يا رسول الله ، ولا نعلم إلا خيراً . وأما على بن أبى طالب فقال : يا رسول الله ، لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإنك لتقدر أن تستخلف . وفى رواية أنه قال : قد أحل الله لك فطلقها وأنكح غيرها ، وإن تسأل الجارية تصدقك ، يعنى بُرَيْرَةَ رضى الله عنها ، لأنها كانت تخدم عائشة وتعرف من أمرها ما لا يعرفه غيرها . فدعا النبى صلى الله عليه وسلم بريرة فقال لها : أىْ بريرة ، هل رأيت من شيء يريبك ؟ قالت : والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً أغْمِصُهُ أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأتى الداجن فتأكله . ثم سأل النبى صلى الله عليه وسلم زوجه زينب بنت جحش . فقالت : يا رسول الله ، حاشا سمعى وبصرى ، ما علمت إلا خيراً ، والله ما أكلمها وإنى لمهاجرتها ، وما كنت أقول إلا الحق

فلما فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من استشارة كبار أصحابه قام فى الناس وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى ، فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، ولا يدخل بيتاً من بيوتى إلا وأنا حاضر ، ولا غبت فى سفر إلا غاب معى

فقام سعد بن معاذ سيد الأوْسِ وقيل أسيد بن حضير فقال : يا رسول الله ، أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك

فقام سعد بن عبادة سيد الخزرج وقد احتملته الحَمِيَّةُ فقال : كذبت لَعَمْرُ الله لا تقتله ولا تقدر على قتله . وثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، والنبى صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل يُخَفِّضُهم حتى سكتوا ، ولم يفعل شيئاً مع ذلك الرجل الذى آذاه فى أهله ، درءاً لتلك الفتنة ، وإيثاراً للصلح بين الحيين اللذين قام على عاتقهما الإسلام

كل هذا وعائشة لا تعلم شيئاً مما يقال فى حقها ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرد أن يؤذيها به ، فكل شيء يهون إلا الشرف ، وكل شيء يحتمل إلا ما يخدش العِرْض ، وكانت قد مرضت عقب وصولها إلى المدينة ، فلم يشأ أن يزيدها آلاماً على آلام المرض ، ولكنه كان فى نفسه شيء من تصرفها الذى مَكَّنَ ذلك الرجل من ذلك الإفك ، وكان عليها عند خروجها لالتماس عقدها أن تترك خبراً بذلك فى الجيش ، حتى ينتظر رجوعها ولا يسير ويتركها وحدها ؛ فرابها من النبى صلى الله عليه وسلم أنها لم تر منه اللطف الذي كانت تراه منه حين تمرض ،

وإنما كان يدخل عليها وعندها أمها تمرّضها فيسلم ثم يقول : كيف تيكم . لا يزيد على ذلك شيئاً ، ثم ينصرف ولا يمكث عندها

ولم يزل هذا حاله معها إلى أن خرجت بعد ما نقهت ، فخرجت معها أم مسطح بن أثاثة ، وهي بنت خالة أبي بكر ، وكان ابنها مسطح يتيماً في حجر أبي بكر ، وكان أبو بكر ينفق عليه لأنه كان فقيراً ، وقد سارتا حتى وصلتا إلى المَنْصَع ، وهو محل متسع كانت النساء يخرجن بالليل للتبرز فيه ، فلما فرغتا من شأنهما وأقبلتا عثرت أم مسطح في مرطها ، فقالت : تعس مسطح . فقالت عائشة لها : بئس ما قلت ، أتسبين رجلاً شهد بدراً ! قالت : يا هَنْتَاهُ أو لم تسمعي ما قال ؟ قالت : وما قال ؟ فأخبرتها بقول أهل الإفك

فخرت عائشة مغشياً عليها حين أخبرتها بذلك ، وازدادت مرضاً على مرضها ، وأخذتها حُمَّى نافضة ، ثم رجعت إلى بيتها ومكثت ليلتها حتى أصبحت ، لا يرقأ لها دمع ، ولا تكتحل بنوم ، ثم أصبحت تبكي ، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم ، فسلم ثم قال : كيف تيكم ؟ فقالت له : أتأذن لي أن آتي بيت أبويّ . وهي تريد بهذا أن تتثبت من ذلك الخبر ، فأذن لها في ذلك وأرسل معها غلاماً من الغلمان ، وكان قد مضى إذ ذاك بضع وعشرون ليلة على قول أهل الإفك ، فقالت لأمها : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، لا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! فقالت لها أمها : هوّني عليك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثّرن وكثّر الناس عليها . فقالت عائشة : سبحان الله ! ولقد تحدث الناس بهذا ، وعلم به أبي ، وعلم به رسول الله . قالت : نعم . فاستعبرت وبكت ومكثت ليلتان لا يرقأ لها دمع ، ولا تكتحل بنوم ، وكانت تبكي وأبواها يبكيان ، وأهل الدار يبكون ، وبينما هم على ذلك دخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فسلم ثم جلس ، ولم يكن قد جلس عندها منذ قيل ما قيل ، وقد لبث على ذلك شهراً لا يوحى إليه في شأنها

وهنا يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم تشهد حين جلس ، ثم قال : أما بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تعالى تاب الله عليه . قال بعضهم : دعاها إلى الاعتراف ولم يأمرها بالستر ، مع أنه المطلوب ممن أتى ذنباً لم يُطلع عليه

فقالت عائشة لأبويها : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالا : والله لا ندرى بماذا نجيبه . فقالت : لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم ، فلئن قلت لكم إني بريئة — والله يعلم أني بريئة — لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر — والله يعلم أني منه بريئة — لتصدقني ، فوالله لا أجد لي ولكم إلا قول أبي يوسف عليهما السلام إذ يقول : فصبر جميل والله المستعان . ثم تحولت فاضطجعت على فراشها

ولا شك أن هذا الذي يذكرونه لا يتفق وما سبق من النبي صلى الله عليه وسلم حين جمع الناس فخطبهم ، وذكر أنه لا يعلم على أهله إلا خيراً ، وأن أهل الإفك ذكروا رجلاً لا يعلم عليه إلا خيراً ، فكيف يعود بعد هذا إلى الشك في براءة أهله من ذلك الإفك ، وقد استشار كبار أصحابه فبرأوا عائشة منه ، وذكروا أنه إثم وبهتان عظيم

ولما بلغ الأمر أشده ، ولم يعد من السهل أن تعود عائشة إلى بيتها على هذا الحال ، نزل الوحي ببراءتها في الآيات الأولى من سورة النور ، ونزل فيها حكم القذف : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم)

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس وخطبهم وتلا عليهم تلك الآيات ، وأمر بجلد أصحاب الإفك ، وقد اتفقوا على جلد ثلاثة منهم ، وهم مسطح وحمنة بنت جحش وأخوها عبيد الله ، واختلفوا في جلد عبد الله بن أُبَيّ وحسان بن ثابت ، فقيل إن عبد الله جلد أيضاً ، وقيل إنه لم يجلد ، لأن الحد كفارة وليس من أهلها لنفاقه ، أو لأنه لم تقم عليه البينة بذلك ، أو لأنه كان لا يأتي بذلك على أنه من عنده ، بل على لسان غيره

وأما حسان فقيل إنه كان من أهل الإفك وإنه جلد فيه ، وقيل إنه لم يكن منهم ولم يجلد مثلهم ، ومما يدل على أنه لم يكن من أهل الإفك تبرؤه مما نسب إليه في أبيات مدح بها عائشة رضي الله عنها ، ومنها قوله :

مهذبة قد طيَّبَ الله خِيمَها وطهَّرها من كل سوء وباطل

في الأدب الأندلسي الشعبي

ابن قزمـــان

للأســـتاذ أحمد مدينة

العربية واللاتينية ، هما اللغتان اللتان كانتا سائدتين في إسبانيا الإسلامية ، وعنهما تفرعت لغتان عاميتان : اللاتينية الدارجة « الرومنسية أو العجمية » لغة الصبيان والأحداث ، وأرباب الصناعة والزوجات الإسبانيوليات ، والعربية الدارجة ، متأثرة بالعجمية والبربرية :

داب نعشق لأليمـه نجيمـــه
من يحبـك ويموت فيـك
إن قتلت عاد يكون بيـك
لو قـدر قلـبي يخليك
لم يـدبّر ذا النُّغيمـــه
يامطر نن شليباطْ (يا مذهول)
تن حزين تن بناط (إنك مكروب)
ترى اليوم وشطاط (ضائعاً)
لم تذق فيــه غـير لقيمه

بهذه اللغة نظم ابن قزمان — أبو نواس الأندلسي — أزجاله ، فطار صيتها إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وتأثر بها الشعراء الأوربيون في تأليف الأغاني الشعبية لا سيما شعراء « التروبادور » ، وعلى رأسهم « الكونت ده بواتيي » البروفنسالي

نشأ الشاعر في قرطبة وتوفي أوائل النصف الثاني من القرن السادس بعد أن تجاوز الثمانين سنة قضاها متنقلاً ، بين إشبيلية وجيان وبلنسيه

كان طويل القامة أشقر الشعر ، أزرق العينين ، تزوج ، ثم هجر زوجه لما لقيه فيها — وفي بنات جنسها — من المكر والخديعة :

أنا تايب يا لس نقول بزواج
ولا بجلوَ ولا عروس بتـاج
لا رياســة غير اللعب بالزجاج
والمبيت برّ والطعام والشراب

***

النسا ، كما في علمك ، الهروب منهم غنيمه
لس نرى لوحدَ منهم ما بقيت في الدنيا قيمه
وسوى تكن فميني الجديدَ والقديمه
والبعيدَ والقريبَ والسمينة والدقيقة

عاصر من القواد يوسف بن تاشفين وابنه علي وحفيده تاشفين ، ومن الأدباء ابن بسام صاحب « الذخيرة » ومن الفلاسفة ابن باجه وابن رشد

في أزجال ابن قزمان يتقلص ظل التأثير الشرقي في الأدب الأندلسي ، فلا أطلال ، ولا دمن ولا صحراء ، ولا جمال نجد لها ذكراً في ديوانه ، بل هو نفسه يستنكر احتذاء الأقدمين ويمعن في تعرية أزجاله من الإعراب ، موجهاً لومه لأستاذه أخطل ابن نمارة لالتزامه له :

« ولما اتسع في طريق الزجل باعي ، وانقادت لغريبه طباعي وصارت الأئمة فيه حولي وأتباعي ، وحصلت منه على مقدار لم يحصله مني زجال ، وقويت فيه قوة نقلتها الرجال عن الرجال . وصفيته عن العقد التي تشينه ، ومهنته ، حتى لان ملمسه ، ورق خشبنه ، وعريته من الإعراب ... وجملته قريباً بعيداً ، وبلدياً غريباً . ولقد كنت أرى الناس يلهجون بالمتقدمين ويعظمون أولئك المتقدمين يجعلونهم في السماك الأعزل ويرون لهم الرتبة العليا والمقدار الأجزل ، وهم لا يعرفون الطريق ، ويذرون القبلة ويمشون في التغريب والتشريق ، يأتون بمعان باردة وأغراض شاردة ، وألفاظ شياطينها غمز ماردة ، والإعراب وهو أقبح ما يكون في الزجل ، وأثقل من إقبال الأجل . ولم أر أسلس

فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتمُ
فلا رفعتْ سوطي إليَّ أناملي
وكيف وودي ما حييتُ ونصرتي
لآل رسـول الله زين المحافلِ

وقد ذكر الزبير بن بكار أنه قيل لعائشة رضي الله عنها وقد قالت في حق حسان رضي الله عنه إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه بلسانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس هو ممن لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت : لم يقل شيئاً ، ولكنه القائل :

فإن كان ما قد قيل عني قلتُه
فلا رفعتْ سوطي إليَّ أناملي

عبد المتعال الصعيدي

طيباً وأخصب رَبْعاً – ومن حجوا إليه طافوا به سبعاً – أحق برياسة فى ذلك والإمارة ، من الشيخ أخطل بن غارة . فإنه نهج الطريق ، وطرق ، فأحسن التطريق . ولو لم يكن له رحمه الله من قوة التخيل وصحة المعارضة إلا ... كقوله : أنا من أهل البادية ، ومى دارا خالية ، ملأ بدم الدالية ... وليس اللحن فى الكلام المعرب القصيد أو الموضح بأقبح من الإعراب في الزجل . ولو عاش ابن غارة ، وأحضرنا وإياه سلطان وضمّنا قصر ، حتى يسمع الغرائب والأسمار لحار ، ولعلم أن لنا قصب السبق ولواء الغلب

سمى ديوانه « إصابة الأغراض فى ذكر الأعراض » وفيه يصف أعياد المسلمين والمسيحيين ، ويفرط فى ذكر محاسن الغلمان ، وامتدح السكارى والمخمورين ، ومجالس الشراب ، ولا يخفى تبرمه بالصوم :

تركيب الإنسان مذ كان لطيف
وبالصيام قد صرت نحيل ضعيف
رقيق أنا يابس أصفر نحيف
يحملنى البرطال (العصفور) فى شان شاله

ولا سخريته بالفقهاء :

اسمع اش قلّى الفقى : توب ، إن ذا فضولى أحمق !
كيف نتوب والروض ضاحك والنسيم كالمسك يعبق !؟

فطعن من أجل ذلك فى دينه ، وكاد يقتل لولا أن لطف به أحد القضاة من أصحابه

وهو إذ ينظم الزجل ، لا يعبر فيه دائماً عن إحساسه الشخصى ، وإنما يؤلف الكلام لينشده المغنى على لسان ملك ، أو تاجر أو عبد مسترق أو امرأة . وقد يكون المغنى والمستمعون كلاهما من المتسولين والمشعوذين والمحتالين ، بل مما لا غنى عنه أن يتألف منهم « الكورس » لترديد « المركز » كلما كف المنشد عن الغناء ، وقلما تحتجب — فى مثل هذه المحافل الشعبية — العيدان والمزامير والطبول والصافق وغيرها من آلات الطرب ، مع الاستعانة بالرقص فى بعض الأحيان .

الديوان

يرجح أن الذى عثر عليه فى العراق هو « روسو » قنصل فرنسا فى بغداد ، ثم بيع للاسكندر الأول قيصر روسيا سنة ١٨٢٥ فضم إلى المخطوطات الشرقية فى المتحف الأسيوى بسان بترسبورج (لنينجراد) وبقى منسياً فيه إلى سنة ١٨٨١ حين كتب عنه « البارون ده روزن » ، ثم نشره « البارون ده جونزبرج » بالتصوير الشمسى سنة ١٨٩٦ ، وضمنه وعدا بإيراد سيرة الشاعر ، وترجمة أزجاله ومقارنة لغتها بلهجات الأندلس وشمالى إفريقية ، خلال القرن السادس ، ولكن الموت أدركه سنة ١٩١٠ ، دون أن يفى بما وعد . ثم جاء بعده المستعرب الإسبانى « ريبرا » ، فألقى محاضرة عنه طبعت سنة ١٩١٢ وفى عام ١٩٣٣ طبعه « نيكل » فى مجلة الأندلس بحروف لاتينية إلا المقدمة ، فإنها بالرسم العربى ، وعنى بذكره بعد ذلك الأستاذ بالينسيا فى كتابه « تاريخ الأدب العربى فى أسبانيا » المطبوع سنة ١٩٢٨

وأخيراً يردد فى الدوائر الأدبية أن المسيو لاوى بروفنسال شرع فى التأهب لنشره

والديوان المطبوع بالتصوير الشمسى منسوخ بخط شرقى « استكتبه لنفسه الأديب محمد بن أبى بكر القطان بصفد المحروسة استحساناً له وغواية فيه »

أحمد مدينة

ليسانسيه فى الآداب من جامعة فاروق الأول

بعد عامين . . .

لصاحب العزة عزيز أباظه بك

[كتب لى أديب جليل الخطر من أدباء الأقطار الشقيقة يقول : « إنها حية فى قلبك لا شك فى ذلك . فالرأى عندى أن تبذل لها غزلك ، وتحبس عنها رثاءك »]

يا زين عهدُكِ بى ـ جُعلت فِداكِ ـ
نفسٌ مُندَّبةٌ(١) وطرفٌ باكِ
وجوانح تُطوى على مُستضعف   حيران ذاق اليُتمَ يوم نواكِ
يا زين والدنيا قرارةُ شِقوةٍ   أُتراكِ مُلْتَثِ النعيمَ هُناكِ
إن كانت استعْدت عليك خطوبها
فلقد بلغتِ من الحياة مُناكِ
خلَّفتِ نفح الورد فى أرجائها   ومضيتِ: أكرمُ سيرة ذكراكِ
وذهبتِ ضاحكةَ النضارة والصِّبا
كالروض ساَمرَه الربيعُ(٢) الباكى
عبست لكِ الأيامُ حتى لم تجدْ   هدفاً لعاصف كيدِها إلاّكِ
ألوتْ بأختك بعد أن فَرَست(٣) أخاً
فمضت . وأعجلَ بعدها أخواكِ
ثقُلت رزيئتُهم علىّ وإنما   قد كان أفدحَ ما حملت أساكِ(٤)
يا مجمةَ العين الطويل سهادُها
كم صدَّعت(٥) عنى الكرى عيناكِ
يا قبلة الطلّ الرفيق سرت على
خدّ الشقيق(٦) فرفّ(٧) واستحياكِ
يا همسةَ الشاكى ـ وخير سِفارة ـ
بين الهوى والهجرِ همسةُ شاكى
قلبى وعقلى ـ قد علمت ـ كلاهما   خبرَاكِ فاصطفياكِ واعتلقاكِ
لم يحل من حضر البلاد وريفها   للنفس . إلا حينما تلقاكِ
ويروق فى عينىّ ما استحسنته   ويهون ما يَزْوَرُّ عنه رضاكِ
ويهون ضاحى العمر إلا ليلةً   جادت على طول النوى بلقاكِ
بتنا بها زوجين نالا مُنية   كانت تُخال عزيزةَ الإدراكِ

(١) كثيرة الندوب والجراح
(٢) المطر (٣) افترست (٤) المقصود حزنها على إخوتها
(٥) ردت وزرقت (٦) نوع من الزهر (٧) تألق واهتز

قالت وقلت فلو أصاخ لنا الدجى   لرثى لشاكية هناك وشاكِ
عشنا على سَحَرِ(١) النعيم ونحره
حتى تورَّدك الردى فطواكِ
نغدو على وردِ الوفاق ونَوْرِه   ونبيتُ لم نعتبْ على الأشواكِ
فإذا رأيتِ الأمرَ لم أرتعْ له
شفَّعتُ عطفك واستعنتُ حِجاكِ
وإذا اعتركنا مرة عَرَض الهوى
فمحى بسحر عصاهُ كلَّ عراكِ
وإذا هفت نفسى لغير كريمة
جرَّدتِ حزمك طبَّةً(٢) ونهاكِ
فكففتِها فى حكمة ولباقة   وبلغت بالمس الرفيقِ مُناكِ
وإذا النفوسُ إلى توائمها اهتدت
سعدت . وتلك مراتبُ الأملاكِ(٣)
وإذا أهابت بى العلا شيَّعتنى   بصريمة يقظى وعزمٍ شاكِ
ودفعتنى ثبْتَ الخطى مُستعصماً
بالله مُهتدياً بنور هداكِ
جنبتنى زللَ الصِّبا وعثارَه   ومضى يُهذِّب لى الحياةَ صباكِ
روَّتنى الدنيا ببعض نعيمِها   فوجدت أكرمه نعيم رضاكِ

* * *

ولقد دخلتُ عليك من وشْىِ الضُّحى
روضاً تنفس فيه طيبُ شذاكِ
أسعى إلى مثواك مشبوبَ الهوى
وأكاد أومنُ أننى سأراكِ
وأفضت حتى جئت رفرفَ مضجعٍ
طُهْرٍ كأركانِ البنيَّة(٤) زاكِ
وكأنما انجاب الرَّخامُ عن الثرى
فأهلّ من خَلَلِ الرِّجام ضياكِ(٥)
فشهِدتُ فى حلْىِ العروس وعطرها
نفسى التى ودَّعتُ يوم نواكِ
تلك الصباحة والطلاوة والصبا   أضفى عليهن الجلال كراكِ
والماء فى قسمات وجهِك لامع(٦)
صافٍ وسحرُك ساكبٌ وسناكِ

(١) الصدر (٢) الطبة الحازمة (٣) الملائكة
(٤) الكعبة (٥) التراب أو الحجارة (٦) لامع

وحُلاك واحدةُ الطراز . ألمْ تصَغْ
من جوهرِ الخلق الكريم حُلاكِ
فوضمت خدى حيث خدك مائل   ومدامعي تَرْوى بها خدّاكِ
وسكبت فى أذنيك ألحان الهوى   ولطالما هشَّت لها أذناكِ
ونهلت من عينيك سحراً لم يزل   تحت الترابِ تشمُّه عيناكِ
وجلوت فى فوْدَيْك بدر دُجنَّةٍ
وهصرتُ فى عطفيك عودَ أراكِ
ويداى فى ذهبيّ شعرك ضلَّتا   ونُهنه الشوق الجموح يداكِ
ويعجُّ مثلَ الشهد فوك وكالطِّلا
أشتارُ[1] شُهدك أم أعبُّ طِلاك ؟
وأقول فى صَمَداء أنفاس الجوى
ريَّا السُّلافة تلك أم ريَّاك
وأقول من سلبَ الزهورَ رحيقَها
وهفا إليك بصَفوِها فسقاك
وأقول والأشجان تنهك مهجتى
والقلب يصهره الأُوارُ الذاكى[2]
لو قد سألت بنا ! فزوجك مُوحش
وبنوك واجمةٌ وعُشُّك باكِ
بهواك والدنيا جناح بعوضة   عندى إذا قُرنت بطهر هواكِ
بالضاحك النشوان من عهد الصبا
فى المشرق المأنوس من مغناك
وبكل ضمة مُتعة وهناءة   أضفى علىّ نعيمها حِضناك
وبكل عذبِ اللحن من قبل الهوى
نضحت[3] بها شفتى المُلحةُ فاك
قسما فلم تلتذ غيركَ أضلعى   يوماً ولم يصرخ دمى لسواك
فامضى كأغنية الربيع ترقرقت   ألوانها فى نورِه الضحاكِ
وامضى كنيِّرة[4] السماء كريمة ال
روحات والغدوات والأفلاك

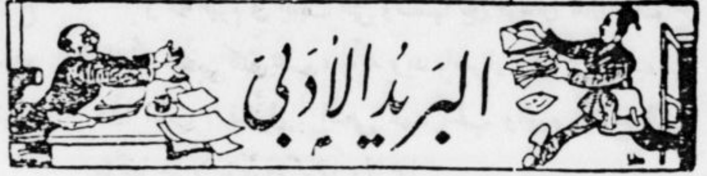
***

(١) الاشتيار : جنى الشهد (٢) المتقد
(٣) بللت وسقت (٤) الشمس

أملاءبَ الصبوات من حرَم الحمى
هوجُ الخطوبِ أذلن عزَّ حماك
راش الزمانُ سهامَها وأحدّها   فرماك ثم رماك ثم رماكِ
كانت رباك خمائلاً وجداولاً   وشمائلاً[1] . أمن الجنان رباك ؟
المسك ليُلك سحرُه وعبيرُه   ورقائق الذهبِ الصقيل ضُحاك
وتظلُّ أرواحُ العشىِّ عواطلاً   من عَرفِها ما لم تمسّ شذاك
كيف الغدير السمح . ساق لُجينَه[2]
فسقاك . والوشىَ البهيجَ كساك
هل لم تزل قبلاتُ ضاحِك مائه
تترى على صفصافه المتباكى
أم بُدِّلت أمواهُه وخريرُه   عبراتِ نائحةٍ وزفرةَ شاك
والقصر . كيف مشى الردى فى ساحه
مشيَ الوباء العاصفِ الفتاك
قد كان مرتعَ كل ظبىٍ لاعبٍ
أنِس . وخيسةَ[3] كل ليث شاك
درجت طفولتنا على جنباته   ونما هوانا فى ثراه الزاكى[4]
فى كل موضع نبتة من روضه   ذكرى لموقف لوعةٍ وتشاكى
لما التقينا هاج دمعك أدمعى   أبكانىَ الشجنُ الذى أبكاك
أبصرتنى فرداً فعاودك الأسى   لله أىَّ جوًى أثار أساكِ
عزفت عن الشدو الطيور وأجهشت
أيكاتُك[5] العبرى وجفَّ نداك
واغبرَّ مُخضرُّ البساط ونكَّست
تيجانَها الزهراتُ فى الأشواك
ويقول مطلولُ البنفسج للندى
يا شدَّ ما نلقى ! ألستَ كذاكِ
أنكرنَ أنى لم أزل من بعدها
حيًّا . أنا الميت البطىءُ هلاكى
أملاءبَ الصبواتِ قد جرت الرحى
فمفتك . لم ترحم سوى ذكراك

(ع . ا . ٥)

(١) الأنسام (٢) الفضة (٣) بيت الأسد
(٤) الطاهر (٥) جمع أيكة وهى ملتف الشجر



إلى الأستاذ محمد أحمد الغمراوي

تعجبني مداعباتك الطريفة للدكتور زكي مبارك ، ويدهشني حقاً كما يدهش الكثيرين أن يقف الدكتور – وهو الصوال القدام – هذا الموقف السلبي الغريب بإزاء نقد أوشك أن يهدم أكبر أثر له طالما اعتز به وفاخر . وما دام قد لاذ بالصمت وآثر عافية غير محمودة ، فلا مندوحة لسواه من أن يسد مسده في التعقيب على ما يستحق التعقيب عليه من هذا النقد . وقد وقفت من ذلك على نقطتين في مقالك الرابع عن « فساد الطريقة في كتاب النثر الفني »

الأولى : أنك ذكرت أن سر تفاهة البيت :

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

ليس في صدق هذا الكلام ومطابقته للواقع – كما زعم الدكتور في كتابه – وإنما هو في أن المشبه به في الشطر الثاني من البيت هو المشبه عينه الوارد في الشطر الأول مما أبطل التشبيه لعدم المغايرة بين طرفيه ، فأصبح البيت من ناحية التشبيه بيتاً كذباً ، ولو استبدل بحرف التشبيه حرف التوكيد لصدق البيت وارتفعت قيمته ارتفاعاً يجعله بمنجاة من أن يكون مثلا مضروباً في السخرية والاستهزاء الخ ... »

وأقول إن البيت – حتى بعد هذا التعديل المقترح – يظل تافهاً ، بل غير صحيح من ناحية اللغة ، وذلك لأنه يشترط في الخبر أن يفيد فائدة زائدة على المبتدإ ، وفي ذلك يقول ابن مالك :

والخبر الجزء المتم الفائده كالله بر والأيادي شاهده

ولا معنى للخبر إن لم يكن كذلك . وما ورد فيه الخبر بلفظ المبتدإ لوحظت فيه مع ذلك فائدة زائدة على المبتدإ كما في قول القائل : أنا أبو النجم وشعري شعري . إذ عنى بقوله « شعري شعري » أن شعره الحاضر هو من جنس شعره المعهود للمخاطبين من قبل . وعلى تقدير كهذا حمل قوله صلى الله عليه وسلم : « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » في حديث (إنما الأعمال) : « وليس في الخبر الوارد في قول القائل : « كأننا والماء ... الخ . » فائدة زائدة على المبتدإ ولا هو مما يحتمل تقدير شيء من ذلك .

الثانية : ذكرت ما أورده الدكتور زكي في كتاب النثر الفني نقلا عن الباقلاني من تعريف الأخير للسجع بأنه : « ما يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع » ، وتقريره أن ما ورد في القرآن على هيئة السجع لا يدخل تحت هذا التعريف ، « لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى » . وأردفت ذلك بذكر عبارة الباقلاني التي أكد بها احتجاجه لرأيه المتقدم ، وهي :

« وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ . ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى »

ثم زعمت أن هذه العبارة لا تستقيم مع رأي الباقلاني المتقدم ، وأنه لابد أن يكون قد وقع فيها تداخل عند طبع الأصل أو عند النسخ استغلق به المعنى على القارئ مما لم يفطن إليه الدكتور « فدل بذلك على تقصيره في فحص الكلام وتقليبه أو على قصوره في الفهم والتفكير الخ ... »

والواقع أنه لا تداخل في العبارة ولا استغلاق في معناها الواضح كل الوضوح ، وهي تعني أن الكلام الوارد على هيئة السجع على نوعين : أحدهما كلام منتظم في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه . فلا مناص من إيراد اللفظ الوارد على هيئة السجع ، لأنه لابد منه لإفادة هذا المعنى ، ولا يمكن أن يحل غيره محله في إفادته ، ويصبح المعنى في هذه الحالة مرتبطا بذلك كارتباط معاني غيره من الألفاظ التي لم ترد على هيئة السجع بهذه الألفاظ . فتكون إفادته كإفادتها ، أي أنه لا يكون مستجلبا لغرض آخر غير إفادة المعنى . النوع الثاني كلام يكون معناه منتظما بغير اللفظ الوارد فيه على هيئة السجع ، فلا يكون هذا المعنى مرتبطا بهذا اللفظ ، لأنه يمكن الاستعاضة عنه بلفظ آخر يفيد هذا المعنى أيضاً ، وعلى ذلك يكون الإتيان في هذه الحالة بخصوص اللفظ الوارد على هيئة السجع قد قصد به إلى

غرض آخر غير إفادة المعنى ، ألا وهو تجنيس الكلام . والنوع الثانى هو السجع الحقيقى ، والنوع الأول — وهو وحده الوارد فى القرآن على ما يرى الباقلانى — ليس بسجع حقيقى وإن جاء على هيئته

ومعنى العبارة على الوجه المتقدم هو المستقيم تماماً مع رأى الباقلانى السابق فى تعريف النوعين . فالأول ـ وهو ما ورد على هيئة السجع وليس بسجع حقيقى ـ يتبع اللفظ فيه المعنى ، لأنه إنما أتى باللفظ للتعبير عن ذلك المعنى المقصود بعد التثبت من إفادته التامة له . أما الثانى ـ وهو السجع الحقيقى ـ فيتبع المعنى فيه اللفظ الذى لم يؤت به بخصوصه لإفادة المعنى وإنما لغرض آخر هو تجنيس الكلام ، أفاد المعنى المقصود بتمامه أو لم يفد . ومن ثم استهجن التزام السجع لأنه إنما يكون على حساب المعنى

هـذا وتستطيع بعد الإيضاح المتقدم أن تتبين بأدنى تأمل ما فى عبارتك التي أوردتها تصحيحاً لعبارة الباقلانى من مناقضة لحقيقة رأيه ومجانبة للصواب

وأعود فأكرر إعجابى بمجهودك الموفق فى نقـد كتاب النثر الفنى .

ابراهيم زكى الدين بدوى

الأستاذ بدار العلوم العليا ببغداد سابقاً

حول « الحب عند المتنبى »[1]

تساءل الأستاذ حسن الأمين : هل أحب المتنبي وهل أحس بلواعج الغرام ؟

وأراد فى جوابه أن يقول ، إنه لم يحب ، ولم يحس بلواعج الغرام ، واستشهد بشىء من شـعر المتنبي . وأريد أن أقول إن حب المتنبي يكاد يـكون لغزاً مستعصياً على الحل . ولست الآن بصدد إثباته أو نفيه ، غير أنى أريد أن أستأذن الأستاذ حسن الأمين فى ألا أوافقه فى أن ما استشهد به من شعر المتنبي يؤدى إلى النتيجة التى وصل إليها . بل فى بعض ما يدل على خلاف رأى الأستاذ . وهاكم البيان

١ — فهم الأستاذ من قول المتنبي :

تحملوا حملتكم كل ناجيـة فكل بين على (اليوم) مؤتمن

فهم أنه (لا التهديد بالرحيل ، ولا الوعيد بالهجر استطاع أن يلين قلبه ويميل به إلى الهوى)

وكلمة اليوم فى البيت التى وضعها بين قوسين تدل بوضوح على أن المتنبي كان يحب ، وأنه يريد بإصرار وقوة أن يتوب من هذا الحب . فيقول . انتهى عهد الحب واليوم أصبح البين مؤتمنا على لا يؤثر فىّ سقماً ولا هما

٢ — وإن قال المتنبي (محب كنى بالبيض الخ) إلا أن قوله :

عدمت فؤاداً لم تبت فيه (فضلة) لغير الثنايا الغر والحدق النجل

يدل على أنه يريد أن لا يكون قلبه قاصراً على حب النساء ، بل يجب أن يكون فيه (فضله) لغير حب النساء . فظاهر من هذا أن المقام الأول هو لحبهن ، والفضلة لغيرهن

٣ — قول المتنبى (وما العشق إلا غرة وطماعه) وقوله : (ممـا أضر بأهل العشق أنهم) ، وأمثاله ، لا يدل على أنه غير عاشق . بل هو أقرب إلى أن يدل على أنه عاشق برح به العشق وكوى كبده ، وذاق حلوه ومره ، ولـكنه رجل غلب عليه العقل وقوة الإرادة ، فهو يريد أن يداوى نفسه من عشقه بمثل هذه الأقوال ، وكثير ممن جربوا الحب وخابوا فيه أو لم يصلوا إلى نتيجة رجعوا على أنفسهم باللوم وعلى الحب بالتنقيص

٤ — وأما الأبيات التى ادعى فيها العشق ؛ فأنا أفرض مع الأستاذ أنهـا لا تدل على العشق ، كما يقول المتنبى نفسه (أكل فصيح قال شعراً متيم ؟) إلا أننى لا أستطيع أن أمر بأشعاره المشتملة على العاطفة الصحيحة من مثل قوله : (ما لاح برق أو ترنم طائر) إلى آخر ما ذكره الأستاذ فى هذا الصدد . أقول لا أستطيع أن أمر بهذا ، دون أن أشعر بأن المتبى كان محباً صادقاً

٥ — الحب عاطفة إنسانية أصيلة لا يحرمها إلا من مسخ قلبه ، ولا يكون المتنبي — وهو من هو — كذلك ، فهذا وحده كاف للتدليل على أن المتنبى أحب ، وأنه أحس بلواعج الوجد ، وتباريح الغرام . والآن آن أن أقول إن اللغز فى حب المتنبي ، ليس هو الحب نفسه ، ولـكن من هو الشخص الذى أحبه المتنبي . وقد أجاب عن ذلك الأستاذ محمود محمد شاكر . يبحث فيه مجال للبحث .

(اللد — فلسطين) داود محمد الله

(١) العدد ٥٨١ من « الرسالة »

12 me Année No. 586 — Lundi - 25 - 9 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٨٦ «القاهرة في يوم الإثنين ٨ شوال سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـرس

صفحة

٧٨١ مكافحة الشكلية ... ... : الدكتور محمد مندور .. ..

٧٨٧ القرآن في الإذاعة العالمية ... : الأستاذ حامد مصطفى .. ...

٧٨٨ ذكرى عيد ... . : الأستاذ منصور جاب الله ...

٧٩٠ هنريك إبسن .. .. .. : الأستاذ وديع فلسطين ...

٧٩١ وجهة نظر . . . . . : الأستاذ محمود عزت عرفة ...

٧٩٤ العباس بن الأحنف .. ... : الأستاذ محمود المعروف ...

٧٩٧ الشوامخ .... : الدكتور محمد صبري ... ...

٧٩٨ يا قارىء الكف [قصيدة] : الدكتور عزيز فهمي . ...

٧٩٩ أين كالدنيا . [قصة] { للقصصي التركي خالد ضيا ... / للأستاذ برهان الدين الداغستاني

مكافحة الشكلية

للدكتور محمد مندور

لا عجب أن نرى مشكلة التعليم من بين المشاكل الكبرى التي تشغل الرأي العام، لا في بلادنا فحسب، بل في جميع بلاد العالم، والحرب القائمة عمادها الأول مبادئ العلم ومكتشفات العقول، وهي حرب ميكانيكية قبل كل شيء.

ولقد انتهى الأمر ببلادنا إلى الفطنة لوجوب مكافحة الأمية الأبجدية، وهذا خير نحمد الله من أجله، ولكننا نطمع إلى ما هو أبعد من ذلك. فنود لو كافحنا الأمية العقلية، وما نظن مفكراً يزعم أنك قد أصلحت نفساً أو هذبت خلقاً أو سددت إدراكاً إذا لقنت الفرد مبادئ القراءة والكتابة، فتلك وسائل لا خير فيها إذا عزبت عن غايتها، وغايتها بلا ريب هي محو الأمية العقلية، ومن هنا كانت راحة النفس عندما رأينا الحكومة تقيم مكافحتها للأمية على أساسين: تعليم الأبجدية وما يلحق بها، ثم نشر الثقافة الشعبية بإلقاء الدروس المبسطة في مبادئ العمران والحياة المدنية.

وليس من شك في أن مكافحة الأمية العقلية التي هي هدفنا القومي لن نستطيعها إلا إذا أعددنا لمكافحتها طوائف من المثقفين

ثقافة جامعية صحيحة ، ولقد اتفق لكاتب هذه السطور أن لاحظ على تلك الثقافة الجامعية اتجاهاً نحو الشكلية قد لا يكون منه مفر في بلاد أخذت تفتح أعينها على العلوم الغربية ، فتود لو تلتهمها متعجلة ، ثم تنثرها عن يمين وشمال لجة قبل أن تتمثلها تمثل الهضم ، وتلك آفة من الآفات الكبيرة التي لابد من محاربتها أعنف الحرب ، لأنها خليقة بأن تنتشر في نفوس الشباب غروراً كثيفاً يحجبها عن الحقائق العميقة . وأخطر ما تكون تلك الآفة في العلوم المعنوية ، ونعني بها العلوم التي تتناول الإنسان وظواهره البشرية كفرد وكعضو في هيئة اجتماعية . ومصدر الخطورة في هذا المجال يأتينا أيضاً عن الغرب ، وإن يكن الغرب نفسه قد أخذ يتخلص من تلك الآفة التي مكنت لها اتجاهات العلوم المادية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين .

ذلك أن العلوم المادية في تلك الفترة كانت قد خطت خطوات كبيرة نحو اكتشاف كثير من القوانين العامة التي تسيطر على المادة فتمكن الإنسان من استخدامها حتى شاع في كل المعقول أن العلم إن لم يكن اكتشاف قوانين فهو ليس بشيء ؛ ونظر الباحثون في الإنسان فإذا بهم لا يكادون يتبينون لظواهره قوانين ، فتطلع طموحهم الساذج إلى أن يصلوا في معارفهم إلى ما وصل إليه علماء المادة ، فقالوا إن الإنسان ما هو إلا ظاهرة من الظواهر العامة ، وهو لابد خاضع في حياته الفردية وفي حياته الاجتماعية إلى قوانين لا مفر من سلطانها ، ومن هنا اتجهت الأبحاث النفسية والاجتماعية تلك الوجهة الشكلية التي نكتب اليوم عن وجوب مكافحتها إذا أردنا أن نقيم مجد هذا الوطن على إرادة أبنائه ، إرادة يجب أن ينتهي كل تعليم صحيح إلى تأييد حريتها التامة وقدرتها على كل شيء

ومكافحة الشكلية ليست بالأمر الهين ، فقد اتفق لي أن لاحظت التجربة في نفسي حيث لم أستطع أن أفطن إلى ما أدعو إليه اليوم إلا بعد سنين من إقامتي بأوروبا . ولعلي أفدت تلك التجربة من كلمات قاسية سمعتها من شيخ فرنسي أضعاف ما أفدت من أساتذتي ومطالعاتي . وليسمح لي القارئ بأن أقص تلك الذكرى الشخصية ، فقد يفيد منها مثلما أفدت .

في أول عهدي بباريس كنت أتناول الغداء على مائدة سيدة عجوز مع نفر من الشبان والشيوخ الفرنسيين وبعض الأجانب . وكان من بين الفرنسيين رجل جاوز الخمسين يعمل وكيلا للمحافظة ، وأكبر ظني أنه ينحدر من أسرة كبيرة من الأسر المحافظة ؛ وكان رجلا جافا في جسمه وروحه ، أنيقاً في لفظه وملبسه . ولقد علمت أنه قد ابتلى الحياة وابتلته بهمومها الثقال فتحملها في بطولة ، ولقد خرج من نشأته وملابسات حياته بفلسفة قوية تقوم على مبادئ الخلق الصارمة ، كما تقوم على الاعتداد بكرامة الإنسان وقدرته على توجيه الحياة وإخضاعها لإرادته . مع هذا الرجل تعلق حديثي أحد الأيام ، ورأيته يبسط مبادئ فلسفته التي ذكرتها في حرارة المؤمن فدهشت ، وأخبرته بأن مبادئ الأخلاق التي يتحدث عنها إن هي إلا ظواهر اجتماعية تُملى على الأفراد دون أن يكون لهم دخل في بنائها ، أو فضل في الإيمان بها ، كما أخبرته أن إرادة الإنسان الحرة التي يعتز بها ، ليست إلا وهماً لأن الفرد لا يملك لنفسه شيئاً ، وإنما هو مسير بغرائز وقوى دفينة ، وما إن سمع مني الرجل هذا الهراء ، حتى انتفض كالأسد ، واستند بمرفقه الأيسر على المائدة ليلتفت إليَّ محدقاً في غضب ، غضب الاستعلاء ، وسألني من أي بلد أتيت يا بني ؟ قلت من مصر . قال وماذا يصنع أبوك بمصر ؟ قلت يزرع الأرض . قال إني أوصيك مخلصاً أن تعود إلى بلدك لتحرث الأرض مع أبيك ، هذا أجدى عليك وعلى وطنك مما تتعلمه أو تظن أنك تتعلمه هنا من هراء ، فتماسكت موهوماً وقلت ، ولكن هذه يا سيدي هي الآراء التي سمعتها من أساتذة السربون في علم الاجتماع وعلم النفس ، فأجابني : ومن أنبأك أن هؤلاء الأساتذة يفهمون شيئاً من حقائق الإنسان ؟ أتظن أن حقائقنا البشرية من اليسر بحيث تصاغ نظريات أو يكشف عنها التفكير

الجرد ؟ ثم من قال إن التفكير الفرنسي يمثله ذلك النفر من اليهود الذين يزعمون أنهم قد اكتشفوا قوانين الإنسان ، عند ما زعم كبيرهم دركايم ومن خلفه ليفي بريل وموسى وفوكونيه ، ومن تبعهم أن الإنسان حكمه حكم المادة ، وأن هناك ما يسميه هؤلاء الحمقى وعياً اجتماعياً تتمخض عنه الحياة العامة كما يتخمض الناتج الكيماوي عن مزيج من العناصر ، احذر يا بنى أن تؤمن بما يقولون فليس صحيحاً أن الرجل المهذب لا يستطيع أن يصل إلى قيادة شخصية يهتدي بها إلى مواضع الخير والشر والبطولة والخسة بنفسه ، كما تهتدى الطيور إلى أوكارها . وليس صحيحاً أن قواعد الأخلاق ليست إلا ظواهر اجتماعية لا نستطيع في علاجها شيئاً ، وكل ما يجب علينا عمله هو أن نرصدها ، كما يفعلون لنستخرج منها قوانين عامة . هذا يا بنى وهم ، بل خداع مبطلين ، ثم اذكر أننا في مجال المعرفة بالإنسان ، ليس لنا إلا هدف واحد هو أن نصبح خيراً مما نحن . فبالله ، هب أن هذا الهراء حق ، فأى فائدة ستجنى منه الإنسانية ؟ أنا أفهم أن نكشف عن قوانين المادة ، لنسيطر عليها ونسخرها في مرافق حياتنا ، ولكن الإنسان ما شأنه بالقوانين ؟ ومن قال إن الإنسان مادة فحسب ، وهب أنه كان مادة ، وأن الروح لم يكن لها وجود ، وأنها تفنى بفناء المادة كما تنعدم النغمات بتحطم الناى ، أليس من الخير ، بل من الواجب على الإنسانية أن ترفض علماً كهذا لن ينتهى إلا بتحطيم حياتنا وشل إرادتنا وتقويض دعائم الهيئة الاجتماعية التي نحيا بينها ؟

هذا هو الدرس القاسى ، الدرس الصارم النافع الذي تلقيته عن الشيخ في مستهل حياتى ، ورويته اليوم راجياً أن تتدبره شبيبتنا الناهضة . ولقد تذكرته إذ قرأت في إحدى صحف المساء مقالاً لشاب أكبر الظن أنه حديث التخرج من قسم الفلسفة بالجامعة ، ولقد رأيت شابنا المسكين يتحدث عن « مكافحة الأميين في ضوء علم الاجتماع » فيزعم أن هذه المكافحة ستجرى ضد قوانين علم الاجتماع المزعومة ، وأنها لذلك لن تنجح لأن عقلية الفلاح ليست عقلية حضارة وعلم ، وإنما تصبح كذلك بعد أن تنتشر الصناعة في مصر ، وذلك لما رواه عن دركايم وتلاميذه من أن لكل شعب عقلية تتكيف بتاريخه ونوع نشاطه الاقتصادى وما إلى ذلك مما ينتهى بخلق ما سماه طالبنا نقلاً عن هؤلاء العلماء « بالعقل الجمعى » ، وهذا هو موضع الداء ، فطلابنا يرددون اصطلاحات علمية لا يحسنون فهم مدلولاتها فهم الناقد المستنير ، وتبلغ بهم القحة أن يكتبوا للصحف فيما لا يفهمون غير واعين بما قد يكون في هرائهم من تثبيط لهمم أفراد الشعب الذين لم يصيبوا من العلم الزائف مثلما أصابوا . وهأنا أتى عليه درساً مثل الذى سمعت في أول حياتى :

لا يا بنى ليس هناك عقل جماعى كما زعمت أو زعم لك دركايم ، وإنما هناك عقل فردى ، هناك إرادة حرة ، إرادة يجب أن تستيقظ في قلوب أمثالك فتهدم الصخر . لا يا بنى ليس هناك جبر تمليه قوانين مزعومة ، وإنما هناك نشاط حر ، نشاط لا يعرف اليأس . وكم أحزننى من شاب مثلك أن يقول بقيام قوانين تقف دون إرادة هذه الأمة ، التى أنت أحد أفرادها ، فتردها عن أهدافها القومية . أقلع عن اليأس وبشر بالأمل ، وإذا سمعت من حولك من يرمى هذه الأمة بالسوء فرد قوله ، وآمن بأنه مهما بلغ بنا الفساد فنحن لا بد مقوموه ، وأن حافزنا الأول إلى هذا التقويم سيكون العلم الصحيح الذى يؤمن بأن النشاط الإنسانى حر ، وأن إرادتنا لا بد آتية على كافة الصعاب كما أتى مصطفى كمال على صعاب تركيا وستالين على صعاب روسيا ، دون أن يقف أمامهما عقل جمعى أو قوانين اجتماعية .

محمد مندور

بقية الحديث عن حرية الفكر

للأستاذ دريني خشبة

لم أشك مطلقاً فى أن الدكتور زكى مبارك كان يمزح حينما شكا من التضييق على حرية الفكر فى زمننا هذا. وفى أن تباكيه على حرية الفكر فى العصر الذهبى للتصوف الإسلامى كان دعابة ظريفة من دعاباته التى لا تنفد ... وذلك أن الدكتور زكى رجل قوى الذاكرة . ولا يمكن أن يكون قد نسى ما نقله فى كتابه المظيم الخالد عن التصوف، عن كتاب اليواقيت للشعرانى، حيث يقول: (ج ١ . ص ١٩٣)

« ولا يخفى ما قاساه الإمام أبو حنيفة مع الخلفاء، وما قاساه الإمام مالك واستخفاؤه خمساً وعشرين سنة لا يخرج لجمعة ولا جماعة، وكذلك ما قاساه الإمام الشافعى من أهل العراق، وأهل مصر [1] وكذلك ما قاساه الإمام أحمد بن حنبل من الضرب والحبس، وما قاساه البخارى، حين أخرجوه من بخارى إلى خرتنك

« وقد نفى أبو يزيد البسطامى سبع مرات من بسطام بواسطة جماعة من علمائها؛ وشيعوا ذا النون المصرى من مصر إلى بغداد مقيداً مغلولاً . وسافر معه جماعة من أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة . ورموا سمنون المحب بالعظائم، ورشوا امرأة من البغايا فادعت عليه أنه يأتيها هو وأصحابه، واختفى بسبب ذلك سنة . وأخرجوا سهل بن عبد الله التسترى من بلده إلى البصرة ونسبوه إلى قبائح وكفروه مع إمامته وجلاله، ورموا أبا سعيد الخراز بالعظائم، وأفتى العلماء بكفره بألفاظ وجدوها فى كتبه ، وشهدوا على الجنيد بكفره مراراً حين كان يتكلم فى التوحيد على رؤوس الأشهاد. فصار يقرره فى عقر بيته إلى أن مات

« وأخرجوا محمد بن الفضل البلخى من بَلْخ لكون مذهبه كان مذهب أهل الحديث من إجراء آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها بلا تأويل والإيمان بها على علم الله فيها، ولما أرادوا إخراجه قال: لا أخرج إلا إن جعلتم فى عنقى حبلا ومررتم بى فى أسواق البلد ، وقلتم هذا مبتدع نريد أن نخرجه من بلدنا، ففعلوا ذلك وأخرجوه، فالتفت إليهم وقال: يا أهل بلخ، نزع الله من قلوبكم معرفته ! الخ ...

« وأخرجوا أبا عثمان المغربى من مكة مع كثرة مجاهداته وتمام علمه وحاله، وضربوه ضرباً مبرحاً، وطافوا به على جمل، فأقام ببغداد إلى أن مات !

« وشهدوا على الشبلى بالكفر مراراً مع تمام علمه وكثرة مجاهداته، وأدخله أصحابه البيمارستان ليرجع الناس عنه مدة طويلة !

« وأخرجوا الإمام أبا بكر النابلسى مع فضله واستقامته فى طريقته من المغرب إلى مصر، وشهدوا عليه بالزندقة عند سلطان مصر، فأمر بسلخه منكوساً ، فصار يقرأ القرآن وهم يسلخونه بتدبر وخشوع، حتى قطع قلوب الناس، وكادوا يفتتنون به !!

ورموا الشيخ أبا مدين بالزندقة وأخرجوه من بجاية إلى تلمسان

وأخرجوا أبا الحسن الشاذلى من مصر وشهدوا عليه بالزندقة

ورموا عز الدين بن عبد السلام بالكفر، وعقدوا له مجلساً فى كلمة قالها فى عقيدته وحرشوا السلطان عليه

ورموا تاج الدين السبكى بالكفر وشهدوا عليه أنه يقول بإباحة الخمر والفاحشة، وأنه يلبس فى الليل الغيار والزنار وأتوا به مغلولاً مقيداً من الشام إلى مصر ... الخ ... الخ »

وبعد ... فتلك صفحة عجيبة من تاريخ الاضطهاد الفكرى نقلها صديقنا الدكتور زكى بقلمه عن كتاب اليواقيت ... وهو كما قدمنا رجل ألمعى أريب قوى الذاكرة ... فلا يمكن أبداً أن يكون صادقاً حينما ينعى حرية الفكر فى مصر اليوم، ويتباكى على حرية الفكر فى العصور الذهبية للتصوف الإسلامى. ولكن الممكن أن يكون مداعباً كدأبه ... وإلا فماذا حدث فى مصر الحديثة لرجال التصوف المنبثين فى كل حدب وكل صوب. أو ماذا حدث للذين يعلنون اليوم جهرة أنهم يؤمنون بنظرية وحدة

(١) استعرض الدكتور زكى هذه الصفحة المحزنة فى بحثه الطريف عن (كتاب الأم).

الوجود التي خرجوا منها بأن الله هو هذا العالم — أو هذا الوجود المطلق الكلى — وأن محمداً هو مبتدع تلك النظرية، كما أنه مؤلف القرآن، وأن كل ما جاء به، صلوات الله عليه من أنباء الغيب لا يمكن أن ينهض له العقل. فلا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا ميزان ولا صراط ... وأنه لا داعى لأن يدعو الإنسان ربه ولا أن يصلى له ... لأن دعاءه وصلاته لن يغيرا من قوانين الأقدار شيئاً ... وأن المتضادات أمام الله سواء، لأنه هو الهادى وهو المضل، وعليه، يكون الفجور كالتقى، والشر كالخير، والسجود بين يديه مثل إكباب المرء على حليلته ... إلى آخر هذا الهذيان الذى اجترأ بعض فلاسفة زماننا أن يرددوه مؤمنين به، ومع ذلك فهم يسرحون ويمرحون، لم يعرض لهم أحد بشر، ولم يأخذهم أولو الأمر بذنوبهم. فلم يقيدوهم بالأغلال، ولم يحملوهم على الجمال ولم يسلطوا عليهم البغايا، ولم يسلخوا جلودهم أحياء ولم يرسلوا بهم إلى مستشفيات المجاذيب، ولم يسلطوا عليهم الصبية يرجمونهم بالحجارة ...

لم يصنعوا بهم شيئاً من هذا، مع أنهم غلوا أضعاف ما غلا أسلافهم ... ألا ترى يا أخى أنهم اجترأوا فقالوا إن القرآن هو كلام ألفه محمد ؟! ألا ترى أنهم أنكروا ما جاء به محمد جملة ؟! وهم قد صنعوا ذلك وأثبتوه فى كتب طبعت فى العراق وأرسلت إلى مصر فدخلتها دون أن يعترضها معترض، كما دخلت جميع الأقطار الإسلامية دون أن يقف فى سبيلها شيء ... ولماذا يقف فى سبيلها شيء ما دامت أقلام المسلمين فى أيديهم، وما دامت عقولهم فى صدورهم —ورؤوسهم— يا دكتور زكى ؟! ليقل الزنادقة ما شاءوا، ولينشروا من كتبهم ما أرادوا، آمنين مطمئنين، ما دام هذا الزمان الذى كانت الدولة تسلخ فيه جلودهم وهم على قيد الحياة قد مضى ... لقد أبصرت الدولة اليوم، ولقد أبصرت الأمة الإسلامية، فهى لم تعد تلجأ مع الزنادقة إلى تلك الوسائل الهمجية من التمثيل والتعذيب، وما نهى عنه الإسلام الصحيح الصادق من ضروب المثلة ... لكنها تلجأ إلى وسائل أحزم وأوسع مدى فى حرية الفكر ... إنها تلجأ إلى يقظة الضمير الإسلامى فى أقلام أبنائها فتزيف الأفكار الفجة، والآراء السقيمة، فلا يكون زيغ، ولا يكون إضلال، ولا يكون إيمان أعمى بنظرية وحدة الوجود بتخريجاتها المضحكة التى انتهى إليها هذا الأستاذ الجليل، الشيخ معروف الرصافى

على أن الذى يغيظنى منك يا صديقى الطُّلَـمة المفضال هو اشتدادك فى البكاء على حرية الفكر، وهذه كتبك القيمة كلها تحمل من الجراءة ومن الأفكار الحرة، بل الأفكار الطليقة السائبة التى لا تحفل بشيء، ما تحمل، وهى تنتشر مع ذاك بين المسلمين فى جميع الأقطار الإسلامية انتشاراً عظيماً، دون أن ينقم منها أحد شيئاً، إلا ما استدركه عليها مناظرك الفاضل من ملاحظات يوافقه الناس على بعضها ولا يوافقونه على بعضها الآخر ... وما أريد أن أدخل بينكما الآن ... ولكنى أردت أن أنفذ من ذلك إلى الاعتذار إليك مما قلته الآن عن بعض أفكارك، والتعبير عنها بأنها طليقة سائبة لا تحفل بشيء ...

هل تذكر يا أخى أن الحلاج مات كافراً — ولو من وجهة النظر الإسلامية — لأنه يزعم للناس أنه الله ؟ وهل تذكر أنك كنت الكاتب المسلم الوحيد الذى دافع عن الحلاج، بالرغم من قوله هذا، وأنك لم تكن تبالى بإتباع اسمه كلما ذكرته بهذه العبارة الغالية : رضى الله عنه !

لشد ما تضحكنى منك روحك الحلوة المفتونة بالدعابة وخبيث المزاح !

الحلاج رضى الله عنه ! أى والله يا دكتور زكى، إنك تحسن استغلال حرية الفكر فى مصر، وتحسن استغلال سعة صدور المسلمين !

على أنك نسيت، بالرغم من قوة ذاكرتك أنك، وأنت تشكو من التضييق على حرية الفكر فى مصر. كنت أول كاتب جرىء استطاع أن يدافع عن شيء يعتبر الدفاع عنه شيئاً مضحكاً جداً ... بل شيئاً مثيراً لعواطف المسلمين ... جالباً لسخط الله والناس ... فهل تذكر عم دافعت ؟! أنا أذكرك إن كنت قد نسيت ... لقد دافعت فى كتابك القيم ـ التصوف الإسلامى ـ عن المعاصى ... أى والله يا أخى. لقد دافعت عن المعاصى دفاعاً مضحكا حاراً فى أكثر من خمس صفحات كتابك

المجيد الذى لا يخلو من تلك (البُقع) المسلية ... لقد فعلت فعلتك الظريفة هـذه بمناسبة ما يقوله الجيلانى عن تساوى العاصى والمطيع أمام الحق ... أى أمام الله ! ولـكن لامندوحة عن تسجيل قطعة من دفاعك ذاك فاسمع :

« ... وكيف يكون فهمنا لعظمة الله إذا حرمنا الشقاء بالعواطف والشهوات والأهواء ؟ كيف كنا نعيش لو خلت دنيانا من اللهو والفتون ؟ كيف كانت تطيب دنيانا لو لم نطع الله بالعصيان ؟! كيف يكون العقل لو خلا من التمرد والثورة والاعتساف ؟ إن أجمل أثر أدبى تركه الأولون هو «سفر أيوب» وإنما كان كذلك لأن ناظمه وقف وربه أمام ساحة الجزاء !

إن أقوى الأغانى والأناشيد هى أنفاس الملتاعين من الذين قارعوا فتن الوجود !

إن أعاظم الرجال هم الذين نقعوا أرواحهم فى بحار الشهوات !

إن أقوى القلوب هى القلوب التى واجهت سرائر الليل !

إن أعظم النفوس هى النفوس التى عاقرت كؤوس الغل والحقد والحب والهيام !

إن أعظم العقول هى العقول التى اصطرعت فى ميادين الشك واليقين !

حدثونى عن رجل واحد بين العظماء شهد تاريخه بأنه احترم العرف والقوانين والتقاليد ! إن الرجل العظيم هو الحوت الذى يسير كما يشاء ، ومن سواه من الصغار هم صغار الأسماك التى تساير التيار لتقع فى شباك الصيادين !

... والشر ينفع كل النفع ، فهو الذى يحولنا من ناس إلى حكماء ، وينقلنا من مراتع الحملان إلى مرابض الأسود !

وماذا غنمنا من سيادة الشرائع (!!) والقوانين ؟!.. غنمنا العدل ! وهو كذلك ! ولـكن أى عدل ؟ إنه العدل الأعرج الذى سمح للضعفاء والمهازيل بأن يكونوا من قادة الشعوب ! » الخ

فهل رأيت يا أخى كيف كنت أجرأ مخلوق على وجه الأرض ، أوتى من حرية الفكر أن يدافع عن المعاصى والشهوات هذا الدفاع الحماسى المتأجج ، دون أن يناله شر ، ودون أن يفتك الناس به ، ودون أن يطارده القانون !

ولكن لا بد من اقتباس الفقرة التالية أو الفقرات التاليات التى تدل على أنك تبلغ أحياناً تلك المرتبة من مراتب (ما وراء الشجاعة) :

« وبفضل تقدم الضعفاء ، وتخلف الأقوياء ، صار الشرقيون من المستعبدين ! وهل كان للشرق قوة إلا يوم صح لأنبيائه وزعمائه أن يروا لأنفسهم مزايا ليست لسائر الناس ؟ وهل استطاع النبى محمد أن يستبيح من الزوجات ما لا يستبيح لأفراد أمته ، إلا وهو يرى أنه أقوى الرجال ! »

فهل رأيت يا صديقى كيف سولت لك جراءتك أن تقول هذا الـكلام العجيب عن محمد بن عبد الله الذى جعلته شهوانياً أنانياً يؤثر نفسه بما لا يسمح به للمؤمنين ، لأنه رجل قوى العضلات ؟ وأنت تعلم أنه عاشر السيدة خديجة عليها رضوان الله منذ أن كان فتى حتى توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات ، أى بعد ما نيف على الخمسين أو شارفها ، لم ينظر إلى امرأة غيرهـا قط ولا اشتهى أن يتزوج قط حتى توفيت . فإذا قبضها الله إليه وحدثت هذه الزيجات الـكثيرة بعد ذلك . جئت أنت لتقول فى جرأتك المعهودة إنها زيجات كان سببها قوة عضلات محمد التى جعلته أنانياً يؤثر نفسه بما لا يسمح به للمؤمنين !

ها أنت ذا قد قلت ذلك كله ودافعت عن الحلاج ما دافعت مع علمك بكفره لزعمه أنه الله ... فماذا حدث لك ! ماذا نالك من المطاردة والنفى والحمل على الجمال والسلخ مما نال المتصوفة فى العصور الغابرة ؟! ماذا تريدون أن تقولوا غير ما قلتم ؟ أفتونا فى حرية الرأى هذه كيف تـكون بعد هذا كله ؟ إن الجامعة التى هى جزء مقدس من الدولة التى دينها الرسمى هو الإسلام قد منحتكم إجازة الدكتوراه على الرسـالة القيمة التى تقدمتم بها إليها بالرغم مما بها من هـذه البقع الـكبيرة ، وقد منحتكم تلك الإجازة مع مرتبة الشرف تقديساً لحرية الرأى ، فأى حرية تريدون بعد هذا ؟ أتريدون الشىء الذى يأتى فى الترتيب بعد الحرية ؟!

أخى الدكتور زكى ... أرجو ألا يغضبك هـذا الحق ... وأرجو أن يعجبك ما أكتب عن الرصافى ، لأنى أكتب لغرض أسمى أنت تعرفه .

دريني خشبة

القرآن فى الاذاعة العالمية

اقتراح على جديد

للأستاذ حامد مصطفى

فى هذا الميدان المظيم من دعاية صاخبة بين الأمم والجماعات، دعاية تثور وتصخب وتقوى وتشتد حتى تشمل العالم جميعه، وتأخذ بمجامع القلوب، وتفتن الألباب — فى هذا العالم المائج المضطرب بالفتنة والحروب. يقف الشرق الإسلامى هادئاً متثاقلاً كأنه حاشية من جرم المريخ لا وسط من هذه الأرض. هدوء غريب كأنه مركز الإعصار الفارغ من حوله الحركة والهياج والدوران. إن العالم اليوم يقف على منقطع من جادة الحياة، ولا بد لكل أمة أن تسير فتجتاز هذا المنقطع؛ وإن لم تفعل انبت بها الطريق وتعرضت للفناء. وفى هذه الفترة القصيرة من تاريخ البشرية لا تكاد تجد أمة لم تأخذ من الحياة الجديدة بنصيب، أو لم تنتفع من هذه الظروف القائمة الانتفاع الذى لم تحلم بمثله من قبل. والدعاية التى خلقتها عوامل الحرب الناشبة من أهم ما أفاد الأمم وأتاح لها التعريف بنفسها، والتقدم بما تملك من مواهب وثروة، وما تعانى من متاعب ومصاعب، وسوف لا تنتهى هذه الحرب حتى تهتدى كل أمة إلى مكانتها من العالم وقيمتها فى الوجود، وتجد أحسن الحلول لمشكلاتها فى السياسة والاجتماع والاقتصاد

إننا نريد من هذا الخلوص إلى موضوع جدير بالعناية والبحث، له من العناصر والظروف الحاضرة ما يوجب الالتفات إليه والاهتمام له. أعنى بذلك القرآن من حيث هو كتاب عالمى يكون أساساً للدعاية إلى مبادئ الإسلام، وعرضه على العالم عرضاً يوائم أساليب العصر الحديث. فالإسلام بوصفه ديناً عالمياً، له من قواعده وأخلاقه ما يجعله سهل الفهم والقبول بين الجماعات البشرية فى كل زمان ومكان. وذلك ما يسهل إعلانه والدعوة إليه. إن أحوال العصر الحاضرة تتطلب مجاراة العالم والدخول معه لا فى ميدان الحرب، ولكن فى ميدان السياسة والاجتماع. وإذ كان العالم اليوم يبحث عن أجدى الحلول لمعضلة الإنسانية الحاضرة. فإن الإسلام ليجد من نفسه الكفاية لعرض أنفس المبادئ التى يعتقد أن فيها ما يساعد على شرح الأزمات الإنسانية وعلاجها علاجاً يضمن لها السلامة والشفاء. ولقد جرب العالم نظريات شتى بعضها خاب وبعضها نجح نجاحاً ضعيفاً، ولكن الإسلام بقى نظرية اجتماعية ثابتة، عرفتها الإنسانية قروناً، وعمل بها البشر أحقاباً طوالاً حتى نبتت عقيدة وعملاً ومنهاجاً فى الحياة، وظهر صلاحها وموآتاتها لحاجات الناس فى معاشهم ومعادهم. وحرى بالعالم اليوم أن يتعرف بالإسلام، ينشد منه خططاً جديدة إلى جانب ما ينشد من خطط ونظريات. وحرى بالمسلمين أن يكونوا هم العاملين على تحقيق هذا القصد. وأن يسلكوا إليه هذه السبيل الممهدة التى عبدتها الحرب القائمة فجعلت منها ميداناً لكل غرض نبيل ورأى جليل. أعنى بذلك الأذاعة العالمية التى تتمتع منها العربية والمسلمون بحظ لا يقل شأناً عن حظوظ كثير من الأمم الأخرى

إن على المسلمين اليوم أن يتقدموا إلى الإنسانية بمبادئ الإسلام وعقيدته، وما فيه من قواعد اجتماعية تكفل سلامة الأمم وضمن حقوق وهناءة المعاش. فالعالم اليوم أحوج ما يكون إلى بسط نظرية الإسلام فى تنظيم الكون. وكل تقصير فى هذا يقع على عاتق المسلمين، ويعذر من نتائجه سائر الناس. وفى العالم اليوم من يتحرى الوسائل الشافية والعلاجات الناجعة من أى مصدر أتت، ومن أى الوسائل وردت، لا يتعصب لرأى دون رأى، ولا لنظرية دون أخرى. إذ ليس المقام مقام تبشير بدين وإنما هو تعريف لعلاج مجرب، وقواعد مطابقة تعرض كما يعرض سائر النظريات والآراء على ألسنة الخطباء، وأقلام الكتاب فى المؤتمرات وفى الصحافة وفى التأليف

والوسيلة الجامعة للتعريف بمبادئ الإسلام، القرآن نفسه، يعرض بأوسع اللغات الحاضرة، أسيرها ذكراً وأعلاها مقاما. ولا تنافس الإنكليزية فى هذا الميدان لغة ثانية. ولا نعنى بعرض القرآن باللغة الإنكليزية ترجمته بها الترجمة الحرفية، إذ أن هذه معضلة يظهر أنها لم تذلل بعد. وهى إلى جانب ذلك لا دخل لها فى بحثنا هذا. إننا نعنى أن يؤدى القرآن بمعناه أداء مطابقاً بحيث يفهم منه باللغة الأجنبية ما يفهم منه بنصه العربى. وذلك يقتضى اجتماع لجنة من علماء أكفاء ومترجمين مسلمين حاذقين. يجتمعون على معنى القرآن آية بعد آية، وكلما أتموا يسيراً منه فأقروه واتفقوا عليه وجه به إلى الأذاعات التى تذيع القرآن

ذكرى عيد (*)

للأستاذ منصور جاب الله

تجرّمت سنون وسنون عهدت فيها قومى إذا ما أظلهم العيد ، فزعوا إلى قبور تملأ الرحب ، ويتيه دون حصرها البصر ، فطووا هنالك الساعات الطوال يبكون آباءهم وآباء آبائهم ، فإذا جنّهم الليل نووا إلى دارهم ، وكأنما العيد فى أنفسهم أشجان وأوصاب وآلام .

وإذ أنا طفيل لا أميز درجت على محاكاة هذه العادة ، حتى أمسيت معيداً لها وتعلقت منى بالطبع ، فما دلف عيد إلا وجدتنى أهرع إلى المقابر أخط بين شعابها ، وما أحسب أن هذى الأجداث كان لها يومئذ وحى فى قلبى أو صدى فى نفسى

لقد كانت النفس كابية بليدة ، والطفل مادى بطبيعته لا يأخذه إلا ما تعلق بالحس ورمز إلى الفم ، وكان من لطف الله بى أن جعل طفولتى ماتمة بانمة ، وكفل لى فى ريّق الصبا الهناءة والمسرة ، ومن لطفه أن خلى لى والدىّ وإخوتى ، فلم أفجع فى أصل من أصولى ، ولم أرزأ فى فرد من حاشيتى إلا من توفى فى المهد ، وسمك ستار النسيان بينى وبينه ، وتراخى دون ذلك حبل الزمان

وإذ تتصل النفس بهذا ، ويمدّ لها فى أسباب المرح ، وأغدو فى صحبة من لداتى متهللين مفاريح ، لا يكون علىّ من حرج إذا زعمت أنى كنت أرى قبور السابقين من أهلى وعشيرتى بعين لا ترى فى الحياة إلا كل سار بهيج ، وأنها كانت منى بمنزلة الأرجوحة ومقام الألعوبة ، ألهو بألوانها وتزويقاتها كما ألهو بأحماض الحياة الأخرى

ولا أحسبنى بكيت مرة ولا اعتبرت ولا استعبرت إذ أطالع رقيم قبر تدلى صاحبه إليه منذ عهد قريب

لقد رأيتنى من الموت بمنجاة ، فما فكرت فيه ، ولا

(*) كتبت فى يوم عيد

اليوم من غير انتظار إلى الفراغ من المشروع كله . حتى إذا ما تم العمل كان سهلاً مألوفاً بما قرئ وسمع وتردد بين الناس ، وكان له انطباع عام فى أذهان العالم يساعد على بسط عناصره وشرح مجمله ، فتتولد بذلك النظرية التى يريد الإسلام عرضها على الناس . ومصر وحدها هى الجديرة بهذا العمل الجليل وإليها نتقدم به . من هذه الطريقة يتعرف العالم بالإسلام ، ويجد فيه من دون ما عنت ، ولا إرهاق الوجوه التى قد تعجبه فى علاج الأزمات . والعالم اليوم لا يجد حرجاً فى السماع لكل قول والتعرض لكل رأى ، يقرأ ذلك فى الكتب أو ينصت له فى الأذاعات أو يعرض على أنظاره فى المشاهد

إن العالم اليوم ليعرف القرآن من طريق الأذاعة ، ولكنه لا ينجذب إليه ولا يأبه به ، لأنه إنما يطرق الأسماع بنصه العربى . وليست العربية لغة شائعة ولا هى ضرورة من ضرورات الثقافة العالمية . وكل ما يراد من إذاعة القرآن اليوم إنما هو غرض دعاوىّ بحت يقصد منه التحبب إلى المسلمين واجتذابهم بالنغمة الناعمة الساحرة . والعالم الإسلامى لا يجتنى أية فائدة من هذه الطريقة التى يذاع بها القرآن ، كلا ولا العالم يستفيد شيئاً من القرآن بهذه الأذاعة . وإذا نحن استمررنا على الرضاء بهذه الحصة الفارغة من الأذاعة العالمية فستنتفى الحرب ، وتستغنى الأذاعات الأجنبية عن القرآن . وبذلك نضيع أمكن فرصة اغتنمتها البشرية لا جتناء أكبر الفوائد وأحسن النتائج ، ونضيع على العالم عروضاً قد يستفيد منها ما يؤدى إلى أفضل مما يصل إليه وهو على جهل بهذه العروض

إن فى الإسلام يقيناً لعلاجاً لأزمات الإنسانية الحائرة ، وإن فيه لأسساً قويمة فى الحياة ؛ فى الدولة والتشريع . وفى الاجتماع والمعاش ، وإن فيه لصلة روحية تسمو بالإنسان عن طغيان الشهوات والميول الفاسدة ، وتفترض بين الأفراد وحدة عالمية لا غنى عنها لبعض دون بعض ، وفى القرآن الشىء الكثير مما يهتدى إليه الباحث الجد . فلنتقدم بالإسلام بين هذه الفروض والأسس التى تقترح لإعادة بناء العالم ، والأذاعة العالمية زعيم بإبلاغ القرآن إلى كل قلب بعد أن شغفت به كل أذن . وإلى مصر نتوجه بهذا الرأى .

(بغداد) حامد مصطفى
مدرس بكلية الحقوق

استكنهته ، ولا عرفت شيئاً عن برزخ الموتى ، ولو أنى جوّاب فى مدينة الأموات !

بيد أن شيطانى لقد ذهب فى غلوائه بعيداً ، فحدثنى بالخلود حين أجول فى مدينة الأموات أرقب صخور مقابرهم تهشمها يد الزمان ، وتأتى على حجارتها وطلائها عاديات البلى ، فتهدها هداً وتمهدها أجداثاً لقوم آخرين

لكنما كان يتغشانى فى بعض الحين خشوع لا يستبان لى كنهه ولا يستبين أمره ، فأوقن فى نفسى بأنى لا محالة ميّت فمنتقل إلى غير هذه الدار ، وأنى ملاق حسابيه ، ولا يتداخلنى الشك فى ثواء الجنة !

ولعل مرجع هذا إلى العقيدة ، وإلى الأوالى من التلقينات الدينية ، وردُّ كل منزع فى نفس الإنسان إلى أصله ليس فى العلم بكثير

***

وأيفعت وطر شاربى ، وعرانى ما يعرو الشباب عادة من اجتراء العقل ومحاولته بسط نفوذه على سائر مشاعر الإنسان ما تعلق منها بالحس ، وما تعلق بالروح والمعنى ، فأقلعت عن زيارة المقابر فى يوم العيد ، وعدلت بهذا الدافع عن جهته وصرفته إلى ما حسبت أنه خير من مشاهدة قبور الموتى المكتئبة الباهتة ، ولم تكن فى ديدنى لتعدو صورة من صور الحياة تغاير ما يقع عليه الحس من ألوان الصور . غير أن الكآبة ران على قلبى فرأيتنى أنزع إلى الاعتكاف فى الدار طوال أيام العيد ، وكأنما كنت أستحس فى ذلك معنى العيد !

وطال عهد الهجر بينى وبين مدينة الأموات وأهلها الثاوين

***

ثم اكتاد لى الدهر مصطنعاً مع القدر مؤامرته ، فأوقع بى الضربة على غرة منى ، وتسلل الموت إلى أبى فى موهن الليل إذ الناس رقود كأنه خشى أن يختلسه منى على أعين من الناس !

عرفت إذ ذاك معنى الموت ، وفهمت أنه لحياة بداية ، وللحياة نهاية ، وأدركت أنه لابد مخترمى على وجه الأيام ، وإن وصلت بالعمر أحقاب وأجيال وأعوام ، وما اخضل عود إلا ليختضر ، وما طال عمر إلا ليقتصر !

كذلك قضى الله بقضائه الحق ، وخرجت يوم العيد أسعى أول ما أسعى إلى جدث والدى أترحم عليه وأقرؤه السلام ، وإذ أقف منه على مقربة إذا بالدمع ينبجس ويطفر ، وإذا بالصدر يشهق ويزفر ، وهذه الأحشاء تغلى وتفور ، وهذه الأرض ترتج بين يدى وتمور ، والفؤاد منى يتواثب ويصطرع ، والكبد تكاد تنشعب وتنصدع . ويا له من يوم عصيب !

ما أقسى العيد على القلب الوجيع !

يا لله لقد تغير المعنى الذى كنت أحس يوم كنت أرى المقابر إلى معنى آخر لا يتعلق به الوصف حين شهدت مقبرة أبى ! وفقهت مغزى غير ما عرفت من حكمة زيارة القبور ، إنها تمنى رسالة الموت إلى الحياة ، أو خطبة الأموات فى الأحياء ، واستمداد معنى الحياة من الفناء

وعظتنى يا أبت حياً وميتاً ، ولقد والله كنت فى موتك أبلغ مقالة من منطق الحياة والأحياء ، ومن يأس الموت بعثت فى قلبى حىّ الرجاء ، فهمت منك فى موتك ما كنت أسمعه منك فى حياتك ، واستوحيت من صمتك ما كنت أعرفه فى كلامك ، وفقهت من همودك ما ألهمتنى حركتك .

كنت فى الممات بليغاً مبيناً أن كاد ليقذف فى روعى أنى أسمع مقال خطيب ، أو قصيد شاعر طويل النفس قوى الجنان

وكنت أعيب على من يبنى القبور ، هذه النصب يقيمونها كالأوثان ، فترد الذهن إلى ما كان الأقدمون يسوّون لعبادة غير الله ، حتى إذا مات أبى رأيت غير ما كنت أرى بعين القلب والعاطفة ، لا بعين العقل والتفكير

أقاموا له بين الأجداث قبراً فكأنما هو تذكار لقلبى وأثر لوجدانى ، وإذا أنا أحس لهذا الحجر القائم حقيقة تقول إنه قائم فى قلبى تضمه أضالعى ، وكأنه موسيقى الوجدان ، أو سطر الحياة فى لوحة الزمان .

لقد صار لى بين المقابر بنية ، وفى أرض الأجداث سهم ، وثوى أبى إلى ربه راضياً ، فهو فى الأموات ميت ، ولكنه فى نفسى حى ترجى إليه تحيتى فى يوم العيد

« الرمل »

منصور جاب الله

هنريك إبسن (*)

الروائي النروجي

للأستاذ وديع فلسطين

يجد الباحث السيكولوجيّ في حياة هنريك إبسن أديب نروج الأول، مادة لا تنضب، ومعيناً لا يجف من الدراسات النفسية والانفعالات القوية التي قلما تتوفر في حياة رجل سواه. وُلد هنريك، أظهر شخصية في الأدب المسرحي الحديث، عام ١٨٢٨ في ميناء سكين Skien الصغير على الساحل الجنوبي لنروج، وهو ميناء وهبته الطبيعة جمالاً، أضفى على جباله زهواً وشموخاً دونه زهو جبال لبنان وشموخها

وفي كنف والده، التاجر الثري، قضى هنريك سني عمره الأولى متمتعاً بصيت أسرة من أعرق الأسر وأشرفها. ولكن الدهر قُلّبٌ، والحال لا تدوم، والنعمة ليست مقيمة. فما أن بلغ الثامنة من عمره حتى مُني أبوه بضياع ثروته كلها في عملية تجارية خاسرة، واضطرت الأسرة إلى الانزواء في مزرعة صغيرة على مشارف القرية. وازدادت أحوال الأسرة سوءاً على سوء، وتتابعت عليها الملمات من كل حدب وصوب، فلجأ إبسن إلى معاقرة الخمر يدفن همومه بين كؤوسها، ويندي محنه بين قرع أقداحها. وإزاء الفاقة القاتلة والحاجة الملحة، وإزاء هجرة الأصدقاء وتنكر الدهر، انكمش هنريك الصبي المرهف الحس إلى داره، وعشق الوحدة، وانطوى على ذاته يبثها همومه ويمعن في دراستها وفحصها. فأخذ يحاول تنمية الرسم والتصوير فيه. ولكن الفقر حال دون تقدمها. فهجر الرسم إلى دراسة الطب. وفي الخامسة عشرة من عمره عمل في صيدلية بمدينة جرمستاد. فكان يعاون صاحبها في مد سكان المدينة الناعسة بما يحتاجون إليه من مختلف الأدوية ومتنوّع العقاقير، وظل خمس سنوات في تلك المدينة يجرع الحياة بالكد والكدح والعناء، ويقضي أيامه تحت رحى الفقر الساحق والعوز المضني، فنمت فيه روح الثورة الفكرية، وترعرعت بين جنبيه روح الانقلاب على العُرف والرغبة في التحرر من قيوده

وكان إبسن خلال هذه السنوات الخمس يدرب نفسه على مراس أنواع الكتابة المختلفة، وخرج من ذلك عام ١٨٤٩ بمسرحيته الأولى « كاتالين » Cataline، وهي مسرحية شعرية ثورية طبعت بعدئذ على نفقة صديق له

ثم قصد « إبسن » ضاحية كريستيانيا بمدينة أسلو، للالتحاق بإحدى الجامعات، وهنالك تعرف بعدد من الشبان الأوغاد ومن بينهم « بجورنسن » Björnson الذي بادله صداقة بصداقة ولازمه إلى نهاية عمره، غير أن صداقتهما كانت تتعرض بين الحين والحين إلى الخصام الوقتي والجفاء القصير الأمد

وبما لصديقه أول بُل Ole Bull، لاعب الكمان الأشهر من نفوذ، عُيِّن هنريك إبسن عام ١٨٥٠ في المسرح الصغير بمدينة برجن، وكان يقوم بدور شاعر المسرح وراويته، ثم عمل في لجنة مطالعة المسرحيات، وفي لجنة كتابتها، ثم عمل مديراً للمسرح، فأصاب من كل هذا اختباراً مهد له سبيل الظهور، وإلماماً بدقائق المسرح وتفصيلاته مكنه من تصميم المناظر في روائع أدبه، كمهندس بارع ومفتن قل من يجاريه أو يدانيه ...

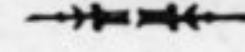
وفي عام ١٨٥٨، تزوج إبسن من الآنسة سوزانة تورسن Susannah Thoresen وهي فتاة من برجن ذات شخصية قوية وعقل راجح؛ فكرست حياتها لمساعدة زوجها على تحقيق أمانيه، وتوسيع مدى نشاطه. فكانت له نعم الزوج، ونعم الرفيق ...

وإذ كانت حرب دانماركة مع بروسيا مشتعلة الأوار عام ١٨٦٢ غادر هنريك إبسن نروج إلى روما مزوداً بإعانة حكومية قدرها أربعمائة من الجنيهات. وفي تلك الحاضرة الخالدة كعبة الأمبراطورية الرومانية الزائلة، ازدهرت في إبسن ملكة الشعر وتأصلت، وتغير أفق خياله متخذاً لوناً جديداً وأسلوباً جديداً. فكانت أول ثمرة نضجت له في هذا المهجر مسرحيته الشعرية Brand التي امتدحت حال ظهورها، واستقبلت من الجمهور بنهم عجيب. فأخذ إبسن يصعد درجات الشهرة الظافرة

(*) Henrik Ibsen

وجهة نظـــــر ...

للأستاذ محمود عزت عرفة



عندما استويت على مقعدي في مرسم المدرسة وعرفت المهمة التي كلفنا بها أستاذنا ، أدركت في لحظة أنى مغبون مغبون .

كان أمامي نموذج مجسم للفيل عليّ أن أرسمه كما يتراءى لى وأنا فى مجلسى دون ما تصرف ولا تغيير . ولم أكن أشهد لهذا النموذج خرطوماً ولا رأساً ولا قائمتين أماميتين ، دعك مما يتصل بكل هذا من صدر وعنق وأذن وعين وناب ... حتى جفرتا الفيل على انبعاجهما لم تكونا من عينىّ بمرأى .

وعجبت كيف يكون منظر فيلى بدون هذه الأشياء جميعاً . إنه لن يكون أكثر من خطين غليظين بينهما خط قصير دقيق . والتمعت إذ ذاك فى ذهنى صورة القصلة التى ينصبها الجزارون فى أسواق القرى . لقد كان كل ما ينقصنى هو تغيير الوضع لتحسين وجهة النظر ؛ ولا أعنى بهذا تغيير موضع الفيل ، إذ كان أقل عبث به كفيلا بأن يضع زملائى جميعاً فى صفوف المغبونين بعد أن فرغوا من خططهم ، وأوغلوا على الورق فى تخطيطاتهم .

وبدا لى أن أنتقل إلى موضع زميل غائب ، فوضح لى منه ما فيه الكفاية مما كان محتجباً عنى ، ثم بدأت أرسم .

تلك تجربة مرت بى فى عهد الطلب كما يمر أمثالها بالكثيرين ؛ والواقع أن وجهة النظر شيء له قيمته الكبرى فى الحياة ، وإن التأنى فى اختيار هذه الوجهة وانتقاء أحسن أوضاعها لخطوة أساسية ينبغى ألا نغفلها ، إذ عليها يتوقف ما نأتيه من الخطأ والصواب جميعاً

وكما يختلف الجسم باختلاف النظرة إليه جمالا وقبحاً ، وضوحاً وإبهاماً ، ضخامة وضؤولة ؛ كذلك يختلف الرأى باختلاف عمل العقل فيه . وهو يقاس فى مبلغ سلامته أو ضعفه ، وبلوغه أو عجزه ، واستقامته أو عوجه ، على مقدار معالجة التفكير لعناصره واستيعابه لجميع جزئيات صوره . وإن الخطأ فى التقدير الحسى لأمر من السهل إصلاحه بالرجوع إلى التجارب الحسية السابقة والنظر فى المكتنز من نتائجها ؛ فمعرفتى بأوضاع الفيل المختلفة هى التى هدتنى إلى موضع النقص عند أول نظرة ألقيتها إليه من وراء ، وبالتالى هدتنى إلى إصلاح هـذا النقص بتغيير الذى كنت أتخذه من نموذجه . أما الخطأ فى التقدير الذهنى فأمر يتعذر إصلاحه إلى حد كبير بالإضافة إلى سابقه ، لأن الفكرة الواحدة ليست إلا حلقة مفردة من سلسلة طويلة متصلة من

والنجاح الأكيد بخطوات حثيثة وقدم لا تلين ، إذ سرعان ما أخرج للعالم مسرحيته الشعرية الخيالية Peer Gynt التى تعد أجود ما كتب وأفضل قطعة أدبية أخرجها للوجود . وقد اقتبس إبسن مناظر هـذه الرواية من مسقط رأسه « سكين » فمرض جماله ونوّه بسحره . وجسّم هضابه ووديانه

وفي عام ١٨٦٨ ، كانت الحوادث تنذر بسوء ، وتهدد سلامة إيطاليا . فانتقل كاتب نروج الأول إلى مدينة درسدن التى جعلها مقراً وملاذاً لسنوات طوال ، شهدت مولد طائفة من الروايات الاجتماعية ، ورأت كيف يشيد إبسن مجده ويوطد مركزه الأدبى الذى انفرد به فى عصره

والفقر الذى كان يلازم هنريك ملازمة الظل ، ويطارده مطاردة الصائد للظبى ، خر أمام الشهرة صريعاً مقهوراً ، وأقلع عن تتبعه راجعاً عن تعقبه

وفى عام ١٨٩١ ، عاد كاتبنا إلى بلاده بعـد سبع وعشرين سنة من النفى الاختيارى ، واستقر فى كريستيانيا ما بقى له من العمر . وكانت أمواج الحياة قد سكنت ، ولججها قد عاودها السكون . فأخلد إبسن إلى شيخوخة هادئة مطمئنة ، وقل ظهوره فى المجتمعات إلا فى مناسبات تمثيل رواياته ، أو حفلات تكريمه ، ومات عام ١٩٠٦ وهو فى الثامنة والسبعين

ذلكم هو إبسن ، أديب نروج الممتاز . ولسوف تذكره الأجيال القادمة كشاعر ومفتن استطاع أن يخلق أشخاصاً أحياء ، وأن يكسو أفكاره المسرحية برداء من الجمال لا تبليه الأيام . لقد كان إبسن بحق البنّاء الرئيسى للدراما الحديثة .

وديع فلسطين
بجريدة الأهرام — القاهرة

الأفكار . وليس الخطأ الأخير فى تقدير أمر ما إلا نتيجة أخطاء متكررة سبقت ، أو هو شعبة حديثة من الغلط لأصل عميق غائر الجذور من أغلاط متعددة متباينة ، والحنظل لا ينبت إلا الحنظل ...

وإن مراجعة الفكرة الأخيرة لما يقتضى مراجعة الأسباب التى أنتجتها ؛ وهذه الأسباب ليست إلا خلاصة المبادىء والقوانين العقلية التى ارتضاها الإنسان لنفسه واعتنقها ، لا جملة واحدة ، ولكن مبدأ مبدأ ؛ وكل مبدأ منها كان الأساس لما تلاه والنتيجة المحتومة لما سبقه . أو هى – على الأقل – الخلاصة المصطفاة لوحدة تامة مستقلة من هذه المبادىء والقوانين ...

لذلك يبدو من المتعذر أن يصلح الإنسان خطأ نفسه بنفسه ، إلا أن يكون من غير المتعذر على ناسج الثوب أن يستل الخيط الذى أخطأ فى تقدير وضعه ، دون أن يخل بأوضاع ما جاوره من الخيوط أو يشوه من ترتيبها . وإنما يهوّن الأمر علينا كثيراً أن نستعين على إصلاح نتائجنا المغلوطة بوسائل غيرنا الصحيحة . ويكون ذلك بالرغبة الشديدة فى الاقتناع ، والتهيؤ التام لقبول وجهات النظر وإن اختلفت ، ثم التجرد الكامل لها بالفهم والإحاطة والتقدير والتمحيص ؛ حتى ينبثق خلالها نور الحق ، وتنفرج شوائب الريبة فيها عن محض اليقين ...

والمثل الجلى لاختلاف الحواس فى التقدير – تبعاً لقصور الفحص أو قلة التعمق فيه – تبسطه لنا هذه القصة التى ساقها الغزالي فى إحيائه عن جماعة من العميان ذهبوا ليتعرفوا كنه الفيل وقد أقدمه الملك إلى بلادهم . . . فلمسوه بأيديهم جميعاً فى مواضع من بدنه مختلفات ، ثم انصرفوا وقالوا قد عرفناه !

ولما استوضحهم إخوانهم حقيقته قال الأول ، وكان قد لمس رجله : الفيل كأسطوانة من أساطين المسجد ، خشنة الظاهر وفيها بعض اللين . . . وقال الثانى وكان قد عثر بنابه : لعمرى إن الفيل لم يبلغ قدر الأسطوانة وإنما هو كعمود صغير ، ثم إنه ناعم الملمس غير خشن ، وصلب لا لين فيه . وتكلم الثالث فقال : بل هو مثل جلد عريض غليظ خلا من شبه الأسطوانة ومن النعومة والصلابة جميعاً . فخالف زميليه فيما قالاه ؟ ولا غرو فقد كان يصف – وحده – أذن الفيل [١]

ولو تأملنا قليلا لوجدنا الجميع هنا صادقين فى وصف ماعرفوا ، ولكنهم مقصرون عن الإحاطة بالحقيقة مبلغ تقصيرهم فى وسائل التعرف إليها ؛ ولو أنهم عاودوا اللمس المستوعب لأعضاء الفيل ، لتسنى لهم إذاً أن يعرفوا أقصى ما تهيئه لهم وسائلهم المحدودة من اللمس ، وهكذا الشأن فى كل حاسة يستخدمها الإنسان فى التعرف إلى ما يحيط به من حقائق الأشياء ...

. . . ونعود إلى النظريات العقلية فنقول إن إصرار الإنسان على الخطأ فى فكرة ما ، ليس معناه العناد أو المكابرة دائماً ؛ وإنما قد يصدر ذلك – وهو الأكثر – عن إيمان بالرأى عميق وثقة بصحة التفكير ثابتة . ولا يُلام الإنسان على هذا الإصرار إلا بقدر ما يصده ذلك عن قبول النقاش أو يحول بينه وبين فحص آراء الغير بالعقل المجرد .

ومما يزيد المشكلة تعقيداً أن كل فكرة خاطئة لا تخلو من ناحية صواب – ولو ضئيلة – يستمسك بها صاحبها ؛ وهى التعليل الحق لهذا الإصرار الذى نشاهده منه ، ما دمنا على ثقة من عقله ومن خلقه جميعاً . وفى الواقع إن الخير المحض أو الشر المحض شيئان منعدمان فى هذا الوجود ؛ وكذلك الصواب والخطأ ... لا يخلو أحدهما من شائبة ولو يسيرة تلحقه من الآخر . ولقد يتفق أكثر الأدباء على أن المعرى كان من أزهد الناس فى الحياة ، وأعزفهم عن طلب الشهرة والتماس الجاه والنباهة فيها ، ثم يأتى من يخالفهم فى ذلك ويقول : بل الذى عندى أن الرجل كان من أكلف الناس بالجاه ، وأبعدهم همة فى طلب المجد والتماس نباهة الشأن ... أليس هو الشاعر الذى يقول :

---

(١) وردت هذه القصة بعبارة أطول فى قصيدة عنوانها (العميان الستة والفيل) للشاعر الانجليزى ج س ساكس J. 8. Saxe ويبدو لى أنها نغمة من الآداب الهندية القديمة سبقت العرب إلى اقتباسها سائر الأمم . وتجدها فى الربع الرابع من الاحياء (ربع المنجيات) كتاب التوبة ص٦

ذَرِ الدنيا إذا لم تحظَ منها وكن فيها كثيراً أو قليلا
وأصبحْ واحدَ الرجلين : إما مليكاً فى المعاشر أو أبيلا
ولو جرَت النباهةُ من طريق الـ خمولِ إلىَّ لاخترتُ الخمولا

فها هو ذا قد ترك دنيا الناس لأنه فقد الحظوة فيها ، ولكنه ملك دنيا أعظم من الجاه العريض والشهرة المدوية . . . دنيا لم يمتلكها من الناس إلا القليل . ولقد عجز عن أن يكون ملكاً نابه الذكر ، فكان أبيلا – أو راهباً – أنبه من سائر الملوك ذكراً ، وأخلد منهم على الأيام اسماً ...

إنه اتخذ من الخمول سبيلا إلى النباهة كما قال ، فأين وجه الزهادة فى كل هذا ؟

تلك حجج تتقارع ولكل منها سندُه من دليل وعمادُه من برهان ؛ ولكن التسليم بضرورة التفاهم وتبادل الإقناع والاقتناع أهم من كل هذا ، وأعظم جدوى فى تعرف الحقائق على اختلافها

ولنعرض هنا نموذجاً طريفاً نرى فيه كيف تلتبس الحقائق الواضحة على بعض العقول الحصيفة ، حتى يكشف النقاش عن جوهرها ؛ فلا يبقى ثمة إلا التسليم والاقتناع ، متى خلصت النية وكان الحق هو الهدف المقصود والغاية المبتغاة

قالوا[١] : حضر الوجيه النحوى بدار الكتب التى برباط المأمونية ، وخازنها يومئذ أبو المعالى أحمد بن هبة الله . فجرى حديث المعرى فذمه الخازن ، وقال : كان عندى فى الخزانة كتاب من تصانيفه فغسلته . فقال له الوجيه : وأى شىء كان هذا الكتاب ؟ قال : كان كتاب «نقض القرآن» فقال له : أخطأت فى غسله ! فعجب الجماعة منه وتغامزوا عليه ؛ واستشاط ابن هبة الله وقال له : مثلك ينهى عن مثل هذا ؟! قال : نعم ، لا يخلو أن يكون هذا الكتاب مثلَ القرآن أو خيراً منه أو دونه . فإن كان مثله أو خيرا منه – وحاشَ لله أن يكون ذلك – فلا يجب أن يفرط فى مثله . وإن كان دونه وذلك ما لا شك فيه ، فتركه معجزة للقرآن فلا يجب التفريط فيه . فاستحسن الجماعة قوله ، ووافقه ابن هبة الله على الحق وسكت

هذه وجهة نظر سديدة أبداها الوجيه ، وقد صحبها اعتراف بالحق أعظم منها سداداً ، وأجمل فى النفوس موقعاً . لكن أين من يراجع اليوم نفسه مثل هذه المراجعة ، ويقيس رأيه برأى غيره فى مثل هذه الدقة ؛ ثم يقتنع شاكراً إن أخطأ ، ويُقنع متلطفاً إن أصاب . وهو فى كل ذلك يأبى على نفسه اللجاج ، ويأنف لها من المكابرة ، ويتكره أن يكون كمن أنشد فيه الجاحظ قول الشاعر :

وأخلفُ من بول البعير فإنه إذا قيل للإقبال أقبلَ ، أدبرا !
خلافاً علينا من فَيالةِ رأيه كما قيل قبل اليوم : خالف فتُذكرا

(جرجا) محمود عزت عرفة

(١) معجم الأدباء ، فى ترجمة المبارك بن المبارك المعروف بالوجيه النحوي ، ج ١٢ ص ٦٥

العباس بن الأحنف

للأستاذ محمود المعروف

فى العصر الذى ماج بالعلماء ، وزخر بالفلاسفة والشعراء والكتاب ، حيث العلم فى أزهى أيامه ، وحيث (بغداد) قبلة الشرق ، فاتحة أبوابها ، يؤمها خلق كثير من مختلف بقاع الدنيا ، وظل الخلافة ممدود ، وتاج بنى العباس معقود على جبين « الرشيد » فى هذا العصر المشرق ؛ لمع نجم شاعرنا ، وتألق فى سماء الشعر ؛ فكان موضع إعجاب معاصريه ، وفى مقدمة الشعراء الذين أنجبهم ذلك العصر

قمت الفتن السياسية ، فهدأ جو السياسة والإدارة ، وولى الناس وجوههم شطر الملاهى ، وانغمسوا فى الترف والأنس . ففي (بغداد) الحانات والقيان ، وجميع أسباب الملذات والمغريات . ففى مثل هذه البيئة ، التى إن لم تكن فاسدة ، فإن فيها مجالاً لفساد الأخلاق ، عاش العباس بن الأحنف ، وقدمه (أبو الفرج) فى (أغانيه) شاعراً مطبوعاً له مذهب حسن ، وديباجة مشرقة ، ولشعره رونق ولمعانيه عذوبة ولطف ؛ وهذا الوصف قد يغلب على أكثر الشعراء ، فهو لم يزدنا علماً بهذا التعريف الذى عرّف به الكثيرين من الشعراء

عاش شاعرنا بين قوم يتنافسون فى المديح طمعاً بالمال والجاه ، ويضرمون نار الفتنة بين المدنانية والقحطانية بفخرهم وهجوهم . ولكنه لم يجاوز الغزل إلى ضرب آخر من ضروب الشعر ، وميزته تكاد أن تكون معدومة فى ذلك العصر . وإن الباحث ليعجب كيف لم يتأثر هذا الشاعر بما كان حوله من ملذات الحياة وزينتها . وكيف أنه لم ينتم إلى حزب سياسى ، أو يشايع أميراً ، أو يتملق إلى رجل خطير شأن معاصريه من الشعراء . وفى الحين الذى نرى فيه أن غيره (كأبى نؤاس) و (الخليع) و (صريع الغوانى) وغيرهم قد ألقوا بقلوبهم وعواطفهم فى نيران الشهوات والملذات ، وأسرفوا فى المدح والهجاء طمعاً بتأمين رغباتهم وسد احتياجهم . نرى (ابن الأحنف) ينصرف عن كل ذلك إلى الغزل النبيل فى حب فتاة واحدة لم يتقلب عليها قلبه ، ولم تلتفت عينه إلى واحدة غيرها ، فهو فى حبه كشعراء (بنى عذرة) من حيث الثبات على حب واحد

وقنع من العمر بقصيدة يودعها ما عنده من الآلام ، وأبيات من الشعر يشكو فيها ما يلقاه من مهد ، ويشرح فيها ما يدور فى خلده من خواطر يثيرها الحزن وتبعثها الأشواق

ردد فى جميع شعره اسم (فوز) وكنى أحياناً بـ (ظلوم) ويستدل من هذا أنه لم يتصنع الحب كعمر بن أبى ربيعة الذى يموج ديوانه بأسماء عشرات الملاح ، قد وزع عواطفه عليهن فاعترى أكثرها خمول وفتور . والثبات فى الحب أضمن لخلود الشاعر فى فراديس الوجدان من التنقل هنا وهناك ، فتفنى مشاعره ، وتذوب إحساساته ، فإن أبدع فإلى أجل معلوم

شغلت (فوز) شاعرنا فلم يندفع فى ذلك التيار الجارف الذى اندفع فيه أولئك الشعراء و (فوز) كانت أمنيته الوحيدة فى حياته ، وشغله الشاغل عن كل ما يحيط به من صور العبث والمجون ، فلنستمع إليه يقول :

يقولون لى واصل سواها لعلها ... تغار وإلا كان فى ذاك ما يسلى
ووالله ما فى القلب مثقال ذرة ... لأخرى سواها إن قلبى لفى شغل

إننا حين نقرأ شعر غيره من معاصريه لا نكاد نخرج من ضجيج سمّار إلا ونأتى إلى عزف وقيان ، وما نكاد نخرج من حان غص بروّاده إلا وجدنا أنفسنا فى لجب عصابة تطرق أبواب خمارة بعد هجمة من الليل ، وقد فرغت أوانيها من الخمر والشراب

ونقرأ شعره فنجد أنفسنا فى جو هادئ من الحب والظرف والجمال . فى جو يختلف عن ذلك الجو اختلافاً كبيراً ، وفى عالم كله لوعة صادقة وإحساس مرهف ، وفى دنيا مترامية الأطراف من الأمانى والأحلام . قلنا إنه انصرف عن جميع نواحى الشعر إلى ناحية الغزل ، وقلما نجد بين الشعراء فى مختلف العصور — والعصر العباسى خاصة — رجلاً مثله انصرف عن أمور دنياه بتصوير عواطفه بأبدع الألوان ، وتفصيل ما انطوت عليه نفسه الرفيعة فى شعر سلس بليغ يستهوى القلوب ، ويأخذ بمجامع الألباب ، وآثاره تكاد أن تنطق بأنه أحرز سبق المتقدمين والمتأخرين فى هذا المضمار . وقد شهد له بذلك أكثر

المؤرخين والمفكرين ، ومنهم الجاحظ . وقد قال : (لولا أن العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلاماً وخاطراً ما قدر أن يكثر فى مذهب واحد من الشعر لا يجاوزه ، لأنه لا يمدح ولا يتكسب ولا يتصرف ، وما نعلم شاعراً لزم فناً واحداً لزومه فأحسن وأجاد ...)

وقدمه (المبرد) فى كتاب (الروضة) على نظرائه ، وأطنب فى وصفه . ومما قاله : (كان العباس من الظرفاء ولم يكن من الخلعاء ، وكان غزلاً ولم يكن فاجراً ، وكان ظاهر النعمة شديد التظرف وذلك بيّن فى شعره ، وكان حلواً مقبولاً غزير الفكر واسع الكلام)

وها هو ذا يستأذن أحبابه بالزيارة فيقول :

أتأذنون لصبٍّ فى زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يضمر السوء إن طال الجلوس به

عفّ الضمير ولكن فاسق النظر

ويسترسل العباس فى ظرفه بعد أن يشيع حبه وشغفه بفوز ، وقد مرت به (سائلة) فقال :

ألم تر أن سائلة أتتنى فقالت وهى فى طلس بوالى

ألا صدّق علىّ بحق (فوز) فقلت لها خذى روحى ومالى

وتكتب إليه (فتاة) أن يصلها فيقول :

فقلت لها إليك هواك عنى فأنى عن هواك لذو انشغال

ومالى توبة إن خنت فوزا ولم تكن الخيانة من خصالى

إذا ذكر النساء بكل حال فهنّ لها الفدا فى كل حال

وكان بينه وبينها مواعيد ورسائل ولقاء ، وقد كانت تحدث بينهما بغضاء أحب إلى النفس من الصفاء ، وقد شرح كل ذلك فى شعره ، فديوانه مرآة ناصعة تنعكس عليها نفسيته الرفيعة ، وأحاسيسه المرهفة فيما يقع بينهما من حوادث ومغامرات ، فهو شاعر محزون فى حالتى الرضا والجفاء . فلنستمع إلى قوله :

أبكى إذا سخطت حتى إذا رضيت

بكيت عند الرضا خوفاً من الغضب

أتوب من سخطها خوفاً إذا سخطت

فإن سخطتُ تمادت ثم لم تتب

وهو الذى يقول :

ســأهجر إلفى وهجراننا إذا ما التقينا صدود الخدود

كلانا محبٌّ ولكننا ندافع عن حبنا بالصدود

وابن الأحنف كلف بتسجيل حوادثه فى شعره ، وإنى لأحسب ديوان شعره خير تاريخ له يستمد منه الباحث حياته التى كان يحياها ، فمن ذلك ما كان يعترض حبه من مقاومة أهله وأهل (فوز) وفى ذلك يقول :

إلى الله أشكو أن فوزا بخيلة تعذبنى بالوعد منها وبالمطل

وأنى أرى أهلى جميعاً وأهلها يسرُّهم لو بان حبلك من حبلى

فيارب لا تشمت بنا حاسداً لنا تراقبه من أهل فوز ولا أهلى

وأما حوادثه مع بعض النسوة اللاتى كنَّ يضايقنه وما لهنَّ غرض غير تعذيبه فكثيرة جداً وظريفة إلى حد بعيد ، وربما بلغ به الوجد فى بعض الأحايين أن يستعدى عليها أهلها ، وما عرفنا شاعراً صنع قبله ذلك ولا قال :

أيا أهل فوز ألا تسمعون ألا تنظرون إلى ما لقينا ؟ !

ألا تعجبون لفوز التى ؟ ! تميل وتصغى إلى الكاشحينا

قد عجب الناس من أمرنا وأنساهم قصص الأولينا

وصرنا حديثاً لمن بعدنا يحدث عنه القرون القرونا

وقوله هذا يذكرنى ببعض أبيات لشاعر شاب جنّ فى هواه فأسموه (مجنون بهية) أذكر منها :

شكتنى بالأمس إلى أمها ما أعظم الخطب وما أسهله !

يا أمها لا تسمعى قولها فحبها للقلب قد زلزله

كونى شفيعى فى الهوى عندها فأنت لى سيدة مفضله

ولعل هذا الشاب المسكين — وقد قرأت شعره كله — قد ارتبط بما ارتبط به شاعرنا من حوادث وآلام ، فإنى قد رأيت فى شعره صوراً من صور العباس بن الأحنف ، ولو كنت ممن يؤمنون بتناسخ الأرواح لم أشك فى أن روح ابن الأحنف قد حلت فى هذا الشاب المسكين . أقول هذا لأضرب مثلاً على أن الكثيرين من الذين صدقوا فى هواهم قد اتصلوا اتصالاً مباشراً بروح شاعرنا الظريفة

دون هذا الشاعر حوادثه فى شعره إلى جانب تصوير عواطفه

فأصبح ديوانه مجموعة فريدة من أخبار ظريفة محببة إلى النفس وعواطف صادقة لم تشبها شائبة من التكلف والصنعة ، فأى لوعة أصدق من هذه اللوعة ؟ !

أتذهب نفسى لم أنل منك نائلاً   ولم أتملَّ منك يوماً بموعد ؟ !
فإن جاءمني بعض ماتكرهينه   فمن خطأ والله لا عن تعمُّد

وقوله :

صرت كأنى ذبالة نصبت   تضىء للناس وهى تحترق

وأكثرَ فى شعره شكواه من تأخير كتب (فوز) والرد على رسائله ، وله فى ذلك مذهب لطيف يفيض رقة وجمالاً :

أيا من لا يجيب إذا كتبنا   ولا هو يبتدينا بالكتاب
أما فى حق حرمتنا لديكم   وحق إخائنا ردُّ الجواب ؟ !

وقوله فى قصيدة ثانية :

وكنت إذا كتبت إليك أشكو   ظلمت وقلت ليس له جواب !
فعشت أقوت نفسى بالأمانى   أقـول لـكل جامحة إياب
وأن الود ليس يكاد يبقى   إذا كثر التجنى والعتاب
خفضت لمن يلوذ بكم جناحى   وتلقونى كأنكم غضـاب

وللمؤرخين وسائر أئمة الأدب العربى القديم آراء حسنة فى هذا الشاعر المجيد ، فقد سئل (الأصمعى) عن أحسن ما يحفظ للمحدثين فقال . قول العباس بن الأحنف :

لو كنت عاتبة لسكنَّ روعتى   أملى رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم تكن لى حيلة   صد الملول خلاف صد العاتب

وكان (الواثق) يتمثل بقوله :

عدل من الله أبكانى وأضحكنا   فالحمد لله عدل كل ما صنعا

وقال (احمد بن ابراهيم) رأيت (سلمة بن عاصم) ومعه شعر العباس وقلت : مثلك — أعزك الله — يحمل هذا فقال ألا أحمل شعر الذى يقول :

أسأت إذ أحسنت ظنى بكم   والحزم سـوء الظن بالناس
يقلقنى الشـوق فآتيكم   والقلب مملوء من الياس

وقال (الواثق) ذات يوم لجلسائه : أريد أن أصنع شعراً معناه أن الإنسان كائن من كان لا يستطيع الاحتراس من عدوه فهل تعرفون ؟ فأنشدوه ضروباً من الشعر فقال : ما جئتم بشىء مثل قول العباس :

قلـبى إلى ما ضرنى داعى   يكثر أسقامى وأوجاعى
كيف احتراسى من عدوى إذا   كان عدوى بين أضـلاعى

وقال (ابن المعتز) : لو قيل لى ما أحسن شىء تعرفه لقلت قول العباس إذ يقول :

قد سحَّب الناس أذيال الظنون بنا   وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فـكاذب قد رمي بالحب غيركم   وصادق ليس يدرى أنه صدقا

وكان (الرشيد) يعجب بشعره ويستأنس لحديثه ، وصادف مرة أن خرج إلى (خراسان) فأمر بخروج العباس فى موكب الخلافة ، وطال مقامه فى خراسان وشخص منها إلى (أرمينيا) والعباس معه ، فهزه الشوق إلى « بغداد » وطن صبواته ، فاعترض أمير المؤمنين وأنشده :

قالوا خراسان أقصى مايراد بنا   ثم القفول فقد جئنا خراسانا
ما أقدر الله أن يدنى — على شحط —   سكان « دجلة » من سكان « جيحانا » ؟!
ليت الذى نتمنى عند خلوتنا   إذا خلا خلوة يوماً تمنانا ؟

فأذن له « الرشيد » بالرجوع

ومات العباس بن الأحنف ، وابراهيم الموصلى ، والكسائى فى يوم واحد . فرفع ذلك إلى الرشيد فأذن للمأمون أن يصلى عليهم بالناس فبدأ بالصلاة على العباس ولما انتهت مراسيم الدفن تقدم من المأمون أحد رجال حاشيته واستخبره عن سبب ذلك . فقال المأمون :

كيف لا أبدأ بالصلاة عليه وهو الذى يقول :

سمَّاك لى قوم وقالوا إنهـا   لهى التى تشقى بهـا وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم   إنى ليعجبنى المحب الجاحد

وكانت وفاته سنة (١٩٢هـ) وكان له من العمر (٦٠) سنة ودفن فى بغداد .

(بغداد) محمود المعروف

الشـــــوامخ ...

للدكتور محمد صبري

كان المرحوم شوقي يقول : « إن الذين لم يصلوا أعداء للذين وصلوا » . والأولون كثيرون في مصر وفي كل بلاد الله . في كل زمان ومكان ، وكان البحتري ينافسه عند الخلفاء طائفة من الشعراء المهرجين الذين كانوا يأخذون الجوائز رغماً من حقارة شعرهم ، وكان البحتري يضج من هذه الحال ويكثر التبرم والشكوى ، وهو القائل :

على نحت القوافي من مقاطعها ... وما على لهم أن تفهم البقر

وكان بعض النقاد الفرنسيين يزعم أن فكتور هيجو ليس شاعراً وأنه ينهق نهيق الحمار ، على أن هـذا وذاك لم يمنع العبقريات في كل جيل من الثبات والاستقرار كالطود الذي لا يعبأ بطنين الذباب وترهات الأغبياء والدجالين وأنصارهم وصنائعهم

على أن الذي يراقب الحالة من كثب في مصر منـذ ثلاثين عاماً يجد أن الحركة الأدبية قد دبت إليها في العهد الأخير عين الفوضى التي اجتاحت الميدان السياسي فأصبح كثيرون من أنصاف المتعلمين والمتأدبين يشرفون على الصحف ويزنون الكتاب وكتاباتهم بموازينهم ، ويفسحون صـدورهم للتهريج ومحاربة الأدب العالي الذي يجهلونه . والذي زاد في طغيان تلك الفئة إقبال الجمهور على ما يكتبون . وسواد الجماهير في كل أمة ميال إلى هذا النوع من الأدب الرخيص

فيجب على أدبائنا أن يعالجوا هذه الحال التي أصبحت كالسيل تجرف الحدود وتقلب المقاييس والأوضاع ، وهذا الواجب يقع أولا على عاتق مجلاتنا الكبرى ، فمن نكد الدنيا أن تجاري بعض هذه المجلات التيار العام فتفقد اتزانها وتزور عن أهدافها

أقول ذلك بمناسبة مقال نشرته مجلة « الثقافة » لدكتور تخرج حديثاً في كلية الآداب وأراد أن يظهر ذكاءه الخارق وأدبه في مقال عن « الشوامخ » . فكان كناطح صخرة ، وإني لا يضيرني أن يكتب هذا وذاك فالقافلة تسير ، وليس من العسير على أي إنسان أن يتهكم ويقول إن الكتاب الفلاني لا يساوي شيئاً ، ولكن العسير أن يرزقكم الله قدرة على الفهم ولا ذنب لي إذا لم تفهموا

وإذا كان جل فحول القدماء لم يفهموا امرأ القيس ، وقد سجلنا آراءهم تسجيلا كما سجلنا آراء بعض كتاب العصر ، فهل ينتظر من ذلك النفر أن يفهموا ما يكتب عن امرئ القيس، ذلك الغواص المنقب في حدود الطبيعة عن أبدع الصور والمعاني خير لأولئك أن يثبتوا أولا أن لهم ذوقا أدبياً أو إدراكا أدبياً قبل أن يتعرضوا لنقد الكتب التي لم تكتب لأمثالهم فلسنا من تجار الأدب الرخيص ، ورحم الله الزمن الذي كان يقف فيه كل عند حده ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه

وإني لأسمح لنفسي وأستسمح «الرسالة» في نشر قطعة من كتابي ليقرأها من لم يقرأ الشوامخ ، ويحكموا عن بينة :

« وليس لأحد من المتقدمين والمتأخرين تحليقاته في أفق الطبيعة الواسع ، وتلك النظرات المترامية بين حباب الماء وكواكب الظلماء . وله في لمعان البرق واختلاجه في السماء آيات لا هي من الوصف الحسي ، ولا هي من الوصف الخيالي ، وإنما هي تصوير فقط ، هي وحي شاعر ملهم عاش وجرب وتأمل في الوجوه فرأى بواسع فطنته وقوة ملاحظته ذلك السبب الدقيق الذي يصـل بين اختلاجات النفس البشرية في أبعد أغوارها ، وبين كل حركة وسكنة ترتسم على وجوه الرجال وأيديهم ... ثم أنشأ بين هذه الاختلاجات واختلاجات الطبيعة خيطاً من الخيال وصل بينهما وجعل منهما وحدة كبرى ، قال :

أصاح ترى برقاً أريك وميضه ... كلمع اليدين في حبي مكلل

وقال :

أعني على براق أراه وميض ... يضيء حبياً في شماريخ بيض
ويهدأ تارات سـناه وتارة ... ينوء كتعتاب الكسير المهيض
وتخرج منه لامعات كأنها ... أكف تلقى الفوز عند المفيض

يا قارئ الكف!

للدكتور عزيز فهمي

يا قارئ الكف ماذا أضمر القدرُ ؟
ولا عليك إذا لم يَصْدُقِ الخبرُ
وما اهتمامك باسمي ؟ هَبْه عنترةً
وهبه زيداً ... وَجَدّي عَمرو أو عُمَرُ
عليك بالكف فاقرأ بين أسْطُرِها
ماذا يَدُلُّ عليه الخطُّ والأثرُ
أطالعُ اليمن أن الخطَّ مُتَّصِلٌ
وآيةُ النَّحس أن الحدَّ مُنْبَتِرُ
وما الشِّيات(١) على جَنْبَيْ ثمانيةٍ
تبدو كَوَشْمٍ وتخفى حولها غُرَرُ ؟
خبِّرْ عن الفألِ لا تَحْفَلْ فسانحةٌ
عندي كبارحةٍ والشر يُنْتَظَرُ

(١) جمع شية ، علامة

هل أنسأ اللهُ في عمري إلى أجلٍ
يُلِحُّ فيــه على الهمِّ والكِبَرُ ؟
وهل أُبلِّغُ آمالي ؟ وأبعــدُها
عنــدي كأقربها ناءٍ ومُختصَرُ
هبني ظفــرت بآمالي على ظمأٍ
إذا ارتوَيْتُ فماذا يعقب الظفرُ ؟
وهل أُوسَّدُ حَزْناً(١) حَرَّةٍ(٢) وحصىً
في جَوْفِ هاويَةٍ أغوارُها حجرُ
أم هَوْجَلاً(٣) قَذَفاً(٤) تنبو براكبها
لا البيدُ عَبْدَها يوماً ولا الحَضَرُ
قفراء جــرداء لم تكلأ حشائشها
إلا السوافي ولم يعلق بهــا مطرُ
أم تُقدَحُ النارُ من حولي فتَطعَمُني
حَيًّا وأشوى بها أيَّانَ تستعِرُ
أم أنَّ في مَسْبَحِ الحيتان مُنْقَلَبي
يومَ الرحيلِ إذا ناداني السفرُ ؟
قل ما بدا لكَ واهرِفْ غيرَ مُبْتَدِعٍ
فالرجمُ بالغيب - لو تدري - هو الهذَرُ
اللَّحْدُ كاللَّحْدِ والأكفانُ واحدةٌ
ولا خيارَ لميْتٍ حين يَدَّثِرُ
والمالُ كالعُدْم لولا أنه أمَلٌ إنَّ الغنيَّ إلى الأموال مُفتَقِرُ
والسَّعْدُ حالٌ على الإنسان طارئةٌ
(وعند صفو الليالي يحدث الكدر)
لولا التشابهُ في الأقدار ما صَدَقَتْ
عَرَّافةُ الحَيِّ ، من تُوقَى لها النذرُ

عزيز فهمي

(١) الحزن ما غلظ من الأرض كالحزنة
(٢) الحرة الأرض ذات الحجارة
(٣) الهجل المطمئن من الأرض والهوجل المفازة البعيدة لا علم بها
(٤) فلاة قذف محركة بالفتح وبضمتين كصبور بعيدة

لمح الشاعر بحسه المرهف في وميض البرق وتبوُّجه لمعان أكف المقامر الفائز أو الذي يتناول الظافر بين المقامرين . فوفق بين الحقيقة والخيال ، وأبدع إنما إبداع في جمعه بين الكون والإنسانية التي تعيش تحت سقفه ، الإنسانية التي تلهو وتجد ، وتضحك وتبكي ، وتقامر وتغامر . . . فإذا انصات الأرض بالسماء : الأولى بحركات أيدي لاعبيها ، والثانية بلوامع بروقها ، وظهرت تلك الصلة الدقيقة بينهما في شعر ، كان ذلك الشعر ترجمان الحياة ، لأنه يلقى من أعلى عليين شماعاً على أغوارها » .

هذا مثل من الكتابة « الهينة » التي كتبناها ، وقد أراد هذا الكاتب أن يتظرف فقال إننا قرأنا « بعض » شعر امرئ القيس ، فإذا كانت كتابته ثمرة من تعليم الجامعة وأساتذتها . فقل على الدنيا السلام ...

محمد صبري



أين المدفع ؟ ! ...

للقصصي التركي خالد ضيا

كانت المدافع والبنادق تنطلق وتقذفهم باللهب من كل جهة بين دوى متواصل . وانطلقت من بين الجبال التى قبالتهم قذيفة وطارت فى الفضاء تخترقه بسرعة البرق ، ثم هوت على الأرض فكان لسقوطها القوى السريع دوى شديد هز الآفاق هزاً عنيفاً . ثم قذيفة أخرى فثالثة فرابعة ... قذائف لا حصر لها ولا آخر تمر من فوق الرؤوس وتتساقط حولهم . تلك السلسلة التى لا تنقطع من نذر الموت والهلاك

لم يكن هؤلاء إلا فصيلة من الجند معها مدفع واحد تصعد به فى سفح جبل شاهق شديد الانحدار ، مخيف المنظر . كانت هذه الفصيلة تقتفى أثر ضباطها وسط ركام متراكب من الضباب ، مسترشدة ببريق ظبات السيوف فى أيدى الضباط السائرين فى المقدمة

كانوا يتسلقون الجبل القائم أمامهم ، بكل ما وسعهم من جهد وبلاء . مستعينين على ذلك بأيديهم وأظفارهم بل وأسنانهم — إذا لم تكفهم فى التسلق أرجلهم . كانوا — وهم يصعدون فى الجبل صخرة صخرة — يؤملون فى فتح الطريق إلى الظفر ، إلى النصر المبين . استجمعوا كل قواهم ، وشدوا الحبال على أعضادهم ، وكونوا من أجسامهم المتراصة المتماسكة كتلة واحدة وتقدموا إلى الأمام صاعدين فى سفح الجبل القائم أمامهم كأنه سد محكم البناء

كان عثمان فى المقدمة . فتلفت حواليه . ورأى هذا المنظر العجيب ، ثم شخص ببصره إلى قمة الجبل الذى كانوا لا يزالون يتسلقونه ... آه . لو وصلنا إلى هذه القمة ! ... لو استطعنا وضع هذا المدفع هنالك ! ...

كان هذا المدفع هو كل شىء لهؤلاء الجنود . كان الأمل الذى تحيا عليه نفوسهم ، والجنة التى تحفظ أرواحهم . صرخ عثمان فى رجاله : « أسرعوا ! ... » صوتت الحبال على أعضاد الجند ، وخطا المدفع خطوة خفيفة إلى الأمام ، كأنه العروس ليلة زفافها تمشى الهوينا من الخفر والحياء

كان عثمان فى المقدمة . يتبع كل خطوة يخطوها إلى الأمام بصيحة من أعماق قلبه قائلاً : « أسرعوا ! ... » . والآن كانوا يصعدون إلى قمة الجبل وهم يجرون المدفع ، منبطحين على الأرض ، ملتصقين بالحجارة ، يحفرون التراب بأيديهم وأظافرهم ، يزحفون تارة ويقعون أخرى ، يتأرجحون فى الهواء . قد تقطعت ملابسهم ، وتشققت أيديهم ، وتقرحت أعضادهم ، وتحطمت أظافرهم . ولكنهم سائرون إلى الأمام دائماً ، لو استطاعوا أن يخطوا عدة خطوات أخرى إلى الأمام لبلغوا قمة الجبل ، ولوضعوا المدفع هنالك ، وربما كان هذا المدفع إذاك قائد هذه الفرقة الصغيرة من الجند إلى الفوز والظفر !

كان عثمان فى المقدمة ، وكان يستطيع الآن أن يشرف على المناظر التى أمامه تماماً من مكانه المرتفع . هذه الجبال التى قبالته ، وجميع تلك الحصون والمعاقل التى للأعداء . كانت هذه الحصون الصخرية التى تقذفه بالنار واللهب ترى قريبة منه جداً ، وكان يخيل لعثمان أنه لو مد يديه لاستطاع أن يقبض على هذه الحصون وتلك المعاقل بيديه القويتين ويضمها إلى صدره القوى المتين ، فيسحقها سحقاً ويذروها فى الهواء . كان العدو قد بصر بهم وجعلهم هدفه ، وصوب نحوهم أفواه مدافعه وأخذ يمطرهم وابلاً من الصواعق والنيران ، ليقضى القضاء الأخير على هذه الشرذمة من الجند الباسل . نظر عثمان إلى أصحابه وتأمل منظرهم فرأى منظراً عجباً . رآهم وقد رفعوا رؤوسهم جميعاً إليه كأنهم يحيونه التحية العسكرية . كانت عيونهم متجهة إلى السماء شاخصة كأنها تقول : « إلى الأمام ! » . ومرة أخرى قال : « اسرعوا ! » ، وخطا المدفع خطوة أخرى . آه . لو خطوا عدة خطوات أخرى مثل هذه الخطوة . لبلغوا قمة الجبل ...

وعلى حين غرة سقطت بينهم إلى جانب المدفع قطعة كبيرة

من السحاب ، وبعد لحظة انفجرت هذه السحابة وخرج منها بريق خاطف للأبصار ، ومضت فترة لم يستطع عثمان أن يتبين شيئاً مما حوله ، ثم رأى خلال الظلام المخيم عدداً من الجند الساقطين على الأرض . فى هذه اللحظة أدرك الحقيقة المرة . وعلم أن العدو - بعد أن نجح فى إصابتهم ومعرفة موقعهم - لا يلبث أن يدك هذا الموقع دكاً

كان الموقف حرجاً والوقت ضيقاً لا يسمح بإضاعة دقيقة واحدة ؛ فصرخ فى أصحابه - وهو يلقى على إخوانه المجدلين على الأرض نظرة كلها حزن وألم ورثاء - قائلاً : « اسرعوا ! »

انبطحوا على الأرض وجروا المدفع . ولكن يد عثمان استرخت وشعر فوق عضده بشىء بارد . فالتفت بسرعة وحل الحبل عن عضده المجروح وتمنطق به ، ثم صرخ فى أصحابه يشجعهم ويستحثهم وبذلوا كل ما كان فى طاقتهم أن يبذلوه . وتعلقوا بالأرض وتشبثوا بها . إلا أن عثمان فى هـذه المرة سقط على الأرض وصك أذنيه صوت يقول : « انقطع الحبل ! ... »

فهب واقفاً . ورأى وهو لا يصدق عينيه المدفع يتحدرج على سفح الجبل بعد أن أفلت من الحبال التى كانت تمسكه

كان ذهاب هذا المدفع من أيديهم معناه انقضاء كل شيء بالنسبة إليهم ونذير القضاء عليهم قضاء أخيراً

فى هـذه اللحظة الحرجة ألقى عثمان نفسه على المدفع الذى كان يتدحرج على الصخور وينحدر إلى أسفل الوادى . وتعلق به ولكنه لم يستطع أن يصده ويحول بينه وبين الانحدار فقد كان المدفع ثقيلاً ، وكان ثقل المدفع يدفع بجسمه الضعيف أمامه ويجره إلى الوادى العميق المخيف الذى تحته جراً عنيفاً قوياً . فهو تارة فوق المدفع ، وتارة تحته ، وفى الحالتين ينحدر إلى أسفل الوادى مضطرباً بين الصخور . يجره المدفع إلى حيث الهلاك والدمار . كان عثمان فاقد الوعى ، لا يرى شيئاً ، ولا يعرف شيئاً . إلا أنه وهو ينحدر إلى أسفل الوادى بشكل قوى لا مجال لمقاومته - كان يفكر فى شىء واحد : ألا يترك المدفع يفلت من بين يديه ... كان شاخص البصر يحدق تارة فى هذه الغيوم التى تكونت من دخان البارود وتلبدت حتى حجبت وجه السماء عن العيون . وتارة أخرى فى منظر هـذا الوادى العميق المخيف المحفوف بالأهوال . ومرت فترة وهو كذلك ، ثم لم ير شيئاً ولم يسمع شيئاً . فقد سكت كل شىء وامحى من لوح تفكيره . فلم يعد يشعر بتلك الجبال المشتعلة ناراً ولا بفرق العدو التى كانت تمطره وأصحابه وابلاً من الرصاص . لا شىء . لم يكن يشعر بشىء مما حوله أبداً

أراد أن يتحرك . أراد أن ينفض عن جسمه ونفسه ما استولى عليهما من الاضمحلال والانحلال . أراد أن يمزق هذا الكابوس الجاثم فوق صدره ليتخلص من هذا الضيق . ولكنه لم يستطع الحركة . كان يحس بضيق أنفاسه . ويشعر بأن غمامة سوداء قاتمة تخنقه وتحبس أنفاسه فى صـدره . أراد يصرخ فلم يتمكن أيضاً

شعر بالوحدة والعدم يستوليان عليه ، وأحس كأن نفسه تذوب بين جنبيه . وتفنى وسط هذا العدم اللانهائى الشامل .

* * *

ولما أدركه أصحابه وجدوه فى شعب ضيق من شعاب الوادى محصوراً بين صخرتين قابضاً بكلتا يديه على شىء أمامه . فحاولوا فتح يديه . ولكنهما لم تنفتحا

وأخيراً استطاع أن يفتح عينيه ، فنادوه : « عثمان إنك جريح » فأراد بصره فى أصحابه . وكأنه لا يفهم شيئاً مما حوله ، ثم نطق - وهو شاخص البصر إلى قمة ذلك الجبل الذى حاول تسلقه فقال : « أين المدفع ؟ »

لم يملك أصحابه حينئذ أنفسهم فتحدرت من عيونهم قطرات الدمع السخينة

إن المدفع كان بين يدى عثمان ، وكان لا يزال يقبض عليه بكلتا يديه !

ترجمة

برهان الدين الداغستانى

12 me Année No. 587 — Lundi - 2 - 10 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة الثانية عشرة — « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ شوال سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢ أكتوبر سنة ١٩٤٤ » — العـــدد ٥٨٧

الفهـــرس

صفحة

٨٨١ نقد عسكرى . . ... . : الأستاذ عباس محمود العقاد ...

٨٨ الحروف اللاتينيـة لـكتابة العربية .. .. } الدكتور عبـد الوهاب عزام

٨٨٧ ثقافة الشاعر وأثرها فى شعره : الأستاذ دريني خشبة . . ...

٨٨٩ فى عالم القصة .. .. : الأستاذ سيد قطب .. ...

٨٩٣ اللغة القانونية فى الأقطار العربية : الأستـاذ عدنان الخطيب ..

٨٩٦ المعدة : كغدة من الغـدد ذات الأفراغ الداخلى ... } الدكتور حيدر السمان . ...

٨٩٧ (١) مصرع الجمال [قصيدة] (٢) الأرض لدنـة » } الأستاذ على الجندى .. ..

٨٩٨ تعقيب ورد ... . . . : الأستاذ عبد المنعم خلاف . .

٨٩٩ رأى الأب مرمرجى فى وحدة الوجود .. .. } ... .

٩٠٠ بين الفلسفة والدين .. ... : الدكتور زكى مبارك . .

٩٠٠ كتب جديدة للدكتور محمد مندور .. .. } الأديب حسين محمود البشبيشى

نقـــــد عسكرى

للأستاذ عباس محمود العقاد

نظر الكاتب العسكرى الفاضل الملازم الأول سيد افندى فرج نظرة مجملة فى كتابنا « عبقرية خالد » الذى هو أقرب الكتب فى « العبقريات » إلى موضوع الكتابة العسكرية ، فأثنى عليه وتناول بالملاحظة والنقد مواضع منه متفرقة يرجع معظمها إلى حواشى الموضوع دون صميمه

والثناء يخصنا فلا محل له من التعقيب بيننا وبين قراء الكتاب أو قراء الرسالة . أما الذى نعقب عليه هنا فهو مواضع النقد والملاحظة التى تحتاج إلى جلاء وتفرقة بين وجهة النظر ووجهة النظر فى رأى الجندى الأديب

قال حضرته : « يرى الأستاذ العقاد أن الخليفة الصديق كان يضع الخطط التى ينفذها خالد ... ولكن النصح شىء ووضع الخطط شىء آخر ، والمثال قريب . فإننا نرى فى الحرب الحاضرة أن الرئيسين روزفلت وتشرشل — وأيضاً فوهرر ألمانيا — يرسمون الخطط العامة ، أى يحددون الأهداف ويرسمون مع قادتهم ما يحتاجه الموقف من حشود وممدات ، ثم يبدأ دور القائد العام فينظم قواته ويوزع واجباتها ثم يقوم بتحريكها إلى الساحات المعينة ... وهى أمور لا يعرفها الرؤساء المدنيون الذين

لا تتيح لهم ظروفهم دراسة الميدان وأوضاع العدو وفهم ضرورات الموقف الحربي العام »

والذي يبدو لنا أن الناقد الفاضل قد نسى الشيء الجدير بالذكر في هذا المقام ، وهو أن الفرق بين أبي بكر الصديق وخالد ابن الوليد ليس كالفرق بين روزفلت وتشرشل وبين إيزنهاور ومنتغمري وويفل وسائر القواد

فخالد بن الوليد لم ينشأ في مدرسة عسكرية غير المدرسة التي نشأ فيها الصديق وسائر الخلفاء عليهم رضوان الله . وما يفهمه الخليفة من مواقع القتال العربية شبيه بما يفهمه القائد الحاضر في الميدان . فهلا غرابة في سبق الخليفة ببعض الخطط على حسب المعلومات التي اجتمعت لديه ، وإن كان هذا لا ينفي أن الشاهد يعلم ما ليس يعلمه الغائب ، وأن القائد في تنفيذه يضطلع بالمهمة العملية وينفرد بهـا دون الخليفة صاحب الخطة أو صاحب النصيحة ، وهذا الذي رجحناه حين قلنا : « إن خالداً قد تولى التنفيذ في ترتيب أعماله وتولاه أيضاً في أوائل خططه ، ولـكنه قد وكل إلى نفسه في الأمور التي يعلمها الشاهد ولا يعلمها الغائب ، ومنها موعد المسير وطريقة الهجوم واللقاء »

وإنما حدث هذا في بعض حروب الردة ولم يحدث في حروب خالد جميعها ، لأن الخليفة لم يتجاوز النصيحة العامة في حروب العراق والشام

وقال الناقد الأديب : « ذكر الأستاذ العقاد أن تشكيلات جنود العرب للقتال إنمـا كانت تنظم على النحو الذي تتطلبه أسلحة الخصوم ، فقال إنها كانت تحارب مرة بالصفوف ومرة بالـكراديس ، وهو قول حق ، غير أن هناك عوامل أخرى تملى على القوات نوع التشكيل كحالة الأرض والنسبة العددية وأوضاع العدو وخططه ، ولنضرب مثلاً بحالة الأرض وتأثيرها في التشكيلات ، فالأرض المـكشوفة التي تتيح الرؤية بسهولة تحتاج إلى تشكيلات مفتوحة أي متباعدة توفيراً للخسائر . أما الأرض الجبلية وذات المسالك المحددة فتناسبها التجمعات ... »

ونحن نقول : إن تعدد أسباب التشكيلات لا دخل له فيما نحن فيه ، وإنما الذي يعنينا هو الذي حدث في الحروب التي أشرنا إليها بين العرب وخصومهم من الفرس والرومان

فالعرب لم يتخذوا نظام الـكراديس لاختلاف مواقع الأرض لأنهم حاربوا بالـكراديس في وقعة ذي قار وهي بطحاء ، وحاربوا بالـكراديس في اليمامة وهي جبلية ، وحاربوا بالـكراديس في اليرموك وهي بين الجبلية والبطحاء ، وإنمـا كانت علة اختيار هذا التشكيل هي ما ذكرناه في الـكتاب مستنداً إلى الواقع دون سواه ...

وقال الناقد الأديب : « ليس في الـكتاب تصوير للوقائع الحربية ، أعني تنقصه المعلومات الخاصة بقوات الفريقين المتحاربين في كل وقعة ، وأسلحتها وأوضاعها والظروف المختلفة التي كانت تتحكم في سير القتال ، حتى كانت عبقرية خالد الحربية تظهر بأسبابها وتفاصيلها ، ولا شك في أن الصعوبات التي نعرفها عن مصادر البحث ، وأن الـكتاب لا يختص بالناحية الحربية وحدها هي التي حرمتنا تلك الدراسة النافعة »

والعجيب أن هذه الملاحظة كلها تخالف الواقع من الألف إلى الياء . فقد عنينا بإحصاء عدد الجيوش في حروب خالد من مصادر شتى ، وأثبتنا التفاوت البعيد بين الروايات المختلفة ، ومن ذلك قولنا عن حرب اليمامة « ولا يعلم على التحقيق عدد الجيش الذي معه في عقربان ، ولـكنه على التقريب يجاوز الثمانية الآلاف ولا يقل عنها ، لأن جيشه بالبزاخة نحو خمسة آلاف ، يضاف إليها جيش شرحبيل بن حسنة الذي سبقه ولبث في انتظاره ، ولا يقل عن ألفين ، ويضاف إليهم الردء الذي أرسـله الصديق وراءهم بقيادة سليط بن عمرو ليحمى ساقتهم ، وغير هؤلاء من تطوع للحرب مع المسلمين من بني تميم وبني حنيفة ، فهم في جملتهم يجاوزون الثمانية الآلاف ولا ينقصون عنها إن نقصوا إلا بقليل »

فنحن لم نكتف بالإحصاء المنصوص عليه بل أضفنا إليه الإحصاء الذي يجمع بالمقابلة والاستقصاء ، ثم قلنا : « ... وبلغ عدد القتلى جميعاً في ذلك اليوم بين ساحة القتال وحديقة الموت عشرات الألوف : أقلهم في تقدير المقدرين عشرة آلاف من بني حنيفة وسـتمائة من المسلمين ، وأكثرهم في تقدير المقدرين يرتفعون إلى سبعين ألفاً أو ثمانين ألفاً حنفيين وألفين مسلمين ، وهو رقم لا يدل على نبأ صحيح ، ولـكنه يدل على هول صحيح

سرى فى الآفاق من أنباء تلك المعركة

ولقد كنا نضيق ذرعاً بهذا التفاوت البعيد فى الروايات وفى وصف الحركات فنتركه جانباً عند الحكم الفصل فى الأمور ولا نجعل هذا الحكم الفصل معلقاً عليه ، وقررنا ذلك فقلنا : « إذا كان كل شىء فى المعركة يتوقف أحياناً على كذا وكذا من الخطوات فى السبق إلى حومة القتال ، وكذا أو كذا من الأشياء فى طول الرماح ، وكذا أو كذا من التفاوت فى سرعة القذيفة هنا أو هناك ، وكذا أو كذا من الحركات إلى اليمين أو إلى الشمال وإلى الأمام أو إلى الوراء ؛ فتفصيل أسباب النصر فى المعارك القديمة على التخصيص ضرب من المستحيل ، لأن إثبات الفوارق بين المعسكرين فى الأسلحة والمواعيد والعدد والحركة غير ميسور ، وأقصى ما نطمع فيه أن نقنع بالإجمال دون التفصيل »

فنحن قد أثبتنا من التقدير والوصف ما هو صالح للإثبات ، وتعمدنا اجتناب التقديرات المتفاوتة والأوصاف المتناقضة لأنها لا تصلح للتعويل عليها ولا يحسن بالمؤرخ أن يرجع إليها بغير الإشارة والترجيح كما قلنا « بالإجمال دون التفصيل »

***

وقال الناقد الأديب : « لاحظت أن فى الكتاب ميلاً إلى اتهام خالد بالقسوة ... وليس يغرب عن البال أن صفات الشدة والصلابة هى سمات الرجل العسكرى الذى لا ترضيه أنصاف التدابير ، بل يهمه أن يضرب ضربة واحدة تقصر أجل الحرب وتختصر الآلام ، وكثيراً ما أملت الظروف على عظماء القادة أن يكونوا غلاظ الأكباد ، لا لشىء طبيعى فى نفوسهم ، ولكن لأن أعمالهم تحتم ذلك ، فيكون فى الشدة الرادعة ما يشبه الدرس للآخرين ، وخصوصاً فى ظروف حاسمة لا تسمح بالتراخى واللين »

والذى لاحظناه من صرامة خالد هو الذى لاحظه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه حين قال : « إن فى سيف خالد لرهقاً » بل هو الذى بدا من براءة النبى عليه السلام إلى الله مما فعل « خالد بن الوليد » بعد حادث بنى جذيمة

على أننا نفينا عنه قسوة الضغينة الشائنة وقلنا : « إن هذا الولع كله بالحرب لم يكن ولعاً بالشر والسوء ، ولا ولعاً بالضغينة والبغضاء ، فكانت عداواته كلها عداوات جندى مقاتل ، ولم تكن عداوات مضطغن آثم ... وعلى كثرة من قتل خالد فى حروبه لم يكن يقتل أحداً قط وهو يشك فى صواب قتله وإن أخطأ وجه الصواب ... أما إذا شك فى صوابه فهو يستكثر المساءة إلى رجل فضلاً عن الجحافل والقبائل ، ويسبق إلى الرفق رجلاً كأبى عبيدة عرف طول حياته بالرفق والرحمة والأناة ... »

ونحن بعد هذا لا نستغرب الصلابة فى أخلاق رجال الحروب ، ولكننا لا نغتفر سفك الدماء لغير ضرورة وبغير حساب ، فإن الشجاعة صفة إنسانية عالية ، وليس مما يوافق الصفات الإنسانية العالية أن تهون حياة الألوف لغير سبب وبغير حجة ، وأن يعمل القائد فى الميدان كأنه ليس بإنسان ، وما علمنا قط أن الرفق فى أخلاق العسكريين كان عائقاً بينهم وبين الظفر والنجاح ، فإنهم بهذا الرفق يحسنون صيانة الأرواح فى جيوشهم ويكسبون ثقة الأمم ويحاربون بالسمعة المشكورة كما يحاربون بالرهبة والسلاح .

***

وقال الناقد الأديب : « ... كان ضرورياً أن يذكر فصل خاص بصفات خالد الحربية ، وفصل آخر خاص بفنونه الحربية ، وفى الأول نستطيع أن نفاضل بين خالد وغيره من عظماء العسكريين فى جميع العصور »

والعجيب أيضاً فى هذه الملاحظة أن الناقد الأديب يتطلب هذا الفصل وهو معقود فى الكتاب ، ويتطلب المقابلة بين خالد وغيره من العظماء العسكريين ، وقد قابلنا بينه وبينهم فى موضع المقابلة .

ففى الكتاب فصل فى عبقريته الحربية يستغرق اثنتى عشرة صفحة ، وفى هذا الفصل نقول : « إن المقارنة بينه وبين قواد الطراز الأول فى الزمن القديم تقدمه إلى المرتبة الأولى بين أكبر القواد ، ومنهم الإسكندر وبلزاريوس اللذان حاربا عدواً كعدوه فى ميدان كميدانه . فالإسكندر فى وقعة اربل هزم جيشاً فارسياً تقدر عدته بمائة ألف من الفرسان والمشاة ، وبلزاريوس فى وقائع أرمينية هزم جيشاً فارسياً تقدر عدته بأربعين ألفاً أو قرابة الأربعين ، والمقارنة بين خالد بن الوليد وهذين القائدين ترجح

الحروف اللاتينية لكتابة العربية

للدكتور عبد الوهاب عزام

سمعت منذ شهرين أن سعادة عبد العزيز فهمى باشا الذى اقترح على مجمع اللغة العربية أن تكتب اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، يطبع كتاباً يجيب فيه المعترضين على رأيه ، فقلت لمن أخبرنى : جدير بكل ذى رأى أن يدفع عنه حتى يتبين للناس أنه مصيب أو يتبيّن له هو أنه مخطئ

ثم أرسلت إلىّ نسخة من الكتاب منذ عشرة أيام فتعجلت النظر فيه آملاً أن أجد جدالاً يمليه الإنصاف ، وتحوطه التؤدة والأناة ، ويقصد إلى الغاية على طريق مستقيم لا يجور به الهوى ، ولا تحيد عنه العصبية ، ولا يقطعه الكلام فى غير الموضوع على غير وجه

ثم عبرت الكتاب فإذا المؤلف يعدِّد فى القسم الثانى من كتابه ثلاثة وعشرين عنواناً متوالية على العدَد ، ويحاول بعد كل عنوان أن يذكر اعتراضاً ويردّه ، ولو استقام البحث على هذه الطريقة لاستوعب المؤلف الاعتراضات كلها ، وأجاب المعترضين جميعاً غير معرج على الأشخاص ، ولا هانو عن الجدال فى الرأى إلى الاستهزاء بصاحبه والافتراء عليه . ولكن الأستاذ عرض فى بعض هذه العنوانات لذكر أشخاص بأوصافهم أو بأسمائهم . وأطال فى تجريحهم بأشياء توهمها لا تتصل بموضوع الجدال صلة قريبة أو بعيدة ، على حين أوجز فى الفصول التى ردَّ فيها الاعتراضات غير مبال بالأشخاص . فهمتُ صنيعه عن قصده إلى الانتقام من ناس خالفوا رأيه ، ودلَّ فعله على أن تجريح هؤلاء ينال من اهتمامه نصيباً أكبر من الاعتراضات التى جادل فيها

وقد قرأت الفصل الخامس عشر الذى تكلم فيه عن كاتب أرسل إليه بالبريد صحيفة فيها مقال يجادله فيه . قرأت هذا الفصل متعجباً مشدوهاً لا أكاد أصدق أن هذا الهجوم الحاقد والطعن المتدارك خطه قلم الأستاذ الجليل . وحسبت أن الأستاذ ترك الموضوع إلى هذا الطعن والتجريح فى أمور لا صلة لها بالموضوع عقاباً لرجل يعرف الباشا أنه يستحق ما يرميه به ، ويرى ألا يضيع الفرصة للانتقام منه . وحسبت أن الرجل لو لم يكن جديراً بهذا ما رماه به المؤلف . ثم عرفت الرجل المقصود من بَعد فإذا هو رجل مجاهد مخلص يعمل دائباً صامتاً لا يمارى ولا يفترى . فلبثت حيران لا أدرى ما وراء هذا من سر . وللرجل قلم هو أولى الأقلام وأقدرها على الدفاع ، فلست محاولاً الدفاع عنه ، ولكنى

كفته على كفتيهما معاً فى هذا الميدان ، لأن الإسكندر كان يقود خمسة وأربعين ألفاً ، وبلزاريوس كان يقود نيفاً وعشرين ألفاً ، وكلا الجيشين مسلح بأمضى الأسلحة فى ذلك الزمان »

أما الفن العسكرى عند خالد فلو أننا نقلنا ما ذكرناه عنه فى الكتاب لضاق به المقام ، وحسبنا أن نشير هنا إلى فقرة واحدة تدل على جملة أوصافه حيث تقول : « . . . إنه لم تعوزه قط صفة من صفات القائد الكبير المفطور على النضال ، وهى الشجاعة والنشاط والجلد واليقظة وحضور البديهة وسرعة الملاحظة وقوة التأثير ، وإنه كان يضع الخطة فى موضعها ساعة الحاجة إليها ، فكان يحارب بالصفوف كما كان يحارب بالكراديس ، وكان يحارب بالكمين والكمينين كما يحارب أحياناً بغير كمين ، وكان يستخدم التورية والمباغتة والسرعة على أنماط تختلف باختلاف الدواعى والأحوال . وقد علم أن تمزيق الجيوش أجدى فى الحرب من الحصار والاحتلال ، وعلم أن الخبر قوة وسلاح ، فكان يستطلع أخبار العدو ولا يتيح له أن يستطلع خبراً من أخباره ، وأجدى من ذلك أنه كان لا يغفل عن القوة الأدبية يعززها ما استطاع فى جيشه ويضعفها ما استطاع فى جيش عدوه »

وهذا قليل من كثير مما كتبناه عن عبقرية خالد الحربية مجموعاً فى الفصل الخاص بها أو موزعاً فى سائر أجزاء الكتاب

فلا نريد أن نقول إن الناقد الأديب قد تجاهله عامداً أو قرأه ولم يفطن إليه ، ولكننا نقول إنه قرأ جانباً من الكتاب وفاته جانب آخر أو جوانب أخرى ، وهو على ذلك مشكور لحسن قصده والتمهيد لهذا البيان فى تصحيح ملاحظاته ، وتيسير الحكم للقراء فيما قلنا وما قال

عباس محمود العقاد

أجمل الطعن فيه والبغي عليه مقياساً لما في كلام المؤلف من تثبت وتورع عن ظلم الناس والعدوان عليهم

وكان العنوان: «الحادي والعشرون» نصيبي من رد سعادة الأستاذ

وأنا أقدم قبل مجادلته فيما ادّعى، أني كتبت في هذا الموضوع قبل تسع سنين حينما نشرت في مجلة الرسالة مقالاتي عن النهضة التركية الحديثة. وأني عُنيت به منذ غيّر الترك العثمانيون كتابتهم. وحادثت فيه وجادلت في مصر والبلاد العربية وفي تركيا وأوربا قبل أن يختار الأستاذ عضواً في مجمع فؤاد الأول للغة العربية. وقد اخترت موضوع محاضرتي: «الخط العربي. مزاياه وعيوبه» قبل أن يُنشر تقرير الأستاذ الذي قدمه إلى المجمع. ونحن نسجّل موضوعات المحاضرات العامة أول العام الدراسي ثم نلقيها ولاء في أوقاتها. ولم يكن سعادة الأستاذ يشغلني كثيراً وأنا أكتب محاضرتي وإنما عمدت إلى البحث الصرف غير مبال بالأشخاص لاسيما سعادة الكاتب الذي لم يبتدع هذه البدعة بل تبع فيها دعاة هم أولى بأن يجادلوا فيها

ولكن المؤلف توهم نفسه إماماً في هذه الدعوة، وحسب كل مجادل فيها يعنيه لا يعني غيره، وظن أن كل مخالف عدو، وأن العدو ينبغي أن يحارَب، وأن الحرب تبيح كل عدوان

ويعلم الله أني حين قرأت ما كتب الأستاذ عزمت على ألا أجادله يأساً من جدوى الجدال الذي يُبتدأ على هذه الطريقة. وقلت كيف أجادل كاتباً حديد الطبع، تحمله الحدة على التسرع، ويُنسيه التسرعُ التثبتَ، ومن نسي التثبت كان حرياً أن يسير على غير طريق إلى غير غاية، جديراً أن يقول غير سديد، ويطعن غير مقتصد. ثم أشار علي بعض الإخوان بالإجابة، كما أشار عليه بإجابة المعترضين «بعض المهتمين بهذه المشكلة»

وأبدأ بمجادلة الأستاذ في الخطة التي ارتضاها لنفسه، وأقول غير متردد: إنها خطة جائرة منكرة تكفل لصاحبها ألا يهتدي إلى صواب، ولا يبتعد عن ضلال، خطة تُعنَى بأصحاب الآراء أكثر مما تُعنى بالآراء، ثم لا ينال أصحاب الآراء من هذه العناية إلا الاستهزاء والبغي والافتراء، وسواء على صاحبها أن يقارب الحق أو يباعده، وأن يصف خصمه بصفاته أو بما يناقضها

توهم الأستاذ لي صفتين أحسب أن وصفي بهما لا يكون إلا ميلاً مع الهوى، وجوراً مع الغضب، ورجماً بالأوهام

عرضت لعيوب الكتابة الأوربية، وبينت من شناعتها ما لا تذكر معه عيوب كتابتنا. ثم قلت إن الكتابة الأوربية محمية بالأساطيل والطائرات والفتنة والهيبة اللتين نأخذهما من كل جانب. وهي كلمة حق تجمل ما نحن فيه من افتتان بكل ما يأتي من أوربا وازدراء لكل ما عندنا. وما قصدت بهذه الكلمة الأستاذ عبد العزيز باشا ولا جماعة في مصر، ولا المصريين وحدهم، ولا البلاد العربية فحسب. بل أردت بها ما يعم أقطار الشرق كلها من هذه الفتنة. فأثارت هذه الكلمة ثائرة الأستاذ، وقد اعترف هو بهذه الفتنة في نفسه حين قال وهو آخذ بمخنق الكاتب الذي أرسل إليه مقالا بالبريد. قال هو يعرب عن إكباره وإعجابه بالقوانين التي أخذناها عن أوربا:

«اعلم مُعلما أن العقول التي كشفت لك عن عجائب الكهرباء. وهيأت للناس التلغراف واللاسلكي. كما كشفت لك عن معجزات الطيران الذي طبّق عليك وعليّ وعلى جميع الناس أرجاء السماء — هذه العقول لها أخ من أبويها يشتغل إلى جانبها بمسائل القانون ويسمو في بيئته إلى ما يسمو إليه إخوته الآخرون، ولكنك لا تراه لأن نظرك قصير»

وكان يمكن الأستاذ أن يطرد القياس، فيقول: ولهم كتابة هي ولا شك أفضل من كتابتنا، وهي العلاج الوحيد لمحنتنا. الخ.

أليس قياس القانون على الطائرات ونحوها هي الفتنة التي ذكرتها فغضب الأستاذ. ولا أدري لماذا ثار الأستاذ فقال عني: (هنا خلع العلم ثوبه وارتدى ثوبا سواه، الوطنية اللفظية، ولحنة أناشيد أرباب الخناجر». ومضى يكرر هذا المعنى إلى أن قال: «بل لعلي واهم فيما أخشاه على الأستاذ من إمكان حمل عبارته على معنى تعمده مسابقة أرباب الخناجر في حلبة الوطنية اللفظية»

وجوابي أن الله يعلم وأصحابي وتلاميذي يعلمون أني لست من أولي الوطنية اللفظية، ولا ممن ينشدون أناشيدها ويكدّون حناجرهم فيها، بل كل صلتي بالوطنية العملُ الصامت الدائب الذي لا يبغي من الناس جزاء ولا شكوراً، وأن اتهام مثلي بهذا

جدير بأن يُلقى الشك فى كل ما يزعم المتوهم وينفى الثقة عن كل كلامه

ثم انتقل الأستاذ فى غضبه وانطلاقه مع الغضب غير متئد ولا متثبت ، فوصفنى وصفا آخر يناقض الوصف الأول فى معناه ، ويوافقه فى أنه باطل مثله . وصفنى الأستاذ غير عارف ، أو متجاهلاً يجاهل العارف بأنى رجل متوقر متزمّت . ثم لبث يشرح التزمت ويبين آثاره فى خلقة صاحبه وخُلقه ، وفى الوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج ؛ فكتب صفحتين فى هذا كأن مقصده الأول الكلام فى التزمت لا الدفاع عن بدعة الحروف اللاتينية ، وأنا أعرض على القارئ مقدمة كلام الأستاذ فى التزمت ثم أسأله كيف يسمّى هذا الكلام ، وما ظنه بمن يرمى به وهو يجادل فى الحروف اللاتينية ، وبلفظه وهو يجادل رجلاً بعيداً كل البعد عن التزمت ، قال الأستاذ :

« والتزمّت ، أجارك الله ، متى أخذ بخناق الرجل نكّر خَلقه . إنه يورث اقمنساساً فيبدو مقعر الظهر ، محدّب الصدر ، منتفخ الأوداج ، محتقن الوجه ، بارز الحدقتين . فى الأوج هامته ، وفى الحضيض همته . إن لم يكن كالمعلّق بحبل المشنقة ، فهو على الأقل ضابط صف معلِّم بأورطة الأساس ، يمشى متشامخاً مدلا بكفايته بين أنفار القرعة المستجدّين . هكذا يفعل التزمت . ثم هو يخرجه فى تصرفاته عن التعابير المألوفة بين الناس . يجعله متى أراد إخراج الكلمة من فيه رطلاً خرجت على الرغم منه قنطاراً . وإذا أرسل صوته يميناً التوى فذهب شمالاً ، وإذا بصق أمامه على استتواء نكص البصاق إلى الوراء ، هو يخرجه من فيه ، فيرتد لما قيه فيمجبه » الخ

هذا أيها القارئ مقدمة كلامه فى التزمت ووراءه كلام طويل تناول الوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج ، وإن أراد الكاتب أن يضحك باكياً فليقرأ بقية الفصل ويرى كيف تعب المتزمت فى كيل الزكاة وخنق دجاج الدار حين جاء يلتقط الحب ، ثم طلّق امرأته إذ أمرها بإخراج الدجاج الميت فلم تمتثل . وكيف فعل فى الصلاة والصوم والحج ، ثم ليدلنى القارئ على صلة عاقلة أو مجنونة بين هـذا وبين الحروف اللاتينية واللغة العربية ...

وأنا أنشد الأستاذ الله الحق أن يسأل نفسه هادئاً إن استطاع : أهـذه الأوصاف تنطبق علىَّ أو عليه خِلقة وخُلقاً .

ثم أنشده الله الحق : ألا يشعر بشىء من التناقض والتهاتر والتهافت فى أن يصف إنساناً فى مقال واحد بأنه من أرباب الحناجر وأناشيد الوطنية اللفظية ، وبأنه متوقر متزمّت ، ثم أنشده الله الحق مرة أخرى : أحسب نفسه صادقاً حين وصف بهذه الأوصاف رجلاً يعلم الله وكل من يعرفه من الناس أنه من أبعد خلق الله عنها . إن كان قد غَبِىَ على الأستاذ وصف إنسان يعاصره ويعايشه فى بلد واحد ، وخفى عليه سيرة رجل قريب منه يستطيع أن يعرفه باللقاء والمحادثة ، ويستطيع أن يسأل عنه أصحابه وتلاميذه ، إن كان قد ذهب عنه هـذا كله إحتقاراً للناس أو إحتقاراً للحق أو ولوعاً بالافتراء ، وجموحاً مع الهوى ؛ فهل يثق عاقل بكلامه فى الأمور المنوية المبهمة ، الأمور التاريخية والاجتماعية واللغوية الدقيقة ؛ هل يظن عاقل أن من يجرى مع الهوى وطلّق الجموح ، ويساير الباطل هذه المسايرة يكلف نفسه عناء فى بحث موضوع أو وزن دليل ، ونقد حجة ؟ إنى لا أنال من سعادة الأستاذ بمثل أن أدعو القارئ إلى قراءة هذا الفصل المضحك المبكى فهو أبلغ شىء فى وصف نفسه ووصف كاتبه

وليت شعرى أهذا شىء حديث عرض لسعادة الأستاذ أم كان بهذه الطريقة نفسها يعالج قضايا الناس محامياً ونائباً وقاضياً ؟

وبعد ؛ فقد قرأت فى كتاب فارسى هذه القصة :

ذهب رجل إلى طبيب وشكا إليه أنه يحس فى صدره عُقداً ، قال الطبيب ما صناعتك ؟ قال شاعر . قال نظمت شعراً منذ قليل ؟ قال نعم . قال أنشدته أحداً ؟ قال لا . قال فأنشدنيه ؛ فأنشده . فاستعاده مرات . ثم سأله كيف تجدك الآن ؟ قال أشعر براحة ، قال الطبيب هذا شعر كان معقداً فى صدرك

لعل سعادة الأستاذ استراح بعد أن أخلى صدره من كلام تعقد فيه زمناً طويلاً ، وقد بعد عهده بجادلته فى المجمع التى ضج منها الأعضاء ولا يزالون يضجون ويشكون ، وكان فى مجادلة المجمع عوض عن مجادلات ألفها المؤلف طول عمره . فإن كانت عقد صدره قد انحلت بما لفظه علينا من البغى والافتراء ، فليحمد الله الذى شرح صدره

وفى المقال الآتى أناقش الأستاذ فى الكلمات القليلة ، التى كتبها فى الموضوع آسفاً على أنه أخرجنى عن البحث كارهاً مشمئزاً ولا ذنب للمكره ، وللناس والأقلام محن تكره فيها على ما لا تود ، وتكلف ما يشق عليها .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

ثقافة الشـــاعر

وأثرها فى شعره

للأســتاذ دريني خشبة

ظن بعض إخواننا الشعراء أننا قصدناهم بمقالنا الذى رجونا شعراء الشباب فيه أن يعنوا بثقافتهم الخاصة حتى يستطيعوا أن يحسنوا الاضطلاع بالنهضة التى نطمع أن تتم للشعر العربى الحديث على أيديهم . . . وإخواننا هؤلاء مخطئون ، لأنهم الآن فى الذروة من ثقافتهم التى أوشكت أن تمهد لهم الزعامة فى الشعر المصرى الحديث ، وإن كانوا فى نظرنا مع ذلك لم يؤدوا لهـذا الشعر جزءاً واحداً من مائة جزء مما نصبو إليه ، حتى يكون لنا شعر لا نخجل من المباهاة به وسط أنواع الشعر العالى

وسخط بعض إخواننا من شعراء الشباب الآخرين ، وعدوا الروح التى أملت علينا مقالنا نكوصاً عما أخذنا به أنفسنا من الدفاع عن شعراء الشباب ، ونسوا أننا لم نك يوماً مكابرين حتى نغمض أعيننا عما فى كثير من شعرهم من الطراوة والفجاجة والضعف . . . الشعر الذى لا يمكن أن يحدث نهضة طالما أن أصحابه معجبون به ... يظنون أنه بلغ الدرجة القصوى من الأناقة والتجويد ، وأوفى على الغاية من الذوق والحرارة والشاعرية

ورضى فريق ثالث متواضع فاقتنى الكثير من الكتب التى أشرنا إليها وأخذ يستوعب ما فيها ، ويصلح به شأنه ، وكان فى اعترافهم بما لمسناه فى بعضهم من قلة الاطلاع على أشعار العرب فى مختلف العصور لون من عظمة النفس التى تفتقر إليها نهضتنا الأدبية التى نرجو أن تبلغ أوجها على أيديهم إن شاء الله

غير أن فريقاً رابعاً من أنبه شعرائنا - الشباب والشيوخ - الذين جمعتنا بهم صدفة من أسعد الصدف ، لم يوافقنا على ما ندعو إليه من وجوب أن يكون الشاعر مثقفاً تلك الثقافة العميقة التى لا تنبغى - فيما ذهبوا إليه - إلا للعلماء والفلاسفة والكتاب ... وذلك ، أن تلك الثقافة العميقة ، فيما ذهبوا إليه أيضاً ، قد تجنى على شاعرية الشاعر فتجعله جاف الأسلوب ، نابى العبارة ، ملتوى التفكير ، معقـد الأداء . . . وضربوا لذلك مثلاً . . . أبا الطيب المتنبى ، وأبا العلاء المعرى ... فلم يفتنى أن أعارضهم بأبى تمام ، والبحترى ، وابن الرومى ...!

وهكذا نتنقل فجأة إلى قضية أدبية طريفة . . . ليست أقل قيمة من تلك القضية الشائكة . . . قضية وحدة الوجود . . . والمعاذ بالله !

إن إخواننا هؤلاء يزعمون أنه لا ضرورة مطلقاً لأن يتعمق الشاعر فى ثقافته ، لأن ذلك يؤثر من غير شك فى شاعريته ، ويجعله يضَمّن شعره خطرات علمية (باردة !) إذا كانت ثقافته العميقة تلك ثقافة علمية ، أو خطرات فلسفية (حائرة !) إذا كان ممن يدمنون النظر فى آراء الفلاسفة وتخبطاتهم . . . فإن كانت ثقافته لفظية ، من نوع ثقافة العجاج ورؤبة وعقبة وأبى العلاء ، ترك هـذا فى شعره ذلك المرض الأسلوبى المثقل بحوشى الألفاظ وغريب التعابير ، مما يصرف القراء عنه ؛ ويزهد عشاق الشعر فيه ... وذكروا حالات غير هذه ، وراحوا يضربون لكل حالة منها أمثالاً تجعل رأيهم وجيهاً ، وتكسبه قوة خداعة ذات بريق

فهل ما ذهبوا إليه من ذلك كله حق ؟ وهل تطبيقاتهم صحيحة ؟ لقـد ذكروا المتنبى والمعرى فيمن ذكروا من الشعراء الذين أتلفت ثقافاتهم شاعريتهم . فهل من الحق أن المتنبى والمعرى قد أتلفا شعرهما بما كانا يتعمدانه من تضمينه ألوان الثقافات التى كانا يمتازان بها

لقد نشأ المتنبى فى بيئة شيعية ، وتعلم فى إحدى مدارس الشيعيين بالكوفة ، وكان لهذا السبب من أوسع الناس إلماماً بتاريخ الفرق الإسلامية وأحوالها ومعتقداتها . وذهب بعض مؤرخى الأدب العربى ، ومنهم الأستاذ ماسينيون والدكتور طه حسين ، إلى أن المتنبى لم يكن شيعياً فحسب ، بل كان قرمطياً ، وقرمطياً متطرفاً . وأن قرمطيته بدت فى ألفاظه وتعبيراته وأفكاره . ويحدثنا الدكتور طه عن ذلك حديثا طليا فى كتابه « مع المتنبى » . وكما بدا التشيع فى شعره ، بدا التصوف كذلك ، فهو يستعمل طرق الأداء عند المتصوفة ، ويأتى فى شعره وأخيلته بكثير من أوهامهم ومعتقداتهم ، ويمدح

أعتهم مدحاً قد لا يسيغه المسلم الحق إلا موجهاً إلى الله سبحانه. ولم يبال المتنبي أن مدح الأوراجي[1] الصوفي الذي كان له في مأساة الحلاج النصيب الأوفى، وأن يمدحه بإحدى روائعه التي مطلعها:

أمن ازديارك في الدجى الرقباء
إذ حيث كنت من الظلام ضياء

ولا يبالي أن يبوح في كثير من قصائده بما لعله كان يؤمن به من الحلول والتناسخ ... ولست أدري ماذا يقدح ذلك في المتنبي العظيم كشاعر من شعراء الصف الأول بين شعراء العرب؟ ماذا يعيب الشاعر أن يمتلئ ذهنه بلون ما من ألوان الثقافة فيكون له صدى في شعره يصدر عنه عفواً وعن غير عمد؟

قد يكون إخواننا الأعزاء على حق حين يلاحظون على المتنبي تعمده الإتيان في شعره بالغريب الحوشي من الألفاظ، والغريب الشاذ من الجموع والصفات ... ولكن ما حيلة المتنبي في عصره الذي كان يزخر بعلماء اللغة وفقهائها وشيوخ النحو والصرف والبلاغة؟ لقد كان أكثر هؤلاء العلماء الأعلام يناصبون المتنبي العداء، وينفسون عليه مرتبته الأدبية التي لم يتمتع بها شاعر من قبل، فكانوا يتعقبون شعره، ويقفون له بالمرصاد، عسى أن يسقطوا له على غلطة، أو أن يعدوا عليه زلة، وكان المتنبي يعرف ذلك منهم، فكان يعبث بهم، ويغلو في هذا العبث، وينصب لهم من عربيته الفصحى فخاخاً تمسك بهم كما تمسك الشراك الثعالب

على أن أحداً من هؤلاء العلماء الأعلام لم يكن أرسخ في علوم العربية كعباً من أبي الطيب. ففي (معاهد التنصيص) — ج١ ص١١ — « أن الشيخ أبا علي الفارسي قال (للمتنبي) يوماً: كم لنا من الجموع على وزن فِعْلَى؟ فقال المتنبي في الحال: حجلى وظربى، قال الشيخ أبو علي، فطالعت في كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد! ». وفي خزانة الأدب للبغدادي (ج١ ص ٣٨٠) أن ابن العميد قرأ على المتنبي كتاباً من كتب اللغة

ولعل الذي كان يعيبه هؤلاء العلماء الأعلام على المتنبي لم يكن جيمه، أو لم يكن شيء منه، مما يعاب على سيد شعراء العربية غير مدافع .. فقد كان المتنبي كوفياً، وكان لذلك يخرج في النحو على سنن البصريين وفي الأنصاف (طبع أوربا) تفصيل لكثير مما كان موضع خلاف بين المدرستين بصدد أشعار المتنبي، وقد أجاد الأنباري مؤلف ذلك الكتاب القيم في توضيح ذلك إجادة تامة نافعة تبرئ المتنبي مما أخذه عليه خصومه وما لا يزال خصومه في عصرنا الحديث يأخذونه عليه من مثل ذلك، مما يتوهمونه خطأ

وكما كان للمتنبي خصوم من النحويين وفقهاء اللغة، كذلك كان له خصوم كثيرون من المتكلمين، فكان يداعبهم تارة، ويداعب فقهاء المسلمين تارة أخرى. وقد عني الدكتور طه بهذه المداعبات في كتابه «مع المتنبي» عناية كبيرة .. وكانت مداعباته تلك تثير بين أولئك وهؤلاء حرباً فكرية طريفة في الزمن الذي كانت تجري فيه ... فكيف نعدها اليوم من المآخذ التي نحصيها على المتنبي، ونعيب بها شعره؟

وكان المتنبي - لتشيعه - أو لقرمطيته - ولتقلبه في بلاد المسلمين من دون العراق الذي كانت غالبية أهله تفتتن بأساليب المتنبي وتشغف بها، لكثرة ما كان ينتشر فيها من الفرق وأصحاب الفلسفات الغالية، يؤثر استعمال الرمز، ولا سيما إذا كان ينشد في مجلس من السنيين، وهو في ذلك تلميذ للمتصوفة، إلا أنه غدا أستاذهم وبالأحرى أستاذ شعرائهم. وليس للصوفية رمز، أو شارة، لم يستخدمهما المتنبي، إلا ما ندر. والذي يدمن قراءة أشعار ابن الفارض يشعر من فوره بتأثر شيخ شعراء المتصوفة بأستاذه المتنبي، ولا سيما في استعمال المذهب الرمزي، وفي كثرة استخدام التصغير ...

ولست أدري ماذا يعاب من ذلك كله على المتنبي، بوصفه شاعراً كان يعيش في ظروف خاصة، وكان يخضع لمقومات بيئة خاصة

على أن الذي تورط فيه إخواننا مما ذهبوا إلى أنه من عيوب ثقافة المتنبي العميقة التي أتلفت شعره، وخرجت به من جنة الشعر إلى جحيم الفلسفة، تلك الحكمة التي نثرها في قصائده، وكان فيها تلميذاً غير موفق لأرسطو!

وذكروا أن الصاحب بن عباد ألف لفخر الدولة رسالة أحصى فيها للمتنبي ثلثمائة وسبعين بيتاً تجري مجرى الأمثال؛

(١) هو أبو علي هرون بن عبد العزيز الأوراجي المتصوف.

RETRO NEWS

لجاء الحاتمي وألف رسالته (الحاتمية)[1] فى رد حكم المتنبى إلى أصولها من فلسفة آرسطو ... والرد على زعم السرقة هنا هين لا يكلف الإنسان عناء ، وهى لو صحت لما نهضت برهاناً على الذى ذهبوا إليه من تشويهها لشعر المتنبى ؛ فما لا مشاحة فيه أن حكم المتنبى هى لآلىء غالية يزهى بها شعره ، ويتفرد بها ، لا بين شعراء العربية فحسب ، بل بين شعراء العالم كله ... وليس معنى ذلك أننا استوعبنا أشعار الأمم كلها ... ولكننا نقول ذلك بعد أن قرأنا معظم ما ألف عن تاريخ آداب العالم ؛ فلم نعثر بشاعر يضارع المتنبى أو ينافسه فى ميزته تلك . على أنك تقرأ الحكمة من الحكم التى ينسبونها إلى آرسطوا ، والتى لا ندرى المصدر الذى استندوا إليه فى نسبتها إليه ، ثم تقرأ بيت المتنبى الذى يحمل هذه الحكمة . فتشمئز من فورك بالبون الشاسع بين أداء المتنبى وأداء آرسطو ، وبين تفكير هذا وتفكير ذاك

أى فرق شاسع بين قول آرسطو : قد يفسد العضو لصلاح أعضاء ، كالكى والفض اللذين يفسدان الأعضاء لصلاح غيرها وقول المتنبى :

لعل عتبك محمود عواقبه فربما صحت الأجسام بالعلل

ومثل ذلك الفرق نلمسه فى العشرين والمائة حكمة التى تناولها الحاتمي فى رسالته ...

ذلك ما اتسع له المجال فى الدفاع عن المتنبى ... أما الدفاع عن المعرى فموضعه غير هذا الحديث .

دريني خشبة

(١) مجموعة التحفة البهية

على هامش النقد :

٢ – فى عالم القصة

كفاح طيبة ... ... لنجيب محفوظ

للأستاذ سيد قطب

أحاول أن أتحفظ فى الثناء على هذه القصة ، فتغلبنى حماسة قاهرة لها ، وفرح جارف بها ! ... هـذا هو الحق ، أطالع به القارىء من أول سطر ، لأستعين بكشفه على رد جماح هذه الحماسة ، والعودة إلى هدوء الناقد واتزانه !!

ولهذه الحماسة قصة لا بأس من إشراك القارىء فيها :

لقد ظللت سنوات وسنوات أقرأ ذلك التاريخ الميت الذى نتعلمه فى المدارس عن مصر فى جميع عصورها ، والذى لا يعلمنا مرة واحدة أن مصر هذه هى الوطن الحى الذى يعاطفنا ونعاطفه ، ويحيا فى نفوسنا وأخلادنا بحوادثه وأشخاصه

وظللت أستمع إلى تلك الأناشيد الوطنية الجوفاء ، التى لا تثير فى نفوسنا إلا حماسة سطحية كاذبة ، لأنها لا تنبع من صلة حقيقية بين مصر وبيننا ؛ وإن هى إلا عبارات صاخبة ؛ تخفى ما فيها من تزوير بالصخب والضجيج

ولم أجد – إلا مرة واحدة – كتاباً عن مصر القديمة يبعثها حية فى نفوسنا ، شاخصة فى أذهاننا . ذلك هو كتاب المرحوم « عبد القادر حمزة » : « على هامش التاريخ المصرى القديم » ففرحت به مثلما أفرح اليوم بقصة كفاح طيبة ، ودعوت وزارة المعارف إلى أن تجعله فى يد كل تلميذ وطالب ، بدل هذه الكتب الميتة التى فى أيديهم . ولكن تغيير الكتب فى وزارة المعارف أمر عسير ، لأن مصنفيها هم مقرروها فى أغلب الأحايين

وكنت أرى الطابع القومى واضحاً – بجانب الطابع الإنسانى – فى آداب كل أمة ، ولا سيما فى الشعر والقصة – بينما أرى الطابع المصرى باهتاً متوارياً فى أعمالنا الفنية ، مع بلوغها درجة عالية تسلك بعضها بين أرقى الآداب العالمية

وكنت أعزو هـذا اللون الباهت ، إلى أن مصر القديمة لا تعيش فى نفوسنا ، ولا تحيا فى تصوراتنا . إلى أننا منقطعون عن هـذا الماضى العظيم لا نعرفه إلا ألفاظاً جوفاء ، ولا نتمثله صوراً وشواخص حية . إلى أننا نفقد من تاريخنا المجيد حقبة لا تقل عن خمسة آلاف سنة : من الفن والروح والعواطف والانفعالات . إلى أن بيننا وبين الآثار المصرية ، والفنون المصرية ، والحياة المصرية ، والأحداث المصرية ، هوة عميقة من الزمن واللغة ، ومن الإهمال والنسيان .

وطالبت بأن تنقل إلى اللغة العربية كل قطعة أدبية كشف عنها فى مصر العريقة ، وإلى أن ترسم باللغة العربية صور الحياة المصرية بكل ما فيها من ظلال ، وإلى أن تعقد بين النشء وبين

الآثار المصرية صلة وثيقة فى كل أدوار نشأتهم ؛ وإلى أن تنفث الحياة فى تلك الآثار والتماثيل والتواريخ ، بما يصاغ حولها من القصص والأساطير والملاحم والبيانات .

دعوت إلى أن تصبح حياة أحمس وتحتمس ورمسيس ونفرتيتى وأمثالهم فى منال كل تلميذ صغير وكل طالب كبير ، بل أن تعود أساطير حية للأطفال فى المهود ، بدل الشاطر حسن وجودر ، وحسن البصرى ، والورد فى الأكمام

قلت : إذا كانت مصر القديمة قد احتجبت عنا ، لأننا أصبحنا نتحدث اليوم بلغة غير لغتها ، فلننقلها هي إلى لغتنا الحديثة ، لنضم إلى ثروتنا الفنية المحدودة بألف وخمسمائة عام (فترة الأدب العربى الذى ندرسه) ثروة أعظم منها وأعرق وأخصب فى فترة أخرى طويلة تربو على الخمسة الآلاف من الأعوام . فإنه من السفه أن نفرط فى هذه الأعمار الطوال !

وكنت أعلم أن القصة والملحمة ، هما خير الوسائل إلى تحقيق هذه الصلة التى نشدتها طويلا ، وكتبت عنها طويلا . فكلتاهما تردان الحياة إلى ذلك الماضى ، وتبعثانه فى الضمائر من خلال الألفاظ ، وتوقظان الوراثات الكامنة فى دمائنا من هذا العهد المجيد ، وتصلاننا بحياة أجدادنا على أرض هذا الوادى العريق . فتصبح روافد لنفوس كل جيل ، حوافز لمشاعر كل فرد

ولا يعود الفارون فى مسارب الزمن جثثاً هامدة مسجاة فى الأكفان مطمورة فى الرمال . إنما يعودون ذواتاً حية ، وشخوصاً قائمة ، يشاركوننا هذه الحياة الحاضرة ويدبرون معنا أمرها ، ويزودوننا بتجاربهم ونصائحهم ، ويفيضون علينا مشاعرهم وعواطفهم — فيحس الفرد منا أنه فرع حديث لشجرة عريقة عميقة الجذور فى الزمن شهدت فجر التاريخ ، ووعت حديث الأجيال ، وصمدت لأقسى عوامل الفناء .

قلت هذا كله فى عشرات المقالات ، واليوم أتلفت فأجد بين يدىّ القصة والملحمة ، كلتاهما فى عمل فنى واحد . فى « كفاح طيبة » . فهى قصة بنسقها وحوادثها ، وهى ملحمة — وإن لم تكن شعراً ولا أسطورة ! — بما تفيضه من وجدانات ومشاعر ، لا يفيضها فى الشعر إلا الملحمة !

هى قصة استقلال مصر بعد استعمار الرعاة على يد « أحمس » العظيم . قصة الوطنية المصرية فى حقيقتها بلا تزيد ولا ادعاء ، وبلا برقشة أو تصنع . قصة النفس المصرية الصميمة فى كل خطرة وكل حركة وكل انفعال .

***

أغار الرعاة « الهكسوس » على مصر من الشمال الشرقى وغلبوا عليها بسبب اختراع « العجلات الحربية » التى لم تكن مصر قد أخذت بها فى جيشها ، وحكموا مصر السفلى ومصر الوسطى . أما مصر العليا وعاصمتها طيبة ، فقد ظل حكامها من الأسرة الفرعونية المصرية ، يدارون الرعاة ويقدمون إليهم الهدايا احتفاظا باستقلالهم الداخلى إلى أن يستطيعوا الاستعداد السرى لطرد الغزاة .

ثم تبدأ القصة عند « سيكننرع » حاكم طيبة ووريث العرش الشرعى . فلقد لبث يهيئ الجيوش سراً ، ويستكثر من العجلات الحربية حتى بلغ جيشه عشرين ألفاً وعجلاته مائتين ؛ ووضع على رأسه التاج ، ولم يكن بعد نفسه حاكم طيبة بل ملك الجنوب

ويجيئه رسول (أبو فيس) ملك الرعاة الذى يلقب نفسه (فرعون مصر) ويضع على رأسه التاج المزدوج ؛ يجيئه ليتحداه فيطلب إليه خلع التاج ، فما هو إلا حاكم ، وبناء معبد لست إله الشر بجوار معبد أمون فى طيبة ، وقتل أفراس النهر المقدسة بها . فيأبى الملك أن يدوس الدين والشرف ليقنع بالسلامة . وإنه ليعلم مدى قوة خصمه ويعلم أنه لم يستكمل بعد استعداده . ولكنه يرفض يؤيده الجميع : أمه توتشيرى (الأم المقدسة) التى ترعى الجميع ، وتشرف بروحها العظيم على كل عدة الجهاد ؛ وابنه ، وقائده ، ورئيس كهنة أمون ، ومستشاروه أجمعين .

وتقع الحرب ، ويقتل الملك البطل ، وتستباح طيبة للعدو العنيف ؛ فتصعد الأسرة المالكة فى النيل إلى « بلاد النوبة » بتدبير قائد الملك القتيل ، لتعد العدة هناك للعودة حينما يشاء الإله !

وبعد عشرة أعوام فى الاستعداد وبناء العجلات الحربية ، يهبط « أحمس » حفيد الملك « سيكننرع » ، وابن الملك « كاموس » إلى أرض مصر فى زى التجار ، يقدم لحكامها

الرعاة الذهب ليحصل على الرجال . الرجال الذين ذاقوا الذل والويل ، ولكن نفوسهم ما تزال تغلى بالانتقام من الغزاة ، وتفيض بالولاء للأسرة المالكة المشردة

وتتم الحيلة ، وتفتح له الحدود فيحصل على الرجال ، ويتألف الجيش العتيد ، ويهبط أرض الوادى ، ويهزم الغزاة ويطاردهم إلى آخر شبر من الأرض المصرية فى هوارتس ، وتسترد طيبة عرشها وعرش مصر السفلى ، وتعود البلاد حرة من جديد . على يد أحمس بعد استشهاد والده ، كما استشهد من قبل جده العظيم ...

ولكن !

نعم . ولكن . لقد كسب مصر وخسر قلبه ! وإنه لكسب ضخم ، وإنها لخسارة فادحة

لقد أحب ابنة ملك الرعاة . أحبها منذ الرحلة الأولى ، يوم قدم مصر فى زى التجار . أحبها وأحبته واختارت يومها عقداً من مجوهراته التى يحملها ، وأنقذت حياته حين هم به قائد حربى من الهكسوس كان يريد الاعتداء على حرمة سيدة مصرية — هى أرملة قائد جده — لحماها من الأذى ، لأن حميته لم تطق أن تنتهك حرمة مصرية أمامه ، وقد كاد ذلك يفسد عليه خطته العظيمة ...

أحبها وأحبته ، وأخفى كلاهما حبه ، ولكنه ظهر فى بعض التلميحات . فتعقدت القصة منذ ذلك اليوم . لقد كان أحمس يتهيأ للمهمة الكبرى التى ألقاها الوطن على كاهله ، ليطرد الرعاة الغزاة ، وينكل بهم كما نكلوا بالمصريين . وهو يحب ابنة عدوه الأكبر ، لأن القلب الإنسانى يتسع للحب والبغض مجتمعين . وفى كل خطوة يصطدم هذا الحب بهذا البغض ، فيدوس قلبه الجريح ، ليؤدى واجبه المقدس . وإن كان يضعف بين الحين والحين !

ووقعت الأميرة فى الأسر . أسرها « الفلاحون » الذين اتخذ ملك الرعاة من نسائهم وأطفالهم درعاً لحصون طيبة ، يتقى بهم سهام قومهم المهاجين . وفى لحظة رهيبة بعد أن ضحى المصريون بنسائهم وأطفالهم ، وأردوهم بسهامهم ليدخلوا طيبة . فى لحظة بلغ الألم الإنسانى ذروته ، جاءوا للملك بهذه الأميرة أسيرة ، ونساؤهم وأطفالهم ممزقون بسهامهم على الأسوار . وكان احتفاظهم بها وعدم تمزيقها إرباً فوق طاقة الآدميين !

وكان موقفاً من المواقف الكثيرة التى عاناها الملك الشاب بين قلبه وواجبه . لقد استطاع أن يدوس قلبه فى سبيل الغرض الأكبر — تحرير الوطن — أما حين يكون الأمر أمر انتقام جزئى فهنا يغلب الحب ، فيحفظ حياة الأميرة !

وفى اللحظة الأخيرة — وقد تمت هزيمة الرعاة — يحاول الملك الشاب أن يستأثر بالأسيرة الآسرة . ولكن وا أسفاه : إن أباها يقوّمها بثلاثين ألفاً من الرهائن المصريين . وإن الملك ليحبها ، ولكن ثلاثين ألف رأس ثمن كبير . وإنها لتحبه ، ولكنها تعلم أن أباها الصحراوى لن يجيبه إلى يدها ، وهو عدوه المبين . لقد ذهبت ليبقى الفرعون الظافر يذكرها فى يأس وحنين . ويحس أنه خسر المعركة وهو أعظم المنتصرين

* * *

ذلك هيكل القصة . ولكن القصص ليست هيكلها العام . فأين العمل الفنى فيها ؟

إن العمل الفنى هو الذى لا يمكن تلخيصه . وقيمته فى هذه القصة لا تقل عن قيمتها القومية . وهذا هو المهم . فقد يحاول الكاتب إثارة العواطف القومية وينجح ، ولكنه ينسى السمات الفنية ، فيحرم عمله الطابع الذى يسلكه فى سجل الفنون

إن كل شخصية من الشخصيات فى هذه القصة لهى شخصية إنسانية وشخصية مصرية فى آن . وإن كل موقف من مواقفها لهو الموقف الطبيعى الذى ينتظر من الآدميين المصريين . وإن السياق الفنى لهو السياق الذى يلحظ الدقة الفنية بجانب الهدف القومى ، بلا مغالطة ولا ضجة ولا بريق .

لم يحاول المؤلف أن يقلل من شجاعة الرعاة ، ولا مميزاتهم النفسية . ولم يحاول كذلك أن يستر مواطن الضعف المصرية — وهى مواطن ضعف إنسانية — لم يجعل أبطال مصر أشخاصاً أسطوريين ، ولم يجعل المصريين شعباً من الملائكة ولا من الشياطين . ومرة واحدة أو مرتين جاوز بهم طاقة البشر ، ولكن بعد تهيئة وتمهيد

لهذا كله تسير الحياة سيرة طبيعية فى القصة ، وتنبعث

المشاهد شاخصة . لشد ما شعرت بالحقد الملتهب على الرعاة وحكامهم وقضاتهم ، وهم يجلدون المصريين ويحقرونهم ويدعونهم استهزاء الفلاحين (ويبدو أن هـذا اللقب هو الذي يتشدق به دائماً أولئك الأجانب المغتصبون في جميع العصور ، من الرعاة إلى الرومان إلى العرب إلى الترك إلى الأوربيين . وإن كان هؤلاء الفلاحون أشرف وأعرق من الجميع) ، لشد ما شعرت بالقلق واللهفة على مصير الجيش المصرى في عدده القليل أمام أعدائه المتفوقين . لشد ما خفق قلبي وأحمس المتخفى في زى التجار ، يلاقى الملك ، ويصارع القائد ، وينتفض للعزة الجريحة ، ويمسك نفسه في جهد شديد . لشد ما عطفت عليه وهو يقع في صراع أشد وأعنف من كل صراع حربى ، ويجاهد نفسه بين قلبه وواجبه ، فيؤدى الواجب على حساب قلبه الجريح

ولم يكن الشعور القوي وحده هو الذى يصل نبضاتى بنبضات أبطال القصة . بل كان الطابع الإنسانى الذى يطبعها ، والتنسيق الفنى الذى يشيع فيها ، هما كذلك من بواعث إحساسى بصحة ما يجرى فى القصة ، وكأنه يجرى فى الواقع المشهود ، بكل ما فى الواقع من عقد فنية ، وعقد نفسية ، ينسقها المؤلف فى مواضعها بريشة متمكنة ، ويد ثابتة ، تبدو عليها المرانة ، والثقة بمواقع التصوير والتلوين

ولا أحب أن يفهم أحد من هذا أن مؤلف « كفاح طيبة » قد بلغ القمة الفنية . فهذا شيء آخر لم يتهيأ بعد . إنما أنا أنظر إلى المسألة من ناحية خاصة . ناحية تحقيق هدف قوى جدير بمشرات القصص والملاحم . فإذا استطاع فنان أن يحقق هذا الهدف ، دون المساس بالطابع الإنسانى والطابع الفنى ، وبلا تزوير فى المواقف والعواطف ، أو تزوير فى وقائع التاريخ ، فذلك توفيق يشاد به بشكل تأكيد . وفى هذه الحدود أحب أن يمنى هذا المقال

وبهذه المناسبة أشير إلى بعض الأخطاء اليسيرة مثل قول الملك « سيكنزع » : « لم تكن العجلات من آلات الحرب لدى الرعاة . فكيف يكون لجيشهم أضعاف ما لجيشنا منها ؟ » فالثابت تاريخياً أن « عجلات الحرب » كانت سلاح الرعاة الجديد الذى هاجوا به مصر ، فتغلبوا به على شجاعة المصريين ، حتى أخذه المصريون منهم فانتصروا به وبذوهم فيه

ومثل أن يقول عن اسم « أحمس » إنه مشتق من الحماسة . فأحمس اسم مصرى قديم لا علاقة له بمعناه فى اللغة العربية ، ولعله وجد قبل أن يكون لهذه اللغة وجود معروف !

ومثل أن يقول أحمس : « إنه آت من بلاد النوبة » فهذا اسم حديث كذلك . وقد كانت فى ذلك الحين تسمى بلاد « بنت » أى الذهب ..

ومثل أن يقدر مدة حكم الرعاة بمائتى عام . والراجح أنها تصل إلى حوالى خمسمائة عام

وبعض هنات كهذه وتلك . ولكن ماذا ؟ إن الفنان ليستطيع أن يخطئ مائة مرة مثل هذا الخطأ ، دون أن يؤثر ذلك فى عمله الفنى الأصيل

***

قصة (كفاح طيبة) هى قصة الوطنية المصرية ، وقصة النفس المصرية ، تنبع من صميم قلب مصرى ، يدرك بالفطرة حقيقة عواطف المصريين ـ ونحن لا نطمع أن يحس (المتمصرون) حقيقة هذه العواطف ، وهم عنها محجوبون

ولقد قرأتها وأنا أقف بين الحين والحين لأقول : نعم هؤلاء هم المصريون . إننى أعرفهم هكذا بشكل تأكيد ! هؤلاء هم قد يخضعون للضغط السياسى والنهب الاقتصادى ، ولكنهم يجنون حين يعتدى عليهم معتد فى الأسرة أو الدين . هؤلاء هم يخمدون حتى ليظن بهم الموت ، ثم يثورون فيتجاوزون فى ثورتهم الحدود ، ويجيئون بالمعجزات التى لم تكن تتخيل منهم قبل حين . هؤلاء هم يتفكهون فى أقسى ساعات الشدة ويتندرون . هؤلاء هم تفيض نفوسهم بحب الأرض وحب الأهل ، فلا يرتحلون عنهما إلا لأمر عظيم ، فإذا عادوا إليهما عادوا مشوقين جِد مشوقين . هؤلاء هم أبداً فى انتظار الزعيم ، فإذا ما ظهر الزعيم ساروا وراءه إلى الموت راغبين

هؤلاء هم المصريون الخالدون ، هؤلاء هم ثقة وعن يقين

لو كان لى من الأمر شيء لجعلت هذه القصة فى يد كل فتى وكل فتاة ؛ ولطبعتها ووزعتها على كل بيت بالمجان ؛ ولأقمت لصاحبها ـ الذى لا أعرفه ـ حفلة من حفلات التكريم التى لا عداد لها فى مصر ، للمستحقين وغير المستحقين !

سيد قطب

اللغة القانونيـــة في الأقطار العربية

ووجوب تصفيتها وتوحيدها

للأســتاذ عدنان الخطيب

عقد في شهر أغسطس الماضي أول مؤتمر لمحامي البلاد العربية في مدينة دمشق حاضر فيه علماء حقوقيون من كل قطر في مواد معينة من القانون ، وكان الأستاذ عدنان الخطيب المحامي ممن حاضروا في مادة « المصطلحات الحقوقية » فنالت محاضرته إعجاب المؤتمرين ورجال الحكومات ، وقد خص الرسالة بنشر محاضرته قبل نشرها في (كتاب المؤتمر) المقرر إصداره قريباً .

١ — اللغة وأهميتها

لاريب في أن اللغة تعتبر من مقومات الأمم في العصر الحاضر ، لا بل إنها أهم تلك المقومات التي تميز الأمم والشعوب بعضها من بعض ، وهي الركن الأساسي فيما يعرف « بالوعي القومي » لأنها وسيلة التفاهم والتقارب ، ولأنها أهم رابطة تصل الحاضر بالماضي ، إذا كان ثمة تاريخ يرغب في الاحتفاظ به ، ولهذا ترى كل أمة ذات تاريخ مجيد ، تعمل دائماً على الاحتفاظ بلغتها ، وإن باعدت الأرض أو السياسة بين أبنائها ، لأن وحدة اللغة أول دليل على حيوية تلك الأمة ولياقتها للبقاء على وجه الأرض كأمة واحدة محترمة .

٢ — الأمة العربية ولغتها الخالدة

إن الأمة العربية التي حملت إلى العالم في ماضيها اللامع ، أخلد رسالة ، رسالة الهداية والعلم والنور ، أولى الأمم في وصل ما انقطع من تاريخها والعمل على إعادة ذاك المجد الغابر ، وإذا كانت لغتها حية خالدة بفضل من الله ، فإن تبعة أبنائها في المحافظة على سلامة لغتهم واستقامة لسانهم تبعة عظيمة توجب على كل عربي أن يقوم بقسط من ذلك يتفق وحدود طاقته ومركزه الاجتماعي .

٣ — مزايا اللغة العربية في الناحية القانونية

إذا كانت لهذا المؤتمر العربي « المؤتمر الأول للمحامين العرب » أهداف قومية كثيرة ، فلا شك في أن سلامة اللغة القانونية ، والعمل على توحيدها هما في أول تلك الأهداف الجليلة

ويجدر بالمؤتمرين أن يقروا ، قبل كل شيء ، بأن اللغة العربية في أول اللغات الحية صلاحية لأن تكون « لغة قانون محكمة » لأنها تتمتع بمزايا عظيمة ، يندر أن تتمتع لغة غيرها بمثلها ، وأهم هذه المزايا من « الناحية القانونية » : السعة والدقة ، وهاتان المزيتان لا يشك فيهما مطلع على كتب فقه الشريعة من جهة ، وفقه اللغة من جهة أخرى .

٤ — اللغة « القانونية » في البلاد العربية

ظلت اللغة العربية ، لغة التشريع والقضاء والفقه ، إلى أن دالت دولة العرب ، فأخذت اللغات الأعجمية تتسرب إلى الإدارة والسياسة ، وما أن قامت دول المحاربين الأعاجم ، حتى أصبحت لغتهم لغة القضاء ، بينما ظلت لغة الفقه عربية مستمدة من أم التشريع الإسلامي العربي المبين ، فلما أحبت الدولة العثمانية أن تقتدي بأوروبة في التشريع والتقنين ، أخذت تترجم القوانين الغربية إلى اللغة التركية ، لغة الدولة الرسمية ولغة القضاء فيها ، فغدا القانون في البلاد العربية قانوناً أجنبياً كتب بلغة أجنبية ، ويحكم به في الغالب قاض غير عربي ، وقد أحدث هذا التيار فقها قانونياً جديداً في البلاد العثمانية أخذ عن أوروبا باللغة التركية ، وبه انقطعت الصلة بين فقه القانون وفقه الشريعة العربي ، إلا من ناحية الأحوال الشخصية وبعض النواحي الدينية الأخرى

ثم أخذ المشتغلون بالقانون من أبناء العرب بنقل القوانين الجديدة إلى اللغة العربية ، فلم يوفق بعضهم في ذلك ، فتداول الناس القوانين العثمانية بلغة عربية ، ولكنها لغة هزيلة ، شاعت فيها الركاكة وامتلأت بالتعابير الضعيفة[1] ، وأدخلت على العربية ألفاظاً أعجمية كثيرة ، ما زالت تعيش إلى يومنا هذا في بعض الأقطار العربية

٥ — أثر الوضع الدولي الحديث في اللغة القانونية

عند ما انهار الحكم العثماني أخذت الأقطار العربيـة وضماً

(١) راجع محاضرتي في المجمع العلمي العربي عن : «قوانيننا وضرورة البعث التشريعي) دمشق ١٩٤٢ ، وانظر مقالي عن (القوانين التي ما زالت تحكمنا ، كيف ترجمها العثمانيون وكيف عربناها) مجلة الصباح عدد ١١٢ دمشق أيار ١٩٤٤

دولياً جديداً ، جمل منها دويلات وإمارات متعددة ، يخضع كل منها إلى نفوذ أجنبي معين ، وكان مركز كل قطر منها كدولة مستقلة . يختلف باختلاف ظروفه الخاصة ، ونوع النفوذ الأجنبي المفروض عليه ومقداره ، وبذلك اختلفت لغة « القانون » باختلاف المشرعين في كل قطر ، وانعدام الصلة بين الفقهاء والمعربين في مختلف الأقطار ؛ فتعددت بينهم المصطلحات الحقوقية ، وتباينت الألفاظ الدالة على معان واحدة مما يطعن لغتنا المحبوبة في صميمها ، وينافي الفكرة القومية ، ويقف عثرة في سبيل تحقيق الآمال المنشودة والرغائب المشتركة

٦ — اللغة العربية لغة دولية في القانون المقارن

في آخر مؤتمر دولي للقانون المقارن عقد في « لاهاي » قبل أن تندلع نيران هذه الحرب دعي الجامع الأزهر للاشتراك به ؛ فقام الأزهر بإرسال بعثة من كبار الفقهاء ورجال القانون المصريين[١] أحسنوا تمثيل مصر ومن ورائها العالمان الإسلامي والعربي تمثيلاً جعل المؤتمر الدولي يجمع على اعتماد القرار الآتي :

« يقرر قسم القوانين الشرقية في الوقت الذي يختم فيه أعماله أن المسائل التي طرحت للبحث في الشريعة الإسلامية كانت من الأهمية بمكان ، وبقدر قيمة وفائدة التقارير التي قدمت فيها ، والملاحظات التي أبديت بشأنها ، كما يقدر أهمية عدد المؤتمرين الذين اشتركوا في المناقشات ، وأهمية هذه المناقشات الراجعة إلى صفات الممثلين ومؤهلاتهم ، ونظراً لأن اللغة العربية قد استعملت لأول مرة في تبادل الآراء .

لهذا يلفت القسم نظر المجمع الدولي للقانون المقارن إلى ضرورة فسح مكان أوسع للشريعة الإسلامية في برامج المؤتمرات القادمة ، كما أنه يبدي رغبته في أن يدعى لمؤتمر القادم ممثلون من جميع البلاد التي تهتم بالدراسات الإسلامية ، كما يبدي الرغبة أيضاً في أن تستمر اللغة العربية في المؤتمرات القادمة ضمن اللغات المستعملة لمناقشة المسائل المتعلقة بالشريعة الإسلامية »[٢]

هذا ما قرره المؤتمر الدولي للقانون المقارن مما يبشر باشتراك الأقطار العربية كلها في المؤتمرات القادمة التي ستنعقد بعد أن تضع الحرب أوزارها ، ولا شك في أن اللغة العربية ستكون يومئذ اللغة الرسمية لممثلي تلك الأقطار ؛ فهل يليق بهذه اللغة أن يختلف أولئك الممثلون في كثير أو قليل على ألفاظ أو كلمات أو جمل لها دلالات قانونية واحدة ؟! قد يكون بعض الاختلاف ناجماً عن كثرة المترادفات في العربية ، ولكن هذا إذا كان مما يفخر به أحياناً فإنه عيب في لغة القانون ، وإذا كان استعمال المترادفات في النصوص التشريعية وما يتصل بها غير مستحب ولو لم يؤد إلى شيء من الاضطراب فيها ، فكيف إذا أدى إليه ؟ لا في مؤتمر دولي يضم كبار علماء القانون المقارن ، بل بين أفراد الأسرة الواحدة إذا ما اجتمعوا أو تبادلوا نتاجهم الفكري ؟!

إن التباين الموجود في لغتنا القانونية ومصطلحاتنا الحقوقية ، نحن أبناء الأسرة الواحدة يجب أن يبدأ بالزوال منذ اليوم ، وكلنا أمل بأن لا نرى بعد أمد قريب أي اختلاف يتصل باللغة بين رجال القانون المصريين واللبنانيين والعراقيين والفلسطينيين والأردنيين والسوريين

٧ — أمثلة التباين والاختلاف

إني لا أود جمع كل التباين الموجود في اللغة التشريعية أو الفقهية أو في تعريب المصطلحات الحقوقية بين مختلف الأقطار الناطقة بالضاد ، لأن لهذا مقاماً غير هذا المقام ، وسأكتفي تصويراً للواقع الملموس بإيراد الأمثلة البارزة التالية :

١ — الدستور في مصر وسورية ولبنان هو القانون الأساسي في العراق ، والهيئة التشريعية في مصر هي البرلمان المصري ، بينما هي في العراق مجلس الأمة العراقي ، ومجلس الشيوخ المصري يقابله مجلس الأعيان في العراق

إن هذا التباين في الأسماء لمسميات تكاد تكون واحدة ، يبدو لأول وهلة لا قيمة له ، والحقيقة أنه إذا ما أضيف إليه الاختلاف العظيم في مسميات أخرى ، عجيب بين دول تتكلم بلغة واحدة

(١) هم الأساتذة المحترمون : عبد الرحمن حسن ، ومحمود شلتوت ، ومحمد عبد المنعم رياض ، وحسن أحمد البغدادي .

(٢) عن تقرير الوفد إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

٢ – إن القرارات والأوامر الصادرة عن هيئات مختلفة تختلف أسماؤها باختلاف تلك الهيئات أو صفاتها ، فإذا استعرضنا أنواع القرارات فى البلاد العربية وجدنا أن الاتفاق بين جميع الأقطار لم يقع إلا على لفظة واحدة وهى « القانون » الذى هو عبارة عن القرار الصادر عن الهيئة التشريعية الدستورية ، وأما أنواع القرارات والأوامر الأخرى ، فيكاد يكون لكل اسم فى قطر مدلول آخر فى القطر الآخر :

(١) فالمرسوم بقانون فى مصر هو المرسوم التشريعى فى سورية ولبنان وهو المرسوم فقط فى العراق

(ب) اللائحة فى مصر هى النظام فى العراق ، والمرسوم فى سورية ولبنان

(ج) المرسوم فى مصر وسورية ولبنان هو الإرادة الملكية فى العراق

(د) الإرادة الملكية فى العراق تسمى أحياناً الأمر الملكى فى مصر ، وهى مرسوم فى لبنان ، وفى سورية فى الواقع ، وقرار بحسب النص العربى للدستور

(هـ) القرارات فى سورية ولبنان ومصر هى التعليمات فى العراق

(و) مشروع القانون فى مصر وسورية ولبنان هو اللائحة القانونية فى العراق

(ز) نظام المجلس الداخلى فى العراق ولبنان وسورية هو اللائحة الداخلية فى مصر

(ح) اللوائح فى سورية هى مجرد التقارير واسم يطلق على المرافعات المكتوبة

٣ – إذا كانت مهمة رأس الدولة الأعلى فى سن التشريع تختلف باختلاف نظم الحكم والدساتير ، فإن عمليتى الإصدار والنشر بمفهومهما الفقهى الحديث ، تتشابهان كثيراً فى النظم السياسية المتقاربة ، ومع هذا فإنا نجد سمة نشر القوانين فى الأقطار العربية ، تختلف اختلافاً واضحاً مبعثه ليس فقط اختلاف نظم الحكم فيها ، بل الاختلاف على معانى الألفاظ وترتيبها وهذه هى سمات النشر فى الأقطار المختلفة

(ا) فى مصر

« نحن ملك مصر ، قرر مجلس الشيوخ ومجلس النواب القانون الآتى نصه ، وقد صدقنا عليه وأصدرناه »

(ب) فى العراق

« بموافقة مجلسى الأعيان والنواب أمرنا بوضع القانون الآتى »

(ج) فى سورية

« أقر المجلس النيابى ونشر رئيس الجمهورية القانون الآتى »

(د) فى لبنان

« صدق مجلس النواب وينشر رئيس الجمهورية القانون الآتى نصه »

(البقية فى العدد القادم)

محمد نايف الخطيب

المعـــدة

كغدة من الغدد ذات الإفراغ الداخلي

للدكتور حيدر السمان

لقد جاءت الدراسات التي قام بها العلماء في مستهل القرن الأخير أهمية الغدد الصماء Glandes endoerines وبينت تأثير مفرغاتها الداخلية على تنظيم وظائف الأعضاء وعلى التوازن المتقابل الموجود بينها كما أنهم ذكروا الأمراض التي تنجم عن فرط أو نقص هذه المفرغات والأدوية الغدية الحديثة التي كانت عجيبة بنتائجها .

فقد ظهر أن لهـذه الغدد إفراغات داخلية تصب رأساً في الدم تدعى (هرمونات Hormoves) لها تأثير منشط لوظائف حجرات الأعضاء ، وقد قسمت هذه الغدد بالنسبة لإفراغاتها هذه إلى قسمين :

القسم الأول : لها إفراغات داخلية فقط مثـل : الغدة النخامية Hypophyse ثم الغدة الدرقية Shyroide ، ثم غدة المحفظة فوق الكلية (الكظر Capsule Surrénale) ، والقسم الثاني : لها إفراغان داخلي وخارجي ، مثـل الكبد : Foie والمبيض Ovaire والخصية Sesticale البانقراسي Pancréas وإن أتعرض في بحثي لهذه الغدد لأن أمرها معروف لدى الجميع ولكني ذكرتها بالمناسبة للعلاقة الصميمة التي تربطها بمقالي .

إن الاكتشافات الحديثة قد أضافت لهـذه الغدد الصماء عضواً آخر لم نكن ندري بأن له هـذه الأهمية الفرزية قبل اليوم ، فقد ظهر أن للمعدة إفراغاً داخلياً مستقلاً تمام الاستقلال عن إفراغها الخارجي

لقد كانوا يعتقدون إلى عهد قريب أن لا ضير من الاستغناء عن المعدة استغناء تاماً . ولذلك فإنهم يشيدون بمنافع عمليات المعـدة التي توصـلوا بواسطتها لبتر المعدة وتفميم المرى مع الاثنى عشرى في بعض حوادث سرطانات المعدة لاعتقادهم بأن إفرازات البانقراسي والمعاء الرقيقة وخاصـة إفرازات العضو الأخير كافية لسد النقص الناجم عن فقدان المعدة فقداناً تاماً أو قسمياً فتؤثر على المواد الغـذائية وتجعلها بحالة ملاءمة للامتصاص .

ولكن ظهر للعالم Castle خطل هذا الرأى إذ توصـل بتجاربه التي قام بها إلى أن المعدة ليست موضعاً لحفظ الأطعمة فقط حتى يمكن لفن الجراحة أن يستأصل قسما منها أو يزيلها جملة دون أي عارض ما ، بل إن لها إفراغاً داخلياً مستقلاً تمام الاستقلال عن عصارتها الخارجية كالبانقراسي .

إن الهرمون المضاد لفقر الدم Hormone anti-anémique أو : Hematopoietine هو الإفراغ الداخلي للمعدة الذي يؤثر على خاصة الكبد المولدة للدم فيزيد في عدد الكريات الحمراء ازدياداً كبيراً ، فقد وجدوا نقصاً ظاهراً في عصارة المعدة الحامضية عند من كانوا على عتبة الإصابة بفقر الدم .

لقد بيَّن Castle أن عصارة المعدة عنـد الأشخاص الاعتياديين تكتسب عقب أكل اللحم قوة فعالة ضد فقر الدم تفوق بفائدتها فائدة تناول (خلاصات الكبد Extraits de foie ، ففي ناحية الكبد يظهر التأثير الفعّال لهـذه العصارة الداخلية ، وإن أية آفة تصيب المعدة تؤثر تأثيراً سيئاً في الكبد وتكون سبباً إذا طال أمدها للاصابة بفقر الدم ، إذ لوحظت حوادث فقر دم خبيثة عقب عمليات بتر المعدة Gastrectomies الكاملة أو القسمية وعلى هذا الأساس فقد دخلت المعدة في مداواة فقر الدم

وقد بذلت جهود جبارة لمعرفة ناحية الغشاء المخاطي المعدى الذي يتصف بهذه الخاصة الفرزية إذ أن على هذا التحديد تتوقف نتائج عمليات المعدة ، وقد نجحوا في تحديد ذلك المكان وتبين لهم أن الغشاء المخاطي الموجود في جوار البواب Pylor له هذه الخاصية الحيوية الهامة

وقد طبقت هذه النظرية في مداواة فقر الدم الناجم عن

الأنزفة الدموية الغزيرة وفى مداواة فقر الدم التالى لآفات : السل ، الملاريا ، التهابات الكلية ، التسممات ، وفى حالات الضعف العام الناجم عن البؤس والفاقة ، حسب طريقة Castle الخاصة وذلك بأن ندخل لمعدة المريض بواسطة أنبوب من المطاط عصارة معدة شخص سليم عقب إطعامه (٣٠٠) غرام من لحم البقر بساعة واحدة ، ولكن بالنظر لصعوبة تطبيق هذه الطريقة فى فن الممارسة ، فقد استعيض عنها بطرق أخرى أسهل تناولاً ، ولكنها أقل تأثيراً ، فمنهم من أعطى معدة بعض الحيوانات الغضة ، ومنهم من أعطى مسحوقها المجفف بمقدار (٣٠) غراماً مقسمة على ثلاث مرات ممزوجة مع عصير البرتقال أو أى عصير كان قبل الطعام

وقد استحدثت بعض المستحضرات الطبيعية السائلة مثل Gastrhéma وكانت نتائجها جيدة جداً

إن هذا الاكتشاف الخطير سيقلب جراحة المعدة رأساً على عقب ، وستعود بلا شك عمليات (التفاغم المعدى المعوى Gastro—enterostomie) إلى سابق مجدها بعد أن أهملت زمناً ليس باليسير ، وأوشك أن يقضى عليها نهائياً بعد تطور عمليات المعدة الأخير ، ولكن لا بد قبل ذلك من إدخال بعض التحسينات للتخلص من اختلاطات خطيرة وصمت بها كانت تجبر الجراحين على الاستغناء عنها

يجب أن نفكر فى النتائج البعيدة التى تسببها الأدوية المعدية قبل أن نطبقها على المرضى الممعودين ، فالأدوية المنقصة للإفرازات المعدية التى تعطى فى بعض أمراض المعدة تؤثر فى فعالية الكبد وتلجم خاصته المولدة للدم ، فتكون سبباً للإصابة بالضعف العام وفقر الدم ، وبالعكس فإن الأدوية المزيدة للإفرازات المعدية لا تنشط عمل المعدة الهضمى تجاه المواد الغذائية فقط ، بل إنها تتعدى ذلك وتؤثر على الكبد فتزيد فى خاصته المولدة للدم ، فتزداد فعالية الجسم ومقاومته تجاه الجراثيم والأمراض

يجب أن تطلق اليد فى استعمال الأدوية المعدية ، بل يقتضى استعمالها بدقة وانتباه وبمشورة الأطباء الأخصائيين .

(دمشق) — الدكتور
حيدر السمان

من وحى الدماء ! !

١ — مصرع الجمال ! !

[حملت إلينا أنباء المجازر المشئومة : أن الألمان فى ميدان « نورماندى » يستخدمون فى قتالهم بعض كتائب من الجنس اللطيف ! وقد نجم عن هذا العمل الوحشى أن ذهب كثير من هؤلاء البيض الحسان جزر السلاح الأبيض ! وهل فى الحرب يا أم ارحميني ! فوا حسرتاه ! ويا حر قلباه !]

رحمتا للحسان يبتن وقوداً   لجحيم ، وقودها الأبرياء
كم قدود ، لها اهتزاز العوالى   هصرتها المنية الهوجاء
وعيون ، من زرقة البحر أصفى   سلبتها سهامها الهيجاء
وخدود فى صحنها الجمر والما   ء ، خبا جمرها ، وغاض الماء
وثغور ، كانت مناهل راح   حكمت فى رحيقها الأقذاء
وشعور كالتبر تؤدم بالمسك (م) هى اليوم والحلاق[1] سواء
وصدور غذى ترائبها الحسن (م ورويت ثمارها النعماء
نهلت من أديمها الأبيض البيض (م) وعلت منه الرماح الظماء

* * *

كيف ذل الجمال ! وهوله العزة (م) — بعد الإله — والكبرياء ؟
يا حماة الوغى ، أما للغوانى   بينكم — تحت نقعها — رحماء
حرمت شرعة البطولة أن تقتل (م) — فى حومة الجلاد — النساء
دونكم ساحة الهوى وأنا الضا   من أن تصرع الأسود الظباء

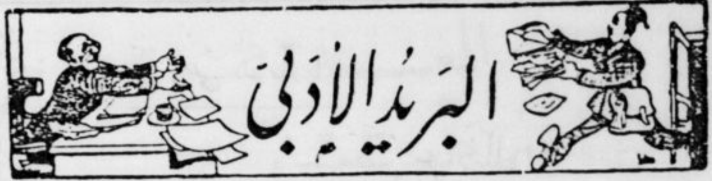
٢ — الأرض الدنسة

انظر الأرض عل فيها بقاعاً   لم يدنس أديمها بالجرائم
كل صقع بها جحيم تلظى   يصطلى حرها البرىء المسالم
شقى الناس بالعقول وراحت   ناعمات — بفقدهن — البهائم
بت فى ريبة : أذاك هواء   — ينشق الناس — أم غبار الملاحم
زعماء الشعوب قادوا إلى النا   ر شعوباً وراءهم كالسوائم
كل إبليس عنه يأخذ (إبليس) (م) فنون الأذى ، وهتك المحارم
هذه الأرض للشقاء فلا تقرع (م) — على فائت بها — سن نادم

على الجندى

---

(١) الحلاق بكسر الحاء : جمع حليق : ما يحلق من شعر المعز



تعقيب ورد

١ – أوافق الأستاذ الجليل نقولا الحداد على قوله فى كلمته المنشورة فى العدد ٥٨٣ تعليقاً على مقالى « مسائل فى وحدة الوجود » : « إن الأديان السماوية الثلاثة ترفض نظرية (وحدة الوجود) رفضاً باتاً وأنها مجمعة على أن الله والوجود المادى منفصلان ، وأن الله خالق الوجود المادى ومُسيِّره »

غير أني لا أوافقه فيما ذهب إليه من أن بيئتنا الفكرية فى البلاد العربية ليس فيها محل لحرية الفكرية أو القول أو القلم . فإن ذلك حكم قاس على تلك البيئة التى عرفت أنواع الحريات حتى فى القرون الوسطى .

وليست مناقشة أهل مذهب دينى أو فكرى لأهل مذهب آخر دليلا على أن الحرية غير مكفولة ، فإن الصراع والنزال فى المجال الفكرى لانتصار مذهب على مذهب ليس معناه الحجر على الحريات مادام هذا الصراع لم يتخذ سبيل القوة والإرغام والاضطهاد من جماعة لجماعة .

ولست بحاجة إلى التدليل على أن كثيراً من الآراء والمذاهب فى البلاد العربية وفى مصر خاصة لا يتفق مع المقدسات من العقائد . ومع ذلك يحيا أصحابها ويستطيعون أن يدافعوا عن آرائهم وحججهم ولا تمس أشخاصهم بسوء . « ولا يساقون إلى قضاء الامتحان الدينى » .

نعم قد تنسب لبعضهم تهمة المساس بالعقيدة الدينية « ويحمل عليه حملة تكافئه » . ولكن ليس يتعدى ذلك إلى غير الاتهام وحملة الكلام ... وهذا بالطبع جائز لكل مناظر يرى رأياً ويقرر حكما فى حدود الأدب ، وعلى المناظر الآخر أن يدفع التهمة أو يرتضيها لنفسه إن كان ما صدر منه عن عقيدة راسخة يريد أن يدعو الناس إليها

فإن كان الذين يريدون أن يمسوا العقائد الدينية الموروثة معتقدين مخلصين لآرائهم ، ويرون أنها الحق الذى يجب أن يدعى إليه فلماذا لا يحملون فى سبيلها الاضطهاد والعذاب الذى لاقاه مؤسسو هذه العقائد والأديان ، ويلاقيه كل داع إلى الخير ؟

والطبيعة البشرية حتى فى المجال العلمى الطبيعى تقاوم كل نظرية حديثة وقصة مقاومة العلماء والأطباء لنظريات إخوانهم المكتشفين لحقائق جديدة قصة معروفة حتى فى هذا العصر . فلبس الأخذ والرد والدفع والجذب فى المجال الدينى والفلسفى فريداً لا نظير له ، وإنما طبيعة الناس المقاومة لكل حديث إما حسداً وإما جحوداً وضيق فكر ، وإما عن عقيدة واقتناع . والزمن كفيل بمعاونة الحق على الظهور والنمو والغلبة . وبقاء الأصلح قانون طبيعى (وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض)

فعلى أحرار الفكر الذين يرون آراء حديثة فى الحياة أو الاعتقاد أو حياة الاجتماع أن يحملوها حمل آباء الإنسانية الأولين من الأنبياء والحواريين ، وأن يلاقوا فى سبيل تبليغها ما لاقى أولئك من التسفيه والتشريد والتجويع والتقتيل إن كانوا بها مؤمنين ، وللإنسانية مخلصين . وعليهم بعد ذلك أن يتحملوا تهم الكفر والإلحاد التى رمى بها الأنبياء . فلقد رمى كل رسول بتهمة الكفر والإلحاد فى العقائد الوثنية والتقاليد والأخلاق الهمجية ، ومع ذلك فقد سخروا من الاتهام وتحملوا الآلام حتى انتصروا وانتصرت كلماتهم ، وصار العالم الراقى كله يدين لتلك الكلمات ! وعلى هؤلاء الأحرار بعد كل ما تقدم أن ينتصروا ... وأن يحملوا الطبيعة الإنسانية على الاستجابة لآرائهم إن استطاعوا ... وإلا فعليهم أن يعلموا أن الطبيعة الإنسانية لا تأبى مذاهبهم ولا تستعصى على الاستجابة لها إلا لأنها « نشاز » وشذوذ لا يصلح معه أمر حياة الاجتماع ، ولا يأنس إليه الطبع الإنسانى العام الذى لا يخضع للعقل وحده ، وإنما يخضع لمزيج مبهم من العقل والغريزة والعاطفة ...

وقديماً فشل العقل اليونانى بفلسفاته أن يوجد أمة صغيرة كاليونان ، ويقودها نحو الإيمان بالله الواحد ، ويترك الوثنيات التى كانت تضج بها معابدها . ولكن الطبع الباكى الضارع الحنيفى الفطرى المتمثل فى إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد والمتعلق بالله الواحد ، وبأصول الخير والفضيلة قاد اليونان والرومان ووحدهم . وقاد من بعدهم أمماً عظيمة لا تزال ولن تزال تسيطر على مقدرات الأرض وسياسة الاجتماع

٢ – بدت للأستاذ ابراهيم السعيد عجلان ملحوظتان حول أمرين وردا فى المقال السالف الذكر

أولهما : تفريرى أن إبراهيم عليه السلام توهم أن الله تعالى يخلق بأدوات ووسائل ، مع أن إبراهيم سأل : « كيف تحيي الموتى » ولم يسأل « بأي شيء تحيي الموتى » .

والذى قلته بالحرف : لقد توهم إبراهيم أن هناك « كيفية » للإحياء ، وأنه هناك أدوات ووسائل للخلق والتكوين

- فأنا لم أحول « كيف » عن معناها حتى ولا لفظها ، بل قدمت معناها ، ثم ألحقته بلازمه الذى لا بد يخطر بالبال عند إجراء « كيفية » التكوين والخلق . فإن أدوات التكوين والخلق فى خيال الناس تلحق « بالكيفية » وصورها

ثانيهما : تفسيرى الفعل صار من « صُرْهُنَّ » بأذبحهن ...

وهذا فى رأى الأستاذ عجلان ينافى صريح اللغة وسياق الآية

والرد على هذا الاعتراض من وجهين :

١ — فى قاموس الفيروزبادى : (صارَ الشيء يصُورُه ويصيرُه : قطعه وفصله) وهذا صريح فى معنى الذبح . وأكثر من الذبح وهو التقطيع وتكون « إليك » فى الآية ضميمة لتصور الحال إذ أن الحال فى ذبح الطير أن يميل به الذابح ويضمه إلى جانبه ليتمكن من إجراء السكين .

٢ — لو كان معنى « صُرْهن » ضُمَّهن وأملهن فقط لكان تفسيرها بالذبح تفسيراً بلازم الضم والأمالة فى هذا الموضع الذى يتعين فيه ذلك التفسير ليتناسب ذلك مع (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً)

عبد المنعم خلاف

رأى الأب مرمرجي فى وحدة الوجود

ردًّا على كلمة الدكتور زكى مبارك المنشورة فى العدد ٥٨٢ من (الرسالة) الغراء أقول : كنت قد كتبت إلى العلامة الأب مَرْمَرْجي الدومينيكي أستوضحه رأيه فى وحدة الوجود بعد أن قرأت مقال الأستاذ دريني خشبة الأول حول هذا الموضوع ؛ فأجاب حضرته بما يلى :

« الوَحْدِيّة Monism مذهب فلسفى معاكس فى مختلف وجوهه لمذهب ثنائية أو كثرة الوجود dualisme أو Plusalisme فبينما تميز فلسفة « كثرة الوجود » تعدد الأشياء تنكر فلسفة « وحدة الوجود » حقيقة التعدد ، وتذهب إلى أن ما يعد كثرة ليس إلا ظواهر للوجود الواحد . إذ تميز فلسفة الكثرة بين الجسد والنفس ، وبين المادة والروح ، وبين الموضوع والفاعل ، وبين المادة والقوة ، فالمذهب الجاحد لمثل هذا التمييز والمحيل لأحد حدّى التناقض إلى الآخر ، أو الخالط الإثنين فى وحدة عليا ، يدعى مذهب الوحديّة أو مبدأ وحدة الوجود

« فى الفلسفة الغيبية أو الميتافيزيقية ، كان قدماء فلاسفة الهنود يذهبون إلى أن التغير والكثرة والسببية ليست حقيقة ، وأن لا حقيقة إلا موجود واحد هو الله ، وهذا المبدأ ينكر الموجودات إلا وجود الله ، والقائلون به هم الحاليون الصوفيون Idéalistes mytizus أما قدماء اليونان ففلاسفتهم أنكروا مثل الهنود ، وجود الكائنات ، وقالوا إن الوجود واحد غير متغير وسرمدىّ ، ولم يصرّحوا باتحاد هذا الوجود بالله ، ودون الميل إلى الصوفية ؛ فكانوا مثاليين أو تصوريين صرف . ومثل هذا المذهب قالت به الأفلاطونية الجديدة Néo Platonisme ، وظهر فى فلسفة سبينوزا Spinoza ، وفى فلسفة الإطلاق Absolutisme لهيكل Hegel ، وفى فلسفة Haekel الغيبية الساعية فى جمع المادة والروح فى وحدة عالية . فضلاً عن الوحدة التصورية المثالية Monisme idealiste هناك الوحْديّة المادية Monisme materialiste المدعية أن لا وجود إلا لحقيقة واحدة وهى المادة سواء أكانت هذه المادة الأولى مجموع ذرات أم سديما صدر عنه الكون

« الوحدية » ليست هى « التوحيد » أو الإقرار بوجود إله واحد ، وإنكار تعدد الآلهة أو الوثنية ، وإنما تطلق على « الوحدة الحلولية » Monisme prantheiste القائلة بأن لا تمييز بين الله والكون ، سواء قيل إن الله حالّ فى الكون حلول الجزء فى الكل ، أو قيل إن لا وجود إلا لله وما الكون إلا ظهور الله أو تجليه ، وهذا ما ينافى التوحيد Monothe'isme أى وجود الله ووجود الخلائق المتميزة عنه . التوحيد لا ينكر أن الله ظاهر بخلائقه ، ولكنه ينكر أن لا وجود للخلائق . التوحيد ثنائى أى يقبل بوجود الله ووجود الكائنات متميزة عنه . إن الله متميز عن الكون ومستقل بذاته ، والكون متميز عن الله لكنه

غير مستقل عنه ، التوحيد يقول إن العالم قد خلقه الله من العدم ، وهذا أيضاً مذهب فلاسفة اليونان كسقراط وأرسطو وأفلاطون . أما غيرهم من أهل الوحدية فيذهبون إلى أن أصل العالم المادة ، وأن هذه المادة القديمة صدرت عنها الموجودات ، وهكذا يخلطون بين العلة المادية والعلة الفاعلة السببية »

أما بعد ، فهذا ما كتبه عالم له فى ميدان الفلسفة باع طويل فما قول الدكتور زكى مبارك بعد ذلك ؟

(القدس) (أ . م . م)

بين الفلسفة والدين

قلت للأخ العزيز الأستاذ دربنى خشبة إنى حاضر لمساجلته حول نظرية وحدة الوجود ، على أن يكون أساس المساجلة أن نترك التفكير فى أن هذه النظرية تجنى على العقيدة الإسلامية ، فكيف كان رأيه فى هذا الأساس ؟

تفضل فقال : « هذا شرط عجيب ، ولست أوثر أن أقول إنه شرط خبيث ! » ثم كرر هذه العبارة بعد سطور من مقاله الجميل !

وأقول إن من حقه أن يصف ذلك الأساس بما يريد ، ما دام مخلصاً فى الوصف ، وهو فى نظرى من أهل الصدق والإخلاص

ولكنى لا أقبل أبداً إخضاع الفلسفة للدين ، لأن هذا يبعدها عن مراميها ، ويصدها عن رياضة الفكر على التحليق فى آفاق المجهول من سريرة الوجود

والخير للاسلام وأهله أن لا نزج به فى جميع التيارات الفكرية . فهذا المسلك يبلبل الخواطر ولا يعود على العقيدة الإسلامية بأى نفع ، وإن ضرره لمحقَّق

وأقول أيضاً إنى لا أجعل الإسلام فى بالى عند كل فكرة يجول فيها عقلى ، لأن هذا تعسف وتكلف ، ولأنه صدٌّ للفكر عن الخوض فى الحدود والفروض وهى المفتاح لمغاليق الثروة العقلية

والأستاذ دربنى قال وكرر القول بأنه يريد لنفسه وللناس إيماناً بسيطاً ، فأنا أرجوه أن يثبت على إيمانه البسيط ، على شرط أن يسمح لرجل مثلى أن يختار الإيمان المعقد إلى أبعد حدود التعقد والاشتباك ، وهو الإيمان بوحدة الوجود ، وهو إيمانٌ فلسفيٌّ لا أريد وصله بالعقيدة الإسلامية ، لأنى أكره الخلط بين الفلسفة والدين ، ولأنى أمقت مراءاة الناس

أما بعد ؛ فهل تريد أن نتساجل على هذا الأساس الذى طاب لك وصفه بأنه أساس عجيب أو خبيث ؟!

وفى انتظار جوابك أقدم إليك تحية الشوق وصادق الثناء

زكى مبارك

كتب جديدة للدكتور مندور

دعامة الإتقان للقيم الأدبية ترتكز على صدق فى التعبير وصدق فى التصوير ، وعلى قدر حظ الأديب منهما يكون حظ آثاره الأدبية من الخلود ، والمتأمل فى كل ما أنتجه الدكتور الفاضل محمد مندور يلمح فى ثناياه روح الصدق فى الإحساس والتعبير . فقد كان الدكتور صادقاً حتى فى كتابه المترجم ، فأكبر اليقين لا أكبر الظن أن الدافع لترجمته كان ما يشعر به فى أعماقه من تجاوب بين هذه الأفكار المترجمة وبين ما تزخر به وجداناته . وتلك ميزة ملموسة شاهدناها فى ترجمته لكتاب « دفاع عن الأدب » ولقد كان دكتورنا الفضال صادقاً أيضاً فى كتابه « فى الميزان الجديد » بل إن كتاباته عن الأدب والشعر المهموس إذا فهمت على حقيقتها نهضت دليلاً قاطعاً على صدق التجاوب بين أحاسيس الدكتور وتعبيره . إن رجلاً يحس الهمس ينبض فى ألفاف الكلمات ويبلغ من رهافه الحسى أن يقيم (لفتات الحياة) وزناً كبيراً .. إن رجلاً هذا شأنه لرجل صادق فى كل شىء . وإنى لأنتهزها فرصة لأقول إن الذى أفهمه من الهمس فى الشعر هو صدق التعبير الذى يلمس الفتات ويعنى بالخطير من الأمور ، ومن ثم يكون كل صادق هامساً . ومن ثم تكون كل كتابة صادرة عن شعور عميق ، وتأثر بالغ همساً أيضاً ، وهل كانت دموع أستاذنا الزيات حين بكى ولده إلا الهمس النبيل ، وهل كان رثاء الأستاذ العقاد لبيجو غير الهمس ، وكم فى كتاب الأيام من همس حبيب . إن وفاء الكاتب أو الشاعر لموضوعه وإيمانه به وصدقه فى تصويره ، لا يخرج إلا الهمس . وما كان دفاع صديقنا الدكتور الجليل عن الأدب المهموس إلا الهمس فى أبلغ معانيه . وبعد فإن المكتبة العربية لتعتز بهذه الكتب الثلاثة : نماذج بشرية ، ومن الحكيم القديم إلى المواطن الحديث . وفى الميزان الجديد

(الاسكندرية) صبحى محمود البشبيشى

12 me Année No. 588

Lundi - 9 - 10 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٨٨ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ شوال سنة ١٣٦٣ — الموافق ٩ أكتوبر سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٩٠١ أمية المتعلمين ... .. : الدكتور محمد مندور ... ...
٩٠٤ ثقافة أبي العلاء ... .. : الأستاذ دريني خشبة . . ...
٩٠٦ ثورة على القطيع . . .. : الأســتاذ زكريا إبراهيم ..
٩٠٨ اللغة القانونية في الأقطار العربية : الأسـتاذ عدنان الخطيب ..
٩١٢ كتب الأنصاف والتخرى في دفع الظلم والتجرى عن أبي العلاء المعرى ... : الأستاذ برهان الدين الداغستاني
٩١٤ قبر أبي العلاء . ... : الأستاذ صبحي البـــيني . .
٩١٧ حلم الفجر ... [قصيدة] : الأستاذ سيد قطب ... ...
٩١٧ القريب البعيــد « : الأسـتاذ حسين سرحان ...
٩١٨ بيان إلى صحف الأقطار الشقيقة : الأستاذ توفيق الحـكيم ..
٩١٨ حرية الفـكر أيضا .. . : الأسـتاذ نقولا الحداد ..
٩١٩ تعريف لوحدة .. ... : الأستاذ حبيب الزحلاوي . .
٩١٩ إلى الدكتور زكى مبارك . . : الأستاذ دريني خشبة ... ..
٩١٩ بقية عن تيمور ... ... : الأستاذ سيد قطب ... ...
٩٢٠ منع النساء من لبس العمائم الكبيرة ... .

أميـــة المتعلمين

للدكتور محمد مندور

نحن في حاجة إلى أن نكافح ببلادنا ثلاثة أنواع من الأمية : الأمية الأبجدية والأمية العقلية وأمية المتعلمين . ولا بد إذا أريد لهذا البلد الصلاح من أن نكافح الأنواع الثلاثة معاً ، وساقاً بساق في شبه ثورة اجتماعية تجند لها جميع القوى قسراً

فأما الأمية الأبجدية فتلك في الحقيقة أهونها ، لأن تعليم فك الخط ليس بالأمر العسير ، وإن تكن هناك ظاهرة تستحق النظر . فلقد اتفق لكاتب هذه السطور أن رأى صبية التعليم الإلزامي يطالعون دون أن يخطر ببالهم أن المطالعة إنما تكون لفهم ما نطالع أو محاولة ذلك الفهم . وأنا بعد لا أدرى سر هذه الغفلة ، وإن كنت أميل إلى التفاؤل ، إذ يخيل إليَّ أن محو الأمية الأبجدية عند الأطفال كسب حقيقي ، فهم إذا كانوا عاجزين عن أن يستفيدوا بما تعلموا من مبادئ القراءة والكتابة فلا أظن ذلك مانعاً لهم عند الكبر وتفتح النفس من أن يهتدوا إلى أن القراءة إنما جعلت للفهم والإلمام بما نقرأ . وأكبر الظن أن هذه الظاهرة لن تحدث عند تعليم الكبار الذي تعتزمه اليوم

حكومتنا ، فالشخص الكبير لا بد من أن يتحرك تفكيره بما يقرأ ، وبخاصة إذا اختير له من القراءات ما يثير اهتمامه الشخصي ، ويلابس ظروف حياته فيثمره بفائدة ما يقرأ . وسوف يزداد شغفاً إلى إجادة القراءة بفضل ما يلقن من مبادئ الثقافة الشعبية التي تشق الحجب عن بصيرته ، فيحس بآفاق جديدة تنتشر بها حياته ، حتى لكأنك تفك عنه أغلالاً ، سيدرك عندئذ أنها كانت توثقه على غير وعي منه ، وإذا به يسعى إلى أن يتمكن من الوسيلة التي حررته . ومن هنا تظهر الصلة المتينة القائمة بين مكافحة الأمية الأبجدية والأمية العقلية ، وتأثير إحداهما في إنجاح الأخرى

والأمية العقلية محوها لا ريب أشق وأبعد مدى من محو الأمية الأبجدية ، وإن خيل إلينا عكس ذلك ، فقد يقول قائل : إن باستطاعتك أن تجمع الأميين وتخاطبهم بلغتهم العامية عما تريد أن يعلموا وإذا بك تبدد الجهل من عقولهم ، وهذا قول لا يصح إلا في ظاهره . فقديماً قال مفكرو الإغريق : « إن تثقيف الأطفال — والأميون في هذا حكمهم حكم الأطفال — لا يستطيعه غير الفلاسفة » والسبب في ذلك بين ، فالمعلم لا بد له من خيال قوي ليستطيع أن يخرج عن نفسه ليحاذي عقلية من يخاطب ، ثم إنه ليس أشق من تبسيط المعرفة ، وذلك لاستهداف المبسط في أغلب الحال لأحد أمرين : الغموض أو الثرثرة . ومن هنا ترى أن كتب التبسيط العلمية الجيدة لا يكتبها عادة في أوروبا غير كبار العلماء الذين هضموا المادة حتى أصبح حديثهم عنها أشبه ما يكون بذكريات حياتهم الخاصة

وأيا ما يكون الأمر فهذان النوعان من الأمية باستطاعة حكومة حازمة أن تكافحهما أنجح الكفاح ، ولكن ثمة النوع الثالث وهو أمية المتعلمين فذلك ما يحير اللب ، حتى لأحسب أن تلك الأمية من أدوائنا العميقة التي اجتمعت لتأصيلها أسباب عاتية لا ندري كيف السبيل إلى علاجها

ولأمية المتعلمين ثلاثة مظاهر : الانتهاء من التعليم الدراسي بفائدة ضئيلة ، وعدم تنمية كل صاحب فن لمعلوماته الفنية بعد التخرج ، وأخيراً ضعف الثقافة العامة عند معظم المتعلمين ، بل وإهمالها أحياناً إهمالاً تاماً

الخروج من التعليم بفائدة ضئيلة له ما يشابهه في حياتنا العضوية ؛ فنحن جميعاً لا نتمثل من الغذاء كل ما فيه من عناصر القوة ، حتى لترى من الناس الضعيف برغم ما في شهيته من نهم ، ومنهم القوي على ما به من اقتصاد في الغذاء . والقدرة على تمثل المعرفة للطبع فيها دخل كبير ، ولكنه ليس كل شيء ؛ فمناهج الدراسة وقدرة الأساتذة تفعل في ذلك الأعاجيب .. وليس من شك في أن الثمرة الحقيقية لكل تعليم صحيح هي ما يخلف في النفس من رواسب تمتزج بملكاتنا ، حتى تصبح جزءاً منها ، وأما المعلومات التي نحملها كودائع نسلمها لأوراق الامتحانات إسلاماً لا رجعة فيه ؛ فذلك ما لا يمكن أن يسدد إدراكاً أو يهذب ذوقاً أو يرهف إحساساً . والمتعلم لن يصل إلى ما يجب من تمثل المعرفة إلا إذا أوتي من الخيال ما يستطيع معه أن يتصور في كل حين مواقف الحياة التي من الممكن أن يستخدم فيها كل نوع من المعرفة التي يتلقاها ، وبفضل هذا الخيال يمد الصلات بين العلم والحياة . ونحن لا نملك هذه القدرة على نسبة سواء في مراحل حياتنا المختلفة ، ولا أدل على ذلك من أن نعود بعد أن يستوي إدراكنا إلى أبسط كتب الدراسة نقرأها من جديد فنجد أننا كنا واهمين عند ما اعتقدنا ونحن صغار أننا قد انتزعنا كل ما بها وفهمناه على وجهه . بل إن الكتب التي نقرأها مرة واحدة ونحن كبار نستطيع أن نعود إليها أو إلى الجيد منها فنعثر فيها دائماً على جديد لم نفطن إليه أو غامض لم نحسن فهمه ، وكل ذلك فضلاً عما نستوحيه من تلك الكتب . ومن الثابت أن الكتاب وسيلة للتفكير الأصيل قدر ما هو مستودع للمعرفة ، وياويل قارئ سلبي لا يقف من الكتب إلا موقف المتلقي . ولقد اتفق لكاتب هذا المقال أن

لاحظ غير مرة فروقاً شاسعة بين المتعلم المصري والمتعلم الأوربي. فشبابنا المتعلمون أغلبهم لا يحس في حديثهم بمعارفهم إيماناً بما يقولون، أو على الأصح يرددون حتى ليتضح أن كل ما يذكرون ليس إلا رهائن في نفوسهم لا يعرفون سراً لاحتفاظهم بها، ولا يرون لها صلة بالحياة أو فائدة من إثرائها بله إخضاعها وتوجيهها. ولقد يكون أحدهم واسع الذاكرة ولكنك مع ذلك لا تعدم أن تحس بضيق إدراكه، حتى لكأنه حبيس فيما يردد مستعبد له؛ وكل تلك مظاهر لأمية أخطر من أمية العوام. والغربي على العكس من ذلك إيجابي في تفكيره، معارفه حية لأنها وقود لتفكيره، ومن هنا تتسع حيلته في الحياة وتشتد ثقته بنفسه، فلا يرهب مجازفة ولا يقعده عجز عن البدء في كبار الأمور يخطط سبلها ويوفر لها أسباب النجاح. عجيب أن يتخرج متعلمنا عالة على الحياة ويتخرج متعلمهم عنصراً فعالاً في خلق تلك الحياة

وذوو المهن منا قل من يتابع منهم سير المعرفة في مهنته، وذلك لأنهم لا يلبثون بمزاولة العمل أن ينزلوا إلى الآلية التي لا تستطيع تجديداً، حتى في تفاصيل المهنة. والسر في ذلك، هو أنهم لا يقدرون — لكسل أو إعياء — قيمة المعرفة النظرية في مهنتهم قدرها الحق، ونحن الآن في عالم تعقدت فيه وسائل العمل والإنتاج، وأصبحت تستند إلى أسس نظرية لن تتقدم مهنة بدونها؛ ونحن لا نلقي التبعة كلها على متعلمينا فمنهم المرهق المهموم بتبعات الحياة المادية كالمدرس، ولكن إلى جانب هؤلاء كم ترى من موظفي الدواوين الذين طغى الكسل على حياتهم فتسكعوا كالدواب، وكم ترى من أطباء ومحامين لم يترك لهم جشع الحياة فراغاً، يطالعون فيه جديداً أو يجيدون فهم قديم، تلقاهم فتدهش لآفاقهم المحصورة ومعارفهم الضامرة لا في ثقافتهم المهنية فحسب، بل وفي ثقافتهم الإنسانية العامة، تلك التي لا بد أن تستند إليها معارفهم الفنية إذا أريد لها أن تنمي قدرتهم على تكييف النفوس والحكم على مواقف الحياة حكماً صحيحاً؛ وهذه أيضاً أمية لا تجد لها مثيلاً في الغرب حيث يؤمن كل ذي مهنة أن توقفه عن القراءة مميت لمهنته مجفف لنفسه، وأنه لن يستطيع المنافسة في ميدان الحياة ما لم يتابع مكتشفات المهنة وثقافتها النظرية متابعة حارة مستمرة

ونصل إلى ضعف الثقافة العامة؛ وهذا الضعف كما رأينا شديد الصلة بالتعليم وبالثقافة المهنية على السواء. ونقصد بالثقافة العامة كافة أنواع المعرفة الأدبية والتاريخية والفلسفية التي لا تتصل بمهنة ولا تؤدي إلى استغلال مادي مباشر. وفي هذه الظاهرة نرى ببلادنا ما يفزع حتى لتحسب أننا في أرض لم تتسرب إليها بعد معاني الحضارة الحقيقية. ففي أوروبا مثلاً من المستحيل أن تلقى موظفاً أو طبيباً أو مهندساً أو محامياً يجهل مؤلفات كبار المفكرين من الأدباء والفلاسفة والمؤرخين. وأما في مصر فمن المستحيل أن تلقى من بين من ذكرنا من يعرف تلك المؤلفات في غير النادر الذي لا حكم له. ومن أشنع ما يهولك أن ترى سادتنا لا يستحون من جهلهم، بل يظهرون من عدم الاكتراث، إن لم يكن الاحتقار الكاذب لتلك الثقافة الحرة، ما يحزن. ومن عجيب الأمر أنهم لا يحلمون حتى بما سيجدون في تلك الثقافة من عون على مزاولة مهنهم مزاولة صحيحة، وهم يكادون يجهلون أنهم يعيشون في وسط اجتماعي وأنهم يعملون في صلب الحياة. وليس من شك في أن أحدهم لن يفهم وسطه الاجتماعي أو ينفذ إلى نفوس من يحيطون به أو يستطيع علاج مشاكل الحياة ما لم يتسع أفقه وتشحذ ملكاته الإنسانية بالثقافة الواسعة الحرة، ولكم من مرة لقينا بأوروبا طبيباً أو محامياً يحدثك أن نجاح مهنته لا يتوقف على معلوماته الفنية فحسب، بل لابد له من أن ينهض على فهم صحيح لنفسية المريض أو الخصم أو القاضي، وسبيلهم إلى ذلك الفهم هو مواصلة القراءة في ميادين البحث الإنساني. ثم هب أن الثقافة العامة لن تجدي في الحياة العملية، أليست هي المنبع الأول لمتع الحياة، أليست هي دليل التحضر وارتفاع الإنسان عن مستوى الحيوان الأعجم؟ ألا فلنذكر قول المفكر الفرنسي العميق جورج ديهامل: «المكاتب العامة لا تكفي حاجات الناس، ولذا يمتلك كل منهم — مهما كان فقيراً ومهما ضعف استقراره — مكتبة صغيرة هي كنزه الذي يعتز به. فكل إنسان يشعر بالحاجة إلى أن يجد في متناوله وتحت بصره وسائل حياته، وهو يقتنيها لا لأن الكتاب هو أخص زينات المنزل، ولا لأنه ينشر في الأماكن التي يحلها عبيراً أليفاً نافذاً من الروحية، بل لأنه يجد فيها ما يركن إليه في ساعة ضلال أو انحلال أو شك أو فراغ نفسي. ولتتصور ماذا تكون حياتك في بيت مريح، ولكنه خال من الكتب، إنك لن تلبث حينئذ أن تحس بالنفرة وضيق الصدر»

محمد مندور

ثقافة أبى العلاء

للأستاذ دريني خشبة

لم يحى أحد من الشعراء حياة صدق صريح لا مواربة فيه ولا خداع كما حيى أبو العلاء ... ولم تكن حياة أحد قصيدة من الشعر المكلوم المكتوم الحزين الباكى الناقم كما كانت حياة أبى العلاء ... ولم يعبس أحد للحياة تلك العبوسة الطويلة المظلمة التى غبرت ثمانين عاماً ، كما عبس هذا التنوخى أحمد بن عبد الله ابن سليمان ، آكل البُلْسُن والبَلَس[1] ؛ ولم يثقف شاعر نفسه بكل ما استطاع أن يثقفها به مما وصلت إليه يده وقدرته كما فعل المعرى ؛ ولم يأخذ أحد نفسه بما أخذها به أبو العلاء من شدة وجد وصرامة ، فقد عاش طول حياته منطوياً على نفسه ، عزوفا عن الناس ، نباتياً لا يذوق اللحم ، صوّاما لا يفطر إلا فى العيدين كما يحدثنا الأستاذ متز[2] ، مستعلياً عما فطرنا الله عليه من حياة وتناسل ، حابساً نفسه فى مائة سجن من شذوذه الذى يصادفك فى كل شىء ... فى شعره وفى نثره وفى أخباره وفي ثقافاته وفى اختلاف الناس فيه ... والسجن المؤبد فى العرف الحديث هو ما زاد على العشرين عاما ، إلا أننا لم نسمع عن سجن مؤبد زاد على الخمسين إلا فى حياة أبى العلاء ، وكان مع ذلك سجناً اختيارياً حبس الشاعر فيه نفسه عن طواعية ... فلم يضق به ... ولم يزور عنه ، ولم يشك منه لمخلوق ، بل كان له وفياً ، وبه حفياً .

أرانى فى الثلاثة من سجونى ... فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدى ناظرى ، ولزوم بيتى ... وكون النفس فى الجسم الخبيث

(١) العدس والتين ، وفيهما يقول أبو العلاء :

يقنعنى بلسن يمارس لى ... فان أتتنى حلاوة فبلس
فلس ما اخترت إن أروح من ... يسار قارون عفة وفلس
(اللزوميات جـ ٢ ص ٥٥)

(٢) الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ١١٠

وإذا قال لنا المعرى إن سجونه كانت ثلاثة فهو يقول هذا تجوّزا ، لأنه دعا نفسه رهين المحبسْين ، وهو فى الحقيقة رهين مائة محبس أو تزيد ... فالمعرى لا يلقاك إلا فى سجن ، ولا يحدثك إلا فى سجن ، ولا يسخر بك ويستهزئ منك إلا فى سجن ، لأن كل عادة من عاداته سجن ، وكل طبع من طباعه سجن . وهو يفنّ فى ابتكار السجون التى كان مأخوذاً بحبس نفسه فيها . فأنت تقرأه فى الفصول والغايات فلا تفهمه ، ولا تعرف ماذا يريد أن يقول ، لأنه يختبئ منك وراء جدران سجنه الغليظة السميكة التى بالغ أشد المبالغة فى غلظها وجعلها سميكة ، لأنه تعمد ذلك ، وسعى إليه ... إنه لا يريد أن تفهمه فى سهولة ويسر كما تفهم سائر الناس ... لأنه ليس كسائر الناس ... وأنت كذلك تقرأه فى لزومياته فيخيل لك الغرور أنك تفهمه ، مع أنك لا تفهم مما يقول شيئاً ... إنه يختبئ منك ويستخفى وراء سجن يشبه هذا الجحيم الذى صوره فى رسالة غفرانه ... سجن كله دركات مثل دركات جهنم ، من فكرة فى صدر البيت ، تنفيها فكرة فى العجز ، ومن رأى فى البيت الأول يضربه رأى فى البيت الثانى ، ومن عقيدة في هذه القصيدة تلطمها عقيدة أخرى فى التى تليها ... كل ذلك فى ألفاظ خبيثة يخيل إليك أنها حوشية . ألفاظ تكاد تصرفك عن قراءة هذا الذى سماه أبو العلاء شعراً ، وما هو فى نظرك بشعر ... بل هو فى نظرك كلام لا ينتمى إلى اللغة العربية التى عرفها الناس لغة راقصة ضاحكة طروبا ... لا لغة عبوساً متجهمة تجهم تلك الثاكل التى وقفت بشاطئ اليم تبكى بنيها الذين ابتلعهم لجته ، ولما يلفظهم عُبابه !!

ثم أنت تقرأه فى رسائله الكثيرة المطبوعة التى نفحنى عمى — شفاه الله وأطال بقاءه —[1] بنسخة منها منذ أكثر من ربع قرن فلم أعن بقراءتها إلا حينما سمعت الناس يلغطون بذكر أبى العلاء ، ويملأون الدنيا ضجيجاً فرحين بعيده الألفى . فلا تكاد تفهم سطراً مما يقول ، ولا تكاد تعرف فحوى رسالة

(١) أعتذر عن هذا الحديث الشخصى الذى ساقنى إليه شجون القول

واحدة من تلك الرسائل الكثيرة التي كان يرد بها على مناظريه، فيلجمهم، ويخرسهم أبد الدهر ...

فما هذا كله الذي جشم أبو العلاء نفسه من وعورة الألفاظ والتراكيب؟ وما تصيُّده ذلك كله لشوارد الكلمات وأوابدها، إن صح أن تكون في الكلمات أوابد! يجب أن نتلمس العلل والأسباب لتلك القيود التي قيد بها أبو العلاء قراءه ... ولم يتقيد هو منها بشيء كما يتوهم الكثيرون ...

إذن، فقد نشأ أبو العلاء بمعرة النعمان في أسرة من الفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء والقضاة وسراة الناس ... جدوده قضاة وعلماء، وأعمامه قضاة وعلماء وشعراء، وأبوه قاض شاعر رقيق الديباجة اسمه أبو محمد عبد الله؛ وقد أعطانا ياقوت الحموي في معجمه (جـ ٣ ص ١٠٩ – دار المأمون) نموذجا من شعره في رثاء أبيه، جد أبي العلاء، حيث يقول:

إن كان أصبح من أهواه مُطرحاً ... بباب حمص فما حزني بمطرح

لو بان أيسر ما أخفيه من جزع ... لمات أكثر أعدائي من الفرح

ثم أخوه قاض عالم، وفقيه شاعر، ولي القضاء بعد أبيه، واسمه أبو المجد، وكان أكبر من أبي العلاء سناً، وقد أثبت لنا الحموي نموذجاً رائعاً من شعره في الزهد، يبين لنا إحدى وشائج النسب في الأدب بين الأخوين الشقيقين، إذ يقول:

كرم المهيمن منتهى أملي ... لا نيتي أجر ولا عملي

يا مفضلا جلت فواضله ... عن بغيتي حتى انقضى أجلي

كم قد أفضت علي من نعم ... كم قد سترت علي من زلل

إن لم يكن لي ما ألوذ به ... يوم الحساب فإن عفوك لي

فهذا شعر جيد نجد له أصداء كثيرة في اللزوميات، ولا عجب أن يكون للأخ الأديب أثر في أخيه الأديب. ولأبي العلاء أخ شقيق آخر، كان يكثر من أشعار الغزل، اسمه أبو الهيثم، ومن شعره في الشمعة:

وذات لون كلوني في تغيره ... وأدمع كدموعي في تحدرها

سهرت ليلي وباتت لي مسهرة ... كأن ناظرها في قلب مسهرها

ثم يمدُّ لنا ياقوت أسماء كثيرة لامعة من أسرة أبي العلاء كانت تشتهر بالفقه والعلم والأدب والشعر ... لكنه يحصيها كلها من أسرة أبيه، ولا يذكر لنا اسما واحداً من أسرة والدته، فيستدرك ذلك الميمني في كتابه «أبو العلاء وما إليه» فيسرد لنا أسماء كثيرين من أخوال أبي العلاء الذين مدحهم وذكر أياديهم عليه في كثير من شعره الوارد في ديوانه «سقط الزند» مما يدل على حفظه لجميلهم وشكرانه لهم بعد وفاة أبيه وهو في الرابعة عشرة من عمره ... ويصيب التاريخ خَرس شديدٌ في هذه المرحلة الحزينة من مراحل سني أبي العلاء، فهو لم يحدثنا بشيء عن صلة أبي العلاء بأخوته أو عمومته أو بني عمومته بعد تلك الكارثة التي كانت أشد وبالا عليه من العمى الذي أصابه في الرابعة من عمره ... وهو لم يذكر لنا إذا ما كان أحد من أخوته كان لا يزال حياً يرزق بعد وفاة هذا الوالد البار الذي كان يولي أبا العلاء من عطفه وبره وعلمه بما ينسيه فقدان بصره ... أو ماذا كانت العلة في ترك أبي العلاء، وشأنه ينفق عليه أخواله حتى في رحلته إلى حلب، وإلى أنطاكية، وإلى اللاذقية وطرابلس، طالباً للعلم، واكتساباً للأدب، وتفقها في اللغة، على العلماء والأدباء وفي دور الكتب بحمص رحلته إلى بغداد كانت على نفقة أخواله، كما يحدثنا بذلك الميمني، وكما يشير إليه الدكتور طه حسين في «ذكرى أبي العلاء» ... ولكن أحداً لا يحدثنا عن علة اتصال المعري بأخواله هذا الاتصال الحبيب العجيب، ثم انصرافه عن أخوته وعمومته ... وليس معقولا أن تكون المحبة الطبيعية بين بني البطون وحدها سبب ذلك، وما يكون من عداوة بين بني الظهور .. لن يكون هذا سبباً كافياً ولا معقولا أبداً ...

إن والد أبي العلاء لم يترك له ثروة تذكر ... وكان كل دخله ثلاثين ديناراً يغلها له أحد الأوقاف من أسرته لأبيه، كان يدفع منها نصفها لقارئه كل عام. فأين كان أخوته؟! وأين كان هذا الثبت الطويل من أسماء القضاة والعلماء والفقهاء الذين أحصى ياقوت منهم طرفا ولم يحص أطرافا؟! هنا يصمت التاريخ ... ولا بد أن يكون لصمته سر فظيع في نشأة أبي العلاء الأولى،

حول فلسفة نيتشه

ثورة على القطيع

للأستاذ زكريا إبراهيم

لم يقتصر نيتشه على مناهضة أصحاب النزعة العاطفية المغالية ، بل لقد حاول أيضاً أن يناهض أصحاب النزعة العقلية المتطرفة ؛ فحمل على « العلماء » الذين يؤمنون بالعلوم الوضعية ويرون فيها شفاء ومقنعاً للفكر الإنساني ، وحمل أيضاً على « الفلاسفة » الذين يؤمنون بالعقل ويعتبرونه المعيار الوحيد للحقيقة . وبين هؤلاء الذين لا يصدرون فى تفكيرهم إلا عن « العقل » ، وأولئك الذين لا يصدرون إلا عن « القلب » ، وقف نيتشه موقف أستاذه شوبنهور ، فجعل الصدارة للارادة ، وقدّم القوة على الفكر والعاطفة ، فالإرادة عند نيتشه هى جوهر الوجود ، وكلّ ما فى الوجود إنما هو تعبيرٌ عن هذه الإرادة

غير أنّ الإرادة قد تُفهم إما بالمعنى الفردى أو المعنى الجمْعى ؛ وهـذا المعنى الأخير هو ذلك الذى يحرص عليه الديموقراطيـون والاشتراكيـون ، فيُخضِعون الفرد للجماعة . ولـكنّ نيتشه يتمرّد على « غريزة القطيع » ، ويعلن سيادة الفرد الطائفة فى نظام الطبيعة ، على نحو ما أعلن رجال عصر النهضة

وقد انقسم عصرنا الحاضر كلّه إلى طائفتين : طائفة الاشتراكيين ، وطائفة الفرديين ؛ وهاتان الطائفتان قد تشكلتْ كلٌّ منهما فى نهاية الأمر بصورة « إنسانية » . أما النزعة الرومانتيكية فإنها فى الواقع قد اتجهت إلى عبادة الشخصيّة ، وإنْ كانت قد قدّست على وجه الخصوص تلك التى لا تخضع إلاّ لقانونها فقط ، أعنى تلك التى لا تتقيّد إلاّ بالشِرْعة التى استنّتها قوّتُها الخاصّة ، مُتمَثِّلةً فى الهوَى المنطلق ، أو الإرادة التى لا ضابط لها . وقد ترتّب على هذه النزعة ، أنْ ظهرت الفردية المتطرفة التى أفضت فى النهاية إلى ظهور المذاهب « الفوضوية » . ووُجِدَتْ فى الوقت نفسه نزعة رومانتيكية اشتراكية وديموقراطية ، على يد پيير ليروه ، وفيكتور هيجو ، وجورج صاند ، وميشيليه ؛ وهذه أشاعتْ فى المجتمع مبادئ السعادة ، والحرية الشاملة ، والإخاء ، والمساواة . إلى آخر تلك المبادئ التى نادت بها الثورة الفرنسية . أما نيتشه فقد رأى فى كل هذه النزعات انحرافاً وانحلالاً ، ولذلك فقد عاد إلى النزعة الفردية البدائية ، ونَصَب « الأنا » أو الذات ، ضد المجتمع بأسره . وبدلاً من تلك الديموقراطية التى تمهّد بالمساواة بين الجميع ومحو كل الاختلافات والفروق ، أو تلك الاشتراكية الشعبية التى تُفْنى الفرد لحساب المجتمع ، نجد نيتشه يدعو إلى أرستقراطية جديدة يعارض بها كل تلك المذاهب الديموقراطية والاشتراكية والفوضوية ، ويعتبرها سبيل الخلاص الوحيد ، فيستبدل بالرجل المتوسط المساوى لغيره من الناس ، الرجل الكامل أو « الإنسان الأعلى » Üermensch والرجل المتوسط الذى يحمل عليه نيتشه هو ذلك الإنسان

ولابد أن يكون لهذا السر أثره القطيع كذلك فى ثورة أبى العلاء وتبرمه بالدنيا وتجهمه لحياة وضيقه بالناس ، وتسفيهه لمعتقداتهم التى لم ينتفع بها أهله من أبيه فى علاقاتهم بهذا الفتى الأعمى المحروم من العون ، المتقلب فى البلاد ، الضارب بين قرى الشام ، المعجب بأساتذته من رهبان ذلك الدير باللاذقية يدرس عليهم الإنجيل والتوراة ، والفلسفة ، كما درس على أبيه الرؤوف الرحيم البار القرآن واللغة والتفسير والفقه والعروض ، وكما درس طرفا لا يعتد به من الحديث على هذا الرجل المدعو يحيي بن مسعر [1] الذى لم يستطع أن يشعر قلب أبى العلاء حلاوة الإيمان ، فأسلمه بجهله إلى الشك والحيرة

ترى ! هل يستطيع أحد أن يكشف لنا عن ذلك السر ؟

« للحديث بقية » دمنهور

(١) الميمنى : أبو العلاء وما إليه ص ٥١

الوضيع الذي ينساق مع القطيع ، على طريقة خِراف بانورج[1] Les moutons de Panurge . أما ذلك الذي ينطوي على نفسه ، ويفزع إلى الوحدة لـكي يعيش كالنجم الغارق في السكون ، فهو في نظر نيتشه الرجل القوي المبدع : « إن الأحداث العظيمة لا تنشأ إلا بعيداً عن الجماهير والأمجاد ، فكل من ابتدعوا القِيَم الجديدة قد انتبذوا لأنفسهم مكاناً قصيًّا ، على منأىً من العامة ، وبعيداً عن الأمجاد » والرجل الممتاز إنما هو ذلك الذي يهرع إلى الوحدة ، وينفرد بنفسه ، لـكي يحيا كتلك « الدوحة التي تشرف على البحر في سكون ، وتصغي إلى هديره في صمت » !

لقد يصرخ به القطيع قائلاً : « إن من فتش فقد ضل ، وما الوحدة إلا خطيئة » ، ولـكنه يمضي غير آبه بصوت القطيع الذي يهيب به ، لأنه يعلم أن صوته نداء العبودية يستصرخه أن يبقى ، وصوت الوحدة نداء الحرية يستصرخه أن ينطلق ! أجل ، إن الرجل الممتاز لم يُخْلَق لـكي يسير وراء القطيع ، بل لـكي يكون ثورة على القطيع ، وناراً حامية تُصْلَى بها الجماهير ! فليس على الرجل الممتاز أن يخضع لحـكم العامة ، بل عليه أن يخضع لحـكم نفسه فحسب . وليس من واجب الرجل المبدع أن يأخذ بما يُمليه عليه قانون السواد الأعظم ، بل إن من واجبه أن يتخذ من إرادته قانوناً له ، فيشرّع لنفسه الخير والشر . وليس ينبغي للرجل القويّ أن يمد يده متسرّعاً لمصافحة من يلتقي به في طريقه ، بل ينبغي له إذا التقى بتلك الحشرات التي يتحلّب ريقها بالسم ، أن يسارع إلى وحدته ، حتى لا تمتد إليه السموم الخبيثة التي تنفثها حشرات المجتمع !

فالرجل الممتاز إذن هو ذلك المتوحد الذي يعتزل الناس لـكي يعيش بعيداً عن المجتمع ، منطوياً على نفسه ؛ وأما الرجل الضعيف فهو ذلك الذي يشعر بحاجته إلى الاجتماع بالناس ، والانضمام إلى القطيع . ولذلك يقول نيتشه : إن الأقوياء ينزعون إلى الانفصال والتفرّد ، على حين ينزع الضعفاء إلى الاتحاد والتجمع . والرجل الممتاز – كما يقول زرادشت – هو ذلك الذي ينفر من المجتمع ، ويأنف من الجماعة ، ويحلّق بجناحيه فوق السحاب ، فترمقه أعين الحاسدين ، وترشقه نظرات الحاقدين . وليس بدْعاً أن يثور الناس على مثل هذا الرجل ، فإن من دأب العامة أن تتمرد على كل رجل مبدع يعزف بنفسه عن غمار الناس : « إنك لتعلو عليهم وتسمو فوقهم ، ولـكنك كلما ازددت علوًّا ، ازددت صَغاراً في أعينهم الحاسدة . أما ذلك الذي يحلّق بجناحيه فوقهم ، فليس أبغض إليهم منه » !

ولـكن ، أليس الإنسان حيواناً اجتماعياً يميل إلى التجمع بفطرته ، وينفر من العزلة بطبيعته ؟ ألم يَقُلْ أرسطو إن حياة العزلة لا تتهيأ إلا لإلـه أو حيوان ؟ إذن فـكيف زعم نيتشه أن « الرجل القويّ » هو « الرجل المتوحّد » ؟ وكيف يذهب إلى أن الضعفاء هم الذين ينزعون إلى الاتحاد والتجمع ؟ يجيب نيتشه على هذا فيقول : إن الإنسان حيوان مفترس متوحد ، فالأقوياء الذين هم سادة النوع البشري يميلون بالضرورة إلى العزلة والتفرُّد ، وينفرون من كل نظام يضطرهم إلى الاتحاد والتجمع ، وبعبارة أخرى فإن الحياة الاجتماعية في نظر نيتشه معارِضةٌ للطبيعة ، لأن الإنسان حيوان غير اجتماعي بفطرته . وإذا كان الأقوياء قد يكوّنون مجتمعاً في بعض الأحيان ، فإن ذلك يرجع إلى رغبتهم في القيام بحركة عدوان مشترك ، يرضون بها إرادة السيطرة التي توجد لديهم جميعاً . ولـكنْ شعورهم الفردي في معظم الأحيان ، ينفر من تلك الحركة المشتركة ، ويتأذّى من ذلك العمل الجمعي . أما الضعفاء فإنهم يرتّبون أنفسهم في طبقات متلاصقة ، إرضاء للحاجة التي يشعرون بها نحو هذا التجمُّع ، وبذلك تَلْـقَى غريزتهم لذتها القصوى الـكاملة

ولـكن ، هل من الحق أن التجمع دليل الضعف ؟ أليس التاريخ الطبيعي شاهداً على فساد هذا القول ؟ ... إن الواقع أن الحيوانات التي توجد لديها « غريزة القطيع » قد استطاعت

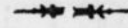
(١) تتلخص قصة خراف بانورج (وهو شخصية هامة من الشخصيات التي نجدها في مسرحية لرابليه) في أن بانورج قد اشتبك في صراع مع التاجر دنديتو Dindenaut الذي أهانه إهانة كبيرة ، فأراد أن يثأر لنفسه منه ، ومن ثم فقد ابتاع منه واحداً من خرافه ، وألقاه في الماء ، فسرعان ما ألقت سائر الخراف بنفسها في الماء ، وراء ذلك الخروف ، واحداً بعد الآخر ؛ وأسرع التاجر يعدو وراءها حتى إذا لم يبق منها غير واحد ، أخذ يعدو محاولا أن يلحق به ، فلما ألقى الخروف بنفسه في الماء ، قفز التاجر نفسه وراءه ، وبذلك اكتملت هذه الصورة المضحكة التي تصور لنا مدى الانسياق للجماعة ، تحت تأثير المحاكاة !

اللغة القانونيــــة
في الأقطار العربية

ووجوب تصفيتها وتوحيدها

للأستاذ عدنان الخطيب

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)



٤ — إن النظام القضائى مختلف اختلافاً بيناً فى الأقطار العربية ، ولكنا نجد فوق هذا اختلافاً فى الأسماء والمصطلحات، فالمحكمة العليا هى محكمة النقض والإبرام فى مصر وهى محكمة التمييز العليا فى سورية ، وفى العراق هى محكمة تمييز العراق ، والمستشار فى المحاكم المصرية هو العضو فى محاكم سورية والعراق، إلى ما هنالك من أسماء كالقاضي والحاكم والمدعى العام أو العمومى والنائب أو المحامى العام أو الأفوكاتو العمومي ووكيل النيابة ومعاون النائب الخ ...

٥ — لنتجاوز كل هذا إلى القوانين الرئيسية فنجد أننا لم نتفق على اسم قانون واحد منها :

(ا) فقانون العقوبات فى مصر والعراق ، ولبنان أخيراً ، ما زال قانون الجزاء فى سورية

(ب) وقانون أصول المحاكمات الحقوقية فى سورية والعراق هو قانون المرافعات المدنية فى مصر وقانون أصول المحاكمات المدنية فى لبنان

(ج) قانون تحقيق الجنايات فى مصر هو قانون الأصول الجزائية فى العراق ، وأصول المرافعات الجزائية فى فلسطين ، وأصول المحاكمات الجزائية فى سورية

(د) القانون المدنى فى مصر هو قانون العقود والموجبات

أن تخرج من معركة تنازع البقاء ظافرة منتصرة بينما خرجت الحيوانات المتوحشة مغلوبة منكسرة . وها هي ذى الحيوانات القوية تعيش جماعات ، فتكوّن القِرَدَةُ لنفسها أُسراً ، على الرغم من أنها لا تقلُّ فى ذكائها عن النمورة والفهود . وها هو ذا التاريخ يُظْهرنا على أن الإنسان القديم لم يكن يعيش وحده ، بل كان يعيش فى مجتمع . فليس من الصحيح إذن أن قوة الكائن الحى هى التى تولّد فيه الميل إلى الوحدة والتفرُّد ، بل الصحيح أن الكائنات القوية تجنح إلى الاتحاد والتجمع ، وتنفر من الانفصال والتفرُّد . وهل كانت الفِيَلَة حيوانات ضعيفة ، لأنها تحب الاجتماع ؟ أو هل كان رجال « ما قبل التاريخ » ضعفاء ، لأنهم كانوا يميلون إلى التجمُّع ، كما سبق لنا القول ؟... إن سيد الكون الذى دان له كل شىء فى الطبيعة ، والذى قهر سائر الأجناس الحيوانية ولا يزال يقهرها ، إنما هو « الإنسان » الذى يعتبر الحيوان الأول بين طائفة الحيوانات القطيعية ؟ فهل علينا من حرج إذا قلنا إن الإنسان حيوان اجتماعى بفطرته ؟

لقد أراد نيتشه أن يتمرد على المجتمع ، لكى يقتصر على عبادة الذات وتقديسها ، ولكن هل نسى نيتشه أن ما يسميه « ذاته » إنما هو فى جانب كبير منه ، تراثٌ اجتماعى تعاقبت على تكوينه الأجيال ؟ فماذا عسى أن يكون نيتشه ، وماذا عسى أن تكون ذاته ، إذا جردناه من كل ما وضعه فيه الآخرون ، وإذا استبعدنا من نفسه كل ما أودعه فيها المجتمع ؟ إن نيتشه حين يتوهم أنه يتأمل ذاته ، فهو فى الواقع إنما يتأمل العالم كله ؛ وهو حينما يظن أن فى إمكانه أن ينفرد بنفسه ويعتزل الناس ، لا يزال بالرغم من ذلك محتفظاً فى أعماق نفسه بكل أصداء القرون الخالية . ففى أبعد أغوار نفسه — مهما تنكّر للماضى — ترنُّ أصداء الأجيال الغابرة . وهل يستطيع الفرد أن يفكّر إلا إذا استعان بأفكار السابقين ، واستند إلى أعمال المتقدمين ؟ إذن فمن الجهالة والعقوق ، أن يتنكّر الإنسان للجنس البشرى كله ، وأن يكفر بكل شىء ، اللهم إلا فرديته وما يجىء معها من أثرة وعُجْب وحمق وغرور ! ولو أن نيتشه تدبّر الأمر فى جوٍّ حر لا تفسده نزعة أرستقراطية متطرّفة ، لما تردّد فى أن يقول مع جوّيو Guyau : « أنا لست مِلكاً لنفسى ؛ لأن كل موجود ليس بشىء من غير الكل . فالموجود بمفرده لا شىء ! »

زكريا ابراهيم

فى لبنان بينما ما زالت مجلة الأحكام المدلية فى سورية والعراق تقوم مقامه

(هـ) قوانين الملكية العقارية والتسجيل العقارى فى مصر وسورية ولبنان ما زالت قوانين الطابو والأراضى فى العراق .

٨ – كيف يمكن توحيد المصطلحات القانونية

لا بد لتوحيد المصطلحات القانونية من هيئة علمية عليا تمثل جميع الأقطار العربية ، تقر المصطلحات والمعربات اللازمة للكلمات الأعجمية ، ثم تتخذ الوسائل اللازمة لنشرها وتعميمها والاعتماد عليها فى تشريع كل قطر من الأقطار

يقوم اليوم فى مصر مجمع لغوى كريم ، وبالرغم من أنه يضم بعض كبار رجال القانون . فإن تمثيله للأقطار العربية ، من الناحية القانونية مفقود ، مما يدعونا للتأكيد بعدم إمكان الاعتماد عليه كهيئة عربية عليا لإقرار المصطلحات القانونية ، لقد قدم إلى هـذا المجمع فى دورة ماضية[1] أحد كبار رجال القانون فى مصر[2] رسالة تتضمن مصطلحات القانون لإقرارها كتعريب رسمى للمصطلحات الفرنسية ، وبالرغم من أن هـذه الرسالة جاءت محكمة فى أغلب المصطلحات الواردة فيها ، بليغة فى بعض مبتكراتها ، فإن فيها مجالاً للبحث والمناقشة ، وليسمح لى المؤتمرون الكرام بإبداء بعض الملاحظات على هذا المشروع ليتأكدوا من صحة قولى ، وسيكون لى أجر واحد إن لم أصب فيها وأحظ بأجرين

ا – لا شك أن من المرغوب فيـه الإقلال ما أمكن من استعمال أكثر من لفظة واحدة للدلالة على لفظة أعجمية واحدة . ولو كان فى العربية مترادفات كثيرة لها ، ولـكن هذا لا يعنى أن نكتفى باستعمال لفظة عربية واحدة لـكلمتين أعجميتين مختلفتين إذا أمـكن تعريب كل واحدة منهما بلفظة مستقلة ، فكلمتا École و Doctrine مثلاً عربهما صاحب المشروع بكلمة (مذهب) دون تفريق ، واستعمال كلمة عربية أخرى (كمدرسة) أو (طريقة) ، ولمـاذا نعرب عبارة École de L'exégèse بـ (مذهب الوقوف عند النص) ولا نعربها (بمدرسة الوقوف عند النص) إذا لم نستسغ أن نقول « أهل النصوص مثلاً »

ب – يضع المشروع لفظة (لوائح) المستعملة فى مصر ترجمة لـكلمة Réglements الفرنسية ، بينما قد يكون من المستحسن أن نعربها بلفظة (الأنظمة) المستعملة فى العراق

ج – ويعرب صاحب المشروع Décret-Loi بـ (مرسوم بقانون) ، بينما قد يحسن تبنى الاصطلاح السورى (مرسوم تشريعى)

د – لم يرد واضع المشروع أن يفرق لنا بين كلمتى Droit و Loi فعرب كلتاهما بلفظة (قانون)

هـ – كما أنه ترجم كلمة OBligation بـ (الالتزام) ثم لم يأتنا بكلمة عربية غيرها مقابل لفظة Concession

و – وردت فى المشروع جملة (وقف الدعوى الجنائية المدنية) تعريباً لجملة Le criminel Tient le civil en état وأرى أن الاصطلاح المعروف فى سورية (الجنائى يعقل المدنى)[1] يفوقها جرساً وجمالاً

ز – وقد ترجمت عبارة Droit commercial بـ (القانون التجارى) بينما جاءت ترجمة Droit commercial maritim بـ (قانون التجارة البحرى) ، ولست أدرى لماذا عدل عن الصفة إلى الإضافة ؟ ولماذا وصف القانون بالبحرية دون التجارة نفسها ؟

ح – وأخيراً نجد كلمة Transporteur عربت بـ (متعهد النقل) ومن الممكن الاكتفاء بكلمة (الناقل)

ولـكن أنى لمثل هـذه الملاحظات أن تقلل من قدر صاحب المشروع بابتكاراته الخالدة والتى منها :

عقد الإذعان تعريب Contrat D'Adhésion

عقد المساومة مقابل Contrat de Gré-à-gré

(١) الدورة التاسعة ١٩٤٢ — ١٩٤٣

(٢) الأستاذ العميد عبد الرزاق السنهورى

(١) انظر فائز الخورى الحقوق الجزائية ونصه (الجزائى الخ)

عقد التمهين مقابل Contrat D'Apprentissage

هذا إلى جانب كثير من التعاريب الموفقة فى إيجازها بالنسبة لما يقابلها مثل :

الخلف العام مقابل Ayant cause à titre universel

والتسامع بدلاً عن Preuve par commune renommée

٩ – تصفية اللغة القانونية من الكلمات الدخيلة والأجنبية

ليس توحيد المصطلحات كل ما يتعلق باللغة من الأمور التى يجب أن نعمل لها ، فهناك كلمات وألفاظ دخلت على لغتنا القانونية بعامل النفوذ أو التشريع الأجنبى ، وهناك مشرعون وقضاة لا ينفكون عن إلحاق كلمات أجنبية بالكلمات العربية تعيينا لها وتحديداً

فإذا كانت الكلمات الدخيلة انتشرت بين العامة ؛ فهذا لا يعنى أن المشرع يجب أن ينزل إلى مستواهم بدل أن يرشدهم ويصحح لغتهم ، وإلا لوجب أن يصوغ أوامره أيضاً باللغة العامية ، وإذا كانت الألفاظ العربية غير متفق عليها ، فيجب أن يبدأ الاتفاق عليها من هذا اليوم أيضاً . وإذا كان فى البلاد العربية تشريع لغته الأصلية غير اللغة العربية ؛ فيجب أن لا نسمع بقانون ، ولا نرى بعد اليوم قانوناً ، يطبق فى بلد عربى وضع بلغة غير لغة أبناء البلاد الأباة

أى عذر يمكن أن ينتحل للعراق رمز العروبة الخفاق ؟ إذا تناول أحدنا قانونه التجارى الذى صدر فى مثل هذا الشهر من العام المنصرم [١] ، فوجد فيه هذه الطعنات المؤلمة (البورصات) و (السيف) و (القومسيون) و (البوليصة) و (الآفال) و (السكمبيال) و (الجك) و (السكمبيو) و (بوردورو) ، و (ليكيداسيون) و (كونه سمان) و (ماركة) و (فاكتور) و (ناولون) و (السيقورطة) و (أكسيون) و (أوبليكاسيون) و (دو كروار) و (ره مى بى سه) و (واران) و (بروتست) و (الونج) و (ره تريت)

لا بل إن المشرع العراقى استعمل فى قانونه فعل « التجيير » ومشتقاته فبلغت (١٣٥) طعنة فى ظهر « التظهير » العربية

وفى مصر رأس البلاد العربية ، قضت ظروف القرن الماضى باستعمال كلمات دخيلة فى التشريع ؛ فسمى المجلس البلدى لمدينة الأسكندرية مثلاً بـ (القومسيون) [١] ، ولكن المشرع المصرى ما زال يستعمل (القومسيون) بدلاً عن (المجلس) حتى السنوات الأخيرة [٢] وهو ما زال يفسر قوائم الأسعار بـ « كتالوجات » [٣] وهو الذى استعمل لفظى (مصرف ومصارف) فى تشريع يبحث عن تسليف الزراع [٤] لم ينشأ لهم إلا (بنكا) ولا يفتأ فى لوائحه بترديد (البنك) و (البنكير) [٥] ، والمياومين (جوبر) وعمليات (الأربيتراج) Arbitrage و اربور — Report والمحاسبين محلفين أو القانونيين Chartered Accountants والبطاقات (الفيشات) [٦] ومقدار التخفيض Bonification ، والمطالبات الناشئة عن Fourbaudage الغش والتلف الداخلى والخلط [٧]

ونحن إذا رأينا الضرورة تقضى باستعمال كلمة دخيلة أو أجنبية فى تشريع ما فلنكتف باستعمالها مرة واحدة فى كل تشريع ، وأى داع يبرر استعمال (البرود كاستنج) كما وردت جملة (جهاز الاستقبال) ، ولماذا نكرر لفظة (دروباك) تسع

---

(١) نشر فى الوقائع العراقية عدد ٢١١٣ بغداد فى ٢٣–٨–٩٤٢

(١) فى ٥ يناير ١٨٩٠ شكل (قومسيون) بلدى الأسكندرية بأمر عال .

(٢) انظر مثلا قرار ٢ يناير ١٩٣٥ بإعادة التنظيم الادارى لبلدية الأسكندرية .

(٣) مرسوم ٢٦ يونية سنة ١٩٣٠

(٤) مرسوم بقانون ٥٤ فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٥) انظر مثلا مرسوم ٣١ ديسمبر ١٩٣٣ بالموافقة على لائحة بورصات الأوراق المالية .

(٦) انظر مثلا مرسوم ٢٩ أكتوبر سنة ٩٣١ المتعلق بالبورصات

(٦) انظر مثلا قرار ٢٧ إبريل سنة ١٩٤٠ المتعلق بالبورصات أيضاً

مرات مثلاً فى قرار يبحث عن رد الرسوم[1] ، أو كلمة (كنتراتات) سبعة عشر مرة تفسيراً لكلمة عقود[2]

هذا فى التشريع أما فى القضاء فيكفى أن نتصفح أية مجموعة من قرارات المحاكم المصرية لنجد أن كلمة (الخطأ) كثيراً ما تذكر وتعقبها بأحرف لاتينية كلمة Erreur ، وكلمة (غلط فى الواقع) ويجانبها Erreur de fait وكلمة (غلط فى القانون) قبل Erreur de droit

وجملة (الخطأ فى تطبيق التعريف) ، مفسرة بجملة Par fausse application des Tarifs ، وكلمتى (الرضاء التحليلى) تلحق بهما لفظة Analytique

وجملة (إرادة التعبير الخارجى) متبعة بمعناها الفرنسى Volonté de la Déclaration[3]

هذا فى مصر والعراق ، أما فى سورية قلب العروبة النابض فلا نستطيع أن نحكم على المشرع الوطنى الآن ، لأنه لم يخرج لنا بعد قوانين مهمة فى هذا العهد الجديد ، ولكن الغيارى على اللغة العربية الغنية تألموا من أن مشروعاً بتعديل مرسوم اشتراعى قديم وضعه مخضرمون فى وزارة المالية السورية مر على مجلسنا النيابى فى دورته الأخيرة ، وخرج قانوناً يحوى هذه الألفاظ (بوليصة) و (والص) و (مانيفيستو) و (كمبيالات) و (بريم) و (كونكورداتوا) و (جيرو) و (كتالوغات)[4]

بينما لبنان العربى الأشم أخذ يضرب لنا أمثالاً رائعة . فى قانونه التجارى الأخير[1] نجد المشرع حرص كل الحرص على عدم تشويه النسخة العربية منه بالألفاظ الأعجمية ؛ فقد استعمل دفتر (صور الرسائل) بدلاً عن دفتر (الكوبيا) ودفتر (الجرد والموازنة) بدلاً عن دفتر (البلانشو) و (طابع الصنع) بدلاً عن (الماركة) وهو لم يستعمل كلمات (كولكتيف) ، و (قومانديت) و (أنونيم) توضيحاً (للتضامن) و (التوصية) و « المغفلة » إلا نادرا ، وهو قد استعمل لفظة « التعاون » بدلاً من « الكوبراتيف » لا ، بل إنه أتانا بمصطلحات عربية جديدة ؛ فقد استعمل « المؤونة » بدلاً عن « مقابل الوفاء » و « الصك المشطوب » عوضاً عن « الصك المسطر » « والمشاهد العامة » بدلاً عن « السينما والمسارح » واكتفى « بالتظهير » عن « التجيير » و « بالاحتيجاج » عن « البروتستو » ، و « بوكيل التفليسة » عن « السنديك » ولم يستعمل أبداً لفظة « كونكورداتو » لإيضاح معنى لفظة « الصلح أو المصالحة » .

١٠ — مقترحات

إذا كان للحرب القائمة من فضل ؛ فلا شك أن إليها يعود فضل هذه الروح العربية التى عمت جميع الأقطار ، وجعلت « الوعى القومى » يتنفس بين أيدى أطبائه الأشاوس ، وما هذا المؤتمر إلا ثمرة من ثماره الطيبة ، فعلينا أن نتضافر لما فيه مصلحة الآمال المشتركة والرغبات الموحدة ، ومما يسهل مهمة توحيد المصطلحات الحقوقية وإحلال اللغة العربية محلها اللائق الأخذ بالمقترحات التالية :

١ — إقرار تأليف معجم قانونى وانتخاب لجنة تدرس السبل المؤدية إلى ذلك

٢ — تبادل المؤلفات القانونية بشكل واسع

٣ — فتح فصول خاصة فى المجلات القانونية لبحث

---

(١) انظر مثلا قرار ١٨ أكتوبر ٩٣١

(٢) لائحة بورصة مينا البصل منشورة بقرار ٢٩ أكتوبر ١٩٣١

(٣) هذا مبعثه كما سبق التلميح إليه وضع التشريع بلغة أجنبية ، ثم ترجمته إلى اللغة العربية ترجمة غير دقيقة ، ورأى رجال القانون فى مصر « أن العبرة فى النصوص الفرنسية » راجع هذا المعنى فى شروح القانون المدنى ، وخصوصاً هامش صفحة ٨٠٠ من نظرية العقد للسنهورى ٩٣٤ القاهرة .

(٤) قانون تعديل المرسوم الاشتراعى رقم ٣ الصادر سنة ٩٣٣ وقد نشر فى الجريدة الرسمية مؤرخا ٣١ — ٥ — ١٩٤٤

(١) قانون التجارة اللبنانى صدر فى ٢٤ — ١٢ — ١٩٤٢ ونشر بالجريدة الرسمية ملحقاً بالعدد ٤٠٧٥ فى ٧ — ٤ — ١٩٤٣

بمناسبة مهرجان ذكرى المعرى

كتاب الانصاف والتحرى

فى دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى

لابن العديم الحلبى المتوفى سنة ٦٦٠هـ

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

ذكر صاحب «فوات الوفيات» فى ترجمة ابن العديم : أنه ألف كتاباً في الدفاع عن أبى العلاء المعرى سماه «كتاب الإنصاف والتحرى في دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى»

وذكر هذا الكتاب أيضاً صلاح الدين بن أيبك الصفدى فى كتاب «نكت الهميان فى نكت العميان» أثناء ترجمة أبى العلاء المعرى، ونقل عنه جملة صالحة، تلخص رأى ابن العديم فى المعرى، وكذلك فعل السيوطى فى «بغية الوعاة». وذكر اسم الكتاب، ونقل عنه خلاصة رأى ابن العديم فى المعرى، وعده فى صف المدافعين عنه.

***

ابن العديم مؤلف هذا الكتاب هو كمال الدين أبو القاسم عمر بن القاضى أبى الحسن أحمد بن العديم، مؤرخ حلب، ومحدثها، وفقيهها، وأديبها. ألف تاريخ حلب — بغية الطالب — فى نحو أربعين مجلداً[1]. وهو الذى يقول فيه ياقوت الحموى :

«... إن الله عز وجل عنى بخلقته، فأحسن خلقه وخلقه، وعقله وذهنه وذكاءه، وجعل همته فى العلوم ومعالى الأمور، فقرأ الأدب وأتقنه، ثم درس الفقه فأحسنه، ونظم القريض فجوده، وأنشأ النثر فزينه، وقرأ حديث الرسول فعرف علله ورجاله، وتأويله وفروعه وأصوله، وهو مع ذلك قلق البنان بما تحوى اليدان، وهو كاسمه كمال فى كل فضيلة، لم يمتن بشىء إلا وكان فيه بارزاً، ولا تعاطى أمراً إلا جاء فيه مبرزاً، مشهور ذلك عنه، لا يخالف فيه صديق، ولا يستطيع دفاعه عدو»[2]. ولد فى حلب سنة ٥٨٨ ونشأ بها، ثم رحل إلى بغداد ومصر أكثر من مرة واحدة، ولما جاء التتار إلى حلب سنة ٦٥٨ جفل إلى مصر مع من جفل، ثم رجع إلى حلب بعد خروج التتار منها، فوجدها على حال سيئة من الخراب والدمار، فرجع

(١) ذكر ذلك ابن الأثير فى حوادث سنة ٦٦٠ وكذلك الشيخ شهاب الدين محمود فى تاريخه

(٢) انظر ترجمة ابن العديم مفصلة فى معجم الأدباء ج ١٦ ص ٥ — ٥٧.

وفى أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للشيخ محمد راغب الطباخ ج ٤ ص ٤٦٤ — ٤٩٩.

المصطلحات الجديدة ومناقشتها

٤ — السعى لدى الحكومات لإيجاد مكتب عربى للمشاورات القانونية مهمته تقريب التشريع ما أمكن والعمل على توحيده إن أمكن

٥ — العمل على توحيد مناهج الدراسة القانونية فى البلاد العربية وإيجاد رابطة متينة بين كليات الحقوق العربية

٦ — توصية الحكومات بالاعتناء بلغة التشريع والعمل على استبعاد الكلمات البالية أو الدخيلة، ولنا فيما عملته سورية فى إقرار لفظة «التنفيذ» بدلاً عن «الإجراء»، وفيما قامت به مصر من إبدال كلمة «العدل» بكلمة الحقانية[1] أسوة حسنة وأمل كبير فى الوصول إلى أهدافنا القومية وآمالنا المنشودة كاملة غير منقوصة والله الموفق.

«دمشق» عدنان الخطيب

(١) سنة ١٩٣٩

إلى القاهرة ، وأقام بها إلى أن توفى بها سنة ٦٦٠ من الهجرة ودفن بسفح المقطم .

***

يعد كتاب ابن العديم فى إنصاف شيخ المعرة من الكتب النادرة الوجود ، بل ربما كان من تلك التي ذهبت بها الأيام ، فلا عين لها ولا أثر ، غير ما حفظته كتب التاريخ والتراجم من أسماء ومقتطفات

لم يعثر إلى الآن — فيما أعلم — على نسخة كاملة من هذا الكتاب القيم النفيس ، وكل الذى عثر عليه منه — من نحو عشرين سنة — نسخة ناقصة من آخرها ، ومن قبل آخر الموجود منها ، ولا يعلم مقدار النقص فى كلا الموضعين . فقد ذكر الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبى فى تاريخه « أعلام النبلاء » بتاريخ حلب الشهباء (ج ٤ ص ٧٧) : إنه عثر على كتاب « الإنصاف والتحرى فى دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى » . عثر عليه مخطوطاً فى خزانة كتب سعادة مرعى باشا الملاح ، وأنه نسخ من هذا المخطوط نسختين ، أهديت إحداهما للمجمع العلمى العربى فى دمشق ، واحتفظ بالأخرى لنفسه ، وبعد أن نص الأستاذ الطباخ على موضع النقص فى هذه النسخة التى عثر عليها قال : إنه يدمج الموجود من هذا الكتاب ضمن كتاب أعلام النبلاء . لعل ذلك يدعو بعض ذوى الهمم للبحث والتنقيب عن نسخة تامة منه

وقد نشر الأستاذ الطباخ الموجود من كتاب إنصاف المعرى لابن العديم فى الجزء الرابع من أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (ص ٧٨ — ١٥٤) من نحو عشرين سنة

وإنى أنشر اليوم — بمناسبة حفلات ذكرى العيد الألفى لمولد المعرى التى تقام الآن فى دمشق — على صفحات الرسالة الغراء مقدمة كتاب الإنصاف على أن ألخص فصوله وأبوابه الموجودة فى فرصة أخرى . أنشر هذه المقدمة راجياً — كما رجا الأستاذ الطباخ من قبل — أن يكون فى هذا النشر الحافز لهمم محبي البحث للتنقيب عن نسخة كاملة من هذا الكتاب النفيس . حتى إذا أمكن الحصول عليه ونشر ، كان فى ذلك أبلغ تكريم لذكرى المعرى بمناسبة عيد مولده الألفى

***

وإلى القارئ الآن مقدمة كتاب الإنصاف نقلاً عن النسخة التى نشرها الأستاذ الطباخ :

« ... وبعد فإنى وقفت على جملة مصنفات عالم معرة النعمان أبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان ، فوجدتها مشحونة بالفصاحة والبيان ، مودعة فنوناً من الفوائد الحسان ، محتوية على أنواع الآداب ، مشتملة من علوم العرب على الخالص واللباب ، لا يجد الطامح فيها سقطة ، ولا يدرك الكاشح فيها غلطة ، ولما كانت مختصة بهذه الأوصاف ، مميزة على غيرها عند أهل الإنصاف ، قصده جماعة لم يعوا وعيه ، وحسدوه إذ لم ينالوا سعيه ، فتتبعوا كتبه على وجه الانتقاد ، ووجدوها خالية من الزيغ والفساد ، فحين علموا سلامتها من العيب والشين ، سلكوا فيها معه مسلك الكذب والمين ، ورموه بالإلحاد والتعطيل ، والعدول عن سواء السبيل ، فمنهم من وضع على لسانه أقوال الملحدة ، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذى قصد له ، فجعلوا محاسنه عيوباً ، وحسناته ذنوباً ، وعقله حمقاً ، وزهده فسقاً ، ورشقوه بأليم السهام ، وأخرجوه عن الدين والإسلام ، وحرفوا كلمه عن مواضعه ، وأوقعوه فى غير مواقعه ، ولو نظر الطاعن كلامه بعين الرضا ، وأغمد سيف الحسد من عليه انتضا ، لأوسع له صدراً وشرح ، واستحسن ما ذم ومدح ، لكن جرى الزمن على عاداته فى مطالبته أهل الفضل بتراته ، وقصدهم بإساءاته ، فسلط عليهم أبناءه ، وجعلهم أعداءه ، فقصدوه بالطعن والإساءة . واللبيب مقصود ، والأديب عن بلوغ الغرض مصدود ، وكل ذى نعمة محسود ، ومن سلك فى الفصاحة مسلكه ، وأدرك من أنواع العلوم ما أدركه ، وقصد فى كتبه الغريب وأودعها كل معنى غريب ، كان

قبر أبي العلاء المعري

للأستاذ صبحي الياسيني

كان يوم الجمعة فى الثالث من ربيع الأول عام ٤٤٩ للهجرة ، حين حضرت أبى العلاء الوفاة ، وانطفأت تلك الجذوة المتقدة يوماً مشهوداً عند أهل المعرة ، إذ وفد إليها غير الفضلاء والعلماء والخلق الكثير ، أربعة وثمانون شاعراً ، وقفوا حين مواراته الرمس يرثون عبقريته الفذة وعلمه المضيّع

واليوم وقد انقضى ألف عام على مولده بعيد التاريخ نفسه فيقف مثل هذا العدد وأكثر منه من الشعراء والأدباء جاءوا من أقاصى البلاد على قبره ليستعيدوا ذكرى صاحب هذه الشعلة المتقدة التى مرت عليها القرون فما زادتها إلا وميضا واستعاراً .

والمعروف أن جثة المعرى نقلت إلى ساحة لإحدى دور أهله ودفن بها ، وهي واقعة فى الطرف الغربى من المعرة ، وقد كانت هذه الدار فى عهده على ما يظهر من انقطاع آثار البناء ووجود القبور الأثرية بتاليها من الجهة الغربية ، واقعة فى أقصى البلدة باتجاه الغرب ، وكانت قبور أهله وبنى عشيرته وتلامذته قبل إنشاء الضريح الحالى تحيط به إحاطة السوار بالمعصم ، إلا أنه كما حجب اسمه أسماءهم وفضله فضلهم في حياته ، كالشمس إذا ظهرت غاب كل كوكب ؛ فكذلك حجب قبره قبورهم ، واضطر المهندسون الذين قاموا بتشييد الضريح إلى إزالة القبور الواقعة بجوار قبره ، وحفظت حجارتها وشواهدها فى حديقة خلفية لضريح أبى العلاء .

للطاعن سبيل إلى عكس معانيها ، وقلبها وتحريفها عن وجوهها المقصودة وسبلها ، ألا ترى إلى كتاب الله العزيز المحتوى على المنع والتجويز الذى لا يقبل التبديل فى شىء من صحفه ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كيف أحلى جماعة من أرباب باطل الأقاويل ، تأويله على غير وجوه التأويل ، فصرفوا تأويله إلى ما أرادوا ، فما أحسنوا فى ذلك ولا أجادوا ، حتى أن جماعة من الكفار ، وأرباب الزلل والعثار ، تمسكوا منه بآيات ، جعلوها دليلا على ما ذهبوا إليه من الضلالات ، فما ظنك بكلام رجل من البشر ، ليس بمعصوم إن زل أو عثر ، وقد تمعق فى فصيح الكلام ، وأتى من اللغات بما لا يتيسر لغيره ولا يرام ، وأودعها فى كلامه أحسن إبداع ، وأبرزها فى النظم البديع والأسجاع ، إذا قصده بعض الحساد ، فحمل كلامه على غير المراد ، وقد وضع أبو العلاء كتاباً وسمه « بزجر النابح » أبطل فيه طعن المزرى عليه والقادح ، وبين فيه عذره الصحيح ، وإيمانه الصريح ، ووجه كلامه الفصيح ، ثم أتبع ذلك بكتاب وسمه « بنجر الزجر » بين فيه مواضع طعنوا بها عليه بيان الفجر ، فلم يمنعهم زجره ، ولا اتضح لهم عذره ، بل تحقق عندهم كفره ، واجترأوا على ذلك وداموا ، وعنفوا من انتصر له ولاموا ، وقعدوا فى أمره وقاموا ، فلم يرعوا له حرمة ، ولا أكرموا علمه ، ولا راقبوا إلاً ولا ذمة ، حتى حكوا كفره بالأسانيد ، وشددوا فى ذلك غاية التشديد ، وكفّره من جاء بعدهم بالتقليد

فابتدرت دونه مناضلاً ، وانتصبت عنه مجادلاً ، وانتدبت لمحاسنه ناقلاً ، وذكرت فى هذا الكتاب :

نسبه ومولده ، وتحصيله للعلم وطلبه ، ودينه الصحيح ومذهبه ، وورعه الشديد وزهده ، واجتهاده القوى وجده ، وطعن القادح فيه ورده ، ودفع الظلم عنه وصده .

وسميته « كتاب الإنصاف والتحرى فى دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى »

وبالله التوفيق والعصمة ، وإليه المرجع فى كل وصمة ، وهو حسبي ونعم الوكيل » .

حرصت على نقل هذه المقدمة الطويلة المسجوعة بنصها ليستطيع القارئ تكوين فكرة عامة عن هذا الكتاب النفيس ويعرف روح مؤلفه فيه ، وأرجو أن أستطيع تلخيص فصوله التى عثر عليها فى فرصة قريبة

برهان الدين الداغستاني

يروى التاريخ أن أبا العلاء أوصى أن يكتب على قبره البيت التالى :

هــذا جناه أبى علىّ   وما جنيت على أحــد

وهذا البيت ليس له وجود على قبره ذى الكتابة الكوفية المشجرة ، ولا يوجد على شاهد الضريح سوى الكلمات التالية : « هذا قبر أبى العلاء بن عبد الله بن سليمان » . وقد محا الزمان كلمات : « هذا قبر أبى » ، وكتب على ظهر الشاهد : رحمة الله عليه . وقد وجد بجوار ضريحه حجر مستطيل الشكل بقياس ٥٠ × ٣٠ مسطر عليه هذان البيتان بخط ثلث حديث :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة
نفيسة صاغها الرحمن من نطف
عزّت فلم تعرف الأيام قيمتها
فردّها غيرة منــه إلى الصدف

وقد علمت من ثقة فى المعرة أن هذا الحجر حديث ، جدد عام ١٩٠٣ بديل آخر مكتوب بالخط الكوفى أتى عليه الزمان فجدده أهل الفضل .

وقد كان ضريح المعرى فى وضعه السابق على غير الاتجاه الصحيح ؛ فكان منحرفاً انحرافاً قليلا نحو الشمال الغربى ، وذلك على ما يظهر بسبب الزلازل أو انخفاض الأرض فعدّل الآن إلى الاتجاه الصحيح .

أما الضريح القديم فقد كان حالة قبيحة من الإهمال ذكرها مؤرخو المعري حتى قام فى عام ١٩٠٣ المرحوم نورس باشا الحراكى ، وهو رئيس للمعرة فى ذلك العهد ، وبنى عند قبره غرفة يعلوها قبة وبجوارها مصلى جعل منه مدرسة للأولاد كان يقوم بالتدريس فيها شيخ أعمى دائماً كلما مات واحد قام آخر .

ولما فتح قبره منذ خمس سنوات لم ير فيه من آثاره إلا بقية ضئيلة كالرماد من فتات عظامه ، وقد صب الآن فوقها الأسمنت لتكون قاعدة قوية تحت حجارة القبر الثقيلة

وقد كان فى النية نحت حجارة جديدة لقبره لتقوم مقام الحجارة الأثرية القديمة وتتناسب مع شكل البناء الجديد ، إلا أنه صرف النظر أخيراً عن هذا العمل بعد القيام به ، وكان ذلك الأوفق والأنسب .

وكان أمر بناء الضريح تكتنفه الصعوبات لعوامل شتى منها تبدل الحكومات المتعاقبة على البلاد السورية فكأن رغبة أبى العلاء التى أبداها فى ترك قبره وعدم الاحتفاء به إذ يقول :

لا تكرموا جسدى إذا ما حل بى
ريب المنون فلا فضيلة للجسد

أو يقول :

إن التوابيت أجداث مكررة
فجنب القوم سجناً فى التوابيت

تحققت بقوة خفية لا يمكن التغلب عليها

إلا أنه تقرر فى موازنة الحكومة السورية لعام ١٩٣١ مبلغ من المال كاف لبناء الضريح ولم ينفذ المشروع ، كما أنه تقرر ذلك أيضاً فى موازنات الأعوام التالية ـ ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ ـ ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ ، وأضافوا على ذلك فى عام ١٩٣٢ مشروعاً جديداً هو طبع طوابع بريدية موشحة باسم أبى العلاء يعود ريعها لإنشاء الضريح فنفقت الطوابع والقبر على ما هو عليه

وكانوا فى كل عام يرصدون مبلغاً لإنشاء الضريح ، ولا ينفذ العمل ، حتى جاء عام ١٩٣٩ ، إذ خصص ١٥٠٠٠ ليرة سورية فى موازنة الحكومة السورية (فصل ٧ مادة ١ فقرة ٤) وتقرر البدء بالعمل ، وكان ذلك يوم الأحد فى ١٨ تشرين الثانى ٩٣٩ عيداً أهلياً عند سكان المعرة الذين احتفلوا بنفس الوقت احتفالاً شائقاً بإنشاء شركة كهربائية أهلية مساهمة ، وشركة مياه إذ

أنارت الكهرباء بلدتهم لأول مرة ، وجرت المياه النقية إلى قسم من دورهم

وكان المظنون أن الأمور أخيراً سوف تسير سيراً حسناً لولا أن اندلاع الحرب جعل مواد البناء من أسمنت وحديد مرتفعة الثمن ارتفاعاً فاحشاً . كذلك صارت اليد العاملة تطلب أجوراً فاحشة ، فاستنكف الملتزم عن البناء ، وقامت الحكومة بعد أخذ ورد بنقل الالتزام إلى رجل آخر مع وضع اعتمادات مالية إضافية تتصاعد حسب ارتفاع الأسعار ، وقد انتهى العمل فى أوائل هذا العام

والضريح فى وضعه الحالى عبارة عن فسحة دار مزروعة بالرياحين يدخل إليها من أروقة محيطة بها من الغرب والشمال ، وفى صدر هذه الدار قبر أبى العلاء موضوع تحت إيوان جميل ، وخلف القبر مسجد يدخل إليه من بابين على طرفى القبر ، ومكتبة على جانب المسجد للغرب ، وخلف المسجد حديقة صغيرة محفوظ بها الحجارة الأثرية التى وجدت حول القبر

وقد سبق أن قامت بلدية معرة النعمان بشق وتخطيط شارع كبير من شرق البلدة إلى غربها بحيث جعلته يمر مباشرة أمام ضريحه ، وقد عبدته وجملت الأرصفة على جانبيه حتى صار من الشوارع اللائقة بمدينة كبيرة ، واسمه شارع أبى العلاء ، كما خصصت البلدية قطعة أرض مناسبة فى مدخل البلدة لإقامة نصب تذكارى فيها لأبى العلاء

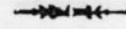
وقام أهالى المعرة بنصيب طريف من هذا التمجيد ، فأسموا فندق أبى العلاء ومطعم أبى العلاء ، وهم يملأون القلل بالماء ليلة الجمعة ويضعونها طوال تلك الليلة بجوار قبره ليشربها فى اليوم التالى من بلد ذهنه من صبيان المدارس اعتقاداً منهم أن الذهن يصفو من بلادته بهذا الماء ، وهم يقسمون بالمعرى كما يقسمون بمقام النبى يوشع الموجود عندهم ويتعصبون له ، ولا شاعر عندهم أو فيلسوف سباق المعرى فى شاعريته أو حكمته ، وهم أول من يسوق لك الدليل على ذلك من أشعاره وآثاره

إن بلدة معرة النعمان اعترافاً منها بفضل أبى العلاء المعرى عليها تدعو جميع الأدباء والفضلاء لزيارة قبره فى المعرة يوم ٢٧ أيلول ١٩٤٤ احتفاء منها بمرور ألف عام انقضت على مولده .

صبحى الياسينى
قائمقام معرة النعمان

حلم الفجر . . .

للأستاذ سيد قطب



عجبا ! أنتِ ما تزالينَ حُلمى ومِثالى وفِكرتى ونَشيدى
ما تزالين فى خيالىَ رَمْزاً لِرجاء منوَّرٍ من بعيدِ
ما تزالين حافزاً لجُهُودى ما تزالين غايةً لوُجودى
أتحاشاكِ بالجفــاء وباليأ س فأرتدُ ساخراً من جهودى !
أتحاشاكِ كالجحيم وكالنُّســم ولكن إليكِ يُفضى شرودى

***

عجبا ! تركدُ الحياةُ فأنسا كِ قليلاً فى غمرتى ورُكودى
فإذا دبَّتِ الحياةُ تراءيــتِ كطيف مستيقظ من هجُود
وتراءت تَرِفُّ حولكِ أطيا فُ لما كان بيننا من عهودِ
كلُّ ما لامستْ يداكِ وما مَــسَّ هوانا من قيِّم وزهيدِ
أتملاه بالخيالِ وبالحِــسِّ كذكرى من عالم موعودِ

***

عجبا ! بعد كلِّ ما كان مِنَّا من صراع دام وجهد جهيدِ
أتمنَّاكِ فى المنام وفى الصَّحْــو تمنِّى العقيم وجهَ الوليدِ
وإذا مرتُ فى الزحام فعينى لخيال مستشرف من بعيد !
لهفةٌ تمــلأ الحنايا حنيناً لرجاء مجسَّم مفقــود !
أنتِ حُلم الحياة فى صحوة الفجــر فأنَّى لحلمنا من مُعيدِ

(حلوان) سيد قطب

القريب البعيــد

للأستاذ حسين سرحان



ظَلْتُ ألقاكِ ليلتين وأخرى فمضت ليلةٌ ، ومرَّت ليال
والتوانى كأنهن شهور والليالى تُربى على الأحوال
وقف الدهرُ وقفةَ الطَّود دونى وأمسيتِ قاب قوس حيالى
أى قرب ؟ لكنه أبعد البعد وأنأى من النجوم العوالى
لو تقرَّبت باليدين محياكِ لأقربت(١) منك غير مبال
والزمان الرَّجيم أضحكُ من قر دٍ على فرط خيبتى وضلالى
يتحدَّى صبابتى وغرامى ويُمارى عزيمتى واحتمالى
وتلظيت من صدًى وزلال الماء عندى وخالص الجريال
ضاق ذرعى بما أجن وضاقت عن أمانىَّ حيلة المحتال
ونبا بي رحب المكان وأملَّت (الأفاريز) أيما إملال
موفضاً ناظراً إلى غير شىء ساليا ، لا ، فلست عنك بسال
وخلا البال ما عداك فما يخطــر لى كائن سواك ببال
ومضى القلب لا يُنيب إلى وا لٍ ولا يستجيب للعذال
خير ما قيل فيك ما ضاء فيه اسمك ضوءَ كدرة اللآل
وسوى ذاك فرية وهُراء لا أبالى بها على أى حال

***

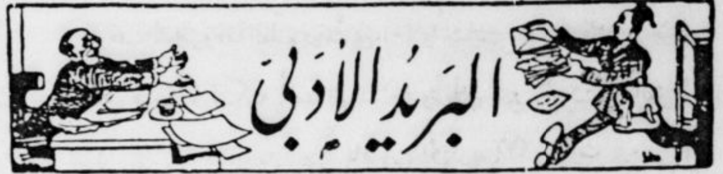
حُبٌّ بالوعد صادقاً وبه مطلا وبانفيهما ولست أغالى
وبما تخطرين فيه من الوشى وما تملئينه من مجال
وبعين تراك أو أذن تسمع نجواك فى أرق مقال
بالأديم الذى عليه تسيرين فيعلو بروحك المتعالى
بالهواء الذى يعود أريجاً حين تولينه أقل احتفال

***

وإذا عدت تسأل البارحَ السا نحَ عنها فما غناء السؤال
حُلُمٌ ماتنى طليحَ هواه عالقاً منه فى الكرى بالمحال
فإذا ما ألمَّ بعد ارتحال أو أجدَّ الوصال بعد تقال(٢)
فهو شىء لا تستطيع الليالى والمنى أن تصوغه فى مثال

(مكة) حسين سرحان

(١) وصول الابل الماء بعد صبيح خامسة
(٢) التباغض



بيان إلى صحف الأقطار الشقيقة

بلغني من أحدهم بطريق المصادفة أن بعض صحف الأقطار الشقيقة تنسب إليّ رأياً خاصاً في الوحدة العربية ، كما تشير إلى تهم قيل إنها صدرت مني ضد بعض الأدباء في تلك البلاد . ولم تقع في يدي حتى الآن صحيفة من تلك الصحف أطالع فيها تفصيل هذه الأخبار الغريبة . ولكنني أكتفي هنا بأن أرجو من صحف البلاد الشقيقة أن تضن قليلاً بحسن ظنها في صحة الأقاويل والإشاعات التي تنسب إلينا ، وألا تلقى بالاً إلى غير ما ينشر موقعاً عليه بأسمائنا من مقالات أو تصريحات ، فإن بدعة « أحاديث المجالس » المتفشية الآن في الصحافة الحديثة لم يبق فاصلاً بين الجد والهزل ، ولم تجعل حداً بين الحقيقة والخيال . وقد يأتي اليوم الذي أحاسب فيه أيضاً على تلك « النكات » والدعابات التي يضعونها على لساني تحت الصور الكاريكاتورية في المجلات الأسبوعية ، أوما يرد من حين إلى حين في صيغة « قال لنا الأستاذ فلان ... » كل هذا يجب أن يؤخذ مأخذاً خفيفاً ، وأن يقرأ مع الابتسام ، لا أن يجعل أساساً لحقائق يدور حولها الكلام ... وكنت أود أن يفطن الناس إلى ذلك منذ زمن ، فلا يجعلوا مثلي مسؤولاً إلا عما يحرر بقلمه أو ما ينشر بإذنه ، ولقد بحثت في ذاكرتي فلم أجدني نشرت أكثر من مقالين أدبيين منذ عام ، ولم أسمح بأكثر من حديثين جديدين ، ولم تكن الوحدة العربية موضوع بحث أو سؤال ، ولا كان الأدباء محل نظر أو جدال . خصوصاً وان اطلاعي على الصحف أو الكتب ، ومعلوماتي عن كتابها ومؤلفيها من أبناء البلاد الشقيقة هي للأسف من الضآلة بحيث لا تبيح لي الكلام فيها . ولابد لي من وقت أعالج فيه هذا النقص ، وأتوفر على الإحاطة بالإنتاج الحديث وأصحابه قبل إبداء الرأي أو توجيه الاتهام أو إزجاء الثناء . وأملي أن يوفقني الله إلى القيام بهذا الواجب في القريب . فإن أقل ما ينتظر منا هو أن نكشف للعيون عن ثمرات القرائح الناضجة في حدائق جيراننا . تلك غايتنا . فإذا عجزنا عن إدراكها سكتنا على مضض . أما أن نتكلم بشر فهذا مالا يكون منا أبداً . وأخيراً أكون شاكراً لو تفضلت كل جريدة عربية في كل قطر عربي بنشر هذا البيان ، إقراراً للحق في نصابه والسلام ...

توفيق الحكيم

حرية الفكر أيضاً

تفضل حضرة أستاذنا العلامة دريني خشبة في مقاله الأخير في الرسالة « حرية الفكر أيضاً » ؛ فألمع إلى كلمتي الأخيرة في العدد الأسبق . ثم وضع لنا قانون حرية الفكر « والقول » . وزبدة قانونه : « فليعتقد من يشاء ما يشاء بشرط ألاّ يجعل عقيدته دعوة يدعو إليها ويجهر بها الخ . » فعجبنا كيف تكون الحرية حريةً متى قُيِّدت بشرط أو شروط

ولأنني أعلم ، وقد ازددت علماً مما لاحظته في سياق النقاش في وحدة الوجود في الرسالة ، أنه لا يجوز البحث في هذا الموضوع الذي اتفقت على بطلانه تعاليم الأديان الثلاثة . ولذلك حذرت سادتنا الكتاب من التوغل في موضوع قد بُتّ فيه منذ مئات بل آلاف من السنين لئلا ينسب إليهم الإلحاد ، وإنما رغبت أن يتجنبوا تهمة الإلحاد لأني أشفقت عليهم من غضب الجمهور الذي قد يثور على الملحدين . وكدت أنا أقع في نفس ما حذرت منه إذ أصبحت في عرف أستاذنا العلاّمة دريني ملحداً أو زنديقاً لأني أعتقد بالمادة

لا بأس أن ينعت المؤمن بالمادة ملحداً أو زنديقاً . ولكن ما قول أستاذنا فيما إذا اختلفت عقائد المؤمنين بالله ؟

إن أصحاب الأديان الثلاثة يعتقدون أن الله خالق هذا الوجود ومدبره . ولكن لكل طائفة عقيدة بالله تختلف عن عقيدة غيرها . « فالله » الإسرائيليين يوصف بأنه « يهوه رب الجنود » أي أنه قائد حربي ينصر شعبه على أعدائهم . و « الله » النصارى ذو ثلاثة أقانيم في واحد . و « الله » المسلمين واحد أحد لا شريك له

وقد نضيف إليهم « الله » سقراط وتلاميذه الذين يعتقدون أن الله موجود مع الكون مستقل عنه ومدبره ولكنه لم يخلقه .

وهناك عقائد مختلفة بالله في الشرق الأسيوى وجزر الباسفيك القصوى . فمن هم الزنادقة ؟ وفي نظر من هم زنادقة ؟ وهل يحرم على أولئك المنسوبة لهم الزندقة أن يقولوا عقيدتهم . إذاً أين حرية الفكر ؟ وهي بيت القصيد في كلتي الماضية وفي هذه أيضاً

أود أن يعلم حضرة الأستاذ جيداً أنى لست أناقش في عقيدة معينة من العقائد الدينية . ولا أدافع عن عقيدة خاصة حتى ولا عن حرية الفكر . فما دامت الحرية غير مقيدة بسلاسل ولا هي معتقلة في السجن ؛ فلا أغضب ولا أكون شبه غاضب . ولذلك أرجو من حضرة الأخ العزيز الأستاذ دريني خشبة أن يسحب من مقاله (غاضبون أو شبه غاضبين) لأنه في الأبحاث العلمية لا محل للغضب عند من يعقلون ، وإذا كنت أتطفل في مساجلته ؛ فلأني أستلذ بحثه فأستزيده منه ، وله تحيتي .

نقولا الحداد

تعريف الوحدة

الوحدة العربية ، كلمة جذابة تطوى أطيب المعاني المستحبة عند كل الناس من جميع الطبقات ، وقد أقترب كثيراً من الحقيقة إذا قلت إن تعريفها يختلف عند السوريين والعراقيين والحجازيين واليمانيين والفلسطينيين والمصريين

لا عجب في اختلاف معاني الوحدة العربية ولا غرابة في ذلك ما دام القائمون بها لم يضعوا لها بعد تعريفاً يظهر الغاية ويزيل البلبلة والتضارب في التفسير ويحد من اجتهاد المجتهدين في إفراغ تعريفها في أحسن الألوان وأزهى المظاهر

وليس ثمة من دليل على البلبلة والتضارب أقطع من الدليل الذي أقامه الأستاذ أسعد داغر في صحيفة الأهرام ، وما أدراك ما هي صلة الأستاذ بجميع القائمين بالوحدة والعاملين لها ، قال في سياق مناظرة حول هذا الموضوع « أعرف أن الوحدة التي ينشدها العرب الآن هي وحدة الروح والفكر والمصلحة والخطة ، والعمل على تحقيق آمال الأمة واستعادة مجدها الغابر لمصلحتها ومصلحة كل قطر من أقطارها ، وكل فرد من أبنائها . ومصلحة الحضارة والعمران والسلام العام . على أساس الرضا والتعاون بين جميع البلاد العربية »

هذا الكلام وقد نقلته بنصه في تعريف الوحدة لا يروى ظمأ المتعطشين إلى الوقوف على الحقيقة من رجال السياسة والاقتصاد ، ولا يحد من أخيلة المتخيلين الذين قد يضر الوحدة خيالهم ولا ينفع ؛ فهل للأساتذة الأفاضل أمثال عبد الرحمن عزام وخليل ثابت ومحمود عزمى وعبد الوهاب عزام ، وبقية المشتغلين بقضية الوحدة أن يضعوا لها تعريفاً محدود القصد والغاية بعيداً عن التعابير الشعرية والأساليب الخيالية .

صبيب الزمهورى

إلى الدكتور زكي مبارك

مرحباً بك يا أخي مساجلاً وصديقاً وأستاذاً حر التفكير « معقد الإيمان »

خذ في الموضوع إذن ، ورجائي أن تذكر ما قلته في كلمتك الأولى من أنك تؤمن بنظرية وحدة الوجود كما تناولتها في كتابك القيم ؛ فلا تنس هذا ... ولا تنس أنك قد أيدتها في صفحات ، ثم عدت فنقضتها في صفحات أخرى ، فهل كنت مؤمناً بهذه النظرية في الصفحات الأولى ، وغير مؤمن بها في الصفحات الأخيرة ؟ ولن يفوتني أن أسألك يا أخي عما يخيفك من دخول الإسلام في موضوعنا ؟ أفي الإسلام نقط واهية يخشى عليه منها بصدد هذه النظرية الصادقة في نظرك ؟ وعلى كل فخذ في الموضوع ، واشرح لنا هذه النظرية كما تؤمن بها ونحن في انتظار ما تقول ؛ وتقبل تحيات صديقك الذى يقدرك ، وسوف يظل إلى الأبد يقدرك

دريني

بقية عن تيمور

كتبت في العدد الأسبق عن « تيمور » وواضح أن التقدير الفني — لا التسجيل التاريخي — هو الذى كنت أتجه إليه ؛ وهو الذى يتسع له مقال في صحيفة لا فصل في كتاب

ولما لم يكن من غرضي — في هذه الفصول النقدية التي أكتبها هضم حق أحد ولا منح أحد أكثر مما يستحق ، لسبب من الأسباب الكثيرة التي تعصف بمن يحاولون النقد في هذا البلد العجيب . فقد رأيت أن أنشر هذه « البقية » التي كنت أبقي تفضيلها لكتاب هو بين يدى الآن

فأحب أن أسجل لتيمور أنه واضع الحجر الأول فى محاولة « الأقصوصة » فى مصر بعد أخيه المرحوم « محمد تيمور » . وهذه الحقيقة التاريخية لا شأن لها بتقويم عمله من الوجهة الفنية . ولعل حديثى الماضى عن تيمور فى صدد كتاب الرواية والقصة والأقصوصة مجتمعين ، هو الذى أخفى مكانه التاريخى والفنى بينهم . . .

فأما حين نفرد « الأقصوصة » فإننا نجد تيمور هو واضع الأساس . ولعلنا لا ننتظر ممن يخط الحروف الأولى أن يبلغ القمة ، وحسبه أن يمهد الطريق

هذا الحق التاريخى . لا يمنعنى مانع من كبرياء أو عناد ، أن أعود فأقرره لتيمور ، لأثبت له — من وجهة نظرى — ما له وما عليه . ولعل هذه الكلمة تكشف الحقيقة للكثيرين ، ممن قرأوا كلمتى الماضية ، فتأولوها تأويلاً غير مضبوط .

سيد قطب

منع النساء من لبس العمائم الكبيرة

إتماماً لما كتبه الأستاذ النشاشيبى فى (نقل الأديب) من « عدد الرسالة ٥٧٨ » من خبر النساء فى أنطاكية وأنهن يتعممن كالرجال ، وأن الرجال يلبسون السراقوجات ، أنقل ما سيأتى من كلام ابن الجزرى المؤرخ . وقد عودنا الأستاذ أن يشرح لنا غريب الألفاظ الذى يرد فى كلامه ، ولكنه لم يذكر لنا معنى « سرغوج » . وهي شارة توضع على مقدمة القلنسوة ، فيها شعر مفتول بعدد معين . تكون رمزاً لرتبة عسكرية عند المغول والأتراك حتى العثمانيين كما جاء فى قاموس شمس الدين سامى وغيره :

قال المؤرخ محمد بن ابراهيم الجزرى فى تاريخه الكبير (حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه) : وفى يوم الخميس لعشرين من رمضان سنة ٦٩٠ رسم نائب السلطنة بدمشق — الأمير علم الدين سنجر الشجاعى — أن لا ترجع امرأة تلبس عمامة كبيرة ، ومن خالف المرسوم غلظت عقوبتها . فامتنع النساء من ذلك على كره منهن . وكان فى المرسوم أيضاً أن لا يكتب على المناديل البسملة ولا شىء من القرآن المجيد وروى فى كتابه المذكور عن الشيخ عماد الدين يونس بن على بن قرسق الدمشقى ، وكان والده متولى دمشق وشادّ دواوينها ، أنه قال : استتوب والدى بعض اللصوص ممن كان يخطف العمائم ، قال وبقى فى خدمته بالباب ، قال فقلت له مرة : أشتهي تحكى لى أعجب ما جرى لك فقال : اتفق أننى خرجت ليلة فوقفت فى مظلمة فما استقر بى الوقوف إلا وخطفت عمامتى ، قال فمشيت إلى بيتى وكان لى تخفيفة فتعممت بها ورحت إلى مكان آخر فما لحقت أقف إلا وقد خطفت ، قال فعدت إلى البيت وأخذت مقنعة امرأتى فتعممت بها ، والمرأة تخاصم وتحلف إن راحت مقنعتها تعرف الوالى ، فأخذتها ورحت إلى مكان آخر لخطفت المقنعة ، فقلت والله لا رحت إلى البيت إلا بشىء وخفت من المرأة ، وكان وسطى مشدوداً بمنديل فتركته على رأسى وقلت فى نفسى قد دخل الليل وما بقى إلا سقاية جيرون فجيت ودخلتها ووقفت أنتظر من يعبر ، وإذا بإنسان قد دخل وعلى رأسه عمامة كبيرة إلى غاية ، فقلت فى نفسى هذه أخطفها ، ثم إنى تركته حتى عرفت أنه قد تمكن من القعود ، وفتحت عليه الباب ، وخطفت العمامة وجريت جرية واحدة إلى بيتى ، وافتقدتها فإذا هى العمامة والتخفيفة ومقنعة المرأة التى خطفت منى تلك الليلة لا تزيد خيطاً ، ورحت ليلتى بلا فائدة لا ربحت ولا خسرت .

12 me Année No. 589

Lundi - 16-10 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥٨٩ «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ شوال سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـرس

صفحة
٩٢١ بين الحقائق والأساطير ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٩٢٤ أبو العلاء المصلوب ... .. : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
٩٢٦ ثقافة أبى العـلاء ... ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٩٢٩ فى عالم القصة ... ... : الأستاذ سيد قطب ... ...
٩٣٣ الأستاذ سيد قطب بين تيمور ونجيب محفوظ .. .. : الأستاذ صلاح الدين ذهنى ...
٩٣٦ حول مقال ... ... : الدكتور سيد نوفل ... ...
٩٣٧ لعنة الحرب ... [قصيدة] : الأستاذ على الجندى .. ...
٩٣٨ نداء الموت ... « : الأستاذ محمد مجذوب .. ...
٩٣٩ حرية الفكر أيضاً .. ... : الأستاذ نقولا الحداد ..
٩٣٩ عودة دجال « البـديع » : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٩٤٠ مقام الشهود لا وحدة الوجود : الأستاذ محمد منصور خضر ...
٩٤٢ بين أبى العلاء وداعى الدعاة الفاطمى .. .. : الأستاذ مصطفى كمال عبد العليم

بين الحقائق والأساطير

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب الأستاذ محمود عزمى مقالاً اقترح فيه أن تطلق كلمة العروبة بفتح العين على الجامعة العربية

قال الأستاذ : « وقد وقفت مع رهط من أصدقائى اللبنانيين وأنا أصطاف معهم إلى تعريب لفكرة التعاون المستند إلى مدرك الأميركية الشاملة — فى نظام جامعة الأمم الأميركية — بلفظ واحد يدل أبلغ الدلالة على جامعة الأمم العربية التى يصح أن يعبر عنها باللغات الأجنبية بكلمة Pan—Arab ، وهو لفظ العروبة بفتح العين لا بضمها . وقد وردت فى القواميس وفى المدونات على أن من معانيها العرب مجتمعين فى مواسمهم ، كما ورد أن يوم الجمعة كان يسمى يوم العروبة بالفتح قبل أن يسمى يوم الجمعة »

وتناول هذا المقال «مشاغب» المصور فقال : « ... ليسمح لنا الأستاذ أن نفتش له ولأصدقائه هـذه القفشة . فقد رجعنا إلى أكبر القواميس وإلى أمهات اللغة فلم نعثر على أن العروبة بالفتح هى العرب مجتمعين فى مواسمهم حتى يصح أن تطلق على الجامعة العربية . فقـد قال صاحب لسان العرب وصاحب محيط المحيط وغيرهما إن العروبة والعروب بفتح العين هى المرأة اللاعبة الضاحكة ،

أو المتحببة إلى زوجها أو العاصية أو العاشقة الغاوية ، وإن إطلاق العروبة بالفتح على يوم الجمعة كان قبل الإسلام ، وإنه يظن أنه دخيل فى اللغة ، وقال صاحب اللسان : وفى حديث الجمعة أنها كانت تسمى عروبة بالفتح وهو اسم قديم لها ، وكأنه ليس بعربى ... وأشار بعد ذلك إلى أنه تغير بعد ظهور الإسلام وسمى يوم الجمعة ... »

هذا هو مدار المشاغبة بين الأستاذ عزمى و « مشاغب » المصور الذى أصاب فى قفشته اللغوية ، وأحسن إذ حال بين الجامعة العربية وإطلاق كلمة العروبة عليها

فن هى هذه العروبة ؟

من هى هذه الحسناء اللعوب المتحببة الغاوية العصية ؟

من هى هذه الفاتنة التى كان يوم الجمعة يسمى باسمها فى الجاهلية ولا تزال فى خصائصه أثارة من تلك التسمية حتى اليوم ؟

أكبر الظن أنها هى « الزهرة » كوكب العشق والهوى واللعب والغواية ، ثم كوكب يوم الجمعة الذى نسب إليه هذا اليوم فى أرصاد المشارقة منذ آلاف السنين ، وقد بطلت نسبته الآن فى لغات المشارقة ولم تبطل من لغات الأوربيين الذين اقتبسوا أرصادهم من الشرق قبل ظهور المسيحية بقرون ، فلا يزال الفرنسيون يطلقون على يوم الجمعة اسم فندردى Vendredi أى يوم الزهرة Venus ، ولا يزال الإنجليز يطلقون عليه اسم فريداى Friday ، أى يوم فرايا ، وهى مقابلة الزهرة عند أبناء الشمال الأقدمين

والمعروف أن المشارقة فيما بين النهرين — قد سبقوا الأوربيين إلى رصد الكواكب السيارة والثابتة ، ومزجوا هذه الأرصاد بالعقائد الخرافية التى اشتمل عليها علم الفلك القديم . فزعموا أن الكواكب مستولية على الأيام والحوادث ، مسيطرة على السعود والنحوس ، وقالوا إن الشمس مستولية على يوم الأحد ، وإن القمر مستول على يوم الإثنين ، وإن المريخ مستول على يوم الثلاثاء ، وإن عطارد مستول على يوم الأربعاء ، وإن المشترى مستول على يوم الخميس ، وإن الزهرة مستولية على يوم الجمعة ، وإن زحل مستول على يوم السبت ، وإن هذه الكواكب تتداول الساعات جميعاً فى هذه الأيام

وقد بقيت هذه النسبة فى أسماء الأيام الأوربية إلى العصر الحاضر بعد أن بطلت فى مصادرها الأولى

فيوم الأحد بالإنجليزية يسمى يوم الشمس Sunday بلفظ صريح .

ويوم الإثنين يسمى يوم القمر Monday بغير تحريف كبير

ويوم الثلاثاء يسمى يوم إله الحرب Tuesday ، وهو تيوا عند أمم الشمال ، ونسبته فى اللغة الفرنسية أصرح وأظهر لأنهم يدعونه Mardi ، أى يوم مارس ، وهو المريخ

ويوم الأربعاء يسمى يوم أوودن إله الفنون Wednesday ونسبته فى اللغة الفرنسية كذلك أصرح وأظهر لأنهم يدعونه Mercredi ، أى يوم مركيورى ، وهو اسم عطارد عند جميع الأوربيين

ويوم الخميس يسمى بالإنجليزية يوم ثور إله الرعد والبرق والصواعق والنيران والصناعات التى تستخدم فيها النار Thursday ، ويشبه فى خصائصه المشترى كما يعرفه الشرقيون

ويوم الجمعة منسوب إلى الزهرة كما تقدم ، ويوم السبت منسوب إلى زحل ، وهو فى الإنجليزية أصرح منه فى الفرنسية Saturday ، أى يوم « ساتيرن » ، ومعناه زحل فى تلك اللغة

ولا شك فى مرجع الزهرة خاصة إلى الأساطير الشرقية بلفظها ودلالتها

فكلمة Venus فينس كانت تكتب باللغات الأوربية القديمة بنث Benush ، ثم صحفت الباء إلى الفاء ، كما يتفق كثيراً فى جميع اللغات ، وصحفت الثاء إلى السين فأصبحت فينس كما تنطق اليوم ، ومرجعها على ما هو ظاهر إلى كلمة بنت التى تدل فى العربية وغيرها من اللغات السامية على الفتاة

وكلمة « أشتار » التى أطلقت من قبل على الزهرة ، ثم أطلقت على سائر النجوم مأخوذة من أستار و « عشتروت » ، أى الزهرة عند الفينيقيين . ومنها الاسترلاب أو الاصطرلاب مقياس الكواكب والأفلاك

وخصائص الزهرة فى أساطير الفلك الشرقية هى بعينها خصائصها التى ثبتت لها حتى الآن فى أساطير الغربيين ، وهى الاستيلاء على العشق والهوى والجمال الغاوى والفتنة الخليعة ،

وفى رسائل إخوان الصفاء كما فى غيرها من كتب الحكمة والفلك : « ... من ذلك حال السعدين المشترى والزهرة . فإن أحدهما دليل على سعادة أبناء الدنيا وهى الزهرة ، وذلك أنها إذا استولت على المواليد دلت لهم على نعيم الدنيا من الأكل والشرب والنكاح والميلاد ، ومن كانت هذه حاله فى الدنيا فهو من السعداء فيها »

وقد بقيت للجمعة صلة بالحب والمتعة حتى اليوم بعد نسيان كلمة العروبة التى كانت تطلق عليه فى الجاهلية

فمن هنا إذن جاء وصف العشق والهوى ليوم الجمعة فى الجاهلية المنسية ، ومن هنا انعقدت الجامعة بينه وبين العروبة التى هى المرأة اللعوب المتحببة العاصية الفتونة ، وكل حسناء لعوب تجمع بين هذه الصفات كما جمعت بينها الزهرة ربة الفتنة والغرام عند الكلدان والفنيقيين قبل اليونان واللاتين

ومن الحسن إذن أن يكون للجامعة العربية كوكب غير الزهرة فى مطلعها الجديد أو طالعها الجديد

فإن أجدر الكواكب أن يستولى على الجامعة العربية فى هذا الطالع لهو كوكب عطارد الذى تنسب إليه الآداب والفنون فى أقوال الشرقيين قبل الغربيين ، كما قال ابن الرومى :

ونحن معاشر الشعراء ننمي ... إلى نسب من الكتاب دان
أبونا عند نسبتنا أبوهم ... عطارد السماوى المكان

وهذا من الأدلة الكثيرة على أن الخصائص الفلكية التى تزعمها الأساطير الأوربية لأرباب الآداب والفنون من شعر ونثر وغناء وموسيقى قد كانت معروفة على هذه الصفة فى الشرق العربى وفى الشرق كله قبل دولة الإسلام والعربية

والرأى الصائب هنا غير بعيد من دلالة الأساطير على هذا المعنى .

فإن الجامعة العربية لا يجمعها شىء كما تجمعها اللغة وآدابها ومنظومها ومنثورها وأفانين الفصاحة والتعبير فيها

فالجامعة العربية قبل كل شىء هى جامعة اللغة العربية واللسان العربى بما أفاض فيه من شعر ونثر وخطابة وبيان

وعطارد السماوى المكان هو صاحب هذه الجامعة دون غيره من كواكب السماء ، وبخاصة تلك الزهرة اللعوب !

فلن تنفصم للأمم العربية جامعة ما دامت لها لغة واحدة وأدب مشترك فى تلك اللغة . لأن هذا الأدب هو الميراث الذى يربطها بأسرة واحدة ، ولا يقع النزاع عليه كما يقع النزاع كثيراً على ميراث المال والحطام ، بل هو أبداً مجلبة الوفاق وموزع الحصص بمقدار ما يتناول منها المتناول فى غير ضرار ولا شقاق

أما الوحدة العربية من وجهة السياسة فلها ضمان واحد يتقدم على كل ضمان ، وهو حرية كل أمة عربية فى الحكم وحرية كل أمة عربية فى الاختيار ، وحرية كل أمة عربية فى معاملة الأمم الأخرى

فإذا قامت الوحدة على هذين الأساسين : أساس الأدب وأساس الاستقلال ؛ فكل ما وراء ذلك فهو تفصيل يطويه الإجمال ، وهو بأية حال مسألة رسوم وأشكال . ولا يبالى العربى فى قطر من أقطار العروبة ماذا يكون الرسم ، أو ماذا يكون الشكل إذا سلمت له اللغة وآدابها ، وسلمت له الحرية وحقوقها

ولكل عربى أن يقول يومئذ فى سائر العرب : « أبونا عند نسبتنا أبوهم » إذا كان عطارد هو رمز الأدب والفصاحة والبيان .

عباس محمود العقاد

صور من حياة أبي العلاء بين يدي ذكراه الألفية

أبو العلاء المصلوب!

للأستاذ عبد المنعم خلاف

[يطالع قارئ ديوان «اللزوميات» لأبي العلاء صوراً شتى من حياة هذا الرجل، حتى ليختلط على القارئ المتعجل تمييز تلك الشخصية بميزات وسمات تلازمها ولا تفارقها

غير أن حركة صور تلك الحياة في ذهني تكاد تستقر على مقطع واحد من مقاطع نظري إليه، وهو مقطع صورة لرجل مصلوب!]

كأنما الأقدار قد أطالت صلبه ليترجم عن معاني الألم والتشاؤم والسأم والشك والتبرم، وانتقاد شريعة الاجتماع، والانتقاض على شريعة الحياة نفسها. وكأنه كان رسول هذه المعاني في الأدب العربي، جاء لينذر الناس بنذر من عالم الفناء والتعطيل والظلام والآلام. فهو في آفاق هذا العالم رائد خبير، قطع حياته كلها يجوس بعينيه المطموستين في أمواجه الفاصرة لم يبزغ عليه فجر نور يزوده بصور باسمة للحياة يتذكرها ويلهو بذكراها في رحلته القاسية الطويلة، إذ حرمته الأقدار بعض أسباب السلوى والنسيان والتلهي، وضاعف هو حرمان نفسه، إذ رفض بقية ما سلبته الحياة. فكتب على نفسه بيده أسباب نقمته الموصولة، وقد أعانه على إدمان آلامه ذاكرة واعية، وحافظة مصورة، وخيالٌ خلاّق مثّال، بلغ من قدرته أنه كان يرى في كل لفظ من محصول اللغة التي كان فيها إماماً قالباً لمعنى من معانيه، ونواة لفكرة من أفكاره، لا يلبث أن يدور حولها دورة يخرج منها معنى يُضَمُّ إلى أسرة المعاني العلائية المعروفة

وقد نجح في أداء رسالته، فقبس «أقباساً» داجية من عالم التعطيل والظلام ونقلها إلى عالم الحياة والحركة والافتتان والاستسلام، وأتى من وديانه بصور وتهاويل وأشباح تطالع قارئ ديوانه «اللزوميات» فيقبل عليها في ارتياع ووجل وشوق غامض كما يقبل على عالم الضوء بعرائسه وأشباحه البيضاء الآنسة المأنوسة! فيبصر ذلك الجانب الآخر من حياة قانونها المزاوجة بين المسرات والآلام، ويذيبه السكارى باللذة إلى ما هنالك من السكر بالألم:

وأوقدتِ لي نار الظلام! فلم أجد
سَناك بطرفي بل سِناناك في ضِبْني

وقد أوثقته الأيام على صليبه في محبسه، وسمّرت جوارحه بمسامير العجز، وحررت فكره ولسانه وبيانه. والبيان قوة خطرة في مثل هذه الحال، تخلق ما ليس موجوداً، وتبالغ في الموجود حتى تخرجه إلى الإحالة، وتخدع صاحبها قبل غيره، وتضخم تهاويل الحرمان والعجز، حتى تصير كابوساً يأخذ بالأنفاس...

ومن عجيب أمر الحياة مع المعري أن أطالت عمره مصلوباً وحيداً إلا من صحبة نفسه التي لقي منها البرح البارح، ولقيت من فكره الحيران العذاب المضاعف

وقارئ «اللزوميات» يخيل إليه أنه أمام آهات موصولة من ذلك «الفكر» المصلوب الذي أكلت من رأسه وتخطفته طيور الشك والألم والحيرة وإرهاف الحس وعدم الصبر على الفتنة بالناس، وعلى السير معهم على سطح الوجود بدون تعمق وطلب لما لا ينبغي أن يطلب. وكأن ذلك القارئ أمام مريض مزمن يتقلب على فراش شائك. ولم تكن حالات التسليم والهدوء والرجوع إلى معاني سطح الحياة تعتري المعري إلا كما تهدأ الحمى عن مريض برهة مخطوفة، ثم لا تلبث أن تعود في إلحاح ولجاج وإنهاك

وقد قلت في مقال سابق: إن السكر بالألم سكر خطر، أشدّ خطورة من السكر باللذة؛ لأن في الثاني إقبالاً على الحياة واعترافاً بها، وحب تذوق لفرصها العابرة، وخواطر مسرة ورضاً عنها وعن أفانين الإبداع فيها. أما السكر بالألم فيحمل على هذيان فيه رفضٌ للحياة جملة، وتعطيل لحركتها في النفس، وخواطرُ سخط على صانعها، وانتقاد لنظمه فيها، وانتقاض وثورة وإباق وفرار وحقد دفين وغيظ مُعلَن وفضول وتدخل من كائن صغير ضئيل في السياسة العليا للحياة

سكارى اللذة قد يسخرون بشريعة الاجتماع ويحطمونها من فرط وُفور القوة وتوفز الحس والشعور بما فيها من متاع

عبقرى تستجيب له نفوسهم ، ولا يقفون فى استجابتهم له عند الحدود التى دلت تجارب الأحياء الذين كان لهم مثل هذه الاستجابة المهمة على أنها حدود يلزم الوقوف عندها واحتجاز النفس دونها إبقاء على تلك الاستجابة ذاتها ، وإدامة لتجددها وطلباً للمزيد منها . ومن السهل رجوع سكارى اللذة إلى أحضان شريعة الاجتماع باستخدام منطق التجارب فى إقناعهم . فكل عيبهم أنهم أطفال جياع شرهون امتدت طفولتهم فاستمروا على حب الحلوى والزينة والمتاع بهما فى إسراف ، وسخطوا على « صمامات » الأمان و « فرامل » النجاة التى تتمثل فى شريعة الاجتماع التى لا يدركون فيها مصالحهم الذاتية قبل مصالح غيرهم أما سكارى الألم فيحملهم هذيانهم على تحطيم « شريعة الحياة » ذاتها ، ولا يعترفون بها ، ويقفون من صانعها وجهاً لوجه وقفة الند للند ثائرين صاخبين ساخطين !

* * *

والآن لننتقل بخيالنا لننظر ذلك الشيخ الأعمى المسمَّر على صليبه يحملق فى وجه الظلام السرمدى بعينيه المطموستين ، وأمام شفتيه كأس من الحنظل يرشف منها رشفات ، ويئن من توقد جمرات الإحساس بالحياة . فينشد معلناً معانى نفسة ويطرحها قضية جريئة ثائرة ...

فكونُك فى هذه الحياة مصيبةٌ

أرى جُرَع الحياة أمرَّ شىء فشاهِد صِدْق ذلك إذ تُقاء

شربت قهوة همٍّ كأسها خَلَدى

وفى المفارق مما أطلعتْ زَبَدُ

أرى جزء شهدٍ بين أجزاء علقم

أكلتُها جمرةٌ حرارتُها صدت أخا الحرص عن تنعمها

أف لها ! جُلُّ ما يفيد بها من فاز فيها الطعامُ والباه

من لى بترك الطعام أجمع

إن الأكل ساق الورى إلى النبن

إلى الأنين استراح ِخدنُ ضَنَى

كما استراح السقاةُ بالرجز

ثم تذهب خواطره إلى نوع من ثورة العاجزين الذين يملكون الأفكار الثائرة ولا يملكون الأعمال المحررة التى تحررهم من إسار الحياة العنيف المكروه فينشد :

هذه الحبالة قد ضمت جماعتنا فهل ينوص فتى منها وينفلت

خلصينى من ضنك ما أنا فيه واطرحينى لمنكر ونكير

إلام أجر قيود الحياة ولا بد من فك هذا الإسار

آه لضعفى ! كيف لى هابطاً فى الواد أو مرتقياً فى العقاب

وما فتئت وأيامى تجدد لى حتى مللت ولم يظهر بها ملل

ربِّ متى أرحل عن هذه الدنيا فقد أطلت فيها المقام

وقد تحمله سكرته على حالة يكون فيها مستغرق الفكر فى ذهول الحالم

فيالك من يقظة كأنى بها حالم

والمرء فى حال التيقظ هاجع يرنو إلى الدنيا بمقلة حالم

وقد تحمله يقظته المرهفة على حالة يكاد فيها يعد أنفاسه سأما وحساسية ببطء مرور الزمن كبطء مرور مبهور الأنفاس أو مرور نمال صغارٍ على كثيب من رمال .

وأنفقت بالأيام عمرى مجزءا بها اليوم ثم الشهر يتبعه الشهر

يسيراً يسيراً مثل ما أخذ المدى

على الناس ماشٍ فى جوانحه بُهر

كذرٍّ علا ظهر الكثيب فلم يزل

به السير حتى صار من خلفه الظهر

وهو شديد الشعور بجزيئات الزمن يتلقاها برهة برهة وتشد عليه سلاسلها ، وهو واقف فى إسارها جامد لا يتحرك

بتُّ أسيراً فى يدىْ برهة تسير بى وقتىَ إذ لا أسير

وهو يرصد دورات حياته المحدودة المكرورة فلا يجد فيها مذاقاً جديداً للحياة :

أقضّى الدهر من فطر وصوم وآخذُ بُلغةَ يوماً بيوم

أعيش بإفطار وصوم ويقظة ونوم فلا صوماً حمدت ولا فطرا

تداولنى صبحٌ ومُمسى وحندسٌ ومر على اليومُ والغد والأمس

غدا رمضانى ليس عنى بمنقض وكل زمانى ليلتى آخر الشهر

وهى حالة يبلغ من إلحاحها على صاحبها أنه يتعجل دورة الفلك ويتطلع إلى الغد قبل مرور اليوم :

أصبحت فى يومى أسائل عن غدى

متخبراً عن حاله متندسا

٢ - ثقافة أبي العلاء

للأســتاذ دريني خشبة

لم يكن أحد فى عصر المتنبى أكثر إلماماً باللغة العربية من المتنبى ، ولم يكن أحد فى أيام المعرى أكثر إلماماً باللغة العربية وغريب اللغة العربية من المعرى ، بل لعل الله لم ييسر لأحد ممن أحاط باللغة العربية ووقف على غرائبها ما يسر من ذلك كله لأبى العلاء ...

وقبل أن نأخذ فى هذا الحديث عن ثقافة أبى العلاء أحب أن أرجو القارئ فى الرجوع إلى معجم ياقوت ليقرأ معى أسماء ذلك الثَّبَت الطويل من الكتب التى ألفها ، أو صنفها ، أبو العلاء ، وما أورده ياقوت من الأسباب التى دفعت أبا العلاء إلى تأليف تلك الكتب ... وأحب كذلك أن أرجو القارئ فى أن يصبر على قراءة أسماء تلك الكتب الكثيرة الغريبة التى نضيق نحن اليوم بها وبموضوعاتها التى لا يدل ظاهرها على طرافة أو عبقرية ، إن لم يخيل لنا أنها تدل على حذلقة وتقعر ... أو تفاصح وتشدُّق ... على حد ما عبر ياقوت (١) ... وأحب أن ألفت نظر القارئ إلى ملاحظة قد تكون سخيفة إلى آخر حدود السخف أولاً ، لكنها لن تكون سخيفة آخر الأمر ، لأنى سأتخذ منها دليلاً على أن أبا العلاء لم يكن يؤلف هذه الكتب الكثيرة المعقدة ، المضطربة ، فيما يبدو لنا ، التى لا قيمة لها فى رأى الكسالى الذين لا صبر لهم على حل الرموز وفك الطلسمات ... أقول إنى سأتخذ من هذه الملاحظة دليلاً على أن أبا العلاء لم يكن يؤلف هذه الكتب المعقدة ... لله ... أو بغير أجر إذا ضقت بهذا التعبير العامى الذى لا يعجبك ...

إذن لِيُلْقِ القارئ باله إلى عدد الكراسات التى يتألف منها كل من كتب أبى العلاء ... وسنضع تحت أيدى القراء ميزاناً سهلاً لحساب هذه الكراسات الكبيرة العدد التى كانت تتألف منها كتبه

١ - فياقوت يذكر أن كتاب الفصول والغايات كان يتألف من سبعة أجزاء أُمليت فى مائة كراسة (ج ٣ : ١٤٧) ويذكر الدكتور طه حسين - رجل أبى العلاء - أن الكتاب

(١) طبعة دار المأمون ج ٣ ص ١٧٦

متى يتقضى الوقت والله قادر   فنسكن فى هذا التراب ونهدأ

ويزيد من وطأة الشعور بهذه الحالة التعسة أن يرى صاحبها خلاص قرنائه ولِداته ومصارع الأقوام حوله ، وبقاءه هو فريداً مردوداً إلى أرذل العمر

يمر الحول بعد الحول عنى   وتلك مصارع الأقوام حولى

ثم يفر إلى تخيل يومه هو عندما يحين حَيْنُه فيرتاح

كأنى بالأُلى حفروا لجارى   وقد أخذوا المحافر واتحَوْا لى

ثم يصيبه الإعياء والكلال من كثرة إرساله خواطر الثورة والحيرة والنفرة من الحياة والتشكيك فيها والسخط عليها ومضغ ألفاظ الألم والشؤم والكذب على الحياة ، والإيغال فى تخيل تلك الصور الكئيبة التى يرددها دائماً على نفسه ويملأ بها حياته ، فيعود إلى الصمت والأخذ عن الزمن الناطق الواعظ الخبير المُبصر على كلماته الأزلية :

قام للأيام فى أذنى   واعظ من شأنه الخرسُ

أوجز الدهر بالمقال إلى أن   جعل الصمت غاية الإيجاز

منطقاً ليس بالنثير ولا الشعر ولا فى طرائق الرُّجاز

ولقد تبلغ به فى بعض الأحيان زلزلة الشك فى صدق ما يقول من تلك الخطرات التى يظهر أن كثيراً منها كان وحى اللفظ أو القافية أو الخضوع لحب الأغراب ، أن يشعر بصوت الزمن الصامت البليغ يرد عليه دعاويه ويفندها ويبكته

كادت سِنِىَّ إذا نطقت تقيم لى   شخصاً يعارض بالعظات مُبكِّتا

ويقول : من بعث اللسان بغير ما   أرضى فحق أن يُهان ويسكتا

دنياك لو حادثتك ناطقة   خاطبت منها بليغة لَسِنَهْ

تلك هى الصورة الأصيلة لأبى العلاء ، لا يخطر ذكره بالبال ، إلا وتتراءى لعارفيه أوضح ما تكون خطوطاً وقسمات . وهى صورة تتصل بمزاجه وشخصيته أكثر مما تتصل بفكره وفلسفته ، وهى هالة اسمه وطابع شخصه . وله صور أخرى تتصل بآرائه وثقافته ومذهبه الكلامى

عبد المنعم خلاف

في أربعة مجلدات ضخمة[1] ... فإذا أخذنا بقول ياقوت وقع الجزء من أجزاء الـكتاب في أربع عشرة كراسة وجزء من الـكراسة ، وإذا أخذنا بالقول الثانى وقع الجزء في خمس وعشرين كراسة ، نستطيع أن نقدرها تقديراً كميًا ، أو حجميًّا ، بهذا الجزء الـكبير الذى وصلنا من أجزاء الـكتاب ، والذى أنفق في ترتيبه وتصحيحه وطبعه ، أستاذنا الشيخ زناتى ، ما أنفق من كريم الجهد والعمر والمال ، ما أنفق ... وعوّضه الله خيراً ! ...

ويقول أبو العلاء : إن المراد بالغايات القوافى ، لأن القافية غاية البيت ، أى منتهاه ، وهو كتاب موضوع على حروف المعجم ، ما خلا الألف ، لأن فواصله مبنية على أن يكون ما قبل الحرف المعتمد فيها ألفاً ، ومن المحال أن يجمع بين ألفين ... إلى آخر ما شرح به القيود التى تقيد بها في تأليف كتابه ، والتي لم يُبين لنا فيها سبب تأليف الـكتاب الحقيقى ، وإن كان الدكتور طه قد حدثنا عن ذلك حديثاً قيماً في كتابه : مع أبي العلاء في سجنه ، فذكر أن الفصول والغايات هو لزوم بما لا يلزم نثراً ، مقيداً مثل اللزوميات ، أو أشد منه ، بقيود أشبه بعبث الأطفال الـكبار ! ونشهد الله على أنها لم تـكن عبث أطفال كبار ، ولـكنها كانت حلقة في سلسلة الحيل التى كان أبو العلاء يتقى بها شرور زمانه وغطرسات حكامه ... وندع ذلك الآن

٢ — وألف أبو العلاء كتاباً يوضح فيه غريب الفصول والغايات ، وما فيه من اللغز ، سماه : الشاذن أو السَّادر ، أو السَّادن ، وهو جزء واحد في عشرين كراسة

٣ — وكتاب إقليد الغايات ، أى مفتاح الألغاز ، في عشر كراسات

٤ — ثم كتاب الأيك والغصون ، وهو كتاب الهمزة والرّدف : يُبنى على إحدى عشرة حالة ، الهمزة في حال إفرادها وإضافتها ، ومثال ذلك السماء بالرفع والنصب والخفض والتنوين (بدون أل طبعاً) ، وسماؤه مرفوع مضاف ، ثم منصوب مضاف ثم مخفوض مضاف ، ثم سماؤها وسماءها وسمائها ، ثم همزة بعدها هاء ساكنة ، مثل عباءه ... فإذا ضربت ذلك في حروف المعجم الثمانية والعشرين خرج من ذلك ثلاثمائة وثمانية فصول ... الخ . ويقع الـكتاب في اثنين وتسعين جزءاً تستغرق ألفاً ومائتى كراسة ! وألف في تفسير غريبه كتاباً من جزء واحد

٥ — ثم كتاب تضمين الآى : بعضه على حروف المعجم وقبل كل منها في الـكلمة الأخيرة في كل فاصلة ألف . مثل نساء — كتاب — بنات — غياث — أجاج : وبعضه آخر فواصله على فاعلين أو فاعلون ... وبعضه غير هذا وذاك . ويقع في أربعمائة كراسة ... وهو من الكتب التى طلب إلى أبى العلاء تأليفها ... طلبه منه أحد الأمراء فألفه برسمه في العظات والحث على تقوى الله !

٦ — ثم كتاب سيف الخطبة ... لخطب السنة المنبرية والخسوف والكسوف والاستسقاء وعقد النكاح ... وهو على حروف المعجم كذلك ... والظريف أن أبا العلاء أهمل الجيم والحاء ، وما يجرى مجراها : لأن الـكلام المقول في الجماعات ينبغى أن يكون سجسجاً مهلاً ومقداره أربعون كراسة

٧ — وكتاب تاج الحرة في عظات النساء ، والتزم في فواصله خطاب النساء على حروف المعجم نحو : تشائى وهابى — وعلى تفعلين كتشكرين ، أو الـكاف ، نحو كلامك وصيامك . ويقع في أربعمائة كراسة

٨ — وكتاب سجع الحمائم ، على لسان حمائم أربع ، في العظات والحث على الزهد ، وقد طلب إليه أحد الأمراء تأليفه فأملاه في أربعة أجزاء في ثلاثين كراسة

٩ — وديوان لزوم ما لا يلزم ، وقيوده معروفة ، جمله في ثلاثة أجزاء ، في أربعمائة وعشرين كراسة ، وعدد أبياته أحد عشر ألفاً — وقد خاض بعض خصوم أبى العلاء في اللزوميات فرد عليه بكتاب زجر النابح ، ثم جعل له ذيلاً سماه بحر الزجر — ويقع زجر النابح في أربعين كراسة — وشرح اللزوم في جزء واحد — وكتاب آخر في شرح غريب اللزوميات سماه راحة اللزوم في مائة كراسة ، وأظنه في شرح فلسفته ومثله كتاب الراحلة

١٠ — وكتاب جامع الأوزان ، وفيه أشعار تنتظم ألغازاً

(١) مع أبى العلاء في سجنه ص ٢١١

استوعب فيه الأوزان الخمسة عشر التي ذكرها الخليل بجميع ضروبها (وهذه عبارة ياقوت) مع ذكر قوافي كل ضرب ... والمعري هنا مؤرخ للعروض جاهليّه وإسلاميّه وعباسيّه . والكتاب في ثلاثة أجزاء في ستين كراسة تضم نحو ستة آلاف بيت بعضها لأبي العلاء وبعضها لشعراء غيره

١١ — وكتاب السجع السلطاني في أربعة أجزاء ، ألفه لبعض الوزراء الذين أقبلت عليهم الدنيا من غير طريق الأدب (وفيه مخاطبات للجنود والوزراء وغيرهم من الولاة)

١٢ — وكتاب سجع الفقيه في ثلاثين كراسة ، وكتاب سجع المضطرين ألفه لبعض ذوي الأسفار (يستعين به على أمور دنياه)

١٣ — وشرح المعري غريب شعر أبي تمام (ذكرى حبيب) في أربعة أجزاء في ستين كراسة ، وقد طلبه منه أحد أصدقائه فعمله ؛ وراجع ديوان البحتري لأحد الرؤساء ليثبت ما جرى فيه من الغلط ، فسمى النسخة الجديدة التي صنفها (عبث الوليد) في عشرين كراسة ؛ وكلفه عظيم من الرؤساء يلقب بمصطنع الدولة ويدعى كليب بن علي بمراجعة أحد دواوين الحماسة (واسمه الحماسة الرياشية) فألف في ذلك كتابه الرياش المصطنعي فسر فيه ما لم يفسره أبو رياش . وهو أربعون كراسة

١٤ — وكتاب الصاهل والشاحج ، على لسان فرس وبغل ألفه لأبي شجاع فاتك ، الملقب بعزيز الدولة ، والي حلب من قبل المصريين

١٥ — وكتاب شرف السيف ، وقد أورد ياقوت عن هذا الكتاب خبراً هاماً جداً ، نقله عمن كان يستملي أبا العلاء من الطلاب ، وذلك حيث يقول إنه عمله لرجل من دمشق يدعى نَشْتكين الدزبري ، كان يوجّه إلى أبي العلاء السلام ويُحْفي المسئلة عنه ؛ فأراد جزاءه على ما فعل ... فلنذكر ذلك إلى حين

١٦ — وكتاب اللامع العزيزي في شرح شعر المتنبي ، صنّفه للأمير عزيز الدولة — وهو كتاب معجز أحمد كما ذكره الصفدي ، في مائة وعشرين كراسة

١٧ — ثم عشرات من الكتب في النحو والعروض والألغاز وغرائب اللغة ، ثم كتابه ديوان الرسائل ، الطوال ودون الطوال ، والقصار ، وتتجلى في ذلك الكتاب عبقرية أبي العلاء وخياله الخصب وأصالته الأدبية ، وحسبك أن تعلم أن رسالة الغفران الخالدة ورسالة الملائكة هما وشل مما في هذه الرسائل . ذلك ولم نشر إلى ديوانه سقط الزند لشهرته ، ولا إلى عشرات من كتبه الأخرى

فمن هذا الإحصاء الوجيز الذي وضعناه عن مؤلفات أبي العلاء عامدين ندرك أشياء شتى ، ونستنتج أشياء شتى ... ندرك تعدد ثقافات أبي العلاء واتساع آفاقها ، وندرك أنه كان يصنّف كثيراً منها — يزيد على الثلاثين كتاباً ضخماً ، بطلب خاص من الوزراء والأمراء وأعيان البلاد العربية ... وندرك أن أبا العلاء كان رجلا موسوعياً في آداب اللغة العربية ، ثقة في فقه هذه اللغة ، فوق كونه فيلسوفاً ملماً بمعتقدات الأديان المختلفة ، بل بمعتقدات فرق الأديان المختلفة ، كما ندرك أنه كان يغلو غلواً شديداً في تعقيد تلك الكتب ويختط لها خططاً عجيبة مضحكة من الإسراف الشكلي والالتواء الشديد

أما الذي نستنتجه من كتب أبي العلاء ومن تاريخ حياته . فهو أنه كان يُكوّن مع طلبته ، شيئاً أشبه بهذا القسم من الجامعة المصرية الذي نسميه كلية الآداب ... أو شيئاً أعظم من هذا القسم من الجامعة الأزهرية الذي نسميه كلية اللغة العربية

وليضحك من شاء من القراء على استنتاجنا ذاك الذي نذهب إليه جادين ، ونزيد عليه أن أبا العلاء لم يكن يعلم طلبته أولئك . طلبة كلية أبي العلاء ... بالمجان ... وأنه لم يكن يؤلف كتبه الكثيرة الضخمة هذه لمن يطلبها ولمن لم يطلبها بالمجان أيضاً .

لقد جمعت عدد الكراسات التي أملاها أبو العلاء ، من المصادر القليلة التي تحت يدي فوجدتها تربى على عشرة آلاف كراسة ، وقد أشرت إلى أن كتاب الفصول والغايات الذي بأيدينا كان يقع في عشرين كراسة أو أكثر أو أقل من ذلك بخمس كراسات — وفي هذا الحجم كانت تقع مئات من كتب أبي العلاء .. ولو قدرنا أن ثمن الكراسة الواحدة كان عشرة قروش مصرية ، وهو تقدير متواضع جداً لزمن أبي العلاء ، لعرفنا أن أبا العلاء قد اشترى ورقاً ، أو كاغداً ، أو رَقّاً ، أو ما شئت فسم مادة كراساته ، بمائة ألف قرش . هذا غير المداد والأقلام ... وإذا ذكرنا أن أبا العلاء كان رجلاً فقيراً ، بل رجلاً مُعدماً ، لا يزيد دخله عن ثلاثين ديناراً من ذلك الوقف المعروف ، كان يقتسمها وخادمه ، وإذا عرفنا كذلك أن أبا العلاء كان مع هذا الفقر رجلا كريماً لا يبخل على تلاميذه بحسن الوفادة ، وإكرام المثوى والمعونة المادية ، وأنهم

على هامش النقد :

٣ - فى عالم القصـــــة

الرواية الشعرية بين شوقى ، وعزيز أباظة

للأستاذ سيد قطب

عيب من عيوبى ، أننى أنفر من الزحمة ، وأكره الضجيج . وأطبق هذا فى عالم الأدب كتطبيقى له فى عالم الحياة . فيكفى أن تثور الضجة حول مؤلَّف أو مؤلِّف ، حتى يصرفنى هذا عنه إلى حين ، ثم أتناوله فى هدوء وانفراد لأرى رأيى فيه . وكذلك أصنع مع كل شخصية فى الحياة يتزاحم حولها المتزاحمون ، إلا أن يخلو الجو ، وتهدأ الضجة ، فأقرب من هذه الشخصية لأتملاها ، وكأنما لم أسمع من قبل عنها شيئاً !

ويسبق إلى نفسى سوء الظن ، بكل ضجة وازدحام . ويقع فى بعض الأحيان ، أن يتبين لى خطئى فى إساءة الظن بإحدى الضجات ؛ ولكن هذا لا يعصمنى فى المرة التالية ، من تغلب هذا الطبع ، أو هذا العيب ، الذى أعترف به ولا أخفيه !

كان هذا شأنى منذ أكثر من عشر سنوات مع « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم . فإنى لأذكر أن ضجة استقباله فى عالم الأدب ، قد أخرتنى نحو عام كامل لا أقرأ الكتاب ، ولا أعرف عن صاحبه شيئاً ، حتى قرأته ، فعلمت خطئى فى هذا التأخير

وكذلك كان شأنى مع « قيس ولبنى » لعزيز أباظة . لقد كنت أعرف فيمن أثنوا على الرواية وشاعرها من لا أشك فى صدق تقديرهم وصدق تعبيرهم ولكنى كنت أعرف بجوارهم جماعة أخرى ؛ يضجون ويتبارون فى الضجيج ؛ وأنا على يقين جازم من أنهم إنما يتوجهون بالضجة إلى عزيز بك أباظة المدير !

ولما كنت قد قضيت شطراً من حياتى فى احتقار هذا الصنف من الناس ؛ وفى كشف العوامل الخفية التى تحفز هذه الطفيليات الواغلة فى الأدب . فقد وجدتنى - دون وعى - أعزف عن شهود الرواية وهى تمثل على المسرح ، وأعزف عن قراءتها بعد أن طبعت فى كتاب . وكأنما اختلطت الرواية فى وعيى

ذكروا صنفاً من البطيخ عنده مرة ، فأرسل من اشترى لهم منه حِملاً كاملاً ، أكلوا منـه ونعموا ، ولم يَذق هو منه شيئاً ... لو ذكرنا ذلك كله لما ضحك أحد علينا حين نستنتج أن أبا العلاء لم يكن يعلم الطلبة لله ، ولم يكن يؤلف كتبه - حين تطلب منه - لله ! بل كان الرجل يأخذ على ذلك كله أجوراً تتراوح بين القلة والكثرة ، وإن يكن لم ينعم من أجورها بشىء إلا ما ينفقه على ضرورات حياته الضيقة ، ثم ينفق الباقى فى شراء الورق أو الكاغد أو المداد والأقلام ... وفى شراء المصادر التى لم يكن له غناء عنها ... إذ من السذاجة أن نذهب مع الذاهبين إلى أن ذهن أبى العلاء ، بالغاً ما بلغ من القوة ، كان يختزن كل تلك الغرائب اللغوية دون حاجة إلى مصدر يضبطها له أو يمسكها عليه . وقد أشار الدكتور طه فى غير كتاب من كتبه عن أبى العلاء إلى أن الرجل كان يقبل الهدايا من أصدقائه ومحبيه . ولست أدرى ماذا منع الدكتور من الجهر بما نذهب إليه الآن من أن أبا العلاء لم يكن يُعلم ولم يكن يؤلف ، لله ، ولا بالهدايا ، ولكن بأجر كريم معلوم . إذ ما سؤال هذا الدمشقى عن أبى العلاء ، وما إحفاؤه المسئلة عنه ، وما إرادة أبى العلاء أن يجزيه على ذلك ؟ أصحيح أن إحفاء المسئلة عن أبى العلاء هو كثرة السؤال عنه ؟ كلا ... فإن لم يكن فى الرواية خطأ فى النقل فالمقصود هو وفرة ما كان يغمر به الرجل أبا العلاء من الهدايا ، كما يظن الدكتور طه ، ومن المال الكريم المعلوم كما نظن نحن ...

ولكن ما شاعرية أبى العلاء وأثر ذلك كله فيها ؟

إذن فرأينا أن أبا العلاء كان شاعراً عالماً أول أمره بالشعر والعلم ، فلما انطوى على نفسه فى المعرة سنة ٤٠٠ هـ صار عالماً شاعراً . فأبو العلاء فى سقط الزند غير أبى العلاء فى اللزوميات . إنه فى سقط الزند شاعر عالم فيلسوف ، لكنه فى اللزوميات فيلسوف عالم شاعر ... ولن تكن له فى اللزوميات قطع تزرى بعض أبياتها بأكثر ما نعرف من شعر

والذين يقولون إن ثقافة أبى العلاء قد ذهبت بطلاوة شعره ، أناس لا يعرفون أبا العلاء حق المعرفة . إنهم حريون أن يسألوا : ماذا اضطر أبا العلاء إلى هذا المركب الخشن فى شعره وفى معظم ما ألف من الكتب ؟ ولقد أجاب رجل أبى العلاء عن ذلك ، فليرجع إليه من شاء .

دريني خشبة

الباطن بما أكرهه من تزاحم المتزاحمين !

وأخيراً أقرأ فى مجلة الثقافة للدكتور الفاضل أحمد بك زكى كلمة تحت عنوان : « بين المقروء والمسموع » يثنى فيه على « قيس ولبنى » ثم يوازن بينها وبين « مجنون ليلى » فيفضل الثانية على الأولى

والدكتور زكى بك من الرجال القلائل الذين أشعر لهم بالود والاحترام فى هذا الزمان ، والذين أثق بأخلاقهم وتلذ لى قراءتهم فى آن . ولـكنى أعرف « مجنون ليلى » وأعرف مستواها الفنى والتعبيرى !

قلت فى نفسى : إن كلمة هذا الرجل الفاضل فى الموازنة بين الروايتين فرصة سانحة لقراءتهما جميعاً

* * *

قال الدكتور زكى :

« وجلست إلى « قيس ولبنى » أقرؤه ساعتين حتى أتيت على آخره . أفتدرى إلام شاقنى ؟ شاقنى إلى صنوه « مجنون ليلى » لشوقى بك . ومددت يدى فجررته من مخبئه على رف الـكتب . وأخذت أقرأ لشوقى ، فما أحسست أنى انتقلت بعيداً . كان إحساسى إحساس من انتقل من منشستر إلى لندن ، أو من ليون إلى باريس ، أو من الأسكندرية إلى القاهرة . الناس هم الناس ، واللسان هو اللسان ، وأسلوب العيش هو أسلوب العيش ، والمدنية هى المدنية ، وإنما فى ظرف أكبر . فعزيز يترسم خطوات شوقى ، وله من جزالة لفظه ما يعينه على أن يحاكيه فيقاربه ويقاربه كثيراً . وهذه خير تحية (يتحى[1]) بها شاعر فى مصر أو فى الشرق كله

« كان هذا إحساسى . إلى أن بلغت إلى قول شوقى على لسان قيس . قيس ليلى . إذ بلغ وهو فى سبيله إلى ليلى ، جبل التوباد ، ملعب صباهما ومرتع شبابهما . قال قيس ليلى :

جبل التوباد حياك الحيا ... وسقى الله صبانا ورعى
فيك ناغينا الهوى من مهده ... ورضعناه فكنت المرضعا
وحدونا الشمس فى مغربها ... وبكرنا فسبقنا المطلعا
وعلى سفحك عشنا زمناً ... ورعينا غنم الأهـل معا
هـذه الربوة كانت ملعباً ... لشبابينا وكانت مرتعا
كم بنينا فى حصاها أربعاً ... وانثنينا فمحونا الأربعا
وخططنا فى نقا الرمل فلم ... يحفظ الريح ولا الرمل وعى

« الله ! الله !

لم تزل ليـــلى بعينى طفلة ... لم تزد عن أمس إلا إصبعا
ما لأحجارك صمّاً كلما ... هاج بى الشوق أبت أن تسمعا
كلما جئتك راجعت الصبا ... فأبت أيامه أن ترجعا
قد يهون العمر إلا ساعة ... وتهون الأرض إلا موضعا

« الله ! الله ! مرة أخرى ، لهذا البيت الأخير

« بلغت هذه القطعة ، فقلت : معيار المقارنة أن أجد مثلها لقيس لبنى . وبحثت فلم أجد

« أم أنا عميت ؟ ربما ...

« أم أنى نظرت فى الـكتابين نظرة القارئ العادى ، ومثل هذا الذى طلبت ، يحتاج لا إلى بصر قارئ مثلى عابر ، وإنما إلى بصيرة أديب مكين ؟ ربما أيضاً »

* * *

ومع احترامى لهذا التواضع العلمى النبيل فيما كتبه الدكتور العالم الأديب . فإننى أخشى أن تكون عاطفة « تقديس الموتى » ـ وهى عاطفة إنسانية عامة وعاطفة مصرية خاصة ـ قد غلبت فى نفسه على حاسة الفن ، التى ألمحها فى كل ما يكتبه !

وإلا فما يمكن أن يقرأ الإنسان هاتين الروايتين فى وقت واحد ؛ دون أن يحس بالفارق الهائل بين الحياة الحارة والصدق الطبيعى ، فى « قيس ولبنى » ، وبين الموت البارد ، والتلفيق المتهافت فى « مجنون ليلى » من ناحية رسم الشخصيات وإجراء الحوادث والعرض الفنى . ولا بين الطلاقة والقدرة على الأداء فى الرواية الأولى ، والاضطرار والتهافت فى مواضع كثيرة من الرواية الثانية

ويجب أن يلاحظ أننى أتحدث عن « الروايتين » لا عن « الشاعرين » فشوقى الشاعر قد يكون أكبر من عزيز أباظة الشاعر فى مجموعهما . ولـكن رواية « مجنون ليلى » أصغر بما لا يقاس من رواية « قيس ولبنى » . أصغر من جميع الوجوه التى تقاس منها الرواية الشعرية

والقطعة التى اقتبسها الدكتور زكى من « مجنون ليلى » قطعة عذبة النغمة جميلة التصوير ، وهناك قطعة أخرى أو قطعتان فى الرواية من هذا النوع . ولـكن الرواية وحدة كاملة تقاس

(١) صحتها (يحيا) ولعلها سهو السرعة واللبس من كلمة تحية

بمجموعها : رسم الشخصيات ، وإجراء الحوادث ، وعرض المشاهد ، والتعبير القوى عن هذا كله فى النهاية . وقياس الروايتين على هذا النحو ، لا يدع مجالاً للشك فى تقرير الحقيقة التى أسلفناها

إن معظم الخطأ الذى قد نقع فيه عند الموازنة بين عمل شاعر كشوقى بك ، نال فى زمانه شهرة عالية ؛ وبين عمل لأحد الأدباء المعاصرين . إنما ينشأ من اعتمادنا على ما تحوى ذاكرتنا من طنين سابق ؛ واطمئناننا إلى هـذه الأوهام المقررة ؛ والاستغناء بذلك عن مراجعة الأثر الفنى مراجعة جديدة

ولـكن الدكتور زكى بك يقول : إنه أعاد قراءة « مجنون ليلى » . وهذا هو موضع العجب . فالأمر من الوضوح الحاسم ، بحيث لا يقع فيه التباس

إن عمل شوقى بك فى « مجنون ليلى » كان عملاً مشكوراً من الوجهة التاريخية فى الأدب . وذلك لفتح هذا المجال ، ومحاولة نظم الرواية فى اللغة العربية - وإن يكن غيره قد حاول قبله ولم يبلغ ما بلغه - وعند هذا الحد يقف تقدير هذه الروايات التى أخرجها جميعاً ، و « مجنون ليلى » فى أولها

فأما حين تعرض هذه الروايات للتقدير الفنى ، فإنها تبدو عملاً بدائياً متهافتاً من جميع الوجوه

وأول ما يلحق الناقد فى « مجنون ليلى » هو البرود والركود . فالمجنون — وهو المثل الأعلى لحرارة العاطفة ، وللجد فيها ذلك الجد المتلف — يصبح فى يد شوقى طيفاً متهافتاً كأنه أحد شبان القاهرة المترفين الأطرياء اللطاف ! كل حرارة الحب عنده بكاء ودموع وإغماء . وذلك كل نصيبه من الجد فى هذه العاطفة المشبوبة . بينما يلمح فى « قيس ولبنى » حرارة العاشق ، وحركة الإنسان ، وفحولة هذه العاطفة فى نفسه المحبة المهتاجة

إنك لا تلمح مرة واحدة فى « مجنون ليلى » تلك الحرقة اللاعجة ، ولا تلك الثورة العاصفة . ولم تـكن كل ميزة المجنون هى الحب المتهالك الذائب من الرقة والحنين — كما فهم شـوقى وكما يفهم الـكثيرون من الظرفاء المترفين الوادعين — إنما كانت هى الثورة المشبوبة والحرقة الموقدة ، والاضطرام المنيف

لقد كان يحب ، ولم يكن « يتدلع » ! وكان هذا الحب يتممقه ويهيجه ويشقيه ، وكان هذا الحب يقيمه ويقعده ويثير أعمق مشاعره ، ويهزه فى الصميم ؛ ولم يكن الإغماء والنواح هو كل حظه من الحب المجنون !

استمع إليه فيما يروى له من شعر ، ثم استمع إليه فيما ينطق به شوقى ، تجد المسافة شاسعة بين شعور وشعور :

استمع إليه يقول :

فيـارب إذ صيّرت ليلى هى المنى
فزنى بعينيهـا كما زنتها ليـا
وإلا فبغضها إلىّ وأهلهـا
فإنى بليلى قد لقيت الدواهيا

أو قوله :

كأن فؤادى فى مخالب طائر
إذا ذكرت ليلى يشدبه قبضا
كأن فجاج الأرض حلقة خاتم
علىّ فما تزداد طولاً ولاعرضا

هذه النغمة الحادة ، التى تشعرك « بالهول » فى هذا الحب العنيف العميق ، لا تسمعها مرة واحدة فى « مجنون ليلى » . وذلك هو المقيـاس الأول فى صحة رسم شخصية المجنون ، وتصوير عاطفته كانسان يحب حقيقة ، لا مترف يتظرف بالتهالك فى الحب و « يذوب » حنيناً وإغماء كأن « الذوبان » هو وحده دلالة الحب الانسانى العميق !

فاذا شئت هذه النغمة الحادة الصادقة العميقة ، فانك واجدها فى « قيس ولبنى »

إن شوقى لم يعرف الحب ، وأغلب الظن أنه لم يعرف « الألم » والألم هو ذلك الزاد الإلهى ، الذى يفجر عواطف الفنان ؛ وبدونه يصبح الفن بل تصبح الحياة كلها متعة رخية توحى باللطف والرقة ، ولـكنها لا توحى بالعمق والصدق . وما الحب وما الحياة بدون الألم الصادق العميق؟

أما عرض المواقف والمشاهد ، فتبدو فيها السذاجة وقلة الحيلة ، فى إثارة النظارة بالمشاهد المتقنة . وذلك طبيعى ما دامت الحرارة الإنسانية الطبيعية مفقودة

وإلا ففيم هذا الإغماء الذى لا يفيق منه المجنون حتى يعود إليه خمس مرات ! لقد أغمى على « قيس لبنى » مرتين . ولـكن ذلك كان لمرض هدَّه ولأزمات نفسية حقيقية تهد الـكيان . أما المجنون ، فيبدو لنا متهالـكاً متهافتاً منذ أول فصل فى الرواية ، قبل أية أزمة من الأزمات ، قبل أن تمنع منه ليلى وقبل أن يهدر دمه وقبل أن تتزوج سـواء . فـكأنما هو

« مستعد سلفاً » لهذ « الذوبان » الرقيق لأن هذه هى سمة الحب الوحيدة ، كما يتوهمها الرجل الظريف !

ومشهد وادى عبقر وشياطينه وحواره مع شيطانه ، وكذلك مشهد الصبية الذين يتحاورون : فريق مع المجنون وفريق عليه كلاهما حيلة من الحيل الرخيصة ، التي تنشئها « قلة الحيلة » للفت النظر ، حينما تقل الحرارة الطبيعية الصادقة !

وأعجب شيء هو ذلك الخصام بين رجال قيس ورجال لبنى ، وكأنه لا يجرى فى الصحراء وما بها من رجولة وفتوة ، إنما يجرى فى « صالون » بين بعض المترفين الظرفاء ويا للأخفاق عند ما أراد شوقى أن يقلد شكسبير فى يوليوس قيصر ، فيصور ثورة الجماهير واندفاعها من جانب إلى جانب ، متأثرة ببلاغة خطيب !

وموقف « ورد » زوج ليلى ذلك الموقف الطرىّ المريب . ألـكى يقول لنا : إنه رجل كريم عطوف . لقد صور لنا « عزيز أباظة » ذلك الموقف نفسه أو ما يشبهه بقفه زوج لبنى فلم يمل به إلى هـذه الطراوة المخنثة ، وهو يصور نبله وكرمه . ذلك أنه صوره « إنساناً » حياً ، لا دمية من الدمى ، التى عرضها شوقى وسماها أشخاصاً !

وذلك فى الحقيقة هو الفارق الأصيل بين الروايتين والمؤلفين وهو يلخص الفوارق كلها ، ويختصرها : الصدق والطبيعة ، والتلفيق والصنعة فى كل موقف ، وفى كل شخصية ، وفى كل عاطفة أو شعور

ومن العجيب أن تكون شوقى فى رواياته الشعرية أقوى خصائصه التى بهرت أهل زمانه ، وهى قوة الأداء ووضوح التنغيم . ففى مجنون ليلى اضطرارات فى التعبير لا تجد لها مثالاً واحداً فى « قيس ولبنى »

ففى بيت واحد كهذا :

لِمْ إذن يا هند من قيس ومما قال تَبْرا

يضطر إلى تسكين الميم فى « لِمَ » وتسهيل الهمزة فى تبرأ . ويطرد هـذا التسهيل فى مواضع شتى مثل (كيف تجرا) أى تجرأ ، و (تهزا بنا) أى تهزأ . الخ

ونشاء تصبح « نشا » فقط اضطراراً للقافية فى قوله :

وليلى تفيض على من نشاء رضـاها وتحرمه من نشا

و « مُنازل » تصبح « مُنازِ » فقط لضرورة الوزن فى قوله :

« أنعم (منازِ) مساء نعمت سعد مساء »

وليلى تصبح (ليلَ) لنفس السبب فى بيت ينطق به ثلاثة :

أوغل الليـل فلنقم

بـل رويداً واسمي (ليلَ)

خلِّ عنى دعـنى

ومظلوم هـذا « الترخيم » الذى يسرف شوقى فى استعماله كلما نادى واحتاج للحذف خضوعاً للضرورات النظمية !

والرُّبَى تصبح (الرُّبِى) لحركة القافية :

عارضنا الحسين فى طريقـه ليثرب

هـذا سنى جبينه ملء الوهاد والرُّبى

وشيطان من وادى عبقر ممن يوحون بالشعر للشعراء يهبط ويهبط حتى يضع لا للناهية فى موضع لا النافية لضعفه فى النظم كقوله . « لا أدر . تلك ضجة » !

وكثير من مثل هذه الاضطرارات التى يعانيها المبتدئون فى النظم ، والتى تندر فى شعر شوقى فى غير الروايات ، مما يدل على أنه كان يعانى ، لا فى تلفيق المواقف فحسب ، ولـكن فى تذليل النظم أيضاً

وهذه عيوب تفهم حين ننظر نظرة تاريخية كما قلنا ، فنسجل أن شوقى كان يطوع اللغة لفن جديد عليها فكان عمله هو عمل المبتدىء ؛ وجهده هو جهد المبتدىء . وهذا كلام مفهوم . فأما حين نقيسه إلى عمل ناضج من الوجهة الفنية ومن الوجهة التعبيرية كالعمل الذى قام به عزيز أباظة فى « قيس ولبنى » فإننا نشعر بالفارق العظيم بين العملين من الوجهة الفنية الصحيحة .

سيد قطب

الأستاذ سيد قطب

بين تيمور ونجيب محفوظ

للأستاذ صلاح ذهني

نشر الأستاذ الناقد سيد قطب مقالين عن القصة فى مجلة الرسالة الغراء تحدث فى أولها عن أدب محمود تيمور ، وعرض فى الثانية لقصة الأستاذ نجيب محفوظ « كفاح طيبه » ، وبقدر ما أثار مقاله الأول دهشتى ؛ فإن مقاله الثانى قد خفف من هذه الدهشة وأحالها إلى أسف عميق للوقت المضاع الذى صرفته فى قراءة المقالين — وكلاهما عن القصة — متوقعاً مرجوّ الفائدة من مقالين لناقد أشهد أنى طالما قرأت له فى النقد أبحاثاً طيبة .

أما الدهشة فقد كان مبعثها حيرة ناقد يفهم فى القصة أمام فن الأستاذ تيمور وأمام الطائفة (ولا أقول المدرسة فقد أوقع هذا اللفظ الأستاذ سيد قطب فى سلسلة من الأخطاء) التى يمكن أن يوضع بين أفرادها .

أجل . لقد تملكت الحيرة الناقد سيد قطب ودار يطرق بفن محمود تيمور أبواب المذاهب الأدبية باحثاً له عن مأوى يركن إليه فما وجد . فآب إلينا بعد رحلته ينادى بحيرته ، ويقول إنه حائر بهذا الرجل « محمود تيمور » وبفنه .

دهشت كل الدهشة لأننى ، ولست ناقداً ، استطعت أن أضع تيموراً فى مكانه منذ أقاصيصه الأولى ، واستطاع العشرات من الكتاب أيضاً أن يضعوه فى هذا المكان ، فقلت وقالوا عنه أنه واحد من رواد المذهب الواقعى ، واختلفت واختلفوا فى أمر واحد ، هو قدر تيمور بين رواد هذا المذهب . وهنا تشعبت الآراء واختلفت ، وأحسب أن كاتباً من الكتاب غير تيمور لابد إذا وضع موضع الدراسة والتقدير أن يعانى نفس الاختلاف بين ناقد وناقد ، لأن مذاهب الأدب ومدارسه ، ليست كما يتصورها الأستاذ سيد قطب معسكر اعتقال تحكمه قوانين صارمة ، وإنما هى فى الواقع تسمى مدارس تجوزا ، حقيقة الأمر فيها أنها مجرد أبواب . أبواب مختلفة لمدرسة واحدة ، لكل طائفة باب تسلك منه إلى داخلها ، ولن تقوم القيامة حين يدخل كاتب من باب غير بابه ، ولن يُشنَق الناقد إن سلك كاتباً فى غير طائفته فلابد واجدٌ فى أدبه ما يصله بهذه الطائفة أو تلك أو غيرها .

لذلك دهشت ورثيت للأستاذ سيد قطب وهو يدور بتيمور فأتعب الرجل وأضنى نفسه .

ولو علم أنه وهو يطوف بتيمور أقحم ثلاثة غيره فى غير أبوابهم فما قامت القيامة ولا أمسك إنسان بتلابيبه لأراح نفسه

ألم يضع توفيق الحكيم صاحب مذهب فى القصة ، وليس لتوفيق فى القصة ناقة ولا جمل ، وما كان فيها صاحب مدرسة ؟

ألم يهمل توفيق الحكيم نفسه حين تكلم عن الرواية المصرية فى مقاله الثانى عن رواية نجيب محفوظ « كفاح طيبة » ؟ هنا حيث المجال طيب للمقارنة وسلك الكتاب فى طائفتهم واجب . فكلاهما ولى وجهه شطر مصر القديمة ، وكلاهما أخرج عملاً مصرياً يشيد بمجد مصر القديمة ؟

ألم يقحم أستاذنا المازنى فى سلك كتاب القصة ، ومع ما أكنه ويكنه الكثيرون للأستاذ المازنى من تقدير ؛ فما جرؤ واحد منا أن يقول عنه إنه صاحب مذهب فى القصة ؟

ثم ألم يمسك بيد القصصى البارع يوسف جوهر ليقوده إلى حرم جى دى موباسان حيث كل شىء غريب عليه ، ولو أنه أمسك بيده الأخرى تيمور لأنقذ نفسه وصاحبه من الخجل ، ولوجد بين يدى موباسان عذراً لزيارته الطارئة . إنه على الأقل كان يدخل بإنسان يعرف المكان ؟

ومع ذلك فما حدث كان يسيراً ، أربعة أخطاء يسيرة

وضع كاتب رواية Novelist بين كتاب القصة القصيرة Short story writers

ووضع كاتب مقالة ممتاز Essayist فى عداد القصصيين .

وأقحم يوسف جوهر فى مدرسة موباسان دون مؤهلات ، ولا حتى طلب التحاق ...

ورابعة الأخطاء — وليست الأثافى — الوقوف بتيمور أمام الباب الذى يجب أن يدخل منه ، باب الواقعية ، باب موباسان العظيم . الوقوف ساعات ثم الانصراف بالحيرة والتبلبل ،

ولا ذنب لتيمور إلا أنه وقع بين ناقد فاضل لا يجيد قراءة اللافتات « اليفط » !

وبعد !

أيجب أن أقول إن الناقد الفاضل سيد قطب ، كما أخطأ فى مقاييس النقد قد أخطأ فى حق التاريخ — علم التاريخ — فزلت قدمه فى مقاله الثانى بدفعة لعينة من تلك العقيدة التى تسيطر عليه من أن النقد لا يكون صحيحاً إلا إذا كشف عن نقائص ، أو ابتكر نقائص ...

ذلك ما حدث فى المقال الثانى الذى كتبه عن الرواية الرائعة « كفاح طيبه » للأستاذ نجيب محفوظ . فقد سرد ما فى القصة من مزايا وما لها من قدر كعمل قومى ، ولون من الكتابة يتطلبه الأدب المصرى ، وأثنى على الكاتب ، ثم ! ثم تذكر عقيدته فى النقد فكشف عن بعض الهنات التى انطوى عليها الكتاب ، فذكر من هذه الهنات أربعة أخطاء . أخطاء تاريخية !

الأولى أن المؤلف — نجيب محفوظ — قدَّر مدة حكم الرعاة « الهكسوس » فى مصر بمائتى عام ، والراجح (عند الأستاذ سيد قطب) أنها حوالى خمسمائة عام

والثانية أن كلمة « أحمس » أوَّلها المؤلف أنها مشتقة من الحماسة ، وهذا خطأ فى رأى سيد قطب ، لأن هذا الاشتقاق فى اللغة العربية ، وأحمس مجرد اسم مصرى قديم

والثالثة : أن نجيب محفوظ ذكر اسم « بلاد النوبة » ، والواقع أن النوبة هى التسمية الحديثة لهذه البلاد

والرابعة : أن المؤلف ساق خلال الحوار جملة على لسان سكنن رع الملك المصرى ، يستنكر فيها أن يكون للرعاة من المجلات الحربية أضعاف ما للمصريين منها . ولا يعجب هو بهذا الاستنكار ، لأن الهكسوس هم الذين أدخلوا المجلات الحربية إلى مصر

والحق أن المخطئ هو الأستاذ سيد قطب !

ذلك أن ما قاله نجيب محفوظ هو الحقيقة التاريخية الثابتة

فالهكسوس لم يمكثوا فى مصر أكثر من مائتى عام ، بل أقل من ذلك .

وليعد الأستاذ سيد قطب إلى المرجع العربى الذى يستطيع أن يحصل عليه ويقرأه بسهولة ، وهو « المجمل فى تاريخ مصر » الجزء الخاص بعصر القديمة من وضع الدكتور عبد المنعم أبو بكر

وبلاد النوبة هى نفسها بلاد النوبة القديمة ، كما أن كلمة « نوب » معناها القديم هو الذهب ، وكان المصريون يسمونها النوبة ، لأنها بلاد الذهب ، ويسمون الإله « حوريس » « حوريس نوب » ، أى حوريس الذهبى

أما بلاد بنت التى يقول عنها فهى الصومال الحالية !

وأحمس اسم بمعناه يدل على الجرأة والإقدام فى اللغة المصرية القديمة .

وأما قصة المجلات الحربية فالكلام الذى ورد فى الحوار على لسان الملك سكنن رع حقيقة تاريخية

فهو يقول : « لم تكن المجلات من آلات الحرب لدى الرعاة ، فكيف يكون لجيشهم أضعاف ما لجيشنا منها ؟ »

فالمجلات لم تكن من آلات الحرب لدى الرعاة ، كانت آلتهم الحربية هى الحصان ، وعندما مروا بفلسطين عرفوا المجلات واستخدموها ، ونفس اشتقاق كلمة عجلة أو مركبة من الكلمة القديمة « عَجُلْتى » أو « مَرْكبوتْ » معناها العجلة أو المركبة عند سكان سوريا وفلسطين وهى نفس الكلمة التى أطلقها المصريون إذ ذاك . ولا يعنى ذلك أن المصريين لم يعرفوا المجلات ، فقد عرفوها من قبل ورأوها قطعاً فى رحلاتهم وغزواتهم فى عهد الدولة الوسطى والدولة القديمة ، لكنهم لم يستعملوها ولم يأخذوا بها . فليس غريباً أن يستنكر الملك أن يكون لدى الهكسوس عدد كبير منها ، بينما ليس بيديه هو هذا القدر ، وهو صاحب مصر العليا ، ولديه من الأيدى الصانعة أضعاف ما لدى ملك الهكسوس

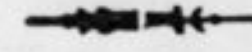
هذه هى الهنات التى كشفها الأستاذ سيد قطب . إنما هى حقائق تاريخية لا تقبل الجدل . وكل ما كشف عنه الناقد هو حاجته للكثير من الاطلاع والتريث والصبر ، الكثير الذى يجنبه حيرة هي أقرب شىء للجهل ، ويجنبه أخطاء إن تكررت فقد تدعو الكثيرين من أمثالى ممن أعجبوا به فى أبحاثه الماضية لإعادة النظر فى كل ما رواه إذ ذاك على أنه حقائق

فإن لم يكن لديه الصبر فليعد إلى نقد الشعر ، وإن يضيره شيئاً أن يقال إنه ناقد شعر فحسب

صبحى زهنى

حول مقـــال ...

للدكتور سيد نوفل



كتبت مقالاً في مجلة (الثقافة) عن الشوامخ سلكت فيه طريق الناقد المعنى بتبيان الحقائق ، وعرض المآخذ ، فى أسلوب علمى يورد الحجة ، وبنأى عن التجريح

أوردت ملاحظاتى على أبواب الكتاب ، وبينت ما يشيع فيه من الاضطراب والاستطراد ، وما يرد من أقوال عامة ، يقع فيها أكثر الذين يأخذون العلم عن الصحف وحدها ، تتناقض حيناً ، ولا تثبت للبحث دائماً

وانتهيت إلى « أن هذه الصفحات المائة تتحدث عن الأدب العربى من امرئ القيس إلى مطران ، وأن المؤلف كان حريصاً على إيراد كل علمه فيها ، فران عليها الاضطراب والاستطراد ، وأنها لا تعدو الإيراد المقتضب والنظرات العجلى »

ثم لم أغمط المؤلف حقه فقلت : « لكنها فى الحق من قبيل التعبير القريب الهين عن إعجاب قارئ بشاعر اطلع على بعض شعره ، وطائفة من أقوال الناس فيه . ومن هنا فهى حقيقة بالحمد من مؤلف يعتبر نفسه مؤرخاً سياسياً »

لكن الدكتور المؤرخ ، هاج وماج على طريقته ، ونقم على حظه العاثر ، وتبين نفسه فى موضعها القلق من هذا العالم الظالم العاتى ، وبلغ التشاؤم منه مبلغه ، فضاق بالدنيا وبكل ما فيها من معان ومن فيها من ناس ...

ومن حسن الحظ أن عقل الإنسان ، أو بعض بنى الإنسان ، يجد لصاحبه مخارج من المآزق دائماً ، فهدى الدكتور عقله الكبير إلى أن له أسوة ، ويا لها من أسوة ! فما أصاب شوقى ، وما أصاب البحترى وفكتور هوجو من قبله ... قد تعرضوا لهجات النقاد وقد صبروا ، وما أجدره أن يصبر ، وألا يحمل نفسه ولا أهله مكروهاً . ولهذا اطمأن واستراح

هذه خلاصة دقيقة لمقال الدكتور الذى صاغ مادته ، وأعتذر للقراء من إيراد بعض ألفاظه ، من (البقر) و (الحمير) و (النطح) و (الدجل) و (الجهالة) و (الشذوذ) و (الفوضى) ، وما إليها من مسارح ندع الدكتور الأديب المؤرخ يجول فيها ويصول ، ونمر باللغو كراما

وأربأ نفسى من مناقشته الحساب فى هذا ، فنحن لم نتعلم هذا اللون من القول، ولم نصطنعه فيما مارسناه من نقد سنين طويلة .

وأختم حديثى بنقد الكلمة التى اعتبرها المؤلف بيت القصيد فى كتابه ، وأوردها حكماً بينى وبينه :

لقد جمل أولها قوله : « وليس لأحد من المتقدمين والمتأخرين تحليقاته فى أفق الطبيعة الواسع »

سبحانك اللهم وبحمدك ! هذا دليل لنا يورده المؤلف ذاته ، ومصداق لما أخذناه عليه من الأحكام العامة القاطعة التى لا يستطيع أحد أن يحمل تبعة الدفاع عنها ، ولا يثبت أكثرها فى العلم بله الأدب

هل أتاه حديث الشعر الذى سبق امرأ القيس والشعر الذى عاصره فى الطبيعة ؟!

وهل علم المحاولات التى أعقبته ، وحديث النهضات المترامية فى الشام والشرق والأندلس ومصر بعده بقرون ؟!

وهل درس حركة « الرومنتسزم الغربية » وسيادة شعر الطبيعة فيها ، وقابل بين الخطوط الكبيرة لهذا الشعر الغربى ، والخطوط الكبيرة لشعر امرئ القيس ، ثم انتهى إلى ما قرر ؟!

إن هذا اللون من الأحكام العامة منكر فى باب البحث العلمى

ثم يقول : « وله فى لمعان البرق واختلاجه فى السماء آيات لا هي من الوصف الحسى ، ولا هى من الوصف الخيالى ، وإنما هي تصوير فقط »

ما معنى هذا ؟ لقد طلبت المعونة من الله والناس على حل ألغاز هذه العبارة ، فلم يجب دعائى ، ثم نظرت فتبينت الإحالة على أتمها : الحسى يقابله المعنوى لا الخيالى ، فهذا يقابله الحقيقى أو الواقعى . والوصف الحسى تصوير والوصف المعنوى تصوير ، وإذاً فلا تقوم هذه المقابلة العجيبة بين الوصفين وبين التصوير ، وما نعلم أن تصوير الشىء يخرج عن أن يكون وصفاً حسياً أو معنوياً له !

ودع عنك الألفاظ البراقة التي استعملها والتى لا تجمل فى

لعنـــة الحرب

للأستاذ على الجندى

[فى سبتمبر سنة ١٩٤٤ دخلت الحرب فى عامها السادس من أعوامها المشئومة ! وكان أكثر الناس على أن رحاها الطحون ستقف بعد سقوط باريس فى يد القوات المتحالفة ، فاستبشرت النفوس الحزينة ، واستعدت لتلقى نعمة السلام ! ولكن الدوائر الأمريكية حذرت من التفاؤل ! ثم جاء ديجول فصرح : بأنها ستستمر أشهراً وأشهراً ! ثم أبان تشرشل فى خطبته الجامعة بأن القتال سيستمر فى سنة ٤٥ ! وليت شعرى ماذا يبقى من معالم الحضارة وآثار المدنية بعد هذا العام ؟ ! فرحماك اللهم رحماك !]

طال ليلُ السُّرَى وحار الدليلُ ونجومُ الهدى طواها الأُفولُ
وقف المدلجون : لا دَنت الغا يةُ منهم ولا تَسنَّى القُفولُ
كلَّ عام نُؤمِّل الخير فيه ويَخيب الرَّجاء والتأميل
ظُلْمَةٌ فوق ظلمةٍ تتدجَّى ليس فيها على الصبَّاح دليل
وشقاءٌ ينساب إثر شقاء وعذابٌ بمثـله موصول
ليت شعرى والشر أطبق فكيه (م) علينا ، أَلِلنَّجاةِ سبيل ؟ !
كيف ينجو الأنام من شرك الْهُلْك
ولم تَبقَ للأنامِ عقول ؟ !
أشكل الأمر : لا الصباح صباح نجتليه ، ولا الأصيل أصيل
نبّئونى : أين السلام ؟ فظنِّى ـ وهو صدق ـ أن السلام قتيل
مشت النارُ تأكل الحرث والنَّسلَ (م)
وكلٌّ لها غَداً مأكول
إنْ خبا جانبٌ تسعَّرَ منها جانبٌ حوله الدماء تسيل
رحمتا للدّيار أمست خراباً وخراب الديار خطب يَهُول
بُدِّلتْ بالأنيس بُوماً يغنِّى فوقَها ، والغِناء منه عويل
لا تقولوا : الجهَّالُ خيرٌ من العا لِم ـ فى عصرنا ـ الغبيُّ الجهول
غرَّنا العلمُ ، فالتمسنا هُداه فإذا العلمُ كلُّه تضليل
لا تقولوا : الألوانُ فالسُّودُ باتوا
ـ فوقها ـ بعضهم لبعض خليل
لا رعى الله فى الوجوه بياضاً خلفه الهمُّ والشقاء الطويل
لا تقولوا : الوحوش أظلم منها من نراه على البرىء يصول
ساكنُ الغابِ أدركَ الأمنَ فى الغا
ب ، وقد غالتِ الأناسِىَّ غُول
غابة الوحش لم تَدُسها العوادى والقصور التى بنيتم ، طُلول
إن يكن للذئاب أنيابها العُصلُ (م) فأنيابكم قَناً ونُصول
كل من فى الوجود أرقم ليل قاتل ـ فى سُراه ـ أو مقتول
سنَّ «قابيل» سُنَّة الفتك للنا س فلا كان منهمو «قابيل»

باب الدرس والتحليل إلا إذا كان من ورائها معان مقررة ودلائل بينة

أما الأبيات التى أوردها ، والتى تعتبر أقل شعر امرىء القيس دلالة فى باب الطبيعة فهى ناطقة بأنها وصف حسى واقعى اللهم إلا إذا كان البصر بالعين غير حسى ، وكان تصوير الحركات والأمكنة غير واقعى وكان الشاعر حريصاً على الواقعية حين اكتفى بالتشبيه ولم يستعر

وهذه هى الأبيات :

قال :

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين فى حبى مكلل

وقال :

أعنى على برق أراه وميض يضىء حبياً فى شماريخ بيض
ويهدأ تارات سناه وتارة ينوء كتعتاب الكسير المهيض
وتخرج منه لامعات كأنها أكف تلقى الفوز عند المفيض

* * *

وبعد ، فإن النقد الذى وجهته إلى الكتاب لا يزال قائماً لم يتناوله المؤلف بالرد ، وإنما دعمه بالتجائه إلى الشتائم وبالقطعة التى أوردها

فهل له أن يأخذ بطريق العلم والعقل ؟!

إنا لمنتظرون !

دكتور
سيد نوفل

سأل الناسُ ـ ذاهلين حيارى ـ ما أفاد المعقول والمنقول ؟ !

لا « الكتاب الحكيم » يلقى سميعاً

ـ حين ندعو به ـ « ولا الإنجيل »

إن لله حكمة يسكنُ العقلُ (م) إليها إن خانه التأويلُ

فسدَ الناس واستطالوا على الله (م) فأخنى عليهمو « عزريل »

علي الجندي

نداء المـــوت (*)

[إلى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد]

للأستاذ محمد مجذوب

كم تنادي ياموت نفسيَ صيفاً أنا في الصيف لن أجيب النداء

كم تنادي ، والحسنُ يهتف بالكو

ن فيلهى عن صوتك الأحياء

إذْ يُسِرُّ العشبُ الحييُّ إلى الأ

ظلال ما شئنَ من حديث وشاء

إذ يحنُّ الصفصاف ، والجدول الرقرا

قُ مصغ والريح تغفــــو رُخاء

إذ يموج اللبلاب فوق تخوم الرو ض ريّان نضرةً وسناء

إذ يغيب الوجود في غمرة الطيب فيهفو حتى الجمادُ انتشاء

... كم تنادى ! ... أفي عهود الأزا

هير ، لك الويل ، تنشد الأصغاء !

عبثاً ترفع النداء فلن يبلغَ يا موت أذنيَ الصماء !

إن نفسي في شاغل عنك بالصيف ففي الصيف لن أجيب النداء

* * *

غير أني يا موت جِدُّ سميع دعوة القبر يوم أطوى الرجاء

يوم تعرى هذى الحياة من الحلى

ويكسو حطامها الغبراء

يوم تسرى الهوج الزعازع في السفح

فيملا ضجيجها الأرجاء

يوم يستروحُ الرعاةُ من الشرق لهاث الصقيع يغزو الجِواء[1]

يوم لا حاصد هناك سوى النكبا ء[2] تغدو بها الحقول عَراء

يوم لا حاطب سوى منجل الإعصا

رِ يجتاحُ هَوْلُه الأوْداء[3]

يوم لا بزر في التراب سوى الثلج تغطى به السماء الفضاء

يوم لا رغبة تجلجل في القلب ولا متعة تذود الشــقاء

... يومذاك ادْعُنى تجدني ياموت مجيباً ، كما تحبُّ ، الدعاء

(طرطوس — سوريا) محمد مجذوب

(١) الجواء والأجواء جمع جو

(٢) النكباء كل ريح انحرفت عن مهبها

(٣) الأوداء جمع واد

(*) استوحيت هذه المنظومة من قصيدة الشاعرة الانكليزية روث بتر المترجمة في كتاب « عرائس وشياطين » للأستاذ العقاد .



حرية الفكر أيضاً

إلى حضرة الفاضل الأستاذ عبد المنعم خلاف المحترم

أرجو من حضرة الأستاذ أن يتذكر — أو أن يعرف إذا كان لم يعرف — أن نسخ كتاب لبعض المؤلفين المعروفين أحرقت في مصر والشام، وأن بعض الكتب صودرت بعد طبعها ونشرها بعد زمن، وبعضها صودرت في المطبعة قبل أن تنشر، وأن الرقابة على المطبوعات غير مقتصرة على الكتابات السياسية فقط، وأن النقاش بين الكتاب في «الرسالة» حول «وحدة الوجود» مفعم بتهمة الكفر والإلحاد. أجل ليس الكفر جريمة ولا سبة، وقد يجاهر بعض الناس بأن دينه ما يحسبه الناس كفراً، ولكن الاتهام بالكفر عندنا إيغار لصدور الذين يحرقون الكتب والذين يلعنون الكتاب المكفَّرين، أي الذين يتوهم بعض القراء أنهم كافرون

أجل ليس أمام الكتاب الصريحين أو الصرحاء مشنقة ولا سجن، ولكن أمامهم نقمة فريق من الناس، فإذاً «الصراع في المجال الفكري متخذ سبيل القوة والإرغام حتى الاضطهاد» لذلك حذرت إخواننا الكتاب من التمادي في بحث «وحدة الوجود»

فمعذرة يا حضرة الأستاذ خلاف وتحية.

نقولا الحداد

عودة دجال «البديع» (1)

وقفت برهة أصغي إلى متطبب دجال يُروِّج على الناس عقاقيره الزائفة من سفوف وسعوط ولعوق وسنون وبرود ولدود وَوَجُور وذرور ... وهم يصيخون إلى أكاذيبه مصدقين

وكنت أعجب لغفلة القوم عن تزييف دجله، كما أعجب بلباقته وحسن تأتيه في التلبيس عليهم. وقد جعل من أول همه أن يكثّر عددهم من حوله: فأقبل يثني على من يتلبث أمامه يسيراً، ويقذع في سب من تحدثه نفسه بالزيال عن موضعه قبل أن يعي بقية مقاله

وتدفقت على خاطري وأنا أسمع كلمته هذه، صرخة «دجال» بديع الزمان في إحدى مقاماته حيث يقول: من كان منكم يحب الصحابة والجماعة، فليعرني سمعه ساعة! ورأيتني كراويته عيسى بن هشام «قد لزمت أرضي، صيانة لعرضي»

ثم راح دجالنا المصري يتحدث بكلام مؤثر بليغ، لا يعيبه إلا قلة حظه من فصاحة العربية. كلام لم أجد له ترجمة موجزة فصيحة أحسن من قول «دجال» البديع: حقيق عليَّ ألا أقول غير الحق، ولا أشهد إلا بالصدق

قد جئتكم ببشارة من نبيكم، لكني لا أؤديها حتى يطهر الله هذا المسجد من كل نذل يجحد نبوته! وثبت القوم في أماكنهم وثبتُّ معهم وأنا أغالب ابتسامة التعجب، مردداً قول ابن هشام في مثل هذا المقام: لقد ربطني بالقيود، وشدَّني بالحبال السود!

ووصف دجالنا ما كان من جهاده في عالم الطب؛ وكيف فتح بإيمانه موصد أبوابه، ووقع على أثمن كنوزه وأنفس أعلاقه، حتى لأرهفتُ أذني، لأن أسمعه يواصل حديثه فيقول ما قال سلفه: ولا مَنَّ عليكم فما أعددتها إلا لقرمي، ولا حصلتها إلا لنفسي — والحق أنه عبر عن هذا المعنى بأفصح لهجة عامية إن صح أن توصف عامية بالفصاحة

وبعد أن أوضح خصائص دوائه — ورقم تسجيله بوزارة الصحة! — عرضه على الحاضرين وهو يقول ما ترجمته: فمن استوهبه مني وهبته، ومن رد على ثمن القرطاس أخذته. ثم قال ما هو أقرب شيء إلى قول الأول: ليشتر مني من لا يتقزز موقف العبيد، ولا يأنف من كلمة التوحيد

وأشهد لقد رأيت القوم يجهرون بكلمة التوحيد — غير آنفين — ثم تنبسط أيديهم نحوه بالدراهم الكُثْر، ثمناً للدواء الذي لا يشفي، وقد يسقم

شهدت كل ذلك ثم انطلقت وحدي في زحمة هذه السوق الناشطة، وأنا أتعجب للنفس الإنسانية كيف تتواتر صورها على مرآة الزمان متشابهة في مكرها وغفلتها، واحتيالها وبلاهتها. وما زلت إلى اليوم أعجب لهذا الدجال — وأمثاله كثيرون — من

(1) هذا كما يقول السينمائيون: عودة طرزان وعودة فرانكشتاين

« فصاحته فى وقاحته ، وملاحته فى استماحته . وربطه الناس بحيلته ، وأخذه المال بوسيلته »

ولو أن القارىء الكريم استحضر فى ذهنه بعد مطالعة هذه الكلمة ، صورة أحد أولئك الدجالين ، أو سعى إلى مشاهدته حيث يقوم على رأس شارع أو فى صدر سوق — ثم أقبل يراجع مقامتى بديع الزمان : الرابعة السجستانية والعاشرة الأصفهانية . إذن لرأى فى وقائعهما التى تخيلها البديع على أساس من الحقيقة ، أعظم الشبه بوقائع دجاجلتنا ومُكَدّينا اليوم فما أشبه الليلة بالبارحة حقاً . لولا هذه الزيادات المتلاحقة من المآثم والشرور ، تربد صفحة حياتنا قتاماً وتشويهاً ، وتضاعف من عمق إحساسنا بمرارة المعنى الذى ينطوى عليه قول أبى الطيب :

أتى الزمانَ بنُوه فى شبيبته فسرَّهم ، وأتيناه على الهرم

(جرجا) محمود عزت عرفة

مقام الشهود لا وحدة الشهود

صوب الأستاذ أحمد صفوان فى العدد ٨ من (الرسالة) إطلاق وحدة الشهود على وحدة الوجود ، وهذا لا يجوز ، فمذهب وحدة الوجود يتلخص فى أن الموجود الحقيقى هو الله تعالى ، وما عداه من المخلوقات فهو عدم حال كونه موجوداً ؛ فالكل محتاج إليه ، لأن به قيام كل شىء . وعلى هذا لا يصح إطلاق هذه التسمية عليه

وأما مقام الشهود فهو من مقامات الصوفية ، يصل الإنسان إليه بكثرة الذكر حتى يقع الشهود القلبى ، فإذا حصل الشهود واستغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور ، وهذه حالة قلبية روحانية ليس لها علاقة بوحدة الوجود ، ولا يصل إليها إلا الكمل الأطهار

(شطانوف) محمد منصور خضر

بين أبى العلاء وداعى الدعاة الفاطمى

فهمت مما كتبه الدكتور محمد كامل حسين فى العدد ٥٨٣ من (الرسالة) أن الرسائل التى تبودلت بين أبى العلاء ومناظره داعى الدعاة لم ينشرها غير المستشرق الإنجليزى مارجوليوث مرة سنة ١٨٩٦ ومرة سنة ١٩٠٢ بمجلة الجمعية الأسيوية الملكية ، ولكن هذه الرسائل نشرت فى مصر كذلك (١٣٤٩هـ — ١٩٣٠م) على يد الأستاذ محب الدين الخطيب الذى أشار فى مقدمته التى قدم بها للرسائل أن المغفور له أحمد تيمور باشا أطلعه على نسخة خطية منها فى خزانته تحت رقم ٤٧٨ أدب ، وأنه قد بادر إلى نشرها فى مجلته الزهراء ، ثم ما لبث أن أفرد لها رسالة خاصة تقع فى حوالى ٤٠ صفحة تحت عنوان « بين أبى العلاء المعرى وداعى الدعاة الفاطمى » [القاهرة . المطبعة السلفية ١٣٤٩ هـ]

ويؤخذ كذلك من هذه المقدمة أن ما أورده ياقوت فى معجم البلدان (وهى التى نشرها مارجليوث) إنما هو مختصر لتلك الرسائل . أما نصها الكامل فموجود فى خزانة ليدن

وذهب الأستاذ الخطيب كما ذهب الدكتور محمد كامل حسين إلى أن هذه الرسائل تبودلت فى السنة التى توفى فيها المعرى أى ٤٤٩هـ

هذا وللأستاذ الفاضل إعجابنا وتقديرنا لبحثه القيم الطريف

مصطفى كمال عبد العليم
ليسانس فى الآداب . جامعة فاروق
الأسكندرية

12 me Année No. 590

Lundi - 23 - 10 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٩٠ «القاهرة في يوم الإثنين ٦ ذو القعدة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة
٩٤١ التفكير المذهبي ... ... : الدكتور محمد مندور ... ...
٩٤٤ فوضى الأدب في مصر ... : الدكتور محمد صبري ... ...
٩٤٥ ثقافة أبي تمام وأثرها في تعقيد شعره ... ... : الأستاذ دريني خشبة . . .
٩٤٨ في العيد . . . . : الأستاذ علي متولي صلاح ..
٩٥٠ قضية المرأة ... ... : الأستاذ زكريا إبراهيم .
٩٥٢ القضايا الكبرى في الاسلام قضايا ابن تيمية ... ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
٩٥٤ امتحان الأستاذية الأزهرية بعد أربعة أعوام . ... : الأستاذ زكي الدين إبراهيم بدوي ... ...
٩٥٧ طاقة زهر ... [قصيدة] : الأستاذ علي محمود طه ...
٩٥٧ (١) العام الجديد [قصيدة] (٢) صديق الطيور « : الأستاذ علي متولي صلاح . .
٩٥٨ إليك أعتذر يا صديقي . . : الدكتور زكي مبارك ... ...
٩٥٨ إلى الأستاذ نقولا الحداد . . : الأستاذ دريني خشبة ...
٩٥٩ بين تيمور وذهني ... ... : الأستاذ سيد قطب ... ...
٩٦٠ دعبل شاعر الهجاء .. . : الأستاذ مصطفى بيبو ...
٩٦٠ الخوارزمي أيضاً ... ... : الأديب أحمد الشرباصي ...

التفـكير المذهبي

للدكتور محمد مندور

هناك نوعان من التفكير المذهبي : تفكير تفسيري ، وآخر إنشائي . فالمؤرخ الذي يحاول تفسير التاريخ وتطوره وفقاً لفكرة موحدة جامعة ، يفكر تفكيراً مذهبياً ، فيقول مثلاً : إن تغير وسائل الإنتاج وحلول الآلة محل الأيدي قد غير من توزيع الطبقات الاجتماعية ونقل عقلية الشعوب ، وهذا هو التفكير التفسيري . والسياسي الذي يقول بوجوب فصل السلطات الثلاث تنفيذية وتشريعية وقضائية وتحديد علاقاتها بحيث لا تبغي سلطة على أخرى ، ويرى في ذلك ضماناً لصلاح الحكم ، يفكر تفكيراً إنشائياً ويدعو إلى المذهب الذي يؤمن به

ولقد كنت دائماً شديد الحذر من التفكير المذهبي في مجال التفسير لما لاحظته من أن المذهب عندئذ لا يمكن أن يفلت من الضيق والتحكم . فالمؤرخ في مثلنا السابق لابد متعسف في عرضه ، والناظر الحر التفكير لا يمكن أن ينكر أن تغير وسائل الإنتاج لم يكن بحال العامل الوحيد في تطور الإنسانية ؛ فثمة النشاط العقلي وتوليد الأفكار وإرادة البشر ونزوعهم إلى المثل وظهور كبار القادة ، وما إلى ذلك مما يعمل في التاريخ قدر ما تعمل وسائل الإنتاج إن لم يفقها .

وأنا على العكس من ذلك شديد الحماسة للتفكير المذهبي في مجال الإنشاء والدعوة ، ولقد زادني إيمانا بهذا النوع من التفكير ما ألاحظ اليوم من تشتت الأخلاق السياسية والاجتماعية بمصر ، وأخشى أن يكون بالشرق كله تشتتا يملأ النفس حزنا ، حتى ليصبح بالقلب أمل أننا قد نستطيع علاج هذا المرض النفسي الدمس إذا حاولنا جمع النفوس حول الأفكار المذهبية

وأنا بعد لا أجهل ما في المذاهب الإنشائية بالنسبة لبلادنا من مشقات وأخطار ، فنحن بعد لا زلنا بظاهر الحضارة نقرع أبوابها ، وجانب كبير من حياتنا لا يزال محاكاة لحياة الغرب . وما يستطيع عاقل أن يقول إننا قد وصلنا من النضوج إلى حد الأصالة . وموضع الخطر هو أن نحسب مذاهب الغرب كما هي صالحة لبلادنا مضمونة النجاح فيها . ثم إن كل تفكير إنشائي لابد مصطدم بالكثير من حقائق الواقع عندما تستجيب له النفوس فتأخذ في تطبيقه . وهنا تظهر الصعوبات ، إذ ترى النفوس متعصبة لما تؤمن به ، وشهوة الفكر لا تقل عنفا عن شهوة الحس ، ويأتي الواقع فيستعصي ، وإذا بالتنافر في العمل وتبلبل الحياة العامة .

هذه لا ريب صعوبات حقيقية ، ولكنني مع ذلك لا أتردد في الدعوة إلى التفكير المذهبي في حياتنا العامة ، ومن البين أن البلاد قد أخذت تتهيأ له في كافة نواحي نشاطها سياسية واجتماعية وثقافية . وكل ما تحتاج إليه لتخطو الخطوة الأخيرة هو التوجيه القوي من رجال ، وبالأصح شباب ناضج على خلق وكفاية . وأكبر ظني أننا عما قريب سنمل سخائم الأشخاص وتخبط الشهوات وتحلل الأخلاق ؛ فترتفع قلوبنا إلى مستوى التفكير المذهبي الذي ندعو إليه

وليس من شك في أن خير المذاهب الإنشائية ما نستمده من رغبات النفوس ، فالسياسي الحكيم هو من يتحسس اتجاه مواطنيه ، والشعب بغريزة الحياة يلتمس دائما مخرجا من محنه ؛ فما علينا إلا أن نبصره بذلك المخرج جامعين آماله حول فكرة موحدة نستمد منها مبادئ العمل . ولابد لنا من أن نروضه على ما ندعو إليه حتى يستقر بوعيه أن الخير لابد آت مما ارتضاه من نظام ، ولنضرب لذلك مثلاً بنظام الحكم في بلادنا : ملك دستوري نرى فيه رمز الوطن وعزته ونضعه جميعا موضع التقديس ، حريصين على أن تظل ذاته بعيدة كل البعد عما نقتتل حوله من مبادئ الحكم ووسائله ؛ وحياة نيابية وضعنا أسسها وفقا لخير الدساتير . وتلك فكرة لا شك أن الأمة مجمعة عليها اليوم . ولكنك لو أنعمت النظر لوجدت أن هذا الإجماع لم يتغلغل بعد في إيمان الشعب ولا استقرت فوائده بنفوسهم ولا أدل على ذلك من انعدام ثقة الأمة بالانتخابات ونتائجها . ولعل في موقف أغلبية الناخبين – وبخاصة المثقفين منهم – من تلك الانتخابات أكبر دليل على صحة ما نقول . فما لقيت أحداً من مستنيري العقلاء إلا أخبرني أنه لم يشترك في الانتخابات طول حياته مرة واحدة ، بل ولا يعلم أهو مقيد بجداولها أم لا ، وتلك حالة تستحق النظر لأننا نخشى أن تدل على أن النظم قد سبقت إيمان الشعب وعقليته . ومن هنا أما يكون من الواجب أن نأخذ الأفراد بالقسر فنرغمهم على استعمال هذا الحق بل النهوض بهذا الواجب ، فنجعل التصويت إجبارياً كما جعلته إسپانيا عند ما كانت حديثة العهد بالنظم النيابية ، وإلا فما فائدة نظام لا يتمتع بثقة ولا يتعلق بإيمان ، ثم ما عمل القادة إن لم يروضوا الأفراد على ما فيه خيرهم ؟

وأنت لا بد ملاحظ نفس الظاهرة في الحياة الاجتماعية ؛ ومشكلتنا الكبرى اليوم هي توازن الطبقات الاجتماعية ، ولا يستطيع أحدنا أن ينكر أن بالأمة قاطبة نزوعاً إلى عدالة أتم ومساواة أحكم مما نحن فيه الآن . ولكنك تنظر فترى التبلبل في وسائل ما يحقق هذا النزوع ، وقد أتلفت الشهوات حقائق الأشياء . فالخصومات السياسية وبالأصح الخصومات الشخصية قد أوشكت أن تعمي عن الأمة الحقائق . ونحن في الواقع أمام ثلاث مشاكل لكل منها حلها الواضح : مشكلة الاستقلال السياسي ، ومشكلة أثرياء الحرب ، ثم مشكلة الظلم الاجتماعي المزمنة المتأصلة ، وتلك الأخيرة هي التي يجب أن يجتمع حولها تفكيرنا المذهبي ، وأما الظاهرتان الأخريان فعارضتان ، ومن حق أمة تحترم نفسها أن تحسمهما بالعمل العادل لا بالتلطيخ الزري . فإذا كان هناك استغلال سياسي قد حدث فأمامنا قضاة ومستشارون لا زالت الأمة تأمل فيهم الخير ومن حقها عليهم أن يقولوا في هذا الاستغلال رأيهم فإما براءة وإما إدانة ، وفي

كانا الحالتين ستهرأ كرامة هذه الأمة البائسة . ومن الواجب أن نذكر الجميع بأن الاستقلال السياسي لا يمكن أن يكون السبب الوحيد في إثراء البعض وافتقار الآخرين فنحن الآن في حرب عالمية طاحنة قد غيرت من كافة وسائل الإنتاج والتجارة ، وفي جميع أنحاء العالم وفي جميع أطوار التاريخ قد صحبت الحروب دائماً أكبر الاضطرابات الاجتماعية ، وآلاف من الصناع والتجار بل والعمال قد أثروا دون أن تكون لهم بهذا المعظم أو ذاك صلة قرابة أو نسب ، ونحن بعيدون عن أن ندعو إلى الرفق بهؤلاء المثرين الذين امتصوا دماء الشعب ، ولكننا ندعو إلى إجراءات عامة تتناول الجميع كما يفعلون بالبلاد المتحضرة بدلاً من أن نقف عند شخص أو أشخاص بذاتهم متخذين منهم هدفاً لصغائر أحقادنا . إن من حق هذه الأمة أن يحاسب جميع أثرياء الحرب عن ثرواتهم وأن يرد ما اكتسب منها بغير وجه مشروع إلى خزانة الدولة . ولا يرهبنا في شيء أن ننادي بفرض ضريبة مستغرقة على رؤوس الأموال التي جمعت أثناء هذه الحرب ، وأما ما سمعناه من فرض ضريبة على الأرباح الاستثنائية فتلك في الحق مهزلة . الواجب هو أن ترد رءوس الأموال ذاتها لا أرباحها الخارقة ، ترد من الجميع ، لا من هذا الوجيه أو ذاك فحسب ، وذلك أكرم على هذه الأمة وأعدل في النظر الإنساني السليم مما نغرق فيه اليوم من مهاترات .

وهاتان المشكلتان بعد عارضتان كما قلنا ، وما ينبغي أن تصرفانا عن المشكلة الكبرى ، مشكلة العدالة الاجتماعية بين الطبقات . فهذه هي الفكرة المذهبية التي لا بد للأمة من التعلق بها ، وسبيل علاجها أيضاً هو التشريع وإصلاح نظامنا المالي والأخذ فيه بنظام التصاعد ، ومما يحزننا ألا تقتصر محنتنا الحاضرة علي إتلاف سياستنا القومية ، فتصرفنا عن الجهاد في سبيل استقلال الوطن وتحريره تحريراً صحيحاً إلى محاربة بعضنا بعضاً بكافة السبل ، حتى أصبحنا جميعاً كفيران في مصيدة حارسها لا يجهله أحد ، وكل من ثارت نخوته سنة ١٩١٩ يعرف اليوم في حزن أننا جميعاً على ضلال . نقول إن محنتنا الحاضرة لا تقتصر على هذا التلف القومي المحزن ، بل تمتد أيضاً إلى حياتنا الاجتماعية فتصرفنا عن التفكير في مشكلتنا العميقة ، مشكلة العدالة الاجتماعية إلى مشكلتي الاستقلال والإثراء العارضتين ، وبذلك ننحرف أيضاً بتفكيرنا المذهبي عن هدفه الحقيقي

والأمر في حياتنا الثقافية مثله كمثل حياتنا السياسية والاجتماعية سواء بسواء ، فمن الناس وهم كثير من لا يزال يزج بالنعرات القومية والدينية في مجال الثقافة ليتف علينا حياتنا عن جهل ، فتسمع مقابلات عجيبة بين روحية الشرق ومادية الغرب ، كأن الغرب لا روح فيه والشرق لا مادة به . والمشكلة الحقيقية ليست مشكلة ثقافة الشرق وثقافة الغرب ، وإنما هي مشكلة الثقافة أو الجهل ، وهذه أيضاً فكرة مذهبية يجب أن يستقر عندها ضمير الأمة حتى تستقيم لنا الحياة . هنالك ثقافة إنسانية موحدة نشأت في الشرق ، ثم انتقلت إلى الغرب الذي احتضنها دون أن يستنكف من صدورها عن غيره . ثم نأتي اليوم نحن الحمقى فنجادل جدلاً عقيماً في وجوب استردادها منه أو رفضها . ومن عجب أن ترانا جميعاً آخذين في هذا الاسترداد بالفعل ، ومع ذلك نجادل في هل نحن على حق أو باطل ، إن كنا على باطل فلنتخل إذن عن جميع مظاهر الحياة المادية التي تحوطنا من جميع النواحي ، فكلها غربية ، بل لنتخل عن مدارسنا وجامعاتنا ومناهج بحثنا ، ولنرجع إلى « الكتاب » والحفظ عن ظهر قلب ، ولنستمر في « المنقلة » ومناقشة الألفاظ كما عهدها الأزهر القديم وفي هذا المجال أيضاً تعمل أمراض النفوس وعقدها ومركباتها المختلفة أسوأ العمل ، فالجاهلون بلغات الغرب يرون أنفسهم محرومين من وسائل التحصيل وإذا بالعجز يرتدي في نفوسهم أزهى الأثواب ، فيناهضون ثقافة الغرب زاعمين أنها مخالفة لروحنا مدمرة لأصالتنا ، وهم مع ذلك لا يتعففون عن أن يأخذوا بما يصل إليهم من فتاتها

لقد حان الحين لأن يستقيم تفكيرنا على أساس مذهبي يرتفع بقلوبنا عن حزازات الأشخاص ومهاترات الشوارع . لقد حان الحين لأن يلقى النفر المثقف منا ثقافة حقيقية بنفسه إلى المعركة ، فبئس مواطن يستحوز على قلبه اليأس . بئس مواطن يفطي بأسه بتعال حقير . الوطن ملك لنا جميعاً كما كان ملكاً لآبائنا وكما سيكون ملكاً لأبنائنا ، ومصائره اليوم معلقة في الخارج وفي الداخل وأهول ما نخشاه أن ننصرف عن أهدافنا الحقيقية إلى صغائر الأمور

محمد مندور

فوضى الأدب فى مصر

للدكتور محمد صبرى

تكلمت فى مقال سابق عن التبعة التى تقع على عاتق مجلاتنا الأدبية الكبرى ، من جراء تيسير نشر مقالات « لكتاب » معروفين بالفهم السقيم والغباوة . وقد خشى قوم أن نرمى إلى الحد من حرية النقد ، والواقع أنه لا نقد فى مصر

قد نقرأ فى الصحف من آونة لأخرى مقالاً قيماً مفعماً بالرزانة والاعتدال ، وسطا بين الأفراط والتفريط ، ولكن الشاذ لا يمكن اتخاذه قاعدة فى الحكم على الأشياء . وقل أن تجد كاتباً فى نقده الكتب يدرسها ويحللها كما يفعل كتاب الغرب . وأكثر ما نرى الإفراط فى المدح تارة ، وفى الذم طوراً . ومن الغريب أن كتابة أولئك النقاد لا يمكن « مناقشتها » لأنها لا تستند إلى منطق من الذوق أو الفهم ، وإنما تستند إلى شهوة تدفع صاحبها إلى الكتابة إرضاء لغاية شخصية أو إرواء لغلة حسد أو حقد تأكل صدره

وخير لأولئك النفر أن يريحوا أنفسهم قليلاً فإنهم لن يبلغوا الجبال طولاً ، ولن يخرقوا السماء أو الأرض بقلمهم ، ولن يقف الفلك الدوّار من جراء ما يكتبون

وفى مصر « كتّاب » كثيرون يتوهمون أنهم فى مقدورهم أن يأخذوا الشهرة غلاباً ، وأن يسخروا التاريخ لتسجيل ما تكتبه عنهم الصحف ، أو ما يكتبونه هم عن أنفسهم فى الصحف ، وما ينتحلونه من صفات ، كأن يدّعوا أنهم من « كبار » الكتاب . وإنى لأذكر بهذه المناسبة أن ممثلاً أعلن عن نفسه مرة أنه « الممثل العالمى » وأعلن عن شوقى فى الوقت نفسه أنه « شاعر النيل » . ولما كان العالم يسع النيل والسين والطونة والرين ومئات الأنهار والبلاد أخذت شخصية شاعرنا تتضاءل شيئاً فشيئاً ، بينما وقف الممثل كالمارد الضخم بطأ بإحدى رجليه المشرق وبالأخرى المغرب ...

وقد وقع كثيرون من رجال السياسة فى عين الخطأ الذى وقع فيه بعض رجال الأدب ، فأصبحوا يعتقدون أن الدعاية هى كل شىء ، وأنها « تصنع » التاريخ كأنما كان التاريخ عبداً « نلقنه » ونأمره بكتابة ما نريد فيطيع ... ناسين أن التاريخ هو أمس واليوم وغداً ، وأن الفلك يدور ، وأنه فى دورته يغربل الحوادث والرجال ، ويضع الأمور فى نصابها ، وأن حياة الأمم مكونة من أجيال فإذا ظلم جيل أنصف جيل ، وأن الناس متباينون فى طبائعهم ومذاهبهم ، وأن هذا التباين نعمة لا نقمة لأنه يكفل نظام البقاء ويمنع الاستبداد بالحياة والشهرة واحتكارهما واغتصاب العظمة وما إليها

ولا شك أن الذوق الأدبى قد ارتفع مستواه فى مصر ، ولكن مصر يعوزها ذلك الجمهور المستنير الذى يزين بلاد الغرب ، وبعبارة أدق وأبين أن أكبر نقص يعتور حياتنا الاجتماعية هو عدم وجود نخبة وافية من رجال العلم والأدب والسياسة وهو ما يسمى élite ، هـذا فيما يتعلق بالقمة ، أما فيما يتعلق بالقاعدة فيلاحظ عدم وجود طبقة متوسطة . وكل حياة سياسية أو أدبية لا تستند إلى هذه النخبة وإلى تلك الطبقة ، فهى حياة مختلة التوازن

فعدم وجود النخبة الكثيرة العدد مثلاً يفسح للمجال أولاً للتحاسد والنزاع بين الأفراد بعضهم وبعض فى دائرتهم الضيقة المحدودة ، ويفسح للأدعياء طريق التسلل فى قطرهم وقلب المقاييس والأوضاع

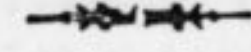
وكانا نذكر أن زعيماً كبيراً مرض ذات يوم ، وكان مرضه مرض موت ، فهرع إليه من الأطباء الحابل والنابل والصغير والكبير ... وكانت دقة الحالة تستدعى بالطبع أن لا يذهب إليه إلا الراسخ فى صناعته المقدم على أهلها ، وأن يتنحى الصغير للكبير عن مكانه دون النظر إلى رتبة يحملها أو لون سياسى يتباهى به . وسبب هذه الفوضى هو كما قلنا عدم وجود نخبة وافية من الأطباء تؤلف كتلة متزنة فى نظامها

وهذه الفوضى نشاهدها فى الأدب كما نشاهدها فى الطب ونشاهدها فى جميع أنواع الحياة العامة فى مصر . والعجيب أن الأدعياء يجدون صحفاً ومجلات تنشر لهم . والأدعياء فى مصر فريقان : فريق المتأدبين الأغبياء الذين يحاولون الوصول بكل الوسائل ظناً منهم أن مجرد الحصول على « شهادة » أو مجرد

ثقافة أبي تمام

وأثرها في تعقيد شعره

للأســتاذ دريني خشبة



منذ عهد قريب كنت أقرأ ذلك الكتيب الصغير الذى كتبه جلبرت مورى عن بطل الدرامة اليونانيـة الأشهر يوربيديز فلفتت نظرى عبارة عجيبة المؤلف نسب فيها انصراف اليونانيين عن شاعرهم العظيم الخالد وقلة احتفالهم بفنه المسرحى من وجهتيه الشكلية والموضوعية إلى جملة أسباب كان أهمهـا « وضوحه » ، ووصـوله بسرعة إلى أفهام النظارة ! . . . ثم تكلم مورى بهذه المناسـبة عن الأمة الإنجليزية ، فذكر أن الإنجليز مثل اليونانيين القدماء ، يكرهون أن يكون الشاعر واضحاً[1] ، ويؤثرون أن يكون فى الشعر بعض الغموض ، أو كثير من الغموض ، الذى يستثير العقل ويحفزه إن كان خامدا ، ولا بأس أن يُعنّيه ، بل أن يضنيه أحياناً ، أما الشعر العادى — يقصد الواضح السهل الذى لا يجشم القارئ نصباً — فهو أسخف ألوان الشعر فى نظر هذه الأمة العجيبة التى أمدت العالم بخير شعرائه المحدثين ... وافتخر المؤلف بأن الإنجليز قراء مهرة ، وأنهم سريعو الإدراك . أو : Quick in the up-take كما يعبر هو ، فالشاعر الذى يكفيهم مؤنة التفكير فى شعره بجمله واضحاً ، أو بإسرافه فى جمله واضحاً هو أسخف الشعراء فى نظارهم ، لأن شعره هذا السهل المشرق الصافى ينيم أذهانهم ولا يكدها . . . وهم يكرهون ألا تُكدّ أذهانهم بما يقرأون . . . ثم يتطرف مورى فيقرر أنه ما على الشاعر إلا أن يُغمض فى شعره بعض الغموض ، أو كل الغموض ، ليخدع هؤلاء الإنجليز عن أنفسهم — وربما عن نفسه ! — وليفوز بينهم بالمكانة العليا ، ومنزلة الشاعر العبقرى !

أما عندنا ، فنحن نضيق بالشاعر الغامض ونمقته ... ويظهر أن فى طبيعة أمزجة الشعوب العربية ما يحبب إليها اليسر والمرح ، ويزهدها فى العناء فى التفكير . . . وذلك لأن طبيعة البيئة فى أوطان تلك الشعوب سهلة غير معقدة ، شأنها فى اليونان وفى إنجلترا ، حيث اختلاف المناظر وكثرتها وتعقيدها أحياناً يورث اليونانيين والإنجليز مزاجا أعمق وتفكيراً أهدأ ، وأشد غوراً ، فلا يضيقون بالغموض فى شعر شعرائهم ، بل يغرمون به ، فى حين يضيقون بالشعر السهل الواضح الذى لا مجال فيه لإعمال الفكر ، ويعدونه شعراً سخيفاً قليل الخطر منخفض الدرجة .

ولست أعلل ثورة دعبل وابن الأعرابى والآمدى ومن

(1) ص ١٣ Euripides & His Age

تأليف كتاب أو ألف كتاب يكفى لا كتسابهم صفة الأدباء . وفريق الأدباء الذين وصلوا بطرق ملتوية إلى الشهرة واغتصبوها اغتصاباً ، فأولئك يزعجهم ويقض مضاجعهم أن يتنفس أو يتكلم كل أديب صادق النسب ، فهم لا يفتأون يتقلقلون ويتململون وراء ابتساماتهم الصفراء .

فالأديب فى مصر لا يجد عوناً من أهل صناعته ، ولا يجد عوناً من الجمهور ، لأن الطبقة المستنيرة لا تعد إلا بالمئات فى حين أنها فى البلاد الغربية تعد بمئات الآلاف ... بل ولا يجد عوناً من أصحاب المكاتب والناشرين ، فأكثر الأخيرين أميون أو شبه أميين لا يهمهم من نشر الكتب إلا الربح والتجارة . ولو ظهرت الكتب مشحونة بالأغلاط ممسوخة ... وقد عرض أحدهم على مؤلف قبل الحرب أن يطبع له كتاباً ويعطيه خمسه جينى !

وأكثر كتبنا تباع فى بلاد الشرق والأقل منها يباع فى مصر . وأكثر الكتب رواجاً هى بلا شك الكتب الدينية...

ونجد الجمعيات المستشرقة فى أوروبا أكبر عون فى حكوماتهم لطبع الكتب العربية النادرة ، ولذلك فإن أهم دواوين العرب وآثارهم . كان أول ظهورها فى أوروبا ، وأوربا هى التى أحيت آدابنا ونشرتها نشراً علمياً ، هذه حقيقة مؤلمة تجب مواجهتها

وفى مصر لا تتألف جمعية علمية أو مجمع أو معهد ثقافى أو لجنة استشارية إلا ويصبح فيها أصحاب الألقاب والمناصب أكثرية ، ورجال الفن أقلية ، والظل الأعوج يتبع العود الأعوج .

محمد صبرى

إليهم ممن قدحوا فى شعر أبى تمام وعابوه بالغموض ، والبعد عن عمود الشعر العربى إلا بطبيعة هـذا المزاج المشرق المرح ، الذى يستمد كيانه من طبيعة بيئة الشعوب العربية . . . ويتجلى ذلك المزاج فى تحمس الآمدى للبحترى ، فى كتابه «الموازنة بين أبى تمام والبحترى» ، وتفضيله شعر البحترى لسهولته ووضوحه وإشراقه ، والتواء شعر أبى تمام وتعقده وغموضه ، ونورته على طبيعة الفهم العربى الوادع المرح الذى يبغض الالتواء والتعقيد والغموض . وقد رزق الله أبا تمام كثيرين من النقاد العرب الذين هبوا ينافحون عنه ويدافعون عن طريقته ، وفى مقدمتهم ، أو على رأسهم ، أبو بكر محمد بن يحيى الصولى ، صاحب كتاب «أخبار أبى تمام» الذى برهن بدفاعه المجيد عن شاعرنا الخالد على أن فينا أمزجة تشبه هذه الأمزجة اليونانية والإنجليزية المولعة بالغموض فى الشعر ، التى تؤثر الالتواء والتعقيد فالحمد لله ، وشكراً لأبى بكر الصولى !

* * *

وأكثر المؤرخين على أن أبا تمام ولد فى جاسم إحـدى قرى دمشق ، وأقلهم — وفيهم صاحب الأغانى — على أنه ولد فى إحدى قرى مَنْبِج

وأكثر المؤرخين على أنه عربى من قبيلة طىء ، وأكثر هو من الفخر بذلك فى شعره . . ثم أقلهم على أنه ليس من طىء فى الذيل ولا الذؤابة ، بل إنه ابن رجل يونانى نصرانى أسلم ، وكان يدعى «تدوس» أو تيودوس فعدل به أبو تمـام إلى أوس ، فصار يدعى أبا تمام حبيب بن أوس الطائى ، فراراً عن هـذه اليونانية التى كانت تكون له شرفاً لو أنها صحيحة ، لا عاراً كما أراد أعداؤه أن ينالوا منه ، ويقدحوا فى نسـبه ، لأن ذلك يزكى مذهبه فى الشعر ويجعل له أصولا وراثية من دماء هؤلاء اليونانيين الذين غضوا من شعر يوريبيدز فى عصره لسهولته ووضوحه ويسره

وسافر أبو تمام إلى مصر بعد أن أيفع بالشام ، وكان أبوه خماراً ، وكان هو حائكا ، كما جاء فى تاريخه المضطرب . . . وأكبر الظن أنه لذلك لم ينتفع فى الشام بعلم ولا أدب ، وأن السـنوات الخمس التى عاشها فى مصر كانت فترة التعليم الجامعى الذى انتفع به أبو تمـام ، وشدا منه تلك الذخيرة من دروس الجامع الـكبير ، أو مسجد عمرو بالفسطاط مستعيناً عليها بسقاية الماء ... ثم شـد رحله إلى المشرق بعد أن تمكن من نظم الشعر فى مصر تمكناً جعله سـيد شعراء عصره عشرين عاماً كاملة بإجماع النقاد . فاذا عرفنا أن أبا تمام لم يتجاوز الأربعين ، أو تجاوزها قليلا ثم مات . . . عرفنا أنه ثقف الشعر فى مصر . وحصل جميع علومه فى مصر . وأن مصر قد صنعت الجزء الأكبر من أدب أبى تمام وعلمه وشعره . وأنه حينما سافر إلى العراق سافر إليه وقد نضج عقـله وقلبه بكل ما كانا يفيضان به من علم وشعر . فان يكن قد انتفع فى بغداد والبصرة والـكوفة بعلم أو أدب . فليس يعدو ذلك اطلاع الأديب الذى اشتد عوده والذى لا غنى لثقافته عن مواصلة القراءة ... والمقارنة بين مدارس الفـكر المختلفة . يتقلب من أجلها بين البلاد :

خليفة الخِـضْر من يربعْ على وطن
فى بلدة ، فظهور العِيس أوطانى

بالشأم أهلى . وبغداد الهوى . وأنا
بالرقتين . وبالفسطاط إخـوانى

وما أظن النوى ترضى بما صنعت
حتى تُشافِه بى أقصى خراسان

خلّفت بالأفق الغربى لى سـكنا
قد كان عيشى به حُلواً بحلوان[1]

فإخوان أبى تمام الذين تركهم وراءه فى مصر هم أخدان الصبا وأصدقاء الشباب وشركاؤه فى أيام الدرس والتحصيل ... وطالما تذكرهم أبو تمام بعد ذلك ، وسجل ذكره لهم فى شعره :

ذو الود منى وذوالقربى بمنزلةٍ
وإخوتى أُسوة عندى وإخوانى

فى دهرى الأول المذموم أعرفهم
فالآن أنكرهم فى دهرىَ الثانى ؟

عصـابة جاوزت آدابهـم أدبى
فهم وإن فُرّقوا فى الأرض جيرانى ؟

أرواحنا من مكان واحد وغدت
أبداننـا بشآم أو خراسان

ورُبَّ نائى المغانى روحه أبدا
لَصيقُ روحى ودانٍ ليس بالدانى[2]

(١) من مدحة لأبى تمام فى محمد بن حسان الضبى

(٢) من مدحة له فى سليمان بن وهب

ولله ما أسعد تلك العصابة من الأصدقاء الأوداء الذين تتجاور آدابهم ، وتتنافس ثقافاتهم ، وتسفر بينهم قصائد الشعر ورسائل الأدب ... وقد ثبت أن أبا تمام قد نظم كثيراً من غرر شعره وهو فى مصر ، وأنه عند ما ذهب إلى العراق وأخذ فى إنشاد أشعاره ، وقف الناس منها موقف المشدوه الذى يرى فيها شيئاً جديداً لم تتعوده أذنه ، ولم يعرفه فيما عرف من أشعار العرب فكان الذى يستطيع فهمها يستحسنها ، ويشهد لها بالجدة والجمال ، أما الذين كانت تستعصى عليهم ، وتضيق بها أخيلتهم ، فكانوا يشتدون فى إنكارها كما يشتدون فى خصومة ناظمها ، وإن كان بعض الطاعنين على أبى تمام لا يملك أحياناً إلا أن يصفق له ... وقد كان أبو بكر الصولى لبقاً فى سوق أمثلة ذلك .

ولهذا فنحن نرى أن أبا تمام قد ذهب إلى العراق حينما ذهب إليه ، بفن جديد أنشأه فى مصر ، وضع فيها أصوله ، وقعّد قواعده ، ووشاه بذوقه المتفرد المفتن الجبار ... وحسبنا أن نقرأ قصائده الأولى التى أنشدها فى العراق لنعلم كيف فجأ الناس بها وبما تضمنته من غرائب هـذا الفن الجديد العجيب ... وليس يصح فى الأذهان أن أبا تمام ابتدع ذلك كله بالعراق فجأة ، لأن قصائده الأولى هـذه تشبه قصائده الأخيرة فى كل مشخصاتها ومقوماتها ، وربما كان بعض المتقدم منها أجود من بعض المتأخر

ولعل القارىء يسأل : ما بالنا نبدىء فى ذلك ونعيد ، وماذا نبتغى من إثبات فضل مصر على أبى تمام ؟ والجواب على هـذا لا يخلو من أن نشغب على أستاذنا الدكتور طه حسين الذى أنكر هذا الفضل على مصر ، وجعل العراق وحده هو الوطن العقلى لأبى تمام ، وذلك فى محاضرته التى ألقاها عن أبى تمام وضمنها كتابه الفريد المفيد « من أحاديث الشعر والنثر » ونعود فنقول إن السنين العشرين التى تفرد فيها أبو تمام بجوائز الملوك والأمراء ، والتى كان فيها جميعاً فارس حلبة الشعر ، قد بدأت حينما بدأ أبو تمام حياته فى العراق ، وهو إذ ذاك فى حدود العشرين من عمره أو فيما يقاربها ، فأين إذاً نما غراسه الأول إن لم يكن قد نما واشتد وآتى أكله فى مصر ؟

ونحن لا ننكر أن أساتذة أبى العلاء فى الشعر العربى لم يكونوا من المصريين ، لأن أحدهما هو أبو نواس ، والثانى هو مسلم ابن الوليد ، وكان أبو تمام يعجب بهما ويسطو على آثارهما ، ينتهب منها ما يشاء . فيغمض فيه ، ويزيد عليه ، ثم يغرب ويغلو فى الإغراب ، حتى تكون البضاعة له خاصة آخر الأمر : وفى ذلك يقول الصولى فى رسالته إلى مزاحم بن فاتك :

« وليس أحد من الشعراء — أعزك الله — يعمل المعانى ويخترعها ويتكىء على نفسه فيها أكثر من أبى تمام ؛ ومتى أخذ معنى زاد عليه ، ووشحه ببديعه ، وتمم معناه ، فكان أحق به ... »[1]

وسئل دعبل — أشد خصوم أبى تمام — عن شعره فقال : ثلث شعره سرقة ، وثلثه غث ، وثلثه صالح[2]

وأنشد ابن الأعرابى شعراً لأبى تمـام فقال : إن كان هذا شعراً فما قالته العرب باطل ![3]

ولأبى العنبس ، ولابن مهرويه ، كلمات فى أبى تمام من هذا القبيل ، ولم يكن أحد ينتصف لأبى تمام بمثل ما انتصف له الصولى فكيف يكون العراق وطن أبى تمام العقلى ، وقد كان مذهبه فى الشعر غريباً على العراق إلى هذا الحد ؟

(يتبع) دريني خشبة

(١) أخبار أبى تمام ص ٥٣
(٢) و (٣) ص ٢٤٤

على نمط المقامات

فى العيد

للأستاذ على متولى صلاح

حدثنا أبو الحسن الفسطاطى قال :

قضيت شهر رمضان المعظم هذا العام – إلا أقله – فى عزلة عن الحياة ، أتقرب بالعزلة إلى الله ، وأبتهل إليه وأبتغى رضاه ، فكنت أقضى النهار صياماً ، والليل قياماً ، وألزمت نفسى ألا تنطق إلا لماماً ، وألا تقارف آثاماً ، وألا تقول إلا سلاماً ، والتزمتُ هذه الحال ثمانياً وعشرين من الليال ...

ولما أوشك رمضان الكريم على النهايه ، وأشرف على الغايه ، حدثتنى النفس الأمارة بالسوء ، التواقة دائماً إلى ما يسوء ، أن أنفلت من هذا العقال ، وأتحلل من تلك الأغلال ، وأسعد نفسى بالأنس بين الصحاب ، والسمر بين الأحباب ، وأتنقل وإياهم الحديث فى العلوم والآداب ، فذلك عندى وعندهم أشهى الرغاب ، وما خضنا علم الله يوماً فى حديث نمّ أو اغتياب ، ولا ذكرنا وقاك الله حديث أعراض ولا أنساب ...

قصدت إلى تلك الصوْمعة الجميلة ، والظُّـلة الظليلة ، صومعة الأدب والأدباء ، ومثوى الشعر والشعراء ، تلك التى أنشأها مُقام الأستاذ الزيات بالمنصورة الحبيبة حيناً من الدهر ، كان والله فى مثل عمر الزهر ، وكان – وحقك – عهداً ما برحت نشوته فى الفؤاد ، وما زال برده فى الأكباد ، وما فتىء حديثه هو الحديث المعاد ، ليته بقى ودام ، إلى هاتيك الأيام ...

وفى جوار تلك « الكافورة الحسناء » الكاملة البهاء ، الحانية على النيل الجميل كأنها الرحمة والعطف والمحبة تهبط من السماء ، تلك التى خلدها الزيات بآيات من السحر ، ما هى من نثر ، ولا هى من شعر ، ولكنها من الدر والتبر ، فى جوارها أخذت مكانى ، وآثرت الجلوس منتظراً إخوانى ، وطال بى المكث والانتظار ، وما وافانى منهم ديار ، ولا نافخ نار ، فجلست وحدى أتأمل ما يفعل الناس فى شهر الصيام وما يقولون ، وفى أى حديث يخوضون ، فما راعنى إلا أن أسمع الناس يسبُّون شهر رمضان ويلعنون ، ويتضجرون منه ويتململون ، ويودون فراقه ويشتهون ، ويصفونه بأقبح الصفات ، ويشيعونه بأسوأ اللعنات ، فسألت نفسى فيم بصوم هؤلاء ، ويمسكون ؟ وما زالوا باللغو والباطل يتمسكون ؟ أم هم على الصيام والإمساك مكرهون ؟ . . . والصوم كما أفهم عبادة مردها إلى الضمائر ، ومرجعها إلى السرائر ، ليست عبادة نفاق ، ولا تجارة للارتزاق ، ولا يقصد بها سوى الخلاق ! ومن أراد أن يبدو للناس صائماً وهو عند الله مفطر كان ذلك عليه يسيرا ، لا عسيرا ! أما أن يمسك عن الطعام ، ولا يفتأ يسب الصيام ، كأنه على فعله مسير ، لا مخير ، فذلك مالا أستطيع له تأويلا ، ولا أعرف له تعليلا ...

ورجعت إلى دارى وقد انتصف الليل أو كاد ، وأنا فى إبراق وإرعاد ، أسب هؤلاء الأوغاد ، وأحمد الله على تلك الوحدة والانفراد ...

وفى الليلة التالية – وكانت آخر ليالى رمضان – ذهبت كدأبى إلى مكانى المعهود ، ومراحى المنشود ، فما عتمت أن رأيت الناس وقد تنفسوا الصعداء ، وأبرقت أساريرهم بالبشر والصفاء ، كأنما انحطت أثقالهم ، وانفكت أغلالهم ، وتحللوا من وقر لا يطيقونه ، وأسر لا يحتملونه ، ولا حديث لهم إلا ما كانوا يحرمون فى رمضان من لذات ، ويمنعون من طيبات ، ورأيت فيما رأيت بعد برهة شخصاً يخب فى السير ، حتى ليكاد أن يطير ، فلما وقع بصره على إخوانه فى السهر ، ورفاقه فى ليالى السمر ، صاح فيهم يقول :

رمضان ولى هاتها يا ساق ...!!

فرد عليه جميعهم فى صوات واحد ، وكل منهم يشير إلى صدر نفسه قائلا :

مشتاقة تسعى إلى مشتاق !

وسرعان ما أداروا بينهم الكؤوس ، حتى مالت الرءوس ، فوقلت ورجعت ، ومن الشيطان بالله استعذت ، وقلت : ليلة أخرى أحتسبها عند الله ، الذى لا يحمد على مكروه سواه ، وهرولت إلى بيتى كاسف البال ، سيئ الحال ، أعجب كيف لم يهذب الصيام تلك القلوب الكاشحة ، ولم يكبح تلك الطبائع الجامحة ...

وفى فجر يوم العيد الأغر ، وبعـد انبلاج صبحه الأزهر ، خرجت ألتمس العظات ، بزيارة الأموات ، فقصـدت إلى تلك الصحراء الموحشة التى ينتهى إليها الجميع ، الرفيع منهم والوضيع ؛ والمتبوع منهم والتبيع ، تلك التى تسكن النفوس عندها وتخشع ، وتتأمل القلوب لديها وتخضع ، وتزهد الطامع فيما فيه يطمع ، وإليه ينزع ، ... فإذا بى أرى عندها مما تندى له الجباه ، مالا يصـل الخيال إلى مداه ! وما ظنك بنساء حول المقابر متبذلات ، غير محتشمات ، ولا مؤدبات ؟ قد أخذن زخرفهن وازين بأفخر اللباس ، ليبهرن عقول النـاس ؟ ورجال قد خلعوا العذار ، وتركوا الوقار ، ونصبوا الحلقات للأحاديث والأسمار ، لا للعظة والاعتبار ، كأنهم وحقك فى قصور ، لافى قبور !

وشبان مفتونين قد جاءوا إلى المقابر جماعات ، يسمون وراء الغادات ، الرائحات الغاديات ، ويغمزون لهن بأطراف الأحداق ، ويبثونهن لواعج الصبابة والأشواق ، ويظهرون لهن العشق والهوى ، والهيام والجوى ، ونسوا ما حولهم من الرجام ! التى ... بالآيات العظام ، وتنسى الحب والغرام !

فلما شاهدت هذه الأباطيل ضاقت نفسى ، وهاج حسى ، وعدت إلى دارى وصرت حلسها إلى وقت الأصـيل ، فخرجت بلا صديق ولا دليل ، أنعم النظر فى مشاهد العيد وأطيل ، فما كادت والله تقع عينى إلا على شر ، ولا ترى غير هزل ونـكر ، ولا تـكاد تسمع أذنى إلا الفحش والهجر ، أفواج من الآدميين سائرون كالبهم هنا وهناك بلا أغراض ولا أهداف ، كأنهم قطيع من الخراف ، يسيرون — وقاك الله — كما تشاء لهم أرجلهم عن اليمين أو عن اليسار أو فى المنتصف مشـية الفرح والزهو والسرور ، استمتاعاً بما تبيحه لهم حرية السير والمرور !

وعربات تـكدست بالأجسام التى تتغنى بأنـكر الأصوات ، وأقبح النغمات ، كأنها خوار ثيران ، أو نهيق قطعان ، ومجالس ومجتمعات لا للصلاة ولا للدعاء ولا للسجود ، ولـكنها لابنة العنقود ! وناهيك بمـا يدور فيها من حديث الإفك والبهتان ، والغيبة فى الأبرياء والعدوان ، مما تحرمه الأديان ، ويستنكره الديان ، ولا يليق بطبيعة الإنسان !

وكم وراء الستار فى ليالى العيد من أمور ! وكم يخفى ظلام أمسياته من فجور ! وكم تباح حرمات ، وتنال شهوات ، وتدرك غايات ! كأن الناس ما كانوا منذ يوم لله صائمين ، ولحدوده ملتزمين ، أو كأنهم كانوا فى صيامهم هازلين لا جادين :

قال أبو الحسن : فلما رأيت هذه الحال ، وذلك المآل ، فزعت إلى الله أقرأ فى كتابه ، وأقف خاشعاً عند بابه ، وأستزيد من رحمته ومن ثوابه ، وأطلب للناس الهدى والرشاد ، والصواب والسداد ، ثم أنشدت :

ما صام من أمسك عن طعامه
ولم يصم عن اقتراف إثمـه
الصـوم أن تمسك عن عدوان
وعن أذى ... فى السر والإعلان
إن لم يهذب بالصـيام الطبع
فما وراء أن تجوع ... نفع !

(المنصورة) **على متولى صلاح**

قضية المــــرأة!

للأستاذ زكريا إبراهيم

قضية المرأة قضية قديمة قدم العقل الإنساني نفسه ، فإن الإنسان منذ خلق وَلوع بالتمييز والمفاضلة ، حريص على تعرّف أوجه الخلاف والمماثلة ، وقد وجد الإنسان موضعاً للتفرقة بين المرأة والرجل ، فخلق لنفسه من ذلك مشكلة ، وكان الرجل هو المسيطر ، فتلبست المشكلة بالمرأة ، ومن ثم نشأت تلك القضية الصعبة ، « قضية المرأة » لا الرجل !

وعلى الرغم من كثرة المناقشات التي أثيرت حول المفاضلة بين الرجل والمرأة ، أو المساواة بينهما ، فإن قضية المرأة لا تزال مستعصية على الحل ، لأن وضع المشكلة نفسه ليس بالوضع الصحيح . والواقع أن كل تلك المناقشات العقيمة ، لا يمكن أن يترتب عليها إلا أن تزيد المشكلة تعقداً وتشابكاً ، لأن من شأنها أن توقف المرأة وجهاً لوجه أمام الرجل ، تناضله وتذود عن نفسها ، كأنما هي بإزاء خصم عنيد جائر !

ولكن الأمر ليس من هذا في كثير أو قليل ، فإن الصلة التي تربط بين الجنسين ، ليست صلة « تفضيل » ، وإنما هي صلة « تكميل » فكل مفاضلة بين الرجل والمرأة هي عبث لا طائل تحته ، لأن المجال الذي يعمل فيه كل منهما يختلف عن المجال الذي يعمل فيه الآخر . ولما كان الزواج هو الوحدة التي تجمع بين الجنسين ، فإن النقص الذي يوجد لدى المرأة يستحيل إلى كمال إذا اقترنت بالرجل ، والنقص الذي يوجد لدى الرجل يستحيل إلى كمال أيضاً إذا اقترن بالمرأة ، فيذهب نقصها في كماله ، ويذهب نقصه في كمالها ، ويخرج من ذلك الإنسان الكامل !

وقد أراد القديس أوغسطينوس أن يعبر عن فكرة تضافر الجنسين فقال : « لو أراد الله أن تكون المرأة حاكمة على الرجل خلقها من رأس آدم ؛ ولو أراد لها أن تكون أسيرة له ، خلقها من رجله ؛ ولكنه خلقها من ضلعه ، لأنه أراد أن يجعل منها شريكة للرجل ، مساوية له »[1]

بيد أن هذا لا يعني أن المرأة والرجل على حد سوى ، وإنما هو يعني أنه ليس ثمة وجه للمفاضلة بين الإثنين . فإذا استثنينا ما يرجع إلى الجنس ، قلنا إن الرجل والمرأة سواء[2] . وكل ما بين الرجل والمرأة من فرق في الناحية الجنسية ، فذلك لضرورة تحتمها الوظيفة التي ينهض بها كل في المجال الذي اختصته الطبيعة به . وهذه الضرورة قد جعلت المرأة تميل إلى التعشق الذاتي narcissime[3] والاكتفاء بالذات ، في حين جعلت الرجل يميل إلى التعشق الغيري والخروج عن الذات .

فالمرأة - كما يقول فرويد - حينما يكتمل نموها وتنضج أعضاؤها الجنسية (بعد أن كانت من قبل في حالة كمون latency) يتزايد لديها الشعور بالتعشق الذاتي ، فتنزع إلى الاكتفاء بذاتها self-sufficiency وتزداد قوة هذا النزوع إذا صاحبه اكتمال في الأنوثة والجمال ، فيترتب على ذلك أن تعشق المرأة نفسها (فحسب) عشقاً يقرب في شدته من عشق الرجل لها . ولهذا نجد أن المرأة لا تريد أن تحب ، بل أن تكون محبوبة ، فإنها بطبيعتها لا تريد أن تكون طالبة ، بل أن تكون مطلوبة . وإذا تهيأ للمرأة حظ كبير من هذا « التعشق الذاتي » فإنها تكون جذابة إلى أبعد حد ، لأن التعشق الذاتي من شأنه أن يجتذب انتباه أولئك الذين تخلوا عن جزء من عشقهم الذاتي ، وراحوا يلتمسون « موضوعاً » آخر لعشقهم object-love والسر في هذه الجاذبية ، يرجع إلى أن المرأة « النرجسية »

---

(١) ارجع إلى كتاب كنث ولكر Kenneth Walker « فسيولوجية الجنس » The Physiology of Sex الفصل الثالث ص ٤٢

(٢) ارجع إلى الفصل الخامس من كتاب « إميل » Émile لجان جاك روسو .

(٣) ارجع إلى البحث الذي كتبه فرويد بعنوان On Narcissism, an Introduction

narcissistic woman[1] تكون فى العادة جميلة الخلقة (لأن فرط الجمال هو الذى يدفع إلى التعشق الذاتى) ، فضلا عن أن اكتفاءها بذاتها من شأنه أن يحيطها بهالة سحرية من الغموض المستحب الذى يزيد الرجل ولوعاً بها ! ولـكن هذا لا يمنع من أن تكون هناك طائفة أخرى من النساء ، يتخذ الحب عندها شكله المعروف لدى الرجال ، فتنزع المرأة إلى البحث عن هدف من الجنس الآخر تجعله موضوعاً لحبها ؛ ويكون هذا النزوع مصحوباً بتقدير مبالغ فيه للناحية الجنسية

ويجب أن نلاحظ أن الحاجة الجنسية لدى المرأة تختلف عنها لدى الرجل ، فان اللذة الجنسية عندها ليست غاية فى ذاتها كما هى عند الرجل ـ وإنما هى مجرد وسيلة لغاية أخرى تفوقها ، وهى الأمومة : maternity فغريزة الأمومة عند الأنثى أقوى بكثير من الغريزة الجنسية ، كما تدلنا على ذلك التجارب التى أجريت على فصائل الحيوان . وإذا كانت المرأة ـ كما يقول مارانيون Maranon ـ تشعر بميل إلى الحياة الجنسية ، فما ذلك إلا لـكى تتخذ من الرجل وسيلة تحقق بها غاية الأمومة التى هى عندها كل شىء . ففى أبعد أغوار نفس المرأة ، تـكمن الرغبة فى الأمومة . وهذه الرغبة القوية هى التى تصبغ بصبغتها كل حياة المرأة . أما اللذة الجنسية فهى عند المرأة بمثابة عرض مصاحب يقترن بالشعور الذى تظهره نحو ذلك الرجل الذى اختارته لكى يكون أباً لأولادها . ومن أجل ذلك فانه إذا كان الرجل قد يطلب اللذة الجنسية للذة الجنسية نفسها فان المرأة لا يمكن أن تقنع بذلك مطلقاً ، لأن كل ارتباط يتم بينها وبين الرجل ، دون أن تستتبعه ولادة طفل ، هو فى نظرها عديم الجدوى

ولما كان الحافز الجنسى عند المرأة أقل شدة منه عند الرجل فان من اليسير على المرأة أن توجه ميلها الجنسى توجيهاً آخر . وبفضل هذه المقدرة ، تستطيع المرأة أن تضمن لنفسها العفة بجهد أيسر من الجهد الذى يحتاج إليه الرجل . فهى تستطيع بسهولة أن تجد منفذاً لحاجتها الجنسية ، وذلك بالاشتراك فى أعمال البر أو القيام ببعض المشروعات الاجتماعية أو باتخاذ بعض الأبناء الخ ولعل من دلائل ضعف الحافز الجنسى لدى المرأة بالنسبة إلى الرجل ، أن فى استطاعة المرأة بسهولة أن تصادق امرأة أخرى صداقة متينة حارة ؛ وهذه الصداقة تصطبغ فى بعض الأحيان بصبغة حب الجنس للجنس homosexaulity فتكون مظهراً لإرضاء الحاجة الجنسية عن طريق آخر ، حين لا تساعد الظروف على إيجاد المنفذ الطبيعى لهذه الحاجة

ومن ناحية أخرى فان وظيفة الأمومة قد اقتضت أن تتصف المرأة ببعض الصفات الثانوية الأخرى التى تهىء لها القيام بالمهمة المعدة لها : فالمرأة أكثر حساسية من الرجل ، وأسرع استجابة للمؤثرات الوجدانية . وهى تنظر إلى الحياة من خلال عواطفها ووجداناتها ، وكثيراً ما تهتدى عن طريق شعورها إلى حقائق لا يستطيع الرجل أن يهتدى إليها بعقله . وإذا كانت المرأة لا تستطيع أن تلحق بالرجل فى ميدان التجريد العقلى فان هذا لا يمكن أن يكون دليلاً على عجز أو قصور ، لأن العقل إذا كان يعين الرجل أحياناً على أن يحكم حكماً صحيحاً ، فانه أيضاً كثيراً ما يجنح به عن جادة الصواب . وليس من شك فى أن المرأة إذا وضعت فى موضع القضاء ، فانها لن تصدر أحكامها ، إلا وفقاً لما يمليه عليها قلبها وشعورها ، ولـكن « هل يمكن أن تكون هناك طريقة فى الحكم خير من تلك التى نحـكم فيها على أفعال الآخرين ، بمقتضى العقل المقترن بالعاطفة » ؟[1]

(الحديث بقية)

زكريا ابراهيم

---

(١) هذه التسمية هى فى الأصل نسبة إلى « نرجس » Narcisse الذى كان مولعاً بشكله الجميل « كما تقول الأساطير) فكان يديم النظر إلى صورته وقد انعكست على صفحة غدير رائق صاف . وقد عاقبته الآلهة بأن حولته إلى الزهرة المعروفة الآن باسمه ، وهى زهرة النرجس !

(١) هذه العبارة لمرانيون Maranon صاحب كتاب « تطور الجنس » Evolution of Sex ، وهو من أحسن الكتب التى وضعت فى مسألة الجنس وعبارته المذكورة يقصد بها ـ كما هو واضح ـ أن المرأة بحكم كونها إنساناً تتصف بالعقل ، وبحكم كونها امرأة تتصف بالعاطفة فهل يمكن أن يكون ثمة حكم أفضل من حكم جمع بين العقل والعاطفة ؟

القضايا الكبرى فى الاسلام

قضايا ابن تيمية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ٩ —

أخذ الجمود فى العلم يخيم على العقول منذ أقفل باب الاجتهاد ، وأخذ الحجر على العلماء يتسع قرناً بعد قرن ، حتى استحكمت حلقات الجمود فى القرن السابع الهجرى ، فحرم الأخذ فى الأصول بغير مذهب الأشعرى ، وفي الفروع بغير مذاهب الأئمة الأربعة ، ومنع الناس من النظر فى الفلسفة وعلومها ، وبهذا وقف المسلمون عن النهوض فى ميدان التنافس بين الأمم ، فتأخروا وسبق غيرهم ، وصاروا إلى مانشاهده الآن ، مما لا يعلم عاقبته إلا الله تعالى

وبينما كان أهل ذلك القرن يغطون فى نومهم ، ظهر بينهم ابن تيمية يحطم بعض تلك القيود ، ويدعو إلى فتح باب الاجتهاد ، ويحاول الخروج فى الأصول على مذهب الأشعرى ، وفى الفروع على مذهب الأئمة الأربعة ، ويحارب بدعة التصوف التى لعبت بعقول العامة ، وجعلت دينهم ضلالات وخرافات

وهذا الإمام المصلح هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن القاسم بن تيمية ، ولد سنة ٦٦١هـ بمدينة حرّان ، وأخذ على علماء عصره ، وأكثر من المطالعة والقراءة ، حتى فاق الأقران ، وصار عجباً فى سرعة الاستحضار وقوة الجنان ، والتوسع فى المنقول والمعقول ، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف

وقد دعا فى الأصول إلى الأخذ بمذهب السلف من الوقوف عند ظاهر النصوص ، وترك التأويل الذى يلجأ إليه الأشعرى وغيره ، وقد جره هذا إلى القول بأن الله فى السماء ، أخذا بظاهر قوله تعالى فى الآية - ١٦ - من سورة الملك : (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور) ثم أخذ يدعو إلى منع ما شاع فى عصره من التوسل فى قضاء الحاجات بغير الله تعالى من الأنبياء والأولياء ، ويفتى فى الفقه بما قام الدليل عليه عنده ، ولو لم يكن موافقاً لما قال به الأئمة الأربعة ، ومن ذلك فتواه بأن الطلاق الثلاث من غير تخلل رجعة بمنزلة طلقة واحدة

فقامت عليه بذلك قيامة العلماء والفقهاء والمتصوفة ، وشكوه إلى السلطان المرة بعد المرة ، وكانت أولى شكواهم فى شهر ربيع الأول سنة ٦٩٨هـ فبحث فى شكواهم ، وحكم بمنعه من الكلام فيما شكوا منه ، ثم شكوه ثانياً إلى السلطان فى سنة ٧٠٥هـ فورد مرسوم من السلطان إلى نائب دمشق بامتحانه فيما يعتقده ، فعقد له مجلس فى (٧ من رجب سنة ٧٠٥) سئل فيه عن عقيدته ، فأملى عليهم منها ، ثم أحضروا عقيدته التى تسمى الواسطية ، فبحثوا فى مواضع منها ، ثم اجتمعوا فى (١٢ من رجب سنة ٧٠٥) وندبوا الصفى الهندى ليناقشه ، ثم أخروه وقدموا الكمال الزملكانى ، وقد انتهى الأمر فى هذا التحقيق بإشهاده على نفسه أنه شافعى المعتقد

وكان لابن تيمية أشياع وأتباع ، فأشاعوا أنه انتصر على خصومه ، فغضبوا وقدموا شخصاً من أتباعه إلى الجلال القزوينى نائب الحكم بالعادلية ، فحكم بتعزيره ؛ وكذلك فعل الحنفى باثنين منهم ، فقامت فتنة كبيرة بين الشافعية وغيرهم فى دمشق ، وقد اعتزل فيها القاضى ابن صصرى الشافعى القضاء ، احتجاجاً على ما أصاب الشافعية من الأذى

فطلب القاضى ابن صصرى وابن تيمية إلى القاهرة ، وكان أمراؤها قد انقسموا فى أمره ، فقام الأمير بيبرس الجاشنكير والقاضى المالكى بالإنكار عليه وعلى أتباعه من الحنابلة ، وقد اشتد الأمر عليهم حتى صفع بعضهم ، وانتصر له الأمير سلار ، فلما وصلا إلى القاهرة قدم ابن تيمية فى (١٢ من شهر رمضان سنة ٧٠٥) إلى القاضى المالكى لينظر فى دعوى خصومه عليه ، فقال ابن تيمية : هذا عدوى . ولم يجب عن الدعوى ، وقد كرر عليه السؤال فأصر على الامتناع عن الجواب ، فأقامه القاضى من المجلس ، ثم حكم بحبسه فحبس فى برج ، وكان الناس يترددون عليه فيه ، فلما بلغ القاضي ذلك قال : يجب التضييق

عليه إن لم يقتل ، وإلا فقد ثبت كفره . فنقلوه ليلة عيد الفطر إلى الجب

ثم أرسل مرسوم إلى دمشق فقرئ في الجامع على أهلها ، ونودى في شوارعها بأن من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله ، وجمع الحنابلة من الصالحية وغيرها فأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعي ، وكان قاضي الحنابلة ضعيفاً ليست له مكانة في العلم ، فبادر إلى إجابتهم في ذلك المعتقد ، وقد استكتبوه فكتب لهم بذلك

وكان قاضي الحنفية شمس الدين بن الحريري ، وهو عالم شجاع لا ترهبه قوة السلطان ، ولا يخشى في الحق لومة لائم ، فانتصر لابن تيمية على خصومه ، وكتب محضراً أثنى عليه فيه بالعلم والفهم ، وذكر أن الناس لم يروا مثله منذ ثلثمائة سنة ، وكان جزاؤه على هذه الجرأة العزل من القضاء

وقد سعى الأمير سلار في تخليص ابن تيمية من الحبس ، وأحضر القاضي الشافعي والمالكي والحنفي وكلهم في إخراجه ، فأجابوه إلى ذلك بشرط أن يرجع عما أخذ عليه في الدعوى ، وقد أرسلوا إليه مرة بعد مرة فامتنع من الحضور إليهم ، وآثر الحبس في الجب على أن يرجع عن عقيدته ، ولم يزل في ذلك الجب إلى أن شفع له أمير آل فضل ، فأخرج من الحبس في الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول ، وأحضر إلى القلعة وعقد لمباحثته مجلس من الفقهاء ، ثم كتب محضر بأنه قال : أنا أشعري

ولكنه لم يكد يخلص من أولئك الفقهاء حتى قامت عليه قيامة المتصوفة ، وكان زعيمهم في الثورة عليه ابن عطاء صاحب الحكم المشهورة ، فذهبوا إلى القلعة في العشر الوسطى من شوال وادعوا على ابن تيمية أنه يطعن في شيوخ الطريقة ، وأنه أنكر الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فأمر بتسييره إلى الشام على خيل البريد ، وكان القاضي المالكي قد اشتغل عنه بمرض أشرف منه على الموت ، ولكنه لم يكد يعلم بمسيره إلى الشام حتى أرسل إلى النائب فرده من نابلس ، وأقيمت عليه دعوى عند القاضي ابن جماعة ، وشهد عليه شرف الدين ابن الصابوني ، فحكم عليه ثانياً بالسجن في حارة الديلمة ، وقد نقل إلى القاضي أن جماعة من أتباعه يترددون عليه ، وأنه يكلمهم فيما أنكر عليه مما تقدم ، فأمر بنقله إلى الإسكندرية ، وقد حبس هناك في برج شرقي ، وكان موضعه فسيحاً ، فقصده أصحابه هناك ، وصاروا يدخلون إليه للقراءة عليه ، وبحث ما يحتاجون إليه من المسائل ، ولم يزل محبوساً إلى أن عاد الناصر إلى السلطنة ، فشفع فيه عنده ، فقبل الشفاعة فيه وأمر بإحضاره من الحبس ، وكان حضوره إليه في (١٨ من شوال سنة ٧٠٩) فأكرمه وجمع القضاة وأصلح بينه وبين القاضي المالكي ، وقد اشترط هذا القاضي في صلحه ألا يعود إلى ما أخذ عليه من الأقوال ، فقال له الناصر : قد تاب

وقد ثار خصومه عليه بعد ذلك في شهر رمضان سنة ٧١٩هـ ، لأنه أفتى بأن الطلاق الثلاث من غير تخلل رجعة بمنزلة طلقة واحدة ، ولم يهدأوا حتى عقد له مجلس في رجب سنة ٧٢٠هـ ، فحكم عليه بالحبس في قلعة دمشق ، وقد مكث فيها إلى أن أخرج منها في ١٠ من المحرم سنة ٧٢١هـ

ثم ثاروا عليه في شعبان سنة ٧٢٦هـ ، لأنه أفتى بمنع زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعيد اعتقاله بتلك القلعة ، ولم يزل بها إلى أن مات في ٢٠ من شهر ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ ، وكان يوماً مشهوداً ، حتى ضرب المثل بكثرة من حضر جنازته ، وأقل ما قيل في عددهم خمسون ألفاً

وهذه القضايا الخطيرة تمثل لنا أروع معركة علمية قامت في الإسلام بعد إقفال باب الاجتهاد ، وتبين لنا كيف أقفل هذا الباب بالقهر والعسف ، وأنه لم يقفل بالدليل والإقناع ، ولا لمصلحة عامة أو خاصة اقتضت حظره على العلماء

وكم كان ابن تيمية موفقاً في محاولته فتح باب الاجتهاد في الفروع ، وإيثاره فيها الدليل من الكتاب والسنة على أقوال الأئمة المعروفين ، وكم كان موفقاً أيضاً في حملته على أولئك المتصوفة الذين حشوا أدمغة المسلمين كثيراً من الجهالات والخرافات ، ومما أنشد له في ذلك على ألسنة فقرائهم :

امتحان الأستاذية الأزهرية

بعد أربعة أعوام

للأستاذ زكى الدين إبراهيم بدوى

منذ نيف وثلاث سنوات حضرت امتحانات العام الدراسى الأول لدرجة « الأستاذية » الأزهرية ، وأبديت على صفحات الرسالة الغراء[1] عدة ملاحظات عنّت لى بشأن المحاضرات والرسائل التى اشتملت عليها تلك الامتحانات . ولما كنت قد قضيت معظم المدة المنصرمة بعيداً عن البلاد فى مهمة تعليمية بالعراق عدت منها أخيراً ، فقد بدا لى أن أحضر بعض امتحانات هذا العام لأقف على مدى تطور هذه الدراسة الجديدة فى الأزهر بعد ما سلخت امتحاناتها أربعة أعوام

ويسرنى أن أبدأ اليوم ملاحظاتى بتسجيل بعض خطوات التقدم فى النواحى التى كنت قد تناولتها بالنقد فى كلمتى الأولى .

(١) العدد ٢٩٩ الصادر فى ٢٤-٢-١٩٤١

فمن ناحية الشكل أخذت إدارة الكليات الأزهرية بطرف من النظم الحديثة المتبعة فى مناقشات الرسائل ، فأعدت مدرجات خاصة لهذه المناقشات بعد ما كانت تجرى فى غرف ذات مقاعد منبسطة . وأصبح النظام الحاضر يقضى بأن يقدم للمناقشات بعرض موجز يلم فيه صاحب الرسالة بعناصر البحث الذى تشتمل عليه رسالته . فيتيح بذلك لجمهور المستمعين من الطلاب وغيرهم متابعة هذه المناقشات والإفادة منها . كذلك أخذ معظم حضرات أعضاء اللجان بالتقليد الجامعى الجميل ، الذى يقضى بأن يبدأوا ملاحظاتهم على الرسائل بالتنويه بما يستحق التنويه من مواطن الإجادة فيها مما ينطوى على تشجيع نافع لأصحابها ، ومكافأة أدبية لهم على ما بذلوا من جهد ، وحفز لهم غيرهم

ومن ناحية الموضوع لمست تقدماً محسوساً لمستوى الطلاب العلمى تجلى فى عرض الرسائل والمناقشات التى دارت حولها مما يدل على ارتقاء وسائل هذه الدراسات فى فروعها المختلفة

على أننى حين أبادر إلى تسجيل بوادر التقدم الآنفة الذكر مقدراً للمشرفين على هذا النوع من الدراسة جهودهم التى أبانته هذا المبلغ من النهوض على حداثة عهد الأزهر به — لا يسعنى

والله ما فقرنا اختيارُ وإنما فقرنا اضطرارُ

جماعة كلنا كسالى وأكلنا ما له عيار

تسمع منا إذا اجتمعنا حقيقة كلها فشار

ولكنه لم يكن موفقاً فى حجره على العقول فى الأصول ، والحكم عليها بالوقوف عند ظواهر النصوص ، وموقفه فى هذا غير منسجم مع موقفه الأول ، وقد وقع بهذا فيما وقع فيه خصومه من الحجر على حرية الرأى ، وحصر الدين فى حدود ضيقة يشتد فيها الحرج على العقول ، ولا تتسع للاجتهاد الذى لا شطط فيه ولا انحراف ، ولقد كان خصومه منطقيين فى جمودهم على كل ما ألفوه ، وتحريمهم فى الفروع مخالفة الأئمة الأربعة ، وفى الأصول مخالفة الإمام الأشعرى ، ولم يكن هو منطقياً فى تسويغه مخالفة تلك الأئمة بالاجتهاد فى الفروع ، وعدم تسويغه مخالفة السلف فيما يقبل الاجتهاد من الأصول ، فهو بهذا قد فر من جمودٍ إلى جمود

واضطرابه فى ذلك هو الذى لم يجعل منه المصلح السمح الذى يعلو على ما كان يقع فيه خصومه من المجازفة بالتكفير ، وجعله يجازف بالتكفير مثلهم ، ويشتط فى الإنكار على الأشعرى وغيره ممن حاول فى الدين الجمع بين العقل والنقل ، وأخذ فى ذلك بالاجتهاد فى الأصول ، ولم يجمد كما جمد ابن تيمية وغيره على ظواهر النصوص ، والإسلام من المرونة بحيث يعلو على ذلك التضييق ، وهو الذى أتى برفع الحرج فى الدين ، ولم يقف من العقل موقف المنابذ المخاصم ، بل وقف منه موقف المصالح المسالم

ولو أن ابن تيمية لم يقع فى ذلك الاضطراب لكان منه المصلح الذى يتطلبه المسلمون فى ذلك العصر ، ولأمكنه أن يجمع كلمتهم على الإصلاح اللازم لهم ، وهو إصلاح لا يقف عند الحدود الضيقة التى وقف هو عندها ، بل يتناول الإصلاح فى الدين ، والإصلاح فى العلم ، والإصلاح فى الحكم ، وما إلى هذا من أمور الدنيا والآخرة

عبد المتعال الصعيدى

مع ذلك أن أغفل التنبيه إلى ما لا يزال بارزاً من مواطن القصور والتقصير

فأول ما يسترعى الانتباه من ذلك أن هذه الدراسات تعوزها الطريقة الحديثة للبحث والعرض والتصنيف . فالرسائل وإن كانت قد تزحزحت قليلاً عن طرائق الأزهر التقليدية التى كانت تضفى على الآراء والمذاهب القديمة هالة من التقديس تجعلها بمنجاة من سهام المناقشة الطليقة والنقد الحر — إلا أنها مازالت فى مجموعها محدودة بحدود التجميع والتنظيم للأبواب العامة فى مختلف العلوم ، ولا تخرج عن هذا النطاق إلا خروجاً جزئياً بأبحاث عابرة متفرقة يقع عليها قارىء هذه الرسائل فى غضون صفحاتها دون أن يحس بوحدة فكرية تربط بين عناصرها وتوجهها وجهة معينة مما يبرز فيه أثر المجهود الشخصى الذى هو طابع التصنيف الحديث . يضاف إلى ذلك أنه حتى فى نطاق التجميع والتنظيم لا يبدو فى الرسائل والمحاضرات الحالية — فيما عدا القليل منها — أثر المجهود الشخصى فى التجديد والابتكار فى العرض

والأصل الذى تقضى به الطريقة الحديثة المتبعة فى مثيلات هذه الرسائل والمحاضرات أن يتناول كل منها بالبحث نقطة معينة ـ لا باباً من الأبواب العامة ـ يدرسها الباحث دراسة مستفيضة من جميع نواحيها وما يحيط بها من ملابسات ، ثم يعمل فكره ورأيه الخاص فى ذلك كله ، حتى يخرج بفكرة عامة تنتظم عناصر البحث وتقرر له كياناً مستقلا يشهد عرضه لصاحبه بالبداء والابتكار ، فيضيف بذلك جديدا إلى الموضوع الذى يعالجه ، ومن شأن ذلك أن يثبت مقدرته على الاضطلاع فى مستقبل حياته العلمية بإضافات جديدة من هذا القبيل يسهم بها فى تقدم العلم والفن إن هو وفق إلى ابتكار آراء أو نظريات جديدة ، أو يساعد على ذلك — على الأقل — إن وقف به جهده عند حد التجديد فى العرض والتأليف المستساغ بين عناصر من الأبحاث جديرة بأن يبذل الجهد فى تنظيمها تنظيماً علمياً جديداً وجمع شتاتها على هذا النحو . وهذا هو الهدف الأول للأبحاث والدراسات الأكاديمية المختلفة

كذلك يسترعي الانتباه فى رسائل الأستاذية أن أصحابها لا يراعون فيها الطرائق الحديثة فى التبويب والتقسيم والفهارس ، فما يزال بعضهم يجرى على الطرائق القديمة فى ذلك متبعاً التقسيم التقليدى إلى أبواب عديدة وفصول ، ومقتصراً على فهرس واحد فى آخر الرسالة . وقليل منهم يحاول محاكاة الطريقة الحديثة فى التبويب والتقسيم ، لكنه يسير فى ذلك على غير هدى لعدم وقوفه على أصول هذه الطريقة ، فيبدو تقسيماً غير منطقى يقدم فيه ما حقه التأخير ويؤخر ما حقه التقديم وتوضع بعض عناصر البحث فى غير المكان المناسب من أقسامه مما يشيع فيه الفوضى والاضطراب والتكرار أحياناً ، فيشوه العرض ويعوق الإفادة منه ويصد عنها

والطرائق الحديثة فى التبويب والتقسيم تقضى بالبدء بوضع خطة plan للبحث تقررها وحدته وكيانه المستقل بعد اتضاحه فى ذهن الباحث ، ويراعى فيها التأليف بين عناصره المتشاكلة لدرجها تحت أقسام رئيسية قليلة العدد ، ثم يتدرج من ذلك إلى تبويب كل من هذه الأقسام ، ثم إلى تفصيل الأبواب ، فالتمييز بين المباحث المختلفة فيها ، وتفريع كل من هذه المباحث إلى فروع ، والتمييز بين النقط التى يشتمل عليها كل فرع وهكذا بحسب تشعب موضوعات البحث حتى يعرض فى ثوب قشيب نسج على أساس منطقى متماسك البنيان متسق الحلقات يروق القارئ ويساعده على الإحاطة بأطرافه والوقوف على الفكرة أو الفكر الرئيسية التى يقصد الباحث إلى إبرازها . أما الفهارس فى المصنفات الحديثة ، فيراعى فيها التعدد بحيث تشتمل على ثبت للموضوعات بحسب ترتيب ورودها فى البحث ، وآخر لها بحسب ترتيبها الأبجدى ، وثالث للمراجع ، ورابع للأعلام ، وخامس لأسماء البلدان وهكذا بحسب ما يشتمل عليه البحث ويتطلبه تيسير المراجعة

ولاتباع الطرائق الحديثة أهمية خاصة فى موضوعات الدراسات الأزهرية التى تعتمد على مراجع عتيقة كتبت بأساليب القرون الخالية ، ومن حق الناس على الأزهريين أن ينتظروا منهم — على الأقل — إفراغ هذه الموضوعات فى قوالب جديدة تناسب عقلية الجيل الحاضر وتتفق وطرائق تفكيره

ولكن من ذا عساه أن يوجه شباب الأزهر التوجيه الذى يهيئهم لأداء هذه الرسالة ؟ إن الطلاب لا يستطيعون الاهتداء بأنفسهم إلى طرائق البحث والعرض الحديثة ، ولا مندوحة لهم

من الاعتماد على أساتذتهم فى الأخذ بأيديهم فى هذا السبيل . وهنا نواجـه من جديد مشكلة الأزهر المتيدة بل مشكلة الإصلاح العامة حيثما بدت الحاجة إلى الإصلاح فى معاهد التعليم ، وأعنى بها مشكلة المدرس أو الأستاذ . وقد حاول الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى فى مشيخته الأولى علاج هذه الناحية بندب عدد كبير من أساتذة الجامعة للتدريس فى الأزهر ، وإيفاد بعوث أزهرية إلى الخارج عاد أكثر أفرادها إلى مصر بعد انتهاء دراستهم وانتظموا فى سلك أساتذة الأزهر . لكن عدد هؤلاء من القلة بحيث لا يفى بإحداث هذا التغيير الجوهرى فى طرائق التعليم ، وقد وقفت ظروف الحرب الحاضرة إيفاد البعثات للخارج ، كما فتر حماس الأزهر للاستعانة بأساتذة الجامعة الذين كان فى مقدورهم حقاً المساهمة فى التوجيه الدراسى المنشود ، ويؤسفنى أن أقرر أن معظم من بقى به للآن من الأساتذة غير الأزهريين هم من تلاميذ المدرسة القديمة الذين لا يختلفون كثيراً عن جمهرة شيوخ الأزهر الحاليين من حيث الصلاحية للتوجيه الأكاديمى

وإذا كان لى بمناسبة ما أبديته من الملاحظات المتقدمة على دراسات « الأستاذية » الأزهرية أن أنبه إلى ما أعتقده كفيلاً بالإصلاح الممكن فى الظروف الحاضرة ، فإننى أتوجه إلى المسئولين فى الأزهر والغيورين على نهضته بالمقترحين التاليين :

١ — العودة إلى الاستعانة — فى نطاق واسع — بكبار الأساتذة الذين إليهم يرجع الفضل فى توجيه سياسة التعليم الجامعى فى مصر إلى الوضع الذى استقرت عليه الآن ، وبخاصة من جمعوا فى ثقافاتهم بين الدراسات الأزهرية وغيرها ، سواء منهم من بقوا فى الجامعة حتى الآن ومن خرجوا منها ، دون ما نظر إلى الاعتبارات الأجنبية عن التعليم والتى وقفت حتى الآن عقبة فى سبيل الاستعانة بهؤلاء الأفاضل الذين يستطيعون وحدهم الاضطلاع بوضع حجر الأساس للتطور المنشود

٢ — الاستعاضة مؤقتاً عن البعثات الأزهرية الخارجية غير الميسورة الآن ببعثات داخليـة توفد إلى كليتى الآداب والحقوق بجامعتى فؤاد وفاروق ، ولهذا سابقة حاولها الأستاذ المصلح الكبير السنهورى بك لترقية تدريس الشريعة فى كلية الحقوق بجامعة فؤاد فى عهد عمادته لهذه الكلية ، وكانت فكرة جليلة لم تمهله الظروف السياسية ـ مع الأسف ـ حتى يستطيع تنفيذها ، فلا مانع الآن من الأخذ بها فى نطاق واسع لصالح الأزهر وثقافته

وقبل أن أختتم هذه الكلمة أوجه النظر إلى ما سبق أن نبهت إليه فى كلمتى الأولى من وجوب قيام الأزهر بطبع الممتاز من رسائل الأستاذية على نفقته مع الأخذ بنظام تبادل الرسائل مع الجامعات الأخرى ، لأن فى ذلك شحذاً للهمم ، وإذاعة لمجهودات الأزهريين ، وتقريباً نافعاً بين ثقافتهم وأنواع الثقافات الأخرى .

ابراهيم زكى العبد بدوى
المتخرج فى الأزهر وكليتى
حقوق باريز والقاهرة

طاقة زهر

EIN ROSENSTRAUSS

[مهداة إلى البارونة الشاعرة جوتس برليشنجن E. Goetz. V. Berlichingin]

للأستاذ علي محمود طه

زهراتك الحُمْرُ التى أسلمتِها
بيدىْ مودعةٍ بعينَ مُودعٍ

لمَّا وصلتُ إلى المصيف حملتُها
كالطفل نام على ذراع المرضعِ

أمشى بها فوق الرِّمال كأننى
أمشى بطيف فى الظلام مُقنَّعِ

مضمومةَ الورقاتِ طيَّ غِلالة
وسمتْ بطابع ذوقكِ المترفعِ

عجوبةً كأميرةٍ شرقيةٍ
فى هودجٍ أستارُه لم ترفعِ

حتى إذا آويتُها بعد السُّرى
وخلعتُ عنها لِبسة المتمنعِ

هشَّتْ لآنيتى وأشرق لونُها
وترددتْ أنفاسُها فى مضجعى

ومضتْ تُخالسنى حَيِيّ لحاظها
لا تشتكى سهراً وفرط تطلُّعِ

هيَ أنتِ ، أحلامٌ تغازلُ ناظرى
وتصبُّ حُلوَ حديثها فى مِسمعى

هيَ أنتِ ، أطيافٌ تعانقُ مهجتى
وتفِرّ حين تحِسُّ حُرقةَ أضلعى

أمستْ تُعابثنى ومِلءُ شفاهها
من مُغْرياتك بسمةٌ لتولُّعى

ومكرْتِ مكركِ يا حبيبةُ وانقضى
ليلى ، وأنتِ لدىَّ ساهرةٌ معى

أرسلتِها عيناً علىَّ رقيبةً
تأتيكِ بالخَبرِ العجيب الممتعِ

تُحصى حراكى إنْ مشيتُ لشرفتى
وتَعُدُّ خطوى إنْ رجعتُ لموضعى

شهِدتْ بأنِّى مذ تركتكِ حائرٌ
متفرِّدٌ بصبابتى فى مخدعى !!

من شعر الأطفال

الأستاذ علي متولى صلاح

١ — العام الجديد

مرحباً أهلاً بأيام العملْ مرحباً بالجدِّ من بعد الكسلْ
مرحباً مدرستى : ألفُ تحيهْ لكِ منى كلَّ صبحٍ وعشيهْ
باجتهادٍ نبدأُ العام الجديدا فليكنْ يا ربَّنا عاماً سعيدا
وليكنْ فى مصرَ إقبالاً وسعْدا ولتزدْ بين الورى عزاً ومجْدا
نحنُ ما عشنا فداءٌ لحماها نبذلُ الأنفس منّا فى رضاها

٢ — صديق الطيور

الطيرُ كمْ أُكرمُهُ الطيرُ كمْ أرْضيهِ
أنا الذى أُطعمُهُ أنا الذى أسقيهِ

***

الطير لا أُعذِّبُهْ كلا . ولا أحبسُهُ
بلْ دائماً أُلاعبُهْ وداعماً أحرسُهْ

***

عصفورتى صديقتى تخصُّنى بحبِّها
قد زينتْ حديقتى بصوتها ولعبها



إليك أعتذر يا صديقي

كتب الأخ العزيز الأستاذ دريني خشبة كلمة فى الرسالة يدعونى فيها للمرة الثالثة إلى شرح نظرية وحدة الوجود. والحق أنى وعدت ثم أخلفت، وماكان يجوز أن أخلف الميعاد، ولكن الذى منعنى حق الوفاء هو عرفانى بأن لمجلة «الرسالة» قراء من جميع الطبقات فى جميع البلاد العربية والإسلامية، وبهذا يكون فى شرح نظرية وحدة الوجود بلبلة فكرية لا أحب أن يكون لها فى هذا الوقت مجال

وأنا أتأدب بأدب الغزالى حين ألف كتاباً سماه «المضنون به على غير أهله» وهو كتاب ألفه للخواص وطواه عن جماهير الناس

ولأجل أن يدرك الأستاذ دريني خطر ما يدعونى إليه أقول إنى أعتقد بأنه «ليس فى الوجود فضاء ولا سكون ولا موت»

وهذا الحكم الذى صغته فى كلمات يحتاج فى شرحه إلى مجلدات، ثم لا يصير مع ذلك من البديهيات، لأنه من الدقة بمكان

وإذا كان الأخ قد عجب من أن أترك الإسلام على جانب حين أفكر فى الأمور الفلسفية، فليس معنى ذلك أنى أرى فى الإسلام جوانب واهية كما قال، ولكن معناه أنى لا أحب أن أحشر الإسلام فى مضايق نهانا عن الخوض فيها رسول الإسلام

والأخ يعجب من أن أوثر السلامة وأتخوف من ظلم الناس، ويصرح بأن المفكرين فى العصور الخوالى قد تعرضوا للظلم والقتل، وفى هذا قال الأستاذ عبد المنعم خلاف كلاماً جاء فيه أن المفكرين فى هذا العصر لا يريدون أن يتحملوا فى سبيل مبادئهم أى إيذاء، مع أن أسلافهم كانوا يرحبون بالنفى والتشريد والقتل

والجواب حاضر: وهو أنى لا أرى لجماهير المسلمين مصلحة فى أن يؤمنوا بنظرية وحدة الوجود، ولو كنت أرى لهم مصلحة فى الإيمان بهذه النظرية لعرضتها فى كل مكان، وتعرضت من أجلها للنفى والتشريد والقتل

وتقول إنى فى كتاب التصوف الإسلامى أيدت هذه النظرية فى صفحات، ثم نقضتها فى صفحات، وأقول إن البحث العلمى الذى ارتضيته لنفسى يوجب أن أدرس كل نظرية من جميع الجوانب، مع التحرر من رأيى الخاص، حرصاً على تثقيف قرائى

ثم أقول مرة ثانية إنى أعتقد بأنه «ليس فى الوجود فضاء ولا سكون ولا موت» فإن بدا لك أن تنقض هذه النظرية فافعل إن استطعت، واملك تستطيع، لأغير رأيى فى نظرية وحدة الوجود، ولأسألك عن المكان الذى يقيم به خالق الزمان والمكان

ثم أقول: N'éveille pas le chat qui dort

فإن فعلت فستحترق، أنجانى الله وأنجاك من الاحتراق بنيران وحدة الوجود.

زكى مبارك

إلى الأستاذ نقولا الحداد

عرضت سؤال السيد على مراجع اللغة العربية — لا على مراجع الدين — فوجدت فى مادة (لحد) ألحد بمعنى عَدَل ومارى وجادل وترك القصد فيما أمر به وأشرك بالله. ووجدت فى (الزنديق) أنه أحد الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان، أو هو معرب زن دين أى دين المرأة ج زنادقة أو زناديق، وقد تزندق والاسم الزندقة، وعندنا نحن المسلمين أن الذى لا يؤمن بأن الله لا إله إلا هو، وأن الله الذى أرسل موسى هو الذى أرسل عيسى وأرسل محمداً وأرسل الرسل أجمعين بعقيدة التوحيد التى لم تتغير فهو ملحد وزنديق — أما أهل واق الواق والأقزام السبعة فلهم دينهم ولنا دين. وكذلك الذين لا يؤمنون إلا بالمادة الذين يقولون بأن الروح والسمع والبصر والفكر إن هى إلا من التفاعلات الكيميائية. ليعتقدوا ما شاءوا. فإن سألوا مراجع اللغة العربية عما تسميهم به. فقد عرفنا بماذا تجيب. أما حرية الفكر فمصونة بحمد الله الذى نؤمن به إلا أن يقدح أحد فى ديننا أو يسفه إيماننا أو يكذب قرآننا بحجة تلك الحرية المفتراة التى هى أسفل دركات الفوضى حينئذ

وتقبل يا سيدى الأستاذ الجليل أزكى تحياتى وأوفى احتراماتى

دمشق

بين تيمور وذهني

لم أفاجأ برد الأستاذ صلاح ذهني في عدد الرسالة الماضي ، ولكنني فوجئت بلهجة هذا الرد ؛ فالحقائق يمكن أن تقال ، دون أن يحتاج قائلها حتماً إلى البذاءة !

وأكبر ما يأخذه عليّ في رده أنني تحدثت عن تيمور مع جماعة من كتاب القصة والرواية ، — ولم أقصر الموازنة على كتاب الأقصوصة — فما قوله إذا كان « تيمور » نفسه هو الذي يضطر الناقد إلى هذا ، لأنه لا يقصر محاولاته على الأقصوصة ، فيحاول معها القصة والرواية ؟ وإلا فما « نداء المجهول » وما « قنابل » وكيف يتحدث الناقد عمن يحاول هذه وتلك ؟

أما حكاية أن ليس هناك « مدارس » فنية فلست أدرى إلى أي واد من الفوضى والسذاجة تقودنا فأدعها لأنها لا تستحق الحديث !

وقال : إنني نسيت توفيق الحكيم عند الكلام على « كفاح طيبة » مع أنه في « رواية » له اتجه إلى مصر القديمة و « الرواية » التي يعنيها هي قصة « عودة الروح » وهي تتناول عهد الثورة المصرية . فهل هذا هو ما يعنيه الأستاذ العلامة بأنه « مصر القديمة » ؟ ثم يا هذا العالم باللافتات « اليفط » كيف تتحكم فتحتم تسمية « عودة الروح » و « كفاح طيبة » روايتين ، ولا تسميهما قصتين ؟ ! مع اعتزازك العريض بأنك تعرف اصطلاحين ؟ !

ثم ينكر أن يكون المازني كاتب قصة . فبماذا نسمي « ابراهيم الكاتب » أو « ابراهيم الثاني » ؟ نسميهما مقالتين ، لأن المازني كاتب مقالة فحسب ؟ !

وينكر أن يكون لتوفيق الحكيم قصة . فما عودة الروح ، وما راقصة المعبد وما سواهما في عرف السيد صلاح ؟ !

ثم ماذا ؟

ثم يلجأ إلى لهجته وهو يتكلم عن جهلي بالتاريخ . فلقد رجحت أن تكون مدة حكم الهكسوس حوالي خمسمائة عام لا مائتين كما ذكر الأستاذ نجيب محفوظ . فما رأيه في جهل رجل كجوستاف لوبون يقرر في كتابه (الحضارة المصرية) « أن حكم الهكسوس بقي نحو خمسة قرون » وأن الصراع بينهم وبين حكام طيبة قد ظل أكثر من مائة وخمسين عاماً ؟ لعل مدة الصراع هي التي يجزم الأستاذ العلامة بأنها مدة حكم الهكسوس ؟

أما أنني مخطئ في تعقيبي على قول الملك (سكنن رع) : « لم تكن العجلات من آلات الحرب لدى الرعاة فكيف يكون لجيشهم أضعاف ما لجيشنا منها » لأن الهكسوس إنما أخذوا العجلات عن أهل فلسطين ... فلست أدرى كيف أرد على الأستاذ صلاح فيها . إنني في حاجة لأن أستعير لهجته !

الهكسوس سبقوا المصريين في استخدام عجلات الحرب أم لا ؟ أم قد غلبوا بهذا السبق أم لا ؟ هذا هو لب الموضوع . وتعقيبي في موضعه . أما تعقيب الأستاذ صلاح فله وصف آخر ليس الآن في قاموسي !

وأما أن أحمس مشتق من « الحماسة » بمعناها . فأنا في انتظار ما يثبته ، ولا يكفي أن يقرره العالم العلامة السيد صلاح ليصبح يقيناً لا شك فيه !

وأما أن بلاد بنت هي الصومال فهو محق في هذا وأنا مخطئ !

والمسألة أهون من كل هذا التبجح العريض

* * *

ما الذي أثار الأستاذ صلاح إذن ، وخرج به إلى تلك الهجة البذيئة ؟

أثاره أولاً : أن إشارتي إلى قصصه لم تكن مما يرضيه . فأنا إذن لا أصلح للنقد ! ولكنني كنت أصلح ولا شك يوم كنت أجامله فأكتب عنه كلمة تشجيع . وكان على الأستاذ القصاص الكبير أن يعرف أنني شجعته في البدء منتظراً خطواته إلى الأمام . ولم يكن معقولاً أن تظل لغة التشجيع وهو يخرج كتابه الرابع فلا يبدو أن هناك خطوة وراء الخطوة الأولى ، ولا يزيد على أن يظل مبتدئاً ! حينئذ لم يكن بد من التنبيه الرفيق وقد فعلت ، فأثار كل هذا الهياج

وأثاره ثانياً : أنني لم أرض تيمور . وهو يحس بينه وبين نفسه — وإن أنكر هذا كل الإنكار في أحاديثه — أنه ظل باهت لتيمور ، وأن له خصائصه في « متحف الشمع » مع الفارق بين الأستاذ والتلميذ . فهو إنما يدافع عن نفسه حين

يتخفى وراء أستاذه . أما تنصله الشديد العنيف من هذه التلمذة ، فشيء متروك لأخلاق هذا الجيل !

وبعد فإن إعزازي الشخصي البحت لصلاح هو الذي يدفعني إلى أن أناقشه ، وإلا فقد كنت أعرف يوم كتبت عن «تيمور» أن هناك صلاحاً وعشرة صلاحات أخرى ، سيمدون أنفسهم «خونة» إذا لم يشتموا هذا الذي لا يتملق تيمور ! !

سيد قطب

دعبل شاعر الهجاء

بمناسبة تشرفي بزيارة الوطن العزيز أخذت أطالع على بعض الكتب التي تتناول أخباره وحوادثه ، وكان من بينها كتاب (1) للرحالة العربي «البكري» خاص بوصف بلاد المغرب من كتابه المسمى «المسالك والممالك» ، وقد لفت نظري في الصفحة السابعة ما ورد بخصوص شاعر الهجاء «دعبل» ، حيث قال :

(... ولما فتح عمرو برقة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة ، وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين . وبزويلة قبر دعبل بن على الخزاعي الشاعر . قال بكر بن حماد :

الموت غادر دعبلا بزويلة وبأرض برقة أحمد بن خصيب

فرجعت إلى بعض المصادر الأخرى أبحث عن ترجمة وافية لهذا الشاعر على أهتدي إلى الأسباب التي دفعت هذا الشاعر أن يترك بغداد ويذهب إلى زويلة في جوف صحراء طرابلس . وكان من بين هذه المصادر معجم الأدباء لياقوت الحموى ، طبعة دار المأمون ؛ فوجدت له ترجمة في الجزء الحادي عشر ، ولكن صاحب هذا المعجم لم يتعرض لوفاة هذا الشاعر وأين دفن . أما كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان الذي نشره ديسلان ، طبعة باريس سنة ١٣٣٨ ؛ فقد أورد له ترجمة صغيرة مكتفياً بذكر بعض الأمثلة من شعره ، وقال في صفحة ٢٦٠ :

(... وتوفى سنة ٢٤٦ هـ بالطيب ، وهي بلدة بين واسط العراق وكور أهواز ...) . ثم تصفحت قاموس الأعلام للزركلي فوجدته يذكر في صفحة ٢٠٩ من الجزء الأول أنه توفى ببلدة الطيب كما ينقل عن ابن خلكان .

فإلى أدباء مصر ومؤرخيها أسوق هذه النبذة راجياً التفضل بتحقيق هذه الأسباب على صفحات الرسالة الغراء حيث لها المكانة الأولى في نفوسنا نحن الطرابلسيين ، والأمل معقود بأن يتفضل مؤرخ مصر الكبير الأستاذ عبد الحميد العبادى بتناول هذا الموضوع .

مصطفى بعيو
مسراته — طرابلس الغرب

(1) El-Bakri : Description de L'afrique septentrionale. "Alger, de Slane."

الخوارزمي أيضاً

أخذ الأستاذ على محمد حسن المدرس بالأزهر على الأستاذ منصور جاب الله في مقال نشرته الرسالة أنه لم يدقق في بعض أحكامه الأدبية ، ومن ذلك دعواه على القدامى بأنهم منحوا الخوارزمي لقب «الأديب» لأنه كان «راوية» ، ونبهه إلى أن الخوارزمي شاعر فحل وكاتب بليغ ، وكذلك أخذ عليه جريه مع النقاد القائلين بهزيمة الخوارزمي في المناظرة بينه وبين بديع الزمان الهمذاني

ولقد كنا ننتظر أمام هذه المآخذ أن يدافع الأستاذ منصور عن رأيه ، وأن يحدثنا كيف أطلق على الخوارزمي «لقب الأديب» لروايته فحسب ؟ ومن الذي أطلقه عليه ؟ ... وأن ينتصر للبديع في تلك المناظرة بأسباب وجيهة ، ولكن الرسالة طلعت علينا بكلام للأستاذ منصور لا جدوى منه ولا محصول له ، فقد وافق الأستاذ علياً على كل ما أخذه عليه ، وزاد أنه يعرف المراجع التي استند إليها الأستاذ في اعتراضاته «!» وأنه انساق إلى ذلك انسياقاً «!» . وماذا يفيد القراء أن يعرفوا أن الأستاذ منصوراً اطلع على هذه المراجع ، ولكنه انساق إلى ما انساق إليه انسياقاً ؟ . وهل أراد من ذلك أن يغض من خصمه ؟

نريد أن نقول للكاتب إن الأستاذ علياً قد نبه على ما نبهه عليه منذ ست سنوات في صيف سنة ١٩٣٩ حيث كان يكتب في السياسة الأسبوعية ترجمة للبديع يستطيع أن يرجع إليها إن شاء ؛ ونظن أن الأستاذ علياً لم يطلع على كتاب المستشرق ، كما «نحسب» أن الأستاذ منصوراً لم يطلع عليه ولا سمع به ، وإلا لانتفع منه ؛ على أن الانتصار للخوارزمي رأي قديم ، لا فضل فيه للمستشرقين ، وإن كنا لم نظفر بالأسباب التي ذكرها الأستاذ .

أحمد الشرباصي
كلية اللغة العربية

12 me Année No. 591

Lundi - 30 - 10 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٩١ « القاهرة في يوم الإثنين ١٣ ذو القعدة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٩٦١ تبارك رزاق البرية ... . . . : الأستاذ عباس محمود العقاد ....

٩٦٤ الحروف اللاتينية لكتابة العربية .. .. : الدكتور عبد الوهاب عزام ...

٩٦٦ صلوات فكر في محاريب الطبيعة ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...

٩٦٩ فتنة وحدة الوجود والدكتور زكي مبارك . . .. : الأستاذ دريني خشبة ... ...

٩٧٢ في عالم القصة ... . : الأستاذ سيد قطب .. ...

٩٧٤ حقائق عن الدماغ البشري : الأستاذ عبد العزيز جادو ...

٩٧٦ العنصر الانساني في كتاب « نماذج بشرية » ... .. : الأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجي ... ...

٩٧٩ فرقة التمثيل . . .. : الأستاذ حبيب الزحلاوي ...

٩٧٩ تعقيب ... ... : الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

٩٧٩ إلى الأستاذ توفيق الحكيم : الأديب محمد فاضل طلس ...

٩٨٠ نظرية دوركهيم والاصلاح الاجتماعي ... ... : الأستاذ سعد زايد ... ...

تبارك رزاق البرية

للأستاذ عباس محمود العقاد

ذهبت لرد الزيارة لضيف نابه من ضيوف مصر ينزل بفندق كبير من فنادق مصر الجديدة ، وكانت الليلة ليلة الأحد والسهرة سهرة راقصة في ساحة الفندق الكبير ، فجرى ما لابد أن يجرى في هذا المقام من حديث الحرب وملاهي الحرب وأغنياء الحرب وبذخ هؤلاء الأغنياء وحداثة نعمتهم في البذل والعطاء ، والروايات في ذلك كثيرة تضيق بها صحائف الإحصاء.

منها أن بعض هؤلاء الأغنياء دخل الفندق ومعه زميلة يريد أن يراقصها فاتفقت نهاية العزف الموسيقي في ساعة دخوله ، فنادى بأعلى صوته على رئيس الفرقة « فوكس تروت . فوكس تروت » ، واستجيب النداء في الحال ، لأن رئيس الفرقة على ما يظهر كان من عارفيه ومن طلاب عطاياه

فما هو إلا أن فرغ من رقصته التي لا يحسنها حتى دعا الخادم فأعطاه ورقة بعشرة جنيهات يوصلها إلى الرئيس المستجيب ، وورقة بجنيه واحد مكافأة للخادم على مشقة التوصيل !

ومن تلك النوادر أن غنياً « حربياً » آخر أفرغ جيبه في ميدان السباق من ورق لا يحصيه ولا يهتم بعده ، تعويضاً لزميلة له عن خسارة زعمت أنها قد منيت بها في بعض الأشواط ،

وهذه الزميلة لا تذكره بين أترابها إلا باسم « الحمار »

ومن تلك النوادر أن غنياً آخر جازف بعشرين ألف جنيه لينافس بعض الكبراء على هوى من الأهواء

وكانت هـذه الروايات — وبعضها حقائق مشهودة — تتوالى على أسماع بعض الغرباء عنها فيدهشون ويحنقون ويغلو بهم الدهش والحنق كما يغلو بهم الخوف على مصير المجتمع المصرى من هذه الغوايات فى أيدى أناس لا يستحقون ملء الجوف من خبز الشعير ، وهم يخدمون شهواتهم بثروات تعيى بها جهود الأكفاء والأمناء . فرفع رجل من الحاضرين إصبعه إلى السماء : رجل من الحاضرين لا شك فى إسلامه وإيمانه بوجود الله ، ولـكنه ذهل عن نفسه لما سمع من تلك المحرجات ، فصاح وهو ينظر إلى القبة الزرقاء : أأنت موجود ؟ أهـذا عدل فى قسمة الأرزاق ؟

صيحة قديمة على ألسنة المحرجين فى أشباه هـذه الأزمان ، قيل إن أبا العلاء صاحبها ، فقال :

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل
وترزق مجنوناً وترزق أحمقا
فلا ذنب يا رب السماء على امرئ
رأى منـك ما لا يشتهى فتزندقا

والبيتان معروفان ، ولـكن الشك كل الشك فى نسبتهما إلى أبى العلاء ، ومما أشبه بكلام ابن الراوندى حيث يقول :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقا

وأشبه بكلام غيره ممن لا أذكره الآن حيث قال :

تبارك رزاق البرية كلهـا ... على ما قضاه لا على ما استحقت
فـكم عاقل لا يستبيت وجاهل ... ترقت به أحواله وتعلت

وما من صيحة فى هـذا المعنى هي أوجع من صيحة ابن الرومى فى قصيدته البائية التى يقول فيها :

أترانى دون الأولى بلغوا الآ ... مال من شرطة ومن كتاب
وتجار مثـل البهائم فازوا ... بالمنى فى النفوس والأحباب
فيهم لـكنة النبيط ولـكن ... تحتهـا جاهليـة الأعراب
أصبحوا يلعبون فى ظل دهر ... ظاهر السخف مثلهم لعّاب
غير مغنين بالسيوف ولا الأقلا ... م فى موطن غناء ذباب
ليس فيهم مدافع عن حريم ... لا ولا قائم بصـدر كتاب

ولـكنه يثوب إلى تسليم الحائر حين يقول :

تبارك العدل فيها حين يقسمها
بين البرية قسما غير متفق

وما هو إلا تسليم الإعياء واللغوب لا تسليم الراحة والقبول

* * *

سمعت ذلك الرجل المسلم المذهول وهو ينظر إلى السماء ويصيح : أأنت موجود ؟ فقلت : نعم ! بل هذا هو الدليل على وجوده . فإنه لأعلم بما حرمه الله من نعمة الإنسانية ، فلو أراد أن يعوضه عما حرمه لـكان قليلا فى تعويضه أموال المصارف التى فى القاهرة جمعاء

وكانت هذه الصيحة تتردد فى مجالس الأدباء ورجال الفنون خاصة ؛ فـكان يطيب لى أحياناً أن أسليهم وأعابثهم فى آن واحد، فأسأل أحدهم : بكم تبيع ما وهب الله لك من الشاعرية ؟ وأسأل غيره : وأنت بكم تبيع ما وهب لك من الذوق الجميل ؟ وأسأل غيرهما : وأنت بكم تبيع ما وهب لك من الوسامة والقسامة ؟

فنهم من يقول إنه لا يبيعها بمال الدنيا ، ومنهم من إذا سألته تقويم الملـكات بالمال دون الرضى ببيعها وشرائها تردد فى ذلك وذكر الألوف ومئات الألوف ، وهو لا يظن المغالاة ، ولو صعد بالتقدير إلى الملايين

فهذى الألوف يا هؤلاء إذن « بدل مفقود » ... وأنتم أول من يرضى بتسويم السلعة على هذا المقدار !

ولا أدرى لم لم تخامرنى قط نقمة على نظام الـكون من هذه الناحية فى أوائل الشباب حيث تـكثر الشكوى ويكثر الطموح ، أو فيما بعد ذلك حيث يكثر إيمان الإنسان بحقه فى الراحة والرجحان ، ولعلها قلة الاكتراث بالمال هى التى جعلتنى أصغره فى حسابى أن يكون التفاوت فيه علة الشك فى نظام الوجود .

فقديما — قبل أربع وعشرين سنة — عرضت لهذه المسألة فى مقدمة الطبعة الثانية من مجمع الإحياء ، فقلت يومئذ : «لم أزل منذ دارت فى نفسى هذه الخواطر أسمع حجة واحدة هى أكثر ما يورده النـاس على فساد نظام الـكون ، وهى مع ذلك أوهن الحجج وأظهرها بطلاناً ، وتلك الحجة هى تباين موازين الجزاء

وتنزلها على خلاف المقرر المسلم به فى عرفهم . فهم يقولون : أما كان العدل يقضى بالتسوية بين الناس فى منازلهم وحظوظهم ؟ أليس من الغبن أن يقتضر الشاب ويؤخر الهرم ، وأن يحرم العامل ويغدق على العاجز وأن يرتفع الوضيع ويبتذل الكريم ؟ وإن كان هـذا مراد الأقدار أفما كان فى وسعها أن ترضى كل مخلوق بنصيبه وتغنى كل طالب عما ليس فى يده ؟ وازدادت هـذه الشكوى بعد الحرب الكبرى فسمعت فى كل مكان ، وكان لها فعل عجيب فى تغير الأحوال ، وستسمع فى كل حين ما دام الاختلاف بين الناس فتكون من أقوى دوافع التيار الإنسانى ... والشاكون بهذا اللسان لا يداخلهم الريب فى عدل شكواهم ، وينسون أن أنانيتهم هى الشاكية المتلهفة على التغيير وأن ليس العالم هو المفتقر إليه ، المتوقف نظامه عليه ، وإن أحدهم ليقول فى أيام رضاه ما لا يقول فى أيام سخطه ، ويتقلب أمله فى خالق الرضى والسخط . فهل يريد أن يتحول العالم معه كما تحولت به الصروف وتقلبت عليه الآمال ؟ . . . يشكون من تفاوت الأعمار والحظوظ ، وهم إنما تعجبهم من الرجل شجاعته وهمته وجوده ، لأن الأعمار مجهولة ، وان يكون لرجل على رجل فضل بشجاعة أو همة أو جود لو زالت المخاطر من الدنيا وتساوى الناس فى الآجال أو أمنوا الموت إلا فى وقت معلوم ، فإذا أمن الشيب والشبان فهل يرضيهم هذا العدل الذى لا تعيش معه فضيلة ، والذى يجعل الإنسان أشبه بالإنسان من اللبنة باللبنة ، فتبطل مزايا البأس والذكاء والأريحية والمروءة : لا قائد ولا مقود ولا سيد ولا مسود ولا حاسد ولا محسود ، ولا تتشعب علوم أو تتنوع صناعات أو تتعدد خصال وأعمال أو تتفرع أجناس وأديان . فأى دنيا تكون هذه وأى حياة ؟ إن هؤلاء الشاكين لو أسند إليهم أمر الكون لحاروا فى تصور هيئة غير هيئته ولهدموه قبل أن يؤسسوه »

* * *

منذ أربع وعشرين سنة كانت الحال كهذه الحال ، وكانت الدنيا فى أعقاب حرب كهـذه الحرب ، وكان أناس مسلمون وغير مسلمين يصيحون تلك الصيحة وهم ينظرون إلى السماء : أأنت موجود ؟

وكنت طوال حياتى أرضى أن أقول مع البحترى فى لاميته الميكالية :

أعد أجـل النائبات رزيئة وفور الرزايا وانثلام الأمائل
ولولا اهتمامى بالعـلى وانعكامها لما ارتمت ذعراً من تملى الأسافل

ولكننى لا أرضى أن أصيح صيحة ابن الراوندى ، ولا صيحة غيره من المحرجين فى قسمة الأرزاق ، لأن مقداراً من الدراهم ينقص هنا أو يزيد هنالك لا يزرى بنظام الكون كله ولا يساوى أن تنظر إلى القبة الزرقاء نظرتك إلى خواء .

فالآن أجدنى فى هذه الحرب أعيد إلى نفسى ما ابدأته فى الحرب الماضية ، وأجد أن لامية البحترى تمدنى بالشواهد حيث تقول :

أواخر من عيش إذا ما امتحنتها تأملت أمثالا لها فى الأوائل
وما عامك الماضى وإن أفرطت به عجائبه إلا أخو عام قابل

أجل هى ليلة شبيهة بالبارحة ، وفى كل عام قابل أو غابر عجائبه التى تغنيه ، ومسائله التى ترتفع منها الصيحة إلى القبة الزرقاء .

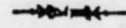
ولكننى إذا أنكرت الصيحة إلى القبة الزرقاء فليس فى وسعى أن أنكر دواعيها ولا مواجع النفس الإنسانية منها ، وغاية ما أصنعه بها أن أحولها من صفحات علم التوحيد أو علم « اللاهوت » أو علم ما وراء الطبيعة إلى صفحات علم آخر هو أولى بها وأحق بتصريف أمرها ، وهو علم الاقتصاد أو علم التشريع ، لأنها مسألة الأرض والعمل وليست مسألة الآباد والآزال .

عباس محمود العقاد

الحـــروف اللاتينية

للكتابة العربية(*)

للدكتور عبد الوهاب عزام



ذهب الأستاذ عبد العزيز باشا فهمى مذهباً عجباً فى نقد محاضرتىَّ اللتين نشرت خلاصتهما فى مجلة « الثقافة » ، بعد أن حشر ما حشر من الكلام الجافى الذى ذكرت نبذة منه فى المقال الأول . وإجمال هذا المذهب العجيب أنى كلما ذكرت مقدمة يقتضيها سياق الكلام قال هـذا أمر معروف ، وكلما عرضت لمزية من مزايا الخط العربى إيفاء لبحثى فى « الخط العربى مزاياه وعيوبه » قال هذا ليس فى الموضوع . فالموضوع فى رأى الأستاذ هو الاعتراف بقصور الخط العربى وسقمه والعدول عنه فوراً إلى الخط اللاتينى . هـذا هو الموضوع ، فمن جادل فيه فقد حاد عن الموضوع .

بيّنت حاجة البشر إلى الإبانة عما فى أنفسهم ، ونقلت جملة من كلام الجاحظ فى هذا . فقال الأستاذ : « آمنا وصـدقنا ، لا لأن الجاحظ أو غير الجاحظ قاله . بل لأن هذا ضرورة ماسة واقعة يدركها كل إنسان ، سواء أرادها الجاحظ وغيره أو لم يريدوها . . . وليس هولاء المفكرون إلا مجرد مسجلين للواقع المقضى بالضرورة . وهذا التسجيل أستطيعه أنا وأنت وكل عالم متمكن وكل ناقصى التعليم . الخ . » ، ولست فى حاجة إلى أن أدحض هذا الرأى فهو داحض بنفسه

وبيّنت تاريخ الخط فى العالم وتسلسل الخطوط من الخط الفينيقى إلى الخط العربى ، فاستبان أن الأصل القريب للخط العربى هو الخط النبطى . فقال الأستاذ : « وهو تقرير يستطيعه كل إنسان يعرف لغة أجنبية فيطلع على معجم من معاجمها المطولة . الخ . »

أفكان حتما علىّ أن أترك هذا الحديث وأحذف مقدمة لابد للبحث منها من أجل أن كل إنسان يعرف لغة أجنبية يستطيعه ؟ وهل من الحق أن كل من عرف لغة أجنبية استطاع أن يكتب فى هذا الموضوع . إن الأستاذ يكلف الناس علمه وذكاءه فيكلفهم شططاً

وقلت إن الخط العربى خط أمم منتشرة فى أصقاع مترامية ، وأن هذه الأمم على اختلاف لغاتها ، أخذت هذا الخط فزادت فيه ما احتاجت إليه وأحكمته وجمّلته . فقال سعادة الأستاذ : « وهذا التقرير معروف الموضوع عند الجميع . . . فهو هنا مجرد حشو وتزّيد لا غناء فيه . »

وكذلك ادعى الأستاذ فى مسائل أخرى تحتاج إلى البيان أو يحتاج إليها الاستدلال : أنها معروفة ذكرها حشو وتزيد . كأن كل مستدل يلزمه أن يحذف المقدمات المعروفة ، ويأتى بدعواه منكرة يعوزها الدليل . أليس الاستدلال يا سعادة الأستاذ هو الاستعانة بالمعروف على معرفة المجهول

لم أستطع والله أن أنسى وأنا أقرأ هذا الكلام وشبهه قصة جحا المشهورة ، إذ صعد المنبر فقال : أتعرفون ما سأقول ؟ — إلى آخر القصة التى يمنعنى من ذكرها أنها معروفة يعدّ ذكرها حشواً وتزيداً

وقلت إن من مزايا الخط العربى أن السامع يستطيع أن يكتب به ما يسمع دون عناء . ولا كذلك الخطوط اللاتينية ؛ فإن سامع الكلمة من بعض لغاتها لا يستطيع أن يضبط كتابتها بالسماع ، ولابد له أن يراها مكتوبة أو يعلم كتابتها ، ومقصدى أن أبين مزية من مزايا الخط العربى واللغة العربية ، وموضوعى هو تبيين المزايا والعيوب .

فقال الأستاذ : « إن حضرة المحاضر فى هذه القطعة ينسى نفسه تماماً ... إن أحداً لم يشك لحضرة المحاضر ولا لغير حضرة

(*) تأخر هذا المقال لسفرى إلى الشام من أجل عيد المعرى

المحاضر من أن الكاتب بالعربية لا يستطيع أن يكتب ما يسمعه . ما شكا أحد هذا إليه قط ، لأن أحداً — حتى ولا عطية كاتب الزراعة المجهول — لا يكاد يخطئ في رص حروف النغمات بعضها تلو بعض على الترتيب الذي يسمعه » . إلى أن ذكر الأستاذ أن هذه الكتابة التي تسهل على السامع بشكل على القارئ قراءتها . الخ . فهل إشكال القراءة وهو مسألة أخرى ينفي هذه المزية ، مزية السهولة واليسر على الكاتبين . أقول الكتابة العربية مسهلة على الكاتب . فيقول الأستاذ : لا تقل هذا فإنها صعبة على القارئ . فهل هذا جدل يساير « أدب البحث والمناظرة » . ومن الذي نفسه في هذا الجدال .

وقد رأيت — وهو رأى لم أسبق إليه ، وإن عده الأستاذ معروفا عند الناس أو في غير الموضوع — أن حذف حروف الحركات من الكلمة ملائم للغات السامية ، والعربية خاصة . ورددت هذا إلى اشتقاق هذه اللغات ، والتفريق بين الأصول والزوائد فيها . وقلت لو كتبت الحركات أثناء الكلمات لاضطرب أصل الكلمة ، وبان في صور مختلفة ، وضربت مثلا مادة كتب وقلت لو كتبنا : « كاتابا يا كتوبو ، في الما كتابي ، كيتابن » . بدل : « كتب ، يكتب ، في المكتب كتاباً » لالتبست مادة الفعل ، وهي أصل الاشتقاق والعمدة في التصريف ، وظهرت في صور تلبس الأصلي بالزائد — ولهذا كان خيراً أن تشكل الكلمات العربية شكلا خارجا عن بِنْية الكلمة .

قلت هذا فقال سعادة الأستاذ ما خلاصته : إن اشتقاق العربية وتغيير المادة فيها تغيّراً كثيراً يجعلانها أولى بالضبط من اللغات الأخرى التي لا تتغير موادها أو التي يقل فيها التغيير الخ . » ، وما كانت دعواى أن العربية باشتقاقها غنية عن الشكل ؛ بل كانت الدعوى أن الشكل الذي وضعه الخليل ابن أحمد أقرب إلى طبيعة العربية من إدخال حروف الحركات في ثنايا الكلمة . فنسى الأستاذ هذه الدعوى وذهب يجادل في غيرها . ثم ختم كلامه بقوله : « وعلى كل حال فإن الكلام في هذا الصدد هو كما ترى من قبيل الأدلة الخطابية المتخاذلة التي إذا عصرتها لم تجدها شيئاً ، ولم تدرك لها أية فائدة فيما نحن فيه »

ولست أدرى كيف سمى الأستاذ الاستدلال بالاشتقاق والتصريف والحروف والحركات أدلة خطابية . إنها أدلة برهانية واضحة ، ليست من قبيل الخطابيات ، ولكن الأستاذ يجادل كما يشاء ، ويدعى على مجادليه ما يشاء ، ويسمى الأشياء كما يشاء ؛ فكيف يستقيم معه جدال ؟

لم أرد الاستقصاء في هذا الجدال ولكن التمثيل . وحسبي ما ذكرت ، وإني أعترف أني عاجز عن الجدال على هذه الطريقة ، بل الجدال على غير طريقة ، وقد رجعت إلى نصيحة صديق لي من زعماء فلسطين نصحني ألا أحفل بالرد على مثل هذا الكلام

عبد الوهاب عزام

صلوات فكر
في محاريب الطبيعة !
للأستاذ عبد المنعم خلاف

أقباس من ظلمات القبح

إن القُبْح يتعرض لى لأصوِّره فى صحفى ! أليس قانوناً مؤثراً فى حياة الأرض كما يؤثر الجمال ؟

إذاً فاستيقظى يا رءوس الشر والقبح التى طال نومها وصَمْتها فى دنياى ، وحدثينى حديثك . . ارفعى رأسك ، وجرجرى جسمك ، وارقصى أمامى رقصاتك فقد جاء دورك !

وما صُوَرُ الأهوال فى جحيم « دانتى » ، ولا خيال الطفولة عن السَّعالى والغِيلان والجِنَّان فى كِسَف الظلام ، ولا أحلام اليَقَظَةِ و « الكابوس » على صدر نائم ممتلئ واسع الخيال مُرْهَف الحِسّ بأشدّ تهويلاً وتخييلاً وافتناناً مما أراه الآن فى عالم القبح ... !

سَيالات متدافعة من ظلمات الأوهام ... وتهاويلُ مُفزعة من شناعات الأشباح والأجسام ... وصور وأطياف من الوحل والجِرِ والقيح والصديد والغِسلين والزَّقوم وزفرات البراكين ورءوس الشياطين ، كل أولئك بعض ما تمر مواكبه فى خيالى الآن وأنا أستعرض ذلك العالم !

فسيرى أمامى يا جنود الشر التى تطمس نضارة الحياة وتنهش جسمها العبقرى وتشوه محياها الجميل ...

انسابى أيتها الزواحف السامة فى جنح الليل تحت أقدام الأحياء ، ورَوِّعيها بفحيحك الهامس ولسمك القاتل ...

إنكِ نفوس فى أجسام حية أيضاً ، ولكنها نفوس تعيش مقبوحة مسلولة ملعونة مطارَدة تجرجر أجسامها فى العفونات ، وترقب الحياة فى الأحياء العليا بعيونٍ حديدة محمومة من الحقد ، وأنياب يغلى فيها السم المخزون فى رءوس كلها حُوَيصلاتُ أذى ... !

انعَبى أيتها البوم والغربان على الأطلال والخرائب بصرخات تفزع منها طمأنينة النفس وتترك فيها أنغاماً جنازية قابضة تدبر منها بهجة الحياة ...

عيشى أيتها الجُعْلان والخُنْفُسان والدود فى الخبائث والعفونات ، وعلى أشلاء الأحياء ، غائبة عن عالم النور والعطر والطهر ...

رَضِّعى أيتها السوس والبُرغوث والبعوض حقول النبات وأجسام الإنسان والحيوان ، وأعطِبى ثمراتها ، وامتصى دماءها ، واشربى ماءها ...

اخفِقى أيتها الخفافيش البغيضة حائرةً محرومة فى غَبَشِ المساء بين الخرائب والأطلال فلم يبق لعيونك الخفشاء إلا وشلٌ من النور تَستَبحِين فيه ، وتحومين على الوجوه بمسٍّ كريه

خوضى أيتها الأحياء الدنيئة فى الأوحال والمناقع والأدغال متربصة بالأذى على طريق الحياة ...

انبعثى أيتها العفونات والنتنات وازكمى الأنوف وأفسدى الأذواق والطعوم واخنقى عطور الأزهار وطيوب الأشجار

اضربى يا أكُفّ الظلام النجم بالأُفُول ، والصحة بالمرض ، والصبا بالشيخوخة والذُّبول

ثُورى يا جبال النار واقذفى الحجارة المصهورة ، والمعادن الذائبة ، والشواظ الحارق ، وانشرى ذوائبك السود على أجواء الأحياء ...

***

وأنت أيتها القبائح الخفية فى قلوب الناس ! اطمسى جمال الحياة من داخل النفس كما تطمسه تلك من خارجها ...

انشرى العقوق والحقد والبغض والحسد والرياء والكبرياء وفرِّقى بين الأحبّاء ...

كُلِى قلوب البشر وأكبادهم ، وأثيرى شهوات أحشائهم على حكومة العرش الأبيض الهادئ فى رءوسهم ...

أعيدى إلى أضراسهم وأنيابهم وأظفارهم سُعار اللحم والدم ، وأذلِقى ألسنتهم بالسِّباب والهُجْر والمهاترة والعُواء ...

اجعلى لبطونهم سعة البحر ، ولأطماعهم جوع الجحيم ...

تسللى أيتها الجريمةُ رهيبةً مخيفةً للغيلة والغدر ، واختطفى حياة نفس آمنة شفاء لحزازات حقيرة وتلبيةً لصراخ الغرائز الوحشية .

أمطرى الدمع والدمَ ، وأحرقى شِغَاف القلوب ولفائف الصدور بالإثم ...

ازرعى قرون الشيطان أبيك العتيد فى كل مكان ، وضاعفى البذور ليتضاعف محصول الحصاد ...

ابرزى أيتها الحرب راقصة عارية بادية السَّوْآت خاضبة بالدماء ، حاجلةً على جماجم العباد وأنقاض البلاد ...

اختطفى زهرات الشباب من أحضان الأمهات والزوجات وضُمِّيهم إلى أحضانك الجافية القاسية عاشقين مخدوعين فانين ...

تربعى أيتهـا الجهالات والضلالات ، وانشرى سلطانك الغَشُوم المَقِيت على أفكار الحيوان المقدس !

* * *

افملن كل أولئك ياجنود الشر والقبيح وخُذْنَ مكانكن من مجال المعركة الأبدية بين الخير والشر وبين القبيح والجمال فى هذه الدنيا لترى نفس ما تختاره لنفسها فى تلك الحياة الآتية الموعودة التى لا يكون فيها مزيج من الخير والشر والجمال والقبيح فى مكان واحد . وإنما للخير والجمال وحدهما مكان ، وللشر والقبيح وحدهما مكان ...

فإن كانت الدنيا مزيجاً من عالم الجنة « وهو المباهج واللذات والكمالات » وعالم النار « وهو القبائح والآلام والنقائص » فإن الآخرة عالم جنة خالصة أو نار خالصة ...

وقد شاء الله للإنسان أن يحيا حياته فى الدنيا ذات الصبغة المزدوجة ليتعرف إلى العالَمَيْن ويختار أحدهما . فهو إذاً المسئول عن عذابه بعالم القبيح والشر الخالص فى أخراه ، إذ أنه هو الذى اختاره لنفسه فى دنياه ...

ومن العدالة ووضع الشيء فى موضعه ألا يدخل دار الجمال والخير إلا من مَرَنَ على الصفات الأساسية اللازمة لسكناها ومعاشرة قُطّانها .

ومعاذ الجمال أن يوضع البَشَمر فى طاقات الريحان والزهر !

أجراس

فى سمعى من سير الزمان أجراس رنانة تدق بالليل والنهار ... هى أجراس السكون والصمت اللذين يغمران العالم الأعلى ... لا يشغلنى عنها شاغل من ضجة مطارق البشر فى المصانع والمناجم ، أو جلجلة مدافعهم وقوارعهم فى الملاحم ، أو رنين صحافهم وأقداحهم فى المباهج والمناعم ، أو عويلهم وصراخهم فى المآتم ، أو عربدات مجَّانهم فى المباذل والمآثم ...

وسهلٌ أن ألاقى أجراس الحركة بأذنى وحاستى المحدودة . أما أجراس الصمت والسكون فعلىَّ من ضجتها ضغط ثقيل أجتمع له بجميع حواسى وقوى نفسى !

الزمن

فى « الكرنك » قضيت فى الشتاء الماضى سويعات من الزمن ! والكرنك أعظم رحبة من رحبات الأطلال الفرعونية ؛ فهو أثر صناعى بشرى ليس من الطبيعة . ولكن الزمن أضفى عليه من سحره ما جعله فيما وراء الوعى منى كأنه محراب من محاريبها . لفَرْط إيغاله فى القدم حتى ليتصل ببواكير التاريخ الإنسانى المعلوم ويتاخم منطقة المجهول من ذلك التاريخ

والزمن تشتد الحساسية به فى هاته الرحاب حتى لكأنها مقبرته . نرى فيها مومياءه وجُثْوَتَه تضحك لنا بفكين مقبوحتين وعينين مطموستين وشفتين مقلوصتين ! وتغمرنا منه سَيَّالاتٌ ورعشات حتى لنحُسُّه حين نحس هذه الأطلال التى طالما رأت صباحه ومساءه وصيفه وشتاءه وظلاله وأفياءه وظلماته وأضواءه فى يوم واحد مُعاد مكرور يُشيب الصغير ويُفنى الكبير ويُبلى الحجر ...

وبينى وبين الزمن علاقة سيئة ! فأنا لا أباليه ولا أحفل به كثيراً . فالحياة عندى منذ أدركتها يوم واحد لا أزال فى بهجة من تعاجيب صبحه وضحاه .. ! وقد أقبلت على حدود الأربعين ليس بينى وبينها إلا خطوات ثلاث . ومع ذلك فأنا من حساسيتى بالطبيعة وأذواق الحياة أسير فيها كمبتدئٍ حياته أو كمبتدئٍ رحلته ، يريد أن يتخفف من أثقال الزمن وأوقاره حتى يَعْبُر الأسواق بجسم خفيف ونظر طليق لماح يرى كل يوم جديداً ...

ومع هذا الشعور الذى يكاد يلازمنى قد أحسست حين دلفت إلى معبد الكرنك بين صفين من تلك الكباش الرابضة منذ خمسة آلاف سنة تستقبل الوافد فى وداعة وقوة ، أننى قادم على الزمن شيخاً هرماً راعشاً راهباً ترهَّب وتعبَّد فى الحجرات المظلمة والدهاليز المتداخلة والأقبية المسحورة التى تضمها أسوار هذا المعبد

وقد تركت لرفاقي حظ الاستماع إلى شرح « الدليل » وسرد التفاصيل ، وأقبلت على أوهامي أطلقها تلعب فى ملاعب الأوهام القديمة التى كانت تعيش بها الإنسانية فى تلك العصور السحيقة وتجسمها فى التماثيل والتهاويل التي على عجزها وجمودها تثير خيال ناظريها واللائذين بها وتجملهم يخلعون عليها ألواناً من حياتهم ويبادلونها أحاديث نفوسهم ...

***

أأطلال هذه أم ظلال ! وجنادل وصُفَّاحٌ أم أوهام وأشباح ! أهذه أعمدة المعبد الفارعات أم كاهنانه الراقصات ! أنهارِي هذا الطالع المشرق أم نهارهم ! أبقايا ظلام مخزون هذا الذى أراه جاثماً فى حجرات أسرارهم أم ظلام جديد !

أهذه النسمات التى تمسح وجوهنا الآن خفقات رياح القرن العشرين بعد الميلاد ، أم رياح القرن الأربعين قبل الميلاد ! أنحن أرواح بائدة تجوّل فى خلال هذه الأطلال أم نحن فلان وفلان وفلان من أبناء هذا الزمان ؟ أقصائد مرسلة هذه الأطلال أم حجارة ميتة جامدة !

ألا بقية حياة تحدثنا بصوت حى بين الرِّجام ؟ !

ألا تعست الأحلام وخابت الظنون ! فبين اليوم وأمس جدار بحجم دورة الشمس فى عرض السماء ! فما بالك بما بيننا وبين هاتيك الأيام من دورات !

لماذا هذا التعلق بالبقاء يا أبناء الفناء ؟ لماذا تولهون قلوب الأحفاد أيها الأجداد ؟ لماذا تعمقون الإحساس بالزمن ؟ امضوا من غير أن تتركوا صُوًى وأعلاماً على الطريق ، حتى لا يُراع بعدكم أحد ، من طول المدى بين الأزل والأبد !

وإنه ليخبِّل عقلك ويُشرِّد لُبك أن تبحث عن عُمَّار هذه الهياكل الذين كانوا ! وأن تضع قدميك على مواطئ أقدامهم ، ويديك على ملامس أيديهم ، وعينيك على مواقع أنظارهم !

وإنك لتحس لذع السخرية يصبُّها الزمن على حسك ووعيك حين تحين منك التفاتة إلى وجه الشمس من خلال ظُلَل المعبد ؛ فتراها لا تزال كما رآها أجدادك جديدة الوجه عنيفة الشباب مصقولة المرآة قوية الضحوة ، وكأنها بنت يومك أنت وُلدتْ فى صبحه وبُكْرته !

وإنك لتوشك من فرط التخييل أن تنادى الأفراد المغمورين المملوكين والسادة المالكين والكهنة حاذنى الأسرار ليجيبك صدى صوتك مردوداً إليك باليأس والعجز بعد أن تتلقفه الزوايا والأبهاء وتعوى به التماثيل الصماء !

أكذلك أطبق ظلام الموت وظلام الأرض على أشخاص الأحياء فغابوا فيه ثم بقيت أعمالهم فى محيط الجوامد الخوالد ؟ !

أكانوا أمواج ماء اضطرب به سطح الأرض فأرْغَوا وأزْبَدوا وهدروا ، حتي وصلوا إلى شاطئ الموت فانساحُوا وفَنُوا بأصدافهم وقواقعهم وزَبَدهم وغثائهم !

أذهبوا وبقيت أحجارهم خالدة ؟

وهل يملك فانٍ أن يصنع خالداً ؟

لقد أجملها حسرةً (أبيدُ) فأرسلها كلمة جاهلية ترجمت كل معانى إحساس النفس البشرية بالألم فى كل عصر حين ترى أن نصيبها من الزمن أوكس حظاً من نصيب الجماد . إذ قال :

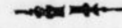
بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الديار بعدنا والمصانع !

عبد المنعم خلاف

فتنة وحـــدة الوجود

والدكتور زكى مبارك

للأســتاذ درينى خشبة



لست أدرى علة هذا الموقف الذى يحاول أن يقفه الصديق الفاضل الدكتور زكى مبارك من فتنة وحدة الوجود ! لقد حاولت بكل الوسائل أن أجتذبه إلى الميدان الذى لم يكن شك فى أنه واجد فيه أخوة كريمة وصراحة تامة ، وطريقاً منضورة بالورد . لكنه آثر السلامة آخر الأمر ، وليته فى إيثاره السلامة كان رحيماً بالناس كما يقول فأغلق باب جهنم حتى لا يَصْلَى بحرها أحد لا من الخاصة ولا من العامة …

لقد وعد الأخ الكريم أن يُجلِّى للناس غامض هذه الفتنة بعد إذ لاحظ أن كل الذين كتبوا عنها حاموا حولها ولم يخوضوا فيها … لكنه أخلف ، ثم وعد ، ثم أخلف ، ثم وعد … ثم آثر السلامة آخر الأمر ، خوفاً من بلبلة أفكار المسلمين ، وإشفاقاً على العامة من أن يزلزل إيمانهم … فما هذا الذى يقوله الأستاذ ؟ وأى وسيلة لبلبلة الأفكار أفتك من هذه الوسيلة من وسائل الحوار ؟ إن الأستاذ بموقفه ذاك يلقى الريب فى قلوب المسلمين أضعاف ما كان يفعل لو أنه توكل على (الوجود المطلق الكلى) فشرح لنا وحدة الوجود كما يفهمها ويؤمن بها … على أننى أسبق فأطمئنه ؛ فمهما حاول الأستاذ أن يوهم بأن الذى قاله الشيخ معروف الرصافى فى هذه الوحدة حق ، فلن يتأثر بإيهامه أحد من المسلمين الصادقين الذين لا يعقلون كيف تكون الحمير والبغال والمجانين والببغاوات … و … وهذه القطة النائمة التى (تخربش) من يوقظها أجزاء من الله الذى يعبدونه ويخبتون له أومظاهر لهذا الإله العجيب الذى يقول أنصار وحدة الوجود إنه لا وجود إلا له … أما هذه المخلوقات فهى باطل … هى وهم … ولست أدرى كيف يكون وجود الرصافى وهماً وباطلاً ، ووجود الدكتور زكى مبارك وهماً وباطلاً … وها هو ذا يعترف بوجود نفسه ويعترف الناس بوجوده ويأكل ويشرب ويسافر وحده أو مع غيره ويعلم وينتفع الناس بعلمه وينصح التلاميذ الأغنياء ويواسى التلاميذ الفقراء ، ويكتب فى الجرائد والمجلات ويحاضر ويخطب ويؤلف إلى آخر ما يقوم به من شؤون هذه الحياة الدنيا

ولست أدرى كيف يؤمن أخى الدكتور زكى بأنه لا وجود له وهو ينكر الموت فى السؤال الذى يوجهه إلى لأحترق إذا حاولت أن أبينه له ! إن الوجود كما تقول يا صديق ليس فيه موت ، فكيف تؤمن بوحدة الوجود إذن وهى تقول — أو المخرفون الذين يؤمنون بها يقولون ، إن الموجودات كلها عدم ، ولا وجود إلا للوجود الكلى المطلق الذى لا أدرى وحياتك يا أخى ماهو ؟ ثم كيف تجهر يا أخى بأنك تكفر بالموت ؟ أتمنى بذلك أن أحداً من حضرات أجدادك — وأجدادى — لم يمت ؟! احذر يا أخى أن تظن أننى أستهزىء بأحد ، فالمسئلة أجل من هذا ! أحرام إذن أن أدعو لوالدى وأجدادى بالرحمة ، وهذيان أن أقول اللهم ارحم أجداد أعز أصدقائى الدكتور زكى مبارك ؟! ثم ما هذا الذى تقوله يا أخى ؟ لماذا توهم الناس أن وراء الأكمة قطة (تخربش) ! وقد آثرت القطة الظريفة اللطيفة السلامة ؟ ثم ماذا تصنع الخربشة ما دام أنه لا موت ؟ وماذا فى الاحتراق تخيفنى به وهو لا يميت ؟! ولماذا تمنعنى عن الإجابة على سؤالك فتدعونى بهذا المنع إلى السكون ، وأنت نفسك فى سؤالك تجهر بأنه لا سكون . . . وبهذه المناسبة يا أخى ، هل باطن جبل المقطم متحرك غير هذه الحركة الكلية التى تحمله فيها الكرة الأرضية فى رحلتها السماوية ؟ وهل باطن الجنيه الذهبى الذى تشترى بألفين منه — ألفين عداً ونقداً — عزبة عامرة بفلاحيها وجاموسها وبطها وأوزها ؟ وإذا كان باطن المقطم متحركاً ، وباطن الجنيه — الجنيه الذهبى ! — متحركاً ، وباطن كتلة الفولاذ متحركا ، وباطن زجاج كؤوس الطلى التى حفها ـ أو لم يحفها ـ الحبب ـ المتحرك دائماً ـ متحركا … فموضعنا نحن المؤمنين السذج على الله فى عقولنا ، أو فى غباوتنا !

آه … تذكرت … إن كتلة المادة مركبة من الكترونات ! والالكترونات هى هذه الذريرات من الكهرباء السالبة تدور بسرعة حول بروتونات من الكهرباء الموجبة . وعلى هذا فكل شىء متحرك حتى باطن جبل المقطم وباطن الجنيه الذهبى

والفولاذ وزجاج كؤوس الطلى ... وحتى الموتى متحركون بتحرك ذراتهم على هذا النحو ... وليس فى الدنيا فضاء لأن الفراغ الموهوم بين الكواكب والسدم تملأه الجاذبية ؟! وما الموت عندكم إلا نوع من أنواع التحول !

ولكن ما هذا كله وما نحن فيه ! لماذا تخيفنى يا أخى إن أنا أجبت على سؤالك الهائل على هذا النحو ؟ وبعد صدور الرسالة صبيحة يوم الأحد بنصف ساعة ؟! هل كنت تحسب أن الإجابة على هذا السؤال هى من قبيل ذلك المضنون به على غير أهله ؟ لأنه من العلوم اللدنية . على أن الأمر أيسر من أن يخفى وراءه أحداً . إنك تريد أن تقول إنه ليس فى الوجود فضاء ، فلا مكان لله إلا المكان الذى يشغله العالم !؟ وعلى هذا فالله حال فى العالم . وإذن فأنت تؤمن ، مع إيمانك بوحدة الوجود ، بالحلول الذى ينافى الإسلام الصحيح

يا أخى :

قبل أن نبعد ... أصارحك أنى لا أقبل الدنية فى دينى ، ومن الدنية فى الدين أن ألف معك إذا لففت ، وأن أداورك إذا داورت . لنكن صرحاء إذن . فمن ورائنا ألوف القراء من المسلمين ومن غير المسلمين يرتقبون أن تنكشف هذه الغمة التى لم أفر من ميدانها حينما طلبت إلى أن أساجلك فيها ، ولم أطلب أنا منك شيئاً قط قبل أن تبدأ أنت بطلب هذه المساجلة ، فى أمر أنت أول من يشهد بين يدى ربك أنه باطل ، لأنك أقمت على ذلك الحجة التى لا تدفع فى كتابك القيم الذى كان سبب هذا الشر ، ولن يصدقك أحد اليوم إن تصيدت المعاذير عن نقضك لهذه النظرية بمثل الحجة الفارغة التى جئت بها فى كلمتك الظريفة فى العدد الماضى ، والتى تدعى فيها أن « البحث العلمى الذى ارتضيته لنفسك يوجب أن تدرس كل نظرية من جميع الجوانب مع التحرر من رأيك الخاص ، حرصاً على تثقيف قرائك » . فليس هذا بعذر ! لأنك لم تتبع تلك الطريقة فى أى كتاب من كتبك ، لأنك أقمت الدنيا وأقعدتها بكتابك عن الغزالى لأنك أعلنت فيه عن (رأيك الخاص) الذى كان الإجماع منعقداً ضده ومع ذلك فقد انتصرت ! هذا ، وقد ألممت ، بالرغم من ذلك بكل النظريات التى سبقت إليها عن الأخلاق عند الغزالى ، وأرجوك أن تعود إلى كتابك الثمين هذا فتقرأه إن كنت قد أنسيت ما فيه

ثم أنت قد أتيت فى كتابك عن النثر الفنى ـ هذا الكتاب القيم أيضاً ، الذى أشدت لك ألف مرة بقيمته ، بالرغم من البقع الكبيرة التى فيه ، بنظريتك العجيبة التى لا يقرك عليها أحد فى إعجاز القرآن بمعانيه لا بأسلوبه . وهذه النظرية هى بلا شك رأيك الخاص الذى جئت اليوم تزعم أنك تخفيه وتتحرر منه فى دراستك لأى نظرية من جوانبها المتنوعة ... وأعود فأرجوك أن تعود إلى كتابك الثمين هذا فتقرأه إن كنت قد أنسيته

ثم أنت أيضاً فى كتابك عن التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق لم تكن مقراً للنظريات التى سبقك إليها الناس ، وإلا ما استحققت قط أن تمنحك الجامعة درجة الشرف فى الفلسفة . بل منحتك الجامعة هذه الدرجة لحسن مناقشتك لتلك النظريات وتزييف ما يستحق التزييف منها ، وإحقاق ما يستأهل الإحقاق ، ولو من وجهة نظرك أنت ، لا من وجهة نظر الممتحنين ... ويؤسفنى أن تضطرنى إلى تذكيرك بهذا كله بعد كل ما نلته من درجاتك الجامعية ... كما يؤسفنى أن أراك تقف هذا الموقف فى قضية لا تستطيع أن تجهر برأيك فيها بعد أن أعلنت (أنا) للعالم أنك عندى أجرأ كاتب فى مصر ، بل فى الشرق العربى كله ! فإذا سألتك هل تخشى على الإسلام شيئاً من إعلان ما تعتقد أنه الحق فى نظرية وحدة الوجود نفيت ذلك النفى الشفشاف ، وقلت : كلا ، بل خشيتى هى على عامة المسلمين الذين لا خير لهم فى الإيمان بهذه النظرية . . ولست أدرى لماذا لا ترى لهم مصلحة فى الإيمان بها ؟ أليس كما قررت فى كتابك لأن هذه النظرية تهدم القوانين والشرائع وتنسف الأخلاق المقررة التى تواضع عليها الناس ، والتى يكون أمرهم بدونها فوضى يستوى فيها الخير والشر ، والتقى والدعارة ، والهدى والعمى ، والرشد والغواية ، والأبيض والأسود ، والسجود بين يدى الله الواحد القهار ، وإكباب المرء على حليلته فى وضح النهار !

ما هذا الموقف الزئبقى يا صديق ؟

كيف تتنكر لماضيك بهذه السهولة وبذلك اليسر ؟ وكيف

تخشى أن تعلن عن رأى تؤمن أنه الحق ، وأنت تعلم أنه يتنقض ديننا الحنيف وينافيه ، لأنه دعوة إلى التجسيم والحلول، وإن حاول أهل وحدة الوجود أن ينكروا ذلك بادعائهم أن جميع المخلوقات باطل ووهم لأنه لا موجود إلا الوجود المطلق الكلى ؟

وبعد . فقد كنت لخصت آراء صاحبك الرصافى التى علق بها على كتابك فى التصوف ... وقد ذكرت أن هـذا الرجل يجهر بما يأتى :

١ — أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو مخترع خرافة وحدة الوجود

٢ — وأنه لم يخبر بذلك أحداً من أصحابه إلا ما لمح به لأبى بكر

٣ — وأن القرآن من تأليف محمد بدليل ما دأب على ذكره من قوله : قال محمد فى القرآن

٤ — وأنه كان يعتذر لمحمد عن ذلك بأنه كان يفنى فى الوجود المطلق الكلى فيخيل إليه أنه ينطق بلسان الله الذى هو هذا الوجود

٥ — وأنه لا يرى معنى للصلاة والأدعية لأنها لن تغير فى نظره شيئاً من قوانين الوجود المطلق الكلى التى هى قضاء الله وقدره ...

٦ — وأنه لا يرى معنى للبعث الذى يؤمن به المسلمون وجاء به القرآن الكريم

٧ — وأنه لا يرى معنى للحساب ، ولا للثواب والعقاب . إنما الثواب أن (يموت الإنسان) فيعود إلى التراب ويتحد بالوجود المطلق الكلى ... والعقاب هو ذلك أيضاً مع شىء من وخز الضمير

٨ — أن المتضادات أمام الوجود المطلق الكلى سواء ، ومن هنا استواء الخير والشر وغيرهما مما قدمنا . ومن هنا ألوان الشذوذ الأخلاقية التى نددت من أجلها بالمتصوفة ... أو ببعضهم ... فى كتابك

٩ — أنه يخضع تفسير كثير من آيات القرآن لأهوائه فى خرافة وحدة الوجود . فالله : الظاهر والباطن . أى المنظور المسموع المشموم المأكول الخ . ثم ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى . أى الجبر المطلق الذى ليس معه لمخلوق اختيار فى شىء ما

ثم أشياء أخرى لا أذكرها الآن

فما رأيك أنت فى هذا كله ؟ أحق هو ؟ إنك إلى الآن تؤيد نظرية وحدة الوجود وتشفق من تفسيرها على ما نرى . فكن حراً فى إشفاقك هذا ، ولكن هل تتفضل فتبدى رأيك فيما يذهب إليه صاحبك من هـذه الآراء التى ربما خيل إلى الناس أنك تؤمن بها لإيمانك بوحدة الوجود !

يا دكتور زكى :

أعود فأذكرك أنى لا أرضى الدنيّة فى دينى ، وأنى لن أبقى على إرضائك لأسخط الله ... وأنت الذى انتهيت بى وبك إلى هـذا الوضع ، وهأنذا قد كشفت عن مقصدك فى سؤالك عن الفضاء والسكون والموت . فهى ألا نعود إلى إيثار السلامة وإثارة الغبار فى وجوه الناس

ولست أحذرك أن تحترق بشىء ، ولكنى أدعوك بالهداية والتوفيق ، وهكذا علمنا رسول الله ، فلنتخذه أسوة

دريني خشبة

على هامش النقد

في عالم القصة

شعاب قلب ... حبيب الزحلاوى

للأستاذ سيد قطب

« شعاب قلب » مجموعة أقاصيص للأستاذ حبيب الزحلاوى، من أفضل المجموعات التى ظهرت باللغة العربيـة . ففيها طبيعة قصاص ، وقلب إنسان ، وقسط من الشاعرية فى الإحساس بالخلجات النفسية ، وبصور الكون والحياة . وهى سمات تكفى لتقرير حقها فى الظهور ، ثم يبقى بعد ذلك مجال تقويم هذه السمات !

فيها طبيعة قصاص ، يعرف كيف يتناول موضوعه ، وكيف يدير فكرته ، وكيف يضمن شوق القارىء ، ومتابعته للأقصوصة فى غير تعمل ولا تكلف ، ولا مغالطات براقة

وهو قصاص طويل النفس — فى الأقصوصة — متعدد المسالك ، والبناء الأصلى لأقصوصته . يصلح لأن تقوم عليه قصة مع بعض التعديل والتحوير

وفيها قلب « إنسان » إنسان حى يعيش على هذه الأرض ، ينفعل بأحداثها ويستجيب لهذه الانفعالات ، ويتابعه القارىء فى نبضه الطبيعى : يبطىء ويسرع ويرتفع ويهبط ، كما تنبض قلوب الآدميين ، فى هذه الحياة

وفيها قسط من الشاعرية ، ينقذ القصة من الواقعية المحدودة الضيقة ، ويطلق فى جوها بعض الإشعاعات الحارة . دون أن يحيلها إلى جو رومانتيكى مصطنع ، ولا إلى أسطورة خيالية . إنه يمنحها الحرارة الإنسانية الطبيعية وكفى !

ولا يحسب أحد ـ تبعاً لهذا ـ أن الزحلاوى قد بلغ القمة . كلا . فهذه الصفات التى أعددها هى ـ فى اعتقادى ـ بعض الشرائط الأولى للأقصوصة . ويبقى المجال بعدها مفتوحاً للسباق والمفاضلة . وعلى الذين تخلو أعمالهم القصصية من روح القصاص ومن حرارة الإنسان ، ومن قبس الشاعرية ، أن يبحثوا لهم عن عمل آخر فى الحياة !

* * *

تحتوى هذه المجموعة على تسع قصص . كلها موسومة بهذه السمات التى أسلفت على تفاوت فى حظها منها . وكلها موسومة بسمة أخرى ، هى دليل الصدق فيها جميعاً

الأستاذ حبيب « الزحلاوى » ليس مصرى الأصل — كما هو واضح من نسبته — وللبيئة فى بعض جاراتنا الشرقية إشعاعات معينة ، قد لا نحسها فى البيئة المصرية على هذا النحو من العنف والوضوح . وهذه القصص تحمل — عدا طابعها الإنسانى العـام — طابع هذه الإشعاعات البيئية الخاصة

بعض هذه الجارات يضيق بسكانه ، فهم أبدا يمدون أبصارهم إلى مطالع أخرى : تارة تكون هذه المطالع نقلة جسم إلى حيث تتوافر وسائل الحياة . وتارة تكون نقلة روح ، إلى حيث الغنى والثروة ، أو السعة والحرية

وأقول الحرية : لأن التقاليد الدينية والاجتماعية ، ولا سيما قبل ربع قرن ، ربما كانت من الصلابة والشدة بحيث يفر منها الكثيرون ينشدون الحرية والطلاقة إما بأجسامهم وإما بخيالهم . فهناك أبداً رغبة فى الانطلاق ، وهناك أبداً شىء من العنف فى التفلت من القيود ، وفى الإقبال على الحياة

حلم الثروة ، وحلم الحرية ، هما الحلمان الواضحان فى كل قصة من هذه القصص على وجه التقريب ، وهما ينبعان من منبع واحد ، ويتجهان فى اتجاهين متضادين ، يؤديان فى النهاية إلى طابع واحد ؟

هما ينبعان من الضيق بالواقع : الواقع المادى ، والواقع المعنوى ، الضيق بالمجال المحدود الذى لا يتسع لأهله من السكان . والضيق بالقيود والتقاليد ، التى تقف دون أشواق الإنسان

وهما يتجهان فى اتجاهين متضادين : أحدهما الرغبة فى الغنى والحرص على جمع الثروة ، (وقد تقود الرغبة والحرص إلى الجور على المتعة بالحياة ، والانطلاق مع الأشواق) وثانيهما الرغبة فى الانطلاق من القيود ، والاندفاع للمتاع (وقد تقود الرغبة والاندفاع إلى التضحية بالغنى ، والاستهتار بالمال) !

وهما يؤديان — فى تناقضهما — إلى طابع واحد : طابع التقلقل والاضطراب ، والحيرة بين هذا وذاك

وينشأ من هذا كله إشعاعات نفسية خاصة ، هى التى تجمع فى النفس الواحدة بين يقظة التاجر وحلم الشاعر ؛ وبين عنف الثائر وترفق المهاجر ، وبين استغراق البوهيمي ، وروحانية الصوفى ...

وكل هذه الإشعاعات تبدو فى هذه القصص على السواء . تبدو وتبدو معها صفحات فى وصفها وعرضها وتحليلها ، هى التى تجعلنى أقول : إن هذه المجموعة من أفضل المجموعات التى ظهرت باللغة العربية

***

من عيوب هذه المجموعة أن يحفل بعضها بالتوجيهات الفكرية ، والنظريات الفلسفية والاجتماعية ، بحيث يطغى هذا على صور الانفعالات النفسية ، والحوادث الواقعية . والفن فن . ومهما يكن للعلم والفلسفة من مكانة . فيجب ألا يجتازا عتبة الفن إلا بمقدار ، ومقدار لا يبرز بل يبقى وراء الستار

وقصة « إشاعة طلاق » مثال بارز لهذا العيب فى المجموعة ، فهى قصة رجل فنان تزوج ، وسارت حياته الزوجية فى المبدأ كما يبتغيها فنان ، ثم نظر . فإذا المرأة قد صارت أمًّا وربة بيت لا عروساً جميلة ، ولا زوجاً أنيسة . فضاق بها وهجرها ، وانطلقت فى محيطهما « إشاعة طلاق » وفى النهاية يرسل إليها رسالة طويلة ، يشرح لها فيها ما دعاه إلى العزلة ، ويبين لها وظيفة المرأة الكاملة ، مع رجلها الفنان

فى هذه الرسالة « توجيهات » أطول مما تحتمل الأقصوصة ، وأبرز مما يحتمل العمل الفنى . وهذه التوجيهات لها قيمتها فى ذاتها ، وهى تحليل صحيح لنفسية الفنان ، ولوظيفة المرأة ولواجب الزوجة . ولكن قيمتها هذه لا تبرر حشرها ـ بهذا الطول ـ فى أقصوصة وكان خيراً أن تبدو فى حركات ولفتات ، لا فى عبارات وكلمات

ومن عيوبها كذلك بعض أخطاء السياق كما فى قصة « تربص القدر » حيث يلتقى القصاص بزميل له لم يره منذ ست سنوات . كان هذا الزميل من الدعاة ضد الزواج . فإذا لقيه اليوم بغتة ، اندفع يقص عليه أنه تزوج وأنه أسعد مخلوق بهذا الزواج . ثم يقص عليه كيف تزوج فى نوبة حماسة إنسانية وكيف وجد الحياة الزوجية التى كان يخشاها حياة جميلة حافلة بما لم يخطر له على بال ... وبعد هذا كله يفاجئه بأن زوجته قد ماتت منذ أيام ، وأن حياته الآن لا تطاق ، وأنه خرج ذاهلاً يتمشى فى الطرقات !

إن إنساناً منكوباً ، خرج ذاهلاً يتمشى وحده فى الظلام حين يلقى صديقه لا يكون من التماسك بحيث يبدو سعيداً ، وبحيث يقص أولاً قصة سعادته . إن الطبيعى فى هذه الحالة أن يبادر صديقه بقصة نكبته التى تسيطر هذه اللحظة على نفسه ، وتتراءى مجسمة فى خاطره ، ثم يتدرج منها إلى استعراض سعادته الضائعة

ولقد يبدو ـ من وجهة الفن القصصى ـ أن الطريقة التى سلكها المؤلف هى الأولى . لأنها تضمن شوق القارىء ومفاجأته مرتين : عند ما يعلم بزواج هذا الذى كان داعية ضد الزواج ، وبسعادته فيما كان يفر منه ويخشاه . ومرة عند ما يعلم بالكارثة التى كان يتربص بها القدر ، لينزلها به وهو فى أوج سعادته

ولكن الصدق فى عرض هذا الإنسان ـ وهو فى حالة الذهول بالنكبة ـ أولى من كل حيلة فنية . وعلى قواعد العرض الفنى أن تتحور وتحتال لتحقق الصدق ـ وليس على الصدق أن يتحور ويحتال ! وقد كان هذا ممكناً لو أن المؤلف حكى عن زميله ولم يدعه يعرض حكايته بنفسه . أو لو أنه سلك أية طريقة أخرى من طرق العرض الفنى الكثيرة

إلا أننى أحب هنا أن أنبه إلى أن هذه القصة لا تقوم على الحادثة وحدها ، إنما تقوم ـ كمعظم قصص المجموعة ـ على استعراض المفارقات النفسية ، والخلجات الشعورية والالتفاتات الذهنية ، وهذا ما يجعل لها قيمة ، وما يجعلنا نناقش عيوبها ـ كما نراها ـ

ومن عيوبها أن تغلب قوة المفاجأة على بساطة الطبيعة فى قصة واحدة هى « عين زكية » . فقد التقى القصص فى ليلة زفافه والكاهن يربط بينه وبين زوجته برباط الأبدية . التقى بعينى

بحث علمى

حقائق عن الدماغ البشرى

للأستاذ عبد العزيز جادو

في آخر يوم من أيام شهر ديسمبر منذ ١٦٧ سنة مضت ، ولد بالقرب من قرية Treves غلام قضى حياته فى السعى باجتهاد لحل مشكلة الصلة بين قوى العقل ووظائف المخ والحالات المختلفة للجمجمة .

سعى جاسپر سپورزيم بالاشتراك مع فرانز جول إلى تفسير سر التفكير بطريقة سميت فيما بعد بعلم فراسة الدماغ Threnology . وكان جاسپر أول من نشر هذا المذهب الجديد فى إنجلترا . وقد اعتقد أن الارتفاعات السطحية فى الجمجمة تشتمل على ارتفاعات مناسبة فى المخ . وكانت نظريته باختصار أن الجمجمة البشرية تتركب من مجموعة نتوءات توضح مساحات الذكاء فى المخ والقوى الذهنية الموافقة فى الشخص .

ولسوء الحظ كانت طريقة علم فراسة الدماغ يعوزها الاتقان والتجربة والبرهان . ولكننا على أى حال مدينون بدَين الشكر ومعرفة الجميل لهذين المشتغلين بعلم تشريح المخ .

واليوم قام طب المخ الجراحى بتحديد مساحات المخ شيئاً فشيئاً بتدقيق علمى ، فظهرت من أثر ذلك حقائق عجيبة . فإنه قام الدليل مثلاً على أن قوى الرجل العقلية تظل مستمرة فى تأدية وظيفتها طبيعية وعادية حتى فى حالة انتقال نصف المخ من موضعه . وكشف الأطباء الجراحون أيضاً أن العقلية لا يلحقها فساد أو تلف عندما تنتقل فصوص المخ الأمامية . والمسائل التى تواجه دارسى تركيب المخ وهندسته هي الكشف عن سبب نبوغ بعض الرجال وخمول بعضهم الآخر .

والدكتور واجنر هو أول عالم سبر سرّ طاقة المخ بمقارنته أمخاخ رجال ذوى نبوغ بمخ الرجل العادى ، وأتم تجربته الأولى سنة ١٨٦٠ . فلقد قام الدكتور واجنر بفحص مخ أحد المشاهير فى الرياضيات ومخ رجل بستانى ؛ وبعد دراسة طويلة شاقة وصل إلى النتيجة الآتية :

فتاة استطارنا نفسه ، فتمنى لو لقيها قبل هذا الرباط الذى ضاقت به نفسه منذ هذه اللحظة . ثم تسير القصة وقد علم فيما بعد أن هذه الفتاة صديقة زوجه . فكان هذا وسيلة إلى اجتماعهما وارتباطهما عشر سنوات . يستمتع فيها بالفاكهة المحرمة من بعيد ، وتأبى هذه الفاكهة أن تستجيب لمن يطلب يدها ، لأنها تؤثر حياتها فى هذا الثالوث العجيب ! ويستعرض المؤلف هنا مشاعره وخوالجه فى كل موقف استعراضاً جميلاً

وفجأة نعلم فى النهاية أنها صنعت ذلك كله ، لأنها تهيم بزميلتها !

لا نكران فى أنها مفاجأة تامة لا يوجد فى القصة أى إشعار سابق بها فلها فى النفس هزتها . ولا نكران أن فيها سخرية بكل أحلامه وهواجسه ، فقدكان يحسب ذلك كله لأجله ! ولا نكران أن هذا الشذوذ هو حالة مرضية يعترف بها علم النفس الحديث !

ولكن هذا كله لا يساوى أن تسير الحياة على طبيعتها ، وأن تكون هذه العقدة بسبب أى حادث آخر غير هيامها بزميلتها ، وأن تختم القصة خاتمة أخرى

* * *

هنالك أقصوصة سلمت من كل عيب فى هذه المجموعة ، وفازت بكل ميزة من ميزاتها . هى قصة «هواجس» توازنت فيها الانفعالات النفسية والبحوث الفلسفية . وسار السياق مشوقاً حتى نهايته . واتسمت حبكتها بسمة الطبيعة الصادقة . واختلطت فيها الشاعرية المرفرفة ، بالواقعية الصحيحة . وتوافرت لها كل عناصر الأقصوصة الجيدة

وهناك خمس أقاصيص أخرى تتراوح بين الأقاصيص الثلاث السابقة وبين هذه الأقصوصة الجيدة ؛ فتأخذ من هذه وتأخذ من تلك ، وتبقى وسطاً بينها جميعاً .

سيد قطب

١ – ليس هناك أى اختلاف بين المخين

٢ – الشقوق والتلافيف في المخين متشابهة تماماً

٣ – وزن المخين كليهما متماثل من الوجهة العملية

ومنذ أن أجريت تلك التجارب وُجد أن مخ المعتوه يكون فى الغالب أثقل فى الوزن من مخ الرجل العاقل والمرأة العاقلة .

أساطير عن المخ

بات من المفروض أن الجزء الجبهى (الأمامى) من المخ هو المنطقة التى تحتوى على أعلى الملكات وأسمى الطاقات

وأوصى كل من البروفيسور ستانلى هول العالم النفسانى الشهير ، والسير وليام أوسلر الطبيب العالمى المعروف بأن يشرّح مخاهما . وبمقارنتهما بالفصوص الجبهية لرجال عاديى الذكاء ثبت أن هـذه الفكرة إن هى إلا محض خرافة . ولقد أُكد أيضاً أن المرضى الذين تلفت فصوصهم الجبهية من تأثير مرض ، عنـدهم القدرة – مع ذلك – على إجراء خططهم العقلية بطريقة اعتيادية . وعندما يواجه الإخصائيون فى المخ مخين فلن يقدروا على تمييز مخ الرجل ذى الذكاء الحاد من مخ الرجل الأجير الأمي .

سر قوة المخ

وبعـد قطع الرجاء من إيجاد قاعدة فيزيقية للذكاء ، أدرك أحد المشتغلين بعلم تشريح المخ نهائياً أن جميع دراساته كانت على شىء من القيمة العلمية ، فلقد كان من العبث وإضاعة الوقت سدى دراسة الأمخاخ الميتة أو أمخاخ الموتى ! فهى أشـبه شىء بدراسة آلة أو جهاز تالف ، ولا يمـكن الـكشف عن كل شىء فى الآلة إلا فى حالة سيرها . والمخ كـكل آلة يجب أن يكون له بعض منابع من الطاقة ، أى القوة الدافعة . ما هـذه الطاقة ؟ الجواب على ذلك بسيط – فهى مورد الدم . والدم هو المفتاح لسر المخ ، ويمكننا به أن نفهم آثاره وأعمـاله بدقة تفوق التأملات الميكروسكوبية للخليات والأنسجة

وأكبر غلطة لواجنر هى أنه تغاضى عن أغطية المخ . وهذه الأغشية أو الأنسجة الدقيقة الناعمة كانت بمثابة « حجر رشيد » للمشتغلين بعلم تشريح المخ . إنهم تـكلموا كثيراً عن طاقة المخ أكثر مما تكلموا عن الحجم والثقل والتعقيد لنسيج المخ ذاته .

وفى سـنة ١٩٢٦ قام الدكتور هينزيه الإخصائى الفرنسى فى المخ بكشف مهم فيما يختص بسر طاقة المخ . وأدت أبحاثه فى التركيب الشريانى لأمخاخ الأشخاص المتفوقين فى الذكاء إلى التسليم بأن أنسجة الرجال « سريعى الفهم » لها دائماً مورد دم غزير وأوعية دموية ذات طاقات كبيرة . ولقد ثبت ثبوتاً لا شك فيه أن طاقة المخ لا تتوقف على وزن المخ أو على تعقيد طياته ؛ وإنما المهم هو مجرى الدم . وغطاء المخ عند ثقيل الفهم له مورد دم عقيم بشريانات مزمومة (مضغوطة)(١) . وفى مقدور الخبير أو الإخصائى الآن أن يحدّد بصفة قاطعة ما إذا كان المخ الذى يدرسه ملكا لنابغة أو لأحمق . ودم المخ الجيد عنصر جوهرى فى الذكاء .

جبر المخ وسكره

وثمة استكشافات مهمة جاء بها الدكتور هينزيه منذ بضع سنين تضمنتها رسالته (الدلالات الإضافية على أساليب دراسة الجهاز الشريانى للمخ) وبيَّن هينزيه أن تركيب مجرى الدم إنما هو نقطة من الأهمية بمكان ، إنه موضوع ليس فى الـكم فحسب ولـكن فى الـكيف أيضاً . والأساليب العقلية يمكن أيضاً أن تـكون محكومة بمجرى الدم الذى يسيطر عليها ، ولقد وُجد أن الجير والسكر يلعبان دوراً مهماً فى « دراما » المخ ، وأكد الدكتور كاتزينيلبوجن طبيب الأمراض العقلية — أن غالبية المتوهين الذين يرجع اختلال عقلهم إلى علّة عضوية ، عندهم نقص فى الجير وزيادة فى سكر الدم ، والسكر الـكثير فى الدم يزيد التوتر العصبي ، والمخ الذى تـكون « حلاوته » شاذة ، خارجة عن أصولها ، يحتمل أن يكون مخاً سقيما

كهرباء المخ

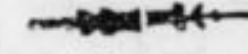
لم تعرف كهرباء المخ حتى زمن قريب . وكان معروفاً منذ خمسين سنة أن المخ ينتج كهرباء ، ولـكن منذ أن أخذ الصمام

(١) نتيجة كشوف الدكتور هينزيه طبعت فى تقريره المسمى :
(Les Arteres du Perveau des Hommes d'Elite.)

العنصر الانساني

فى كتاب «النماذج البشرية»

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى



أصدر الدكتور محمد مندور كتباً ثلاثة أضافها فى الأسبوع الماضى إلى المكتبة العربية هى «نماذج بشرية» و «فى الميزان الجديد» و «من الحكيم القديم إلى المواطن الحديث» الأول والثانى من تأليفه، والثالث ترجمه عن الفرنسية لمجموعة من الدراسات فى الثقافة الخلقية، كتبها نفر من كبار أساتذة فرنسا المعاصرين

وليست «النماذج البشرية» بالكتاب الغريب عن القراء فقد طالعنا بعضه مقالات فى المجلات الأدبية، ظل ينشرها المؤلف تباعاً منذ عاد من أوروبا، قبل الحرب الحالية بقليل، حتى اليوم. وقد جمعها المؤلف فى كتاب واحد بعد أن أعاد فيها النظر فأصلح منها، ورجع عن الكثير من آرائه وأحكامه، وفقاً لتطوره الروحى. وأضاف إليها نماذج جديدة؛ وفضلاً عن ذلك فقد صُدِّر للكتاب بمقدمة طويلة كتبتها زوجته السيدة ملك عبد العزيز خريجة كلية الآداب. وقد احتوت تلك المقدمة على دراسة عميقة لما جاء فى الكتاب؛ وبما لها من نفاذ الأديبة الشاعرة، وبحكم كونها أقرب الناس إليه عرضت لشخصية المؤلف بالتحليل فكشفت لنا الستار عما يخفى علينا من خصائص نفسه الفنية الزاخرة بمختلف المشاعر الحادة والمعانى المتألقة

وبعد فما موضوع هذا الكتاب؟ أو ما هي هذه النماذج البشرية التى عرضها علينا المؤلف؟ نفر قليل من العباقرة الخلاقين أمثال: «جيته» و «دستويفسكى» و «موليير» و «هوميروس» الخ ... هم وحدهم الذين استطاعوا بطول

الفرغ Vacwm tube يتحول ويتقدم أخذت القوة الكهربائية للمخ نصيبها من البَزْل (اصطلاح طبى)

وكان الدكتور برجر أول من اشتغل بكهرباء المخ. وقد بزل المخ بوضع آلات تسمى (إليكترودات electrodes) مباشرة على العضو من خلال فتحات صغيرة فى الجمجمة. وحصل على آثار موجة المخ للعباقرة والبلهاء. وهذه الطريقة الآن يسهل استعمالها

هب أن مخك أريد به أن يبزل؛ إذن يجب أن يدعك ذراعك الأيمن دعكاً تاماً لينتقل كل زيوت الجلد. ثم يُلف حول الذراع ضمادات مشبّعة بمحلول مِلحىّ لتحفظ الآلات المسماة (إليكترودات) مضغوطاً عليها تجاه الجلد عند المعصم والساعد. وتوضع حول رأسك عمامة بيضاء تحتوى على الجهاز الفضى للرأس، وتوصل الأسلاك هذا الجهاز بجهاز آخر يسجل «تموجات المخ» على قصاصات من الورق

التموجات الكهربائية للمخ

الموجات الكهربائية فى المخ وزنان rhythms معروفان فى العلم بموجتى «ألفا» و «باء» Alpha & beta ووزن Alpha يتموج نحو ١٠ مرات فى الثانية الواحدة. و beta نحو عشرين مرة فى الثانية. وتظل هذه الموجات متماثلة يوماً بعد يوم فى حالات اعتيادية. وحينما يحدث اضطراب عقلى أو عصبى تسجله الموجات الكهربائية. فمثلاً فى الصرع epilepsy يوجد تكديس عظيم من القوة الكهربائية فى المخ بمقدار ٣٠٠٠ ./. فوق العادى. وفى الأغماء تبطئ موجات المخ بالنزول إلى ٣ أو ٥ مرات فى الثانية. وعلى قدر ما يكون استعمالك لمخك شاقاً تكون القوة الكهربائية التى تنشرها أكثر. والاشتغال بالمسائل الحسابية العويصة يجعل الإلحاح على مقياس المخ كبيراً

ومن الوزن rhythm الذى يظهر على السجل نحكم بأن النساء يفكرن أسرع من الرجال. والتكرار المتوسط لموجات «ألفا» عند المرأة ١١ فى الثانية مقابل ١٠ر٢ عند الرجال

والبزل الكهربائى للمخ يظهر فى موجات أناس يختلفون اختلافاً تاماً. ولقد برهنت التجارب حقيقة نظرية علم النفس بأنه ليس هناك شخصان يتشابه تفكيرهما بأى حال.

(الأسكندرية) عبد العزيز جادو

ما تدبروا الوجود والنفس الإنسانية ؛ النفاذ إلى جوهر الحياة الإنسانية ، فكشفوا الستار عن أسرار البشر وطبائعهم الأصيلة ، وأودعوا أبطال قصصهم هذه الأسرار وحملوهم هذه الطبائع فجاءت « نماذج بشرية » بحق كما سماها المؤلف لأنها تمثل آلافاً من البشر الذين يعيشون بيننا ويضطربون فى مناكب الحياة ؛ ولأنها تساهم فى تجسيم المشاكل الإنسانية ، تلك التى نشترك فيها جميعاً أيا كان زماننا وأيا كان مكاننا ، كمشكلة السعى الأبدى لبلوغ الحق والخير والجمال ، كما تصورها مأساة « فوست » ، وكالصراع الدائم بين قوى الفرد وصخرة المجتمع العاتية التى لا ترحم ، كما تبرزها قصة « جوليان سوريل » أو قصة الحلاق الفيلسوف « فيجارو » ، وكالحب ذلك القبس القدسى الذى أودعه الله قلوب البشر والذى لن تخمد جذوته ما بقى قلب ينبض فى هذه الحياة ، ذلك الحب الأبدى الذى خلد حياة « دانتى » الشاعر الإيطالى بقصته مع « بياتريس » فى « العهد الجديد » Vita Nova

فكتاب النماذج إذن وحدة متسقة لأن كل نموذج إنما هو محاولة لبلوغ العناصر الخفية فى نفوسنا الإنسانية . ولهذا كانت حياة النماذج حياتنا لأنها تجاوب ما فينا من عنصر إنسانى ، وتعبر عما يكتنف نفوسنا من مشاعر وأهواء

وقد أدرك الدكتور مندور هذه الحقيقة الواضحة التى يرجع إليها الفضل فى خلود نماذجنا على صفحات الزمن ، فبعث هذه الشخصيات الروائية خلقاً جديداً مليئاً بالحياة ، زاخراً بمائها . وكأن المؤلف إذ يحدثك عن نماذجه ويورد أخبارها إنما يحدثك عن شخصيات رآها ، أو حيوات عاشها ؛ وذلك ، بما له من قدرة على بعث نماذجه من مرقدها وإكسابها واقعية حية ، وتهيئة الأجواء التى عاشت فيها ، واستحضار الملابسات التى اكتنفت حياتها

وقد ساعده على هذا دراسة طويلة للآداب الغربية ، دراسة تستطيع أن تقف على مدى عمقها إن أنت قرأت ما كتبه عن « أوليس » ، تلك الشخصية التى خلدت فى الأدب اليونانى ، وذلك البطل الذى تردد ذكره فى الأوديسا والإلياذة ، ملحمتى « هوميروس » ثم بعد ذلك بقرون فى « فيلوكتيت » مسرحية « سوفوكليس » الشاعر اليونانى العظيم الذى عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد . وهل كان الكاتب يستطيع أن يلم بمعالم هذه الشخصية وتطورها إلا خلال دراسة ممحصة لهذه المسرحيات الثلاث ؟ بل والحياة اليونان بأسرها : تاريخها وفلسفتها ، وفنها وأخلاقها ؟ وإن القارئ ليلمس آثار هذا الجهد حين يقرأ ما كتبه المؤلف عن « أوليس » وكيف أودع هذا النموذج تطور اليونان الروحى من خشونة البداوة الأولى بما فيها من مظاهر الشجاعة والإقدام إلى طور الحكمة وما يسوده من مكر ودهاء ؛ ثم إلى طور الانحلال الخلقى الذى يجعله المؤلف رهيناً بظهور الفلسفة وما يتبعها من سفسطة وتمرد للفكر . ويقول المؤلف فى ذلك (ص ١١٤) :

« لا . إن أوليس لم يعد « فى الأوديسا » من الصلابة بحيث كان ، وقد أخذ التفكير يتغلب فى نفسه على خشونة البداوة . أخذ الدهاء يسيطر على الشجاعة ، أخذت الرقة تنفذ إلى صلابة قلبه . أخذ يتحضر . وهذا أمر لا عيب فيه ، ولكن طريق الحضارة طريق زلق سوف تراه فى الحديث الآتى « فيلوكتيت » ينتهى برجلنا كما انتهى بالشعب اليونانى كله إلى بوادر انحلال خلقى ، ستكون إحدى مظاهره ذلك الخبث القبيح الذى يصدر عنه أوليس « فيلوكتيت » Philoctète مسرحية سوفوكليس الروائى العظيم » . ثم يقول عن أوليس فى فيلوكتيت (ص ١١٤) :

« تركنا أوليس وقد أصبح فى الأوديسا أقدر على الدهاء مما عهدناه من قبل . وها نحن نلقاه اليوم فى « فيلوكتيت » مسرحية « سوفوكليس » الشاعر العظيم فإذا بنا فى القرن الخامس قبل الميلاد وإذا بنا فى أثينا حيث ظهر الفلاسفة ، وكثر الخطباء ، وتمدد السوفسطائيون : فأخذت بوادر الانحلال تدب فى

الأخلاق . وتلك ظاهرة لها أشباهها فى تاريخ كل الشعوب ، فالتفكير ملكة خبيثة كثيراً ما تنتهى بالإنسان إلى تبرير كل الوسائل والتماس كافة السبل لما نسعى إليه من أهداف ، فيسكت صوت الضمير ، وتختفى من النفس معانى النبل التى تتوافر عادة فى البداوة »

وهو يأبى أن يدع (أوليس) بعد هذه المسرحيات اليونانية الثلاث فتلمسه فى الآداب الحديثة أيام نهضت أوروبا من رقادها فى عصر النهضة ، تفتش عن تراث اليونان الخالد فتبعثه من جديد . وكان (أوليس) — وقد اجتمعت فيه عوامل الخلود — ممن استوقف الناظرين فظهر فى كثير من آداب عصر البعث العلمى . فتتبعه مؤلفنا عند (دانتى) الإيطالى وعند الشاعر الفرنسى (دى بلى Du Bellay) وأخيراً ينتهى بنا عند أوليس الكاتب الإنجليزى المعاصر (جيمس جويس James Joyce)

هذا هو الجهد الذى كان على المؤلف أن يحتمله كى يخرج لنا أوليس نموذجاً بشرياً فى صفحات قلائل ، يقرؤها آلاف البشر فى يسر دون أن ينعموا النظر فيما تخفى هذه السطور من دراسة دقيقة متصلة

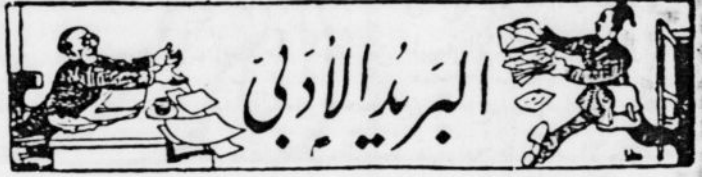
(أوليس) إذن عصارة مركزة لتلك الآداب اليونانية التى تشربها المؤلف ، وأحسب أنه لو لم يتشربها لما استمتعنا بقراءة (أوليس) . فنحن إذ نقرأ أوليس نحس لذة لا تزول لأن من صور حياتها عاش أعواماً فى ظل (هوميروس) يحسو أعذب الرحيق من ملحمتيه ، وماشى تطور اليونان حتى عصر (سوفوكليس) . ولأنه زار تلك المواطن التى أوردها هوميروس فى ملحمتيه : شاهد بحار اليونان التى خرج فيها (أوليس) على رأس جنده ، وتطلع إلى قمة (الأولب) مقر الآلهة ، وشاهد تلك المخلفات الرهيبة الساحرة ، التى لا تزال تفوح منها حتى اليوم رائحة هذه المعارك الدامية بين أثينا واسبرطة ، وتنبعث منها صور الماضى السحيق وأطياف أبطال اليونان وشعرائهم وفلاسفتهم

وهكذا فالمؤلف إذ يحدثنا عن (جفروش) أو (العبيط) أو (ابراهيم الكاتب) لا يحدثنا عن شخصيات قرأ عنها فى بطون الكتب بل جاء حديثه نتاج تمثله لهذه النماذج وتشربه روح خالقيها . فحديثه إنما هو بعض نفسه ، ومن أجل هذا استطاع أن ينقل إلى قرائه فى يسر ، ما أحس من مشاعر ، وأن يضمن فى نفوسهم ما أحدثته هذه النماذج فى نفسه من أثر عميق لا يمحى

كل ذلك فى أسلوب لا أجد فى التعبير عن موسيقاه أحلى من قول السيدة ملك فى مقدمة الكتاب : « إنها ليست موسيقى رقص محدودة متقابلة ، ولكنها فيض نفس ، نفس حارة غنية ، موسيقى سيالة تعلو وتهبط ، وتتكسر وتتراخى وتتدافع حسب نبضات الإحساس أو وثبات الفكر . »

وبعد : فهذا أيها القارئ كتاب النماذج من حيث هو كتاب أدب . ولكن هل هو كتاب أدب فحسب ؟ أو أراد به مؤلفه أن يكون صياغة جديدة لبعض القصص العالمى ، وعرضاً تحليلياً لأبطال هذا القصص ؟ اللهم إن كان هذا لجاء الكتاب دراسة فحسب ولما كان فيه خلق أو طرافة . ولكن ما يعطى الكتاب قيمته التى سيخلد بها هو انطواؤه على تيارات خفية ؛ من اليسير على القارئ اللبيب أن يدركها ، تيارات نفسية هى مزيج من السخط على ما فى المجتمع من شرور ، وتطلع قلق لتحطيم ما فيه من أصنام ، وتدمير ما يحوى من نظم عقيمة بالية . هذه التيارات اعتملت فى نفس المؤلف وأقلقت روحه مذ كان شاباً غض الشباب ، فلم يجد سبيلاً للافصاح عن هذه الثورة الكامنة والتعبير عن أفكاره ، ومثله السياسية والاجتماعية ، إلا أن تكون هذه النماذج البشرية ، هذه المخلوقات الإنسانية التى تبناها لتصور بعض جوانب نفسه وتنقل رسالته الاجتماعية إلى الجيل الجديد .

عبد المنعم عبد العزيز المليجى
ليسانسيه فى الفلسفة



فرق التمثيل

حاربت مع من حارب الفرقة القومية للتمثيل التي كان يديرها الأستاذ الجليل خليل مطران ، ولم أحفل بمن كان يطالب بالتريث والاصطبار إلى أن يشتد عضد الفرقة وتقوى على مسايرة الأمة فى نهضتها الأدبية ، لأنى كنت ولا زلت أعتقد أن المسرح مرآة ثقافة الأمة وعنوان إدراكها معنى الحياة وأن السكوت عنه إنما هو خيانة للأدب

ولقد صفقت فرحاً يوم استخلص الشبان الإدارة من أيدى الشيوخ ، لظن حسن منى بأن إرادة شبابنا لا تقاوم ، وأن حبهم الفنى للفن يقصيهم بعيداً عن الشهوات والنزعات

ولكن ، سرعان ما قبض الشبان على أعنة التمثيل حتى استهانوا بالفن وبذواتهم ، وتراخوا عن العمل ، وانحدروا دراكاً إلى مستوى عامة الشعب

أسوق هذه الكلمة إلى إخوانى فى فرقة التمثيل المصرية وهم هم الذين قاموا على أنقاض الفرقة القومية ، لا لأحاسبهم على ما اقترفوه فى حق النهضة الأدبية خلال العامين المنصرمين فى تمثيل روايات « كنا كده » وشهرزاد « وسلك مقطوع » وأضراب هاتيك المهازل السخيفة والتهريج السمج ، بل لأنبههم بأن أقلام الكتاب لم تعد تغلها قوة طاغية ، ولا تسيطر عليها أهواء السياسة ووسوسات الشيطان

حبيب الزحلاوى

تعقيب

عقب الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى فى الثقافة رقم (٣٠٠) على كلمة الأستاذ عبد الحميد ناصف فى الرسالة رقم (٥٧٩) بشأن كلمة (الصدفة) إذ يستشهد الثانى على لغويتها ببيت أبى دهبل الجمحى :

فطوراً أمنى النفس لقياك صدفة
وطوراً إذا ما لجّ بى الحزن أنشج

ويتساءل الأستاذ عبد الباقى عن المصدر الوارد به هذا البيت

قلت : ورد البيت فى كتاب الأغانى جزء ٦ صفحة ١٥١ (طبعة المغربى) هكذا :

فطوراً أمنى النفس من عمرة المنى
وطوراً إذا ما لج بى الحزن أنشج

كما أنه ورد على هذه الصورة فى أمالى المرتضى جزء (١) هامش صفحة ٨٢

وأما عمرة هذه صاحبة أبى دهبل فهى امرأة من قومه (وكانت جزلة يجتمع الرجال عندها لإنشاد الشعر والمحادثة)

(نابلس) **فدوى عبد الفتاح طوقان**

إلى الأستاذ توفيق الحكيم

سيدى الأستاذ الجليل صاحب مجلة الرسالة المحترم

قرأت فى العدد ٥٨٨ من مجلتكم الغراء فى باب البريد الأدبى كلمة للأستاذ توفيق الحكيم يرد بها عن نفسه بعض تهم ألصقتها به الصحافة السورية ، كما أنه يتبرأ من رأى [هو كعادة آرائه فى المرأة] كان قد أعطاه عن الوحدة العربية راجياً صحف الأقطار الشقيقة أن تضن قليلاً بحسن ظنها فى صحة الأقاويل والإشاعات التى تنسب إليه وألا تلقى بالاً إلى غير ما ينشر موقعاً عليه باسمه من مقالات أو تصريحات مسنداً ذلك إلى بدعة « أحاديث المجالس » المتفشية فى الصحافة الحديثة . (كذا)

ولما كنت ذلك الصحافى الذى تفضل عليه الأستاذ (حفظه الله) برأيه فى الوحدة العربية لأنشره ، وقد نشرته فعلاً فى مجلة (العالمان » السورية فى شهر يونية الفائت إلى جانب آراء للأساتذة أنطون الجميل بك وعبد القادر المازنى و .. وكان يومئذ جالساً فى مقهى (ريتز) مع الأستاذ المازنى (الذى لم أكن أعرفه) فقدمنى إليه يعطينى بدوره حديثاً عن الوحدة قائلاً : إن الأستاذ المازنى خير من يفى هذا الموضوع حقه لأنه أكثر ممارسة له

وقد كان الأستاذ المازنى لطيفاً جداً إذ وعدنى بإنجاز

الحديث فى اليوم التالى بينما كان الأستاذ الحكيم يكتب بخط يده ! نعم بخط يده ، أجوبته على أسئلتى على ورقة مازلت محتفظاً بها

وبعد . فقد جئتكم راجياً نشر كلمتى هذه على صفحات رسالتكم لإظهار الحقيقة

وتفضلوا بقبول أسمى احترامى — محمد فاضل طاس

نظرية دوركهيم والإصلاح الاجتماعى

كتب الدكتور محمد مندور مقالاً فى العدد ٥٨٦ من مجلة الرسالة الغراء ، ذكر فيه رأيه فى المنهاج الذى يجب أن نسير عليه إذا أردنا النهوض ببلدنا . ونص فيه على « شاب مسكين أكبر الظن أنه حديث التخرج من قسم الفلسفة بالجامعة » لأنه « تحدث عن مكافحة الأميين فى ضوء علم الاجتماع » فذكر « أن هذه المكافحة ستجرى ضد قوانين علم الاجتماع المزعومة » وأنها لذلك لن تنجح لأن عقلية الفلاح ليست عقلية حضارة وعلم وإنما تصبح كذلك بعد أن تنتشر الصناعات فى مصر »

وأنا لم أقرأ مقال هذا الشاب (المسكين) ولا يعنينى رد الدكتور مندور عليه أو شتمه إياه وإنما يعنينى أن أدفع زعماً نشأ عن سوء الفهم لنظرية المدرسة الفرنسية الحديثة وعلى رأسها العلامة دوركهيم

لعل الفكرة الأساسية فى نظرية دوركهيم هى أن الظواهر الاجتماعية تسير وفق قوانين لا تقل فى صرامتها عن قوانين الطبيعة ، وأنها تتطور تبعاً لسير الزمان واختلاف المكان

وليس معنى هذا أننا لا نستطيع عمل أى إصلاح . ويتحتم علينا أن نقف مكتوفين أمام ما تبرمه تلك القوانين . كلا . إننا إذا دققنا الفهم ووضعنا هذا الأساس أمام أعيننا أمكننا أن ننشئ فناً إصلاحياً دعامته علم الاجتماع . فمن يقوم على دراسة ظروف البيئة وأحوال الشعب وأخلاقه ، ومقدار التطور فيها ، ومقدار تقبل الشعب للإصلاح الجديد . ويجب أن نقف على حالته الاقتصادية وقوفاً تاماً . وبالجملة نكون على علم تام بحالة البلد التى نحاول أن نضع لها مشروع الإصلاح ، وما يترتب عليه من نتائج فى شتى فروع الحياة . وينبغى كذلك أن نستعرض آثاره فى الأمم التى أخذت به ، حتى نستطيع أن ننتفع بأخطاء غيرنا ، وأن نكون على علم بالأحوال والظروف التى أحاطت بتنفيذه حتى نتلافى الضار منها

هذا هو الوضع الصحيح إذا أردنا الإصلاح ، وأردنا أن نسير بالمجتمع نحو الكمال فى شىء من التدرج الذى لا يحس معه أفراد المجتمع أن شيئاً خارجاً عن طبيعتهم قد أقحم عليهم ، بل يشعرون إن إصلاحاً كهذا من طبيعة الأشياء ومن لوازمها .

ولعمرى إن هذا الشعور وحده قمين بنجاح أى إصلاح

ولقد أجاز بعض العلماء التدخل فى قوانين الظواهر الاجتماعية . أى فى لغتنا نحن أجاز هؤلاء العلماء أن نظفر بالشعب ونستحثه على السير إلى الأمام بخطوات أوسع ، ولكن هذا لا يتم إلا إذا هيأنا أذهان المجتمع لإصلاحنا التهيؤ الكافى

ومن هذا نرى أن علماء الاجتماع لا يقفون بعلمهم موقفاً عقيماً فى وجه أى إصلاح بل إنهم يريدون أن يكون الإصلاح أساسه العلم الصحيح بأحوال المجتمع وميوله

وإذا رحنا نحن نوسع هذا القول ونقاربه من الموضوع الذى حدا بنا إلى كتابته وهو موضوع محو الأمية . فإننا نرى أن هذا المشروع يسير وفق قوانين المجتمع ، فلقد أحسسنا رغبة شديدة فى محو الأمية للاستزادة من العلم والسير فى قافلة العالم المتمدين . ثم إن هذا المشروع لم يرتجل ارتجالاً بل أتى نتيجة لدراسة عامة شملت جميع النواحى الاجتماعية وخاصة الناحية الاقتصادية . زد على ذلك أنه عند عرض هذا المشروع على البرلمان المصرى لم يعترض أحد على المبدأ مما يدل على أن هناك استعداداً لتقبله

وأخيراً فإنى أعتقد أننا عملنا الدعاية الكافية له . وأن فى مسارعة الهيئات المختلفة إلى تلبية ذلك النداء لدليلاً كافياً على أن الزناد كان متوقفاً على إشمال الثقاب فقانون محو الأمية يوافق رغبات المجتمع إذن وهو بذلك يسير وفق قوانين علم الاجتماع التى قلنا عنها إنها تتطور على مرور الزمان وتختلف باختلاف المكان

أما إذا كان مخالفاً لرغبات المجتمع فما كنا نرى بالمرة صيحات الاستحسان له من كل مكان ومنها صيحة الدكتور مندور ، وأظنه يعلم من تاريخ النهضة أولئك الرجال الذين أوذوا فى سبيل دعواتهم لأنهم لم يمهدوا لها التمهيد الكافى مخالفين بذلك نواميس الاجتماع

فليطمئن إذن الدكتور مندور فإن أحداً لن يتأثر بدعوته الهوجاء فى نبذ نظريات العلم لأن هذا يخالف قوانين المجتمع ولأن أحداً لم يبلغ من السذاجة مقدار ما بلغه رجله الفرنسى

وبعد فهذه كلمة قصيرة نكتفى بها اليوم ولدينا مزيد إذا أراد الدكتور مندور .

سعيد زايد
ليسانسيه فى الفلسفة والاجتماع

12 me Année No. 592

Lundi - 6 - 11 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٩٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٠ ذو القعدة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٦ نوفمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة
٩٨١ العقليـة المصرية . . ... : الدكتور محمد مندور ... ..
٩٨٤ صـلوات فـكر فى محاريب الطبيعة .. .. { الأستاذ عبد المنعم خلاف ..
٩٨٦ أبو تمام بين أعدائه وأصدقائه : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٩٨٨ تلك الروح وذلك اليوم ... : الدكتور زكى مبـارك ..
٩٩٢ اقتراح فى إصلاح الرسم العربى : الدكتور على عبد الواحد وافى
٩٩٦ ديوان أفراح الربيع . . : الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان
٩٩٧ إلى الطبيب القدير الدكتور حسين همت ... . { الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٩٩٩ شرح وحدة الوجود .. : الدكتور زكى مبارك ... ...
٩٩٩ حول أبى فراس الحمـداني : الأستاذ أحمد أحمد بدوى ...
١٠٠٠ المكـوس ومـدة حكمهم فى مصر ... ... { الأستاذ مصطفى كمال عبد العليم

العقلية المصرية

للدكتور محمد مندور

لست ممن يركنون إلى اليأس أو يدعون إلى التثبيط ، وبودى لو نفثت فى كل قلب إيماناً بالنفس وأملاً فى الحياة حتى أرى جميع مواطنينا كالكراة من المطاط ، كلما زدتها صدماً ازدادت قفزاً ، ولكننى مع ذلك عودت قرائى الصراحة فى علاج مشاكلنا ، والفيت دائماً ممن حظيت برأيهم تأييداً حاراً صادقاً . ثم إنى أومن بأنه لا خير فى التعامي عن الواقع ، بل لا خير فى إنكاره ، لأن إنكاره لن يمحوه . وهأنا اليوم أعالج أخص ما نملك كأمة ، وهو العقلية المصرية . ولى فى تلك العقلية رأى ثابت استخلصته من احتكاكى الطويل بعقليات الشعوب المختلفة وبخاصة الشعوب الغربية . وسأبسط هذا الرأى ثم أحاول تفسيره لنستنبط ما نستطيع من علاج .

كنت أنا وزملائى من المصريين نتلقى العلم سنين طويلة بالجامعات الأوربية مع طلبة من كافة الأجناس ، ولاحظت أن الكثيرين منا كانوا يتفوقون على إخوانهم فى الدرس تفوقاً واضحاً . ثم عدت وعاد زملائى ؛ فإذا بالقليل منا من يوفق إلى اكتشاف جديد فى ميدان المعرفة ، بل إلى تجديد فكرة

معروفة أو تعميقها ، وعلى العكس من ذلك نسمع أن هذا الزميل الفرنسى ، أو ذاك الإنجليزى قد اهتدى إلى نظرية غير معروفة أو كشف الحجاب عن مجهول فى مجال المادة أو مجال الإنسان . وأنعمت النظر فى هذا التناقض الواضح فاستقر بنفسى أن العقلية المصرية سلبية قابلة ، بينما عقلية الغربيين إيجابية فعالة . فنحن نستطيع أن نحصل ما يلقى إلينا ، ولسنا بلا ريب دون أحد فى قوة الذاكرة ، ولكننا لا نكاد نتخطى دور التقبل والتحصيل حتى يتبلد حمارنا ، ولقد ينجح بعضنا فى الجدل ، ولكن مجهوده قلما يعدو فك الأفكار الأساسية كما تفك النقود إلى وحدات من البرونز ، ولا يقف تأثير تلك العقلية القابلة عند ميدان المعرفة ، بل يمتد إلى الحياة العملية ذاتها ؛ فترى الكثيرين منا حتى المثقفين ضيق الحيلة سيئ التصرف ، قليلى الاعتماد على النفس والسير على أقدامهم أو الاهتداء إلى السبيل السوى عندما يضطرب حبل الأمور وتشتد المواقف

هذه ظاهرة لا أظن هناك ما هو أخطر منها فى حياتنا ، ولابد من أن نلقى عليها من الضوء ما يظهر مواضع الخلل فى بنائها

لعل من أكبر الأسباب التى كيفت العقلية المصرية على النحو الذى ذكرنا تلك الحقيقة الواضحة ، وهى أنه قد يكون عندنا تعليم ، ولكن مما لا شك فيه أنه ليست لدينا ثقافة ، حتى لقد استطعنا فى إحدى المقالات السابقة أن نتحدث عن أمية المتعلمين ، والتعليم شىء والثقافة شىء آخر ، وإن كان من الممكن أن يصبح التعليم ، إذا أقيم على مناهج سليمة ونهض به أساتذة أكفاء ، وسيلة من وسائل التثقيف ، التعليم كما نلاحظه عندنا تلقين للمعارف ، وأما الثقافة فتكوين الملكات ، وهذا مالا وجود له بيننا تقريباً ، وفى الغرب نستطيع أن نقول إن عملية التثقيف تبدأ مع الميلاد ، وهذا هو ما يعبر عنه المفكرون بقولهم إن خلف الأوروبيين قروناً من الثقافة يتوارثونها ابناً عن أب . وهذا قول لا يخلو من تجوز ، ومع ذلك فهو صحيح ولفهمه يلجأ بعض المفكرين إلى البحث فى تأثير النشاط الثقافى على مراكزنا العصبية ، وتوارث تلك المراكز مشكلة مكينة ، ولكن هذا بحث نتركه لأنه فى نظرنا لا يقل غموضاً ومجازفة عن البحث فيما وراء الطبيعة ، وإنما نقف على العكس من ذلك عند أمرين : اللغة ، وطريقة الحياة . فالطفل الأوربى يحصل بتحصيله لغته اليومية طائفة كبيرة من المعارف التى تملأ سوق الحياة ، وهو يحس بأثر تلك المعلومات الفعالة فى كل أموره ويخبر صدقها عن تجربة ؛ فيتمثلها تمثل الهضم ، وإذا بها جزء من تكوينه العقلى ، وهو يسير فى حياته على طريقة لا تخلو ، مهما بلغت من البوهيمية ، من منهج وغاية . وتنظيم تلك الحياة المادية ذاته فيه ما يرفع عن كاهله الكثير من تفاصيلها ، حتى ليتكلف أقل الجهد فى إعداد ما يحتاجه من طعام أو كساء . وليس من شك فى أنه كلما تخلصنا من تلك التفاصيل وأنزلناها منزلة الآلية تحرر الكثير من وقتنا لنصرفه فى النشاط العقلى ، وبخاصة القراءة ؛ فالأم فى بيتها والأب فى عمله يجد كل منهما متسعاً لتغذية تفكيره ، وإذا بجو المنزل تغمره الثقافة التى تنفذ إلى عقل الطفل إن لم تند خلاياه

لقد ناقشنا بإحدى الصحف مشكلة الأخلاق ؛ فرأينا أن التربية لن تجدى فى علاجها قدر ما يجدى إصلاح النظم التى تمكن الفرد من أن يصل إلى حقه ويدفع عن نفسه العدوان بوسيلة كريمة غير الرجاء الذى تفشى فى بلادنا كالوباء . وباستطاعتى اليوم أن أجد فى نفس هذا الإصلاح علاجا للعقلية المصرية . وليس يخاف أن العلاقة متينة بين العلم والخلق ، وقديماً قال أحد المفكرين إن علماً بلا خلق خراب للنفس ، وفى الحق ماذا يستطيع فى مجال العلم رجل لا يملك حتى الثقة بنفسه والاعتزاز بكرامته . وعندما تضطرب النفس وتتقاذفها الآلام كيف تريدها أن تصبر على كشف مجهول أو متابعة حقيقة أو استقصاء رأى . نعم إن العلماء فى كافة بقاع الأرض لا تأخذ نفوسهم شهوة المادة ، وتعلقهم الأول إنما هو بجوهر الفكر الخالد ، ولكن هذا لم يمنع الهيئات الاجتماعية التى يعيشون بينها من أن توفر لهم أسباب الحياة ، وتمكنهم من وسائل البحث . وأما نحن فتى وضعنا معملاً تحت تصرف عالم ، أو رزقاً ضروريا فى متناول أديب . وهبنا أبدينا استعداداً لأن نفعل ذلك فكيف السبيل لهذا العالم ، أو ذاك الأديب أن يظهر مواهبه فى بلاد بلغ فيها التفاوت فى الثراء مبلغاً عض معه الفقر ملايين من

البشر الذين لا يمكن أن نعدم — لو واتتهم الفرص — أن نعثر بينهم على نفر ولو قليل ممن حباهم الله مواهب النفس .

إذن فعدم تهيؤ الجو الثقافي الصحيح في منازلنا ودور تعليمنا من جهة ، وفساد نظمنا الاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى عاملان كبيران في تكييف العقلية المصرية . ولربما كان هذا هو السبب في أن الكثيرين ممن يعودون من أوروبا من شبابنا لا يلبثون قليلا قليلا أن يخمد ضغط الوسط ما فيهم من حماسة ويثبط مافي قلوبهم من عزم بحيث لا نستبعد لو أن أحدهم بعد تخرجه باشر حياته العملية في أوروبا لاستطاع خيراً مما يستطيعه هنا ، وإن كنت لا أنكر أن نفراً غير قليل منهم لم ينزحوا إلى الغرب إلا بعد أن أخذوا طابعاً شبه نهائي ، وكانت أمزجتهم من الصلابة بحيث لم تستطع ملابسة الوسط الجديد والتشبع بثقافته وطرق حياته ؛ فلم تجد فيهم رحلة ولا أجدى اغتراب .

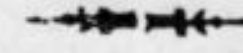
والآن كيف السبيل إلى علاج تلك الظاهرة . وهنا قد يصيح بي صائح ، ولكن السبيل واضح تستطيع أن تجده فيما أسلفت من قول ، فما عليك أو علينا إلا أن نصلح نظمنا ، وأن نهيئ ما نريد ونريد من جو ثقافي في منازلنا ودور علمنا ، ولكن هذا الصائح لن يلبث أن يوقعنا في دور ؛ فمن لي ولكم بإنجاز ذلك ، وهو لا يبدو هيناً إلا في الكتابة ؟ هذه إصلاحات لابد أن يسوق إليها رأي عام قوي ، وهذا الرأي لن يتكون إلا باستنارة العقول . والسبيل إلى تلك الاستنارة هو أن نسكت في نفوسنا النعرات الباطلة ، وألا نستنكف في الأخذ عمن سبقونا في الحضارة ، وألا نمل تكرار ما نأخذه عنهم ، حتى يستقر في النفوس وينزل منها منزلة الإيمان ؛ فعندئذ يصبح الفكر عملا ، وإذا بعقليتنا السلبية القابلة تستحيل إيجابية فاعلة . فاليوم الذي نؤمن فيه أن لكل فرد حقاً يجب أن يناله بغير رجاء ؛ فإن لم ينله حكم له به قضاء عادل ، واليوم الذي نؤمن فيه بأن لكل فرد أن يستغل ملكاته ، وأن يُمكَّن من وسائل ذلك الاستغلال ، وأن جهده لابد أن يقوته على نحو جدير بمستوى الإنسانية ، واليوم الذي نؤمن فيه بأن للفكر الإنساني كرامة لا تدانيها كرامة المال ، حتى تقر الهيئة الاجتماعية لرجاله بما يستحقون من وجاهة وتقدير ، هو اليوم الذي سيمتز فيه المصري بألا تكون عقليته سلبية قابلة ، بل إيجابية فاعلة

محمد مندور

صلوات فكر

فى محاريب الطبيعة !

للأستاذ عبد المنعم خلاف



فى فيض الحياة

أحياناً ينبثق فى روحى فيضٌ غامرٌ من الحياة كما ينبثق الماء فى حوض جاف ... ولن يقيد روحى وقت ذاك قيد ما ، بل تكون كمين ثَرَّة تتفجر فتشق الصخر العاتى وتجرف السدود كما يجرف السيل الحصى والحطب والغثاء ... وأنا حينذاك أُحسُّ بإنسانيتى الفائقة ، ويزداد شعور ثقتى بنفسى وإقبالى على الحياة ...

وأتمنى أن يشيع هذا الشعور الفائق الفياض فى جميع أرواح أبناء آدم . سواء كانت أرواح تلك الأجسام العاجيّة الوردية ذات العيون الصافية والشعور الذهبية والعنبرية ، التى أتخيلها راقصة ضاحكة فى أفراح الحياة مخمورة بخُمار الحب وسكرات الجمال وطُفور القوة ... أتمنى لها ذلك حتى لا يكون خُمارُها خُمارَ الغفلة والزهْوِ والركون إلى فترات الحياة اللاهية مع إهمال ما وراء هذا العالم الفانى من العالم الباق ..

وأتمنى أن تشيع هذه القوة أيضاً وهذا الشعور الفياض فى أرواح تلك الأجسام القبيحة الضعيفة الكئيبة ذات العيون المنطفئة والجلود المجمّدة المخدّدة والشعور الكدِرة التى تعبث بها نسائم الحياة كأنها شعور جماجم موتى تعبث بها ريح ثقيلة ... والتى تتخيل بياض النهار سواد ليل ، وذهب الضحى خزف تراب ، وحرير الورد إبر شوك وقتاد ... وترقص على ذلك رقصة ذبيح يُجرجِرُ جسمه المتهالك فى رعشة الموت وحشرجة الفناء ، وتَنَغَّصُ بريقها وتأكل أكبادَها من الحسرة ، وتشرب حميم دموعها من الغُصّة وتطعمُ غِسْليناً وزقُّوماً ... أتمنى ذلك حتى لا يكون وراء هذيانها وبَحرانها بحمَّى الألم ، وانكسار أعوادها بقاصمات الظهور شىء من يأس الكفر بالحياة والجحود لمستقبلها فيما وراء هذا العالم الفانى من العالم الباق

فاسكب اللهم فيضك ونورك على أرواحنا ، وأوسع ما بينها وبين رحمتك ، ولا تُظمئها فتجعل هذا الفيض غوراً يغيض ولا يفيض !

حياة مضاعفة

لست أحيا حياتى وحدى ... وإنما أشعر أنى أحياها ومعها حيوات جميع الكائنات التى أدركتها بالفكر والقلب !

وتظهر قيمة رُحْب النفس الإنسانية من مثل هذا الشعور .

إن الإنسان إذا اتصل بالكون اتصالاً وثيقاً كان حَرِيًّا أن يقذف اللهُ مُفِيضُ الحياة على قلبه فيوضاً من كل منبع من منابع الوجود التى يتعرف إليها بفكره وقلبه !

الحياة بالحس وحده

يَلَذُّ لى أن أعيش حيناً بالحس وحده فى فراش دافئ وثير فى صبح يوم من أيام الشتاء جامد الفكر والجوارح لا أكاد أحرك فى فكرى وجسدى قوة ! حين أتلقى من الحياة فيضاً من فيوض الشعور بالجسد ! ... حينئذ أستقبل الحياة بأنفاسى وحدها آخذُها شهيقاً وأرسلها زفيراً فى رتابة واسترخاء ...

وقد يدور فى خلدى حينئذ طائف من الأفكار المختزنة أجترُّها فى هدوء كما تجتر الأنعام الجاثمة على العشب الطعام المختزن فى كسل واسترخاء واستغراق واستقبال لموجات فيض الحياة من منبعها الخفى غافلة عما يدور فى الكون ...

حينئذ يحلو لى أن أنسمع إلى أنفاسى تتردد بين الجو وصدرى ، وأن أنسمع إلى نبضات قلبى التى تختلج وتهتز لها كل خلية فى جسدى وتنتفض بها لمة من لمات روحى ...

حينئذ أشعر بحنان غامر يغمر أعضائى وآلاتى العاملة فى دءوب وقوة وصبر منذ أن دارت دورتها الأولى مع نسمة الحياة

التي نفخها فيها نافخ النسمات ، فابتدأت تدور طائمة مع جماعات الأحياء التي ترقص برعشات الحياة !

الحياة بالفكر وحده

وفى كثير من الأحيان أشعر بخفة فى جسمى كأنى لا أحمله ولا صلة لى به إلا إذا تحسسته بيدى ... وحينئذ قد أشعر أننى صوتٌ أو نظرٌ أو سمعٌ لا أكثر

يعتريني هذا الشعور غالباً حين أكون فى الظلام فى مهب نسيم رفيق ...

تُرَى ، هل يكون إحساسنا بالكون بعد انسلاخ أرواحنا من أجسامنا هكذا ؟ فنصير كائنات مجردة من الأجسام ، ترى وتسمع وتحس بدون هذه الوسائط المادية ؟

على أى حال إن هذا الشعور مَدْخَلٌ ندخل منه إلى عالم كائنات الأفق الأعلى الذى يلى أفق حياتنا ...

الكون الجديد دائماً

أرى الكون صباح كل يوم كأنما فرغ من صنعه الصانع الأعلى فى التوِّ والساعة ! ولا أجد فيه قديماً إلا ذهنى الذى أحس أنه يعرض علىَّ صوراً قديمة من الأيام السابقة ...

إن الله مُحتفِظ بالكون مُجدِّد عوامل الحياة والنمو فيه !

ولو أنصفنا لصحونا من نومنا كل صباح كأننا مخلوقون فى ذلك الصباح وحده . ولأهملنا ما فى ذاكرتنا من ذكريات الآلام فى الأيام السابقة ، حتى نتجدد مع الكون

الكون أبو الهول

كلما تخيلت نفسى فرداً واحداً فى غمرات الناس ، وذرّةً ضئيلة بين هذا الكون الواسع الهائل الجبار تنظر بعينين ضئيلتين إلى دولاب الحياة الدائر وإلى وجه الله القيوم على ذلك الكون وما وراءه ، أحسست بهول المسألة الكبرى والنبأ العظيم الذى ينبثّ فى الكون والسر الخفى الذى خلق له ... !

وحينئذ لا أملك إلا ما تملكه الذرّة الصغيرة التي تحملها ريح عاصف وتضرب بها فى فجاج الأرض فى سفر لا ينتهى !

روائح الجنة

الجنة فى الأرض ولكنها غير دائمة ، تراها فى رحاب الجمال فى زمان الربيع فى سكرة الحب فى حالة صفو النفس ورضاها عن نفسها وعن ربها ، وقت أن تقول ليس فى الإمكان أبدع مما كان !

ولو دامت النفس على هذه الحال لاستراح الناس إلى الدنيا باستراحتهم من أحاسيس القبح والشناعة والشقاء واعتكار البال والسخط على الحياة

ولكن الله حين لم يُردْ لنا الدوام فى هذه الأرض ، لوّح لنا بالجمال والقبح ، والرضا والسخط ، والراحة والشقاء ، وداولها على نفوسنا حتى نعلم أن الكمال ليس هنا ، وأن النقص الذى نراه وندركه هنا هو وسيلة إلى إدراكنا للكمال التام هناك .

وما تحلم به النفس من المتاع الدائم والقدرة عليه والانتقال السريع إلى درجة الكشف عن رحاب السموات والأرض فى خطرة النفس ولمحة البصر ، ولقاء الأحباب بعد الموت والخلود معهم ، وعدم وقوف عائق أمام إرادة النفس ، وعدم استعصاء شىء على الإدراك و ... كل أولئك هو من عالم الجنة ، عالم « ما تشتهيه الأنفس وتلَذُّ الأعين » و « لهم فيها ما يدَّعون » و « لا مقطوعة ولا ممنوعة » و « عرضها كعرض السماء والأرض » و « ما أُخفى لهم من قرة أعين » و « رضى الله عنهم ورضوا عنه » و « رضوان من الله أكبر »

إن الله يداول جميع المعانى الأرضية على القلب البشرى كما يداول « الفنان » أنغامه على أوتار قيثارة . وفى القلب البشرى أوتار الألم لا بد من استعمالها لتبرز نوعاً ما من الحياة لا بد منه فى الدنيا . وانفعال النفس تحت العوامل الدنيوية هو الذى ولد لها خواصها ، وأخرج منها معانيها الكامنة

وكما تحرث الأرض بالمحاريث وتعزق بالفئوس لتخرج كوامن العناصر تُمِدُّ بها الزرع لا بد من حرث النفس بعوامل النعمة والشقاء حتى تخرج كوامنها .

عبد المنعم خلاف

٢ـ أبو تمام بين أعدائه وأصدقائه

للأستاذ دريني خشبة

في أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي أن أعداء أبي تمام احتجوا فيما احتجوا به على سرقاته بما رواه[١] أحمد بن أبي طاهر أبو الفضل الكاتب قال : دخلت على أبي تمام وهو يعمل شعراً ، وبين يديه شعر أبي نواس ومسلم ، فقلت : ما هذا ؟ قال : اللات والعُزّى ، وأنا أعبدهما من دون الله مذ ثلاثين سنة !

وقد دافع الصولي عن أبي تمام فقال : وهذا إن كان حقاً فهو قبيح الظاهر ، رديء اللفظ والمعنى ، لأنه كلامُ ماجنٍ مشغوف بالشعر والمعنى أنهما شغلاني عن عبادة الله عز وجل

ثم انطلق الصولي ينفي تهمة الكفر عن أبي تمام ، وفاته أن المقصود بالرواية هو إكباب أبي تمام على شعر أبي نواس ومسلم ينتهب من معانيهما ما يشاء . وقد دافع الصولي عن أبي تمام دفاعاً مجيداً ، إلا أنه ليس — في نظري على الأقل — أمجد من اتهام الآمدي[٢] له ، واستقصائه سرقاته يرجعها واحدة فواحدة إلى أصحابها ، هذا وإن اشتط الآمدي وأفرط في ذلك إفراطاً يبدو من ثناياه تجنيه على أبي تمام ، وظلمه له أحياناً ... والذي يعني الآمدي من سخطنا هو إلمامه الواسع بأشعار العرب ، ومقدرته المدهشة في رد السرقات إلى أصولها من أشعار قائليها ، وأستاذيته التي تتجلى في إدارة حواره بين صاحب أبي تمام وصاحب البحتري ، والفصول القيمة التي أظهر فيها سقطات أبي تمام في الموازين والنحو والبيان والبديع ، وما إلى ذلك كله من نواحي الضعف في شعره

والذي يدرس أبا تمام في هذين الكتابين الفريدين من كتب النقد العربي ، يرى كيف أن الناس — على حد ما ذكره المسعودي في مروج الذهب[٣] كانوا فيه طرفي نقيض ... متعصب له يعطيه أكثر من حقه ، ومنحرف عنه معاند له .. أو كما قال أبو الفرج صاحب الأغاني :[٤] وفي عصرنا هذا من يتعصب لأبي تمام ، فيفرط ، حتى يفضله على كل سالف وخالف ، وأقوام يتعمدون الرديء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه ، ويستعملون القحة والمكابرة في ذلك ؛ وعبارة أبي الفرج توحي بما كان يضمره لأبي تمام من إعجاب . وقد ذكرنا في كلمتنا ما كان يقوله دعبل في شعر أبي تمام ، من أن ثلثه سرقة ، وثلثه غث، وثلثه صالح . وقد روى الصولي بعد هذا الخبر عن دعبل أنه كان يقول : لم يكن أبو تمام شاعراً . وإنما كان خطيباً ، وشعره بالكلام أشبه منه بالشعر

(١) ص ١٧٣ (٢) الموازنة بين أبي تمام والبحتري
(٣) ج ٧ ص ١٥٣ (٤) ج ١٥ — ص ١٠٠

وقد أشرنا إلى خصومة ابن الأعرابي ، تلميذ المفضل الضبي والكسائي ، لأبي تمام ، وقد وعت بطون كتب النقد أعاجيب شتى من أنباء تلك الخصومة تعد من النوادر في أخبار الخصومات الأدبية : فمن ذلك ما ذكره الطوسي قال : وجه بي أبي إلى ابن الأعرابي لأقرأ عليه أشعاراً ، وكنت معجباً بأبي تمام . فقرأت عليه من أشعار هُذَيل ، ثم قرأت أرجوزة أبي تمام على أنها لبعض شعراء هذيل :

وعاذل عذلته في عذله ... فظن أني جاهل من جهله

حتى أتممتها ، فقال : اكتب لي هذه ، فكتبتها له ، ثم قلت : أحسنة هي ؟ قال : ما سمعت بأحسن منها ! قلت إنها لأبي تمام ! فقال : خَرِّقْ خَرِّقْ ! أي مزّق ، مزّق !

ومع ذلك ، فقد كان ابن الأعرابي ، هذا الحجة الفاضل ، يحفظ كثيراً من شعر خصمه أبي تمام ، ويتمثل به ، وهو لا يدري أنه له ؟

وعلى هذا النحو كان الناس في عبقري الشعر العربي . وعلى هذا النحو ، لا يزال الناس في أبي تمام !

والحق الذي لا يماري فيه إلا مكابر ، أن أبا تمام كان نادرة زمانه في الشعر العربي ، بل إنه لا يزال نادرة هذا الشعر حتى اليوم ، فليس في شعراء العربية من استطاع أن يصور كما صور أبو تمام . وليس فيهم من استطاع تلوين صوره كما لونها هذا الشاعر المفتن المبدع[١] ، وذلك لا يعارض ما أثبته عليه خصومه

(١) مما نذكره معجبين ، في هذا الصدد . ذلك الفصل القيم ، أو تلك الفصول القيمة ، التي جلى بها الدكتور الفاضل شوقي ضيف الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول مقدرة أبي تمام على التصوير ، وذلك في رسالته الثمينة « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » تلك الرسالة التي لا نرى بداً من توجيه أنظار شعراء الشباب إلى ما تضمنته من بحوث عميقة جيدة في الشعر العربي ، منذ الجاهلية إلى الآن . ونرجو أن تسمح لنا ظروفنا بمناقشة بعض آرائها التي لا نوافق الأستاذ الفاضل عليها مع اعترافنا بعظم ما فيها من حسنات .

من سطوه الكثير على معانى الشعراء ، ذلك السطو الذى كان يفتن أبو تمام فى إخفاء معالمه وستر مصادره بهذا البهرج الكثير من الصنعة البيانية ، وتلك المركبات البديعية التى كانت تأتى زاهرة باهرة أحياناً ، وملتوية معقدة لا تكاد تفهم أحياناً أخرى : وما ظنك بهذا الالتواء الذى يشتد ، حتى لا يفهمه عبد الله التوَّزى – أو التوَّجى ، تلميذ أبى عبيدة والأصمعى ، الذى قال فيه المبرد : ما رأيت أحداً أعلم بالشعر من أبى محمد التوَّزى ، كان أعلم من الرياشى والمازنى ! فقد سئل هذا الرجل عن شعر أبى تمام فقال : فيه ما أستحسنه ، وفيه ما لا أعرفه ولم أسمع بمثله ، فإما أن يكون هذا الرجل أشعر الناس جميعاً ، وإما أن يكون الناس جميعاً أشعر منه ! (الصولى ص ٢٤٥) والعجيب أن يعترف بذلك الصولى نفسه وهو (محامى) أبى تمام وقد ذكرنا كلمته التى أقر فيها بأنه : ليس أحد من الشعراء يعمل المعانى ويخترعها ويتكئ على نفسه فيها أكثر من أبى تمام وأنه متى أخذ المعنى زاد عليه ، ووشحه ببديعه ، وتمم معناه ، فكان أحق به ! وقد ذكر الآمدى أن أبا تمام كان يتعالم فى شعره ويتفلسف (الموازنة ص ٢ – ١١) ويصف ممدوحيه بالرمز إلى عقائد بعض الفرق الإسلامية ، فيزيد ذلك فى غموض شعره ويضاعفه ، ويتعسر فهمه على غير من يعرف تلك العقائد ، ويلم بهذه الأسرار : فقوله من مدحة فى أبى سعيد :

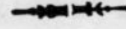
فلو صح قول الجعفرية فى الذى تنص من الإلهام خلناك ملهما

لا يفهم حتى نعرف أن الجعفرية فرقة من الشيعة تنتسب إلى جعفر بن محمد ويدعون له الإلهام ، كما يحدثنا بذلك التبريزى فى شرحه لديوان أبى تمام ، وكما نعرف ذلك من كتب الملل والنحل مثلاً ، ثم قل مثل ذلك فيما يصادفك من أبياته التى تنبئ بالمامه بالمذاهب والعلوم والفلك والنحو والمنطق مما كان يجيد الرمز به والإشارة إليه ، متعمداً مرة ، جارياً على سليقته أحياناً . وكله مما لا نرى أنه يدخل فى باب الشعر ، بل هو ، كما ذكرنا فى كلامنا عن ثقافة أبى العلاء تعالم من أبى تمام على أهل زمانه المتعالمين . أما ثقافة أبى تمام الحقة ، فتنحصر فى سعة إلمامه بشعر من تقدمه من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين والأمويين والعباسيين ، ودقة فهمه لمعانيهم ، وحسن اطلاعه على مذاهبهم ، وقد اشتغل فعلاً بالتصنيف الشعرى ، يؤيد ذلك ما ذكره البديعى فى كتابه « هبة الأيام ، فيما يتعلق بأبى تمام » من أن له (كتاب الحماسة) الذى دل على غزارة فضله وإتقان معرفته ، وحسن اختياره ، وكتاب فحول الشعراء جاهليين ومخضرمين وإسلاميين ، وكتاب الاختيار من الشعراء . وكأن له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره ، حتى قيل إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد !)[1]. وذكر البديعى كذلك سبب تصنيف أبى تمام ديوان الحماسة ، فقال (ص ١٣٨) : « فإنه لما وصل إلى همذان (فى رحلته شرقاً) ، وكان فى زمن الشتاء ، والبرد فى تلك النواحى شديد ، خارج عن حد الوصف ، قطع عليه كثرة الثلج طريق مقصده ، فأقام بهمذان ينتظر زوال الثلج ، وكان نزوله عند رجل عنده خزانة كتب فيها دواوين العرب وغيرها ، فتفرغ لها وطالعها واختار منها كتاب الحماسة » .
وفى مؤلفات أبى تمام يقول الآمدى : (ص٢٣) : « كان أبو تمام مشتهراً بالشعر ، مشغوفاً به ، مشغولا مدة عمره (بتخميره !) ودراسته ، وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة ، فمنها الاختيار القبائلى الأكبر ، اختيار فيه من كل قصيدة ، وقد مر على يدى هذا الاختيار ؛ ثم اختيار آخر لم يورد فيه كبير شئ للشعراء المشهورين ، ثم اختيار ثالث تلقط فيه محاسن شعر الجاهلية والإسلام ، وأخذ من كل قصيدة شيئاً حتى انتهى إلى إبراهيم بن هرمة ، وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول ، ومنها اختيار تلقط فيه أشعاراً من المشرة المقلين والشعراء المغمورين غير المشهورين ، وبوبه أبوابا وصدره بما قيل فى الشجاعة ، وهو أشهر اختياراته وأكثرها فى أيدى الناس ، ويلقب بالحماسة ، ومنها اختيار المقطعات ، وهو مبوب على ترتيب الحماسة ، إلا أنه يذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم من القدماء والمتأخرين ، وصدره بذكر الغزل ، وقد قرأت هذا الاختيار وتلقطت منه نتفاً وأبياتا كثيرة ، وليس بمشهور شهرة غيره ،

(١) هبة الأيام ص ١٠ : وفى هذا الكتاب مناقشات ممتعة لسرقات أبى تمام ودفاع مجيد عنه

تلك الروح وذلك اليوم

للدكتور زكي مبارك



بعد جفوة مسبوقة بنذير بئس القلبُ أثقل اليأس، واليأس يتجسم أحياناً فيصير أثقل من الجبال، وأبرد من الثلوج

ثم بدت الحياة لعيني وكأنها بيداء قفراء ليس فيها نبات ولا ماء ولا ظلال

كنت أسير في شوارع القاهرة فأراها تموج بالبِشر والإيناس، وأرى القاهريين كما عهدت مسرورين منشرحين، كأن الدنيا ليست في حرب شعواء، وإنما هي في حرب خفيفة الظل، هي الحرب بين العيون والقلوب

وكنت أنظر فأراني وحيداً شريداً، وإن كان من يراني يتوهم أني ماضٍ إلى ميعاد، فقد كانت القاهرة فيما سلف من أيامي ملاعب للمواعيد اللطاف

لقد اغتربت أسابيع كانت لهولها أطول من الآباد، بفضل الجفوة المسبوقة بنذير من تلك الروح، وكنت أخشى أن يطول اغترابي فيما بقي من أطياف حياتي، فما حياتي بعد تلك الروح غير أطياف

هذا هو اليأس، وذلك طعمه المرير، وتلك أيامه السود

وحاولت أن أعيش في ظلال الذكريات فتكدر عيشي، لأن تلك الروح لا تزال بعافية، وهي صائرة إلى غيري إن ضاعت من يدي، فما في الدنيا جمال يعيش بلا عاشق، ولو كان مقدوداً من الصخر الجلمود

لابد من رجعة أعنف من رجعة السيل، لابد من اقتناص تلك الروح من جديد، لأحميها من الضيم وأحمي نفسي من الموت

* * *

قلت لنفسي: إن هنالك غنيمة مضمونة وهي سماع صوتها في الهتاف، فما نطقتْ كلمة «ألو» إلا تمثلتُ أنها بُلبل جماله كله في الحَـلْق

وبكلمتين اثنتين تواعدنا على التلاق، فأين النذير؟ وأين الجفاء، وأين اليأس؟

إن عقول المحبين عقول أطفال!

كان يجب أن أنتظر في حديقة البيت، وأن يكون في يدي كتاب، مع أني لن ألقى تلك الروح في ضوء المصباح

وتخفق أرواح في الطريق فلا ألتفت، لأن الروح التي أنتظرها لن تغيب عني، وإنني لأشعر بخطواتها على أبعاد الألوف من الأميال

ما هذا الذي أراه؟

إن الروح ثقيل وقد تجسمت في عروس من عرائس البحر في دمياط، وأنا أتلقاها بقلب قبستُ ناره من كهرباء الوجود

— أنت؟

— أنا؟

— ومن أنت؟

— أنا العاشق الذي صبر فظفر بعد صبوة دامت أكثر من عشر سنين

— وتستحق عطفي عليك؟

ومنها اختيار مجرد في أشعار المحدثين، وهو موجود في أيدي الناس. وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر وأنه اشتغل به، وجعله وكده، واقتصر من كل العلوم والآداب عليه، فإنه ما شيء كبير من شعر جاهلي ولا إسلامي ولا محدث إلا قرأه واطلع عليه ...»

وينتقل الآمدي من ذلك إلى قوله: «ولهذا أقول إن الذي خفي من سرقاته أكثر مما قام منها على كثرها، وأنا أذكر ما وقع إليّ في كتب الناس من سرقاته، وما استنبطته أنا منها واستخرجته، فإن ظهرت بعد ذلك منها على شيء ألحقته بها إن شاء الله»

ثم يأخذ بعد ذلك في حصر سرقات أبي تمام وردها إلى مصادرها. فإلى أي حد وفق الآمدي في ذلك؟ سنرى

(يتبع) دريني خشبة

— إن رأيت يا روحى أن تؤدى زكاة الجمال

ثم يدور الحديث بما يعجزنى ، لأن الروح تقول :

« لقد أوحينا إليك »

فما هو إيحاء تلك الروح ؟

أمرتنى أن أصف لحظات التلاقى ولحظات العتاب ، وتلطفتْ فلم تأمرنى بوصف وجهها الوهاج ، ولو أنى أطعتها لاكتفيت بكلمة واحدة ، وهى أنى بها أعيش ، ولها أعيش ، فما للحياة بدونها مَذاق

غنائمى من حياتى هى التعرف إلى تلك الروح ، وانتظار عطفها فى أوقات الكروب ، وليس فى الوجود بجانب عطفها كروب

***

ثم صحونا فوجدتها تشكو عدوان أظفارى . كتب الله عليها أن تشقى إلى الأبد بعدوان أظفارى ! إن كنت جرحت جسمها فقد جرحت قلبى ... والجروح قصاص

أنا صحوت ؟ هو ذلك ، وما الذى يمنع من أن أخادع نفسى ؟

قضيت اليوم التالى وأنا لا أصدّق أن ما وعته الذاكرة من وقائع الليلة التى مضت كان وقع بالفعل ، فما تسمح الدنيا الغادرة بمثل ذلك النعيم ، إلا أن يكون حلماً من الأحلام

وأستنجد بالهتّاف لأسمع « ألو » ، ولأعرف أن ما وقع حقيقة لا خيال ، فيكون الجواب بالإثبات مصحوباً بالاستغراب من شطحات صوفية وأنها تلك الروح بوادر جنون

وآخذ بتلابيب الفرصة فأدعو إلى لقاءة ثانية لأقيم البرهان على أنى عاقل لا مجنون

اللقاءة الثانية بالنهار لا بالليل ، وبالصحراء لا بالبيت ، ثم يدور الحديث :

— أنت مصرٌّ على أن الوجود ليس فيه فضاء؟

— نعم

— وما دليلك ؟

— الدليل حاضر ، وهو أن ما نراه فضاء هو فى الواقع مسكون بالأربطة الكهربائية التى يتماسك بها الوجود ، وهو باعتراف الجميع مسكون بالهواء ، فهو ليس بفضاء

— سلّمتُ إلى أن أجد ما ينقض رأيك ، ولكن الذى لن أسلم به أبداً هو إصرارك على أن كل موجود فيه حياة حتى الجماد

— الجماد كلمة اصطلاحية فقط ، ولكنه فى الحقيقة يحيا ، كما يحيا الحيوان والنبات ، وأنا سأجد الشواهد من الحجارة المنثورة فى الصحراء .... انظرى هذه زلطة فى حجم ثمرة الدوم وشكل ثمرة الدوم

— أتظن أنها دومة تحجرت ؟

— هو ذلك بالفعل ... ثم انظرى فهذه زلطة فى حجم الخيارة وشكل الخيارة

— هى أيضاً خيارة تحجّرتْ ؟

— نعم

— ولماذا لا تتحجر جميع الثمار ؟

— لأنها ليست جميعاً فى قابلية متساوية ولا فاعلية متساوية

— والنتيجة ؟

— النتيجة أن الجماد الذى يتحول من وضع إلى وضع لا يتم له التحول بدون حيوية ، وقد جهل أبو العلاء حين قال :

والذى حارت البرية فيه
حيوانٌ مُستَحْدَثٌ من جماد

— وما رأيك فى الآية الكريمة « يخرج الحىّ من الميّت ويخرج الميّت من الحى »

— القرآن يعرض الظواهر التى تعارف عليها الناس لتكون الحجة على القدرة الإلهية أقوى وأوضح ، فمن العجيب فى نظر من لا يعرف أن تكون البذرة الخرساء أصلاً للدوحة الشمّاء ، وأن تكون البيضة الصغيرة أصلاً لطائر جميل يغرد أو يصيح

ولكن البذرة قد تفسد فلا يصدر عنها شجر ولا نبات ، والبيضة قد تفسد فلا يصدر عنها طائر ولا حيوان

— ليس فى الوجود فساد ، وإنما هو تحول ، فالبذرة

الفاسدة والبيضة الفاسدة تتعرضان إلى تعفن تعيش به خلائق

— آمنت بالله و كفرت بفلسفتك

— لن تؤمنى بالله إلا يوم تدركين حقائق هذه الفلسفة ، يا محبوبتى الغالية

— وأصدّق أن الحجر فيه حياة ؟

— نعم ، فى الحجر حياة ، وأثمانه تتفاوت لهذا السبب ، فالحجر الذى يباع رخيصاً في هذا اليوم لأنه لين ، سيباع غالياً بعد ألف سنة لأنه صلب ، وإن صبرنا عليه مليون سنة فقد يتحول إلى جرانيت ، وهذا هو الفرق بين محاجر طره ومحاجر أسوان

— بدأت أفهم

— وأنا لو شئت أفهمت جميع الأغبياء

— أنا غبية ؟

— اسمعى يا غبية ثم اسمعى ، هذا البناء الشاهق مم يتألف ؟ إنه يتألف من جمادات يأخذ بعضها برقاب بعض ، لأنها جميعاً أحياء ، فالجبس يعشق الطوب ، والأسمنت يعشق الحديد ، وبفضل هذا التعاشق تنهض هذه البنايات الشواهق ، كما تبتسم الخمر حين يصافحها الماء

— وأنت بالأمس أنكرت الموت ، وهذا أغرب ما سمعت من الآراء

— ليس فى الوجود موت ، فالدجاجة التى ذبحناها وشويناها ماتت فى نظر الناس ، فكيف تستطيع وهى ميتة أن تثير فينا النشاط حين نأكلها فى صباح أو مساء ؟ واللحوم التى ترد إلينا من استراليا محفوظة فى علب هي لحوم حيوانات بعضها ذُبح قبل أعوام طوال ، ونحن نأكلها فنشعر بنشاط وأريحية ، فكيف نصدّق أنها ماتت ؟

— إننا نرى بأعيننا ناساً يموتون ، وندفنهم ونترحم عليهم ، ونقيم لفراقهم الحداد

— إنهم يموتون موتاً عُرفياً ، وهم فى الواقع أحياء ، فلو بدا لرجل أن يأكل قطعة متعفنة من جثة ميت لأصابته نوبة تؤدى به إلى الهلاك ، وهو نقله من حالة اسمها الحياة إلى حالة اسمها الموت فى عرف الناس ... وهنالك صورة أوضح من هذه الصورة فى تأكيد الحياة لمن نتوهم أنهم أموات وهى خلود الفكر وتأثيره الموصول من مكان إلى مكان على اختلاف الأزمان، فأفلاطون لم يمت ، والغزالى لم يمت ، والمتنبى لم يمت ، لأن هؤلاء بتأثيرهم الروحى أحياء غير أموات

— والدكتور زكى مبارك ؟

— هو أيضاً لن يموت ، وسيحيا بفكره وروحه حياة لا يعرفوها فناء ، وسيقال فيما يلى من الأجيال إنه أول شارح لنظرية وحدة الوجود

— ولكنها نظرية غير إسلامية

— قلت ألف مرة إننى أتكلم باسم الفلسفة لا باسم الدين ، فلا تثقلى علىَّ بأمثال هذا الاعتراض ، فأسلافنا ظلموا أنفسهم حين قالوا إن الفلسفة لا تخالف الدين ، وكانت النتيجة أن يمقّتوا الفلسفة والدين

— بدأت أفهم

— ألم أقل إنى لو شئت أفهمت الأغبياء !

— أنا غبية ؟ أنا ؟

— لو لم تكونى غبية لما كدرت هذه الساعة اللطيفة بهذه الاعتراضات

— وهل يؤذيك أن أدعوك إلى شرح آرائك الفلسفية ليرعوى من يتهمونك فى عقيدتك الدينية ؟

— الناس لا يتهموننى فى شيء ، فمصايرنا جميعاً محتومة بصورة أزلية ، وليس للمؤمن ولا الكافر إرادة فيما صار إليه ، وليس هناك تعليل واضح لسحر هذه العيون

— عيونى ؟

— عيونك وعيون ليلى المريضة فى العراق

— يظهر أن تهمتك بالجنون لها أصل

— نعم ، ومجنون ليلى يتعجب من أن تغزوه ليلى بعينيها الكحيلتين وبينها وبينه مسافات تعجز عن اختراقها الشياطين

– أسكت يا مجنون !

– وهذا الفضاء الذى بينى وبين بغداد ليس بفضاء ، وإنما هو مجال لأسهم سحرية ترسلها ليلى فى كل وقت ، وإنى لأراها مني فى هذه اللحظة كما أراك مني

– اسكتْ ، اسكتْ ، فأنا أخاف أن تقتلني الغيرة

– تغارين من الوهم يا غبية ؟

– ليس هذا بوهم ، إن ليلى تطاردنى فى كل يوم وتحاول أن تسدّ طريقي إليك

– ومن أجل هذا يا محبوبتى أنكر المكان وأنكر الزمان

– ماذا تقول ؟

– ليلى معنا ، أليس كذلك ؟

– بلى ، وأنا أغار منها أعنف الغيرة

– إذن فليس هناك مكان ، وهل تغارين مما وقع بيني وبينها فى سنة ٩٣٧ ؟

– أغار ، أغار

– إذن فليس هناك زمان

– خبلتنى ، خبلتنى

– كذلك كانت تقول ليلى ، زادك الله وإياها خبالاً إلى خبال !!

– هذا الحوار ينتهى بنا إلى وحدة الوجود ؟

– إن فهمت مرادى يا أجمل غبية رأيتها فى حياتى

– تلميذتك لا تكون غبية

– إذن فاسمعى ، ثم اسمعى ، ليس فى الوجود فضاء ولا سكون ولا موت

– آمنت وصدّقت

– وليس فى الوجود زمان ولا مكان

– آمنت وصدّقت

– وليس فى الوجود ماضٍ ولا مستقبل

– ما معنى ذلك ؟

– معناه ياطفلتى أن الوجود كله خُلِق دفعةً واحدة ، فالماضى والحاضر والمستقبل صور لحقيقة أبدية لا تحول ولا تزول

– لم أفهم .

– ستفهمين ، هل تؤمنين بالأحلام ؟

– أومن بالأحلام

– تؤمنين بأن الرؤيا قد تتحقق بعد سنين ؟

– هو ذلك ، ولى مع الرؤيا تواريخ ، فقد رأيتك فى منامى قبل سنين ، وكان فى الرؤيا أنك تمزج بين المجادلة والمنازلة لأنخدع لك باسم العقل

– وأنا أيضاً رأيتك فى منامي قبل سنين ، وكان فى الرؤيا أنك تلميذتى لا معشوقتى

– وانخدعت لك ؟

– تلك أضغاث أحلام !

– أسرع وحدثنى عن رأيك فى الأحلام

– اسمعى ، الأحلام واقعة بلا ريب ، ولها تفاسير أختصرها فى تفسيرين اثنين : التفسير الأول هو تفسير بعض علماء النفس ، وهو أنها تعبير عن رغبات مكبوتة نعبّر عنها فى منامنا لنراها بعد أيام أو أسابيع ، والتفسير الثانى هو تفسير الدكتور زكي مبارك ، وهو أن لنا حاسة دقيقة تخترق المستقبل فى بعض الأحايين فتحدثنا بما سيكون بعد أزمان طوال

– وكيف نعرف ما سيكون بعد أزمان طوال ؟

– كما يعرف علماء الفلك أن الشمس ستنكسف أو أن القمر سيُخسف بعد عدد من السنين ، ومعنى ذلك أن الوجود كله خُلق دفعة واحدة ، وأن الرجل الملهَم قد يرى فى منامه ما سوف يقع ، لأنه سوف يقع ، ولو طال الزمان

* * *

تلك الروح ، وذلك اليوم ، وآه ثم آه من تلك الروح وذلك اليوم ! تلك الروح ملك يدى ، وإن باعدت بينى وبينها مسافات لا أعترف لها بوجود

وذلك اليوم ملك يمينى ، وهو يومنا الهائم بمجاهل الصحراء ، إنه يوم تجسّم فيه إيمانى بوحدة الوجود ، وأعلنت فيه إشراكى بأوهام الغافلين

قيل إنه يومٌ ذهب ، وأقول إنه يومٌ لن يذهب ، لأنه سيلاحقنى إلى البواقي من أيامى ، وليس لأيامى نهاية ، لأنى قَبَس من كهرباء وحدة الوجود .

زكى مبارك

اقتراح فى إصلاح الرسم العربي

للدكتور على عبد الواحد وافى

أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

قبل عرض الاقتراح ، يحسن أن أذكر كلمة قصيرة فى عيوب الرسم العربى وآثارها ، لأننى قد راعيت فى الطريقة الجديدة التى اقترحتها أن يتخلص رسمنا من جميع هذه العيوب وما يترتب عليها من نتائج

ترجع أهم عيوب الرسم العربى إلى الأمرين الآتيين :

(أولهما) أن الكلمات تدون بحسب هذا الرسم فى الكتابة والطبع عارية عن حركات حروفها ، أى مجردة من الإشارة إلى أصوات المد القصيرة (الفتحة والكسرة والضمة) التى تلحق الأصوات المقطعية فى الكلمة

وقد ترتب على ذلك الأضرار الأربعة الآتية :

١ — أنه لا يستطيع أحد أن يقرأ نصاً عربياً قراءة صحيحة ويشكل جميع حروفه شكلاً صحيحاً إلا إذا كان ملماً بقواعد اللغة العربية وأوزان مفرداتها إلماماً تاماً ، وكان فاهماً من قبل معنى ما يقرؤه . ففى معظم اللغات الأوروبية ، كما يقول قاسم أمين ، يقرأ الناس قراءة صحيحة ما تقع عليه أبصارهم ، وتتخذ القراءة وسيلة للفهم ؛ أما نحن فلا نستطيع أن نقرأ قراءة صحيحة إلا إذا فهمنا أولاً ما نريد قراءته

٢ — أن النص العربى الواحد عرضة لأن يقرأ قراءات متعددة بعيدة عن اللغة الفصحى . وذلك أنه قد حدث تفاوت واسع النطاق فى أصوات المد القصيرة (التى يرمز إليها بالفتحة والكسرة والضمة) فى اللهجات العامية ؛ حتى أننا لا نكاد نجد كلمة باقية فى هذه اللهجات على وزنها العربى الصحيح . فالنص العربي المجرد من الشكل عرضة لأن يقرأه أهل كل لهجة حسب منهجهم فى وزن الكلمات

٣ — أنه من المتعذر مع هذا الرسم قراءة أسماء الأعلام (أسماء الأمكنة والبلاد والبحار والجبال والأناسى .. الخ) قراءة صحيحة ، إلا إذا كان القارئ يحفظ الكلمة وضبطها من قبل . ولذلك تضطر بعض المعجمات إلى تهجى حروف الكلمات التى من هذا القبيل والنص على حركة كل حرف منها

٤ — أن رسماً كهذا من شأنه أن يُشيع اللحن ، ويعمل على انحلال العربيــة الفصحى ، ويحول دون تثبيت ملكتها في النفوس ، ويحمل على الاستهانة بقواعدها ، ويصرف كثيراً من خاصة الناس أنفسهم عن الإلمام بضوابطها النحوية والصرفية ، لأن فى استطاعتهم ، بفضل هذا الرسم المعيب ، أن يكتبوا ويؤلفوا بدون أن يكونوا ملمين بأصول هذه اللغة ، ولا مستطيعين هم أنفسهم قراءة ما يكتبونه قراءة صحيحة ، وبدون أن يظهر فى كتاباتهم أى أثر لقصورهم هذا

(وثانيهما) أن للحرف الواحد بحسب هذا الرسم صوراً مختلفة : فله صورة إذا كان مفرداً وصورة إذا كان متصلاً بغيره ؛ وله صورة إذا كان فى أول الكلمة ، وأخرى إذا كان فى وسطها ، وثالثة إذا كان فى آخرها

وقد ترتب على ذلك الأضرار الأربعة الآتية :

١ — أن تعدد هذه الصور من شأنه أن يحدث الارتباك والحيرة عند المبتدئين من المتعلمين ويطيل زمن تعلمهم للهجاء

٢ — أنه يكلف المطابع نفقات باهظة فى الحصول على عدة نماذج لكل حرف من حروف الهجاء

٣ — أنه يخلق صعوبات فى الطبع ويرهق العمال القائمين على صف الحروف مِن أمرهم عسراً ، إذ يتردد الواحد منهم بين أكثر من مائة صندوق مختلفة فى صور ما تشتمل عليه من نماذج ، فضلاً عن صناديق الشكل وعلامات الترقيم ؛ بينما لا يتردد العامل القائم على صف الحروف الإفرنجية إلا على نحو خمسين صندوقاً

٤ — أن كثرة الصناديق وتعدد الصور للحرف الواحد ، كل ذلك يجعل عمل هؤلاء العمال عرضة للزلل . ومن أجل هذا تكثر الأخطاء المطبعية فى الكتب العربية بينما تندر جداً فى الكتب الإفرنجية ، مع أن جامعى الكتب الأولى ومصلحى تجاربها يبذلون من الجهد فى الجمع والإصلاح أضعاف ما يبذله زملاؤهم فى الكتب الثانية

* * *

وقد قُدِّمتْ عدة اقتراحات لاتقاء هذه العيوب وآثارها

ولكن معظم هذه الاقتراحات لا يحقق هذه الغاية تحقيقاً كاملاً؛ والقليل منها الذى يحققها أو يدنو من تحقيقها يخلق لنا رسماً يختلف كل الاختلاف عن رسمنا الحالى، فيقطع بذلك الصلة بين حاضرنا وماضينا، ويحول بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربى، كما بينتُ ذلك بتفصيل فى كتابىّ «علم اللغة» و«فقه اللغة»(١)

وقد كنت رأيت فى كتاب «فقه اللغة» أنه من الممكن التغلب على صعوبات الرسم العربى «بالتزام شكل الكلمة التى من شأنها أن تثير اللبس عند أواسط المتعلمين إذا تركت بدون شكل»

ولكن ظهر لى فيما بعد أن هذا لا يقضى إلا على قليل من عيوب هذا الرسم ولا يقى إلا من بعض الأضرار التى أشرت إليها آنفاً

هذا إلى أن رسم الشكل فوق الحرف أو تحته مع اتصال الحروف بعضها ببعض وضيق الحيز الذى يشغله كل حرف منها يجعل هذا الشكل عرضة للانحراف فيحدث الارتباك ويوقع فى الخطأ والحيرة. وفضلاً عن هذا كله فإن التجارب قد دلت على أن القلم كثيراً ما يزلّ فى تدوين هذه العلامات الخارجة عن هيكل الكلمة وأن النظر كثيراً ما يتخطاها عند القراءة، فلا تكاد تؤدى الغرض المقصود منها

* * *

لذلك فكرت فى طريقة أخرى تخلص الرسم العربى من العيبين الرئيسيين اللذين أشرت إليهما وإلى آثارهما فيما سبق، وتعفى القلم والنظر من الصعود والهبوط نحو حركات ترسم فوق الحروف أو تحتها، وتقى القارئ والكاتب شرور الانحرافات المترتبة على هذا الصعود والهبوط، ولا تقطع الصلة بين قديمنا وحديثنا، بل تتيح للأجيال القادمة الانتفاع بتراثنا القديم

فاهتديت إلى طريقة يمكن تلخيص أصولها فى الأمور الأربعة عشر الآتية:

١ — أن ترسم حروف الكلمة مفردة منفصلاً بعضها عن بعض بنفس الصورة التى ترسم بها الحروف المفردة فى رسمنا الحالى؛ هكذا: ا ب ت ث ج ... الخ

٢ — أن ترسم الهاء هكذا: «ه»، والتاء المربوطة هكذا «ة»، للتمييز بينهما وللنطق بكل منهما على وجهها الصحيح، فينطق بالأولى هاء دائماً وينطق بالثانية هاء فى الوقف وتاء فى الوصل

٣ — أن ترسم حروف المد الثلاثة مجردة من العلامات والنقط، هكذا: و ى ا. وترسم الألف اللينة ألفاً مطلقاً مهما كان أصل الكلمة وعدد حروفها. فكلمات: رمى، إلى، على، متى ... الخ ترسم ألفاً حسب النطق بها

٤ — أن يوضع فوق الواو التى ليست حرف مد علامة ثمانية صغيرة هكذا «وٛ» (أو أية علامة أخرى) للتمييز بينها وبين واو المد وللنطق بها على وجهها الصحيح

٥ — أن يوضع نقطتان تحت الياء التى ليست حرف مد، هكذا «ي» للتمييز بينها وبين ياء المد وللنطق بها على وجهها الصحيح

٦ — أن ترسم همزة القطع ألفاً فوقها همزة هكذا «أ» للتمييز بينها وبين الألف اللينة ولينطق بها القارئ على وجهها الصحيح. وترسم على هذه الصورة أيا كانت حركتها وحركة ما قبلها، وأيا كان موضعها فى الكلمة

٧ — أن ترسم همزة الوصل ألفاً فوقها علامة ثمانية صغيرة هكذا «اٛ» (أو أية علامة أخرى) وذلك للتمييز بينها وبين الألف اللينة وهمزة القطع، وللاشارة إلى أنه لا ينطق بها مطلقاً فى الوصل، وينطق بها همزة فى الابتداء

٨ — أن ترسم اللام الشمسية (التى لا ينطق بها فى علامة التعريف) لاماً فوقها ثمانية صغيرة، هكذا «لٛ» (أو أية علامة أخرى)، وذلك للتمييز بينها وبين اللام القمرية وللاشارة إلى عدم النطق بها

٩ — أن ترسم الحرف الساكن بطبعه غير متبوع بأية علامة، ويكون تجرده هذا دليلا على سكونه (وأقول «الساكن بطبعه» لأن الحرف المتحرك إذا سكن فى النطق لعارض، كالوقف عليه مثلاً فى آخر الكلمة يكون حكمه فى الرسم حكم

(١) أنظر على الأخص كتاب «فقه اللغة» صفحات ١٧١ — ١٧٥ فى الطبعة الأولى و ١٤٣ — ١٣٨ فى الطبعة الثانية. وانظر كتاب «علم اللغة» صفحات ٢٤٦ — ٢٥٨ فى الطبعة الأولى و ١٨٧ — ١٩٦ فى الطبعة الثانية.

الحرف المتحرك ، فندون حركته وفقاً للقواعد الآتية)

١٠ — أن يرسم عقب الحرف المشدد بطبعه (كالسين فى « مسّ ») أو المشدد فى النطق لوقوعه بعد لام شمسية (كالسين فى « السماء » علامة شدة فوقها فتحة أو ضمة إن كان مفتوحاً أو مضموماً وتحتها كسرة إن كان مكسوراً . فالسين المشددة أو الواقعة بعد لام شمسية ترسم هكذا فى أحوالها الثلاثة : س سَّ س سِّ س سُّ . وذلك للاشارة إلى أن الصوت ينطق به مرتين يسكن فى أولاهما ويحرك فى ثانيتهما بالحركة المدونة بعده . وإن كان الحرف المشدد منوناً رسمت علامة تنوينه فوق شدته . فالميم فى « عمّ » مثلاً ترسم هكذا فى أحوالها الثلاث : م ًّ م ٍّ م ٌّ

١١ — أن يرسم عقب الحرف المنون غير المشدد علامة تنوينه : فيرسم عقب المفتوح فتحتان هكذا = ؛ وعقب المكسور شرطتان متوازيتان تتصلان بشرطة مائلة هكذا = (حتى تتميز هذه العلامة عن العلامة السابقة) ؛ وعقب المضموم علامتان من نوع الفاصلة فى علامات الترقيم هكذا ،، (وقد فضلت هذا الرمز على الرمزين المتداولين فى التنوين المضموم وهما ٌ ٌ لأن أولهما يلتبس بالواو المكررة وثانيهما يلتبس بالقاف فى خط الرقعة) فاللام المنونة ترسم فى أحوالها الثلاثة هكذا : ل = ل = ل ،، وذلك للاشارة إلى أن هذا الصوت محرك بالحركة المشار إليها ومتبوع بنون التنوين

١٢ — أن يرسم الحرف المتحرك الممدود بالألف أو الياء أو الواو غير متبوع بما يدل على حركته ، لأن وجود الألف بعده يدل على أنه مفتوح ، والياء على أنه مكسور ، والواو على أنه مضموم . فيرسم المقطع الأول من : قال وقيل وقوت هكذا قا قى قو . إلا إذا كان هذا الحرف مشدداً فتطبق عليه القاعدة العاشرة السابق ذكرها . (فكلمة الدارُ مثلاً ترسم هكذا : ا — ل د ّ ا ر ،)

١٣ — أما الحرف المتحرك غير المشدد ولا المنون ولا الممدود فترسم حركته بعده : فإن كانت فتحة رسمت وفق صورتها فى الرسم الحالى ، وإن كانت كسرة رسمت هكذا (حتى لا تلتبس بالفتحة) ، وإن كانت ضمة رسمت هكذا ، (حتى لا تلتبس بالواو إن رسمت بصورتها المتداولة)

١٤ — وأما علامات الترقيم فترسم الأنواع الآتية منها وفق صورها فى الرسم الأفرنجى ، وهى ؛ . ؟ ! « » ( ) . أما الفاصلة المجردة ، virgule فترسم فوقها نقطة هكذا ، حتى لا تلتبس بالواو إن رسمت بشكلها الأفرنجى وبالضمة إن رسمت بالصورة التى نرسمها بها الآن فى العبارات العربية « ، » . وأما الشرطتان اللتان تحصران بينهما الجملة المعترضة فيستبدل بهما القوسان حتى لا تلتبسا بالفتحة إن رسمتا بصورتهما العادية : فترسمان هكذا ( )

وفيما يلى نموذج لتطبيق هذه الطريقة ، فالبيت والعبارة الآتيان (وهما يشتملان على نماذج لجميع القواعد الأربع عشرة التى تقوم عليها طريقتنا) :

السيف أصدق إنباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

لكل قاعدة استثناء ، ولكل مطلق قيود

يدونان حسب الطريقة المقترحة على الصورة الآتية :

ا — ل س ّ ي ف ، أ - ص د — ق ، أ ـ ن ب ا = م ـ ن —
ا ـ ل ك ـ ت ، ب ـ   ف ى ح ـ د ّ ه ـ ا ـ ل ح ـ د ّ ب ـ ي ن ـ
ا ـ ل ج ـ د ّ   و ـ ا ـ ل ل ّ ع ـ ب ـ

ل ـ ك ، ل ّ   ق ا ع ـ د ـ ة = ا ـ س ت ـ ث ن ا أ ،،
و ـ ل ـ ك ، ل ّ   م ، ط ل ـ ق = ق ، ي و د ،،

وتمتاز هذه الطريقة عن جميع الطرق المقترحة من قبل بالأمور الآتية :

— أنها تخلص الرسم العربى تخليصاً تاماً من عيبيه الرئيسيين اللذين أشرت إليهما فى صدر هذا المقال ومن جميع آثارهما الضارة التى أشرت إليها كذلك ، وتحقق جميع الفوائد المقابلة لهما

٢ — أنها تعفى القلم والنظر من الصعود والهبوط نحو حركات ترسم فوق الحروف أو تحتها ، وتقي القارىء والكاتب شرور الانحراف المترتب على هذه الحركات ومواضعها . وذلك أن طريقتنا ترسم الحركات فى صلب الكلمة نفسها . ولا تشتمل

إلا على ثلاث علامات خارجة عن صلب الكلمة ؛ ولكنها تشير إلى أمور أخرى غير حركة الحروف ، وهى الهمزة وعلامة الوصل وعلامة اللام الشمسية وعلامة الواو غير اللينة أ ا ل و

٣ — أنها لا تقطع الصلة بين ماضينا وحاضرنا ، ولا تحول بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربى المدون بالرسم القديم . لأنها تستخدم نفس الصور والأشكال التي يستخدمها هذا الرسم (فيما عدا الكسرة والضمة والعلامة المميزة لهمزة للوصل واللام الشمسية والواو غير اللينة - ، ٨ . على أن العلامتين الأولين قريبتان جداً من شكلهما القديم ، والعلامة الثالثة لا تغير شيئاً من هيكل الحرف وإنما ترمز إلى أنه غير ناطق أو غير لين) . فالعالم بهذه الطريقة يستطيع مع شيء يسير جداً من التأمل والمران أن يقرأ الكتب المدونة بالرسم الحالى

ولا يؤخذ على هذه الطريقة إلا أمران :

(أحدهما) أنها تطيل رسم الكلمة قليلاً بالنسبة إلى رسمها القديم . ولكن ضرر هذه الإطالة ليس شيئاً مذكوراً بجانب ما تحققه من جليل الفوائد للعربية وأهلها . على أن معظم عيوب الرسم القديم قد نشأ عن مبالغته فى الاختزال والتعمية وإغفال الرمز إلى كثير من الأصوات التى ينطق بها فى الكلمة فلا يرجى له إصلاح جدى إلا بالقضاء على اختزاله وتعميته واعتماده على فراسة القارىء . وهذا يستلزم حتما أن يطول رسم الكلمة حتى تكون رموزها معبرة تمام التعبير عن جميع أصواتها . هذا إلى أننا لم نأل جهداً فى تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من الاقتصاد فى مجهود القارىء والكاتب والطابع (١) ، مع عدم الإخلال بالغرض المقصود ، وذلك بما تضمنته طريقتنا من الأصول المشار إليها فى موادها التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة . على أنه من الممكن أن نحذف علامة الحرف المفتوح لكثرة دوران الفتحة فى اللغة العربية ، ونثبت علامة الحرف الساكن لقلة دوران السكون ، فيتحقق بذلك بعض الاقتصاد ؛ وإن كانت الطريقة الأولى أكثر مطابقة للنطق

(وثانيهما) أنها ترسم حروف الكلمة متفرقة . ولكن رسم الحروف متفرقة أسلوب سليم لا غبار عليه ولا غرابة فيه . فقد سار عليه معظم أنواع الرسم السامى (الفينيقى والعبرى والآرامى والحبشى واليمنى ...) وسار عليه الرسم العربى نفسه فى أقدم صوره ، ويسير عليه الآن الرسم الأوربى فى الطباعة ؛ بل لقد أخذ هذا الأسلوب منذ أمد غير قصير ينفذ إلى أقلام الكاتبين باللغات الإفرنجية ، وأخذت مدارس كثيرة تسير عليه فى تعليم الهجاء الإفرنجى وتأخذ تلاميذها به فى كتاباتهم . وقد رأيت بعد تفكير طويل أن هذا الأسلوب وحده هو الكفيل بتخليص الرسم العربى من عيوبه وتحقيق الغايات التى نرمى إليها على أحسن وجه وأكمله . فبفضله نستطيع أن نرمز إلى أصوات المد القصيرة (الحركات) بعلامات ترسم فى هيكل الكلمة لا فوق حروفها أو تحتها ، وبفضله يصبح لكل حرف صورة واحدة لا تتغير ، مهما كانت حركته وكان موضعه فى الكلمة

صحيح أن من اعتاد الرسم والقراءة على الطريقة القديمة التى تقوم على الاختزال ووصل الحروف بعضها ببعض ، سيعانى بعض العنت فى السير على هذه الطريقة المفصلة المتفرقة الحروف . ولكن قليلا من المران كفيل بتخفيف هذا العنت وإزالته . على أن عبأه سيكون مقصوراً على أهل الجيل الحاضر ممن تعلموا على الطريقة القديمة . وأمر كهذا لا يقام له وزن بجانب ما تحققه الطريقة المقترحة من تقويم للألسنة والأقلام ، وصيانة للعربية الفصحى ، وتسهيل فى طرق تعلمها وتعليمها ، وتثبيت لمكانتها فى النفوس ، وتمكين كل فرد من قراءة أية عبارة قراءة صحيحة مهما كانت درجته فى العلم ضئيلة ، ومهما كان ضعيفاً فى مبلغ إلمامه بقواعد اللغة

علي عبد الواحد وافي
دكتور فى الآداب من جامعة السوربون

---

(١) تزيد صناديق المطبعة بحسب الطريقة القديمة على مائة صندوق للحروف فقط ، وتبلغ نحو مائة وثلاثين إذا أضيف إليها صناديق الشكل وملحقاته ؛ بينما تبلغ بحسب طريقتنا ثلاثة وأربعين فقط ، منها ثمانية وعشرون للحروف والباقى للتاء المربوطة والواو والياء غير اللينين وهمزة القطع وهمزة الوصل واللام الشمسية وعلامتى التشديد والتنوين فى أوضاعهما الثلاثة والفتحة والكسرة والضمة (ة و ي أ ا ل ـّ ـً ـٌ = ا= ،، — ،) فالصناديق فى طريقتنا تقل حتى عن صناديق المطابع الافرنجية نفسها .

ديوان أفراح الربيع

للشاعر حسن البحيرى

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

لعلَّ الحركة الأدبية فى مدينة حيفا أظهر مما هى فى المدن الأخرى من فلسطين ، فهذا النشاط الدائب الذى نراه فى جمعياتها وأنديتها يحملنا نقول بهذا الرأى ، ويعزز قولنا ما تطالعنا به في كل مناسبة من مهرجان تقيمه أو ذكرى تحييها تستفز بها الهمم وتوحى إلى الأدباء والشعراء

وقد طلع علينا فى العام الماضى نادى أنصار الفضيلة فى حيفا بديوان الأصائل والأسحار للشاعر الشاب حسن البحيرى ، وإذ قرأنا فيه كلمة اللجنة الثقافية للنادى ، تلك اللجنة التى (أخذت العهد على نفسها أن تخدم لغة الضاد وأن تناضل لتذود عن لغة القرآن ، وأن تبحث وتنقب عن تلك الكتب الضائعة المخفية وراء ظلام الوحدة لتخرج بها إلى عالم النور) أقول إننا إذ قرأنا هذا رأينا أى نهضة أدبية تتطلع إليها عيون الشباب فى فلسطين وأى مطمح نبيل يساور قلوبهم المتفتحة للنور . فأفعم نفوسنا الأمل المشرق وملأها جمالاً وجلالاً وإيماناً بالمستقبل .

هذه ظاهرة ميمونة لم أر بدا من الإشارة إليها إذ أقدم بين أيدى القراء ديوان « أفراح الربيع » لشاعر حيفا حسن البحيرى، أو شاعر الحب والجمال كما يسميه صديقه الشاعر المصرى أحمد رامى

نقرأ فى هذا الديوان كتاب الطبيعة المفتوح وقد زافت فى منظرها الفتان ، وفى جوها الذى سبح فيه خيال الشاعر تتضوع الأزهار وترف الأنداء على ثغورها رقيقة براقة ، وهناك الجدول الراقص يستضحك من فرط الطرب (ويعزى من بكى عما بكى) بل هناك الدنيا ترف أمام عيوننا طيباً ونوراً وتمتلىء شذى وعطوراً

وللموسيقى وسحر إيقاعها نصيب وافر من الديوان ، وكثيراً ما نستمع إلى حنين العود وأنين الناى فيه ، فتتم لنا صور جمال الطبيعة ، تلك الطبيعة التى نشأ الشاعر فى أحضانها المفوّفة وعل من جمالها ونهل ؛ والشاعر كما يلوح لنا موسيقى بطبعه وله هيام لاحد له بالموسيقي ، نلمس ذلك فى (ألحان شاردة) وهو القسم الثانى من الديوان . حيث يستهله بقوله :

لئن يوماً حدا بكمو حنين   لسكان القبور الدارسات
وأوقفكم على قبرى اعتبار   أو استعبارُ عين الذكريات
فناجونى بناى أو كمان   لتسعد في حفائرها رفاتى

وفى قصائده « عازف » و « ناى » و « وداع عود » وغيرها من الألحان الشاردة ، نحس بالأنغام التى صيغت من ذوب القلوب ... فبعثت الذكرى وهاجت الشجن ، وقد تحمل الأرواح أحياناً من دنيا الهموم وتحملها تطوف بأشواقها على متن الغيوم ، وقد يهيج النغم أشجان القمر فيقف على باب مغيبه ويتمنى لو مُدَّ بقاؤه له لكى يتمتع بأنات الوتر . ولا عجب أن نرى وحى الموسيقى يشيع فى الديوان فهى والشعر أختوان تهيم بهما النفس الجميلة ، وتسمو على أجنحتهما إلى دنياوات ساحرة

وهناك من القصائد ما هفت فيها روح الشاعر نحو أليفها حيرى مضطربة ، أذكر منها « الموعود » و « وادى الأحلام » وقد تشيع روحه الحيرى هذه فى كثير من قصائده ولكنها فى هاتين أظهر . ولنستمع إلى هذا العتاب وما فيه من مرارة عذبة ، إذ يقول فى قصيدة وادى الأحلام :

أنسيت عهدك والزمان مسالى   فتركتنى والبؤس من أخدانى
أم شاق قلبك غير ودِّى شائقٌ   فرميت بى فى وحدة الأحزان
يا سالياً ما إن ذكرت زمانه   إلا بكى زمنى وأنَّ مكانى

ثم يصف لنا ما كان فى وادى أحلامه من طير وشجر وماء وزهر ، وكيف كان الماء يروى للبنفسج شوقه وهيامه بمراشف الأغصان ، إلى أن يقول :



إلى الطبيب القدير الدكتور حسين همت

يا صديق . ويا طبيبي !

دار الحول واقتربت الساعة التي أوشكت أن تكون موعد لقاء منظور ، وقد كانت عندك أفجع فراق مرهوب

مضت ثلاثة أعوام على تلك الليلة التي ناديتني فيها لتبلغني كلمة واحدة لم تزد عليها ، ولكنها لا تحتمل الزيادة ، لأنها وسعت من التعبير عن آلام نفسك — أيها الصديق العزيز — ما تضيق به المعجمات والأسفار

ويخيل إلى أنني أسمعها الساعة كما سمعتها منذ ثلاثة أعوام ، لأن للكلمات أرواحاً تعيش وتموت ، وأعماراً تطول وتقصر ، وقلما تموت كلمة مرهونة بألم طويل العمر ، مديد البقاء

تعودتُ يا صديقى وطبيبى أن أطرق جرسك في هدأة الليل لأعوذ بعلمك وطبك فى أمرى وأمر الأعزاء عندى ، ولكننى لم أسمع صوتك يطرق سمعى فى هدأة الليل إلا هذه المرة ، ولم أسمع منك فى هذه المرة غير تلك الكلمة الواحدة . ولكنها الكلمة التى جمعتَ فيها من ألمك ما لم أجمعه فى مئات الكلمات

ماتت !

ولا حاجة بعدها إلى مزيد

وليس من عادتى أن أقحم العزاء على المفجوعين فى ساعة الفجيعة الدامية ، لأننى أحسبه اجتراء على قدس الأحزان لا خير فيه ، ولكنه صوت سمعته لا بد له من جواب تسمعه غير الصمت والسكون . . فقلت كأننى لا أعلم ما أقول :

« إنك رجل يا دكتور ، ولن تنفعك الرجولة فى مقام بعد اليوم إن لم تنفعك بالصبر الجميل فى هذا المقام »

* * *

يا من رسمت خياله بمدامعى وحملت من ذكراه ما أشجانى
أنسيت وادينا وما كنا به من حلو أحلام وعذب أمانى
كم ساعة للوصل فى أحضانه سمدت بظل التوت والرمان

ولا أغفل عن ذكر قصيدته الجميلة « زهرة العمر » ومنها :

أخاف على زهرتى أن تموت وســلوة روحى فى عطرها
لقد سمعت من فؤادى الجريح شــجاه فكنته فى سرها
وبثت أســاه لنظارها ببسمة شــجو على ثغرها

وفى القصيدة نظرات فلسفية فى الحياة والمصير الذى تنتهى إليه

وليس ما يؤخذ على الشاعر الشاب سوى وقوعه أحياناً فى « سناد الردف » وهذا من عيوب القوافى ، فتراه يردف فى القافية بحرف الألف حيث يدع الردف فى القافية التى سبقت أو تلت كقوله فى قصيدة « عيد فى عيد » إذ يشير إلى مولد النبى صلعم :

مولد كالشمس فى إشراقها ضــوّأ الدنيا بأنوار اليقين
مالت الشمس له عن شرقها ثم حيته بإحنــاء الجبين

وكذلك فى قصيدة « زورق الأحلام » حيث يردف بحرف الياء فى قافية (الطير) بينما تخلو قوافى القطعة كلها من الردف مثل النهر والعطر

هذه هنات ما كنت أحب أن آتى عليها لولا إيثارى للشاعر ورغبتى الخالصة فى أن يتجنبها فى المقبل من شعره ، وما عدا ذلك فالديوان يفيض بالشاعرية والجرس الموسيقى الذى يشمل كلماته المنتقاة التى تدل على ذوق جميل وطبع أصيل

وتتصدر الديوان أبيات للشاعر أحمد رامى صديق شاعرنا ، فبين الشاعرين تآلف روحى مصدره ذلك الشبه بين روحيهما الهائمين فى سماء الحب والجمال . والديوان رشيق الطبع أنيقه ، مزين بصور طبيعية لبلادنا الحبيبة الفاتنة ، وهذه الصور تكمل فى نفس القارئ شعوره بالجمال ، وقد طبعته شركة فن الطباعة فى القاهرة ونشره محمد احمد حجازى

وإذ أشكر للشاعر الرقيق هديته الجميلة فإننى أهنئه بنتاجه الموفق الجميل .

(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان

نعم يا صديقى ، ويا طبيبي !

إنك رجل ذو عزيمة وجلد وإباء ، صبرت على الأهوال فى بلاد الأهوال ، وصحبت الحرب الماضية فى البلاد التركية وفى بلاد أوربا الوسطى وأوربا الشرقية يوم كانت تلك البلاد موارة بالخطوب والقلاقل ، مؤارة بالفتن والزلازل ، تصبح فى حال ولا تمسى عليه ، وتمسى ولا تدرى كيف يطلع عليها الصباح

وبلوت من الدنيا ما هو أقسى على النفس من أهوال الفتن والحروب : بلوت منها تقلب القلوب وغدر الصحاب وخيبة الظنون

بلوت هذا كله فما وهنتَ ولا شكوت ولا أجريته على لسانك إلا كسمر السامر وفكاهة المتحدث ، وعبرة المعتبر بأحوال الدنيا وخلائق الناس

أنت يا صديقى رجل ذو عزيمة

ولكنك وا أسفاه رجل ذو قلب وذو ضمير . وكثيراً ما يكون القلب وحده مدداً للعزيمة ، والضمير وحده ينبوعاً للصبر والإباء

وها أنت يا صديقى تفجع فى القلب فما جدوى العزيمة وما غناء الصبر وما حيلة الإباء ؟

أكنتُ نسيتُ ذلك كله ساعة أبلغتنى الخبر المشئوم فأهبت منك بعزم الرجال ؟

إن كنت قد نسيته فى تلك الساعة فما كان أخلقنى ألا أنساه ، لأننى لمست شواهده قبيل ذلك بأيام ، وشاءت الأقدار أن أسبقك إلى مصاب يهد القوى ويفت فى الأعضاد ، وشاءت الأقدار أن تكون أنت فى لواعج الخوف من وقوع مصابك الأليم ولا علم لى بشىء من ذلك ، لأنك كنت تواسينى مواساة الصديق والطبيب ، وتعوذ من نفسك بعزم أولى العزم ، وتكتم عنى ما كنت فيه

فلما برح بي الألم ولجأت إليك أستمد منك عوناً لهذه البنية ينصرها على البرحاء علمت ما يشغلك ، وعلمت مبلغ صبرك على مغالبة الخوف والفزع والبلاء

علمت أنك هجرت بيتك ولزمت حجرة المستشفى منذ أيام ، وتركت محرابك الذى لا تتركه لتقيم إلى جوار تلك العزيزة التى تودع الحياة : تلك العزيزة التى كان منها مدد قلبك ومدد عزمك ... تلك الزوجة الرؤم بل ذلك الملك الكريم الذى سكنت إليه كما تسكن السفينة إلى الميناء الأمين بعد هوج البحار

علمت أنك تأوى إلى المستشفى منذ أيام ولم أعلم ما حقيقة الداء وما مبلغ الرجاء في الشفاء ، وكان أغلب الظن عندى أنها عقدة من عقد الجراحة يحلها مبضع الجراح . فلما ذهبت إليك قويتَ عندى هذا الظن وتماسكت وتجلدتَ وألححت فى السؤال عنى لتطلق لسانى وتنسينى ما أنت فيه

وها أنت يا صديقى تفجع فى القلب فما جدوى العزيمة وما غناء الصبر وما حيلة الآباء ؟

حين دق الجرس فى هدأة الليل ، وسمعت صوتك يجهش بالبكاء ، ويلقى إلى بتلك الكلمة القصيرة فى حروفها ، الطويلة فى عقابيلها — لم يخطر على لسانى إلا الصبر أثوب بك إليه ، ولولا ذهول المفاجأة لخطر لى أن الصبر قد أصيب فى المقتل المنيع ، لأنه قد أصيب فى القلب الذى يعتصم به الرجل الصبور ، وكثيراً ما يتراجع الرجال بعزائمهم إلى قلوبهم ، فإذا أصيب القلب — فإلى أين يتراجعون ؟

ذلك هو اللغم فى الميناء ، وإنه لأهول من الأعصار فى هوج البحار

واليوم وقد دار الحول دورته الثالثة لا أحاول العزاء ، لأن العزاء تخفيف من الأسى والأسى على الأعزاء عزيز مثلهم ، لا يروقنا أن نمسه بتخفيف

إنما أحاول ترويض الحزن بشىء من التذكير

ولا أذكرك إلا بمصائب الحياة إلى جانب مصائب الموت .

فوالله يا صديقى أن الحياة لأقسى من الموت فى أكثر من مصاب ، وأن قسوة الموت لرحمة فى بعض الأحايين عند قسوة الحياة ، فليست أوجع السهام مخبوءة لنا فى جوف التراب ، بل هى مخبوءة لنا فى رحب الهواء

إن فقدان الموت يورثنا الألم ولكنه الألم الذى لا نهون به ولا نخجل من قبوله ، وقد نشرف أمام أنفسنا بالصبر عليه والحنين إليه

وكم من فقدان فى الحياة يورثنا الألم الذي يُخجل ويضيم ، لأنه ألم لا يجمل بنا أن نحسه ولا يشرفنا الصبر عليه والحنين إليه ، وإنما يشرفنا أن نقتلعه من جذوره كلما استطعنا ، وقد لا نستطيع

كل مفقود بالموت يستحق الحزن عليه ، وكل مفقود بالحياة فالحزن عليه كثير

ولا كرمُ لنا وللأعزاء أن نفقدهم موتى ولا نفقدهم أحياء ، وما يرضينا أن نفقدهم على حال من الحالين لو كان لنا اختيار بين الأمرين ، ولكننا مسيرون يا صديقي للقضاء ، ولا حيلة يا صديقي للموتى ولا الأحياء ، مع حكم القضاء

عباس محمود العقاد

شرح وحدة الوجود

في غير هذا المكان من الرسالة يجد القراء كلمات كتبتها لنفسي ، ولم أكن أنوي نشرها في هذا الوقت ، ولكن المقال الأخير للأستاذ دريني خشبة حملني على تقديمها لمجلة الرسالة ، لتكون جواباً على اعتراضات كثيرة واجهني بها كثير من أصدقائي ، وتمنَّوا أن أجيب ، ليستطيعوا الإجابة عني حين يستطيل أعدائي

وأقول بعبارة صريحة : إن الأستاذ دريني بعيد كل البعد عن نظرية وحدة الوجود ، ومقالاته في نقضها تشهد بأنه لا يريد أن يسمع ما نقول في تأييد هذه النظرية ، وأنه يحرص على أن تكون كل فكرة موصولة بالدين الإسلامي ، مع أني قلت له إني لا أجعل الإسلام في بالي حين أواجه معضلات الوجود ، لأن الإسلام ينهانا عن مواجهة تلك المعضلات

وقراء الرسالة يشهدون أني فررت من الميدان حين رأيت أن ثباتي فيه يعرضهم لبلبلة فكرية لا أريدها لهم بأي حال ، وأنا القائل بأن المجد كالرزق فيه حرام وحلال ، وأنا لهذا أبغض الشهرة المجلوبة بإيذاء الناس

وقال قومٌ إنه كان يجب أن أردّ على الأستاذ معروف الرصافي ، وأقول إني لن أرد عليه ، لأنه أكرمني بنقد آرائي ، وأنا أحترم من ينقدون آرائي بإخلاص ... وقد قلت مرة إن الذوق خير ما دعا إليه الأنبياء ، ولهذا المعنى لن أناقش الأستاذ دريني ، لأنه من أعز أصدقائي ، وإن كان ينفر من آرائي

وأنتهز هذه الفرصة فأسجل بيتين هما خير ما قال صديق في الشوق إلى صديق ، وهما تحية من الشاعر عبد الرحمن البنّاء :

لك يا ابن الغرّ الميامين نفس   خلقت من مكارم الأخلاق
فرّقتنا الدنيا فهل يا زكيّ   أنا باق إلى اللقاء ، أنا باق

سأراك يا أيها الشاعر إن سنحت فرصة لزيارة بغداد ، وسأراك إن تفضلت بزيارتي في وطني ، فأنا بحمد الله من أكابر الأغنياء في وطني ، وسيكون من الشرف أن أهدي إليك داراً في سنتريس هي طيف من دارك في بغداد ، يا شاعراً سابق الرصافي إلى إكرامي في بغداد .

زكي مبارك

حول أبي فراس الحمداني

إلى مترجمي دائرة المعارف الإسلامية

قرأت ترجمة أبي فراس في دائرة المعارف الإسلامية ، فاسترعى نظري أمران خالف فيهما وجه الرأي مترجمو هذه الدائرة ، والواجب العلمي يقضي بالتنبيه إليهما

أما الأمر الأول فما جاء في هذه الترجمة من قولهم : « وقبض عليه (أي أبي فراس) المرة الثانية عام ٣٥١ هـ (٩٦٢ م) وسيق إلى القسطنطينية وسجن فيها عدة أعوام ، ونظم في ذلك الحين مراثي مؤثرة رثى بها أفراد أسرته ، ومن بينها مرثيته المشهورة في أمه التي ترجمها أهلوارت Ahlwardt » . وهذا خطأ واضح ؛ فإن أبا فراس لم يرث أمه أصلاً ؛ لأنه مات قبلها كما أجمع على ذلك مؤرخوه

أما القصيدة التي يشير إليها بروكلمان الذي كتب هذه الترجمة ، فليست قصيدة رثاء لوالدته ، ولكنها قصيدة أرسلها إليها وقد ثقل من الجراح التي نالته ، ويئس من نفسه فكتب إلى أمه كأنه يعزيها ، وأول هذه القصيدة التي ترجمها أهلوارت إلى الألمانية

مصابي جليل والعزاء جميل   وظني بأن الله سوف يزيل

والأمر الثاني قولهم : « وتمتاز أشعاره بطابع شخصيته القوي الواضح ، وهي أقرب ما تكون إلى اليوميات . ولو أنها لا تختلف في أسلوبها عن أشعار معاصريه ، وهي ليست في روعة أشعار المتنبي »

وقد نقل المستشرق المعروف بلاشير Blachère في كتابه

عن المتنبي (ص ٣٣٠) رأى بروكلمان الذى ذكره فى دائرة المعارف الإسلامية، وهو يخالف هذه الترجمة التى نقلناها إذ يقول:

Comme von Kremer, Brockelmann met Aboû Firâs bien au dessus d'Abou -t-Tayyib

أى أن بروكلمان، مثل فون كريمر، يضع أبا فراس فى مرتبة أعلى من مرتبة أبى الطيب. ومنه يتبين الفرق بين ما نقله بلاشير عن بروكلمان فى دائرة المعارف وما ترجمه مترجمو هـذه الدائرة إلى اللغة العربية.

أحمد أحمد بدوى
مدرس بحلوان الثانوية للبنين

(حلوان)

الهكسوس ومدة حكمهم لمصر

اختلف الأستاذان سيد قطب وصلاح ذهنى فى تحديد مدة حكم الهـكـسوس لمصر. فهذه المدة فى رأى الأستاذ ذهنى مائتا عام أو أقل مستنداً فى ذلك إلى الفصل الذى كتبه الدكتور أبو بكر فى كتاب «الجمل فى تاريخ مصر العام»، وهي فى رأى الأستاذ قطب خمسمائة عام مستنداً إلى جوستاف لوبون فى كتاب «الحضارة المصرية القديمة»، وهذا فارق كبير فى التقدير يحتاج إلى كثير من التحقيق

يقرر الدكتور أبو بكر أن الهـكسوس دخـلوا مصر عام ١٧١٠ ق م. وطردوا منها نهائياً عام ١٥٨٠ ق.م. فتكون مدة حكمهم قرناً ونصف قرن ويقدر الأستاذ برستد فى كتاب «تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى» المدة بين حكم الأسرة الثالثـة عشرة (وهى التي بعد إنحلالها أغار الهـكسوس على مصر)، وبين نهاية حكم الأسرة السابعة عشرة بمئتين وثمانية أعوام (١٧٨٨ – ١٥٨٠ق م) بما فى ذلك مدة حكم الهكسوس، ويؤكد أن مدة حكمهم لم تزد على مائة عام، ويجعل المسيو دريتون فى كتابه : «Les Peuples de L'Egypte l'Orient Médetcrraneén II» مدة حكمهم بمائة وخمسين عاما (١٧٣٠ – ١٥٨٠ق م)

أما الذين قالوا ببقاء الهـكسوس بمصر خمسة قرون. فلا أذكر منهم غير المؤرخ اليهودى جوسيفوس الذى زعم أنه نقل عن مانيتون أنهم استمروا يحكمون مصر ٥١١ عاماً. ولكن برستد يقرر أنه لم يوجد على الآثار ما يؤيد كلام مانيتون، كما يقرر الدكتور أبو بكر مبالغته مدة حكم الهكسوس

ويرجح الأستاذ دريتون حدوث المحاولات التى انتهت بطرد الهـكـسوس بين (١٦٨٠ – ١٥٨٠ق.م)، ويورد قائمة بأحد عشر ملـكاً سماهم ملوك الأسرة السابعة عشر حدثت فى أيامهم تلك المحاولات، فتـكون مدة هذا النضال مائة عام وليست مائتين أو مائة وخمسين كما يحاول الأستاذ قطب تأويل كلام الأستاذ ذهنى هذا ونأمل أن يتقدم أحد المشتغلين بتاريخ مصر القديم والمهتمين بعصر الهـكسوس بصفة خاصة، وأقصد به الأستاذ الدكتور باهور ليعرض عصر الهـكسوس عرضاً سليماً صحيحاً ويجلو لنا بصفة خاصة مسألة المجلات الحربية، ولا يخفى على دارسى تاريخ مصر القديم ما كان للهكسوس من أثر كبير فى ذلك التاريخ

وبعد فأنتهز هذه الفرصة لأعرب عن أسفى لاستعمال ذلك الأسلوب الذى غلب على الأستاذين المتساجلين ورمى أحدهما الآخر بالتبجح والجهل، فما كانت الحقائق التاريخية لتخضع لمثل هذا الجدل، بل لابد أن يدحضها منطق سليم وتؤيدها أدلة ثابتة قاطعة

وكم أود كذلك لو انتفع النقاد بما كتبه الدكتور صبرى فى العدد ٥٩٠ من الرسالة، فهذا دستور سليم لمن أراد نقداً أدبياً صحيحاً، فقد سئمنا ذلك الأسلوب الذى جرت عليه المساجلات والمناقشات فى السنين الأخيرة، وطالما تأذينا من ذلك الصغار الذى يغلب على كتابة كبار الكتاب، وكم نرجو أن تـكون الحجة هى الفاصل والعقل هو الحـكم، والخلق الأدبى هو الذى يسود حتى يتخلص النقد الأدبى من تلك المهاترات التى لا تقدم ولا تؤخر، بل تنزل من قيمة كاتبها درجات، ويبعث فى مصر الرأى العلمى الصحيح الذى يزن الأمور بميزان النقد الصحيح. فلا يكون النقد أداة هدم فحسب.

مصطفى كمال عبد العليم
ليسانسيه فى التاريخ

(الأسكندرية)

12 me Année No. 593

Lundi - 13 - 11 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٩٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٧ ذو القعدة سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

١٠٠١ تعليقات على يوميات .. : للأستاذ عباس محمود العقاد ...

١٠٠٤ منع الحرب : حلم الأدب : للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

١٠٠٨ يا أخت ليلى ... ... : للأستاذ دريني خشبة ... ...

١٠١٠ في عالم القصة : الذئاب الجائعة محمود البدوي ... ... : للأستاذ سيد قطب ... ..

١٠١٣ الحروف الأبجدية .. : للدكتور أحمد فؤاد الأهواني ..

١٠١٦ بين سيد قطب والحقيقة : للأستاذ صلاح ذهني .. ..

١٠١٨ محمد عبد العزيز . . . : للدكتور زكي مبارك .. ..

١٠١٨ إلى الوزير الأديب هيكل باشا : الأستاذ محمد محمود رضوان ...

١٠١٩ إلى الأستاذ سيد قطب .. : للأستاذ محمود علي البشبيشي ...

١٠١٩ فرقة التمثيل . ... : للأستاذ حبيب زحلاوي ...

١٠٢٠ (١) امرؤ القيس ... (٢) المعرى ذلك المجهول (٣) في قصور الخلفاء . (٤) قصص من العالم ... : للأستاذ (د خ) ... ...

تعليقات على يوميات

للأستاذ عباس محمود العقاد

من آيات الكتاب الحي أنه يذكر ويوحي ويستطرد بك إلى مناسبات تشبه مناسباته وأحاديث تقترن بأحاديثه ، لأنه يروي عن الحياة الإنسانية وهي متشابهة في كثير من الوقائع ، متقاربة في شتى الأزمنة والأعمار . فإذا صدق الكاتب في الحكاية عنها لم يلبث القارئ أن يلمس دليل ذلك في أحاديثه ومناسباته التي تشبه ما في الكتاب من الأحاديث والمناسبات .

وكذلك الكتاب الذي بين يدي وهو كتاب « من يوميات محام » لمؤلفه القانوني البحاثة والأديب المبين الأستاذ عبده حسن الزيات

والأستاذ عبده مؤلف معروف بأكثر من كتاب في أكثر من موضوع ، فهو مترجم رواية اللصوص للشاعر شلر ، ومترجم كتاب « حكايات من الهند » التي ظفرت بتقدير الأدباء ، ومؤلف كتاب « سعد زغلول في أقضيته » وهو مرجع في تاريخ القضاء وتاريخ الزعيم

أما كتابه الجديد فقد يوهمك أنه كتاب محامين لأنه « من يوميات محام » كما جاء في عنوانه ، ولكنه في الواقع مما يقرأه المحامي وصاحب القضية كما يقرأه من لا يلم بالقانون

ولا يعرف ساحة القضاء ، لأنه يعنى أحياناً بالملاحظات النفسية والاجتماعية كما عنى حيناً بالملاحظات الفقهية والقضائية ، وفى كل مسألة من مسائل الخلاف الذى يعرض على المحاكم مسألة من مسائل النفس وقصة من قصص البيوت أو الأفراد

وأدل مافيه على الحياة كما أسلفنا أنه يوحى ويذكر ويستطرد بالقارئ إلى مناسبات كثيرة . فما قلبت صفحة فيه إلا وقفت عند حادثة تشبهها أو تقاربها أو تدعو إلى التأمل والتعقيب . ففى كل صفحة منه صفحات يضيفها القارئ إليه لو شاء ، أو هو ينطوى على قطعة من كل نفس على حد تعبيره فى الكلام عن ذكرياته بمدينة بور سعيد

* * *

أهدى كتابه « سعد فى أقضيته » إلى صاحب الدولة احمد زيور باشا لأنه كان عضواً فى المحكمة التى كان يجلس فيها سعد رحمه الله ، وكان المؤلف حريصاً على تسجيل رأى زيور باشا فى زميله ورئيسه وعلى الإصغاء إلى ذكرياته فى هذا الصدد من خمس وأربعين سنة

فسأل دولته عن جناية الجزيرة الشقراء وقال له : « بأن ما يهمنى هو أن الحكم تضمن حملة شديدة على رجال البوليس فى أسلوب عنيف قوى العبارة »

فقال غير متردد : « نعم هو سعد كان شديد على رجال الإدارة »

فذكرت تواً أحاديث سعد رحمه الله عن رجال الإدارة ، وعجبت كيف تتنبأ طبيعة الرجل بما سيبلوه من بعض الناس قبل عشرات السنين ، فقد كان سعد فى أحاديثه وخطبه كما كان فى أحكامه القضائية شديد الأنحاء على رجال الإدارة والشرطة ، وسماهم فى بعض خطبه ملوك النيروز الذين يدوم لهم الملك يوماً ثم يزول ، ولم يكن يعلم وهو يتعقب أخطاءهم بالتنديد من منصة القضاء أنه سيبتلى بهم على منصة الزعامة وسيعانى من تصرفهم أضعاف ما كان ينعاه من ذلك التصرف فى شئون الناس . وقد صدق ابن الرومى حين قال :

وللنفس حالات تظل كأنها بما سوف تلقى من أذاها تهدد

فلعل حالة من هذه الحالات هى التى أوحت إلى سعد أن يسبق حوادث الزمن فيقول فى أسباب الحكم فى قضية الجزيرة الشقراء : « وحيث إن وقوع مثل هذه التصرفات بحجة إظهار الفاعل أو كشف الحقيقة أشد خطراً على النظام العام من خفاء الجانى أو تخلصه من العقاب ، لأنه لا شىء أسلب للأمن وأقلق للراحة وأزعج للنفوس من أن يعبث بالنظام من عُهد إليه حفظ النظام . وحيث إنه لا يصح أن تكون مثل هذه التصرفات أساساً للحكم بل لا يصح غض النظر عن المؤاخذة عليها ، لأن ذلك مما يضر بالقضاء ويجعله عوناً للظلم بدلاً من أن يكون نصيراً للعدالة »

وقد طرب زيور باشا وهو يسمع هذا الكلام مرة أخرى بعد خمس وأربعين سنة ، فابتسم ابتسامته الصافية كما وصفها المؤلف وقال : هذا كلام سعد ... والفرنسيون يقولون الأسلوب هو الرجل

* * *

وأشار المؤلف الفاضل إلى قضية لى مع مصلحة التلفونات كان له الفضل فى كسبها قبل أربع سنوات

قال الأستاذ عبده : « منذ يومين أرسل إلى الأستاذ عباس العقاد حكماً صدر ضده قاضياً بإلزامه بأن يدفع لوزارة المواصلات مبلغ ٤٧٥ قرشاً والمصروفات ، قال الأستاذ إنه يريد أن يعارض فى هذا الحكم تمسكاً بوجهة نظره ، فإن القيمة التى طالبته الوزارة بها هى أجرة مواصلة بين تلفونين كانا له حين أصدر صحيفة الضياء فلما ترك هذه الصحيفة نقل كلاً من التلفونين إلى منزل لصديق من أصدقائه وقد تولى كل من الصديقين وفاء الاشتراك الخاص به لمصلحة التلفونات ولم يبق مبرر بل لم يبق سبيل للاتصال بين التلفونين ، فإنهما فى دارين مختلفتين عند صديقين مختلفين ، فعلام إذن تستحق أجرة أو رسوم هذه المواصلة المستحيلة ؟ »

هذه هى الواقعة التى بُنيت عليها الدعوى

وتتمة الواقعة أن أروى للمؤلف الفاضل ولحضرات القراء قصتين صغيرتين

فالقصة الأولى قصة نزاع على شجرة فى بعض جهات الإقليم الذى نشأتُ فيه وهو إقليم مشهور باللدد فى المنازعات القضائية هذه الشجرة التى لا ثمر لها ولا ينتفع منها بغير الوقود بعد

قطعها كانت موضع النزاع سنوات بين أسرتين ، واجتمع من قضاياها عشرات الملفات وألوف الصفحات ؛ وتفرعت على الدعوى المدنية فيها دعاوى جنايات شتى لا تنتهى الواحدة منها حتى تتلوها الأخرى

وكانت الأحكام العسكرية يومئذ مضروبة على إقليم أسوان لاشتعال الثورة المهدية وقرب الإقليم من الحدود

فكان قاضى المدينة ضابطاً من رؤساء الضباط فى فرق الجيش المقيمة بها ، وضاق ذرعاً بهذه المنازعات فأمر بإعداد الزورق البخارى ذات يوم ودعا بأحد الحطابين وبأفراد الأسرتين المتنازعتين لموافاته عند الشجرة ... ثم أمر بقطعها وإلقائها فى النيل ووراءها الملفات والأوراق ... فأراحهم واستراح

تلك إحدى القصتين

والقصة الأخرى بطلها أديب من بلد الأستاذ عبده الزيات : دمياط

وخلاصتها أننى كنت أشترى أقة من الكمثرى الخشنة التى تعرف « بالخشابى » لأننى كنت أستعين بخشونتها على الهضم فى بعض الأوقات . فساومنى الرجل فيها ثمانية قروش ، وكانت تباع بسبعة قروش فى ميدان سليمان باشا

قلت للرجل : إنها تباع بسبعة قروش عند زميلك فلان

قال : إذن خذها من فلان !

قلت : نعم آخذها من فلان ، ولن آخذ شيئاً منك بعد الآن ...

وكان اليوم قائظاً فأنفقت فى الركوب إلى ميدان سليمان باشا والعودة منه عشرة قروش ، لكيلا يسومنى أحد من الناس أن أرضخ عن قرش واحد بالعنت والاكراه

أ كانت معارضتى فى قضية التلفون إذن من لدد الإقليم أم من هذه الخليقة الشخصية ؟

لا أحسبنى أحب المنازعات القضائية لأننى أحسمها دائماً قبل الدخول فيها ، ولكننى أعلم أننى كنت على استعداد لإنفاق عشرة أضعاف المبلغ الذى طلبته مصلحة التلفون قبل أن أسلمه لها بغير الحق ، وإننى ما كنت ألجئها إلى المقاضاة لو علمت أنها كانت على حق فيما تدعيه

ولكن الأستاذ عبده قد أراحنا من سداد المبلغ ومن إنفاق أضعافه ، لأنه وفق بدفاعه إلى تقرير مبدأ عادل فى موضوع هذه القضايا ، لعله قد أراح المئات من المشتركين وحق له فى أموالهم جميعاً نصيب غير مقدور

* * *

ومن طرائف ما فى الكتاب قصة ذلك « البرىء » الذى حكم عليه بالسجن فى قضية قتل لم يجنه ، ولكنه كان قد جنى وأفلت من العقاب مرات

أعرف شبيه هذه القضية فى سرقة عوقب عليها لص ولم يجنها وكان قد جنى غيرها ونجا من العقاب

فليس بالنادر هذا الجزاء الإلهى الذى يجرى أحياناً على أيدى القضاء

ولكن الذى يحضرنى فى هذا الصدد مشابهة فكاهية لهذا الصواب فى الخطأ ، أو هذا الخطأ فى الصواب ، حدثت لى يوم كنت فى مراجعة التذاكر بمصلحة السكة الحديد

فقد زدت تذكرة فى قسم ونقصت تذكرة فى قسم آخر ، وسئلت فى ذلك فقلت : واحدة بواحدة ، ضعوا هذه فى مكان تلك ، فلا زيادة إذن ولا نقصان

إن جاز هذا فى حساب العدد والنقود جاز ذلك فى حساب النفوس والأحكام

وكلاهما يجوز على اضطرار

* * *

ولو شاء القارىء لاستطرد من الكتاب إلى كتب على هذا المنوال ، ففيه ضروب من القضايا وفيه فنون من الهوامش والتعليقات ، وهو يلم أحياناً بجرائم المصادفة وأحياناً بجرائم العوارض النفسية وأحياناً بمذاهب التشريع فى غير تعسف ولا إقحام ، ويمزج ذلك بلمحات من السخر تستطاب فى سياقها ، كقوله فى التعقيب على كلام مجرم ينتظر بعد خروجه من السجن أن ينصفه أقرباؤه فى الميراث :

« . . هذا مجرم لم يتحجر فؤاده بعد عشرين عاماً فى قطع الأحجار . إنه حسن الظن بالناس ، بل بالأقرباء أيضاً ... » أو قوله يعاتب نفسه على إهمال المذكرات ثلاثة أشهر : « ... إن هذه المذكرات هى هى التى حنت عليك وهى هى التى تقبلتك فى صدرها واستمعت إلى هرائك وسخفك ، وأصغت إلى هزلك

إصغاءها إلى جدك! أتراك أنت أيضاً قد سرت إليك العدوى فأنت مدبر عمن يقبل عليك مسيء إلى من يحسن إليك» أو قوله عن القتلة أتباع الطريق الذين استباحوا القتل ولا يستبيحون الكلام في المرحاض «لأن شيخنا ينهى عن الحديث في محل الأدب، لأن الملائكة مكلفون بقيد كل ما نقول؛ فإن نحن تحدثنا فيه فقد أرغمناهم على ملاحقتنا داخله، وهذا لا يليق في حقهم!»

وترتفع نغمة الحديث أحياناً من السرد إلى الوصف البليغ بل إلى الشعر المنثور حين يعرض المؤلف للذكريات في مدينة الإسماعيلية وغيرها من مدن القناة

فهو لا شك قراءة ممتعة، ومطالعة نافعة، وكلام فيه ما يروق بالسخر والفكاهة، وفيه ما يروق بالوصف والبلاغة، وكله مما يشوق القارئ أن يرى يوماً من الأيام «يوميات عام» ولا يقنع بـ «من يوميات ...»

عباس محمود العقاد

منع الحرب؟

حلم الأبد!

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

خبت نار الحرب الكبرى السابقة، وبقي أثر رزاياها وذكر أهوالها باعثين من البواعث على حب السلام والوعد بحفظه والتحذير من نقضه. من ذلك قول الفيكونت جراي إن الأفراد والأمم «إذا أرادوا ضمان المستقبل وحياة المدنية، وجب أن يعرفوا هل الحال العقلية السائدة في الحاضر هي أكثر حذراً وصواباً من العقلية التي سادت قبل تلك المحنة العظيمة، وإلا زالت مدنيتنا كما زالت مدنيات سابقة(1)»؛ وقول بلدوين رئيس الوزارة البريطانية الأسبق «من في أوربا يجهل أنه إذا وقعت في الغرب حرب جديدة انهارت في زلزلة هائلة مدنيتنا المؤلفة، كما انهارت مدنية رومة»(2) وقول المستر ديفز «إذا نشبت حرب عالمية جديدة، واستخدمت بالأسلحة التي تمدها التطبيقات العلمية للإنسان، سهل إبادة الأمم في بضعة شهور»(3)

لكن التجارب والمخاوف جميعاً لم تمنع هذه الحرب الضروس الشعواء التي يشهد العالم طرا ما تحدث وحشيتها من دمار وانهيار. ذلك بأن الغرائز والشهوات ما زالت تتغلب على العقل، والطبيعة لم تصلح بعد من شأن النزعات الأنانية، ولم توجهها إلى التعاون الصادق، والإنسان مقسور على الكفاح في الحياة، والدول من طبعها أن تتعمد التوسع وترغب في الفتح والسيادة الدولية بالمنافسة المطلقة في الاقتصاد والصناعة، والتجارة والتسلح؛ وهذه سبيل لا مندوحة فيها عن الحرب بين حين وحين، تشتبك بحجة الدفاع الشرعي أو الدفاع عن شرف الدولة وسيادتها؛ وتارة ببعض تلك الحجج التي تموه بها بواطن الأمور وحقائقها من أنانية وشهوات وأطماع ذاتية ومصالح شتى، لتندفع الشعوب إلى الملاحم الجهنمية والمجازر الآدمية

على أن كل حرب كبيرة تعقبها فترة رجعية سببها الحاجة الطبيعية إلى الراحة واستجمام القلب ولم الشعث، فترة تهبط فيها غريزة المنافسة الطليقة إلى مستواها الأدنى، وتتلاشى في المعسكرات لتظهر على الأخص في الميدان الاقتصادي، فتدفع إلى الاستعداد لحرب تالية وإن كثرت الوعود بالمحافظة على السلام وبتوطيد دعائمه ومنع الحرب. من هذه الدعائم جمعية جنيف المحترمة التي أمست، فيما زعموا، لعبة بيد الدولة البريطانية وفرنسا ثم بيد بريطانيا وحدها، ثم أخفقت في منع الحرب: لأن منعها يحتاج إلى نظام يضمن العدل الدولي، والعدل الدولي دونه التسلح، ومنع التسلح لا يتحقق بغير أمن، والأمن ليس يوجد بغير عقوبة مقررة للمعتدي، وتقرير العقوبة ليس بوازع إلا إذا كانت هناك قوة تنفذها، قوة تفوق مجموع قوى الدول، وما من دولة تأمن طغيان مثل هذه القوة المتفوقة أو ترضى أن تنزل نزولاً حقيقياً عن سيادتها أو عن حق حماية شرفها، بل حتى عن حق الاعتداء على غيرها

وليست سياسة جنيف تجربة أولى لحفظ السلام بجمعية دولية، بل هي سياسة يمكن إرجاع العمل بها أول مرة إلى عهد المدنية اليونانية المهيد، على الأقل. وقد عادت إليها الدول مراراً منذ ذلك العصر القديم، وإن تكيف تنفيذها بالأحوال في كل زمان. ولكن الأمم لا تزال ترفض بعزم وحزم أن

(1) و(2) و(3) من كتاب «مشكلة القرن العشرين» لدافيد ديفز
Le Paobleme du xxe Siecle,1931. david davies, Payot

أن ترضخ لسيادة الحق ، وإن هددت الجوائح مرات عديدة بأن تهلك الجنس البشرى بأمره

كانت المدينة اليونانية فى الغابر دولة حقيقية ذات سيادة . وكانت دول المدائن الهيلينية تتحد لأغراض دينية وسياسية . ومن محالفاتها « اتحاد دياس »[1] والعصبة « الآخية »[2]

جمع اتحاد ديلس ، تحت رياسة أثينا ، الدول الهلينية البحرية ، وأوجب عهد التحالف على كل منها تقديم سفن لأسطول مشترك أنشئ للدفاع عن الاتحاد ضد الفرس ، وحراسة النظام فى بحر إيجه ، ولتنفيذ العقوبات التى يقضى بها مجلس الاتحاد فى المنازعات بين أعضائه

كانت ديلس مقر المجلس ، ومن شروط الحلف نص يلزم أعضاءه أن يعرضوا عن المحاربة فيما بينهم وأن يحكموا المجلس فى منازعاتهم . وهو يمثل السلطة التنفيذية ويفصل الخصومات ويحكم بالعقوبات وأثينا تباشر تنفيذها وتقتضى كل عضو ما شرط عليه تقديمه من رجال ونقود ، وتتخذ تدابير الإجبار للمخالفين والمقصرين فى القيام بالالتزامات العسكرية

فكان كل عضو ، فى البداية ، دولة بحرية مستقلة ذات سيادة ، تعاون بحصة لحفظ القوة المشتركة . لكن أثينا كانت أقدر على بناء السفن الحربية وأسرع من غيرها ، فانتهى الأمر إلى اختصاصها ببناء هذه السفن إذ صار أكثر الدويلات فى الاتحاد يؤدى بدل السفن نقوداً للخزينة المشتركة

والنتيجة السياسية من هذا النظام هى سيادة أثينا على قوات الاتحاد الحربية ، وإرادتها سائر الأعضاء على معاونتها براً وبحراً وعلى اتخاذ دساتير ديموقراطية مماثلة لدستورها هى ، حتى ردت الاتحاد أمبراطورية بحرية تحت سيطرتها

أما العصبة الآخية فقد جمعت قرابة ستين دولة مدينة ، حين بلغت أعظم شوكتها . وكان لكل عضو منها حرية التصرف فى شؤونه الداخلية . أما السياسة الخارجية . فكانت بيد مجلس العصبة ، ولكل عضو صوت فيه . والمجلس هو الذى يعقد المعاهدات والمحالفات ويعلن الحرب ويجتمع بدعوة من رئيسه . ورئيسه قائد ينتخب كل سنة ولا يعاد انتخابه إلا بعد مدة رياسته بسنة ، وهو ، فى حالة الحرب ، يصبح قائداً عاماً مطلق السلطة . وقد اعتمدت العصبة على جيش دائم تحت إمرة مجلسها رأساً ، وكانت أحياناً تطلب مؤناً وعتاداً من بعض المدن ، أو تخول قائدها السلطة لحشد جميع القوات العسكرية التى لأعضاء الاتحاد . أنشئت العصبة لمواجهة النفوذ المقدونى على الخصوص ، وكانت تستعمل هذه القوى فى حماية نفسها وتنفيذ العقوبات ، وفى حتم الانضمام إليها على دول أخر فى بعض الأحوال

وحق أن هذه العصبة وما سبقها من اتحادات كانت جميعها محالفات بين دول المدائن الهيلينية توالى الإخلاص لعنصر واحد ، لكن يخطئ من يظن أن تحقيق الاتحاد بين تلك الدول كان سهلاً أو أن التحاسد بينها لم يكن شديداً قاسياً

ثم بسط السلام الرومانى Pax Romana رواقه على كل أرض رفرف فوقها علم رومة ، وتحقق العدل بين الأمم للمرة الأولى فى التاريخ ، إذ ارتاض أقوام مختلفة عناصرهم ومدنياتهم لفكرة نظام سياسى مشترك ؛ ولولا اعتماده على تفوق الجيوش الإمبراطورية لما أمكن قيامه فى كل مكان وُجدت به حامية رومانية

وشبيهة الإمبراطورية الرومانية فى العصر الحديث هى الإمبراطورية البريطانية بالهند التى كانت إماراتها على اعتراك دائم والاضطهاد فيها كثير ، ثم انتظمت محاكمها بعد الاحتلال واعتمد تنفيذ أحكامها على الشرط وخلفهم الحاميات البريطانية . فقضت الهند رَدَحاً من الدهر فى ظل السلام البريطانى Pax Britannicus كالسلام الرومانى . لكن نظام الهند قد ضُرب على أهلها ، ولم يبن على أساس من رضائهم وإرادتهم

وقد وُضعت مشروعات عديدة فى أزمان مختلفة لتحقيق العدل الدولى وإقرار السلام ومنع الحرب . ولكن الأمم والدول عاشت حتى الآن فى تحاسد وحرص على سيادتها ، وعلى حق فى دفاعها عن شرفها ؛ وآثرت أخطار الحرب — ولو فظعت بأسلحتها الحديثة ، فى سبيل الأطماع والشهوات — على سلام يحفظه مجلس مشترك بيده قوة متفوقة . ذلك بأن الاتحاد الذى

---

(١) LaConfederation de Délos . وديلس هى صغرى جزر السيكلاد فى الجنوب الشرقى القريب من أثينا .

(٢) La Ligue acheenne والنسبة إلى الآكين kein : acheens وهم جيل من اليونان استقر فى الجانب الشمالى من البلوبنيز

يعتمد مجلسه على مثل هذه القوة قد ينقلب امبراطورية يسود فيها الأقوى ، كما شهد التاريخ

أما وقد مضى خمسة وعشرون قرناً عانت الإنسانية فيها من الحروب بلايا فادحة أفظعها ما ترى من فتك هذه الأسلحة الشيطانية التي تمحق البشر وتمحو المدن ؛ أما وقد وعد الحلفاء بسلام دائم ورخاء عام ، فالمأمول أن يفلحوا هذه المرة . والذي يؤكد للآملين أن الحلفاء صادقون في وعودهم قادرون على الوفاء بها هو ما يذاع من أقوالهم وينشر من كتاباتهم ويجيء ذكره في الأخبار من أعمالهم ، مثل « مشروع تأمين سلامة العالم » المقترح من مؤتمرهم في دومبرتون أوكس بأمريكا ، وملخصه[1] :

١ — إنشاء عصبة أمم جديدة تسمى « الأمم المتحدة » — على أن يكون للعصبة أربع هيئات هي « مجلس الأمن » ، الذي تكون له القيادة الفعلية لقوات العالم المسلحة ؛ « والجمعية العمومية » ، التي ينضوي تحت لوائها جميع الأعضاء — يعني جميع الأمم المحبة للسلام ؛ و « محكمة العدل الدولية » ، وأخيراً « السكرتارية » ، ويجب أن يكون السكرتير العام رئيساً إدارياً من حقه أن يوجه نظر مجلس الأمن إلى ما يبدو أنه يهدد السلام العالمي

٢ — أن يكون للدول الأربع الكبرى : أمريكا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي والصين ، ثم فرنسا فيما بعد ، مقاعد دائمة في مجلس الأمن ؛ وأن تُشكل الجمعية العمومية من جميع أعضاء هذه الهيئة الدولية ، ويكون لها أن تنتخب الأعضاء غير الدائمين في المجلس

٣ — تشكيل « لجنة عسكرية » مهمتها إسداء النصيحة إلى مجلس الأمن فيما يتصل بجميع الحاجات العسكرية لحفظ السلام ، وبقواعد التسلح ، أو نزع السلاح إذا لزم الأمر ؛ وأعضاء هذه اللجنة هم رؤساء قيادة الولايات المتحدة وقيادات بريطانيا والاتحاد السوفيتي وفرنسا والصين ، أو ممثلوهم ؛ وعلى جميع أعضاء هذا النظام أن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن ، بناء على طلبه ، قوات مسلحة وأن يبذلوا العون اللازم للمحافظة على السلام

٤ — أن يجب على الأمم المتنازعة اتخاذ الوسائل السلمية فيما بينها ؛ فإذا استمر النزاع تولاه مجلس الأمن ، وهو صاحب الحق في أن يقرر لنفسه تولّي أمر هذا النزاع ؛ فإذا وجد أن للنزاع ما يبرره أحاله على محكمة العدل ؛ والمجلس أخيراً أن يستعمل القوة المسلحة متى تراءت له ضرورة ذلك

واضح أن بين هذا المشروع وبين اتحاد ديلُس والعصبة الآخية أوجه شبه

هذا ويرى المستر سمنر ويلز ، وزير خارجية أمريكا السابق « أن وجود هيئة الأمن الدولية بعد الحرب سيكون مرهوناً باستعداد روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة للعمل معاً »[1] .

إن تحالف الروسيا وبريطانيا والولايات المتحدة (نهض[2] على أسس المصالح الجوهرية الدائمة) من حيث أن هذه المصالح ، وإن اختلفت بين الدول ، تقتضي الإجماع على التخلص أولاً من العدو المشترك . وفيما يتعلق بتواتر الأحاديث (عن نشوب خلاف بين الدول الكبرى الثلاث حول بعض المسائل المتصلة بضمان سلامة العالم ، قال المرشال استالين : هناك خلافات بطبيعة الحال وقد أوضحت قرارات مؤتمر دومبرتون أوكس حزم الجبهة المعادية للألمان ... والتحالف (سيصمد أيضاً لامتحان المراحل الأخيرة من هذه الحرب ... بل يجب علينا أيضاً أن نجعل من المستحيل وقوع أي اعتداء أو حرب جديدة إذا لم تكن نهائياً فعلى الأقل لوقت طويل)[3]

ويبدو أن في أمريكا نفسها من يعترض على أصحاب المشروع من هذه السياسة فيقول إنها « طريق الدولة العظمى » وقد قطع مراراً من قبل ، وإنه يبدأ في الأغلب بفكرة « مثالية » ولكنه ينتهي دائماً بمعارك دموية . فالدول العظمى تتولى أمر العالم « بتحالف سلمي » ينتهي « بمناطق نفوذ » وكل دولة كبرى

(١) بإيجاز مما جاء في الأهرام يوم ١٠ أكتوبر الماضي

(١) برقية من نيويورك لجريدة المصري تاريخها ١٣ أكتوبر الماضي في شأن حديث للمستر ويلز أذيع بالراديو

(٢) من خطبة ستالين في الاحتفال بالذكرى السابعة والعشرين للثورة الشيوعية

(٣) من خطبة ستالين المذكورة

تسرع فى الأخذ بأساليب القوة فى منطقتها ، والمناطق تتزاحم وتتصادم . يعد سمنر ولز من أعظم الساسة المطلعين الذين أنجبتهم الولايات المتحدة ، وهو يقول : « ما من محالفة عسكرية تدوم ، فإن كل فريق فيها لا يلبث أن يحاور الفريق الآخر فى سبيل الأهداف الفردية الخاصة »(١)

ويقول آخر : « إن الحرب لا يمكن أن تمنعها إجراءات جماعة عامة ، والنظام المالى لا يمكن أن يحرسه الشرط . على أننا نستطيع أن نقيم مجلساً عالمياً تتشاور فيه الحكومات ، وتحاول أن تتفق . فإن المسائل التى تمدها الدول حيوية لا يمكن أن تقرر بالتصويت . إن الولايات المتحدة تحتاج الآن إلى الدفاع عن نفسها – شأنها فى ذلك شأن الدول الأخرى فى التاريخ – بالدبلوماسية والسياسة والسلاح .. ولا يمكن إقامة نظام دولى إلا بعمل متسق من « جماعات » من الأول . وأنا أسمى إحدى هذه الجماعات « جماعة الأطلسى » ومن الجلى أن روسيا محور وحدة ثانية ... فتقدم الدول الكبرى الحماية التى لا تستطيع الدولة الصغيرة أن تكفلها لنفسها ، بسبب الخصائص الفنية للحرب الحديثة ، وتقدم الدولة الصغيرة التسهيلات الاستراتيجية اللازمة للدفاع المشترك ... ولقد اهتدت الأمم الأمريكية إلى سياسة ثبتت فائدتها ، وإن كانت لم تبلغ بعد مرتبة الكمال . وقد كان من الممكن أن تفضى إلى امبراطورية أمريكية ؛ غير أنها أفضت إلى بدعة فى الشؤون الإنسانية هى البديل الصحيح الوحيد من الإمبراطورية ، وهو ما نسميه « سياسة الجوار الحسن »(١)

وإذا كان هذا الحسن بديل الإمبراطورية ، والتصادم من سوس الإمبراطوريات أو الدول العظمى أو مناطق النفوذ ، وكانت الأنانية أس الاجتماع الإنسانى ، فالحق أن منع الحرب حلم الأبد .

محمد توفيق السلحدار

(١) مقتطف بإيجاز من مقال وليم هارد فى عدد نوفمبر من مجلة المختار

(١) مقتطف بإيجاز من ملخص كتاب والتر ليبمان فى عدد نوفمبر من مجلة المختار

يا أخت ليـــلى

للأســـتاذ دريني خشبة

صديقي الأعز الدكتور زكي مبارك :

رحمك الله رحمة واسعة يا أخي ، وغفر لك ، فلقد كنت فينا مُرْجوًّا قبل هذا ؟!

عَمْـرك الله ما ذلك الغرام الجديد يا أخي ؟... وكيف اتسع له قلبك وليلاك المريضة لا تزال تئن وتتوجع ، بالعراق وبغير العراق ؟ ... ألم أقل لك يا صديق إنك تيامر مع كل سانح ، وتيامن مع كل بارح ؟ ... ولـكن لا عليك يا أخي ، ما دامت ليـلاك الجديدة غبية بلهاء ، يسهل إقناعها بهذا الأسلوب الذي يحمل في تضاعيفه أدلة الإعياء .. بل أدلة الموت

هل تعبت في اجتذابك إلى الميدان كل هذا التعب ، لتفضح نظرية وحدة الوجود على هـذا النحو ، غير الخليق بك ، ولا بجميع الغيد الحسان اللائي وقعن في شراك هواك ، وأحابيل حبك ، على ضفاف السين مرة ، وحفافي دجلة مرة أخرى ، وفي مراتع القاهرة تارة ، وبين أزقة سنتريس العزيزة الغالية تارات وتارات ؟!

أهكذا يا صديق يضيع تعبي في معالجتك هباء منثورا فتبعثره على هذه الصورة بين الخدود والقدود ، والثغور والنحور وتجعله جروحاً لا قصاص لهـا في جسم محبوبتك الغبية البلهاء التي أنشبت أظافرك في بدنها ، وفي عقلها ، وفي روحها ... دون أن تضع ثناياها العـذاب الرِّطاب فوق (عَـلابِيِّـك !) — أي عَصبِ عنقك — ولست أفسرها لك — فتعضه عضة تريحنا من زكي مبارك ، ومن أبالسة زكي مبـارك ، ومن وحدة الوجود ، ومن الخرفين بوحدة الوجود ؟!

لا تجزع من هـذا الـكلام يا أخي فأنت تـكفر بالموت ، الذي يؤمن به الأغبياء أمثالنا ... وحبيبتك الغبية البلهاء لن تصنع شيئاً ، مهما أنشبت أظفارها وثناياها العذاب الرِّطاب في عنقك . حقيقة إنها إن فعلت ، فربما سكتت نأمتُـك ، وشالت نعامتك ، وأراحت جميع الأغبياء منك ... ولـكن هذا كله ، في نظرك ، لا يكون موتاً ، وإنما يكون تحولاً . وأنت ماذا يهمك من هذا التحول ، وإن شئت فسمه التناسخ ، ولا سيما إذا انتهى بك إلى أن تـكون دجاجة أو هرة ، أو ثعباناً ... أو ... ببغاء مثلاً ؟! ماذا يهمك أن تتحول بعد مليون سنة ياصديقي العزيز إلى ببغاء يهرف بما لا يعرف ، ويزعم لجماعة الطير أنه لاموت ولاسكون ، ولا فضاء ولا زمان ، ولا مكان ... ثم يتعالم على الماشية ودواب الحمل ، فيزعم لها ، في وقار الفلاسفة وسمت العلماء ، أن كل من في الوجود حي يرزق ، فالحديد حي ، و (وابور) الزلط حي ، والزلط نفسه حي . وكل ما في الدنيا من جماد حي ، كما يفسر ذلك الدكتور زكي مبـارك — الذى كان يعيش بعقله ، وشحمه ولحمه ، قبل مليون سنة ، في بلاد اسمها مصر ، ومدينة اسمها القاهرة ، وكما كتبه بيمينه في مجلة اسمها « الرسالة » كانت تصدر في تلك المدينة ، رداً على الأغبياء الذين كانوا يلحدون في نظرية وحدة الوجود . ويجادلون فيهـا بالباطل وهم أبعد الناس عنها ، ويدعون وصل ليلى . وليلى لا تقر لهم بذا كا ؟

أهكذا ياعزيزي الدكتور تعود إلى دائك القديم ، أو يعود إليك داؤك القديم ، من دعوى وقوع الغيد الأماليد ، والأعاريب الرعابيب ، في حبك ، وشغفهن بك ، وقتلهن أنفسهن تهالـكاً عليك ، وتَرضِّـيًا لك ؟

لقد كان الناس يضيقون بتلك النغمة ، أو تلك الدعوى ، يوم كنت شاباً أزهرياً ، غض الإهاب فتياً ... ثم زاد حنقهم عليك حين لم تقلع عنها وأنت والد كريم ذو ... وبنين ... أما وقد صرت جداً ... وجداً لحفدة . فأظن يا أخي أن تلك الدعوى ... دعوى افتتان الحسان بدمك الخفيف الظريف ... قد أصبحت شيئاً بائخاً ... وبائخاً لدرجة لا تطاق ... فهل أنت مرعوٍ عنها يا صديقي ؟

هذه نصيحة ...

وألاحظ هذه الأيام أنك تسيغ شيئاً من الـكذب ، تحسب أنه ينفعك في التهويش على أصدقائك ، الذين تزعم أنهم أعداؤك ، والذين تزعم أنهم إنما يناوشونك ليصلوا — على قفاك ! — إلى شيء من المجد الحرام !

أما هذا القليل من الكذب ، فهو زعمك فى كلمتك القصيرة أنك كتبت الكلمة الطويلة (بالعدد السابق) لنفسك ، ولم تكتبها ردًا على أحد ... لكنك نسيت كل هذا الافتراء القليل وأنت تخبرنى – متحدثًا مع شخصى كما يقول المحضرون أنك عند ما قرأت مقالى صبيحة الأحد الماضى ، فار دمك ، وانطلقت إلى مصر الجديدة من فورك ، وسهرت ليلك الطويل ، تستوحى فتاتك البلهاء الغبية ، وتصور نفسك لها بطلاً ، ثم تزعم لها أنك أقنعتها فاقتنعت ، وتزعم لها أنك لو شئت أفهمت أغبى الأغبياء ، وأنك تفتخر بكونك أول شارح لنظرية وحدة الوجود فى هذا العصر .... فما هذا كله يا أخى ؟ إنك إذا احمدت الكذب القليل على الناس ، فليس يحمد لك الناس هذا الكذب العريض على نفسك ! ... أنا واثق من الآن أنك مستطيع أن تقول إنك لم تقل لى هذا القول ، فترمينى بدائك وتنسل ، كما يقول المثل ... ولكن اذكر أنك قلته أمام تلاميذك الأذكياء الجدد ، وقد نبهتهم إليه ليؤدوا الشهادة إذ أنكرت ... فاحذر ...

ومن هذا الكذب القليل الذى تستبيحه هذه الأيام أن تزعم أن الناس هم الذين طالبوك بالرد على فيلسوف العراق ... وأنك لن ترد على فيلسوف العراق ... وأنك قرأت رسائل التعليقات ، مع أنك – وأقسم بحبك الجديد – لم تقرأها ، لأنك اعترفت لى بهذا ، وأنت تعترف لى بأنك كسول جداً هذه الأيام !

أما أن الناس قد طالبوك بالرد على ذلك الفيلسوف ... فلا ... لأنك أنت نفسك الذى وعدت بذلك فى كلمة مكتوبة نشرتها لك الرسالة .. وهى أولى كلماتك في هذا الموضوع ... ولكن لما حال كسلك بينك وبين الرد ، لأنه حال كذلك بينك وبين قراءة الكتاب ... فضلت أن تزعم أن أحداً يطالبك بالرد وأنك لن ترد .. إذ يقتضى الذوق فى نظرك أن نحسن إلى من أحسن إلينا .. وقد شرفك الرصافى بتأليف كتاب علق به على كتبك . فأقل الذوق ألا نناوشه ، وإن كان فى عدم مناوشته إيمان بما يؤمن هو به من وحدة هذا الوجود وما يفرع منها من أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو مبتدعها ، وأنه منشىء القرآن ، وأنه لا معنى للدعاء والصلاة والبعث والثواب والعقاب والحساب ... إلى آخر هذه الكفريات التى هذى بها فى كتابه

ولكن لماذا يطالبك الناس بالرد على الرصافى وأنت تؤمن بشر مما يؤمن هو به ؟! ألم تصرح بذلك فى فلتة من فلتات لسانك ؟ وهلا يحسن أن أنتظر كيف ترد على هذا الخبر ؟ أنترك ذلك الآن ...

أما أكبر الأدلة على أنك لم تقرأ رسائل التعليقات إلى الآن فهو قولك إنى أصر على أن أقحم الإسلام فى وحدة الوجود ... وأنا – وحق صداقتك يا أخى ، لم أصر على شىء قط ، وإنما الذى أصر على ذلك هو صاحبك الذى علق بكتابه على كتابك لأنه لم يقحم وحدة الوجود فى الإسلام فحسب ، بل جعلها من اختراع رسول الله – أو رسول الإسلام – كما تقول أنت . وما صنعت أنا شيئاً إلا ما دفعت به ذلك الإفك الذى يفتريه الرصافى على رسول الله . فلو أنك تنازلت – أيها الكسول الكبير – فقرأت كتاب صاحبك الذى علق به على كتابيك ، لما وقعت فى هذا الخطأ الذى تكرر منك غير مرة ، من اتهامك لى أننى آبى إلا أن أقحم الدين فى الفلسفة . واذكر أننى قبلت مبدأ إبعاد الدين عن وحدة الوجود حينما طلبت إلى أن تساجلنى فيها . فرأيتك تهلع لقولى هذا ، ثم تصور لنفسك أننى أستدرجك ، فتطلق للريح ساقيك فراراً غير كرار ، زاعماً للناس أنى فيما يظهر ، لا أنتوى إبعاد الدين والإسلام عن وحدة الوجود ! ولكى تستر هذا الفرار ، تخرج على الناس بآرائك الفلسفية المدهشة عن الموت والفضاء والسكون والزمان والمكان فتقع فى أخطاء فتاكة ، ليتك سترت نفسك فلم توقعها فيها ، إبقاء على ماضيك العلمى المجيد ، وسمعة كتبك القيمة التى لم تبال أن تتنكر لها مجاملة ذميمة لرجل حاول مجترئاً أن ينسخ عقائدنا وأن يمكس علينا ديننا

فوصيتى لك إذن ألا تستبيح ذلك اللون من الكذب الخفيف يا أخى لأنه غير خليق بك

وتلك نصيحة ثانية ...

ووصية ثالثة أخرى ، فأقدمها لك عسى أن تعمل بها . ذلك أنك تتعرض فى مقالاتك لما لم تحسنه ، بل لما لم تطلع عليه من كثير من العلوم . وكل الذين قرأوا كلمتك الغزلة السالفة عجبوا لك كيف لا تعرف الطريقة التى يتم بها تحجر الحيوان

على هامش النقد

٥ - في عالم القصة

الذئاب الجائمة ... محمود البدوى

للأستاذ سيد قطب

هنا قصاص من لون جديد . وهنا قصة ذات طعم خاص .. لهذا القصاص عيوبه ، ولهذه القصة هنواتها . ولكن هذا كله شيء آخر . وليس هو بأفضل قصاص ، وليست هي بأرفع قصة . ولكن هذا كله شيء آخر كذلك !

هنا « لذعة » حارة تحسها وأنت تقرأ مجموعة « الذئاب الجائمة » كلها أقصوصة أقصوصة . وهنا « جوع » دائم في كل قصة ، وفي كل شخصية — جوع إلى شيء ما : حسي أو معنوي — وهنا « تفزع » دائب في كل موقف وفي كل خطرة — تفزع من شيء ما موجود أو مرقوب .

والقارىء يحس بهذا كله يلهب حسه ، ويلذع أعصابه ، فإذا فتر في بعض الأحيان أحس بخدر لذيذ ، كأنه في بحران ...

ولأول مرة — فيما أعتقد — تظهر هذه الخصائص في قصة باللغة العربية . وهذا ما يوجب تسجيل هذا اللون الخاص .

وأعود مرة أخرى لأقول : إن الخاصية ليس معناها الأفضلية ؛ وإنني لا أرفع هذا اللون فوق الألوان الأخرى ؛ وإن هذه الخصائص لا تنفي نواحي النقص في اللون الجديد . وكل ما يهمني هو تسجيل هذه الجدة ؛ بخيرها وشرها ، وتنبيه القارىء إليها في مجموعة « الذئاب الجائمة » .

* * *

تحتوي هذه المجموعة على ثماني أقاصيص : الذئاب الجائمة ، وساعات الهول ، والنفوس المعذبة . ورجل مريض . وفي القرية . وحياة رجل . وقلب عذراء . وفي القطار .

في « الذئاب الجائمة » و « في القرية » لوحتان خاصتان من حياة الريف المصري الصميم . وفي كلتيهما ذلك الجوع الحار وذلك التفزع العنيف . فالأولى تصور منظراً من مناظر اللصوص حياة « أبناء الليل » كما يسمونهم في الريف ، أو ذئاب البشر .

والنبات . فأنت تحسب أن مادتها تتحول إلى حجر . وهذا خطأ يحسن أن ترجع لتصحيحه إلى بعض مصادر هذا العلم الجليل ، فإن تكاسلت ، فاسأل أحداً في مصلحة الطبيعيات يشرحه لك

وبالمرة ... يحسن لمن يدعي أنه بطل نظرية وحدة الوجود في هذا العصر والعصور التوالي أن يقرأ كتاباً واحداً على الأقل في كل من علم الفلك وعلم طبقات الأرض وعلم الحيوان وعلم النبات ، ثم كتاباً واحداً في علم التطور أو النشوء والارتقاء ، لتعلم أشياء كثيرة عن أسرار الحياة والموت وخلق العالم وتكون السدم وانفصال الكواكب وتكون القشرة الخارجية لأرضنا العزيزة ، وما تتركب منه تلك القشرة وكيف غبرت عليها عصور جيولوجية متنوعة انتهت إلى العصر الذي أنجب لنا الصديق الأعز ومن سبق الصديق الأعز ممن يقولون مثله بأن الوجود إنما وجد هكذا مرة واحدة ... بعجره وبجره !

لله ما أظرف دعاباتك يا دكتور زكي ما بعدت تلك الدعابات عن ليلى وأخت ليلى ، وما لم يوقعها سوء الطالع بين علمك القديم ، وعلمك الحديث ؟ !

ترى ماذا أنت صانع لو أن الشاعر العراقي صدقك ، فشد رحله إلى سنتريس يطالبك بالبيت الذي وعدت ، وما يحتاج البيت من زوجة وخدم وضيعة إلى آخر الحكاية التي تعرفها جيداً ؟

أتهرب منه على النحو الذي هربت به من الأسئلة التي وجهناها إليك لتدلي فيها برأيك عما يعتقده الرصافي من قدم العالم وإلهيته واختراع محمد (ص) لخرافة وحدة الوجود وتأليفه للقرآن وإنكار البعث والحساب والعقاب والثواب وتساوي المتضادات أمام (الوجود المطلق الكلي؟)

اثبت على حال يا صديقي . اثبت على حال واحدة ، رحمك الله رحمة واسعة ، وغفر لك ، فلقد كنت فينا مَرْجُوًّا قبل هذا ... !

دريني خشبة

حياة السطو الدائم والفزع الدائم والجوع فى قريـة ، كالذئاب الحيوانية التى نشاركهم نفس الحياة !

والثانية تصور حياة « كَتَّة » من العمال الفلاحين كما يطلق على الجماعة ذات الرئيس ينتقل للعمل بهم من مكان إلى مكان . حين تطول بهم الغربة ، ويتعطشون إلى المرأة ، فيصبح صوتها الذى يطرق أسماعهم من بعيد ، وخيالها الذى يداعبهم من قريب ، هما الشغل الشاغل فى الصحو والمنام ! ثم صورة الفتاة النورية تلهب هذا الجوع الغاشم فى نفس رئيسهم الفتى حتى يمرض ويضعف ، فتتحول عنه إلى سواه ، كأنما « الشهوة » الجائعة لا تحفل إلا بما يسد الجوعة من هذا القطيع !

فى كلتا القصتين يبلغ المؤلف مدى خصائصه وأوفاها . فكل شخصية هى « نموذج إنسانى » من « الذئاب الجائعة ! » وكل موقف هو لذعة جوع أو وثبة ذئب ؛ وكل حركة هى لفتة ذعر أو فزعة نمر . ولكن فى كلتيهما غلطة مشتركة هى أن المؤلف يدع هذا الصنف من الناس يعبر عن مشاعره بنفسه فى مستوى دقيق من التحليل والتعليل ، وفى أفق رفيع من التعبير الجميل !

هـذا القطيع من الناس أو من الذئاب ، أغلب الظن أنه يعيش بغرائزه ، ويتصرف بسليقته ، ويتحرك بوخزة اللحم والدم والأعصاب ، دون أن يلتفت مرة واحدة إلى التعليل والتحليل . فإذا شئنا أن نعلل نحن ونحلل ، فطريقنا إلى ذلك أن نترجم عنهم، ولا ندعهم يعبرون بأنفسهم لأنهم لا يستطيعون التعبير إلا بالحركة والعمل ، وعلينا نحن التفسير والتأويل !

وفى « ساعات الهول » تصوير عنيف للحظات غارة جوية تنتهى ببطل الأقصوصة إلى بتر ساقه وهو « نموذج إنسانى » للرجل الحاد المعتز بقوة بدنه ، يرى نفسه بعد لحظات أبتر الساق ضعيفاً مسكيناً . وهنا فقط يتذكر الريف ... الريف الحنون المتسامح ، ويتذكر القرويين ، القرويين الطيبى القلوب الذين لا يسخرون بذوى العاهات ، والذين يرحمون عزيز قوم ذل ! والخطرات النفسية المتتابعة صحيحة و « النموذج » مرسوم بوضوح بطريقة المؤلف الحادة العنيفة

وفى « رجل مريض » و « حياة رجل » نموذجان من لون آخر : الأول نموذج الرجل الضعيف الخائب المنحل . والثانى نموذج الرجل البوهيمى الساخر بكل الأوضاع والأوهام

وفى هذه الأقصوصة الثانية اقتباس من موقف الراقصة فى قصة « نزوة هوى » لكوبرين . وانتفاع من بعيد بشخصية « سانين » فى قصة « ابن الطبيعة » لتشيكوف من القصص الروسى . ولكنه اقتباس وانتفاع لا يعيب

أما « نفوس معذبة » فهي أقصوصة خفيفة . ليس فيها من خصائص المجموعة إلا الجوع . ولكنه جوع هادئ سارب فى النفس ، يجد غذاءه فى لحظة مناسبة ، فيقتات فى فكاهة ولطف : شاب انقطع عن التعليم وآوى إلى الريف ، ولكنه يرتاد القاهرة بين الحين والحين فى زيارة أخيه ، فتضيق به زوجة شقيقه القاهرية المتعجرفة . وفى مرة لا يجدهما ، ولكن يجد فى الدار فتاة خادمة جميلة ، تعذبها الزوجة عذاباً أليماً لأنها جميلة ! ويحس فى نفسه الجوع إلى المرأة والوحشة إلى الأنيس ، فيرويهما وينتقم من زوجة أخيه فى ضربة واحدة ... ويتزوج الفتاة

والحادثة ليست هى العنصر الأول فى القصة ، إنما هو التصوير للمواقف والتشخيص للخواطر ، وكلاهما متوافر فى هذه الأقصوصة الخفيفة

***

وتبقى بعد ذلك أقصوصتان : قلب عذراء . وفى القطار . ولست أشك فى أنه بلغ فيهما غاية التوفيق – على طريقته وفى مستواه – وهما مقابلتان لأقصوصتى : « الذئاب الجائعة » و « فى القرية » ...

إذا كان الجوع فى الأولى جوع الطعام ، وفى الثانية جوع الغريزة ، فالجوع فى هاتين الأخيرتين هو جوع روحى – بمقدار ما تخلص الروح من جوع الغريزة – جوع الروح الموحشة من الرفيق ، ورفرفة الروح التى تجد هذا الرفيق وإن أبى (شيطان المؤلف) إلا أن ينتهى بهما إلى الحرمان أو ما يشبه الحرمان ؛ لأن نزعته العامة هى تصوير (الجوع) هذا العنصر الذى يبرزه إبرازاً واضحاً ، ويوفق فى إبرازه إلى أبعد الحدود

فى (قلب عذراء) نجد الفتاة الفتية الغنية ، ذات الحس الأنثوى الشاعر . نجد فى نفسها الفيض الذى تحسه الفتاة ، ثم لا تجد لهذا الفيض متصرفاً . . . الرجل من حولها إما شاب طامع ، وإما شيخ متهدم . لم تجد مثلها الأعلى الذى ترجوه ، وضاق صدرها بهذا الفيض الذى لا يتصرف ، فتطوعت للتمريض لتريق هذا الفيض المذخور عطفاً على المرضى البائسين !

ولكنها تمل هذه الحياة بعد حين ، ويكاد النبع الفائض

يفيض حين نلتقي بالشاب (حسن) يحضر لزيارة أخيه الصبى المريض ونجمع كل أشواق الأنثى الحبيسة ، وكل حنان المرأة الكظيم ، فتتوجه بهما جميعاً لا إلى الشاب - فالخجل الغريزى يمنعها - ولكن إلى هذا الصبى المريض ، شقيق الشاب الحبيب

كل خطرة نفسية وكل حركة جسدية صورها المؤلف تصويراً قوياً صحيحاً وطبيعياً صادقاً . ولكنه آثر فى النهاية - إطاعة لشيطان الحرمان ! - أن ترفض المرأة الختام الطبيعى المنتظر ، لأنها أصبحت امرأة عامة ، تقابل هذا وذاك . فهي تشفق على فتاها أن تشقيه بها ، وهو ابن الريف ، وقد شاهدت والده القوى الغيور !

على أية حال ليس لنا أن نتحكم فى اتجاه المؤلف . ولكن لنا أن نلاحظ ، أن المرأة فى هذا كانت مثالية أكثر مما تستطيع طبيعة المرأة ذات الفيض الحبيس المكتوم

فأما (فى القطار) فقد سمح له هذا الشيطان اللعين أن يتخفف قليلاً من (غول الحرمان) وأن يسمح لبطل الأقصوصة وبطلتها أن يرتويا ، وأن يرويا نزعة الفن والحياة فى نفوسهما

لقد التقى بها في القطار . ولقد تعارفا كما يتعارف الغريبان الطامئان ، ولقد نزلا فى فندق واحد على البحر ، فى حجرتين متجاورتين ، وحينما جنهما الليل استعرت فى بدنه جوعة الغريزة ؛ ولكنه نام حتى الصباح ليكشف أنها كانت ساهرة ترسم المنظر الجميل فى ضوء القمر ، لتخر صريعة الحمى فى اليوم التالى

وهنا تتوارى جوعة الجسد ، وترتفع النفس البشرية إلى الآفاق الإنسانية ، حتى إذا زالت الوعكة ، وجدا نفسيهما الشاعرتين ، وعاشا للحب والفن ، عاشا إنسانين قد تلهبهما الغريزة ولكنها تتسامى وتتزيا بالزى الروحى الجميل

* * *

للمؤلف أعمال أدبية لم أقرأها : الرعيل . ورجل وفندق الدانوب . فهو إذن ليس مبتدئاً — وأنا لا أعرف شخصه ولا ثقافته — و « الذئاب الجائعة » تصلح عملاً أدبياً فى منتصف الطريق .. شىء من التحوير فى حكاية القصة كالذى تطلبناه فى القصتين الأوليين وشىء من البساطة فى رسم النماذج الإنسانية والخواطر والمواقف يكمل به الصدق الطبيعى فى الحياة وإن نقص به بعض اللذة فى التعقيد والمفاجأة ؛ فنجد بين يدينا كاتب قصة أو أقصوصة من لون جديد ، ومن طعم جديد

سيد قطب

الحروف الأبجدية

[بحث فى الأبجدية بمناسبة اقتراح تغيير الحروف العربية ورسم كتابتها]

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

أبجد أو أبو جاد، مستهل الكلمات الثمانين التى اعتاد العرب أن يدلوا بها على ألِفِ بائهم. هذه الكلمات تنطق كالآتى «أبجد — هوز — حطى — كلمن — سعفص — قرشت — تخذ — ضظغ»[1]

والأصل أن يرمز لهذه الحروف بأبجد، وفى تاج العروس «وقيل أبا جاد كصيغة الكنية». وجاء فى موضع آخر: «وقال قطرب — هو أبو جاد، وإنما حذفت واوه وألفه، لأنه وضع لدلالة المتعلم، فكُره التطويل والتكرار وإعادة المثل مرتين، فكتبوا أبجد بغير واو ولا ألف، لأن الألف فى أبجد والواو فى هوز قد عرفت صورتهما، وكل ما مثل من الحروف استغنى عن إعادته

وفي دائرة المعارف الإسلامية: «وترتيب الحروف فى هذه المجموعة هو نفس الترتيب فى العبرانية والآرامية، وهذا يثبت إلى جانب أدلة تاريخ الخط نظرية أن العرب تلقوا أبجديتهم عن الأنباط. أما الأحرف الستة الخاصة بالعرب فقط فقد وضعت فى آخر المجموعة

وأصحاب المعاجم من العرب، ولو أنهم لم يفطنوا إلى الموازنة بين الأبجدية العبرانية والآرامية القديمتين، وبين الأبجدية العربية، إلا أنهم فصلوا بين الحروف الأولى وبين الأحرف الستة الأخيرة، فقالوا عن الكلمات الأولى إنهم (ملوك مدين) ثم «وجدوا بعدهم تخذ ضظغ فسموها الروادف[2]». وفى التاج شرح القاموس، وهى أحرف ليست من أسمائهم. وهذا يدل على أن الأصل الذى انحدرت عنه الأبجدية العربية أصل قديم عبرانى وآرامى، ولكن العرب نسوا ذلك الأصل

على أن بعض الباحثين من العرب رجحوا أن يكون أصلها أعجمياً. فى تاج العروس «ثم الاختلاف فى كونها أعجميات أو عربيات كثير، فقيل إنها كلها أعجميات كما جوزه المبرد وهو الظاهر. ولذلك قال السيرافى لا شك أن أصلها أعجمية، أو بعضها أعجمى وبعضها عربى كما هو ظاهر كلام سيبويه وغير ذلك مما ذكره الرضى وغيره، ووسع الكلام فيها الجلال فى المزهر. وجزم جماعة بأن أبجد عربى، واستدلوا بأنه قيل فيه أبو جاد بالكنية، وأن الأب لا شك أنه عربي، وجاد من الجود، وهو قول مرجوح»

وأخذت دائرة المعارف عن تاج العروس هذا الرأى فقالت «على أن بعض النحاة من العرب كالمبرد والسيرافى لم يقتنعوا بالتفسير المتداول عن الأبجدية، وصرحوا بأن هذه الأحرف لا بد أن تمتد إلى أصل أجنبى»

وفى دائرة المعارف أيضاً (والأصل العبرانى والآرامى للأبجدية العربية مما لا شك فيه ومع ذلك فإن العرب لجهلهم باللغات السامية الأخرى، ولتحيزهم، وتعصبهم لجنسهم وشخصيتهم، حاولوا تفسير أصل الأبجدية التى وصلت إليهم مع التقاليد تفسيراً جديداً. وهى تفسيرات شائقة حقاً، ولكنها أدخل فى باب الخرافات)

فى القاموس (أبجد إلى قرشت — وكلمن رئيسهم — ملوك مدين) وفى تاج العروس «وفى ربيع الأبرار للزمخشرى أن أبا جاد كان ملك مكة، وهوز وحطى فوج من الطائف، والباقين بمدين

وقيل بل إنها أسماء شياطين، نقله سحنون عن حفص بن غياث

وقيل أولاد سابور، وغير ذلك

قال وقد روى أنهم هلكوا يوم الظلة مع قوم شعيب عليه السلام، فقالت ابنة كلمن ترثيه:

كلمن هدم ركنى ... هلكه وسط المحله
سيد الحتف أتاه الـ ... ـحتف ناراً وسط ظله

وهم أول من وضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم

***

وفى دائرة المعارف «وقد نشأ إلى جانب هذا الترتيب القديم

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية

(٢) القاموس المحيط

الذى يعود بنا إلى أصل الأبجدية العربية ، الترتيب المستعمل فى الوقت الحاضر . والفكرة فيه أن توضع الحروف المتشابهة فى الرسم بعضها إلى جانب بعض ، فمثلاً ت ث ، يأتيان بعد ب وهكذا ثم ه و ى توضع فى الآخر

وقد احتفظت الأبجدية المغربية بهذا الترتيب حتى الوقت الحاضر وهو :

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ى

أما الترتيب الذى وضعه الخليل فى كتاب العين ، فهو ترتيب يتبع أساساً صوتياً فسيولوجياً ، فيبدأ بالحروف الحلقية ثم ينتهى بالحروف الشفوية . وهذا الترتيب هو :

ع ح خ غ ق ك ج ش ص ض س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و أ ى

ويشبه هـذا ما ذكره الأزهرى فى التهذيب والمحكم لابن سيده »

* * *

وجاء فى دائرة المعارف أيضاً أن هذه الحروف لها قيم عددية تشبه ما هو موجود عند العبرانيين والآراميين . من الهمزة إلى القاف تدل على واحد إلى مائة ، والقسمة الباقيـة من مائة إلى ألف

واعتمد المنجمون على خصائص الحروف العددية فاستعملوا أبجد وأخواتها كتماويذ وطلاسم سحرية . فكل حرف من الألف إلى العين يدل على إله أو قوة طبيعية . وعلى أساس هذه الصلة المتبادلة بين العدد والحرف من جهة ، وبين الرموز المقابلة لها من جهة أخرى قام بناء من السحر . وكان اليهود يزاولون ما يشبه هذا فى القرون الوسطى

* * *

هذه هى خلاصة القول عن الأبجدية . ومنها يتضح أمران : الأول أنها ترجع إلى أصل عبرانى وآرامى ، والثانى أن الناس انصرفوا بها إلى عالم الطلاسم والتعاويذ والسحر

ولهذين السببين صدف المسلمون عن استعمالها ، وزهدوا فيها وفكروا فى وضع ألف باء أخرى كما سبق

على أن كثيراً من المسلمين لم يجدوا حرجاً فى اتباعها جاء فى الشاطبية ما يأتى

جعلت أبا جاد على كل قارىء ... دليلاً على المنظوم أول أولا

وشرح الإمام أبو القاسم القاصح هذا البيت فقال [1]

أخبر أنه جعل حروف أبى جاد دليلاً أى علامة على كل قارئ نظم اسمه فى القراء السبعة ورواتهم أولاً أولاً ، أى الأول من حروف أبى جاد للأول من القراء . فنى اصطلاحه أبج لنافع وراوييه ، فالهمزة لنافع ، والباء لقالون ، والجيم لورش ... الخ

* * *

وقد نهى القابسى [2] عن تعليم أبى جاد ، ووجوب اتباع ألف باء أخرى على الصورة المغربية ، وهى التى ذكرناها سابقاً ونقلنا عن دائرة المعارف أن المغاربة لا يزالون يتبعونها إلى الآن . وفيها خلاف يسير فى الترتيب من حيث التقديم والتأخير عن ألف باء المتبعة فى مصر وفى كثير من معاجم اللغة كالقاموس واللسان والصحاح . ولكن القاعدة واحدة وهى تجاور الحروف ذات الرسم الواحد فى الكتابة . ونثبت هـذه الألف باء المتبعة فى مصر من باب الموازنة

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ى

* * *

هذا الترتيب وضعه نصر بن عاصم ويحى بن يعمر العدوانى فى زمن عبد الملك بن مروان . وهو الترتيب الذى عليـه العمل الآن فى البلاد العربية ، وجرى عليه أصحاب الصحاح والقاموس ولسان العرب وغيرهم . والمقصود منه ضم كل حرف إلى ما يشبهه فى الشكل [3]

والذى دفعهما إلى وضع هذا الترتيب ، هو النظر فى حروف الهجاء والتفكير فى تنقيطها ، لما كان يقع فى قراءة القرآن من

(١) سراج القارىء المبتدىء وتذكار المقرىء المنتهى شرح الامام أبى القاسم القاصح على الشاطبية طبع الحلبى ١٩٣٩ ص ١٦ .

(٢) هو أبو الحسن القابسى صاحب رسالة أحكام المعلمين والمتعلمين ، وكانت موضوع رسالتى فى الدكتوراه وهى تحت الطبع الآن

(٣) حياة اللغة العربية — حفنى بك ناصف — مطبعة الجريدة ص ٣٧

التصحيف . فاخترعا النقط كتمييز الحروف المتشابهة فى الشكل منعاً للالتباس

جاء فى الإتقان « اختـلِـفَ فى نَقْـطِ المصحف وشـكله . ويقال أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلى بأمر عبد الملك ابن مروان ، وقيل الحسن البصرى ويحيى بن يعمر وقيل نصر ابن عاصم »(١)

وقد دعا النقط إلى ملاحظة الحروف المتشابهـة فى الرسم . فالباء والتاء والثاء واحدة ، وإنما تتميز بالنقط فقط . لذلك تدرج الذين نقطوا الحروف إلى وضع الترتيب الجديد للألف باء وهو ترتيب المشارقة .

***

وعندنا أن هذا الترتيب الجديد ، سواء أكان ترتيب المشارقة أم كان ترتيب المغاربة ، إنمـا وضع لتيسير التعليم على الصبيان ، على الأخص لأن قاعدته الرسم والـكتابة . وهذه الألف باء لا يحفظها الصبى إلا كتابة ، لأنه لا يستطيع ضم حروفها فى كلمات ، وإذا كان بعضهم يحفظها حرفاً حرفاً ، فإن هذا الحفظ يسير جنباً إلى جنب مع تعلم كتابتها

أما أبجد هوز ، فلأنها تجتمع فى كلمات ، فلم يكن بد ولو على سبيل الاختراع من إلباسها معانى مختلفة . وليس هذا غريباً عن قواعد علم النفس ، فـكل لفظة يقابلها معنى ، لذلك تعددت الروايات عن معنى هـذه الـكلمات وألبسوها ثوب الخرافة . فهى تارة أسماء ملوك بادوا ، وتارة أخرى أسماء شياطين ، وتارة ثالثة أسماء أولاد سابور

كما أن هذه الـكلمات لبعدها عن العربية الصحيحة ، تثير التعجب الذى قد يصل فى بعض الأحيان إلى السخرية فى نفس العربى الأصيل . فى تاج العروس قصة - إن صحت - يتضح منها سخرية أعرابى من أبى جاد . ويذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقى أعرابياً فقال له : هل تحسن أن تقرأ القرآن ؟ قال نعم . قال : فاقرأ أم القرآن . فقال : والله ما أحسن البنات فـكيف الأم ؟ قال : فضربه ثم أسلمه إلى الـكتاب فمكث فيه ثم هرب ، وأنشأ يقول :

أتيت مهـاجرين فعلمونى ... ثلاثة أسـطر متتابعات

كتابَ الله فى رق صحيح ... وآيات القرآن مفصلات

فخطوا لى أبا جاد وقالوا ... تعـلم سعفصاً وقُريشات

وما أنا والـكتابة والتهجى ... وما حظ البنين من البنات

دكتور

أحمد فؤاد الأهوانى

(١) الاتقان السيوطى الجزء الثانى ، ص ١٢٠

بين سيد قطب والحقيقة

للأستاذ صلاح ذهني

لم تعد المعركة بيني وبين سيد قطب ، فقد خرج الأمر من يدي ...

المعركة الآن بين سيد قطب وبين الحقيقة الواضحة . إنه إن صلح ناقداً للشعر فلن يصلح ناقداً للقصـة . ذلك لأن أبسط ما يستلزمه فهم القصة الحديثة ودراستها وفهم المدارس الأدبية إطلاقاً هو الالمام بلغة أجنبية . ولو أن سيد قطب قصر كلامه فى مقاله عن تيمور على إبداء الاعجاب والسخط ، ولو أنه لم يتعالم فيتكلم عن مدارس الأدب ويأخذ فى التقسيم والتوزيع . لو أنه قنع بذلك دون أن يقحم نفسه فيما جرّ عليه الخطأ ، إذن لما كان يعنيني أن أرد عليـه . لـكنه أبى إلا أن يحشر نفسه فى مجال لا يفهم فيه ، ولا يعيبه ألا يفهم فيه .

وبعد . فلأخاطب القراء فيما بين سـيد قطب وبين الحقيقة من خلاف ، ولأعرض عليه القضايا التى أثرتها فى وجه سيد قطب .

١ — حار سيد قطب في أمر تيمور فقلت له إنه من كتاب القصة القصيرة ومكانته بين ذوى النزعة الواقعية

٢ — حشر الصديق يوسف جوهر حشراً فى زمرة الناسجين على منوال موباسان . فقلت له : إن هـذا خطأ ، لأن يوسف جوهر ينحو نحواً غير الذى تنحوه القصة عند موباسان

٣ — ذكر الأستاذين توفيق الحـكيم والمازنى فى أصحاب القصة ؛ والأول كاتب روائى ومسرحى ورائد فن قائم بذاته ، والثانى كاتب مقالة ممتاز مهما يكن القالب الذى يصطنعه

ذلك فى مقاله الأول ، أما فى مقاله الثانى ، فقد زج بنفسه مرة أخرى فيما ليس له فيه ، وزعم أنه كشف عن هنات أربع للأستاذ نجيب محفوظ فى روايته كفاح طيبة ، ونبه إليها المؤلف فى لهجة توهمه إنه إزاء عالم فى المصريات ...

١ — قال : إن نجيب محفوظ مخطئ ٌ لأنه قدر حكم الرعاة بمائتى عام . فقلت له : بل مصيب لأن ذلك هو التقدير الصحيح

٢ — وقال : إن بلاد النوبة تسمية حديثة . فقلت له : بل هى تسمية قديمة ولصقت بهـذا الاقليم من أرض مصر حتى العصور الحديثة

٣ — وقال : إن الاسم الصحيح لهذه البلاد هو بلاد بنت فقلت له : إن بلاد بنت هي الصومال الحالية ...

٤ — وقال : إن نجيب محفوظ مخطئ ٌ فى توهمه اشتقاق اسم أحمس من الحماسة والجرأة ، لأن ذلك اشتقاق يجوز فى اللغة العربية ، فقلت له : بل إن أحمس بمعناها القديم تعنى الجرأة والاقدام .

فـما ذا كان رد سيد قطب الناقد ؟

ساق إلى دليـلاً على صحة رأيه فى حكم الرعاة لمصر تقدير جوستاف لوبون ! !

وجوستاف لوبون عالم فى الاجتماع لا فى التاريخ . ولو سألنى عن مؤرخ يؤيده فى رأيه لقلت له اسم مانيتون مثلاً الذى قدر مدة حكم الرعاة بأكثر من ستمائة عام ! ولقلت له إن جوستاف لوبون اعتمد على مانيتون وأضرابه من المؤرخين القدماء الذين أتوا بعده بقرون ، والذين كتبوا قبل أن تتسع المعلومات عن التاريخ المصرى القديم ...

ثم لقلت له ما دام مغرماً بالأسماء الأفرنجية إرضاء لمركب النقص الخبيث . أمامك عشرات العلماء فى التاريخ من المحدثين عد إليهم ، عد إلى هنرى برستد « فى تاريخ مصر القديمة » الفصل الحادى عشر والثانى عشر ، فى أكثر من موضع من هذين الفصلين يتكرر تقدير مدة حكم الرعاة بأقل من مائتى عام وفى الخمسة أسطر الأولى بالذات من الفصل رقم ١٢ تجده يذكر ذلك . وغير برستد تجد فلندرز بترى وغيره .

أما التصويب الثانى بشأن تسمية بلاد النوبة ، فقد صمت عنه صمتاً جميلاً !

وأما التصويب الثالث ، فقد أقره واعترف بخطئه ، ثم رمانى بالتبجح المريض لأننى صححت خطأ ناقد ممتاز ...

وأما عن كلمة أحمس القديمة ، فلم يسلم بتصويبى ولا أكد رأيه وإنما قال إنه ينتظر الاثبات ! !

وإنى لأترك للقراء أن يبحثوا فى قواميسهم عن وصف يليق بناقد مخطئ ٌ كلاماً لا يملك له إثباتاً ولا نفياً ...

وأما قصة المجلات الحربية التي أدخلها الهكسوس في مصر ، فهي أوضح من أن تحتاج لمثله من الرد عليها ، فهو يستنكر جملة وردت على لسان الملك المصري الذي شهد الحرب على الهكسوس لاخراجهم من مصر وهو (سكنن رع) يظهر بها استنكاره لكثرة عدد المجلات الحربية لدى الرعاة ، مع أنهم حديثو عهد بها ، وقد أخذوها عن سكان فلسطين ، كما أخذها المصريون بدورهم عن الرعاة ، هذه مسألة واضحة ، من الجائز ، بل من المنطق ، أن يطمع ملك مصر العليا في أن يصنع عماله عدداً أكثر مما يصنعه عمال ملك الرعاة ...

وبقيت بعد ذلك قصة المدارس الأدبية ، وهي التي جرت عليه أخطاءه في مقاله الأول عن تيمور ، لقد كان رده ترك الحديث فيها لأنها لا تستحق الحديث

ومرة أخرى أصحح للناقد الفاضل . إنه مصيب في ترك هذا الموضوع ، لا لأنه لا يستحق الحديث ، وإنما لأن موضوع المدارس الأدبية هو موضوع الأدب الأوروبي أولا وقبل كل شيء ، ولاغنى لمن يتكلم عنها من الاطلاع على هذا الأدب ، ولا أحب مناقشة سيد قطب في موضوع الأدب الأوروبي لأنه — ولن يعيبه ذلك — لا يعرف لغة أوربية معرفة تسوغ له الكلام فيه ، ولقد أخطىء أو أصيب ، ولكنه سيخطىء حتما إن تعرض له شأن من يقحم نفسه فيما لا يعلم .

وأرجو بهذه المناسبة أن يقلل سيد قطب من ذكر الأسماء الأفرنجيه وترديد أسماء الكتاب الأوربيين بلهجة توهم القراء أنه من أهل الاطلاع الواسع في هذا الأدب . إنه لا يفعل أكثر من الخطأ المضحك كلما ذكر اسماً من الأسماء الأوروبية ، وأذكر أنني قرأت له منذ عام مقالاً جاء فيه ما نصه :

« وإن بعضهم ليحتج بمثل اعترافات روسو ، وقصص بودلير ، وقصائد لورنس ... وقصص بودلير تحمل فناً وهي مع ذلك ليست خير الآداب ولا أرفعها ، وقصائد لورنس تحمل فكرة يعالجها من هذا الطريق ... »

والذين يعلمون أبسط العلم يعرفون أن بودلير لم يكن قصاصاً وإنما كان شاعراً وإن كتب قصتين ، وأن لورنس لم يكن شاعراً وإنما كان قصاصاً ، وأن الأوصاف التي وصف بها سيد قطب لا تنطبق إلا على شعر الاول وقصص الثاني ! !

هذه الأخطاء منشؤها الولوع بترديد الأسماء الأوروبية في غير داع إلا الإبهام والتغرير ، ولا ضير على سيد قطب ولزوم حدود ثقافته . .

ولقد أشـار في ختام مقاله إلى الدوافع التي أثارتني لمهاجمته .

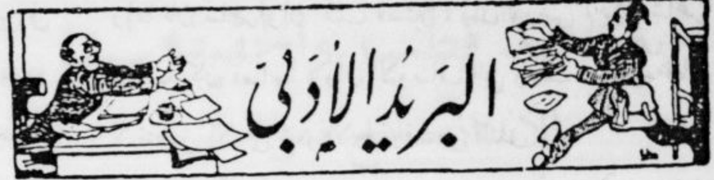
فأما تشجيعه أو هجومه فما أحسب أن ساذجا يعني برأى ناقد في موضوعات مبلغ علمه بها ما قدمت .

إنما الذي أثارني أن سيد قطب له عادة غير عاداته التي قصها على قراء الرسالة في العدد الماضي وهي أن لا يقرأ كتاباً ولا يكتب عن كتاب إلا إذا استهداه . ولقد جاءني يوما يطلب أن أستهدى له تيمور مؤلفاته لأنه يريد دراستها ففعلت ، وكان أبسط واجب اللياقة أن أصحح للناقد أخطاءه في دراسة صديقي تيمور ، وليلاحظ أني أقول صديقي . فإني حريص على أن يفهم أن الصلة بين الكتاب قد تكون صداقة أحياناً ، ولا تكون دائما صلة الأصل بالظل والتابع بالمتبوع .

وما أنكر أني أفدت من قراءة تيمور كما أفدت من قراءة غيره من الكتاب . لكن الذي أنكره دائما أن يكون كل الكتاب ظلالاً . . ذلك ما أنكره ولا أحبه . ولا أملك مثلا غير سيد قطب نفسه أضعه أمام القراء ليروا فيه نموذجا للظلال . فقد قضى عشرين عاما لم يعد خلالها أن يكون ظلاً في ساعة الظهيرة للكاتب الكبير عباس محمود العقاد ... وماكان في ذلك ضير لو أنه كان ظلا مستقيما ...

وليحكم القراء أخيراً بين من يترفق بالجاهل فيصفه بعدم العلم ويدعوه في رفق إلى التثبت والتبصر ، وبين من يخطيء ويعترف ويتهم من يصوب خطأه بالتبجح المريض ! !

صلاح ذهني



محمد عبد العزيز

وصلَ إلىّ خطابٌ مسجَّل بإمضاء سيدة طوت اسمها عنى، وهى ترجو أن أكتب فى مجلة الرسالة كلمة يعرف منهـا العراقيون أن الأستاذ محمد عبد العزيز مات

فمن هو الأستاذ محمد عبد العزيز ؟

هو الأستاذ الذى عرفته مصر باسم عبد العزيز سـعيد ، وعرفه العراق باسم محمد عبد العزيز ، فمن هذا الرجل ؟ وما قيمته الحقيقية ؟

هو معلمٌ مصرىٌّ أقام فى العراق ثلاث سنين فى بداية عهد الاستقلال ، فترك فى العراق آثاراً روحية يعرفها الأكابر من تلاميذه الذين يسيطرون على الحياة العلمية فى العراق

كانت مزية هذا الرجل أنه لا يتكلم ولا يخطب ، ولا يعرف أحد أين يقيم ، وبهذه العزلة وصل إلى الظفر بوفاء العراق ، لأن العراقيين يحبون أهل الصمت ، بسبب ما ابتلتهم به المقادير من كثرة الصياح

وهذا سرٌّ إخفاقه فى مصر ، لأن مصر بسبب هدوئها تصفق للصائحين

لاحت فرصٌ كثيرة لاختبار مواهب الأستاذ عبد العزيز سعيد ، فكان يخيب ظنى فى جميع الأحوال . وكانت النتيجة أن أقرر فيما بينى وبين نفسى أن بغـداد قد انتهبت حيويته فى تلك السنوات الثلاث

كان جهاد هذا الرجل فى بغداد معرضاً للضياع ، فشاء حبى لوطنى أن أشيد باسمه وأن أهدى إليه كتاب « ملامح المجتمع العراقى »

وكان الرجل يعرف أننى أهديت إليه كتابى لوجه الحق ، فكان يُجنُّ من نشوة الفرح يوم يلقانى ، وكنت أشعر بنشوة مزلزلة حين أتذكر أننى أهديت كتابى إليـه ولم أهده إلى أحد أصدقائى من الوزراء

مات محمد عبد العزيز العراقى ، ومات عبد العزيز سعيد المصرى ، وبقيت لوعة لن تموت ، وهى فقد صديق بوزارة المعارف

ما هذا الذى أقول ؟

إن الأقدار التى امتحنتنى بموت الأستاذ محمد أحمد جاد المولى تعرف أنه لم يبق لى صديق بوزارة المعارف ، مع الاعتذار للدكتور أحمد رياض .

زكى مبارك

إلى الوزير الأديب هيكل باشا

من حسناتك التى تذكر فتؤثر وتشكر ، مسابقة الترقية إلى التعليم الثانوى التى عُطِّلت فى العهد السابق .

زعموا أنهم سيستبدلون بها معهداً للدراسات العليا ... وعطلت المسابقة وقام المعهد ، فماذا كان ؟

كانت المسابقة لمدرسى المدارس الابتدائية وسيلة يترقون بها إلى التعليم الثانوى فحيل بينهم وبين معهد الدراسات وقصر على معلمى الثانوى .

قيـل — يوم عطلت المسابقة — إن الذين يتقدمون إليها قلة . وهذا غير صحيح — على الأقل فى اللغة العربية — وإن صح فإن علاجه يكون بالترغيب والجزاء ، لا بالتعطيل والإلغاء

وقيل إن المسابقة لم تنجح كوسيلة لكشف المواهب والكفايات . وإذا سـلمنا هذا فإن علاجه يكون بتهذيب المسابقة وتجميلها ، لا بإلغائها وتعطيلها

يا سيدى الوزير ... إذا أردت أن تريح نفسـك من شفاعة الشافعين . ولجاجة المتوسلين . وتلك سياستك — فالمسابقة المسابقة ... إنها الطريق السوى

***

روى ياقوت فى معجم الأدباء أن المتوكل لما أراد أن يتخذ المؤدبين لولده جعل ذلك إلى « إيتاخ » وتولى كاتبه ذلك . فبعث إلى أدباء عصره وأحضرهم مجلسه فلما اجتمعوا قال لهم: لو تذاكرتم وقفنا على موضعكم من العلم واخترنا ، فألقوا بينهم بيت ابن عنقاء الفزارى

ذرينى إنما خطئى وصوْبى علىّ وإنما أنفقتُ مالُ

فقالوا : ارتفع « مال » بإنما إذا كانت « ما » بمعنى الذى ثم سكتوا

فقال لهم أحمد بن عبيد من آخر الناس : هذا الإعراب ، فما المعنى ؟ فأحجم الناس عن القول ، فقيل له : فما المعنى عندك ؟ قال : أراد ، ما لومك إياى ، وإن ما أنفقت مال ولم أنفق عرضاً فالمال لا أُلام على إنفاقه

قال ياقوت : « فجاءه خادم من صدر المجلس فأخذ بيده حتى تخطَّى به إلى أعلاه وقال له : ليس هذا موضعك ؛ فقال : لأن أكون فى مجلس أُرْفع منه إلى أعلاه ، أحب إلى من أن أكون فى مجلس أُحط منه

فاختير هو وابن قادم

« بنى سويف » محمد محمود رضوان

إلى الأستاذ سيد قطب

جاء فى مقالكم القيم بالعدد (٥٨٩) من الرسالة الغراء أنكم ترون (شوقى) نضَّر الله وجهه أخطأ فى روايته (مجنون ليلى) إذ يقول :

عارضنا الحسين فى طريقه ليثرب
هذا سنى جبينه ملء الوهاد والرُّبِى

وقد حسبتم أنه كسر الباء فى (الربى) للضرورة الشعرية ذاهبين إلى أنها جمع (الربوة) المضمومة الراء ، وأرى أن (الربى) التى وردت فى كلام (شوقى) صحيحة بكسر الباء على أنها جمع (رَبْو) وهو بمعنى (الربوة) كما فى (الفيروزابادى)

ووزن (الربِىّ) بالكسر (فُعُول) مثل (دَلْو) الذى يجمع على (دُلِىّ) صار إلى هذه الصورة بعد إعلال كثير تبينه مباحث علم (الصرف) ؛ وإذا كان فى البيت ضرورة فهى تخفيف الياء المشددة وهذا كثير سائغ فى شعر العرب كما يعلم الأستاذ الفاضل

وقد استعمل (شوقى بك) هذا الجمع على هذه الصورة فى قصيدة فلسفية عصماء مطلعها :

ألا حبذا صحبة المكتب وأحبب بأيامها أحبب

والسلام عليكم ورحمة الله

(الأسكندرية) محمود على البشبيشى

فرقة التمثيل

روايتان معروفتان فى عالم الأدب والفن ، الأولى (يوليوس قيصر) والثانية (مرتفعات روذرنج)

لا أعرف الأديب الذى ترجم الأولى وهى من تأليف شكسبير ، أما الثانية فهى من تأليف إميل برونته وقد ترجمها عن الفرنسية الأستاذ فتوح نشاطى

أخرج الأولى الأستاذ زكى طليمات المدير الفنى للفرقة وقد اختار لتمثيلها الأكفاء من ممثلى الفرقة وممثلاتها . وأخرج الثانية الأستاذ فتوح نشاطى ، وقد اختار الأصلح من الممثلين والممثلات لفهم أدوارهم وتمثيلها وفق حرفية أصول الفن

سقطت الرواية الأولى سقوطاً فظيعاً ، ولم يقو شكسبير المسكين أن يأخذ بيد الكثيرين من الممثلين ، وعجز ببيانه الممتع ومقدرته الخلابة على إصلاح لكنات فى ألسنتهم ، وموات باد فيهم

ونجحت الرواية الثانية نجاحاً باهراً اجتذب النظارة أى اجتذاب ، وكاد يذهل الناقد المتربص بالفرقة عن فنه . وكيف لا يذهل وقد خلت الرواية ، تعريباً وإخراجاً وتمثيلاً ، حتى من الهنات ، فما السر فى ذلك يا ترى ؟

السر فيما أرى هو فى قعود الأستاذ طليمات بعد أن وصل إلى ما كانت نفسه تشتهيه ، وفى توهمه أيضاً أنه بلغ هو وزملاؤه وتلامذته أقصى ما يمكن بلوغه من فن الإخراج والتمثيل . أما فى الناحية الثانية فهو فى توفر الأستاذ فتوح نشاطى ، وفى دأبه المتواصل على الدرس والتحصيل وفى عدم رضاه عن كل ما عمله فى محيط الفن المسرحى لأنه ينشد الأحسن والأكمل

تانك هما القصتان الرائعتان اللتان أخرجتهما فرقة التمثيل فى فصلها الحالى . وكم نتمنى أن تكون جميع الروايات التى تمثلها فى هذا الموسم من هذا النوع ليكون مدرسة للذين تؤهلهم ملكاتهم الأدبية والفنية للتأليف المسرحى ، ولأن الروايات المترجمة إذا أحسن اختيارها تمثل حقيقة أدبنا المستمد أكثره من الغرب

حبيب الزحلاوى



١ — امرؤ القيس

[الكتاب الأول من الشوامخ]

لم نأسف على شيء قط ، أسفنا على تأخرنا عن الكتابة عن هذا الكتاب الجميل قبل أن يحدث الذى حدث بسببه بين صديقينا الفاضلين الدكتور محمد صبرى المؤلف والدكتور سيد نوفل الذى نقد الكتاب نقداً لم يعجب الدكتور صبرى فغضب غضبته التي رد عليها الدكتور نوفل رده المعروف . ونقول الحق إن موقف الأستاذين لم يصادف إلا الأسف الشديد من نفوس القراء جميعاً . فالدكتور نوفل — وهو البادىء — قد جرد الكتاب من حسناته جميعاً ، وقد صارحناه بذلك يوم صدور مقاله ، والدكتور صبرى لم يكن واسع الصدر حين ضاق بنقد الدكتور نوفل ، فأهمل الرد على مآخذ الأستاذ وحصر رده في حملة كنا نجله عنها ، وقد عاود الكرة حينما رد عليه الدكتور نوفل فراح يلقي عليه وعلى المجلات الأدبية الممتازة — وما أقلها عندنا — دروساً في ضبط النشر وحسن التوجيه الأدبي ، وهي دروس نشكرها له كل الشكر ، ولكن في غير ذلك المقام

أما الدكتور نوفل ، فقد فاته أن ينوه بكثير من حسنات الكتاب ، وفي مقدمتها ميزة الدكتور صبرى الأولى ، التي لا يشاركه فيها كثيرون ممن كتبوا عن الشعر الجاهلي ، تلك هي ميزة الأستاذ في سمو تذوقه لهذا الشعر ومقدرته على إظهار صوره الرائعة التي كنا — أو كنت أنا على الأقل ، كي لا يغضب أحد — لا أحس لها جمالاً ، ولا أعرف لها روعة ، حتى وقفني كتاب الدكتور صبرى على طرافتها وإعجازها ، وليست هذه بالحسنة الهينة التي ينفرد بها هذا الكتاب ، ولا بد لنا من عودة إن شاء الله . والذى أرجوه أن تصفو نفوسنا خدمة للأدب وأن نعدل في خطة النقد فلا نجعله ثناء سمجاً ولا تجريداً معيباً

٢ — المصرى ذلك المجهول

[منشورات الأديب بيروت]

ليس الأستاذ عبد الله العلايلي مجهولا لدى قراء العالم العربي وهو معروف في كل مؤلفاته بالتعمق والاستيعاب ، وكتبه تاريخ الحسين وحياة الحسين ودستور العرب القومي ومقدمة لدرس لغة العرب شواهد ناطقة بفضله . وقد أطرفنا اليوم بكتابه الجديد عن أبي العلاء فقرأنا به ميادين جديدة كانت مجهولة حقاً في أهداف أبي العلاء الفكرية ، وقد أعطانا الأستاذ بكتابه هذا مصباحاً نمشى في نوره وسط تلك الزحمة من ظلمات مذاهب الفرق الإسلامية التي كان يداعبها أبو العلاء فيوافقها مرة ويثور بها مرات ومرات ، ونرجو أن نتفرغ للكتابة الطويلة عن هذا الكتاب العميق

٣ — في قصور الخلفاء :

[منشورات دار المكشوف]

صديقنا الأستاذ صلاح الدين المنجد أديب شاب طموح حسن التنسيق لمؤلفاته التي ضايقتها الحرب فأخذت تخرج صغيرة الحجم عظيمة القيمة مع ذلك . . وقد قدمنا له بالأمس مجموعته الشائقة الرائعة « إبليس يغني » ويسرنا أن نقدم له اليوم مجموعته الثانية « في قصور الخلفاء » وهي مجموعة من القصص العربي الرائع استطاع الأستاذ أن يخرجها في ثوب قشيب من أسلوبه البديع وروحه الفياض . ولنا ملاحظات على هذه المجموعة سنعرضها على صديقنا الفاضل في كلمة أخرى

٤ — قصص من العالم :

[الناشر المصرى بالقاهرة]

قلم الأستاذ محمود حسني العرابي قلم جديد المنهج في أدبنا المصرى الحديث . . وقد قرأنا مذكراته العظيمة (٨٩ شهراً في المنفى) فلمحنا فيها روح عباقرة الروس الروائيين من أمثال دستوئفسكي وجوركي وتشيكوف ، وكنا نشهد أطيافهم في ثنايا سطوره الأخاذة الشائقة فندرك السر في عبقرية أديبنا المصرى العظيم الذى نرجو أن تواتيه ظروفه فيكمل لنا مذكراته القيمة ونحن نقدم للقراء في العالم العربي مجموعته الجديدة « قصص من العالم » ترجمها ولخصها واقتبسها من أروع القصص العالمي القصير : من أفريقيا وأوروبا وأمريكا وآسيا بأسلوبه الروائي الممتاز وسهولته التي تمتنع على الكثيرين . والمجموعة نماذج ممتازة لا يستغني عنها القارىء أو القصاص الناشىء

(د . خ)

12 me Année No. 594

Lundi - 20 - 11 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥٩٤ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ ذي الحجة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

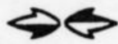
الفهـرس

صفحة

١٠٢١	قادة الفكر	الدكتور محمد مندور ..
١٠٢٣	أبو تمام	الأستاذ دريني خشبة . .
١٠٢٦	قضية المرأة أيضاً ..	الأستاذ زكريا ابراهيم ...
١٠٢٨	القضايا الكبرى في الاسلام « قضية فدك » . .	الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
١٠٣١	وحدة الوجود	« للبروفيسور ج . ا . بودن » بقلم الأستاذ عثمان حلمي . .
١٠٣٣	الرفق بإيطاليا . ..	الأستاذ على إسماعيل بك
١٠٣٥	كلمة أخيرة	الأستاذ سيد قطب ...
١٠٣٦	القيثارة المحطمة [قصيدة]	الدكتور عزيز فهمى ...
١٠٣٦	القلم يقول عن نفسه «	الأستاذ على متولى صلاح
١٠٣٦	صرخة اليأس «	« لشارل بودلير » ... بقلم الأستاذ عبد القادر محمود
١٠٣٧	نظرية الفصل وماذا يريد القائلون بها ؟ ! ...	الأستاذ أحمد ... الحجاجى
١٠٣٧	إلى أستاذى البشبيشى	الأستاذ سيد قطب ...
١٠٣٨	إلى سعادة عبد العزيز فهمى باشا	الأستاذ حبيب الزحلاوى
١٠٣٨	إلى الأستاذ العقاد ...	الأستاذ نقولا الحداد ...
١٠٣٩	الدكتور زكى والشيخ الدجوى	الأستاذ منصور جاب الله
١٠٣٩	حول فرقة التمثيل ...	الأستاذ زكى طليمات ..
١٠٤٠	تاريخ ما قبل التاريخ ...	الأستاذ (د . خ) ..
١٠٤٠	هارون الرشيد والبرامكة	
١٠٤٠	عشاق العرب وقصر الهودج	
١٠٤٠	وا معتصماه !	

قادة الفكر ...

للدكتور محمد مندور



منذ القدم والمستنيرون من الناس يقتتلون حول قادة الفكر، فمنهم من يدعوهم إلى الكفاح مع مواطنيهم عند ما يدعو داعي الوطن، ومنهم من يود لو نأى بهم عن كل ضجة فانية ليتوفروا على خلق الأفكار الباقية، وصياغة المشاعر التي تتغذى بها الأجيال في كل زمان ومكان. وتلك قضية تستحق النظر فما لا شك فيه أن الكاتب — وبخاصة إذا كان انفعالى الطبع — لا يملك في بعض الأحيان أن يدفع إحساسه بالمسئولية، فكلما رأى فساداً من حوله أو أحس ظلماً يقع على الناس أو جراحاً تصيب وطنه ثارت نفسه، وكأن سكوته تأمين على ما يرى إن لم يكن مشاركة فيه. ولقد يتساءل الناس من حوله عن سر حماسته لهذه الفكرة أو تلك دون أن يحظوا برد يقنع العادين منهم لأن الرد الوحيد هو طبيعة الكاتب وحرارة قلبه

وموضع التدبر هو أن نتساءل عما يستطيع الكاتب عندئذ أن يكتب دون أن يصيب كتابته الفناء، وليس أشق على نفس الكاتب من أن يحس بأن جهده سيتبدد أنفاساً، وأن كل ما يخط لن يخلف أثراً لأنه وليد ملابسات يومية لن تلبث أن تتغير فتفقد كتاباته قيمتها. ولكن هذا قول ليس صحيحاً

على إطلاقه ، فإنى اليوم لازلت أقرأ خطب ديموستين الزعيم الإغريقى الخالد يوم كان يكافح فيليب المقدونى ويدعو مواطنيه إلى مكافحته دون أن يثنيه عن ذلك حتى اليقين بأنه ومواطنيه سائرون إلى الهزيمة مؤمناً بأن الجهاد غاية نبيلة فى ذاتها ، وأنه من الخير أن تموت وسلاحك بيدك عن أن تَنفَق فى فَرَق الجبان . ولا زلت أقرأ لروبسبير وهو يناهض ما صاحب الثورة الفرنسية الكبيرة من انحلال فى الخلق وتقلب فى العقائد وتيقظ فى الشهوات واستحصاد للضغائن العمياء . ويدعو إلى أن يكون الطموح عملاً على استحقاق المجد وتقدير الشعب ، أقول إننى لازلت أقرأ للخطيب الإغريقى أو الخطيب الفرنسى فلا أستطيع أن أقول مع القائلين إن الكتابات أو الأفكار التى تولدها ظروف خاصة سيصيبها الفناء . فكل كتابة تستطيع أن تخلد بما تحمله من عناصر إنسانية ثابتة ، والإنسان هو الإنسان فى كافة عصوره . وسيظل أبد السنين يهتز لمعانى الكرم النفسى

هذه إذن قضية الحق فيها واضح . ولكن ثمة قضية أخرى أشق منها علاجاً وهى : أيهما أجدى على قادة الفكر : أن يتوفروا على فهم الإنسان وشق الحجب عن أسراره النفسية أم ينصرفوا إلى توجيهه وقيادته . وهنا قد يبدو التعارض واضحاً ، ولكنه فى الحق تعارض سطحى . وكبار الكتاب يجمعون دائماً بين الأمرين دون أن يقصدوا إلى أيهما . ففهمك للانسان وتبصيرك إياه بحقائقه الغامضة فيه خير توجيه له . وإنه لمن الحمق أن يظن أشباه الأميين أن باستطاعتهم أن يخلقوا أمة أو يوجهوا رأياً توجيهاً ثابتاً بالألفاظ الخطابية الرنانة أو بالجمل الرصمة الجوفاء ، فهذه حماقات موقوتة التأثير وأما الأثر الباقى فهو ما تستمده من حقائق النفس لترده إليها ، ولكم من مرة يكون من واجبك إذا أردت أن ترفع قلباً أو تحث عزماً أن تسلم له بادئ الأمر بحقه فى أن ييئس أو يتوانى عزمه ، ولكم من مرة يكون فى هذا التسليم ذاته أكبر ناهض بالنفوس ، وأما المكابرة وأما التنكر لحقائق النفس البشرية ومحاولة أخذها بالضجيج فذلك تفكير عقيم .

وإذن فشكلة الفهم أو التوجيه هي الأخرى محلولة فى أعماقها .

ولعل فى تحديد العلاقة بين رجال الفكر وبين رجال السياسة ثم بين رجال الفكر وبين بيئاتهم مشكلات أشق من السابقتين بعض رجال السياسة ليسوا من قادة الفكر ومنهم من لا يكاد يقرأ كتاباً ، وتلك لاريب آفة شديدة الأثر على الحياة العامة ، وقديماً رأى إفلاطون أن يقود الفلاسفة المدينة . وقادة الفكر بدورهم ليسوا جميعاً ممن يطيقون مجابهة الجماهير وخوض المعارك السياسية ، ومن هنا تنشأ طائفة من السياسيين لاعلاقة لها بالفكر وطائفة من المفكرين لا صلة لها بالسياسة ، ومن عجيب الأمر أن ترى فى التاريخ مفكرين سياسيين جاء تفكيرهم تقريرياً بحتاً بحيث لم يدعوا إلى عمل ولا نادوا بتغيير ، ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك كارل ماركس الذى يتخذه الاشتراكيون اليوم زعيما لهم ، فقد كان الرجل مؤرخاً عالماً لا سياسياً عاملاً ، وهو لم يناد بتحقيق مذهب وإنما درس الماضى وتنبأ بأن تصيب العالم فى يوم من الأيام أزمة اقتصادية تقضى طبيعتها ألا يكون لها حل غير الاشتراكية ، ومع ذلك كم من السياسيين استطاعوا أن يتخذوا من مبادئه التقريرية دعوة إلى الثورة ومبادىء للعمل الإيجابى . ولقد يتفق أحياناً أن يقول مفكر بنظرية من النظريات فى بلد ما ، ثم لا تطبق إلا فى بلد آخر ، ولعل أوضح مثل لذلك مونتسكيو الفرنسى ونظريته فى فصل السلطات ، ففرنسا لم تطبق هذه النظرية على نحو دقيق وإنما طبقتها أمريكا . والأمر فى العلاقة بين رجال الفكر ورجال السياسة عندئذ شديد الشبه بالعلاقة بين رجال العلم ورجال الصناعة . فالعلماء يكشفون عن قوانين المادة التى تمكن من تسخيرها للانسان ويصوغون قوانينهم معادلات جبرية ، ويأتى رجال الصناعة فيستغلون تلك القوانين والمعادلات فى الإنتاج الاقتصادى والإثراء به . ولكن الوضع بين العلماء والصناع قد يكون مقبولاً على نحو ما هو الآن ، بينما هو بين المفكرين والسياسيين محفوف بأشد المخاطر على سلامة الأمم واستقامة الحكم فيها . ولقد تعقدت أمور الحياة العامة فى العصر الحديث بحيث لم يعد كافياً لقيادة الأمم أن تكون وطنياً مخلصاً أو ذا وجاهة اجتماعية ، بل لا بد لك من ثقافة عامة شاملة حتى تعالج الأمور على نحو سديد مستنير

وعندما يصبح السياسيون من قادة الفكر ستتجدد العلاقة بينهم وبين بيئاتهم . فللرجل المفكر في وسطه مهمتان : أولاهما أن يبصر قومه بحالتهم الحقيقية ، حتى يعوا ما هم فيه من شقاء وتخلف ، وذوو النظر مجمعون على أن البؤس ذاته لا يحرك الشعوب ، وإنما يحركها أن تفطن إلى ما هي فيه من بؤس . ولعل في حالة الفلاح المصرى أوضح دليل على ما نقول ، ومهمته الثانية هي أن يسبق الأمم إلى آمالها الغامضة ، ومن هنا ترى أغلبية الكتاب المفكرين من الداعين إلى الأفكار المتقدمة ، فهم رسل الرجاء وبألسنتهم تشكو النفوس آمالها وتتطلع إلى سعادة أتم . وهذا هو السر في أنهم يعيشون دائماً في كفاح مع بيئاتهم وكثير منهم لا يستجاب لندائه إلا بعد موته بسنين ؛ فعندئذ يُقر لهم بالفضل وتقام لهم النصب وتنزل آراؤهم من القلوب منزلة الإيمان

محمد مندور

١ - أبو تمام

وموازين السرقات الشعرية عند ابن الأثير

للأستاذ دريني خشبة

رأينا أن أبا تمام لم يشتغل طول حياته بغير الشعر تأليفاً وتصنيفاً ، ورأينا كيف كان يختار مرة المشهورين ثم يختار أخرى لغير المشهورين ، فيحكم ذوقه النقاد في الحالين ، فلا يقدم إلينا إلا كل درة وكل غرة من درر الشعر العربي وغرره ... ولم يكن أبو تمام مصنفاً ومؤلفاً فحسب ، بل كان حافظاً ، بل كان أعجوبة في الحفاظ الذين اشتهر بهم تاريخ الفكر العربي ... ورأينا اتفاق آراء خصومه وأصدقائه على أنه كان يأخذ المعنى ، فيمنى بتخميره -- على رأى الآمدى -- أو بالانكباء فيه على نفسه -- على رأى الصولى -- حتى يخلص له آخر الأمر ، أو لا يخلص له ، بل يشوهه وينقص منه ، كما صرح بذلك دعبل وابن الأعرابي والتوّجي وأبو هفّان وأبو حاتم السجستاني وغيرهم من أعداء أبي تمام ...

وقبل أن نأخذ في عرض طائفة من سرقات أبي تمام ، مما استدركه عليه الآمدى ، لا نرى بدّاً من وضع خلاصة لذلك الفصل القيم الذى ختم به الأستاذ العلامة أبو الفتح بن الأثير كتابه (المثل السائر ، في أدب الكاتب والشاعر[1]) والذى خصصه للسرقات الشعرية ، ولا سيما عند أبي تمام والبحترى ، وابن الرومى والمتنبي ، وهو فصل من أبرع الفصول في بابه ، وأكثرها إحاطة بهذا الموضوع الذى تشعبت أطرافه ، وكثر فيه إرجاف الرواة والنقاد . ومن الطريف أن ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧هـ كان قد ألف في ذلك الموضوع كتاباً قائماً بذاته ، ثم ضاع هذا الكتاب ، فعوضنا منه بذلك الفصل خيراً

١ — فعند ابن الأثير أن الشاعر إذا أورد شيئاً من ألفاظ شاعر آخر ، في معنى من معانى هذا الشاعر ، ولو كان ذلك لفظة واحدة ، فإن ذلك يكون دليلاً قاطعاً على سرقته

٢ — ويقسم السرقات الشعرية إلى خمسة أقسام : هى النسخ ، والسلخ ، والمسخ ، وأخذ المعنى مع الزيادة عليه ، ثم عكس المعنى إلى ضده

٣ — أما النسخ ، فهو أخذ اللفظ والمعنى برمته ، من غير زيادة أو نقصان ؛ وأما السلخ فهو أخذ بعض المعنى ، وأما المسخ فهو إحالة المعنى إلى ما دونه

٤ — ويعود ابن الأثير فيجعل النسخ على ضربين : فإما أخذاً كاملاً كما تقدم ، وإما أخذ معظم اللفظ والمعنى كله ، كقول أبي نواس :

دارت على فتية ذل الزمان لهم فما يصيبهمو إلا بما شاءوا

فقد نسخه من بيت في أصوات معبد ، وذكره أبو الفرج :

لهفى على فتية ذل الزمان لهم فما أصابهمو إلا بما شاءوا

ومثل قول أبي تمام :

محاسن أصناف المغنين جمّة وما قصبات السبق إلا لمعبد

نسخه ممن مدح معبداً ، وذكره أبو الفرج ، فقال :

أجادَ طُوَيس والسُّريجى بعده وما قصبات السبق إلا لمعبد؟!

٥ — ثم يقسم السلخ فيجعله أحد عشر[2] نوعاً : ه وهذا

(١) النسخة التى نلخص منها هذا الفصل هى التى نشرها الأستاذ الفاضل محمد محيي الدين عبد الحميد وعنى أحسن العناية بتحقيقها

(٢) المذكور في كل النسخ أنها اثنى عشر نوعاً إلا أن الموجود فيها بالفعل أحد عشر فقط

التقسيم أوجبته القسمة ، وإذا تأملته علمت أنه لم يبق شيء خارج عنه ! »

فالأول : أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ، ولا يكون هو إياه ، وهذا من أدق السرقات مذهباً ، وأحسنها صورة ، ولا يأتي إلا قليلاً كقول بعضهم :

لقد زادني حباً لنفسي أنني   بغيض إلى كل امرئ غير طائل

أخذه المتنبي فقال بيته المشهور :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي بأني كامل

وقول أبي تمام :

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة   رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

أخذه البحتري فقال :

ركبوا القنا من بعد ما حملوا القنا   في عسكر متحامل في عسكر !

والثاني : أن يؤخذ المعنى مجرداً من اللفظ ، وهو صعب قليل الورود ، بل هو من أشكالها ، وأدقها ، وأغربها ، وأبعدها مذهباً ، كقول أبي تمام :

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة
تقوم مقام النصر إذ فاته النصر

فقد سلخه من قول عروة بن الورد :

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا   من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذراً . أو ينال رغيبة   ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

ولا يخفى ما في بيت أبي تمام من الجمال والعبقرية في السلخ مع حسن السبك !

والثالث : أخذ المعنى ويسير من اللفظ ، وهو عند ابن الأثير من أقبح السرقات وأظهرها شناعة ، وقد افتضح بهذا النوع البحتري خاصة ، ووقع فيه أبو تمام كثيراً ، مثل قوله :

فلم أمدحك تفخيماً بشعري   ولكني مدحت بك المديحا

فقد سلخه من قول حسان :

ما إن مدحت محمداً بمقالتي   لكن مدحت مقالتي بمحمد

وقول ابن الرومي :

جرعته العيون فاقتص منها
بجوى في القلوب دامي الندوب

فقد سلخه من قول أبي تمام :

أدميت باللحظات وجنته   فاقتص ناظره من القلب !

وسرقة ابن الرومي ظاهرة مفضوحة لا شك فيها ويخفف من وزر السارق في نظر ابن الأثير أن يجيء بلفظ أحلى ، أو معنى زائد فيه جمال . أما أن ينحط عن الأصل ، فهذه هي الشناعة التي ما مثلها شناعة عنده !

— والرابع أن يؤخذ المعنى فيعكس . وهو حسن يكاد يخرجه حسنه عن السرقة ، كقول أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيذة   شغفاً بذكرك فليلمني اللوم

عكسه المتنبي فقال :

أأحبه وأحب فيه ملامة ؟   إن الملامة فيه من أعدائه

— والخامس أخذ بعض المعنى ، كقول أبي تمام :

تدعى عطاياه وفرا وهي إن شهرت
كانت فخاراً لمن يعفوه مؤتنفا
ما زلت منتظراً أعجوبة زمناً   حتى رأيت سؤالاً يجتني شرفا

أخذه من قول أمية بن أبي الصلت :

عطاؤك زين لامرئ إن حبوته   ببذل ، وما كل العطاء يزين
وليس بشين لامرئ بذل وجهه
إليك كما بعض السؤال يشين

— والسادس هو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر ، كقول ولد مسلمة :

أذلّ الحياة ، وكره الممات   وكُلا أراه طعاما وبيلا
فإن لم يكن غير إحداهما   فسيرا إلى الموت سيراً جميلاً

أخذه أبو تمام فقال :

مثّل الموتَ بين عينيه والذلّ   وكُلاً رآه خطباً عظيما
ثم سارت به الحميّةُ قُدْما   فأمات العِدا ومات كريما !

فزاد في المعنى :   فأمات العدا ومات كريما

— والسابع أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من الأولى ، وهنا تتجلى عبقرية أبي تمام ... ولله من قال : من سرق معنى واسترقه ، فقد استحقه : وإن كنا لا نشجع السرقة !!

قال بعض الشعراء :

مُخَصّرة الأوساط زانت عقودها
بأحسن مما زيّنتها عقودُها

أخذه أبو تمام فقال :

كأن عليها كل عقد ملاحةً
وحسناً وإن أضحت وأمست بلا عقد

وسطا عليه البحتري فقال :

إذا أطفأ الياقوت إشراقُ وجهها

فإن عناءً ما توخت عقودُها

وكلاهما رقق المعنى وزاده حسناً

— والثامن أن يؤخذ المعنى ويوجز فى سبكه ، وهو عند ابن الأثير من أحسن السرقات كقول أبى العتاهية :

وإنى لمعذور على فرط حبها   لأن لها وجهاً يدل على عذرى

أوجز فيه أبو تمام فقال :

له وجه إذا أبصر   ته ناجاك عن عذرى !

وقول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته

وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

أوجز فيه تلميذه سلم الخاسر فقال

من راقب الناس مات غماً   وفاز باللذة الجسور !

— والتاسع أن يكون المعنى عاماً فيجعله السارق خاصاً والعكس : كقول الأخطل .

(ونسبه الناشر إلى أبى الأسود) :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

خصصه أبو تمام فقال :

أألوم من بخلت يداه وأغتدى   للبخل تربا ؟ ساء ذاك صنيعاً

وقال أبو تمام :

ولو حاردت شُولٌ عذرت لقاحها

ولكن مُنِعتُ الدَّرَّ والضَّرع حافل

عممه المتنبى فقال :

وما يؤلم الحرمان من كف حارم

كما يؤلم الحرمان من كف رازق

— والعاشر زيادة البيان مع المساواة فى المعنى ، أو ضرب مثال يوضح المعنى المسلوخ : كقول أبى تمام

قد قلصت شفتاه من حفيظته

فخيل من شدة التعبيس مبتسما

توسع فيه المتنبى فقال :

وجاهل مده فى جهله ضحكى   حتى أتته يد فراسة وفم

إذا رأيت نيوب الليث بارزةً   فلا تظنن أن الليث يبتسم

وهذا عند ابن الأثير من المبتدع لا من المسروق !

— والحادى عشر هو اتحاد الطريق واختلاف المقصد ...

وذلك أن يسلك الشاعران طريقاً واحداً ينتهى بهما عند جنتين مختلفتين ! ثم تتجلى فيهما عبقرية كل منهما ... وقد ضرب ابن الأثير لذلك مثلاً قصيدة لأبى تمام فى الرثاء بولدين وقصيدة للمتنبى فى الرثاء بولد . ومطلع قصيدة أبى تمام :

ما زالت الأيام تخبر سائلا   أن سوف تفجع مسهلاً أو عاقلا

وهى موجهة إلى عبد الله بن طاهر . ومطلع قصيدة المتنبى :

بنا منك فوق الرمل ما بك فى الرمل

وهذا الذى يضنى كذاك الذى يُبلى

وهى فى رثاء أبى الهيجاء بن سيف الدولة وقد توفى صغيراً ، ثم أقام بينهما موازنة يشوهها التلخيص ، فيحسن الرجوع إلى المثل السائر ليشهد القارئُ مثلاً من أمثلة العبقرية العربية فى النقد الأدبى الدقيق (ج ٢ ص ٣٩١ وما بعدها) ، وإن ظهر فيها ابن الأثير متحزباً (بحق !) للمتنبى ، مع سلخ المتنبى كثيراً من معانى أبى تمام . ثم إنه فضل المتنبى على البحترى فى وصفهما الأسد فى قصيدتين متشابهتين تواردا على كثير من معانيهما ، ولعل هذا التوارد هو الضرب الثانى عشر من السلخ الذى لم يشر إليه ابن الأثير

ثم يعرف ابن الأثير المسخ فيذكر أنه « قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة ... والعكس » على أن هذا العكس ليس فى رأينا مسخاً ، بل هو خلق وابتداع وتجميل يقتضيه الذوق الدقيق الصناع

قال أبو تمام :

فتى لا يرى أن الفريصة مقتل   ولكن يرى أن العيوب مقاتل

مسخ صورته المتنبى فقال :

يرى أن ما مابان منك لضاربٍ   بأقتل مما بان منك لعائب

والمسخ هنا هو فى تجاور ما وما المختلفتين معنى

***

وحسبنا الآن هذا القدر مما لخصناه من ابن الأثير ، وهو تلخيص نضعه بين يدى القارئ العَجِل ، ليكون نوراً يكشف له جوانب الظلام وجوانب العبقرية ، فيما سنقدمه له من سرقات أبى تمام التى أحصاها عليه الآمدى . ولو أن ابن الأثير تولى عنا الفصل بين أبى تمام وخصومه ، لأمدنا بذخيرة لا تنفد ، وبد لا تجحد ... رحم الله نقادنا الأفذاذ وجزاهم عنا خيراً

(دريني خشبة)

قضية المرأة أيضا

للأستاذ زكريا ابراهيم

إذا كان الرجل والمرأة سواء ، اللهم إلا فيما يرجع إلى الجنس ، فلا بدّ لنا إذن من أن نستند إلى البحوث الفسيولوجية الخاصّة بمسألة التفرقة بين الجنسين ، حتى نستطيع أن نفصل فى « قضية المرأة » فصلاً علميًّا صحيحاً . والبحوث الجنسيّة التى أجريت فى هذا الصدد كثيرة متعدّدة ، ولكن النتائج التى نستخلص منها مختلفة متعارضة . وسنحاول فى هذا البحث الموجز أن نجد أساساً مشتركا بين كل هذه البحوث ، نجعله عمدة لنا فى الوصول إلى رأى صحيح تنحلّ به مشكلة الجنسين ، وبالتالى قضية المرأة .

وأول رأى يواجهنا فى مسألة الجنسين ، هو ذلك الرأى القديم الذى ينظر إلى المرأة والرجل على أنهما جنسان مختلفان ، يقوم كل منهما بنفسه ، ويستقل كلٌ منهما عن الآخر . وهذا الرأى يقضى بأن يكون الرجل متميّزاً كل التميّز من المرأة ، لأن جنس الذكر أرقى وأكمل من جنس الأنثى ، ولأن المرأة هي التى جُبِلَتْ من ضلع الرجل ، لا العكس ! وقد دأب الناس على أن يأخذوا بهذا الرأى ، حتى أن أىّ شك يُثار حول رجولة فرد ، كان كافياً لأن يثور له ذلك الفرد ، باعتبار أنه إهانة عظيمة لا تُغتفر ! وليس من شكّ فى أن قصّة الخَلْق — كما وردت فى التوراة — كانت عاملاً من العوامل التى أدّت إلى اعتبار الرجـل أرقى من المرأة ، كما يظهر من استشهاد القدّيس بولس بها ، فى معرض المفاضلة بين الرجل والمرأة (١)

ولكن البحوث العلمية التى قام بها علماء « الجنس » والتجارب المنوّعة التى قاموا بإجرائها ، تدلُّنا على أن الأدنى إلى الصواب أن تكون الأنثى هي الأصل الذى اشتُقّ منه

(١) يقول القديس بولس فى رسالته إلى تلميذه تيموناوس : « لأن آدم جبل أولا ثم حواء ؛ وآدم لم يغو ، لكن المرأة أغويت فوقعت فى التعدى» . ويقول أيضاً فى رسالته إلى أهل كورنثوس : « .. إن الرجل لم يؤخذ من المرأة ، بل المرأة هى التى أخذت من الرجل . والرجل لم يخلق من أجل المرأة ، بل المرأة هى التى خلقت من أجل الرجل »

الذكر . فالمرأة هى « الصورة الأولى » للنوع الإنسانى ، والرجل إنما هو « الصورة الثانية » التى تفرّعت من ذلك الأصل ، ومعنى هذا أن الذكر ينطوى فى أثنائه على أنثى كامنة ، هى الجنس الأصليُّ الذى تنزع إليه كلُّ الثديّيات(١) . وهذه الأنثى الكامنة هى على استعداد لأن تظهر بشكل واضح ، حينما تُستأصل تلك الغدد الزائدة التى تعوق ظهورها — فليست الفروق الجنسية بين الذكر والأنثى إذن ، فروقاً جوهرية أصلية ، بل هى فروق فرعية مستجدة . وبعبارةٍ أخرى يمكن أن يُقال إن التركيب الجنسى لأفراد كل فصيلة ، له أساس مشترك يحتمل التذكير والتأنيث ، وهذا ما يعبّر عنه بالإمكانية الجنسية المتعادلة équipotentialité sexuelle .

من هذه الحقيقة البيولوجية ، يتبين لنا خطأ النظرة القديمة إلى الجنس . فليس الذكر والأنثى وَحْدتين مستقلتين تقوم كل منهما بذاتها ، وإنما هما حالتان متماسّتان ، قد يبلغ بهما التقارب أن يندمجا معاً ليكوّنا حالة مختلطة هى ما يعرف بالخُنْثَى Hermaphrodite فليس فى استطاعتنا أن نتحدث عن « النـوع المذكر » Male type ، و « النـوع المؤنّث » Female type ، بل عن تلك السلسلة الطويلة من الحالات الجنسية التى تمتد ابتداءً من الخنثى حتى تلك الأشكال المعتدلة التى تكاد تكون سويّةً طبيعية(٢) .

هذه هى النظرة الصحيحة إلى الجنس ، وهى نظرة تساعدنا على أن نفهم تلك الحالات الكثيرة التى طالما نظر إليها الناس على أنها انحرافات غريبة أو حالات شاذة ، مثل حالة « التخنث » وحالة « حبّ الجنس للجنس » : Homosexuality . ذلك أن التجارب قد دلتنا على أنه ليس من الحق أن هناك رجولة خالصة أو أنوثة خالصة . فإذا لم يكن فى استطاعة أحد أن يفخر بأنه رجل كامل الرجولة فأى حق يكون لنا إذا حكمنا بالغرابة والشذوذ على قوم بلغت درجة الرجولة عندهم حدًّا أدنى بقليل مما يوجد لدينا ؟ إن كل ما هنالك هو أن هؤلاء القوم قد أخذوا من الجنس الآخر قسطاً أكبر مما لدينا ، فلذلك ظهرت حالة « الاختلاط » عندهم بشكل أوضح . والتجارب قد دلتنا على أن التميز الجنسى

(١) ارجع إلى الفصل الثانى من كتاب « فسيولوجية الجنس » لكنث ووكر ص ٢٨ .

(٢) هذه نظرة مارانيون Maranon إلى الجنس ، وهو يبسطها بوضوح فى كتابه القيم : « تطور الجنس » .

التام ، يكاد يكون معدوماً . فالرجل الخالص ، والمرأة الخالصة ، هما حالتان قلما يلتقي بهما المرء في الظروف العادية — كما يقول بيدل Biedel — وإذن فإن كل ما يميزنا عن أولئك الذين نعدهم شاذين منحرفين ، هو أن الإفرازات الهرمونية الموجودة لدينا أكثر مما يوجد لديهم . وقد كنا جميعاً في البداية ، ذوي نزعة جنسية إلى نفس الجنس بالقوة Potential homosexuals ، ولكننا لحسن الحظ قد تحولنا إلى الطريق الصحيح ، بافتراقنا عنهم وأصبحنا أميز من حيث الذكورة .

يتبين لنا من هذه النظرة الجديدة إلى الجنس أن الناس يخطئون إذ يعمّمون أحكامهم ، فيقولون بوجود فروق جنسية كبيرة بين الرجل والمرأة ، وبخاصة حول موقف كل منهما من الزواج والحياة الجنسية . فليس الرجل والمرأة كالقطب الموجب والقطب السالب ، وإنما الصلة بينهما أبعد ما تكون عن هذا التصور الساذج البسيط . وعلى الرغم من أن الخلط بين « الإيجاب » والذكورة ، وبين « السلب » والأنوثة ، قد يبدو لنا حقيقة بيولوجية ، فإن الواقع أنه خلطٌ لا أساس له — كما بين ذلك فرويد —[1] . وحتى في الناحية الجنسية الخالصة ، فإننا لا نستطيع أن نقول إن موقف المرأة موقف سلبيٌّ خالص .

أما تلك التعميمات التي قد نضطر إليها لبيان بعض الفروق الموجودة بين الجنسين ، فإنها قد تضللنا إذا اعتبرنا تلك الفروق عامة على الإطلاق . حقا إن تلك الصفات التي ننسبها إلى كل من الجنسين ، قد تكون صحيحة بالنسبة إلى الأفراد الذين يشغلون أعلى السلّم أو أسفله[2] ، أعني بالنسبة إلى الرجل الحقيقي والمرأة الحقيقية (وهذان قلما يوجدان) ، ولكنها تقل شيئا فشيئا حينما نقترب من الرجل المتأنث والمرأة المتذكّرة (أو المترجّلة) . فإذا كنا قد فرقنا بين الرجل والمرأة (في البحث السابق) من بعض النواحي الجنسية والنفسية ، فإن من الواجب أن نذكر القارىء هنا أن هذه التفرقة ليست عامة مطلقة ، وإنما هي تطبق في دائرة محدودة فقط ؛ وثم أفرادٌ كثيرون لا تصح بالنسبة إليهم .

وإذا كانت هذه هي حقيقة الصلة بين الرجل والمرأة ، فما أحرانا بأن نبتسم حينما نلتقي بأولئك الذين يفخرون برجولتهم ، متناسين أن هناك « امرأة » تكمن في قرارة نفوسهم ! « حقاً إن هؤلاء قد لا تكون بيوتهم كلها مصنوعة من الزجاج ، ولكنهم مع ذلك ينسون أن نوافذ بيوتهم مصنوعة من الزجاج ، فما يليق بهم أن يقذفوا الآخرين بالأحجار ! »[1] .

لقد دنت الشقة بين الرجل والمرأة ؟ فكيف بها بين الرجل والرجل؟ إن الرجولة الخالصة قد أصبحت أسطورة من الأساطير ، فلنترك لأولئك الواهمين تلك الأسطورة الرائعة ، أسطورة الرجولة المزعومة ! أما نحن فحسبنا أن نكون « إنسانيين » ، ننظر إلى الرجل على أنه إنسان ، وننظر إلى « المرأة » على أنها إنسان ، ونعتبر أن جوهر الإنسانية واحدٌ في كل منهما ؟

زكريا ابراهيم

(١) . S. Freud : "Instincts and their Vicissitudes" , 1915

(٢) هذا باعتبار أن الحالات الجنسية تكون سلماً échelle ذا درجات متتالية

(١) المقصود بهذه العبارة أن حظ الناس من الرجولة يختلف قوة وضعفاً ، ولكن جانب الأنوثة الكامنة موجود في كلتا الحالتين . فليس هناك معنى لأن نتهم الآخرين بنقص الرجولة ، ما دامت الرجولة الكاملة معدومة . . .

١٠ـ القضايا الكبرى فى الإسلام

قضيـــــة فدك

للأســتاذ عبد المتعال الصعيدى

تمتاز قضية فَدَك على سائر القضايا الإسلامية بتدخل السياسة فيها ، وما دخلت السياسة فى أمر من الأمور إلا جعلته عرضة للاضطراب والتقلب . ولو أن السلطة القضائية انفردت بالحكم فى هذه القضية لكان لحكمها فيها قداسته واستقراره ، ولم تقع فيه تلك التقلبات التى استمرت حوالى قرنين من الزمان

وفدك بلدة بينها وبين المدينة ثلاث مراحل ، وكان أهلها من اليهود ، فلما فتحت خيبر أرسل أهل فدك يطلبون من النبى صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يتركوا بلادهم ويرحلوا ففعل ، وبهذا كانت فدك خاصة للنبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، فكان ينفق منها ويأكل ، ويعود على فقراء بنى هاشم ، ويزوج أيِّمهم ، وينفق على أبناء السبيل ونحوهم

وكان للنبى صلى الله عليه وسلم غير فدك سهمه من خيبر ، وصدقته بالمدينة ، فأما سهمه من خيبر ؛ فإنه كان قد قسمه نصفين : نصفها لنوائبه وحاجته ، ونصفها بين المسلمين قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً . وأما صدقته بالمدينة فقيل إنها كانت نخل بنى النضير ، أفاءها الله على رسوله فأعطى أكثرها للمهاجرين ، وبقى منها له هذه الصدقة . وقيل إنها كانت أموال مخيريق من يهود بنى قينقاع ، وكان نازلاً ببنى النضير . وقد شهد أُحُداً مع النبى صلى الله عليه وسلم . وقال : إن أصبت فأموالى لمحمد يضعها حيث أراه الله

فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم وتولى بعده أبو بكر رضى الله عنه ، أتته فاطمة رضى الله عنها فقالت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل لى فدك فأعطنى إياها ، وشهد لها على بن أبى طالب ، فسألها شاهداً آخر ، فشهدت لها أم أيمن . فقال لها أبو بكر : قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا تجوز الإشهادة رجلين أو رجل وامرأتين ، وقيل إنها قالت لأبى بكر : أعطنى فدك ؛ فقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لى . فسألها البينة ، فجاءت بأم أيمن ورباح مولى النبى صلى الله عليه فشهدا لها بذلك ، فقال لها : إن هذا الأمر لا تجوز فيه إلاشهادة رجل وامرأتين . ولا يقتصر الاضطراب فى هذه القضية على هاتين الروايتين ، فقد روى أيضاً أن فاطمة سألت أباها أن يهب لها فدك فأبى

وهناك روايات أخرى تؤيد الرواية الثالثة ، وتجعل قضية فدك قضية ميراث لا قضية هبة ، فقد روى البخارى أن فاطمة والعباس عليهما السلام أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك وسهمهما من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ، ما تركناه صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، ثم قال : والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه إلا صنعته . فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت

وروى البلاذرى أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتت أبا بكر فقالت له : من يرثك إذا مت ؟ فقال : ولدى وأهلى . فقالت : فما بالك ورثت رسول الله صلى الله عليه وسلم دوننا ؟ فقال : يابنت رسول الله ، والله ما ورثت أباك ذهباً ولا فضة ولا كذا ولا كذا . فقالت : سهمنا بخيبر ، وصدقتنا فدك ، فقال . يا بنت رسول الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنما هى طعمة أطعمنيها الله حياتى ، فإذا مت فهى بين المسلمين ، وروى البلاذرى أيضاً أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أرسلن عثمان بن عفان إلى أبى بكر يسألنه مواريثهن من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وفدك ، فقالت لهن عائشة : أما تتقين الله ، أما سمعتن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ما تركنا صدقة ، إنما هذا المال لآل محمد ، لنائبتهم وضيفهم ، فإذا مت فهو إلى ولى الأمر بعدى . فأمسكن عن طلب ذلك منه . وقد مضى الأمر على هذا مدة ولاية أبى بكر ، ولم يسلم له حكمه فى ذلك إلا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم . أما فاطمة وزوجها على وعمه العباس فلم يسلموا له هذا الحكم

وتمسكوا بحقهم فى ذلك الإرث . ولا شىء فى أن تغضب فاطمة مع احتجاج أبى بكر بذلك الحديث السابق ، وهى أولى الناس بالخضوع لحديث أبيها ، فلعلها قام بنفسها أنها كانت أولى الناس بمعرفة هذا الحديث ، لأنها صاحبة الحق فى الإرث ، ولم يكن هناك ما يمنعها أن تسمعه كما سمعه أبو بكر . وقد قالوا فى تسويغ ذلك إنها كانت تعتقد تأويل الحديث على خلاف ما تمسك به أبو بكر ، وكأنها اعتقدت تخصيص العموم فى قوله صلى الله عليه وسلم — لا نورث — ورأت أن منافع ما خلفه من أرض وعقار لا يمتنع أن يورث عنه . وروى بعضهم أن أبا بكر عاد فاطمة فى مرضها ، فقال لها على : هذا أبو بكر يستأذن عليك . قالت : أتحب أن آذن له ؟ قال : نعم . فأذنت له فدخل عليها فترضاها حتى رضيت ، ولكنها رواية مرسلة لا تقوى على معارضة ما سبق من أنها ماتت وهى مغاضبة له

وقالوا أيضاً فى حكمة أن الأنبياء لا يورثون : إن الله بعثهم مبلغين رسالته ، وأمرهم ألا يأخذوا على ذلك أجراً ، كما قال تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً) وقال نوح وهود وغيرهما نحو ذلك ، فكانت الحكمة فى ألا يورثوا لئلا يظن أنهم جمعوا المال لوارثهم

ومن الشيعة من يروى الحديث بنصب — صدقة — على أنه حال ، فلا يفيد نفى إرثه صلى الله عليه وسلم على الإطلاق ، وقد رد عليهم بأن أبا بكر احتج بهذا الحديث على فاطمة فيما التمست منه مما خلفه النبى صلى الله عليه وسلم من الأراضى ؛ وهما من أفصح الفصحاء وأعلمهم بمدلولات الألفاظ ، ولو كان أمر هذا الحديث كما ذكره بعض الشيعة لم يكن فيما احتج به أبو بكر حجة ، ولم يكن جوابه مطابقاً لسؤالها ، ومما يؤيد أنه بالرفع ما ورد فى بعض طرقه — ما تركنا فهو صدقة — ولاشك أن هذا ليس بقاطع فى رد ما ذكره بعض الشيعة ، لأن فاطمة لم تقتنع باحتجاج أبى بكر ، فيجوز أن يكون قد فهم الحديث كما يفهمه أهل السنة على أنه بالرفع ، ويجوز أن تكون قد فهمت الحديث كما يفهمه الشيعة على أنه بالنصب ، وأما رواية ما تركنا فهو صدقة فيجوز أن تكون مروية بالمعنى ممن فهم الحديث كما يفهمه أهل السنة

وهنا أمر لم يتنبه إليه أحد فى هذه القضية ، وهو فى الحقيقة السبب فى أن فاطمة لم تخضع لحكم أبى بكر ، وفى أن ورثتها من بعدها لم يخضعوا له أيضاً ، وهذا الأمر هو أن أبا بكر فى هذه القضية كان خصماً وحكماً ، والخصم فى قضية من القضايا لا يصح أن يكون حكماً فيها ، وكان الواجب أن تعرض هذه القضية على بعض كبار الصحابة ليحكم فيها بين أبى بكر وفاطمة ، نزولاً على ما هو الواجب من الفصل بين السلطتين ، حتى يكون حكم القضاء نافذاً فى الحاكم والمحكوم ، ولا يكون لأحد وجه فى أن يقف منه هذا الموقف الذى كان من فاطمة وورثتها من بعدها

وقد مكثت هذه القضية على هذا الوضع مدة خلافة أبى بكر وسنتين من خلافة عمر ، ثم أتى على والعباس عمر فطلب منه على نصيب امرأته من أبيها ، وطلب منه العباس نصيبه من ابن أخيه ، فدفع عمر إليهما صدقة النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وأمسك خيبر وفدك ، وقال : هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانتا لحقوقه التى تعروه ونوائبه ، وأمرهما إلى من ولى الأمر . وقد أخذ عمر عليهما عهد الله وميثاقه ليعملان فى الصدقة التى دفعها إليهما بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبما عمل فيها أبو بكر ، وبما عمل هو فيها إلى أن دفعها إليهما ، فكانا بذلك نائبين عنه فى النظر عليها . وقد اختلف على والعباس بعد ذلك فيها ، فأتيا عمر وطلبا منه أن يقسمها بينهما ، فأبى أن يقضى فيها بغير ما قضى به ، وطلب منهما أن يدفعاها إليه إن عجزا عنها

ولكن علياً غلب العباس بعد ذلك على هذه الصدقة ، ثم كانت بعده بيد الحسن ، ثم بيد الحسين ، ثم بيد على بن الحسين والحسن بن الحسن ، ثم بيد زيد بن الحسن ، ثم كانت بيد عبد الله بن حسن ، ثم ولى بنو العباس فقبضوها ، وغلبوا أبناء على عليها ، وكان من يتولى منهم يولى عليها من قبله من يقبضها ويفرقها فى أهل الحاجة من أهل المدينة ، ومكث الأمر فيها على ذلك إلى رأس المائتين من الهجرة ، ثم تغيرت الأمور فيها بعد ذلك ، وزالت الأوضاع فيها عما كانت عليه إلى ذلك العهد

وأما سهم النبى صلى الله عليه وسلم من خيبر وفدك فقد

مكث بيد أبى بكر وعمر مدة خلافتهما ، وكانا يقدمان منه نفقة نساء النبى صلى الله عليه وسلم وغيرها مما كان يصرف منه ، وما فضل بعد ذلك يجعلانه فى المصالح ، ثم اختلف فى أمره بعدهما ، فقيل إن عثمان بن عفان أقطع فدك مروان بن الحكم ، لأنه رأى أن الذى يختص بالنبى صلى الله عليه وسلم يكون للخليفة بعده ، فاستغنى عن فدك بأمواله ووصل بها مروان بن الحكم : وقيل إن الذى أقطعها مروان بن الحكم معاوية بن أبى سفيان ، فوهبها مروان لابنيه عبد العزيز وعبد الملك ، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز وللوليد وسليمان بن عبد الملك ، فلما ولى الوليد سأله عمر حصته منها فوهبها له ، ثم سأل سليمان حصته منها فوهبها له أيضاً ، فاستجمعها كلها فى يده ، وكانت أحب أمواله إليه . فلما ولى الأمر بعد سليمان جمع بنى مروان فأشهدهم على أنه ردها إلى ما كانت عليه مدة النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين

فلما كانت سنة عشر ومائتين أمر المأمون بدفعها إلى ولد فاطمة رضى الله عنها ، وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين بمكانه من دين الله ، وخلافة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والقرابة به ، أولى من استن سنته ، ونفذ أمره ، وسلم لمن منحه منحة وتصدق عليه بصدقة منحته وصدقته ، وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته ، وإليه فى العمل بما يقربه إليه رغبته ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدك ، وتصدق بها عليها ، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً ، لا اختلاف فيه بين آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تزل تدعى منه ما هو أولى به من صدق عليه ، فرأى أمير المؤمنين أن يردها إلى ورثتها ويسلمها إليهم ، تقرباً إلى الله تعالى بإقامة حقه وعدله ، وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنفيذ أمره وصدقته ، فأمر بإثبات ذلك فى دواوينه ، والكتاب به إلى عماله ، فلقد كان ينادى فى كل موسم بعد أن قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يذكر كل من كانت له صدقة أو هبة أو عِدَة ذلك ، فيقبل قوله وينفذ عدته ، إن فاطمة رضى الله عنها لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لها . وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبرى مولى أمير المؤمنين يأمره برد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها ، وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك ، وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، لتولية أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها ، فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين ، وما ألهمه الله من طاعته ، ووفقه له من التقرب إليه ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأعلمه من قِبَلك ، وعامل محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبرى ، وأعنهما على ما فيه عمارتها ومصلحتها ووفور غلاتها إن شاء الله ، والسلام - وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذى القعدة سنة عشر ومائتين

وقد مكثت فدك بعد هذا لآل فاطمة إلى أن ولى المتوكل على الله ، وكان يعادى آل فاطمة عداء شديداً ، فأمر برد فدك إلى ما كانت عليه قبل المأمون .

عبد المتعال الصعيدى

وحـــدة الوجود

للبروفيسور ج ٠ ١٠ بوون
بقلم الأستاذ عثمان حلمي

لكي نقترب من قضية العلم الحديثة الخاصة بنظام الكون يجدر بنا أن نرجع إلى أولئك المخترعين العظام الذين ألمّوا بعلم الميكانيكا أمثال جاليلو وديسكارت ونيوتون ، وعلى الأخص « نيوتون » أعظمهم جميعاً .

هؤلاء المفكرون لم يكونوا ضيق الأفق في تفكيرهم ، ولا كانوا محدودى التفكير (كأولئك الذين لم يخرجوا عن دائرتهم المحدودة ، فلم يصلوا بسبب بين فلسفتهم وعلمهم وبين دينهم) . ذلك أنهم واجهوا هذه المسألة كاملة واشتغلوا (بالتدين الطبيعي) فكانوا بذلك رجالاً كاملين في تفكيرهم ، بينما كان أتباعهم انصافاً . فلو أنهم لزمهم ذكر الخالق ومواجهة حقيقته ، لفهم الطبيعة وإدراك أسرارها ، فإنهم لا يحجمون عن ذكره في علومهم .

لقد قيل : إن بحث نيوتون فيما وراء الطبيعة كان غير ناضج ومبايناً لما هو معهود في طبيعة علمه . والحقيقة أن نيوتون لم يكن فيلسوفاً — بمعنى الكلمة — ولكن تقاليد الفلسفة الأفلاطونية للعصور الوسطى التي جاراها في كامبردج في أيامه ، هي قريبة للعبقرية العلمية أكثر منها للفلسفة السفسطائية التي تلت نيوتون .

لقد كان في وسع هذه التقاليد أن تعترف بميلاد العلم الحديث والإدراك الميكانيكي والرياضي الذي ساق أمامه آياته القابلة للتصديق مع علاقته بهذه التقاليد .

إن الدنيا في نظر نيوتون غير مفهومة المغزى بغير وجود « الله » ، وعلى ذلك ، فإنه لا يحجم عن ذكر الله في طبيعياته وفلكه ، وهو يوضح لنا فكرته في الله من الصفات التي يصفه بها : كالأبدية ، والأزلية ، والقدرة على كل شيء ، والعلم بكل شيء ... وهي صفات مستعارة من علم اللاهوت في العصور الوسطى ، غير أن القدرة على كل شيء من وجهة نظر نيوتون لها معناها الطبيعي المادي ، كما لها معناها الروحي .

(هو قادر على كل شيء ، ليس نظرياً فقط ، ولكن مادياً أيضاً ، لأن الفاعلية لا تعيش في رأيه ولا تستمر بغير المادية ، فيه — كما يقول نيوتون — تتكون كل الأشياء وتتحرك ، ومع ذلك فهي لا تؤثر فيه ، وهو لا يؤوده شيء من حركة الأجسام ، كما أن الأجسام لا تقوى على مقاومة قدرته على كل شيء) .

وبذلك فإن وجود الله الأكبر ضروري ، ويمثل هذه الضرورة هو موجود أبداً وفي كل مكان ، فهو يرى ، لا كما نرى ، ويسمع ، لا كما نسمع ، ويعقل ، لا كما نعقل ، ويريد ، لا كما نريد ، أي بحال ليست بالمرة كحال الإنسان ، بل بحال يعجز العقل البشري عن إدراك كنهها .

إن المرء ليعجب إذن كيف يمكن وصف الله (في الدراسات الفلسفية) ، ولكن فهم نيوتون الحقيقي لله هو قريب الشبه من طبيعيات أفلاطون السابقة أكثر منها للتعاليم المدرسية اللاهوتية ، فهو يقول نفس ما قاله اكسينوفانس .

فنيوتون ليس أكثر من أنشتين ، لا يعتقد (في الحركة مع الحيز) ، فإن الجاذبية في نظر نيوتون ناشئة عن النواميس الرياضية ، أي أنها لا توجد في أصل الأجسام .

وفي نظر نيوتون ، كما هو في نظر أنشتين ، أن الحركة في الأجسام (الأفلاك والأجرام والكواكب) مثلاً يشترط فيها الحيز ، ولكن الحيز ليس هو الفضاء المجرد الذي ورد في العلم الحديث .

فلماذا إذن وجد نيوتون أنه من الضروري ذكر الله في العلم ، يوجد السبب العام وهو « حبه للجمال » هذا الجمال الذي أثر في أفلاطون بقوته فرآه في (البساطة والنظام) ، هذا الجمال الذي غمر الطبيعة فجعله يعجب بها أيما إعجاب ويجعلها كل

الإجلال ، وقد كان ذلك أيضاً بالنسبة لنيوتون مضافاً إليه الأسباب الخاصة بما شاهده في تجاريبه الميكانيكية والرياضة ، فالنواميس الميكانيكية للطبيعة ليست كافية لحصر منشأ الدنيا ولا لحفظ توازنها ، ولو أن الكائن يحتاج فى تكوينه بهذه القوانين إلى أحقاب عديدة ، فإن الأساس المادى هو « قوة الاستمرار » فالحركة تابعة للمادة إذا تحركت ، و « قوة الاستمرار » هى مبدأ سلبي بموجبه تثابر الأجسام على حركتها وإلا فإنها تقف لتستمد الحركة المناسبة لقوة الدفع لها فتقاوم بقدر ما تقاوم وبهذا المبدأ فقط لن تكون هناك حركة فى العالم ، فقد تكون الأجسام فى وضع ضرورى لحركتها فينشأ وضع وهى فى حركتها بعكس هذه الحركة ، ومن مختلف الوضعين فى الحركتين يتضح أنه من المحتم وجود الكم من قوة الدفع فى العالم » .

إذن هو يرى أن الحركة قد تكتسب أو تنعدم إذ يقول : ولكن بسبب تماسك الأجسام السائلة وميوعة أجزائها وضعف المرونة في الأجسام الصلبة فإن الحركة أكثر عرضة للفقد من الاكتساب وهى دائماً عرضة للاضمحلال والانحلال والتلاشى

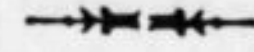
هنا يقرر نيوتون بمفرده حقيقة التعويض الداخلى لمثل هذا الفقد ، فيظن أنه ربما كان ذلك آتياً من أرواح أثيرية ؛ فتتكاثف هذه الأرواح من الله إلى « مادة » وتسد النقص فى الحركة ، وهنا يلقى نيوتون ضوءاً على نظرية النشاط الإشعاعى وأنه قد يتحول إلى نشاط مادى ، وأن هذا الخلق وإعادة تجديده تأخذ محلا (فى الله) الذى يصفه (بالقوة التى تعيش أبداً والتى توجد فى كل مكان قادرة بإرادتها على أن تحرك الأجسام بوعيها الذى لا يحد ، وعلى ذلك فإنها تكوّن وتُعيد تكوين أجزاء الوجود بإرادة لا كما نعمل بإرادتنا فى تحريك أجسامنا ، ومع كل هذا فإننا لا نستطيع أن نقول إن العالم كجسم لله أو أن أجزاءه المتعددة كأجزاء متعددة له .

(يتبع) عثمان حلمي

على هامش الشئون الخارجية

الرفق بإيطاليـــا

للأستاذ على إسماعيل بك



تعرض الدكتور محمد عوض محمد فى عدد « الثقافة » الصادر فى ٣ أكتوبر إلى « الرفق بإيطاليا » بعد هزيمتها ، وعزا ذلك الرفق إلى نبالة أخلاق البريطانيين وكرمها الذى يقضى عليهم أن يمدوا أيديهم إلى العدو المهزوم بعد صرعه ، والأخذ بناصره بعد خذلانه . وتبسط فى الحديث عن تلك النبالة وعن ذلك الكرم مبدياً أنهما كانا السبب فى خلاف شديد ساد ردحاً من الزمن بين فرنسا وبريطانيا ، حول معاملة ألمانيا بعد الحرب الماضية

وبعد أن دلل الكاتب على عاطفة الرفق عند البريطانيين بما اشتهروا به من حب المجاملات التمس لنفسه الاغتفار والغفران من مقابلة الرفق بإيطاليا بالرفق بالحيوان !

أما أن العفو من شيم الكرام الأنجلوسكسونيين فأمر قد أجمع عليه الجميع حتى خصومهم ، وتدلل عليه طبائع الأفراد فى بلادهم : فما دخل البريطانى ملاكمة وانتصر فيها على خصمه إلا كان أول واجباته مصافحة ذلك الخصم بعد أن قيض الله له النصر وما نازل غريماً فى معركة انتخابية إلا نازله بأسلحة مشروعة لا غبار على استخدامها أمام الرأى العام ؛ فإذا انتهت المعركة بادر لغريمه المخذول يتمتم فى حياء كبير قائلاً « آسف أننى انتصرت لأنك قمت بنصيب أكبر من الجهد » ، أو « هو ذا الحظ الذى ساعدنى على النصر » وما إلى ذلك من عبارات المجاملة التى تنم عن روح مرهفة الحس وشعور عريق فى السراوة « الجنتلمنة » ، وعواطف فياضة بالمدنية

ألا فليعلم حضرة الكاتب أنه مع الاعتراف الصادق بتلك الناحية من الخلق الأنجلوسكسونى ، أقول ألا فليعلم أن الشئون الخارجية وعلاقات الدول بعضها ببعض لا تقوم على شىء من هذا الذى ذكر بل قوامها قبل كل شىء ذلك الأساس الصخرى الراسخ ما رسخت الأرض من المصلحة الذاتية وحدها دون مصلحة الغير

فهذا الرفق يدعو إلى كبير الأسف كما سترى

لقد دخلت إيطاليا هذه الحرب بفعل رجل واحد — هذا لا شك فيه — ومهما يكن من عيوب ذلك الرجل فقد كان له فكر ثاقب فى تفهم سياسة بلاده الداخلية ، ونظرة نافذة فى وسائل الضرب على أيدى المهرجين فيها

ألا تذكر « جابرييلى دانونزيو » المشعوذ ورفقاءه الأردبتى يوم كانوا يحتلون « فيومى » دون أن يكون لهم أية علاقة بالسلطة العسكرية الشرعية فى روما ؟

ألا تذكر « بومبانشى » ذا اللحية الفتة السوداء يوم كان يلوح بقبضته اليمنى على منصة الخطابة فى « مونتيشيتوريو » مهدداً بإدخال الدولة الثالثة فى أرض هى مهد الكلاسيكية ؟

ألا تذكر « كارلوسفورزا » سليل الأمراء إذ كان ينادى عبثاً بتوحيد الصفوف للذود عن حوض الديمقراطية فما لبى نداءه أحد ؟

أغمض الحلفاء إذ ذاك جفونهم لما كان يحدث فى إيطاليا ، وتركوا هذا وذاك يجر الحبل كل في اتجاه ، بينما كانت أيد آثمة تعمل فى الخفاء لقلب نظام الحكم : فمن إضرام النار فى المسارح الشهيرة إلى إخراج القطر السريعة عن قضبانها ، ومن إضراب غير مشروع فى المعامل إلى إلقاء القنابل على رواد فى دور السينما ، ومن حوادث قتل وفتك بأيد مجهولة ، إلى حوادث إرهاب لا مبرر لها ! تلك كانت حال إيطاليا ! كوميديا الهـية ! جحيم دانتى ! جحيم دانتى الذى كتب على بابه « أولئك الذين يدخلون ألا فليطرحوا كل آمالهم طرحاً »(١)

أتلومنّ الحوادث أن تلد رجلاً بطاشاً يخرق الحجب الكثيفة التى تجهمت فوق سماء إيطاليا ، ويفتح باب الجحيم الدانتية على مصراعيه ، ويلقى فيها أصحاب تلك الأيدى الآثمة ، الهدّامة للنظام التى كانت تلعب فى الخفاء وتبيت للأرض الكلاسيكية انقلاباً اجتماعياً لو أنه تم لقضى قضاء مبرماً على المعاهد الديمقراطيـة التى تغذى جيلنا بلبانها وتذوّق حلاوتها وسكرها ؟

(١) Voi chi entrate lasciate ogni speranza

أتلومن رجلاً قويا : (وهل تشرشل ضعيف ؟ وهل روزفلت ضعيف ؟) أقول أتلومن رجلاً قوياً أن يخرج ذلك الشعب الفنان المحبب من ظلمة التخبط إلى نور الاتزان اللاتيني الوهاج ؟

لقد سار الرجل فى برنامج داخلى أعاد إلى إيطاليا رونق العهد الكلاسيكى . سار سيراً حثيثاً ، موفقاً ، مذللاً الصعوبات بيد حديدية ، مقتحماً العقبات التى اعترت طريقه بإرادة قيصرية لا تعرف الكلال .

ولما أن رأى أن الإصلاح الداخلى وما إليه من مسكنات شهوته أصبح بعيداً عن أن يغذى طموح الجبار — وتلك هى خطيئته — أراد أن يطرق ميادين أخرى ، ميادين كنا نظن عيون الحلفاء بها ساهرة لا تعرف الغمض ولا النوم ؛ فأخذ يغرى الشعب الإيطالى بأمان براقة — وما أغرى لعواطف الشعب من التلويح له بالأمانى البراقة ولو كانت كاذبة ! فصال صولة وجال جولة ، وقال فى صدد الحدود بين مصر وبرقة إلى وزير مصر المفوض « لن يُخدَش خطى قيد أنملة »
"Ma Ligne ne sera pas égratignée"

الخطأ الأول فى دبلوماسية ما بعد الحرب العالمية أنها لم تقتل الفاشية فى بدايتها ، فقد كانوا يعرفون أن فضلات المائدة مهما كثرت بعيدة عن أن تغذى معدة كمعدة موسولينى . لقد كانت الفضلات على العكس بمثابة مشهيات عنيفة : فما طالب بطلب أو هدد بتهديد إلا وطائرة تحلق بين لندن وروما ، وروما ولندن — خروجاً على التقليد البريطانى الراسخ — تحمل إلى نيرون أغصان الزيتون ! !

لماذا أحجمت الدول عن قتل أفعى تلك الشهية وهى فى مهدها ؟ أكان هناك ما يبرر تنغيص العالم زهاء عشرين سنة بصراخ ذلكم الطاغية وتركه يتمادى فى هواه وإثمه إلى أن شهر السلاح فى وجه بريطانيا التى كانت العامل الأول فى استقلال بلاده ؟

ألمثل موسولينى يلوح بأغصان الزيتون ؟

ألمثل موسولينى يطير ماكدنالد ويطير شامبرلين ويطير إيدن كلما صال الرجل وجال ؟

لقد كانت الدبلوماسية البريطانية تعرف حق المعرفة أنه سيتمادى فى مطالبه كلما أذعنت له ، وأنه إذا أعطى قيراطاً عبس وتولى وطالب بقيراطين . فإذا أعطى القيراطان طالب بثلاثة فأكثر وهكذا ، فإذا سلمت الجغبوب اليوم ظن تسليمك ضعفاً وطالب بالحبشة فلحقاتها فلحقات الملحقات إلى ما شاء الله ، ذلك أن بعض العقليات الواطئة ترى فى الكرم ضعفاً وفى الرفق خوفاً ورهبة .

لماذا لم تعبر إذن الدول المتحالفة عن شعورها فى حينه فى حزم وفى صلابة ؟ لماذا تركت موسولينى يتمادى فى مطالب لا يبررها التاريخ ولا تقرها حالة إيطاليا المادية والأدبية دون أن تقابل تماديه بتهديد يعززه الاستعداد لمقاومته بالقوة ؟

لقد دار الفلك دورته وانهزم الطاغية شر هزيمة وانهار صرح الإمبراطورية الإيطالية من أدناها إلى أقصاها وفقدت الصومال وأريتريا والحبشة وطرابلس وألبانيا وجثا أسطولها الشامخ يتلمس الرحمة من ذئاب البحر ورفع مليكها التاج عن رأس وخطها وخز الضمير شيباً ، وفتكت قنابل الحلفاء فى حصونها فتكاً ذريعاً ، وخربت القلاع والمعاقل والموانى . فماذا بقى لإيطاليا بعد حدوث ما حدث ؟

الرفق !

الرفق ! كأننا لم نتعلم من دروس الماضى القريب !

فليرفق الدبلوماسيون بالمهزوم ما شاءوا ، دهاء منهم أو غير دهاء . أما نحن فى مصر وقد أصبح لنا مقعد فى الأسرة الدولية الكبرى فلا صالح لنا ألبتة أن نحيد عن المبدأ الواقعى الذى أشرت إليه فى بدء هذا المقال : نريد أن يبنى مستقبل مصر الدولى على الصخر الراسخ . فليرفق إذن بإيطاليا ما شاء الدبلوماسيون ولكن بعيداً عن مصر وعن حدود مصر ، بعيداً عن النيل وعن منبع النيل !

على اسماعيل

كلمة أخيرة ...

الأستاذ سـيد قطب



لست أملك أن أتمادى فى الحديث مع الأستاذ صلاح ذهنى أكثر مما فعلت حتى الآن ، حيث لا موضوع للحديث غير الشتائم والسباب ، وإلا فهو الرابح ... لقد عجز بإنتاجه فى القصة أن يكون موضع حديث أحد فى صحيفة ، فنال ذلك الآن عن طريق الشتائم والسباب !

وإلا ففيم كلمته الأخيرة ؟

لقد أخذت عليه أن لهجة رده الأول كانت لهجة بذيئة ، وأن ما جاء فيها من بيانات كان مستطاعاً دون الاضطرار إلى هذه البذاءة ، صوناً لمستوى المناقشات الأدبية . فإذا هو فى كلمته الثانية يهبط ويهبط ، حتى ليعز على كاتب يحترم قلمه أن يلاحقه .. لقد فشلتُ إذن فيما وجهته إليه أول مرة !

والمسائل التى أثارها ، فرددت عليها ، عاد يثيرها بالنص من جديد : توفيق الحكيم ليس كاتب قصة ، لأنه كاتب رواية ؛ والمازنى ليس كاتب قصة لأنه كاتب مقالة !

وعلى هذا النحو يسير ، فلا يجوز أن أتحدث عن قصص بودلير لأنه شاعر ، ولا عن قصائد لورنس لأنه قصاص وعلىّ أن ألغى إنتاجهما الآخر ، فلا أذكره ولا أسميه . وهكذا فشلت مرة أخرى فى أن أرد الأستاذ إلى الموضوع !

وقلت له : إن إنكارى للمدارس الأدبية مسألة لا تستحق المناقشة ، لأنها تردنا إلى سذاجة فى النقد ، وإلى فوضى لا تنتهى. فقال : إننى تركت الحديث فيها لجهلى بها ... ثم إذا هو يقول عن تيمور : إنه ذو نزعة واقعية ينتمى بها إلى موباسان ... لقد عدنا إذن إلى أن هنالك عنوانات ترد إليها الأعمال الفنية . وكان قد أنكر ذلك وأثبته فى آن واحد فى مقاله الأول . فرأيت الحديث فيه عبثاً ، وقد اتضح أننى محق فيما رأيت ، فبعد مقالين ها نحن أولاء لا نزال حيث كنا من قبل !

بقيت أمور جديدة فى قائمة الشتائم :

إننى لا أعرف لغة أجنبية : وهـذا صحيح . ولعل منشأ كسلى عن تعلم لغة أجنبية هو أننى أرى الأستاذ صلاح وعشرات من أمثاله يعرفون لغة يتبجحون بمعرفتها ويلوكون مصطلحاتها ثم يكونون حيث هم ، وأكون حيث أنا . فأرى أن اللغة — وإن كانت ضرورية — لا تخلق المدومين ، ولا تعدم الموجودين !

وثانية الشتائم أننى لا أكتب إلا عن الكتب التى تهدى إلىّ ، ولذلك استهديته كتب تيمور . والأستاذ صلاح مسكين فى هذا الهبوط ، ثم مسكين . ولكن ما ذا يقول ، وقد أهدى إلىّ هو كتابه الأخير ، إهداء لا أدرى كيف أضع له الآن عنوانه فى سجل الأخلاق وهو : « إلى أخى الناقد البارع الأستاذ سيد قطب مع وافر التقدير » . ومع هذا فلم أكتب عنه شيئاً ، لأننى لم أجد أنه يستحق شيئاً ، فجاملته بالسكوت !

وليلاحظ أننى وقتها كنت « ناقداً بارعاً » وكنت الأستاذ فأما اليوم ، فأنا لا « ناقد » ، ولا « بارع » ، ولا « أستاذ » ، ولا يحزنون ... لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !

وثالثة الشتائم فى القائمة أننى ظل العقاد فى الظهيرة . فلأكرر هنا ما قلته من قبل للدكتور مندور : إننى أفهم المسائل على نحو غير الذى يفهمه بعض « شبان » الجيل . إننى لا أحاول إنكار تلمذتى للعقاد ، لأن لدىّ ما أقوله وما أبدعه وراء ذلك ، فلست أخشى على وجودى حين أعترف بهذه الأستاذية ، وهى حق ، فلا يسمح لى خلقى أن أنكرها أشد الإنكار ، وأن أبرأ منها كل البراءة ، كما كان الأستاذ صلاح يصنع ويتشنج حين يقال : إنه من تلاميذ تيمور !

***

وبعد ، فظل العقاد هذا يستطيع أن يكون « الناقد البارع » كما كنت عند الأستاذ صلاح فى ٢٣ أبريل الماضى ! وأن يكون « ناقد شعر فقط » كما أنا الآن عند الأستاذ صلاح أيضاً فى ١٢ أكتوبر الحالى . وأن أكون شاعراً كما يقول بعض الناس غير الأستاذ صلاح . فهل يستطيع أن يقول لى هو : ماذا يستطيع أن يكون ؟ لقد كنت أعنى ما أقول حين قلت له : إن إعزازى الشخصى له ، هو الذى يدعونى أن أناقشه ، وإلا فليس هنالك من محور أدبى نلتقى عنده ليستحق الحديث . وحتى هذا الإعزاز الشخصى قد عبث به ببذاءة التعبير ... تلك كلمة أخيرة ، لأن الشتائم فى متناول من يريد .

سيد قطب

القيثـــارة المحطمة

للدكتور عزيز فهمي

نَسَجَتْ عليها العنكبوتُ شِعارَها
وَرَمى البِلى لَمّا رمى أوتارَها
كانت عزاءك دون كُلّ خليلة
لهفي عليك وقد حُرِمْتَ حوارَها
كم قد شكوت لها تباريح الهوى
في ليلة أرْخَتْ عليك ستارها
وشرحتَ آلام الجوى ولهيبه
فاستودعتك بدورها أسرارها
تتناجيان ولا سمير سواكما
والنجم يهتك أو يلم خمارها
حتى إذا طَلَعَ الصباحُ طَرحتَها
وأوَيْتَ أهْدأ ما تكون جوارها

وَقَفَتْ عليك حياتَها فأنينُها
بالشر عليك إذا قدحت أوارها
ونشيجُها لولا أساك كَشَدْوِها
وأساك يلهبها ويُضْرِمُ نارها
عزافة الألحان تشدو طلقةً
ما شئت حتى تستثير قرارها
تحنو عليك حنانَ أمٍ برّةٍ
يفرى وبقلم طفلُها أظفارها
لا تقتضيك على الوفاء بديلة
وتظلُّ طوْعَك ليلَها ونهارها
لولاك ما نَطَقَتْ بآهٍ حرّةٍ
يوماً ولاشقّ الحنينُ إطارها

ماتت عروسُ الشعرِ فوق شفاهها
والقوس يعزف راوياً أشعارها
وحكى الصدى ألحانَها فتجاوبت
حيناً وأذهل صمتُها سُمّارها
غَنَّيْتَهم زمناً فهم نُوَّمٌ
وأشاح عنك فعاودتْ إصرارها
وحبست عنهم لحنَها فتلفتوا
لما زجرتَ عيونَها وهَزارها
وصبَبْتَ عنهم كأسها فتذوقوا
خمراً سواها واستسغت عقارها
فصدفت عنهم يائساً مترفعا
وغنيتَ عنهم واحتملتَ إسارها
كانت عزاءك دونهمُ فحرمتَها
وبقيتَ وحدك حافظاً تذكارَها
حملت همومك عنك دهراً فاحتمل
فيها المصاب مُخلّداً أخبارها

من شعر الأطفال :

القلم يقول عن نفسه . . .

الأستاذ على متولى صلاح

إننى شىءٌ صغيرٌ
فى يديكم كل آنِ
ليس جسمى بكبيرٍ
غير أنى ذو مكان
كلكم يعلم فضلى
كلكم يعرف شانى
أنا عند الطفل والأستاذ فى كل زمان
يفخر الناس بحملى
فأنا زين البنان . . .

صرخة اليـــأس

لشارل بودلير

[لا تقل ما أجملها بل قل ما أجمل الشر فيها]

جميلة أنت فى عينىّ يا جانى (1)
ياصرخة العار فى شكى وإيمانى
أقبلت فى قوة كالشر يحفزه
ضعف النفوس فوالهفى أنا الجانى
صببت قلبك فى قلبى فأحرقه
حتى تبدى لهيباً دمعه القانى
ماذا بروحك من خمر ومن لهب
وأنت من أنت يانيران أشجانى
صرعت قلبى وأنت اليوم كميته
ياجرة الخلد فى روحى ووجدانى
يطوف حولك نفح دافئ عطر
كما يطوف فراش حول نيران
ياصرخة العار يا كأساً مرنحة
لعينة أنت فى يأسى وخذلانى

أعيش فى ظلك المسحور مرتجفاً
كأننى عابد أستاف إلهامى
أنا السجين بأغلال عبدت بها
قيد الجمال وإن أودت بأنغامى
أنا الطعين بسكين شربت بها
خمر الهلاك وأنت الخنجر الدامى

ناشدت قلبى سلواً عنك فارتجفت
فيها الحياة ودوّى صوتها الحانى
ورحت للخنجر القتال أرفعه
ففازل النصل عينى وهو ينهانى
ورحت للموت أسقيه وأنشده
لحن الفناء فلم يهتف بألحانى
قال لى الكأس لو ضاعت حقيقتها
لعشت فيها وكنت الهادم البانى
أواه مما ألاقى اليوم من عنت
وآه مما مضى فى أمسىَ الفانى

عبد القادر محمود

(1) جان ديفال



نظرية الفصل وماذا يريد القائلون بها ؟ !

لا أريد بهذا المقال أن ألتقي مع المتلاحمين في معركة « وحدة الوجود » فحسب هذا الميدان من فيه ، وما أنا محاول كذلك فتح « جبهة ثانية » بعد أن انسحب الدكتور زكي محتمياً بما قاله عن ظروف حرية الرأي في مصر ، وهو احتماء غير كريم ...

إنما هي كلمة هادئة إلى هؤلاء الذين نادوا وينادون بنظرية عجيبة ، يذوبون هياماً بإشاعتها ، ويلبسونها قفازاً في أيديهم ، يلفون به في كل معركة ، عند ما يعوزهم الدليل والبرهان ...

ففصل العلم عن الدين غرام أنهك داؤه قلوب قوم أولعوا به ، إذ وجدوا فيه رفعاً لالتزامات ، لا تستطيع أعصابهم احتمال الوقوف عند سدها القائم لصد النزوات ، ورد الهفوات — هذا الميزان العلمي ، لضبط الفضيلة العلمية ، ووقاية العقل من الشطط ، وتحرير الحقيقة ...

وقد كان لهذه النظرية والقول بها مذاق في أفواه الأقدمين ، حين كانت الأديان طقوساً منعزلة عن الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية والثقافية ، وكل ما له صلة بحياة الناس العملية الواقعية وإن مستها فإنما تمسها وتتصل بها اتصالاً رفيقاً لا يدخل في صميم نظمها وتنظيمها ، ووضع أسسها ، وتفصيل برامجها ، والإفتاء في كل ما له صلة بها بكل جلاء ووضوح . . !

كان لهذه النظرية مكان في هذا الماضي التاريخي ، حين كانت الأديان على نحو ما ذكرنا ، وحين كانت تعنى بالمسائل الروحية التعبدية في مجموع ما فيها من وسائل ، وقد يسوغ أيضاً أن يبقى هذا المكان أو أن يمتد هذا التاريخ في غير بلاد الشرق المسلمة ، وفي غير مصر الإسلامية ، بعد أن جاء الإسلام منذ ١٣٦٣ سنة نظاماً عاماً ، شاملاً كاملاً ، تناول الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ، ونظم شئون الناس جميعها ، معنياً بالروح ، عنايته بالجسم والعقل ، وعنايته بكل النواحي الإنسانية الأخرى ، بما لا يدع مجالاً لمنكر أو طالب حقيقة ، وآيات القرآن ناطقة بهذه الحقائق ، وسنوفيها حقها في موضعها من الكلام

فما بالنا إذن نبعد عن فهم حقيقة الإسلام ، ونحصره في زاوية ضيقة محدودة من آفاق الحياة ؟ ! إنها ليست دعوى تعصب ، ولكنها الحقيقة يؤيدها التاريخ والواقع

فعلى القائلين بنظرية الفصل أن يتريثوا ، وأن يترفقوا بتاريخهم ، ويتبصروا مقدلوهما في هذا الخطأ الشائع من جناية على الحياة العقلية الشرقية ، والحقائق الإنسانية

كنا نريد أن يكون المتزعمون للحركة الفكرية عندنا قوميين أحراراً ، يصدرون في آرائهم عن باعث القومية الحرة ، وتقول القومية الحرة ، حتى يكون رأياً بعيداً عن التحيز أو التعصب ، وبعيداً كذلك عن الانغماس في الفكرة الغربية .

بهالك المستسلم الذي نسي نفسه وجهل تاريخه وماضيه فذهب حاضره ومستقبله هباء

يا قوم ... إننا أمة ذات مجد وذات تاريخ ، فأين نحن في حاضرنا من مكاننا المرموق ؟ ! إننا لا ندعوكم إلى تعصب في العلم أو تعسف فيه ، ولا نطالبكم بتزييف التاريخ أو المغالاة فيه ، ولكننا ننبه إلى تفهم الحقائق التي بين أيديكم ، والسيطرة على مفاخر الكنوز من تاريخكم ، وهي كلمة أولى إن اتسع لها صدر الرسالة ، وما نظنه ضائقاً ، فسنتبعها بالكلمة المقصودة من المقال وهي بيان كيف أن الإسلام جاء نظاماً شاملاً كاملاً تناول كل مظاهر الحياة وعناصرها ، وكيف أنه لم يفرق ولم يفصل بين أية ناحية من نواحيها ، بل جمل منها جميعاً مزاجاً واحداً متماسكاً ، أقام عليه أسس الحضارة الإنسانية الفاضلة ، التي سعد في ظلها الناس جميعاً — ثم نعرض لموقفه من العلم — والعلم التجريبي خاصة

وموعدنا بهذا كله عدد آت إن تفضلت الرسالة الغراء .

أحمد ... الحجاجي

إلى أستاذي البشبيشي

تفضلتم بتنبيهي إلى صحة كلمة « الرِّبي » في بيت « شوقي » لأن أصلها الرِّبِيّ . وتسهيلها جائز . فأشكر لكم هذا التنبيه . وأذكر أنها وردت في مقالي في مجال نقدي لكثرة الاضطرار إلى التسهيل والترخيم . الخ مما لا يضطر إليه إلا المبتدئون . تلميذكم

سيد قطب

إلى سعادة عبد العزيز فهمى باشا

إذا وجد فى الأمة مكابر واحد ينكر عليك أنك كنت المحامى الأول والقاضى النزيه الأول، فقد لا يوجد فيها من يجرؤ على إنكار أنك كنت ثالث رجلين حملوا كلمة مصر يجابهون بها مغتصب حقها ومستعبد أهلها يطالبونه بالاستقلال.

وليس بين عقلاء مصر من لم يكبر فيك تجنبك ديماجوجية زعامة الشعب وتهويشها

كان كل موقف من مواقفك هـذه خليقاً بأن يرفعك إلى مصاف العظماء، وكان الأخلق بها متجمعة أن تسير بك فى سبل المجد الخالد، ولـكن أبت همتك الشماء إلا توقل مرتفعات المجد وبلوغ قمة الخلود

لقد أصبحت من الخالدين، لا يوم اصطفوك، لأن تكون فى زمرة أعضاء المجمع الخالدين، بل يوم طرحت على زملائك رجال المجمع اللغوى اقتراحك «الحروف اللاتينية لـكتابة العربية» فهذا الاقتراح فى ذاته، بغض النظر عن خطئه وصوابه، بطريقة عرضـه، وبالأسلوب الذى صيغ فيـه، وبصدقك الصادق، وجرأتك العالية، وحججك الدامغة، قد نزع القناع الشفاف عن نفسية العبقرى · هى عبقريتك الفريدة، فصرت فى الخالدين.

حبيب الزحلاوى

إلى الأستاذ العقاد

تبارك الرزاق فى تقسيم الأرزاق

أيها الأستاذ الـكبير. إن ذلك الرجل الذى رفع إصبعه إلى السماء وصاح:

« أأنت موجود؟ أهـذا عدلٌ فى قسمة الأرزاق » (فى مقالك فى الرسالة بعنوان « تبارك رزّاق البرية »)، وأن أبا العلاء المعرى الذى قال: « إذا كان لا يحظى ... فتزندقا » — وأن ابن الراوندى الذى قال: « كم عاقل ... العالم النحرير زنديقا » — وغيرهم من الشعراء، وغير الشعراء ممن قالوا مثل هذا — إن هؤلاء يا أستاذ، يريدون أن يلقوا المسئولية فى ظلم الحظوظ لهم على الرزاق أو على القضاء والقدر. وكأنهم فى الوقت نفسه يبتغون (وهم لا يدرون) أن يبرروا نظام المجتمع المسوف الغابن الجائر، وأن يبرئوا منظمى المجتمع من فساد نظامه

ليس المسئول عن ذلك الغبن فى تقسيم الأرزاق، لا الرزاق ولا القدر. بل المسؤول هو جنس الناس أنفسهم، الذين سنوا قوانين مجتمعهم ناقصة وفاسدة وغير منصفة

إن تلك الألوف التى يبددها المسرفون ليست «بدل مفقود» كما تقول، وإلا جاز أن يكون « أتْـيَس » التيوس صاحب الملايين، لأن الذكاء النابغ يثمَّن بالملايين. وإنما هى ثمن عدل بيع بخساً أو ثمن ظلم اشترى رخيصاً. فما كانت الألوف فى زمن من الأزمان، أو مكان من الأمكنة تنال بالبله أو بالخساسة أو بالسخف أو بالكسل المطلق. وإنما كان ولا يزال كل قرش يُنال بتعب فى عمل معادل له. فإذا كان معك عشرات الألوف من الجنيهات فهناك ألوف من العمال حصلوها بتعب معادل لها، وإذا كان عندك مليون جنيه، فلا يعقل أنك بذلت تعباً يساوى مليون جنيه، فهى من جنى تعب غيرك

فأولئك الـكسالى والأخساء والبُله، الذين يملكون الألوف والملايين لم يملكوها بدل ذكاء فقدوه، ولا بدل نباهة أو عبقرية فقدوها، ولا بدل عمل كسلوا عنه. وإنما نالوها متجمعة من حاصل أتعاب الذين تعبوا فى تحصيلها — وأنت تعلم ذلك جيداً. وتعلم أن ذلك ليس من قسمة الرزاق ولا من قضاء القدر. وإلا فلا جزاء للبشر لا خيراً ولا شراً إذ لا مسؤولية عليهم. إنما هو من فساد نظام البشر

والذين يتذمرون من عدم العدل فى تقسيم الأرزاق يعزونه إلى عدم التساوى فى المواهب والعقول والأخلاق، حيث لا مبرر للتذمر أو الشكوى، لأن هـذا قضاء الرزاق ولا حيلة لهم فيه

وإذن ففساد نظام الـكون ليس «فى تباين موازين الجزاء»

بل فى أن ذلك النظام يمنح من لا موهبة له ولا علم ولا ذكاء ولا عمل ويمنع الموهوب والذكى والعامل الصالح

على أن الفقرة التى ختم بها الأستاذ مقاله كفرت عن حملته على المتذمرين من عدم العدل فى قسمة الأرزاق .

نقولا الحداد

الدكتور زكى والشيخ الدجوى

فى بعض أعداد « الرسالة » الأخيرة ، افتخر الدكتور زكى أنه القائل « المجد كالمال ، فيه حرام وحلال » .

والذى نذكره أن الدكتور زكى نسب هذه القولة إلى أستاذه الشيخ يوسف الدجوى عضو جماعة كبار العلماء ، وقد كتب ذكر شيخه بهـا فى بعض رسائله التى كان يرسلها فى صحيفة « المساء » من مقامه فى باريس عام ١٩٣٠ .

وقال الدكتور يومئذ إن الشيخ الدجوى نصحه بهذه « الحكمة » إبان صدور كتابه « الأخلاق عند الغزالى » حين أخذ جماعة من الناس يصاولونه ويناجزونه .

ولما كنا نعرف فى الدكتور الحقائق التاريخية ، فإننا نرجو أن يجلو لنا وجه الحقيقة حتى لا نقع فى الاضطراب بين الأقوال وأصحاب الأقوال !

(الرمل) منصور جاب الله

حول فرقة التمثيل

لو جرى النقد المسرحى على النمط الذى أرانا إياه الأستاذ حبيب زحلاوى فى العدد الفائت من هـذه المجلة ، لوجب علينا ألا نعبأ بالنقد وأن نطلب الهـداية لأصحابه ، وأن نعقد « الفصول والغايات » فى تبيان ماهية النقد وأصوله وأهدافه ! !

سقطت رواية (يوليوس قيصر) التى أخرجتها بوصفى مديراً فنياً للفرقة المصرية، ونجحت رواية (مرتفعات ويذرنج) ومخرجها زميل لى ... والسبب فى هذا — كما زعم الناقد — أننى قعدت عن توخى التجويد فى فنى بعد أن وصلت إلى أعلى مراتبه ، فى حين أن زميلى دائم التوفر على التحسين والاتقان . كذا ؟ ؟

بهذا جرى زعم الأستاذ زحلاوى ، وهو زعم له ما وراءه ، له أن يثير النفرة بينى وبين زميل لى فى الفن نجاهد معاً على تحقيق غرض واحد .

أما أن يعمد الناقد إلى تبيان كيف ولماذا لم تنجح الرواية الأولى ، ونجحت الثانية ، وأين مواطن الضعف فى هذه ، وأين مراتب التجويد فى تلك ، وما السبيل إلى تلافى وجوه النقص والوهن ، وكيف نزيد فى توخى الاتقان ، فكل هذا أمر مطوى فى سريرة الناقد لم يفصح عنه ، وأؤكد أنه لو قدر على الإفصاح عنه لما تردد ، لأننى أعهده متلمساً كل عيب يعيب ويفيض فى كل أمر يكتب فيه ! !

ولكننى أؤكد أن الأستاذ زحلاوى ، لا يقدر على هذا ، وإذا جرى قلمه بشىء منـه ، فكما تجرى مطرقة الحداد فى يدى اليسرى .

أسائل الأستاذ زحلاوى ماذا أفاد الناس من نقده وأنا فى مقدمتهم ؟ ولماذا ننمت نقداً لا يفيد المنقود ولا القارىء ؟ ؟

ليعفنى القارىء من الجواب ، ومن إيراد النعت اللائق بذلك النقد ، وللقارىء أن يقول فيهما ما يشاء ، ولكننى أقول إن هذه الظاهرة العجيبة فى النقد المسرحى — وهى ظاهرة نطالعها فى أكثر ما يكتب عن المسرح — حدت بالوزارة إلى إنشاء « قسم النقد والبحوث الفنية » بمعهد فن التمثيل العربى الذى أتشرف بالعمل فيه .

فهل يجد الأستاذ زحلاوى من الشجاعة الأدبية ما يحث خطاه إلينا ؟ إننى أدعوه دعوة صادقة مخلصة ، فنحن ما عشنا طلاب علم ، وإنما العلم من عند الله يؤتيه من يشاء .

زكى طليمات



١ – تاريخ ما قبل التاريخ

[مطبعة الشباب الحديثة]

الأستاذ الفاضل عبد الله حسين كاتب وصحفي معروف بسعة ثقافته وطلاوة أسلوبه وحسن تناوله للموضوعات التي يعرضها لقرائه المعجبين به ، وقد اضطره مرضه الذي أبل منه والحمد لله إلى البعد عن عالم التأليف وقتاً غير قصير ، وقد فاجأنا اليوم بكتابه الطريف « تاريخ ما قبل التاريخ » فذكرنا بمؤلفات وله خصوصا في كتابه « خلاصة التاريخ » الذي جمع فيه أشتاتاً من المعارف منذ خلق الله الخلق إلى اليوم ... وقد تصفحنا كتاب الأستاذ الفاضل ثم لم نجد بداً من قراءته أخيراً ... فكانت ساعات ثمينة من المتعة الذهنية لم نقف فيها إلا عند هنات لا تنقص من جهد الأستاذ ... نحسب أن أهمها ما كان يضطر إليه الأستاذ من السرد الصحفي للموضوعات ، وعدم المبالاة أحياناً بتنسيق التبويب ، فبينما يحدثنا عن الفن فلا يذكر من الفنون إلا التمثيل ، ثم ينتقل إلى الأدب والشعر (وكل ذلك في الفصل الثامن عشر) إذا به يحدثنا عن العواطف الجنسية في الفصل الحادي والعشرين ويتناول الموسيقى في هذا الوضع مع كونها في مقدمة الفنون وكان مكانها في الفصل الثامن عشر وإن مست العواطف التي يحدثنا عنها الأستاذ ... ومما لاحظناه أيضاً انتقال الأستاذ فجأة من العام إلى الخاص ، ككلامه عن الحديد في مصر في الفصل التاسع (العصور الجيولوجية وعصور المصنوعات المعدنية) وكان الأظرف جمل الكتاب عاما بدل هذا التخصيص الذي كان حقه أن يفرد بكتاب مستقل .

الحق إنه كتاب جميل ؛ فيه جهد وفيه فكر .

٢ – هارون الرشيد والبرامكة

[مطبعة جلبي بدمنهور]

كتاب شائق للآنسة بنت بطوطة كتبته بالفرنسية ونقله إلى العربية الأستاذ د . ن . والكتاب قصة لهذه الفاجعة الأليمة التي انتهت بنكبة البرامكة ، والتي كان لحادثة العباسة أخت الرشيد في علاقتها الشريفة بوزير الرشيد المقرب جعفر البرمكي دخل كبير في أشنع مأساة لطخت العصر الذهبي للحكومة الإسلامية ... وقد استطاعت الآنسة بنت بطوطة أن تستعرض في الكتاب جميع الآراء المختلفة في أسلوب روائي ممتع تستحق من أجله التهنئة ، كما جاءت الترجمة العربية ترجمة سهلة في عبارة خالية من التكلف

٣ – عشاق العرب وقصر الهودج

[جماعة النشر للجامعيين]

يخطو الأستاذ الفاضل كامل عجلان المدرس بالأزهر خطى حثيثة نحو الكمال الأدبي ، ونحن يسرنا أن يلتفت شباب الأزهر إلى ضرورة المشاركة في نهضة مصر الأدبية في عالم الشعر والقصة والرواية بأنواعها ... فليس يحرم هذه الفنون على شباب الأزهريين إلا جاهل بقيمتها وقيمة الأزهر ورسالته الحديثة ... وقد بدأ الأستاذ عجلان يساهم في الإنتاج الأدبي ، فقدم للقراء مجموعته الطريفة « عشاق العرب » ، وهي خمس قصص حوارية من أروع قصص الحب في الأدب العربي أولاها ، حبابة ، وثانيتها جميل ، وثالثها زينب بنت اسحاق ، والرابعة قيس ولبنى، ثم الخامسة غادة الهودج وهي أطولها، وكان الأحرى اختصاصها بكتاب قائم بذاته ... وغادة الهودج التي نثرها الأستاذ عجلان هي قصر الهودج التي نظمها صديقنا الأستاذ باكثير ... وقد وفق كل منهما توفيقا كبيراً في الوصول إلى هدفه ... وسنجري إن شاء الله موازنة بين التمثيليتين في فصل خاص عسى أن يكون قريباً .

٤ – وامعتصماه !

[دار اليقظة العربية : دمشق]

مجموعة من التمثيليات الجيدة يصلح الكثير منها للتمثيل بالمدارس ، أنشأها الأستاذ الأديب عبد الوهاب أبو السعود أحد أدباء سوريا الشقيقة ، وقد راقتنا منها القطعة الرمزية الجميلة : الوطن — بقدر ما شاقنا حسن تصريف المؤلف للحوار في المجموعة كلها ، وحسن استخلاصه لموضوعاته من أدبنا العربي الصميم

(د . خ)

12 me Année No. 595

Lundi - 27 - 11 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٩٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ١١ ذى الحجة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٧ نوفبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

١٠٤١ أيهما ... ؟ .. ... : الأستاذ عباس محمود العقاد

١٠٤٤ خواطر متساوقة فى النقد والأدب والأخلاق . . } الأستاذ سيد قطب ...

١٠٤٧ أبو تمام .. .. بين عبقريته وسرقاته . . } الأستاذ دريني خشبة ...

١٠٤٩ هليوئيز الجديدة .. .. : الأستاذ صلاح الدين المنجد

١٠٥٣ السلم العالمية ... ... حلم قريب الأمد .. ... } الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

١٠٥٥ وحدة الوجود ... ... } «للبروفيسورج . ا . بودن» بقلم الأستاذ عثمان حلمى . .

١٠٥٧ عبد الرحمن عزام بك لمن لا يعرفه من قرب ... } الأستاذ عبد المنعم خلاف ...

١٠٥٩ من المخطوطات .. ... : الأستاذ عبد الحميد صالح البكر

١٠٦٠ مليم الأكبر ... ...
١٠٦٠ وجيدة .. .. } الأستاذ (د . خ) ...

١٠٦٠ القاهرة — من المعز إلى الفاروق ... ... } الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

أيهمـــا ؟ ...

للأستاذ عباس محمود العقاد



سؤال من الأسئلة الكثيرة التى توجهها الصحف الغربية والعربية إلى المشهورين ، وهو : أيهما أحب إليك : المال أو الشهرة ؟

وقد وجه هذا السؤال فى أمريكا إلى رجال ونساء عندهم المال وعندهم الشهرة ، ولو وجه السؤال إلى أناس لا يملكون هذا ولا تلك ، ولكنهم يسمون إليهما ويطمعون فيهما ، لظفر السائلون بناحية أخرى من نواحى الجواب ، لعلها أصدق وأقرب إلى معرفة النفس من جواب المشهورين الأغنياء

فالإنسان لا يحسن تقدير الشيء الذى هو فى يديه ، لأنه ينزل به عن قدره ، ولا يحسن تقدير الشيء الذى يصبو إليه ، لأنه يرفعه فوق قدره ، ولكنه — على الأقل — يصوره لنفسه وللناس فى صورة هى أجمل وأقرب إلى مرضاة الخيال

كذلك يختلف تقديرنا لما نملكه ونطمئن إلى بقائه وتقديرنا لما نملكه ولا نزال مهددين فيه

وإنما القصد بين جميع هذه التقديرات أن نملك الشيء ونحس الحاجة إليه ، ولكن فى غير فزع ولا اضطراب ، فمن ثم لا نزهد فيه ولا ننزل به عن قدره ولا نغلو فى تعظيمه غلو

من يتطلع إلى الأمنية وهو يحسبها منه بمنزلة السماء من الغبراء

رجعت إلى نفسى فى هذا السؤال فلم أفكر فى جوابه ، بل وثب بى الفكر إلى موضوعه ، ورجع بى طفرة واحدة إلى أيامى المدرسية فى أوائل القرن العشرين ... أيام كانت « أيهما » هى فاتحة كل موضوع من موضوعات الإنشاء العربى يطلب من التلاميذ أن يكتبوا فيه :

أيهما أفضل : العلم أم الغنى ؟ أيهما أحب إليك : الحرب أم السلم ؟ أيهما أجمل : الصيف أم الشتاء ؟ أيهما أنفع للانسان : الشجاعة أم الحكمة ؟

إلى آخر هذه المفاضلات التى استأثرت زمناً بأقلام الناشئين الصغار ، وكتب على جيلهم بعد ذلك بعشرين سنة أن يكون هو الجيل الذى يغرق إلى أذنيه فى النقاش والحوار : تارة نقاش الأحزاب ، وتارة نقاش الآراء والأفكار

وعرضت مراحل الإنشاء المدرسى من تلك المرحلة إلى الآن ، وهى المراحل التى حضرتها على كرسى الأستاذ ، ولم أحضرها على كرسي التلميذ

كانت هذه المراحل موزعة بين الوصف وكتابة الرسائل واستعادة الحوادث أو الذكريات

صف الربيع فى الريف ، أو صف الحجرة التى تتعلم فيها ، أو صف بناء المدرسة وما حوله ، أو صف رجلاً عظيما رأيته ، أو صف محفلاً من المحافل العامة ... إلى أشباه هذه الأوصاف !

أما الرسائل ، فمنها ما يطلب من التلميذ أن يكتبه إلى أبيه ، ومنها ما يطلب إليه أن يكتبه إلى أستاذه ، أو زميله ، أو شخص من شخوص الخيال

واستعادة الحوادث والذكريات تتلخص فى تكليف التلميذ أن يذكر ما مر به فى الأجازة المدرسية ، أو فى يوم من أيام البطالة ، أو فى السفر إلى بلد من البلدان

والمقابلة بين هذه الموضوعات فى صعوبتها أو سهولتها على التلاميذ هى فى الآونة نفسها درس نافع لسبر أغوار العقول ، وقياس مقدرة الفكر الإنسانى فى كبار الرجال ، وليس فى صغار التلاميذ وحسب

فأصعبها بغير خلاف هو الوصف ، ثم استعادة الحوادث والذكريات ، ثم كتابة الرسائل على اختلافها

وإنما جاءت صعوبة الوصف من كونه امتحاناً للحواس والملكات جميعاً فى وقت واحد ، ومنها حواس النظر والسمع وملكات الملاحظة والترتيب والاختيار

فالواصف مطالب بأشياء كثيرة فى شىء واحد يسمى « الوصف » ، وهو فى الواقع عمل تشترك فيه كل ملكة فى الإنسان

فعليه أولاً أن يحصر ما يراه وما يسمعه وما يحسه على اختلاف ضروب الإحساس

وعليه ثانياً أن يرتب هذه المحسوسات كما سيذكرها فى وصفه

وعليه ثالثاً أن يختار منها ما هو حقيق بالذكر ، وينبذ منها الفضول الذى يسكت عنه أو يجتزئ بالإيماء إليه

وعليه رابعاً أن يحسن التعبير عما أحسه ورتبه واختار أن يكتب عنه

فلا جرم كان بهذه المثابة امتحاناً صادقاً لعقل الكبير والصغير ، وملكات الفيلسوف والرجل العامى من سواد الناس

ولا إخال الكاتب يعرف بعمل من أعمال قلمه كما يعرف بطريقة وصفه لمنظر من المناظر ، أو خالجة من الخوالج ، أو حادثة من الحوادث ، لأنه لا يهمل ملكة واحدة من ملكات قريحته وهو يعالج هذه الأوصاف ، وإذا هو أهملها عامداً أو غير عامد ، فإهمالها نفسه دليل على ملكات القريحة كدليل العمل والانتباه

وقد رأينا صحفيين مشهورين يرحلون من بلد إلى بلد ، أو من حى إلى حى ، ليكتبوا مقالاً وافياً عن بعض الزيارات أو بعض « الشخصيات » فيمنون بالعرض قبل الجوهر ، ولا يدرون « مكان الشاهد » كما يقال فى لغة العامة عند حصر الحديث المفيد

فيحسبون مثلاً أن المهم من حديث « الشخصية » المقصودة هو ما يسألونها عنه وتجيب عليه ، أو يحسبون أن السكوت عن بعض الأسئلة لا يفيد شيئاً كما يفيد الجواب عليها ، أو يحسبون أن وضع الطرف والصور فى بعض المواضع من المكتب أو البيت عامة أمر لا يهم الاطلاع عليه ، ويجرون على قاعدة واحدة فى السؤال والجواب ، وابتداء الحديث والانتهاء منه ، مع اختلاف الأمزجة والعادات بين أناس ينكشفون من المباغتة ، وأناس

ينكشفون من الشخصية والتكرار ، وبين أناس يتحفظون فى أحوال ، وأناس لا يتحفظون فى جميع الأحوال ، أو يتحفظون فى سياق ، ولا يتحفظون فى سياق

وقد تجرى بين الصحفى والرجـل الذى يحادثه محاورة فى التمهيد للحديث يسقطها الصحفى من حسابه ، لأنها جاءت قبل افتتاح الحديث ، ولم تجىء فى صلبه بعد بداية السؤال والجواب ، مع أن المحاورة التمهيدية هذه قد تدل القراء على جوانب فى ذهن صاحب الحديث وعاداته ، لا يدلهم عليها عشرات الأسـئلة والأجوبة التى تقال بعد تنبيه وتحضير

* * *

وندع الصحفيين وننظر إلى الروائيين الذين يتخللون رواياتهم بالوصف الحسى أو الوصف النفسى إما نصاً وإما فى خلال السطور

فما أيسر ما نعرف هؤلاء الروائيين قبل أن نعرف أبطالهم وحكاياتهم عنهم ؟ ... هذا روائى يصف لك الدنيا كأنما هى كلها سريرة نفسية لا محل فيها لاختلاف الصيف والشـتاء وتبدل الأماكن والعصور ، وهذا روائى يصف لك الدنيا كأنما هى كلها حديقة أو غابة لا محل فيها لشىء غير نضرة الأوراق وذبول الأوراق وألوان الأوراق ، وهذا روائى غيرهما يصف لك الدنيا كأنما هى كلها سوق أو مضمار صراع أو مضجع غرام . وكلهم يظهرون بدنياواتهم هذه قبل أن يظهروا لنا أبطالهم من الرجال والنساء

* * *

عرضت مراحل الإنشاء المدرسى فى ذاكرتى ورجعت منها إلى مرحلتى على كرسى التلميذ يوم كنت أفاضل كل أسبوع بين العلم والجهل أو بين الحرب والسلم أو بين المال والجمال أو بين الصيف والشتاء ، أو بين القوة والمعرفة ، أو بين أولى الأشياء أحياناً بالتفضيل وأولاها أحياناً بالتهجين والإنـكار

وذكرت كيف كنت أختار فى كثير من الأحيان أضعف الشيئين لأجتهد فى تمييزه والذود عنه ، ففضلت الجهل على العلم مرة وفضلت الحرب على السلم أخرى ، وناقشت فى ذلك أساتذتى وأناساً من كبار الزوار وأئمة العقول فى الديار المصرية

ثم عدت أراجع اليوم موقفى من أمثال ذلك السؤال ، وأعنى به كل سؤال يبتدئ بأيهما ويرمى إلى تغليب شىء على شىء كل التغليب

أصبحت أعتقد أنه سؤال لا يجوز أن يوجه إلى عاقل ولا يحتفل عاقل بالجواب عليه

فليس فى العالم الإنسانى مسألتان يكون الحق كل الحق فى إحداهما ويكون الباطل كل الباطل فى الأخرى

وإنما تختلف مواضع الاختلاف بمقدار نصيبها فى الحق كثرة وقلة وقوة وضعفاً لا بخلوها منه كل الخلو واشتمالها عليه كل الاشتمال

يسألنى بعضهم : هل تتغلب الديمقراطية بعد الحرب أو تتغلب الشيوعية ! فأقول مبدئياً إن الديمقراطية والشيوعية لن تبقيا كما هما الآن ، ولـكن تأخذ الشيوعية من الديمقراطيـة وتأخذ الديمقراطية من الشيوعية وتتقابلان فى وسط الطريق ، ولـكنى أعتقد أن موضع الالتقاء أقرب إلى الديمقراطية بكثير

ويسألنى آخرون : هل تفضل النهضة الفنية أو النهضة العلمية فى الأمم التى تحتاج إلى النهضات ؟

فأقول إن نهضة من هاتين النهضتين لن توجد على انفراد ، ولن تحيا أمة قط بالعلوم دون الفنون أو بالفنون دون العلوم ، فـكل عالم تجرد من روح الفن عالم عاجز ؛ وكل فنان تجرد من روح العلم فنان غير موهوب ، ولا جواب « لأيهما » هنا إلا أن تقول « كلاهما » وتعود إلى التفصيل فى التفضيل

ويسألنى غيرهم : أيهما أحب إليك جمال المرأة أو جاذبيتها ؟ فأقول : وهل تتجرد الجاذبية من الجمال وتسمى جاذبية ؟ أو هل يتجرد الجمال من الجاذبية ويستحق بغيرها اسم الجمال ؟

فإذا بدأ السائل اليوم بأيهما ؟ أوشكت أن أجيب « كلاهما » قبل أن يتم السـؤال

سألنى بعضهم مازحاً وقد سمع منى هذا الرأى : وأيهما على هذا القياس أفضل : البصر أم العمى ؟

قلت : وحتى هذا

نعم حتى هذا لا استثناء فيه ، لأن العمى هو انعدام البصر وليس هو ملـكة تقابله مقابلة المناظرة والمشاكلة . فعلى هذا الاعتبار يمكن أن يقال إن احتجاب النظر فى بعض الأحوال

على هامش النقد

خواطر متساوقة

في النقد والأدب والأخلاق

الأستاذ سيد قطب

مما يؤسف له أن يقف الناقد بين فترة وفترة ليرسم طريقه ، ويحدد أهدافه ، ويعلن عنها للقراء ! ولكننا في دور يفوعة أدبية ، فلا مفر من الوقوف عند هذه البديهيات . ولعل مما يعزى عن ضياع الوقت والجهد في هذه الوقفات — وإن كان موضع أسف جديد — ، أن الناقد في الشرق العربي ، لا ينهض لتصحيح مقاييس الفن وحدها ، ولكنه ينهض كذلك لتصحيح معايير الأخلاق !

وحينما تصديت لعمل « الناقد » كنت أدرك — كما قلت مرة — : « أنني لن أخرج من بين المؤلفين بكثير من الأصدقاء ! فالفنان — بل الإنسان عامة — لا يرى في الغالب إلا الصفحة الجميلة في نفسه ، لأن هذا الجانب هو الذي يسره ويلذه ، ويملّق كبرياءه ويغذي غروره . فإذا ووجه بالصفحتين جميعاً ، فوجئ بالصفحة الأخرى التي يراها لأول مرة ، وحسبها تزويراً عليه . وحتى لو اقتنع بأنها صفحة ، فإنه لن يستريح لعرضها على نظره وأنظار الناس » !

ومن يومها وأنا أفقد الأصدقاء ، واحداً إثر واحد ، لأكسب عدداً معادلاً من الخصوم ! بل عدداً أكبر لأنني أضم إليهم كل يوم خصوماً . . . ولكنني أعاهد القراء على أنني سأمضي في الطريق ؛ فحسبي أن أعوض ما أفقد من بين القراء المحايدين وهم بحمد الله كثيرون !

ولقد احتملت منذ أشهر فقد صديق عزيز مقابل مقالة نقد ، أعطيته حقه فيها دون تطفيف !

ولا بد أن يحتمل المرء ما يأسف له من الهنات الخلقية في هذا السبيل أيضاً ، فلبعض المؤلفين حاشية خاصة ، وظيفتها التهليل والتكبير لكل ما يخرجون من أعمال ، والدفاع — بكل أنواع الأسلحة — ضد النقد الحر ، إذا استطاع ناقد أن ينفذ من هذه الشباك !

ولقد رماني الحظ أخيراً في وقعة من هذا النوع ! فلم يكن بد من أن يصيبني رشاش من هذه الهنات ، وإذا كنت قد أسفت على شيء ، فعلى أنني لم أكن عطوفاً عليها وأنا أفهم بواعثها الصغيرة . . وهل أقل من أن أكون جهلاً ؛ وإلا أكون ناقداً لينجو مؤلف من حكم النقد العادل ؟ إنها أيسر سبيل لتجريح هذا « الناقد » الذي لا يعرف كيف يتخلى عن وظيفته على الطريقة الساذجة المتبعة في المحاكم من « تجريح » أفضل الشهود للحصول على البراءة عن هذا الطريق !

ما علينا . فمنذ اليوم سننعطف على مثل هذه الهنات !

* * *

وحينما تصديت لعمل « الناقد » كانت لي طريقة معينة أؤدي بها هذا العمل ، لا أرى بأساً من عرضها هنا لقراء « الرسالة » :

إن عملي مع كل مؤلف هو وضع « مفتاحه » في أيدي القراء الذين يقرأون أعماله متفرقة ، ولا يدركون القاعدة التي تقوم عليها هذه الأعمال ، ولا يتعرفون إلى شخصيته المميزة الكامنة وراء كل عمل

وهذا « المفتاح » ضروري للتعريف بالأديب ؛ وإلا كان

خير من النظر في تلك الأحوال . ومنها النوم والراحة والإعراض عن القبح والشناعة وما لا يستحب النظر إليه في جميع الأحوال ، وليس لأحد أن يقول حتى في جواب هذا السؤال إن النظر خير من عدم النظر في جميع الأحوال

ألم يقل المعري في هذا المعنى فقال :

قالوا العمى منظر قبيح قلت بفقدي لكم يهون
والله ما في الوجود شيء تأسى على فقده العيون

فإذا أردنا الإنصاف قلنا : بل في الوجود شيء تأسى على فقده العيون ، وفي الوجود شيء لا تأسى على فقده العيون

و « كلاهما » ثم تفصيل في التفضيل جواب صالح لكل « أيهما » على هذا الاعتبار .

عباس محمود العقاد

النقد عملاً جزئياً ليس وراءه كبير طائل بالقياس إلى القراء . ونقد كتاب دون بيان السمات « الشخصية » التى تطبعه إنما هو عمل ناقص لا يؤدى إلى شىء فى هذا الباب

لا بل إن هذا « المفتاح » ضرورى للمؤلف نفسه لا لقرائه وحدهم . فكثير من المؤلفين لا يعرفون أنفسهم ، ولا يلتفتون إلى خصائصهم . وهم يستفيدون من الناقد الذى يضع المرآة أمام وجوههم ليتبينوا فيها ملامحهم الأصيلة

وليس من وظيفة الناقد أن يغيّر من طبيعة المؤلف التى فطر عليها . ولكن وظيفته أن يعرّف هذه الطبيعة ويبلورها ، ويقيس أعمال المؤلف بها ، ويهديه إليها إذا ضل أو انحرف فى فترة من فترات الضعف والضلال !

وكلما تناول الناقد أحد المؤلفين مرة ، يجب أن يصير هذا المؤلف « معرفة » لدى القراء : لا من حيث الشهرة والبروز ، ولكن من حيث تميز الملامح ، ووضوح الخصائص . فقد يكون المؤلف ذائع الشهرة عند آلاف القراء ؛ ولكنهم لا يدركون « من هو » على وجه التحقيق ؛ ولا يعرفون « مفتاح » طريقته الموحدة فى أعماله جميعاً

وأذكر أننى سرت على هذا المنهاج فى كل ما كتبته حديثاً من فصول النقد . فلم يكن همى هو التعريف بالكتاب فحسب ، بل التعريف بالكاتب أيضاً . وكانت سمات الكاتب العامة وخصائصه الأساسية ، هى التى تسترعى نظرى ، وتنال اهتمامى . وكان المؤلف فى نظرى إنساناً ذا طبيعة قبل كل شىء ، ووظيفتى هى تصوير هذه الطبيعة . يستوى أن يكون المؤلف شاعراً أو باحثاً أو كاتب رواية أو قصة أو أقصوصة . فما يعنينى عنوان عمله بمقدار ما تعنينى طبيعة عمله

وعلى هذا الأساس تحدثت مثلاً عن أعمال تيمور ، وأعمال المشتغلين بالرواية والقصة والأقصوصة من الكبار والصغار ؛ وعن نزعته بين نزعاتهم ، وعن المدرسة التى يمكن أن ينتمى إليها بين مدارسهم . فأما الذين فهموا طريقتى ، والذين يهمهم جوهر الطبيعة الفنية ، فقد وافقونى أو خالفونى فاهمين ، وأما الذين كل بضاعتهم مصطلحات وعنوانات ، ولا يملكون أن ينفذوا من ورائها إلى جوهر الطبيعة الفنية ؛ فقد راحوا يتمالمون ببضاعة من الفهارس والمعجمات !

إن الأديب يكون ذا طبيعة واقعية أو رمزية أو خيالية ، ثم يكون شاعراً وكاتب رواية أو قصة أو أقصوصة ، أو كاتباً اجتماعياً ، أو باحثاً تاريخياً . والناقد المهتم بالطبائع الفنية ، قد يتجاوز العنوان الذى يقدم به أعماله ، ليبحث مباشرة فى طبيعة هذه الأعمال ، كما أنه قد يراعى العنوانات الظاهرية مع الطبيعة الداخلية زيادة فى التبويب والتقسيم . حينما يقف الآخرون أمام هذه العنوانات لا يتجاوزونها إلى النزعة الكامنة وراءها . لأنهم محرومون من الفطنة إلى طبائع الأشياء !

أحب أن يتنبه قرائى إلى هذا الاتجاه .

* * *

وبعد ؛ فالنقد ضريبة وتضحية ! فما أحسب « الناقد » فى الشرق العربى إلا خاسراً لو حسب المسألة بالقياس إلى نفسه : إنه لا يرضى أحداً إلا القليلين . وإنه لينفق من الجهد ليقول شيئاً ذا قيمة — أكثر مما ينفقه فى أى فن آخر من الفنون الأدبية ؛ فكتابة مقال تستأديه على الأقل قراءة كتاب ، أو عشرة كتب أو عشرين فى بعض الأحيان . لقد صنعتها حينما كتبت فى « الرسالة » منذ عام أربعة فصول عن الدكتور طه حسين و « مدرسة الأسلوب التصويرى » والأستاذ توفيق الحكيم و « مدرسة التنسيق الفنى » والأستاذ المازنى و « طريقة الحركة الحيوية » والأستاذ العقاد و « مدرسة المنطق الحيوى » ولقد كلفتنى كل مقالة قراءة كل كتاب لهؤلاء الأربعة ومعظم ما كتبوه من مقالات . ولم أكن لأريد حتى هذا الجهد شيئاً لو اعتزمت أن أؤلف عنهم كتاباً . وكل ما يعزينى عن هذا الجهد أن هؤلاء الأربعة هم مع آخرين هم عندى اليوم موضوع كتاب !

ولقد كنت آخذ — فى وقت ما — على بعض كتاب

الصحف الأول عندنا أنهم لا يخصصون جزءاً من وقتهم للنقد وتوجيه الحركة الأدبية . فالآن بدأت أفهم أنهم معذورون . فالنقد عمل يستنفد الوقت والجهد ، بلا تعويض مناسب . وخير لهم أن يؤلفوا كتباً موضوعية من أن يتتبعوا أعمال المؤلفين بالنقد . وقد لا يكون بين كل عشرة كتب يقرأونها كتاب واحد يستحق ما أنفق من الوقت فى قراءته !

النقد ضريبة يؤديها الناقد من وقته وجهده ! — وأنا أؤديها قدر ما أستطيع — وإننى لأرغب فى التخلى عن أدائها لأنشىء أعمالاً أدبية أخرى . فلولا أجازة أعطيتها لنفسى فى صيف هذا العام ما استطعت أن أؤلف « كتاباً » . وأشهد أننى لم أتعب فيه أكثر من تعبى فى إعداد مقال من مقالات النقد الصغيرة !

ولكننى أصرح — ويقل من شاء ما يشاء — بأنه ليس هناك الآن « ناقد » يؤدى هذه الضريبة . كان هناك رجلان يستطيعان أداءها — على اختلاف فى النوع والطاقة — هما العقاد والمازنى : فانصرفا — وحق لهما ذلك — إلى الخلق والإنشاء

ثم تصدى لها الدكتور مندور . والدكتور مندور من خيرة الشبان المثقفين ومن القلة النادرة بين « الجامعيين » فى مصر الذين لديهم ما يقولونه ، وما يزيدون به شيئاً غير الفهارس والعنوانات . ولا يمنعنى ما شجر بينى وبينه فى وقت من الأوقات من الاعتراف له بهذه الخصائص

ولكنه — مع هذا كله وعلى الرغم من كتاب الميزان الجديد — لا يصلح ناقداً . إنه ناقل ثقافة وشارح آداب . أما النقد فلا . إن الحاسة الأولى للناقد تنقصه : حاسة التفرقة لأول وهلة بين الأصالة والزيف ، وبين النضج والفجاجة

فالناقد الذى يخلط بين طبيعة المتنبى وطبيعة الأستاذ محمود حسن إسماعيل ، فيرى أن هناك خيطاً — ولو ضئيلاً — يصل بين هاتين الطبيعتين ، إنما تنقصه الحاسة التى تفرق بين الأصالة والزيف ، ولو تشابهت الظواهر فى بعض الأحايين

والناقد الذى يعجبه « تيمور » حين لا يعجبه « توفيق الحكيم » إنما تنقصه الحاسة التى تفرق بين النضج والفجاجة ، أيا كانت النزعة التى ينزع إليها هذا أو ذاك ، وأيا كانت الطريقة التى يسلكها : فالعمل الفنى الناضج ينال مكانة ، مهما تكن عيوب النزعة التى أملته والطريقة التى يسلكها ، والعمل الفنى الفج لا ينال هذا التقدير مهما تكن نزعته واتجاهه .

ليست المسألة أن هذا اللون يعجبك أو ذاك . ولكنها فى الصميم ، إن هذا أصيل أم زائف ، وناضج أم مبتسر . وتلك مسألة لا تخفى معالمها على الناقد الأصيل

ويكون الإنسان قارئاً ومثقفاً ، ولكن هذه الحاسة هبة تنميها الثقافة ، وتعجز عن خلقها فى النفوس

والدكتور مندور يبدع ويعجب ما ظل يتحدث عن المبادىء العامة ، ولكن الزمام يفلت من يده عند التطبيق ، فتختلط عليه الأصالة بالزيف والنضج بالفجاجة . وتستهويه بعض النزعات الأدبية دون بعضها ، فيضله هذا الاستهواء كما حدث فى نماذجه عن « الشعر المهموس » وفى حديثه عن « تيمور »

وهذا لا ينقص من قدر الدكتور مندور ؛ فنحن فى مرحلة بعد نقلة الثقافة فيها هم رواد الجيل .

سيد قطب

---

٢ - أبو تمام

بين عبقريته وسرقاته

للأستاذ دريني خشبة



استطاع أبو القاسم الآمدى أن يحشد لنا فى كتابه الموازنة طائفة كبيرة جداً من أشعار أبى تمام التى سطا فيها على معانى غيره من الشعراء ، والتى تركها تختمر فى رأسه — كما يعبر الآمدى — أو التى اتكأ فيها على نفسه — كما يقول أبو بكر الصولى — حتى أخرجها آخر الأمر زائدة المعنى ، أو معدولاً بها عن معناها الأصلى ، أو مذهوباً بها تلك المذاهب الطريفة التى تصورها ابن الأثير ، والتى قسمها إلى تلك الأقسام الخمسة : من نسخ ، ومسخ ، وسلخ ؛ وأخذ المعنى مع الزيادة عليه ، وعكس المعنى إلى ضده ، على نحو ما بيناه فى الكلمة السالفة . وكان ابن الأثير يضرب الأمثال لكل من هذه الأقسام بأبيات شائقة لشعراء مختلفين ، وكان ماخص منها أبا تمام شيئاً كثيراً . وسنجتهد هنا أن نطبق موازينه على السرقات التى أوردها الآمدى ، لنرى أن أبا تمام كان يسرق حقاً ، وكان يستر هذه السرقة فتخفى على الناس أحياناً ، ثم تكشف عن نفسها أحياناً أخرى ، بل أحياناً كثيرة . وسنرى أنه كان يزيد فى المعانى المسروقة معانى مبتكرة يوفى بها على غاية الحسن ... بل يظهرها بها فى صور عجيبة لا يقدر عليها إلا خيال فنان مبتكر ، قادر على التوشية الحية ، والتلوين البديع . وسنرى أيضاً أنه كان يغلو فى صوره ، حتى يجعلها ضرباً من الألغاز ، يكاد ينقلب إلى ضرب من السخف ، لما يحشد فيها من الإغراب والتعقيد .. الأمر الذى جعل حساده يقولون فيه : إنه ابتعد عن عمود الشعر ، لإسرافه فى استعمال أدوات البديع ... استعمالاً حسياً أحياناً ، واستعمالاً معنوياً فى أغلب الأحيان

وسنرى كذلك أن أبا تمام كان يمسخ المعانى المسروقة ، ويقصر بها عن صورها الأصلية الرائعة ، وسنرى أن علامات السرقة التى نص عليها ابن الأثير ، ولا سيما فى السلخ بأنواعه ، مستوفية فى كثير من سرقات شاعر المعانى الخالد

١ — فمن نسخ أبى تمام قوله :

وركبٍ كأطراف الأسنة عرَّسوا
على مثلها والليل تسطو غياهبه

أخذ صدره من بيت كثير :

وركب كأطراف الأسنة عرَّسوا
قلائص فى أصلابهن نُحول

وأخذ قوله :

لما رأى الحرب رأىَ العين توفَلسٌ
والحرب مشتقة المعنى من الحرَب

من قول إبراهيم بن المهدى :

وسمر الحرب ، واسم الحرب قد علموا
لو ينفع العلم ، مشتق من الحرَب ؟

ولم ينفعه ستر السرقة بقوله مشتقة المعنى بدل اشتقاق الإسم

وأخذ قوله :

كأن بنى نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خرَّ من بينها البدر

من قول جرير :

أمسى بنوه وقد جلت مصيبتهم
مثل النجوم هوى من بينها القمر

أو من قول مريم بنت طارق :

كنا كأنجم ليل بينها قمر
يجلو الدجى ، فهوى من بينها القمر

وأخذ قوله :

وكانت لوعة ثم استقرت ... كذاك لكل سائلة قرار

من قول الفرزدق :

أنتم قرارة كل مدفع سوءة ... ولكل سائلة تسيل قرار

وأخذ قوله ، وهو يجمع بين النسخ والمسخ :

فلو أبصرتهم والزائر يهم ... لما ميزت الحميم من البعيد

من قول محمد بن بشير الخارجى :

وإذا رأيت صديقه وشقيقه ... لم تدر أيهما أخو الأرحام

ولا غرو أن بيت الخارجى أروع !

وأخذ قوله ، وزاد فى معناه وأبدع :

تموّد بسط الكف حتى لو انه دعاها لقبض لم تجبه أنامله

من قول مسلم بن الوليد :

لا يستطيع يزيد من طبيعته عن المروءة والمعروف إحجاما

والنسخ هنا كلى فى المعنى ، مع تجويد فيه ، وتبديل للألفاظ

وقوله فى مغنية تغنى بالفارسية :

ولم أفهم معانيها ولكن شجت كبدى فلم أجهل شجاها

من قول الحسين بن الضحاك فى الظرف نفسه :

ولا أفهم ما يعنى مغنينا إذا غنّى

سوى أنى من حبى له ، أستحسن المعنى !

وذلك مما يلحق أيضاً بآخر ضروب السلخ عند ابن الأثير ، وهو الأخذ عن معنى ثم الانتهاء إلى جنتين مختلفتين ! والحقيقة أننا حرنا فى أى القولين أشجى وأيهما أملح وأروح ؟

وأخذ صدر البيت التالى ، وعدل بعجزه :

لايحسب الإقلال عُدْما ، بل يرى

أن المقل من المروءة معدم

من قول أبى داود الإيادى :

لا أعد الإقلال عدما ، ولكن فقد من فقدته الأعدام

وعجز بيته :

فتى فى يديه البأس يضحك بالندى

وفى سرجه بدر وليث غضنفر

من بيت مسلم :

تمضى المنايا كما تمضى أسنته كأن فى سرجه بدراً وضرغاما ؟

ونسخ هذين البيتين :

ما اليوم أول توديعى ولا الثانى

البين أكثر من شوق وأحزانى

وما أظن النوى ترضى بما صنعت

حتى تشافه بى[1] أقصى خراسان

من قول الأرقط بن دعبل :

مهنه دموعك من سح وتسجام

البين أكثر من شوقي وأسقامى

وما أظن دموع العين راضية حتى تسح دما هطلا بتسجام

ونسخ هذين البيتين .

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء

فلا والله ما فى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

(١) فى كرى (حتى تبلغنى) وقد أثبتناها كما فى الديوان .

من قول النظار بن هاشم الأزدى :

يعف المرء ما استحيا ويبقى نبات العود ما بقي اللحاء

وما فى أن يعيش المرء خير إذا ما المرء زايله الحياء

ولا يخفى أن تعبير أبى تمام أسلس ، وإن لم يبق على معنى الأزدى المسكين !

وقوله :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه قد اكتحلت منه البلاد بإثمد

من قول أبى نواس :

أبِنْ لى كيف صرت إلى حريمى

ونجم الليل مكتحل بقار ؟

ولا يخفى أن أبا تمام وإن سرق من أبى نواس إلا إنه أجاد عنه ولم يقع فيما وقع هو فيه من قبح بتكحيل النجم بالقار — أى الزفت ؟ —

ونسخ قوله :

حمراء من حلب العصير كسوتها

بيضاء من حلب الغمام الرقرق

من قول مسلم :

صفراء من حلب العصير كسوتها

بيضاء من حلب الغيوم البُجّس

وقوله :

وأحسن من نوْر تُفتّحه الصبا

بياض المطايا فى سواد المطالب

من قول الأخطل :

رأين بياضاً فى سواد كأنه بياض المطايا فى سواد المطالب؟

وقوله ، وهو يجمع بين النسخ والسلخ :

لو كان فى الدنيا قبيل آخر بإزائهم ما كان فيها معدم

من قول بشار :

لو كان مثلك آخر ما كان فى الدنيا فقير

ونختم هذه المنتخبات التى وضعناها فى باب النسخ ، والتى تخيرناها من أكثر من ألفى بيت مما حشد الآمدى من سرقات أبى تمام ، بما رواه أبو محمد بن اليزيدى[1] قال : قال دعبل : لما مات ذفافة العبسى رثاه أبو سلمى المزنى ، من ولد زهير ، واسمه مكنف ، وكان بينهما هجاء فى إخاش بقصيدة منها :

(١) ذكر الصولى الواقعة ونسب روايتها إلى محمد بن موسى بن حماد ص ١٩٩

أمتع قصص الحب فى الأدب الفرنسى

هيلوئيز الجديدة (*)

La Nouvelle Heloïse

للأستاذ صلاح الدين المنجد

كان الحبُّ فى القرن السابع عشر يُرافق البطولة ويُصاحب الشرف. ولقد رأيتَ أن الأميرة دُكليف، خشيت أن تؤذى فى الحب. فأفضَتْ إلى زوجها بأنها أحبَّتْ، لئلا يمسّ شرَفَه وتُعَرّ كرامته. فلما أتى القرنُ الثامن عشر، مالت المرأة إلى دراسة شمائل الرجل وعاداته من خلال الحب. وانقضى ما كان من قبل من حب هائم، يُسْهِر الليل ويُذْهل اللب، ويُضنى الفؤاد.

وما لبث النـاس أن انطلقوا... يلذُّون، ويفكرون فساقهم هذا الانطلاق البعيد إلى الملل، ودفعهم الملل إلى حب الطبيعة، والرغبة فى البساطة، والبعد عن التكلف، مما هيأ النفوس لقبول رواية هيلوئيز الجديدة، والعناية بها.

***

كان روسّو قد أشرف على الخامسة والأربعين من عمره، عند ما كتب هذه الرواية وكان قد نشأ ابن ساعاتى فى جنيف. ثم ماتت أمه وهو صغير. وفر أبوه من رجال الحكومة وتركه فولج كل باب، ودخل كل مدخل، ثم مضى لاهياً متشرداً لا يحفل أحداً.

واتصل بمدام دفرنس، فكانت خليلته وربيطته من غير أن تحبه. كما كانت جورج ساند ربيطة شوبان « Chopin » من بعد.

ثم تركها وصنع كل صناعة. فكان ناموساً لأرشمندريت، ثم سفيراً، ثم سارقاً، ثم موسيقياً، وإلى هذا كله، كان فناناً، حالماً، مرهفَ الحسّ، رقيقَ الشعور، يحس جمال الطبيعة، ويعشق اللذائذ الصافية البسيطة، وكان يرنو إلى زرقة السماء، وخضرة الحقول، وجريان المياه ... ويداعب فى نفسه حُلماً جميلا.

(*) انظر ما كتبناه من قبل عن الأميرة دوكلف، فى هذه المجلة

أبعدأبى العباس يستعتب الدهر ... ومابعده للدهر عُتبي ولا عذر

ألا أيها الناعى ذفافة ذا الندى ... نعيت وشلت من أناملك العشر

ولامطرت أرضاً سماء ولاجرت ... نجوم ولا لذت لشاربها الخمر

كأن بنى القعقاع بعد وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

توفيت الآمال بعـد ذفافة

فأصبح فى شغل عن السَّفر السَّفر

وما كان إلا مال من قل ماله

وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر(١)

قال أبو محمد: أنشدنى دعبل هذه القصيدة ثم جعل يعجب من أبى تمام فى ادعائه إياها وتغييره بعض أبياتها!

وقصيدة أبى تمام التي يقصدها دعبل هى مرثيته الخالدة التى رثى بها محمد بن حميد الطوسى ومطلعها:

كذا فليجل الخطب، وليفدح الأمر

فليس لعين لم يفض ماؤها عـذر

والتى قهر بها أبو تمام أعداءه، بما أبدع فيها من معان، أقلقت بال دعبل، وسهدت جفنيه، فأخذ أبياتا من مرثية أبى سلمى المزنى فى زفافه، وخالط بها روائع أبيات أبى تمام، ولا سيما:

توفيت الآمال بعـد محمد ... وأصبح فى شغل عن السفر السفر

وما كان إلا مال من قل ماله ... وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر

كأن بنى نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

ثم جعل يشنع بها على أبى تمام... ولو فطن إلى سرقات أبى تمام التى وقع عليها الآمدى فى هذه المرثية، والتي أشرنا إلى بعضها فى هذه الكلمة لكان خيرا له من ذلك التلفيق.

وفى أخبار أبى تمام للصولى (ص ٢٠١) أن محمداً بن موسى حدث بذلك الحسن بن وهب فقال: أما قصيدة مكنف هذه فأنا أعرفها، وشعر هذا الرجل عندى، وقد كان أبو تمام ينشدنيه، وما فى قصيدته شيء مما فى قصيدة أبى تمام، ولكن دعبلا خلط القصيدتين، إذ كانتا فى وزن، وكانتا مرثيتين، ليكذب على أبى تمام!!

وعلى هذا فليس فى ذلك نسخ كما وهم بعض نقاد أبى تمام ومنهم الآمدى.

(يتبع) ددبى ضشبة

(١) رواية الأبيات فى كتاب الصولى على غير ترتيب الآن وفيها خلاف وزيادة

وقصد باريس ، حالماً بالمجد . كان يتمنى نصر الأبطال وخلود العباقرة . ولكن ما هو الثمن الذى ينبغى أن يؤديه ؟ لقد اخترع طريقة لترقيم الموسيقى ، وكتب غنائية لم ينشرها ، ثم إنه يحس أنه قادر على التأليف ، فهل يكفى هذا ... ؟

وكان إلى ذلك أيضاً رقيق الشاعر ، ولكنه متكبر . وكان يعيش فى الخيال . ويبتعد عن الواقع ، ويقول : « إن الإنسان لا ينعم بما يناله ، بل بما يأمله . ولا يحس المرء السعادة إلا عند ارتقاب السعادة . » فرجل كهذا ، قد يجد فى عزلته من النعيم مالا يجده بين الناس . ولكن هناك المجد .. وكيف يدركه ؟

واستطاع أن يتصل بمدام دوبان Mme. Dupin التى كانت تستقبل عظماء باريس كلها وصادق ابن زوجها « فرانكويل Francueil » وكان هذا عاشقاً « مدام ديبيناى Mne d'Epinay » ثم انضم إلى جانب الفلاسفة . وعندما وضع مجمع ديجون Dijon بالسابقة خطابا حول الفنون والعلوم ، كتب دفاعه الشهير ثالباً محاسن المدنية : »

« ... أيتها الفضيلة ، أما نقشت مبادئك فى جميع القلوب ، أو لا يكفى ، لكى نعلم قوانينك ، أن ينحنى الإنسان على نفسه فيصغى إلى صوت ضميره ، عند صمت الأهواء ... »

وذاع صيت روسّو ، وعُرف بأنه عدو لدود للعواطف المتكلّفة ، وأنه صديق الطبيعة . هذا أول لقب من ألقاب المجد ، فليفتش عن لقب آخر

وفى السنة ١٧٥٢ ، مُثِّلت روايته « عرّاف القرية Le Devin du village » أمام الملك فى فرساى ، وأوتيت حظاً كبيراً من النجاح فتطلّع الناس كلهم إلى معرفة روسّو والتحدث إليه

لكن هذا العالم الذى استقبله ورحّب به ، لم يكن قد خُلق له . ولم تكن أبهاء باريس ، وما فيها ، لتروقه . « كانوا يلهون ، يحاولون الجمع بين الفكر والعقل ، ولا يتعمقون فى المباحث خوف الملل . ويجنحون إلى الإيجاز ، ثم لا تجد واحداً ينقد رأىَ آخر ، أو يؤيده ، ويتعصّب له ... »

فماذا يفيد روسّو من هذه المحادثات ؟

وعزف عن الناس ، وانقطع إلى مدام ديبيناى ، فى أحضان الطبيعة

وهفت نفسه إلى تأليف رواية يدور موضوعها على الحب ؛ هذا الحب الذى لم ينعم به فى أيام صباه ، وقد هاجه ما يحيط به فى عزلته هذه ، فى دار مدام ديبيناى . لقد ذاق طعم حياة هادئة فيها راحة وهناءة وسذاجة . وتمتع بمرأى الغابات والحقول ، ولذّته أناشيد العصافير ، وأسكرته عبقات الأزاهير . إنها عزلة حلوة ، ولكن ، ما كان أكثر جمالها وأشد هناءتها ، لو كانت عزلة مخلوقين اثنين عن الناس ، عزلة قلبين متحابين يعيشان فى دار كهذه ، وينعمان بطيب الحياة . وكان الربيع الطلق قد أقبل يضحك ويغنى ، وفى كل مشهد من الطبيعة نداء للحب . فأغراه ذلك كله على كتابة رواية ما . فبدأ ، وأحاط حوادثها بمنظر الطبيعة التى عاش فيها وتمتع برؤاها ، أيام كان صبياً غض العود ، على ضفاف بحيرة جنيف . وسماها هيلوئيز الجديدة لأنها تشابه مغامرة هيلوئيز وآبيلار ، المؤدب الذى عشق الفتاة التى عهد إليه أن يؤدبها . وتخيل شاباً لا نسب له ولا مال ، اسمه سان برو ، يحاكى روسو فى خلقه ، ويخالفه فى تبلده ، قد أُتى به ليؤدب جوليا ابنة السيد ديتانج الغنى السويسرى . وكانت قد أوتيت الجمال والشرف والتهذيب . فما أن رآها حتى أحبها . فكتم حبه . فلما ثار الهوى ، وضاق به ذرعاً ، كتب إلى جوليا رسالة حبه الأولى . وهى رسالة رقيقة تفضى إليها بحبه

كان سان برو كروسو ، تؤثر فيه العواطف وتهزه الأهواء . وكان ، كما قلنا ، خيالياً حالماً . فلم يطمع من جوليا بما يصعب نواله ويستحيل إدراكه ، بل كان يريد أن يقول لها : « إن ملامحك خلابة بهرت عينى ... »

« ... إن أبصارنا تتلاقى ، فتفلت من صدورنا بضع آهات فى وقت معاً ، وتنحدر بضع دمعات ...

« ... لقد حاولت اليوم ، مائة مرة ، أن أرتمى على قدميك فأنديهما بعبراتى ، فيفل شجاعتى دائماً رعب قاتل ، وترجف ركبتاى ولا تطيقان ثنياً .. »

وينمو الحب فى قلبى العاشقين . ويحاول سان برو أن يفر خوف الفضيحة فيسافر ، وتتبعه رسائلها تدعوه فيها لكن كيف السبيل إلى صون الشرف . كلا العاشقين قد أذلها الهوى . ويريدان أن يبقيا شريفين طاهرين ؛ فكانت تتمنى ألا يجفوها

صادقة فى حبها إياه ، ولم يشأ روسو أن يغريها .. فتألم ويئس ، وأذعن ، ثم شعر بالملل ، وكان يراسلها فانقطع عن مراسلتها .

وعاد روسو إلى روايته يتمها ...

فتخيل أن جوليا تُجبر على زواج رجل روسى نبيل اسمه سان برو ، وتتطالب أن يحبها ، وأن يصونها ويحترمها

ولكى تتم الرواية ، جعل روسو لهذين البطلين وصيفين يكتمان أسرارهما . فاتخذت جوليا ابنة عمها ، واتخذ سان برو صديقه ميلورد ادوارد ، ويجتمع سان برو بجوليا ، وتكون معهما كلير فى غيضة شجرية ، ويكون مشهد القبلة الشهير

« فلما دخلتها ، دهشت لرؤية ابنة عمك تقترب منى وتسألنى قبلة بدلال واستعطاف فقبلت هذه الصديقة الفاتنة غير مدرك من السر شيئاً ، ولكن رباه ! ماذا أصابنى بعد لحظة ، حينما أدركت ... لقد رعشت يدى ، وأحسست قشعريرة لطيفة تدب فى جسمى ، وشعرت بفمك الوردى ، فم جوليا ، يلتثم فوق فمي ، وبذراعيك تضمان جسمى . أواه ! كلا ليست نار السماء بأ كثر تأججاً ، ولا أشد سرعة من النار التى مرت تلك اللحظة فى جسمى . لقد كانت النار تندلع من آهاتنا ، وتتأجج فى لاهبات شفاهنا ، وكاد قلبى يموت تحت عبء اللذة ، ثم رأيتك ، وقد شحب وجهك ، تغمضين عينيك الحلوتين ، وتتكئين على ابنة عمك ، ثم تسقطين على الأرض من الإغماء . عندئذ أطفأ الرعب سرورنا ، فلم يك نعيمي غير سنا خاطف كالبرق ...

« إن أثر الإحساس العميق الذى أحسسته لن يزول أبداً . احفظى قبلاتك يا جوليا ... فأنا لا أستطيع احتمالها ... إنهن شديدات الأثر ، يخزن ويحرقن حتى اللب »

ويتأجج الحب ويفور وتقسم جوليا ألا تتزوج أحداً غير سان برو

ويحاول سان برو أن يهدىء من فوران حبه ويخفف ثوران هواه فلم ير بداً من السفر . فغاب وفى إبان غيبته ، أعلم السيد ديتانج ، ابنته جوليا ، أن زواجها رجلاً غير ذى نسب ونبالة مستحيل

فلما عاد سان برو ، هزها الشوق ، وعطفها إليه الحنين ، فتقربت منه ، وأزلها الشيطان ، فأضحت خليلته ، وعندئذ شعرت بوخز الضمير

« ليعزب هذا البربرى إلى الأبد عن وجهي ، ليمض فلا يضاعف بحضوره آلام روحى ، ليكف عن التلذذ الوحشى بتأمل دموعى ، ماذا أقول ؟ وا أسفى على نفسي ! إنه ليس مجرماً . أنا المجرمة وحدى . إن مصائبي لمن صنع يدى ، وليس لى أن ألوم غيرى »

ويسعى ميلورد ادوارد فى إرجاع الأب عما عزم عليه ولكن سعيه كان فشلا . واضطر سان برو إلى مغادرة سويسرة فقصد باريس .

وتكشف السيدة ديتانج بعد سفر ، رسائل العاشقين .

« ضاع كل شيء ، وانكشف كل شئ . لم أجد الرسائل فى المكان الذى خبأتها فيه ، مع أنها كانت فيه أمس مساء ، لا بد أنها لم ترفع من مكانها إلا اليوم ، وقد تكون أمى وحدها استطاعت أن تراها ، ولئن رآها أبى ، فليكونن هذا آخر عهدى بالحياة ! »

ويقف روسو ، برسائله وروايته عند هذا الحد ، وكان يحمل هذه الرسائل فى حقيبته ، ويقرأهن على النساء ، فيبكين رقة وأسى ، وكان يعتقد أن روايته قد تمت ، وأن الحبيبين افترقا إلى الأبد ، فلا لقاء ، لكن حادثاً يقع ، فيكون نتيجة لتلك القصة الخيالية . وهذا مثال واضح يفسر الصلة بين الرواية والحياة وبين الخيال والحقيقة

* * *

عرف روسو ، فى هذه الحقبة ، مدام دوتو . وكانت هذه ، شأن كثيرات من نساء القرن الثامن عشر ، قد فركت زوجها وأحبت سان لامبير ، القائد الشاعر ، عاشق مدام دُشاتليه

وصادف أن لجأت إليه — وهو فى عزلته عند مدام دبيبناى — وحلة قد بللها المطر . ثم زارته زورة ثانية ممتطية حصاناً ، وقد تزيت بزى الرجال .

يقول روسو : « ... ورغم أنى لا أحب شبيهات هذه المسخريات ، فقد بهرتُ بشكلها ، وأحببتها ... »

لم تكن مدام دوتو ، جميلة . ولكنها ذات سحر وجاذبية . وسرعان ما شتد حبه وانتقل فجأة من العالم الذى كان يتخيله على الورق ، إلى عالم فيه ما يلاقيه الهائمون من الوله والحنين والشكوى . وكانت ، تياهة ، طياشة ذات دل ورقة ، وكانت لا تأبى على روسو النزهات فى ضوء القمر ، أو القبلات على حفافى النهر . لكن قلبها كان شارداً . أسره رجل غير روسو ، وغير زوجها . رجل قائد خيل إليه أنه شاعر ، وأوهمته أنها

صادقة فى حبها إياه . ولم يشأ روسو أن يفرقهما . . فتألم ويئس . وأذعن . ثم شعر بالملل ، وكان يراسلها فانقطع عن مراسلتها .

وعاد روسو إلى روايته يتمها ...

فتخيل أن جوليا تجبر على زواج رجل روسى نبيل اسمه ولمار قد أوتى بسطة من البلادة ، وأن سان برو ، يُذعن ، وقد يئس . ثم يجملها فى حل مما كانت عاهدته عليه ، فلا تتزوج غيره . وتذعن جوليا إطاعة لأبيها ، وشفقة على حبيبها ويضطرب سان برو ، فيسافر ليطوّف فى البلاد ، مسكينة جوليا إنها لم تذق من هواها غير القلق والخوف واليأس .. ولم تلق فى طريقها غير حبيب أحبته ، فأبعد منها ، وزوج لم ترض عنه قرِّب إليها .

فلما طوّف كثيراً ، عاد فنزل عند ولمار نفسه زوج جوليا . وحادث جوليا أول محادثة ، وكانت خجلى ، وحاولت أن تبدى عذرها فى زواجها ، ولكن زوجها فاجأها ...

يقول روسو « ... ولم تعبأ ، وظلت تتكلم بحضوره كأنه لم يكن . وعند ما سكتت قال لى : هذا مثال من الصراحة التى تسود هنا . وإذا شئت أن تكون فاضلاً حقاً ، فاتبع هذه السبيل . هذا هو الرجاء الوحيد والأمثولة الطيبة اللذان أقدمهما لك . إن أول خطوة نحو العار أن نخفى الأعمال العلانية . إن حكمة واحدة يمكن أن تحِل محل الحِكم كلها . وهى : لا تعمل ولا تقل ما لا تريد أن تنظره من الناس أو تسمعه منهم ... »

لقد حاولت جوليا إدراك سلام القلب مع زوجها ، رغماً عن هواها القديم الذى يثور فى فؤادها . وهكذا انقلبت الرواية إلى درس أو منهج للأخلاق

لقد أراد أن يثبت أن الإخلاص بين الزوجين هو أهم واجبات الزوج شأناً ، وأن الهوى العنيف عند ما تكون الفتاة عذراء ، إذا دام بعد زواجها من لا تحب يصبح جريمة . وأن المرأة تستطيع أن تُنشئ حياة سعيدة على أنقاض حب عظيم

وتقضي جوليا العيش مع زوجها ، فى الحقول ، يراقبان الخدم ، ويوجهان الزارعين ، ويُعنيان بالكروم

و يُعجب سان برو ، بحكمة ولمار وجوليا ورجاحة عقليهما . ويصف الخدم والحديقة ، وصفاً ممتعاً ، ولكنه لم يستطع أن يُطفئ لهب هواه ، أو ينسى حبه القديم فقد كان كل شيء يذكره ويذكرها بنعيم مضى ... وعند ما اتخذت جوليا قارباً تتنزه فيه ، فكرا معاً فى ذلك الماضى الجميل « ... كان صوت المجاديف المتزن ، يثيرنى لأحلم . وكانت صدحات دجاج الحقول المرحة تذكرنى بنعميات عمر مضى فتحزنى بدلاً من أن تفرحنى . وشعرت ، رويداً رويداً ، بازدياد الغم الذى كنت به مثقلاً . فلا صفاء السماء ، ولا طراوة الهواء ، ولا شعاعات القمر اللطيفة ، ولا رعشات الماء الفضية حولنا ، حتى ، ولا وجود هذه المخلوقة العزيزة ، لم يستطع أن يطرد عن قلبى ألف فكرة مؤلمة ... »

و يُنهى روسو روايته بموت جوليا . بعد أن أوصت سان برو بزواج كلير ابنة عمها ، ولكنه أبى . وعاش مع كلير ينشِّئان أولادها ، وفاء لها

***

تلك خلاصة موجزة عن هيلوئيز الجديدة . ولقد أوتيت من الانتشار مالم يقدَّر لغيرها . وقرأها النساء والشبان والشيخان ، بحماسة ولذة . وظلت طوال القرن الثامن عشر ، رواية الجمهور . لقد علَّم روسو بها الحب نابليون ، وأخذ عنه غوته وستاندال أيضاً . وعلم بها الناس الفضيلة ، فكان قائداً أخلاقياً ، ثم علمهم بها حب الطبيعة فأحبوها ، وكان أباً وأستاذاً للابتداعيين الذين أتوا بعده .

صلاح الدين المنجد

السلم العالمية

حلم قريب الأمد

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

كتب الأستاذ محمد توحيد بك السلحدار فى عدد سابق من « الرسالة » مقالاً عنوانه منع الحرب حلم الأبد ، وأقول رداً عليه إن السلم العالمية حلم قريب الأمد

والحق أننا نعيش الآن على مسمع من قصف المدافع وأزيز الطائرات ، وعلى مرأى من مشاهد حرب شنيعة المهلكات

ولا شك أن أحداً من الدول المشتركة فى هذه الحرب القائمة لم يكن يرغب فى إثارتها ، ليكتوى بنارها . والواقع المسلم به أن كل دولة تتبرأ من إعلان الحرب وتصرح بالابتعاد عن تبعة إثارتها

ولم يكن الأمر كذلك فى قديم الزمان ، إذ درج الحكام والملوك والأمراء على التفاخر بالعدوان ، والمباهاة بالقوة والبأس والسلطان . فإذا كنا نرى فى الوقت الحاضر أن أصحاب العروش وذوى التيجان وأقطاب الدول والزعماء المحركين للشعوب يتنصلون من تبعة الحرب ويتبرأون من إعلانها ، فلا شك أن هذا دليل يحمل فى طياته النزعة القوية إلى السلام ، ويبشر بتحقيق هذا الحلم الذى كان من أطماع الناس فى القديم ولا يزال من آمالهم حتى الآن

والقول فى الحرب أو فى السلام يقتضى منا الإشارة إلى الأسباب التى تسوق الدول إلى الخصام أو تدفع بها فى سبيل الوئام .

قال الأستاذ توحيد بك السلحدار فى أسباب الحرب ما نصه: « إن الغرائز والشهوات ما زالت تتغلب على العقل ، والطبيعة لم تصلح بعد من شأن النزعات الأنانية ، ولم توجهها إلى التعاون الصادق ، والإنسان مقسور على الكفاح فى الحياة ، والدول من طبعها أن تتعمد التوسع وترغب فى الفتح والسيادة الدولية بالمنافسة المطلقة فى الاقتصاد والصناعة والتجارة والتسلح . وهذه سبيل لا مندوحة فيها عن الحرب بين حين وحين »

وقد جمع الأستاذ بين الدوافع النفسية فى الفرد وبين العلاقات الدولية وتنافر مصلحة الجماعات

والحجة لا تستقيم بذكر طبائع الفرد وخصائصه ، لأننا بصدد حرب بين دولة وأخرى ، ومن المسلم به أن طبائع الجماعة تختلف عن طبائع الفرد ، كما هو معروف لكل من درس علم الاجتماع

والدليل على نقض تلك الحجة النفسية هو نفور الجند فى هذه الحرب الحاضرة من الحرب ، لأنها جماعات وكتل بشرية تترك فى الميادين يفقد فيها الفرد شخصيته المستقلة .

وأبلغ دليل فى هدم كيان تلك الحجة النفسية القائلة بحب الكفاح . وتغلب الغريزة والشهوة والأنانية ، أن الأفراد يعيشون فى داخل الدولة الواحدة ، ويرتفع عددهم إلى ملايين قد تزيد على المائة ، وتسود فيهم بطبيعة الحال غرائز الكفاح والأثرة والمغالبة والنزوع إلى السيطرة والسلطان ، ومع ذلك تعيش هذه الجماعة ، الواحدة كخلية النحل ، كل فرد يقوم فيها بعمل يكسب معاشه ، ويتصل بغيره من الأفراد فى سبيل كسب المعاش ، دون أن تقع بينهم معارك دامية ، إلا ما يحدث من الخصام المعروف بين الأفراد ، الذى يحله القانون ويقتضيه الأمن والنظام .

فنحن نسلم بوجود النزعة إلى الكفاح فى الفرد ، وقد اقتضت الحضارة والمدنية أن توجه هذه النزعة إلى كفاح الحياة والتغلب على عقبات المعيشة ، وتذليل البيئة المحيطة بالإنسان وتسخيرها لمصلحته ، ودفع عدوان الأمراض والأوبئة وهى أفتك بالإنسان من أسلحة الحرب .

والبوليس والقضاء كفيلان بضبط الأمن وحفظ السلام بين سكان الدولة الواحدة .

فالمسألة فى السلام هى خضوع الجماعة لحكومة واحدة ونظام واحد ، لأن الحرب تقع بين الدول لا بين الأفراد .

فهل يصبح العالم بأسره خاضعاً لحكومة واحدة ، وتتحول النزعة الوطنية إلى دولة واحدة وعالم واحد ونظام واحد ؟

ذلك أن العلة الأساسية فى الحروب هى انقسام العالم إلى دول تنطوى على نفسها ، وتحتفظ كل واحدة منها بشخصيتها المستقلة ، وتشيع العقيدة فى نفس بعضها أنها أقوى من غيرها

بأساً ، وأسمى عقلاً ، وأرفع منزلة ، وأوسع علماً .

لهذا وقعت الحرب الحالية لانقسام العالم إلى دول عظمى وامبراطوريات كبيرة تتنازع على السيادة والسلطان .

ولهذا أيضاً ستقع الحرب المقبلة — وأنا لا أشك فى هذا — بعد أن تضع الدول السيوف فى أغمادها ، والطائرات فى حظائرها ، لأنهم يقولون : إن العالم ستتحكم فيه الدول الثلاث المنتصرة : انجلترا ، وأمريكا ، وروسيا ، وقد يضيفون إليها الصين أو فرنسا .

ستقع الحرب فى الجيل المقبل أى بعد عشرين عاما كما يقال ، وقد تقع بعد جيل آخر أيضا ، ولكن الخطوات التى يخطوها العالم فى سبيل التطور والوحدة ، خطوات سريعة جداً ، هى التى تجعلنا نقول بأن السلم قريبة الآن .

ونحن نؤيد هذا القول بشواهد فى التاريخ ، معتمدين على النظر إلى تطور الإنسانية خلال العصور الطويلة .

ذلك أن الجماعات كانت تعيش قديما فى مدن صغيرة ، أو قبائل متناثرة ، ثم اقتضى الرقى والعمران أن يلتئم شمل المدن فى دول ، وأن تتسع رقعة القبيلة فتصبح شعباً كبيرا .

وكلما اتسعت الدولة زالت الفوارق بين الناس فى اللغة والتقاليد والعادات والفكر والدين .

وقد ظهر فى العالم عامل جديد لا ينبغى إغفاله لكل من يريد أن يبحث فى تطور البشر . وهو عامل سيقلب كيان الإنسانية كلها ويغير من مظاهرها القديم .

هذا العامل هو سرعة المواصلات البرية والبحرية والجوية ، فأصبح انتقال الانسان فى أرجاء الدنيا الأربعة من أيسر الأشياء . وإن آثر أحدنا البقاء فى مكانه ولم يكلف نفسه عناء إلى شتى بقاع العالم ، فمن اليسير عليه أن يفتح المذياع فيتلقى أنباء العالم فى لمح البصر . وانظر بعد كيف يتم التقارب الشديد بين الناس جميعاً فى الفكر وأسلوب الحياة .

وهذه خطوة بالغة الأثر فى توحيد العالم

وستعقبها خطوات أخرى يخيل إلينا أنها قريبة الوقوع وهى وحدة اللغة ، ووحدة التقاليد ، ووحدة الزى ، ووحدة الأساليب فى شتى فروع الحياة .

ألا ترى أن تركيا اصطنعت الكتابة بالحروف اللاتينية . وأن عبد العزيز باشا فهمى يريد فى مصر مثل ذلك . والدلالة التى نعتبر منها فى مثل هذه الحالة وأشباهها ، هى النزعة الشديدة نحو اتحاد العالم فى مظهر واحد . ولن يتأخر اليوم الذى تتم فيه هذه الوحدة لما ذكرناه من سهولة شتى المواصلات وسرعتها .

ولا يغيب عن بالنا أن نذكر فى هذا الصدد ما دار فى الأذهان فى أوائل هذا القرن وأواخر القرن الماضى من محاولة اختراع لغة عالمية سموها فى ذلك الوقت « اسبرانتو » . وقد ماتت الفكرة حيناً من الدهر ، ولكنها أخذت تبعث الآن . فتوحيد اللغة أمر لابد من وقوعه لأنه لا يتوقف على الأمل والنية ، بل يعتمد على طبيعة الأشياء . وطبيعة العمران الجديد الناشىء عن تيسير المواصلات بين أجزاء العالم ، تقتضى حتما التفاهم بين الناس بلغة واحدة .

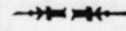
ومن العوامل القوية فى منع الحروب وتحقيق السلام بعد توحيد العالم على النحو الذى وصفنا وقوعه فى المستقبل ، انتشار التعليم بين سواد الناس ، وما يتبع ذلك من رقى عقلى ، ونزوع إلى تغليب الحكمة على الشهوة ، وحل المشكلات بالعقل لا بالقوة . وكلما ارتفعت عقليات الأفراد صعب قيادهم قياداً أعمى لمصلحة ذوى المطامع الذين اصطلحوا على تسميتهم بمجرمى الحرب ، ولا ننس أن الحرب صناعة كسائر الصناعات ، ويحتاج إعدادها إلى تهيئة جيش مدرب على استخدام السلاح ، ويعتنق فلسفة العدوان ويكره الجنوح إلى السلام ، والعالم يسير الآن نحو خطة جديدة يرمي بها إلى نزع السلاح ، ويجرى فى التعليم على بث روح السلم واعتناق فلسفة السلام

هذا التطور السريع الذى نشاهده فى العالم يرمى إلى اشتراكية اقتصادية لا شك فيها الآن . وقد كانت الشيوعية هى المذهب المنتظر للفلسفة المادية التى تبغى إلغاء الملكية ومنع الاستغلال المزرى ، ولكنها اعتدلت فأباحت شيئاً من الملكية لضرورة العمران ، فاقتربت بذلك من المذهب الاشتراكى الذى أصبح واقعاً فى جميع الدول الآن . ومن شأن تنظيم الاقتصاد العالمى ، وتيسير المعيشة لكل فرد فى طعامه وشرابه وملبسه ومسكنه وتعليمه ، أن يشعر جميع الناس بالراحة من جهة معاشهم ، فلا يبقى محروم تدفعه الحاجة إلى الثورة

٢ - وحـــدة الوجود

للبروفيسور ج . ا . بودن

بقلم الأستاذ عثمان حلمي



إن وجود الخالق الذي كوّن العالم من أرواح أثيرية والذي رعى ودعم العالم ، لا يمكن أن يُثبته وجود العالم نفسه ، بينما يظن « نيوتون » في موافقة للتقاليد أنه لما كان للعالم بداية فإن النظام الكوني كان أزلياً منذ أن ضمن وجود الله إعادة تجديده المستمر . ويرى نيوتون أن في شتى أجزاء الفضاء إلـهاً يُشكل خلقه في المادة وكذا في قوانين الطبيعة ، ومن الجلي أن الطبيعة في نظر « نيوتن » ليست محض كتل ميِّتة عمياء تصطدم على غير هدى وتتجمع أو تنفصل في الفضاء ، ولـكن العالم تتخلله روح خالق يدين له العالم بوجوده كما يدين بتدعيمه وحفظه لهذه الحقيقة ، وهذا يجعل الدنيا قابلة للفهم كما يجعلها جميلة مقبولة

يسخر ليَبنتز Leibnitz من فكرة أن الله غير قادر على أن يخلق آلة ميكانيكية فوراً تسير بنفسها ، ولـكنها في حاجة إلى عامل معها لحفظها ، إلا أن « ليبنتز » لم يقدر حساب اتجاه الانحدار في المادة (انحلال الحركة)

ففي عالم « ليبنتز » لا يوجد فقدٌ عارض ، غير أن فهم « ليبنتز » في إعادة التناسق في الذرات الهيولية التي تدور كالساعة منذ الأزل لم يبرهن عليه بنتيجة يرتاح إليها العلم الحديث

وأبعد من هذا فإن لابلاس Laplace قد تناول علم نظام الـكون في مبادئ نيوتون (بفرض عدم وجود الله) ولـكنه لم يعمل حساب قوة قابلية المادة للتحول

ويرى كلارك ماكسويل Clerk Maxucll ثاني أعظم مهندسي العلم الحديث وجهة قابلية المادة للتحول فيخال أن (روح العالم بكل شيء) الذي يقدر أن يتصرف بدقائق أجزاء الطبيعة قد يعكس تدرج الانحدار المادي باختيار عاقل مدرك ، غير أن (روح العالم بكل شيء) اصطناعية بجانب إلـه نيوتن . ومما لا ريب فيه أن نيوتون رغب في أن يعرف الله وأن يكشف عن جوهره بينما ارتضى علماء اليوم أن يقروا بجهلهم ، فهو مثلاً كان متأثراً بحقيقة أنه في أي توزيع لـكمّ من المادة عدد لا حصر له من الأنظمة والقوانين ، وأنه يجب أن يكون هنالك اتجاه إلى نظم أخرى خارجة عنها حتى يمكن أن يظل استمرار تناسق الأشياء وتوازنها الذي لا يمكن أن يدوم بغير قوة إلـهية لحفظه ، وجدير بعلماء هذا العصر أن يلاحظوا ، ما هي ؟

هو يجزم أن هذه الدنيا سائرة لا محالة إلى نهاية بعد قليل من بليونات السنين من يومه ، والذي نسيه هو أن مسألة النهاية محددة بمسألة البداية ، وعالم حقيقي كنيوتون يهمه أن يقف على حقيقة كل ذلك

لقد كان نيوتون عالماً عظيماً بما وراء الطبيعة بفضل سلامة بصيرته وصحة وجدانه ، فضلاً عن تخصصه الفني ، وإن درايته بما وراء الطبيعة لتزيد كثيراً على ما تطلبه حاجة علمه

(إنك لا تستطيع أن تفصل الله عن العالم الذي خصه العلم ثم تستطيع بعد ذلك أن تزعم أنك قد اقتنعت بهذ العلم)

هذه النظرة من فلسفة نيوتون قد أهملت طويلاً ، وقد قال لنا علماؤنا السفسطائيون إن (كانت) Kant قد دحض فلسفة نيوتون بتدليله على أن الفضاء والزمن وهميان - أي في العقل - وإنه بناء على ذلك لا يمكن أن يقال إنهما بميزان العالم الحقيقي إلا أن كل ما أورده (كانت) لم يكن إلا إظهار منطق نيوتون بصورة (إقليديسية) متخصص بعلم الفضاء ، وأن النظام الزمني لم يكن ليستمد إلا من عقولنا ، إن (كانت) لم يدحض نظرية الفضاء التجريبي الذي بنى عليه علم نيوتون حقيقة وهذه لم يمكن دحضها بحجج سابقة ، وفضلا عن ذلك فإن إيمان نيوتون بدقة هذا

وامتشاق الحسام للحصول على الطعام

فإذا ذهبنا مع أصحاب الفلسفة المادية الذين يفسرون جميع الحروب التي حدثت في التاريخ تفسيراً اقتصادياً ، فإن تحقيق المساواة لجميع سكان العالم في الحياة المادية ، وهو ما يقضي به التطور الذي نشهد آثاره ، كفيل بمنع الحرب وإقرار السلام ، ولهذا صح ما نقوله من أن السلم حلم قريب الأمد ، لا أنه حلم الأبد

أحمد فؤاد الأهواني

النظام المحكم المتزن فى الطبيعة سيبقى حجة تتحدى العقل الإنسانى ، وإننا لا يمكننا أن نهمل سبق هذا النظام ولكن يجدر بنا أن نجهد أنفسنا لكى نكشفه كما وجدنا إلى ذلك سبيلا

إن إصرار نيوتون على فكرة ضرورة وجود مبدأ ميكانيكي سام فى الطبيعة سيبقى كذلك ، ولقد قال بعض ذوى الكفايات العلمية المحدودة من متأخرى اللاأدريين ان (كانت) قد حطّم أساس البراهين التى أقيمت على وجود الله ، غير أن (كانت) لم يحطم فى الواقع إلا البراهين السابقة التى بُنيت على الأوهام وشرود الذهن الذى لاحد له

إن رأى نيوتون فى الله كواسع ودائم وموجود فى كل مكان كان رأياً علمياً غير ثابت عند الطبيعيين كما أنه لم يكن ليستطاع جعله مثاراً للجدل

إنه ليوجد سبيل واحد نستطيع به فهم الكون كدعوى سائرة ، وذلك كما يقول أفلاطون عن طريق بعض الشعور بتسلط الحياة والعقل ، والحياة هى الشىء الوحيد الذى نعرفه والذى تصل به الطاقة إلى أعلى مستوى فى النظام ودقة الترتيب .

إن الجسم الحي هو النوع الوحيد من الأشياء الذى يستطيع أن يُطوّع الطاقة فى حدود أجزائه بحيث يمكن توطيد صلة تداولها المشترك بين مصدرها وهدفها ، والطاقة فى الجسم الحي غير مبعثرة كيفما اتفق فى التوزيع بحيث يمكن أن يصدم جزء منها شيئاً آخر فى سبيله ثم يكون لهذا عواقبه المرجوة الموافقة ، ولكى تكون الصلة مناسبة على الدوام فإنها لابد أن تكون دائمة حتى فى المصادفات ، والجسم الحي لا يعمل كمجرد مجموعة عرضية من الأجزاء مع مجموعة عرضية مماثلة من الصلات العرضية ، ولكنه يعمل كوحدة ، وتدار طاقات الجسم كلها لصالح الجسم كله ، وبسيطرة ضابط على جميع الأعضاء فإن كل عضو يقوم بوظيفته حسب منهجه الخاص

وليست كمية الطاقة فقط هى التى يُعوّل عليها ولكنها الطاقة المناسبة وعملها المحدد الذى ينجز حيثما تدعو الحاجة اليه

فى حالة ما إذا أصيب الجسم بجرح فان عدداً لا يُحصى من الكريات البيضاء يلم شعثه ويندفع إلى موضع الخطر لتلافى سوء نتائج ما حدث ، وليست هذه بالطبع مسألة مصادفة ، ولا تتكاثر هذه الكريات بدون تمييز فى النظام والترتيب حتى يكون منها القدر الكافى فى الموضع المعين فحسب ، ولكن النشاط الكلى للجسم يتركز فى نقطة الخطر لحصره ، أما كيف ينتقل نشاط الجسم فى مثل هذه الحال فإن ذلك يماثل فى غموضه وتعقيده حالة النشاط الإشعاعى فى فضاء الكون »

إننا نعرف أن لنشاط الغدد المهمة مثل الغدة الدرقية أهميتها البالغة فى حالة دثور وتجدد أجزاء الجسم المتعددة التى قد يكون بعضها بعيداً عن الغدد . ولكننا لا نعرف شيئاً عن انتقال هذا النشاط آلياً

وقد يكون إفراز عصارات الغدد داخلياً ومع ذلك فإنها تؤثر فى النواحى المتعددة التى هى فى حاجة إليها فى كل مكان من أجزاء الجسم

نجد فى الجسم الحى حينئذ مثالاً بل المثال الوحيد للعلاقة المشتركة — علاوة على المدى — بين الطاقة وهدفها

ففي الجسم الحى بناء وتجديد لأجزائه ، وهما فى خدمة الجسم كله .

ولو اعتبرنا الأمة كوحدة فى مقابل جسم الفرد لوجدنا الطريقة واحدة فى البناء والتجديد لحفظ كيان الأمة . والمجتمع هنا يكوّن حياة الأمة في مقابل حياة الفرد ولكن المبدأ واحد

والآن لنفرض أننا فهمنا الكون قائماً كوحدة بتعدد جزئياته التى يجب أن تكون مناسبة لنا لتعليل ما يمكننا فهمه من أسرار الكون من المادة إلى العقل الخالق — يجب أن نفهم أن الكون تدب فيه الحياة والروح ، وأنه ليس مجرد كتل مبعثرة من المادة ، ولنفهم أنه كوحدة حية ليس معناه أن كل جزء فى الكون عضو حى ، وهذه هى مغالطة في التقسيم ، فى الجسم الحي الذى نعرفه توجد عناصر وتحولات كما يستعمل هذا التعبير فى الاصطلاحات الطبيعية والكيمائية — وهما يمدان حياة الجسم مع سيطرة الضابط — ولكنهما غير عضوين

عبد الرحمن عزام بك

كما لا يعرفه من قرب

[بمناسبة تعيينه رئيساً للشئون العربية بوزارة الخارجية ، وأميراً على ركب الحج المصرى هذا العام]

للأستاذ عبد المنعم خلاف



« كتلة » دقيقة من الأعصاب ! كلها نقاء وطهر ، ليس فيها شر أصلا . عليها وجه دقيق الملامح فى سماحة وجد وتواضع ، فيه نفس عجيبة فى هذا الزمان بل وفى كل زمان ، تطل من عينين نافذتين فيهما ذكاء ، وليس فيهما خبث الذكاء ... وتتضح عبقريتها إذا نطقت مسترسلة هادئة واصلة إلى أغوار الحق . إذا سمعتها تتحدث سمعت منطقا مسلسلا مرتباً واضحاً يأتى فى هدوء وقوة استدلال وبلاغة استيعاب وهدى بصيرة ملهمة ، ومنطق طبع سليم من الالتواء والاهتمام بصغارات الحياة وصغائر الناس .

له عقل ذو قدرة عجيبة على تلخيص القضايا الكبرى المربكة وإيضاحها فى تحديد دقيق .

بكرت رجولته وحساسيته بالمسئوليات الوطنية والقومية والمالية الكبرى فحمل من أعباء المجد وأوشحته ما لم يحمله أحد فى مثل شبابه الأول ، وظفر من تقدير من اتصل به من رجال السياسة والحرب فى الشرق والغرب ، وهو حدث ناشئ فى باكورة الشباب ، فأدار ثورة وأقام دولة ، وأصلح بين أقوام مختلفين ، وآلف بينهم ووحدهم وهو فيهم غريب نزيل فى الحدود الأولى من العقد الثالث من عمره .

عليه سكينة منزلة من الله فى جميع الظروف . صابر دائما ، باذل دائما ، يبذل من نفسه وماله وشعاره قول محمد رسول الله : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » وهو قد وسع الناس بأخلاقه وماله معاً . فهو فى بذل المال يحقق القول الشريف : « يعطى عطاء من لا يخشى الفقر » . وما يبذله من النفس شىء كثير عظيم عميق يتصل بأصول الخير فى الوجود . الخير السلبي والإيجابى .

نظيف اللسان والجسد . لم يقع عليه ظل شبهة ، لا ينطق هذراً ولا سخفاً ولا سباباً ، ولا ينال أحداً فى حضور أو غياب ، ويغفر غفراناً واسعاً كل ذنب . يقدر ضعف النفوس البشرية وينظر إليها نظر الملأ الأعلى سواء أكانت قريبة أم بعيدة فى الجنس أو الدين والقومية .

حتى يستحى من الناس فينالون منه بحيائه ما يرهقه فى بعض الأحيان . ومع ذلك لا يتململ . فهو كالنهر الكبير يأتى إليه كل وارد فلا يرده ولو كان كلباً ... لأنه واسع طهور لا يتنجس ... مجمع على حبه من جميع الأحزاب والأجناس والأديان فليس له فيما أظن عدو بالمعنى المعروف للناس ..

متواضع ليس لديه فروق مصطنعة فى معاملة الناس ، يملكه الفقير الضعيف المحدود ويأنس به .

زاهد حقيقى فى دنيا الناس وزينتها ، فلا يهتم بصغائر اللباس والرياش . وحظه من الدنيا حظ قليل لم يجد لديه من الوقت ما يتذوقه ..

حليم لا يثور ولا يؤذى عشيره بجارحة ، ولا يحب السيطرة والتحكم ، مع ثقة بالنفس واعتزاز بالكرامة فى عدم تبجح أو ادعاء أو تظاهر .

ليس به لهفة على شىء مهما كان . فهو دائما هادئ الأعصاب ، وإن كان كثير الآلام الاجتماعية ، عميق الأحزان المقدسة فى الدين والوطنية والقومية

الخير عنده واضح المسالك ، فلا تأويل ولا عذر يصرفه عنه ويصد قلبه عن مقتضيات البر والإحسان . كأن لكل قاصد له

ومن الواضح أننا لو فهمنا الكون كوحدة فانه لا يمكن أن تكون هناك علاقات خارجية — العلاقات حينئذ يجب أن تكون داخلية — لأن الكون ليس له خارج — والعلاقة بين جزء وجزء مع الضابط هى فى أجسامنا أو فى المجرة النجيمية أو فى السديم اللولبى سواء .

ويمكننا أن نقرر أنه لا توجد طاقة مبددة فى هذا الفراغ من الفضاء ، كما يمكننا أن نعتبر النشاط الإشعاعى فى الكون كدم الحياة له ، وبسيطرة الضابط العام يدور الجميع .

يتبع **عثمان حلمى**

عليه حقا لازماً يلام إذا قصر فى أدائه ، وطالما تجيبت لصبره على رجاوات الناس ، فهو كنز من الصبر والاحتمال لا ينفد ، أو هو كالشجرة المثمرة الباحة القريبة الجنى ، لا ترد يداً عن قطاف .

ما عرفه أحد من الناس إلا وأمسك بتلابيبه وعض على علائقه معه بالنواجذ ! فإن كان من أهل العلم وجد عنده علما وفقها بلباب الحياة وبصرا في شئونها وعلومها . وإن كان من أهل السياسة وجد لديه بصيرة ملهمة تنفذ إلى بواطن الأمور وتشير إلى مصادر الأحداث ، وتضع يدها على ماغاب عن أكثر الأذهان ، وإن كان من أهل السلوك والخلق وجد عنده فهماً له وتقديراً ورفعاً لشأنه وتشجيعاً واسع المدى . وإن كان من أهل الشر الذين لا يؤمنون بالخير وجد في شخصيته وسلوكه رداً ونقضاً بليغاً على دعواه يحمله على أن يرجع النظر كرتين فيما رأى لنفسه وما اتخذه من مسالك الشر .

إنه يرفع الحياة الإنسانية ويرسم المثل الأعلى أمام « الماديين » وأمثالهم حتى يتيقظوا إلى أن فى الحياة روحاً من الخير هى أثمن وأعظم مما يملكون وما به يفتنون وإليه وحده ينصرفون .

فهو لطيف النفس والجسم كالنسيم الرفيق الذى يدخل الرحمة على النفوس البائسة القلقة . وبالإجمال لا حصر لوقائعه فى المجد والخير والسياسة الرشيدة ، ولذلك يستطيع كل من عرفه أن يذكر عنه قصة أو قصصاً تكفى لرفع نفس إلى العظمة والذكر الطيب الخالد .

وقد كافأه الله وجزاه بأن أراه الدنيا فى الشرق والغرب فأوسع له فى آفاق المعرفة والخبرة ، وجمع عليه قلوب من عرفه من رجالات الشرق والغرب . وكثير ما هم !

ولن أنسى قول المرحوم « مستر ألبرت فيش » الوزير المفوض الأسبق للولايات المتحدة فى مصر قبيل سفره من مصر إلى منصبه فى أسبانيا بيوم واحد حينما زاره ليودعه فى مكتبه برياسة القوات المرابطة منذ ثلاثة أعوام تقريباً : « ما كنت لأسافر من مصر قبل أن أودع اثنين : جلالة الملك فاروق وأنت »

فحسب عبد الرحمن بك شرفا أن يذكر هذا الذكر بجوار اسم « الفاروق » على لسان رجل أحب مصر والشرق العربى وفهم روحهما وعرف من يمثلها خير تمثيل .

هذا النموذج الإنسانى الرفيع الذى عرفته من قرب معرفة جيدة ، أحببت أن أرسم له صورة عاجلة لمناسبة تعيينه عميداً للشئون العربية بوزارة الخارجية وأميراً على ركب الحج هذا العام ، أضعها أمام الشباب الذى اختلطت عليه نماذج الخير والمجد ، ونماذج الشر والضعة . وإن فيه لقدوة صالحة لمن يريد أن يقتدى .

عبد المنعم خلاف



كتاب المستقصى للزمخشري

محمود جار الله الزمخشري المتوفى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة إمام من أئمة اللغة له تصانيف فائقة فى الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعانى ، وغيرها منها : (تفسير الكشاف) و (أساس البلاغة) و (المفصل فى النحو) وهذه أشهر كتبه وأكثرها تداولاً ، وله تصانيف غير هذه لا يعرف شيء عنها ، منها (المستقصى فى الأمثال العربية) ، ولندرة هذا الكتاب أحببت أن أقدم شيئاً عنه على صفحات « الرسالة » العزيزة

لم يذكر صاحب (معجم المطبوعات العربية والمعربة) هذا الكتاب فى حديثه عن كتب الزمخشري المطبوعة ، وهذا المعجم شامل لأسماء الكتب المطبوعة فى الأقطار الشرقية والغربية من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية سنة ١٩١٩ . على أن المرحوم جرجي زيدان يذكر فى كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) شيئاً عنه ، فيقول : « إن منه نسخة فى المكتبة الخديوية فى ١٧٨ صفحة ، ومنه فى مكاتب أوربا ، والظاهر أنه غير مطبوع .... »

وأقول إن النسخة التى اطلعت عليها تقع فى ٤٧٨ صفحة ولست أعتقد أن فى الشرق نسخة أكمل منها

يقول المؤلف فى مقدمة الكتاب إنه قد خرج هذه الأمثال « فى واحد وستين باباً ينطق كل باب منها بذكر ما يشتمل عليه أولاً ، ويفصح عن الاستشهاد وسياقه المراد آخراً ، وما منها إلا ما يتعلق فى اللغة بسبب ، ويضرب فى الاستعارات والتشبيهات بسهم » . وقد عقد الباب الأول منها للكلام فيما يضاف إلى اسم الله تعالى ، والباب الثانى فيما يضاف إلى الأنبياء ، والباب الثالث فيما يضاف إلى الملائكة والجن ، والباب الرابع فيما يضاف إلى القرون الأولى ، والباب الخامس فيما يضاف إلى الصحابة والتابعين ؛ ولا أريد أن أعدد جميع الأبواب ، وإنما أريد أن أذكر نماذج للمواضيع التى طرقها من غير أن ألتزم فى ذلك تسلسل الأبواب . فقد ذكر فى الأبواب الأخرى ما يضاف إلى الشعراء ، وما يضاف إلى البلدان والأماكن ، وما يضاف إلى الحيوان والطير ، ثم ما يضاف إلى النيران والشجر والنبات والطعام والشراب والسلاح والليالى والأوقات والأزمان ، ثم الأدب وما يتعلق به ، ثم فى فنون مختلفة مرتبة على حروف الهجاء ...

يتكلم فى الباب الأول فيما يضاف إلى اسم الله تعالى فيبين لماذا يقال : أهل الله ، وبيت الله ، ورسول الله ، وكتاب الله ، وخليل الله ، وأرض الله ، وسيف الله ، ونهر الله إلى آخر هذه الإضافات . ثم يمضى فى شرحها فيقول فى قولهم أهل الله مثلاً : « إنه كان يقال لقريش فى الجاهلية أهل الله لما تميزوا به عن سائر العرب فى المحاسن والفضائل والمكارم التى هى أكثر من أن تحصر ؛ فمنها : مجاورتهم لبيت الله تعالى ، وإيثارهم سكنى حرمه على جميع بلاد الله تعالى وصبرهم على أذى مكة وخشونة العيش بها ، ومنها ما تفردوا به من الإيلاف والرفادة والسقاية والوفادة والرياسة .. »

وهكذا يمضى فى بيان فضائل قريش وتعداد مناقبها . ثم ينتقل إلى الكلام فى بيت الله وفضائله ورسول الله (ص) وفضائله ثم ينتقل إلى الكلام فى سيف الله (خالد بن الوليد) . ويقول مثلاً عن نهر الله : « ... من أمثال العامة والخاصة إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل . وإذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى ، ونهر معقل بالبصرة ونهر عيسى ببغداد وعليهما أكثر الضياع الفاخرة والبساتين النزهة . وإنما يريدون بنهر الله النيل والأمطار فإنها تغلب سائر المياه والأنهار ، ولا أعرف نهراً مخصوصاً بهذه الإضافة سواها »

وينتقل بعد هذا إلى الكلام فى إضافات أخرى مثل حسن يوسف ، وبلاء أيوب ، وصدق أبى ذر ، وحلم الأحنف ، وندامة الكسعي ؛ فيذكر الحوادث والنوادر التى كانت سبباً فى هذه الاضافات وهو فى كلامه هذا أقرب ما يكون إلى المؤرخ . على أنه حين يتحدث عن الشعراء وما يضاف إليهم يجمع الأدب إلى التاريخ ، وقد ذكر الشيء الكثير مما يضاف إلى الشعراء مثل : حلة امرىء القيس ، وحلم لبيد ، وحوليات زهير ، وصحيفة المتلمس ولسان حسان ، وسيف الفرزدق ، وغزل ابن أبى ربيعة .. الخ ، ثم يتحدث عن حلة امرىء القيس فيقول : « يضرب مثلا للشيء

الحسن يكون له أثر قبيح » ، ثم يذكر قصة امرىء القيس ووفوده على قيصر. ويقول عن لسان حسان « يضرب به المثل فى الذلاقة والطول والحدة » ثم يذكر طرفاً فى أخبار حسان ويقول عن سيف الفرزدق « يضرب مثلا للسيف الكليل بيد الجبان » ، ويسوق حادثاً وقع لجرير والفرزدق كان سبباً فى هذا المثل . وقد كسر أبواب الكتاب الأخرى على ذكر مختلف الإضافات ولا أريد أن أمضى فى الحديث عنها لأن فيما ذكرت ما يكفى لإعطاء فكرة عن الكتاب وما فيه ولست إلى غير هذا قصدت .

(البصرة) عبد الحميد صالح البكر

مليم الأكبر

[جماعة النشر للجامعيين]

الأستاذ عادل كامل من أدباء الشباب المصريين الذين لهم فى عالم القصة قدر ملحوظ ، وقد فازت قصته « ملك من شعاع » بالجائزة الممتازة فى مسابقة وزارة المعارف ، ولكن قصة « مليم الأكبر » لم تفز بشىء من ذلك ، مع أنها فى نظرنا خير من قصته الفائزة ، وكان ظريفاً من جماعة النشر للجامعيين أن تختار هذه القصة بالذات لتقدمها لجمهورها من القراء لتطعيهم مثلا من أمثلة التحكيم الأدبى فى مصر ، وخصوصاً ذلك التحكيم الرسمى العجيب ... وقصة مليم الأكبر تشمل مقدمة ضخمة فى ١٢٨ صحيفة هى من أعن المقدمات الأدبية التى تذكرنا بمقدمات برنرد شو الممتعة . ولا بد من عودة إلى القصة فى فصل بذاته إن شاء الله .

وجيدة

[جماعة نشر الثقافة]

لست أدرى لماذا يؤثر الأستاذ شعبان فهمى الكتابة باللغة الدارجة المصرية وهو يداول الحوار بين أبطاله ، ولا سيما فى مثل قصته الجميلة « وجيدة » ... لا أنكر أننى كنت من أنصار هذا الرأى قبل أن أستبين خطله ، فاللغة الدارجة فى رأيى هى أداة للتحادث مؤقتة ، وسيقضى عليها انتشار التعليم والصحافة الراقية المهذبة ... ثم نحن لسنا لنا لهجة دارجة واحدة ، بل قد تعدو لهجاتنا الدارجة العشرين أو الثلاثين ... هذا غير لهجات الشعوب العربية الأخرى ... فإذا كان لدينا هذا اللسان العربى المبين الجامع الذى يخلصنا فى طول البلاد العربية وعرضها ، من هذه اللكنات العجيبة ، فلماذا نهمله وهو خير لنا كل الخير ؟ ثم لا يفوتن الأخ الفاضل أنه بإيثاره اللهجة الدارجة القاهرية يحصر مجهودة الأدبى فى محيط ضيق وقراء معدودين ، فلا أظن مثلا أن قارئاً عراقياً أو شامياً أو جزائرياً يرغب فى قراءة قصة طويلة كل حوارها بهذه اللهجة الدارجة التى لا يفهمها ، ونحن كمصدرين للأدب إلى إخواننا العرب ، يجب أن نلقى بالنا إلى تيسير الأداة التى نخاطبهم بها

وفى القصة بعض الآراء الجريئة التى يستجيدها بعض القراء كما يفرق منها بعضهم الآخر .

(د . خ)

القاهرة — من المعز الى الفاروق

[للبكباشى عبد الرحمن زكى]

مؤلف هذا الكتاب من رجال السيف ؛ إلا أن الله وهب له مزية البحث التاريخى ؛ فوقف عليه كثيراً من وقته ؛ ودرس حتى حصل على دبلوم فى الآثار من جامعة فؤاد الأول . ولا أطيل الثناء على هذا الصديق الوفى ، فأن أبحاثه ورسائله النفيسة الممتعة تغنيه عن كل ثناء . فهو صاحب كتاب « الجيش المصرى فى عهد محمد على الكبير » وهو سفر تاريخى قيم ؛ وصاحب رسائل « معارك مصرية فى القرن التاسع عشر » ، و « الصحراء المصرية والحرب » ، و « القائد إبراهيم » ، و « معارك مصرية فى القرن العشرين » ، و « موقعة كادش بين مصر وختيا » مشتركا مع الأستاذ محمد فاضل يوسف . و « حروب مصر القديمة » مشتركا مع اليوزباشى محمد حسين عواد . وغيرها .

وفى الكتاب أبواب عن قاهرة المعز ، وقاهرة صلاح الدين ، وقاهرة دولتى المماليك ، وقاهرة الباشوات والبكوات . وقاهرة محمد على باشا ، وقاهرة الخديو اسماعيل وقاهرة المغفور له الملك فؤاد وقاهرة الفاروق

وفى خلال هذه الأبواب فصول طريفة عن قصور القاهرة وأخطاطها ومساجدها وأسواقها ومشاهدها وحفلاتها ودور كتبها ومدارسها وكل أثر للحياة فيها . والكتاب يحق بعد تتمة لخطط على باشا مبارك على فرق ما بين الكتابين من الاجمال والتفصيل

إن مراجع المؤلف التى أثبتها فى آخر الكتاب تدل على طلاع واسع ؛ وقد استطاع صديقنا أن يصور لنا القاهرة فى ألف سنة فى « فيلم » تاريخى جميل

وإذا كانت العواصم حبيبة إلى نفوس الأهل ، فإن هذا الكتاب جدير أن يكون حبيباً إلى نفوس القراء .

محمد عبد الغنى حسن

12 me Année No. 596 — Lundi - 4 - 12 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
م
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٥٩٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٨ ذى الحجة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـرس

صفحة

١٠٦١ شعب مصر ... ... : الدكتور محمد مندور .
١٠٦٤ غرام يوم الثلاثاء ... : الدكتور زكي مبارك ..
١٠٦٦ كتابة عربية بالحروف اللاتينية ... . } الدكتور داود الجلبي الموصلى
١٠٦٨ انجلترة فى نظر سائح عربي : الأستاذ محمد عبد الغني حسن
١٠٧٠ فرقة التمثيل ومديرها الفني : الأستاذ حبيب الزحلاوى ..
١٠٧١ الحياة الأدبية فى السودان بين ماضيها وحاضرها } الأديب سعد الدين أ . فوزى
١٠٧٤ الذوق الأدبى العراقى ... : الدكتور مصطفى جواد : .
١٠٧٨ إلى أخى بفرنسا [قصيدة] : الأستاذ محمد برهام ... ..
١٠٧٨ مناجاة ... « : الأديب ابراهيم محمد نجا .
١٠٧٩ ١ — مالزكى مبارك وكتاب الله .. ٢ — إلى الأستاذ ابراهيم زكى الدين بدوى } الأستاذ محمد احمد الغمراوى
١٠٧٩ الأقوال وأصحاب الأقوال : الدكتور زكى مبارك ...
١٠٨٠ إلى الناقد سيد قطب .. : الأديب فوزى سليمان ...
١٠٨٠ إلى الأستاذ دريني خشبة : الأديب محمد العراقى ... ...

شعب مصر

للدكتور محمد مندور

لاقيت فى هذا الأسبوع ثلاثة من مفكرينا : أحدهم وجهاً لوجه ، وبيدى مقال أستعرض فيه ما نشكوه اليوم من مظاهر لانهيار الأخلاق ، وألتمس علاجاً لهذا الانهيار فى إصلاح نظمنا السياسية والاجتماعية ، عماً منى بأن التربية وبث مبادئ الأخلاق فى النفوس لا تكفى وحدها لتقويم النقص . ولقد أخذ محدثى على المقال ما فيه من قسوة ، وعنده أنه من الخطر أن نجسم للشعب مواضع ضعفه ، لأن ذلك التجسيم قد يزيده ضعفاً ، وإنه لأجدى على هذه الأمة أن نحاول رد الثقة إليها ، حتى ولو لم تكن تلك الثقة على أساس سليم ، وأما فضح العيوب ، فذلك ما لا ينبغي . وأضاف ، وهو من ذوى الأمر ، أنه كثيراً ما يتجاهل مواضع الضعف الأخلاقى فيمن يعملون معه ، ويردهم إلى الأخلاق ، وكأنه يستمدها من نفوسهم ذاتها ، فإذا نقل إليه أحدهم قيلة سوء ، فسرها على أنها قيلة خير ، محاولاً حمله على أن يكون إلى الخير قصده ، وعنده أن ذلك أجدى فى معالجة النفوس من هتك ضعفها وأخذها بالقسوة

ساقنى هذا الحديث إلى النظر فى الحكم على الشعب المصرى

ووجوب مواجهته بالحقائق أو سترها عنه ، واتفق أن قرأت فى هذا الأسبوع كتابين لمؤرخين من رجالنا ، فلاقيتهما على صفحات ما كتبا ، ولمست عند كل منهما اتجاهاً فى الحكم على الشعب المصرى يغاير اتجاه الآخر . فأما أولهما ، فقد استلفت نظرى حكمه في بعض مواقفه التاريخية ، حكما لا يخلو من صرامة ، حتى لقد وقع فى نفسى موقع السيف ، وخشيت أن يكون صحيحاً ، ولأضرب لذلك مثلين : الأول تفسيره لاستقرار الحكم وازدهار المدنيـة أيام الظاهر بيبرس وغيره من المماليك ، برغم ما كان فى حكمهم من شدة وعسف بقوله تفسيراً لخضوع المصريين وعدم ثورتهم للحرية : « إن ثمن الحرية — كما يقول الإنجليز — هو الكدح والدأب والمراقبة ، ولما كانوا (أى المصريون) يكرهون النصَب أكثر مما يحبون الحرية ، فقد عاشوا يستبد بأمرهم كل ذى همة وعزيمة » ؛ وفى قوله : « إنهم يكرهون النصب أكثر مما يحبون الحرية » ، ما يملأ النفس رهبة ، فتود لو لم يكن حقيقة . وفى موضع آخر يفسر نفس الكاتب سخط الشعب المصرى على الفرنسيين وثورتهم ضدهم أيام الحملة الفرنسية بمجرد حرصهم على ما ألفوه ... فقد رأوهم يقلقون عاداتهم ويزعزعون أساليب حياتهم الموروثة ، فيكرهونهم على نوع من الحياة لم يألفوه ، فى مقاومة الأمراض ، وتنظيف الشوارع ، وما إلى ذلك ، فثاروا بهم ، وهذه أيضاً قسوة فى الحكم ، لأن الكاتب لم يشأ أن ينسب إليهم ما نستشعره نحن اليوم من عاطفة وطنية ، أو تعلق بحرية وذود عن استقلال . وهـذا منهج قد تمليه الروح العلمية التى تلزم المؤرخ بأن يحكم بعقلية من يكتب عنهم ، لا بعقليته هو ، ولكننى مع ذلك أخشى أن يكون مؤرخنا قد أسرف فى القسوة وأسائل نفسى : هل من الحكمة ، بل هل من العدل ، أن نحكم على الشعب المصرى أحكاماً كهذه ؟ ونحن فى مجال التاريخ نحرص على الحقيقة أكبر الحرص ، ولكن ما هى الحقيقة التاريخية ؟ وفى كل تاريخ نوعان من الحقائق : وقائع ، وتفسير لتلك الوقائع ؛ فأما الأولى ، فمن الواجب الوصول إليها بجمع الوثائق ونقدها ، وعلى العكس من ذلك تفسير تلك الوقائع ، فهذا ما لا تحمله الوثائق ، وإنما يصل إليه المؤرخ باستنتاجه الخاص ، وهنا يكون تفاوت المؤرخين ؛ وتدخل شخصياتهم بحيث نستطيع أن نناقش أحكامهم دون أن يكون فى مناقشتنا خروج على المنهج العلمى السليم

وباستطاعتنا أن نناقش المؤرخ السابق بآراء الكاتب الآخر الذى لاقيناه يتحدث عن زعيم مصرى تركزت فيه يوماً نزعات شعبنا ، وهو السيد عمر مكرم . فمؤرخنا شديد الحماسة لتطلع هذا الشعب إلى الحرية منذ أوائل القرن الثامن عشر ، وهو يرى أن ظهور السيد عمر مكرم كان استمراراً وخاتمة لمحاولات عديدة قام بها زعماء الشعب المصرى الصميم للمساهمة فى الحكم ، وحمل الباب العالى على تعيين من يرتضونه والياً على مصر . وعنده أن سنة ١٨٠٧ هى التى وضعت حداً لتلك النزعة الشعبية ، وذلك لأن محمد علي عاهل مصر الأكبر ، وإن كان قد وصل إلى الحكم بموجة شعبية قوية قادها السيد عمر مكرم ، إلا أن ضرورة الحكم ، وحرص هذا المصلح الكبير على أن يحث الخطى فى النهوض بالبلاد ورفع مستوى الحضارة بها ، قد اضطراه لسوء الحظ إلى أن يرفض عرض السيد عمر مكرم فى تلك السنة مساهمته هو والشعب المصرى فى عونه على رد الإنجليز عن رشيد . والرأى عند مؤرخنا أن هـذا الرفض قد أثر فى تربية الشعب السياسية ، وباعد بينه وبين الاهتمام بأمور الدولة والمشاركة فيها نحواً من خمسة وسبعين عاماً ، أى من سنة ١٨٠٧ إلى ثورة عرابى ، وهنا أيضاً لا ندرى إلى أى حد قد بلغ عطف المؤلف على الشعب المصرى ، وإلى أى مدى قادته الرغبة فى تمجيده ؟ !

ويقف المرء حائراً ... أى وجهة يوليها فى حديثه عن هذا الشعب الذى نبنى كلنا خيره ؟ هل نمس فى رفق عيوبه ، ونواريها عنه إلا بمقدار ، ليظل محتفظاً بثقته بنفسه ؟ أم نشق عنها الحجب ، ونلقى الضوء كاملاً لعله يثيب ؟ وإذا عالجنا ماضيه ، هل

تقسو فى الحكم ، أم نلين ؟ وهل نحابيه ، أم نزجره ؟

إذا لم يكن بد من أن نفصل فى هذه الاتجاهات العويصة ، وجب — فيما أظن — أن نفرق بين الحاضر والماضى : فأما الحاضر ، فالحكمة فى أن نحدد فيه البصر حتى لا يأخذنا غرور مميت . وباستطاعتنا أن نتجنب الخطر بألا نقف عند تصور العيوب ، بل نلتمس لها العلاج . وليس من شك فى أنك لن تستطيع حمل النفوس على قبول جديد وتغيير قديم ما لم تبصرهم بما فى هذا القديم من عيب . والأمم لا يمكن أن ترق ما لم يشتد بها النقد ، وفيم الرغبة فى التغيير إذا لم يؤمن الناس بضرورته ؟

وأما عن الماضى ، فلعلنا نكون أقرب إلى الروح العلمية الصحيحة كلما كانت نظرتنا أكثر عمقاً وأكبر اتساعاً . وآفة الأحكام فى تفسير الظواهر كثيراً ما تأتى من التعميم ، فالمصريون مثلاً إذا كانوا يكرهون النصب ويؤثرون السلامة أكثر مما يحبون الحرية ، فإن ذلك لم يمنعهم عند ما يشتد بهم الاستبداد من أن يغامروا بسلامتهم مؤثرين الحرية على كراهة النصب . وفى حركاتهم الثورية أيام الحملة الفرنسية وعرابى ودنشواى وسنة ١٩١٩ أدلة على صدق ذلك . وهم إذا كانوا بفطرتهم محافظين يكرهون الخروج على ما ألفوه فيثورون ، إلا أنه قد لا يخلو من ظلم أن نرد حركتهم كلها إلى هذا الباعث ، فهم إذا كانوا لم يتحركوا لفكرة الاستقلال الوطنى بحكم تبعيتهم المتصلة للدولة العلية وعدم نشوء فكرة الانفصال عندهم إذ ذاك ، إلا أن الشعور الدينى مثلاً كان لا ريب من الحوافز التى يجب أن تضاف إلى نزوعهم إلى المحافظة على ما ألفوه . وهاهوذا الجبرتى نفسه يحمد الله أن سخر طائفة من النصارى (الإنجليز) لطرد طائفة أخرى (الفرنسيين) من أرض الوطن ، وبذلك يتحقق — فيما يقول — قول النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » . وهل من شك فى أن الدافع الدينى كان من محركات سليمان الحلبى مثلاً فى قتله لكليبر . ثم هل من الحق أو من الحكمة أن نجعل من الشعور الوطنى عاطفة تنهض بذاتها منفصلة عن مصالح الأفراد الذين يكونون الوطن ؟ ونحن ممن يعتقدون أن الوطنية ليست شعوراً بذاته ، وإنما هى مجموعة من المشاعر يستند الكثير منها إلى مصالح الناس ووسائل حياتهم ، ولهذا لن نمل تكرار القول بأن الوطنية الحقة لن تملأ نفوس المواطنين إلا إذا أحس كل منهم أنه عزيز فى وطنه ، ميسور الرزق فى كرامة ، متمتع بحياة تليق بالإنسان . وإنما يظهر انفصال الشعور الوطنى عن غيره من المشاعر والمصالح عندما يحدث التعارض ، وهنا يكون للمؤرخ الحق فى أن يقسو فى أحكامه أو يلين ، وأما عند ما تتساوق مصالح الناس ومصالح الوطن ، فمن الظلم أن يأتى المؤرخ فيفسر الحركات الوطنية بالدافع الأول دون الثانى

ونجمل الرأى بأن الخير هو دائماً فى اتساع النظرة سواء نظرنا فى الحاضر أو فى الماضى ، فأى أمة لا يخلو ماضيها أو حاضرها من مواضع ضعف ومواضع قوة ؟ ومن الواجب إبراز الجميع ليكون فى إظهار الضعف حافز للكمال ، وفى إظهار القوة داع للثقة

محمد مندور

غرام يوم الثــلاثاء

للدكتور زكي مبــارك

أخي الأستاذ الزيات :

إليك أقدم تحية الشـوق ، ثم أذكر أني أكتب هذه الكلمة ، وهي مقدمة القصيدة الآتية ، بعد المحادثة التليفونية التي دارت بيني وبينك منذ لحظات في صباح هذا اليوم ، وهو يوم عرفات ، أعاده الله عليَّ وعليك بخير وعافية !

وقد اتفقنا على نشر هذه القصيدة بالرسالة في العدد المقبل ، لأستريح منها وتستريح مني ، فلو بقيتْ بين يديّ أياماً أُخَر لقتلتني ، لأنها تقهرني على الغناء بعد نصف الليل ، وهو أصلح الأوقات للغناء ، ولكنه يُكدَّر بمحادثات تليفونية مزعجة ، فقد يحلو لكل سامر أن يسأل عني بعد نصف الليل ، وكذلك الحال مع السامرات ، فهنّ يزعجنني بلا ترفق ولا إشفاق

أنا أعرف أن قرائي يحبونني ، لأن أدبي يقوم على الصدق ، ولكني أرجوهم أن يترفقوا فلا يسألوا عني بعد نصف الليل

عفا الله وصفح عن أولئك الهاتفات بعد نصف الليل !

أترك هذا وأحدثك عن تاريخ هذه القصيدة ، فلها تاريخ وتواريخ

هذه القصيدة من وحي روح غالية ، هي الروح التي تلقيت عنها الدرس الممتع المشبع في شرح نظرية وحدة الوجود

ما أكرمَ دمي وما أسخاه حين أسمع صوتها الجميل !

أترك هذا أيضاً وأحدثك عن التاريخ الجديد لهذا القصيد :

رأى صديقٌ عزيز أن يغنيه الأستاذ محمد عبد الوهاب ، وتقابلت صديق عبد الوهاب في مكتبه بشارع توفيق

مَن يصدّق أن هذا الباكيَ الشاكي رجل أعمال ؟ !

قدّمت إليه القصيدة ومعنا الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، الذي وضع قانون اللغة العربية ، فنظر في القصيدة لحظات ، ثم اقترح تعديلات ، فما تلك التعديلات ؟

إنه اقترح أن أنوّع الأوزان ليلعب كما ألعب » وذلك نص كلامه بالحرف »

وكان الوجد في ثورته الطاغية ، فرأيت أن أنوّع الأوزان ، ليلعب كما ألعب ، وما كنت يوماً من اللاعبين !

ثم خطر في البال أن أغني قصيدتي في محطة الإذاعة بصوتي ، وهو في رخامة صوت الموسيقار محمد عبد الوهاب ، ولكنّ أبنائي اعترضوا ، فما يجوز عندهم أن يكون أبوهم من المغنين ، وهو يملك أكبر مجموعة من الألقاب العلمية

قلت لأبنائي : ألا تسمعونني أغني من حين إلى حين بقوة تنقل صوتي من الدور الثاني إلى أسماعكم بالدور الأول ؟

قالوا : نَعمْ

قلت : أنا أغني أشعاري حين يجود بها الوحي ، فما الذي يمنع من تقديم صورة ناطقة يعرف بها الجمهور كيف أنظم أشعاري؟

قالوا : وأين الملحّن ؟

قلت : أنا الملحّن ، فالشعر شعري ، وأنا أعرف كيف ألحّنه بالصورة التي تموّجتْ بها خفقات قلبي

لم يكن من السهل أن أقنع أبنائي ، وهل أقنعت نفسي حتى أقنع أبنائي ؟

إن جاز أن أغني هذه القصيدة في محطة الإذاعة ، فيجب أن أكون في حال تشابه حالي في الأوقات التي نظمت فيها هذه القصيدة

وهذا غير ممكن ، ففي المذيعين فريقٌ من تلاميذي ، ولم يرني أحدٌ من تلاميذي في لحظة بكاء

نظمت هذه القصيدة وأنا أبكي من الفرح ، وأصرخ من الفرح ، فما أنعم الله على شاعر بمثل ما أنعم عليّ بإقبال تلك الروح

من حق الحياة أن تصنع بأبنائها ما تريد ، فتُسعدهم أو تشقيهم كما تريد ، ولكنني فوق الحياة ، لأنني العاشق المسيطر على تلك الروح

ثم ماذا ؟

ثم أُخبر صديقي صاحب « الرسالة » باعتراض الصديق محمد عبد الوهاب ، إنه يقترح ترك المكان والزمان ، فلا أقول « مصر الجديدة » ، ولا أقول « يوم الثلاثاء »

أنا أوافق على اقتراح هذا الصديق العزيز ، بشريطة واحدة هي أن يسمح بتزوير العواطف ، والغرام الذي أوحى هذه القصيدة

مكانه فى مصر الجديدة ، وزمانه فى أيام الثلاثاء

إن قراء « الرسالة » يذكرون أنى أول كاتب وجّه الأنظار إلى الفتن التى تُنثر نثراً فنيًّا فى شارع فؤاد

سأغنى بجمال بلادى ، سأغنى بجمالها إلى آخر الزمان

أما بعد ، فقد اتفقت مع الأستاذ الزيات على إبداع هذه القصيدة « بمطبعة الرسالة » فى يوم الأربعاء ، لأستريح منها وتستريح منى ، فما لى قدرة على التفكير فى مصر الجديدة أيام الثلاثاء ، ولا أنا قادر على تصور غرامى بمصر الجديدة أيام الثلاثاء ، ولا أنا مستطيع نحر قلبي فى يوم عرفات

أنا بخير وعافية ، فلى مع هذه الروح فى ليلة عيد القمر ميعاد

وسأغنى بحضرتها القصيدة الآتية فأقول :

يا ليل ، يا ليلى ، يا ليل

يا ليل ، يا ليلى ، يا ليل

يا ليل ، يا ليلى ، يا ليل

وهنا أذكر أن الأستاذ عبد الوهاب اعترض على هذه الزفرة المحرقة :

يا ليل ، يا ليلَى ، يا ليل

وقال : سأترك هذه الكلمات عند الغناء

فقلت : ولكنى كنت أهتف بهذه الكلمات عند كل فاصلة من فواصل هذا القصيد ، فتأمل لحظة ثم قال : هى كلمات غير مفهومة ، ولكنها « شمهورش » ، وللجن وحىٌ يضلل الشعراء !

وأردت أن آخذ القصيدة لأردها إليه فى حدود ما اقترح ، ولكنه قال : اترك لى هذه النسخة ، وعدّل النسخة التى عندك ، فستكون لى معاودات أصل فيها إلى سريرة قلبك فى اللحظات التى نظمتَ فيها ذلك القصيد

تاريخ لطيف

الصفحات الماضية كُتبتْ بالأمس ، وهو يوم عرفات ، والصفحات الآتية أكتبها فى مساء هذا اليوم ، وهو يوم العيد ، فما الذى وقع فى صباح هذا اليوم ؟

مضيت إلى قصر جلالة الملك لأقيد اسمي فى دفتر التشريفات ، وتلك فرصة ذهبية أرى فيها أصدقاء لا يتسع الوقت للسؤال عنهم فى يوم العيد

وراعنى أن أرى رجلاً يجذب يدى بعنف وهو يقول : قيد اسمك وتعال معى !

والتفتُّ فإذا هو الأستاذ وهيب دوس الذى تحدثت عنه فى مجلة « الرسالة » مرات ، ففرحتُ بلقائه وصحبته إلى حيث يريد ، وشاء كرمه أن ينقلنى بسيارته إلى سنتريس ، فكانت النتيجة أن يصحبنى إلى حيث أريد

وفى الطريق سألنى عما يشغلنى من الشؤون الأدبية فقلت : إنى مشغول بنظم قصيدة فصيحة على وزن الموّال

— وما الموجب لذلك ؟

— الموجب واضح فى نفسى ، وهو أن وزن الموال وزنٌ قديم عرفه المصريون قبل الإسلام بأزمان وأزمان ، ولهذا يغنُّونه بسهولة عجيبة ، تشبه السهولة التى يغنى بها أهل الشام والعراق قصائد العرب القدماء

— وإذن ؟

— وإذن يجب أن ننظم الأغانى باللغة الفصيحة نظماً تأنس إليه الموسيقا المصرية ، فنجمع بين المزيتين ، ونتقى لذعات الأستاذ سليمان الصفوانى

— ومن هو الصفوانى ؟

— هو صديق عراقي عيّرنى فى مجلة بغدادية بأننا ندخل « لم » على الفعل الماضى فنقول :

« فى البحر لم فتكم فى البر فتونى »

وقد أجبت بأن « لم » تجعل المضارع ماضياً ، فدخولها على الماضى توكيد ، والجواب صحيح ، ولكن ما الذى كان يمنع من أن يقول صديقنا عبد الوهاب :

« فى البحر ما فتكم ... »

— وما هى خصائص هذه القصيدة ؟

— لها خصيصة أساسية ، وهى التحرر من مراعاة ما يسمى فى علم العَروض بالإيطاء ، فاللفظة تُقبَل بكل ترحيب حين يوجبها المعنى ، فلن ألتزم ما التزمتُه فى قصيدتى عن الأسكندرية وقصيدتى عن مصر الجديدة ، وقصيدتى عن بغداد ، فكلمة « الساقى » كررتها عامداً متعمداً لأنها مطلوبة فى القطعة الآتية :

شربتُ دمى فلا كأسٌ ولا ساقى

كتابة العربيـــة
بالحروف اللاتينية
للدكتور داود الجلبي الموصلي

فى المجلات والجرائد العربيـة ضجة فى هذه الأيام حول إصلاح الحروف العربية أثارها اقتراح معالى عبد العزيز فهمى باشا لتيسير كتابة العربية باستعمال الحروف اللاتينية . قام كثير من الكتاب يؤيدون صعوبة الخط العربي ونقائصه ولكنهم يحجمون عن التوصية باستعمال الحروف اللاتينية ذاهبين مذاهب شتى كلها خاطئة فمنهم من يتوهم أن الحروف اللاتينيه تخل بالدين ، ومنهم من يعتقد أنها تهدم القومية وتضيع معها اللغة ، ومنهم من يرجح التمسك بالحروف العربية مع الاعتراف بنقائصها وصعوبة التعلم بها والتحريف والتصحيف اللذين ينشآن عنها ، يرجحون بقاءها لا لسبب إلا لكونها قديمة . فهذه أوهام لاظل لها من الحقيقة . واقترح بعضهم ابقاء الحروف العربية مع شيء من التعديل ولم يأتوا بشيء تطمئن اليه النفس . ومن الغريب أن أحدهم اقترح الحاق خطيطات برؤوس الحروف للدلالة على الحركات ، ولكنه لما لم يطمئن هو نفسه إلى اقتراحه هذا اضطر إلى أن يوصى باستعمال هذه الإشارات فى المطابع فقط وإبقاء الخط باليد على ما هو عليه .

لقد لاحظت أن جميع من كتب عن الكتابة العربية ذكر من نقائصها أولاً اختلاف أشكالها حسب وقوعها فى أول الكلمة أو وسطها أو نهايتها وحسب انفصالها أو اتصالها بما قبلها وبما بعدها ، وثانياً خلوها من حروف الحركة . ونسوا أو تناسوا تشابه كثير من حروفنا مع بعضها وعدم تفريقها إلا بالنقط كالباء والتاء والثاء والنون والياء ، وكالجيم والحاء والخاء ، وكالدال والذال ، وكالراء والزاى ، وكالسين والشين ، وكالصاد والضاد ، وكالعين والغين ، والفاء والقاف مع تشابه هذين الأخيرين مع العين والغين فى أوساط الكلمات إن هذا التشابه فى الحروف أوجب ، منذ وجدت الحروف العربية ، ولا يزال يوجب أتعاباً جمة لكتاب العربية وأدبائها بسبب التصحيف الذى ينشأ عنه . إن الذين يعانون تدقيق وإصلاح الكتب لتهيئتها للطبع يدركون أكثر من غيرهم الصعوبة الناجمة عن تشابه الحروف هذا وأستطيع القول إن جانباً من علم القراءات ما كان يكون له وجود لولا هـذا التشابه فى الحروف . وكذلك قل عن الاختلافات فى رواية وضبط بعض الأحاديث الشريفة

مضى نديمى وخلّانى لأشواق

يا ساقِىَ الراح هات الدمعَ يا ساقي

دمعى هو الراح فاسقينيه يا ساقى

يا ساقىَ الدمع بعد الراح يا ساق

دمعى دمٌ فترفّق أيها الساق

— إذن نرجع

— إلى أين ؟

— إلى القاهرة ، وإلى دار أم كلثوم ، فهى القادرة على غناء هذا القصيد

— نروح اسكندرية !

— ما ذا تقول ؟

— كل طريق على غير هُدًى هو « نروح اسكندرية » كالذى وقع فى فيلم « يحيا الحب »

— لا أفهم ما تقول

— أنا أهديت هذه القصيدة إلى الأستاذ محمد عبد الوهاب

— وأنا سأهديها إلى الآنسة أم كلثوم بإذنٍ صريح من الأستاذ محمد عبد الوهاب

***

رجعنا إلى القاهرة ، فما لقينا أم كلثوم ولا عبد الوهاب ، فقد صمت التليفون هنا وهناك ، وأراد الأستاذ أن يدعونى للغداء فاعتذرت ، برغم ما سمعت عن فخامة المآدب التى يقيمها الأستاذ وهيب دوس

أنا لا أشكو إلا من جوع روحى

هل أنشر فى هذا العدد من الرسالة « غرام يوم الثلاثاء » ؟ الموعد فى العدد المقبل ، وإنه لقريب

زكى مبارك

وفى قراءة أسماء الأعلام وغيرها . إن زلة القلم قليلاً تحمل النقطة نقطتين ، وتقصيره قليلاً يحمل النقطتين نقطة . لا ننتظر اتقاناً وضبطاً فى قراءتنا وكتابتنا ولا سهولة فى تعلمها مالم نطرح هذه الحروف ونستعمل الحروف اللاتينية التى لا غنى لنا عن تعلمها وإن أبقينا على حروفنا لاحتياجنا إلى تعلم ألسنة الغربيين والاقتباس من علومهم ومعارفهم . فباتخاذنا حروفهم نكون قد وفرنا على أنفسنا تعلم نوعين من الحروف

وخلاصة القول إنى أؤيد معالى عبد العزيز فهمى باشا فى فكرة استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، الفكرة التى بعثت على يده من جديد بعد أن كنت أول من نادى بها منذ ٣٧ سنة . فانى كنت قد بثثت هذه الفكرة فى استنبول وطبعت فيها رسالة بالتركية أسميتها (إصلاح حروفه دائر) أوضحت فيها بإسهاب مصاعب التعلم والقراءة والكتابة بالحروف العربية والتصحيف والتحريف اللذين ينشآن من استعمالها وحثثت فيها الترك والعرب والإيرانيين على استعمال الحروف اللاتينية عوضها . وكان تاريخ طبع الرسالة المذكورة سنة ١٣٢٦ هجرية ، أى قبل أن تستعمل الترك الحروف اللاتينية فى كتاباتهم بـ ١٨ سنة . وكانت بعض الجرائد المصرية قد تناقلت خبر اقتراحى ورسالتى فى حينه . ثم كنت قد دافعت عن رأيى هذا فى مقالتين نشرتهما لى جريدة العراق البغدادية سنة ١٩٢٨ وأعنى الآن أن تروج هذه الفكرة فتقوم مصر وسوريا والعراق باستعمال الحروف اللاتينية فتقتدى بها سائر الأقطار العربية . فأهنئ معالى الباشا بقيامه بهذا المشروع

بيد أنى لا أرى من الموافق إدخال بعض الحروف العربية بين الحروف اللاتينية كالجيم أو الحاء أو الخاء أو الصاد أو الضاد أو غيرها بصورها الأصلية أو مقلوبة . وإنى كنت قد عالجت الحروف العربية التى لا نظير لها فى الأبجدية اللاتينية فى رسالتى السالفة الذكر . وإنى مرسل لمعالى الباشا نسخة منها لأجل الاطلاع . إن فى الألبانية حروفاً لا وجود لها فى اللاتينية كالثاء والجيم والذال اتخذوا لها حروفاً تنسجم مع الحروف اللاتينية . وفى اليونانية ثاء وخاء . وهناك الطريقة التى يستعملها المستشرقون فى ضبط الألفاظ العربية . وعند الروس والأرمن حروف تقابل بعض حروفنا التى لا نظير لها فى الأبجدية اللاتينية فيمكن أخذ بعضها بأشكالها من الروسية واتخاذ البعض الآخر من الأرمنية بتعديل طفيف . أما حشر حروف عربية بين الحروف اللاتينية فيكون بمثابة ترقيع ثوب برقع من غير جنسه . لأن أشكال الحروف العربية لا تنسجم مع الحروف اللاتينية . وعدا ذلك إننا إذا استعملنا حرف الحاء (ح) كما هو ووقع فى وسط كلمة واتصل بما قبله وبما بعده أخذ شكل حرف الراء (r) اللاتينى تماماً

إنى عالجت فى رسالتى بعض الحروف فى لساننا باعتبار كون أحدها يلفظ مرققاً يقابله آخر مثله يلفظ مفخماً . فما لاشك فيه أن الطاء تاء مفخمة . والضاد دال مفخمة . والظاء ذال مفخمة . وكذلك الحال مع الصاد والسين ، والقاف والكاف . ويمكننا بنوع من التقريب اعتبار العين همزة مفخمة ، والغين كافاً فارسية مفخمة . والحاء هاء مفخمة . فنستطيع الدلالة على الحروف المفخمة بإشارة للتفخيم يتفق عليها توضع على الحروف المرققة . وبذا نكون قد استغنينا عن اتخاذ أشكال لحروفنا المفخمة

هدانا الله جميعاً طريق الصواب ، وألهم أولى الأمر ومنهم أعضاء المجمع اللغوى لفؤاد الأول قبول هذه الفكرة المصيبة ، إنه هو الهادى .

الدكتور داود الجلبي الموصلي

من رحلات القرن الماضي

انجلترة

فى نظر سائح عربى

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

تختلف أساليب الرحالين والسياح فى كتبهم تبعاً لاختلاف أمزجتهم وطبائع نفوسهم . فمنهم المتزمت الوقور كابن جبير ، ومنهم الناقد اللاذع كعبد اللطيف البغدادى — وخاصة حينما نزل مصر ورأى فيها مالم يعجبه . ومنهم المحدث المنفصل بالحديث عن نفسه والدوران حول شخصه كابن بطوطة . ومنهم الذى يدرس الطبائع والظواهر كالمسعودى . ومنهم الدقيق الملاحظة المستفيد مما تقع عليه عينه ليقدمه إلى بلاده بعد عودته كالشيخ رفاعة الطهطاوى . ومنهم الذكى المتوقد الذى يتتبع كل أمر ، ويتقصى كل شىء ، وينظر إليه من وجهيه . ولا تفوته النكتة اللاذعة والفكاهة المرة — أو الحلوة — والنادرة المكشوفة ، والعبارة المفضوحة كأحمد فارس الشدياق صاحب مجلة الجوائب . والشدياق من رحالة العرب فى القرن التاسع عشر . وهو قرن اشتهر فيه منهم رفاعة الطهطاوى وأمين باشا فكرى وأحمد زكى باشا . ولكنهم على فضلهم لا يرتفعون إلى منزلة الرحالة الأولين من العرب .

ومن كتاب الرحلات فى القرن العشرين لبيب البتانونى بك فى رحلاته إلى الحجاز وأسبانيا وأمريكا الجنوبية . وأمين الريحانى فى رحلته إلى بلاد العرب . وأحمد حسنين باشا فى رحلته إلى صحراء ليبية . والدكتور عبد الوهاب عزام فى رحلاته إلى البلاد الشرقية ومحمد ثابت فى رحلاته المتعددة حول العالم ، وأحمد عطية الله فى رحلاته إلى أوربا وفؤاد صروف فى مشاهده فى العالم الجديد

ولكل واحد من هؤلاء سبيله فى الوصف ، إلا أنهم يشتركون جميعاً فى طابع الجد الذى يميز كتبهم

ولكن الشدياق غير هؤلاء جميعاً . فالمزح طبع أصيل فيه يشهد بذلك كتابه (الساق على الساق) . وهو كتاب لم يخل من مجون أخذه عليه أهل الفضل والنظر .

وللشدياق رحلتان : أولاهما « الواسطة فى معرفة أحوال مالطة — وضعها سنة ١٨٣٤ » . وثانيتهما « كشف المخبا عن فنون أوربا — طبع سنة ١٨٥٤ »

وقد أعلن المؤلف فى مقدمة رحلتيه أنه يكتب عن حق ويروى عن صدق ، فلم يمل به هوى أو غرض إلى انحراف أو ميل . أو تفضيل قوم على قوم . وإنما يكتب بحسب ما ظهر له أنه الصواب

ولكن المتصفح لكتابه يرى فيه تحاملا وتجنياً . فهو متحامل على لندن . ولعل ضبابها ودخانها أثرا فى مزاجه ، وهو رجل مرهف الحس ، مرح كثير النقلة والحركة . فلم يعجبه مجلسه فى بيت انجليزى هادىء أمام موقد يرمى باللهب . وآثر الانطلاق إلى بعض عواصم أوربا الموسومة بحياة خارج الدور لا تسجن بجدران ! ولا تثقل بوجوه دائمة من السكان .

وفى رحلة الشدياق إلى انجلترة من الحقائق والاحصاءات الدقائق والدرس الواسع مالا يستهان به . وكان يسعفه فى ذلك الرجوع إلى الوثائق الرسمية . ومن هنا كان لكتابه قيمة تاريخية ولمشاهداته قيمة من ناحية الاستقصاء ، وفيها كثير من الموازنة والظرف والفكاهة ، والسخرية اللاذعة التى لازمت الشيخ الأشيب حتى على بياض لمته ...

فالقرية الانجليزية الصامتة المتزمتة التى وصفها الشدياق هى هى التى نراها اليوم (ليس فيها مواضع للهو والحظ ، وإذا أرادوا اللهو عمدوا إلى أجراس الكنيسة يضربونها فتقوم عندهم مقام آلات الطرب) وذلك حق من الشدياق ؛ فالريف الانجليزى على جماله يخيم على قراه هدوء حزين لا يسر الطبائع المرحة التى تجد فى الحركة والصخب أنسا وراحة .

والشدياق يصف من الريف أرضه وسماءه وكل شىء فيهما ... حتى البقلة الناجمة والزهرة الحالمة ... ويوازن بين بقل وبقل ، وزهر وزهر . ويدرك الفرق بين أزهار مالطة وشبيهاتها فى فرنسة وانجلترة . ويصف حيوانه وصفاً دقيقاً . ولا تفوته النكتة فيقول (ومما من الله به على هذه البلاد

– يعني انجلترة – أن ليس فيها حيات ولا عقارب ولا سوام أبرص، ولا ابن آوى يعوى فى الليل، ولا نمس يأكل الدجاج ولا بعوض يمنع من النوم، ولا براغيث فى الربيع إلا نادرا)

والشدياق حين يلاحظ الأمور الجارية فى رحلاته يردها إلى علل معقولة طبيعية أو اجتماعية. فالانجليزى يتخطى السبعين ولا يخط الشيب رأسه ولا عارضه. على عكس ما هو حادث فى الشرق. ويرد ذلك إلى أن الشيب سببه الهم والخوف وتوقع المساءة من أولى الأمر وذلك معدوم فى انجلترة لفشو العدل بينهم واطمئنان الناس إلى حقوقهم

ويلاحظ رحالتنا العربى فرقا بين ملامح الرجل المدنى وأخيه القروى فى انجلترة. فالأول ضاحك السمات، مشرق البسمات. والثانى كثير العبوس قليل البشاشة لا يستخفه طرب ولا يستثيره لهو إلا فى القليل. ويرد رحالتنا ذلك إلى حياة اللهو فى المدن فينشأ الطفل على الطرب والخفة والبشاشة. أما القرية فقلَّ أن تجد فيها ملهى قائماً أو ملعباً دائماً.. ومن هنا نشأ أطفالهم على الجد والعبوس والتوقر

وعيب الشدياق فى رحلته كثرة الاستطراد. وذلك عائد إلى ازدحام المعانى والأفكار والمعرفة عليه. فهو يروى ويصف ما شاهد ويؤيد ذلك بواقعة حال أو عبارة من مقال. أو يذكر بيتاً من الشعر أو لطيفة من الأدب أو حكاية عن العرب. ثم يعود بعد لف طويل إلى موضوعه الأول

وهو خبير فى رحلاته بكل شىء. تراه عارفاً بالطعام، ذواقة لألوانه، خبيراً بأطايبه ناقداً لمعايبه... ولهذا لم يعجبه الطعام الانجليزى على بساطته

وتراه خبيراً بالنساء طبيباً لأدوائهن... دارساً لخبايا نفوسهن. يعرفهن بالرمز والاشارة، كما يعرفهن بالقول والعبارة. ويقدِّر جمال المرأة أحسن تقدير... ويؤثر العين والفم فى وجه المرأة لأنهما يتحركان فيحركان الوجد ويثيران الشوق. ولا يذهب مع من قال (أحب منها الأنف والعينان) بل يذهب مع الراجز الآخر حيث يقول: يا ليت عيناها لنا وفاها...!

وتذهب به ملاحظته بعيداً فيتتبع الكتاب والشعراء الانجليز فى وصف محاسن المرأة. ويلحظ الفرق بيننا وبينهم فى التشبيه والاستحسان. فهم لا يشبهون العيون بالسيوف كما يفعل شعراؤنا، ولا يشبهون المرأة بالشمس والقمر كما نفعل نحن. ولا يشبهون جيدها بجيد الغزال، وإنما يشبهون الجيد بالمرمر أو يقتصرون على وصفه بالبياض. ويشبهون المرأة بالنجم. ولا يستحسنون الفلج فى الأسنان كما نستحسنه نحن. ويستطرد إلى غسل النساء وجوههن بالصابون فينقله ذلك إلى أول من عمل الصابون. وإلى أول عهد استعماله فى لندن سنة ١٥٢٤، وإلى مقدار ما يستهلكه الانجليزى منه فى العام تبعاً لما وصل إلى علمه من احصاءات

ويصف تقدير المرأة الانجليزية للهدية وتعظيمها لها مهما قل شأنها وتفه أمرها. فلا تراها إلا مثنية على المهدى معترفة بحسن صنيعه. مبالغة فى وصف الهدية وتقديرها حتى يتوهم المهدى أنه صار رابعاً لحاتم الطائى وهرم بن سنان وكعب بن مامة من أجواد العرب...

ولا يفوته وصف الفلاحة الانجليزية وهى تعمل فى الحقل؛ حتى ليشفق عليها من البرد يعض جسمها، ومن شمس الصيف تلوح وجهها.. ويأسف لهذا الجمال الذى يرخصه مزاولة الأعمال. وينحى باللائمة على الرجال الذين يحوجون المرأة إلى هذا الابتذال

ولو عاش الشدياق فى عصرنا هذا ورأى المرأة الانجليزية فى المصانع وفى لباس الجنود، وفى طبقات الجو وحُبُك السماء، ولو رآها تلعب دورها فى هذه الحرب الضارية فماذا كان يقول؟

ولكن النكتة لا تفوته فى هذا المقام فيضع شعرا فى الفلاحة الانجليزية يقول فيه:

فلو برزت سواعدهن يوماً	لشاعرنا لأنشد من ذهول
ربات الحقول يحق لى أن	أشبب لا بربات الحجول...

كما لا تفوته النكتة البديعية فيعمل جناساً بين الحقول والحجول

ويثنى الشدياق على المرأة الانجليزية كزوجة صالحة وربة بيت تدير شئونه وتصرف أموره على أحسن تدبير وأكمل تصريف. ويقرر (أن من تزوج بإحداهن فقد هنأه العيش وقرت عينه بما يراه من نظافة منزله مع الاقتصاد فى النفقة وراحة البال من الأسباب الباعثة على الغيرة)

ولقد قر هو نفسه عيناً بزوجة انجليزية صالحة إلا أنه لم ينجب منها. ولكنه أنجب من غيرها ثلاثة ذكور أكبرهم سليم الشدياق الذى ظفر بثقة السلطان عبد الحميد واحتل فى الآستانة مكاناً رفيعاً

محمد عبد الغنى حسن

فرقة التمثيل ومديرها الفنى

للأستاذ حبيب الزحلاوى

لم نحمل على الفرقة القومية التى كان يرأسها الأستاذ الجليل خليل مطران بك كرهاً لها ، أو تقليلاً من قدر رئيسها الفاضل ، لأنه يستوى عند الأديب الغيور على فن المسرح أن تكون الإدارة بيد بكر أو خالد من الناس ، إنما حاربناها لتصدر مديرها إلى تحمل أعباء مسؤولية فنية أثقلت عاتقه ومهلت لذوى أغراض خبيثة إرضاء مطامعهم وشهواتهم على حساب فن المسرح .

وأزعم أن لو استجاب الأستاذ مطران دعوات الداعين إلى إيجاد مدير فنى يقظ الذهن يدرك غرض الحكومة من إنشاء الفرقة ، ويحرص على فن المسرح تأليفاً وتمثيلاً وإخراجاً ، لما حدث الانقلاب الذى نتج عنه تبديل فى الإسم واستبقاء للغرض والوضع

فرحنا أيما فرح عند تأليف الفرقة المصرية للتمثيل ، وقد أسند مديرها الجديد إدارتها الفنية إلى الأستاذ زكى طليمات الفنان المتخصص ، واغتبطنا أيما اغتباط عند ما تألفت لجنة القراءة من رجال بعيدين البعد كله عن تزمت شيوخ لجنة القراءة السابقة وعنعناتهم ، يحدوهم غيرة على الفن وحب للأدب لا دخل فيه ولا تصنع . ووقفنا بعيداً ننتظر قطف ثمار هذا الانقلاب

كأنى بالأستاذ زكى طليمات ساير الزمن فى انقلاب أوضاعه وماشى حكاماً استهانوا بكل شىء وأقاموا من شهواتهم قوانين للطغيان والظلم والكسب ، فجنح هو أيضاً عن دستور الفرقة وقوانينها ، وهبط إلى مستوى الفرق الأهلية التى تراعى الربح المادى ولا تلتفت إلا إلى الفوائد المادية المعدودة بالمليم والقرش ، فصرنا نشاهد على مسرح الأوبرا الملكية تمثيل رواية « شهرزاد » و « يوم القيامة » و « سلك مقطوع » و « كانا كده » ... وما شاكل هذه التلفيقات البهلوانية والتهريج الرخيص

بودى لو تسمح لى أعمالى الخاصة بالوقوف عند كل رواية من هذه الروايات التى لا تشرف أحط الفرق الجوالة لو مثلتها فى ساحة عامة على مشهد من السوقة والدهماء ، وإنى لأعجب والله كيف يباح لفرقة حكومية تعيش من أموال الدولة أن تقول عن أبناء الأمة إنهم كلهم ديوث وقواد وعكروت (وكانا كده) ؟!

أفهم أن يعمد مؤلف إلى إبراز أشنع الصور الأخلاقية والاجتماعية ، ويمعن فى التهويل وفى تزييف هذه الصور إلى حد يجعلها بغيضة مكروهة من كل النفوس ، حتى نفوس الأشرار والمستهزئين ، أما الذى لا يمكن فهمه ولا تسوغه سوى عقلية المدير الفنى للفرقة الحكومية أن يقال للأمة « كانا كده » !

ناهيك بالانحراف عن الكلام الفصيح ، والتزام اللهجة العامية وتعابيرها النابية ، والتنكيت البارد ، والحركات السمجة ، والزار ، وضرب الطار ، وهز البطن والأرداف ، « والتشليق البلدى » فى رواية « يوم القيامة » ، وقد كان ضحيتها ممثل بارع افتديه « بمعهد فن التمثيل » هو الممثل المقتدر عباس فارس ، وقد اختاره زكى طليمات المدير الفنى لأن يكون ذبيحة تلك الرواية ومهرجاً فيها ... فيالخيبة الفن !

وهكذا فعل أيضاً ، فقد سخر أحمد علام وحسين رياض لأن يكونا مهرجين فى رواية « سلك مقطوع » ، ولم يسخرهما اعتباطاً ، بل لغرض كامن فى قرارة نفسه . ولم يخترهما لرواية « يوليوس قيصر » ، بل تحايل بالمرض على تقديم فسا كل من الممثلين المبتدئين ليمثلا دورهما ، فكانوا على المسرح كالغراب صوتاً ومشية ...

لا تخلو تصرفات المدير الفنى فى توزيع أدوار الرواية من الغرض ، هذا إذا لم أقل مع الممثلين إنه يتعمده تعمداً ، فقد شاهدت تمثيل رواية « الوطن »

وقد كانت بطلة تلك الرواية ممثلة لا أعرف اسمها ، ولكنى أذكر قصر قامتها ، وشلل أوتار وجهها الذى لا يعبر عن شىء ، وثقل حركتها ، وعجز حنجرتها عن تلوين صوتها لعلة فى مخارجه !

ألمثل هذه الممثلة الباردة يسند تمثيل رواية عنيفة ، متعددة المواقف ، متنوعة التلوين والانفعالات ؟؟

الحياة الأدبية في السودان

بين ماضيها وحاضرها

للأديب سعد الدين أ. فوزى

لا أريد أن أطوى القرون القهقرى ، لأتكلم عن النهضة الأدبية فى السودان القديم الذى عاصر الفراعين فى مصر ، والبابليين والأشوريين فى العراق . ولا أريد كذلك أن أقتصر على النهضة الأدبية الناشئة الآن ، ولكنى أحب أن أقدم عرضاً موجزاً للحياة الأدبية فى السودان العربى

عند ما انتصر العباسيون تفرق الأمويون فى بلاد الله ، فنزل فريق منهم الأندلس وأسس بها مملكته الشماء ، وجاء فريق إلى جنوب السودان وهبط سنار بين النيلين الأزرق والأبيض ، حيث وجد موجات عربية أخرى قد سبقته ما بين القرنين السادس والثالث عشر الميلاديين إلى تلك الربوع ، وهناك امتزج بالسكان الأصليين وتزوج معهم وتناسل ، على أشهر الروايات ، وأسس صرح مملكة عظيمة تسمى بالسلطنة الزرقاء أو مملكة الفونج ، امتدت شهرتها حتى وصلت إلى القسطنطينية واتسعت حدودها حتي البحر الأحمر وأطراف الحبشة وحدود دارفور

وقد اشتهر ملوك سنار بما جُبلوا عليه من الشيم العربية ، من الكرم والشهامة وحب الثناء ، فكان الشعراء يفدون عليهم من مصر ومن سائر البلاد العربية ، فينظمون فيهم عقود الثناء ، وينضدون فيهم قلائد المدح ؛ ولكن الطابع الأصيل للنهضة الأدبية فى رعاية ملوك سنار كان دينياً بحتاً ، فكان للعلوم الفقهية المقام الأول ، فى الدراسة والتحصيل ، وفى البحث والتنقيب . ولم تقتصر همة ملوك الفونج على رعاية العلماء فى داخل حدودهم ، بل كانت لهم صلات وثيقة بأفاضل العلماء فى مصر ،

لا ألوم تلك الممثلة المسكينة ، وأعتذر إليها من وصفى موقفها ذاك ، إنما ألوم الذى أثقل كاهلها بحمل لا تطيقه طبيعتها بزعم خاطئ وتقدير معكوس فى أنه يرفعها إلى مصاف كبار الممثلات ، وإذا به يدفعها إلى الهاوية التى لا تستأهلها

لا يعني كلامى أن هذه الممثلة لا تتقن فن التمثيل ، فقد تصلح ولا ريب لأدوار أخرى ، إنما أعنى أن المدير الفنى أساء الاختيار كعادته فى التحكم بالممثلين والتسيطر على الممثلات

بودى لو أقف طويلاً حيال كل رواية أخرجها الأستاذ طليمات لأقارنها بروايات أخرجها الأستاذ فتوح نشاطى ، وبذلك يتبين له البون الشاسع والفرق الظاهر بين المجتهد الدؤوب ، وبين القاعد المتقاعس

وسأفعل ذلك إذا توفر لى الوقت ، وسأتكلم عن المواقف الفنية وعن فعال العنصر النسائى فى الفرقة ، وسأخصص درساً لروايتى « قطر الندى » و « شارع البهلوان »

والآن أسأل : ماذا أفاد الأستاذ زكي طليمات الفرقة المصرية للتمثيل ، وبماذا أساء إليها بكونه مديرها الفنى ؟

لقد أفاد الفن كثيراً ، وسأذكر هذه الفوائد بالتفصيل فى الحين المناسب ، ولكن هذه الفوائد على كثرتها أقل كثيراً من إساءاته ، ولا أحصى منها إلا ما يأتى :

١ — أساء إلى الحكومة فى تعطيله قانون الفرقة بإدخاله اللهجة العامية وجعلها تطغى على اللغة الفصحى

٢ — أساء إلى الحكومة فى إنفاق خمسة عشر ألفا من الجنيهات من أموال الدولة على « تكية » ممثلين نفعوا ذواتهم ولم يحسنوا إلى الأمة ، وكان فى وسعهم نفعها لو توفر لهم مدير فنى يعمل للفن بدافع من الغيرة على الفن والاعتزاز بأمته

٣ — أساء إلى الحكومة التى وكلت شئون التمثيل إلى جماعة توهمت فيهم المقدرة دون أن تقيم رقباء عليهم ، فجعلوا الفرقة مطية للأهواء والشهوات

٤ — أساء إلى النهضة الأدبية وإلى سمعة مصر فى البلاد العربية

٥ — أساء إلى نفسه وقد عرضها للوقوف أمام لجنة التحقيق — على حد ما ذكرت الصحف — عما نسب إليه من أمور لا شأن لى بذكرها

وإنه لمن المدهش حقاً أن تقف لجنة القراءة — وأعضاؤها من ذكرت — هذا الموقف المهين اللين من مدير الفرقة الفني ، وهى تعلم أن مآلها مرتبط بسقطاته الفنية وغير الفنية ، وقد يزول العجب متى أمطنا اللثام عن بعض أسباب ذلك الموقف وموعدنا قريب

حبيب الزحلاوى

ورجالات الأزهر المعمور . ومن أشهر هؤلاء الملوك الملك بادى أبو ذقن ؛ كان يرسل الهدايا والهبات إلى رجال العلم فى الوادى الشمالى حتى مدحه الكثيرون بقصائد رنانة — أورد منها شقير بك فى كتابه « تاريخ السودان » أبياتاً للشيخ عمر المغربى قال فيها :

أيا راكباً يسرى على متن ضامر
إلى صاحب العلياء والجود والبر

وينهض من مصر وشاطىء نيلها
وأزهرها المعمور بالعلم والذكر

لك الخير إن وافيت سنار قف بها
وقوف محب وانتهز فرصة الدهر

إلى حضرة السلطان والملك الذى
حمى بيضة الإسلام بالبيض والسمر

هو الملك المنصور بادى الذى له
مدائح قد جلت عن العد والحصر

سليل ملوك الفونج والسادة الألى
علا مجدهم فوق السماكين والنسر

وظلت هذه الصلات وثيقة العرى حميدة الأثر حتى ضعفت دولة الفونج وصار الأمر فيها إلى مواليها من « الهمج » . وكان القرآن هو الدعامة الكبرى للتعليم فى ذلك الوقت ، تخصص على درسه وتدريسه فقهاء أجلاء من علماء الأزهر وعلماء السودان ومن أشهر هؤلاء فى ذلك العهد ، الشيخ ادريس بن محمد الأرباب ، اشتهر بالفضل والتقوى ، حتى لقب بسيد الأولياء ، وكانت له ولأحفاده من المكانة عند ملوك سنار ما جعلهم ملجأ المستغيث ومأمن الخائف . واشتهر بعده الشيخ حسن بن حسونة الذى جاء أبوه من الأندلس ، فسكن « كركوج » على النيل الأزرق ، واشتهر بالصلاح والتقوى . وفى هذا العهد أيضاً رحّب السودان بعلماء كثيرين وردوا ساحته من سائر البلاد العربية ، كالشيخ تاج الدين البهارى الذى جاء من بغداد ، والشيخ ابراهيم بن جابر البولادى من مصر ، والشيخ محمد العركى من مصر أيضاً . وفى المخطوط التاريخى الذى يعرف عند مؤرخى السودان « بطبقات ولد ضيف الله » ذكر الكاتب نيفاً وتسعين من رجال العلم والدين فى ذلك العهد فى مختلف أنحاء السودان لا داعى لاستعراضهم جميعاً

أما الكتابة الفنية الخالصة والشعر الوجدانى المشبوب فما كانا غرضاً من أغراض الكتاب فى دولة الفونج ، إذا استثنينا الشعر الشعبى الذى لا يتقيد بالفصحى ، والذى يعرف عندنا « بالدوبيت » وإنما كانت الكتابة وسيلة لمدح ، أو رداً على رسالة أو تهديداً لخصم ، وكان عمادها الجملة القرآنية ، والاقتباس من الأحاديث النبوية ، مع التزام السجع ، وتقطيع الكلام إلى فقر قصيرة . وإليكم مثلا الرسالة التى رد بها السلطان محمد عدلان على اسماعيل بن محمد على قائد الجيش المصرى الفاتح عند ما طلب منه التسليم . قال :

« لا يغرنك انتصارك على الجمليين والشايقية ، فنحن الملوك وهم الرعية ، أما بلغك أن سنار محروسة محمية ، بصوارم قواطع هندية ، وجنود جرد أدهمية ، ورجال صابرين على القتال بكرة وعشية ؟ »

وكانت الحياة الأدبية فى مملكة دارفور المعاصرة لمملكة سنار الآنفة الذكر ، والواقعة فى غرب السودان مماثلة لما تقدم وصفه : حركة دينية عمادها القرآن والحديث والمذاهب ، وأشعار مصطنعة فى مدح الملوك والسلاطين ، والفخر والحماسة ، وتعليم أساسه الدين يبذل فى المساجد وبيوت القرآن

ثم دالت مملكتا سنار ودارفور العربيتان ، واستتب الحكم المصرى فى السودان سنة ١٨٢١ ميلادية ، فاستمرت شعلة الاسلام متقدة وكثرت الطرق الصوفية فى طول البلاد وعرضها وصار لأربابها من النفوذ ما يدانى نفوذ السلطة ، وانتشر علماء السودان الواردون من الأزهر فى أنحاء البلاد ، وازدحم الطلاب على أبواب كبارهم كالشيخ القرشى والشيخ محمد الشريف من زعماء الطريقة السمانية الكبار

وقد نشر المصريون فى السودان عدداً من المدارس الأولية ، وأنشأوا مدرسة وسطى بالخرطوم بنظارة الشيخ رفاعة بك الطهطاوى ، وشمل خديوى مصر المساجد برعايتهم فأجروا أجور الأئمة ، وقاموا بأصلاح الكثير منها ، ولكن مما يؤسف له أن الشطر الأكبر من هذه الجهود ما زال مطوياً عن الجمهور

فى الوثائق الرسمية ، ولم يصل بعد إلى آذان الجمهور فى مصر والسودان . بيد أن سوق الأدب كسدت فى أواخر الحكم المصرى لاضطراب الحالة السياسية وضعف الأداريين واستبداد الجباة .

وكان النثر على نوعين فى هذه الفترة : لغة الدواوين التى تكتب بها التقارير وتصدر الأوامر وكانت مهلهلة لا ترمى إلى غير الأداء . ولغة العلماء والفقهاء التى ظلت تحتذى أسلوب القرآن وتسرف فى تضمين آياته وأحاديث الرسول ، ومن أشهر علماء هذه الفترة الفقيه السنوسى بقادى ، والفقيه محمد الحاج الطيب إمام جامع الخرطوم فى ذلك الحين ، والفقيه محمد على ولد العباس ، والشيخ الطريفى بن الشيخ يوسف ، والشيخ حسن ولد بان النقاب وكثيرون غيرهم .

وعندما انتهى الحكم المصرى على يدى الثورة المهدية ازدادت شعلة الدين توهجاً ، وامتزجت السلطة الدنية بالسلطة الدينية تماماً . وكان المهدى رجلاً متفقهاً فى الدين متمسكا بالكتاب والسنة ، وكان على ذلك بليغاً سيال العبارة سلس الأسلوب ، وقد عمل مخلصاً على نشر الدين وبث العلوم القرآنية . وكان إذا ما صلى صلت الأمة كلها وراءه ، وكان إذا ما جاهد اندفع الجميع تحت لوائه . ولعل فى النبذ الآتية من خطبه ومنشوراته مايوضح ما نحن بصدده من تحليل النثر فى ذلك العهد

قال المهدى فى رسالة له : « قد اجتمع السلف والخلف فى تفويض العلم لله ، فعلمه سبحانه وتعالى لا يتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفننين ، بل يمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب . قال تعالى : « لا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء » و« عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو » و« لا يسأل عما يفعل » و « يخلق مايشاء ويختار» . وإليكم نص البيعة التى بايعه عليها أنصاره الكرام « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الوالى الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله مع التسليم ، أما بعد فقد بايعنا الله ورسوله ، وبايعناك على توحيد الله ، وألا نشرك به أحداً ، ولا نسرق ولا نزنى ، ولا نأتى ببهتان ، ولا نعصيك فى معروف ، بايعناك على زهد الدنيا وتركها ، والرضى بما عند الله رغبة فيما عند الله والدار الآخرة وعلى ألا نفر من الجهاد »

وكان للمهدى شعراء أفذاذ ، نذكر منهم الشيخ عمر البناء ، فقد كان شاعراً بليغاً قوى الديباجة ، رصين المعانى ، له قصائد مشهورة أذيعها

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت فى شأن الاله حياة

ولولا ضيق المقام لأوردنا الشىء الكثير غيرها . والشعر فى ذلك الحين كان يقوم مقام الخطابة عند العرب ؛ مدح المهدى وتشجيع لأنصاره وحملة على أعدائه — ومن ثم كانت دائرته محدودة ، ونظرته ضيقة

ثم انقضت المهدية وجاءت الحكومة الحاضرة ، واتصل أدباء السودان وشعراؤه بالعالم العربى الحديث فنشأت مدرستان فى الأدب : قدماء ومحدثون

أما المدرسة الأولى فنهلت من مناهل الأدب العربى القديم ، ورشفت على وجه خاص من موارد العباسيين ، وعاصرت شوقى وحافظ عند المصريين

وأما المدرسة الثانية فتأثرت بالأدب المصرى الحديث أول ماتأثرت ثم تشربت روح الآداب الغربية ، واهتزت لشعراء وأدباء المهجر

وفى طليعة الأوائل الشيخ عبد الله عمر البناء والأساتذة أحمد محمد صالح ، وصالح عبد القادر

وفى طليعة الأواخر : التيجانى يوسف بشير ومحمد عثمان محجوب والمرضى محمد خير ويوسف التنى

أما النثر فقد تطامن متنه لأدباء السودان ، ولا داعى للأفاضة فيه ، فهو لا يتميز عن النثر الحديث فى العالم العربى ، وإنما يجرى فى ركابه مع الاختلافات اليسيرة التى تميز أسلوب كاتب عن كاتب وشاعر عن شاعر

وقد اعتاد أدباء السودان وشعراؤه أن يقيموا مهرجاناً أدبياً كل عام يعرضون فيه ثمرات أفكارهم وروائع أشعارهم . وقد أقيم هذا المهرجان فى ثانى يوم عيد الأضحى

وإذا ما قدر لإنتاج السودانيين فى القريب بإذن الله ، أن يجد طريقة إلى المطبعة فسيرى القراء الكرام مدى ما وصلنا اليه فى عالم الفكز والأدب ، ويحكمون بأنفسهم على ذلك الانتاج

بخت الرضا — سودان

سعد الدين أ . فوزى

الذوق الأدبي العراقي

للدكتور مصطفى جواد

للأدب العراقي سمة واضحة وخصائص لائحة ومزايا مشهورة ومقام شريف، ولكل صقع من الأصقاع تأثير في سكانه تحدثه الوراثة والأرض والماء والهواء. وإن سلمنا نحن هذه الحقيقة فإنا لا نغلو فيها فنقول قول فيكتور كوزان[1] العلامة الفيلسوف الفرنسي: «صفوا لي بلاد قوم أذكر لكم تاريخهم» ولقد علم علماء العرب القدماء هذه المعرفة وأسلافهم سبقوهم إليها، حتى ذكر ذوو الدراية أن عمر بن الخطاب، حين فتح الله البلاد على العرب كتب إلى حكيم من حكماء العصر: «إنا أناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد أن نتبوأ الأرض ونسكن الأمصار فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره الترب والأهوية في سكانها[2]». فهذا الخبر — إن كان صحيحاً — يدل على تفطن العرب لأثر المسكون في الساكن منذ أول العهود الإسلامية؛ وإن كان موضوعاً فإنه لا يخلو من كون هذا الرأي قديماً يزيد قدمه على ألف سنة

ودونك اسم باب من أبواب أحد الكتب القديمة «لمع من ذكر الأرض وشكلها وما يغلب عليها وتأثيراتها في سكانها وما اتصل بذلك والأهوية وتأثيراتها[3]». والعراق في صفة الأرض القديمة معدود من أقليم بابل، وفي نعته يقول أحد سكانه: «وأما العراق فنار الشرق وسرة الأرض وقلبها، إليه تحادرت المياه، وبه اتصلت النضارة، وعنده وقف الاعتدال، فصفت أمزجة أهله، ولطفت أذهانهم، واحتدت خواطرهم، واتصلت مسراتهم فظهر منهم الدهاء وقويت عقولهم وثبتت بصائرهم... وفضائل العراق كثيرة لصفاء جوهره وطيب نسيمه واعتدال تربته وإغداق الماء عليه ورفاهية العيش به... كانت الأوائل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد لأن أرضه من إقليم بابل الذي تشعبت الآراء عن أهله بحكمة الأمور، كما يقع ذلك عن القلب، وبذلك اعتدلت ألوان أهله وأجسامهم .. وكما اعتدلوا في الجبلة

(١) Victor Cousin ‹ ١٧٩٢ — ١٨٦٧ م ›

(٢) أبو الحسن المسعودي في «مروج الذهب ج ١ ص ٢٧٢ وما يليها» من طبعة مصر

(٣) أبو الحسن المسعودي أيضاً في «التنبيه والأشراف ص ٤ من طبعة مصر»

كذلك لطفوا في الفطنة والتمسك بمحاسن الأمور[1]». فكل هذه المأثورات الدالة على أن للترب والأهوية والماء تأثيرات في السكان، كتبت في أواسط القرن الرابع للهجرة. ومما يؤيد اختصاص العراق بخصائصه الإقليمية المؤثرة في ثقافة سكانه ومعايشهم وأخلاقهم ما ذكره سائح أندلسي بلنسي ورد بغداد سنة «٥٨٠» هـ والدولة العباسية في عهد عزها وفخامتها وزمن عظمتها من حيث العدل والتدبير والسياسة والاستقلال والسعادة والنظم والرسوم، قال: «وكنا سمعنا أن هواء بغداد ينبت السرور في القلب ويبعث النفس دائماً على الانبساط والأنس، فلا تكاد تجد فيها إلا جذلان طربا وإن كان نازح الدار مغتربا حتى حللنا بهذا الموضع ... وهو على مرحلة من بغداد. فلما نفحتنا نوافح هوائها، ونقعنا الغلة ببرد مائها، أحسسنا من نفوسنا — على حالة وحشة الاغتراب — دواعي الأطراب، واستشعرنا بواعث فرح كأنه فرحة الغياب بالإياب، وهبت بنا محركات من الأطراب، أذكرتنا معاهد الأحباب في ريعان الشباب، هذا للغريب النازح الوطن، فكيف للوافد فيها على أهل وسكن:

سقى الله باب[2] الطاق صوب غمامة
وردّ إلى الأوطان كل غريب

***

والذوق الأدبي هو إدراك محاسن الأديب ومعرفة دقائقه ولطائفه ونكاته، وهو للأديب ملكة تأسيس على مقاييس المحاسن الأدبية، وللقارئ الأدبي هو ملكة تمييز واستذاقة، وامتلاك هاتين الملكتين قائم على الدراسة والزمان والذهن، وبالذوق الأدبي يستطيع الإنسان قدر اللطائف الأدبية حق قدرها، وتعرُّف الحكمة وإحساس الأدب الجميل ولمح التأثيرات الأدبية في النفوس، وتمييز المستحسن من المستكره من الأدب بالإضافة[3] إلى ذوي الأكثرية من أهل الأدب، ومعرفة ما يلائم الطباع من الآثار الأدبية، والغوص على النكات

(١) المرجع المذكور «ص ٢٧١»

(٢) باب الطاق، في بغداد القديمة، كانت محلة كبيرة بالجانب الشرقي، والطاق هو طاق أسماء، وكانت المحلة من حيث الخطط القديمة بين الرصافة (مدفن الملك فيصل الأول وما حوله في أيامنا) ونهر المعلى (بغداد الشرقية في عهدنا) وكان الطاق عظيما في دار كبيرة وكان عنده مجلس الشعراء في أيام الرشيد، ومحلة باب الطاق اليوم بساتين بين كرادة المعظم وجنوبي مدفن الملك فيصل الأول وقد نسي الاسم

(٣) بالاضافة إلى كذا، معناه «بالنسبة إليه والقياس إليه» ويستعمله المترجمون بمعنى «مضافا إلى كذا» وذلك خطأ عظيم

والدقائق وعلم سُبُل الشعور المستقيمة ، فمحروم الذوق الأدبي لا يدرك مثلا قول امرئ القيس :

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مُدبرٍ معاً
كجلمود صخر حطه السيل من علِ

ولا يعلم أن المراد به « معاً » هو أن الكر والفر والإقبال مجتمعة في قوة الفرس لا في فعله المقترن بالزمان ، وذلك لأن المشتقات في العربية هي للنعوت والأوصاف لا للأفعال والأحداث ، ولأن « معاً » للمصاحبة المطلقة ، لا للزمان البحت ، فلذلك يُقال : « جاءنا مع العصر » بجعله مصاحباً للعصر في المجيء . ومن حرم المقياس عدم الإحساس

أجل تضافرت الآثار والأخبار على أن الذوق الأدبي العراقي حكيم بارع كريم ، ألا ترى أن أبا على محمد بن اسماعيل القاضي الطوسي ، قاضي طوس المتوفى سنة « ٤٥٩ هـ » كان يلقب بالعراقي لظرافته وطول مقامه ببغداد[1] ، وما نشك في أن الظرافة العراقية هي سبب التلقيب وإن كان لقبه « البغدادي » لا العراقي لأنه أطال الإقامة ببغداد . وروى الإمام أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني المتوفى سنة « ٣٨٤ » أن محمد بن أبي العتاهية قال : « أنشدت أبي أبا العتاهية شعراً من شعري ، فقال لي : أخرج إلى الشأم ، قلت : لِمَ ؟ قال : لأنك لست من شعراء العراق ، أنت ثقيل الظل مظلم الهواء جامد النسيم[2] » وقال العلامة أحمد بن محمد الفيلسوف المؤرخ الملقب بمسكويه : « إذا أنصفنا التزمنا مزية العراقيين علينا بالطبع اللطيف ، والمأخذ القريب ، والسجع الملائم واللفظ الموفق والتأليف الحلو والبسوطة الغالبة ، والموالاة المقبولة في السمع ، الخالبة للقلب ، المابثة بالروح ، الزائدة في العقل المشعلة للقريحة ، الموقوفة على فضل الأدب الدالة على غزارة المغترف ، النائية عن عادة كثير من السلف والخلف[3] » وقال أبو حيان ينمى على الصاحب بن عباد أسلوبه : « وطباع الجبلي مخالف لطباع العراقي ، يثبُ مقارباً فيقع بعيداً ، ويتطاول صاعداً فيتقاعسُ قعيداً[4] »

والظاهر هو أن ظروف أهل العراق في الأخلاق والأدب أصبح في العصور الإسلامية كالحقائق المجمع عليها المتخذة مقاييس وعبرا ؛ فهذا أبو منصور عبد الملك الثعالبي يقول في نعت أدب أبي العباس محمد ابراهيم الباخرزي الكاتب إنه كتب اليه بيتين ، فأجابه الباخرزي بأبيات منها :

استودع الله الحفيظ حبيبا
يحكي إذا نظم القريض حبيبا
متطبعاً طبع الشآم مبرزا
متدرعاً ظرف العراق أديبا[1]

وإذ لم يكن بد من التخصيص المؤدي إلى الاختصاص نذكر أن جماعة من الأدباء خصصوا أكثر الظرف العراقي والإبداع الأدبي بدجلة — أعني سكان بلادها — ومن ذلك ما قاله أبو الحسن على بن الحسن الباخرزي يصف أدب أبي القاسم عبد الواحد[2] ابن المطرز الشاعر البغدادي بعد إيراده له هذه الأبيات :

عسى طيف المُلمّة بالنعيم
يلم بنا على العهد القديم
أرقت له أماطل فيه هماً
يلازمني ملازمة الغريم
لعل خيال ذات الخال يسري
فينقع غلة النضو السقيم
وكيف ينام عشق تغلبي
تؤرقه ظباء بني تميم ؟

قال : « هذا لعمري الشعر الذي ورد دجلة فارتوى من زلالها ، وروَّح بشمال بغداد فرفل في سربالها ، واستفاد الصِّحة من اعتلالها[3] » ولقد حكى الباخرزي في هذا الوصف عن شعور شعرَه وإحساس أحسَّه ولون أدب ارتوى من غيره العذب ، حتى امتلأ منه . وتفصيل ذلك أنه لما ورد بغداد مدح الإمام القائم بأمر الله الخليفة العباسي ، بقصيدة صدّر بها ديوانه منها :

عشنا إلى أن رأينا في الهوى عجباً
كل الشهور وفي الأمثال عش رجبا
أليس من عجب أني ضحى ارتحلوا
أوقدتُ من ماء دمعي في الحشا لهبا ؟
وأن أجفان عيني أمطرت ورقا
وأن ساحة خدي أنبتت ذهبا ؟
وإن تلهّبَ برق من جوانبهم
توقد الشوق من جنبيّ والتهبا

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ٨ ص ٢٤٧ »
(٢) الموشح ص ٣٧٥
(٣) هذا قول عزاه إليه أبو حيان التوحيدي في الامتاع والمؤانسة ج ١ ص ٦٤
(٤) المرجع المذكور ص ٦٢

(١) تتمة اليتيمة ج ٢ ص ٣٦
(٢) هكذا ورد اسمه في النسخة المطبوعة ص ٧٩ وفي إحدى النسخ مخطوطة « دار الكتب الوطنية بباريس مخطوطة رقم ٣٣٠٣ ورقة ٦١ » وللدمية نسختان أخريان بباريس أرقمهما « ٥٩٢٦ و ٥٢٥٢ » وسماه الثعالبي في تتمة اليتيمة « عبد الرحمن » ج ١ ص ٥٧
(٣) الدمية ص ٨٠

فاستهجن البغداديون شعره وقالوا : « فيه برودة العجم » فانتقل الباخرزي إلى الكرخ[1] وسكنها وخالط فضلاءها وسوقتها مدة وتخلق بأخلاقهم واقتبس من اصطلاحاتهم ثم أنشأ قصيدته التي أولها :

هبّت عليّ صبا تكاد تقول : إني إليك من الحبيب رسول
سكرى تجشمت الربا لتزورني من علتي وهبوبها تعليل

فاستحسنها البغادّة وقالوا : تغير شعره ورق طبعه[2] » .

ولا ينفك الأديب يلمح هذه الإشارات ويقرأ أمثال تلك العبارات ويستحيل هذه الحال في كثير من الكتب الأدبية ، وتراجم الأدباء ، فالثعالبي لم يومئ إلى ذلك في موضع واحد — أعني الموضع الذي أثرنا خبره — وإنما قال أيضاً في ترجمة أبي الفضل محمد بن عبد الواحد التميمي البغدادي : « وله شعر الأديب الظريف الذي شرب ماء دجلة وتغذى بنسيم العراق[3] » ونحن لا نرى حقاً تسمية الخروج عن الأسلوب العراقي أو الأسلوب البغدادي خاصة « برودة » وإنما هو « أثر الانتقال » و « أمارات العبور » من الفارسية إلى العربية ، فالمؤاخذة أكثر ما تكون في « الأسلوب » ولا يستطيع الفارسي وإن بلغ الذروة من صحة التركيب في العربية ، أن يمتلك زمام مجاز العربية وبلاغاتها الأخر . ثم إن للشعر العربي طابعاً خاصاً به وسمة دالة عليه ، فالفارسي على إجادته اختيار المعاني وإحسانه تزاويق التشبيه وزخارف الاستعارة ، لا يخلص إلى أسلوب عربيّ لاحب ، قال نقلة الأخبار إن الإمام أبا العباس أحمد بن الحسن الناصر لدين الله العباسي أسد بني العباس وسياسيّهم الأعظم وأديبهم البارع ومحدثهم الماهر لما سمع قول تاج الدين الطرقي الاصفهاني :

إذا ما رآني العاذلون وغردت حمائم دوح أيقظتها النسائم[4]
يقولون مجنون جفته سلاسل وممسوس حيّ فارقته التمائم

تعجّب من ذلك وقال : « ما ظننت أن أحداً من العجم

(١) محلة الكرخ في زمن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ من المحلات المستقلة التي هي كالمدينة ، وكانت في الجنوب الغربي من المشهد المعروف بمشهد المنطقة وهذا المشهد لا يزال قائماً بين الكاظمية وبغداد ، أما أرض الكرخ فصحراء

(٢) ياقوت الحموي في «معجم الأدباء ج ٥ ص ١٢٤ طبعة مرجليوث الأولى »

(٣) تتمة اليتيمة ج ١ ص ٦٣

(٤) الظاهر أن النسائم جمع نسيم كأفيل وأفائل وتبيع وتبائع وضمير ضمائر ونظير ونظائر

يصلُ كلامُه إلى هذا الحد » وبعث إليه بجائزة[1] . وهذا الخبر يدلنا أيضاً على ما بلغه الإمام الناصر لدين الله من إدراك لمحاسن الأدب العربي ومعرفة لدقائقه ولطائفه وبارعه ورائعه .

وقال أحد المؤرخين العراقيين : « سمعت أبا عبد الله محمد بن يوسف الأرجاني ببغداد يقول : « قال لي إنسان بسمرقند — وقد جرى ذكر أهل العراق ولطافة طباعهم ورقة ألفاظهم — كفى أهل العراق أن منهم من يقول :

تنبَّهي يا عَذَبات الرند كم ذا الكرى اهبت نسيم نجد ؟

وكرر البيت تعجباً من لطافته وعذوبة لفظه ، وهو لابن المعلم [أبي الغنائم محمد بن علي بن فارس الواسطي الهرثي المتوفى سنة ٥٩٢] مبدأ قصيدة مدح بها إنساناً يعرف بهندي ، بنى القصيدة على هذه القافية لأجل اسمه[2] .

ولقد صدق هذا السمرقندي فان هذا البيت من قصيدة تجلّت فيها محاسن الصناعة وبانت عليها بوارق البراعة ، وهي في مدح الأمير هندي الكردي أحد الأمراء في أواسط القرن السادس للهجرة ، كان في خدمة الإمام المقتفي لأمر الله الخليفة العباسي مجدد دولة بني العباس ، وقال في ديباجتها الغزلية :

تنبهي يا عذبات الرند كم ذا الكرى هبت نسيم نجد ؟
مر على الروض وجاء سحَراً يسحبُ بردَىْ أرج وبرد
حتى إذا عانقتُ منه نفحةً عاد سموماً والغرامُ يعدى
واعجباً منّيَ أستشفي الصبا وما تزيد النار غير وقد
أعلل القلب ببان رامة وهل ينوب غصُن عن قد ؟
وأسأل الربعَ ومَن لي لو وعى رجع كلام أو سخا برد
أأقتضي النوح حمامات اللوى هيهات ماعند اللوى ماعندي ؟
كم بين خال وجوٍ وساهر وراقد وكاتم ومبدى ؟
ما ضر من لم يسمحوا بزورة لو سمحت طيوفهم بوعد ؟
بانوا فلا دار العقيق دارهم دار ولا عهد الحمى بعهد
آه من البعد ولو رفقتم ما ضرني تأوهي للبعد
عشق لا ما عشِقته عذرة قبلي ولن يستن بي من بعدي
تعلة وقوفنا بطلل وضلة تسآلنا لصلد
إن تكب الغيث الحمى وضن أن يثير في عراصها ويسدي

(١) محيي الدين عبد القادر العيدروسي في النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص ٢٩٣ — ٤

(٢) أبو عبد الله محمد بن سعيد البرثيني في « ذيل تاريخ بغداد » من الكتب الخطية

سقته عيني ورمته أضلعي بوابل وبارق ورعد
طرف تجف المزن وهووا كف كأنما جفناه كف هندي[1]

وأقر أيضاً بجمال الأسلوب العراقي في الأدب أدباء مشاهير من أهل الأندلس ، فإن ابن جبير الرحالة الأديب المشهور ، المتقدم الذكر حضر — أيام دخوله بغداد في سنة ٥٨٠ — مجلس (أبي الفرج ابن الجوزي الحنبلي) فقال :

« وفي أول مجلسه أنشد قصيداً نير القبس ، عراقي النفس ، في الخليفة الناصر أوله :

في شغل من الغرام شاغل من هاجه البرق بسفح عاقل
بكلمات الله كوني عوذة من العيون للإمام الكامل

ففرغ من إنشاده وقد هز المجلس طرباً[2] » . فقوله إن ذلك الشعر عراقي النفس يدل على اشتهار النفس الشعري العراقي في الأندلس فضلا عن المشرق . وهذه الخصائص الأدبية واللطائف الشعرية . لم تكن مقصورة على الخاصة من العراقيين دون العامة ، ألا ترى أحد المؤرخين يقول : « ومن خالط أهل بغداد وعلماءها عرف فضلهم ولطفهم ؛ ومن تأمل لطافة العوام بها في مجونهم وحديثهم وإشاراتهم التي لا يفهمها أكثر علماء غيرها من البلاد حتى أن فيهم من يقول الشعر المسمى (كان وكان) فيأتي بمعان لا يقدر عليها فحول الشعر تبين له فضلهم ولطافة أخلاقهم[3] » .

وإن من غير العراقيين من اعترف بهذه الخصائص الأدبية وأسجل بها على نفسه كما يسجل القاضي بالحكم ويثبته في المحضر ، وهناك لا تجد أنبل من هذه النفوس العلية والطباع المرضية التي من عادتها الإقرار بالحقيقة والإذعان للواقع مع ما فيه من هضم الجبلة وزم النفس عن مراتمها! وتواضع هو في مقياس الفضائل ترفع ، ومن أولئك النبلاء الأدباء أبو سعد علي[4] ابن محمد بن خلف الهمذاني ؛ وفي ذلك قال :

فدًى لك يا بغداد كل مدينة
من الأرض حتى خطتي ودياريا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها
وسيرت خيلي بينها وركابيا
فلم أر فيها مثل بغداد منزلاً ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل أهليها أرق شمائلاً وأعذب ألفاظاً وأحلى معانيا
وكم قائل: لو كان ودك صادقاً لبغداد لم ترحل فكان جوابيا:
يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم وترمي النوى بالمقترين المراميا[1]

روى هذه الأبيات أبو بكر الخطيب عن أبي القاسم علي بن المحسن القاضي التنوخي ورواها التنوخي عن ناظمها سماعاً بحضوره وإنشاداً من فيه ، ومن طريف ما نذكر هنا أن أبا حيان التوحيدي لما مدح الوزير أبا عبد الله بن سعدان العارض ، ذكر له أنه ممن يعتد به في مقامات المساجلة ومواطن المفاخرة وأنه يكايد به أصحابه ببغداد ويقول لهم : هل كان في حسبانكم أن يطلع عليكم من المشرق من يزيد ظرفه على ظرفكم ، ويبعد بعلمه عن علمكم ، ويبرز هذا التبريز في كل شيء تفخرون به على غيركم ؟ »[2]

وآخر ما ننقل للقارىء شهادة أديب كبير وعلامة خطير ومنشىء بارع وشاعر مجيد وكاتب مجود ومؤرخ ذي يد باسطة في تحرير التراجم والأخبار ، وهو عماد الدين الأصفهاني فإنه قال في ترجمة أبي الفتح محمد بن محمد[3] بن عمر الأديب الكاتب : « لم يكن في عصرنا أكتب منه ، تبحر في أدبه ، وتطرف في مذهبه ... وله شعر كثير وديوان كبير ، ولم يخلف له نظيراً ... وعلى نظمه طلاوة بغدادية وحلاوة عراقية فمنه .

قام بالعذر في هواك العذار فسلوى عن حسن وجهك عار
أدلال هذا التعنت أم أنـ ت كما قيل خائن غدار ؟

بغداد **مصطفى جواد**

(١) عماد الدين الأصفهاني في جريدة القصر وجريدة العصر (من الكتب الخطية)

(٢) تقييد السياحة لابن جبير ص ١٩٤ طبعة مصر

(٣) كمال الدين ابن الفوطي في تلخيص مناقب بغداد ص ٣١

(٤) ورد في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي « ج ١ ص٥٠٢ » بصورة « محمد بن علي بن محمد بن خلف » وليس بصحيح ، فإن الثعالبي ذكره هكذا في اليتيمة « ٣ : ٢٧٥ » من طبعة الصاوي ونقل الكتبي « فوات الوفيات ج ٢ ص ٧٥ » ترجمته من كتب تاريخ بغداد مع أسماء « علي بن محمد » وذكر أن وفاته كانت سنة ٤١٤ وذكره بهذه الصورة ياقوت الحموي في مادة « سابو خواست » من معجم البلدان

(١) الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد ج ١ ص ٥٢ » .

(٢) أبو حيان في « الامتاع والمؤانسة ج ٢ ص ١٨٨ »

(٣) ولد سنة « ٤٨٤ » وتوفي سنة «٥٥٧» .

المناجاة الثالثة

إلى أخي بفرنسا

للأستاذ محمد برهام

من ذا يزف تحرقى وحنينى   لأخ يعيش على ضفاف السين؟
كنا على حذر وكان بمأمن   ما بالنا وسط الليالى الجون ؟
يارا كباً متن الصعاب إلى العلا   وتكاد تقتلنى عليه ظنونى
ما قيل إن على فرنسا غارة   إلا بدوت بخفة مجنون
عام يقضّى فى انتظار رسالة   وتفض كل رسالة تأتينى
ليد الرقابة أن تفض غلافها   أو أن تحيط بسرها المكنون
لكن مطالعتى بها مبتورة   من فرط مابى من هوى يشجينى
فذر الرسالة يا رقيب سليمة   وإذا أبيت فبعضها يكفينى
لله أمٌّ وهى فى محرابها   بين الخشوع وأنة المحزون
تدعو إلهك أن يعيدك سالما   لتقر شتى أنفس وعيون
وحنت على كل الطيور بزادها   ربما أتت بالطائر الميمون
يا أمنا رُغمى تبلبلِ خاطر   غالٍ على عمر الزمان مصون
ها قد تحققت الأمانى أبشرى   فلقد لمحت النصر فوق جبين
(ياسين) لو بك أى جنب آمن   قلت ارعه فى الجانب المأمون
ما كان مهداً للجمال ومرتعا   وتموج جنته بحورٍ عين
قد صيرته الحادثات جهنما   أبوابها فتحت لكل قطين
أأخى العزيز، الصبر جنة حازم   فاشدد يمينك صابراً بيمينى
فلقد يعود إلى الحياة نعيمها   وتعود دنيا من دَدٍ وسكون
ستقول كيف أبى وأين تحية   منه لمضطرب المكان رهين؟
إنى لأشفق أن أجيب فأعفنى   إن السؤال جوابه يعيينى !
أسلمتَ أمر أخى لرحمة ربه   فإلى اللقاء، ويارعاية صونى !

محمد برهام

مناجاة ...

للأديب ابراهيم محمد نجا

طواك الكرى فى حنان ولينْ   فيا ليت شعرى بما تحلمين ؟
بحب يبوح به مغرم   يغنّيك لحن الجوى والحنين
وأفق تحوم عليه الظلالُ   وقد غُيِّبت شمسه منذ حين
وعش يحلق فوق الغمام   تحوم عليه منى العاشقين

هواك جرى فى دمى سره   وراحت تغازل قلبى رؤاهْ
وذكراك تشرق فى خاطرى   كفجر ينبّه روح الحياه
ويهتز قلبى إذا ما رآكِ   كأنك لحن وقلبى صداه
فأنسى الزمان كأنى نبىٌّ   يشارف بالروح نور الإله

نظمت حياتى وأهديتها   إليك قصيداً كنوْر الربيعْ
وقدمت عمرىَ فى طاقة   من الزهر روَّيتها بالدموع
وأودعت حبىَ فى غُنوة   كأن صداها عبير يضوع
فرنَّت بها فى السهول الرياحُ   وغنت بها الطير بين الربوع

بدا الفجر نشوان بين السهولِ   يغنى فيرقص روح الوجودْ
ويضفي السنا فوق تلك الربى   ويلقى الندى فوق تلك الورود
فأحسست نفسى تفك الإسار   وأحسست قلبى يحل القيود
وعاد كما كان روحى طليقاً   يريد إلى عشه أن يعود

تعالى لنخطر فوق السفوحِ   مع الطير حتى يحين المساءْ
أغنيك أشجى أغانى الغرامِ   وما هيّج الشوق مثل الغناء
وسيان أن يتجلى الربيعُ   على الكون، أو يتراءى الشتاء
فكل نهار — إذا ضمّنا —   صفاء، وكل الليالى ضياء

تعالى نعش فى ثنايا المنى   تعالى نعش فى حنايا الخيالْ
لنا فى الهوى جوسق فى السماء   وعشٌّ هنالك فوق الجبال
نعيش فريدين بين الضياء   ونحيا وحيدين بين الظلال
فكل الأغانى أغانى غرامِ   وكل الليالى ليالى وصال

ابراهيم محمد نجا



١ — مالزكي مبارك ولكتاب الله

عاد الدكتور زكي مبارك يعرض للقرآن الكريم بسوء الرأي كما فعل في مقاله الأخير في « الرسالة » . وهو لم يعرض للقرآن مرة إلا افتضح ، ولكنه في هذه المرة قتل نفسه : قتلها بالهواء الذي يملأ العالم ، وبالزلطة التي كانت دومة لأن شكلها كالدومة ، والزلطة التي كانت خيارة لأن شكلها كالخيارة ، وبحياة الزلطتين لأنهما من دومة وخيارة حيتين ، وبحياة الجماد كله قياساً على حياة الزلطتين !!

فما الطفل الذي يضرب به المثل في بعض كتب التربية لأنه علل بياض اللبن ببياض أول بقرة رآها تحلب بأقبح جهلا ولا أضعف عقلا من هذا الذي زعم أن الزلط حي لأن بعضه يشبه شكله شكل الدوم والخيار .

ونعوذ بالله من أن نعرض لكتابه سبحانه بما لا يرضى فينتقم منا بنا كما انتقم من زكي مبارك بزكي مبارك . فما كان أحد يظن أن هذا الرجل إذا خلي بينه وبين قلمه يتخذ من قلمه حبلا يشنق به نفسه كما قد فعل على صفحات الرسالة في مقاله الأخير .

٢ — الى الاستاذ ابراهيم زكي الدين بدوي

تحيتي الخالصة إلى الأستاذ على غير سابق معرفة به ، واعتذاري اليه وإلى قراء الرسالة من أني لم أجب على كلمته الفاضلة التي نقد بها كلمتي الرابعة في فساد الطريقة في كتاب النثر الفني . وأكثر عذري أني أردت أن أرجع إلى قديم مخطوط إعجاز القرآن للباقلاني لعلي أجد فيه حكما بين رأيي ورأي الأستاذ أدرجه في جوابي . فكان الأمل في الوقوف على المخطوط يتجدد كل أسبوع من غير أن يتحقق في أسبوع .

أما وقد طال الإنتظار فسأكتب ما عندي من جواب غير راجع إلى ما في المخطوطات حتى تتيسر ، والموعد الأسبوع الآتي إن شاء الله

محمد احمد الغمراوي

الاقوال وأصحاب الاقوال

في العدد الأخير من مجلة الرسالة يذكر الأستاذ منصور جاب الله أنني أفتخر بأنني القائل « المجد كالمال ، فيه حرام وحلال » ، ثم يذكر أنني نسبت هذه الكلمة الطيبة الى الشيخ يوسف الدجوي في بعض المقالات التي كنت أرسلها إلى جريدة البلاغ أيام إقامتي في باريس ، ويرجو أن أجلو له وجه الحقيقة حتى لا يقع في الاضطراب بين الأقوال وأصحاب الأقوال

وأقول بعبارة صريحة إن هذه الكلمة الطيبة هي كلمة أستاذنا الشيخ يوسف الدجوي ، وقد تلقيتها عنه في معرض النصح يوم رآني أجادل خصومي بعنف وأنا أدفع عدوانهم على الآراء التي دونتها في كتاب « الأخلاق عند الغزالي »

وقد انتفعت بهذه الكلمة الطيبة فجعلتها شعاري في الجهاد العلمي ، بحيث صرت أومن بدون وعي بأنها من كلامي ، لأنها اتصلت أوثق الاتصال بروحي وعقلي ، ولو كان الشيخ الدجوي يخطر في بالي عند الافتخار بهذه الكلمة الطيبة لأسندتها اليه مفتخراً بأني كنت تلميذه فيما سلف من أيامي

ثم أقول إني قرأت للأستاذ منصور جاب الله مقالات ظفرت بإعجابي ، ولكن مقاله الوجيز في مجلة الرسالة فاق تلك المقالات ، لأنه أتاح لي فرصة ذهبية هي فرصة التنويه بمكانة أستاذنا الشيخ يوسف الدجوي ، أطال الله في حياته وأسبغ عليه نعمة العافية

أما بعد فقد كانت النية أن أكتب لمجلة الرسالة مقالاً أفصل فيه ما وقع بيني وبين هذا الشيخ الجليل من خلاف كان السبب في أن أحرم من صحبته عدداً من السنين ، وهو خلاف طريف ، لأنه يتصل بآراء لو نشرت لكانت من أجمل الميادين التي تصطرع فيها العقول

وأعترف بأن حجة الشيخ أقوى من حجتي ، لأنه أصدق مني ، فأنا مجادل ، وهو مؤمن ، والإيمان أقوى من الجدال

أنا أحب أن ألقى الشيخ لأستأذنه في نشر ما دار بيني وبينه من مصاولات ، ولكن أين الوقت ، وبين داري وداره أميال وأميال ؟

لم يبق إلا أن أقول إن هنالك تاريخاً مجهولاً ، وهو أن

مشيخة الأزهر دعت أستاذنا الشيخ الدجوى إلى تأليف كتاب يشرح أصول الإسلام للأقطار الأمريكية ، فألف الكتاب ، ولكنه لم يجد المترجين

لن تعرف قيمة أستاذنا الشيخ يوسف الدجوى إلا بالرجوع إلى نضاله الدينى فى البلبلة التى أوجبتها الحرب الماضية

على أستاذى ألف تحية من التلميذ الذى يحفظ الجميل .

زكى مبارك

إلى الناقد سيد قطب

لاحظت فى سلسلة مقالاتك النقدية عن « عالم القصة » أنك تكرر فى كثير منها قولك إنك لا تعرف — ولم تر — شخوص أغلب من تتحدث عنهم ويبدو هذا غريباً فى نظرى — فالقصة — فى هذا اللون بالذات من ألوان الأدب — لاشك أن لشخصية الكاتب وحياته الأثر القوى فى إنتاجها — ومن قرأ كتاب ديهامل « دفاع عن الأدب » الذى أهداه الدكتور مندور إلى المكتبة العربية — يذكر أن ديهامل عرف أغلب — إن لم يكن كل — من تعرض لذكره أو نقده فى كتابه الحافل ، من معاصريه من الكتاب أو القصصيين .

وأنت — لاشك — قد خطوت خطوة كبيرة فى خدمة رسالة النقد المعنوية فى هذا البلد فلم لا تحاول أن تخرج من عزلتك وتتعرف إلى من تكتب عنهم ، بل وتكون معهم صداقات روحية ، فإذا أمسكت بقلمك بعد ذلك لتتحدث عن إنتاج لهم ، جمعت بين الصورة والأصل ؛ كما أنك ستخدم تاريخ الأدب المعاصر فتترك للأجيال المقبلة صوراً حية قوية من حياة المفكرين والكتاب المعاصرين . والسلام عليكم ورحمة الله

فوزى سليمان

إلى الأستاذ وديع فلسطين

لقد أضعتُ وقتاً غير قليل من أيامى الماضية فى تدبر أشعار أبى تمام ، وجمع شتاتها ، إذ احتلت من نفسى المكان المرموق برغم ما كان يستوقفنى أحياناً عند ما تتحرى الذاكرة فتعرض صوراً من أشعار بعض الشعراء القدامى مشابهة لبعض صور أبى تمام كما جاء فى فصولك التى تقدمها إلينا اليوم بأسلوبك العذب ، وعلى طريقتك المثلى

ولا يسمنى — وأنا الحريص دائماً على استيعاب كل ما يكتبه الأستاذ الفاضل — إلا أن أعرض عليه ما يأتى :

جاء في مقالك الأخير ، أن أبا تمام نسخ قوله :

وأحسنُ من نَوْرٍ تفتحه الصَّبا بياض العطايا فى سواد المطالب

عن قول الأخطل :

رأين بياضاً فى سوادٍ كأنه بياض المطايا فى سواد المطالب

فذكرتُ ما قاله ابن الأثير فى الجزء الأول من المثل السائر ص ٥٦ فى الحكمة التى هى ضالة المؤمن : « ويحكى عن أبى تمام أنه لما نظم قصيدته البائية التى أولها : على مثلها من أرْبُعٍ وملاعب انتهى منها إلى قوله :

يرى أقبح الأشياء أوبة آمل كسَتْه يدُ المأمولِ حلة خائب

ثم قال : وأحسنَ من نَوْرٍ يفتحه الصَّبا

ووقف عند صدر هذا البيت يردّده ، وإذا بسائل على الباب وهو يقول : من بياض عطايا كم فى سواد مطالبنا ، فقال أبو تمام : بياض العطايا فى سواد المطالب

فأتم صدر البيت الذى كان يردده من كلام السائل »

أورد ذلك بعد ما قرر « أنه يجب على التصدّى للشعر والخطابة أن يتتبع أقوال الناس فى محاوراتهم ؛ فإنه لا يعدم مما يسمعه منهم حِكماً كثيرة ، ولو أراد استخراج ذلك بفكره لأعجزه » . وعلى ذلك لا يكون عمل أبى تمام هذا من باب النسخ ، وإنما يكون من باب الأخذ بالحكمة التى هى ضالة المؤمن ، وقد أوجب ابن الأثير الأخذ بها كما جاء فى كلامه ، كما أن هذا لا يتفق وطريقة النسخ عند ابن الأثير .

وبعد ، فلست أدرى أى المصدرين لبيت أبى تمام خليق بالاعتبار ، فإنه تختلف درجة البيت بقدر مابين هذين المصدرين .

أرجو إيضاح ما ذكرت أيها الأستاذ الفاضل ، أيدك الله وألهمك التوفيق .

محمد العراقى

12me Année No. 597

Lundi - 11 - 12 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٥٩٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٦٣ — الموافق ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

بعد الاعتكاف

وجدتني بعد خروجي من المستشفى أشبه شيء بالآلة الميكانية الموهونة، تزلزلت مفاصلها وانحلت عُراها، فشدوا بعضها إلى بعض بخيوط غليظة بالية؛ فكنت إذا نهضت نهضت متحاملاً على ذراع، وإذا مشيت مشيت متثاقلاً على حذر. وتلقيت على هذه الحال دعوة المجمع العلمي العربي بدمشق إلى مهرجان المعرى، فارتحت إلى هذه الدعوة، لأنها ستتيح لى سعادة النفس بلقاء الإخوان، ومتعة العقل بشهود المهرجان، وصحة البدن بهواء الجبل، وتأدية الواجب لشيخ المعرة

ولكن السفر شاق، والأمد بعيد، والآلة الهشة لا تزال من الوهن تميد وتتخلع. فقررت الاعتكاف عن دنيا الناس حيناً من الدهر تحية وزلفى لإمام المعتكفين في مهرجانه؛ وقلت لنفسي: هي خلوة صوفية يثوب فيها الجسم، وتصفو بها الروح، وتشفُّ بيننا وبين أبي العلاء الحجب؛ فنخلو إلى روح الشاعر في كتبه، ونجلو لإخواننا المحتفلين فناً من أدبه. ووقفت بنا السيارة على باب صومعتي الريفية، وهي قائمة وحدها بين الحقول الخُضر والأشجار الفينان، كما كان يقوم عش آدم في الجنة حين لم يكن على الأرض إنسان غيره وغير زوجه، فدخلتها دخول الناسك الشريد وجد الظل والماء بعد وقدة الهجير وشدة الظمأ. وهبّت على الجسد العليل نفحات النسيم البحري فأذهبت عنه ما أرمضه في القاهرة من لفحات يوليو

الفهـرس

صفحة

١٠٨١ بعد الاعتكاف	:	أحمد حسن الزيات ... ...
١٠٨٣ حول وحدة الوجود . .	:	الأستاذ معروف الرصافي ..
١٠٨٦ خواطر متساوقة في النقد والأدب والأخلاق ...	:	الأستاذ سيد قطب ... ...
١٠٨٨ بين البصائر والأبصار	:	الأستاذ محمد عبد الغني حسن
١٠٩١ جواب على نقد	:	الأستاذ محمد أحمد الغمراوي
١٠٩٣ هوستن ستيوارت شمبرلن	:	الأستاذ زكريا ابراهيم ..
١٠٩٦ شعر البارودي في منفاه	:	الأستاذ احمد احمد بدوي ...
١٠٩٨ الضمير ... [قصيدة]	:	الدكتور عزيز فهمي ... ...
١٠٩٨ قد كنت شيئاً «	:	الآنسة الفاضلة « دنانير » . .
١٠٩٩ زكي مبارك وكتاب الله	:	الدكتور زكي مبارك ...
١٠٩٩ كتاب المستقصى للزمخشري	:	الأستاذ محمد عبد الله الغزالي
٢٠٠٠ العقلية المصرية ...	:	الأديب عبد اللطيف ثابت
٢٠٠٠ « الشوامخ » [كتاب]	:	... ...

القائظ. وغمرنى السكون الريفى الحى فى المنزل والحديقة ، وفيما حولهما من مزارع القطن والرز ، فسبحتُ فى فيض من سكينة الفردوس اختنق فيها ما بقى عالقاً بسمعى من أصداء الحياة وضوضاء المدينة . وقطعت عن عشى صِلات العالم الخارجى فلم أعُد أرى غير مخضرّ أو مفترّ ، ولم أعد أسمع غير صادح أو باغم .

تذكرت حينئذ ناسك المعرة ، وقد اختصر العالم فى داره ، واختزن العلم فى صدره ، ثم كفاه الله هم الرغيف والمرأة ، فانفلت من إسار العيش ، وانطلق سابحاً فى رِجواء الفكر الحر ، ينظر من عَلٍ إلى بنى آدم المساكين ، وقد سلطتهم الطبيعة على أنفسهم ، فتفارسوا بالغرائز ، وتنافسوا فى الصغائر ، وزعموا أنهم العلة الغائية لخلق السموات والأرض وما دب على ظهرها ، وتولد فى بطنها ، ونما فى ثراها . ولو أنك نضوت عنهم ثياب التمثيل ، وجردتهم من وسائل التمويه والتجميل ، لما وجدتهم فى حقيقة الأمر يختلفون عن جماعة الكلاب تقتتل على جيفة ، أو تختصم على كلبة ! !

كان اعتكافى كما قلت قرباناً لأبى العلاء ؛ فأنا أعيش معه أكثر النهار فى اللزوميات ، أو فى الفصول والغايات ، أو فى مسارح التأمل والتفكر . وكثيراً ما كنت أستغرق فى ادّكاره واستحضاره وأنا مستلق على العشب ، فأتمثله وهو مضطجع على سريره يفكر ، أو جالس على حشيَّته يملى ، وكاتبه بين يديه ، وأولاد أخيه من حواليه ، وتلاميذه وزواره فى صحن الدار يرقبون أن تشرق عليهم شمس المعرفة من غرفته . وكنت أتخيل الشيخ بين هؤلاء كائناً عجيباً يشع العلم طبعاً كما تشع الشمس النور ، وتبث الزهرة العطر ، وتعسل النحلة الشهد ، فأسائل نفسى : هل أبو العلاء وأضرابه من عباقرة الفكر أفراد من نوع الإنسان ؟ وإذا كان وجودهم دليلاً على قابلية هذا النوع لمثل هذا الرقى ، فلماذا كانوا من الندرة بحيث يُعَدون عدًّا منذ وقع فى سمع الزمان نبأ آدم ؟ وهل يجوز أن يكون التفاوت بينهم وبين سائر الناس كالتفاوت بينى وبين هذه الحشرات التى تموج من حولى تحت وريقات هذا العشب ؟

خلوت إلى أبى العلاء فى هذا المعتكف شهرين شغلتهما بالفكر فيه والقراءة له والتأمل معه . وكنت أشعر فى خلالهما أنى أعمق شعوراً بالكون ، وأدق فهماً للطبيعة ، وأتم علماً بالناس ، ولكنى مع ذلك حاولت مراراً أن أكتب فلم أفلح ! ذلك لأن الخواطر التى كانت تنثال علىّ إنما كانت صدى لخواطر المعرى أو اشتقاقاً منها أو اقتباساً بها . وكنت أجد فى شعره أو نثره التعبير الجميل الصادق عن هذه الخواطر فلا أجد بى حاجة إلى مزيد . والاعتكاف بعد هذا ضرب من العبادة الصامتة يغنى فيها الفكر عن الذّكر ، والاستغراق عن المشاهدة ، والاستقبال عن الإذاعة

وأوفيت على تلك الحال بالنذر للشيخ ، فودعته وودعنى ، وانسدلت بينى وبينه حجب القرون العشرة ؛ ثم عاد إلى قبره الجديد ، وعدتُ إلى مقرى القديم ، ليستأنف هو راحة الخلود فى سكون المعرة ، وأستأنف أنا جهاد الحياة فى زحمة القاهرة . فلما أخذت ، على عادتى فى الريف ، أبسط رئتى للهواء النقى ، وأرهف أذنىَّ للصوت الجميل ، إذا الهواء منتن يزكم الأنف ويأخذ بالنفَس ، وإذا الصوت منكر يندب الأخلاق وينعى الشرف ، وإذا النقائص والفواحش التى أخذها أبو العلاء على الناس متفرقين فى الأمم والعصور ، تتجمع كلها فى زمن واحد وبلد واحد ! وتلك كارثة خلقية تتضاءل بجانبها كوارث الحرب فى الأموال والأنفس . فإن من يشكو الجوع والموت والدمار وهى بلايا تدفعها السلم القريبة ويعوضها العمل المنتج ، ليس كمن يشكو جوع النفوس ، وموت الضمائر ، وخراب الأخلاق ، وهى محن لا ينفع فيها غير تبديل الفطَر الأصيلة ، وذلك من صنع الله وحده !

لم يأت وا أسفا على مصر فى دهرها الطويل حينٌ كهذا الحين انماعتْ فيه الرجولة ، وانحلت الأخلاق ، وطغت الشهوات ، وأظلم الحس ، حتى خفّت الرذائل على الطباع ، وساغت التهم الفواجر فى الأسماع ، فأصبح الناس يقرأونها كالأخبار ، ويسمعونها كالقصص ، ويتبادلونها كالتحايا ، ثم لا يجدون لها فى أنفسهم مضاً ولا غضاضة !

(للكلام بقية)

احمد حسن الزيات

حول وحدة الوجود

فيما كتبه الأستاذ دريني خشبة

للأستاذ معروف الرصافي

كتب الأستاذ دريني خشبة في العدد (٥٩١) من الرسالة مقالاً كرر فيه شتائمه السابقة لأهل وحدة الوجود عامة، وللرصافي خاصة، ونحن هنا لا نريد أن نقابل تلك الشتائم بمثلها، وإن كنا أقدر عليها من غيرنا، لأننا نكره النزال في حومة لا يخرج منها الغالب إلا وهو ألأم من المغلوب

يقول الأستاذ خشبة: «كيف تكون الكائنات مظاهر لهذا الإله العجيب الذي يقول أنصار وحدة الوجود إنه لا وجود إلا له ... أما هذه المخلوقات فهي باطل — هي وهم ... ولست أدري كيف يكون الرصافي وهماً وباطلاً . . » إلى آخر ما هنالك من أقاويل أرجف فيها

إن الأستاذ خشبة يتهم خصمه بنقيض اعتقاده، ويحمل كلامه على ضد مراده، ثم يؤاخذه على ذلك مؤاخذة إرذال وتشنيع، وهذا لعمر الله لم يعهد في تاريخ البحث والمناظرة لأحد قبل الأستاذ

أنا لا أشك في أن الأستاذ، لو قرأ في الصفحة ٢١ من رسائل التعليقات، ما نقلناه عن محيي الدين بن عربي من كلامه حول ما جاء في الحديث النبوي «أصدق كلمة قالتها العرب، قول لبيد (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) وما أوضحناه نحن وذكرناه هناك، لاحمر خجلاً من قوله إن هذه المخلوقات باطل، وإنها وهم

إن أهل وحدة الوجود، يعطون الكائنات وجوداً لا يدركه الفناء، لأنهم يرون وجودها ووجود الله واحداً. وهذا هو كل ما يريدون من قولهم بوحدة الوجود، فالوجود في رأيهم واحد لا اثنان، وهو الله ذو الوجود الكلي المطلق اللانهائي، وما هذه الكائنات عندهم، سوى مظاهر للوجود الكلي، وصور قائمة به، كالأمواج في البحر، فإن الوجود في البحر، واحد وهو الماء، وما الأمواج إلا مظهر من مظاهر الماء، وصور قائمة به، وليس للأمواج وجود غير وجود الماء، ولا ريب أن وجود الأمواج حق، لا وهم من الأوهام

والظاهر أن الذي حمل الأستاذ خشبة على جعله المخلوقات وهماً، هو قولهم: إنه لا وجود إلا لله، ولو افتكر الأستاذ جيداً، لأدرك أنه لا يلزم من ذلك أن تكون المخلوقات وهماً، ولنضرب له مثلاً أوضح من أمواج البحر: هرماً مبنياً من الثلج، فنسأل الأستاذ هل لهذا الهرم وجود غير وجود الماء؟ كلا! وهو مع ذلك حق، لا وهم من الأوهام، بل كل ما هنالك أنه غير قائم بذاته، بل بالماء، فهو من هذه الناحية، يقال له باطل على طريق التشبيه أي كالباطل، وبذلك فسر محيي الدين ابن عربي قول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، إذ قال: «اعلم أن الموجودات كلها، وإن وصفت بالباطل فهي حق من حيث الوجود، ولكن سلطان المقام إذا غلب على صاحبه يرى ما سوى الله باطلاً، من حيث أنه ليس له وجود من ذاته، فحكمه حكم العدم، وهذا معنى قوله ما سوى الله باطل، أي كالباطل، لأن العالم قائم بالله لا بنفسه»

ثم قال: (والعارف إذا وصل إلى مقامات القرب في بداية عرفانه، ربما تلاشت هذه الكائنات، وحجب عن شهودها بشهود الحق، لا أنها زالت من الوجود بالكلية، ثم إذا كمل عرفانه، فإنه يشهد الحق والخلق معاً في آن واحد)

هذا ما قاله محيي الدين، وأين هو مما يقوله الأستاذ خشبة من أن هذه المخلوقات باطل، وإنها وهم. ولا ريب أن شهود الحق والخلق معاً في آن واحد كما قال محيي الدين، هو كشهود الماء والهرم الثلجي معاً في آن واحد، وهذه المرتبة عند الصوفية، تسمى مرتبة الجمع، كما هو مسطور في كتب التصوف، فكما أن وجود الهرم الثلجي حق، لا وهم، وإن لم يكن له وجود غير وجود الماء، كذلك وجود المخلوقات حق، لا وهم، وإن لم يكن لها وجود غير الوجود الكلي أو غير وجود الله، وكما أن هذا الهرم، مظهر من مظاهر الماء، وصورة قائمة بالماء، كذلك

المخلوقات كلها مظاهر للوجود الكلى ، وصورة قائمة به ، فهى كهذا الهرم ليس لها وجود غير الوجود الكلى

أليس من المعيب عند الأستاذ خشبة ، أن يتهم الصوفية بضد ما يقولون ، ثم يشنع عليهم قولهم كل هذا التشنيع .

وكيف جاز للأستاذ أن يتغاضى عن فصل كتبناه تحت عنوان (الحق والباطل ، فى رأى أهل التصوف) وقد صرحنا فيه بأن كل ما وقع فهو حق عند أهل وحدة الوجود وأنه لا باطل عندهم إلا المحال

٢ — ومن شتائم الأستاذ خشبة للرصافى قوله : (إن الرصافى يرى أن القرآن من تأليف محمد ، بدليل ما دأب على ذكره من قوله : قال محمد فى القرآن)

فنقول : إن هذا القول قد قاله بعض المشايخ من ذوى العمائم عندنا فى بغداد قبل الأستاذ خشبة ، وهو يدل على أنهم يجهلون اختلاف علماء الإسلام فى القرآن ، هل هو المعنى ، أو المعنى واللفظ معاً ، وأنه ذهب فريق منهم إلى أن القرآن هو المعنى القائم بذات الله ، دون الألفاظ ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك) ولم يقل على سمعك ، حتى إن الإمام أبا حنيفة أجاز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة ، ثم إن هؤلاء اختلفوا فى ألفاظ القرآن لمن هى ؛ فمنهم من قال بأنها لرسول الله ، ومنهم من قال بأنها لجبريل ، ومنهم من قال غير ذلك كما هو مسطور فى كتب العقائد الإسلامية

وأما الفريق الثانى فذهبوا إلى أن القرآن هو المعنى واللفظ معاً ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) والنطق يشمل المعنى واللفظ معاً ، وأجاب الفريق الأول بأن (هو) فى قوله : (إن هو إلا وحى يوحى) ، عائد إلى القرآن ، لا إلى المصدر المفهوم من (ينطق) ، وإذا كان الأستاذ خشبة لم يطلع على هذا ، فليقرأ ما كتبه الإمام السيوطى فى الإتقان على الأقل

وعلى كلا القولين لكلا الفريقين ، لا يلزم من قول الرصافى (قال محمد فى القرآن) كونه من تأليف محمد ، أما على القول الأول فلأن التأليف يشمل المعنى واللفظ معاً ، ولا يكون للفظ فقط ، والقرآن هو المعنى الموحى من الله على قول هؤلاء ، فيكون معنى قولنا (قال محمد فى القرآن) عبر محمد عن المعنى الموحى إليه من الله . وأما على القول الثانى ، فظاهر ، لأن قول محمد هو قول الله ، بدليل (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى)

٣ — ومن شتائم الأستاذ خشبة للرصافى قوله : بأن الرصافى لا يرى معنى للبعث الذى يؤمن به المسلمون وجاء به القرآن الكريم

فنقول سبحانك هذا بهتان عظيم ، إن الرصافى إنما قال عند الكلام عن البعث : (أما مسألة بعث الموتى بأرواحهم وأجسادهم ، فلم أقف على كلام للصوفية فى تخريجه على مذهبهم وتوجيهه) قال : (والذى أراه أنه معتقد صرف لا يقوم إلا بالإيمان ، وأن ليس للعقل فيه مجال ، ولا يخفى أن الإيمان بالغيب ، يتسع لأكبر منه وأبعد) قال : (ومن العبث إقامة الأدلة العقلية على أمور لا تقوم إلا بالإيمان فى جميع الأديان ، وليس الدين إلا إيماناً بالغيب ، كما جاء فى القرآن (يؤمنون بالغيب) فالإيمان بالغيب هو أساس الأديان كلها)

وإنما قلنا إنه ليس للعقل فيه مجال ، لأن العقل البشرى ، عاجز عن أن يدرك قيام الموتى من قبورهم شعثاً غبراً ، ينفضون التراب عن رؤوسهم ، إلى ربهم ينسلون

أما أنا فأعترف للناس أجمعين بأن عقلى عاجز عن إدراك حقيقة البعث على هذا الوجه ، وإن آمنت به ، فإن كان عقل الأستاذ خشبة ، يستطيع أن يقيم لنا الأدلة العقلية والعلمية على ذلك ، فليتفضل ، فنحن له من الشاكرين ، وبهديه من المهتدين

ولكن كيف يستطيع ذلك ، وهو ينادى بأعلى صوته أنه مؤمن بالله وبرسوله إيماناً ساذجاً كإيمان العجائز ، ولو كان فى استطاعته إقامة الأدلة العقلية على البعث ، لما كان إيمانه كإيمان العجائز ، ذلك الإيمان التقليدى الذى يزلزله أدنى شك ، ويزعزعه أقل ريب

وإلى القراء بعض فقرات مما كتبه الرصافى عند كلامه على البعث ، قال :

(وإن كان البعث مما لا تدركه العقول ، فإن الإيمان به معقول ومقبول ، ذلك لأن الغاية المقصودة منه ، هى اعتقاد المؤمن بيوم الدين ، الذى هو يوم الحساب والجزاء ، ذلك اليوم الذى يجازى فيه المحسن ، ويعاقب المسيء . ولا ريب أن الإنسان إذا كان مؤمناً بيوم الدين إيماناً صادقاً ، اجتنب الشرور ، وكف عن العدوان ، وبذل الجهد فى الأعمال الصالحة ، وهذا هو كل ما تريده جميع الأديان فى كتبها السماوية ، وجميع الحكومات فى قوانينها الأرضية » . قال : « وعليه ، فلا مرية فى أن الإيمان بالبعث ، يكون من أهم الوسائل المؤدية إلى السعادة فى الحياة الدنيا ، لأن المؤمن به ، وبيوم الجزاء ، يستحيل عليه عقلاً وعادة ، أن يرتكب الشرور ، وأن يعمل غير الصالحات ، ومتى كان كذلك ، كان صالحاً للحياة الاجتماعية بكل ما اشتملت عليه من حقوق وواجبات »

ثم قال : « وتالله إنى لا أرى فى الوسائل العلمية والأدبية ، وسيلة تؤدى إلى إصلاح الإنسان فى حياته الاجتماعية ، أنفع ، ولا أنجع ، ولا أروع من إيمانه بيوم الجزاء المترتب على إيمانه بالبعث ، ولا ريب أن الفضل كله فى ذلك ، راجع إلى دين الإسلام القائل بالبعث دون غيره من الأديان »

هذا ما قاله الرصافى فى رسائل التعليقات من الكلام الذى أعرب فيه عن كل هذه المعانى السامية ، ولكن الأستاذ خشبة يقول إن الرصافى لا يرى للبعث معنى فإنا لله وإنا إليه راجعون

أنشدك بالله أيها القارئ الكريم ، هل فى هذا الكلام ما يدل على أن قائله كافر بالبعث ، وهل يجوز للأستاذ خشبة أن يشتم الرصافى هذه الشتيمة المنكرة ، ويتهمه بأنه لا يرى للبعث معنى

من الجائز شرعاً ، أن أقابل هذه الشتائم بمثلها ، « والحرمات قصاص » وليس الأستاذ خشبة بمعجزى أن أكايله مثل هذا الشتم صاعاً بصاع ، إن نثراً فنثر ، وإن شعراً فشعر ، ولكنى كما قلت آنفاً أكره النزال فى حومة لا يخرج منها الغالب إلا وهو ألأم من المغلوب

أنا لا أطلب من الأستاذ خشبة ، ولا من غيره ، أن يترك إيمانه الساذج ، إلى إيمان تسايره الحكمة ، ويؤيده المعقول ، فإن ذلك منى فضول . كما أنى لم أكتب رسائل التعليقات لدعوة الناس إلى وحدة الوجود ، بل كل ما هنالك أنى قرأت كتاب التصوف الإسلامى للدكتور زكي مبارك ، فعلقت عليه بعض ما عندى فى التصوف من معلومات ، وأنا خاضع لكل رد يأتينى بالحق ، لا بالباطل . أما التغيير والتبديل ، بقصد التكفير والتشنيع ، فشيء لا يرتضيه حتى الكفر المركب ، فضلاً عن الإيمان الساذج ، والسلام على من ترك هوى النفس ، ولم يقل إلا الحق .

بغداد — معروف الرصافى

على هامش النقد:

خواطر متساوقة

فى النقد والادب والاخلاق

للأستاذ سيد قطب

كنت أعد مقالى للرسالة عن « مليم الأكبر » كتاب الأستاذ « عادل كامل » ، حينما وصل إلىّ منها العدد الأخير ، فقرأت فيه كلمة الأديب الفاضل « فوزى سليمان » الموجهة إلىّ فى باب البريد الأدبى عن الناقد بين الكتب والشخصيات. وقد رأيت فى هذه الكلمة ما يدعو إلى البيان المفيد . ولم أجد بأساً من تأخير الكتابة عن « مليم » . فهذا الشاب الفقير « مليم » قد صار من أغنياء الحرب كما يقول مؤلفه . وحسبُ أغنياء الحرب ما هم فيه من ثراء ، ولا ضير عليه حين يتأخر نصيبه من الأدب . بل لعله لا يحفل مطلقاً بهذا النصيب!!! ثم إنّ له لدينا حساباً عسيراً عن أخلاقه وأعماله وآرائه . ومن حقه علينا وقد أصبح من الأثرياء أن نفرغ لحسابه بما يناسب المقام !!!

***

يقول الأديب الفاضل :

« لاحظت فى سلسلة مقالاتك النقدية عن « عالم القصة » أنك تكرر فى كثير منها قولك : « إنك لا تعرف — ولم ترَ — شخوص أغلب من تتحدث عنهم . ويبدو هذا غريباً فى نظرى ، فالقصة — فى هذا اللون بالذات من ألوان الأدب — لا شك أن لشخصية الكاتب وحياته الأثر القوى فى إنتاجها ... »

ثم يقول :

« فلم لا تحاول أن تخرج من عزلتك ، وتتعرف إلىّ من تكتب عنهم . بل وتكوّن معهم صداقات روحيـــة . فإذا أمسكت بقلمك بعد ذلك لتتحدث عن إنتاج لهم جمعت بين الصورة والأصل ، كما أنك ستخدم تاريخ الأدب المعاصر ، فتترك للأجيال المقبلة صوراً حية قوية من حياة المفكرين والكتاب المعاصرين . »

***

وهذا كلام صحيح فى مجموعه ، وإن لم يكن ضرورياً فى كل حين وأنا قد قلت شيئاً منه فى مناسبات سابقة :

فمنـــذ اثنى عشر عاماً كنت أقدم الديوان الأول لزميلى وصديقى الشاعر « عبد العزيز عتيق » — وكنت وإياه ما نزال طالبين — فجاء فى مقدمتى هذه الفقرات :

« أعتقد أننى أحق إنسان بأن أكتب هذه المقدمة لديوان « عتيق » وأنه لو لم يطلب منى وضعها لتقدمت أطلبه منه . ذلك أنى قد أكون أعرف الناس بشخصيته ، وبالعوامل التى تختلج فى نفسه ، والظروف التى تحيط به ؛ وما كان هذا الشعر إلا صدى لهـذه المجموعة ، وصورة أخرى لهـا . ولقد قاسمته كثيراً من هذه العواطف التى سجّلها الديوان ؛ وشاركته كذلك بعض ظروفها . والذى لم أكن موافقاً عليه من ناحية نسجه ومنحاه ، كنت موافقاً على الظرف الذى انبعث عنه ، والعاطفة التى أملته

« وأنى لميال إلى اعتبار شخصية الشاعر جزءاً من ديوانه ، — إن لم تكن هى كل ديوانه — فمعرفة الناقد بشخصية من ينقده أمر ضرورى له فى تحليله . وهو إذا لم يعرفها استعان على معرفتها بآثارها المكتوبة . فإذا قلت : إننى قد أكون أعرف الناس بشخصية صاحب هذا الشعر ، كان ذلك معادلاً للقول بأنى أحق إنسان بأن يقدمه للناس .

« وأنا اليوم حينما أريد أن أعرف صدق الشاعر فى التعبير عن شعوره — وهو عندى مناط الشاعرية — لا أجهد نفسى فى التحليل والتمحيص . وتخريج المعانى ومراجعة الأحاسيس . كلا ! فإن لدى صورتين حاضرتين : صورة صاحب الديوان وتصرفاته فى الحيـاة وأفكاره وخواطره ودراسته . . . الخ . وصورته الأخرى المخطوطة فى ديوانه . وما علىّ حين أشاء معرفة صدقه من كذبه ، إلا أن أوازن بين الصورتين ، فيمتاز المشوه والدخيـل . وتتبين مواضع التزييف والمغالطة ، أو تستقيم الصورتان وتنعدم الفروق ... »

***

وأنا اليوم على هذا الرأى مع اختلاف فى التطبيق والتفسير. فالصدق الفنى — كما أفهمه اليوم — ليس من الضرورى أن يحقق الصدق الواقعى . وحسبه أن يبلغ صدق الإحساس بالحياة وصحة الشعور بالطبيعة ، وأن يعبّر بعد هذا عن الخلجات المستسرة فى الضمير، وإن لم يطابق تصرف الفنان الظاهر للعيان!

فهذه الصورة المستسرة هى الصورة الفنية مترجمة إلى لغة التعبير

على أن العجز لسبب ما عن تحقيق الشىء فى عالم الواقع ، كثيراً ما يقود الفنان لتحقيق ذلك الشىء فى عالم الفنون . سواء أكان سبب العجز شخصياً أو كونياً . مثال ذلك شاعر أو قصاص مندفع بحكم بنيته أو وراثاته أو مزاجه إلى الارتكاس فى حمأة الشهوات ؛ ثم نجده يتغنى بالمثل الرفيعة أو يرسم شخصياته نماذج للترفع أو الصوفية . . .

لهذا الفنان عالمان : عالم الواقع الملموس ، وعالم الرغبات المكنونة . وعالمه الفنى هو هذا العالم الأخير . إنه ذو شخصية مزدوجة . نعلم ذلك من صورة شخصه ، ومن صورة فنه . وليست إحداهما بكاذبة وهنا يكون للمعرفة الشخصية قيمتها فى تحليل هذا الازدواج !

والموانع الكونية شبيهة بالموانع الشخصية . وصرعاها أكثر وأكبر . وما المدينة الفاضلة والطوبى المصرية وأمثالها إلا من صنع هذه الموانع الكونية ، والرغبات الكونية كذلك . فأنا حريص على أن أعتقد أن للكون رغبات مضمرة فى التسامى المطلق تمثلها رغبات الأفراد الفانين !

* * *

ولست كذلك ممن يخشون غلبة الملابسات الشخصية على الأمانة الأدبية فى النقد — إذا أنا عرفت أشخاص المنقودين — ولا ممن يخشون اتهام بعض القراء لى بأن لهذه الملابسات دخلاً فى توجيه النقد ، تحت تأثير الصداقات والخصومات !

وقد وقفت قبل أحد عشر عاما كذلك ألقى محاضرة عن « وحى الأربعين » ديوان الأستاذ العقاد فى « رابطة الأدب الجديد » فبدأتها بهذا التمهيد :

« أود قبل أن أتحدث عن « وحى الأربعين » أن أعلن إليكم صداقتى لصاحب « وحى الأربعين » ! وأن هذه الصداقة شرط أساسى للدراسة والنقد — ولا سيما نقد الشعر ودراسته — فأنت لن تستطيع فهم الشاعر وتحليله حتى تتصل بقلبه وعقله ، ولن يتاح لك الاتصال بهما حتى تكون صديقاً للشاعر ، وحتى يكون بينكما تواد وتعارف قديم .

« وربما جهد غيرى فى مثل هذا الموقف أن ينكر صلاته بالرجل الذى يتحدث عنه ، أو ربما جهد أن يعلن إليكم أنه تخلص من صداقته ، ليخلص إليكم برأيه البرىء !

« أما أنا فلا أنكر ! وأما أنا فلم أحاول التخلص من هذه الصداقة ؛ لا . بل إنى لأعلن إليكم أننى اتصلت بالأستاذ العقاد لأستوضحه بعض النقط ، ولأتأكد من بعض ما كنت فى شك منه .

« ولست أخشى من هذه الصداقة — على أشدها — أن تؤثر فى رأيى . لأن لى صداقة أخرى أقوى من هذه الصداقة . وهى صداقتى لضميرى . لا . بل صداقتى لشخصيتى ، وحرصى عليها أن تفنى فى أية شخصية أخرى ... »

* * *

وأنا اليوم بعد أحد عشر عاماً كما كنت يومذاك بفارق واحد. وهو أننى لم أعد أعنى اليوم — كما كنت أعنى يومذاك — بإعلان « صداقتى لشخصيتى وحرصى عليها أن تفنى فى أية شخصية أخرى ... »

إننى لم أعد أحرص اليوم على مقاومة الفناء فى الشخصيات الأخرى، لأننى عدت أكثر اطمئناناً لعدم الفناء ! وإنى لأعرف اليوم أن صيحتى يومذاك إنما كانت صيحة الخائف الذى يحدث نفسه فى الظلام ، ويتقى عنها الأوهام ليشعر بالاطمئنان !!!

لقد كنت أتحدث يومها عن العقاد . وكانت شخصية العقاد هى الشخصية الوحيدة التى أخشى الفناء فيها — كنت أحس هذا بينى وبين نفسى — ولقد ظلت هذه الخشية إلى وقت قريب حينما بدأت أشعر أننى قد تخلصت . وأننى أنتفع بالعقاد ولكننى لا أقلده . وأن لى طريقاً ألمح معالمه وأستشرف آفاقه . وأننى

بين الأبصار والبصائر

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

امتاز الأدب العربي بطائفة من العُميان فقدوا نعمة البصر ولكنهم لم يفقدوا نعمة الذكاء والفهم والبصيرة . حتى لقد بلغ بعضهم منزلة يحسده عليها المبصرون .

وفي كل أمة طائفة من هؤلاء ، اشتهروا بحسن الأثر ، وجليل العمل . وعند الإنجليز منهم أمثال الدكتور أرميتاج ؛ والقس توماس برنارد ، والسير فرنسيس كامبل ، ودكتور رانجر ؛ والسير روبرتسون تندال ، وهنري تايلر ، والسيدة هيلين كيلر .

وعند الفرنسيين منهم أمثال السيدة جاليرون دي كاليرون وعند العرب أمثال أبي العلاء المعري ، وبشار بن برد ، وحماد بن زيد الضرير .

والذي يولد أعمى يقال له أكمه . ومن هؤلاء عندنا بشار ابن برد وقد جمع إلى الكمه جحوظ العينين وضخامة الخلقة وعظم الوجه .

ومن العميان من أصابه العمى في طفولته ، كما حدث للمعري . وقد اعترف هو بذلك في احدى رسائله إلى داعي الدعاة .

وقد يكون العمى في الصغر نتيجة لشيء آخر غير المرض . كما حدث للقس برنارد الإنجليزي وللسير فرنسيس كامبل الذي جنت على بصره لعبة طائشة .

أتذوق بحسي ، وأنظر بعيني ، وأسمع بأذني . وإن كان للعقاد فضل التوجيه في الطريق العام .

عندئذ بدأت أسكت عن كل اتهام . وبدأت أتحدث عن أستاذية العقاد لي وتلمذتي له ، وبدأت أسخر من بعض « شبان » الجيل الذين يحسبون هذا مطمناً يوجهون إليّ منه الغمزات ! فأؤكد لهم التهمة التي يلمحون بها أو يصرحون !

وإني لأضحك وأسخر من الكثيرين ، الذين كما رأوا أنفسهم ينتفعون ببعض الشخصيات ، خافوا أن يضبطهم الناس متلبسين فراحوا يعلنون تجاهلهم التام أو خصومتهم القوية لهذه الشخصيات ، على طريقة السذّج من المتهمين الذين إذا سئلوا : هل سرقتم من بيت فلان ؟ كان الجواب : إننا لم نعرف فلاناً هذا ولا بيته في يوم من الأيام !

وبعد فأنا أرى الآن أن المعرفة الشخصية قد تكون ضرورية في أحيان ، وغير ضرورية في أحيان ؛ وذلك حسب طبيعة الفنان ، فبعضهم يغنيك بما يكتبه عن معرفته لأنه يكتب ما يشبه الاعترافات كابن الرومي والمازني . وبعضهم لا بد أن تعرفه وبعضهم تزيدك معرفته علماً بفنه ...

***

تلك خلاصة رأيي في النقد والمنقودين ، فإذا كان الأديب الفاضل لاحظ أنني ذكرت عدم معرفتي لبعض من كتبت عنهم من الشبان ، فإنما كان ذلك لأنني لم أعرفهم فعلا ؛ ولم تكن لدي الفرصة لمعرفتهم من قبل . كل ما هنالك أنني وجدت بين يدي أعمالاً أدبية تستحق التنويه ؛ فلم يكن من الميسور أن أتعرف إلى أصحابها لأكتب عنها مقالة عابرة . ورأيت أن أكون أميناً ، فلا أدعي معرفتي الكاملة لهذه الشخصيات ، ولا أزعم أن ما كتبته هو كل ما هنالك . فأعلنت أنني لا أعرفهم ، وهذا يتضمن في طياته بعض العذر إذا كنت لم أحط بكل جوانبهم .

ومنذ عامين لديّ كتاب عن « المدارس الأدبية المعاصرة » وما يؤخرني عن كتابته إلا استيفاء بعض الدراسات الشخصية لأبطاله . وقد استطعت أن أجمع عن كثب معظم ما أريد جمعه عن « العقاد وتوفيق الحكيم » وشيئاً مما أريد جمعه عن « طه حسين . والمازني » وقليلاً جداً عن « المنفلوطي والزيات » ومتفرقات عن « تيمور وحقي ولاشين » وآخرين ...

وبعد ما أستوفي هذه الدراسات — لا قبله — سآخذ في الحديث عن « المدارس الأدبية المعاصرة » . ولو صرفت عامين آخرين . فأنا أقدر قيمة هذا العمل وأعرف ما هو مطلوب مني إزاءه . ويومها سأحقق ما يقترحه عليّ الشاب الأديب .

سيد قطب

وقد يكون العمى نتيجة لحادث مقصود لذاته ، كتوقيع عقوبة أو تنفيذ حكم . كما حدث لأمير المؤمنين المتقى الخليفة العباسى الذى خلعه الثوار وسملوا عينيه ، ولم يغنهم دينه وصلاحه وكثرة صلاته وقيامه من تعذيبه على تلك الهيئة . واجتمع عليه فقد البصر وعذاب السجن خمسة وعشرين عاما احتملها صابراً راضياً مذعناً لقضاء الله . وله فى ذلك أبيات مؤثرة يقول فيها :

سملونا وما شكو   نا إليهم من الرمد
ثم عاثوا بنا ونحـ   ـن أسودٌ وهم نقدْ
كيف يغتر من أقا   م وفى دستنا قعد

وكما حدث للوزير محمد بن بقية وزير بنى بويه الذى رثاه ابن الأنبارى الشاعر بقصيدته المشهورة التى مطلعها :—

علو فى الحياة وفى المات   لحق تلك إحدى المعجزات

وهذه القصيدة وزعت فى شوارع بغداد خفية — كما توزع اليوم المنشورات السرية — إلى أن بلغ خبرها ابن بويه فتمنى أن يكون هو المصلوب وأن تكون القصيدة قيلت فيه .

ومن الناس من يصاب بالعمى على سن عالية كما حدث للدكتور أرميتاج الإنجليزى من رجال القرن التاسع عشر ، فقد كان جراحا نابهاً وبرع فى علم النبات براعة جعلته من أكبر الثقات فيه . وأتقن الألمانية كأنه وهو يتكلم بها لا يستعمل لغة غريبة ، فلما نزلت به البلية لم يستكن إلى محبس العمى وسجن الظلام بل استطاع أن يقدم إلى إخوانه فى البلاء أجل المساعدات التى جعلته فى عداد الآخذين بيد المكفوفين العاملين على تحسين أحوالهم وتهوين الحياة عليهم .

ومن هؤلاء فى أدبنا العربى صالح بن عبد القدوس صاحب البيت المشهور : —

ما يبلغ الأعداء من جاهل   مايبلغ الجاهل من نفسه

فقد ذاق متع الدنيا ولذاذات العيش وهو بصير ، فلما عمى لزم بيته وأوى إلى محبسه ، ووجد فى الوحدة أنساً وفى العزلة سروراً . وعبر عن ذلك بقوله :—

أنست بوحدتى فلزمت بيتى   فتم العز عندى والسرور
وأدبنى الزمانُ فليت أنى   هجرت فلا أزار ولا أزور

وله أبيات مؤثرة يخاطب بها عينه الذاهبة بقوله : —

عزاءك أيها العين السكوب   ودمعك أنها نوب تنوب
وكنت كريمتى وسراج وجهى   وكانت لى بك الدنيا تطيب

ومنها :—

على الدنيا السلام فما لشيخ   ضرير العين فى الدنيا نصيب
يموت المرء وهو يعد حيا   ويخلف ظنه الأمل الكذوب
يمنينى الطبيب شفاء عينى   وما غير الإلٰه لها طبيب
إذا ما مات بعضك فابكِ بعضاً   فإن البعض من بعض قريب

* * *

وممن أصيب بالعمى على كبر عطاء بن رباح الذى ولد فى خلافة عثمان بن عفان ، وكان تابعياً جليلاً . انتهت إليه الفتوى بمكة وشهد له أبو حنيفة بالفضل .

ومنهم عقيل بن أبى طالب أخو الإمام على ؛ وقد اجتمع له من علم النسب وأيام العرب شىء كثير .

ومنهم عبد الله بن العباس ابن عم النبى عليه السلام ، وأبو الخلائف من الدولة العباسية . وكان فقيهاً عظيما . وبلغ من فقهه أن الخليفة عمر كان يستشيره فى مسائل الفقه . هذا إلى وضوح فى الحجة ، وجهارة فى الرأى ، وقوة فى البرهان .

* * *

وليس فى الدنيا من يشتهى العمى ويطلبه ، فهو شىء بغيض إلى النفوس ؛ حتى ليدعى به على المكروه ، ولكن شاعراً واحداً تمناه لنفسه فكان له ما تمنى ...

أما الشاعر فاسمه المؤمل بن أميل ؛ وأما قصته فكما يأتى :— أحب امرأة من الحيرة ؛ ورآها فجنت عليه نظرته إليها فقال :—

شفَّ المؤمل يوم الحيرة النظر   ليت المؤمل لم يخلق له بصر

فما عتم طويلاً حتى تحقق ما تمناه ، وضاعت منه عيناه ...

ولم يبلغ أحد فى الأدب العربى كله منزلة أبى العلاء ، وهو فى الشعر من هو . أما فى التأليف فقد عد له المرحوم تيمور باشا أربعة وسبعين كتابا ؛ ليست مثل كتب السيوطى ... ولكنها

مثل « رسالة الملائكة[١] » و « الفصول والغايات » و « رسالة الغفران » .

* * *

استعمل العمى فى القرآن بمعنى الضلالة والحيرة . وذلك شر أنواع العمى . أما فقد البصر فقد يخففه ويغنى عنه تفتح البصيرة وتنور القريحة . ونحن نجد الآن بعض المكفوفين يفوقون المبصرين إدراكاً للأمور وخوضاً فى المعترك الحيوى ، وهم ليسوا كمكفوفى الأمس يخلدون إلى الدعة ويلتزمون المحابس فى دورهم ، ولكنهم يشتركون فى الحياة العامة .

فالسير فرنسيس كامبل حصل على أعلى درجة من جامعة جلاسجو وهو أعمى . وكافح فى الحياة ، واحتل مكاناً بارزاً فى الحياة الإجتماعية بانجلترا حتى استحق لقب « سير » وهو به جدير .

والسيدة هيلين كيلر لم يمنعها العمى من التأليف المجدى فى علم النفس ودرس نفسيات الأطفال . وكتاباها حجة فى هذا الموضوع .

والشاعرة الفرنسية مدام جاليرون دى كالون « Galeron de Calonne » لم يعطل العمي مواهبها فى الشعر وبراعتها فى الخيال . وهى تعبر عن ذلك فى قصيدة لها عنوانها « ماذا يهم ؟ » تقول منها :—

لن أراك بعد هذا أيتها الشمس الساطعة
ولكنى سأحس حوادثك
لن أراك بعد هذا ياسناء الورود
ولكن السماء قسمت حظوظنا
فماذا يهم الضياء ؟ — إن عندى روح الأشياء
لن أرى بعد هذا بهاء الورود
ولكن عندى عبيرها الفوّاح .

* * *

والدكتور رنجر مثل لشجعان المكفوفين . لم يطو على نفسه بل حصل على أجازة الحقوق وهو ضرير . واشتغل بالمحاماة واشترك فى مجامع عديدة للعميان وصاهر إلى أشرف الأسر الإنجليزية .

والسير روبرتسون تندال لا يقل عنه شجاعة فقد ناضل واشترك فى الهيئة الإجتماعية ، وألقى دلوه مع المبصرين حتى شرفته مدينة بريتون الإنجليزية بالنيابة عنها فى مجلس النواب .

والمستر هنرى تايلر أكمل نفسه بالعلم — وهو ضرير — فاختير فى سنة ١٨٩٨ رفيقاً بالجمعية الملكية للمهندسين ؛ واختير ممثلاً جامعياً فى مجلس. جامعة كامبريدج . واختير عمدة المدينة سنة ١٩٠٠ م . وله على المكفوفين من طلاب العلم العالى فضل عظيم . فقد اشترك فى طبع كتب لهم على طريقة « بريل » فسهل عليهم الدراسة في كتب يقرأونها بأطراف أصابعهم ، لا بأبصارهم ...

ولعل القراء يذكرون فصلاً ترجمته مجلة المختار خلاصةً لكتاب ألفه كفيف اسمه « كارستن اونستاد » وعنوان الكتاب « العالم عند أطراف أصابعي » ، وهو ترجمة لحياة حافلة بالمغامرة والبطولة والنضال من شاب فَقَدَ نعمة البصر وهو دون الثلاثين . وهذا الكتاب يذكرنا بكتابين نفيسين للسيدة هيلين كيلر ؛ الأول « قصة حياتى » والثانى « العالم الذى أعيش فيه »

وللمكفوفين نوادر وطرائف لايخلو منها كتاب من كتب الأدب والتاريخ ، وقد صنع فيهم صلاح الدين الصفدى كتابه المشهور « نكت الهميان » الذى أشرف على طبعه المرحوم أحمد زكى باشا رحمه الله .

محمد عبد الغنى حسن

مصادر البحث :

١ - The History of the Education of the Blind By Illing worth.
٢ La vie des aveugles
٣ نكت الهميان
٤ تهذيب الاسماء واللغات للنووى

(١) حدثنى عن هذه الرسالة الأستاذ الجليل إسعاف بك النشاشيبي وله فى خطرها رأى رجيح .

جواب على نقد

للأستاذ محمد احمد الغمراوى

تفضل الأستاذ ابراهيم زكى الدين بدوى[1] فنقد كلمتى الرابعة[2] فى فساد الطريقة فى كتاب النثر الفنى ، وخالفنى فى رأيين ارتأيتهما ، الأول يتعلق بالبيت المعروف

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

والثانى يتعلق بنص من كتاب إعجاز القرآن للامام الباقلانى

فأما البيت فقد أورده صاحب النثر الفنى مثالاً للكلام يكون بالغ الصدق فلا يمنعه ذلك أن يكون بالغ التفاهة . وضربته فى كلمتى مثلاً لسوء فهم صاحب الكتاب ، لأنه لم يدرك أن تفاهة البيت البالغة راجعة لا إلى صدقه ولكن إلى نوع من الكذب فيه ، لأنه فى الواقع بيت كاذب من ناحية التشبيه إذ لم يغاير بين المشبه والمشبه به . وأردت أن أمتحن هذا الرأى باختبار عملى فقلت لو نقلنا البيت عن التشبيه إلى الإخبار ، بحذف كأن وإحلال إن محلها ، لصار البيت صادقاً ولارتفعت قيمته ارتفاعاً ينجيه من أن يكون مثلاً مضروباً للكلام المستهزأ به . وتعقب الأستاذ بدوى قولى هذا بأن البيت يظل تافهاً حتى بعد التعديل المقترح ، بل يكون من وجهة اللغة غير صحيح لأن الخبر فيه لا يفيد فائدة تزيد على المبتدأ ، ولأنه لا يحتمل أن يكون من قبيل قول أبى النجم « وشعرى شعرى »

فأما أن البيت يظل تافهاً فصحيح . لكنى لم أزعم للبيت أنه بذلك التعديل ينجو من التفاهة ، ولكن زعمت أنه ينجو من التفاهة البالغة التى جعلته مثلاً يسخر منه . وتحول الكلام من تافه بالغ إلى تافه مجرد ارتفاع فى قيمته من غير شك ، كالعدد السالب الكبير إذا صار سالباً صغيراً أو موجباً صغيراً . وليس كل تافه من الكلام يستهزأ به ، فالكلام التافه كثير ، ومضرب المثل للمستهزأ به منه قليل

أما عدم صحة البيت برغم جعله إخبارياً فلست أوافق الأستاذ عليه . ألا ترى أن الإظهار بعد الإضمار ، والوصف بعد أن لم يكن وصف ، فائدة زائدة فى الخبر ، لها قيمتها فى الإخبار وليس لها أية قيمة فى التشبيه ، بفرض أن ليس هنالك فرق معنوى ما بين الجملة الحالية فى الشطر الأول وأختها الوصفية فى الشطر الثانى ؟ إن الجملة الخبرية فى صميمها هى « إننا قوم جلوس » وهى جملة مفيدة من غير شك ، كبرت الفائدة أو صغرت . وإسقاط الجملتين ، الحالية والوصفية ، عند تجريد البيت المعدل هكذا لتقدير فائدته جائز عند الإخبار ، غير جائز عند التشبيه ، لأن الجملة الحالية — والماء من حولنا — هى من صميم المشبه فى بيت التشبيه ، وليست من صميم اسم إن بعد أن صار البيت إخبارياً . أى أنها جزء أساسى من المشبه ، وليست أختها الوصفية ـ حولهم ماء ـ إلا صفراً فى المشبه به فى البيت فطرح كل منهما من طرفى البيت لتصفيته وتقدير قيمته ممكن فى حالة الإخبار ، غير ممكن فى حالة التشبيه

وأنا مع الأستاذ فى أن المبتدأ والخبر ـ لولا الوصف بالجلوس ـ ليسا من باب قول أبى النجم (وشعرى شعرى) ، لا لأنه لا يحتمل شيئاً مما يحتمله قول أبى النجم كما يرى الأستاذ ، فإن المسألة فى مثل هذا مسألة توجيه الذهن إلى معنى غير ما فى ظاهر اللفظ ، وتوجيه الذهن ممكن فى الحالين ، ولكن لأن قائل البيت لا ينتظر منه مثل هذه الالتفاتة الذهنية ، لأن الذى يعجز عن أن يغاير بين طرفى التشبيه يكون عن مثل هذه الالتفاتة أعجز

على أن الأمر كله هين من الناحية التى كتبت من أجلها الكلمة المنقودة . فلو صح نقد الأستاذ كله لما غير شيئاً من السبب الذى من أجله خطأت صاحب النثر الفنى فى فهمه أن البيت بالغ الصدق وبالغ التفاهة معاً . ولا أظن الأستاذ يصوب صاحب الكتاب فى هذا . والتعديل الذى اقترحته وتعقبه الأستاذ لم يكن ، كما قلت ، إلا من باب الاختبار العملى للرأى الذى ارتأيته . ولو شئت لاختبرته من الطرف الآخر ، بإبقاء حرف التشبيه وإدخال المغايرة على المشبه به ، كأن يكون ـ طير جثوم حولها ماء ـ بدلاً من قوم جلوس . وهذا يرفع البيت حالاً من الوهد إلى النجد ، ويجعله فى حالة التشبيه أعلى مرتبة منه فى حالة الإخبار ، لوضوح التشبيه وخفاء الاستعارة

(١) العدد ٥٨٠ من الرسالة   (٢) العدد ٥٨٣

فيما يبدو . لكن الأمر لا يستحق كل هذا التدقيق

أما النص المنقول من كتاب إعجاز القرآن فأمره أهم . والنص محل الخلاف هو : « السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدى السجع . وليس كذلك ما اتفق مما هو فى تقدير السجع من القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى . وفصلٌ بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ . ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره . ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى »

هذا هو النص . وقد ذهبت إلى أنه مختلف غير متفق بعضه مع بعض ، فما قبل قوله : « وفصل بين أن ينتظم الكلام فى نفسه الخ ... » مستقيم ، وهو عمود الكلام وأصل رأى الباقلانى ، إليه ينبغى أن يُرد ما عداه ؛ لكن ما بعده لا يتفق معه ولا مع نفسه إلا إذا تبودل المكان بين كلمتين تحل إحداهما محل الأخرى ، وبين جملتين تحل إحداهما محل الأخرى كذلك . فتصير بقية الكلام كما يأتى : « وفصل بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون اللفظ منتظماً دون المعنى . (ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع) كانت إفادة السجع كإفادة غيره . (ومتى ارتبط المعنى بالسجع) كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى » . والشرطتان تبينان الكلمتين ، والأقواس تبين الجملتين – على أحد وجهين – اللتين حلت إحداهما محل الأخرى ليستقيم الكلام كله

وذهب الأستاذ بدوى إلى أن النص كما هو فى الأصل مستقيم واضح كل الوضوح ، لا تداخل فيه ولا اختلاف ، وجاء بتوجيه هو خير ما يمكن أن يوجه به النص ، لولا موانع من ذلك فى نفس الكلام .

وأظهر هذه الموانع هو أن توجيه الأستاذ للنص المطبوع يستقيم به أكثر النص لا كله . فهو مثلا لم يوجه قول الباقلانى « دون تصحيح المعنى » فى قوله : « ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى » مع أن هذه الكلمات الثلاث هى التى تحول دون ما ذهب اليه الأستاذ بدوى لأنها صريحة فى أن الباقلانى يقصد كلاما غير منتظم المعني ولا صحيحه ، وهذا لا يتفق مع صدر الجملة الشرطية لأن ارتباط المعنى بنفسه لا بالسجع يضمن صحة المعنى من غير شك لأنه هو المقصود وله فى هذه الحالة الاعتبار الأول . فكيف يمكن أن يكون غير صحيح أو أن يكون الكلام المرتبط معناه بنفسه مستجلباً للتجنيس دون تصحيح المعنى ؟ إن من الواضح أن فعل الشرط وجوابه مختلفان غير متفقين فى هذه الجملة من النص المطبوع ؛ كذلك من الواضح أن الاختلاف يزول بالإبدال الذى اقترحته ، لأن استجلاب التجنيس دون تصحيح المعنى يتفق مع الحالة الأخرى التى ذكرها الباقلانى ، حالة ارتباط المعنى بالسجع وخضوعه له ، فى القسم الذى قال عنه فى صدر كلامه إن المعنى يقع فيه تابعاً للفظ المسجوع . فإذا وضع فعلا الشرطيتين – أو جواباهما – أحدهما مكان الآخر ، زال الاختلاف واتسق الكلام

ونستطيع أن نتبين وجه الحق فى هذا الموضوع من طريق آخر : طريق رد النظائر فى النص بعضها إلى بعض ، لننظر على أى الوجهين يمكن أن يستقيم الكلام كله فى نفسه ووفق رأى الباقلانى فى تقسيم ما هو على هيئة السجع من الكلام

لقد قسم الباقلانى ما هو على هيئة السجع إلى قسمين فى صدر النص : قسم يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع ، وقسم يتبع اللفظ فيه المعنى . ولا خلاف فى المقصود من هذين القسمين فأولهما للفظ فيه الاعتبار الأول ، وثانيهما للمعنى فيه الاعتبار الأول

هذان القسمان قد أشار اليهما الإمام الباقلانى فى بقية النص مرتين : الأولى فى قوله « وفصلٌ . . دون اللفظ » والثانية فى قوله « ومتى ارتبط المعنى بالسجع ... دون تصحيح المعنى »

ففى الأولى ذكر صنفين من الكلام : كلام منتظم فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه – وواضح أن هذا مراد به القسم الثانى الذى يتبع اللفظ فيه المعنى – وكلام يكون المعنى فيه منتظما دون اللفظ ولا محيص من رد هذا إلى القسم الأول الذى يتبع فيه المعنى اللفظ . ويتبين بأدنى تأمل أن الوصف كما هو لا ينطبق على القسم الذى يجب رده اليه ، لأن الوصف يذكر كلاما غير منتظم اللفظ منتظم المعنى ، والقسم الأول على عكس ذلك تماماً : منتظم اللفظ لأنه قصد فيه إلى السجع ، غير منتظم

هوستن ستيوارت شمبرلين

فيلسوف النازية الأول وصاحب دعوة الزعامة الألمانية

للأستاذ زكريا ابراهيم

لعلّ من غريب المصادفات أن يكون الرجل الذى وضع الأصول الأولى للفلسفة النازية، رجلاً انجليزياً ينتسب إلى أصل إنجليزى صريح. ولعل من غريب المصادفات أيضاً أن يكون الرجل الذى استمد منه فيلسوفُنا هذه الأصول، رجلاً فرنسياً لا يمتُّ إلى الأصل الألمانى بأدنى سبب. فقد نشر الكاتب الفرنسى « آرثر دى جوبينو » كتابه عن « تفاوت الأجناس البشرية » (من سنة ١٨٥٣ إلى سنة ١٨٥٧) وفيه أعلن سيادة العنصر الآرى على سائر العناصر ؛ فلم يكد القرن التاسع عشر يشارف تمامه، حتى تأسست فى ألمانيا نفسها جماعة عرفت باسم « جماعة جوبينو » ، أخذت على عاتقها أن تقنع الألمان — وهؤلاء لم يكونوا فى حاجة إلى إقناع طويل — بأنهم أرقى الأجناس، وأنهم أنقى سلالة من سلالات الآريين. ولم تكد تمضى على اليوم الذى تأسست فيه هذه الجماعة خمسةُ أعوام، حتى ظهر كتاب ضخم يُعدّ إنجيل « العنصرية » ، وهو كتاب « دعائم القرن التاسع عشر » « Die Grundlagen des Neunzlhnten Jahrhundert » للكاتب الإنجليزى هوستن ستيوارت شمبرلين

وقد وُلد شمبرلين من أب إنجليزى كان ضابطاً كبيراً فى الجيش ؛ ولكنه تأثر بالمؤثرات الألمانية، فدفعه إعجابه بعظمة الجنس التيوتونى إلى أن يتخلى عن الجنسية الإنجليزية، لكى يتجنس بالجنسية الألمانية. ولم يلبث أن اقترن بابنة ريتشارد فاجنر، فأصبح بعد نفسه منذ ذلك الحين ألمانيا خالصاً ينحدر من أصل ألمانى خالص ! وحينما نشر شمبرلين كتابه الذى أودع فيه دفاعه الحار عن العنصر الجرمانى، لقى هذا الكتاب رواجاً كبيراً، وأثنى عليه كثير من النقاد، حتى لقد قيل إن القيصر

المعنى لخضوعه للفظ وتبعيته له. فلا يمكن أن يكون الباقلانى أراد هذا. فما تعليل الخلف ؟ لا شىء إلا أن كلمتى « المعنى » « واللفظ » حلت إحداهما لسبب ما محل الأخرى فى الوصف. هذا هو أبسط تفسير ممكن. وإذن يجب أن تكون حقيقة الوصف هي « أن يكون اللفظ منتظما دون المعنى » حتى ينطبق على أول القسمين اللذين قسم إليهما الباقلاني ما هو على هيئة السجع من الكلام

لننظر الآن فى الأشارة الثانية إلى نفس القسمين. أشار الباقلانى إلى أحدهما بقوله « ومتى ارتبط المعنى بالسجع » وإلى الآخر بقوله « ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع » . فإلى أى القسمين ترجع كل من الإشارتين ؟ إن من الواضح أن الإشارة الثانية راجعة إلى القسم الثانى الذى يتبع اللفظ فيه المعنى، وإذن تكون الإشارة الأولى راجعة إلى القسم الأول الذى يتبع المعنى فيه اللفظ ويكون للفظ فيه الاعتبار الأول. ليس عن ذلك محيص

من هذا يتبين أن معنى قول الباقلانى « ومتى ارتبط المعنى بالسجع » أى متى جاء تابعاً خاضعاً للسجع، ومعنى قوله « ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع » أى متى جاء مستقلاً عن السجع وجاء السجع تابعاً له. لكن توجيه الأستاذ بدوى عكسَ الوضع، وجعل ارتباط المعنى بالسجع معناه استلزامه السجع لأداء المعنى على وجهه، أى أن اللفظ المسجوع جاء فى هذه الحالة تابعاً للمعنى، فرد صدر الاشارة إلى القسم الثانى، وردآخرها إلى القسم الأول، أى عكس ما يحتمه رد النظير إلى نظيره فى كلام الباقلانى

وما دام قد تبين أن ارتباط المعنى بالسجع هو تبعيته للفظ، وجب أن يكون هذا هو المستجلب لتجنيس الكلام دون تصحيح المعني، وتكون فائدة السجع كفائدة غيره فى حال ارتباط المعنى بنفسه واستقلاله عن اللفظ. ومن هنا التعديل الثانى الذى يقتضيه الاتساق، ويقضى به رد النظائر بعضها إلى بعض، من إحلال فعلى الشرطيتين — أو جوابيهما — كل محل الآخر على النحو السابق فى الكلامة التى كانت موضع نقد الأستاذ فى هذ الجواب

وبعد فهذان طريقان كل منهما يؤدى إلى وجوب تعديل النص المطبوع ليتسق كلام الإمام الباقلانى كله.

وتحيتى الخالصة وشكرى إلى الناقد الفضال.

محمد أحمد الغمراوى

نفسه كان يقرأ هذا الكتاب على أبنائه ؛ كما كان يقدمه لضباطه ويأمرهم بأن ينشروه خلال ألمانيا كلها . وحسبنا أن نلقي نظرة على كتاب « كفاحي » الذي ألفه هتلر ، لكي ندرك إلى أي مدى أثر كتاب شمبرلين في ألمانيا الحاضرة نفسها

والفكرة الأساسية التي يقوم عليها هذا الكتاب الضخم هي أن الحضارة الحديثة وليدة العمل الذي قام به التيوتون ، أعني أنها ثمرة للعمل الجرماني الآري . فالعنصر الجرماني قد استطاع أن يمزج بين الحضارات المختلفة (من يونانية ورومانية وغيرها) وعن هذا المزج اجتمعت له مدنية قوية ، أقام على دعائمها حضارة القرن التاسع عشر

وكما أن حضارتنا الحديثة ليست إلا ثمرة لذلك الامتزاج الذي تم بين الحضارات القديمة ، فكذلك التيوتون هم أيضاً ليسوا إلا ثمرة للامتزاج الذي حدث بين العناصر الجرمانية القديمة ، والسلافية ، والسلتية . وأنقى مزيج لهذه العناصر الثلاثة هو ذلك الذي نجده في ألمانيا ، فلهذا كان الألمان هم الشعب المختار . وليس ثمة أمارات جسمية خاصة تميز الألمان ، فليس بلازم أن يكونوا طوال القامة ، أو زرق العيون ، أو بيض البشرة ؛ وإنما هم يتميزون بصفات خاصة لا تمت بأدنى صلة إلى تلك الصفات الجسمية المزعومة : « فالألماني — كما يقول شامبرلين — إنما هو ذلك الذي تدل أفعاله على أنه ألماني ، كائناً ما كان الأصل الذي ينتسب إليه »

ولكن ، ما هي أظهر الصفات التي يتميز بها الطابع الألماني ؟ إنها ليست إلا الإيمان الراسخ بمبدأ الزعامة المقدسة ؛ أعني الخضوع للزعيم خضوعاً مطلقاً ، وطاعة أوامره طاعة عمياء . فلو وجدنا هذه الخصلة لدى الإيطاليين أو الفرنسيين ، فإنه يكون علينا أن نعتبر هؤلاء أيضاً ضمن التيوتون ، مهما كانت مواطنهم الأصلية التي ولدوا فيها . وعلى ذلك فإن الجنس هو خلق ، وليس دماً أوورائة . وإذا غير أحد نفسيته العنصرية racial psychology فإنه بذلك يكون قد غير أيضاً جنسه أو عنصره . « وليس أيسر على الإنسان من أن يصبح يهودياً ... فإن حسبه في هذا أن يديم الاتصال بجماعة من اليهود ، وأن يقرأ الصحف اليهودية »

بيد أن شمبرلين يعود فيقول : « إن الرجل الذي ينتسب إلى جنس نقي خالص ، لا يمكن أن يفقد شعوره بالعنصر الذي ينتسب إليه مطلقاً . والسبب في ذلك أن ثمة ملاكا أو حارساً يذكره دائماً بعنصره ، ويرافقه دائماً في تنقله ؛ ويحذره حينما يتهدده خطر الضلال ، ويجبره على الطاعة ، ويضطره إلى القيام بكثير من الأعمال الجليلة التي ما كان يجرؤ على القيام بها ... فالجنس (أو العنصر) يعلو بالإنسان على نفسه ، ويمده بقوى غير عادية ، بل بقوى خارقة للطبيعة . وإنها لحقيقة تظهرنا عليها التجربة المباشرة أن لنوع الجنس أهمية كبيرة ، وقيمة حيوية عظيمة » .

وإذا تأملنا في هذه الأقوال المختلفة ، فإن من السهل علينا أن نرى كيف أن شمبرلين قد وقع في كثير من التناقضات . فهو أولاً قد قال إن الجرمان هم أرقى البشر ، لأنهم ثمرة لخير امتزاج تم بين « الأجناس النبيلة » ولكنه قال إن جلائل الأعمال إنما هي وقف على أهل « الأجناس النقية الخالصة » . ثم عاد بعد ذلك فقال إن من الممكن أن يتغير الجنس ، لا عن طريق امتزاج الدماء فحسب ، بل أيضاً عن طريق الاتصال الاجتماعي بشعوب ذات « عقلية بدائية » !

ولكن شمبرلين لم يحفل بهذه التناقضات ، فإن ما كان يعنيه هو أن يجد أسطورة يستلهمها مبدأ العنصرية الذي يدعو إليه ، أما التوافق المنطقي ، فهذا ما لم يكن يعنيه في كثير أو قليل

والأجناس البشرية — في نظر شمبرلين — مختلفة أشد الاختلاف ، إن في الأخلاق والصفات ، أو في القوى والملكات . وقد ترتب على هذا الاختلاف أن أصبح هناك جنس راق يتميز بصفات « فطرية » سامية ، وجنس منحط يتميز بصفات « فطرية » وضيعة . ومن بين الأجناس المنحطة التي تنتسب إلى النوع الأخير (فيما يرى شمبرلين) الجنس « اليهودي »

فاليهود هم الشعب الذي لم يستطع يوماً أن يعيش على وفاق مع أي شعب آخر ، ومن أجل ذلك فقد ظلوا دائماً أبداً « شعباً غريباً أجنبياً بين كل الشعوب » . ولقد استجاب الأوروبيون

لداعي المحبة والصداقة ، ففتحوا الأبواب أمام اليهود ؛ وعندئذ لم يلبث اليهود أن اندفعوا كما يندفع العدو المنتصر ، فاكتسحوا كل المناصب ، واستلبوا جميع المراكز ، ثم رفعوا من بعد أعلامهم التي هي غريبة عنا كل الغرابة ... وأينما تُركت القوة لليهود، فانهم لابد أن يسيئوا استعمالها ... أليس اليهود هم ذلك الشعب الذي جبلت منه طبيعته جنساً ميالا إلى الربا والطمع ، في حين أن شريعة موسى تحرم الربا تحريماً قاطعاً ؟ ... » إن اليهودي لهو من الكراهية إلى الرجل الأوروبي ، بحيث أن الأطفال الصغار الذين لم تؤثر الحضارة بعد في نفوسهم ليقدرون أن يشموا رائحة اليهودي عن بُعد ! »

***

هذه هي الأفكار الرئيسية في مذهب شامبرلين ، ولسنا في حاجة إلى أن نبين للقارئ ما فيها من أخطاء علمية ، وأغلاط تاريخية ؛ وإنما الذي نريد أن نلفت نظر القارئ إليه ، هو أن قوة الفكرة لا ترجع إلى صدقها أو مطابقتها للواقع ، وإنما ترجع إلى ما فيها من قدرة على التأثير . وكثيراً ما تكون الفكرة الخاطئة نفسها ، قوة كبيرة توجه شعوباً بأكملها فتنقاد لسحرها في حماسة وقوة ، دون أن تدرك ما فيها من خطأ ، وما يشوبها من العناصر الأسطورية . بعضها يتفق مع ما ذهب إليه نيتشه اتفاقاً كبيراً حتى إنه ليصعب علينا أن نتصور أن يكون نيتشه لم يطلع على ما جاء فيها . ومما يتفق فيه الفيلسوفان :

أولا : القول بأن « الحياة هي الكل » tout est vie بمعنى أنه ليس في وسعنا أن نتصور شيئاً ما على أنه موجود حقيقة إلا إذا كان هذا الشيء حياً .

وثانياً : القول بأن الأخلاق التي تنادي بفكرة الواجب والأمر المطلق ، أخلاق فاسدة يجب القضاء عليها ، لأن الإلزام أو التكليف يرجع إلى الحياة نفسها ، إذ الحياة هي التي توفر للفرد الشعور بالقدرة على العمل ، وليس هناك قوة سحرية غريبة « كالأمر المطلق » المزعوم

وثالثاً : القول بأن التشاؤم يدعو إلى الانحلال والفناء ، في حين أن التفاؤل يكسب الحياة خصباً وامتلاء ، فكل من جويو ونيتشه يعتبر التشاؤم مظهراً للانحلال والهبوط والفناء ...

رابعاً : القول بأن الفن هو المعنى الباطن للحياة بمعنى أنه ليس مجرد متعة أو ألهية ، بل هو أمر جدي له قيمته في الشعور بالحياة الحافلة الخصبة المليئة . فكل من جويو ونيتشه ينظر إلى الفن نظرة حيوية ، ولا يعده عديم الغاية بل يذهب إلى أن الفن للحياة وبالحياة . ومعنى هذا أن الفن عندهما ليس للفن — كما يقال عادة — بل هو غائي ، وغايته ليست تقويم الأخلاق أو إصلاح الناس ، بل تقوية الشعور بالحياة

وأما النواحي التي يختلف فيها جويو مع نيتشه فهي تلك التي تمس مشكلة « الفردية » ؛ وذلك لأن جويو يعتقد أن الرجل القوي ليس هو الرجل المتوحد (كما يزعم نيتشه) بل هو الرجل الذي تجمعه بغيره من الناس ، وشائج العقل والقلب . فعلى الرغم من أن جويو يتفق مع نيتشه في القول بالحياة الخصبة المليئة ، إلا أنه يتصور هذه الحياة على أنها أولا وبالذات ، حياة اجتماعية تنعدم فيها الأنانية ، لأن الأنانية سلب للحياة نفسها ، وإنكار لكل خصب أو امتلاء . . ولعل خير ما يوضح لنا الفارق بين نيتشه وجويو ، هو أن الأول يدعونا إلى اتباع الطبيعة (كما دعا إلى ذلك الأقدمون) ، في حين أن الثاني يدعونا إلى تعميق الطبيعة . فنيتشه يقول : « اتبع الطبيعة » Suivez la nature ، وأما جويو فإنه يقول : « عمق الطبيعة » Approfondissez la nature . ومهما يكن من شيء ، فإن جويو هو بلا ريب واحد من أولئك الرواد الذين سبقوا نيتشه في الطريق الذي سلكه . وقد رأينا أن هؤلاء الرواد كثيرون ؛ فهل علينا من حرج بعد هذا إذا قلنا إن السبيل الذي سلكه نيتشه سبيل مطروق ؟

(السويس) **زكريا ابراهيم**

مدرس بمدرسة السويس الثانوية

شعر البارودي في منفاه

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

وضعت الثورة العرابية أوزارها ، وقضى على كثير من زعمائها بالنفي إلى جزيرة سيلان التي تقع جنوبي بلاد الهند ؛ ففي أواخر عام اثنين وثمانين وثمانمائة وألف أبحرت السفينة من مصر تقل البارودي ومن معه من الزعماء إلى هذه الجزيرة ، وقد رست السفينة بهم في ثغر كولومبو حيث قدر للشاعر أن يعيش مع رفقائه سبع سنوات ، سئم فيها تلك الحياة ، وهؤلاء الصحب ، فرحل إلى كندى العاصمة القديمة للجزيرة ، وهى مدينة في الداخل مرتفعة عن سطح البحر ذات مناظر جميلة ومناخ صحى ، وظل بها البارودي عشر سنوات أخرى

غادر البارودي وطنه وعمره أربع وأربعون سنة ، لم يفارق بعد عهد الشباب والفتوة ، وظل في منفاه سبعة عشر عاما فقد فيها القوة والشباب ، وفي هذه الغربة الطويلة كان البارودي في وحدة نفسية موحشة ، فرفقاؤه الذين سافروا إلى كولومبو قد انقلب بعضهم على بعض ، كلٌّ يلقى تبعة ما حل بهم على رفيقه ، وكل يضمر لصاحبه الحقد ومر العتاب ، ولعل نصيب البارودي من موجدتهم كان عظيما بمقدار ما كان له من يد في الثورة وشئونها ، فتبرمَّ بهم ، وآثر أن يعتزلهم ، ويصم أذنيه عما تلوكه ألسنتهم ، وما يتحدثون به عنه في غيبته

ولم يكن نصيبه في كندى بأفضل من ذلك ، لأنه اضطر إلى الوحدة يقوم بشئونه فيها خويدم أسود ، ذلك أن سكان هذه المدينة لا يعرفون اللغة العربية ، فلم يستطع أن يجد من بينهم رفيقا مؤنساً ، يخفف عنه آلام وحدته وغربته ، ولعل هذا هو ما دفعه إلى أن يعلِّم بعض أبناء هذه البلاد اللغة العربية عله يجد منهم من يفهم عنه ويجعله صديقاً ، ولكنه لم ينجح في لقيان هذا الصديق ، واضطر إلى معاشرة من لا تستريح نفسه إليه

وجد البارودي نفسه إذا في وحدة مؤلمة ، فاتجه إلى الشعر يتخذ منه الأنيس الرفيق ، والصديق المخلص ، يبثه آلامه ، ويناجيه بأحلامه وأمانيه ، ونستطيع أن ندرس شعره في تلك الفترة من الزمن ، فنجده صورة صادقة لما كان يعتلج في صدره حينئذ من الأحزان والآمال ، وإنه لصادق حين قال في إحدى قصائد منفاه :

فانظر لقولي تجد نفسي مصورة ... في صفحتيه ، فقولي خط تمثال

شكا البارودي إلى شعره هذه الغربة الطويلة ، والوحدة التي اضطر إليها ، وهو يردد هذه الشكوى في كثير من قصائده ، فحيناً يقول :

أبيت في غربة لا النفس راضية ... بها ولا الملتقى من شيعتى كثب
فلا رفيق تسر النفس طلعته ... ولا صديق يرى ما بى فيكتئب

وحينا يشبه نفسه بطائر ترك فريداً بين الأدغال ، وقد غال الردى والديه فتركاه صغيراً لا يستطيع النهوض ، ولا أن يصون نفسه ممن يريد به السوء ، يرتاع كلما سمع صوت البزاة ، بل إنه ليفوق هذا الطائر بما يحس به من الجوى ، وما يذرفه من الدمع فيقول :

لا في سرنديب لى إلف أجاذبه ... فضل الحديث ولا خلٌّ فيرعى لى
فلو تراني ، وبردى بالندى لثق ... لخلتني فرخ طير بين أدغال
غال الرَّدى أبويه فهو منقطع ... في جوف غيناء لا راع ولا وال
أزيغب الرأس لم يبد الشكير به ... ولم يصن نفسه من كيد مغتال
يكاد صوت البزاة القُمر يقذفه ... من وكره بين هابى الترب جوّال
لا يستطيع انطلاقاً من غيابته ... كأنما هو معقول بعقّال
فذاك مثلى ، ولم أظلم ، وربَّتما ... فضلته بجوى حزن وإعوال
شوق ونأى وتبريح ومعتبة ... يا للحميَّة من غدرى وإهمالى

ولقد كان أثر هذه الوحدة في نفسه قوياً ، حتى صار أكبر آماله في منفاه أن يجد الصديق الوفي المخلص :

لم يبق لى أرب في الدهر أطلبه ... إلاّ صحابة حر صادق الخال

ولو كان البارودي قد وجد في مغتربه الخل الوفي لخفف قربه آلام نفيه ، وعذاب اغترابه ، فاضطر - كما قلنا - إلى أن

يتصل بمن لا يشتهي قربه ، ولا تأنس نفسه إليه ، وظل يهتف باحثاً عن صديق يسره ويقول :

فهل من فتى يسرى عن القلب همه — بشيمة مطبوع على المجد مسعف
رضيت بمن لا تشتهي النفس قربه — ومن لم يجد مندوحة يتكلف
ولو أنني صادفت خلاً يسرني — على عـدواء الدار لم أتلهف

وأبى القدر إلا أن يزيد فى آلامه ، فيمد زهاء عامين ورد إليه نعى زوجته فبكاها ، ورثاها بما نلمس فيه صدق للعاطفة وخالص الود ، وأشفق على بناته بعدها ، وقد اغترب الوالد وماتت الأم فقال :

يا دهر فيم فجعتني بحليـلة — كانت خلاصة عدتي وعتادي
إن كنت لم ترحم ضناى لبعدها — أفلا رحمت من الأسى أولادي
أفردتهن فلم ينمن توجعاً — قرحى العيون رواجف الأكباد
ألقين در عقودهن وصغن من — در الدموع قلائد الأجياد
يبكين من وله فراق حفية — كانت لهن كثيرة الإسعاد
فخدودهن من الدموع ندية — وقلوبهن من الهموم صوادى

وهى قصيدة طويلة صادقة التعبير لا يقلل من قيمتها أنه تأثر فيها بقصيدة التهامى فى رثاء ولده ، لأن معانيها تنبع من إحساس صادق لا تقليد فيه

وفجعته الأيام كذلك بابنته ، فقابل الفجيعة بحزن بالغ ، جمدت له عيناه ، ثم بصديقين عزيزين هما حسين المرصفى وعبد الله فكرى باشا ، فحزن عليهما أشد الحزن ، وبكاهما فى قصيدة طويلة أرسلها عـبرة مسفوحة على موطن شبابه وأيام شبابه وصديقى شبابه ، فقال :

لم تدع صولة الحوادث منى — غير أشلاء همـة فى ثياب
فجعتني بوالدى وأهـــلى — ثم أنحت تكر فى أترابى
كل يوم يزول عنى حبيب — يا لقلبى من فرقة الأحباب
أين منى حسين بل أين عبد الله رب الـكمال والآداب
لم أجد منهما بديلاً لنفسى — غير حزنى عليهما واكتئابى

(البقية فى العدد القادم)

احمد احمد بدوى
مدرس بحلوان الثانوية للبنين

الضمير...

للدكتور عزيز فهمي

صاحبٌ وسْنان من طول السَّهرْ

إنْ تنمْ ناداكَ أوْ تنْسَ ادّكرْ

كلّما غافلتَه في سكرةٍ من أمانيكَ تجنَّى أوْ عذرْ

فإذا كفّرْتَ عن وِزرٍ عفا وإذا عُدْتَ إلى إثمٍ ثأرْ

ليس ملموساً فتدري كُنْهَه وهْوَ ما كتّمْتَ يدري ما تُسِرّ

وتواريه فيُغْضي ساعةً ثمّ يستيقظُ في لمح البصرْ

ليس عقلاً أو شعوراً خالصاً بل تُراثاً من شعورٍ وفِكَرْ

فهْوَ عقلٌ باطنٌ أو مُلهِمٌ وهْوَ إحساسٌ قديمٌ مُدَّخَرْ

كمْ جرعْتَ الصّابَ من ترْياقه وامتننْتَ الشُّهدَ مِمّا قد هَصَرْ

أنتما الدّهرَ طريدٌ آبقٌ وغريمٌ طاردٌ أو مُنْتَصِرْ

أينما ولّيْتَ أحصى مُرْجِئا مَوْعِداً حتماً فأيّانَ المفرّ؟

* * *

يتراءى شاحباً أو إمَّعا فهْوَ كالظّلِّ إذا الظلُّ انتشرْ

وهْوَ جبّارٌ عنيفٌ تارةً وهْوَ أحياناً ضعيفٌ يأتمِرْ

وهْوَ إعصارٌ وريحٌ صرْصرٌ وهْوَ كالسَّيلِ إذا السَّيلُ انهمرْ

وهْوَ كالبحرِ إذا البحرُ طغَى

وهْوَ كالموْجِ إذا الموْجُ انحسَرْ

وهْوَ كالسّهمِ إذا السهمُ رمى وهْوَ كالسّيفِ إذا السيفُ بتَرْ

آمرٌ ناهٍ وعاصٍ طيِّعٌ وهْوَ الآمرُ وهْوَ المُزدَجِرْ

لا ينامُ العُمْرَ إلا ساعةً فترقّبْها وبالغْ في الحَذَرْ

ساعة أن نِمْتَ عنها غافلاً عُدْتَ كالمخمورِ أو كالمُحتَضَرْ

أيُّها السّاهرُ نَمْ أو لا تنَمْ وترَفّقْ وتجلّدْ واستَعِرْ

إنْ جنَيْنا فعلينا وِزْرُنا وإذا نحنُ أنبْنا فاعتذِرْ

عزيز فهمي

قد كنت شيئاً..

للآنسة الفاضلة «دنانير»

أينَ زمانٌ كابتسام الضُّحى تُظِلُّني أغصانُه الوارِفَهْ

أشهى من الدنيا إذا أقبلَتْ أينقضي كاللمحة الخاطفَهْ

ما كنتُ إذ حاولتُ إبقاءهُ إلاّ كمن أُوقظَ من رقدتِهْ

مدَّ يديْهِ خلفَ حُلْمٍ سرى يودُّ لوْ يُبقيهِ في مقلتِهْ

أخشى على قلبيَ من يقظةٍ تسلُبُه أطيافَ أحلامِهِ

فإنّما يحيا بتلك الرُّؤى ومن رؤاهُ فيْضُ إلهامِهِ

يامن نأى الصدُّ به والنوى هلْ ضِقْتَ بالشوقِ وتبريحِهِ

فحاجةُ النفس إلى إلفِها كحاجة الجسم إلى روحِهِ

لكنّما قلبُكَ غِيضَ الهوى منه فأضحى ناضبَ المنبعِ

وماتَ ممّا جفَّ، فانظرْ إلى حُطامِهِ وابكِ عليه معي

أوْ لا فكيف اليومَ عافَ الهوى وطُهْرَ دنياهُ وعُلْياَ سماهْ

وراحَ يهْوِي في حضيض الثرى يخلِبُهُ جاهُ الغنى والرفاهْ

هلْ يستوي القلبان هذا مضى

في الأرض يستهْويهِ وهْجُ الذّهبْ

وذاكَ في الأفلاكِ تصعيدُهُ يفتنُهُ النورُ ووهْجُ اللّهبْ

رغائبُ العيش وأطماعُهُ راوَدْنَ منكَ القلبَ حتى غوى

يا ضَيْعةَ القلبِ إذا لم يكنْ لعالم الحبِّ ودنيا الهوى

دُنيا من الطُّهْرِ هيُوليّةٌ وكلُّ ما فيها رقيقٌ شفيفْ

خفيّةُ الألطافِ إلاّ على مَنْ مسّهُ منها الشعاعُ اللطيفْ

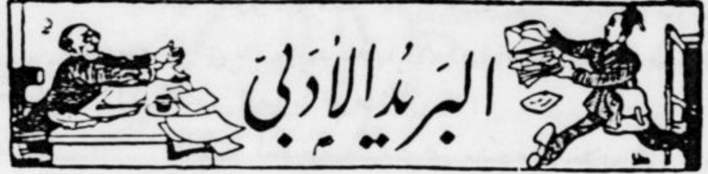
وعالمٌ أبدعَهُ ساحرٌ ينْفُثُ فيه من هُنا أوْ هُنا

لطافةُ السّحرِ وإعجازُهُ صاغاهُ جمَّ العِطر جمّ السّنا

قد كنتَ شيئاً راعني سحرُهُ صوّرهُ وهْمي وصاغَ الخيالْ

واليومَ ما أنتَ؟ لقد بِنْتَ لي حقيقةً أُفْرِغَ منها الجمالْ

(فلسطين) «دنانير»



زكي مبارك وكتاب الله

التحدى نُشر بمجلة (الرسالة) ، وهى مجلة عالية ، والمتحدى أستاذ بكلية الطب ، وهى أيضاً كلية عالية ، فمن واجبي أن أدفع عن نفسي بلاء هذا التحدى فأقول : إنى رجعت إلى مقالى المنشور (بالعدد ٥٩٢) من (الرسالة) عن « تلك الروح وذلك اليوم » ، فلم أجد فيه لفظة واحدة تدل على أنى أخاصم القرآن حتى يصح لذلك الفلان أن يقول « ما لزكى مبارك وكتاب الله »

أنت يا أيها الأستاذ محمد أحمد الغمراوى تسىء إلى نفسك بإصرارك على اتهامى فى إسلامى ، وإن صح زعمك ، فسيكون كفرى أفضل من إيمانك ، لأنى أعرف ما لا تعرف من حقائق العلم والدين

كان يجب أن تتذكر أني دكتور فى الفلسفة ثلاث مرات ، وأنى أجدر العلماء وأقدرهم على شرح نظرية وحدة الوجود ، وسأخرج عنها كتاباً يفوق فهمك ، ولكنه سيشرِّفك حين تدرك أن فى أبناء وطنك من شرح معضلة عجز عن شرحها الفلاسفة فيما سلف من الزمان !

وأنا مع هذا راضٍ عنك ، لأنك بعلمك الغزير الوفير ترشدنى إلى فهم القيمة الصحيحة لحقيقة نفسى ، فما خطر فى بالى أنى أعظم من أساتذة كلية الطب ، قبل أن أقرأ ما تكتبه عنى

ثم ماذا ؟ ثم أتعجب من ثنائك على نفسك بنشر ما قال أحد مخاطبيك مدحاً فى قدحك على كتاب « النثر الفنى »

وهل تفهم كتاب « النثر الفنى » حتى تتطاول على مؤلفه بذلك الأسلوب ؟

ثم ماذا ؟ ثم أسأل عن سكوتك المطلوب المرغوب عن نقد كتاب « التصوف الإسلامي » ... وأجيب عنك فأقول : إنك تعجز عن فهم كتاب « التصوف الإسلامى » ، لأنه كتاب فى الفلسفة العالية ، ولا تستطيع أنت ولا يستطيع أشياخك أن ينقدوه بحرف ؛ لأنه فوق ما تطيق وفوق ما يطيقون !

أنت يا أيها الأستاذ فى احتياج شديد إلى من يدلك على أن الشتائم لا تنفع فى مقارعة الخصوم ، وإنما ينفع الصدق ، ولو أن الله وهبك عمر نوح لعجزت عن تأليف كتاب مثل كتاب « النثر الفنى » ، أو كتاب « التصوف الإسلامى » .

زكى مبارك

كتاب المستقصى للزمخشري

اطلعت على ما كتبه الفاضل عبد الحميد صالح البصرى عن كتاب المستقصى فى الأدب للزمخشرى ؛ وهو فى أمثال العرب أوله : الحمد لله على ما أثلج صدورنا من برد اليقين . ذكر فيه جملة من أمثال العرب ، وعنى فى شرحها بإيراد قصصها ، وذكر النكتة والروايات فيها والكشف عن معانيها والأنباء عن مضاربها ، والتقاط أبيات الشواهد لها مع الاختصار المستحسن المقبول ، وتجريد الألفاظ عن الفضول . رتبه على فصول المعجم ، وانتهى من تأليفه فى شهر رمضان سنة ٤٩٩ هجرية .

ولدى نسخة من المستقصى ، والنسخة التى تحت يدى فى ستمائة صفحة مكتوبة بخط جيد أنيق على ورق من الكتان العتيق أحسبها كتبت فى القرن السابع أو الثامن الهجرى لاعتبارات فنية من ناحية قاعدة كتابتها ومن المادة التى كتبت بها والورق ، وهى من ضمن مجموعة خطية أثرية من مخلفات والدى. وإنى مستعد لتلبية من يود طبعه بشروط أتفق عليها أو أنى أقدمها للمجمع اللغوى بمصر إذا رغبها. على أن الكتاب لا يخرج من القاهرة خدمة لأبناء وطنى؛ كما أنه لدى تفسير البقاعى الذى لا وجود له بالمرة. وقد قدمت للمرحوم أحمد طلعت بك حول السبعين ألفاً من المؤلفات النادرة المثال ، ومن النفائس منها: تفسير الخروبى لا يوجد له نظير فى الدنيا وهو نسخة المؤلف . وللزمخشرى مؤلف لم يطبع ولا يوجد له نظير مثل المستقصى وهو كتاب « ربيع الأبرار » اختصره هو نفسه وسماه : (روض الأخبار المنتخب من ربيع الأبرار) ، أما المعروف المتداول من مؤلفاته فهو : أساس البلاغة ، أطواق الذهب ، أعجب العجب ، الأنموذج فى الجبال والأمكنة ، الحقائق فى غريب الحديث ، الكشاف فى التفسير ، الكلم النوابغ المفصل ، النصائح الكبرى ، مقدمة الأدب .

محمد عبد الله الغزالى
أمين مكتبة منطقة التعليم باسكندرية

العقلية المصرية

أعجبت بالكلمة التى كتبها الدكتور مندور عن العقلية المصرية فى عدد ٥٩٢ من الرسالة ، ولست أخالفه فى وجهة نظره ، ولكنى أريد أن أقول إن العقلية المصرية إيجابية فعالة كالعقليات الغربية ، وليس أدل على هذا من أنها سلبية قابلة لحكمه عليها ، لأن العقل المحصل الواعى القوى الذاكرة لابد أن يكون منتجا فعالا لو أتيح له ، وفى نهضتنا العلمية الحاضرة مظاهر للانتاج العقلى الإيجابى تتفق وخطواتنا فى سبيل التقدم العلمي ووسائلنا المادية المساعدة ، ومن شبابنا المثقف من اهتدى فى عالم الأدب والنفس إلى نظرية غير معروفة ، ومن كشف الحجاب عن مجهول ، ومن استطاع أن يقود حركة خاصة ويتزعم مدرسة خاصة . فإذا تذكرنا أننا فى الواقع فى بدء النهضة التى ينتظر أن يتسع مجالها غدا استطعنا أن نصدق فى كثير من الرضا أن العقول المصرية إيجابية فعالة . والمعقول أن النهضات تبدأ بالتحصيل والقبول أزمنة تختلف باختلاف الأمم استعدادا للنهوض واستجابة لدوافعه ، ثم يكون بعد ذلك الإنتاج الإيجابى . فإذا كنا نحن فى بدء النهضة ، ونحن فى الواقع كذلك ، فليس لنا أن نحكم على العقلية المصرية بأنها تكيفت بكيفية ما تيئسنا من أن يكون فينا منتجون إيجابيون بالقدر الذى نبغيه وبأنه لا وجود للملكات بيننا تقريبا .

إن الإنتاج الإيجابى فى أى أمة يتجلى فى مظهرين لا ثالث لهما . الأول : المظهر الأدبى بأوسع ما يمكن أن تحتمله هذه العبارة ، وهذا ، ولا أغالى ، قد قطعت فيه مصر شوطاً لا بأس به يتناسب جد التناسب مع عمر نهضتها الحالية . والثانى : المظهر المادى وحظ مصر فيه حقاً قليل جداً ، لأن المظهر المادى دائماً يعتمد على المال وحسن استثماره ، ولكن إذا قسنا كذلك ما وصلت إليه مصر فى هذا المجال إلى عمر نهضتها وظروفها الخاصة ، كان من المعقول أن يكون حظها منه مناسباً

وهذا لا يدلنا على أى حال أن العقلية المصرية تكيفت بالنحو الذى يجعلها سلبية قابلة فقط

ومظاهر سوء التصرف وضيق الحيلة وضعف الاعتماد على النفس وعدم الاهتداء إلى السبيل السوى عندما يضطرب حبل الأمور وتشتد المواقف ، مرده فى الواقع فيما نراه في الكثيرين منا حتى المثقفين إلى تغير مجري الحياة السياسية بمصر منذ عهد غير بعيد . ولو أن مصر كانت حسنة الحظ سياسياً وسارت نهضتها التى بدت بعهد عاهلها الأكبر محمد على باشا فى طريقها لرأينا النفس المصرية غيرها الآن .

والمشكلة الحقيقية عندنا هى مشكلة الأخلاق التى هى أقوى مظاهر الثقافة ، فإذا استطعنا أن نربى فى نفوس الأجيال المقبلة الملكات التى توجه الأفراد والمجتمعات صغيرة أو كبيرة الوجهة الصالحة فى غير عناء اتسع المجال أمام العقلية المصرية السلبية القابلة ويسرت لها وسائل الإنتاج الإيجابى فكانت فعالة مبتكرة .

ولست أرى رابطة بين العلم والأخلاق إلا بقدر البيان الإرشادى فقط باعتبار أن الأخلاق قد تكون من مباحث العقل ، فلا يمكن أن يكون العلم والتوسع فيه مقوماً للأخلاق ، فالعلم شىء والثقافة شىء آخر . فليتجه من بيدهم الأمر بمصر إلى تقويم الأخلاق ، وليجعلوا كل شىء من مظاهر الإصلاح فى المحل الثانى بعدها ، فهناك تستقيم أمورنا ويستطيع الفرد أن يبتكر ، وهناك نرى العقلية المصرية إيجابية فاعلة .

عبد اللطيف ثابت

«الشوامخ»

أصدر الدكتور الفاضل محمد صبرى الجزء الثانى من الشوامخ ، وهو دراسة تحليلية لخصائص الشعر الجاهلى بدراسة أعلامه : الأفوه الأودى ، وزهير ، وطرفة ، ولبيد ، والشنفرى ، والشعراء الهذليين وقد قال المؤلف الفاضل فى مقدمته : « ولاريب أن خير وسيلة لدراسة الشعر العباسى ، والشعر الحديث بصفة عامة ، هى دراسة الشعر الجاهلى والرجوع إلى (عمود الشعر) الذى تكلم عنه مشايخ النقد ، كما أن خير وسيلة لدراسة الشعر الجاهلى هى الانتباه إلى الصلة الدقيقة التى تربط النثر الجاهلى بالشعر الجاهلى ، وبعبارة أدق درس المحيط والبيئة التى نشأ فيها الشعر وتمكن ، وإلى الصلة التى تربط ذلك الشعر بآداب العرب وفنونها من نحت وتصوير .

« وفى اعتقادنا أن دراسة الشعر الجاهلى فى ذلك الضوء الجديد من شأنها أن تظهر لنا الكثير من روائعه ، وأن تفتح لنا منه كل باب مغلق » . وهو كلام حق لاريب فيه

والكتاب مطبوع فى مطبعة (دار الكتب المصرية) طبعاً متقناً . ويطلب من المكاتب الشهيرة وثمنه ثلاثون قرشاً .

12 me Année No. 598

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 18 - 12 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثانية عشرة | « القاهرة في يوم الإثنين ٣ محرم سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٨ ديسمبر سنة ١٩٤٤ » | العـــدد ٥٩٨

الفهــرس

صفحة
٢٠٠١ الثقـافة والأخلاق ... : الدكتور محمد مندور ..
٢٠٠٣ السلم العالمية حلم الأبد .. : الأستاذ توحيد السلحدار بك
٢٠٠٦ شعر البارودي في منفاه : الأستاذ أحمد أحمد بدوي ..
٢٠٠٨ فرقة التمثيل ومديرها الفني : الأستاذ زكي طليمات .. ..
٢٠١٠ « الرباط المقدس » كتاب توفيق الحكيم ... ... : الأستاذ سيد قطب ... ..
٢٠١٣ الدستور في شعر شوقي : الأستاذ أحمد محمد الحوفي ...
٢٠١٦ منها .. ... [قصيدة] : لشاعرة غربيـة ... ...
٢٠١٧ إليها .. ... « : الأستاذ على محمود طه ...
٢٠١٨ فكاهات الشعراء « : الأستاذ محمد عبد الغني حسن / الأستاذ محمد الأسمر .. ...
٢٠١٨ الجـامعات الأربع في وادي النيـل ... ... : الأستاذ عبد العزيز جادو .
٢٠١٩ تصويب ... ... : الأستاذ زكريا إبراهيم .
٢٠١٩ ذكرى شوقي وتمثاله ... : ... ...
٢٠١٩ إلى الدكتور زكي مبارك . : الأديب إبراهيم زكي الدين بدوي
٢٠٢٠ كتاب « بساتين الفاكهة » ... ...
٢٠٢٠ مجـلة (الثريا) التونسية : ... ...
٢٠٢٠ الرصافي وأبو حنيفة . : الأديب راشـد سليمان ...
٢٠٢٠ غرام يوم الثـلاثاء ... : ... ...

الثقــافة والأخلاق

للدكتور محمـــد مندور

هذه مشكلة ما زالت تلح على عقلي منذ أخذت أفكر لنفسي ، ولقـد كنت ولا أزال أحس أن حلها ضرورة من ضرورات الحياة ، لأنها تفسر الـكثير من مواقفنا إزاء الناس ، فالحديث فيها ليس مجرد رياضة عقلية نلهو بها ونلهي القارئ — وهذا نوع من الحديث تنفر عنه نفسي بطبيعتها وما أرى فيه نفعاً لأحد — فمهمة الكاتب لا ينبغي أن تكون الإفحام بالجدل ، بل الإقناع بالقلب ، ولن تصـل إلى إقناع إلا إذا اكتفيت بأن تعرض تجاربك النفسية داعياً الغير إلى مثلها

أول ما أثار تلك المشكلة في نفسي هو ما قرأته في صدر الشباب « لأفلاطون » ، إذ يعرض نظرية « سقراط » في أسس الأخلاق ؛ ومن المعلوم أن هذا الفيلسوف الجليل كان يرى أن المعرفة هي عماد الخلق ، وقد زعم أنك لا تستطيع أن ترتكب الشر إذا أدركت أنه شر ، وأنك لا بد آت الخير إذا تحققته بنظرك . ولقد أبهج خيالي هذا الرأي ، ولـكنني كنت أنظر فأرى نفسي وأرى غيري ندرك الخير والشر ، ثم لا نملك أنفسنا من الاندفاع في أعقاب الهوى ، فيساورني الشك . ووقع بين يدي يوماً قول لفيلسوف فرنسي معاصر هو بول جانيه يقول

فيه : « إن الإنسان بطبيعته يفضل الخير المحسوس على الخير المدرك » . ولما كانت شهوات النفس أقرب إلى الحس منها إلى الإدراك المجرد ، فقد كان من الطبيعي أن تستأثر بالنفس ما دام هدفنا الأخير من الحياة هو التماس السعادة بتحقيق أكبر قسط مستطاع من رغباتنا ، وليس من شك فى أننا نحس أن خيرنا فى هذا التحقيق . وذلك رأى يبلبل الفكر ، ولكنك لن تعدم السبيل لرده إذا تعمقت الأمور ، فإنه وإن يكن من الصحيح أننا نفضل الخير المحسوس على الخير المدرك ، إلا أننا لن نعجز عن تغليب الخير الأخلاقى إذا أنزلناه هو الآخر منزلة الخير المحس . وذلك بألا نكتفى بتحقيقه بالنظر المجرد ، بل نتعمق به إلى مجال الإحساس فندرك بقلوبنا ما فيه من جمال . وجماله تلحظه فى صفات ثلاث يورثها النفس وهى : الحرية والقوة والمرح . فأما الحرية ، فأى نشوة يستشعرها الفرد عند ما يحس أنه لم يعد عبداً لشهواته ، وأما القوة ، فهل نحن بحاجة إلى أن نبصر القارئ بعظمة النفس البشرية عند ما تنطلق بقوتها كاملة لا يحدها نفع حقير يحرص عليه ، أو رغبة وضيعة تبغى تحقيقها ؟ وعند ما يحس بنفسك حرة قوية أى مرح سيأخذ بالروح عندئذ ؟ ثم هل هناك ما ينشط ملكات الخلق فى الفرد مثلما ينشطها المرح الروحى ؟ وأى سعادة فى الحياة تعدل سعادة الخلق ؟

هكذا نستطيع أن نجد حلاً للجزئية التى عرضنا لها ، ولكن المشكلة لا تزال قائمة فى عمومها ، ولقد لاحظ الكاتب الفرنسى « ديهامل » أن من الكتاب والفنانين من وهبوا ملكات ساحرة دون أن يمنعهم ذلك من انحلال الأخلاق . ولقد قسا بهم الرجل فشبههم بالعاهرات يلهو الناس بأجسامهن ثم لا يمنعهم ذلك من احتقارهن . ولا بد لتفسير هذه الظاهرة من أن نفرق بين ثقافة النفس وملكة الخلق ، فليس من الضرورى للأديب ، أو الفنان الخالق ، أن يكون رجلاً مثقفاً ، بل من الناس من يرى أن ثقل الثقافة قد يعوق الخلق ، وباستطاعتك أن تستعرض أسماء الكثيرين من كبار الكتاب أمثال : شكسبير وموليير وروسو وديكنز وبلزاك وثالى ، ممن لم يتلقوا تعليما جامعياً منظما ، وإنما هم رجال وهبوا القدرة على الخلق ، ثم جدوا لحصلوا بقراءاتهم مواد أولية يعملون فيها ملكاتهم ، وليس هذا هو المقصود بالثقافة ، وإنما الثقافة بأدق معانيها هى تكوين نظام عقلى وغرس روح علمية فى النفس ، وهذا النظام وتلك الروح لا ينموان بالتحصيل أو بجمع المواد الأولية ، بل هما راسبان يتخلفان بالنفس بعد أن ننسى ما حصلنا وما جمعنا . وعلى هذا النحو نستطيع أن نحل هذا الجزء الآخر من المشكلة ، فنميل إلى الاعتقاد بأن ثقافة النفس خليقة بأن تسدد الخلق

ولكن كيف تسدد الثقافة الخلق ؟ للجواب على ذلك يجب أن نميز بين المعرفة والثقافة : فالمعرفة التى تنحصر فى تحصيل المعلومات لا نظن أن لها تأثيراً ما على الأخلاق ، وإلا فأى أثر تريد أن يكون لعلمك بقانون الجاذبية أو بأن نابليون قد انتصر فى موقعة أوسترلتز أو ما شابه ذلك على سلوكك الخلقى . وعلى العكس من ذلك الثقافة بالمعنى الذى حددناه ، فإذا وصلت بفضلها إلى نظام عقلى وروح علمية ، تمت بنفسك قدرة على تمييز الحقيقة ، ثم محبتها ، وعندئذ ستحس بالحرية الروحية ، وقوة النفس ، ومرح العقل ، التى ركزنا فيها جمال الخير . ولى على هذا شاهد فى أستاذ تلقيت عنه العلم ، وهو رجل دءوب على القراءة ، وإطالة التفكير فيما يقرأ ، حتى لأحسبه لطول ما قرأ وفكر قد وصل إلى ما وصفت من نظام عقلى وروح علمية ، وأكبر ظنى أن هذا النظام وتلك الروح قد أصبحا اليوم أساس سماحته الأخلاقية ، فهو من قلائل الناس الذين يحرصون على أن يعطوا كل ذى حق حقه ، وهو من قلائل الناس الذين يسلمون لكل فرد بما ينبغى أن يكون له من كبرياء ، دون أن يلقى هذا الكبرياء على نفوسهم أى شبح من ظلال . أى جمال تحس فى نفسه عند ما تلوح لك خالية من عتمة الحسد ؟ وقديماً قال المفكرون : « إن قليلاً من العلم يبعد بنا عن الله ولكن كثيره يعود بنا إليه »

ونترك العلاقة بين الثقافة والأخلاق فى حياة الفرد لنواجهها فى حياة الأمم ، وهنا تبدو لنا ظاهرة كبيرة لا بد من تفسيرها ، وهى ما نلاحظه فى التاريخ من أن جميع الأمم قد انتهى بها الأمر عند ما اتسمت ثقافتها النظرية إلى الانحلال فالفناء ، وهذا

السلم العالمية حلم الأبد

للأستاذ توحيد السلحدار بك

جاء فى (العدد ٥٩٥) من «الرسالة» مقال ظريف للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى عنوانه «السلم العالمية حلم قريب الأمد».

وليس هذا من المستغرب: فإن الآراء تختلف، وكثيراً ما أيّد الناس أحبها إليهم، أو أقربها إلى لون ثقافتهم، أو أصلحها لسياستهم. وقد نشط القائلون باتجاه الإنسانية نحو السلم العالمية أو بقربها بعد الحرب الكبرى السابقة، ومنهم مثلاً: ديفز[1]، وكُرنيجو[2]، وويلز[3] الذى يصف بكتابه المشهور «سيرَ الإنسانية المظيم نحو وحدة عالمية». وهذا هو مذهب الدكتور. وموضوعه كثير الأبواب والأصول، متشعب الأطراف والحواشى؛ وإيفاء بيانه وأدلته يملأ سِفراً فرائداً، ولا طائل وراء الإطالة فيه.

يقول الدكتور فى فاتحة احتجاجه: «لا شك أن أحداً من الدول المشتركة فى هذه الحرب القائمة لم يكن يرغب فى إثارتها» لكنه يقول فى منتصف مقاله: «تشيع العقيدة في نفس بعضها (الدول) أنها أقوى من غيرها بأساً وأسمي عقلاً وأرفع منزلة وأوسع علماً. ولهذا وقعت الحرب الحالية لانقسام العالم إلى دول عظمى وامبراطوريات كبيرة تتنازع على السيادة والسلطان»

عجباً! لم ترغب دولة فى هذه الحرب، وقد نشبت، إذ اعتقد بعض الدول أنه أقوى من غيره، فنازعه السيادة، ومَن أراد السيادة أراد الحرب. أفلا يبدو أن فى هذا الكلام تناقضاً ينتفى به معنى الجملة الأولى منه؟ وفى الجمل التالية إشارة واضحة إلى ألمانيا، إذ المعروف أنها ابتدأت بالاعتداء على غيرها وأرادت أموراً حققتها بالقوة وهى عالمة بأن إرادات أُخَر تعارضها. وقد علّمها كِلُزِوتز[1] أن غرض المحارب هو إخضاع إرادة

(١) دافيد ديفز (Daveid Davies)، فى كتابه المسمى «مشكلة القرن العشرين» (Le Problème du XXs Siècle).

(٢) مريانو . هـ . كرنيجو (Mariano H. Cornéjo) وزير الأرجنتين وعضو مجلس جمعية الأمم سابقاً، فى كتابيه: «توازن القارات» و «الكفاح للسلام».

(L. Equilibre des Continents. 1932 et La Lutte pour La Paix. 1934), chez Félix Alcan.

(٣) هربرت جورج ويلز (Herbert George Wells) فى كتابه المسمى «خلاصة التاريخ العام».

(Esquisse de l' Histoire universelle).

(١) شارل ده كلزوتز (Charles de Clausewitz) القائد الكاتب الحربى البروسى والكلمة فى كتابه عن الحرب، وهو معروف معتبر

ما تجده عند اليونان والرومان والعرب على السواء، فما السر فى ذلك؟ يخيل إلىّ أننا نجد الجواب فى أمرين: أولهما: أن الأمم لا تحيا بالثقافة النظرية فحسب، وإنما تحيا أيضاً بتقاليدها. وثانيهما: أن للثقافة النظرية نوعين من النشاط: نشاط هدم ونشاط بناء. فعند ما يسبق التفكير الفردى التقاليد ويأخذ فى تناولها بالبحث ومناقشة الأسس، لا بد من أن يقوضها، لما هو معروف من أن كثيراً من التقاليد لا تقوم على أسس نظرية قوية بل تستند فى الغالب إلى مواضعات اجتماعية خلقتها عصور موغلة فى الظلام. وإذا كان العقل قادراً على الهدم فهو أقل قدرة على البناء، وبخاصة بناء التقاليد، وتلك لا يكفى فى تدعيمها النظر المجرد بل لا بد من أن تطّرد بها الحياة حتى تنزل من الناس منزلة العادات الآلية، وهذا أمر يحتاج إلى زمن طويل. وهكذا نفس انحلال الأمم: عقل يهدم ثم لا يستطيع لساعته أن يقيم بناء على الأنقاض وإذا كان العقل يقوض من دعائم الأمم، فإن ذلك لا ينبغى أن يصرفنا عن تثقيفه، فهو ليس منبع الشر وإنما منبعه أنه لم يتثقف عند كافة أفراد الأمم المنحلة، بل عند نفر قليل منها هم الذين قوضوا التقاليد. والتقاليد فى الحق ليست من ضرورات الحياة الاجتماعية إلا بحكم أنها تحل عند غير المثقفين محل النظام العقلى والروح العلمية اللذين أشرنا إليهما، وعند ما تستطيع أمة من الأمم أن تدعى أن كل فرد من أفرادها يملك ذلك النظام وتلك الروح فلن يرهبها عندئذ أن تضيع تقاليدها

وهكذا نستطيع أن نخلص إلى أن الثقافة الحقيقية دعامة قوية من دعائم الأخلاق فى حياة الأفراد وحياة الأمم على السواء، وإنما تأتى الكوارث عند ما نتخبط فى فهم معنى الثقافة ومدى انتشارها بين الأفراد الذين يكونون أمة واحدة

الثقافة ضوء ولا بد للضوء من أن يبدد الظلمات.

محمد مندور
المحامى

العدو لإرادته هو . ولِـكليمنصو[1] قوله : « سواء كانت الحرب استراحة من ملهاة السلم ، أو كان السلم استراحة من مأساة الحرب ، يبقى مقرراً أننا نقبل معاناة محنها الدامية ، حتى إننا ننشِدها ، ويسرنا فوق ذلك أن نفخر بها » . ولا حاجة إلى مزيد بعد أن جاء المحتج بدليل ونقيضه فى آن معاً

ثم يقول الدكتور : « إن أصحاب العروش وذوى التيجان وأقطاب الدول والزعماء المحركين للشعوب ، يتنصلون من تبعة الحرب ، ويتبرأون من إعلانها ، فلا شك أن هذا دليل يحمل فى طياته النزعة القوية إلى السلام »

والصواب الذى يستقيم ههنا مع حقائق الواقع فى الإنسانية إنما هو أنهم « يتبرأون » ستراً لطمعهم وأغراضهم ، و « يتنصلون » دفعاً للتبعة إن هم قُهروا ، وتبريراً لجشعهم وإذلالهم عدوَّهم إن هم قَهروا ، وتضليلاً عن سَوقهم الأممَ إلى المجازر وعن سُبل سياستهم ؛ ولم يكونوا يوماً لينزعوا إلى « السلام » حين يخالف مصالحهم الحيوية وهم قادرون على الحرب ، أو يحول دون مطامعهم الحقيقية ، شخصية كانت أو قومية . فليس يصح فى الأذهان أن ما تقدم دفعه من الكلام « يبشر بتحقيق هذا الحلم » ، كما يظن الدكتور وإن قال : « ستقع الحرب فى الجيل المقبل ... وقد تقع بعد جيل آخر » ، ليس غير

ثم رأى الدكتور فى نظرته إلى أسباب الحرب « أن ذكر طبائع الفرد وخصائصه ... بصدد حرب بين دولة وأخرى » حجة نفسية لا تستقيم ، لأن « طبائع الجماعة تختلف عن طبائع الفرد كما هو معروف لكل من درس علم الاجتماع »

لكن عندنا دكتور آخر كتب مرة أن الآراء التى سمعها « من أساتذة السربون فى علم الاجتماع وعلم النفس » هُراء . وما التذكير بهذا التقرير إلا لتنبيه من قد يحب أن ينعم النظر فى العلمين لينكرهما أو يعتبرهما، ويرى هل يتحقق أنهما عند ذكر أسباب الحرب ، لا يسمحان بالجمع « بين الدوافع النفسية فى الفرد وبين العلاقات الدولية وتنافر مصلحة الجماعات » . فإن الذى يجهلهما ، أو يقرأ كلاماً فيهما ويفوته فهمه كل الفهم ، قد يظن أن للأفراد ، خصوصاً فى الأمم الحية المتعلمة ، عاطفة وطنية ، وحساسية قومية ، وآراء مشتركة بينهم ، وشعوراً بالمصلحة العامة ، ملاحَظاً فى كلامهم واستعدادهم للدفاع عنها ، وأن الرأى العام وإن كان دون الرأى الفردى أو أكثر منه تعرضاً للخطأ ، يؤثر تأثيراً قوياً فى الحكام والزعماء ، لأن البيئة تؤثر فى الأفراد كما تتأثر منهم ، وأن الأنانية مَرَدُّها الأخير فى التحليل النفسى غريزتا حفظ الذات وحفظ الجنس ، وإذن فهى الأحاس العميق فى الفرد وفى الجماعة ، سواء ظهرت أو سترتها التربية والآداب . زد أن الإنسان منذ ظهر على هذه الأرض قد جعل فخره فى توسيع معاركه وزيادة أخطارها ؛ وهو يرفع عقيرته بالسلم ، بل يخيل إليه أنه يريد أن يعيش فيه ، ولكنه لا يريده بشدة كافية لحفظه ، والتزاحم الطبيعى الشامل يحتم تضاد القوى ، ولو خفف الإنسان بعض أساليبه . أما الأحلام الكمالية ، فإنما قربها فى الكلام وشبه المنام

يقول الدكتور : « الدليل على نقض تلك الحجة النفسية نفور الجند فى هذه الحرب الحاضرة » وهم يحاربون ، لأنهم « جماعات وكتل بشرية تترك فى الميادين » .

يريد ، على ما يبدو ، أن الجندى النافر يسيطر عليه روح الجماعة فى هذه الكتل فينساق معها إلى المحاربة . وهذه حجة لا بد أن تكون حقيقة علمية دقيقة ، لا يدركها إلا كل من درس علم الاجتماع . لكن الذى لم يدرس قد يظن أن روح الجماعة ، وإن كان دون روح الفرد ، يكون أحياناً أنبل من أرواح أفرادها ، كروح الجمعية الوطنية فى الثورة الفرنسية الكبرى ، إذ أعلنت الجمعية حقوق الإنسان ، مثلاً ، ونزل النبلاء فيها عن ألقابهم وميزاتهم . وقد يعجب القارئ لروح أولئك الجنود المتكتلين ، وهو ناتج من أرواحهم النافرة من الحرب ونافر بالضرورة من هذه الحرب ، كيف يدفعهم إليها وهم كتل مسلحة متجمعة فى الميدان وفى المعسكرات ، ففى وسعها العصيان بروح الكتلة المسيطر

هذا ، والأمم مجاميع أفراد ، والفرد يؤثر فى البيئة ويتأثر منها ، كما ذكر آنفاً ، والحياة ميدان قتال . فالقبائل ليس فيها نظام الحكومات والجندية ، وإن كان الاحتكام عندها إلى شيوخها ، وعادتها الغزو ، يجمع له الأفراد مختارين للسلب والسبى، وطلب المرعى والماء ؛ وشيمة هؤلاء الأفراد النازلة وأخذ الثأرات المنيمة . والذين فتحوا الولايات المتحدة الأمريكية من محيط إلى محيط ، تقاتلوا فيما بينهم وكل منهم يحمى أرضه ويوسعها ،

---

[1] جورج كليمنصو (Georgea Clemenceau) ، الطبيب ، الكاتب ، الصحافى ، السياسى ، الوزير الفرنسى المشهور ؛ والجملة بالصفحة ٤٧٣ فى الجزء الثانى من كتابه الفلسفى « فى مساء الفكر » . (Au Soir de la Pensée) .

وقاتلوا الهنود والحيوان أفراداً ثم جماعات قبل أن ينتظموا ولايات منفصلة فمتحدة . وما القول فى المرتزقة قديماً والمتطوعين حديثاً من أمريكيين وبريطانيين وسواهم ، كما تطوع كتشنر لفرنسا فى حرب سنة ١٨٧٠ ؟ وأرض الأهل حيث يفتح الفرد عينيه لنور الحياة بين قلوب تتحنن عليه أرض يحببه إياها وتسمو به فى كل أمر حتى يضحى بنفسه وبذوى قرباه فى سبيل وطنه إرضاء لمعنى مثالى فى فؤاده لا يقبل البحث . والأمثلة وافرة : رجال المقاومة والعصابات الأهلية فى فرنسا وبولونيا وغيرهما ، والذين يفرون من الأسر ، ويركبون الأهوال فى سبيل العودة إلى صفوفهم مختارين ، والذى يُقطع نصفه فى الحرب فيخرج من المستشفى مُلحًّا فى طلب طائرته ليعود بنصفه الباقى إلى القتال ، والحال النفسية البادية على أوجه الجنود من شتى الأقطار وهم آتون غادون أمام أعين الناس ، وهى حال لا تدل على تأفف أو استياء ، بل تدل على الارتياح ، واحتشاد الأهالى فى الثورات والحروب الأهلية — وهى فى الإنسانية أكثر من الحروب الدولية — لمحاربة السلطات القائمة والجيش بما تصل إليه أيديهم من الآلات

لكن هناك « أبلغ دليل فى هدم كيان » القولِ « بحب الكفاح وتغلب الغريزة والشهوة والأنانية »

ذلك الدليل الأبلغ فى نظر الدكتور ، هو « أن الأفراد يعيشون فى داخل الدولة الواحدة ... وتسود فيهم بطبيعة الحال غرائز الكفاح والأثرة والمغالبة والنزوع إلى السيطرة والسلطان (كذا) ، ومع ذلك تعيش هذه الجماعة الواحدة كخلية النحل ... دون أن تقع بينهم معارك دامية ، إلا ما يحدث من الخصام المعروف بين الأفراد الذى يحله القانون ويقتضيه الأمن والنظام . والبوليس والقضاء كفيلان بضبط الأمن وحفظ النظام »

فلا يتوهمن متوهم ، بعد هذا الدليل ، أن تضارب فردين ، أو جماعتين ، أو قريتين ، ولو قتل أناس منهم — لسبب كالغيرة مثلاً أو السطو أو الانتخابات الديمقراطية — يُعد « معركة دامية » ، إنما هي تضارب داخل حدود الدولة ؛ وإن أبطال القضاء والبوليس ، أى القوى النائمة الرادعة ، الدائمة وجوباً داخل « خليّة النحل » ، فإن أفرادها لا يتقاتلون بدوافع جبلّتهم البشرية لتغيُّرها بالمدنية ، حتى أصبحوا نافرين من الاقتتال ، لا يحاربون إلا مكرهين فى ميادين الحروب الدولية . أما ظلم ذوى القربى وشتى الجرائم التى يدرك أو لا يدرك البوليس والقضاء مقترفيها ، فإنها أمور ليست فى شىء مما يدل على أن الفطرة البشرية لم تتغير ذلك التغير ، وإن كان مما يُسلِّم به الدكتور أن الأفراد داخل الدولة « تسود فيهم غرائز الكفاح والأثرة والمغالبة والنزوع إلى السيطرة والسلطان » ؛ إذ أنه يقول : « قد اقتضت الحضارة والمدنية أن توجه هذه النزعة إلى كفاح الحياة والتغلب على عقبات المعيشة وتذليل البيئة المحيطة بالإنسان وتسخيرها لمصلحته ودفع عدوان الأمراض والأوبئة »

فكأن الحكام أوشكوا أن يصبحوا حكماء ، والمحكومين أن يصبحوا قديسين ! ذلك هو ما يؤخذ من تطبيق علمي النفس والاجتماع فيما يبدو من كلام الدكتور . غير أن كليمنصو يقول : « إن الحاكم لا تستطيع أن تشفى الناس من اقتراف القتل فى السلم ... ومنذ أقدم الأزمان إلى أيامنا هذه ، لم نعرف بعدُ غيرَ الدم كفّارة عن الدم ؛ والكلمة الأخيرة لمدنيتنا صاحبها الجلاد على ما يفهمنا جُزيف دُه مِستْر (1) »

على أساس الكلام الذى تقدم النظر فيه ، وهو أساس ليس يتحمل ما شُيِّد عليه ؛ يقول الدكتور : « الحرب تقع بين الدول لا بين الأفراد » ؛ « فالمسألة فى السلام هى خضوع الجماعة لحكومة واحدة ونظام واحد ، لأن الحرب تقع بين الدول لا بين الأفراد ؛ فهل يصبح العالم بأسره خاضعاً لحكومة واحدة ، وتتحول النزعة الوطنية إلى دولة واحدة وعالم واحد ونظام واحد ؟ » ؛ ثم يجيب عن السؤال بعرض الأمور التى يراها خطوات فى سبيل « توحيد العالم » ومنع الحرب ، لأن « العلة الأساسية فى الحروب هى انقسام العالم إلى دول تنطوى على نفسها وتحتفظ كل واحدة منها بشخصيتها المستقلة »

وهذه حجة وهمية : فالدولة العالمية حُلم قديم تغنى به فريق من عشاق السيادة الشاملة إرضاء للشهوات ، لا توخيا لخير الإنسانية ؛ وهو كذلك حلم الشيوعية ، وقد يكون حلم الشيوعى عن يقين أو غير يقين . مع ذلك يقول الدكتور إن « الخطوات التى يخطوها العالم فى سبيل التطور والوحدة خطوات سريعة جداً (كذا) هى التى تجعلنا نقول إن السلم (العالمية) قريبة الآن »

فهل يُسلِّم الناس بأن الإنسانية قد أصبحت على باب دولة الفارابى المثالية الشاملة للأرض المكونة بأسرها ، كما صورتها

---

(١) يوسف ده مستر (yoseph de Maistre) فيلسوف فرنسى مشهور . وكلام كليمنصو بالصفحة ٤٤٧ فى الجزء الثانى من كتابه المذكور فى هامش سابق .

شعر البارودي في منفاه

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

كان البارودى فى أوّل عهده بالنفى متحفزاً متوثباً ، بل كان ثائراً مهدداً ، يرى أنه لم يقترف ما يستحق النفى من أجله ، غير أنه دافع عن دينه وعن وطنه ، وليس ذلك ذنباً يستحق أن يحاسب عليه ويغترب ، وهو لذلك غير نادم على ما قدّم ، وغير خاطىء فيما فعل ، وحسبك أن تقرأ هذه الأبيات لترى فيها الثورة النفسية العنيفة :

ومن عجائب مالاقيت من زمنى   أنى منيت بخطب أمره عجب
لم أقترف زلّة تقضى على بما   أصبحت فيه فماذا الويل والحرب
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى   ذنب أدان به ظلما وأغترب
فلا يظن بى الحساد مندمة   فإننى صابر فى الله محتسب
أثريت مجداً فلم أعبأ بما سلبت   أيدى الحوادث منى فهو مكتسب
إنى امرؤ لا يرد الخوف بادرتى   ولا يحيف على أخلاق الغضب
وما أبالى ونفسى غير خاطئة   إذا تخرص أقوام وإن كذبوا

بل إن شعره الذى قاله فى تلك الفترة الأولى ليدل على أنه كان يؤمّل قيام ثورة تعيد إليه مجده ، وكان قوى الثقة فى أن أنصاره سيرغمون خصومه بقوة السيف على أن يعود البارودى إلى السلطة التى ترضاها العلا ، نرى ذلك حين يقول :

ختام نسرى فى دياجير فتنة   يضيق بها عن صحبة السيف غمده
إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت
عليه ، فلا يأسف إذا ضاع مجده
ومن ذلّ خوف الموت كانت حياته
أضر عليه من حمام يؤده
وأقتل داء رؤية المرء ظالما   يسىء ويتلى فى المحافل حمده
علام يعيش المرء فى الدهر خاملا
أيفرح فى الدنيا بيوم يعده
وإنى امرؤ لا أستكين لصولة   وإن شد ساقى دون مسعاى قيده
ولابد من يوم تلاعب بالقنا   أسود الوغى فيه وتمرح جرده
يمزق أستار النواظر برقه   ويقرع أصداف المسامع رعده
تدبر أحكام الطعان كهوله   وتملك تصريف الأعنة مرده
قلوب الرجال المستبدة أكله   وفيض الدماء المستهلة ورده
أحمل صدر النصل فيه سريرة   تعند لأمر لا يحاول رده
فإما حياة مثلما تشتهى العلا   وإما ردى يشفى من الداء وقده

غير أن الانتظار قد طال ولم تصل إليه أنباء تقوى فيه هذا الأمل ، فسمعناه يستنجز الوعد ، ويحث الصحب قائلا :

فياسراة الحمى ما بال نصرتكم   ضاقت على وأنتم سادة نجب
أضعتمونى وكانت لى بكم ثقة   متى خفرتم ذمام العهد يا عرب

والبيت الثانى يحمل كل معانى الألم وخيبة الأمل .

وقد اختلفت بذلك نظرته إلى السيف ، فبعد أن كان يهدد بامتشاق الحسام ، وشن الثورة على الخصوم ، رأى — وقد خذله ناصروه — أن سيفه ليس له غناء فى يده ولا قيمة ، ولننصت إلى ما دار بين الشاعر وسيفه من حديث حين قال :

ولا صاحب غير الحسام منوطة   حمائله منى على عاتق صلد
أقول له والجفن يكسو نجاده   دموعاً كرفض الجمان من العقد
لقد كنت عونا لى على الدهر مرة   فمالى أراك اليوم منثلم الحد
فقال : إذا لم تستطع سورة الهوى
وأنت جليد القوم ما أنا بالجلد
وهل أنا إلا شقة من حديدة   ألح عليها القين بالطرق والحد
فما كنت لولا أننى واهن القوى   أعلق فى خيط وأحبس فى جلد
فدونك غيرى فاستعنه على الجوى
ودعنى من الشكوى فداء الهوى بعدى

فهذا السيف الذى كان سبب مجده الحربى يراه الآن قطعة من الحديد ضعيفة واهنة القوى ، لا تستطيع أن تقدم له يداً ، ولا أن تساعده .

لم تنزل بالبارودى نفسه فيلحف فى الاعتذار ، ويلح فى الاسترحام كما فعل سواه ، ولعله طلب أن يعود إلى وطنه موفور الكرامة ، متبرئاً من تهم ألصقها به حاسدوه ، كما يمكن أن نلمح ذلك فى قوله :

نظراته الخيالية وهى اعتبارات فيلسوف لاسياسى ولا مشترع (١) لكن الدكتور يقول : « نحن نؤيد هذا القول بشواهد فى التاريخ ، معتمدين على النظر إلى تطور الإنسانية خلال العصور الطويلة » والبحث فى هذه الشواهد وهذا النظر مؤخر إلى عدد آت

محمد توحيد السلحدار

---

(١) من « تاريخ الأدب العربى » لصاحبه ك . هيار (Clément Houart) .

يا غاضبين علينا ، هل إلى عدة   بالوصل يوم أناغى فيه إقبالى
قد كنت أحسبنى منكم على ثقة   حتى منيت بما لم يجر فى بالى
لم أجن فى الحب ذنباً أستحق به   عتبا ، ولـكنها تحريف أقوال
ومن أطاع رواة السوء نفره   عن الصديق سماع القيل والقال

ولـكن شعره الثائر وما عرف عنه من حب المجد والسعى إلى العلا ، لم يكونا مما يدفع ولاة الأمر إلى الصفح عنه والمغفرة ، فاستسلم إلى حكم القدر ، وسلم نفسه لله ، ولجت به الرغبة فى زيارة الرسول الـكريم ، وأنشأ الشعر فى مدح النبي والثناء عليه ، ولـكنه مع ذلك لم يسل يوما مجده ووطنه ، بل أخذ يبث شعره شوقه إلى ملاعب شبابه وصباه ، وما كان له من سلطان وجاه ، فهو لا ينفك ذا كرا الماضى مشتاقا إليه ، يحن إلى ملاعب الروضة وحلوان ، وكان كلما تقدمت به السن ، خلف الشباب وراءه ، فتلفت يبكى هذا العهد السعيد الذى قضاه فى وطنه ممتعاً بالأهل والأصدقاء والأحباب والسلطان ، ويوازن بينه وبين ما صار إليه من ضعف وهوان ، وقد وصف هذه النفسية القلقة المشتاقة حين قال :

أحن إلى أهلى ، وأذكر جيرتى   وأشتاق خلانى وأصبو لمألفى
فلا أنا أسلو عن هواى فأنتهى   ولا أنا ألقى من أحب فأشتفى

أو حين تحدث فى لهفة وشوق قاتل إلى النيل قائلا :

فهل نهلة من جدول النيل ترتوى   بها كبد ظمآنة ومشاش

أو حين يذكر الماضى متأسفا على حاضره :

لله أيام بهـم سـلفت   لو أنها بالوصـل تأتنف
إذ لمتى فينانة ويدى   فوق الأكف وقامتى ألف
أجرى على إثر الشباب ولا   يمشى إلى ساحاتى الجنف
إن سرت سار الناس لى تبعاً   وإذا وقفت لحاجة وقفوا
فالآن أصبح طائرى وقع   بعد السمو وصبوتى أسف

بل لقد انتهى به الأمر إلى أن أصبح يتمنى العودة إلى الوطن ولو عاش فيه فقيرا مملقاً .

أما حزنه على الشباب وبكاؤه عليه وألمه من الشيب وما ناله فيه من الضعف ففى كثير من قصائد منفاه ، وها هو ذا يصور لنا نفسه فى عزبته شيخاً أخلق الشيب جدته ، ولوى شعر حاجبيه على عينيه ، وضعف بصره فصار يرى الشىء كأنه خيال ، وإذا دعى لم يتبين مصدر الصوت ، وإن أراد النهوض قعد به الضعف فلا يستطيع .

كيف لا أندب الشباب وقد   أصبحت كهلا فى محنة واغتراب
أخلق الشيب جدتى وكسانى   خلعة منه رثة الجلباب
ولوى شعر حاجبى على عينى   حتى أظل كالهداب
لا أرى الشىء حين يسنح إلا   كخيال ، كأننى فى ضباب
وإذا ما دعيت حرت كأنى   أسمع الشىء من وراء حجاب
كلما رمت نهضة أقعدتنى   ونية لا تقلها أعصابى

كان البارودى كثير التأمل فى حوادث حياته ، ما مضى منها وما حضر ، وكثيراً ما كان يفكر فيما آل إليه أمره ، فيسلى نفسه حيناً بأن الحظ يلعب دوراً كبيراً فى النجاح ، ولا ذنب له إن جافاه الحظ فلم ينجح ، وحيناً يعود باللائمة على الحياة الدنيا ، فهى لئيمة قلب ، لا تحسن اليوم إلا لتسىء غداً ، وأحياناً يسوق الأمثال والحكم ليجلب إلى نفسه الهدوء والراحة ، فالسيادة لها تكاليفها والمغانم تقوى هموم قلبه ، وطالب العلا يعرض نفسه للحلو والمر إلى غير ذلك ، مما تجده منثوراً فى قصائد منفاه ، وإذا ذكر ثروته وكيف جرد منها قال :

أثربت مجداً فلم أعبأ بما سلبت   أيدى الحوادث منى فهو مكتسب
لا يخفض البؤس نفساً وهى عالية   ولا يشيد بذكر الخامل النشب

وكان يسبغ على نفسه الرضا والطمأنينة راحة ضميره وإيمانه بأن سيرته ليس فيها ما يزرى أو يغض من قيمته :

راجعت فهرس آثارى فلم تجد   بصيرتى فيه ما يزرى بأعمالى

وأنه لم يبع ضميره بالمال ولم يفرط فيما يعتقد أنه واجب عليه ، مؤمناً بأن التاريخ سينصفه ، وسوف يبين الحق يوماً للناظرين ، قال فى إحدى قصائده :

ولو رمت ما رام امرؤ بخيانة   لصبحنى قسط من المال دائر
ولـكن أبت نفسى الـكريمة سوأة   تعاب بهـا والدهر فيه المعاير
وسوف يبين الحق يوماً لناظر   وتنزو بعوراء الحقود السرائر

كان نفى البارودى إلى جزيرة سيلان ومعيشته بين القوم الذين وصفناهم له هذا الأثر الحزين فى كل شعره الذى قاله فى منفاه ، ولم تستطع طبيعة هذه البلاد ــ وقلبه ملىء بالحزن والأسى ــ أن توحى إليه بشعر فرح إلا قصيدة واحدة يصف فيها روضة بكندى ؛ ويوماً قضاه مع رفقة بتلك الروضة ، ولمح

فرقة التمثيل ومديرها الفنى

للأستاذ زكى طليمات
المدير الفنى للفرقة المصرية

يشاء السيد الزحلاوى[1] أن يجعلنى المسئول الأول والأخير عن تصرفات الفرقة ، وهو يعلم علم اليقين من المصادر التى يستقى منها معلوماته ، أن للفرقة لجنة عليا تشرف على توجيهها إشرافاً دقيقاً ، وأخرى تنتخب مسرحياتها - ولست عضواً فيها - ثم إن للفرقة لجنة ثالثة تتولى توزيع الأدوار على الممثلين ، وأن للفرقة مديراً عاماً له السلطة الواسعة ، وأنه ما من اقتراح أتقدم به يأخذ دور التنفيذ إلا بعد موافقة هذه اللجان . .

فقيم إذن تجاهله كل هذا ، إلا لغرض مبيت فى سريرته .

فهو والحالة هذه أحد رجلين : إما أنه (مخلب قط) لموتورين من الفرقة - وما أكثرهم وأحبهم إلى نفسى - فهم لا يزودونه إلا بالمغرض الكاذب من المعلومات ، وإما أنه يعلم كل هذا ، ثم يتجاهل ليغالط نفسه والقراء . وما أحب له أن يكون هذا أو ذاك

بيد أنى له فى كل مزاعمه ، وسأناقش على الاعتبار الذى اجتلبه وافتعله ولم يبال بحقائق الأشياء ، أى على اعتبار أننى المسئول الأول والأخير

١ — يأخذ علينا أن الفرقة قدمت (شهرزاد) و (يوم القيامة) و (كانا كده) و (سلك مقطوع) ، فكان فى زعمه أن « هبطت إلى مستوى الفرق الأهلية التى لا تراعى إلا الربح المادى » ، وكأن الفرقة لم تقدم غير هذه المسرحيات ! أسائله : أين إذن مسرحيات (يوليوس قيصر) لشكسبير و (متلوف) و (مدرسة الأزواج) لموليير و (غادة الكاميليا) لديماس الابن ، و (الوطن) لساردو ، و (مروحة الليدى وندرمير) ، و (زوج كامل) لأوسكار وايلد ، و (مرتفعات ويذرنج) لأميلى برونتى . ثم أين (قيس ولبنى) للشاعر النابه عزيز بك أباظة ، و (قطر الندى) للمؤلف المصرى الكبير عباس علام . وكل هذه الترجمات من النفائس الأدبية فى عالم التمثيل ، والروايتان الأخيرتان من أحسن ما أخرجته الأقلام المصرية ، وقد توليت بنفسى إخراج ست منها ؟

أتساءل لماذا لم يسجل السيد الزحلاوى غير الجانب الذى قد يؤاخذ عليه فى منهج الفرقة ، ولم يذكر الجانب الآخر الذى يشرفها ويقيم الحجة على أنها فى جادة الطريق إلى تأدية رسالتها ؟

ثم ذاك الجانب الذى لا يؤاخذ عليه إلا صاحب العنت والهوى ، ما خطره ما دامت الفرقة تحرص فى انتخاب مسرحياتها على إقامة توازن دقيق بين الهزيل والماحل ، وبين الدسم والخصب من المسرحيات ، تمشياً مع الجمهور الذى لم يستقم له بعد أمر الهضم القوى لما هو دسم حقاً ، وموفور الغذاء حقاً ؟

ما الخطر فى أن تأخذ الفرقة بالاعتدال فى انتخاب ما تقدمه مراعية أمر التفاوت البين بين طبقات الجمهور من حيث المستوى الثقافى والمزاج ، فتكون تارة لخاصة الجمهور ، وأخرى لعامته من غير تعال أو إسفاف مشين ؟

كلنا يعلم — إلا المتعنت المتجنى — أن التهذيب بطريق

(١) انظر الرسالة رقم ٥٩٣ ، ثم ٥٩٤ تحت عنوان فرقة التمثيل

فى هذا الوصف أنه وصف حسى لم يشرك القلب فيه حواس . بل إن لسانه لم يتحرك بقول هذا الشعر إلا بعد أن سأله رفقاؤه أن يخلد ذكرى يومهم فى شعره . وأما وصفه لكندى فمع قلته تشيع فيه روح الألم والحزن

برغم كل ما قاساه البارودى فى غربته لم يفقد الأمل فى أن يعود يوماً إلى وطنه ، فهذا الأمل وطيد لا يمكن أن يزول :

ولى أمـــل فى الله تحيا به المنى
ويشرق وجه الظن والخطب كاشر

وطيد يزل الكيد منه وتنقضى
مجاهدة الأيام وهو مثابر

وقد حقق الله له هذا الأمل . فى (١٧ مايو سنة ١٩٠٠) أصدر الخديو عباس حلمى الثانى أمره بالعفو عنه ، فعاد البارودى إلى وطن طالما حن إليه وشرب ثانية من ماء النيل الذى لم يرو بماء غير مائه منذ فارقه حتى عاد إليه .

(حلوان)
احمد احمد بدوى
مدرس بحلوان الثانوية للبنين

المسرح اختياري محض ، إذ الجمهور إنما يغشى المسارح مختاراً لا مجبراً . ولهذا أسائل : هل من الخير للفرقة أن تحظى بإقبال الجمهور مع أخذها بهذه السنة الحصيفة المعتدلة فى انتخاب مسرحياتها ، أم تبوء بالفشل وانصراف الجمهور وهى لا تقدم إلا التحف الأدبية والروائع الفنية ؟

هل يدرى السيد الزحلاوى لماذا أخفقت الفرقة القومية فألغيت وقامت مكانها هذه الفرقة القومية المصرية ؟ هل غاب عن علمه أن إيراد تلك الفرقة الملغاة انكمش إلى قروش وملاليم فى الحفلة الواحدة ؟

وهل فى استطاعته أن يعرض على الجمهور تلك المسرحيات الرفيعة مع ضمان إقبال الجمهور ؟ إذا كان هذا فى وسعه فإننى أنزل له عن مكانى فى الفرقة لأعمل تحت إمرته

٢ — لم نقصر فى إعلاء شأن العربية الفصحى كما زعم الكاتب ، بدليل أن الفرقة حتمت أن تكون كل المسرحيات المترجمة مكتوبة بالعربية السليمة معنى وإعراباً ، كما أنها لم تتوان عن تقديم مسرحية (قيس ولبنى) وهي مكتوبة بالشعر الرقيق الآسر ، كذلك لم تقض الفرقة بأن تكون المسرحيات المحلية الموضوع مكتوبة باللهجة العامية المبتذلة ، ولكنها قضت بأن تكتب باللهجة التى يتكلم بها شخوص الرواية كما لو كانوا فى الحياة الواقعية حتى لا ينهار جانب المعقول فى أسلوبها

٣ — الذى يأخذه علينا الأستاذ من أننا أوردنا (ضرب الزار وهز البطن والأرداف) ـ وهما الرقص أو الحركة الإيقاعية فى لغة العلم ـ لم نورده لذاته ولم نزج به زجاً فى روايتى (شهرزاد) و (يوم القيامة) ، بل أوردناه لأنه عنصر لا تستقيم بدونه المسرحية الغنائية الفكاهية (الأوبريت) ، وهو نوع يقوم على الموضوع اللين المشرق بالفكاهة وبالغناء ، ويقضى كمال إخراجه بأن نجمل من شخوص الرواية وممثليها والمنشدين منها عرضاً منسقاً لمتعة العين والأذن

وإخراجنا هذا النوع يحقق جانباً من رسالة الفرقة ، إذ هى للتمثيل والموسيقى المسرحية كما يشهد بذلك عنوانها (الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى) ، ومع هذا فإننا لا نقدم غير رواية واحدة من هذا النوع فى كل عام

٤ — تشاء خبيئة السيد الزحلاوى أن تتهمنى بالتغرض والعبث فى توزيع الأدوار على الممثلين ، أى أننى أعطي الدور لمن لا يحسن تأديته . وتفنيد هذا الزعم الباطل أنه ما من رواية قدمتها الفرقة وباءت بالفشل ، بل كان نصيب كل رواية النجاح الجدير بها . ومن المعلوم أن نجاح الرواية يتكئ أولاً على حسن تأدية الممثلين أدوارهم . فلو صح ما زعمه السيد الزحلاوى لأغلقت الفرقة أبوابها ، لأنها لا تعيش من إعانة الوزارة وقدرها عشرة آلاف جنيه ، فقد بلغت مصاريف الفرقة فى العام الماضى ثلاثة وعشرين ألفاً من الجنيهات ، وزاد دخلها على مصاريفها بدليل أن الممثلين تناولوا مرتبات خمسة عشر شهراً عن العام الماضى

ثم ماذا يقول الأستاذ المتجنى ، وما عسى أن يقول له القارئ ، إذا علم أن توزيع الأدوار لا يرجع أمره إلىّ وحدى ، بل إلى لجنة أنا واحد منها ، إذ تتضمن سواى مدير عام الفرقة ، وعضو من اللجنة العليا ، وزميلى فى الإخراج !

٥ — شاء أدب الأستاذ الزحلاوى أن يتهمنى بأننى أسأت إلى سمعة مصر فى البلاد العربية . أسائله هل قرأ ما كتبته صحف فلسطين ولبنان وسوريا عن رحلة الفرقة ورواياتها فى الصيف الماضى ؟ ما أظن ... ويقينى أنه لو قرأه لتغيرت فى ذهنه معانى ما يقرأ ، لأن العين التى يرانى بها ترى الزهر شوكاً والضياء ظلاماً ، وكان الله فى عونه

وإذا سمح أستاذنا الزيات فإننى أنشر فى (رسالته) نبذاً مما تفضل بكتابته عن الفرقة بعض الأدباء والكتاب فى هذه الأقطار الشقيقة الكريمة

٦ — وأروع مثال أقدمه ليتعرف القراء إلى مقدار فهم الأستاذ الزحلاوى لما يشاهد من مسرحياتى ، ما أورده عن (كلنا كده) فى مقاله ، فالرواية فى فهمه وعلى حد قوله : « تقول عن أبناء الأمة إنهم كلهم ديوث وقواد وعكروت » !

فليتصور القارئ رواية هذا موضوعها ومفادها ! كيف وافق عليها قلم النشر فى الداخلية ، وكيف تأتى أن النظارة لم يحطموا مقاعدهم ويقذفوا الممثلين بحطامها ، وكيف توالى تمثيلها شهراً ونصف شهر فى حفلات متوالية ! لا مراجعة فهذا فهم الأستاذ ، فى حين أن الرواية تجرى حوادثها وتتعاقب مشاهدها لتلوّح فى لطف أننا كلنا كتب علينا الخطأ ، وكأنها تذكرنا بالحديث الشريف « كل امرئ خطاء وخير الخطائين التوابون »

وأرجو أن يكون الأستاذ الزحلاوى من الخطائين التوابين !

زكى طليمات

على هامش النقد

الرباط المقدس

كتاب توفيق الحكيم

للأستاذ سيد قطب

خيل إلىّ في وقت من الأوقات أن توفيق الحكيم قد بلغ مداه وارتقى آفاقه ، وأنه منذ الآن سيكرر نفسه ، مع شيء من التحوير والتعديل

خيل إلىّ هذا وأنا أقرأ « سليمان الحكيم » فأجد فيه اختلافاً ما في موضوعه وشخصياته عن أهل الكهف ، وشهرزاد ، وبيجماليون ؛ ولكنه يتفق معهما في طريقة تناول الموضوع وفي إدارة الحوار مع تعديل طفيف

ثم كتب « زهرة العمر » ، فلاحت بوادر آفاق جديدة ، ولكن لها شبهاً في خطرات المصباح الأخضر والبرج العاجي . وإن ظهرت في صورة رسائل لا في هيئة مقالات فالفرق في صميم العمل الفني هنا كذلك طفيف .

ولكن هذا الوهم قد تبدد من نفسي وأنا أقرأ « الرباط المقدس » كتابه الأخير . هنا أفق جديد من آفاق توفيق الحكيم ونغمة جديدة ، وعطر جديد ... إنه عطر النضوج ، ونغمة الاكتمال ، وأفق الأستاذية . في الموضوع والأداء والطريقة ، وسائر ما يقاس به العمل الفني الكبير .

ولقد التمعت من قبل ومضات من هذا الجديد في أعمال توفيق الحكيم ؛ ولكنها بالقياس إلى « الرباط المقدس » تبدو بواكيرفيها الالتماع والحلاوة ، دون النكهة العميقة والنضوج الأخير .

فالخطرات الذهنية — التي اعتدناها من المؤلف — لا تقف هنا عادية ، تتخايل بالألاقة والالتماع . إنما هي هنا تسري في مادة حية ، وتخطر في إطار من اللحم والدم يمنحها الحرارة والحياة ... هنا قلب إنساني يضبطه ويدل على حركاته ذهن فنان . وهذه هي اللمحة الجديدة في فن توفيق الحكيم .

لقد كان في « عودة الروح » و « يوميات نائب في الأرياف » شيء من هذا . ولكن النبض الحيوي كان هناك باهتاً ساكناً غير ملحوظ في ثنايا التنسيق الفني الدقيق . أما في « الرباط المقدس » فالنبض الحيوي يساوق التنسيق الفني ، ويبدو كلاهما كاللحمة والسدى في النسيج الواحد ، أو كالجسد والروح في الكائن الحي .

وفي الكتاب صفحات من خطرات الفكر ، ووثبات الغريزة ، وسبحات الروح ، ووسوسة الضمير ، ونزوات اللحم والدم ، وصراع القوى البشرية في النفس الواحدة يقل نظيرها في كل ما سجله الأدب العربي الحديث .

والمهم ليس هو امتاع هذه الصفحات في الكتاب . ولكن تناسق العمل الأدبي كله في مبدئه إلى نهايته ، في مستوى متقارب من النبض والحرارة والالتماع والنضوج .

لقد أدركت بعد قراءة الكتاب خطورة الأحكام النهائية على المعاصرين . فلقد كنت أعد بحثاً عن « المدارس الأدبية المعاصرة » وكدت أنتهي إلى حكم قاطع في فن توفيق الحكيم وطبيعته وطريقته . . . فهأنذا أجدني في حاجة إلى تعديلات أستمد حيثياتها من « الرباط المقدس » . وإلا فما كان أدراني أن في طاقة المؤلف بلوغ هذا الأفق الجديد . وإن كل ناقد يحترم نفسه يكون قد أصدر حكماً سابقاً على توفيق الحكيم يجب أن يعاود حكمه فيتناوله بالتعديل !

* * *

القصة قصة امرأة تخون ، امرأة منحرفة ، تدعوها نوازع اللحم والدم فتستجيب ، وتغريها بدعة العصر في التحلل من القيود فتتفلسف السقوط بالحرية والتجديد ، وتنظر إلى ما تسميه « مغامرة » نظرتها إلى أمر يومي صغير ، لا يجوز أن يحطم عشا ولا أن يحدث ضجة ؛ ثم تسخر ما شاءت لها السخرية من رجعية الرجل ومن أنانيته لأنه يتطلب فراشاً نظيفاً وذرية مضمونة ! ! !

وقصة رجل مستقيم الفطرة تربى في إنجلترا ، ولكنه لم ينحل ، وعرف كيف يؤدي حقوق الزوجية كاملة . ولكن في حدود الفطرة السليمة . فضاقت المرأة المنحرفة بهذه الحدود .

وتاقت نفسها إلى « المغامرة » اللذيذة ، والاستجابة الممنوعة .

وهى تصف فى مذكراتها لحظات هـذه الاستجابة وصفا حسيا عنيفا . تصفها كما وقعت محوطة بالوهج واللهب ، مغلفة باللذة الحيوانية الهائجة ، غارقة فى بحران الغيبوبة ... فإذا وقعت هذه المذكرات مصادفة فى يد الزوج الواثق المسكين كانت المفاجأة التى تهد القوى وتذهل اللب ، وتمسخ كل لحظة من لحظات الماضى ، فتحيلها غولا لئيما يعذب فريسته بالسخرية اللاذعة قبل أن ينقض عليها ليمزقها شر تمزيق !

والقصة بعد هـذا كله قصة « راهب الفكر » الذى رأى هذه المرأة أول مرة فرفعها إلى مصاف الحوريات فى الفراديس ، ونسج حولها هالات من القداسة والسحر ، وأقامها فى مصاف الآلهـة والقديسين .. ثم ... ثم إذا هو يطلع على الكارثة مع الزوج المنكوب ، فيفجع فى أحلافه فجيعة الزوج فى كيانه ، ويحس لها بالحقد والازدراء ، ويخيل إليه أنها انتهت من عالمه ... ولكن !

أجل . ولكنها « المرأة » . المرأة الخالدة فى ضمير كل « رجل » . وراهب الفكر هو كذلك رجـل أيضا . هو مزيج من اللحم والدم والفكر والشعور . ولئن كانت هذه الأفعى قد سحرت فيه رجل الفكر والشعور أيام أن كانت — عنده على الأقل — حورية أو قديسة ، فإنها اليوم لتستطيع أن تسحر فيـه رجل اللحم والدم ، بعطرها العابق ، ونكهتها الأنثوية ، وأن تدعوه لصوت الغريزة الخالدة فيستجيب . ولولا سبب خارج عن إرادته — حسب تعبير القانون — لتم كل شىء فى عالم الواقع المحسوس ، بعد أن تم فى عالم الضمير المكنون !

يا للمرأة ! بل يا للحياة فى صورة المرأة !

وعلى الهامش رجل آخر أوقعته مذكرات الزوجة المفضوحة فى شك مفترس فى عشه وفراشه هو الآخر ، ولكنه لا يستطيع الجزم واليقين ، ولا يطيق جحيم الشك المؤلم فيستريح من قريب ... ينتحر ! ولا يستغرق من القصة إلا القليل ، الذى يكفى الموازنة السريعة بين قسوة اليقين المحتملة على كل حال ، وقسوة الشك التى تجل عن الاحتمال .

***

أشهد أن الصفحات التى تناول فيها المؤلف عرض نظريات المرأة ودواعيها ، ووصف نزواتها ومفاتنها ؛ وكشف حيلها ومغرياتها . كالصفحات التى صور فيها كارثة الرجل وعاطفته ، وأوضح منطقه واتجاهه . كالصفحات التى أبرز فيها « راهب الفكر » ونزعاته ، واختلاجاته ونزواته ، كالصفحات التى كشفت روح العصر والعوامل الخفية والظاهرة التى تعمل فى كيانه ... كلها صفحات رائعة فيها ذلك النضوج الأخير .

ولكن الصفحات التى عرض فيها صورة « الشك » لم تجىء فى مستوى تلك الصفحات . جاءت مختصرة ومجملة ، جاءت فى لمسات عريضة لم تتناول الجزئيات الثمينة فى لحظات الشك المريرة . وختمت فى عجلة ظاهرة

حقيقة إن « التنسيق الفنى » سمة توفيق الحكيم الأصيلة — هو الذى يجبره فى هذه القصة — حسب وضعها الحالى — إلى الاختصار فى صورة الشك ؛ فكيان القصة قائم على مواجهة الرجل المستقيم بالمرأة المنحرفة فى العصر الحديث وعلى اضطراب رجل الفكر بين الغريزة والوجدان أمام المرأة الخالدة ، وعلى منطق الغريزة العميقة ومنطق الفكر المحلق ، وعلى لذة الفناء الأرضى ولذة الخلود السماوى ... الخ فلا مجال فيها لعرض صورة « الشك » إلا فى هذا الحيز المحدود

ولكنى أخشى أن يكون تصوير « الشك » فى هذا المستوى الرفيع فى حاجة إلى طاقة أخرى لم يزاولها حتى اليوم « توفيق الحكيم » . طاقة كطاقة شكسبير فى « عطيل » أو طاقة العقاد فى « سارة » وطاقة الأضواء تتداخل فى الظلال ، لا طاقة الخطوط الحاسمة التى تفرق بين الظل والنور وإن كنت لا أظنها — بعد اليوم — بعيدة عن توفيق الحكيم . فتصويره لتأرجح (راهب الفكر) فى اللحظات الأخيرة يمنحه القدرة على تصوير (الشك) فى النفس الإنسانية فى هذا المستوى الرفيع

ونحن منتظرون ... !

***

ثم لقد استوقفنى المؤلف عند هذا الحوار بين راهب الفكر والزوجة المستهترة كانت تسخر من غيرة الرجل على فراشه ، وتمد دفاعه عن هذه الغيرة حماسة منه للرجال :

— « ولماذا لم تتكلم بهذه الحماسة عن خيانة الأزواج ؟

— إنى لم أبح للزوج أن يخون زوجته

— وإذا خانها . أليس لها الحق أن تخونه ؟

— لا

— النغمة القديمة التى نسمعها من الرجال . تبيحون لأنفسكم ما تحرمون علينا لأنكم أنتم السادة ونحن الإماء .

— بل لأن الرجل هو الذى يعرق ، والمرأة هى التى تنفق . أكدحى كما يكدح زوجك واعرقي كما يعرق ؟ فإذا تساويتما فى التضحيات تساويتما فى الحقوق . لا أقول إن الرجل يجب أن يخون . ولكنه إذا خان خان من ماله . ولكن الزوجة تخون من مال زوجها . ثم هنالك شيء آخر . . هو النسل . . فالزوج يخون ولا يدخل على زوجته نسلا مدلساً . أما الزوجة فإذا خانت أدخلت على زوجها نسلا ليس من صلبه . لن تكون هناك مساواة مطلقة بينكن وبين الرجال فى هذا الإثم إلا إذا تطور الزمن تطوراً آخر فرأينا الزوجة تناضل فى الحياة وتكتسب بالقدر الذى يربحه الزوج ... ثم يستطاع بواسطة العلم أو بغيره من الوسائل أن يفرز للزوج نسله عن نسل غيره بغير وقوع فى شك أو ارتياب ... إلى أن يتم ذلك فلا تتحدثن عن المساواة فى الخيانة .

— إذا حدث ذلك فلن تكون هنالك زوجية . ولن يكون لها محل على الإطلاق . .

— ولن يكون للخيانة عندكن لذة ولا طعم . إذ لن يكون الزوج ضحيتها ...

— « يا لك من خبيث ! »

أحسب أن هناك اعتبارات أخرى غير الاعتبارات الاقتصادية الخاصة بالانفاق والعائلية الخاصة بالنسل ، بل أكبر من العوامل النفسية بين الرجل والمرأة حين يراد منهما بناء أسرة ورعاية أطفال ... فندع هذا كله ، وندع منطق الأخلاق لننظر من ورائه إلى منطق الطبيعة . . .

أحسب أن الطبيعة الخالدة كانت تقصد الإشارة إلى معنى خاص وهى تقدم أنثى الإنسان — وحدها دون بقية إناث الحيوان — مختومة مقفلة بذلك القفل الطبيعى الخاص ! وأنها لم تحسب حساب العلم فى تطوراته التى يستطيع بها فرز النسل أو لا يستطيع . فقامت هى بوسائلها الخفية الخاصة بضمان العفة فى الحدود التى تملكها . وما كان عمل فرسان القرون الوسطى حين كانوا يلبسون زوجاتهم أحزمة ذات قفل فى ثنايا اغترابهم للحرب ، إلا محاكاة لعمل الطبيعة وامتداداً له فى صورة عنيفة . فمهما كانت نظرتنا نحن اليوم إلى طريقة التنفيذ ، فيجب أن نقدر أصالة الفكرة ، وعمقها فى تفكير الطبيعة . وإذا كان عصر من العصور لا يسمح بفكرة القفل المادى ، فإن هذا لا ينفى أن فكرة القفل المعنوى أصيلة فى صميم الطبيعة كلها لا فى صميم النفس الإنسانية وحدها !

إن الطبيعة لأحكم من كل فلسفة أخلاقية ، ومن كل سفسطة إباحية . وإن كل انحراف عن سنتها لهو انزلاق إلى مهاوى الفناء !

سيد قطب

الدستور فى شعر شوقي

بمناسبة إزاحة الستار عن تمثاله

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

— ١ —

كانت الدعوة إلى الدستور قد قويت ودوّت فى أوائل هذا القرن ، وزعيمها مصطفى كامل باشا وكان مصطفى لا يفتأ يدعو إلى الجلاء وإلى الدستور لأنه وسيلة الحكم الصالح ، فقد كتب فى اللواء فى ٥ أكتوبر سنة ١٩٠٠ مقالاً بعنوان « الحكومة والأمة فى مصر » ذكر فيه وعد لورد دوفرين باسم حكومته أن يؤسس فى مصر مجلس نيابى ، وإخلاف الحكومة البريطانية وعدها كإخلافها وعود جلائها

ودعا إلى الدستور فى خطبته فى العيد المئوى لمحمد على يوم ٢١ مايو سنة ١٩٠٢ ، ومما قاله : « أين ذلك الدستور الذي يلجم الحكومة بلجام من حديد ، ويهب الأمة حرية الرأى والفكر وحق المراقبة على أعمال الحكام وسن القوانين والشرائع ومناقشة الوزارة عن الصغائر والكبائر ...

لعمرى إن مايسميه المحتلون وأنصارهم بالدستور لهو الفوضى فى لباس النظام ، والاختلال فى قالب الاحتلال ، وإلا فأين الضمانة التى تطمئن لها القلوب والخواطر ؟ أين مجلس النواب المصرى الذى يقف فى وجه كل طامع ويرد كل ظالم ؟ أين ذلك المجلس الذى وعدت به بريطانيا على لسان اللورد دوفرين ؟ »

وقد كان لخطابته هذه دوى فى مصر ، وأثر فى المقيمين بها من الأوروبيين ، وكانت من أعظم دروسه الوطنية ، وعلقت عليها الأهرام بقلم الشاعر الكبير خليل مطران بك ، والبصير ، وجريدة الفارد السكسندرى تعليقاً يشف منه الإعجاب والحماسة

ولشوق بمصطفى كامل صلات ، فقد كان من كتاب اللواء ، ومن أصدق أصدقاء الزعيم الشاب وأعظمهم إعجاباً به ، وكان مصطفى يبادله الحب والإعجاب ، فقد وصف شعره بأنه الغدير الصافى فى ألفاف الغاب يسقي الأرض ولا يبصره الناظرون ، وخصص لقصائده أسمى مكان فى اللواء ، وفى ذلك يقول شوق :

قد كنت تهتف فى الورى بقصائدى ... وتحل فوق النيرين مكانى

وكتب مصطفى إلى صديقه محمد بك فريد من أوروبا : « وإذا قابلت شوق بك فقبله لى مرتين ، وقل له أن يرسل لى ما طبع من ديوانه مع صورته وأعطه عنوانى »

وشوق يقرر أنه شارك مصطفى فى البعث والدعوة إلى الاستقلال والحرية بقوله :

أتذكر قبل هذا الجيل جيلاً ... سهرنا عن معلمهم وناما

مهار الحق بغضنا إليهم ... شكيم القيصرية واللجاما

لواؤك كان يسقيهم بجام ... وكان الشعر بين يدى جاما

وقد اشترك معه فى الاحتفال بالعيد المئوى لولاية محمد على بقصيدته الخالدة (محمد على) ورثاه لما مات بقصيدة من عيون المراثى العربية ، ثم ذكره ، وفى آخر ذكرى يقول :

يا أخا النفس فى الصبا ... لذة الروح فى الصغر

وخليلاً ذخرته ... لم يقوم بمدخر

— ٢ —

على أنه قد درس فى مصر طرفاً من القانون فى مدرسة الحقوق قبل أن يتحول إلى قلم الترجمة ، ثم أتم دراسة الحقوق فى فرنسا ، وما من شك فى أنه وقف على آراء علماء الاجتماع والقانون والسياسة فى خير نظم الحكم ، وما من شك فى أنه تأثر بميولهم إلى حكم الشورى ، على أنه شاهد هناك صولة الدستور وفضل الشورى وسلطان الشعب ، فطمح إلى ما طمح إليه غيره من المصريين الدارسين فى أوروبا أن يكون لمصر دستور ، وأن يصرف الشعب أمره بنفسه ، وأن ينجاب عن سماء الإسلام قتام الحكم المطلق

ثم إنه مولع بالتاريخ وتمجيد الماضى ، ويعلم أن الشورى نظام الحكم فى الإسلام ، وأن الخلفاء الراشدين تسلموا مقاليد الحكم بالانتخاب ، فهو يجمع هذا إلى مايتجدد أمامه فى الحاضر فى الدول الراقية فلا يرى مندوحة من الميل إلى الشورى ، والدعوة إليها والاستمساك بها

كان ذلك وشوقي في ريعان شبابه ، فدعا إلى الدستور وهو شاعر الأمير تقيده الوظيفة ، ويحد من جريانه في تيار الثوران على الحكم المطلق . فلما نشبت الحرب الماضية نفي ، لأن الغاصبين أيقنوا خطورة شعره في التأليب عليهم والتنفير منهم ، فأميره مبعد عن ملكه ، ومصر كلها رَمِةٌ بقيود الحماية ، وتركيا في غير صف انجلترا ، وشوقي شاعر الأمير ، وروحه مصري وتركي ، وشعره يوقظ الغفلى ، ويشدو به الصبية والكهول

ثم ألقى الله على العالم أمنه وسكينته ، وعاد شوقي إلى مصر يغرد بالمجد ، ورجّع بالدعوة إلى الدستور في مناسبات شتى في عهد الملك فؤاد ، وهو في ترجيعه حر يصور عواطف الشعب آنا ، ويرشده آنا ، لا تلجمه وظيفة ولا تثنيه رهبة ؛ فقد أفاق الشعب كله واستقاد لزعيمه سعد ، وثار ثورته يشرى حريته ودستوره واستقلاله ، وشوقي مغتبط يحدو للسائرين أو الطائرين إلى مثلهم العليا ؛ ولم يجاره شاعر في حماسة دعوته ، ولا في تكرار صيحته ، ولا في بلاغته وجرأته ، ثم لم يدانه شاعر في جلال الصور التي صور الدستور بها ، أو في مهارة الربط بين الفكرة التي يدعو لها والمناسبة التي يهتبلها

ولعل في هذا البحث بلاغاً لحساده الذين زعموا أنه لا يمثل عصره ، ولم يتحدث بلسان شعبه ، ولم يصور عواطف معاصريه وميولهم ، وإن هم إلا واهمون أو ظالمون ، فإن شعره ثبت مفصل لما اضطرب من أحداث ، وما اشتجر من آراء ونزعات ، وقلما حدث حدث إلا جلجل فيه شوقي بشعره الملتهب ، فعضد الحق ، وسند الشعب ، ورسم الصوى للحيرى

وشعره في الدستور والشورى وفضلهما وما يتصل بهما كثير منوع الصور ، جاشت به نفسه فنفس عنها ، واستدعته عاطفته فاستجاب لها ، وإنها لعاطفة صادقة لا مجاراة فيها ولا مَيْن ، ولو جارى لأقل فأشار في معرض أو معرضين ، ولكنه طرق الدستور وحكم الشورى في أكثر من عشرين موضعاً من ديوانه ، وفي بعضها يخلق المناسبة خلقاً ، ليمجد الدستور ونظمه ، وليس هذا شأن المجارى . وعاطفته مع صدقها حارة عالية الدرجة نبيلة تثير عواطفنا وإعجابنا ، فلا مرد إذن لأقاويل خصومه المتنقصين قدره إلا أنهم نفسوا عليه سلطانه ومكانه وبيانه ، فاتهموه في موضع الاقتدار ، فكانوا كمنكر النهار ، أو الممارى في حرارة النار

ومن الوفاء له أن نسوق هنا طرفاً من شعره نحيي به ذكرى شاعر العصر ، المساهم في مجد مصر ، ونحيي به الدستور في وقت تمتحن فيه دساتير الأمم ، فتجاهد الحكم المطلق

وإن من يقدر الظروف التي تغنى فيها شوقي بالدستور ليجد حرجها ، ويحس أشواكها ، فكيف سلم من معاطبها شوقي ؟ وكيف لبق فأرضي نفسه وصور آمال الشعب ثم لم يجمح به قلمه أو كلمه ؟

الحق أنه كان يروض الألفاظ حتى لا تثير سخطاً ، ويروز المعاني ويصطفيها حتى لا يحس منها معارض بجفوة أو نبوة ، وليس من السهولة أن تحبب إلى معارض ما يكره وأنت لم تشعره بغضاضة الرجعة ، أو لم توقظ في نفسه نوازع العناد . وهذه درجة علية من اللباقة والكياسة والحذاقة

— ٣ —

هلل شوقي بالدستور العثماني واحتفى به ، وقصر عليه قصيدة كاملة إثر صدوره عام ١٩٠٨ إذ زف في بعض أبياتها البشرى إلى الترك وإلى الخاضعين لهم ، ولعله استشف أن الدستور سينتظم مصر وغيرها ، ففي رأيه أن الخلافة كانت تعاني الضعف وتقاسي الانحلال فجاء الدستور سياجاً لها وقوة ، وكانت متداعية الأركان فحيطت بالشورى ونادى الشورى

والدستور الذي أصدره السلطان عبد الحميد نعمة على الشعب جليلة كجلال الخليفة ، صافية الحواشي ، إذ لم ترق لها دماء أو تلابسها جرائم ، ومن عجب أن يرغب الناس عن الشورى وقد شرعها الله وأوصى بها نبيه

وحينما نظرت رأيت سمات الفرح ، فإن الشعب الصادى إلى الدستور والحكم النيابي ينقع اليوم بالشورى صداه ، وكل فرد في الأمة يشعر بالعزة والعظمة والجاه أنْ صار له صوت في سياسة الوطن ورأى

بشرى البرية قاصيها ودانيها   حاط الخلافة بالدستور حاميها
لما رآها بلا ركن تداركها   بعد الخليفة بالشورى وناديها
أسدى إلينا أمير المؤمنين يداً   جلت كأجل في الأملاك مسديها

بيضاء ما شابها للأبرياء دم ... ولا تكدر بالآثام صافيها
وإنما هي شورى الله جاء بها ... كتابه الحق يعليها ويغليها
أماترى الملك فى عرس وفى فرح ... بدولة الرأى والشورى وأهليها
لما استمد لها الأقوام جئت بها ... كالماء عند غليل النفس صاديها
فضل لذاتك فى أعناقنا ويد ... عند الرعية من أسنى أياديها
خلافة الله جر الذيل َحاضرُها ... بما منحت وهز العطف باديها
طارت قناها سروراً عن مراكزها ... وألقت النمد إعجاباً مواضيها

— ٤ —

وينتهز الفرصة فى إعلان رأيه فى مشروع ٢٧ فبراير فيخاطب الملك فؤاداً ناصحاً له أن يوطد ملكه على دعائم من العلم والأدب والعدل والشورى :

فؤاد حليت جيد النيل مأثرة ... حذوت فى صوغها آباءك النجبا
ما زلت فى السلم تغزو كل معضلة ... بالحلم حتى اقتحمت المعقل الأشبا
إن سرك الملك تبنيه على أسس ... فاستنهض البانيين العلم والأدبا
وارفع له من حبال الحق قاعدة ... ومدمن سبب الشورى له طنبا

— ٥ —

ويلتفت فى قصيدته (الأزهر) التفاتة بارعة فيقرن إصلاح الأزهر بإصدار الدستور ، أليس بإصلاح الأزهر يستقيم الدين والدنيا ؟ وبالدستور تنهض الأمة وتسلك طرقها صعداً ؟ أليس الأزهر فخار مصر المسلمة والدستور شعار مصر الناهضة ؟

الله أكبر يا ابن إسماعيل لم ... تترك لصناع المآثر مفخرا
بالأمس تنهض مصر فى دستورها ... واليوم تنهض للسماك الأزهرا

(البقية فى العدد القادم)

احمد محمد الحوفى
المدرس بالسعيدية الثانوية

منها ...

لشاعرة غربية

[جمعتهما المصادفة فأحسا بذلك الانعطاف الروحى الذى يزيل الحواجز ويمحو الفروق . هى شاعرة غربية نبيلة ، وهو شاعر شرقى أصيل ، وأحسا بالهوة العميقة العريضة التى تفصل بينهما فتحدث إليها عن ذلك الحب اليائس وأمله الممض ، وأن القدر لا يريد لهما هــذه السعادة ، وظنت هى أن كل شىء قد تغير سريعاً ، فكتبت إليه بهذه القصيدة التى ترجمها هو فيما يلى] :

وحيدةٌ ! ويحى ! بلا راحةٍ ما بين موجٍ طاغياتٍ قُواهْ
تجرى بیَ الفُلْكُ كأُرجوحةٍ حَيْرَى بأقيانوس هذِى الحياه
أبحث عنه وسُدًى ما أرى أين حبيبى؟ أين سارت خُطاه؟
لم يَهْدِنى نجمٌ إليــه ولم يبسمْ لِيَ الحظُّ فألْقى سَــناه
وليس لى من موجةٍ برَّةٍ تحملنى فى إثرِه كىْ أراه
من شاطئْ الراحة لم يَدْنُ بى إليــه أُفْقٌ لا يُرَى منتهاه !
هناك فى الشاطئْ وا فرحتا أعزُّ إنسانٍ صفالى هواه
منتظراً لى شاخصاً باسمــاً تُشِــيرُ بالآمال لى راحتاه
لكنَّما هيهات كيف السُّرَى وأين من عصف الرياح النجاه؟
قد صار حتماً أن يُرَى زورقى محطماً قد مال بى جانباه
وهل فضاء البحر أو غَوْره مهما تناءى وارتمت لجتاه
يكفى مداه أن تُوارَى به جميعُ آلامى ؟ أيكفى مداه ؟

نمتْ زهرةٌ فى غصون الخريـ ـف كحُلْمٍ من الماء والخضرة
كزنبقةٍ فى زُهَى حلَّة ربيعيــةِ الوشى محمرّة
تبثُّ المراعىَ نوراً يشفُّ ويجــلو الطهارة فى النظرة
كأنى بهـا قدحاً مُتْرَعاً به مُزِجَ السمُّ بالخمرة
لهـا وهج الحب فى قبلة على شفةٍ شِــبْهِ مُفْترة
ألا إنهـا هى بقْيا الهوى وآخِرُ ما فيــه من نضرة
ألا إنهــا هى صهباؤه وآخر ما فيــه من قطرة
تميتُ وتُحْيِى فيا لَلحياةِ والموتِ إلْفين فى زهرةٍ !

إن أنا قاومتُ هيــاج العبابْ
مصطرعاً والأفقُ داجى السحابْ
ولم تَدَعْ كفى إلى زورق زمامَهُ حُراً وخضتُ الصعاب
فســوف يُلقيه خفىُّ القضا محطماً فوق الصخور الصلاب
وإن أقوى ســـاعد عاجزٌ
أن يُمســك المجداف دون اضطراب
إن عاند الأمواج فهــو الذى يحفرُ فى اليم حَفيرَ التَّباب
وهو الذى يسعى إلى حتفه فى هوَّة مَفغُورة فى العباب
فليُلْقِ بالمجداف من كفه وليترك الموجَ طليق الرغاب
وليَمْضِ بالزورق ما يشتهى إلى القضاء الحتْم دون ارتياب
وليبتلعه المــوجُ فى جوفه فلا مفرٌّ اليوم مما أصاب
طال كفاحى ويح نفسى فما طول كفاحى غير طول العذاب!

أطلَّ الخريف بأعقاب ليل دجىِّ الظلام بكىِّ السُّحبْ
وآخر ما فى الربى زهرة عداها من الصيف وقْدُ اللهب
غدت وحــدها فى أديم عفا من النَّور والورقات القشب
كحارسة الميْتِ ليست تريم مكاناً به وقفتْ تضطرب
تُساقط من حولها أدمعاً غصون تطالعها من كثَب
جرى الغيث ، من ورقات بها إلى آخرِ شاحبات ، صبَب
تحدَّر مختنقاً فوقها بلا نَبْأَةٍ قَطْرُهُ المنسكب
فيا من هـ زهرة لجو رحين مَنِ الزائرُ الحائرُ المقترب ؟ !
جَناحْ لآخرِ ما فى الفراشا ت من رحمة بقِيَتْ أو حدب
مضى الصيف وانقطعت إثْرَه أغاريدُ كنَّ مَثارَ الطرب
نأى طيرُها مُجْهَدًا واختفى غرامٌ أتى وغرام ذهب !

« هى »

إليها ...

للأستاذ على محمود طه

[... وقرأ قصيدتها فراعه ذلك الروح الشاعر الثائر المضطرب فى محيط من العذاب والألم ... وأدرك سر هذه الخواطر الحزينة الباكية ... وأحس أنه المتهم ، وهو البرىء الذى لم يكفر بهذا الحب ، ولم يخل قلبه من أنه ... فمد إليها ذراعيه يخاطبها بهذه القصيدة] :

لا تتركى زورقنا المُجْهَدَا   يجرى به اليأسُ ويمضى العذابْ
لا تُسلِمِى مجدافه للردى   فالشاطئْ الموعودُ وشْكَ اقتراب
سيّان أرغى الموجُ أم أزبدا   لن نحنىَ الرأسَ أمام الصعاب
هذى يدى ! مُدِّى إليها يدا   نقتحم النوء ونطوِ العباب !

نادَى بروحى منكِ روحٌ شرودْ   لبَّيكِ يا رُبَّانتى الهاتفه
شرائع الناس بهـذا الوجودْ   أعجزُ من أنْ تقهرَ العاطفه
وَدِدتُ لو حطَّمتُ هذه القيودْ   وجئتُ ألقاكِ على العاصفه
يُضىء وجهينا بريقُ الرعودْ   فننثنى بالنظرة الخاطفة !

وحدكِ أنتِ الآن ؟ إنَّا هنا   روحانِ شبّا فى ظلال الكفاحْ
شراعُنا الخفّاق لن يَسْكُنَا   لليأس مهما مزّقتْهُ الرياح
ونجمُنَا ما زال طلْقَ السَّنَى   يُطالع الأفْقَ ويَلْقَى البطاح
إذا الغواشى السُّودُ مرّتْ بنا   ألقَى لنا الضوء وَمَدَّ الجناح

حُبُّكِ رُبَّانُ الهدى والسلامْ   ما لان للأخطار أو أذعنا
لا تَنْزِعِى من قبضتيهِ الزمامْ   ولا يَرُعْ قلبكِ هذا الضنى
كم ثار نوءٌ وتدجَّى ظلامْ   وهـذه أنتِ وهـذا أنا
إنَّا بلونا الهـولَ باسم الغرام   جنباً لجنبٍ ، ورجونا المنى !

ثِقِى بملاّحكِ فى المأزقِ   إنى أنا ابن الموج والعاصفاتْ
ألشعرَاتُ البيضُ فى مفرقى   تُنبيكِ عن أيامىَ الخاليات
آثارُ عمرٍ مُرعدٍ مُبرقِ   تعصف فيه أروعُ الحادثات
ما كدَّرتْ من روحىَ المشرقِ   تلك الليالى القُلَّبُ المظلمات

حبيبتى من أىِّ قلبٍ حزينْ   وأىِّ روحٍ عبقرىِّ الألمْ
وأىِّ وادِ الأسى أو معين   فجَّرتِ لحناً من أرقِّ النغمْ ؟
وَصَفْتِ فيه زهرة «الجُورجين»   حارسةَ الميْتِ بوادى العدمْ
وَخِلتِها كالكأس ذات الرنين   برّاقةً فيها الردى يبتسم ؟ !

بكيتِ بالدمع السخين الذريفْ   على غرامٍ خِلتِهِ قد مضى
وأبصرت عيناكِ ظلَّ الخريف   يُجللُ الأرضَ ويغشَى الفضا
تخضبُ كفَّاه النضيرَ الوريفَ   ورَسْماً ، وتُدمِى الزنبقَ الأبيضا
وتُخرس الطير بليلٍ شغيف   يروعُ فيه القلبَ أن ينبضا !

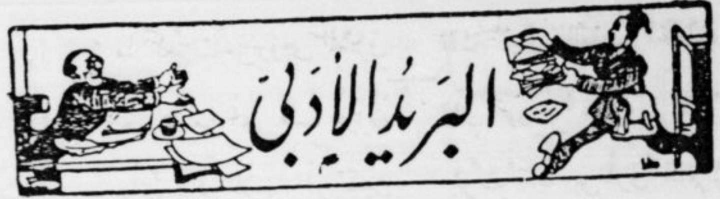
هذا الخريفُ الجَهْمُ تمشى خُطاهْ   على الربيع الذابلِ المحتضَرْ
كآبةٌ تحجبُ أُفْقَ الحياهْ   سحابةٌ تخنقُ ضوء القمرْ
أُختاهُ ! هذا الحبُّ غَضٌّ صِباهْ   أىُّ عذابٍ صاغ هذى الصورْ ؟
لم يَبْرحِ الشاطىء ، إنى أراهْ   كعهدهِ فى الموعد المنتظر !

كان حديثُ القَدَرِ المبهَم   مثارَ هـذا الخاطرِ المفزعِ
برغم قلبى : صحتُ لا تُقدمى !   وكان ما كان فلم تسمعى
أشفقتُ أن تَشْقَىْ وأن تألمى   معى ، فناشدتُكِ أنْ ترجعى
لكنْ أبى الحبُّ فلم نأثم   وكان أن أشقَى وتَشْقَىْ معى !

أكانَ حُلماً أم قضاءً دعا ؟   ماذا يُفيد العاشقين الحذرْ ؟
شئنا فلم نقدرْ وعدنا معاً   يا أختَ روحى ذاك حكم القدرْ !
لم ندَّخِرْ جهداً ولا أدمعاً   ولا دماً ، ما نحن إلاَّ بشرْ !!
ما أمجد الحبَّ وما أروعا   إذا تحدى العاشقان الخطرْ !

الحبُّ ما زالَ ، وهذا سناهُ   يُلهِبُ حتى الشعلةَ الخامده
تذوى الأزاهير وتذوى الشفاه   وهو ربيعُ الأنفس الواجده
قلوبنا منه نصيبُ الحياه   وتستمدُّ منه النَّضرةَ الخالده
إذا أضعناه فوارحمتاه   لنا ، ويؤسَى لليد الجاحده !

« هر »



فكاهات الشعراء

[احتاج الشاعر الأستاذ محمد الأسمر إلى زوج من (كاوتش الأحذية) فأرسله إليه صديقه الشاعر محمد عبد الغني حسن مشفوعاً بهذه الأبيات] :

إنني مُرْسِلٌ إليك « الكوتشا »
وَيدى مِنْ نَدَاكَ ترعش رَعشا
ليتني أستطيعُ إهداء نفسٍ لم تجدْ في صفاء نفسك خدشا
ما لحرب البَسوسِ عادت ضروساً
تبطش اليومَ بالممالك بطشا
عجباً أصبح « الكوتشُ » نفيساً
بينما المرء لا يُساوي قرشا !!

لا تَغُرك الكَعوب إن هي عزت
أنتَ أعلى « كعباً » وأرفعُ عرشا
يا مُذيب القلوب رقةَ شِعْرٍ
أوَلم تخش أن تُذيب « الكوتشا » ؟!
خفةٌ فيكَ لم تُتح « لبهاء »
وأفانينُ لم تكن « للأعشى »
أنت تمشي على الأديم خفيفاً لم تُصعِّر خداً ولم تُعلِ رمشا!
فلماذا « الكوتش » تطفر فيه طائراً في السماء تطلبُ عشا ؟
يا خفيف الظلال بين أناسٍ
يَطَئُون الثرى صخوراً (ودبشا)
ما عهدنا عليك في الود زَيْفاً ما عرفنا عليكَ في الحب غشا
فلماذا تزيفُ كَعْبَ حِذاء
إنْ كَعْبَ القنا يُهاب ويُخشى

فلما قرأها الأستاذ الأسمر رد عليها بهذه الأبيات :

هشّ قلبي لما بعثتَ وبشا
بقوافي القريض ، بَلْهَ الكوتشا (١)
ما طلبناهُ للحذاء ، وحاشا بل طلبناه في الأضاحي كبشا
فهو خيرٌ من بعض لحم أراهُ يتمشى بمن به يتعشى
ربّ لحم إذا الكوتش رآهُ قال ماذا أرى وخاف وكشا
العُجول المعلَّقات صخورٌ علقوها مثل المجاجيل غشا
كل من كان مثل (دبشة) أمسى
يَزنُ اليوم للجماهير (دبشا) (٢)
هذه الحربُ غيَّرت كل شيء لم يعد عيشنا كما كان عيشا
فالرغيف اللُّباب أصبح طيناً والحرير الدمقس أصبح خيشا
ما لهذا الغلاء يزحف كالسَّيْـ ـل ويغشى كالليل ساعة يغشى
ليس يُنجيك من بوائقه السـو د اعتصامٌ أو أن تكون الخَشَّا (٣)
نحن غرقى فيه ، وحسبُكَ منه أن يصير الجنيهُ عشرين قرشا

يا صديقي يا بلبلَ النيل أرسلـ ـتُ بقلبي إليك فاقبله عُشا
أيها الشاعر المُربي صُغْرِ الشعـ ـر ، وصُغْ فتيةَ البلاد قريشا
أنت نعم الشادي ، ونعم المربي إن غوى جاهلٌ غروراً وطيشا

محمد الأسمر

الجامعات الأربع في وادي النيل

نشرت جريدة الأهرام كلمة للأستاذ منصور جاب الله اقترح فيها ضم كلية غوردون بالخرطوم إلى جامعة فؤاد الأول ، أخذاً من خطاب ألقاه سعادة حاكم السودان العام حيث قال إن الكلية ستنتهي إلى إحدى الجامعات الخارجية في الوقت الحاضر .

ونحن نرجو أن يتم هذا الأمر في الوقت الذي تنشأ فيه جامعة أسيوط ، فتضم ربوع وادي النيل جامعات أربعاً : جامعة فؤاد الأول في القاهرة ، وجامعة فاروق الأول في الاسكندرية ، وجامعة محمد علي في أسيوط ، وجامعة غوردون في الخرطوم .

ومصر إن طالبت بإزالة القواعد القائمة الآن بينها وبين السودان ليصبحا قطراً واحداً وبلداً واحداً ، فليس أقل من أن

(١) بله اسم فعل أمر بمعنى دع
(٢) دبشة اسم لأحد الجزارين المعروفين بالقاهرة ، والدبش : الحجارة.
(٣) الخش الجريء على مغامرات الليل

ندعو إلى ضم كلية فوردون إلى جامعتها الكبرى كخطوة نرجو أن تكون موفقة إن شاء الله .

وإنا لموقنون بأن مصر لن تدخر وسعاً للسعي في إظهار ماتكنه للسودان من ود وعطف عن هذا الطريق الثقافي ولاسيما وقد فتحت « مدرسة فاروق الأول الثانوية المصرية » بالخرطوم أبوابها لأبناء السودان الكرام كي تساعدهم على ارتشاف أفاويق الثقافة من مناهلها الطبيعية .

عبد العزيز جادو

تصويب

وقع خطأ مطبعي في مقالي المنشور بالعدد ٥٩٧ من الرسالة عن « هوستن ستيوارت شمبرلين » ، إذ أضيفت إلى المقال فقرة طويلة من مقال آخر لي عن نيتشه عنوانه « سبيل مطروق » . ولا ريب أن القراء قد فطنوا إلى أن هذه الفقرة تبدأ بالعبارة الآتية وهي : « بعضها يتفق مع ما ذهب إليه نيتشه .. الخ » إذ لم يرد اسم نيتشه في المقال كله (وهو ينتهي قبل هذه الفقرة) .

وبهذه المناسبة أحب أن أقول لذلك الأديب الذي بعث إليّ برسالة يسألني فيها عن سبب انقطاعي عن الكتابة في الرسالة عن نيتشة ؛ إنني لم أنقطع عن عرض فلسفة نيتشه (فإن لي كتاباً بأكمله عن نيتشه وفلسفته) ولكنني لم أجد متسعاً من الوقت لموافاة الرسالة ببعض فصول من هذا الكتاب أعيد كتابتها من جديد ، فلذلك تراني أوثر أن أكتب في موضوع آخر ، عن أن أعيد النظر فيما سبق لي تدوينه .

زكريا إبراهيم
مدرس بمدرسة السويس الثانوية

ذكرى شوقي وتمثاله

احتفلت وزارة المعارف بذكرى المغفور له « أحمد شوقي بك » في دار الأوبرا الملكية مساء الجمعة الماضي، فألقى كلمة الافتتاح معالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف، وأنشد الأستاذ خليل مطران بك قصيدة عصماء ، ثم تفضل صاحب الجلالة الملك المعظم بإزاحة الستار عن تمثال نصفي لأمير الشعراء نصب في مدخل دار الأوبرا الملكية

والتمثال من البرنز بالحجم الطبيعي . وهو من صنع الأستاذ إبراهيم جابر. وأول من فكر في إقامة هذا التمثال لأول من وضع الأساس للشعر التمثيلي في المسرح المصري هو الدكتور هيكل باشا سنة ١٩٣٨ ، وهو الذي دعا اليوم إلى هذا الاحتفال ، لإزاحة الستار عن هذا التمثال .

وبعد ذلك مثلت الفرقة المصرية فصلاً من رواية مصرع « كليوباترة » ، وفصلاً من رواية « مجنون ليلى » ، ثم فصلاً من رواية « هدى » ؛ وكلها من تأليف صاحب الذكرى العظيم

إلى الدكتور زكي مبارك

سلام الله عليك ، وبعد فقد قرأت كلمتك الأخيرة المنشورة على صفحات الرسالة تحت عنوان « زكي مبارك وكتاب الله » فلم يقع نظري — مع الأسف — إلا على تجريحك للأستاذ محمد أحمد الغمراوي واتهامه المجرد بأنه يعجز عن فهم كتبك ولا يستطيع هو ولا أشياخه نقدها ، وإلا على تعجبك من « ثنائه على نفسه بنشر ما قال أحد مخاطبيه مدحاً في قدحه على كتاب النثر الفني » . وكنت أنتظر أن أقرأ بدلا من ذلك — أو مع ذلك إذا لم يكن منه بد — تفنيداً علميا للنقد الذي وجهه إليك حتى أستبين ويستبين القراء وجهة نظر الطرف الثاني في الموضوع .

ولما كنت تعني بمدح أحد مخاطبيه ، كلمتي[1] التي عقبت بها على مقاله الرابع عن « فساد الطريقة في كتاب النثر الفني »[2] فإنني أبادر — إنصافا له وبيانا للحقيقة — إلى تنبيهك إلى ما في نسبتك إليه الثناء على نفسه من تجن عليه ، فالواقع أنني لم أبعث إليه رأساً بكلمتي حتى يصح أن ينسب إليه أنه نشرها ، وإنما وجهتها إليه على صفحات « الرسالة » وهي التي تفضلت بالنشر على عادتها فيما يرد إليها من كلمات « البريد الأدبي » . وأتعجب بدوري : كيف يغيب ذلك عنك وأنت الذي توجه وتوجه إليك الرسائل على صفحات الرسالة منذ سنين ! كذلك أقرر — في الوقت نفسه -- أنني إنما عنيت بالمدح فيما وجهته إلى الأستاذ الغمراوي ، آراءه العلمية التي اشتمل عليها نقده والتي تناولت بعضها بالتفنيد ، فلا شأن لي بما عدا ذلك ؛ ولو أنك ضمنت كلمتك الأخيرة شيئاً من هذا، لكانت أيضاً جديرة مني ومن سواي بالإطراء

وبمناسبة تعرضك لنقد الأستاذ الغمراوي بعد طول سكوت ، ألا ترى أن النقاش بيني وبينه قد وصل - بعد جوابيه الأول[3] والثاني[4] على نقدي - إلى مرحلة تقتضيك بعدها الأمانة العلمية وواجبك نحو القراء أن تتولى إكماله معه باعتبارك الأصيل ، عسى أن يساعد ذلك على جلاء وجه الحق في هذا الموضوع ، وبخاصة فيما يتعلق برأي الباقلاني في السجع ؟

ابراهيم زكي الدين بدوي

---

(١) العدد ٥٨٠ من الرسالة
(٢) العدد ٥٨٣ (٣) العدد ٥٩٦ (٤) العدد ٥٩٧

كتاب بساتين الفاكهة – انشاؤها وتعهدها

كان من ثمار النهضة المصرية الحديثة فى شتى نواحى الإنتاج الزراعى أن توسع الفاغون على سياستها ورعايتها فى إنشاء البساتين حتى بلغت مساحتها فى الأقاليم المختلفة سبعين ألف فدان . وليس هذا التوسع العظيم فى هذا الزمن القصير قائماً على الكم وحده ؛ وإنما يقوم كذلك على الكيف باجتلاب الأنواع وأقلمتها وتجربتها، وانتقاء البذور وإكثارها وترقيتها على الطرق العلمية الصحيحة . والفضل في ذلك يرجع إلى جهود الأكفاء من الأساتذة الإخصائيين فى كلية الزراعة وقسم البساتين . وفى مقدمة هؤلاء الأفاضل الدكتور محمد بهجت أستاذ فلاحة البساتين فى هذه الكلية ، وأحد العاملين المخلصين فى ذلك القسم ، ومؤلف هذا الكتاب القيم الذى نقدمه إلى قرائنا اليوم

اجتمع للأستاذ بهجت من دراسته العالية بمصر ، ومن دراسته العليا فى كاليفورنيا ، ومن اطلاعه الواسع على الكتب والنشرات الحديثة ، ومن مشاهداته الكثيرة بمحطات التجارب الزراعية وحدائق الزراع الأهلية ، ومن تجاربه الخاصة فى قسم البساتين ؛ اجتمع له من كل ذلك ما جعله جديراً بتأليف كتابه (بساتين الفاكهة) على نمط لم يتهيأ لأحد من قبله . فقد امتاز هذا الكتاب بمزايا كثيرة نذكر منها : أنه أحاط بكل ما وصل إليه العلم الزراعى فى موضوعه إلى يوم الفراغ منه ؛ وأنه طبق النظريات العلمية على تربة مصر ومناخها فلم يأخذ بأقوال العلماء وتجاربهم أخذ الناقل أو المقلد ؛ وأنه غلب فيه الجهة العملية على الجهة النظرية بناء على مشاهداته واختباراته ؛ وأنه توخى فى كتابته التبسيط والتسهيل ليكون دانى القطوف من الطالب المختص والزارع العادى فيستفيد منه كل قارئ . والكتاب معقود على سبعة أبواب تضمنت أمهات المسائل فى هذا العلم ، كالمشاتل ، وإكثار الفاكهة ، والأصول ، وإنشاء البساتين ، والتسميد ، والرى ، والتقليم . وقد صدره المؤلف بمقدمة تاريخية بليغة ألمت بأطوار فلاحة البساتين فى القديم والحديث . فله من ربه خير الجزاء ، ومن قرائه أجزل الشكر

مجلة (الثريا) التونسية

بهذا العنوان أصدر جماعة من صفوة الأدباء فى تونس مجلة شهرية جامعة تعالج الأدب والتاريخ وتعنى على الأخص بتراجم النابغين من قدامى المغرب ، وتشجيع الناشئين من محدثيه .

وهذه كلمة مقتطفة من افتتاحية عددها السابع عن الأدب المغربى:

« يوجد أدب مغربى رائع الصورة ، فائق الأسلوب ، واضح المعالم ، بين الصفة والذات ، يستمد وحيه من طبيعة الأرض ومناخها ، ويتغذى إلهامه من عوائد أهلها ورجالها ، وهذا الأدب المغربى فى حاجة إلى من ينصره ، وفى افتقار إلى من يدعو إليه ويظهره .

واحات الجنوب التونسى والجزائرى والمغربى ونخيلها، ومياه أودية الشمال الإفريقى وجبال الأطلس وشواطىء المغرب الواقعة على البحر المتوسط تطبع الأدب المغربى بطابع قوى كما طبعت الفن « المألوف » بطابع ممتاز ، وتاريخ الموحدين والمرابطين وتاريخ العرب الذين نزحوا للمغرب يحملون الدين والنور والبلاغة والشعر ، وتاريخ العبيديين والعائلات المالكة التى انتشر صيتها واتسع نفوذها ، لبنة صالحة لإقامة الهيكل القوى الذى نريد تشييده لتوضيح سبل تفكيرنا ، وخصائص ثقافتنا .

والأدباء الذين ألفوا الكتب فى العروض ونقد الشعر ، وفى الفقه وأحكام التشريع ، والشعراء الذين تغنوا بجمال المغرب والأندلس ، حريون بأن يكونوا أساتذة لنا نسير على ضوئهم .

والعلماء المغاربة الذين ألفوا فى الفلاحة والطب والبيطرة والهندسة ووسعوا آفاق المعرفة فى هذه الربوع ، وشع نبراسهم فى جنوبى إيطاليا وفى جزائر البحر المتوسط يطالبوننا بتخليد ذكرهم، والاشادة بأمرهم، حتى يكونوا قدوة لشبابنا الطموح...»

الرصافى وأبو حنيفة

جاء فى مقال (حول وحدة الوجود) للأستاذ الرصافى المنشور بالعدد السابق ما نصه :

« حتى أن الامام أبا حنيفة أجاز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة » مع أن أبا حنيفة الفارسى يقول :

« لو قرأ بغير العربية فإما أن يكون مجنوناً فيداوى ، أو زنديقاً فيقتل » ، كما ورد فى ص ١٣٦ من شرح الفقه الأكبر لأبى حنيفة ، للعلامة ملا على القارى ، نقلا عن شارح عقيدة الطحاوى عن الشيخ حافظ الدين النسفى فى المنار. فهل عند الأستاذ الرصافى نص يؤيد ما قال ؟

راشد سليمان

غرام بوم الثلاثاء

ضاق نطاق هذا العدد عن نشر حولية الدكتور زكى مبارك فأرجأناها إلى العدد المقبل

12 me Année No. 599

Lundi - 25 - 12 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٩٩ « القاهرة في يوم الإثنين ١٠ محرم سنة ١٣٦٤ — الموافق ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـرس

صفحة

١١٢١ أسئلة وأجوبة .. ... : الأستاذ عباس محمود العقاد

١١٢٤ السلم العالمية حلم الأبد ... : الأستاذ توحيد السلحدار بك

١١٢٨ أميرات ... ... : الأستاذ محمد عبد الغني حسن

١١٣٠ ما لزكي مبارك وكتاب الله : الأستاذ محمد أحمد الغمراوي

١١٣١ الدستور في شعر شوقي بمناسبة إزاحة الستار عن تمثاله } الأستاذ أحمد محمد الحوفي ...

١١٣٥ غرام يوم الثلاثاء ... ... [قصيدة] } الدكتور زكي مبارك ...

١١٣٧ فرقة التمثيل ... ... : الأستاذ حبيب الزحلاوي

١١٣٧ في قصيدتي منها وإليها : ... ...

١١٣٨ فهرس الموضوعات للسنة الثانية عشرة من الرسالة } ... ...

أســـئلة وأجوبة

للأستاذ عباس محمود العقاد

أتلقى بالسرور بعض الرسائل الأدبية التي تشتمل على أسئلة من أصحابها يستطلعون بها الرأي في غرض من أغراض الأدب يقع عليه الخلاف، ويحسن عرضه للقراء من وجهات النظر المتباينة. ومن أمثلة ذلك هذه الأسئلة التي تلقيت بعضها من العراق وبعضها من فلسطين واتفق أصحابها الفضلاء على طلب الإجابة عنها في مجلة الرسالة التي أصبحت كاسمها رسالة من العرب إلى العرب في جميع الأقطار

يقول الأديب الفاضل « عبد الحميد صالح » بالبصرة بعد تمهيد أومأ فيه إلى سابقة هذا البلد الذي عمر زماناً « بأفكار الجاحظ وابتداعات الخليل ومساجلات سيبويه » وغيرهم من العلماء والأدباء:

« ... إن الأمر يحوطه كثير من اللبس والغموض ويشوبه الاختلاط، وإن الاختلاف فيه هنا بالبصرة قد بلغ حده ولم يرض أحد بأدلة الآخر. والمختلفون اتفقوا على أن يرجعوا إليكم لتقولوا القول الفصل فيه وكلهم من قرائكم على صفحات مجلة الرسالة الحبيبة. وفحواه قول (لاسل آبر كرومبي) في قواعد النقد إن مطالبة الأدب بأن يعلمنا أمراً أو يصلح أخلاقنا تخرج بنا

عن فن الأدب ، وإن الأدب قد يؤدى كل هذه الأشياء ولكنه لم يكن أدباً لمجرد أدائها »

وبعد أن قال الأديب إنه يدين بنظرية الفن للفن، وإن الأدب كالموسيقى متعة ولذة عاد فقال : « ولكن الذى لا أستطيع أن أفهمه — وهو موضع الخلاف ومدار البحث — هو ما مدى تأثير الأدب فى بيئته عملياً ؟ إنه يتأثر بالبيئة ولا شك ، ولكنه هو هل يغير أحوال الناس ويحور أخلاقهم وينقلهم من طور إلى طور ومن عادة إلى عادة ؟ أنا أرى يا سيدى أن الواقع ينقض هذا . فأبو العلاء لم تطبق آراؤه عملياً على كثرة مريديه الذين لازموه ... والروايات التمثيلية التى تنقد أوضاع الناس أو تحل المشاكل لم تر الناس غيروا ما انتقدوا عليه ولا حلوا مشاكلهم ؛ ولكن هذا لا يمنعهم من مشاهدة التمثيل وقراءة الروايات إرضاء لحاجة إنسانية كامنة فى أعماق النفس : هى اللذة الفنية ! وإذن ما مدى تأثير الأدب عملياً ؟ إننا نقول إن الشعراء كانوا يبعثون الحماسة فى نفوس الثائرين ، ولكننى أظن أن الثائرين استعدوا للثورة ثم جاء الأدب يعبر عن عواطفهم ، والثورة الفرنسية تهيأت لها أسباب عديدة ثم دفعهم مع عوامل أخرى — الكتاب لا الأدباء — إلى الثورة ... »

***

ورأيى الموجز فى كلام الأديب البصرى أن ما ذكره عن الأدب يصدق على المطالب الإنسانية التى لا اختلاف بين المفكرين على أغراضها وفوائدها

فالناس يختلفون على الأدب هل يطلب للفائدة أو يطلب للمتعة الفنية ، ولكنهم لا يختلفون فى عمل المصلحين من دعاة الأخلاق أو السياسة أو الدين ، بل يتفقون على أن الإصلاح مقصود للفائدة دون مراء ، وأن المصلح الذى لا يبغى نفع الأمم بإصلاحه لا يستحق الإصغاء إليه ... ومع هذا يدعو المصلحون إلى غرض ويتحقق غيره فى الطريق مقصوداً أو غير مقصود ، وتتبدل المذاهب وللناس أخلاق باقية لا تتبدل ، ويتبعهم المعرى جيلاً بعد جيل بقوله الخالد المتجدد :

كم وعظ الواعظون منا … وقام فى الأرض أنبياء
وانصرفوا والبلاء باق … ولم يزل داؤنا العياء
حكم جرى للمليك فينا … ونحن فى الأصل أغبياء

ولكن الإصلاح بعد هذا كله مفيد ، والدعوة إليه واجبة ، والدنيا تتغير على وجه من الوجوه بعد كل دعوة من دعواته ، وإن لم يكن هو الوجه الذى تعمده الدعاة

فليس الأدب بدعاً فى هذه الخصلة التى عمت جميع أعمال البشر ، ولكنه عمل إنسانى يصدق عليه فى أمر الوصول إلى غاياته كل ما يصدق على سائر الأعمال

إلا أن الأدب ينفرد بخصلة أخرى تصرفنا بعض الشىء عن النظر إلى الغايات ، أو تمنعنا أن نقصر النظر عليها عند البحث فى مزاياه

الأدب تعبير

والتعبير تلحظ فيه البواعث قبل أن تلحظ فيه الغايات

لماذا يصرخ المعذب المتألم ؟

إنه قد يصرخ فيدركه على الصراخ منقذ أو مساعد على التعذيب والإيلام ، ولكنه سواء ظفر بهذا أو ذاك إنما صرخ لباعث فى نفسه أوجسده ، ولم يصرخ لغاية يتوخاها من إسماع صوته

وقد يسمع صوته فيسعد أو يشقى بانتهائه إلى الآذان ، فيتحقق النفع كما يتحقق الضرر غير مقصود

والتعبير وظيفة لا حيلة فيها ، لأنه أثر الحالة التى تقوم بالنفس فتدل عليها بما لديها من وسيلة ناطقة أو صامتة

ولكنه مع هذا عمل مفيد لا شك فى نفعه ، لأن الرجل بعد التعبير غيره قبل التعبير ، ومن استطاع أن يعبر استطاع أن يفهم نفسه ويفهم ما يريد ، واستطاع أن يجمع إليه من يشعرون مثل شعوره ويريدون مثل مراده ، ولكنه لا « يعبر » لأجل هذا ولا يكف عن التعبير إذا امتنع هذا . فكثيراً ما « يعبر » فيجمع من حوله الأعداء ويفرق الأصدقاء

وسؤال السائل : لماذا نعبر ؟ كسؤاله لماذا نحس ؟ ولماذا نحيا ؟ لأن الحياة مظهران لا ينفصلان : تأثير من الخارج إلى الداخل هو الحس ، ورد من الداخل إلى الخارج هو التعبير ، والكلام فى غايته كالكلام فى غاية الحياة . وليس للحياة غاية وراءها ، لأن وراءها الموت الذى تقف دونه الغايات

قل للأديب « عبر » أيها الأديب ولا تسأله بعد ذلك غاية من وراء تعبيره ، وكفى أن يكون هذا التعبير من دلائل الحياة ، ولا خير فى الحياة بغير دليل

وأعود إلى مثل يطابق الحقيقة هنا كل المطابقة ويعين على فهمها أقرب معونة ، وهو مثل الزهرة والثمرة فى الشجرة النامية

الفائدة كما نفهمها نحن هي الثمرة الناضجة

ولا فائدة للزهرة بهذا المقياس

ولكن الشجرة التي لا تنبت الزهرة تبطل فيها دلائل الحياة ، وهي زينة وبهجة إلى جانب هذه الدلالة

ثم يأتي أناس فيعصرون الزهرة عطراً ودواء وشراباً ينعش ويفيد ، ولكنها لم تكن زهرة لهذه الفائدة التي جاءت في عرض الطريق

وجملة القول أن الأدب على هذا الاعتبار أصدق من جميع المطالب العقلية التي تحسب من ذخائر الثقافة الإنسانية

لأن البواعث حق والغايات أوهام ، ونحن حين نسعى إلى غاية فنحن منخدعون بها قبل الوصول إليها وبعد الوصول إليها .

وقد نسعى إلى غاية ونصل إلى غيرها ، وقد نصل إلى الغاية التي نريدها فإذا هي هباء لا يساوي مشقة السعي في سبيله

أما البواعث فهي حق لا مهرب منه ، وهي شيء موجود لا خلاف في وجوده ، وهي مصدر التعبير ، والتعبير دليل الحياة

فإذا بحثنا عن الأدب فلنبحث عن شيئين لا يعنينا بعدها مزيد وإن وجد المزيد : أهناك باعث صحيح ؟ أهناك تعبير جميل ؟

فإن وجد الباعث والتعبير فقد أدى الأدب رسالته ، وبقي على الدنيا أن تستفيد منها إن شاءت ، وهي تستفيد بمشيئتها وبغير مشيئتها من كل عمل يجري على سنة الحياة

* * *

وجاءني من الأديب « داود احمد العاروري » ببيت المقدس سؤال عنا نحن الشرقيين : ما بال رجالنا يتقاتلون ويخذل بعضهم بعضاً حين نرغب في عمل يفيد بلادنا ؟ أهو حب الظهور ؟ أهو الغرور ؟ أهو العناد والجمود ؟

والسؤال جديد قديم منذ قال جمال الدين رحمه الله « اتفق الشرقيون على ألا يتفقوا »

أما السبب فقد تكتب فيه المطولات ، وقد يوجز في سطور ، ونحن في مقام الإيجاز فحسبي أن نحصر السبب في كلمات قليلة تدل على مكمن العلة وتترك المجال بعد ذلك مفتوحاً للطبيب المأمول : طبيب الزمان

إن الخلاف يطول كلما قل الحكم المسموع

والحكم المسموع بين الرجال العاملين هو تمييز الأمة أو تمييز الرأي العام كما نسميه في الاصطلاح الحديث

فالأمم التي بلغ الرأي العام فيها مبلغ التمييز يخاف المخطئ أن يصر على خطئه فيها ، لأنها تقضي عليه

والأمم التي لم تبلغ مبلغ التمييز يطمع المخطئ في تضليلها ولا يخشى المتنازعون فيها عاقبة نزاعهم على الحق أو على الباطل ، فيطول أجل النزاع ويصعب الفصل فيه

وسيظل الخلاف دأب الشرقيين ما دام مأمون العاقبة على المختلفين ؛ ويظل مأمون العاقبة عليهم ما دام الحكم المسموع قابلاً للتضليل عاجزاً عن التمييز

وكلما صعد سواد الأمة درجة في سلم الإدراك والأخلاق هبط الخلاف درجة بين الزعماء العاملين

وأحسبهم صاعدين ، وإن كنا نستبطئ خطواتهم في الصعود

* * *

وأحسبني قد أجبت عن السؤال الثالث قبل أن يكتبه صاحبه الأديب « صلاح حماد » من الناصرة بساحة فلسطين

فهو يوجه إلي سؤالاً من تلك الأسئلة التي تبدأ « بأيهما » ويجاب عنها « بكليهما » كما أسلفت في مقال قريب بالرسالة

وموضع الخلاف بين أدباء الناصرة عن الزوجة : هل يعصمها حبها لرجلها دون خوفها منه ، أو تعصمها سطوته ورجولته ثم حبها إياه ! وهل إذا وجد الخوف بين اثنين امتنع الحب بينهما ؟ أو يمكن الجمع بين الحب والمهابة في آن ؟

قال أيهما ؟ .. قلنا كلاهما !

وهذا هو الجواب الذي يغني عن إسهاب ، ولكننا نضيف إليه أن الخوف قد يوجد مع الحب كما يوجد مع الكراهية :

أهابك إجلالا وما بك قدرة علي ، ولكن ملء عين حبيبها

فالمحب يخاف أن يغضب المحبوب لأنه يحبه ويرجو نفعه ، والعدو يخاف عدوه لأنه يتقي الضرر منه . ويختلف الخوفان كما يختلف الحب والعداء

والزوجة يعصمها أن ترهب سطوة زوجها ولا تمنعها الرهبة أن تحبه ، لأنها تحبه قوياً مرهوب السطوة ، وليس معنى ذلك أن يبطش بها ويسيء إليها ، وإنما معناه أن يحسب لغضبه ورضاه حساب

* * *

تلك وجهات من النظر تتقابل بين السؤال والجواب ، وكل سؤال فيه وجهة فللسائل فيه هداية سبقت هداية المجيب .

عباس محمود العقاد

٢ – السلم العالمية حلم الأبد

للأستاذ توحيد السلحدار بك

يقول الدكتور الأهواني : « الخطوات التي يخطوها العالم في سبيل التطور والوحدة خطوات سريعة جداً (كذا) ، هي التي تجعلنا نقول بأن السلم قريبة الآن . ونحن نؤيد هذا القول بشواهد في التاريخ ، معتمدين على النظر إلى تطور الإنسانية خلال العصور الطويلة »

إن مذاهب التاريخ وأنواعه وكتبه كثيرة . فعلى أيها اعتمد الدكتور يا ترى ؟ يحسن ، على كل حال ، تقديم كلمة في التاريخ بوجه عام ، قبل النظر في « الشواهد » وفي « تطور الإنسانية » مما اعتمد عليه الدكتور

إن كل قرن يكتب في التاريخ لإحيائه وتجديده . والتواريخ المكتوبة على أحدث وجهات النظر تعتمد على المنطق والفلسفة كي تبين حقيقةً ذات شأن تؤخذ ، بالنظرة الشاملة ، من مشهد الحوادث الإنسانية . وهذا هو التاريخ السامي إلى المرتبة العلمية . على أن تطبيق هذه الطريقة يعرِّض المؤرخ لتعميمات واهية الأساس ، واستنتاجات فطيرة ، وإطلاق في الكلام . ولا يقدر سوى القليلين على ترجيح كفة الأمانة ، كل الترجيح ، في التحليل والحكم ؛ وترجيح الضمير والعلم على هوى الآراء المجملة ، وجواذب الحاضر السطحية ، والتباس الشهادات الناقص تحقيقها . ومما يجب التنبّه له ، في هذا الباب ، عادة التوفيق بين الحوادث المنقضية وبين همّ المؤرخ من جهة تأليفه وفنه ، أو بينها وبين أذواق عصر من العصور ووجدانيات أهله ، ومصالحهم أو بعض المصالح الحزبية . والزمان الحاضر عصر تقدم ، لكن يجب الاعتراف بأن الذين بالغوا في الفروض المخاطر بها كثيرون

وهذا ويلز يقول في مقدمة كتابه : « ليس يمكن أن يوجد سلم ولا نجاح مشتركان بغير أساس مشترك من الفِكَر التاريخية » ؛ وتاريخه مكتوب في سبيل هذا الرأي . بيّن في كتابه مذهب جيبون[1] في تاريخ الرومان ، ثم قال : « حاولنا أن نعرض الحوادث على صورة أخرى » . وقد ذهب الأستاذ جيِّيو[1] ، مترجم الكتاب إلى الفرنسية ، في مقدمة ترجمته ، إلى أن هذا التاريخ « هو ، قبل كل شيء ، صنيع كاتب وسّع دائرة نظره ، فجعل الأمم والمدنيات في مكان الأفراد من كتب الخيال : ومن هنا وقعه التمثيلي في النفس . إن هذا التاريخ — وإن تأسس على أدلة قوية — ليُعنَى بقدر ما يُحدث ... هو قصص يصف حادثة لم تكن منتظَرة ، بطلها الإنسان ؛ والذين اعتبروا ، حتى اليوم ، من رجال التاريخ ليسوا فيها سوى المخرجين ؛ وما الإمبراطوريات إلا مناظرها ؛... وسيمة البطولة عند ويلز أن يخدم الإنسان ، ويحمل نفسه منفِّذ الأقدار الذي يحتّم على الإنسانية بالتدريج ، في جميع المعتركات ، اتحاداً في الفكر وفي الإرادة » . ولم يوافق على وجهة نظر ويلز في كل الأحوال مع موافقتهم في بعضها : جِنْيِبير[2] ، الأستاذ بالسربون ؛ ودِيْرِه[3] ، الأستاذ بجامعة رِنْ Rennes ؛ ودُتَن[4] ، أستاذ الأدب فيها ؛ وبُول[5] ، الأستاذ في المُزيَم ، أي حديقة النبات بباريس ؛ ودُسُّو[6] ، الأستاذ بمدرسة متحف اللوفر ، وأضرابهم ممن ساعدوا المترجم

طال هذا الاستطراد المتعلق بالتاريخ . لكن عذره أن ملاحظة ما فيه تفيد في تقدير « شواهد » الدكتور التاريخية ونظره إلى « تطور الإنسانية »

فهو يقول إن الجماعات انتقلت ، بمقتضى الرقي والعمران ، من قبائل متناثرة ومدن صغيرة إلى دول وشعوب كبيرة « وكلما اتسعت الدولة زالت الفوارق في اللغة ، والتقاليد ، والعادات ، والفكر ، والدين »

أما التاريخ فيقول إن الدول تتسع ثم تضيق ، كما اتسعت الدولة العثمانية ثم ضاقت تركيا ، من غير أن تزول تلك الفوارق ؛ وكذلك الإمبراطورية النمسوية ، وغيرها . واللغات وفروعها عديدة ، والشعوب المختلفة لا تعرف غير لغاتها ، والراقية تخلّص لغاتها مما يهدد كيانها وإن تعلمت بعض اللغات الأجنبية ؛

---

(١) Edouad Gcbbon المؤرخ الانجليزي المشهور ، صاحب « تاريخ هبوط الامبراطورية الرومانية وسقوطها » .

---

(١) Edouard Gugot الأستاذ في السربون

(٢) Guiqnebert .

(٣) Déyrez .

(٤) Dottin .

(٥) Boule .

(٦) Dussaud

واليابان التي يعرف بعض أهلها اللغة الإنجليزية ، مثلا ، تحافظ على اليابانية ولا تهمل ثقافتها القومية ، والروسيا اتسعت وليست اللغات العديدة فيها بسبيل الوحدة . ومصر التي اتسعت وضاقت ، وتدانت أرجاؤها ، وكثرت فيها المواصلات والمخالطات ، لما تزل بها الفوارق على امتداد القرون بين التقاليد والعادات؛ بله ظواهر الأمور في طبقة محصورة من الآخذين عن الفرنسيين أو الإنجليز أو غيرهم ، بل إن ما أخذوا يزيد الفوارق ولا ينتظر أن يعم . وقد تشعبت الأديان الوثنية والكتابية الأصلية ، ولم تتوحد أصولها ولا مذاهبها في دولة ولا أمة ؛ ولم ينس التاريخ ما وقع بين الكاثوليك والبروتستان ؛ والذي أصاب اليهود ، في دولة واسعة كألمانيا قد حدث في هذا الزمان . فالقول بزوال هذه الفوارق كلما اتسعت الدولة يشعر بعجلة في التحقيق ، والاستنتاج ، والتعميم ، وإطلاق الكلام

ويقول الدكتور : ظهر عامل جديد « سيقلب كيان الإنسانية كلها » ، و « هو سرعة المواصلات البرية ، والبحرية والجوية »

وويلز يقول ، في مقدمة كتابه : « أدنت البشر بعضهم من بعض لخيرهم أو لشرهم وسائل مواصلات أسرع » . ويقول في كتابه : « لما كان جبون ، من نحو قرن ونصف ، يهنئ الجمعية اللطيفة المهذبة في ذلك العصر بخاتمة طور الثورات السياسية والاجتماعية الكبرى ، كان يهمل أكثر من أمارة تبدو لنا اليوم ، في ضوء الحوادث ، منبئة برجات رهيبة وانفساخات وانفكاكات شديدة[1] ... كانت الإمبراطورية البريطانية ضمان سلامة وأمن للعالم ... إن تقدم الملاحة وبناء السفن ، بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر ، أمكن من سلام بريطاني مقبول عند الجميع ، إن نمو الملاحة الجوية والمواصلات البرية قد رد هذا السلام أمراً تقل الرغبة فيه بقدر ما يكون غير ثابت آمن[2] » . ويقول أيضاً : إن نظام الدول العظمى كان بأعلى درجاته « في قريب من الوقت الذي بدأت تظهر فيه القوى الفاتكة التي بلغت مبلغاً يجعلنا نتساءل قلقين في الساعة الحاضرة (حول ١٩٣٠) : هل ستجلب خراب عالمنا بأسره ؟ »[3]

ذلك ما يقول واصف « سير الإنسانية العظيم نحو وحدة عالمية » . وبواكير الأحوال تدل على أن انقلاب « كيان الإنسانية » سيكون شر [illegible] ولن [illegible] الضرورة الأساسية الدائمة إلى الكفاح في الحياة والفوارق الطبيعية بين الأفراد والجماعات لم تتغير ولن تتغير

ويقول الدكتور : ستخطو الإنسانية خطوات أخر « يخيل إلينا أنها قريبة الوقوع وهي : وحدة اللغة ، ووحدة التقاليد ، ووحدة الزي ، ووحدة الأساليب في شتى فروع الحياة » . ومن آيات هذا الاتجاه « أن تركيا اصطنعت الكتابة بالحروف اللاتينية . . . وفي مصر من يريد مثل ذلك » ؛ ومنها « محاولة اختراع لغة عالمية سموها ... اسبرانتو »

وهذه « وحدات » كثيرة أو حجج كأنها واردة لمجرد الاحتجاج ، إذ ليس يخفى على الدكتور أن سكان الأرض ١٨٢١ مليون ، هم ستة أجناس أصلية فروعها أكثر من خمسين ؛ وأن لغاتهم ومشتقاتها ألف على التقريب ، أصولها الأساسية أحد عشر ، ويتفاهم بها الهمجي والمثقف ومن بينهما في دركات ودرجات لا تحصى ؛ وأن اللغة صور لما في النفس من وجدانيات وأفكار . فكيف تنشأ وحدة النفس والمدركات والمدركات فيها حتى تتحقق وحدة اللغة في جميع العالمين ، مع ما بينهم من تفاوت طبيعي من الجهتين الحسية والمعنوية ، ومن اختلاف الوطن والمعيشة والموروث المستقر في أعماق الجسم والنفس ، والمكتسب المتنوع تنوع عوامل التطور الباطنية والخارجية . فما « وحدة الأساليب في شتى فروع الحياة » إلا شيء خيالي . وإن جاز أن يتمنى هذه الوحدة وأمثالها آخذ بالظواهر الجزئية القريبة ، في عجلة ومبالغة ، فالنهج إلى الحقائق البشرية هو النظر في الأسباب الفطرية والعلل الجوهرية . أما الإسبرانتو فلغة اصطلاحية وضعها زامنهوف Zamenhof ، الطبيب ، اللغوي ، الروسي ، سنة ١٨٨٧ ، تسهيلاً للعلاقات بين الأمم ؛ والمقاطع الأصلية في هذه اللغة مأخوذة من أكثر المقاطع تداولاً في أكثر اللغات شيوعاً ؛ وهي تكتب طبقاً للصوت في النطق ؛ ونحوها بسيط محصور في ست عشرة قاعدة ؛ ومع ذلك ، فكم من الخلق ومن القائمين بشؤون الأمم استعملوا هذه اللغة بل عرفوها في السبع والخمسين السنة الماضية ؟ كلا ، إن حجة الإسبرانتو هي حجة على رأي المحتج بها وليست له . وأما الترك الجادون في إحياء قوميتهم ، بإحياء تاريخهم ولغتهم ، فلم يصطنعوا الكتابة بالحروف اللاتينية ليهملوا التركية التي يتوخون تصفيتها

(١) الصفحة ٤٢٢ من كتابه .
(٢) الصفحة ٥٠٦ منه .
(٣) الصفحة ٤١٦ منه .

من الدخيل فيها . ومَن أراد من المصريين استعمال هذه الحروف لم يقصد سوى المحافظة على اللغة العربية الصحيحة ، أصاب أو لم يصب فى اقتراحه . أما وحدة الزى ، على فرض أنها قد تتحقق ، فإنها تظل شيئاً سطحياً ليس يقوى على تغيير ما هو خاضع للسنن الطبيعية فى القلوب والعقول . ولو تحققت هذه الوحدات جميعاً لأصبح الناس كالآلات التى تخرج من المصنع على غرار واحد ، ولا بد من استحالة الفطرة البشرية قبل أن تحصل هذه الوحدة

تبين ، فيما تقدم من البحث ، ضعف « القوى » و « الأبلغ » من أدلة الدكتور على أن السلام « قريب الأمد » . وبقى أنه خرج منها بقوله : « من العوامل القوية فى منع الحروب وتحقيق السلام — بعد توحيد العالم على النحو الذى وصفنا وقوعه فى المستقبل » :

أولاً : إن « العالم يسير الآن نحو خطة جديدة يرى بها إلى نزع السلاح »

لكن كليمنصو ، وهو من علمتَ ، يعترض إذ يقول : « الأخيرَ هو أن تنظر ملهاة « نزع الأسلحة » الزائف فى نفس الساعة التى تتسع فيها صناعة هذه الأسلحة اتساعاً جنونياً »(١)

وقال لوى ده لنيه(٢) ، عضو مجمع العلوم الفرنسى ، بشأن ما تلا الحرب الماضية من المؤتمرات : « منذ مدة ، راجت مؤقتاً مؤتمرات السلام والأحلاف المقدسة . وهذه حال دورية تمتد عادة بقدر بقاء الذكرى الأليمة من حرب أخيرة : افرضه جيلاً . وبما أن من مميزات زماننا عقلية فوّرة تتخيل أنها اكتشفت العالم ، يميل الناس اليوم بوجه عام إلى التسليم بأن هذه الحال نهائية . أرجو أن يشاء الله به »(٣) وقد صدق : إذ نشبت الحرب الحاضرة ، وهى أشد إيلاماً من الماضية ، ولذا بدأ الناس من الآن ينتظرون نزع السلاح ويسلمون بإمكان سلم دائمة

ثانياً : إن العالم الآن « يجرى فى التعليم على بث روح السلم واعتناق فلسفة السلام »

ثالثاً : إن الواقع هو « انتشار التعليم بين سواد الناس ، وما يتبع ذلك من رقى عقلى ، ونزوع إلى تغليب الحكمة على الشهوة ، وحل المشكلات بالعقل لا بالقوة . وكلما ارتفعت عقليات الأفراد صعب قيادهم قياداً أعمى لمصلحة ذوى المطامع »

فهل يجب إذن أن نعتقد أن أفراد الشعب الألمانى ، مثلاً ، لم ينتشر التعليم فيهم ، وأن عقلياتهم منحطة ، ولذا أثر أصحاب المطامع فى عقولهم ونفوسهم حتى انقادوا إلى هذه الحرب انقياداً أعمى ؟ أو أن هؤلاء الأفراد وزعماءهم سوف يهذبون على « فلسفة السلام » حتى ينسوا أحقادهم القديمة والحديثة على أعدائهم ، ويتغلبوا على غرائزهم وشهواتهم فلا يوجد بعد ذلك فيهم أحد يحاول دفعهم إلى حرب ، ولا ينقادون انقياداً أعمى ولا بصيراً ؟ ومن لدى سيتولى تغذيتهم بهذه الفلسفة ؟ هم ، من تلقاء أنفسهم ، أم غيرهم ؟ وهل أفلحت الدول التى اقتسمت بولونيا منذ أواخر القرن الثامن عشر فى عقليتها ونفسيتها ونزعتها الوطنية إلى الاستقلال ، بالثورة وغيرها من الوسائل ؟ وهل تصدق جميع الدول فى تغذية شعوبها وتهذيبها بفلسفة السلام النظرية ؟ وأيها يبدأ مخاطراً بهذا التهذيب ؟ وما يكون الحامل على هذه المخاطرة ؟ أهو خيفة رزايا الحرب الحديثة ، أم مثل أعلى مهلك ، أم مقتضيات الاقتصاد وهو الذى يسوق إلى الحرب ؟ هذه أسئلة لا نهاية لأمثالها . وقد يغنى عن أجوبتها استشهاد طائفة من العلماء وكبار الكتاب :

يقول له دَنْتِك : « يبدو لى أن الحروب بين الأمم لامناص منها ... وحين لا توجد حرب أهلية يتباغض المواطنون ويتحاسدون . وهذه الحرب الأهلية الكامنة أليست أمقت الحروب جميعاً ؟ وإن تحقق حلم أنصار السلام كان ذلك نهاية الإنسانية فى أجل قريب ... إن حلمهم يعبر عنه بجمل كريمة جداً ومؤثرة جداً : يقولون إن الإنسان المتخلص من هموم الحرب يعمم صنيع العلم العظيم ... لا أحد يحب العلم أكثر من حبى إياه ، لكن لا أحد أيضاً يلاحظ — بأكثر وضوح من ملاحظتى — عجز العلم عن تغيير الإنسان(١) »

ويقول ويلز : « كل ما يفعل الأفراد والأمم هو نتيجة من البواعث الغريزية المؤثرة تأثيراً عكسيًّا فى الأفكار التى نفثتها المحادثة والكتب والصحف ودروس المعلمين فى عقل الشعوب . والفرق بين إنسان اليوم وإنسان كرمنيون(٢) فرق ضعيف

(١) بالصفحة ٤٤٧ فى الجزء الثانى من كتابه (فى مساء الفكر) .

(٢) Louis de Launey .

(١) الصفحة ٧٠ من كتابه : « نهاية عالم والعالم الجديد » المطبوع فى كندا .

La Fin d' un Monade etle Monde Nouveau. — Editiod Zallandier.

(١) الصفحتان ٢٩٢ و ٢٩٣ من كتابه « الأنانية هى الأس الوحيد لكل جمعية » .

(٢) (Cro — Magnon) : غار قرب محطة إيز (Les Eyzies) على الفزير (Vézère) ، ساعدة نهر الدردنى (Dordogne) فى جنوب فرنسا الغربى ووجدوا فى هذا الغار جمجمة إنسان من العهد السابق للتاريخ

كل الضعف : إن الفرق الأساسى هو فى سمته ونوع الحصيلة العقلية التى تكونت على مر خمسمائة وسبعمائة القرن الفاصلة بين الأول والثانى [١] »

ويقول كايمنصو : « إن الانفعال هو الذى يدفعنا إلى الفعل ، وليس القياس (يعنى ليس العقل والفكر) ... أليس الذى يفضى بنا إلى أعمال الحياة هو تتابع حركات انفعالية ، تحدث عن صواب أو خطأ ، ثم يتقدم العقل بعد ذلك لتبرير هذه الأعمال ؟ [٢] »

ويقول جستاف له بون ، أو ماكس نُرْدو : « العقل ينشىء العلم ، والوجدانيات تسير بالتاريخ [٣] » . ويقول لـه دنـتك أيضاً : « أن توجد هو أن تكافح ، وأن تحيى هو أن تغلب [٤] » و « الأنانية هى الأس الوحيد لـكل جمعية [٥] »

رابعاً : « إن تحقيق المساواة لجميع سكان العالم فى الحياة المادية ، وهو ما يقضي به التطور الذى نشهد آثاره ، كفيل بمنع الحرب وإقرار السلام »

والثابت أن المساواة ، مادية كانت أو معنوية ، مستحيلة فى البشر لاختلافهم وتفاوتهم تفاوتاً طبيعياً ، جسمياً ونفسياً على ما ذكر آنفاً ، فليست إلا خيالاً وخرافة . ومفهوم المساواة التى أعلنتها الثورة الفرنسية — مثلاً — غير معناها فى العقول العامية ومن يظن أن المساواة المزعومة التى تشمل البشر سوف توجد يكون واهماً . وأكبر منه وهماً من يظن أنها ستعم الأرض قاطبة فى مستقبل قريب

يقول دُه لُنيّ أيضاً : « إن النظام المنعوت بالرأسمالية أخذ فى الهدم لينتهى ، من طريق الدولة الاشتراكية إلى الشيوعية والعبودية ... وتلك قفزة مخيفة إلى المجهول [٦] »

وأخيراً ، يقول كايمنصو أيضاً : « إن جداً أعمى يطلق المستقبل ، ولا يستطيع العقل التجريبى أن يعد بشيء وراء الرجاء وهذه خسارة يتحملها [١] » و « نحن — على الخير والشر — تحت سيطرة سنن لا تلين . فهل من المؤكد أن عندنا ما نتعاتب فيه ؟ ألا يكون أعلى المقدور لنا أن نقتتل ونتحاب فى آن ؟ إننا نخفف من فظاعة الكفاح بفترات احترام ، حتى يتواد بين الأسر الحية ، أليس فى ذلك مشابهة قاسية لما نسميه بسلامة طوية عند بنى جنسنا سلام الإنسانية ؟ بلى . إن هـذا السلام الذى فى وسعنا أن نهديه إليكم نرغب فيه ونعظ به الناس وصداه يرن فى معابدنا ، فانظروا ما صنعنا به ؛ إن الحرب لا تزال قريبة جداً من حالنا الطبيعية . والسلام لا يزال فى أكثر الأحيان نظاماً للقوة ؛ وأنتم أنفسكم ، يا من تشكون بحق ، لا يُبقى بعضكم على بعض ؛ وارتفاع طاقتنا يحملنا جميعاً على حال — سارة أو سيئة — نبيد فيها كل ما يقع تحت سلطاننا [٢] »

مَن يدرى درس أو لم يدرس علم النفس والاجتماع كل أولئك الشهود الذين ورد شيء من كلامهم فى هـذا المقال . لـكن إذا كان لعرفانهم قيمة ، فلا غرو أن يقول قائل : إن منع الحرب حلم الأبد وبوده لو يكون قريب الأمد . والحق أن السلم العالمية أمنية مثالية ، حتى إن فرض جدلاً أنها قد تتحقق فى زمان قصىّ من الأبدية ؛ فليس اليوم بد من اعتبارها حلم الأبد .

محمد توحيد السلحدار

(١) الصفحة ١٦ : فى الجزء من كتابه المشار إليه آنفاً .
(٢) الصفحة ٢١٣ فى الجزء الثانى من الـكتاب عينه

(١) الصفحة ٥٢٢ من كتابه « خلاصة التاريخ العام » .
(٢) الصفحة ٤٦٦ فى الجزء الثانى من كتابه « فى مساء الفكر » .
(٣) Laraison crée lascieuce, les sentiuneus wénent l' histoire
(٤) Etre e'est lutter, vivrecést vaincre وهى كلمة دالة تحت عنوان كتابه يسمى « الـكفاح العام » .
(٥) L' Egoïswe seule base de toute Société ، والجملة عنوان كتاب له .
(٦) فى الصفحة الثامنة من كتابه المذكور فى هامش سابق .

من سير الرجال :

أمـــيران ...

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

فى العصر العباسى الأول كان أميران ... عاصر أولهما الخليفة المنصور فى طفولة الدولة ، وعاصر الثانى « المعتصم » فى اكتمال شبابها . ولكل منهما فى الأمارة حوادث وأخبار

فى عصر المنصور بنيت بغداد ، وجذب الخليفة إليها أنظار الناس ترغيباً فى الإقامة فيها ، وقرب إليه الدعاة ممن توسم فيهم نبالة الأصل ، وضخامة المجد الموروث .

وكانت اليمن فى ذلك الحين محتاجة إلى وال رحب الباع ، فسيح الحلم ، حسن السياسة ، مبسوط اليدين . فلم يجد الخليفة فى غير معن بن زائدة طلبته

والأمير معن عريق فى النسب ، فهو من بنى مطر الذين يقول فيهم الشاعر :

بهاليل فى الإسلام سادوا ولم يكن
كأولهم فى الجاهليـــة أول

ولم يكن الأمير معن بخيلاً بعطاء ، ولا ضنيناً بمعروف ، بل كان يعطى عن سمة ، حتى أدهش الناس بعطائه فقصدوه ، والمورد العذب يكثر الزحام عليه

والكرم وحده ليس مزية الرجال . ففى الدنيا كرام يقلون أو يكثرون ، ولكن مزية الرجل هى الكرم مع المروءة ، والجود مع الهمة ، والعرف مع الأريحية ، ومن هنا كانت شهرة معن . ومن هنا كان اسمه فى سجل أرباب المروءات

فقد يعطى الكريم اضطراراً ، أو مداراة ، أو دفعاً لمضنة ، أو شراء لعرض ، ولكن « معنا » كان يعطى للذة العطاء ، ولاتصال المعروف ، حتى بلغ كرمه إلى عدوه ، ووصل نداه إلى خصمه ، لأنه يفرق بين المعروف والخصومة

حدثوا عن هذا الأمير أنه كان جالساً وعلى رأسه صاحب شرطته ، فإذا براكب مقبل يتهيأ للنزول ، فقال معن لرئيس شرطته : ما أحسب الرجل يريد غيرى . ثم أشار إلى حاجبه قائلاً : لا تحجب الرجل عن مجلسى فلعل له حاجة ، فنزل الرجل ومثل بين يدى الأمير وأنشد :

أصلحك الله قل ما بيدى   فما أطيق العيال إذ كثروا
ألح دهر رمى بكلكله   فأرسلونى إليك وانتظروا

فترنحت أعطاف معن ، ووصله بناقة فتية وألف دينار وهو لا يعرفه

وقد أجمعت كتب الأدب على هـذه الحادثة ، وذكرها البغدادى صاحب « تاريخ بغداد » بسندها واحداً عن واحد

ولقد بلغ من مكانة معن فى الكرم أن الكرام بعده حاولوا أن يتأثروه فى جوده . فهذا الصاحب بن عباد وزير بنى بويه ، والذى ظهر بعـد معن بأكثر من قرنين من الزمان ، هذا الصاحب كان يعطي على طريقة معن أو يجود على مذهبه ، فقد جاءه شاعر يمدحه ، فقال الصاحب : قرأت فى أخبار « معن » أن رجلاً قال له : ارحمنى أيها الأمير . فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت أن الله خلق مركوباً غير هذا لحملتك عليه ، وقد أمرت لك من الخز بجبة وقميص وعمامة ودراعة وسراويل ومنـديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس . ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز لأعطيناك إياه ... !

* * *

وكان فى معن رجولة نادرة ، وشهامة عربية عزيزة المثال ، فلقد كان منقطعاً إلى الأمويين قبل ذهاب دولتهم ، فلما جاء العباسيون خاف منهم ، وظل فى البلاد مستتراً عنهم حتى لايقع فى أيديهم ، وجعل « المنصور » لمن يأتى به مالاً جزيلاً . وظل الرجل ضارباً فى الفلاة ، هائماً فى الأرض حتى لوحته الشمس . وكان يتتبع الحوادث وهو متخف حتى لاتأخذه يد العباسيين ، فلما استقام الأمر للمنصور ، وكادت الدولة تتمكن ، رأى « معن » من حسن السياسة أن ينضم إليهم ، ولكنه تمهل فى الأمر حتى تحين الفرصة ...

وجاءته الفرصة سانحة ... فقد ثار جماعة من خراسان على المنصور . وأرادوا قتله فى يوم الهاشمية

وكان عند معن نبأ عن هذه الثورة ، فخرج متنكراً ، ومازال يقاتل دون المنصور حتى فرق الثائرين ؛ فقال له المنصور : من أنت ... ويحك ؟ !

فكشف لثامه فى عزة وقال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين !

ومن ذلك الحين اتصل بالعباسيين وانقطع إليهم واستعين به على قضاء الحاجات عندهم ، فما رد سائلاً ، ولا خيب طالبا

واشتد فضل الرجل ، فاشتدت له عداوة الحاسدين وكشح الكاشحين ؛ وهم فى كل زمان لا تهدأ قلوبهم ولا تخبو نارهم . وكانوا يكثرون القول فيه والخوض فى أعماله أمام الخليفة ، وهو هو صلابة عود وشدة أسر ، لا يبالى بحربهم ، بل كان يرد التهم فى شهامة وإباء ، وعزة وكبرياء . فلقد حدثوا أن المنصور قال له يوماً : يا معن ! ما أكثر وقوع الناس فيك وفى قومك ! ! فقال : يا أمير المؤمنين :

إن العرانين تلقاها محسدة ولن ترى للئام الناس حسادا

وفى ذلك الرد من أخلاق الرجال ما فيه ...

وكان معن على يسار فى العيش وبسطة فى الرزق ، ولهذا ظل بابه مفتوحاً ، ولم يمنعه من فتح بابه إلا سنة ضيقة ، أو نقص فى الأموال والثمرات ، فكان يستحى أن يقابل الناس على تلك الحال حتى لا ينكشف نقصه ، ويتعلل بالحجاب زماناً حتى يتسع الضيق أو يكثر السويق ...

* * *

أما الأمير الآخر ، فهو أبو دلف ، وكان معاصراً للخليفة المعتصم . ولقد بلغ عند الخلفاء محلاً عظيما فى الشجاعة وحسن القيام فى المشاهد ، وهو من « ربيعة » ، فهو يتفق مع « معن » فى كرم الأصل ، ولكنه يختلف عنه فى الغناء وحسن الصوت !

ويظهر أنه قسم حياته بين الشراب والشجاعة والعطاء ، فلا تجد له فى كتب الأدب خبراً إلا حول مجلس شراب أو وسط معركة ، أو مقسما على الناس العطاء

وما نهاه الشراب عن مكرمة ، ولا عوقه عن مروءة ، ولا تأخر به عن معركة ، فقد حدثوا عنه أنه كان جالساً يشرب مع جاريته « ظبية » ، وعليه ثياب معطرة بالمسك ، فجاءه الصريخ معلناً طروق الشراة وانقضاضهم على أطراف عسكره ، فلبس درعه ومضى يقاتلهم ، ويأسر منهم ، ويضرب فيهم ، حتى آخر الليل ، ثم عاد فى الصباح يغنى :

ليلتى بالسرادق كلت بالمحاسن
وجوار أوانس كالظباء الشوادن
بدلت بالمسكا ت أدراع الجواشن

* * *

وانقطع إلى أميرينا شاعران من أهل المكانة والقدر ، فانقطع إلى معن الشاعر مروان بن أبى حفصة وانقطع إلى أبى دلف الشاعر على بن جبلة . وكانت مدائح الشاعرين تثير على الأميرين أحقاداً وعداوات ، وتخلق لهما مع الخلفاء عقداً ومشكلات ، حتى لقد لام الخليفة المنصور الشاعر مروان بن حفصة على مدحه لمعن ، والمأمون نفسه كان يحفظه أن يسمع من ابن جبلة مدحاً فى أبى دلف ، حتى لقد اشتدت به الحفيظة يوماً حين سمع قول هذا الشاعر فى ذلك الأمير :

كل من فى الأرض من عرب بين باديه إلى حضره
مستعير منه مكرمة يكتسيها يوم مفتخره

وحق المأمون أن يغضب ، فإن مدح الحكام والوزراء والأمراء جائز على شرط ألا يكون فيه انتقاص للملوك أنفسهم ، أو إغفال لشرف أقدارهم

* * *

كان أبو دلف أريحياً يهتز للعطاء إذا وهب ، ويطرب للشعر إذا سمع ، وكان فيه شاعرية فياضة بلغت حد الارتجال فى موقف العجلان ، وتلك بديهة منه لم تفسدها العجلة ولم تعوزها الأناة ، فقد أجاد حتى على حال الارتجال

* * *

ولقد كان أروع ما فى هذين الأميرين مروءة ونجدة وشهامة ونخوة . وفى تاريخ الأمة العربية أمارات وأمراء . وهى بلا شك لا تخلو من مواطن كريمة للمثال الكريم . ومن يقلب تاريخ هؤلاء الأمراء يجد فيهم ما يسر ويعجب وفى نشر محمدة واحدة ما يغنى عن المحامد ، وفى شاهد واحد ما يجزىء عن مئات الشواهد

محمد عبد الغنى حسن

ما لزكى مبارك وكتاب الله

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

لقد فقد زكى مبارك كل حق كان له فى أن يعرض لكتاب الله سبحانه بفهم أو برأى بعد أن ثبت عليه ما ثبت من إنكاره إعجاز القرآن، وقوله بأن القرآن كتاب محمد، وتمديه هذا وذاك إلى القول بمذهب وحدة الوجود الذى هو فى الحقيقة إنكار للخالق بإحلاله فى المخلوق، أو بإحلال المخلوق فيه (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً)

إن الذى يعتقد فى القرآن عقيدة تضاد عقيدة المسلمين لا بد متأثر بما يعتقد حين يعرض للقرآن الكريم ببحث أو بفهم. فالذى يقول مثل زكى مبارك بأن القرآن كلام محمد مضطر أن يحمل القرآن على ما ينتظر أن يقوله بشر فى العصر الذى عاش فيه النبى. أما المعانى التى تدل دلالة قاطعة على أن القرآن من عند الله لاستحالتها على العقل البشرى فى العصر الذى نزل فيه القرآن، فهي عند مثل زكى مبارك ممتنعة عقلاً أن تكون من معانى القرآن. هذا هو السر فى أنه دائماً يحمل القرآن على ما يظن أن الناس كانوا يفهمونه أو يعتقدونه فى العصر الذى عاش فيه رسول الإسلام كما يسمى النبى عليه الصلاة والسلام

حتى الوحى الذى كان ينزل على النبى هو عند زكى مبارك كهذا الإلهام الذى يزعم أنه يلهمه، أو أن الشعراء والمفكرين يلهمونه، ولو كان إلهاماً يلبس أسخف المعانى وأرذلها كما فعل فى مقاله الذى قلت إنه عاد فيه إلى التعرض للقرآن بما لا يليق فانتقم الله منه به فى نفس المقال، وقال هو إنه رجع إلى المقال فلم يجد فيه لفظة واحدة تدل على أنه يخاصم القرآن

ولقد خاصم زكى مبارك القرآن الكريم فى موضعين من مقاله ذاك، بصرف النظر عن موضوعه الذى كله خصومة لما جاء به القرآن ودعا إليه

أما الموضع الأول، فحين أنطق روح صاحبته بقولها له: «لقد أوحينا إليك»؛ ووضعه ذلك هكذا بين أقواس ليدل على أنها كلمات مقتبسات وليست من إنشائه. واستعماله هذه الكلمات فى المقام الذى وصف فيه ما كان بينه وبين صاحبته خفة وخصومة للقرآن. إنه يعلم أن «أوحينا إليك» و«لقد أوحينا» كلمات لا توجد فى العربية فى غير القرآن. إنها من أخص الكلمات القرآنية وأفخمها وأشرفها، لأن ضمير المتكلم فيها هو فى القرآن ضمير الجلالة، وضمير المخاطب فيها هو فى القرآن ضمير الرسالة. فتصور بُعد ما بين الضميرين فى الكلم القرآنى وفى مقال زكى مبارك يتضح لك مبلغ عداوة هذا الرجل للقرآن

ذلك هو الموضع الأول الذى تعرض فيه زكى مبارك للقرآن فى مقاله. أما الموضع الثانى، فحين أجرى المحاورة الآتية بينه وبين صاحبته التى أراد أن يقنعها بأن الجماد حى، لأن بعض الزلط شكله شكل الدوم والخيار!

هى: وما رأيك فى الآية الكريمة: «يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى»؟

هو: «القرآن يعرض الظواهر التى تعارف عليها الناس لتكون الحجة على القدرة الإلهية أقوى وأوضح. فمن العجيب فى نظر من لا يعرف أن تكون البذرة الخرساء أصلاً للدوحة الشماء، وأن تكون البيضة الصغيرة أصلاً لطائر جميل يغرد أو يصيح

وفى جوابه هذا يفرض أن معنى الكلمات الكريمة لا يمكن أن يخرج عما كان يعرفه الناس فى ذلك العصر، لأن القرآن عنده إن هو إلا كلام محمد العربى الذى عاش فى أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلاديين. ومن هنا نسبته الخطأ إلى القرآن الكريم مرات فى جوابه هذا: نسب إلى القرآن أنه جارى الناس فى تعجبهم مما لا عجب فيه فى الحقيقة، ونسب إليه أنه أراد أن يحتج لهم على القدرة الإلهية بما لا حجة فيه فى الحقيقة، ونسب إليه أنه جهل جهلهم حين عجب عجبهم من البذرة تخرج منها الشجرة، والبيضة يخرج منها الطائر، لأن هذا كله عجيب

الدستور فى شعر شوقي

بمناسبة إزاحة الستار عن تمثاله

[بقية المنشور فى العدد الماضي]

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

— ٦ —

وأية علاقة بين توت عنخ آمون والدستور ؟ قد تكون الجمع بين النقيضين : قديم مغرق فى القدم يبعث الدهش والعجب ، وحديث طريف تمت إليه النهضات بسبب ، وقد تكون إخبار توت عنخ بأروع ما جد فى مصر بعد تلك الحقب ، وقد تكون غير ذلك ، ولكنها على أى حال ليست بالعلاقة القوية التى تتداعى لها المعانى وتتوافى الخواطر ، فلم يبق إلا أنها نزعة أصيلة فى نفس شوقي إلى الدستور يتلمس للتصريح بها معارض القول ، فيشيد بفضل الدستور فى هداية الأمم وحياتها .

يحدث شوقى توت عنخ فى شماتة بدثور حكم الفرد ، وغبور عهد الظلم ، ويفخر عليه بأنه فى عصر الشورى والحرية وسلطان الرأى العام على الرعاة والحكام ، وكأنما هجس فى قلب شوقى أن توت عنخ قد يجد فى خضوع الملوك لشعوبهم غضاضة أو انتقاصاً من سلطانهم وأبهتهم ، فيذكره بأن الملك فؤاداً أجل منه فى قلوب شعبه المتمتع بالدستور ؛ على أنه أشرف بنعمة الإسلام .

وكأنه وازن مجد مصر فى عهد توت عنخ واتساع ملكها ومنعتها وبأسها بحالها فى عهد فؤاد ، فرجح للدستور وحده ما مضى ، وإنه لشرف للدستور أن يرجح عند الموازنة ، وشرف للملك فؤاد أن يفوق فى المفاضلة والمقارنة .

وينتقل إلى أثر الدستور فى إعزاز الرعاة والرعية ، فيبين فى فخامة وضخامة وجلال أن قوة الملوك وسلطانهم وحبهم ، إنما يكفلها الحكم النيابى وحده لهم ، وأنه لا استقلال لمصر ما لم يعضده الدستور وحكم الشورى ، لأنه يجمع رواد الأمة وزعماءها فى ناد واحد يتحاجون ويقترحون ويراقبون ، وإذا لم ينعقد مجلس النواب فقلوبهم شتى ، تجدّ الحوادث وهم يلهون ، وأمور مصر فوضى وإن وليها الخلفاء الراشدون

عنده فى نظر من لا يعرف ! أما من يعرف ما يعرفه زكي مبارك من أن الأشياء كلها حية حتى الزلط ، فليس خروج الدوح من البذر ، ولا الطير من البيض عنده بعجيب !

والرجل يفترى فى كلامه ذلك ليتوصل إلى إنكار الإعجاز المعنوى لتلك الآية وأشباهها فى القرآن الكريم . فلا الناس فى ذلك العصر ، بل ولا جمهرتهم فى هذا العصر يرون عجيباً أن يتحول البذر والبيض إلى نبات وحيوان ، لأن ذلك شىء عادى مألوف قد غطت الألفة على موضع العجب منه ، وصرفتهم عن تدبر سر القدرة الإلهية فيه . والقرآن الكريم هو الذى عجّب الناس من أمثال هذا المألوف ، واستلفتهم إلى ما فيه من معجز القدرة الإلهية حين طالبوا النبى بالمعجزات ، وأقام منه الدليل العقلى العلمى على إمكان البعث حين أنكروا البعث ، ودعا إلى التفكير والبحث عما أودعه منزل القرآن سبحانه فى كل ذلك من أسرار كشف العلم الآن عن بعضها ، فتجلى بذلك جانب من إعجاز القرآن قامت به حجة الله على من يعلم ويعقل ولو لم يعرف من العربية ما يدرك به الإعجاز اللغوى للقرآن

فالعلماء ، لا عوام الناس ، هم الذين يعجبون من خروج النبات من البذور ، وخروج الحيوان من البيض . يعجبون من ذلك عجباً لا يكاد ينقضى ، يحملهم على متابعة البحث عن سر جديد حين يتجلى لهم بالبحث العلمى سر قديم ، ولا ينفكون يسلمهم السر هكذا إلى سر ، جيلاً بعد جيل ، من غير أن يكون لهم أمل فى الإحاطة بكل أسرار الحياة . ثم يجىء زكى مبارك فيزعم أن القرآن يقيم الحجة على الناس بتعجيبهم مما لا عجب فيه إلا فى نظر من لا يعرف ! حتى إذا قلنا إنه عاد يعرض للقرآن بالجهل وسوء العقيدة والرأى قال : إنه رجع إلى المقال فلم يجد فيه لفظة واحدة تدل على أنه يخاصم القرآن !

محمد أحمد الغمراوى

لا عاصم لمصر إلا دستورها ، تصلح به ما فسد من أمورها ، وإن شوقى لصنع بارع الحيلة فى مطالبة الملك فؤاد بالتعجيل به ، وفى بيان آثاره وفضائله ، فهو النور يهدى الضالين ، والمصباح يستضىء به المصلحون فيبعثون من الـكهوف الجهال الغافلين ، وهم يعدون بالملايين يرسفون فى قيودهم ، وينقادون لأفراد يحكمونهم طاغين ، وليس مثله فى علاج هؤلاء الزَّمْنَى إلا معجزة سيدنا عيسى ، فنوره سيشع على الجهلة عمى القلوب فيبصرون ويعلمون ، ويده الرفيقة القوية ستحطم قيود المتحجبين فينهضون ويَعْدُون ، وإنه للحق والعدل والدواء الوحيد .

ها هنا جلال الفكرة ، وجلال الأداء ، وتأثيره ، وطرافة الخيال ، وها هنا قلب الشعب يخفق ، ولسانه ينطق ، ويده تصفق ، ومن أولى من شوقى بذلك كله ؟ ؟

زمان الفرد يا فرعون ولى   ودالت دولة المتجبرينا

وأصبحت الرعاة بكل أرض   على حكم الرعية نازلينا

فؤاد أجـل بالدستور دنيا   وأشرف منك بالإسلام دينا

بنى (الدار) التى لا عز إلا   على جنباتها للساكنينا

ولا استقلال إلا فى ذراها   لمتبـــوع ولا للتابعينا

ترى الأحزاب ما لم يدخلوها   على جد الحوادث لاعبينا

وإن فقدت فأمر القوم فوضى   وإن وليته أيدى (الراشدينا)

إذا سارت به أيد شمالا   أتت أيد فسرن به يمينا

فعجل يا ابن إسماعيل عجـل   وهات النور واهد الحائرينا

هو المصباح فأت به وأخرج   من الـكهف السواد الغافلينا

ملايين تجر الجهل قيـداً   وتُسْحَب بالقليل المطغينا

فداو به البصائر فهو عيسى   وفك براحتيـه المقعدينا

ومن يَرَ دُونَهُ حقاً فإنى   أراه وحده الحق المبينا

وفى قصيدة أخرى بعنوان توت عنخ والبرلمان يتجلى اعتزازه بالحكم النيابى ، وكفالته بأن تسود مصر ويحكمها بنوها ، وكأنه يلمح دعاوى خصومها بأنها لم تبلغ بعد رشدها ، فليست جديرة بالدستور والبرلمان فيرد عليهم فى حماسة وثقة بالشعب وسلامة عنصره وجدارته بالدستور والبرلمان .

وتنطق أبياته ببهجته بافتتاح البرلمان يوم المهرجان ، وقد احتفى به الشعب من شيب وشبان وعقائل وفتيات ، وتهادى موكب الملك فؤاد على الريحان ، تخطر العظمة فى ركبه ، ومن كفؤاد فى عظمته وعظمة آبائه ؟ ؟ وإنه ليقيم فى دار الندوة مجد مصر ، ويؤسس الشورى ويوطد دعائمها ، ويسوس بها هـذا الجيل السعيد ، وليس أدل على عظمة فؤاد وعلى سخائه من تنازله عن سلطته لشعبه الوفى .

مصر الفتاة بلغت أشـدها   وأثبت الدم الزكى رشـدها

ولعبت على الحبال وحـدها   وجربت إرخاءها وشـدها

وبعثت للبرلمان جنـــدها   وحشدها للمهرجان حشـدها

حدت إليـه شيبها ومردها   وأبرزت كمابها وخودها

ونثرت فوق الطريق وردها   واستقبلت فؤادها ووفدها

مونلها وكهفها وردّها   وابن الذين قوموا مقـدها

والفوا بعـــد انفراط عقدها   وجمعوا صحراء ليبيا حدها

وبسطوا على الحجاز أيدها   وسيروا المأتى فيه عبدها

حتى أتى الدار التى أعـدها   لمصر تبنى فى ذراها مجدها

فثبت الشورى وشد عقدها   وقلد الجيـل السعيد عهدها

سلطتـه إلى بنينا ردها

— ٧ —

ولما ائتلفت الأحزاب صاغ قصيدته (البرلمان) فكرر الاطمئنان إلى الدستور وأنه أمان من طغيان الفرد ، وعهده ظليل جميل ، وهو الـكفيل لـكل مجد أن يجنى ثمار جده ، ولقد كسبته مصر بجدها لم تنله عفواً أو يوهب لها وهباً ، فقد جالد رجالها بسلاحهم فى الثورة العرابية فجعلوا جدارتهم بالحياة الراقية والحرية ، وجاهد أبناؤها فى الثورة الحديثة فباعوا دماءهم وأرواحهم . فالدستور إذن يقوم على دعامتين : إحداهما ضحايا النضال فى التل الـكبير ، والأخرى شهداء الصيال فى الثورة . والدستور عصمة من الهوى ، ونواب الأمة حراس على مالها لا يفتئتونه ، أعوان لسلطانها لا يستصغرونه ، يتساندون فى الضراء ، ويتعاونون فى السراء ، ويعالجون الأمور برفق وأناة إذا عصف الجو ، وتنمر العدو ، أو اصطدم الاصلاح بقديم من التقاليد لا خير فيه فترسو السفينة على شاطىء السلامة وقد سلم ربابنتها وركبها .

وشوق لبق فى امتداح النواب بهذه الصفات ، لأنه يدعوهم لها فى معرض المدح بها ، وينبههم عليها فى أسلوب من الاخبار ، ومن هنا زكيهم للشعب ، ويخصهم بوصاياه من وراء ستار .

الحق أبلج والكنانة حرة ... والعز للدستور والاكبار
الأمر شورى لا بعيث مسلط ... فيه ولا يطغى به جبار
عهد من الشورى الظليلة نضرت ... آصاله واخضلت الأسحار
تجنى البلاد به ثمار جهودها ... ولكل جهد فى الحياة ثمار
ببنيان آباء مشوا بسلاحهم ... وبنين لم يجدوا السلاح فثاروا
فيه من القتل المدرج حائط ... ومن المشانق والسجون جدار
أبت التقيد بالهوى وتقيدت ... بالحق أو بالواجب الأحرار
فى مجلس لا مال مصر غنيمة ... فيه ولا سلطان مصر صغار
ما للرجال سوى المراشد منهج ... فيه ولا غير الصلاح شعار
يتعاونون كأهل دار زلزلت ... حتى تقر وتطمئن الدار
يجرون بالرفق الأمور وفلكها ... والريح دون الفلك والإعصار
ومع المجدد بالأناة سلامة ... ومع المجدد بالجماح عثار

— ٨ —

ولقد عرض للدستور المصرى ما يعرض لكل وليد أو لكل جديد ، فحورب وأوقف ، فماذا كان موقف شوقى نصير الدستور ؟ لما ائتلفت الأحزاب سنة ١٩٢٦ لانقاذه برياسة الزعيم الخالد سعد سجل شوقي هذا الاجتماع الخطير فى قصيدته (المؤتمر) فامتدح الحزبية ومدح الزعماء ثم خاض إلى أن الله أنعم على مصر بائتلاف أقطابها ، وفيهم الحوّل القلّب ، والصرحة المعلنة يكمل بعضهم بعضا ، وهم جميعاً أسنادها وأعلامها وأبطالها يشيدون سياج الملك بالدستور لا بالقنا والسيوف .

وبرع شوقى غاية البراعة فعبر فى جلال وروعة أنه لا جلال ولا جمال لتاج لا تلتمع فيه جواهر الدستور وإن شرق بنوادر الماس وروائع الدر . ومن ذا الذى يقرأ له هذا البيت فلا يشعر بالجلال ؟ ومن ذا الذى يقرأ هذا البيت ثم يجحد أن الشاعر كلف بالدستور أيما كلف ؟؟ ثم يأسف أن عطل الدستور وأقفر ناديه وطيرت عنه بلابله ، ويصف فى حسرة هذا التعطيل ، وبشاعة إغلاق البرلمان حصن الحق كما يسميه ، فثكناته فى شوق إلى أبطالها وكماتها ، ومقاعد النواب مهجورة ومنبره معطل، وإنه لموحش قد نسج العنكبوت به بيوته ، ويشبه حاله إذن بغار ثور حين اختبأ فيه الرسول عليه الصلاة والسلام ومعه صديقه فنسج العنكبوت على بابه ، ولعله يريد أن الغار حمى الرسول والإسلام ، وأن البرلمان سيحمى الحق والعدل والشورى ، وإلا فلا وجه للمشابهة بين هذا وذاك .

الله ألف للبلاد صدورها ... من كل داهية وكل صراح
وزراء مملكة دعائم دولة ... أعلام مؤتمر أسود صباح
يبنون بالدستور حائط ملككم ... لا بالصفاح ولا على الأرماح
وجواهر التيجان ما لم تتخذ ... من معدن الدستور غير صحاح
احتل حصن الحق غير جنوده ... وتكالبت أيد على المفتاح
ضجت على أبطالها ثكناته ... واستوحشت لكماتها النزّاح
هجرت أرائكه وعطل عوده ... وخلا من الغادين والرواح
وعلاه نسج العنكبوت فزاده ... كالغار من شرف وسمت صلاح

— ٩ —

وقبيل ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ يوم افتتاح البرلمان الأول أقام نادى المعلمين حفلا ألقيت فيه قصيدة لشوقى عرض فيها للدستور كعادته ، فيوم افتتاح البرلمان غرة فى تاريخ مصر ، وهو فى الأيام عيدها ، وسيتفيأ المصريون بظلال الدستور ويسعدون ، وإذ كان فى حفل تكريم المعلمين والعلم دعامة من دعائم الملك فقد رجا النواب ألا يضنوا على التعليم بالمال ، ويبارك للشبان أن جهادهم أثمر وأينع :

مصر إذا ما راجعت أيامها ... لم تلق للثبت العظيم مثيلا
البرلمان غدا يمد رواقه ... ظلا على الوادى السعيد ظليلا
نرجو إذا التعليم حرك شجوه ... ألا يكون على البلاد بخيلا
قل للشباب اليوم بورك غرسكم ... دنت القطوف وذللت تذليلا

— ١٠ —

وبعد فنختتم دعواته إلى الدستور وضرورته وآثاره بأبيات من تحيته للنسر المصرى المرحوم محمد صدقى حين قدم طائرا من برلين إلى القاهرة سنة ١٩٣٠ يدعوه فيها أن يحلق فوق قبة البرلمان السامقة المسموكة للفصل في مشكلات مصر ، يتنافس النواب والشيوخ هناك ذائدين عن الحق كالبنيان المرصوص

قف تأمل من علو قبة ... رفعت للفصل والرأى الصراح

نزل النـــواب فيها فتية في جناح وشيوخا في جناح
حمـــلوا الحق وقاموا دونه كرعيل الخيل أو صف الرماح

ثم في رثاء المرحوم أبي هيف بك يسير إليه حديث الائتلاف ، ويختم الحديث والقصيدة بقوله لسعد :

أخرج لأبناء الحضارة مجلساً يبقى على اسمك في العصور ثناء

ويقول في رثاء سعد :

أو لم يكتب لهـا دستورها بالدم الحر ورفع منتداها ؟؟

وفي رثاء إسماعيل باشا أباظة يقول :

إذا سلم الدستور هان الذي مضى وهان من الأحداث ما كان آتيا
ألا كل ذنب لليالي لأجله سد لنا عليه صفحنا والتناسيا

— ١١ —

ولقد كنا نحمد شوقي لو أنه استمسك بالدستور واستعصم ثم استكفى ، ويحسبنا منه الاثارة والانارة والتوجيه ، ولكنه مع ذلك أرشد الشعب إلى واجبه في اختيار نوابه ، السفراء برأيه ، المعبرين عن رغباته ، الناظرين بعينه ، الناطقين بلسانه ، الذائدين عن كرامته وحريته وسلطانه ، فليحسن الشعب اصطفاءهم ، وليحذر عوامل الخديعة ومضلة الاختيار .

فلا يؤثر الثراء أو الجاه ، ولا يبيع التزكية بمال ، ولا يتخدر بخلابة الخطابة ، أو يتأثر بسحر الوعود الكذابة ، وضمان ذلك أن ينشر الناخبون أمام عيونهم صفحات المرشحين للنيابة عنهم فيشرفو بالنيابة ذوي الجهاد والخلق والفضل والعلم ونزاهة النفس وعفة اليد والاعتزاز بكرامتهم وكرامة مصر سواء أكانوا أغنياء أم فقراء ، وجهاء أم من صميم الشعب ، ومن العار عليهم أن يبعثوا إلى دار النيابة تماثيل من حجر أو من خشب ، لها حسبان في العدة ، ولا أثر لها في رخاء أو شدة ، وإذا كان الدستور قد استنقذ من بين أنياب الاحتلال فإن الانجليز يرصدون على الشعب هفواته ، ويحصون على كل نائب زلاته ، فليدقق الشعب في الاختيار ، وليفقه النواب تبعة هذا الفخار :

أيها الشعب لقــد صر ت من المجلس قابا
فكن الحر اختيارا وكن الحر انتخـــابا
إن للقـــوم لعينا ليس تألوك ارتقـــابا
فتوقع أن يقولوا من من العمال نابا
ليس بالأمر جديراً كل من ألقى خطابا
أو سخا بالمال أو قد م جاهاً وانتسابا
أو رأى أمية فاخـــتلب الجهـل اختلابا
فتخير كل من شـــب على الصدق وشابا

وفي قصيدة مشروع ٢٨ فبراير يكرر هذا النصح ، ويبين وظيفة البرلمان وخطره :

قل للكنانة قول الصدق من مَــلِكٍ
مؤيد بالهـدى لا ينطق الـكذبا
دار النيابة قـد صفت أرائكها
لا تجلسـوا فوقها الأحجار والخشبا

اليوم يا قوم إذ تبنون مجلسكم تبنون للعقب الأيام والحقبا
فما هو الفرد إن شئتم سما صعدا إلى الثريا وإن شئتم هوى صببا
وإن رضيتم عمرتم ركنه ثقة وإن غضبتم تركتم ركنه خربا
وإنمـا هو سلطان يُدان له إذا تكفل بالأعباء وانتدبا
يقول عنكم ويقضي غير متهم العهد ما قال والميثاق ما كتبا

وفي قصيدته (المعلم) يقول :

ناشدتكم تلك الدماء زكية لا تبعثوا للبرلمان جهولا
فليسألن عن الأرائك سائل أحملن فضلا أم حملن فضولا
إن أنت أطلعت الممثل ناقصاً لم تلق عند كماله التمثيلا
فادعوا لها أهل الأمانة واجعلوا لأولى البصائر منهم التفضيلا
إن المقصر قد يحول ولن ترى لجهالة الطبع الغبي محيلا

ويختم قصيدته (الأزهر) بهذه الصيحة :

دار النيابة هيئت درجاتها فليرق في الدرج الذوائب والذرا
الصارخون إذا أسيء إلى الحمى والزائرون إذا أغير على الشرى
لا الجاهلون العاجزون ولا الألى
يمشون في ذهب القيــود تبخترا

نضر الله ذكراك يا شوقي ، وكتب لك الخلود ، فلقد كنت كما قلت :

وإني لغريد هذي البطاح تغذى جناها وسلسالها
ترى مصر كعبة أشعاره وكل معلقة قالهـــا
أدار النسيب إلى حبهـا وولى المدائح إجلالها

أحمد محمد الحوفي
المدرس بالسعيدية الثانوية

غرام يوم الثلاثاء (*)

للدكتور زكي مبارك

يا ليلْ يا ليـلَي يا ليلْ

يا ساقىَ الراحِ هاتِ الراحَ يا ساق
من نور خديك أو من نار أشـواق
واشربْ رحيقَ الهوى الفضّاح يا ساق
من نظرتى لك فى ســاعات إشراق

يا ليلْ يا ليـلَى يا ليلْ

مضت أسابيعُ لا ألقاك يا روحى
فكيف أنتَ رعاك الحبُّ يا روحى ؟
مصرُ الجديدةُ مأوَى حبنا الروحى
فارجعْ إليها نَعِشْ روحاً إلى روحِ

يا ليلْ يا ليـلَى يا ليلْ

أمرٌ عرفناهُ أنَّ الجافىَ الهاجرْ
قد يفتدى وهو روحٌ جاحدٌ غادرْ
الصــبرُ عنى نذيرُ الغدرِ يا هاجرْ
أعوذ بالحب وهو المــالك الآمرْ
من أنْ يخيب رجائى فيك يا ساحرْ

يا ليلْ يا ليـلَى يا ليلْ

عهدُ الهــوى البِكر عهدُكْ
وطــالعُ الســعد وعدُكْ
متى أراكْ ؟
و دارِى حمـاكْ
أنا من نواكْ
مفطورُ الفؤادْ

يا ليلْ يا ليـلَى يا ليلْ

عهدُ الهوَى البِكر هل تنساه يا هاجرْ ؟
عهدُ الهوَى البِكر هل تنساه يا غادرْ ؟
عهدُ الهوَى البِكر هل تنساه يا قاهرْ ؟
يا هاجرْ ، يا غادرْ ، يا قاهرْ ، يا كافرْ

يا ليلْ يا ليـلَى يا ليلْ

مصرُ الجديدةُ أيامَ الثــلاثاء
كانت ملاعبَ أوطارى وأهوائى
يا فاطرَ الحبِّ فى يوم الثــلاثاء
متى يعود لنا يومُ الثــلاثاء ؟

يا ليلْ يا ليـلَى يا ليلْ

لِمن وفاؤك بعدى أيها الغادرْ ؟
إن رُمتَ غيرى فأنت الغانم الخاسرْ
حُبى هو الحبُّ وهو الغـالب القاهر
فاندُبْ نعيمَـك بعدى أيها الغادر

مصر الجديدة أيامَ الثلاثاء
تشكو اغترابىَ أيامَ الثلاثاء

يا ليل ، آه يا ليل
يا ليل ، آه يا ليل

شربتُ دمى فلا كأسٌ ولا ساق
مَـضَى نديمى وخـلّانى لأشـواق
يا ساقىَ الراح هاتِ الدمعَ يا ساق
دمى هو الراح فاسقينيه يا ســاق
يا ساقىَ الدمع بعـد الراح يا ساقي
دمـِى دمٌ فترفّقْ أيهـا الساقي

آه ، واه — آه ، واه — آه ، واه ! ! !
بَـعد الغناء الحزينْ
وهــذه الآهاتْ
وبعدَ لذع الحنينْ

(*) راجع مقدمة هذه القصيدة فى العدد ٥٩٦ من الرسالة

وهـذه الواهات
يقول طيفُ الخيالْ
بلحن ذاك الغزال
ما هـذه النارُ تذكيها بأشعارك
لولا غناؤكَ ما خُلدت فى نارك
إذن أغنّي !
ما ذا تغنّى ؟
إنى أقول :
من أى ينبوع فُطرتَ
من أى سحر خُلقتَ
الزهرُ وحىُ دلالكْ
والشعر وحىُ جمالك

لا أظلمُ الأقدارْ
إن الهوى والنارْ
من بِدْع سحرك أنتَ

تمضى أسابيعُ لا ألقاكَ ، ما أسفى
على حياةٍ بلا لُقياك ظلماء ؟
تمضي أسابيعُ لا ألقاك ، ما أملى
من عيشةٍ أنت عنها باعدٌ نائى ؟

يقول هذا الليل
ما ذا يقول الليل ؟
يقول إنى أحبك
يقول إنى أحبك
يقول إنى أحبك
يا أجملَ الناس ، أين الناسُ ؟ قد تعبَتْ
روحى من البحث عن معناك فى الناسِ
يا قائلاً بالوفاء
ما ذا يريد الوفاء
إغدِرْ ، ودَعنى أعيش
فقتلى حرامٌ عليك
إغدرْ ، ودَعنى أعيش
فقتلى حرامٌ عليك

مصرُ الجديدةُ أيامَ الثلاثاء
كانت ملاعبَ أوطارى وأهوائى
يا فاطرَ الحبِّ فى يوم الثلاثاء
متى يعود لنا يوم الثلاثاء ؟

كان الهوى بغدادْ
أوّاهُ من بغداد !
كان الهوى باريس
أوّاه من باريس !
مصر الجديدةُ دارى
والحبُّ فيها قرارى
لا تنسَ يا غدْر
جميلَ هذى الدار
فيها اهتصرتُك غصناً ناعماً زهِراً
كدوحةِ الوردِ فى أيام آذارِ

أحنو عليك
أرنو إليك
حُلوانُ تقصيك عنى وهى ظالمة
مصر الجديدة تشكو بُعدَ حُلوانِ

مصرُ الجديدةُ أنتَ
فطَرتَها أنتَ أنتَ
بروعة الشعر أمثلك
وأنت بالحسن تملك
الشعر للحسن عبدٌ فارحم إذا شئت عبدكْ
الحسن بين يديك
إليك أمرى إليك
يا شاعراً روحه نارٌ مؤججة وشعره كالرحيق الصِّرف وهاجُ
إذن أغنّي !
ما ذا تغنّى ؟
إنى أقول :
لروعة الشعر عند الحسن منزلة أقوى من الجاه والسلطان والمال

يا ليلْ يا ليلَى يا ليلْ
يا غرامَ الروح والروحُ فداكْ
أين نجوى الحب فى عهد الصفاء ؟
أحرقَ القلبَ شواظٌ من نواكْ
بالهوى قل لى متى يوم اللقاء ؟

فرقة التمثيل

للأستاذ حبيب الزحلاوى

قلت فى كلمتى السابقة[1] كل ما يمكن قوله فى نقد أعمال المدير الفنى لفرقة التمثيل ، فليس بالمستغرب أن يدافع الأستاذ زكى طليمات عن نفسه لينقذها من قلم الناقد ، بل العجيب أن يندفع إلى الإقرار والاعتراف بأني سجلت عليه الجانب الذى يؤاخذ عليه فى منهج الفرقة ولم أذكر الجانب الذى يشرفها .

وردى على هذا الاعتراف الصريح أن الجانب المشرف هو الأساس الذى قامت عليه الفرقة ، ومن أجله وحده دون سواه تنفق الحكومة من أموال الأمة . والحكومة لم تشمل الفرقة برعايتها كما يتوهم الأستاذ طليمات بل الفرقة هى حكومية بكل معانى الحكومية ، فلولا حكوميتها هذه لما التفتنا إليها ولا أضعنا دقيقة واحدة فى الكلام عنها ، وجعلنا شأنها كشأن الأفلام السينمائية التى تلفقها الشركات الاستغلالية . فالواجب إذن يقضى بأن تكون أعمال هذه المنشأة الحكومية مشرفة لها ، أى للأمة التى تحكمها وللقائمين عليها من ممثلين وإداريين بمعدل مائة فى المائة لا أقل من ذلك أبداً ، لأن الإقلال من هذا المعدل الأساسى ، إنما هو انحراف عن الغاية ، فكيف إذن لا يكون انتقادى هو الصدق بعينه ، والحق الواجب الاستمساك به ؟ وكيف أكون مغرضاً فى نقدى ، أو مغالطاً لقرائى ، أو مناهداً للمدير الفنى ؟

ذكرت من الروايات الملفقة « شهر زاد » و « يوم القيامة » و « كانا كده » و « سلك مقطوع » ؛ وأضيف إلى هذه الترهات المعيبة رواية « قطر الندى » و « شارع البهلوان » . فهذه الروايات الست يعترف الأستاذ طليمات بأنها مشينة ، ويذكر إلى جانبها روايات « بوليوس » و « منلوف » و « مدرسة الأزواج » و « مرتفعات وذرنج » و « قيس ولبنى » ، ويدس معهما روايتى « قطر الندى » و « شارع البهلوان » وهى الروايات المشرفة ، فإذا قلت إن ست روايات من اثنتى عشرة هى خاسرة ألا تكون كفة أعمال فرقة التمثيل هى الراجحة إلى التهريج والمتجانفة إلى الإثم باسم الحكومة وعلى حساب الشعب ؟ وكيف لا أكون عادلاً فى نقدى فيما ذهبت إليه فى تقرير حقيقة ودفع رزية ؟

إن رواية واحدة مما ذكرت تكفى لتلويث الفرقة ، فكيف بها ست روايات ! ! !

أعذر الأستاذ طليمات إذا ذكر هذه الروايات ، لأنها درّت عليه وعلى الممثلين المال الكثير ، واجتذبت الدهماء إلى دار الأوبرا الملكية ! !

إن هذا ادعاء عريض لا يدعيه سوى ممثل يحسب أن لا فارق بين الواقع والخيال ، والحق والباطل ، وأنه لا يقدر عواقب ما يقول

الفرقة المصرية للتمثيل كما أفهمها ، وكما أرادتها الحكومة ، مدرسة عالية للأدب الرفيع واللغة الفصحى ، تصوّر الحياة الاجتماعية أو المشهد الحى من مشاهد الحياة الحقيقية ، وتضع هذه الصورة ضمن إطار يتناسب وحاجات النفس البشرية والمزاج فى التلوين والتسلية والتلميح تارة والردع تارة أخرى ، توصلاً إلى غاية ثقافية تعلو بالأمة إلى المكانة السامية . وليس من غايتها أبداً أن تنحط إلى مستوى العامة والدهماء ، ولا تكون تاجراً من التجار

حبيب الزحلاوى

(١) الرسالة عدد ٥٩٦

فى قصيدتى منها وإليها

وقع فى هاتين القصيدتين أخطاء مطبعية صحتها :

حرا	والصواب	حرا
هذه العيون	«	هذى
ونستمد منه	«	ونستمد

أين يا روحُ ليالٍ سلفتْ   وأغاريدُك يا صدّاح زادى ؟
لا تقل تلك الليالى ذهبتْ   جمرُها المشبوبُ باقٍ فى فؤادى

آه ، آه ، آه ، آه ، آه ! ! ! !

لم يدننى مَن أريد
فى الحب مما أريد
ماذا تريد ؟ ماذا تريد ؟
أريد قتل همومى فى منابتها   بجامحاتٍ من الصهباء هوجاء
الكأس بين يديك
الكأس فى شفتيك
هات اسقنى هاتْ
هات اسقنى هاتْ
أسقيك إن شئتَ أكوابَ الثلاثاء

يا فاطرَ الشّعر فى يوم الثلاثاء

زكى مبارك

فهرس الموضوعات للسنة الثانية عشرة من الرسالة

الموضــوع	صفحة
(ا)	
آذان الفجر (قصيدة)	٤١٧
ابراهيم باكير عالم طرابلس الغرب	٣٩
ابن قزمان	٧٧٥
أبو تمام (أخباره) ١٢٨ ، ١٤٥	
أبو تمام بين أعدائه وأصدقائه	٥٨٦
أبو تمام ١٠٢٣ ، ١٠٤٧	
أبو العلاء المعرى	٢٦١
أبو العلاء للصلوب	٩٢٤
ابن زيدون	١٨٠
أبو شوشه وابو كب (كتاب)	٢٦٠
اتجاه الأدب العربى بعد الحرب القائمة	٥٧٠
الاتحاد والحلول ووحدة الوجود	٦٣٩
أحزان الوحدة (قصيدة)	١٥٤
الأحلام ٥٦٩ ، ٧٤٩	
أحمد رامى ٦٠٤ ، ٦٢٥ ، ٦٤٤ ، ٦٦٨	
أحمد رامى فى أغانيه	٦٨٧
الاختزال كفن قديم	١٧
الأخذ من أوربا	٥٤٤
أخطاء فى الأعلام	٢٩٩
الأدب الأغريقى فى مصر الأسكندرية ٥٨٧ ، ٦٢١ ، ٦٦٥	
أدب ثالث	٣٨٠
الأدب والأخلاق	٢٦٥
الأرض الدنسة (قصيدة)	٨٩٧
أسئلة وأجوبة	١١٢١
الأستاذ سيد قطب بين تيمور ونجيب محفوظ	٩٣٣
اسماف النشاشيبي	١٢٠
الاسلام بين العقل والروح	٦٧
اعجاز القرآن فى كتاب النثر الفنى	٥٥٤
الأعمار والتواريخ فى الجاهلية	٣٦١
أعوذ برب الفلق	٨٨
أغنية روح (قصيدة)	٥١٨
أغنية الرياح الأربع ٥ ، ٢٤ ، ١٨ ، ٤	
اقتراح فى اصلاح الرسم العربى	٩٩٢
الأقوال وأصحاب الأقوال	١٠٧٩
ألزم الألزم من لزوم ما لا يلزم ٦١٨ ، ٦٣٧	
الألغاز فى الأدب العربى ٣٨٩ ، ٤١٢ ، ٤٢٩ ، ٤٧٥	
إلى الأستاذ الكبير (ا . ع)	٤١٩
إلى الأستاذ أحمد حافظ عوض	٢٠٩
إلى أخى بفرنسا (قصيدة)	١٠٧٨

الموضــوع	صفحة
إلى الدكتور الأهوانى	١٨
إلى أستاذى البشبيشى	١٠٣٢
إلى الأستاذ بشر فارس	٦٧٨
إلى الأستاذ توفيق الحكيم	٩٧٩
إلى الطبيب القدير الدكتور حسين همت	٩٩٧
إلى الناقد الأستاذ دريني خشبة	٣٣٨
إلى الأستاذ دريني خشبة	١٠٨٠
إلى الدكتور زكى مبارك ١٩٩ ، ٤١٩ ، ٩١٩ ، ٢٠١٩	
إلى الناقد سيد قطب	١٠٨٠
إلى الأستاذ سيد قطب ٣٣٨ ، ١٠١٩	
إلى الأستاذ عبد المتعال الصعيدى	٥١٩
إلى الأستاذ العقاد	١٠٣٨
إلى الأستاذ قدرى طوقان	١٥٦
إلى الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ٥٤٠ ، ٧٧٩	
إلى الأستاذ محمد عبد الغنى حسن	٤٩٨
إلي الأديب محمد الملاَّى (قصيدة)	٩٤
إلى الدكتور محمد مندور	٦٨٠
إلى الأستاذ الجليل النشاشيبي	٧٠٠
إلى الأستاذ نقولا الحداد	٩٥٨
إلى ميدان الجهاد	٧٥٩
إلى الوزير الأديب هيكل باشا	١٠١٨
إلى الأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى	١٠٧٩
إليك أعتذر يا صديقى	٩٥٨
إليها ... (قصيدة)	١٠١٧
امتحان الأساتذة الأزهرية بعد أربعة أعوام	٩٥٤
امرؤ القيس	١٠٢٠
أمسيران	١١٢٨
أمنية للمتعلمين	٩٠١
الاناء (قصيدة)	٣١٦
الأنات الحائرة	٢٥١
انجلترة فى نظر سائح عربى	١٠٦٨
إن الغناء زاد الراكب	٣٣٩
آراء وأحاديث فى التربية والتعليم	٣١١
أسامة	١١١
الاعتراف (قصة)	٩٨
(١) أقاصيص من القهوة	٢٣٧
أقوى من الموت	٢١٩
الله والانسان والحياة	٦٠
أيها الحب (قصيدة)	٤٩٥
أين الطريق ؟ « قصيدة »	٣٣٧
إيوان كسرى بين شاعرين	١٨٨
أين المدفع « قصة »	٧٩٩
أيهما	١٠٤١
أوائل الناجحين « قصيدة »	٧٥٧

الموضــوع	صفحة
(ب)	
البخلاء (قصيدة)	٥١٨
برناردشو والحروف اللاتينية	٣٠٤
بركة خان أول مسلم من ملوك التتار ٥٠ ، ١٢٤	
البستان (كتاب)	٥٥٩
بضاعة القلم	٥٧٥
بحث قديم ٥٠٤ ، ٦٣٨ ، ٨٧٣	
بعد الاعتكاف	١٠٨١
بعد عامين (قصيدة)	٧٧٧
بقية عن تيمور	٩١٩
بقية فى المعاني والظلال	٧٢٨
بقايا نغم (قصيدة)	٣٧٧
بقايا نغم	٣٩٧
البيت الذى يعدل ألف بيت	٣٩٧
بين أبى العلاء وداعي الدعاة الفاطمى	٩٤٠
بين « أنات حائرة » وبين « قيس ولبنى »	٤٤٧
بين البصائر والأبصار	١٠٨٨
بين التخطئة والتصويب ٢٤١ ، ٣٢١	
بين تيمور وذهنى	٩٥٩
بين الحقائق والأساطير	٩٢١
بين حمدة والنازى	١٥٥
بين سيد قطب والحقيقة	١٠١٦
بين الفلسفة والدين	٩٠٠
بين معبدين (قصيدة)	١٩٧
بيان إلى صحف الأقطار الشقيقة	٩١٨
(ت)	
تاريخ ما قبل التاريخ	١٠٤٠
تبارك رزاق البرية	٩٦١
التحامق فى العصر العباسى	٦٩٣
تحية للمرى (قصيدة)	٦٥٨
تحية الهجرة (قصيدة)	٧٠٠
تصويب	٢٠١٩
التعارف بين الأدباء	١٨٦
تعريف الوحده	٩١٩
تعقيب	٩٧٩
تعقيب على مقال	٦٥٩
تعقيب ورد	٨٩٨
تعليقات على يوميات	١٠٠١
تعليقات قرشيه مكيه	٤٩٧
تعليم الجنين	٥٢١
التفاؤل	٦٢٣
تفسير الحلم	٦١٩
التفكير الذهبي	٩٤١

الموضوع	صفحة
تكرار « بين » الاسمين الظاهرين	٥٥٩
تلاشي	٦٣٩
تلاقي الأكفاء	
تلك الروح وذلك اليوم	٩٨٨
التناقض في كتاب النثر الفني ٤٥٢ ، ٥١٠	
تنبيه لغوي	١٧
التوازن الاجتماعي	٧٤١
(ث)	
ثقافة أبي تمام وأثرها في تعقيد شعره	٩٤٥
ثقافة أبي العلاء ٩٠٤ ، ٩٢٦	
ثقافة الشاعر وأثرها في شعره	٨٨٧
الثقافة والأخلاق	٢٠٠١
الثقافة والنقاد	٧٥٨
ثورة على التقطيع	٩٠٦
(ج)	
جائزة أدبية	٤٣٩
الجائزة الأدبية	٥٧٩
جائزة الزحلاوي	٤٧٩
جراح	٢٩٧
جريرة ميعاد	٦٩
جلاد الظلال (قصيدة)	٥٥٨
جمال وشوك (قصيدة)	٤٧٨
الجمعية المسكية	٢٢٩
جميل بثينة	١٥٥
جولة في الفردوس مع الشاعر ميخائيل نعيمة	١٧٣
جواب على نقد	١٠٩١
جيلة تحت ظلال الأرز « قصة »	١٥٧٠
الجامعات الأربع في وادي النيل	٢٠١٨
(ح)	
الحب عند المتنبي	٦٩٥
حدائق الأمثال العامية	٣٣٩
الحديث ذو شجون ٢٠٨ ، ٢٢٣ ، ٢٤٧	
الحرف اللاتيني والعربية	٣٠٨
الحروف الأبجدية	١٠١٣
الحروف اللاتينية	٧٦١
الحروف اللاتينية لكتابة العربية ٨٨٤ ، ٩٦٤	
حرية أحرار لاحرية عبيد	١١
حرية الفكر أيضا ٧٦٤ ، ٩١٨ ، ٩٣٩	
حقائق من الدماغ البشري	٩٧٤
الحكم على الشعر وأساليب النقد والتحليل ٢٨٤ ، ٣٦٤	

الموضوع	صفحة
« الحكيم وأبى »	٢٨٠
حلم الفجر « قصيدة »	٩١٧
حول أبي فراس الحمداني	٩٩٩
حول أغلاط ٦٥٩ ، ٧٢٠	
حول بيت القديم	٦١٤
حول الحب عند المتنبي	٧٨٠
حول الخوارزمي	٧١٩
حول الشعر الجديد	٤٥٩
حول شعراء الشباب ٣١٨ ، ٣٦٠ ، ٤٥٨	
حول فرقة التمثيل	١٠٣٩
حول قصيدة	٥٤٠
حول لفظ الفشل	١٣٨
حول مزايا الخط العربي	٤٣٩
حول مقال	٩٣٦
الحياة الأدبية في السودان بين ماضيها وحاضرها	١٠٧١
(خ)	
ختان البنات في مصر	١٨
ختان الأنثى بين الدين والرأي ١٩ ، ١١٩	
ختان الأنثى بين الدين والعلم	٣٢
ختان البنات في مصر	٩٥
خلاف يستحق الاختلاف	٢١
خصومة لا عداوة النقاد والشعراء	٣٥٩
الخط الأول	٦٥٦
خلود « قصيدة »	١٩٧
خلود الروح	٩٥
الخوارزمي ٦٦٠ ، ٩٦٠	
خواطر متساوقة في النقد والأدب والأخلاق ١٠٤٤ ، ١٠٨٦	١٠٩١
خيبة سراقة	٦٦
(د)	
داء يستعصي على العلاج	٧٦٠
« داعي الدعاة » مناظر المعري ٥٦٦ ، ٦٠٦ ، ٦٤٩ ، ٦٧٠ ، ٧٢٦ ، ٧٧٠	
دجلة في الليل « قصيدة »	٣٥٢
دروزي لا درزي	٣٣٩
دراسات من مقدمة ابن خلدون « كتاب »	٢٠٦
الدستور في شعر شوقي	٢٠١٣
دعبل شاعر الهجاء	٩٦٠
دفاع عن البلاغة ١٨١ ، ٢٢١ ، ٣٨١ ، ٤٢١ ، ٤٦١	
دليل علمي يدحض مذهب وحدة الوجود	٥٢٤
ديوان أفراح الربيع	٩٩٦

الموضوع	صفحة
(ذ)	
ذكرى شوقي وتمثاله	٢٠١٩
ذكرى عيد	٧٨٨
ذكرى الهجرة	٥٥
ذو الرمة صاحب « مي »	٥٣٦
الذوق الأدبي العراقي	١٧٤
(ر)	
الرسالة في عامها الثاني عشر	١
رأي الأستاذ توحيد السلحدار في كتابي (الوعي القومي) ودراسات من مقدمة ابن خلدون	٣٤٥
رابطة فكرية بين مثقفي البلاد العربية	٢٠
« الرباط المقدس » كتاب توفيق الحكيم	٢٠١٠
ردود وحدود	٤٠١
رسائل التعليقات للرصافي ٤٧٠ ، ٥٢٩ ، ٤٨٨ ، ٥٠٧	
رسالة الغفران بالانجليزية	٥٠٠
رسالة نبي الوثنية	٧٥١
السيد رشيد رضا بمناسبة الذكرى التاسعة لوفاته	٧٤٧
الرصافي وأبو حنيفة	٢٠٢٠
الرصافي ووحدة الوجود	٥٤٧
الرصافي يغضب ويتبرأ	٦٩٩
الرغيف	١٤٣
الرفق بإيطاليا	١٠٣٣
روح التربية والتعليم	٣٣٩
الروحانية بين الأنبياء الثلاثة	٤٣
روسيا والثقافة الإسلامية	١٣
(ز)	
زكي مبارك وإعجاز القرآن	١٩٩
زكي مبارك وكتاب الله	١٠٩٩
الدكتور زكي والشيخ الدجوي	١٠٣٩
زواج الأقارب والأباعد	٧٢١
(س)	
ساطع الحصري	١١٩
ستندال والحب	١٣٢
ستانلوس أحد الأحرار	١١٧
سجاد الأناضول ١٩٤ ، ٢١٥ ، ٢٧٢	
سجدة الكروان « قصيدة »	٥٩٧
السراب « قصيدة » ٥٣٨ ، ٦٥٨	
السطحيون أو السكناء	٤٨١
السلم العالمية حلم الأبد ١١٢٤ ، ٢٠٠٣	
السلم العالمية حلم قريب الأمد	١٠٥٣

الموضوع	صفحة
سلام على أسمهان « قصيدة »	٦١٨
السلك العباسي	٣٨٣
سلامة القس « كتاب »	٢٧٦
(ش)	
شجر المشمش وميعاد إزهاره	٥٤٠
شر ولا سر	٢٨١
شهاب قلب	٢٣٧
شعب مصر	١٠٦١
شعر البارودي في منفاه ١٠٩٦ ، ١١٠٦	
الشعر الجديد ١٩٨ ، ٢٣٩ ، ٢٥٨ ، ٢٧٨ ، ٣١٧ ، ٣٥٨ ، ٣٩٦ ، ٤٣٨	
الشعر الجديد لا شعر الشباب	٤٧٩
الشعر الجديد وطاقة الريحان	٢١٩
الشعر القديم بين الفطرة والفن الجليل	٣٧٨
شعراء الشباب	٣٣٨
شعراء الشباب والأستاذ الجليل « ا . ع »	٢٩٨
شعر ناجي ٣٤٦ ، ٣٦٦ ، ٣٨٦ ، ٤١٨	
الشعر والدبابات	٤٤١
الشعر العربي والشعر العالمي في عرائس وشياطين	٥٩٣
نبغاء الأقزام في رسالة الأقزام	٣٨
شلي	٣٣
الشيخ الشنقيطي	١٨٠
الشيرازي يغني	٤٩٩
شعراء الشباب ووجوب عنايتهم بثقافتهم الخاصة	٧٢٤
الصهاليل المنصوري	٧٥٤
الشوامخ (كتاب) ٧٩٧ ، ١٠٠٠	
(ص)	
الصداقة والأدب والنقد	٣٦٠
الصديقة بنت الصديق	١٨
الصديقة بنت الصديق للعقاد	٩١
صديق الطيور « قصيدة »	٩٥٧
صديقي الربيع « قصيدة »	٤٥٧
صرخة اليأس « قصيدة »	١٠٣٦
صلات علمية بين مصر والشام ١٩١ ، ٢١٢	
صلوات فكر في محاريب الطبيعة ٩٦٦ ، ٩٨٤	
(ض)	
الضمير « قصيدة »	١٠٩٨
(ط)	
طاقة زهر « قصيدة »	٩٥٧
طاقات ريحان هدية إلى شعراء في هذا الزمان	١٢٦

الموضوع	صفحة
الطبيعة توحي والشاعر ينطق ٣٠ ، ١٥١	
الطريقة المثلى في دراسة الفقه الإسلامي	٥٣
الطبيعة في الشعر العربي والشعر العالمي	٦٥٢
طفيليون ومقترحون	٦٤١
(ع)	
العام الجديد (قصيدة)	٩٥٧
عبد الرحمن عزام بك لمن لا يعرفه من قرب	١٠٥٧
العباس بن الأحنف	٧٩٤
عبد الرحمن البرقوقي (وفاته)	٤٩٨
سعادة عبد العزيز فهمي باشا	١٠٣٨
عبقرية الإسلام	٤١
عبقريات أزهرية مدفونة	٢٤٩
عرائس وشياطين	٥٤٩
عرفت ثلاثة آلاف مجنون	٥٠٠
العزلة (قصيدة)	٢٩٧
عشاق العرب وقصر الهودج	١٠٤٠
عظة العيد وعبرة الذكرى	٤٩
العقل الباطن ، ماهو وكيف نصل إليه ؟	٥٢٧
العقلية المصرية ٩٨١ ، ٢٠٠٠	
العلم التبشيري	٢٠١
العلم والعلماء في رعاية الإسلام والعربية ٥٤١ ، ٥٨٤	
العنصر الإنساني في كتاب « نماذج بشرية »	٩٧٦
على عتبة الرسول	٧٩
على ضفاف الجحيم (قصيدة)	٣٦
علامات الزمن	١٢١
على قبر أخي (قصيدة)	٤١٧
على محمود طه شاعر الفن والجمال ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٣٠	
على هامش الشعر الجديد	٤٧٩
على هامش العيد الألفي لأبي العلاء	٢٦٣
على هامش الغفران	٧١١
العمالية الفكرية	٧٠١
عمرو بن العاص ٣١٩ ، ٦٣٩	
عمي حسن (قصة)	٣٩٩
عهد اللذة	٥٩٢
عودة دجلة « البديع »	٩٣٩
عودة إلى وحدة الوجود	٦١٩
الشيخ عياد الطنطاوي	٣٩
عياد الطنطاوي	١٥٦
(غ)	
الغناء	٤٠٤
غصن الحيوى	١٧
الغرام السوقي « قصيدة »	٦٩٨

الموضوع	صفحة
غرام يوم الثلاثاء	١٠٦٤
غرام يوم الثلاثاء « قصيدة »	١١٣٥
(ف)	
فتنة وحدة الوجود والدكتور زكي مبارك	٩٦٩
الفجر الغارب (قصيدة)	١١٦
فجيعة مصر في أميرها	١٠١
فرقة التمثيل ٩٧٩ ، ١٠١٩	
فرقة التمثيل ومديرها الفني ١٠٠٨ ، ١٠٧٠	
فساد الطريقة في كتاب النثر الفني ٥٥٢ ، ٦٣٣ ، ٧٢٣	
الفلاحون ٣٣٩ ، ٣٧٩	
فلسطين	٢٤٤
فقه عمر	٤٦
فكاهات الشعراء (قصيدة)	٢٠١٨
فلم « رصاصة في القلب »	٣١٨
لحن ثائر وطبيعة ثائرة	٧٠٧
الفن والإصلاح ٣٤١ ، ٤٦٨ ، ٤٨٤	
« الفوضى » في المجمعين	٤٥٩
فوضى الأدب في مصر	٩٤٤
في الأدب والفن	٣٠١
في التأني السلامة	٨١
في الثرى (قصيدة)	١٥
في دنيا الأحلام	٤٢٦
في ديوان حافظ ابراهيم	٢٥٩
في الرفيق الأعلى	٥٧
في رمضان	٧٠٩
في الرملة البيضاء	٢٠٤
في الصديق بنت الصديق أيضا	٩٦
في عالم القصة ٧٦٦ ، ٨٨٩ ، ٩٢٩ ، ٩٧٢	
في عالم القصة : ذئاب جائعة	١٠١٠
في عبقرية الامام	٢٠
في العيد	٩٤٨
في الفصول والغايات وفي اللزوميات	٣٧٨
في القافية	٥٢٠
في قصور الخلفاء	١٠٢٠
في قنا وأسوان	٢١٨
في اللغة	٤٩١
(٢) في اللغة أيضا	٧٥٩
في مؤتمر المحامين العرب	٧١٤
في « مجموع رسائل الجاحظ »	٢٣٣
في معرض الآراء	١٦١
في معرض الفن	٥١٤
فرقة التمثيل	١١٣٧
في قصيدتي منها وإليها	١١٣٧
(ق)	
قادة الفكر	١٠٢١

الموضوع	صفحة
القاهرة من المعز إلى الفاروق	١٠٦٠
قبر أبي العلاء	٩١٤
قد كنت شيئا (قصيدة)	١٠٩٨
قدامة بن مظعون	٢٩٤
القرآن الكريم في كتاب النثر الفني ٣١٤ ، ٣٣١ ، ٣٤٩ ، ٣٧٤ ، ٤١٩ ، ٤٥٩ ، ٣٩١ ، ٥٣١ ، ٥٧٢ ، ٦١١	
القرآن في الإذاعة الفاطمية	٧٨٧
القريب البعيد (قصيدة)	٩١٧
قصر أنطونيادس	٣
قصر الهودج (قصيدة)	٧٣٧
قصص من العالم	١٠٢٠
القصيد للرسل	٨٣
القضايا الكبرى في الإسلام قتل الهرمزان	٧٢
قتل الحلاج	١٧٥
قتل حجر بن عدى	٤٣١
القضايا الكبرى في الإسلام قضية المغيرة بن شعبة	٥٣٤
قضية الشاعر بن هدبة وزيادة	٦٣٠
قضية قذف عائشة	٧٧٢
القضايا الكبرى في الإسلام قضايا ابن تيميه	٩٥٢
القضايا الكبرى في الإسلام «قضية فدك»	١٠٢٨
قضية المرأة ٩٥٠ ، ١٠٢٦	
القضية العربية في المرحلة الجاسيمية	٢٨٨
القلم يقول من نفسه (قصيدة)	١٠٣٦
القيثارة المحطمة (قصيدة)	١٠٣٦
قيس لبنى وعبد الله بن عبد الله بن عتبه	١٥٦
قيس ولبنى ٣٨٠ ، ٤٠٦ ، ٤٢٣	
(ك)	
كتاب الانصاف والتحرى في دفع الظلم والتجرى عن أبي العلاء المعرى	٩١٢
كتاب « بساتين الفاكهة »	٢٠٢٠
كتاب الذخيرة	١٤٧
كتاب المستقصى للزمخشرى	١٠٩٩
كتاب للصايد وللطارد	٧٣١
كتاب « الوعى القوى »	٥١٤
كتاب الأسبانية بالحروف العربية	٣٩٨
كتاب العربية بالحروف اللاتينية	١٠٦٦
كتب جديدة للدكتور محمد مندور	٩٠٠
كتب وشخصيات	٨
كتب وشخصيات — زهرة العمر	٢٦
كلمة أخيرة	١٠٣٥
كل يوم لنا عتاب جديد	٥١٢
(ل)	
لامية شعبة بن غريض أخى السموءل	١٠٥
لبثا رام لكثير عزة	٩٢
لعنة الحرب « قصيدة »	٩٣٢
اللغة القانونية في الأقطار العربية ٨٩٣ ، ٩٠٨	
اللغة والوطن	٢٨٦
لقد عاز بمعاذ	٧٦٠
لقد ظلموا شعراء الشباب	٣٥٩
لقد هان هذا الخطب	١٨٣
لماذا لا نكون سعيدا	٤٢٥
اللهجة المصرية وحاشيا ما لهجات العربية	٤٨٠
ليلى والمجنون « قصيدة »	١٣٦
اللقاء الأول « قصيدة »	٤٩٦
(م)	
مآثر النور (شعر عامى)	٧١٧
ما هذه الحرب وما وراءها ؟	٦٠٩
مباحث في فلسفة الأخلاق (كتاب)	٥٠٠
مجلة « الثريا » التونسية	٢٠٢٠
المجمع اللغوى والوحدة العربية	١٠٩
محاورات للوتى ٢٢٥ ، ٢٥٣ ، ٢٦٨ ، ٢٩٠	
محرجات	٦٢٧
محمد أحمد جاد المولى	١٦٥
محمد عبد العزيز	١٠١٨
محو الأمية في مصر	٥٦٤
مدينة الخيرات	١٠٣
المرأة	١٧٠
المرأة في حياة المتنبي	٤٥٠
مرسلات مع الريح « يا هذوى »	٢٢٧
مزامير ! (قصيدة)	٥٧٨
مسألة الجنسين ٥٦١ ، ٦٦١	
مسائل في وحدة الوجود	٦٨٤
مستقبل رومانيا	٧٥٣
مستقبل الدلم	٣٥٤
مستقبل القطن المصرى ٤٧٣ ، ٤٩٠	
مشروع محو الأمية أيضا	٥٩٠
مصر الاسلامية	٤٦٦
مصرع الجمال (قصيدة)	٨٩٢
مطاردة	٣٣٣
المعانى والظلال	٦٨٩
المعدة : كغدة من الغدد ذات الأفراغ الداخلية	٨٩٦
معرض سجاد تركيا بدار الآثار العربية	٢٠٠
معركة الثلوج (قصيدة)	٦٣٧
المعرى ذلك المجهول	١٠٢٠
مع نفسى	٤٤٩
معهد التمثيل المصرى	٣٠٦
مموه ومعيه	٢٩٩
مقام الشهود لا وحدة الوجود	٩٤٠
مكافحة الشكابة	٧٨١
مكانة العرب بين الأمم	٤٦٣
ملحمة السراب (قصيدة)	٥٧٨
مليم الأكبر	١٠٦٠
من أحلام الصحراء (قصيدة)	١٣٥
من أزهار	١٦
من الأستاذ خليل مطران إلى الأستاذ عبد الرحمن صدقى	٧١٩
من إعجاز القرآن	١٥٣
مناجاة ...	١٠٧٨
من حديث الربيع ٤٣٢ ، ٤٦٠	
من بركات الأدب	٣٧١
من روائع الرسول	٧٦
منشأ العقيدة اليزيدية وتطورها ٢١٣ ، ٢٣١ ، ٢٥٥ ، ٢٦٩ ، ٢٩٢	
من الشعر الجديد ٤٣٤ ، ٤٥٤	
من الشعر المنسى لحافظ	٢٨٠
منصب الوزير في مصر الفرعونية	١٣٤
منع الحرب : حلم الأدب	١٠٠٤
منع النساء من لبس العمائم الكبيرة ...	٩٢٠
من غير تعليق	٧٣٩
من الملك القديم	٢٣٩
من قراءتهم تعرفونهم	٦٨١
من مآسي هذه الحرب	١٤١
من مجموع رسائل الجاحظ	١٦٨
من المخطوطات	١٠٥٩
من ميونخ إلى وارسو	٣٣٩
من النقد الفرنسى	٤٩٩
قمها (قصيدة)	٢١٦
موجه ! (قصيدة)	٥٣٨
موضوعات الكتب	٦٠١
ميت بين الأحياء (قصيدة)	٤٥٧
الميل إلى الهدم وصراع الديكة بين الأدباء والفنانين	٣٢٤
ما لركى مبارك وكتاب قد ١٠٧٩ ، ١١٣٠	
(ن)	
نشأة والزواج	٦٢٩
نداء الموت (قصيدة)	٩٣٨
النسب إلى أم وأمهة	٢٩٨
نسب زياد	٣٧٢
النسر (قصيدة)	١٩٧
النشيد (قصيدة)	١١٦
النصاح والوعاظ على أبواب الخلفاء	٤٩٢
نظرية دور كهيم والاصلاح الاجتماعى	٩٨٠
نظرية الفصل وماذا يريد القائلون بها ؟	١٠٣٧
النقد بمعنى المال	٢٥٨
نقد رامى	٧٠٤
نقد عسكرى	٨٨١

الموضوع	صفحة
نقد على محمود طه	١٤٨
نقل الأدب ١١٤ ، ١٧٨ ، ١٩٣ ، ٢١٧ ، ٢٣٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٥ ، ٢٩٦ ، ٣٣٦ ، ٣٩٤ ، ٤٣٦ ، ٤٥٦ ، ٤٧٧ ، ٥١٧ ، ٥٥٧ ، ٥٧٧ ، ٥٩٦ ، ٦١٧ ، ٦٣٦ ، ٦٥٧ ، ٧١٦ ، ٧٣٦ ، ٧٥٦	
نعمة الأسلوب	١٨٠
نونيه أبي تمام في رثاء ولده	٣٤٤
(هـ)	
هارون الرشيد والبرامكة	١٠٤٠
هجرة الروح	٦٢
هزيمة الشيطان « قصيدة »	٥٢
هوستن ستيوارت شمبرلن	١٠٩٣
الهكسوس ومدة حكمهم فى مصر	١٠٠٠
هل الموت مشكلة	٢٧٩
هليوتيز الجديدة	١٠٤٩
هنريك إبسن	٧٩٠
الهوى العذرى	٣٩
الهوى تحت النجوم	٢٩
الهوى العذرى بين جميل و بثينة	٤٤٤
(و)	
الوادى للقدس (قصيدة)	٣٩٥
وامعتصماه !	١٠٤
وجهة نظر	٧٩١
الوجود المادى	٨٠٠
وحدة ٦٦٠ ، ١٠٦٠	
وحدة الوجود ٥٣٩ ، ٧١٨ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ١٠٣١ ، ١٠٥٥	
وحدة الوجود « شرحها »	٩٩٩
وحدة الوجود بين الفلسفة والدين	٥٥٦
وحدة الوجود والأستاذ دريني خشبة	٦٤٦
وحدة الوجود وهل هي من الإسلام فى شىء ؟	٧٤٤
وحدة الوجود رأى الأب صبرجى فيها	٨٩٩
(١) وحدة الشهود	٧٠٨
حول وحدة الوجود أيضاً	٥٨٠
وحى لقاء (قصيدة)	٤٩٥
وسائل الوحدة الربية	٥٠١
وظيفة المرأة ٣٢٩ ، ٣٦٩	
والعاديات ضبحاً	١٧٩
وليم شكسبير هل كان حيا ؟	٤٠٩
الوميض	٤٩٩
ويل الفلسفة من الناس	٦٨٠
(ى)	
يا أخت أبلى	١٨٨
يا قارئ الكف « قصيدة »	٧٩٨